

التطبيع والمطبعون
العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٧٩ - ٢٠١١)
موسوعة شاملة
إعداد وتوثيق: د/ رفعت سيد احمد
المجلد الأول
١
التطبيع السياسي والاقتصادي
الناشر: مركز يافا للدراسات والأبحاث - القاهرة

التطبيع والمطبعون

العلاقات المصرية الإسرائيلية (1979-2011)

(موسوعة شاملة)

إعداد وتوثيق : د. رفعت سيد أحمد

2014

الباحثون

عبد القادر ياسين — محمود عبده

فاروق العشرى — إيهاب شوقى

محمد دنيا — د. فتحى حسين

محمد قاياتى — محمود سامى

د. على أبو الخير — أسامة عبد الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "

صدق الله العظيم (سورة الحج آية 39)

إهداء

إلى شهداء مقاومة التطبيع فى مصر ..
تقديراً وعرفاناً

الفهرس

مقدمة الطبعة الثانية

تأتى الطبعة الثانية من موسوعة (التطبيع والمطبعون فى مصر 1979 – 2011) ، وقضية الصراع العربى الصهيونى تشهد تطورات درامية تتسم بالتراجع العربى الرسمى عن الحقوق الثابتة للشعب الفلسطينى مع صعود اليمين الصهيونى لسدة الحكم إثر انتخابات مارس 2015 ؛ وتأتى فى أجواء تمزق عربى واسع المدى على مستوى

النخب ، والقضايا ، مع تراجع ملحوظ لقضية مقاومة التطبيع فى البلاد التى ابتليت به (مصر – الأردن – المغرب العربى – منظومة دول الخليج وغيرها) .
ومن هنا تكتسب الموسوعة فى (طبعتها الثانية) ، قيمة مضافة لما اكتسبته فى (طبعتها الأولى) ، قيمة تتصل بأهمية إعادة تنبيه الذاكرة العربية ، أن هذا العدو الصهيونى هو العدو الرئيسى للأمة ، وأن تنظيمات الإرهاب والدول الراعية له بالمال والسلاح والفتوى ، هم شركاء لهذا العدو الصهيونى فى تمزيق الأمة وحرف بوصلة جهادها عن مسارها الصحيح .
* إن الموسوعة تحاول أن تكون أداة استنهاض ثقافى فى مواجهة سياسات وأفكار وموجات التطبيع مع العدو ،وتحاول أن تقول أن هذه الأمة بإمكانها أن تهزم هذا المشروع الصهيونى إن هى امتلكت الوعى والإرادة، الوعى بأبعاد الخطر الصهيونى على الأمن القومى للأمة ، والإرادة فى مواجهته بالقوة، عبر المقاومة الشاملة .
* إننا فى (الطبعة الثانية) من الموسوعة وبعد أن نفذت الطبعة الأولى فى أقل من عام واحد وبعد أن استقبلتها الأوساط الأكاديمية والثقافية والسياسية استقبالاً طيباً ، حاولت أن نصحح بعض القصور الذى وقعنا فيه نتيجة عمق وتعقد وطول موضوع البحث وتركيزه على عمليات التطبيع ذاتها دون التفصيل الموسع عن اللجان والهيئات المقاومة لهذا التطبيع ، قمنا هنا بإعطاء بعض المقاومين الأوائل للتطبيع حقهم فى الإشارة التفصيلية لأنشطتهم وأدوارهم الرائدة والتى كنا قد أشرنا إلى بعضها بإيجاز ، فأشرنا هنا وفى ملحق وثائقى تفصيلى (الوثيقة رقم 6) إلى الدور الرائد والمهم (للجنة الدفاع عن الثقافة القومية) ، و(اللجنة العربية لمشاركة المقاومة الفلسطينية – الملتقى العربى لمواجهة الصهيونية) وغيرها من اللجان المهمة فى مجال مقاومة التطبيع مع العدو الصهيونى ، فهذا حقهم علينا وعلى الأمة (انظر الملاحق الوثائقية) .
إنه لمما أثلج صدورنا هذا الاحتفاء المهم الذى لاقته الطبعة الأولى من الموسوعة سواء على المستوى الإعلامى العربى ومن أبرز مظاهره تغطيات صحف (الأهرام – الأخبار – الجمهورية – المصرى اليوم – التحرير – صوت الأمة – مجلة الإذاعة والتليفزيون – موقع مصر العربية – الفجر – الصباح – الأسبوع – البديل – الديار (فى مصر) – السفير – البناء – النهار (بيروت) وصحف عربية عديدة فى الكويت والإمارات – الجزائر وسوريا والمغرب) .

* هذا وقد تمثل الاحتفاء بالموسوعة عند صدور طبعتها الأولى أيضاً فى عقد عدة ندوات ومؤتمرات ثقافية وسياسية حولها داخل مصر وخارجها منها مؤتمر مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس برئاسة د. جمال شقرة ، ومؤتمر قومى بنقابة الصحفيين ومؤتمر بالحزب الاشتراكى المصرى برئاسة المهندس أحمد بهاء الدين شعبان ، والجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية برئاسة عبد القادر ياسين ، ومؤتمر التجمع العربى الإسلامى لدعم خيار المقاومة فى بيروت برئاسة د. يحيى غدار ، مع لقاءات وتغطيات تليفزيونية عديدة فى الفضائيات العربية .

* إن هذا الاحتفاء الكبير ، كان الدافع الرئيسى فى شحذ إرادة صناع هذه الموسوعة لكى يعيدوا طباعتها ، بعد نفاذ طبعتها الأولى ، وأن تزداد دعوتهم للصمود فى مواجهة التطبيع مع العدو الصهيونى ، قوة وثباتاً ، فتلك هى قضية الأمة المركزية التى بدونها لن تستقيم أية قضية وطنية أخرى سواء فى الديمقراطية والحريات أو فى الاقتصاد والعدالة الاجتماعية ، فمقاومة المشروع الصهيونى هو البوصلة ، وفلسطين هى قبلة المجاهدين الصادقين ، ومقاومة التطبيع بالكلمة والوثيقة والموقف هو أبرز وسائلنا لحماية هذه (القبلة) من الفتن والخلافات السياسية والمذهبية ، التى تمتلأ بها الأرض العربية هذه الأيام .

* وفى ختام مقدمة هذه الطبعة لا نملك إلا أن نوجه التحية للمجاهدين الصابرين الصامدين فى أرض فلسطين ولشهداء مقاومة التطبيع فى مصر وفى أرجاء وطننا العربى (والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)صدق الله العظيم

د. رفعت سيد أحمد

القاهرة أبريل 2015

المقدمة

طويلة هى قصة الصراع العربى – الصهيونى ، معقدة هى فصولها ، ولعل فصل العلاقات المصرية – الإسرائيلية هو أكثرها طولاً وتعقيداً ، نظراً لمحورية (مصر) فى أمتها العربية؛ ولأن العدو الصهيونى اعتبرها العقبة الأولى والأخطر فى المنطقة ، والتى تحول دون ترسيخ وجوده فى فلسطين واختراقه للمحيط العربى والإسلامى ، خاصة بعد فترة من العداء والمقاومة الصريحة له من نكبة 1948 حتى حرب 1973 ، وكان ذروتها الحقبة الناصرية بخطابها الثورى ، بتجربتها المعاشة سواء ؛ بانتصاراتها (1956) أو انكساراتها (1967) ، ولقد كانت مصر ؛ هى الأبرز والأهم فى قصة الصراع سواء من المنظور الصهيونى أو من ناحية الواقع العربى ، ولذلك عملت الاستراتيجية الإسرائيلية على هزيمتها وإن لم تفلح فاختراقها وتحييدها، ولا بأس من عزلها تدريجياً عن أمتها وقضاياها ، وهذا هو جوهر ما سمى لاحقاً بـ"التطبيع" الذى استهدف بالأساس " تعرية مصر " عن ردائها العربى ، وفصلها عن جسدها الإسلامى وثقافتها التاريخية التى كانت "المقاومة " لمشاريع الاستعمار والهيمنة على قمتها .

لقد هدفت إسرائيل من خلال علاقاتها " التصارعية " (1948 – 1977) أو التصالحية (1977 حتى اليوم 2014) إلى عزل وتحييد مصر والهيمنة على قرارها المستقل وتحويلها إلى مجرد دولة ثانوية بلا تأثير ، فى محيطها العربى والإسلامى ، والغريب أنها وفى ذروة الصراع والحروب لم تنجح فى هدفها هذا ، لكنها بما سمى " بالسلام " والتسوية والعلاقات الاقتصادية والسياسية أو بما اصطلح على تسميته بـ(التطبيع) نجحت على الأقل على مستوى القيادة الحاكمة ، وإن استعصى عليها الشعب بنخبته طيلة ما يزيد على 37 عاماً من التطبيع فى كافة شئون الحياة المصرية ، وبعد ثورة 25 يناير فوجئت إسرائيل قبل غيرها (ونقصد بغيرها هنا واشنطن ومن صار فى ركابها من نخب ودول

إقليمية ودولية) ، بأن هذا الشعب الذى أرادت اختراقه وتعريته وعزله والهيمنة عليه من خلال " التطبيع " ، وما ارتبط به من المعونة الأمريكية (2.1 مليار دولار سنوياً) ثار عليها وأحرق سفارتها مرتين ، وفجر خط الغاز الموصل إليها بأبخس الأسعار ست عشرة مرة فى العامين التاليين للثورة ، فوجئت إسرائيل بكم ونوع العداء الشعبى لها بعد ثورة أولى فى (25 يناير 2011) على من أسمته بكنزها الاستراتيجى (حسنى مبارك) ، وبعد ثورة ثانية (2013/6/30) على تفاهمات كادت أن تكتمل مع بعض قوى ما يسمى بالإسلام السياسى لخلق شرق أوسط إسرائيلى/أمريكى جديد بقشرة إسلامية ، يضمن بقاء إسرائيل وقوة العلاقات معها ، فوجئت تل أبيب وواشنطن ، ومن دار فى فلكها بهذا الشعب ، وبتلك " الروح " التى عادت إليه رافضة " التطبيع " بنفس قوة رفضها للاستبداد وسياسات الإفقار والعيش غير الكريم .

***

* إن قصة " التطبيع " بين الكيان الصهيونى ومصر إذن ... قصة مركبة ومتراكمة الأبعاد والدلالات ، وهى لاتزال مستمرة، وإن بدت فى الأفق دلائل نهايتها ، بعد ثورتى (25 يناير و30 يونيو) وهى قصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا مصر الاجتماعية والديمقراطية والسياسية ، وبقضايا الوطن العربى على تنوعها وتعقدها . إن " التطبيع " أو العلاقات المصرية الإسرائيلية ، الذى بدأ بزيارة السادات للقدس فى نوفمبر 1977 ؛ ولايزال مستمراً حتى اليوم (2014) ؛ يحتاج إلى إعادة فتح للملفات وإعادة قراءة لما بداخلها من أسرار وحقائق ، والتى من خلال فرزها ونقدها ، نستطيع أن نرسم خريطة صحيحة للمستقبل ، فلا مستقبل لمصر (ومن ثَمَّ للوطن العربى) دون موقف واضح وجذري من العدو الصهيونى ، ولا مستقبل لمصر دون مراجعة دقيقة وحاسمة لاتفاقات كامب ديفيد (1978) ولمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية (1979) بما يتفق

وحاجات الأمن القومى (الحقيقى) للبلاد وليس الأمن (الشخصى) للحكام الذين ربطوا – ولايزالون – أنفسهم بهذا السلام المذل مع الكيان الصهيونى .

***

* ومن أجل المستقبل ، أعددنا هذه (الموسوعة) ، عن العلاقات المصرية – الإسرائيلية فى اثنين وثلاثين عاماً (2011-1979) ، أعددناها ليس فحسب بهدف الاستغراق فى الماضى ، بل بهدف أخذ العبر والدروس منه، خاصة فى مجال العلاقات مع هذا العدو التاريخى للأمة ، والتى بدون تدبرها والتعلم منها ، لن نبنى وطناً حراً فى إرادته واختياراته ، واعياً بخنادق الأعداء جيداً، مدركاً لسبل مواجهتها والتغلب عليها .

* وفى سبيلنا لفتح ملفات التطبيع بين مصر وإسرائيل ، نحتاج إلى أكبر قدر من الموضوعية (وليس الحياد، لأنه لا " حياد " مع قضايا الوطن المصيرية والمقاومة المشروعة للعدو الصهيونى تأتى فى مقدمة تلك القضايا) ، أما الموضوعية فهى الدقة ، والعلمية والأمانة فى نقل الخبر والتعليق عليه ، وفى رصد التطورات الاجتماعية والسياسية المرتبطة بهذا الصراع الممتد مع الكيان الصهيونى . إن ما تحاول (الموسوعة) القيام به هو رصد وتحليل أبرز الأحداث والسياسات والمواقف فى العلاقات المصرية – الإسرائيلية منذ توقيع معاهدة السلام (1979) وحتى بدايات الثورة المصرية فى 25 يناير 2011 ، وهى فترة زمنية طويلة زمنياً وثرية بأحداثها ووقائعها (32 عاماً)، ومن ثم هى تحتاج إلى انتقاء (غير مخل) وتدقيق ، وتحليل رصين للوقائع والأحداث ، حاولنا بقدر المستطاع أن نقوم به وأن نوزعه على كافة المجالات التى جرى فيها التطبيع (سياسية – اقتصادية – ثقافية – إعلامية – اجتماعية – أمنية- إلخ) . ووزعناها على أبواب وفصول، وأرفقنا فى نهاية الموسوعة عدداً من الوثائق التى رأينا أنها قد تدعم الحقائق والوقائع التى وردت فى هذا العمل الذى استغرق منا قرابة الـ6 أعوام من الرصد والتوثيق والتحليل ، ومن الفرز الدقيق

لعشرات الوثائق والدراسات والملفات، هذا ولقد عاوننا فى هذا العمل ، فريق متميز من الباحثين والخبراء الذين نعتز بهم وبإسهامهم الكبير وهم الأساتذة (فاروق العشرى – عبد القادر ياسين – محمود عبده – إيهاب شوقى – د.فتحى حسين – محمد قاياتى – د.على أبو الخير – محمد دنيا – محمود سامى – أسامة عبدالحق) فلهم كل التقدير والاحترام على جهودهم وأبحاثهم ومساهماتهم الفذة .

***

<u>ختاماً :</u>

إن " التطبيع " لغة يعنى: إعادة العلاقات لتكون مرة أخرى طبيعية بين أفراد أو جماعات أو دول ، وهو الأمر غير الصحيح ، بالنسبة للحالة (المصرية – الإسرائيلية) فلا كانت هناك علاقات طبيعية بينهما لكى يتم إعادتها ثانية أو تطبيعها مرة أخرى ، بل كان هناك عداء دائم وصراع مستمر بين أصحاب حق فى مواجهة قوى الباطل الراغبة فى الهيمنة والاحتلال ، من هنا تصبح كلمة (اختراق) أو هيمنة هى الأدق فى مجال وصف العلاقات المصرية – الإسرائيلية ، لكنا سنستخدمه هنا تجاوزاً وتماشياً مع ما صار لفظاً شائعاً ومستخدماً فى الأدبيات السياسية المصرية وتحديداً أدبيات الصراع العربى – الصهيونى . مع إدراكنا لحقيقته وجوهره .

* إن هذا العمل الذى بين أيدى القارىء العربى ، ليس كل أحداث ووقائع ووثائق (التطبيع)؛ لأنها فى الواقع إذا ما رصدت ووثقت، فسوف تصل إلى أضعاف صفحات هذا العمل ، لكن ما بين أيدينا هو " بعض " و" جزء " من كل ، حاولنا بقدر المستطاع أن يكون ممثلاً لأبرز وأهم الوقائع والأحداث ، فالقضية أكبر وأوسع وأكثر ثراءً ، وتعقيداً، وكان للعديد من باحثينا ومثقفينا إسهامات رائدة فيها منذ لامست أرجل الصهاينة أرض مصر، وسيرد ذكرهم فى ثنايا البحث ؛ فلمن سبقنا فى هذا المضمار البحثى ، والجهادى ، كل التقدير ،

ولكن لاتزال هذه القضية تحتاج إلى أعمال وجهود أخرى نحسبها آتية – إن شاء الله – من باحثين ومفكرين وطنيين، يعلمون جيداً حقيقة هذا الصراع ، ومستهدفاته ويعملون بإخلاص على مقاومته بالمعرفة وبالدعوة للجهاد ضده ، بالكلمة والعمل ، فتحية لهم ولمن سيواصل الطريق.

***

وبعد ..

إن هذه (الموسوعة) ، تسعى لأن تكون لبنة فى بناء حائط صد ضد الهجمة الصهيونية – الأمريكية على العقل والثقافة والاقتصاد والسياسة العربية المستقلة ، نأمل أن تفيد، وهى فى سبيلها إلى ذلك قسمت إلى ستة أبواب رئيسة ، وهى تتناول الوقائع السياسية ، والاقتصادية والثقافية والإعلامية ، والاجتماعية ، والدينية خلال الفترة (1979 – 2011) ، وقد تمتد إلى ما قبل أو ما بعد هذه الفترة ؛ بحكم البحث وضروراته ، وقد سبقناها بفصل تمهيدى عن "مقدمات التطبيع " وخريطته الرئيسة التى ستتناولها الموسوعة ، وختمناها بفصل ختامى عن التطبيع بعد ثورة يناير 2011 ، أما أبواب الموسوعة والتى وزعت على ستة أبواب بالاضافة لفصلين، الأول: **فصل تمهيدى عن(مقدمات التطبيع) ، والثانى : ختامى عن(التطبيع بعد الثورة)** أما باقى مكونات الموسوعة فبيانها كالتالى :

الباب الأول : التطبيع السياسى

الباب الثانى : التطبيع الاقتصادى

الباب الثالث : التطبيع الإعلامى

الباب الرابع : التطبيع الثقافى

الباب الخامس : التطبيع الاجتماعى

الباب السادس : التطبيع الدينى

الفصل الختامى : التطبيع بعد الثورة

نأمل من الله أن نكون قد وفقنا فيما ذهبنا إليه ، وأن يمثل هذا العمل خطوة على الطريق الصحيح : طريق المقاومة الحقة لتحرير فلسطين ، وبلادنا العربية من هذا الخطر الصهيونى الذى لايزال قائماً ومؤثراً ، والله المستعان.

القاهرة 2014/2/1

فصل تمهيدى

مقدمات " التطبيع "

لا يستقيم الحديث عن تنامي ظاهرة التطبيع الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعى والدينى ، اليوم مع العدو الصهيوني، دونما عودة توثيقية لسنوات التطبيع الأولى بين إسرائيل والحكومة المصرية، ومن المهم بداية، العلم بأن الإطار العام الذى حكم العلاقات المصرية – الإسرائيلية تمثل فى ثلاث اتفاقات هى : [1 – اتفاقية كامب ديفيد 1978/9/17. 2 – معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية 1979/3/26 والذى تلاه افتتاح سفارة إسرائيلية يوم 1980/2/26 3 – اتفاقية القوات متعددة الجنسية 1981/8/3]، وهذه الاتفاقيات بقدر ما مثلت إطاراً عاماً للسلام بين الدولتين ، مثلت أيضاً قيداً كبيراً على الإرادة المصرية فى السيطرة على سيناء وعلى السياسة المصرية منذ 1979 ، وفى السنوات الأولى التالية لتوقيعها ، وضعت ما يمكن تسميته باللبنات الأولى لسياسات واقتصاديات التطبيع، وفيها تم تجريب الأفكار والخطط التطبيعية حتى يسهل ممارستها في السنوات التالية، وفي هذا الفصل التمهيدى نقترب من قضية التطبيع (وتحديداً التطبيع الثقافي) في سنيه الأولى، وما ارتبط به من مقولات بدت كبيرة ومدوية (مثل الاحتكاك الحضاري والعلمي مع الآخر) وأن صراعنا مع إسرائيل فقط صراع نفسي ولابد من إسقاط جدار العداوة النفسية مع الآخر مقولات مع الزمن ثبت أنها كانت زائفة، وكان يراد بها تسهيل عملية الاختراق المنظم للعقل والمجتمع المصري، حتى يبتلع الجريمة ويمررها، وهو ما جرى منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد (1978) وتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية (مارس . 1979) وحتى يومنا هذا.

* * * * *

* فور توقيع اتفاقات كامب ديفيد (17سبتمبر . 1978)، ولعدة سنوات في عقد الثمانينات من القرن الماضي، كانت المنطقة العربية تعيش حالة من الممكن تسميتها بـ"هزيمة الذات"، على مستوى الفكر والحركة السياسية، حالة نفسية وسياسية معقدة، تتجاوز حدود القيادة الحاكمة إلى حيث بعض النخب المثقفة

والمواطن العادي، وتبدت أهم مظاهرها في تلك السنوات فى الشعور الدفين بفقدان القدرة على الفعل، وعلى المواجهة المنظمة للتحديات المحيطة وغياب الإرادة الجماعية القادرة على فرز التناقضات الثانوية من تلك الرئيسة والتي يحتل الصراع العربي الصهيوني قمتها.

* وفي ظل حالة الهزيمة تلك، بات يومها من المتوقع اختلاط المعايير القيمية والسياسية داخل القطر العربي الواحد وليس فقط بين الأقطار العربية مجتمعة، وعليه وردت إلينا آنئذٍ . وطبعاً لا تزال ترد . قِيماً جديدة في مجالات الثقافة والبحث العلمي مثلما وردت في مجالات السياسة والاقتصاد، وسمعنا بما يسمى بظاهرة "البحوث الاجتماعية والثقافية المشتركة" بين هيئات وباحثين أجانب وبين هيئات وباحثين عرب، أكسبوها مسميات عدة من قبيل "التعاون العلمي" و"الاحتكاك الحضاري" و"اكتساب الخبرة" تماماً، مثلما اكتسبت مفاهيم من قبيل: "التبعية" و"الاحتلال الاقتصادي" مسميات أخرى من قبيل "استثمار رأس المال الأجنبي" و"المعونة الاقتصادية" و"الدعم الدولي" وغير ذلك من مسميات خارجية لا تستطيع بأي حال أن تخفي القيم الحقيقية والجوهر السياسي والاقتصادي للمفهوم!.

* وقد تكون الإرهاصات الأولى لهذه الهزيمة الذاتية ولحالة اختلاط المعايير والقيم، قديمة وسابقة على سنوات التطبيع الأولى فى الثمانينات، حيث تعود إلى السنوات الأولى التالية لحرب 1967، بيد أن البداية الحقيقية لاشتداد سطوتها في تصورنا تعود إلى المرحلة التالية لحرب 1973، وبدء ما يسمى بالحقبة النفطية وما استقدمته معها من قيم ومفاهيم بنائية جديدة، أثرت أول ما أثرت على "مجتمعات المواجهة"، ونقصد الدول المواجهة لإسرائيل وبالأخص (لبنان . مصر . الأردن . سوريا)، والتي تبدى فيها أكثر من غيرها حالة "الهزيمة" واختلاط المعايير القيمية والثقافية والسياسية المذكورة. وأيضاً وهنا المفارقة التاريخية المهمة، ردود

الفعل المقاومة لتلك الهزيمة، وبدء ما يسمى بالحرب الشعبية وحروب العصابات والانتفاضات وحركات مقاومة التطبيع على اختلافها وتنوعها.

** القضية التي نود التركيز عليها في هذا الفصل التمهيدى للعمل الموسوعى ، هي: كيف أن الاستثمار الغربي . والإسرائيلي على وجه الخصوص . لحالة "هزيمة الذات" تلك . التي واكبت سنوات التطبيع المصري/ الإسرائيلي الأولى أواخر السبعينات وأوائل عقد الثمانينات من القرن الماضي . كان مؤثراً، وأن الأخطار التي صاحبته ثم أعقبته كانت مؤلمة إلى الدرجة التي تطلبت مواجهة عربية جديدة متعددة الأدوات والمستويات، آخذة في حساباتها المتغيرات المتجددة الحاصلة داخل أركان الجسد العربي والتي اكتسبت حيويتها بعد مبادرة السادات بزيارة القدس عام 1977، وفي ظل سياسات كامب ديفيد (1978) وما تلاها.

* من هنا فالقضية المحورية التي ندرسها، باتت لها جوانب مهمة تتصل بمحاولات احتلال العقل العربي من قبل الاستراتيجية الأمريكية والغربية إجمالاً والاستراتيجية الصهيونية على وجه الخصوص, والتي أخذت مظاهر عدة على كافة الصعد الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها ؛ فعلى المستوى الثقافى كمثال على شكل مؤتمرات علمية مشتركة تارة، أو أبحاث اجتماعية وسياسية مشتركة بين أساتذة يهود وعرب تارة أخرى، أو تارة ثالثة بناء مؤسسات علمية صهيونية داخل بعض الأقطار العربية تحت غطاء أمريكي أو أوروبي غير مباشر أو مؤسسات صهيونية مباشرة مثل "المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة" والذي أنشئ عام 1982، كما سنورد تفصيلاً فيما بعد.

* والقضية بهذا التحديد تتطلب الإجابة على عدة أسئلة: هل كان ثمة خطر حقيقي على العقل العربي (وفي القلب منه العقل المصري) مما يسمى بـ(الاحتكاك العلمي) مع الغرب وإسرائيل؟ ثم أليس ثمة فروق أساسية بين الاحتكاك الغربي ومحاولات الاختراق الصهيوني، وأنه من الإجحاف المساواة بينهما في مستوى الخطورة؟ وهل لدينا نماذج محددة ومعلومات دقيقة عن سنوات التطبيع الأولى،

يمكننا من خلالها قياس مقدمات الخطر الصهيوني على العقل العربي في مرحلة ما بعد كامب ديفيد، بدلاً من الاحتكام إلى العموميات النظرية التي اعتدناها في مجال فهمنا لقضية الصراع العربي الصهيوني؟ وأخيراً كيف كان العمل الشعبي والرسمي تجاه هذا الخطر؟.

* تساؤلات مشروعة، والإجابة عليها قد تنير لنا بعض جوانب تلك القضية المعقدة، التي لم يتم تناولها للأسف علمياً منذ تفجرت في أواخر السبعينات من القرن الماضي[i].

* وعليه فإن القضية يمكن محورتها حول المحاور الثلاثة التالية:

أولاً: الاحتكاك العلمي مع الغرب كما جرى في سنوات التطبيع الأولى: حضارة أم اختراق؟

ثانياً: مصر ومقدمات الاختراق الصهيوني.ثالثاً: كيف كانت سبل المواجهة للاختراق والتطبيع ؟.

أولاً : الاحتكاك العلمي مع الغرب في سنوات التطبيع الأولى : حضارة أم اختراق؟

* إذا جاز لنا استخدام المنهج التاريخي النقدي لمناقشة ما حدث لواقعنا الحضاري العربي خلال المائتي عام الأخيرة من تطوره، فإن ثمة نتيجة هامة يمكن الانتهاء إليها، وهي أن الصدام مع الغرب . الثقافي والعسكري . يكمن خلفها وبانتظام الأسباب الرئيسة لتخلفنا وتشرذمنا السياسي والثقافي، خاصة عندما تفتقد الأمة إلى الإرادة السياسية المستقلة وإلى القيادات الحاكمة القوية بسياساتها ومؤسساتها الاجتماعية، عندئذ يكون التخلف والتشرذم وفقدان القدرة على التحدي أو المواجهة نتيجة ملازمة لأية صدام مع الغرب.

* ولنا في نموذجي محمد علي وعبد الناصر، ونموذجي الخديوي إسماعيل وأنور السادات دلالات موحية، ففي النماذج الأربعة، كان التحدي الغربي . الثقافي والعسكري حاضراً، إلا أن الاستجابة له اختلفت من نموذج إلى آخر، ففي النموذجين الأولين – محمد علي وعبد الناصر – كانت المنطقة العربية قوية

بمؤسساتها الجديدة وعمليات النهضة والتنمية المستقلة، ومن خلال الإدراك الواعي للقيادتين بالوظيفة الحضارية التي تقع عليهما، من هنا كانت استجابتهما للتحدي الغربي . مع الفارق التاريخي بالطبع . متشابهة في صلابتها وقوتها وعدم الرضوخ له وتشكيل العلاقات مع هذا التحدي وفق المعايير الوطنية والمصالح القومية دون تفريط أو اغتراب، ومن ثم رأى الغرب ضرورة أن يصفي المنطقة من هذه القيادات، فكانت النهاية الدرامية لمحمد علي في اتفاقية لندن عام 1840 والنهاية المتشابهة لعبد الناصر مع هزيمة 1967.

* والذي حدث في نموذجي الخديوي إسماعيل، وأنور السادات، من استقدام للغرب – اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً – يقدم نفسه أيضاً كدليل حي على أنه في حال غياب القيادة الحضارية الواعية والسياسات والمؤسسات الوطنية المستقلة؛ فإن استقدام الغرب يمثل تطوراً طبيعياً في شكل العلاقات الدولية بين المجتمعات التابعة وتلك المتبوعة، فالغرب إذن كان دائماً مستعداً للصدام معنا، فقط الأمر كان دائماً . ونحسبه لا يزال . يتوقف على التربة السياسية والاجتماعية، وتوفر الإطار الحضاري الذي يستقبله، ولم يقل أحد من المهاجمين للغرب بأنه كان إجمالاً عدوانياً وتوسعياً؛ كما يزعم البعض من الذين تربوا في مؤسسات الغرب؛ فدافعوا عنه بالحق وبالباطل معاً، وبلا امتلاك لنظرة انتقادية تفرق بين الإنساني في السياق الحضاري الغربي وبين "الوافد الغربي" عندما اصطدم بحضارات الشرق في تطورها الأخير، فافترسها ولم يتفاعل معها، ومارس أسوأ ما في الغرب تاريخياً عليها، وتقديرنا للحضارة الغربية في إضافاتها إلى التطور الإنساني شيء، ونقد ممارسات هذه الحضارة مع غيرها ومع الحضارة العربية الإسلامية على وجه الخصوص، شيء مختلف تماماً!.

* * * * *

* من هذا التمهيد نصل إلى نتيجة مؤداها أن انكسار مشاريعنا القومية والاجتماعية ونشوء أنساق جديدة من القيم السياسية والاجتماعية وتدهور عمليات النهوض والتنمية، ارتبط دائماً بالاحتكاك السياسي والاقتصادي والثقافي مع الغرب، ولعل في نموذج الانفتاح الاستهلاكي على الغرب في عهد الرئيس المصري أنور السادات – على وجه التحديد – ما يقم هنا كدليل قوي على ما نقول.

ومن هنا أيضاً كان إدراك الغرب لأهمية فهم المجتمعات التي يقاتلها أو يتعامل معها، حتى لا تطول فترات التمهيد للاستغلال الاقتصادي العسكري والسياسي، ولعله ليس من قبيل الصدفة أن يسبق افتراس مصر من قبل الاحتلال البريطاني عام 1882، قيام الحملة الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر بوضع مؤلف "وصف مصر" الذي مثل الأداة المرجعية لكل عمليات النهب الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشته مصر طيلة الفترة السابقة على ثورة 1952، وعليه عرفنا طوال المائتي عام الأخيرة من تطور الأمة العربية، أن يسبق الاحتلال العسكري الغربي دائماً، محاولات فهم واختراق لعقل الأمة، من خلال نشاط جواسيس الثقافة والعلماء والمؤسسات العلمية الغربية، أي أن "احتلال الوطن" كان يسبقه وبانتظام – وكأنه قانون ثابت لتطور مجتمعنا العربي خلال تلك الفترة – "احتلال للعقل العربي".

* ومن ثَمَّ فإن ما يسمى بالاحتكاك العلمي مع الغرب إبان سنوات التطبيع الأولى مع العدو الصهيوني وحتى اليوم من خلال مؤسسات وهيئات البحث العلمي في الوطن العربي، يخفي خلفه أغراضاً سياسية مبرمجة تهدف إلى احتلال العقل العربي أولاً تمهيداً لاحتلال الوطن والأرض ثانياً، وليس معنى هذا أن هذه النتيجة تنصب على كل أشكال الاحتكاك العلمي مع الغرب. إن هذا يكون في تصورنا حكماً منافياً للواقع؛ لأن ما يتم وفق خطط قومية وبرامج وسياسات مدروسة داخل بعض الأقطار العربية، لا مؤاخذة عليه طالما أدرك

وخطط ووعى حجم وأبعاد هذا الاحتكاك، إلا أن ما ندينه وننبه إليه هو ذلك "النوع العشوائي" من الاحتكاك العلمي مع الغرب، والذي يخفي خلفه سياسات متضاربة ومصالح ضيقة لدى بعض الأفراد أو الهيئات، والتي يستثمرها الغرب بوعي، وتحديداً (الولايات المتحدة . ومن ثم إسرائيل) خير استثمار، فيتغلغل في صمت ويتقدم بشكل مبرمج وبنوايا مسبقة لهزيمة العقل العربي واحتلاله تمهيداً لاحتلال الوطن!.

* * * * *

* وهنا يثار سؤال: أليس هناك فارق بين الغرب وبين إسرائيل في مسألة الاحتلال العقلي هذه؟ وهنا تقدم المعلومات – قديمها وحديثها – في مجال التعاون العلمي الصلة الوثيقة بين إسرائيل وأمريكا، وهناك عشرات الأدلة على ذلك وطالما نحن نتحدث في هذه الدراسة عن السنوات الأولى للتطبيع بين مصر وإسرائيل فإننا سنذكر نموذجاً يؤكد تلك العلاقة الوثيقة والخطر المشترك بين أمريكا وإسرائيل .

ها هي دراسة هامة لـ"كولن نورمان" منشورة في مجلة Sience الأمريكية بالعدد 215 في 5 فبراير 1982 ص639، يكشف وبالأرقام الدور التاريخي الذي تلعبه وكالة التنمية الأمريكية منذ بداية التطبيع بين مصر وإسرائيل في مجال الربط والدعم المادي بين علماء مصر وإسرائيل في مجال الزراعة والبحث العلمي بـ 15 مليون دولار من خلال ثلاثة مشاريع كبرى. والطريف في الأمر أن الدكتور/ يوسف والي كان هو المسئول عن الطرف المصري في الاتفاق وكان وقتها أستاذاً بكلية الزراعة – جامعة القاهرة ومستشاراً لوزير الزراعة ، ثم أضحى بعدها – بعد أن تم اختبار ولائه وصداقته للأمريكيين والصهاينة – وزيراً للزراعة لأكثر من عشرين عاماً، تم فيها تخريب الزراعة واختراقها بالأسمدة والمبيدات الإسرائيلية والعلاقات الدافئة مع الكيان الصهيوني. وكان يعد أكبر مسئول سياسى مصرى قام بعقد اتفاقات تطبيعية فى قطاع الزراعة

مع العدو الصهيونى خلال فترة حكم حسنى مبارك ، وكان يسمى برجل إسرائيل القوى فى مصر خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى .

هذا بالإضافة إلى الدور الهام الذي قامت به في السنوات الأولى للتطبيع وتحديداً في الأعوام الأولى من الثمانينات – ولا تزال تقوم به – الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة ومؤسسات فورد فونديش الأمريكية – وراندا، وهيئة المعونة الأمريكية، ومعهد الـ"إم آي تي" الأمريكي – والمركز الثقافي الأمريكي بالقاهرة، ومراكز البحوث الأمريكية في بلدان المشرق العربي، وأيضاً ما قامت به المؤسسات الأوروبية الكبرى مثل فريدرش إيبرت – وفريدرش نومن الألمانيتين من ربط بين العلماء اليهود الصهاينة والعلماء العرب تحت دعوى التعاون العلمي والبحوث المشتركة والممولة، فضلاً عن قرابة الـ60 مركزاً حقوقياً ومنظمات مجتمع مدنى تتلقى تمويلاً من الدول الغربية والكيان الصهيونى . من هنا فإن العلاقة وطيدة بين الاحتكاك العلمي الغربي بالمنطقة العربية وبين الدور الصهيوني واليهودي بداخله، خاصة في تلك المجتمعات التي تغيب فيها رقابة الدولة القُطرية على سياسات البحوث المشتركة وتترك للعشوائية الفردية، والتي ازدهرت في السبعينات، ولعل في دراسة "النموذج المصري" في الاختراق العلمي، ما قد يفيد سواء في إظهار حجم الخطر القادم، أو في التدليل عليه، وعلى الدور المشبوه الذي تلعبه المؤسسات البحثية الغربية – إجمالاً – وهو الأمر غير المستغرب في ظل سيطرة المخابرات الأمريكية والغربية على نشاط الجامعات والأساتذة والفكر بداخل أوطانهم، وفي ظل العلاقات الخاصة بين هذه المخابرات والمخابرات الإسرائيلية "الموساد"، أي أننا أمام "شبكة متسقة الأدوار" وواعية بما تفعل ومدركة لمصالحها وأولويات معاركها مع منطقتنا، وهي الحقيقة التي كانت غائبة في السنوات الأولى للتطبيع ولا تزال غائبة حتى الآن عند الذين يعملون بإخلاص مع الهيئات البحثية الغربية سالفة الذكر، ولا يزالون يسوقون حججاً ساذجة، تقول بالتعاون

والاحتكاك واكتساب الخبرة وغير ذلك من المقولات التي ثبت خطؤها بل وخطرها على الأمن القومي المصري والعربي.
ولنتأمل "نموذج مصر" الذي كانت تعده إسرائيل للتطبيق في باقي أجزاء الوطن العربي عله يفيد.

ثانياً : مصر ومقدمات الاختراق الصهيوني :

* إذا سلمنا بأن مصر تمثل نقطة ارتكاز رئيسة للعقل العربي، أو ما أسماه المفكر الراحل د. جمال حمدان بـ(الجهاز العصبي للأمة العربية)؛ فإن ما تتعرض له سوف يؤثر مباشرة على الإطار المحيط بها، ومن ثم فإن ضرورة المتابعة لسيناريوهات الاختراق الصهيوني للعقل والمجتمع المصري، خاصة في تلك الفترة المبكرة للتطبيع الثقافي والسياسي من الثمانينات، باتت من الأهمية بمكان؛ لأنها تعد بحق نموذجاً حياً لما تنتويه الإرادة الإسرائيلية بالعقل العربي، ولقد تعمدنا هنا أن نسجل نماذج من الأبحاث والمؤتمرات والأفراد المشاركين؛ لنقدم من خلالها حقيقة الخطر الذي كان كامناً في السنوات الأولى للثمانينات في استراتيجية الاختراق الصهيوني لنا، وأهمية المقاومة العربية والإسلامية المشتركة لتلافي ولمواجهة هذا الخطر وهو ما لم يحدث للأسف وقتها.

1 – المركز الأكاديمى الإسرائيلى:

أنشئ هذا المركز عام 1982، تطبيقاً لبنود اتفاقات كامب ديفيد، ولقد مارس المركز عملية مسح منظمة للمجتمع المصري اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، ولعب في الثمانينات من القرن الماضي وحتى اليوم 2014 من خلال رؤسائه الثلاثة عشر السابقين دوراً هاماً في اختراق مصر (تفاصيل ذلك فى الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى فصل (1) الباب (1)، ولم يكن غريباً أن يتم اكتشاف عدة شبكات للتجسس من الأمريكيين والإسرائيليين وبعض المصريين يعملون داخل المركز وينطلقون في تجسسهم من خلاله وذلك من أول شبكة كشفت في أوائل أغسطس 1985 وحتى الشبكات الأخيرة خلال أعوام ما قبل الثورة 2011 وما بعدها، ونظرة

سريعة على الأبحاث السياسية والثقافية والاجتماعية التي قام بها المركز خلال حقبة الثمانينات وسنوات التطبيع الأولى، تبرز لنا وبوضوح عمق الخطر الذي يمثله كأداة متقدمة للمخابرات الإسرائيلية "الموساد"، وكيف أن ما يقوم به هذا المركز من اختراق منظم للعقل المصري ما هو إلا مثال مصغر لما ينتظر العقل العربي في حالة غياب وحدة العمل العربي المشترك تجاه التغلغل الإسرائيلي، فالمركز مثلاً أجرى أبحاثاً في الأصول العرقية للمجتمع المصري وفي كيفية تفتيت مصر طائفياً، وفي الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام، وفي الشعر العربي الحديث، وقضايا التعليم والزراعة والميكنة الزراعية واستصلاح الأراضي وفي توزيع الدخل وحياة البدو والبربر والنوبيين، وكيفية السيطرة عليها وفي تأثير السلام على العقل العربي وغيرها من الأبحاث الهامة (سنقرأ نماذج منها فى الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى). وقديماً في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي عمل العديد من الباحثين الأمريكيين واليهود في خدمة مشروع التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني.

وكنموذج لليهود الأمريكيين والمزدوجي الجنسية (أمريكي/ إسرائيلي) الذين عملوا مع هذا المركز ومع المؤسسات الأمريكية الداعمة للتطبيع في سنواته الأولى يأتي ليونارد بايندر، الذي عمل مستشاراً سياسياً لجولدا مائير أثناء حرب 1973 وشارك في حرب 1948 مقاتلاً ضد العرب عندما كان شاباً، وهو حاصل على الجنسية الإسرائيلية بالإضافة إلى جنسيته الأمريكية! وهذا اليهودي الإسرائيلي عمل أستاذاً زائراً بالجامعة الأمريكية في مصر وأستاذاً للعلوم السياسية بجامعة شيكاغو "وهو صاحب كتاب الحرب العقائدية في الشرق الأوسط"، وهو صديق لنفر مهم من أساتذة العلوم السياسية في مصر، وكانت له علاقات وطيدة ببعض أساتذة الاجتماع في جامعتى عين شمس والقاهرة، وببعض المثقفين اليساريين، ولقد مولت المخابرات الأمريكية والإسرائيلية جميع أبحاثه التي ذهبت جميعها إلى دراسة التيارات الدينية في مصر والمنطقة العربية وإيران .. وله دراسات في

"ظاهرة الجماعات الإسلامية" والتطرف الديني في مصر، والتغيرات السياسية والاجتماعية. وفي الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، قام بعقد عدة صفقات بحثية مماثلة مع بعض الأساتذة المصريين العاملين بالجامعة حول ذات الظواهر، وكانت الهيئات البحثية الأمريكية، والمركز الأكاديمي الإسرائيلي هم من ممولوا هذه الأبحاث!!.

2 - التطبيع من خلال مؤتمرات الطب النفسي:

وفي السنوات الأولى للتطبيع أيضاً، وتحديداً خلال الفترة من مارس 1980 وحتى 1981/9/9 قام البروفيسور الإسرائيلي الشهير "ستيفن كوهين" بعقد عدة صفقات بحثية هامة مع بعض أساتذة علم النفس المصريين، وكان أشهر هذه الأبحاث هو بحث (رؤى الصراع) والذي اهتم بالجوانب الاجتماعية والنفسية للصراع، ومولته هيئة المعونة الأمريكية وجامعة نيويورك والمركز الأكاديمي الإسرائيلي، ومثل الجانب المصري فيه كل من د. قدري حفني، ود. محمد شعلان وعدد آخر من السياسيين الكبار، وفي مقدمتهم د. مصطفى خليل وغيرهم ممن لم يخجلوا من بناء علاقات مع إسرائيل قبل أن يعود للعرب والفلسطينيين المحتلة أرضهم وحقوقهم..

وفي بداية سنوات التطبيع أيضاً عقد أول مؤتمر لعلماء الطب النفسي الصهاينة والمصريين في فندق "ووترجيت . بواشنطن" في الفترة من 20 . 25 يناير 1980 وكان تحت عنوان "المعوقات النفسية في المفاوضات الدولية تطبيقاً على الصراع المصري الإسرائيلي" وقد مثل الجانب المصري في هذا المؤتمر د. محمود محفوظ وزير الصحة المصري الأسبق، د. عصام جلال مستشار وزارة الصحة الأسبق ورئيس الجمعية المصرية للغدد الصماء، ود. محمد شعلان رئيس قسم الطب النفسي بجامعة القاهرة، د.عادل صادق أستاذ الطب النفسي المساعد بجامعة عين شمس، والراحل د.عبدالعظيم رمضان أستاذ التاريخ الحديث بجامعة المنوفية والكاتب الدائم بمجلة أكتوبر – قبل رحيله –

وتحسين بشير والذي عمل هو أيضاً قبل رحيله بجامعة الدول العربية، وبالطبع لم ينشر شيء عن هذا المؤتمر في حينه بل ضرب حوله ستار متعمد من السرية، وبعد عامين ونصف ومن "عبد العظيم رمضان" نفسه في مجلة أكتوبر 1982/6/6 علمنا أن هذا المؤتمر قد تناول أربعة موضوعات هي: "المدخل النفسي للنزاع الدولي ، والعوامل النفسية للمفاوضات بين مصر وإسرائيل" . "العلاقات السرية الإسرائيلية" . "مفهوم الأمن في المفاوضات الدولية" ولقد مثل إسرائيل عدد لا بأس به من الباحثين والعسكريين وفي طليعتهم "أهارون ياريف" –الجنرال الإسرائيلي المعروف – والذى شكل لاحقاً فى التسعينات مع بعض رجال الموساد السابقين بالتنسيق مع الراحل لطفى الخولى – الكاتب المصرى المعروف – ود. عبد المنعم سعيد وغيرهم ما سمى بتحالف كوبنهاجن الذى يدعو إلى التطبيع والسلام مع العدو الصهيونى، وكان عمرو موسى وزير خارجية مصر وقتذاك (والذى يُقدم اليوم بعد ثورتى يناير ويونيو كرمز وطنى!!) كان هو الراعى الرسمى لهذا التحالف والداعم الشخصى له بحكم علاقته الوثيقة مع شيمون بيريز والإدارة الأمريكية!.

* * * * *

وبعد عدة أشهر من مؤتمرات الطب النفسى سالفة الذكر التى عقدت عام 1982، عقدت الجولة الثانية من جولات مؤتمرات الحوار النفسي، تم ذلك في لوزان بسويسرا، وكان موضوع المؤتمر (الاعتداء على الإنسان والقسوة عليه .. والصلح كيف يكون في النهاية)، ولقد مثل الجانب المصري ثلاثة هم: (تحسين بشير – د. محمد شعلان والذي مثل القاسم المشترك في كل البحوث والمؤتمرات النفسية مع إسرائيل في بداياتها كما تُنبئنا وثائق تلك المرحلة و د. عادل صادق)، واعتذر عن الحضور: د. إبراهيم البحراوي – د. محمود محفوظ ، ومن الجانب الأمريكي حضر سبعة من علماء الطب النفسي، ومن إسرائيل ستة من العلماء النفسيين المشتغلين بالموساد.

وبعد شهور وفي الإسكندرية عقد مؤتمر ثالث وهو يعد من أخطر المؤتمرات حيث ضم الجانب الإسرائيلي خمسة أعضاء يتقدمهم "شلوموجازيت الرئيس السابق للموساد – جهاز المخابرات الإسرائيلي – ورئيس جامعة بن جوريون أيام عقد ذلك المؤتمر، د. رفائيل موزيس، د. جبريل كوهين أستاذ التاريخ بجامعة تل أبيب" ، أما الجانب المصري فقد ضم "د. محمد شعلان – د. عبد العظيم رمضان – د. لطفي فطيم – د. صلاح العقاد – د. عادل صادق"، وكانت القضايا المطروحة للنقاش تدور حول: "دلالات الانسحاب الإسرائيلي من سيناء وما صاحبه من مشكلات وأمزجة إسرائيلية في مستعمرتي ياميت وافيرا"، وما ارتبط به من مواقف رسمية للحكومة الإسرائيلية في مشاكل الحدود في طابا، وأخيراً مستقبل قضية فلسطين.

واستمراراً أيضاً للحوار وللتطبيع في سنواته الأولى كان للكاتب الراحل / أنيس منصور دور هام في سيناريوهاته وخطواته المشبوهة التي لا تزال آثارها السلبية حاضرة على العقل والسياسية المصرية حتى اليوم (2014)، فلقد قام أنيس منصور بحكم قربه وعلاقاته الخاصة بأنور السادات بالدعاية والإعلام المزيف عن جدوى السلام مع الصهاينة رغم مخالفة سياساتهم لذلك ، ومن أمثلة سلوكياته الأخرى قيامه باستقبال الدكتور/ حاييم جوردون في فندق الكونتيننتال بالقاهرة . واتفق مع الأخير على إجراء لقاءات مباشرة بين الشباب المصري والإسرائيلي، وفتح المناقشات المباشرة بينهم دون شروط أو قيود أو حدود مسبقة، ثم متابعة سلوكهم إزاء بعضهم البعض، وكان مع أنيس منصور أيضاً د. محمد شعلان . د. طارق علي حسن . د. نبيل يونس من طب الأزهر، وتم اللقاء بالفعل في ربيع عام 1981، واستمرت الندوة أربع جلسات متواصلة أخرجها بعد ذلك البروفيسور الإسرائيلي في كتاب له بالإنجليزية تحت عنوان "البحث عن مسئولية التعليم من أجل السلام". وتوالت علاقات واتصالات أنيس منصور وغيره بالإسرائيليين طيلة

الثمانينات والتسعينات، ولم تحرز شيئاً سوى خدمة المخطط الإسرائيلى، لاختراق النخبة المصرية وتحييدها تجاه قضية الصراع مع إسرائيل .

* * * * *

3 – مؤتمرات التطبيع الصحفي والبحثي:

* ومن النشاط المشترك الأمريكي/ الإسرائيلي في سنوات التطبيع الأولى، ما قام به الصحفي الإسرائيلي "إريه ليفي" من زيارات شخصية للدكتور سعد الدين إبراهيم – أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية في تلك الفترة (الثمانينات) – والذي سيذيع صيته بعد ذلك ويتمادى عبر مركزه (ابن خلدون) في التطبيع مع المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة وجامعة حيفا، ثم يترك مصر بعد أن حكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة تلقي تمويلاً أجنبياً مشبوهاً ، وسعد الدين إبراهيم في سنوات التطبيع الأولى، عقد مع الإسرائيليين ومنهم الصحفي سالف الذكر (إريه ليفي) عدة صفقات بحثية حول الصراع العربي الإسرائيلي وما يرتبط به من قضايا وإشكالات، وترتب على تلك الصفقات زيارات عديدة لسعد الدين إلى منزل هذا الصحفي الإسرائيلي بإحدى العواصم الأوروبية، وبزيارات هذا الصحفي الشخصية لهذا الأستاذ بشكل شبه دوري بالقاهرة!.ولأمريكا في شارع قصر الدوبارة مركز للبحوث الاجتماعية، لعب في بدايات التطبيع بين مصر وإسرائيل دوراً خطيراً مشاركاً بهذا الجامعة الأمريكية التي لا يقف تعاونها الغريب مع الإسرائيليين أو اليهود الأمريكان عند حد منذ إنشائها عام 1919 وحتى اليوم (2014).

* وينبئنا التاريخ أن علاقات إسرائيل البحثية ومحاولات اختراقها للعقل المصري، لم تقف عند هذا النطاق إذ إنها أشرفت وأعدت المؤتمرات العلمية المختلفة التي أقامتها في سنوات التطبيع الأولى بعض جامعاتنا الوطنية، مثل مؤتمر العلوم والطاقة النووية الشهير الذي عقد في الإسكندرية عام 1984، وأيضاً مؤتمر القانون الدولي الذي عقد بجامعة القاهرة .. كانت إسرائيل ممثلة بوفود على درجة

عالية من الثقافة والتي يقول عنها بن جوريون في كتابه "إسرائيل تاريخ شخصي"."أنه يندر أن تجد أكاديمياً أو سياسياً إسرائيلياً لم يتثقف على أيدي الموساد، ومن خلال منظمات الإرهاب الصهيوني في الأربعينات".

* والنشاط الإسرائيلي لم يعرف زماناً أو مكاناً يتوقف عنده، فهو منذ زيارة السادات للقدس عام 1977، وهو يتغلغل في مصر وبكل الأساليب وعبر جميع القنوات، وفي أوائل عام 1985 قاطعت نقابة الصيادلة بالإسكندرية وبعض أساتذة الصيدلة، جلسات المؤتمر الدولي لاتحادات طلاب كلية الصيدلة،احتجاجاً على مشاركة وفد طلابي إسرائيلي في أعمال المؤتمر الذي كان يعقد في مصر يومها لأول مرة، وكانت تنظمه كلية صيدلة الإسكندرية، وكان منظمو المؤتمر قد فوجئوا بوصول الوفد الإسرائيلي على نفس الطائرة التي تقل الوفد الطلابي الأمريكي، وتبين أن الطائرة الأمريكية هبطت في مطار تل أبيب لاصطحاب الطلاب الإسرائيليين، ومن قبل هذا المؤتمر شارك الطلاب الإسرائيليون في مؤتمر لطب الأسنان بجامعة الإسكندرية أيضاً، والمعروف أن الرئيس الأسبق للجامعة الدكتور/ الحضري كان من أكبر المؤيدين للرئيس الأسبق السادات في مجال التطبيع البحثي والعلمي مع إسرائيل، مما دفع بعض الأساتذة إلى الاحتجاج على ذلك ، وكان في مقدمتهم الدكتور/ عصمت زين الدين الذي وصل به الأمر إلى حد الإضراب عن الطعام!.

ومع الإسرائيليين أيضاً كانت اتصالات عدد من الصحفيين المصريين بالإسرائيليين وسفر بعضهم إلى الكيان الصهيوني تحت حجج واهية، ولكنها حجج لا تحجب الطبيعة التطبيعية لتلك الزيارات ومن هؤلاء أنيس منصور ومكرم محمد أحمد وحسين سراج وعبده مباشر وصلاح منتصر وغيرهم ممن بنوا (كما سنرى فى الباب الخاص بالإعلام والتطبيع) علاقات وطيدة بالكيان الصهيونى خلال الثلاثين عاماً الماضية باسم التطبيع،أضرت مصر ولم تفدها .

4 - أبرز مظاهر تجربة التطبيع السياسى / الاقتصادى فى سنوات التطبيع :

* يحدثنا التاريخ أنه قد تم افتتاح سفارة إسرائيل بالقاهرة يوم 1980/2/26 بعد أكثر من عام ونصف العام على توقيع معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية عام 1979، ولقد تنوعت العلاقة بين الحكومة المصرية وإسرائيل، وأضحى لها جوانب عديدة: اقتصادية وسياسية وثقافية وسياحية ، وما يهمنا فى هذا المحور هو الجانب السياسى أو الدبلوماسى منها ، وهو الجانب الذى تولته سفارة إسرائيل بالقاهرة ، تلك السفارة التى ظلت لفترة وجيزة فى أحد الشوارع الجانبية بمنطقة الدقى بالجيزة ، أوائل الثمانينات ، ونتيجة للتحركات الشعبية الرافضة لوجودهم وأيضاً لاعتبارات أمنية إسرائيلية ، تم نقلها الى الدورين الأخيرين (أعلى العمارة المكونة من 15 طابقاً) فى العقار رقم 6 شارع ابن مالك بالجيزة والذى صار اسمه (شارع الشهيد محمد الدرة) تعبيراً من المجلس المحلى بالجيزة عن التضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى من ناحية ورفضاً منهم – كما أعلنوا فى قرارهم – لوجود هذه السفارة بحيهم من ناحية أخرى ، والتى سيضطر رجالهم الى كتابة اسم الشهيد محمد الدرة على كل مراسلاتهم مستقبلاً 0

ولقد تم اختيار الطابقين الأخيرين لاعتبارات أمنية بالأساس وربما لأسباب آخرى لم يفصح عنها من اختار العقار .

أ – نشأة وتطور العلاقات الدبلوماسية :

هذه (السفارة) توالى على رئاستها ، وتبوأ موقع السفير بداخلها اثنا عشر من رجال المخابرات ، وبالمناسبة فى داخل إسرائيل لا توجد غضاضة فى أن يتولى أمثال هؤلاء مواقع سياسية فلا فواصل هناك بين رجال الحرب ورجال الدبلوماسية ، وبين مستوطن ومجند ، فإسرائيل كما قال أحد كتابها الكبار (إزرائيل شاحاك) : هى [جيش بنيت له دولة وليست دولة لها جيش]والمعنى مفهوم

هؤلاء السفراء على التوالى هم :

1 – إلياهو بن اليسار (1980–1981) : وهو أول سفير لإسرائيل بالقاهرة بعد افتتاح السفارة 1980/2/26 استمر لعام 1981 ولم يشهد اغتيال السادات ؛ لأن عمله انتهى قبلها بعدة أشهر، وكان على صلة وثيقة بالرئيس السادات ، وتأثر كثيراً باغتياله لاعتبارات الصداقة والعلاقات الدافئة التى كانت تربطه به ، وعلى يديه بدأت الخطوات الأولى لتطبيق الاتفاقات الموقعة فى كامب ديفيد 1979 ولقد أصدر كتاباً قبل وفاته 2001 حول تجربة وجوده فى مصر، ذكر فيه العديد من الوقائع المهمة التى تحتاج الى عرض خاص 0

2 – موشيه ساسون (1988–1981) : وهو يعد من وجهة نظر من أرخ للعلاقات المصرية الإسرائيلية ، مهندس هذه العلاقات ، ولقد أصدر كتاباً بعنوان : (سبع سنوات فى بلاد المصريين)، وروى فيه كيف نبذه الشعب المصرى وبخاصة النقابات المهنية، واهتم به فقط وزير الزراعة المصرى د0 يوسف والى الذى كان يستضيفه فى قريته بالفيوم، وشهد عملية اغتيال السادات وسوف ننشر ملخصاً لكتابه فى الباب (الثقافى) ، والكتاب ترجمة مركز يافا للدراسات ، ونشرته دار الكتاب العربى بدمشق والقاهرة عام 1999.

3 – شيمون شامير (1991–1988) : وهو باحث مشهور ويعود له الدور الأكبر فى بناء استراتيجية إسرائيلية للتدخل والاختراق الثقافى لمصر ، حيث أنشأ عام 1982 المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة [يقع مقر هذا

المركز فى 92 شارع النيل خلف شيراتون القاهرة وأعلى منزل الكاتب المصرى الكبير محمد حسنين هيكل] ، وهذا الرجل تولى منصب السفير بعد أن كان قد نسج سلسلة من العلاقات مع بعض رجال الثقافة والأدب والتاريخ (مثل عبد العظيم رمضان وتحسين شنن ، ونجيب محفوظ وعلى سالم وأمين المهدى وغيرهم)، ودوره فى تولى منصب السفير يؤكد بوضوح حجم التداخل بين السياسى والثقافى لدى إسرائيل 0

4 - إفرايم دوناك : وعمل خلال الفترة (1991-1992)

5 - ديفيد بن سلطان (1992-1996) : وكان يتمتع بخبرة جيدة فى محاولة جذب المثقفين المصريين ممن آمن بالتطبيع ، وكان صديقاً شخصياً للكاتب الراحل لطفى الخولى وعلي سالم وصلاح بسيونى ومصطفى خليل وعبد المنعم سعيد ، والمخرج التليفزيونى غير المعروف نبيل فودة، الذى حاول تأسيس جمعية للصداقة المصرية – الإسرائيلية فرفض القضاء طلبه ، فضلاً عن غيره من رجال تحالف كوبنهاجن وجمعية القاهرة للسلام ، ولقد كشف علاقاته به فى كتاب أصدره لاحقاً ، وسوف نورد فى القسم الثقافى ملخصاً له .

6 - تسفى مازئيل (1996-2001) : والذى استمر عمله فى مصر 4 سنوات وكان هذا السفير الأضعف حيلة فى مجال نشاطه السياسى، وجاءت فترة عمله فى وقت حرج ، حين انتصرت فيه المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله (يوم 2000/5/25م) ثم الانتفاضة الفلسطينية (2000/9/28) التى تعاطف الشارع المصرى معها بطرق ووسائل عدة ، جاءت كل هذه الأحداث لتزيد من حصار السفير وطاقمه،الأمر الذى دفعه لطلب سرعة إنهاء خدمته فى مصر 0

7 - جدعون بن عامى (2001-2003) : وقد تم تعيينه وسط احتجاجات شعبية مصرية واستياء عام؛ لأنه جاء فى نهاية شهر يناير 2001 فى ذروة الانتفاضة الفلسطينية والتى كان متوقعاً أن تؤثر فى مسألة العلاقات الدبلوماسية، إلا أن الأمر لم يسر وفقاً لحركة الواقع ، وتم تعيين هذا السفير وكان يبلغ عند

تعيينه من العمر 63 عاماً وكان يشغل نائب رئيس مركز الأبحاث السياسية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية وهو من أبرز الخبراء فى الشئون العربية ومن الذين عملوا مع الموساد الإسرائيلى بوضوح فى مجال الدراسات ، وهو من المتعاونين مع تحالف كوبنهاجن الشهير الذى أنشأه مجموعة من المثقفين العرب والجنرالات الإسرائيليين السابقين المؤمنين بالتطبيع (عرباً ويهوداً) عام 1998، كما سبق وأشرنا وكما سنلخص فى (الباب الثقافى) .

8 - إيلى شاكيد (2004-2005) : متخصص فى الشئون الاقتصادية، وبخاصة اتفاقات الغاز والكويز التى ساهم بدور فعال فى توقيعها مع مصر خلال عامى (2004 – 2005) .

9 - شالوم كوهين (2005-2006) : وهو يهودي من أصل تونسي وتم تعيينه عام 2005، وهو مهتم بالتطبيع الثقافى ومطالبته المستمرة بزيادة وتيرة التطبيع مع إسرائيل، ومن مواقفه المعروفة زيارته لوزير الثقافة المصرى الأسبق فاروق حسنى واعتراضه لديه على عرض فيلم عادل إمام "السفارة فى العمارة" ومطالبته بأن يتم إيقاف عرضه؛ لأنه – على حد قوله – يسيىء للعلاقات المصرية الإسرائيلية ويشوه دور السفارة الإسرائيلية فى القاهرة .

10 - اسحاق ليفانون (وامتدت فترة عمله من نوفمبر 2009 حتى ديسمبر 2011 وهو ابن جاسوسة إسرائيلية معروفة فى الستينات وعمل هو أيضاً فى خدمة الموساد لسنوات طويلة.

11 - ياكوف عميتاى (واستمر من ديسمبر 2011 حتى عام 2014) وهو من كبار المتخصصين فى الشأن المصرى، وسبق له العمل أيضاً فى الخدمة السرية داخل إسرائيل.

* * *

ولأن شبكة العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية لابد وأن تكون مكتملة لذا كان لابد من وجود (قناصل) لإسرائيل فى مصر، يمثلون الذراع التجارى والاجتماعى والاقتصادى لها ، وقد كان ، حيث أنشئت قنصليتان: إحداهما فى الإسكندرية والثانية (الرئيسة أو القنصلية العامة) فى القاهرة وذلك منذ بداية الثمانينات ، والأخيرة كان يتولى رئاستها حتى فترة قريبة أحد خبراء الأمن الإسرائيلى واسمه [إيلى ليفى] ،ومهمته مساعدة النشاط الدبلوماسى للسفارة الإسرائيلية فى مزيد من التدخل والتعامل السياسى والتجارى مع شرائح وفئات المجتمع المصرى الاقتصادية.

المعلومات والأرقام المتاحة عن حجم ونوع العلاقات الاقتصادية والثقافية المصرية الإسرائيلية التى تولاها السفراء والقناصل ، تؤكد حقيقة ، غير متوقعة – وهى أنه رغم ما كان يبدو من توتر فى العلاقات السياسية – أحياناً – فى عهد حسنى مبارك ، ورغم جمود (المستوى السياسى) للعلاقات فى بعض الفترات ، خاصة إبان الانتفاضة الفلسطينية الثانية (2005–2000) ، فإن العلاقات الاقتصادية والسياسية ، وبالأخص (الاقتصادية) كانت فى تزايد ونمو ملحوظ ، حيث تم توقيع اتفاقية الكويز الاقتصادية وعاد السفير المصرى إلى تل أبيب ، وأطلق سراح الجاسوس عزام متعب عزام ولعبت مصر دوراً مهماً فى اتفاقات التهدئة بين الفلسطينيين والإسرائيليين بعد تفاهمات شرم الشيخ (مارس 2005) وُوقع اتفاق الغاز ، وسبق كل هذه التطورات نمو ملحوظ على مستوى العلاقات الاقتصادية الرسمية ، وبعودة إلى الأرقام التاريخية وقتها ، نكتشف أنه فى عام 1997 – كنموذج لسنوات التسعينات – مثَّل البترول المصرى المصدر الأول للطاقة بالنسبة لإسرائيل – 30% من احتياجاتها البترولية الإجمالية ، وبعد أن كانت صادرات مصر لإسرائيل عام 1980 تصل إلى 12 مليون دولار فى العام اذ بها عام 1996 (بعد انتخاب نتنياهو) تصل

إلى 116.84 مليون دولار ، وعام 1997 الى 107 ملايين دولار ، وفى عام 1980 كان اجمالى الواردات المصرية من إسرائيل يصل إلى 7 ملايين دولار ، قفزت فى عام 1996 إلى 124.7 مليون دولار ، وفى عام 1997 إلى 142.26 مليون دولار واليوم وصلت الى حوالي 300 مليون دولار ، والأخطر من هذه القفزات الرقمية هو أنه بقياس ما تصدره مصر إلى إسرائيل يمثل 9.72% عام 1996 و8.05% عام 1997 وهما رقمان غاية فى الدلالة اذا علمنا أن إجمالى صادرات مصر إلى الدول العربية فى نفس العامين على التوالى هى 69.1% عام 1996 و63.5% عام 1997.(المصدر : وزارة التجارة – مصر – صادرات مصر عامى 1997/1996 – القاهرة فبراير 1998) ، والأمر ازداد دفئاً فى عهد بارك بل وفى أيام الانتفاضة (2000/9/28) وما تلاها حتى مرحلة شارون وتفاهمات شرم الشيخ ، ثم مرحلة اولمرت ومن تلاه حتى ثورة 2011/1/25.

* ولعل أبرز المشاريع الاقتصادية بين الحكومتين خلال سنوات التطبيع الأولى كانت المشاريع التى تمت فى القطاع النفطى والثقافى والزراعى بفضل وجود يوسف والى وزير الزراعة الأسبق الذى اشتهر بدوره التطبيعى الواسع مع العدو الصهيونى فى مجال التطبيع الزراعى وبخاصة فى مجالات (الأسمدة – البذور – المبيدات الإسرائيلية والتى كانت تمثل 45% من السلع التى يستخدمها الفلاح المصرى) ووجدت فى عهد مبارك ، لإسرائيل ثلاث مستوطنات زراعية موسعة فى كل من : المنوفية – العامرية – طريق الاسكندرية الصحراوى وهى ملكية خاصة لهم ، وكانت وزارة الزراعة تصدر حوالى 30 سلعة وتستورد من إسرائيل وحدها 46 سلعة زراعية وفواكه [والفصل الخاص بالتطبيع الزراعى سيكشف تفاصيل أشد خطراً]، وفى نفس المجال الاقتصادى أنشئت مصفاة للبترول فى الإسكندرية أسسها بعض رجال الأعمال المصريين والإسرائيليين عام 1994 ، وسميت مصفاة نفط الشرق الأوسط ، وبدأت عملها الفعلى عام (1998) وتكلفت مليار دولار

واشتركت فيها الهيئة المصرية العامة للبترول بنسبة 20% ، وبنفس الاطراد فى المجال الاقتصادى ، انسحب الأمر على النشاط السياحى ، كما سنتابع تفصيلاً فى أبواب الموسوعة.

ب - أبرز وكلاء إسرائيل فى مصر فى مجال التطبيع الاقتصادى فى سنوات التطبيع الأولى :

* لأن الاقتصاد – كما هو معلوم – هو عصب الحياة فى المجتمعات المعاصرة ، والكيان الصهيونى أدرك ذلك جيداً ومبكراً ، ولذلك حاول ولايزال اختراق الاقتصاد العربى وتحويله الى مجرد اقتصاد مهلهل ، لا وزن ولا دور له فى نهضة مجتمعاتنا ، يساندهم فى ذلك المخطط الشيطانى شبكة واسعة من المساندات الغربية والامريكية ، استطاعت ونجحت – للأسف – فيما أرادته 0

* وكان لاتفاقات التسوية وبالأخص مع أهم دولة عربية (مصر) منذ عام 1979 ، الدور الرئيس فى تحقيق الاختراق الإسرائيلى للاقتصاد العربى بمساندة أمريكية تستهدف تركيع هذه المجتمعات وقبولها للسلام الأمريكى/الإسرائيلى الذى هو حتماً يعنى : الاستسلام والركوع!!

* إلا أن مصر الشعبية قاومت ، رغم استمراء (مصر الرسمية) وتوغلها فى التطبيع الاقتصادى مع إسرائيل ، وبالأخص فى قطاعى البترول والزراعة ، وشعبياً كانت المقاومة لهذا التطبيع حاضرة وعلى كافة الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية كانت قوية وصامدة ولم تخترق بالكامل ، الا ان هذا لم يحل دون محاولات الاختراق الإسرائيلى للاقتصاد المصرى كنموذج للاختراق المنوي تعميمه عربياً ، واستطاع الصهاينة أن يطبعوا اقتصادياً مع بعض ضعاف النفوس ، راغبى الثراء السريع حتى لو على حساب القيم الوطنية وثوابت الأمة المقاومة لهذا المشروع الصهيونى الامريكى بإجمال فى المنطقة ، وفى هذا المدخل العام من الدراسة الأولى ، نحاول أن نقدم رصداً توثيقياً ، بذلنا فى حصره جهداً كبيراً لركائز الاختراق الاقتصادى الصهيونى فى سنوات التطبيع الأولى ، والذى لايزال مستمراً مع بعض الشركات وتوقف مع شركات

أخرى وسوف نستبعد هنا التطبيع الرسمى الذى يأتى تحت مسميات واتفاقات رسمية فى قطاعى البترول والزراعة ، لأنهما مرصودين ومعلومين للكافة ، وأوردناهما فى الفصول الخاصة بهما داخل هذه الموسوعة ، واتجهنا إلى المجالات الأخطر والتى تحتاج الى رصد وكشف ثم مواجهة شعبية عامة فماذا عنها؟!

** الشركات الإسرائيلية التى عملت فى مصر خلال سنوات التطبيع الأولى

1 - شركة دلتا تكستايل إيجيبت : كان مقرها المنطقة الصناعية بمدينة نصر ، وهى توكيل (سان مايكل) ، وهذه الشركة إسرائيلية برأسمال يهودى ، والقيادات فى هذه الشركة من مديرين ورؤساء قطاعات وأقسام ، كلهم من اليهود من جنسيات مختلفة ، أما العمالة فقط فهي من المصريين ، ومارست هذه الشركة عملها بمصر بموجب القوانين المنظمة للاستثمار بالمنطقة الحرة، وهى متخصصة فى المنسوجات القطنية والملابس الداخلية 0

2 - ميرال لينش : وهى شركة يهودية أمريكية برأسمال يهودى ، وهذه الشركة هى المسيطرة على أعمال البورصة المصرية ، وهى من آثار الخصخصة التى اتبعتها الحكومة المصرية خلال السنوات الأول من التسعينات .

3 - مجمع ميدور لتكرير البترول : مقره الإسكندرية وهى شركة مصرية– إسرائيلية مشتركة لتكرير البترول وتم تصفية حصة إسرائيل فيها مؤخراً، وكان أبرز المساهمين فيها من مصر رجل الأعمال حسين سالم وكان صديقاً مقرباً للرئيس الأسبق حسنى مبارك وكان له دور مشبوه في توقيع اتفاقية توصيل الغاز المصري إلى إسرائيل وحكم عليه بالسجن ، والآن هو هارب خارج مصر فى أسبانيا بعد ثورة 25 يناير ، ومتهم فى ثلاث قضايا جنائية تتصل بالعلاقات مع العدو الصهيونى .

** أبرز وكلاء الشركات الإسرائيلية فى مصر :

- المجال الزراعى :

1 - شركة كارمل .

2 - شركة أجرولاند .

3 - الشركة الاستشارية للمشروعات والاستمار " بيكو " : لصاحبها صلاح دياب،وهو صاحب جريدة (المصرى اليوم)،وتعمل هذه الشركة فى مجال استيراد التقاوي والمخصبات الزراعية ومعدات الرى الإسرائيلية منذ 1990،وتضم الشركة مجموعة من الخبراء الإسرائيليين فى مجال الزراعة ، كما تقوم بزراعة شتلات الفاكهة والخضر (الموز – الفراولة) المستورد بعضها من إسرائيل .

4 - مجموعة المغربى الزراعية .

5 - شركة تكنوجرين .

6 - شركة سيف أجريت : وهم وكلاء شركة تتانيم الإسرائيلية والمتخصصة فى عمليات الرى بالتنقيط ووكلاء لشركة أركال الإسرائيلية 0

7 - شركة أجروتك .

8 - مجموعة شركات (هريزا - حيفا - كلال) : وهذه الشركات توكيلات مباشرة للشركات الإسرائيلية وتحمل نفس الأسماء فى مصر ، ومقرها طريق القاهرة–الفيوم الصحراوى وتقوم بالترويج للمنتجات الزراعية الإسرائيلية ومستلزمات الانتاج وآلات الميكنة الزراعية بجميع أنواعها فى مصر.

9 - مجلس المحاصيل البستانية : ويتعاون منذ عام 1981 مع شركة (أجروكيميالز) الإسرائيلية فى مجال استيراد آلات زراعية إسرائيلية 0

10 - شركة زين الدين للاستيراد والتصدير .

11 - شركة ستار سيدس إيجبيت .

** فى المجال التجارى والالكترونى :

1 - المجموعة الاستشارية للدواجن (إيباج) : ومقرها مدينة القاهرة ، وتستورد من شركة تنيواف الإسرائيلية كتاكيت رومى من نوع (بيج سكس) 0

2 - المجموعة الدولية للتوريدات : وتقوم باستيراد بعض طيور النعام الإسرائيلى لمنافستها بمثيلاتها المستوردة من دول أخرى التى ترتفع فيها تكاليف الشحن بصورة كبيرة 0

3 - مجموعة شركات بهجت : تقوم هذه الشركة باستيراد مكونات أجهزة التكييف التى تصنعها تحت اسم (يورو إير) والمكونات الالكترونية المصنعة فى إسرائيل

4 - شركة كاتو أروماتيك : ومقرها مدينة القاهرة لصاحبها ابراهيم كامل الذى يمتلك حصة قدرها 5% من المجمع الصناعى العسكرى الإسرائيلى (كور) ، ويعمل فى مجال تكنولوجيا الاتصالات وصناعة الكيماويات والانشاء والتشييد وإنتاج المعدات الإسرائيلية 0

- فى المجال الصناعى :

- الشركات السويسرية للملابس الجاهزة (سويس جارمنتز) .

- فى المجال الملاحى :

1 - شركة إليكس جروب : وهى وكيل لشركة (زيم) الإسرائيلية للملاحة البحرية منذ عام 1981 ، وجميع صادرات مصر إلى القارة الافريقية تنقل عبر هذه الشركة ، نظراً لعدم وجود أسطول بحرى تجارى مصرى .

* ويعتبر جورج سورس رجل الأعمال اليهودى الأمريكى من أخطر رجال الاعمال اليهود على الاقتصاد المصرى ، وقد تردد أنه حضر الى مصر خلال التسعينات لممارسة أعماله فى البورصة المصرية ، ومصدر التخوف لدى رجال الأعمال المصريين بسبب ما قيل عنه فى السابق حيث نسب له انه كان العامل الرئيس فى تدمير بورصة شمال آسيا من خلال مضارباته غير المشروعة والتى تتسبب فى ارتفاعات وانخفاضات غير طبيعية ، مما أدى الى تدهور احوال البورصة والقضاء على العديد من المضاربين فيها .

- شركات أنهت وجودها

أما الشركات الإسرائيلية التى كانت موجودة بمصر فى السابق وأنهت أعمالها فهى :

1 - شركة بنزايون : واسمها الإسرائيلى بن زايون (ZION) أى ابن صهيون ، وشركات شكوريل وصيدناوى وقطاوى ، وكانت هذه الشركات مملوكة لعائلات يهودية بمصر تحمل الجنسية المصرية ، وقد تم تأميم هذه الشركات بعد ثورة يوليو 1952 ، وقامت إسرائيل برفع عدة دعاوى قضائية للمطالبة بحقوق اليهود فى هذه الشركات وعودة ملكيتهم لها من جديد ، بعد أن تقلص عدد اليهود فى مصر بعد مرحلة التأميم ؛ حيث أصبحت الدولة طاردة

لهم من جديد – حسب زعمهم – وفروا إلى إسرائيل وفى إطار عملية السلام الراهنة والعولمة تسعى إسرائيل للعودة الى مصر مجدداً عن طريق عدة مداخل :

أولها : اتفاقات مباشرة مع الحكومة المصرية مثل (مجمع ميدور – شركة دلتا تكستايل) وكان هذا يتم بقرار سياسى مباشر من حاكم مصر (أنور السادات ثم حسنى مبارك) .

ثانيها : عمليات تحتية ، بحيث يدخل بعض اليهود الإسرائيليين بشراء شركات مصرية أو أسهم فيها بأسماء مستعارة أو عن طريق بعض السماسرة المصريين ثم يظهرون حقيقة ملكيتهم لهذه الشركات والأسهم فى فترة لاحقة، ويتواجدون بشكل رسمى فى إطار نظام الخصخصة الذى تطبقه الحكومة المصرية فى الفترة الأخيرة 0

ثالثها : محاولة استعادة ملكيتهم للشركات والممتلكات القديمة لهم فى مصر على شاكلة (بنزايون – صيدناوى – شيكوريل – قطاوى – وغيرهم) ، وأحياناً الدعوة لعودتهم كما فعل د.عصام العريان إبان حكم الإخوان لمصر عام 2012 وأثار ضجة كبيرة ضده وضد جماعته انتهت بخلعهم من حكم مصر .

* ويوجد لإسرائيل بمصر عدد من السماسرة الذين يقومون بتسهيل مهمة اليهود الإسرائيليين فى شراء بعض الشركات والمشروعات المختلفة فى مصر ، ويعد المدعو (نهاد . س) أبرز سماسرتهم فى هذا المجال بمنطقة سيناء ، الذى تاجر باسم الأديان لمصلحة إسرائيل ، وقام بخطة لبناء مستوطنة إسرائيلية بمشروع المشاتل فى طابا ، وتم إجهاض هذه الخطة ، وهو ما كشفته بعض الصحف المصرية خلال الفترة الأخيرة ، (كما سنرى تفصيلاً ، فى الفصول القادمة من الموسوعة) .

هذا وقد وقعت إسرائيل مع مصر اتفاقيتين مهمتين للغاية فى مجال التطبيع الاقتصادى هما كما سبق وأشرنا ، اتفاقية الكويز فى (2004/12/14) واتفاقية

توصيل الغاز فى (2005/6/30) ، وسوف نقوم بالتفصيل بشأنهما لاحقاً فى القسم الاقتصادى من هذه الموسوعة:

ج -كيف كانت سبل المواجهة للاختراق: تقييم عام.

نعتقد أن حجم الاختراق الإسرائيلي للعقل العربي الذي تم في سنوات التطبيع الأولى ظل محصوراً في نطاق النموذجين المصري والأردني من ناحية، وفي نطاق التعاون غير المباشر عربياً مع بعض المؤسسات البحثية الأمريكية من ناحية أخرى، لقد كانت المواجهة بالإجمال ضعيفة وغير منسقة الأدوار رغم النجاحات المحدودة لبعضها كما هو الحال في مصر، وباستعراض نموذج واحد (مبكر جداً) من نماذج المواجهة المصرية المنفردة للاختراق الصهيوني للعقل المصري، يمكننا أن نخلص إلى عدد من الدلالات الهامة قد تفيد في مجال التدعيم العربي لمصر في هذا الجانب، والنموذج الذي نقدمه هنا شارك فيه كاتب هذه السطور شخصياً، وعاصر تجربته وهو نموذج (معرض القاهرة الدولي السابع عشر للكتاب) في 22 يناير 1985، فلقد التحم الشعب المصري بمثقفيه ودور النشر الوطنية والأحزاب السياسية وهيئات التدريس بجامعات مصر والنقابات الوطنية، في مواجهة الوجود الإسرائيلي بالمعرض واستطاع أن يحول أرض المعرض لمواجهة حقيقية ، ترفض التطبيع والاختراق العقلي والعنصرية الثقافية والسياسية، ولنتأمل فقط الجهات التي واجهت بالكلمة أو بالمظاهرة أو بالسجن الاختراق الصهيوني: (أحزاب: العمل . التجمع . الوفد . الإخوان المسلمين . الناصريين . رؤساء ونقباء وأعضاء نقابات/ الصحفيين . المحامين . اتحاد النقابات الفنية . نقابة التشكيلين . اتحاد عمال التجارة العرب . اتحاد الفلاحين المصريين . جمعية أنصار حقوق الإنسان بالإسكندرية . المنظمة العربية لحقوق الإنسان . اللجنة العربية لتخليد القائد جمال عبد الناصر . المنظمة العربية لمكافحة الاستعمار والدفاع عن السلام واللجنة القومية لمناصرة شعب فلسطين ولبنان واللجنة المصرية للدفاع عن الحريات ولجنة الدفاع عن

الثقافة القومية وبعض أعضاء مجلس الشعب ومجالس النقابات المهنية والعمالية ومجالس إدارات نوادي هيئات التدريس واتحادات الطلاب وعدد من الصحفيين والكتاب والأدباء والفنانين والناشرين).

* وبنظرة سريعة على تركيبة القوى المصرية المشاركة في رفض هذا الوجود والاختراق الصهيوني، يؤدي بنا إلى نتيجة هامة وهي أن الشعب المصري ككل كان رافضاً في تلك الفترة لهذا الاختراق، وأنه بمفرده فقط كان في المواجهة، وينبغي أن نتذكر هنا أيضاً أن النقابات المهنية وفي مقدمتها نقابة الصحفيين (انظر : الباب الخاص بالتطبيع الإعلامى – الباب الثالث – قسم الوثائق فى نهاية الموسوعة) ، قد أصدرت في تلك الفترة قرارات حاسمة . لا تزال سارية حتى اليوم . برفض وتحريم كافة أشكال التطبيع المهني والثقافي مع إسرائيل ولم تؤازرها وقتها النقابات العربية بالقدر الكافي، وهنا يبرز الاتجاه الثاني المتصل بالدور العربي وأهمية وجوده بعد الغياب الطويل وأحياناً المقصود، وكان متوقعاً أن يكون هذا الوجود من خلال الدعم الأدبي والسياسي والتنسيق المشترك مع القوى المصرية السابقة ومن خلال المؤتمرات واللقاءات المشتركة على مستوى الأقطار أولاً ثم على مستوى الجامعة العربية ومؤسساتها الثقافية ثانياً، وهو ما لم يحدث بل إن دوراً مفترضاً كان ينبغي أن تلعبه منظمة "الإليسكو" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في مثل هذا المجال (مجال مواجهة التطبيع الثقافي تحديداً) سواء من خلال المجلات والدوريات التي تصدر عنها أو من خلال المؤتمرات والاتفاقات الثقافية التي تعقدها مع الجهات الوطنية المصرية الرافضة للتطبيع الثقافي، وهي الجهات السابقة وغيرها، وأيضاً من خلال حذرها الشديد في مجال الاتفاقات الدولية التي تعقدها مع المؤسسات الثقافية الغربية، والتي قد يتواجد بها الصهاينة، ولكن للأسف لم يتم هذا الدور بل حدث العكس وتخلى المحيط العربي عن التنسيق والدعم في تلك الفترة القلقة والخطيرة في تاريخ التطبيع مع العدو الصهيوني، وكأن قدر

أصحاب التجربة المصرية في المواجهة أن يظلوا لوحدهم فيها، إلى أن بدأت في سنوات التطبيع الأولى (النصف الأول من الثمانينات تحديداً) انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الأولى الباسلة (1987) ، وتلتها انتصارات المقاومة اللبنانية وبعض المقاومات الإسلامية الأخرى ، ليمثلوا جميعاً دعائم مباشرة لعمليات مقاومة التطبيع المصرية ، ليس في الثقافة فحسب بل وأيضاً في السياسة التي بدأت تأخذ بعداً مسلحاً من خلال (سليمان خاطر) وتنظيم ثورة مصر (محمود نور الدين) و(أيمن حسن)[6] لاحقاً.

* إن تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر تحتاج إلى أكبر إضاءة ممكنة عن أسرارها وتفاعلاتها، ووثائقها وهو ما ستحاول هذه الموسوعة القيام به – إن شاء الله – ونحسب أنه رغم التطبيع الرسمي المصري المستمر حتى اليوم مع إسرائيل، لم يكن له أن يظل مداناً أخلاقياً وأدبياً، ومحصوراً في زمرة من المنبوذين من النخبة (الإعلامية والسياسية والاقتصادية) إلا بفضل تلك المقاومة الشعبية العفوية والمنظمة التي وضعت أسسها ولبناتها الأولى في الثمانينات من القرن الماضي، والتي توالى البناء عليها في التسعينات ثم السنوات العشر الأولى من هذا القرن . وهو ما ستتولى رصده وتحليله الأبواب التالية من الموسوعة . ورغم صخب المطبعين على اختلاف مشاربهم ومساندة أنظمة الحكم لهم (وتحديداً النظام المصري) إلا أن التطبيع لا يزال حتى لحظة كتابة هذه الدراسة يمثل فعلاً فاضحاً يتحاشى الجميع . وفي مقدمتهم هؤلاء المطبعون . أن يوسموا به، وفي ذلك شهادة حية على جدوى مقاومة التطبيع (الثقافي والسياسي والاقتصادي) ، حتى ولو بالكلمة وعلى أهمية وجدوى العمل الدؤوب على فضح أستاره، ورجاله، ومؤسساته، وجدوى استثمار دور الفتوى الدينية (الإسلامية والمسيحية) (التى أوردنا لها فصلاً خاصاً فى الموسوعة) في تحريمه؛ فقضيتنا مع هذا العدو طويلة ومركبة، وصراعنا معه صراع بقاء

ووجود، ولأنه كذلك فكل فعل مقاوم (بالفكر أو بالسلاح) يصب لصالح إنهاء هذا الكيان الدخيل على أرضنا وثقافتنا، وتاريخنا ؛ هو فعل مقدر ومقدس **!!** .

* (وإلى أبواب الموسوعة الرئيسة) .

([i]) هناك بعض الكتابات الصحفية الرئيسة والهامة بهذا الشأن والتي ظهرت مبكراً وإن اقتصرت في تعرضها للقضية على أثرها في مصر فقط ومنها (ملف وصف مصر بالأمريكاني ـ إعداد نبيل عبد الفتاح ـ مصطفى إمام ـ جمال زايدة ـ الأهرام الاقتصادي خلال الفترة من (نوفمبر / ديسمبر) من عام 1982.
ـ كذلك د. حامد ربيع/ احتواء العقل المصري / الأهرام الاقتصادي ونشرت طيلة شهري (فبراير ـ مارس 1983.
ـ كذلك د.رفعت سيد أحمد/ انظر : التجسس العلمي في مصر/ جريدة الشعب ـ القاهرة ـ خلال الفترة 8/21 إلى 1984/9/18، ودراسات وكتب أخرى لكاتب هذه السطور صدرت تحت عناوين نذكر منها:
ـ وصف مصر بالعبري: دارسينا للنشر ـ 1989.
ـ وكر الجواسيس في مصر المحروسة: ملفات المركز الأكاديمي الإسرائيلي في مصر ـ مكتبة مدبولي 1992.
ـ علماء وجواسيس: الاختراق الأمريكي/ الإسرائيلي للعقل المصري ـ بيروت – دار الرياض الريس للنشر - 1990.
ـ اختراق العقل المصري: مركز يافا للدراسات والنشر ـ 1985.

الباب الأول

التطبيع السياسى

(2011-1979)

الفصل الأول

التطبيع السياسى

مواثيق الاختراق وآثارها

إن التطبيع السياسى بين الكيان الإسرائيلى ومصر خلال الفترة التالية لزيارة السادات للقدس فى نوفمبر 1977 ، حكمته العديد من الاتفاقات والمعاهدات السياسية والقانونية ، كان أهمها وأبرزها (معاهدة السلام) التى سميت شعبياً باتفاقية كامب ديفيد (وهو أمر غير دقيق فثمة فوارق سياسية وتاريخية وقانونية بينهما معلومة لدى المتخصصين) .

إن التاريخ ينبئنا بأن (العلاقات المصرية – الإسرائيلية) ضبطت خطواتها وأطرها العامة ثلاث اتفاقات ، الأولى : كامب ديفيد ووقعت فى 1978/9/17 – ومعاهدة السلام فى 1979/3/26 واتفاقية القوات متعددة الجنسية 1981/8/3 . هذه الاتفاقات مثلت الإطار الحاكم للعلاقات ، وتحت القواعد التى أرستها تم تبادل السفراء وافتتاح السفارات والقنصليات وإنشاء المراكز البحثية والتبادل التجارى والسياسى والاقتصادى والعسكرى ، وخلال الفترة من 1980 (تاريخ افتتاح سفارة لإسرائيل فى مصر) حتى 2014 تولى الإسرائيليين التالية أسماؤهم مناصب السفراء فى مصر :

إلياهو بن إليسار (1980–1981)

موشيه ساسون (1981–1988)

شيمون شامير (1988–1991)

افرايم دوفاك (1991–1992)

ديفيد بن سلطان (1992–1996)

تسفي مزئيل (1996–2001)

جدعون بن عامي (2001–2003)

إيلي شاكيد (يناير 2004–2005)

شالوم كوهين (2005–2009)

إسحق ليفانون (نوفمبر 2009 – ديسمبر 2011)

ياكوف عميتاي (ديسمبر 2011 – 2014)

أما بالنسبة للسفراء المصريين الذين تولوا موقع السفير لدى الكيان الصهيونى خلال الفترة من 1980 (موعد افتتاح سفارة لمصر فى إسرائيل) حتى اليوم فهم :

سعد مرتضى (1980 – 1982) .

محمد بسيونى (1986 – 2000) .

محمد عاصم إبراهيم : (17 مارس 2005 – 15 سبتمبر 2008) .

ياسر رضا على عبدالله سعيد : (17 سبتمبر 2008 – 1 سبتمبر 2012) .

عاطف محمد سالم سيد الأهل : (2 سبتمبر 2012 حتى 2014) .

***

* لقد قام هؤلاء السفراء وتلك الاتفاقية (كامب ديفيد) والمعاهدة (معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية) بفرض التطبيع السياسى بكافة مضامينه ووسائله على المصريين ، كما سنرى وعبر المحاور التالية :

أولاً : جوهر الصراع العربى الصهيونى الذى حاولت كامب ديفيد القفز عليه :

إن العلاقات السياسية بين مصر والكيان الإسرائيلى خلال الفترة التالية لتوقيع اتفاقات كامب ديفيد 1978 ، حاولت القفز على حقائق الصراع العربى / الإسرائيلى وطبيعته المعقدة ، حيث إن الصراع مع إسرائيل فى تقديرنا له خمسة أبعاد ، مهما تبدلت الحكومات ، وتغيرت القضايا ستظل هذه الأبعاد ، حاكمة للصراع ومستقبله .. فماذا عنها ؟ .

البعد الأول: صراع مصيري وحضاري:

فالصراع بين الجسد العربى/ الإسلامى والكيان الصهيونى ، صراع حول مفهوم «البقاء أو الوجود»؛ فالصراع لم يكن طيلة تاريخه صراعًا على قطعة من الأرض أو مدينة أو ضفتى نهر فقط، ولكنه– وفق رؤى طرفيه– صراع حول «حق البقاء» وهكذا الصراع المصيرى الذى يفترض أن يكون بين نقيضين يتم

الصراع بينهما، والذى لا ينتهى هنا إلا بفناء أحد الخصمين ، حيث «فناء أحدهما يعنى بقاء الآخر»،ويصبح للفناء داخل الصراع المصيرى معانٍ مختلفة ، تبدأ بإزالة المعالم الأصلية للخصم من خلال الاستئصال الجسدى وتتدرج إلى محاولة احتوائه حتى تستوعب وتذوب هذه المعالم ، وهكذا الصراع بين «الأمة العربية» بتراثها ومعالمها الثابتة وبين الكيان الصهيونى، الصراع هنا لا يقبل بديلاًَ آخر (الفناء) أو (البقاء) ، وكل عمليات التوفيق التى تمت منذ عام 1948م حتى اليوم باءت جميعاً بالفشل وسوف تحكم هذه «النتيجة» منطق العمليات المقبلة لأنها تنطلق من إدراك لم يفهم- أو يفهم ولكنه يفتقد عنصر المواجهة والقرار المستقل- لهذا الوجه المصيرى للصراع، يضاف إلى «مصيرية الصراع» «حضاريته وقوميته» ، فالصراع مع إسرائيل ليس صراعاً بين الفلسطينيين والإسرائيليين فقط وليس صراعاً على فلسطين فحسب ولكنه يمتد ليشمل المنطقة وإن زيّف البعض هذه الحقيقة.

البعد الثانى : صراع اقتصادى:

الصراع العربى- الصهيونى فى بعد آخر هو صراع اقتصادى ، فإسرائيل فى حقيقتها الداخلية وبنائها الاقتصادى ليست سوى رأس الحربة للشركات متعددة الجنسية وللدول الغربية وأمريكا تحديداً، والأمة العربية والإسلامية بثرواتها الطبيعية التى يحتل النفط مقدمتها ، تمثل التربة الخصبة لانتعاش هذه الشركات، وهنا منشأ الصراع- على هذا المستوى- إذ يمثل النفط العربى وغيره من الثروات مطلباً صهيونياً قديماً !! وهو بهذا المعنى يسمى صراعًا حول الأطماع الاقتصادية لإسرائيل فى المنطقة ، أكسبتها التطورات الجديدة فى الاقتصاد والصناعات الإسرائيلية أبعاداً جديدة وإلحاحاً جديداً.

البعد الثالث: صراع حول الشرعية:

الشرعية التى نقصدها هنا وبعد حروب إسرائيل المتتالية منذ 1948 على فلسطين والعرب وحتى اليوم ، تعنى فى أوسع معانيها مصادر التبرير للوجود أو الحركة، بهذا المعنى ، المفهوم قد يضيق ، فإذا به لا يعدو الأساس الذى يستمد منه مصدر النشاط سبب حركته ولكنه قد يتسع ، فإذا به يضم ويحتضن كل ما يمكن أن يفرض نفسه على العقل أو الوعى الفردى أو الجماعى من مبررات لاستنفاد الطاقة فى اتجاه معين، بهذا المعنى شرعية الوجود الإسرائيلى ما زالت ناقصة رغم عشرات الاتفاقات من كامب ديفيد حتى يومنا هذا،

وما مقولة شارون إبان الانتفاضة الثانية: (إن حرب 1948 لم تنته بعد) سوى تعبير حقيقى عن مأزق فقدان الشرعية فى وسط عربى يلفظها، بغض النظر عن مبادرات السلام العربية التى يطلقها حكام هم أصلا فاقدون للشرعية الشعبية الحقيقية، سواء كانوا جنرالات أو ملوكاً ، يدّعون زوراً أنهم يحمون المقدسات ، فى الوقت الذى تذهب فيه ملياراتهم إلى جيوب الصهاينة عبر صفقات السلاح الذى يصدأ- إن وصل أصلاً- فى المخازن،(صفقة اليمامة وأخواتها نموذجاً).

البعد الرابع : صراع حول القدس:

والصراع العربى الصهيونى فى أحد جوانبه المهمة صراع حول القدس كرمز ذى دلالة خاصة لدى طرفى الصراع؛ فالقدس تمثل بالنسبة للطرف العربى الرمز لوحدة التاريخ الإسلامى والعربى، والمنبع الذى التقت داخله الثقافة الدينية للمنطقة والرمز للصمود فى التاريخ العربى فى تجاه سلسلة الغزاة التاريخيين. القدس هنا تتعدى الإطار الجغرافى «كمدينة» إلى النطاق التاريخى «كرمز» وهى بالنسبة للدولة العبرية تمثل رمزاً أيضاً، رمزاً للرفض اليهودى وللحنين التاريخى للعودة إلى عاصمة داود وسليمان،كما تزعم الرؤية الصهيونية.. إذن: القدس أصبحت بهذا المعنى ذات وظيفة محددة فى الصراع، فمنها بدأ قبل عام

1948 وإليها يعود بعد حرب عام 2009 على غزة وقدوم اليمين الصهيونى المتمسك بها كاملة وبدون نقصان، ولن يكف طرفا الصراع عن صراعهما ما بقيت هذه المدينة– الرمز بل وربما أن القدس قد أعطت غياباً وبشكل ما لهذا الصراع زخمه ومضمونه المعنوى والقيمى.

البعد الخامس: صراع متعدد الدوائر:

والصراع العربى– الصهيونى صراع ذو دوائر متعددة فهو صراع شرق أوسطى تدخل فيه أطراف غير عربية بدرجات متفاوتة وفى مراحل مختلفة، ونشير هنا إلى إيران قبل وبعد سقوط الشاه وتركيا وربما إثيوبيا، وهو صراع ذو دائرة آسيوية بما يعنيه من موقف محدد لقوى القارة الآسيوية، والتى يأتى الموقف الصينى والهندى والباكستانى فى مقدمتها، وهى مواقف بدأت تتغير لصالح العدو الصهيونى، بعد أن كانت تميل إلى الحق العربى فى الستينات والسبعينات من القرن الماضى ، وجاءت اتفاقية كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية (1979) وما تلاهما ، لتضرب هذه الدائرة وتحولها إلى خصم للحقوق العربية بعد أن تنازل صاحب الحق الأصيل عنها ، وهو صراع ذو دائرة أفريقية ولعل فى الموقف الأفريقى المواكب لحرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 المؤيد للحق العربى ثم تراجعه التدريجى ليصبح لإسرائيل اليوم فى أفريقيا 42 سفارة وقنصلية وذلك بسبب التفريط والضعف العربى من جهة ، والدأب الإسرائيلى على العمل فى هذه الدائرة من جهة أخرى ؛ لإعادة الدفء مع الأفارقة ، ونسجل هنا الدور الخطير الذى لعبه " الهستدروت " فى إعادة العلاقات المقطوعة مع دول هذه القارة الغنية بالثروات الطبيعية وأخيراً فى الموقف المعروف لإسرائيل تجاه جنوب أفريقيا وقضايا التمييز العنصرى بالقارة، فى هذا جميعه ما يقدم الدائرة الأفريقية للصراع خير تقديم بالإضافة للدوائر الأخرى.

إذن الصراع العربى الصهيونى صراع معقد ، ذو طبيعة خاصة متشابكة الأبعاد والمحاور والمستويات وهو لم يكن للحظة واحدة صراع حول قطعة من الأرض ، أو مدينة أو نهر ، بل كان ولايزال صراعاً مصيرياً وحضارياً وصراعاً حول القدس ، حول حق البقاء ونوعيته ، وهذا ما لم يفهمه صانعو (معاهدة السلام) ومن قبلها اتفاقية كامب ديفيد ، خاصة من القيادات المصرية والعربية ، أما الإسرائيلى والأمريكى فبالتأكيد كان يفهمها جيداً ويعمل على توظيفها لصالحه مستغلاً هذه الاتفاقية وتلك المعاهدة .

***

إن (معاهدة السلام) بين إسرائيل ومصر ، سعت فى مجال التطبيع السياسى إلى فرض هذا التطبيع السياسى فرضاً ، وذلك لتحقيق غاية رئيسة هى: الاختراق والهيمنة .

وفى هذا السياق نود التفصيل قليلاً فى موضوع التطبيع ودلالته كمصطلح ، حيث تحدثنا الحقائق التاريخية ، أنه منذ أنشئت الدولة العبرية عام 1948 ، ومؤسسوها يدركون أنهم ما لم يقضوا على مفهوم وقيمة الجهاد والمقاومة عند العرب والمسلمين ؛ فإن مصيرهم سيكون كمصير أسلافهم من الصليبيين ، فاخترعوا مصطلح " التطبيع " بينهم وبين جيرانهم ، لتحقيق القضاء على مكمن الخطر الذى يهددهم .

والصهاينة يعلمون جيداً أنه لا خطر عليهم من الحكومات العربية ، فقد سالموهم منذ زمن طويل ، فالقبول بالدولة الصهيونية من قبل هذه الحكومات لا تحقق لها الأمن الذى تريده ، ولا يكفى هذا لضمان استقرارها ؛ لأن الخطر عليها إنما يأتى من الشعوب وقوى المقاومة ، ولا طريق للوصول إلى هؤلاء إلا عن طريق ما يسمونه بـ (التطبيع) .

ومن هنا ، فالتطبيع هو : مصطلح صهيونى يراد منه أن تُقبل (إسرائيل) فى المنطقة بكيان مستقل معترف به ، وأن يكون لها الحق فى العيش بسلام وأمن

، مع إزالة روح العداء لهم من جيرانهم ، ولا يكون هذا إلا عن طريق إحداث تغيير نفسى وعقلى جذري عند العرب والمسلمين ، عن طريق القضاء على عقيدة المقاومة وروح الجهاد ، أو إضعاف تأثير ذلك عليهم .

ويرى البعض أن التطبيع فلسفياً يعنى تحويل كل ما هو " غير طبيعى " أو غير عادل أو ظالم إلى نقيضه ، فى حالة إسرائيل ، يصبح موضوعنا هو تحويل المشروع الاستيطانى الإحلالى الصهيونى فى فلسطين إلى أمر طبيعى، أى الاعتراف بشرعية هذا الكيان وأحقية وجوده فى الأساس ، لكن لا يتفق الجميع حول ذلك .

فالتطبيع فى المفهوم : هو تغيير ظاهرة ما بحيث تتفق في بنيتها وشكلها واتجاهها مع ما يعده البعض «طبيعياً» . ولكن كلمة «طبيعة» كلمة لها عدة معان. وقد استخدمنا هذه الكلمة بمعنى «الطبيعة/المادة» ، والتطبيع في هذه الحالة يعني : إعادة صياغة الإنسان حسب معايير مستمدة من عالم الطبيعة/المادة ؛ بحيث تصبح الظاهرة الإنسانية في بساطة وواحدية الظاهرة الطبيعية/المادية.

ولكن كلمة «طبيعي» يمكن أن تعني «مألوف» و «عادي» ، ومن ثم فإن التطبيع هو إزالة ما يعده المطبَّع شاذاً، ولا يتفق مع المألوف والعادي و «الطبيعي» .

وقد ظهر المصطلح لأول مرة في المعجم الصهيوني للإشارة إلى يهود المنفى (العالم) الذين يعدهم الصهاينة شخصيات طفيلية شاذة منغمسة في الأعمال الفكرية وفي الغش التجاري، ويعملون في أعمال هامشية مثل : الربا وأعمال مشينة مثل البغاء. وقد طرحت الصهيونية نفسها على أنها الحركة السياسية والاجتماعية التي ستقوم بتطبيع اليهود، أي : إعادة صياغتهم ؛ بحيث يصبحون شعباً مثل كل الشعوب ، ومع إنشاء الدولة الصهيونية ، اختفى

المصطلح تقريباً من المعجم الصهيوني بسبب حاجة الدولة الصهيونية الماسة لدعم يهود العالم لها.

ولكن المصطلح عاود الظهور مرة أخرى في أواخر السبعينيات بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد. ولكنه طُبِّق هذه المرة على العلاقات المصرية الإسرائيلية، إذ طالبت الدولة الصهيونية بتطبيع العلاقات بين البلدين، أي : جعلها علاقات طبيعية عادية، مثل تلك التي تنشأ بين أي بلدين. وقد قاوم الشعب المصري هذا التطبيع.

* إن كلمة التطبيع ليست كلمة عربية بمفهومها ومعناها ، فهى كلمة إسرائيلية ، فهى لم تأت من طَبَّعَ يُطَبِّع ، فأساس الفكرة هى أنه فى عام 1967 أرادت إسرائيل أن توفر شريحة من العرب يتعاملون معها كعملاء وجواسيس ، ولأنه من الصعب أن تشير بشكل مباشر إلى مسألة العملاء أو الجواسيس قالت : إن هؤلاء هم مطبعون ، وبهذا الفهم يصبح معنى التطبيع: " الخيانة " من خلال القبول بالعدو ، ويجب التأكيد على هذه المسألة بكلمة التطبيع كمصطلح يهودى مثله مثل الشرق الأوسط ، وغيره من المصطلحات.

وما معاهدة السلام ، والاعتراف السياسى إلا بوابة هذا التطبيع ، وأما اتفاقات النشاطات : الاقتصادية ، والثقافية ، والإعلامية ، والسياحية ، ونحوها بين إسرائيل وغيرها من الدول المجاورة لها ، فهى من وسائل تنفيذ مخطط (التطبيع) .

لقد قام الباحث الإسرائيلي (ألوف هارايفن) بمؤسسة (فان لير) في القدس ، بدراسة عن سبب انعدام الثقة بين اليهود والبلدان العربية ، وقرر في بحثه أن هناك أربع عقبات صعبة تعمل على ذلك، وذكر منها: الموقف الثقافي العقائدي للعرب والمسلمين تجاه اليهود، ثم وضع حلولاً لهذه العقبات، وكان الحل للعقبة العقائدية: ضرورة وجود برامج مركبة في المجال التعليمي والثقافي تهدف إلى تفتيت الملامح السلبية للجانب الآخر، وأحد الأسس الحيوية لبرنامج

كهذا هو الفحص والتغيير الشامل للبرامج التعليمية في كل ما هو متعلق بما يلقنه العرب والإسرائيليون في المدارس عن بعضهم البعض . وفي كتاب أعده تسعة من المتخصصين لدراسة آفاق التعاون الثقافي مع مصر بعنوان (إذا جاء السلام- أخطار واحتمالات) جاء في مقدمته: ضرورة مراجعة البرامج التعليمية بشكل مباشر في الدول العربية، وحذف المواد التي تعمق روح العداء بين الكيان الصهيوني والعرب، وبعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو ، دخل التطبيع مصطلحاً وسياسات مرحلة جديدة شديدة الخطورة على الأمن القومى المصرى والعربى .

***

إن التاريخ – أيضاً – يحدثنا بأنه بعد العام 1967 ورغم الهزيمة القاسية إلا أن عبد الناصر رفض الصلح أو التطبيع مع إسرائيل ، وهو ما قام به السادات رغم انتصاره فى حرب 1973 وكانت الأهداف الإسرائيلية المباشرة من التطبيع بعد زيارة السادات للقدس عام 1977 وبعد اتفاقات كامب ديفيد (1978) :

- إنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل .
- الاعتراف بدولة إسرائيل .
- تبادل التمثيل الدبلوماسى بين البلدين .
- اعتبار مصر السلام خياراً استراتيجياً .
- مقاطعة الدول العربية لمصر .
- مزيد من التقارب المصرى الأمريكى .
- معاهدات مصرية أمريكية تعطى للمنتجات المصرية أولوية فى الأسواق الأمريكية .
- توجهات أمريكية إسرائيلية للتدخل فى سياسات التعليم والتسليح .
- تأييد مصر للمواقف الأمريكية والأوروبية وسياستهما فى المنطقة (احتلال العراق – الحرب على غزة – الحرب على لبنان) .

– تأييد السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه إيران والعراق ولبنان وفلسطين .
– تقديم الغاز الطبيعى المصرى لإسرائيل بسعر زهيد .

***

وفى هذا السياق نشرت جريدة " فيتو " فى 2012/1/10 تقريراً عن كتاب أصدرته وزارة الخارجية المصرية بعنوان " تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر ودولة إسرائيل " ، جاء الكتاب الذى حصلت " فيتو " على نسخة منه رغم أنه تم سحبه من الأسواق بعد طرحه بعدة ساعات ؛ لأنه يبدو أنه صدر دون علم الرئيس المخلوع حسنى مبارك ، ويقع فى أحد عشر باباً وعدد صفحاته 135 صفحة ، تتناول القيود المعلنة فى اتفاق كامب ديفيد وكذلك البنود السرية التى لم يتم الإعلان عنها من قبل ، وفى أحد أبوابه يتم الاتفاق على تبادل الزيارات والتعاون بين قيادة وزارتى الداخلية والشرطة الإسرائيلية كما يتم تبادل المعلومات السرية عن الملاحة البحرية والجوية والطيران المدنى والتعاون الثقافى والزراعى والاقتصادى .

كما جاء فى الكتاب ما يلى :

– يتم توقيع توأمة بين التليفزيون المصرى وهيئة الإذاعة العبرية ، يتم بموجبه استضافة المحللين والمعلقين السياسيين الإسرائيليين على شاشات التليفزيون المصرى ، كما يتم الإعلان عن المنتجات الإسرائيلية كذلك فى التليفزيون المصرى .

– كذلك يتم التعامل مع إسرائيل تجارياً على أنها دولة عربية ، أى : تمنح كل التسهيلات لها ، كما يتم منحها للدول العربية كذلك تسهيل إعطاء تأشيرات دخول صالحة عدة مرات لرجال الأعمال فى الطرفين لتسهيل دخولهم وخروجهم من وإلى البلدين،كما يتم التشجيع على التعاون وتبادل الخبراء فى المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والطبية والزراعية والصناعية وغيرها من مجالات التعاون بين البلدين وكذلك إقامة المعارض الفنية وعرض النماذج الأثرية كما

يتم تسيير خطوط برية بين القاهرة وتل أبيب،وتل أبيب – شرم الشيخ والعكس .
وهو تقريباً ما جرى خلال الفترة من (1979–2011) فترة البحث والدراسة فى هذه الموسوعة.

***

ثانياً : فى الطريق إلى كامب ديفيد : التطبيع السياسى والهيمنة :

شكلت مرحلة الانفتاح المصرى على الغرب سيطرة أمريكية ومدخلاً لـ "التطبيع" فى مصر وذلك منذ عام 1974 (أى منذ سلم السادات الولايات المتحدة توكيلاً لحل مشكلة الصراع العربى – الإسرائيلى) ، تعرضت مصر لهجوم مخطط ومكثف باسم "سياسة الخطوة خطوة". وفى منتصف سنة 1977 كان الهجوم قد حقق جوهر أهدافه، ولا يمكن أن نفصل ما حدث فى الجبهة الاقتصادية المصرية بمعزل عن التغيرات المجتمعية والاجتماعية المصاحبة، أو بمعزل عن التغيرات التى أصابت بنية النخبة السياسية ومؤسساتها، وأصابت أيضا مجالى الإعلام والثقافة، كانت تلك التغيرات متكاملة، وكانت بمثابة شُعب متعاونة من خطة هجوم عام يهدف إلى تقويض ما شكلته البنية "الناصرية" واستبدالها ببنية "تابعة"، والوجه الخاص لهذه العملية هو فرض السلام الأمريكى– الإسرائيلى، الذى يشمل ضمن ما يشمل، إنشاء علاقات اقتصادية قوية بين مصر وإسرائيل ، وكان ذلك هو المضمون الحقيقى لما أطلق عليه "سياسة الانفتاح الاقتصادى" ، وما تفرع عنها من تطبيع، بدعم مباشر من الرئيس السادات، وبالتعاون مع القوى الاجتماعية التى استفادت من هذه التوجهات، وبتوظيف ناجح لعواقب التحلل المجتمعى التى أشاعتها استخدامات المال النفطى فى المنطقة العربية، وكانت سياسة الخطوة خطوة فى سيناء تتكامل مع سياسة الخطوة خطوة فى الاقتصاد وفى غير الاقتصاد.

وفى الجبهة الاقتصادية ، تمثلت المؤسسات القائدة لعملية الاختراق والتبعية فى : وكالة التنمية الدولية (الأمريكية) وكان يديرها فى مرحلة الانتقال الصعبة

دونالد براون، وكذلك صندوق النقد الدولى، وقد مثله فى المرحلة نفسها "جون جانتر (أمريكى)"، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير، وقد مثله "منير بنجنك" (يهودى تركى)، والشركات والمصارف الدولية، وكان على رأس تحركها "ديفيك روكفلر" (أمريكى، رئيس مصرف تشيس مانهاتن وقتها، وصاحب الصلات الوثيقة بالدوائر النفطية،ومؤسسات التمويل الخليجية (وكانت مجرد واجهة للجهات السابقة)، وكذلك كانت الشركات الدولية صريحة بما فيه الكفاية. وإن كان صندوق النقد والبنك الدولى عادة أكثر ادعاء بأنهما من دعاة التنمية ، وأقل إفصاحاً عن العمق السياسى لتعليماتهما، لكن لم تستطع وثائقهما مع ذلك إخفاء معالم ارتباطهما باستراتيجية السلام الأمريكى – الإسرائيلى، وارتباطهما بالتالى بتوجيه وكالة التنمية عند تحديد السياسات الاقتصادية الملائمة. وقد تمثل ذلك فى التنسيق الواضح بين الخطوات الاقتصادية التى تطالب بها هذه الجهة أو تلك، وفى الدعم المتبادل لمطالب الجهات المختلفة، ومن الضغط المشترك من أجل تحقيقها، وكان مكشوفا أن الجدول الزمنى لبرنامجى صندوق النقد والبنك الدولى يرتبط بمتطلبات ومراحل التطور فى جبهة الصراع العربى – الإسرائيلى.

****

ولقد استخدمت أدوات مختلفة لإنجاح هذا المخطط الاقتصادى (الانفتاح) فى مصر، وفى أغلب الأقطار العربية، وكانت ذروة الانتصار داخل مصر فى أيار/ مايو 1977 ، حين اكتسبت هذه المؤسسات حق الإشراف الشرعى على إدارة الاقتصاد المصرى لقاء تيسير أزمة الديون الحادة فى تلك الفترة، وقد تم ذلك فى سرية بالغة. وأصبحت الإدارة الأجنبية تضبط الأداء والتوجيه، وهى فى مأمن من المفاجآت بحكم أنها تَطلَّع رسميا، وأولا بأول، على ما تفكر فيه السلطات الاقتصادية (وليس على قراراتها فقط)، ولم يعد هناك سر اقتصادى واحد لا تعلمه الولايات المتحدة.. وإسرائيل، وبذلك مثلت اتفاقات آيار/ مايو

1977 نقلة نوعية فى الاتجاه إلى التبعية، والتزمت الحكومة أن تنفذ البرنامج الذى وضعه الصندوق، وأن "تقبل" العقاب الذى يفرضه الصندوق (ومعه كل الجهات الدائنة) إذا هى خرجت عن جوهر البرنامج . وبذلك جرى التسليم فى الجبهة الاقتصادية منذ ذلك التاريخ، وبعد هذا التاريخ بأشهر قليلة كانت مرحلة القدس، أى : التسليم فى جبهة الصراع السياسى العربى – الإسرائيلى.

وكان أداء الجيش المصرى فى حرب أكتوبر 1973 قد قدم للسادات ورقة رابحة أكسبته شعبية هائلة، وبدأ السادات بعد الحرب بقليل يعمل من موقع الشرعية الكاملة، حيث لم يعد رصيد شعبيته مستمداً من كونه رفيقاً سابقاً لعبد الناصر وخليفة له، وتبلورت اختياراته الرئيسة فى الفترة من 1974 إلى 1977، وتمخضت محصلة هذه الاختيارات عن انقلاب كامل – ولو أنه جاء تدريجيا– على السياسة الناصرية. وارتكزت على زوايا أربع هى: سياسة انفتاح اقتصادى، و "ديمقراطية أبوية محكومة"، وتحالف مع الغرب، وتصالح مع إسرائيل، ففى أوائل 1974 عادت العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع الولايات المتحدة ، والتى كانت مقطوعة منذ حرب يونيه 1967، وجاءت زيارة الرئيس ريتشارد نيكسون فى أعقاب عودة العلاقات ، وجرى استئناف إرسال المعونة الأمريكية لمصر منذ ذلك الحين.

ثم جاءت زيارة السادات لإسرائيل فى نوفمبر 1977، التى أيدتها الولايات المتحدة بكل قوة؛ لوضع حد مؤقت لقلق مصر المتزايد إزاء الرابطة الأمريكية ولإعطائها قدراً من الاطمئنان على توثيق العلاقات معها، وأخذ يداعب المصريين بأن آمالهم فى السلام والرفاهية سوف يتحققان أخيراً عن طريق الرابطة الأمريكية، وألهب السادات مشاعر المصريين بالوطنية، وعمد إلى إضعاف مشاعرهم بالقومية العربية، وتردد عالياً شعار "مصر أولا" وزادت حدة التوقعات بسرعة قدوم الرفاهية، وعزز هذا التحول الدرامى بأن السلام مع

إسرائيل سيحمل فى طياته الرفاهية للمصريين والعدالة للفلسطينيين فى استعادة حقوقهم المشروعة!

وبتوقيع كامب ديفيد عام 1978 ومعاهدة السلام 1979 هللت أجهزة الإعلام، الخاضعة لسيطرة الدولة، للسادات باعتباره "بطل الحرب والسلام"، أما بقية العالم العربى فقد وقف مذهولاً وعاجزاً، وجاءت السنوات اللاحقة لتوقيع المعاهدة ؛ لتشهد تحولاً فى الرأى العام المصرى، فلقد بدا لمعظم المصريين أن شروط المعاهدة غير منصفة وأنها تنقص من سيادة مصر وتكبل حق إرادتها السياسية إلى حد كبير فى إطار قيود والتزامات كل من الاتفاقية والمعاهدة. ومع قدوم صيف عام 1981 ساهمت الغارة الجوية الإسرائيلية التى قصفت المفاعل النووى العراقى فى 5 يونيو 1980 ، بعد يومين اثنين من لقاء بيجين والسادات فى شرم الشيخ ، فى القضاء على جانب كبير من الإيمان الذى كان قد ساور بعض المصريين فى صدق رغبة إسرائيل فى السلام، وأن المسألة بالنسبة لهم فى الصراع لم تكن مجرد مسألة نفسية– كما كان يردد السادات للعامة، ولكنها أخطر وأعمق من ذلك بكثير، وزاد الطين بلة أن معظم أبناء الشعب المصرى قد أدركوا فى تلك الفترة بحسهم أن رئيسهم إما أن يكون : ساذجاً أو مفرطاً أو خائناً.

ومع قدوم عام 1981 وجد نظام السادات نفسه تحت ضغوط متزايدة من الداخل والخارج على السواء. كانت إسرائيل تحرجه، وكانت الولايات المتحدة تخذله، وكان المعتدلون العرب قد أداروا له ظهورهم منذ وقت طويل، بينما اشتد عود المعارضة فى الداخل، وصارت أكثر جرأة، وفى خضم ذلك جاءت الضربة القاضية التى قضت على السادات باغتياله فى السادس من أكتوبر 1981 على أيدى تنظيم الجهاد الإسلامى المصرى .

***

* بتولى "مبارك" حكم مصر، فإنه لم يطرأ على الجبهات الداخلية والمواقف السياسية إزاء كامب ديفيد تغيرات كبيرة من حيث الكيف أو التوجه بالمقارنة بما كانت عليه فى خريف 1981، غير أنه فى حين كان السادات يعتبر كامب ديفيد بمثابة إنجاز عظيم، يستحق الدفاع عنه، فإن مبارك كان فى بداية حكمه ينظر إلى كامب ديفيد باعتبار أنها "التزام قانونى ينبغى مراعاته واحترامه"، ولم يحيد مبارك عن طريقه أبدا فى تشجيع عملية التطبيع والترويج لمشروع التسوية الإسرائيلية/الفلسطينية وفق التزامات كامب ديفيد طيلة فترة حكمه التى انتهت بثورة يناير 2011.

* كان قد أدى الغزو الإسرائيلى للبنان عام 1982 إلى إثارة مشاعر الكراهية الشديدة وانعدام الثقة التام فى الدولة اليهودية، والإحساس بالعجز والمهانة والقهر أمام قيود الاتفاقية وأحس غالبية الشعب المصرى، بأن بلادهم دفعت بالفعل ثمناً غالياً من أجل سيناء، وذلك بتوقيع معاهدة السلام الجائرة، والتى كانت بمثابة شروط إذعان واستسلام للضغوط والشروط الإسرائيلية / الأمريكية، وبعد ثلاث سنوات من أحداث صبرا وشاتيلا، تعرض الترويج لفكرة إمكان السلام مع إسرائيل لمزيد من الاضمحلال الشديد مرة أخرى؛ حيث أشعلت إسرائيل الفتيل هذه المرة فى أكتوبر 1985 بقيامها بقصف جوى لمقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس، ولم تتمكن الحكومة المصرية من منع المظاهرات المعادية لإسرائيل احتجاجا على الغارة الجوية. وقد طالبت المظاهرات وصحف المعارضة والأحزاب، بإلغاء اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام، وقاوم مبارك هذه الضغوط وتجاوز العاصفة إلى أن سيطرت المتاعب الداخلية المرهقة على اهتمام المصريين، وفى 25 فبراير 1986 جرى تمرد وحدات رئيسة من قوات الأمن المركزى؛ لتردي أوضاع الفقر وتدنى مستوى ظروفهم المعيشية ضمن فقراء مصر، وانتهى الأمر بدعوة الجيش إلى التدخل لقمع التمرد وإقرار النظام والقانون، وتلك هى المرة الأولى فى تاريخ مصر

الحديث التى يقوم فيها سلاح من أسلحة الدولة، خاصة السلاح التى تقتصر وظيفته على التصدى لأعمال الشغب بتحدى سلطات النظام القائم، وجاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى فى ديسمبر 1987، وكان اتفاق أوسلو 1993 بين الإسرائيليين وياسر عرفات، أعقبه اتفاق وادي عربة مع الملك حسين عام 1994، ثم جاءت انتفاضة الحجارة فى 28 سبتمبر 2000 ، لتندلع المقاومة الفلسطينية، حتى جرت مذابح جنين عام 2001 ومذابح غزة والعدوان عليها عام 2009 ، جاءت هذه الأحداث جميعها لتشعل الغضب العربى العارم ، ولتطالب قوى الشعب بإسقاط معاهدات السلام مع إسرائيل ، وأظهرت وقائع الأحداث ومرور الأيام منذ توقيع الاتفاقية، أنها قاصرة تماما عن إمكانية تحقيق سلام عادل لحل مشكلة الصراع العربى الصهيونى، وأن المسالة ليست حاجزاً نفسياً ، كما كان يشيع نظام السادات وحسنى مبارك ، وإنما هى تمثل صراع وجود، وأن شروطها والالتزامات المترتبة عليها – كما سنرى فى أبواب هذه الموسوعة – تكبل إرادة مصر وتقلص سيادتها على أراضيها وقدرتها على تحريك قواتها فى إطار إقليمها، وتجسد احتلالاً دائماً لمصر .

وهكذا لم تنجح استراتيجية السادات فى تحقيق سلام عربى إسرائيلى شامل، وأكثر منذ لك، أن استراتيجيته فشلت فى إرضاء إسرائيل أو احتوائها، والواقع أن ما حدث هو النقيض لذلك، فبعد أن أمنت إسرائيل جانبها الجنوبى، اتجهت إلى تأمين جناحها الشمالى فى لبنان، وعمدت إلى توسيع مجال أمنها القومى ليشمل منطقة تمتد من تونس إلى العراق، وصارت سيناء رهينة أى تغيير فى مزاج إسرائيل.

وخلاصة القول: أن الأمن القومى المصرى أصبح منذ كامب ديفيد أكثر عرضة للتهديد، ولم يعد الاعتماد على النوايا الإسرائيلية الطيبة مدعاة للثقة. إذ ليس فى مقدور دولة أن يعتمد أمنها على النوايا الطيبة. كما لم يتحسن وضع مصر الاقتصادى – الذى سعى إليه السادات– وتزايد استخدام المعونة

الأمريكية لمصر للضغط عليها فى أمور تتعلق بمصالح مصر، وفى الالتزام بما أطلقت عليه الولايات المتحدة بالمشاركة فى "محاربة الإرهاب، وبتطبيع العلاقات مع إسرائيل. وإذ بالرابطة المصرية الأمريكية، التى ساد الاعتقاد – لدى السادات– بأنها قد تتطور لتصبح أداة للنفوذ المصرى على إسرائيل، لتظهر عكس ذلك تماما ليصبح نيل الرضا الإسرائيلى هو الباب للحصول على القبول الأمريكى. وفى النهاية لتزداد مصر والعرب ضعفا، بينما تتضاعف قوة "إسرائيل" وإمكانياتها واختراقها لكافة الدول العربية، وليختفى تماما أى ادعاء بتوافر الحد الأدنى من الأمن القومى العربى.

* ومن جانب آخر فإنه مع استمرار المقاومة الفلسطينية فى سنوات التطبيع الأولى وتصاعد مستوى العنف الإسرائيلى، فإنه تعين على الحكومة المصرية أن تختار بين الرضوخ للضغوط الداخلية والعربية ، وبين الخضوع للسياسة الأمريكية – الإسرائيلية ، الأمر الذى كان يؤدى إلى تعريض الرابطة المصرية الأمريكية والعلاقة المصرية الإسرائيلية للخطر، أو اختيار عدم التحرك على الإطلاق مما يؤدى إلى اعتمادها على أسلوب القمع داخليا، وفقدان المصداقية فى العالم العربى. ودخل النظام المصرى فى مفارقة خطيرة ، حيث ظهر جلياً أمامه أنه إذا كانت حكومة مصر تنظر إلى "السلام" مع إسرائيل على أنه مسألة جوهرية لحل مشكلاتها الداخلية والاقتصادية المتصاعدة، فإن استمرار السلام يتوقف إلى حد كبير على حل القضية الفلسطينية ، وحيث إن إسرائيل غير مستعدة لقبول حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم، وإذ يرفض اليمين الإسرائيلى صيغة الأرض مقابل السلام؛ فإن مصر ستجد نفسها فى مواجهة اختيارات صعبة ، ومعضلات يأتى فى القلب منها كيفية التعايش أو إمكانية التخلص من قيود معاهدة السلام الإسرائيلية والتزامات اتفاقيتى كامب ديفيد.

وبذلك تبلورت الأمور لاكتمال مسيرة كامب ديفيد، وللوصول إلى توقيع الاتفاقية المشؤومة فى الصلح المنفرد بين مصر والعدو الصهيونى، والوقوف على

بعض النتائج الكارثية لتلك المعاهدة، والقيود التى فرضتها على حرية الإرادة والقرار السياسى لمصر نسجل ما يلى :

ثالثاً : التزامات التطبيع وفقاً لكامب ديفيد :

(1) فى المجال السياسى:

يقوم هيكل التطبيع السياسى القائم بين مصر وإسرائيل – كما سبق وأشرنا – على مجموعة أحكام تنبثق عن:

أ – وثائق اتفاقات كامب ديفيد (17 سبتمبر 1978) (وهى مرفقة فى نهاية الفصل) .

ب – نصوص معاهدة السلام وملحقاتها (مارس 1979) (وهى مرفقة فى نهاية الفصل).

ج – تعهدات والتزامات صادرة عن شركاء كامب ديفيد .

د – وثائق إنشاء القوات متعددة الجنسيات (1981/8/3) .

أ – وفيما يتعلق بوثائق كامب ديفيد (انظر : نص هذه الاتفاقات فى نهاية هذا الفصل) : حددت هذه الوثائق إطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ، تقوم على إجراء مفاوضات خلال ثلاثة أشهر من تاريخ الاتفاقية، وتضمنت الوثيقة إطار التسوية بين الجانبين ويشمل ما يلى:

• انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء، مع استخدام المطارات الجوية التى تخلفها إسرائيل للأغراض المدنية فقط، بما فى ذلك الاستخدام التجارى لجميع الدول. وحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس، واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية مفتوحة أمام جميع الدول. وإنشاء طريق سريع يربط بين سيناء والأردن بالقرب من إيلات.

• مرابطة القوات المصرية فى سيناء، بحيث لا تزيد – فى منطقة تقترب من 50 كم شرقى خليج السويس وقناة السويس – عن فرقة واحدة. ولا يتواجد غرب الحدود الدولية وخليج العقبة – بعمق 40/30كم – سوى قوات الأمم المتحدة

(القوات متعددة الجنسية) والبوليس المدني فقط. ويغطى باقى سيناء (حوالى 61 الف كم) ثلاث كتائب من حرس الحدود لمعاونة البوليس المدنى فى صيانة النظام.

• أما شرقى الحدود الدولية لمصر (أى فى إسرائيل) فلقد منحت الاتفاقية وجوداً عسكرياً لإسرائيل شرقى هذه الحدود– وبعمق ثلاثة كيلو مترات فقط– بما لا يزيد عن اربع كتائب مشاة ومراقبين من الأمم المتحدة (القوات متعددة الجنسيات).

• وتفرض الاتفاقية ألا يتم سحب هذه القوات إلا فى حالة موافقة مجلس الأمن بالأغلبية المطلقة.

• انسحاب القوات الاسرائيلية مرحليا بعد فترة تتراوح بين 3 –9 أشهر من توقيع الاتفاقية إلى شرق الخط الممتد من نقطة العريش حتى رأس محمد، على أن يتم على أثر هذا الانسحاب المرحلى إقامة علاقات طبيعية دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية، ورفع القيود على حرية انتقال البضائع والأشخاص.

<u>ب – وفى معاهدة السلام وملحقاتها: تضمنت:</u>

• إنهاء حالة الحرب بين الطرفين وإقامة السلام بينهما.

• تعهد الطرفين بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدام أحدهما ضد الآخر، على نحو مباشر أو غير مباشر، وتحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية.

• يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية، أو أفعال العنف، أو التهديد بها من داخل إقليمه، أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته، أو مرابطة على أرضه، ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر.

• كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب ضد الطرف الآخر فى أى مكان.

• يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقوم بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل. والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية. والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع.

• اتفق الطرفات على أن تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول، وعلى ألا يطلبا سحب هؤلاء الأفراد، وألا يتم سحب هؤلاء الأفراد إلا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما فى ذلك التصويت الإيجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس، وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك.

• أقرت مصر بحق السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها فى المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر المتوسط.

• اعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى.

• تعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة، بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر، وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة – كما تعهدا بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة.

• أقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتهما الأخرى، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة.

• نصت الاتفاقية على أن كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بها جزء لا يتجزأ منها. ومن بينها محضر متفق عليه خاص بالملحق الثانى ، ينص على أن تشمل العلاقات الاقتصادية مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر إلى إسرائيل. كما يتضمن الملحق العسكرى تنظيم الانسحاب وإجراءات الأمن، وتحديد الخطوط النهائية والمناطق (وفقا لخرائط مرفقة بالمعاهدة)، وأجهزة الإنذار المبكر، وعمليات الأمم المتحدة، ونظام الاتصال، واحترام النصب التذكارية، والترتيبات المؤقتة.

ج – فيما يتعلق بتعهدات والتزامات صادرة عن الولايات المتحدة:

كان أهم هذه التعهدات والالتزامات هى "مذكرة التفاهم الأمريكية الإسرائيلية" وقد وقعها هارولد براون وعيزرا ويزمان فى 19 مارس 1979 (قبل أيام من توقيع معاهدة السلام) ، ونوجز أهم ما جاء فيها فيما يلى:

• فى ضوء دور الولايات المتحدة ورغبة الأطراف فى أن تمضى الولايات المتحدة فى طريق تقديم المساندة. سوف تتخذ الولايات المتحدة التدابير الملائمة للنهوض بالمراقبة الكاملة لمعاهدة السلام.

• إذا ما اتضح للولايات المتحدة أن انتهاكا لمعاهدة السلام، أو تهديدا بانتهاك قد حدث، فإن الولايات المتحدة سوف تستشير الأطراف حول التدابير الواجب اتخاذها، وسوف تتخذ ما تعتبره ملائما من إجراءات، بما فى ذلك الإجراءات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية.

• سوف تعترض الولايات المتحدة – وتعارض عند الضرورة– أى عمل أو قرار للأمم المتحدة يتعارض مع وجهة نظرها من معاهدة السلام.

• سوف تعمل الولايات المتحدة على النظر بعين الرعاية لطلبات المساعدات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل، وتسعى لتلبيتها.

• سوف تواصل الولايات المتحدة فرض قيود على شحنات الأسلحة التى تقدمها إلى كل بلد، وهى قيود تحظر نقل هذه الأسلحة دون تصريح إلى أى طرف

آخـر، ولـن تـزود الولايـات المتحـدة ، أو تسـمح بنقـل هـذه الأسـلحة إذا مـا استخدمت فى هجوم مسلح ضد إسرائيل، وسوف تتخذ التدابير اللازمة لتجنب مثل هذا النقل غير المصرح به.

• وقد علمت حكومة مصر بوجود مذكرة التعهدات تلك لأول مرة يوم 25 مارس 1979 وحـاول د/ مصـطفى خليل رئـيس وزراء مصـر آنـذاك الاعتـراض علـى مـذكرة التفـاهم تلـك وانتقـدها مـن خـلال سـتة عشـر اعتراضـا، وردت الخارجيـة الأمريكيـة ببيـان فـى 1979/3/31 ، أوضـحت فيـه أنهـا سبق أن أبلغـت مصـر مقدماً بأن هناك ضمانات سوف تقدم لإسرائيل، وأن مصـر أعربت أكثر من مرة عـن عـدم اعتراضــها علــى ضــمانات يتضــمنها مفهـوم السـلام، وأن الولايـات المتحـدة "قدمت لمصـر وثيقـة مماثلـة، لكنهـا رفضـتها، والعرض لا يـزال قائمـا"، وأن الغرض الوحيد من تلك المذكرة هو ضمان حفظ السلام فى المنطقة.

د – وفيما يتعلق باتفاقية القوات المتعددة الجنسيات:

وقـد توصــلت مصــر وإســرائيل والولايــات المتحــدة إلــى هــذه الاتفاقيــة فــى 1981/6/24، وتم توقيع الاتفاق النهائى لها فى واشنطن فى 1981/8/3.

• وتتضــمن تشـكيل قـوة متعـددة الجنسـيات ومـراقبين (كبـديل لقـوة مـن الأمـم المتحدة)، بشرط أن توافق الأطـراف علـى الـدول التـى سيتم تشكيل القوة منهـا، وتتولى تعيين مدير عام تكون مسئولياته إدارة القوة (وقد أنيط هذ الأمر للرئيس الأمريكى) ويتولى بدوره تعيين قائداً للقوة يكون مسئولا عن القيادة اليومية لهـا، وتتحمل الأطراف بالتساوى نفقات القوة التى لا يتم تدبيرها من مصادر أخرى.

• تتشكل القوة من قيادة عامة وثلاث كتائب مشاة ولا يزيد عددها عن 2000 فرد، ووحدة بحرية تقوم بالدوريات ، ووحدة طيران، ووحدة إشارة، ووحدة مساندة للأعمال الإدارية. وتحمل أسلحة تقليدية مناسبة تتفق وطبيعة مهامها.

• يقوم القائد بإبلاغ الأطراف المعنية بأسرع ما يمكن خلال فترة لا تزيد عن 24 ساعة بعد القيام بعملية الاستطلاع، أو بعد التأكد من وقوع انتهاك. كما يقدم تقريراً شهرياً إلى الأطراف.

• وقد ألحق بالبروتوكول ملحق تفصيلي، يتضمن تأكيداً بأن أفراد القوة لا يخضعون للأحكام المدنية للدولة المضيفة، كما لا يخضعون للإجراءات القانونية التى تتبع أثناء قيامهم بواجباتهم الرسمية، كما لا يخضعون لمحاكم الدولة المضيفة فى حالة صدور هذه الأحكام فى قضايا مدنية.

وقد تشكلت القوات المتعددة الجنسيات، وقوة المراقبين، من إحدى عشرة دولة هى : الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، ونيوزيلاند، وأورجواى، وكولومبيا، وفيجى، واستراليا. وتضم هذه القوات 2500 ضابط وجندى من بينهم 1100 أمريكى من الفرقة 82 المحمولة جوا، من بين قوات الانتشار السريع، وفى ظل شروط الاتفاقية، فإن الوحدات المشاركة تستبدل كل 179 يوماً أى : مرتين سنويا.

<u>هـ- قراءة فى أحكام الاتفاقيات:</u>

إن المستهدف من تلك القراءة، ليس مجرد كشف الثغرات ونقاط الضعف والقيود التى تكبل مصر بالتزامات – أبدية- غير متكافئة، أو مجرد إدانة مواقف، فإن هناك ملاحظات كثيرة فى هذا الصدد قد تجاوزتها الأحداث من مثل: ما إذا كانت هذه المعاهدة المؤسسة للتطبيع السياسى بين مصر وإسرائيل : تمثل حلاً منفرداً أم حلاً شاملاً، حيث لم يعد هناك مجال لمزاعم حول الحل الشامل. ولم يعد هناك مجال لمناقشة ما إذا كانت إسرائيل سوف تفى بإعادة أى حق من الحقوق المشروعة للفلسطينيين، وإنما سوف نركز هدفنا من تلك القراءة على قضيتين رئيستين نرى أنهما تتصلان مباشرة بالتطبيع السياسى الذى جرى خلال الفترة الممتدة من 1979-2011 وهما :

الأول: أحكام الاتفاقات بين معيارى الأمن والسيادة:

سعت نصوص وأحكام الاتفاقات للمواءمة بين ما يسمى "حق إسرائيل من الأمن" و "حق مصر فى السيادة" فهى تقرر انسحاب إسرائيل من سيناء، واستعادة مصر سيادتها عليها، مقابل نزع سلاح بعض مناطقها، وتقييد تسليح البعض، وتقييد حجم القوات المصرية المرابطة فيها.. إلخ. وهذا من الناحية التاريخية كان بمثابة أول خلل جسيم فى أحكام الاتفاقات ، إذ إنه يعطى الأمن لإسرائيل، التى تملك القدرة العسكرية على تحقيقه، باعترافها وبقوة حلفائها، على حساب تقييد قدرات مصر، وحقها السيادى والأمنى فى تحريك قواتها على أى جزءٍ منٍ أراضيها، وهى الدولة والتى احتلت أراضيها مرتين خلال جيل واحد، وبعيداً عن التعميم، فإنه يواجه الدارس لأحكام هذه الاتفاقيات ثلاثة مظاهر للخلل الأمنى لمصر، يرتبط أولها بترتيبات الأمن التى يفرضها الملحق العسكرى ويتعلق الثانى بالوجود العسكرى الأمريكى داخل القوات المتعددة الجنسيات، ويرتبط الثالث بنص الارتباط بين الأمن القومى المصرى والأمن القومى العربى، وعلى سبيل المثال فالمنطقة (أ) من سيناء ، يحدد الاتفاق الوجود العسكرى المصرى فيها بما يصل إلى فرقة مشاة ميكانيكية بعدد إجمالى 22 ألف فرد، 230 دبابة، 480 عربة مدرعة، و126 قطعة مدفعية، والمنطقة (جـ) على الحدود الدولية لمصر لا يصرح فيها بأى وجود عسكرى مصرى، ويصرح للبوليس المدنى المصرى المزود بأسلحة خفيفة للقيام بمهام الشرطة الطبيعية.

وتلك الترتيبات تعنى بالنسبة لمصر ما يلى:

– أن حدود مصر التى يمكن الدفاع عنها قد ارتدت إلى الغرب بنحو 150كم لتصبح على بعد 50 كم من قناة السويس.

– أن المنطقة من الحدود السياسية إلى الحدود الدفاعية، والتى تبلغ حوالى ثلاثة أرباع سيناء هى منطقة منزوعة السلاح تماما أى منطقة لا سبيل لحمايتها.

– أن المنطقة التى يفترض إمكانية الدفاع عنها محددة التسليح بفرقة مشاة واحدة تشمل بعض الأسلحة المعاونة تتوزع على مساحة مواجهة تصل400 كم.

– أنه لا وجود للقوات الجوية المصرية فى سيناء، كما أن الطلعات المسموح بها من خارج سيناء لا تتجاوز التحليق فوق المنطقة (أ) المقيدة التسليح. بل إن مطاراتنا العسكرية فى سنياء تحولت – بحكم المعاهدة – إلى مطارات مدنية مفتوحة للاستخدام التجارى الحر، بما فى ذلك إسرائيل بينما تحظر على سلاح الطيران المصرى.

– أنه لا وجود للقوات البحرية فى المياه الإقليمية فى سيناء، ولا سبيل لإنشاء أية موانئ أو تجهيزات عسكرية على سواحل سيناء.

– حتى أجهزة الإنذار المبكر، وهى مسالة دفاعية بحتة، تفتقر ترتيباتها على المنطقة (أ) بالنسبة لمصر، بينما يسمح بإقامتها على الحدود مباشرة بالنسبة لإسرائيل.

– تنازل نظام السادات ومبارك عن سيادة مصر على مضايق تيران، حيث اعتبرتها المعاهدة ممرات مفتوحة لكل الدول دون عائق لحرية الملاحة والعبور الجوى، وهو ما يعد تنازلاً مخلاً بالسيادة المصرية، إذ إنها جزء لا يتجزأ من مياه مصر الإقليمية، ولا توجد سلطة فى مصر يحق لها أن تمارس حق التنازل هذا.

– فرض نصوص تكبل التشريع المصرى المتعلق بحقوق السيادة، من ذلك ما يتضمنه نص الفقرة الثانية من المادة الثالثة التى تقضى بأن يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو التهديد بها من داخل إقليمه.. كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك فى أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدَّام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر.. فى أى مكان.. كما يتعهد بأن

يكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة". وبمقتضى هذا النص ، فإن مصر تكون قد التزمت التزاماً مستمراً بألا تسمح بأى نشاط أو حتى رأى أو فكر معادٍ لإسرائيل يعبر عن نفسه بأى صورة من الصور، وأن مثل هذا النشاط أو الفكر أو الرأى لابد وأن يؤثم ، وأن يساءل صاحبه حتى إذا أبداه خارج البلاد، فإن على السلطات أن تلاحق صاحبه وأن تقدمه للمحاكمة، وبذلك لم يلتزم النص بقاعدة إقليمية القانون المستقر عليها فى الفقه، ولكنه وسع من نطاقه إلى خارج الحدود، فجعل هذه الأفعال محظورة أياً كان مكان ارتكابها. ومن ذلك تتجلى مظاهر الانتقاص من السيادة المصرية، التى تخل بالأمن القومى المصرى لصالح احتياجات الأمن الإسرائيلى ، التى أهدرت جغرافياً واستراتيجياً مظاهر عدة للسيادة المصرية على سيناء كما سبق وبينا فى مقابل بسط السيادة المصرية " المنقوصة " على سيناء.. على نحو ما تطرحه المعادلة بين الأمن والسيادة، وبذلك يظهر جلياً أنه عند تعارض معيارى الأمن والسيادة المصرية، فإنه قد تم تغليب معيار الأمن الإسرائيلى تماما وعلى طول الخط.

الثانى: عن فقدان الارتباط بين الأمن القومى المصرى والأمن القومى العربى :

من المعلوم أنه منذ بداية الأربعينات يتنازع منطقة الشرق الأوسط والوطن العربى مشروعان لحماية الأمن القومى المصرى والعربى، أحدهما غربى يرتبط بنظام الدفاع الأطلسى ، بدأ بطرح مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (1951) وحلف بغداد (1955) ومشروع أيزنهاور (1957) والحلف الإسلامى (1965) ثم مبدأ كارتر (1979)، وذلك فى مواجهة مشروع إقليمى ، آخر بدأ مع إنشاء جامعة الدول العربية (1945) وتبلور بشكل كامل فى عهد جمال عبد الناصر، ويقوم على أن التهديد الرئيس لدول المنطقة يأتى أولاً من إسرائيل، ثم من القوى الغربية التى تسعى لاستعادة موطئ قدم لها فى المنطقة

والهيمنة على ثرواتها، وأن مواجهة هذه التهديدات لا تتم إلا من خلال مشروع عربى قومى للنهضة الاقتصادية والسياسية وللدفاع المشترك.

وفى إطار هذا المشروع الأمنى القومى ، كان الترابط بين مصر والدول العربية المواجهة لإسرائيل ، هو مفتاح المعادلة الوحيد لضمان أمن هذه الدول وأمن الأمة العربية برمتها ضد أطماع إسرائيل التوسعية واعتداءاتها المتكررة على الدول العربية.. ولم يكن اقتناع مصر بهذه المعادلة اختيارا استراتيجيا، وإنما كان ضرورة استراتيجية، فلا مصر وحدها قادرة على مواجهة الخطر الإسرائيلى المتزايد منذ عام 1948، ولا دول المواجهة الأخرى قادرة على المواجهة منفردة مع إسرائيل.

وتشير علاقات القوة المادية البحتة للتدليل على حتمية اللجوء إلى خيار الدفاع القومى المشترك، ذلك أن إسرائيل – ومن خلفها الولايات المتحدة– أسستا الميزان العسكرى فى المنطقة على أساس تفوق قدرات إسرائيل العسكرية على الدول العربية مجتمعة، وليس دول المواجهة فحسب، والقدرة الاقتصادية التى تعتبر المؤشر على مدى تحمل العبء الدفاعى الكبير تظهر القدرة الاقتصادية لإسرائيل – من جميع الوجوه– أعظم من القدرة الاقتصادية لمصر وحدها، وأعظم من القدرة الاقتصادية لدول المواجهة الأربع مجتمعة ، وبغير إغراق فى التفاصيل أو تعداد الشواهد التاريخية فإنه لا سبيل لأمن أى من الطرفين (مصر، ودول المواجهة الأخرى) دون ضمان حد أدنى من التضامن والتنسيق بينهما وبين باقى الدول العربية، ومما يثير الدهشة هنا، أن أعداء مصر وأعداء الأمة العربية كانوا أكثر إدراكا لهذه الحقيقة من بعض أبنائها، فوجهت إسرائيل إلى الدول العربية أنشطة جادة ومتصلة – بالتنسيق مع الدول الاستعمارية منذ 1948 بهدف بث الانقسام وتعميق الفرقة بين الدول العربية .

وفى أعقاب حرب أكتوبر، وما ظهر خلالها من ارتباط قومى واضح، جاءت اتفاقية فك الارتباط الأولى (عام 1974) والثانية (عام1975) وانفراد الولايات

المتحدة الأمريكية بالوساطة من خلال "كيسنجر"، ثم جاءت مبادرة السادة بزيارة إسرائيل، وما أعقبها من اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام، ليتأكد الدور الأمريكى / الإسرائيلى فى فض الارتباط بين الأمن القومى المصرى والأمن القومى العربى، وذلك من خلال تعميق المصالح الوطنية العاجلة لمصر على حساب مصالحها القومية الراسخة طويلة المدى، وتم هذا التركيز من خلال عدة اتجاهات وضعت الرئيس الأسبق بين القبول بحل منفرد أو لا حل على الإطلاق، مع تلبية الحد الأدنى لمطالبه التى لا تمس المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية ، وذلك بهدف تحييد دور مصر، وعزلها عربيا، وإفراغ شبكة الالتزامات العربية من كل مضامينها .

وبتوقيع مصر على معاهدة واشنطن، وبعض النظر عن كل النويا الحسنة التى تظهر فى تصريحات قادة مصر بين الوقت والآخر، حول تمسك مصر بالتزاماتها العربية، كان التحالف الإسرائيلى/ الأمريكى قد أنجز مهمته فى فض الارتباط بين الأمنين المصرى والعربى، وترك النظام المصرى وظهره للحائط، لا يملك سوى خيار الاعتماد على حسن نوايا إسرائيل، والارتباط بمشروعات الدفاع الغربية "مبدأ كارتر" وأخيرا الارتماء فى أحضان حلف "الناتو" من خلال اتفاق برشلونة ومشاركة دول جنوب المتوسط، بديلا للتكامل الأمنى المصرى العربى (اقتصاديا وأمنيا).

و- أثر التسوية على سياسة إسرائيل:

أسفرت التسوية المصرية الإسرائيلية عن عدة حقائق استراتيجية لا يمكن تجاهل تأثيرها على سياسة إسرائيل تجاه المنطقة.

أول هذه الحقائق هو تحييد دور مصر فى الصراع العربى الإسرائيلى، سواء باستبعاد خيار المقاومة تماما، أو بفرض عواقب وخيمة إزاء إمكانات استخدام الضغوط السياسية والاقتصادية التى ضمنت عناصرها الأساسية فى معاهدة واشنطن. وقد جرى اختبار هذه الحقيقة بدقة خلال سلسلة الاعتداءات التى

قامت بها إسرائيل تجاه دول وشعوب المنطقة فى أعقاب توقيع المعاهدة، والتى أسفرت عن نتائج طمأنت المسئولين الإسرائيليين، فضرب المفاعل الذرى العراقى "أوزيراك" (5 يونيو 1980) لم يكن عند الرئيس الأسبق سوى "غلطة ارتكبت"، وامتحاناً لعملية السلام من جانب إسرائيل، وضم الجولان لم يستدع أن تصوت مصر ضده فى الأمم المتحدة، فامتنع مندوب مصر فى الأمم المتحدة عن التصويت ضد قرار ضم الجولان بحجة أن مصر ترتبط بمعاهدة سلام مع إسرائيل.. إلخ.

* وقد ترتب على مبدأ تحييد مصر فى النزاع خلل جسيم فى ميزان القوة بين إسرائيل وأطراف المواجهة الآخرين. وإذا كان ميزان القوة قد جرت صياغته أصلاً بين الولايات المتحدة وإسرائيل على أساس تفوق إسرائيل فى التسليح على مجمل الدول العربية المتعلقة بالصراع مباشرة أو باقى الدول العربية باعتبارهم رصيداً محتملاً فى أية مواجهة عسكرية، فلنا أن نتصور حجم هذه الخلل فى التوازن العسكرى بين إسرائيل والدول العربية الأخرى بخروج مصر من حسابات هذا التوازن على الجانب العربى.

وقد استخلصت إسرائيل – من خلال منهج التسوية– أن أسلوب القهر واحتلال الأراضى لابد وأن يبلغ بها أهدافها إزاء المنطقة، وأنه إذا كانت مصر بكل وزنها السياسى والعسكرى والأدبى قد قبلت بهذا الحجم من التنازلات، وبمثل هذا الإطار للتسوية، فإنه من باب أولى لنفس المنهج أن يحل مشكلة تطلعاتها على الجبهات الأخرى. ومن المعلوم أن تطلعات إسرائيل التوسعية الحقيقية – لتحقيق امبراطوريتها– هى على جبهاتها الشرقية والشمالية، وأن مشكلاتها الحقيقية على جبهتها الجنوبية – مصر– هى مشكلات أمنية فى المقام الأول. فلا شك أن نجاحها فى تحييد مصر، وإحداث هذا الخلل الاستراتيجى فى ميزان القوة بينها وبين باقى الدول العربية ، قد حفز تطلعاتها لإنجاز أطماعها التوسعية.

* وثانى هذه الحقائق هو سياسة إسرائيل تجاه مصر لم تقتصر على محاولة تحييد دورها فى الصراع العربى الإسرائيلى، بل اتجهت أيضا لمحاولة تطويقها وتوظيف دورها فى خدمة أهدافها السياسية فى المنطقة وتكريس القطيعة بينها وبين الدول العربية. ومن مظاهر ذلك حرص إسرائيل المستمر على إحراج موقف مصر عربيا، فمنذ عودة بيجين مباشرة من مؤتمر كامب ديفيد أعلن عن نيته مواصلة بناء المستوطنات فى الضفة الغربية، واستأنف الحرب على جنوب لبنان، ولم تكف إسرائيل عن استفزازاتها وقتلها تجاه الشعب الفلسطينى، وقامت بضم القدس وضواحيها بشكل نهائى، وهاجمت المفاعل الذرى العراقى ودمرته، وضمت الجولان. وكانت تراعى توقيت واعتداءاتها وإجراءاتها فى الأوقات المحددة للقاءات المصرية – الإسرائيلية، على نحو توقيت لقاء شرم الشيخ وضرب المفاعل النووى العراقى. وهناك من المراقبين الغربيين من صرح مؤكداً أن بيجين ما وقع اتفاقية كامب ديفيد إلا لتحطيم أى إمكانية للتضامن بين دول المواجهة العربية، وبث الانقسام بين الدول العربية بوجه عام.

رابعاً : أثر التسوية على سياسة مصر:

فى أعقاب توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفيد، وفى مواجهة القطيعة العربية لمصر التى أعلنتها معظم الدول العربية فى مؤتمر بغداد (نوفمبر 1978) ، أعلن السادات سياسة [خطوة من جانب إسرائيل بخطوتين من جانب مصر (فى عملية التطبيع)]. واندفع فى صياغة علاقة مصر بإسرائيل على نحو مخل بكل حذر ، وفى إطار علاقته بالولايات المتحدة ، لم يكتف السادات بدور "الشريك الكامل" للولايات المتحدة تجاه التسوية، بل اندفع بالسياسة المصرية ؛ لتقوم هى ذاتها بدور "الشريك الكامل" فى الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة. وإذا كان الرئيس السادات "لم يعلن" تقدمه بعرض للولايات المتحدة ، لإقامة قاعدة عسكرية لها فى مصر، فقد "أعلنت "أمريكا رفضها لهذا العرض. وعلى أية حال فقد انتهى دور مصر فى إطار الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة

إلـى مـا يعـرف "بالتسـهيلات" العسـكرية لحمايـة دول الخلـيج" فـى قاعـدة رأس بانياس ومطار قنا (وهى التى خرجت منها العملية العسكرية الأمريكية الفاشلة تجاه إيران) – 1981، ثم اشتراك مصر فى التدريبات العسكرية المشتركة مع القوات الأمريكية المعدة للتدخل السريع فى المنطقة وفى مقدمتها مناورات النجم الساطع، ثم المشاركة فيما أطلق عليه التحالف الدولى"حرب تحرير الكويت" ، ثم مشروع الشرق الأوسط الموسع فى إطار "الناتو"، والذى انضوت تحت لوائه دول محور الاعتدال بقيادة الولايات المتحدة الذى يضم دول الخليج والأردن ، هذا بالإضـافة إلـى تفاقم اعتمـاد مصـر علـى الولايـات المتحـدة فـى مجـال سـد احتياجات الغذاء والسلاح فى إطار ما تسمح به الإدارة الأمريكية.

وفى مجال التزامات مصر العربية واتفاقية الدفاع العربى المشترك تراجع مفهوم هذه الالتزامات حتى اقتصرت على امكانية القيام بمواجهة عسكرية ضد ليبيا أو إيـران، وبينمـا حـرص المسـئولون المصـريون علـى ترديـد إمكانيـة إعمـال هـذه الاتفاقيـة للتـدخل ضـد إيـران، وكـذلك فـى تبريـر التحـالف الأمريكـى فـى "حـرب تحريـر الكويـت" التـى انتهـت بتـدمير العـراق، وموافقـة إسـرائيل علـى غـزو لبنـان والعـدوان علــى غــزة .ويوضــح مــدى أثــر التســوية الإســرائيلية / الأمريكيــة / المصـرية علـى تطبيـع سياسـة مصـر فيمـا يتعلـق بالإطـار العربـى والإقليمـى – بأوضح ما يكون عشية انسحاب إسرائيل النهائى من سيناء، فى حديث صـريح إلــى "ديفيــد برنســيتن" مراســل صــحيفة الجيــروزاليم بوســت المنشــور فــى 1982/4/25، جرى على النحو التالى:

هل تعتقد أن اتفاقيـة السـلام المصـرية الإسـرائيلية قويـة بقـدر كـاف لتصـمد إزاء افتقاد التقدم فى محادثات الحكم الذاتى بعد إعادة سيناء الأسبوع القادم؟

– إنها غير قابلة للإلغاء.

– بغض النظر عما يحدث فى محادثات الحكم الذاتى؟

– بغض النظر عن أى شيء.

– حتى لو أن إسرائيل ضمت الضفة الغربية؟

– حتى لو ضمت الضفة الغربية.

ثم أضاف الكاتب الإسرائيلى فى تعليقه: والأكثر من ذلك فإنه (السفير المصرى) يعتقد أن معاهدة السلام غير قابلة للتخريب عمليا. وقادرة على الصمود ، ليس فقط إزاء المأزق المستمر فى محادثات الحكم الذاتى. ولكن ايضا إزاء غزو إسرائيل للبنان. هذا وقد تبدى أثر التسوية مع مصر على المجالات التالية :

1 – التطبيع الاقتصادى(*):

وإذا كان التطبيع السياسى هو وسيلة إسرائيل لتحقيق أهدافها فى مصر وفى المنطقة العربية؛ فإن التطبيع الاقتصادى كان هو الهدف الأهم لهذه التسوية "الاتفاقية" ، وهو جائزتها الكبرى عند الإسرائيليين. لقد كان التفاعل الاقتصادى مع مصر هو حلم إسرائيل، وأمل قادتها ومفكريها، وكان حلم نقل مياه النيل لإسرائيل واحداً من هذه المطالب الاقتصادية من التطبيع المرجو من الإسرائيليين .

ثم إن التطبيع بالإضافة إلى كونه كان أملاً وهدفاً لكسر الحصار الاقتصادى حول إسرائيل، فإن واقع الاقتصاد الإسرائيلى فى السنوات السابقة على التسوية جعله ضرورة، استناداً إلى المصادر الإسرائيلية ذاتها، ولقد أشار د/جلال أمين عام 1982 فى بحثه القيم عن "محنة الاقتصاد والثقافة فى مصر إلى " أن فتح أسواق جديدة للتصدير قد أصبح مطلباً ملحاً وعلى أكبر قدر من الأهمية من مطالب السياسة الإسرائيلية"، وأن فتح السوق المصرية بالذات يحمل بالنسبة للسياسة الاقتصادية الإسرائيلية أهمية متميزة، وعدَّد عوامل إغراءات السوق المصرية بالنسبة للاقتصاد الإسرائيلى.

* سوف نقوم بتخصيص بابا كامل هو الباب الثانى من هذه الموسوعة للتطبيع الاقتصادى ، وما نقدمه هنا مجرد إشارة عامة فى سياق الحديث عن التطبيع فى إطار اتفاقية كامب ديفيد والتزاماتها فى سنوات التطبيع الأولى.

والتطبيع الاقتصادى – فى الفكر الإسرائيلى هو السبيل لاختراق بنيان الاقتصاد العربى كله، والحيلولة دون إمكانية قيام تنسيق أو تكامل اقتصادى عربى خالص بين دول هذه المنطقة، كما أنه ضرورة لتعزيز السلام، بقدر ما هو حاجة من احتياجات الاقتصاد الإسرائيلى، وإذا كانت الضمانات الأمنية، ونزع السلاح، والتعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة تمثل الضمانات اللازمة لفرض السلام، فإن التدفق الحر للسلع والأفكار هما وحدهما الدعامتان القادرتان على تعزيز التسوية، وإكسابها الصيغة الوحيدة المقبولة وفقا للمفهوم الإسرائيلى.

وقد نجحت إسرائيل – خلال الممارسة– إلى فرض التطبيع الاقتصادى، من خلال الإطار السياسى كجزء لا يتجزأ من معاهدة السلام، ففرضت المبدأ فى اتفاقية الإطار فى كامب ديفيد، ثم أكدته ضمن بنود معاهدة السلام بواشنطن، كما فصلت عناصره فى الملحق الثالث للمعاهدة (انظر : نصها فى نهاية هذا الفصل) ، ولم تترك للجان الاقتصادية الكثير مما يمكن أن تقوم به.

فقد تضمنت "معاهدة السلام" اتفاق الطرفين على أن "العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية" ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى ضد حرية انتقال الأفراد والسلع.." .

كما فصل الملحق الثالث للاتفاقية، الأحكام العامة لتحقيق هذا الهدف، وعالج العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والعلاقات الاقتصادية والتجارية والعلاقات الثقافية، وحرية التنقل، والتعاون فى سبيل التنمية وحسن الجوار والتنقل والمواصلات، والتمتع بحقوق الإنسان، والمياه الإقليمية..

* وقد حدد الاتفاق فترة زمنية لا تتجاوز ستة أشهر بعد الانسحاب المبدئى ، لكى يدخل الطرفان فى مفاوضات من أجل توقيع اتفاقات تطبيع فى المجالات الاقتصادية والتجارية والثقافية، والنقل والمواصلات، ولم يحدد حدا أقصى

للمدى الزمنى للانتهاء من هذه المفاوضات والتوصل إلى الاتفاقات المطلوبة حتى يظل الحوار والتفاوض فى هذه المسائل متصلاً دون انقطاع.

* وقد صدر فى كل من مصر وإسرائيل فى أعقاب الانسحاب الإسرائيلى المبدئى قرار بإنشاء "لجنة عليا للتطبيع" فى كل بلد على حدة، تولى رئاسة اللجنة الإسرائيلية "عيزرا ويزمان" وزير الدفاع، بينما تولى رئاسة اللجنة المصرية فى البداية د/ بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية، ثم تولاها بعده الفريق كمال حسن على وزير الدفاع، وأنيط بهما توجيه مفاوضات التطبيع، وانبثقت عن اللجنة العليا للتطبيع بين يوم وليلة سبع لجان فرعية تختص بموضوعات الثقافة والتجارة والسياحة والمواصلات والنقل الجوى والبرى والطيران والزراعة، وقد استغرقت مفاوضات "تطبيع العلاقات" بين مصر وإسرائيل نحو ثلاثة أشهر، ثم خلالها التوصل إلى تسع اتفاقيات، بمعدل اتفاقية واحدة كل عشرة أيام، وقد صدقت حكومة إسرائيل على اتفاق الطيران فى 1980/6/1، بينما لم تحله الحكومة المصرية لمجلس الشعب إلا بعد أكثر من عام، وذلك فى شهر أبريل 1981. وتضمنت اتفاقات النقل البرى والنقل البحرى والمواصلات والاتصالات تسيير خط أتوبيس مشترك بين مصر وإسرائيل ، والاتفاق على مد خط سكة حديد عبر سيناء بينهما.

كما جرى التوقيع على الاتفاقية التجارية بالأحرف الأولى فى القاهرة فى 1980/4/20، وتتكون الاتفاقية من 11 مادة أهمها تطبيق مبدأ "الدولة الأولى بالرعاية" بين كلتا الدولتين، وإن كانت المادة الثالثة من الاتفاقية قد استثنت من تطبيق هذا المبدأ ثلاث حالات هى : التفضيلات الناجمة عن انضمام أى من الطرفين إلى اتحاد جمركى أو منطقة تجارة حرة حاليا أو مستقبلا، أو تلك الناجمة حاليا أو مستقبلا عن الترتيبات متعددة الأطراف التى تهدف إلى تأسيس أو استكمال إقامة أى شكل من أشكال التكامل . وتقضى الاتفاقية التجارية بتشكيل لجنة اقتصادية مشتركة بين ممثلى مصر وإسرائيل، تجتمع مرة

واحدة كل عام وبالتناوب. وتختص هذه اللجنة بمراجعة سير وتنفيذ الاتفاقية واستعراض تطور التجارة وانسياب السلع بين مصر وإسرائيل، والتشاور وحل المشكلات التى قد تنشأ عن وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ ، وقد صادقت عليها الحكومة الإسرائيلية فى 1980/6/1 بينما لم يصادق عليها مجلس الشعب إلا فى 1981/3/30. وقد انتهى التنسيق والتعاون التجارى بين كل من البلدين إلى توقيع اتفاقية أو بروتوكول الكويز فى 14 ديسمبر 2004 ، ولم تقبل الحكومة المصرية مجرد طرحه للمناقشة فى مجلس الشعب المصرى، أو عرضه للموافقة والتصديق عليه وفقا لأحكام الدستور المصرى، وتعللت الحكومة بأن الاتفاقية مجرد بروتوكول قام به بعض رجال الأعمال المصريين فى إطار الاتفاقية التجارية والمعاهدة المصرية الإسرائيلية.

وفى مجال النقل الجوى ، فقد جرى توقيع الاتفاقية المؤقتة للطيران والنقل الجوى بين مصر وإسرائيل فى منتصف فبراير 1980، وكذلك فى مجال النقل البرى ، تم تسيير أول خط للنقل البرى بين القاهرة وتل أبيب فى 18 أبريل 1982 بالمشاركة بين " شركة شرق الدلتا" فى مصر وهى شركة قطاع عام وشركة أجد الإسرائيلية ، وتقتسم الشركتان أرباح التشغيل مناصفة، وفى مجال النقل البحرى، افتتحت شركة "زيم" البحرية الإسرائيلية مكتبا لها بمصر ، وفى أثره بدأت فى تشغيل خط منتظم بين أشدود وحيفا والاسكندرية، كما افتتحت الشركة خطا ملاحيا لها بين الولايات المتحدة ومصر ، ثم جرى افتتاح خط ملاحى يربط بين مصر وإسرائيل وقبرص واليونان.

وفى مجال الاتصالات ووسائل الاتصال، تم فى 1980/5/8 افتتاح خط اتصال تلغرافى مباشر بين مطار بن جوريون ومطار القاهرة لخدمة أغراض الطيران. كما تم الاتفاق فى 1981/9/13 على إنشاء كابل خط تليفونى مباشر عبر سيناء يربط إسرائيل ومصر ، كما بدأ نقل البريد مباشرة بين البلدين اعتبارا من أول أبريل 1982، وقد تضمن الاتفاق تبادل الدولتين معارض الطوابع

الدوليـة، وتبـادل الـدورات الدراسـية والتدريسـية، ودراسـة إمكانيـة قيـام تعـاون وخدمات متبادلة فى البريد بين مصر وإسرائيل.

وقد وقع الاتفاق التقنى والزراعى فى تل أبيب فى 1980/3/24، وقد أصبح سارى المفعول فور توقيعه، حيث صيغ فى شكل مذكرة تفاهم، وقد شمل الاتفاق ما يلى:

• تعاون مصر وإسرائيل فى مجال البحث التطبيعى فى جميع مجالات الزراعة بما فى ذلك تبادل الخبرة والعلماء.

• تبادل البعثات الدراسية بالنسبة للخبراء، وإعداد دورات تعليمية وتدريبية مشتركة.

• تعاون مصر وإسرائيل فى مجال تطوير زراعة الخضروات والفواكة والتوابل والنباتات الطبية وغيرها.

• تعاون الدولتين فى مجال الخدمات البيطرية ووقاية النباتات ، والعمل سويا فى تنظيم وإدارة مزارع لتربية الدواجن، وإنشاء حظائر للمواشى، بما فى ذلك التلقيح الصناعى.

• تنظيم تعاونيات زراعية لإنتاج وتسويق منتجات زراعية.

• تنشيء الدولتان بالتعاون فيما بينهما ثلاجات ومعامل تعبئة وتغليف ومعامل لحلج القطن ومسالخ آلية، وغير ذلك. مع إقامة لجنة دائمة لمتابعة هذا الإنفاق.

***

وفى الاتفاق السياحى، الذى ينص على تشجيع حركة السياحة المتبادلة بين مصر وإسرائيل، وبينهما وبين العالم، وتنسيق الدعاية السياحية بينهما، وتنظيم الرحلات الجماعية ، ومنح تأشيرة دخول لكل إسرائيلى يرغب فى زيارة مصر، بالإضافة إلى وضع خاص للسياحة الإسرائيلية فى منطقة دير سانت كاترين، وقد توصلت لجنة المواصلات البرية أثناء اجتماعها فى شهر مارس 1980

إلى اتفاق يسمح للإسرائيليين أصحاب السيارات الخاصة والمزودين بتأشيرات دخول لمصر وترخيصات قيادة دولية، وترخيص حيازة السيارة؛ بالدخول مع سياراتهم الخاصة للأراضى المصرية ولا يسرى الاتفاق على المركبات العامة، ويتوجب على ركابها استبدالها عند الحدود، وفى المقابل يسمح الاتفاق بدخول المركبات المستأجرة للاستعمال الخاص، واتفق على ألا يتجاوز عدد المسافرين 7 أشخاص بما فيهم السائق، ويتوجب على كل سائح إسرائيلى أن يثبت حيازة 100 جنيه مصرى(نحو 140 دولار فى وقت الاتفاق) لدى عبوره نقطة الحدود، كما اتفق على أن يكون الدولار العملة السياحية المستعملة بين البلدين.

* وفى مجال السياحة أيضاً كان قد عبر الطريق البرى بين مصر وإسرائيل– قبل الاتفاقية السياحية– فى شهر فبراير 1980– نحو 386 سائحا اسرائيليا، ارتفع فى الشهر التالى إلى 836 سائحا، ثم تضاعف هذا الرقم بسرعة أضعافا مضاعفة، وخلال عام 1980 زار مصر نحو 25 ألف إسرائيلى، ارتفع خلال 1981 إلى مائة الف سائح. وقد وافقت حكومة مصر فى شهر نوفمبر 1981 على أن يتم التنسيق بين المكاتب السياحية المصرية فى الخارج والمكاتب السياحية الإسرائيلية، فى مجال الدعاية واجتذاب السائحين إلى كل من مصر وإسرائيل، وفى زيارة وزير السياحة المصرى للقدس فى شهر نوفمبر 1981، أعلن وقتها أنه يدرس إمكانية الاستعانة بالخبرة الإسرائيلية فى إدارة المرافق والمنشآت السياحية فى سيناء بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها.

***

* هذا، وربما يكون من أهم ما تم إنجازه لصالح إسرائيل، هو خلق إطار مشترك للتعاون فى مجال المياه والرى. وفى هذا المجال تبدو محاولات إدراج مد مياه النيل لإسرائيل فى إطار التطبيع الاقتصادى هى أخطر المسائل التى أثيرت. وقد استهلكت قدرا كبيرا من النقاش داخل إسرائيل، وداخل مصر أيضا، وفى دول حوض وادى النيل، وناضلت المعارضة المصرية دون تنفيذها. وكان

السادات قد أعلن أثناء زيارته لحيفا أنه يعتزم توصيل مياه النيل التى تروى سيناء إلى صحراء النقب فى إطار التعاون مع إسرائيل، وأن هناك فى الواقع إمكانات أخرى كثيرة ، وأوضح أن ذلك قد يحدث بعد عام 1980 عندما يتم الانتهاء من إنشاء السحارة تحت قناة السويس.

* من هذا العرض الأولى من التطبيع الاقتصادى (والذى سيفصل أكثر فى الباب الثانى) ، نجد أن إسرائيل استفادت أكثر من مصر ، وبخاصة فى مجال استخدام (التطبيع الاقتصادى مع مصر) لاختراق الدول العربية من ناحية ، وتنمية الاقتصاد الإسرائيلى من ناحية أخرى ، مع زيادة النمو العسكرى، وهنا يأتى ذكر التأثيرات السلبية لاتفاقية المناطق الحرة المؤهلة "الكويز" وربط اقتصاد مصر بالاقتصاد الإسرائيلى فى مجالات متعددة من التصنيع والتسويق والتجارة بأسلوب يربط الاقتصاد المصرى بالاقتصاد الإسرائيلى، ويفقد مصر الطبيعة الوطنية الخالصة لشهادة المنشأ فى العديد من منتجاتها، ومما يضعف تماما اتجاهات التكامل الاقتصادى العربى فى إطار منظمة الوحدة الاقتصادية العربية، ومنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى التى دخلت حيز التطبيق اعتبارا من أول يناير/ كانون ثانى 2005. وإذا كان تسلل إسرائيل إلى أسواق الدول العربية عبر طرف ثالث مسألة عانينا منها كثيرا وواجهتها أجهزة المقاطعة العربية دائما؛ فإن مواجهة هذا التسلل – عبر مصر– أمر يختلف تماما فى إطار شبكة العلاقات المصرية العربية، والمزايا التفضيلية مع الدول العربية، وتسهيلات واتفاقات التكامل مع السودان، خاصة إذا ما جرى استخدام مصر كأداة ومخلب لفقدان الهوية العربية الخالصة داخل الاقتصاد العربى، مع جر مصر نحو التبعية للغرب وإسرائيل ، ومحاولة نزع القرار الاقتصادى الوطنى من أيدى أصحابه، ولنكتشف ذلك جليا علينا أن نراجع دور مصر فى إطار الاتفاقيات مع الاتحاد الأوربى، وفى اتحاد دول جنوب المتوسط، وفى عملية برشلونة وفى الشراكة الأورومتوسطية، وفى إطار مشروع الشرق الأوسط

الموسع، تلك الاتفاقيات التى دخلت فيها مصر جميعها بعد التوقيع عام 1978 على اتفاقية كامب ديفيد.

(2) التطبيع الثقافى[*]:

يمثل التطبيع الثقافى الدعامة الرئيسة لبناء السلام فى المنطقة من وجهة النظر الإسرائيلية. وهو لديهم أكثر إقناعا، وأكثر استقرارا من أى ترتيبات أمنية عابرة مثل المناطق المنزوعة السلاح، ووضع جيش أجنبى، وأجهزة الإنذار، وضمانات الدول الكبرى، وهو العامل الحاسم على المدى البعيد، فالصراع يوجد فى وعى الشعوب قبل أن ينتقل إلى أرض الواقع ، والمطلوب من جانب الصهاينة ببساطة ، هو نزع العداء من العقل العربى استكمالا لمحاولة نزع السلاح من اليد العربية. وهى المهمة التى يتكفل بها التطبيع السياسى والأمنى. وفى الفكر الإسرائيلى – ليست هذه بالمهمة المستحيلة، بل هى ممكنة، وسبق أن تحققت نماذج متعددة لها فى المجتمع الدولى، مثل ألمانيا وفرنسا، كذلك الولايات المتحدة واليابان اللتان خاضتا حروبا طويلة ومريرة قبل الحرب العالمية الثانية، ذاب العداء بينهما وأصبح لا يخطر على بال أحد نشوب حرب جديدة بينهما.

ومن وجهة نظر القائم بالتطبيع الإسرائيلى ، فإن كل "عقدة" ولها حلها لدى الإسرائيليين، فإذا كانت مناهج التربية والتعليم السابقة تحض على الكراهية ، فإنه يمكن تغييرها لتشيع قيم السلام. وإذا عاقت الحقائق التاريخية تصفية الأحقاد يمكن تجاهلها والتركيز على الجوانب الإيجابية. موقف الإسلام من اليهود ايضا كان له حل لديهم، فإذا كانت "المفاهيم السلبية" تسود الدين الإسلامى، يمكن إزالتها!!، وهم على استعداد لأن يتبادلوا هذه التغيرات فلا يقصرونها على الجانب المصرى. فهم ينادون بتعديل مناهج التعليم فى إسرائيل

---

* خصصنا الباب الرابع من هذه الموسوعة للحديث بالتفصيل عن التطبيع الثقافى ، وما نقدمه هنا مجرد إشارة عامة فى سياق الحديث عن التطبيع فى إطار اتفاقية كامب ديفيد والتزاماتها فى سنوات التطبيع الأولى.

ايضا كما أشاعوا زيفاً عبر وسائل الإعلام القريبة منهم ، لتعكس "قيم السلام" ويطالبون بتنقية الآداب والتراث عندهم لإزالة المفاهيم السلبية، وكل شيء ممكن تغييره وتعديله، وكل شيء يجوز التفاهم حوله.. لكن الشيء الوحيد غير الممكن وغير الجائز ، بالنسبة لهم، هو "عدم تقبل المصريين للأساس الأيديولوجى الصهيونى للدولة الإسرائيلية" وذلك أنه يعد من منظورهم، تهديدا وشيكا لإسرائيل. ولا يشفع للمصريين لديهم أن يقبلوا الوجود الإقليمى لدولة إسرائيل والاعتراف بشرعيته، ولا يرفع عنهم اللوم أن يقبلوا التبادل السلعى والانتقال الحر للسلع والأفراد والأفكار مع هذا الكيان الإقليمى، لأنهم ينتظرون الأهم وهو أن يتقبل المصريون والعرب الأساس الصهيونى لدولتهم، ويرون فى إعراض المصريين عن تقبل هذا الأساس الأيديولوجى إفراغا لهم من الشرعية وتهديدا وشيكا لهم، وهذا هو المضمون الثقافى للسلام فى مفهوم المفكرين والمخططين الإسرائيليين، وهو جوهر المشكلة، وهو أيضا جوهر رسالة التطبيع الثقافى بين إسرائيل ومصر، وبين إسرائيل والعرب، وهو الهدف النهائى لتعديل برامج التعليم، والتبادل العلمى والثقافى، بل وتحريف الفكر الإسلامى، وهذه المفاهيم ليست مجرد تعبير عن جناح متطرف فى الفكر الإسرائيلى الصهيونى تجاه التطبيع الثقافى مع مصر. ولكنها مفاهيم ينعقد حولها الإجماع الفكرى فى إسرائيل، ويلتف حولها المخططون وقامت بتنظيرها مراكز بحوث علمية وهيئات أكاديمية. وتدور حول النقاط التالية:

• ضرورة فتح الحدود أمام حركة الناس وتبادل المعلومات والثقافة والعلوم، وأن تكون هناك صلة إنسانية وطبيعة وتلقائية.

• ضرورة مراجعة البرامج الدراسية مراجعة شاملة ، وفحص ما يدرس فى مصر عن إسرائيل، وتحديد ما يجب حذفه من برامج التعليم الحالية، وإضافة المواد الجديدة المرغوب فى تدريسها.

• دراســة البـرامج المتبادلــة فــى وســائل الإعــلام، وعلــى الأخــص الإذاعــة والتليفزيـون، وأن يسـمح كـل جانـب أن يـذيع فـى وسـائل إعـلام الجانـب الآخـر برامج ثقافية عن وثائقه وتاريخه.

• تغيير مواقف الزعماء من ثقافة وتاريخ الجانب الآخر، لما لذلك من تأثير قوى وتعليمى على الجيل. وخاصة إذا ما تداخلت مع التغييرات فى البرامج الإذاعية.

• ضرورة إزالة المفاهيم السلبية فى الأيديولوجية القومية العربية والإسلامية تجاه إسرائيل.

***

* هذا وقد كان العنصر الثقافى واحدا من العناصر الأساسية للمفاوضات بين إسرائيل ومصر، وتم تضمينه فى اتفاقية الإطار بكامب ديفيد، جنبا إلى جنب مع ترتيبات الأمن وإنهاء المقاطعة وفتح الاسواق المصرية أمام المنتجات الإسرائيلية. ثم جرى تأكيده وتحديد خطوات المفاوضات بشأنه فى معاهدة السلام وملحقاتها.

وقد تم توقيع الاتفاقية بين البلدين فى القاهرة فى 1980/5/8، وفى أول يونيو 1980 صادقت عليها الحكومة الإسرائيلية، وتقع فى ثمانى مواد تتضمن:

• تشجيع التعاون فى المجالات الثقافية والعلمية والفنية، وتشجيع الاتصالات وتبادل زيارات الخبراء فى المجالات الثقافية والفنية والتكنيكية والعلمية والطبية.

• يسعى الطرفان إلى فهم أفضل لحضارة وثقافة كل طرف من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية، وتبادل المنتجات التكنيكية والأثرية، تبادل الأعمال الفنية، وتشجيع إقامة الأعمال الفنية، وتشجيع إقامة المعارض العلمية والتكنولوجية،ومعارض الفنون البصرية.

• تبادل برامج الإذاعة والتليفزيون والتسجيلات والأفلام الثقافية والعلمية.

• تسهيل زيارات العلماء والدارسين والباحثين إلى المتاحف والمكتبات والمؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية والتكنيكية.

• الانفاق على عمل بروتوكول خاص بتناول المتطلبات الضرورية لمعادلة الشهادات والدرجات التى تمنحها المؤسسات التعليمية لدى الطرفين.

• تشجيع الأنشطة الرياضية بين الشباب والمؤسسات الرياضية لدى الطرفين.

• يعين الطرفان – لغرض تنفيذ الاتفاقية– ممثلين لتبنى برامج تنفيذية دورية، على أن تتم الاجتماعات بالتناوب لدى الطرفين.

وفى إطار هذه الاتفاقية تم توقيع عدد من البروتوكولات التنفيذية فى المجالات المختلفة، منها الاتفاق بين ممثلي وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية وممثلي المجلس الأعلى للشباب والرياضة المصرى، فى 25 فبراير 1981 بشأن تبادل الوفود الشعبية، وينص على زيارة وفود من الشباب المصريين لإسرائيل، ويحضر فى الوقت ذاته إلى مصر وفد من الشباب الإسرائيلى، وكذلك فى بداية عام 1982 جرى التوقيع بين إدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية المصرية والسفير الإسرائيلى فى القاهرة موشيه ساسون، على بروتوكول إنشاء المركز الأكاديمى الإسرائيلى ليكون بمثابة قناة للاتصالات مع المؤسسات التربوية والعلمية الإسرائيلية". وفى 28 يناير 1982 تم الاتفاق فى القدس بين وفد الإذاعة المصرية ووفود من وزارة المواصلات فى إسرائيل على منع التشويش المتبادل على الإرسال التليفزيونى، على أن يتم تطبيق هذا الاتفاق تدريجيا ، بحيث يتم تطبيقه كاملا فى أكتوبر 1982.

وفى فبراير 1982 وقع ممثلو الإذاعة والتليفزيون الإسرائيلية وهيئة الإذاعة فى القاهرة بروتوكولاً لتبادل البرامج والتسجيلات والأفلام والمسلسلات.

وحينما أبطأت الحكومة المصرية فى حركتها وعلاقاتها مع إسرائيل عقب غزو لبنان، سارعت إسرائيل باتهام مصر بخرق معاهدة السلام، وهو ما أثقل – وقتها – عاتق مصر بالتزامات أكثر مما تحتمله أحكام المعاهدة، التى وضعت

فى مرتبة تفوق وتختلف عن غيرها من الاتفاقيات التى تنظم علاقات مصر الثقافية مع سائر الدول الأخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه من بين الاتفاقات التسع للتطبيع، والتى وقعت فى مايو 1980 لم يتم تصديق المؤسسات الدستورية فى البلد إلا على هذه الاتفاقية واثنتين أخريين فقط (النقل البحرى والتجارة) بينما اعتبرت باقى الاتفاقيات نافذة فور توقيعها، الأمر الذى يعكس حجم الاهتمام الإسرائيلى بهذه الاتفاقية ورغبة الإسرائيليين فى إكسابها ثقلا شعبياً أكبر بالحصول على تصديق الهيئة التشريعية عليها.

ويظل الأمر الأهم من النصوص هو المفاهيم التى تقف وراء هذه النصوص، والحقائق التى تنبثق عنها تلك النصوص، وهى مفاهيم تتجاوز الرغبة فى إزالة العداء وتمهيد الطريق للتفاهم، حيث الكيان الصهيونى كان يرى فى تلك السنوات الأولى من التطبيع أنه دون تقبل الأساس الأيديولوجى الصهيونى لإسرائيل– كما هو معلن– فإن ذلك يعتبر تهديدا وشيكا لها. إسرائيل كانت ترمى من خلف فرض هذا الأساس الأيديولوجى (الصهيونى) اكتساب شرعية كانت تفتقدها وهو أساس لا يدوس فى طريقه فقط دماء الشهداء مع تراث الجهاد والمقاومة بل ويهدد أيضاً المستقبل لمصر وأمنها القومى وهو عين ما جرى بعد (1979) وحتى (2011).

<u>(3) ثقافة التطبيع .. وتزييف الوعى:</u>

ونعنى هنا بثقافة التطبيع ، تلك الثقافة التى اصطنعتها – الحكومة المصرية وأجهزتها وإعلامها لخدمة التطبيع بين مصر وإسرائيل، وتلك التى أفرزها منهج التطبيع، وقد حرصنا على أن نعالجها بشكل مستقل عن التطبيع الثقافى، رغم الإطار المشترك لهما حرصا على إبراز أهميتها وإظهار ما تمثله من مخاطر على البنيان الثقافى والفكرى فى مصر ، ذلك أن إجراءات التطبيع الثقافى وهياكلها ونشاطاتها تنطلق من موقع يستطيع أن يميزه "المتلقى" لهذه الثقافة،

ومن ثم يستطيع أن يميز أهدافها وأن يحدد موقفه منها بوعى صادق، ومهما كانت الصياغات الفكرية المطروحة فى هذا الإطار، ومهما كانت جاذبية المنطق الذى تتبناه، أو محاولة خلط الأمور. فإن هناك حصانة مسبقة تجاه الآراء الوافدة من هذا الاتجاه أو المنبثقة من نشاطاته تسمح لصاحبها – مهما كان موقعه الفكرى، أو نصيبه من الوعى– فإنه يمكن له أن يفحص هذه الأفكار قبل أن يأخذ منها أو يرفضها، وقبل أن تترسب فى ذهنه فى شكل قناعات مستقرة. لكن المشكلة تصبح خطيرة عندما يكون منتج هذه الثقافة من الداخل، من بيننا، سواء عن قصد بهدف خدمة أغراض سياسية، أو تمشيا مع الموجة –كما يقولون – أو حتى استغلالا للفرصة لإعادة ترويج مفاهيم سابقة– سبق أن التقى الإجماع الوطنى أو القومى على رفضها – ففى مثل هذه الحالة تختلط الأمور، وتتسع مساحات الشك، على حساب اليقين، ويتم إبهام كثير من القناعات الثابتة التى كانت قد ارتقت إلى مستوى المسلمات، ونقترب من مواطن الزلل بدون وعى أو بوعى زائف .

وصارت المشكلة هنا ليست هى فقط فيما إذا كانت القناعات السابقة كلها على صواب أم لا ، وما إذا كانت المقولات الجديدة كلها على خطأ أم لا ، بل المشكلة تكمن أيضا فى محاولة زعزعة المفاهيم القائمة .

والمشكلة الأخرى هنا أيضا، هى أن إخضاع القيم الثقافية لأهواء التقلبات السياسية، إنما هو سلاح ذو حدين، ليس فقط لأنه يوسع من فجوة عدم التصديق، ولكن لأنه يمكن أن يقضى فى النهاية على القيم الثقافية والمصالح السياسية معا، فالقيم الثقافية بطبيعتها أكثر رسوخا وثباتا من المتغيرات السياسية التى تتسم بقدر من المرونة. ولا شك أن مباغتة القيم الثقافية بإقحام عناصر متنافرة ومتناقضة على بنيانها يمكن أن يؤدى إلى تقويضها دون أن يدفع بها بالضرورة نحو الأغراض السياسية المستهدفة.

ونقدم هنا وبإيجاز وعلى سبيل المثال، لثلاث قضايا تطبيقية ، كنماذج لقضايا عديدة مماثلة (سيتم تفصيلها فى الباب الرابع : باب التطبيع الثقافى) ، جرت محاولة تغيير مضمونها من خلال اختراقها بالتطبيع، وتشمل هذه النماذج نموذجا لمحاولة توظيف العلم فى خلق مضمون جديد للصراع، وهى محاولة توظيف علم النفس فى تعديل صيغة الصراع العربى/ الإسرائيلى، ويتعرض النموذج الثانى لمحاولة توظيف الثقافة الوطنية لتعديل التوجه السياسى لمصر، ليتفق مع الاتجاهات الجديدة وخدمة العلاقات المصرية الإسرائيلية، ويتعرض النموذج الثالث لمحاولة خلط العقائد، وكيف أن ثقافة التطبيع التى تلهث وراء الاتجاهات السياسية الجديدة لا تتورع عن ملاحقة الناس فى معتقداتهم الدينية الراسخة.

وفيما يلى إشارة موجزة لكل قضية من تلك القضايا التى سيتم التفصيل بشأنها فى الباب الرابع من هذه الموسوعة :

أ – طرح مضمون جديد للصراع :

كان العمل الأخطر فى ثقافة التطبيع، هو إعادة النظر فى الصياغة الفكرية للصراع العربى الإسرائيلى. فالزيارة "التاريخية" لم تكن تتسق مع المنطلقات الفكرية السابقة لمفهوم الصراع، ولم تكن تتفق أيضا مع البنيان الفكرى والثقافى السائد فى الساحة المصرية حتى تلك اللحظة، رغم التهيئة التى كانت تتم منذ بداية السبعينات لتصفية الصراع. وقد جاءت إشارة البدء فى إعادة الصياغة هذه من جانب السادات شخصيا إذ استخدم مصطلح "الحاجز النفسى" عندما أعلن عن عزمه زيارة القدس، ثم تبلورت فى خطابه بالكنيست الإسرائيلى فى 20 نوفمبر 1977، حيث ذكر أن هذا الحاجز يمثل 70% من المشكلة بين العرب والإسرائيليين وكان هذا الطرح من ضرورات الزيارة، فطالما أن 70% من الصراع بسبب مشكلات نفسية، فإن زيارة لإسرائيل لتحطيم هذا الحاجز النفسى بكل ما يكتنفها من مشكلات وصعوبات، ربما تعد عملاً رياديا يفتح

آفاقا جديدة للحل ، ويكسر الحلقة المفرغة التى تدور فيها القضية، ويساعد على إيجاد مخرج سلمى لشعوب المنطقة من سلسلة العنف وردود أفعالها.

* لكن هذا الطرح الفكرى لم يكن مجرد تبرير لزيارة السادات للقدس، ولم يكن جدياً كل الجدية، ولكن كان استحداثه فى الرأى العام المصرى هو الجديد. وقد عولج هذا الموضوع فى مصر على أكثر من مستوى، فعقدت الندوات والمؤتمرات وتأسست البحوث المشتركة مع المؤسسات الأوروبية والأمريكية ، كما عولجت الفكرة إعلاميا من خلال الصحف اليومية والدورية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وشارك فى هذا الاتجاه فريق متناسق ، تولاه على المستوى السياسى السادات شخصيا فى خطاباته، ومناقشاته، واحتلت فيه (مجلة أكتوبر) مكان الصدارة، وشاركتها الصحف اليومية الثلاث بدرجات متفاوتة، وإذا كانت المعالجة السياسية والإعلامية للموضوع قد غلب عليها الطابع السياسى، واستطاع كل طرف أن يدلى فيها بدلوه بغير عناء، وهو ما حدث بالفعل بين الحكومة والمعارضة، فإن المشكلة كانت فى الانعكاس الإعلامى لمعالجة الموضوع على المستوى العلمى، ففى هذا الإطار كان يجرى توظيف علم النفس توظيفا سياسيا بما يضفى طابع القداسة العلمية على وجهات نظر سياسية هى بطبيعتها خلافية، وأفسح المجال لإعلاء وجهات نظر دون أخرى يتردد إزاءها غير المتخصصين، ويترسب – فى النهاية– فى وجدان الرأى العام قناعات تكاد تتطابق مع ما يردده الإسرائيليون أنفسهم.

* إن خطورة القضية هنا، هى فى الأهمية التى تعطى للجانب النفسى على حساب جوانب تفوقها فى الأهمية فى مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى، فعندما يكون هناك أرض محتلة وصراع على تحرير الأرض، فلا يمكن أن يعد العامل النفسى عاملا أساسيا، ذلك لأن أساس وأصل الحقد والكراهية هو الاغتصاب لحق الغير والمنطلق من عقيدة عدوانية راسخة، وهذا هو أصل الداء، وهناك مغالطة أخرى فى هذا المنطق وهى المساواة بين المعتدى والمعتدى عليه عند

استخدام ما يسمى بالطب النفسى، والإسرائيليون والأمريكيون يستخدمون هذه المغالطة كسلاح من أسلحة القهر والخديعة الأساسية. ولقد كان الهدف الرئيس للنشاط الثقافى فى تلك المرحلة ، هو تسلل للفكر الصهيونى، بهدف القضاء على وعى الأمة العربية الذى اكتسبته من خلال الممارسات النضالية ضد الصهيونية والاستعمار ، وتصوير هذا الوعى بأنه نوع من المرض النفسى.

ب – هوية مصر:

وقد انطلق فى أعقاب زيارة السادات للقدس، طرح ثقافى يتعلق بهوية مصر، والدعوة إلى حياد مصر، بتراثها الحضارى العريق، مع رفض دعوة القومية العربية، على أساس أنها دعوة عنصرية من ناحية، وعلى أساس أن مصر لها قوميتها المصرية المنفردة من ناحية أخرى. بل وشكك البعض فى اعتقاد أن هناك قومية أو أمة عربية واحدة، بل وأن الحديث عن مثل هذه الأمور من قبيل الأوهام والأساطير، وأصبح المجتمع المصرى فى مواجهة مع أكثر من قضية أساسية تضم تحديدا قضايا : (حياد مصر، ومسألة القومية العربية ، وهوية مصر) وصار الحوار حول تلك القضايا متواصلا، واحتدم بشكل خاص بعد توقيع "معاهدة السلام" وبدء الدول العربية إجراءات مقاطعة مصر.

وتجسدت قمة المأساة فى نص البرقية التى بعث بها الكاتب "توفيق الحكيم" فى 7 مايو 1979 والتى قال فيها للسادات : "تحية لموقفكم الراسخ أمام الأقزام. لقد أفزعهم صلح الفئتين المتحضرتين بعد اطمئنانهم لضعف مصر لتذل تحت أقدامهم. مالهم وجهلهم سر المقاطعة والتخريب. وخوفهم من قوة مصر بعد الصلح ؛ لأنهم يريدونها منهكة القوى بالحرب لتستنجد بهم وتتملقهم فيحتقروها. فإلى الأمام نحو الكرامة والحضارة. وخطوة من المتحضرين تقابلها بخطوتين. ولن ترجع مصر مع المتخلفين للوراء، فالتقدم دائما والمجد لمصر المتحضرة" (الأهرام 1979/5/7). ثم تلى ذلك إصداره لكتابه الشهير (عودة الوعى) الذى

دعا فيه للتطبيع وللبعد عن العرب والاكتفاء بفرعونية مصر كانتماء تاريخى !!
.

ج – محاولة خلط العقائد:

فى سنوات التطبيع الأولى طرح السادات فى 6 أغسطس 1980 فكرة مجمع الأديان، التى تهدف إلى إقامة مجمع يضم مسجدا إسلاميا، وكنيسة مسيحية، ومعبدا يهوديا، وأعلن عن فتح باب المساهمة فى إقامة هذا الرمز الوهمى والمفتعل لحوار الأديان، وكان من المقرر أن يوضع حجر أساس المشروع فى 19 نوفمبر 1981 بمناسبة مرور ثلاث سنوات على زيارة السادات لإسرائيل، وقد قبرت هذه الفكرة مع اغتيال السادات. وكانت هذه الفكرة قد واجهتها اعتراضات فقهية إسلامية تتعلق بتناقض مفهوم إقامة المجمع مع اعتبار رسالة الإسلام خاتم الرسالات، وتتويجا لتطور الرسالات السماوية السابقة وفقا للنصوص القرآنية.

وانتهت هذه الفكرة لتظل شاهدا على زمن الإبهام والخلط، ومحاولة مكشوفة للتغطية على العدوان الإسرائيلى الأمريكى باسم (السلام) الذى تشارك فيه مصر حتى ولو اقتضى الأمر خلط العقائد ذاتها.

ولم يأبه نظام السادات – ومن بعده مبارك– لكل التحذيرات والاعتراضات التى أصدرتها الهيئات والمؤسسات الثقافية والسياسية عن مخاطر التطبيع الثقافى، ولم يكتف بالتهوين من هذه التحذيرات والسخرية منها ومن طارحيها، بل كان على العكس من ذلك ؛ حيث واجهها بتحد واستهزاء واضح من المفكرين والساسة الوطنيين المصريين.

ولم تتوقف استجابة نظام السادات عند حدود "التقبل" أو "التشجيع" التلقائى للتطبيع الثقافى، كما لم تقتصر ملاءمات الواقع الثقافى لديه مع الانفتاح تجاه إسرائيل على مراجعة الأطر التعليمية وحدها، بل شملت كل الأطر الثقافية والتربوية التى تمتلكها الدول أو تخضع لنفوذها، وشهدت وسائل الإعلام

المصرى : المقروءة والمسموعة والمرئية تغيرات مماثلة، ولم تنج منابر المساجد الخاضعة لإشراف وزارة الأوقاف من هذه الظاهرة أيضا، حيث جرى تشبيه معاهدة السلام "بصلح الحديبية" وأمليت كثير من الاجتهادات والتفسيرات على الوعاظ وأئمة المساجد، وكل ذلك لمد جذور "الثقافة الجديدة" فى أرض التاريخ المصرى.

ولم يكتف النظام فى سنوات التطبيع الأولى بخلط كل هذه الأوراق، بل وتصدى للمحاورين حولها، ولذات السبب بدأ يخرس كل الأصوات الناقدة والمحاورة، وبدأ فى مصادرة الصحف، وإصدار سلسلة القوانين سيئة السمعة، المقيدة للحريات، وحاصر أغلب المؤسسات الثقافية والحزبية والمهنية والنقابية، والمؤسسات الأكاديمية والتربوية ، والمنابر الدينية لكى يسكت بخشونة كل صوت وطنى مخالف. وانتهى به الحال بأن جمع قادة ورموز المعارضة كلهم فى ليلة واحدة ، وأسكنهم السجون فى 1981/9/5 والذى تلاه بعد شهر واحد إنهاء حياة السادات ذاته ، نتيجة أخطائه واستبداده وعلاقاته بإسرائيل .

***

4 – القيود العسكرية التى فرضتها (معاهدة السلام) فى سيناء (*) :

من أهم الآثار العسكرية والسياسية السلبية لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية هو تلك القيود التى فرضتها على حركة الجيش المصرى فى سيناء والتى من أبرز ما أوردته هو ؛ المادة الثانية من معاهدة (السلام) المشهورة إعلامياً بـ(كامب ديفيد) والتى جاء فيها :

تحديد الخطوط النهائية والمناطق

1 – بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلا الطرفين بعد الانسحاب النهائي فإن الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (1) يتم إنشاؤها وتنظيمها على الوجه التالي:

---

* انظر : النص الكامل لاتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام كملحق فى نهاية هذا الفصل .

أ – المنطقة "أ"

(1) المنطقة "أ" يحدها من الشرق الخط "أ" (الخط الأحمر) ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقي لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (1)

(2) تتواجد في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة

ومنشآتها العسكرية وكذا تحصينات ميدانية.

(3) تتكون العناصر الرئيسة لهذه الفرقة من:

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية،

(ب) لواء مدرع واحد،

(جـ) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى 126 قطعة مدفعية،

(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض/جو وحتى 126 مدفعاً مضاداً للطائرات عيار 37 مم فأكثر،

(هـ) حتى 230 دبابة .

(و) حتى 480 مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع

(ز) إجمالي حتى 22 ألف فرد.

ب – المنطقة "ب":

(1) المنطقة "ب" يحدها من الشرق الخط "ب" (الخط الأخضر) ومن الغرب الخط "أ" (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطة رقم (1).

(2) توفر الأمن في المنطقة "ب" وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة، وتتكون العناصر الرئيسة لكتائب الحدود الأربع من إجمالي حتى 4000 فرد.

(3) يمكن إقامة نقاط إنذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحدات الحدود على ساحل هذه المنطقة.

(4) تنشأ في المنطقة "ب" تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع.

جـ - المنطقة "جـ":

(1) المنطقة "جـ" يحدها من الغرب الخط "ب" (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (1).

(2) تتمركز في المنطقة "جـ" قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط.

(3) تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة.

(4) توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة "جـ" وتؤدي وظائفها المحددة في المادة السادسة من هذا الملحق.

(5) تتمركز قوات الأمم المتحدة أساسا في معسكرات تقبع داخل مناطق التمركز التالية والموضحة على الخريطة رقم (1). على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر:

(أ) في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق 20 كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية.

(ب) في منطقة شرم الشيخ.

د – المنطقة "د":

(1) المنطقة "د" يحدها من الشرق الخط "د" (الخط الأزرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (1).

(2) تتواجد في هذه المنطقة قوة إسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الأمم المتحدة.

(3) لا تتضمن القوة الإسرائيلية في المنطقة "د" دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ فردية أرض/جو.

(4) تتضمن العناصر الرئيسة لكتائب المشاة الإسرائيلية الأربع حتى 180 مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع وإجمالي حتى 4000 فرد.

(5)- يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقا للقوانين والنظم المعمول بها في كل دولة.

(6) - تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والأسلحة المسموح بها والمحددة في هذا الملحق.

* إن هذا التوزيع للقوات والتقسيم الجيوستراتيجى لسيناء للمناطق (أ- ب - ج - د) ، كما سبق وأشرنا - جعل السلطة الأعلى عسكرياً فى يد الإسرائيليين ، وفرغ سيناء تماماً من القوة المصرية وأضر - كما ظهر مستقبلاً - بالأمن القومى المصرى طيلة سنوات التطبيع الممتدة من (1979) حتى اليوم .

***

<u>خامساً : التطبيع من وجهة نظر (إسرائيل) :</u>

من المفيد - علمياً - أن نرى كيف كان ينظر الكيان الصهيونى للتطبيع وكيف عمل بدأب لترسيخ قواعده السياسية والاقتصادية والثقافية مثلما رأينا التطبيع من الجانب المصرى ، ولعل البحث والقراءة النقدية فى مذكرات سفراء إسرائيل فى مصر يفيد أكثر من غيره فى تبيان هذا الجانب ، وهنا نتوقف أمام أهم سفيرين خلفا مذكرات عن مرحلة عملهما فى مصر الأول : هو (موشيه ساسون) والثانى : هو (ديفيد بن سلطان) فماذا عنهما وعن رؤيتهما للتطبيع من وجهة النظر الإسرائيلية ؟ وكيف وظفا تلك القضية لصالح بلدهم التى هى الطرف الآخر العدو لمصر وللمنطقة ؟ . نتناول ذلك عبر ثلاثة محاور بيانها كالتالى :

المحور الأول : الإطار العام لمذكرات ساسون وديفيد بن سلطان :

* فى البداية يحدثنا التاريخ أنه بعد شهور من توقيع اتفاقية الصلح بين النظام المصري والكيان الصهيوني في مارس 1979م، بدأ الجانبان تبادل السفارات والبعثات الدبلوماسية، وكان إلياهو بن إليسار هو السفير الإسرائيلي الأول في مصر. وصل القاهرة في فبراير 1980م، في اليوم نفسه الذي وصل فيه أول سفير للنظام المصري في الكيان الصهيوني. ولكنه لم يمكث فيها طويلاً فبعد خمسة عشر شهراً، وتحديداً في مايو 1981م، أرسلت إسرائيل سفيرها الثاني موشيه ساسون، وهو ابن اليهودي الصهيوني السوري الأصل إلياهو ساسون، الذي هاجر بأسرته من دمشق إلى القدس في سنة 1927م، حيث صار عضواً بالدائرة العربية للوكالة اليهودية، ثم رئيساً لها منذ سنة 1933م وحتى إعلان الدولة الصهيونية في مايو 1948م، وفي السنة نفسها التحق بالسلك الدبلوماسي في الكيان الصهيوني، وعمل سفيراً له في تركيا وإيطاليا وسويسرا، وفي أواخر حياته رُشح ليكون رئيساً للكيان، ثم ما لبث أن مات مقعداً في سنة 1978م.

وقد سار الابن (موشيه) في حياته العملية على خطى والده، فعمل في خدمة الاستخبارات الإسرائيلية، والتحق بالسلك الدبلوماسي سفيراً للدولة الصهيونية في إيطاليا، وتركيا، قبل أن يقع عليه الاختيار ليكون سفيراً في القاهرة.

لا يمكن التعامل مع مذكرات موشيه ساسون بالمعايير العلمية أو الأكاديمية، فما قدمه الرجل فيها لا يعدو "الحكايات" والذكريات، التي اتسمت بالمبالغة في كثير من الأحيان، وركز فيها على ترسيخ انطباعين، أحدهما : متعلق به شخصياً، وهو التأكيد على براعته وحنكته في العمل الدبلوماسي وإخلاصه لـ"السلام مع مصر"، والآخر : هو البرهنة على أن الشعب المصري يرحب بالصلح والتطبيع مع الكيان الصهيوني، لولا أن النظام المصري قد سار في

اتجاه تجميد العلاقات مع الدولة الصهيونية في فترة الثمانينيات، وسمح لوسائل الإعلام المصرية بمهاجمة الكيان الصهيوني !!

حين نقرأ ما كتبه موشيه ساسون في مذكراته (التى صدرت فى كتاب وترجمت للغة العربية تحت عنوان : سبع سنوات فى بلاد المصريين ، دار الكتاب العربى – دمشق – القاهرة 1994) ، نشعر بأننا إزاء شخص مداهن، مدعٍ، يتظاهر بالسمو الخلقي والعاطفي، ويحرص على أن يبدو في صورة اليهودي المتدين المحب للسلام، ولمصر وأهلها، ورغم هذا تبقى للمذكرات أهميتها في أن الرجل شهد السنوات الأولى من جهود التطبيع بين النظام المصري والدولة الصهيونية، حيث كانت حماسة الطرفين في ذروتها، وأنه تعامل مع كلا الرئيسين: أنور السادات وحسني مبارك، وشهد على ردود الأفعال المصرية في لحظات غير مسبوقة في الصراع العربي الصهيوني، مثل قصف المفاعل النووي العراقي في يونيو 1981م، والغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو 1982م (بل لحظة اغتيال السادات التى سنوردها تفصيلاً لاحقاً) ، وحتى اليوم يظل موشيه ساسون هو أطول السفراء الإسرائيليين عملاً بالقاهرة، إذ قضى بها أكثر من سبع سنوات في الفترة من مايو 1981 حتى يوليو 1988م.

المذكرات الأخرى هي لديفيد بن سلطان، ذلك اليهودي الإسرائيلى المصري المولد، الذي ولد في القاهرة في سنة 1938م، وهاجر مع أسرته للكيان الصهيوني وهو في الحادية عشرة من عمره، حيث درس بالجامعة العبرية بالقدس، ثم التحق بوزارة خارجية الكيان الصهيوني عام 1964م، وعمل سفيراً بمصر وكندا وتركيا. (والمذكرات صدرت فى كتاب يحمل عنوان : مذكرات ديفيد بن سلطان : سفير إسرائيل السابق حول التطبيع مع مصر) .

على عكس موشيه ساسون، حاول ديفيد بن سلطان أن يقدم في مذكراته عن الفترة التي قضاها في مصر رؤية علمية لحال التطبيع بين دولته والنظام المصري، وهذا ما يعطي ذلك العمل قيمته، خاصة أن الرجل تولى مهمته في

القاهرة في الفترة بين عامي 1992م – 1996م، وهي التي شهدت الهرولة العربية تجاه الكيان الصهيوني، في أعقاب توقيع اتفاقية أوسلو في سبتمبر 1993م بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (ياسر عرفات) ورئيس الوزراء الصهيوني آنذاك (إسحاق رابين)، كما شهدت توقيع معاهدة وادي عربة بين النظام الأردني والكيان الصهيوني في أكتوبر من العام التالي، وشهدت العدوان الإسرائيلي على قانا اللبنانية في إبريل 1996م، ووصول بنيامين نتانياهو لرياسة الوزراء في الكيان الصهيوني للمرة الأولى عقب الانتخابات التي جرت في مايو 1996م.

كما يزيد من أهمية مذكرات سلطان أنه اتصل بالعمل الدبلوماسي في مصر قبل أن يصبح سفيراً بها بسنوات طويلة، فقد عمل وزيراً مُفوضاً في السفارة الإسرائيلية بالقاهرة في بداية عقد الثمانينيات، كما شغل لفترة منصب رئيس إدارة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان تمكنه من اللغة العربية مساعداً له في متابعة الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر، ورصد مواقف الأحزاب والنقابات وفئات وطوائف المجتمع المصري من قضية التطبيع. كما أن الرجل بجانب المعلومات التي قدمها عن مشاهير المطبعين المصريين، كشف في مذكراته عن تورط بعض الرموز الوطنية الحالية في التطبيع مع العدو الصهيوني، (لقد ورد اسم د. أيمن نور على سبيل المثال وليس لدينا ما يؤكد صدق أو كذب ادعائه هذا) .

***

يتضح من مذكرات السفيرين ساسون وسلطان أن الإستراتيجية الصهيونية في مسألة التطبيع تقوم على المطالبة بتطبيع شامل في كافة المجالات، حتى العسكرية منها، وأن الصهاينة يرون في التطبيع الشامل مع مصر، وباقي الدول العربية، الضمانة الحقيقية لبقاء الكيان الصهيوني ونجاح مشروعه، إذ إن إقامة علاقات طبيعية وحميمة مع ذلك الكيان تعني أن العرب قد تخلوا بالفعل

عن مشروعات المقاومة، وفكرة إزالة الكيان الصهيوني من فلسطين، وقرروا التعايش معه. وفي ذلك يقول ديفيد بن سلطان:" للقضية [يقصد قضية التطبيع] أهمية كبيرة بالنسبة لنا، لارتباطها باندماجنا في المنطقة، وباحتمال إقامة علاقات جوار سوية ومثمرة،حيث كُتب علينا أن نحيا معاً"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 14). ، ومع تحفظنا على الجملة الأخيرة التي تعكس أماني الصهاينة ببقاء كيانهم، فإن موشيه ساسون أكد على المعنى نفسه في مجمل كتابه.

ومن الملاحظات المهمة التي يوردها ديفيد بن سلطان في هذا السياق:

(1) أشار سلطان إلى أن ساسة الكيان الصهيوني حين عرض عليهم السكرتير العام للأمم المتحدة عقد اتفاقية صلح مع الرئيس السادات، في بدايات حكمه في فبراير من سنة 1971م، لم يطرحوا تطبيع العلاقات كشرط لعقد مثل تلك الاتفاقية، وإنما اكتفوا بطلب: قرار صريح من النظام المصري بإنهاء الصراع مع الكيان الصهيوني، واحترام سيادة الدولة الصهيونية على ما اغتصبته من أرض فلسطين، وسلامتها، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لها. وبحسب كلمات سلطان:" لم يرد في الرد الإسرائيلي أي شيء يخص العلاقات الطبيعية بين الدولتين، أو مواطنيهما، كعنصر أساس في السلام الذي سيتم التوصل إليه" (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 21) ، وقد أشار موشيه ساسون في مذكراته إلى هذا الأمر دون تفاصيل، ومما أضافه في هذا السياق أن موشيه ديان (وزير الحرب الصهيوني آنذاك) رفض إعادة سيناء كاملة لمصر ؛ نظراً لأهمية سيناء استراتيجياً. انظر : مذكرات موشيه ساسون، ص 232-233. وبالفعل أعاد الصهاينة سيناء منقوصة السيادة وفقاً لمعاهدة مارس 1979م.

كان هذا في وقت لا تزال مصر تتجرع فيه آثار هزيمتها في يونيو 1967م، ورئيسها الجديد يجتهد في تثبيت أركان حكمه، أي أن مجمل الموقف المصري في تلك الفترة كان ضعيفاً مقارنة بالفترة التالية للانتصار العسكري المحدود

الذي أحرزته القوات المصرية في أكتوبر 1973م، ولكن المفارقة هي أن مطالبة الصهاينة بالتطبيع كجزء من اتفاقية الصلح، جاءت في أعقاب انتصار أكتوبر، وذلك في "مؤتمر السلام في الشرق الأوسط" الذي عقد في جنيف في ديسمبر 1973م، حيث أكد وزير الخارجية الإسرائيلي في كلمته للمؤتمر على ضرورة ارتباط الصلح العربي مع الدولة الصهيونية بالعلاقات المتبادلة في المجالات الاقتصادية، والتجارية، والثقافية، والسياسية، والتعاون على الأساس الإقليمي.

وهذه المفارقة التي يلفتنا إليها السفير الإسرائيلى تستحق التأمل، فمصر وهي مهزومة كان بإمكانها أن تعقد مع العدو اتفاقاً لا يتضمن فرض التطبيع عليها، ثم حين انتصر جيشها، فُرض عليها التطبيع فرضاً، ورغم أننا نرفض الصلح مع العدو الصهيوني والاعتراف به من حيث المبدأ، فإننا نتساءل عن السبب الذي جعل انتصار أكتوبر يرفع من كلفة الصلح مع العدو، ويجعل التطبيع ركناً أساسياً فيه!!

لقد انتبه سلطان إلى هذه المفارقة، فحاول تفسيرها بأن الرئيس السادات أدرك أن إعادة سيناء مشروطة بالتطبيع، فوافق عليه بعد أن كان يرغب في فصل التسوية السياسية عن التطبيع (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 25).

والتفسير الحقيقي في رأينا هو أن السادات لم تكن لديه رغبة في مواصلة الصراع مع العدو الصهيوني، وأن الصهاينة أدركوا هذه الحقيقة ، حينها لم يكن غريباً أن يشترطوا عليه تطبيع العلاقات، الذي يعني إنهاء الصراع فعلياً، ولم يكن لدى السادات مشكلة في هذا سوى إدراكه أنه ليس من اليسير أن يقنع الشعب المصري بنسيان اغتصاب الصهاينة فلسطين، وعدوانهم على مصر والدول العربية . لهذا نجد سلطان ينقل مقولة السادات لوفد من الأكاديميين الأمريكيين زار مصر في يوليو 1975م:" لا تطالبوني بإقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل، فأنا مستعد لتوقيع اتفاق سلام وأن ألتزم به. لكن من الطبيعي بعد

ست وعشرين سنة من الحروب والكراهية وسفك الدماء ألا أقيم علاقات طبيعية في لحظة، فلنترك للأجيال القادمة حرية التصرف فيما تراه"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 25).

(2) الملاحظة الثانية هي أن بعض الكتاب والساسة المصريين الذين ساندوا السادات في اتجاهه للاعتراف بالكيان الصهيوني، أمثال بطرس غالي، والكاتب اليسارى الراحل محمد سيد أحمد، سبق لهم قبل زيارة السادات للقدس أن دعوا للتصالح مع الكيان الصهيوني والاعتراف به، شريطة أن يندمج ذلك الكيان في الجسم العربي الكبير، وأن "يتعرب" الصهاينة، ويصبحوا جزءا من العالم العربي!! ويفسر سلطان هذه الدعوة بأن (بطرس غالي وسيد أحمد) أرادا أن يبررا استعدادهما للتعايش مع الكيان الصهيوني..

وأهمية هذه الملاحظة التي أبداها السفير الصهيوني في سياق استعراضه لتاريخ مسيرة التطبيع، أن الرجل يكشف كم التدليس الذي يمارسه دعاة الصلح مع العدو الصهيوني، فمن الذرائع التي يسوقونها أن السادات هدف للقضاء على الكيان الصهيوني سياسياً، بعد أن فشل في ذلك عسكرياً، وذلك بتذويب يهود الكيان الصهيوني في الجسم العربي الكبير، يرد سلطان على تلك الفكرة قائلاً : إن مفهوم التعايش لدى الصهاينة هو أن يقبل العرب الدولة الصهيونية بهويتها الصهيونية دون محاولة لتعريبها أو دمجها في الأمة العربية. وقد أصاب الرجل الحقيقة ، فدولة اليهود التي أقيمت في فلسطين، قامت لتحقيق الحلم الصهيوني، ولا يمكن للقائمين على سياساتها أن يتخلوا عن ذلك الحلم، أو يغفلوا عن هذه الحقيقة.

(3) الملاحظة الثالثة : هي أن الإسرائيليين في أعقاب توقيع اتفاقية الصلح مع النظام المصري، كانوا يحلمون بتطبيع شامل لكل المجالات، ورغم أنهم سعوا لذلك بالنص عليه في الملحق الثالث لمعاهدة الصلح، وبالتوقيع مع الحكومة المصرية على عشرات الاتفاقات والبروتوكولات ومذكرات التفاهم التي تغطى

معظم مجالات العلاقات بين مصر والدولة الصهيونية، فقد رضي الصهاينة بأقل من ذلك بكثير، وسعوا للحفاظ عليه، بعد أن تحطم حلمهم – بحسب كلمات سلطان – "على صخرة الواقع الصلبة"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 28).وبالطبع لم يقل سلطان : إن هذه الصخرة هي صخرة الرفض الشعبي المصري للتعامل مع العدو الصهيوني.

الملاحظة نفسها أشار إليها ساسون في مذكراته، وإن أراد أن يوحي أن غالبية الشعب المصري لم تكن تمانع في الوصول للتطبيع الشامل، لولا أن النظام المصري وجزءاً من المثقفين أوقفوا عجلة التطبيع، رداً على بعض الأحداث التي وقعت في السنوات الأولى التالية لاتفاقية الصلح مع العدو الصهيوني(مذكرات موشيه ساسون ص112–123). وطبعاً هذا القول يخالف الواقع سواء الواقع الذى كان يعيش فيه (ساسون) أو الذى تلى رحيله عن مصر كما قرأنا فى هذه الموسوعة من حقائق ووثائق .

***

محددات السياسة المصرية تجاه التطبيع منذ بدايات التطبيع :

لقد توصل ديفيد بن سلطان في نهاية كتابه إلى أن التطبيع يمثل إستراتيجية للنظام المصري، الذي لا يمانع في إقامة علاقات كاملة مع الدولة الصهيونية، شريطة أن يحدث ذلك "في ظل سلام بين إسرائيل وجاراتها، خاصة الفلسطينيين". ورغم ذلك فثمة عقبة أمام ذلك، تتمثل في المخاوف المصرية من الآثار السلبية للصلح الشامل مع الكيان الصهيوني، ومما يخشاه النظام المصري في هذا الشأن أن ترتفع مكانة الدولة الصهيونية وحجمها، خاصة مع القدرة العسكرية النووية التي تمتلكها. كذلك يخشى النظام المصري من تأثر الداخل المصري بالنظام السياسي الديمقراطي الذي يحكم الدولة الصهيونية في حال إقامة العلاقات الكاملة معها. وفي هذا السياق يمكن فهم الإلحاح المصري على قضية إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، فالنظام المصري – بحسب ديفيد سلطان – يرغب في أن

تظل الدولة الصهيونية " شيئاً صغيراً" لا يشكل حجمه تهديداً لمصالح مصر (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص195).وحتى يتم التطبيع الشامل – كما يتمنى سلطان،فإنه قد أورد المحددات التي تضبط مسيرة النظام المصري في التطبيع مع الكيان الصهيوني،وهي محددات نجد بعضها، ضمنياً، في كتاب موشيه ساسون، وأبرزها:

1- الاتفاق على حل شامل " إسرائيلى " للمشكلة الفلسطينية :

يرى سلطان من واقع تجربته الدبلوماسية مع النظام المصري، أن الأخير يربط التطبيع الشامل مع العدو الصهيوني بالوصول لحل نهائي للقضية الفلسطينية وفق الرؤية التي طرحها الرئيس السادات في مبادرته للصلح، وهي إقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من يونيو 1967م. وعلى هذا فإن النظام المصري يتوقف معدله في التطبيع مع تطورات مسيرة التفاوض والتسوية، ففي الأوقات التي يسخن فيها مسار التفاوض، ويوافق الصهاينة على منح الفلسطينيين والعرب جزءاً من أراضيهم، تسخن العلاقات المصرية الإسرائيلية، وحين يبرد مسار التفاوض تبرد العلاقات.

وقد ضرب سلطان مثلاً بالفترة التي عمل فيها سفيراً بالقاهرة (1992-1996م)، فقد شهدت تلك السنوات الأربع سخونة غير مسبوقة في العلاقات المصرية الإسرائيلية، تمثل ذلك في: كثافة اللقاءات بين الرئيس المصري والساسة الإسرائيليين، ودعوة كثير من الوزراء الإسرائيليين إلى القاهرة، وفي القرارات التي اتخذتها السلطات المصرية لرفع القيود عن سفر المصريين للكيان الصهيوني، وعن استيراد البضائع وتصديرها للكيان الصهيوني. كما حدث دفع للعلاقات المصرية الإسرائيلية في المجالات التقليدية، ووعد النظام المصري بمد التطبيع إلى مجالات لم يصلها من قبل، مثل مجال الثقافة والمجال العسكري. والسر في كل ذلك كما يراه سلطان هو تشكيل حزب العمل للحكومة الإسرائيلية في تلك الفترة، بقيادة إسحاق رابين، وتوقيع اتفاقية أوسلو مع رئيس منظمة

التحرير الفلسطينية في سبتمبر 1993م، وتوقيع اتفاقية وادي عربة مع النظام الأردني في العام التالي، وهو ما اعتبره النظام المصري تقدماً في مسار التفاوض والتسوية مع الكيان الصهيوني(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 50-55).

ولم تقتصر هذه السياسة على الشأن المصري الإسرائيلي، حسبما يؤكد سلطان، بل أراد النظام المصري أن تكون لديه "السيطرة على هذه العملية ليس فقط في الشأن المصري الإسرائيلي، بل أيضاً في الشأن العربي الأشمل"، لذلك شعرت مصر بالقلق من الاندفاع العربي تجاه الدولة الصهيونية في الفترة التي أعقبت توقيع اتفاقية أوسلو، خاصة من دول المغرب العربي ودويلات الخليج العربي، حتى وصف وزير الخارجية المصري آنذاك، ذلك الاندفاع بـ"الهرولة"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص54).

يفسر ديفيد بن سلطان تلك السياسة المصرية بأنها لا تعبر عن موقف مصري سلبي من التطبيع، فمصر ملتزمة بصلحها مع الدولة الصهيونية وتعهداتها نحوها، وإنما هي تعبير عن تخوف من النظام المصري من أن يفقد مكانته القيادية في عملية التطبيع، باعتباره النظام العربي الذي فتح ذلك الباب، أو أن يفقد سيطرته على معدلات التقدم في التطبيع!! (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 56).

من هذا المنطلق يرى سلطان أن السياسة المصرية تجاه الدولة الصهيونية، كانت تحدد بناء على مراقبة الدول العربية الأخرى التي بدأت حواراً مع الدولة الصهيونية، حتى لا تتخلف مصر في علاقتها بالكيان الصهيوني عن تلك الدول، وكي لا تقيم تلك الدول علاقات مع الدولة الصهيونية بالشكل الذي يراه النظام المصري متعجلاً(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 36).

2 – مصلحة مصر الأساسية

ويشير ديفيد بن سلطان إلى أن المصلحة المصرية تعني مصلحة مصر كدولة، كما تعني مصلحة النظام، وغالباً ما يعتبر النظام مصلحته مطابقة لمصلحة مصر كدولة، وحين يربط النظام بين التطبيع ومصلحة مصر فإنه يراعي أربعة عوامل:

(1) الترتيبات الداخلية :

حسبما يرى ديفيد بن سلطان، فإن النظام المصري كان يراعي الأوضاع الداخلية المصرية في تفعيله لأنشطة التطبيع ومجالاته، ويظهر ذلك في الأوقات التي تعتدي فيها الدولة الصهيونية على أحد الأقطار العربية، أو ترتكب جريمة جديدة في حق الفلسطينيين، حينها تتغير اللهجة المصرية الرسمية، ويبدأ الهجوم على الدولة الصهيونية في الإعلام الرسمي، وتسمح السلطات بخروج المظاهرات ضد الدولة الصهيونية، وهي المظاهرات التي يجد فيها الشعب المصري التنفيس عن غضبه من الأوضاع السياسية والاقتصادية، ومن ثم يشجعها النظام باعتبارها بديلاً عن المظاهرات الشعبية التي يفترض أن تنظم ضده، وفي الوقت نفسه يحرص على تُستغل تلك المظاهرات من قبل الأحزاب والتنظيمات السياسية وتتحول من مظاهرات ضد العدوان الصهيوني إلى مظاهرات ضد سياسات النظام المصري!!

وفي ذلك يقول سلطان:" إن المصلحة المصرية في نظر النظام ومصلحته الشخصية شيء واحد، لذلك تشمل المصلحة المصرية الرغبة في ضمان استمرارية أو بقاء هذا النظام. وتحتم الامتناع عن القيام بأي فعل أو خطوة من شأنهما أن تضعفاه، مثل تقليص قاعدة الإجماع الشعبي التي يتمتع بها النظام"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 46).

ورغم ذلك فإن سلطان يرى أن مراعاة الرفض الشعبي لتحسين العلاقات مع الدولة الصهيونية، يأتي في الدرجة الثالثة في العوامل المؤثرة على السياسة

المصرية تجاه الكيان الصهيوني، بعد عاملي : مراعاة مصلحة النظام، والتقدم في المفاوضات بشأن الدولة الفلسطينية(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 47).

ويرصد الرجل القطاعات الشعبية المصرية الرافضة للتطبيع، ويورد في مقدمتها: النقابات المهنية، والجماعات الإسلامية الأصولية، وأحزاب المعارضة، والمثقفين، والطلاب، ويرى أن باقي فئات الشعب ليست ضد الصلح مع الكيان الصهيوني، وإن كانت تتأثر بعوامل ثلاثة، هي(مذكرات ديفيد سلطان، ص 62-63):

* موقف النظام المصري من العلاقات مع الكيان الصهيوني.

فعندما يكون للنظام موقف "إيجابي" في هذا المجال، فإن هذا ينعكس على موقف قطاع كبير من الشعب المصري تجاه التطبيع مع الكيان الصهيوني.

* ما يكتبه الإعلام المصري أو يقوله عن الكيان الصهيوني.

فيفترض سلطان أن قطاعات كبيرة من الشعب المصري تتأثر بخطاب الإعلام الرسمي المصري، وتدور معه في مواقفه من الكيان الصهيوني.

* تقدم عملية التفاوض خاصة في الشق الفلسطيني.

فحسبما يرى سلطان، فإن تقدم عملية التفاوض مع العدو الصهيوني على الحقوق العربية، خاصة على المسار الفلسطيني يؤدي إلى ضعف المقاومة الشعبية للتطبيع.

<u>(2) حتمية العلاقات مع واشنطن :</u>

يعتبر النظام المصري أن مصلحة مصر تتطلب إقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة، والحصول على مساعداتها المدنية والعسكرية. حسبما يقول ديفيد بن سلطان (مذكرات ديفيد سلطان، ص 45-46). ولأن النظام يعلم أن الولايات المتحدة تحرص على العلاقات الطيبة بين مصر والكيان الصهيوني، للحفاظ على استقرار الأوضاع في المنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية ؛ فإنه يسعى لإرضاء الولايات المتحدة بالحفاظ على تلك العلاقات.

ورغم ذلك – وعلى عكس أغلبية المصريين – يرى سلطان أن المصلحة المصرية في إقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة لها تأثير محدود على العلاقات المصرية بالكيان الصهيوني، وأن دور هذا العامل هو منع تدهور تلك العلاقات إلى دون مستوى معين.

(3) المصالح المادية:

من العوامل التي تحكم التطبيع – فيما يرى ديفيد بن سلطان – مدى استفادة النظام المصري مادياً من العلاقة مع الكيان الصهيوني، والنموذج الذي يضربه سلطان لذلك، هو تصدير البترول المصري للكيان الصهيوني، فقد التزم النظام المصري في اتفاقيات الصلح ببيع البترول المصري للصهاينة في فلسطين، وحسبما يؤكد الرجل فإن ضخ البترول المصري للدولة الصهيونية لم يتوقف يوماً واحداً، حتى في أوقات تدهور العلاقات بين الدولتين، لم يؤثر في ذلك اجتياح الجيش الإسرائيلي لبنان ودخوله بيروت في صيف 1981م، كما لم يؤثر غيره من الأحداث على مدى العقود الثلاثة الماضية (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 16)!! .

(4) شكل العلاقات مع الدول العربية :

يقول سلطان : إن المخاوف المصرية من ردود الفعل العربية أثرت في تحديد الموقف المصري أثناء المفاوضات مع الكيان الصهيوني حول اتفاقيات التطبيع، وإن وزارة الخارجية المصرية وضعت سياساتها حول ما يخص التطبيع وفقاً لمشاكل مصر مع العالم العربي، وليس وفقاً للاتفاقيات الموقعة. (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 29) ، فحرص مصر في عهد الرئيس حسني مبارك على إنهاء المقاطعة العربية لها، واستعادة مكانتها العربية، وتوطيد علاقتها بالدول العربية التي تساعدها في استعادة تلك المكانة، كل ذلك أدى إلى الاعتدال – حسب وصف سلطان – والحذر في دفع العلاقات مع الدولة

الصهيونية. وهو المعنى الضمني نفسه الذي أشار إليه موشيه ساسون(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 45 ، ومذكرات موشيه ساسون ص278).

وقد أدت مراعاة البعد العربي إلى انخفاض مستوى العلاقات المصرية مع الكيان الصهيوني – بما قد يصل للتجميد المؤقت – في أوقات العدوان الصهيوني على الدول العربية أو الفلسطينيين، كما حدث في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للبنان في صيف 1982م، وأثناء الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي اندلعت في أواخر 2000م.

وفي هذا الإطار يرى سلطان أن فرص إقامة علاقات مصرية كاملة مع العدو الصهيوني، تزيد في حالة تحقق الصلح الشامل بين الدولة الصهيونية والفلسطينيين والدول العربية المحيطة: سورية ولبنان، ومع ذلك يكفي لتقدم العلاقات المصرية الإسرائيلية أن تحدث تسوية بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، دون باقي الدول العربي، فالنظام والرأي العام في مصر يعتبران القضية الفلسطينية قلب الصراع مع الصهاينة، لذا فإن التقدم في مسار التفاوض من شأنه أن يكون إيجابياً على العلاقات المصرية الإسرائيلية(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 196).

بينما في حالة استمرار المواجهات والاحتكاكات بين الدولة الصهيونية والدول العربية المحيطة، تنعدم الفرص للتقدم في التطبيع المصري الإسرائيلي، ليس هذا بسبب ربط النظام المصري التطبيع بالصلح الشامل مع الدولة الصهيونية فحسب، بل أيضاً بسبب الضغط الشعبي العام على النظام في حالة العدوان الصهيوني على الدول العربية والفلسطينيين. (مذكرات بن ديفيد سلطان، ص 196).

***

من الموضوعات الخطيرة التي يطرحها ديفيد بن سلطان في مذكراته، تقييمه – من واقع تجربته الدبلوماسية – للجهات والأشخاص التي تصنع السياسة

المصرية تجاه العلاقات مع الدولة الصهيونية، وتتخذ القرارات في هذا المجال.
ويقول الرجل : بداية إن وضع السياسات المصرية تجاه الكيان الصهيوني، يتسم بالتركيز الشديد، وينحصر في عدد معين من المشاركين على قمتهم الرئيس المصري، وإن القرارات الأساسية التي تحدد الأطر العامة للعلاقات مع الكيان الصهيوني يتخذها الرئيس بنفسه، نظراً لحساسية ذلك الموضوع وتأثيره على كثير من القضايا المطروحة على جدول الأعمال في مصر (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 36).

ويعتمد الرئيس في اتخاذ قراراته في هذا المجال على عدد محدود من الأشخاص، كما لاحظ سلطان، وبالنسبة للسنوات الأربع التي قضاها الرجل في مصر، فقد كانت أهم الشخصيات التي أثرت في اتخاذ القرارات في ملف التطبيع (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 38 وما بعدها):

. وزير الخارجية عمرو موسى (الذى استمر فى مواقفه البرجماتية حتى بعد ثورة يناير 2011 على مبارك وتدمير ليبيا وسوريا فى عهده وبموافقته كأمين عام للجامعة العربية !!) .

. أسامة الباز، مستشار الرئيس للشئون الخارجية.

. رئيس المخابرات العامة المصرية عمر سليمان.

. مصطفى خليل نائب الرئيس مبارك في رياسة الحزب الوطني.

. وزير الإعلام صفوت الشريف.

والملاحظ هنا، أن بعض هذه الشخصيات المذكورة، استمد دوره في صنع السياسات المصرية تجاه الكيان الصهيوني من موقعه الوظيفي، مثل عمر سليمان، وأسامة الباز، وبعضهم استمد دوره من تاريخه في العلاقات مع الدولة الصهيونية، مثل مصطفى خليل، الذي كان من معاوني السادات المقربين في فترة عقد اتفاقية الصلح مع الكيان الصهيوني، وصار ترساً من تروس التطبيع

ومرجعية من مرجعياته في عهد مبارك، حتى وصفه بعضهم بأنه " سفير الإسرائيليين في مصر".

وقد أورد ديفيد بن سلطان قصة تدل على المدى الذي بلغه مصطفى خليل في التأثير على جهود التطبيع، ملخصها أن سلطان رغب في سنة 1994م في عقد لقاء بين رئيس الدولة الصهيونية(عيزرا فايتسمان) و شيخ الأزهر الراحل، الشيخ جاد الحق على جاد الحق، وكادت المقابلة تقع لولا أن مصطفى خليل تدخل وألغاها، "خشية أن يتحدث شيخ الأزهر عن موضوع القدس بصورة تعكر صفو الزيارة" (مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 85)!!.

ومن بعض الشخصيات التي ذكرها سلطان مَن اكتسب دوره في ملف التطبيع، انطلاقاً من وظيفته، ولكنه استطاع بملكاته وصفاته الشخصية أن يوسع من مساحة تأثيره، مثل عمرو موسى، الذي كان بمقتضى عمله في وزارة الخارجية على اتصال وثيق بملف التطبيع، وأسهم . كما يقول سلطان . بدور كبير في ذلك الملف "لمكانته القوية التي استطاع أن يبنيها لنفسه عند الرئيس مبارك منذ تعيينه في هذا المنصب". فـ"موسى دبلوماسي موهوب له خبرة كبيرة. يتسم باللباقة، وسرعة البديهة. قدم للرئيس مبارك ردوداً سريعة ومختارة للتساؤلات المتعلقة بقضايا السياسة الخارجية".(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 38). وهو الدور الذى لايزال يلعبه للأسف على كافة الفرقاء من (الثوار) و(العسكريين) بعد ثورتى 25 يناير 2011 و2013/6/30.

أما عن دور رؤساء الحكومات، فيلاحظ سلطان أن دورهم هامشي فيما يتعلق بالسياسة الخارجية المصرية عموماً، وفي السياسة المصرية تجاه الدولة الصهيونية، خصوصاً، وإن لم يبد أغلبهم رفضاً للتعامل مع الصهاينة والتعاون معهم، ومن المفارقات التي ذكرها سلطان في هذا السياق أن د.كمال الجنزوري، الذي حاز شعبية كبيرة إبان توليه رياسة الوزارة المصرية في منتصف التسعينيات كان مرحباً بالتعاون مع الإسرائيليين، وشجع الوزراء على

العمل من أجل دفع العلاقات معهم، على عكس سلفه د. عاطف صدقي الذي"أبدى تحفظاً وبروداً فيما يمس العلاقات مع إسرائيل ، وامتنعت زوجته . التي على ما يبدو تشربت موقف زوجها . عن مصافحة الإسرائيليين حتى تلقت ملحوظة من رياسة الجمهورية مفادها أن إحراج الإسرائيليين ليس من السياسة المصرية"(مذكرات ديفيد بن سلطان، ص 43)!! وهذا مما يحسب للرجل الذي لم يكن محبوباً على المستوى الشعبي، وارتبط اسمه بسياسات الخصخصة وبيع أصول مصر .

***

المحور الثانى : اغتيال السادات كما سجله وعايشه موشيه ساسون :

* هذه شهادة سفير إسرائيل الأسبق فى مصر موشيه ساسون عن اللحظات التاريخية المتعلقة باغتيال السادات الذى أقام الصلح مع إسرائيل وفرض التطبيع على المصريين فرضاً فى كافة المجالات ، وموشيه ساسون هو مهندس العلاقات المصرية الإسرائيلية ، وهو رجل موساد بامتياز ، عمل فى مصر قبل اغتيال السادات – كما سبق وأشرنا – بشهور ثم امتدت فترته لسبع سنوات تالية ، لقد عمل فى فترة انتقال كبرى بين نظام عقد صلحاً منفرداً مع عدو للأمة العربية ولمصر ، ونظام آخر كان امتداداً له فى العمالة، والتحالف مع ذات العدو ؛ موشيه ساسون نشر باللغة العبرية فى تل أبيب قبل سنوات طويلة مضت مذكراته عن فترة عمله بالقاهرة والتى امتدت لسبع سنوات ، متجاوزاً بذلك كل من سبقه (سفير واحد إلياهو بن إليسار) ومن تلاه (عشرة سفراء حتى يومنا هذا 2013) ، المذكرات – كما سبق وأشرنا – حملت عنوان { سبع سنوات فى بلاد المصريين } وقام بترجمتها للعربية (دار الكتاب العربى فى القاهرة ودمشق) ودور نشر أخرى ، وقمنا (كاتب هذه السطور) وقتها بالرد على ترهات وأكاذيب (ساسون) عن مصر والمصريين فى مقدمة للترجمة

العربية الصادرة عن دار الكتاب العربى ، ولقد احتوت المذكرات على أسرار مثيرة عن السياسة والسياسيين فى مصر ، وفضحت أصدقاء الصهاينة ورجالها واختراقات السفارة وأدوارها الخطرة على أمن مصر القومى ، ومن بين ما احتوته هذه المذكرات التى لم تلق عناية كافية من المقاومين للتطبيع لكى يدرسونها ويردون على الشبهات بها ؛ كان الفصل السادس منها والمعنون بـ (على حافة أزمة) والذى خصص فى أغلبه لسرد وقائع اغتيال السادات على المنصة يوم الثلاثاء الموافق 6 أكتوبر 1981 .

كيف رأى ساسون حادث الاغتيال؟ وما هى حقيقته وردود الفعل الإسرائيلية على هذا الحادث ؟ وهل كان لتل أبيب وواشنطن دور فيه ولو بتجاهل وعدم إبلاغ القاهرة بالمخطط الذى يجرى لقتل السادات والانتقال إلى نائبه (مبارك) بعد أن أصبح السادات عبئاً على واشنطن وتل أبيب ؟ ولماذا ادعى السفير الإسرائيلى أن السادات لم يقتل بسبب الصلح مع إسرائيل ولكنه قتل لأنه لم يطبق " الشريعة الإسلامية " وفقاً لأقوال قاتليه ؟ وما مدى صحة هذا الادعاء فى الواقع السياسى المصرى وقتها ؟! أسئلة نحاول أن نجد إجابة عنها فى الجزء الخاص باغتيال السادات فى مذكرات موشيه ساسون والذى يكشف جانباً مهماً من التطبيع السياسى مع إسرائيل فى سنوات التطبيع الأولى . فماذا قال ؟ .

* * *

يبدأ موشيه ساسون الجزء الخاص باغتيال السادات فى الفصل السادس من مذكراته تحت عنوان فرعى (على منصة الاغتيال) بقوله : فى 27 سبتمبر 1981 ، وقبل تسعة أيام من العرض العسكرى الضخم الذى كان سيجرى فى مصر ، مثلما يحدث كل عام منذ حرب يوم الغفران (هكذا يسميها الصهاينة وهى لدينا نصر حرب رمضان والسادس من أكتوبر) قال أحد وزراء الحكومة الإسرائيلية ، فى اجتماع حكومى : إنه كان من الخطأ السماح لأول سفير

لإسرائيل فى مصر إلياهو بن اليسار حضور العرض ، رد رئيس الوزراء مناحم بيجن بأن موضوع حضور السفير الثانى لإسرائيل للعرض العسكرى فى مصر سوف يعرض للمناقشة فى الاجتماع التالى للحكومة فى 4 أكتوبر أى قبل يومين من العرض العسكرى المنتظر ، ما إن علمت بهذه الأمور أرسلت برقية لوزارة الخارجية بالقدس من جزءين فى الجزء الأول شرحت باختصار لماذا يجب أن يتواجد السفير الإسرائيلى على المنصة ، فى الجزء الثانى من البرقية أوصيت لوزير الخارجية بأمرين : الأول أن يطلب من رئيس الوزراء عدم طرح الموضوع للبحث فى اجتماع الحكومة القادم ، والثانى أن يترك القرار لى بأن أذهب إلى العرض أو لا ، فى نهاية البرقية أضفت بأننى سأكون على استعداد لتحمل المسئولية ونتائج القرار الذى سأتخذه . ثم يقول : فى رد وزير الخارجية اسحاق شامير بتوقيع مدير عام الوزارة دافيد كيمحى كان يوجد بندان قصيران : فى البند الأول قيل : إنه وفقاً لطلبى فإن الأمر متعلق بقرارى ، وفى البند الثانى كتب دافيد كيمحى : أن وزير الخارجية يود أن يشير ، باسم رئيس الوزراء أنه أياً كان قرارى فإن الحكومة سوف تسانده " .

***

كنت مدركاً – يقول ساسون – الحقيقة أن موضوع اشتراكى فى العرض الذى يقترب قد شغل الرأى العام فى إسرائيل وقد اتضح ذلك فى أجهزتنا الإعلامية حيث هناك من قالوا أو كتبوا : أنه لا مجال لحضور السفير الإسرائيلى حيث يرمز فى نظر المصريين إلى انتصار بارز فى عبور القناة فى حربهم ضد إسرائيل فى عيد الغفران ، شعرت بأننى ملزم بأن أشرح الأمر خاصة – لمن سماهم سفير العدو الإسرائيلى – بالثكالى الذين فقدوا أعزاءهم فى حرب يوم الغفران ، وما إن عرف فى إسرائيل بأن القرار أصبح بيدى ، ضمنت أنه بعد اجتماع الحكومة يوم الأحد أو الاثنين ، سيتصل بى الصحفيون ومندوبو أجهزة الإعلام فى إسرائيل لمعرفة رأيى ، قررت أن استغل هذه الفرص كى أشرح

الخطوة التى صممت على الإقدام عليها ، لا أقول : إننى لم أكن منتبهاً للأخطار الأمنية لحظة قرارى حضور العرض ولكننى لم أفكر لحظة فى احتمال اغتيال الرئيس الذى كان محاطاً بالحرس وجهازه الأمنى الكبير ، كذلك فإن المساعدين الإسرائيليين والمصريين الذين تولوا حمايتى الشخصية زادوا من حرصهم فى تلك الأيام ، كان المناخ فى القاهرة مشبعاً بالمخاوف إلا أننى اعتمدت على المرافقين الإسرائيليين ، إنهم شباب ذوو يقظة وكفاءة مهنية لا مثيل لها ، فى تلك الأيام كنت معتاداً على التحرك بسيارتى ، وكان يجلس معى المرافق وفى سيارة ثانية تسير خلفنا بعض العاملين فى السفارة ، وراء هذه السيارة كانت تسير أحياناً سيارة أو اثنتان حاملة رجال أمن مصريين، من أفضل الأشخاص الذين ينتمون إلى الأمن المركزى " <u>(علينا أن نلاحظ هنا عدم ثقة السفير الصهيونى بالأمن المصرى فجعل المرافقين الصهاينة من رجال الأمن دائماً إلى جواره أما المصريين ففى الخلف دائماً) (الكاتب)</u> .

عشية يوم الاثنين ، أى عشية العرض العسكرى – يقول السفير الإسرائيلى – بدأت تصلنى مكالمات تليفونية من الصحف الإسرائيلية والإذاعة وإذاعة الجيش والتليفزيون الإسرائيلى ، كنت قد سبقتهم وكتبت بعض الكلمات على ورقة وشرحت لكل من طلب موقفى ، قلت : إنه علينا أن نعيش بشجاعة ، ومن خلال رؤية سليمة وبناءة علاقات السلام وعهد التصالح مع مصر . قلت : إننى أشعر بقوة بأنه فى هذا الوضع سوف أمثل الرغبة الحقيقية التى من أجلها سقط أبناؤنا خلال خمس حروب مع مصر ، إنها الرغبة فى السلام ، وأضفت إلى صحف المساء – يديعوت أحرونوت ومعاريف – بأن حضورى هذه المناسبة يعد جزءاً من عملية السلام ، وبالتطبيع بين الشعبين والدولتين " . "
إن توجيه دعوة من وزير الدفاع المصرى إلى سفير إسرائيل لحضور العرض العسكرى يرمز فى نظرى إلى انتهاء عهد الحروب بين الجيوش ورفع علمنا فى هذا العرض بالذات ، يعد فى نظرى تحية لرغبة السلام والأمن لدى الأعزاء

الذين سقطوا من أجلهما " ، من أسلوب نشر الصحفيين للكلام الذى قلته وردود الفعل التى وصلتنى من إسرائيل ، أدركت أن كلامى قد دخل آذاناً صاغية وفاهمة وربما أيضاً قلقة ، كذلك أحسست بتقدير للقرار الذى اتخذته من جانب شخصيات مسئولة فى الإدارة المصرية الذين تابعوا الجدل العام الدائر فى إسرائيل حول هذا الموضوع " .. [طبعاً هذا التبرير الإسرائيلى لا ينفى أنهم فى ذات الوقت تقريباً قاموا بحروب أخرى ضد الدول العربية مثل تدمير المفاعل النووى العراقى ثم لاحقاً حرب لبنان والقتل المنظم والمستمر للفلسطينيين – بل وضد مصر فى الاقتصاد والتجسس واختراق الأمن القومى والنهب المنظم لثروات سيناء بما يقدر بـ 500 مليار دولار فى 15 عاماً من الاحتلال !!] (الكاتب) .

***

ثم يقول السفير الإسرائيلى موشيه ساسون فى مذكراته : صباح يوم العرض يوم الثلاثاء اتخذت قراراً آخر لم يعلم به أحد " وفقاً للإجراءات المصرية فى أية مناسبة شارك فيها رئيس الدولة يجب على السفراء الأجانب المدعوين لهذه المناسبة أن يكونوا فى مقاعدهم قبل ساعة من مجئ الرئيس خلال هذه الساعة تغلق كل الطرق ولا دخول ولا خروج ورغم هذه التوجيهات الصريحة ، التى تكتب فى بطاقة الدعوة قررت تجاهلها وألا أكون بين أول من يصلون إلى منصة العرض قلت لـ مساعدى والمشرف على جدول لقاءاتى ، [وأطلق عليه السفير اسم (م) وتعمد عدم ذكر اسمه الحقيقى والكامل طيلة الكتاب ، وهو على ما يبدو الحرف الأول من اسم رجل المخابرات والموساد فى السفارة الإسرائيلية وقتها (1981)] قال له السفير : إن علم إسرائيل الذى يرفرف على سيارتى ، سيكون آخر الأعلام الأجنبية التى ستصل إلى المكان ، قلت له : من الواجب أن أتواجد هناك ولكن ليس هناك معنى للحماس ، على أن أتصرف برصانة احتراماً لشهدائنا ، قلت : أريد أن أصل إلى المنصة قبل عشرين دقيقة من البدء فى العرض " .. [طبعاً من الفُجر والوقاحة أن يسمى المعتدين المقتولين بالشهداء !! ولكن هكذا هم المجرمون دوماً والمشكلة ليست لدى إسرائيل بل لدى من سمح لها بسفارة فى مصر تبث من خلالها هذه الأكاذيب ويحضر سفيرها وهو رجل موساد معروف ، عرضاً عسكرياً يكرم شهداء مصر!!] (الكاتب) .

ثم يقول : أوشك العرض على البدء فى مدينة نصر ، وهو حى سكنى يزداد اتساعاً فى شرق القاهرة على مقربة من مطار القاهرة ، بالقرب من هذا الحى ، فـى شـارع الاسـتعراض ، توجـد منصـة شـرف لاسـتعراض القـوات والطقـوس الرسمية ، أمامها شارع عريض جداً يستخدم مساراً للعروض العسكرية ، علـى الجانـب الآخـر مـن الشـارع ، وأمـام " منصـة العـرض " يوجـد نصـب الجنـدى المجهول المصـرى وهـو مقام علـى شكل أضـلاع هرميـة وعلـى أضـلاعه مـن القاعـدة إلــى القمــة الأسـماء المشــهورة لـدى المصــريين " محمـد ، محمـود ، مصطفى .. " وعلى الأرضية أسفل قمة الهرم ، حجر من الرخام الأسود يرمز لقبر الجندى المجهول .

ثـم يقـول بعقليـة الجاسـوس : " وبمناسبة هذه الطقوس الكبيرة تغلق المنطقة بقوات عسكرية ، والحرس الجمهورى وحرس الرئاسة وكذلك وحدات تأمين تضم رجالاً مختارين من الأمن المركزى ، بعضـهم بالملابس المدنية وبعضـهم بالزى الرسمى ، ودخول هذه المنطقة يكون خاضعاً لإجراءات ، وكذلك عند كل نقاط التفتيش المؤدية إليها توقفت سيارتى عند الحاجز ، قدم القائد المصرى التحية ونظر إلى العلامة الملصقة على زجاج سيارتى ، ودعانى إلى مواصلة طريقى إلى المدينة أما بقية السيارات التى فى قافلتى – والتى لا تحمل أمراً بالدخول– لـن تواصـل مصـاحبتى " . رد " م " (رحـل الموسـاد بالسـفارة !!) علـى الضـابط المشرف على المنطقة : بأنـه إذا كـان الأمر متعلقاً بالسيارة المصـرية التـى فـى الركب فإن على الضابط المصرى أن يقرر ما يريده ، أما بالنسبة للسيارة الثانية التى بها الحراسة الإسرائيلية فإذا مُنعت من مصاحبتنا فإن السفير للأسف لن يستطيع الذهاب إلى العرض وسيعود إلى منزله ، وقدم الضابط المصرى التحية مـرة أخـرى وسـمح للسـيارتين الإسـرائيليتين بالمضــى ، وانضـم رجـلا الحراسـة المصريان محمود وعبد اللطيف إلى السيارة الإسرائيلية " . [من الواضح أن مصر قد انهارت تماماً أثناء تلك الفترة بسبب هذا الوضع المذرى الذى وصل فيه نظام

السادات فى مجال حمايته لحلفائه الصهاينة إلى حالة متردية بدءاً من تنازلاته الكبرى فى كامب ديفيد وحتى حماية سفير دولة العدو وتعامل أمن السفارة بازدراء واستعلاء مع الأمن المصرى] (الكاتب) .

***

ثم يقول السفير : " قام رونى – سائقى – بقيادة السيارة إلى منصة العرض بيد مدربة بطول هذه المنصة المكونة من مقاعد متدرجة ، يوجد منبر بنى اللون وخلف هذا المنبر ساحة واسعة وخلفها حجرة كبيرة تستخدم كقاعة انتظار لكبار الضيوف ، ومنها يمكن الوصول إلى المقاعد فى المنصة الرئيسة ، على جانبى المنصة الرئيسة يوجد درج يوصل بين الطريق وحتى طرفى المنصة ، وصل رونى حتى درج الجانب الأيمن من المنصة المخصص للزوار الأجانب ، صعدنا الدرج ولاحظت أن المنصة مليئة بالضيوف الجالسين فى أماكنهم ووجدت صعوبة فى العثور على مقاعد خالية، على طرف الدرج ، وقف ضابط مسئول تقريباً عن الأمن . سأل (م) – ضابط الموساد بالسفارة – ما إذا كان معه سلاح وما إن أجابه بالإيجاب حتى قال الضابط : إنه للأسف الشديد يستطيع السفير فقط أن يدخل ويجلس على مقاعد المنصة وطلب (م) أن يتحدث إلى المسئول عن أمن المنصة وجاء ضابط من حرس الرئاسة برتبة لواء وأكد على موقف الضابط الصغير، وأشار إلى بقية السفراء وقال : إنهم لم يدخلوا إلى المنصة مع مرافقين ولا حتى السفير الأمريكى ، رد (م) بأنه طبقاً للتعليمات التى لديه ، ولا يمكن تغييرها ، لن يستطيع السفير حضور هذا العرض إذا لم يسمح له هو وزميله المسلح دخول المنصة ، دار الحديث فى هدوء وبأدب ولكن بتشدد ، وساد الصمت لمدة ثانية ، نظر اللواء إلىّ ولم أعلق " . [يلاحظ هنا تلك الوقاحة الشديدة والازدراء الواضح للحرس الرئاسى المصرى ، خاصة حين نجح سفير دولة الكيان الصهيونى فى فرض وجود حراسته المسلحة فى العرض دوناً عن باقى سفراء العالم الحاضرين !! لقد كان نظام السادات هو السبب فى كل هذا الخنوع والقبول بالذل أمام إرادة الإسرائيليين وهو ما جرى فى باقى الملفات الغامضة فى العلاقة المصرية – الإسرائيلية !! (الكاتب) .

أدى اللواء التحية وسمح لجميع المرافقين لى (م) و(ق) – وهو رجل موساد ثان، ومحمود وعبد اللطيف بالدخول مسلحين ، ثم يقول السفير : " استقبلنى السفير يحيى رفعت رئيس المراسم بوزارة الخارجية المصرية قائلاً : " مرحباً بك يا موشيه ، لا توجد أماكن معينة ويمكنك أن تختار أى مكان ترغب فيه ، يؤسفنى أنه لم تتبق أماكن كثيرة " فى هذه النقطة واجهت مشكلة: المنصة كلها مليئة بالناس حتى آخرها ، ويجب أن أختار مكاناً تكون خلفه على الأقل عدة مقاعد خالية من أجل المرافقين لى من المصريين والإسرائيليين ، وبدأت أهبط الدرج وأنا استعرض كل صف فى الصف الأول ، من أعلى رأيت صديقى السفير الأمريكى ، ابتسم إلىّ ولوح بيده علامة السلام ، وهذا ما فعله أيضاً بعض السفراء الآخرين الذين التقت نظراتى بهم ، واصلت النزول حتى وجدت نفسى بالقرب من الصف الثالث من أسفل .

الأماكن الخالية فيه كثيرة وفى وسطه يجلس صديقى السفير السويدى ، بجانبه وخلفه كانت مقاعد خالية استقبلنى بسعادة ، لقد وجد من يتبادل معه الحديث ، جلس (م) خلفى مباشرة . نظرت إلى ساعتى كانت العاشرة وأربعين دقيقة ، أى قبل عشرين دقيقة بالضبط من الموعد الذى سيبدأ فيه العرض ، أمامى فى الصف الأول لم يكن به أحد ، الصف الذى جلسنا فيه كان قريباً جداً من الطريق الذى سيمر به العرض على يسارى ، على بعد عشرات الأمتار فقط من وسط المنصة ، كان يوجد المقعد الذى سيجلس عليه رئيس الدولة بعد قليل ، وعلى جانبيه مقاعد للجهاز الرئاسى وكبار قادة الجيش " .

***

ثم يستطرد السفير الإسرائيلى موشيه ساسون : " لقد قررت أن أصل قبل بداية العرض بعشرين دقيقة ، عن عمد ، والمنصة قد أصبحت شبه ممتلئة وضرورة البحث عن أماكن للمرافقين لى وهم الذين قرروا بالفعل أن أجلس قريباً جداً من الرئيس ، وقريباً جداً من الطريق ، ما إن جلست فى مكانى حتى اعتقدت فى

داخلى أننى محظوظ ، حيث وقعت على مكان قريب جداً لا يضايقنى فيه الجمهور الذى يفصل بينى وبين العرض ، بعض الوزراء الذين جلسوا على المنصة الرئيسة أشاروا إلىّ برؤوسهم كنوع من التحية " .

ثم يقول بدهاء صهيونى وقح : ما إن علمت فى اليوم التالى أن ثمانية عشر شخصاً ، من الجالسين فى جناح السفراء والمدعويين الأجانب قد أصيبوا ، وقتل اثنان منهم حتى تأملت يد القدر التى لعبت دوراً فى موضوع الاغتيال والقتل ، لقد تحدد مصيرى فى ذلك اليوم مرتين : المرة الثانية سأحكى عنها فيما بعد .

تأخر وصول الرئيس بعض الوقت – يقول ساسون فى مذكراته : جاء مع نائبه حسنى مبارك ووزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة ، جلس الرئيس على مقعده ، وعلى يمينه نائب الرئيس حسنى مبارك ، ومندوب جيش عمان ، المقدم خلفان بن ناصر وممثلو السودان والصومال ورئيس الوزراء السابق ممدوح سالم ومستشار الرئيس عبد القادر حاتم وكان هو أيضاً رئيس سابق للوزراء ، ورئيس مجلس الشعب د. صوفى أبو طالب ، أما على يسار الرئيس فجلس وزير الدفاع عبد الحليم أبوغزالة ، ثم صهر الرئيس سيد مرعى ومستشاره الكبير ، ثم المفتى الشيخ عبد الرحمن بيصار، ثم بعده رئيس مجلس الشورى صبحى عبد الحكيم ، ثم رئيس هيئة الأركان عبد رب النبى حافظ ثم قادة الأسلحة ، نهض الرئيس حيث حيى جمهور المدعوين الذين صفقوا له ، بعد ذلك نزل مع حسنى مبارك وأبو غزالة ، عبر الدرج إلى الطريق ، وسار الثلاثة بخطوة عسكرية إلى اتجاه قبر الجندى المجهول لوضع إكليل من الزهور .

***

عادوا إلى أماكنهم وجلسوا على صوت عزف الموسيقى العسكرية وهتاف الجماهير الواقفة على أقدامها وهى تصفق ، كان الرئيس السادات يبدو فى أحسن حالاته ، يرتدى ملابس فخمة جداً حيكت بالذات من أجل هذه المناسبة،

يرتدى حذاء جديداً برقبة استطعت أن ألمح تعابير وجهه كان يبدو سعيداً . تبادل بعض الكلمات مع مبارك وأبو غزالة وكذلك مع سكرتيره الذى كان يجلس خلفه مباشرة. فى الساعة الثانية عشرة تماماً صدر الأمر ببدء العرض ، فى تلك الأثناء امتلأ الصف الأول الذى أمامى بنساء وأطفال مصريين ، اعتقدت أنهم من عائلات شخصيات هامة سواء من المدنيين أو العسكريين ، عند طرف كل صف كان يقف رجال الأمن . الرجل الذى كان مخصصاً لصفنا اختفى فجأة ، مع بداية العرض وعاد بعد عدة دقائق حاملاً فنجان شاى ساخناً وقدمه لى قائلاً : أهلاً وسهلاً يا سيادة السفير " [هكذا كان يعامل نظام السادات أصدقاءه الصهاينة بكرم زائد عن الحد رغم علمه ومعايشته – شخصياً – لمذابحهم ضد العرب ولنقضهم للعهود واحتلالهم للأرض ، والكرم فى غير أهله يعد فى رأى البعض حماقة وخبلاً .. وفى رأى البعض الآخر خيانة] (الكاتب) .

كان العرض فخماً ، مرت طوابير وطوابير من المعدات والأسلحة ، جو من المعركة ، تدريبات هجوم كانت مصحوبة بضجيج الطلقات والانفجارات وحلقت الطائرات بتتابع على ارتفاع منخفض ، نزل رجال مظلات أمام مقعد الرئيس مباشرة ، ومظلات تحمل صوراً كبيرة للسادات تعلقت على عامود كهرباء ، سألنى السفير السويدى إذا كنت على استعداد لأن أترجم له بعض هذه الشعارات الكثيرة المعلقة أمامنا ،على لوحات ضخمة جداً على طول طريق العرض كان هذا أمراً هاماً بالنسبة له،كان ينوى كتابة هذا فى المذكرة التى سيرسلها إلى وزارة خارجيته.

مرت أمامنا طائرات ميراج ، فوقنا تماماً ، ونظرت أمامى وترجمت لزميلى السويدى هذه الشعارات ، كتب السفير على ظهر برنامج العرض ما أقوله له، رفع الجميع رؤوسهم ونظروا إلى العرض الجوى ؛ اثنان فقط أو الوحيدان تقريباً لم يرفعا رؤوسهما ، كانا يجلسان كل إلى جوار الآخر – الأول رأسه مكفى على برنامج العرض يسجل الترجمة والثانى ينظر أمامه إلى الشعارات التى يترجمها . (طبعاً يقصد نفسه والسفير السويدى) .

***

ثم يمضى سفير إسرائيل فى رصد أحداث المنصة ، يوم قتل السادات ليصل إلى ذروة اللحظة التاريخية ، ولنترك كلماته تتحدث عن نفسها : " عندما نظرت إلى الأمام لاحظت أن ناقلة ثقيلة تجر مدفعاً ذي ماسورة طويلة فى الطابور الذى يمر أمام منصة العرض قد توقف فجأة ، قلت لنفسى : (عطل آخر) وواصلت الترجمة ... فى بداية العرض حدث عطل لأحد الموتوسيكلات الذى توقف محركه أمام المنصة بالضبط حاول راكبه المسكين أن يحركه ولكن بلا جدوى ، بدأ يدفعه حتى لا يعطل الطابور ، فجأة سقط والموتوسيكل فوقه ، رفعوه بسرعة ، وبعد ذلك بفترة حدث عطب فى سيارة مدرعة توقفت هى أيضاً ، ولكن السائق تغلب بسرعة على العطل وتحركت السيارة إلى الأمام ، أما هذه الناقلة التى تجر المدفع فلم تتحرك خرج منها قائدها ، بلا غطاء رأس حاملاً سلاحه سمعت طلقات رصاص ، لم أعتقد أنها طلقات حقيقية ، قلت فى نفسى : (دفعة أخرى من الطلقات الصوتية) لم يحاول قائد القافلة ذاتها أن يصلح العطل بدلاً من هذا انطلق فى اتجاهنا ، حدث شيء وما فوق الناقلة ذاتها ، ونزل منها ثلاثة أفراد وانطلقوا فى اتجاهنا واستمرت هذه الألعاب النارية ، وقلت فى نفسى : (ما هذا التدريب الغريب الذى يحدث أمامنا " ومع ذلك واصلت الترجمة للسفير السويدى الذى كان يكتب بالضبط ما أقوله وبخط جميل ومنمق وقبل أن أدرك أن ما يحدث هو شىء من نوع خاص غير مسجل فى برنامج العرض ، شعرت بذراع (م) الجالس خلفى صاح : (موشى : إنها طلقات حقيقية ، ارقد فوراً على الأرض) وحتى يضمن أننى سأفعل جذبنى بشدة وهو يمسك بكتفى فى اتجاه الأرضية ، لا أعلم ما إذا كنت قد رقدت بنفسى أم من قوة الدفعة التى دفعنى بها (م) " [أحد ضباطى المخابرات بسفارة إسرائيل كان مسلحاً – وباللمفارقة – لم يحاول مجرد التفكير فى إطلاق نار على المهاجمين للمنصة الذين جاءوا ليقتلوا صديقهم السادات .. رغم أن هذا

الضابط المسلح لو كان أطلق الرصاص على المهاجمين فلربما تمكن من إرباكهم ونجا السادات وتوقف الاغتيال .. وساعتها كان مسار التاريخ ربما قد تغير .. وهو ما لم يحدث] ، والسؤال الذى لم يجد حتى اليوم (2014) إجابة عليه : لماذا لم يطلقوا الرصاص على من يقتل السادات ؟ هل كانوا متواطئين أم متفاجئين بما حدث ؟ (الكاتب)]

* ويواصل ساسون : " خلال ثانية كنت أرقد تحت أقدام مقعدى ، واستطاع (م)أن يصل إلى صفى وبدأ يزحف فى اتجاهى ويصعد فوقى بحرص ولكن بسرعة مذهلة أراد أن يحمينى بجسده ، وقتها فقط عرفت ما الذى رأته عيوننا ، بينما أنا راقد و(م) فوقى ، واصلنا النظر إلى ما يحدث ، سمعنا انفجارين مدويين وارتفع دخان أبيض كثيف من نقطة معينة على الطريق القريب جداً من مركز المنصة واستمرت الطلقات ، الطلقات الأولى التى اعتقدت أنها ألعاب نارية ، انطلقت من الناقلة نفسها ، وقف عليها جندى من طاقم الأفراد (كان هو القناص حسين عباس صاحب الطلقة الأولى التى أدت – وفقاً للتقرير الطبى الصادر لاحقاً – إلى مصرع السادات والتى استقرت فى عظمة الترقوة لأنور السادات) (الكاتب) – ويواصل السفير الصهيونى : وأطلق دفعة نيران الواحدة تلو الأخرى ... والآن أصبحوا أربعة – يقصد قتلة السادات – لدى كل واحد منهم سلاح أوتوماتيكى يطلق نيراناً ، واحد منهم اقترب من طرف المنصة من جهة اليسار وأطلق النار بلا توقف فى اتجاه الصف الأول، والثانى وقف عند الطرف الأيمن من المنصة الرئيسية وأطلق النار هو الآخر . الاثنان الآخران ظلا يركضان ويطلقان النار ، وصل واحد منها إلى منتصف المنصة ورفع سلاحه وأطلقه فوق المكان الذى جلس فيه السادات الذى لم يعد ظاهراً على مقعده الذى كان فيه منذ ثوان ، بعد حوالى 30 – 40 ثانية انتهى ركض الأربعة ، قال لى (م) : (إنهم لا يقصدوننا) [ترى لماذا استنتج ضابط المخابرات الإسرائيلى ذلك؟] . ومرت ثوان أخرى ، قال (م) شيئاً ما فى جهازه اللاسلكى ، نظرت بسرعة إلى المنصة – لم يكن أحداً فى مكانه ، كانت الفوضى عارمة !! .

يواصل سفير دولة العدو موشيه ساسون شهاداته على حادث اغتيال السادات 1981 والتى نشرها ضمن كتابه الأهم (سبع سنوات فى بلاد المصريين) ؛ والتى يكشف فيها الكثير من المعلومات والأسرار التى لاتزال مجهولة للرأى العام المصرى ، وكيف أن العدو الصهيونى لم يكن يهمه سوى مصلحته فقط، أما حياة السادات أو غيره فلا قيمة لها ، ولنواصل قراءة مذكرات موشيه ساسون والتى توقفنا فيها فى الحلقة الماضية عند لحظة الاغتيال التى لم تستمر أكثر من 40 ثانية ، وعندما وقف ليشاهد المنصة وجدها ساحة حرب ، والدماء فى كل مكان والفوضى عارمة ، ولنتركه يتحدث : " كانت المنصة فى حالة فوضى ، المقاعد مقلوبة – إناس راقدة على الأرضية والآخرون يجرون من نافذة كابينة التليفزيون الموجودة بين منصة الرئيس وبين الطريق ، وقف مصورون يصورون ما يحدث ، السفير السويدى الذى رقد وانتظر مثلى سألنى عما يدور ، بدأ (م) يزحف فى الاتجاه العكسى حتى ينزل من فوقى ، رأيت " ق " – رجل الموساد الثانى – وترددت على مسامعى كلمات (م) (ضابط الموساد الأول المرافق للسفير) : (الموضوع انتهى ...كيف انتهى ؟ كيف انتهى ؟!.[طبعاً يقصد اغتيال السادات وكأنهم إما صدموا لما رأوا أو أنهم – وهذا هو الأرجح - كانوا يعلمون بالنتيجة التى وقعت!!] .

وفى موضع آخر من مذكراته يحكى سفير إسرائيل موشيه ساسون ، أن (م) رجل الموساد بالسفارة قال له وبصيغة الأمر : " علينا أن نخرج من هنا بأسرع ما يمكن " وأشار إلى الركن الأيسر الأعلى لمنصة العرض ، إلى المكان الأعلى الذى وصلنا إليه عندما وصلنا عبر الدرج المؤدى إلى الطريق الرئيس ، وبيننا وبين هذه النقطة يرقد عدد من الأفراد ، بينهم حرس ينزفون دماً قال (م) : (هيا نتقدم إلى الأمام ونشق طريقنا بينهم بحرص شديد وبأسرع ما يمكن) ، واندفعنا إلى داخل خليط البشر والدماء والأجساد ، وإلى اليوم لا أعرف كيف فعلنا هذا ولكن بعد ثوان معدودة كنا فى أعلى ، هناك وقف (ق) وقال : (هذا

جيد ، هيا إلى الأمام) ، لاحظت أنه فى خلف المنصة يوجد درج يتيح الهبوط إلى الجانب الخلفى ، لاحظت هليكوبتر طوارىء تقف وبجوارها شخص يرقد على الأرض بلا حراك – يبدو أنه جريح أو قتيل – بجوارى وقفا (ق) و(م) ومحمود عبد اللطيف ، أشار (م) إلى الطرف الأيمن للساحة البعيد عنا ، وقال لى : إنه يجب أن تصل سياراتنا من هناك فى أية لحظة . (ستكون أنوار السيارات مضاءة حتى نستطيع تمييزها فوراً ، علينا الوصول إليها ولكن يجب أن نسير هنا ببطء) ، أمام هذا الهرج ، كان الوضع هنا أخطر من الجانب الذى خلصنا أنفسنا منه الآن بدأنا نسير ببطء ، مررنا وسط جنود مدججين ببنادق لتأمين المنطقة المحيطة ، لم يمنعونا من مواصلة السير والمرور أمام هليكوبتر الرئيس التى كانت خالية وفجأة ، كالعصا السحرية ، ظهرت سياراتانا الواحدة تلو الأخرى وهما تضيئان أنوارهما ، رونى يقود سيارتى و(ج) السيارة الأخرى وراءه فى طريقنا إلى السيارة أخبرنى (م) بأنه من المحتمل أن يكون (ق) قد أصيب ، كان هناك نزيف من الأصبع ومن الجبهة أيضاً . لم يكن نزيفاً وإنما مجرد خدش بسيط، اقترحت أن نتوقف قبل دخول السيارات لنفحص أنفسنا ، ربما أصيب أحد منا دون أن يشعر ، بعد أن تأكدنا أن كل شىء على ما يرام دخلنا إلى السيارات ، جلس محمود فى المقعد الأمامى بجوار (م) ورونى ، ولحق " ق " بسيارة السائق الثانى ، قبل دخولنا إلى السيارة نزع (م) العلم خوفاً على حياتنا من المصريين .. وطلب منى أن أرقد على المقعد الخلفى". [من الواضح أن ضابط المخابرات الإسرائيلى كان يدرك جيداً ربما أكثر من سفيره حجم العداء الذى يكنه الشعب المصرى لدولته ، وأن مجرد رفع العلم فى هذا الموقف الصعب سوف يجعلهم يلحقون بالسادات صديقهم العزيز !!] (الكاتب).

ثم يقول السفير : " قبل أن نتحرك من أماكننا لاحظنا أن طائرة الإنقاذ قد أقلعت ، وصلنا إلى أحد المخارج ، كان مغلقاً ولم يسمح لنا قائده بالمرور ، استدار رونى حسب توجيهات محمود اتجه إلى المخرج الجنوبى ، أخذ محمود

مسدسه من جرابه وأوشك على الخروج من السيارة ، نصحه (م) بألا يظهر سلاحه وطلب منه الاقتراب من الحراسة بجوار الحاجز وأن يشرح لهم بلطف أن هذا سفير إسرائيل ، تردد محمود ، وظل (م) يقنعه : أن الرقم الدبلوماسى للسيارة يكفى لإثبات وجود السفير بها ، خرج محمود وبعد ثوان قليلة عاد وتم رفع الحاجز وعبرنا . [لنتأمل الفارق الذى أراد السفير الصهيونى أن يوصله لنا بين ضابط الموساد الإسرائيلى وضابط الأمن أو المخابرات المصرية .. وكيف أن الأول كان الأذكى والأكثر هدوءاً فى التعامل مع المواقف الصعبة فى حين كان الثانى مندفعاً أو متهوراً] (الكاتب) .

***

يواصل سفير إسرائيل – موشيه ساسون – قلت لسائقى : (كل احترامى لك يا رونى) لأنه كان مخلصاً ، بارد الأعصاب وهادئاً ، امسك عجلة القيادة بثقة وسار وسط الجمهور الواقع فى حالة من الهرج وبين البنادق المشهرة "شكراً يا (م)" ، ليس لك مثيل " قلتها لمرافقى الذى تصرف بحكمة والذى استطاع أن يفرق بسرعة بين الرصاص الحقيقى وبين الألعاب النارية مما أنقذنا ، وقلت لمحمود وأنا أتحول من وضع الراقد إلى وضع الجلوس (شكراً يا محمود – أحسنت) .

سألت محمود مرافقى من الأمن المصرى : (هل تعرف طبيباً أو عيادة قريبة؟) إننى قلق على حالة " ق " والأمر الملح الآن هو العثور على طبيب هنا فى مدينة نصر وفوجئت بمحمود يقول : قريب من هنا ، على بعد خمس دقائق ، حيث إن عمه طبيب ، قلت له : " إذن لنذهب إلى هناك فوراً " وطلبت منه توجيه " رونى " .

فى تلك الثوان أراد (م) الاتصال بالسفارة ، كنا نعلم أننا على مسافة بعيدة جداً من السفارة ومن دائرة التقاط الإشارات ، مع هذا قرر (م) أن يحاول ، وكم كانت الدهشة : لقد فوجئنا جميعاً بأن نداءه قد أجيب (وقد اتضح فيما بعد أن موظف السفارة الذى كان يجلس فى مكتبه ويشاهد العرض العسكرى بدأ يقلق

عندما انقطع فجأة الإرسال الحى من العرض وبدلاً من ذلك بدأوا يذيعون الأغنيات العادية ، ولما خاف من حدوث شىء فى العرض أخذ جهاز اتصاله ، وصعد إلى سطح مبنى السفارة الذى يبلغ 18 طابقاً وفتح الجهاز ، فى تلك الثوان بالذات التقط نداء (م) كان البلاغ قصيراً وموجزاً وموضوعياً: [أطلقت رصاصات على الرئيس ، السفير على ما يرام تماماً ، لقد خلصنا أنفسنا بسرعة يمكن أن تبلغ (الوطن) أن السفير قد رحل بسلام وأننا فى طريقنا . وسوف نتصل] ، وحسب طلبى امتنع (م) عن ذكر جرح " ق " لا يجب خلق مخاوف فى (الوطن) كما أن الجرح كان يبدو سطحياً جداً ، بعد إحدى عشرة دقيقة من انقضاض المتآمرين على الرئيس ، كانت مكاتب مدير عام ورئيس القسم بوزارة الخارجية بالقدس على علم بخروجنا بسلام ".

ثم يواصل سفير دولة العدو شهاداته كاشفاً عن مخاوفه الحقيقية وكيف أنها لم تكن شخصية بل عن ذلك السلام المدنس بين دولته وحكام مصر وقتها ولنتركه يتحدث : " واصل محمود توجيه رونى إلى منزل عمه ، وأنا لأول مرة منذ أصوات الانفجار والرصاص أمام المنصة نظرت إلى نفسى داخلياً : من الغريب أننى لم أشعر لثانية واحدة بمشاعر خوف أو ضعف ، لم يرد ببالى لحظة أنه من المحتمل ألا نخرج من هناك سالمين ، كانت كل أفكارى تتركز على تفسير هذا الحدث ماذا حدث للرئيس ؟ هل خرج سالماً ، وماذا حدث لنائبه حسنى مبارك وبقية الذين يتولون السلطة فى مصر ، أليسوا جميعاً كانوا يجلسون على يمين ويسار الرئيس فى الصف الأول ؟ والأهم من كل هؤلاء .. ماذا سيحدث للسلام مع مصر ، وأين هم رجال سفارتى ، وأسرهم ، وأولادهم ؟ أليس لدينا فى القاهرة أكثر من ثلاثين طفلاً يدرسون فى المدارس ؟ ماذا يحدث الآن لزوجتى طوقا وابنتى أورنا وحفيدى الصغير طال ؟ ماذا كان هدف المتآمرين ؟ هل القضاء على الرئيس ؟ تحريك ثورة ضد النظام كله ؟ ما هى هويتهم وما هى أهدافهم ؟ كان على أن أعمل بسرعة حتى أحمى أولاً كل أفراد

موظفى السفارة وعائلاتهم ، وعلى أن اتصل فوراً بطوقا ، هل أذعنت طوقا وابنتى أورنا التى استضفناها مع أول حفيد لنا طال ، ولم يخرجوا فى ذلك الصباح إلى شوارع القاهرة وفقاً لنصائحى ؟ .

***

توقف رونى أمام منزل لطيف من طابقين ، نزل محمود و(م) من السيارة ، دخل محمود إلى المنزل وظل (م) متأهباً بجوار السيارة ونفس الشئ فعله (ق) حيث توقفت سيارته بالقرب منا عاد محمود ودعانا للدخول .

وطلب من رونى ومن سائق السيارة الأخرى إدخال السيارتين إلى الفناء الداخلى خلف المبنى ، ليس مطلوباً أن يلحظ أحد وجودنا عن طريق السيارات التى تحمل أرقاماً دبلوماسياً . انفتحت أبواب المنزل عن آخرها وقوبلنا بحرارة ، أعرب الطبيب عن دهشته لأن الإذاعة توقفت عن إذاعة العرض وانتقلت إلى إذاعة موسيقى ، قال : " هذا يعنى أن شيئاً ما قد حدث ربما شيء فى الإرسال أو ربما شيء آخر " باختصار حكى محمود لعمه بأنها على ما يبدو محاولة لاغتيال الرئيس ونظر إلىّ قائلاً " نورت البيت يا سيادة السفير " فأجبته : " منور بأصحابه " وطلبت من الطبيب أن يفحص (ق) وقال الطبيب : إنه حقاً ليس طبيباً متخصصاً ولكن يمكن الاعتماد عليه فى تقديم الإسعافات الأولية وأنه سيفحص (ق) فوراً ولكن قبل ذلك يريد أن يسأل : " هل لسعادة السفير مطلب أياً كان ؟ " قلت بنوع من الدعابة المصطنعة حتى أحافظ على الجو المخفف : " ليس واحداً بل ثلاثة " فقال " أمرك يا سيدى " قلت ثلاثة طلبات صغيرة يا سعادة الدكتور ، تليفون حتى اتصل بالسفارة وبمنزلى ، وجهاز راديو ترانزستور حتى أتابع وأعرف ما يدور حولنا وكوب من القهوة حتى أتيح لك القيام بواجب الضيافة " .

* اتصلت بالسفارة التى ردت فوراً وكانت أجهزة الاتصال تعمل فى هذا اليوم بصورة مذهلة " حديث قصير مع موظف السفارة وبعض الرموز التى تشمل

توجيهات بالنسبة لتأمين رجالنا بعد أن سألت عن نوبتجى السفارة ، وطلبت تحويله إلىّ بعد أن ينتهى (م) من حديثه معه ، كان على الخط المستشار لشئون الصحافة إيلى لنيادو ، حاول إيلى أن يقنعنى بأنه يجب أن اتصل فوراً بالبلاد ، خاصة إلى الإذاعة أو إذاعة الجيش ، أرادوا أن يسمعوا صوتى لأن الشبكة الثانية بالتليفزيون الفرنسى أذاعت منذ دقائق أن الرئيس السادات وأنا مصابان ، أوضحت لإيلى أننى لا استطيع الاتصال بالبلاد من التليفون الذى أتحدث منه لأنه غير متصل بالسنترال الدولى وسألته : " ما هى المعلومات التى لديك ، إننى منصت إلى الراديو وحقيقة أنه حتى هذه اللحظة لم نسمع صوت الرئيس ، تقلقنى " رد إيلى : نعم هذه الموسيقى من الإذاعة مثيرة للأعصاب " فقلت له : " لا يا إيلى ، إنها لا تثير أعصابى ، إنها تثير القلق "

[ثم يحكى السفير تفاصيل كثيرة وحوارات أكثر أجراها مع رجال مخابرات فى السفارة وفى تل أبيب ، دارت كلها حول مخاوفهم على مصير العلاقات والتطبيع مع مصر فيما لو كان السادات - صديقهم الوفى !!-قد قتل !!] .

ثم فى موضع آخر فى مذكراته يقول سفير دولة العدو : " ودعنا صاحب المنزل وزوجته والضيف الأمريكى الذى كان هناك أيضاً [يبدو أنها أسرة مصرية مشوشة الفكر والعقدة وكرمها كان زائداً (جيتين) فى التعامل مع أعداء مصر من الصهاينة والأمريكان وقتها .. وقت أن كان الشعب المصرى فى أغلبه ضد هذه العلاقات ولكن ما الغريب خاصة إذا كان ابنهم (المدعو عبد اللطيف) يعمل ضابطاً فى خدمة سفير دولة الكيان الصهيونى] (الكاتب) ، وخرجنا إلى الممر المؤدى إلى الشارع ، بجوار الرصيف وقفتا سيارتان مدرعتان كبيرتان تابعتان للأمن المركزى ، وبدون كلام توجهت إلى سيارتى حيث كان رونى يجلس على عجلة القيادة ، ودخل سائق سيارتنا الثانية إلى سيارته " . قال العقيد : " سيدى مدعو للدخول إلى المدرعة الثانية " تلك هى التعليمات التى لدىّ . كان (م) يقف إلى جوارى وتساءلت : " هل ذلك فى صالحنا أم غير ذلك ؟ " واقترحت نركب جميعاً ما عدا السائقين ، ودخلنا بأسلحتنا إلى المدرعة وهز (م) رأسه هو

ومحمود و(ق) وأنا دخلنا الواحد تلو الآخر إلى المصفحة الثانية كان بها عدد من رجال الأمن المركزى المسلحين جميعاً بأسلحة أوتوماتيكية، وتحركت المصفحة الأولى وهى تفسح الطريق ونحن خلفها كنا أنا و(م) و(ق) ننظر إلى رجال الأمن المركزى حولنا ، نظرت إلى محمود ، وكان يبدو هادئاً ومستريحاً قلت لقائد القوة : " لى طلب " – قال : "أؤمر يا سيدى " – " سنذهب أولاً إلى المستشفى العسكرى بالمعادى " وظهرت الدهشة على وجه الضابط كنت أريد أن يقوم طبيب آخر بفحص أحد رجالى الذى أصيب فى العرض " فقال : " على الرحب والسعة ولكن يجب الحصول على موافقة القيادة " مرة أخرى قام العقيد باستخدام جهاز الاتصال الخاص بالمصفحة وجاء الصوت اللاسلكى من الجانب الآخر واضحاً جداً ولكن مهذب – الرفض التام " لم أكن أعرف بالطبع أنه فى ذلك الوقت كان جثمان الرئيس مسجى ، وفى حجرات أخرى يبذل الأطباء جهوداً لإنقاذ ثلاثة من المعتدين كانوا قد أصيبوا أثناء انسحابهم وتم القبض عليهم وإرسالهم إلى المستشفى " ولكن بالنسبة لى كان يهمنى أن أواصل ، عن طريق العقيد الحوار مع القيادة كان علىّ أن أتأكد من أننى بين الأيدى الصحيحة ، إن تلميح أو طريقة حديث العقيد أو من يتحدث إليه على الجانب الآخر قد يوضحان نحن بين أيدى من بعد ، مداولة قصيرة اقترحت القيادة " حلاً وسطاً " : " فى البداية يذهبون إلى منزلى وبعد ذلك تأخذ المصفحة طريقها إلى المستشفى حاملة (ق) هناك سيكون فى انتظاره طبيب سيعالجه فوراً ، قلت : "أرغب بشدة فى أن يصاحبه أحد أفرادى إلى المستشفى وأن تعيده هذه المصفحة إلى منزلى بعد العلاج " ، بعد حديث قصير بين العقيد والقيادة ، رد على : أمرك يا سيدى ، كله جاهز". (لقد كان ذكاء هذا السفير من أجل أتباعه من رجال المخابرات ، ومن أجل من يحكم مصر بعد رحيل السادات ، صديقهم وقتها لذلك تمتلئ مذكراته بهذه التفاصيل الخطيرة التى كان يطبعها رجال الأمن والمخابرات المصريون للأسف ، فى تلك الفترة الكئيبة من تاريخ مصر ، طاعة عمياء ومهينة جداً للشخصية المصرية!) (الكاتب).

* بعد أن وصل سفير إسرائيل إلى منزله وفقاً لقوله : " تحدثت فى التليفون مع بعض الزملاء السفراء ، وبين كل مكالمة وأخرى مكالمات من إسرائيل : أبناء الأسرة والأصدقاء والزملاء الذين سمعوا صوتى فى الراديو حيث سارعوا لتهنئتى ، كانت أذن على السماعة وأخرى تستمع إلى الإذاعة المصرية " (طبعاً كان يريد متابعة أوضاع الحكم والسلطة فى مصر فى هذه الأجواء المشحونة خاصة ملف العلاقات مع تل أبيب وانعكاس هذه الأحداث عليه وهى أجواء كانت البلاد فيها منقسمة على نفسها ، النظام وأتباعه ومعهم سفارة إسرائيل فى ناحية ، وباقى مكونات الشعب المصرى على اتساعها فى ناحية أخرى) (الكاتب) .

***

فى الخامسة إلا الربع تلقى إيلى لينادو – مسئول الإعلام بالسفارة الإسرائيلية – يقول ساسون : وصلت برقية من رئيس الوزراء مناحم بيجين ؛ حيث طلب منا أن ننقلها على وجه السرعة إلى الرئيس السادات وقد نقلتها فوراً بالتليفون على الرئاسة .

سألت إيلى (كم استغرق رئيس الوزراء كتابة البرقية ومتى أبلغتها إلى الرئاسة ؟) لقد صيغت البرقية فى الخامسة وأربعين دقيقة ، أى منذ خمس دقائق .

وحسب طلبى تلى علىّ إيلى لينادو معنى البرقية التى بعثها رئيس الوزراء إلى الرئيس السادات (صديقى العزيز ... علمت بصدمة عميقة بمحاولة إجرامية لاغتيالك ، إن أخباراً وصلتنا أنك قد أصبت إصابات طفيفة وسرعان ما ستشفى ، إن صلاتنا العميقة تدعو إلى أن نستطيع مواصلة عملية السلام وأبلغ تعزيتى لأسرة سكرتيرك وأتمنى سرعة الشفاء لنائب الرئيس ووزير الدفاع وكل من أصيبوا ، زوجتى تشاركنى مشاعر التضامن مع السيدة جيهان السادات والأبناء فى هذه الفترة العصيبة التى تمر بكم ، سنكون فى غاية الامتنان لو استطعنا أن نعرف من حين لآخر تقدم الشفاء والصحة .. المخلص .. مناحم بيجين) .

وواصل إيلى حديثه : " بعد أن أمليت على العميد الجندى (أحد مسئولى أمن الرئاسة فى مصر) نص البرقية قال لى : إن سكرتير الرئيس حى ولم يحدث شىء لنائب الرئيس أو لوزير الدفاع ، وقلت للجندى من جانبى إننى أريد أن

أُضَمِّنَ تمنيات الشفاء السريع للرئيس باسمي وباسم جميع العاملين بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة " .

***

يقول موشيه ساسون : " كان غريباً أن ضابط الرئاسة لم يقل كلمة عن الرئيس السادات ، مع هذا تلقى برقية رئيس الوزراء ، يبدو أن التعليمات التى لديه فى هذا الوقت ألا يتطرق أبداً لموضوع الرئيس ، الراديو مفتوح والقاهرة لاتزال تذيع الأغنيات الوطنية ، كان مهماً أن أعرف حالة وزير الدفاع أبو غزالة الذى يسيطر على القوات المسلحة ، كان كلام العميد عنه وعن نائب الرئيس حسنى مبارك باعثاً على الهدوء ، ولكن علىّ أن أتأكد ، اتصلت بمكتب وزير الدفاع ، لم يكن بالمكتب، إلا أن سكرتيره الذى أعرفه جيداً ، قال لى : إنه رغم الجرح البسيط جداً فى يده إلا أن الوزير يعمل كالمعتاد ويسيطر تماماً على القوات المسلحة . (لنتأمل كيف أن العدو عبر رجال سفارته لا يهتمون دائماً سوى بمصلحتهم والتى فى مقدمتها وضع الجيش فى مصر وكيف أنه مهم جداً بالنسبة لهم ولذلك سارع بالاتصال بمكتب أبو غزالة والغريب أنه كانت لدى السفير الإسرائيلى علاقات خاصة بمدير مكتبه ترى كيف ومتى تمت ؟ هل يحكى لنا أحد من المسئولين الأحياء عن ذلك ، لا نظن !!) (الكاتب) .

***

فى الساعة السابعة وخمسين دقيقة – أى بعد سبع ساعات وعشر دقائق من الأحداث الدرامية فى المنصة – ظهر نائب الرئيس حسنى مبارك من خلال رسالة بالإذاعة والتليفزيون ليعلن وفاة الرئيس السادات ، لم يكن مبارك فى حالة طيبة ، مازال واقعاً تحت وطأة الصدمة والأحداث ، كان صوته هادئاً ومع هذا كان ملحوظاً فيه الألم العميق والحزن . كان الواضح أن الحمل الذى ألقى عليه فجأة أثر عليه ، ولقد اكتشفت أنه وجه الكلمة من مبنى الإذاعة والتليفزيون مما يدل على أن وسائل السلطة فى يديه .

وأصبحت أمامى ليلة طويلة ، وتم عقد اجتماع لكبار موظفى السفارة عندى فى المنزل ، يقول ساسون : قمنا بتوزيع العمل : يجب إجراء اتصالات تليفونية مع زملاء وأصدقاء مصريين ومسئولين كلما أمكن العثور عليهم لنضع رقابة على الترتيبات الأمنية ، الاستماع إلى كافة المحطات والإذاعات فى العالم العربى من أجل معرفة ردود الأفعال الأولية ، متى ستتم جنازة الرئيس؟ ما هو الوضع القانونى الآن ؟ صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، القائم بأعمال الرئيس ، هو صديق لى ومؤيد كبير للسلام .. وهكذا وصفه ساسون " (إن المؤرخ لعلاقات سفير إسرائيل بقيادات مصر يتوقف ملياً أمام هذا الحجم الكبير من الصداقات التى ربطته بتلك الشخصيات والتى كان لا يهمها على ما يبدو سوى مصلحتها فقط ولا علاقة لها بالوطن (مصر) الذى تعاديه هذه الدولة الصهيونية) (الكاتب) ، نائب الرئيس أخذ كل صلاحيات السيطرة على القوات المسلحة ، إنه يستكمل الطريق حيث إنه من أول بيان له جاء بكلمات تهدئة ووعد بشأن استكمال المسيرة .

ثم يقول ساسون فى جزء آخر من مذكراته : " فى اليوم التالى ، (عشية عيد الغفران .. الاسم العبرى لانتصار أكتوبر العظيم !!) ، قبل الصلاة ، قال أحد زملاء العمل (لو عدت بتفكيرك ألم يكن من الأفضل عدم حضور العرض يا موشيه مثلما نصحك المعارضون فى إسرائيل) قلت له بالعربية : (أعوذ بالله وماذا كانوا سيقولون عن إسرائيل لولا وجودى هناك؟) . أجاب (صحيح ، ولكن المخاطرة التى دخلتها كانت كبيرة جداً) .

فى الساعة التاسعة ليلاً ، بعد ساعة وعشر دقائق من كلمة مبارك فى أجهزة الإعلام حيث أعلن وفاة السادات ، قام رئيس الوزراء مناحم بيجين بصياغة برقيته الثانية لمصر ، وقد عنونها باسم السيدة جيهان السادات – جاء فيها : (بشديد الأسى ، علينا أن نسلم بأن الآمال التى تمنيناها على مر الأيام ، لم تتحقق فالرئيس ، زوجك العظيم ، قد فقد حياته بيد الاغتيال الغادر ، لقد فقدت اليوم شريكاً فى عملية السلام النبيلة ، وفقدت صديق شخصى ، إننى أنحنى

أمام حزنك يا سيدتى ، الذى لا يستطيع الإنسان أن يعبر عنه بالكلمات ، تشاركنى عاليزا – وهى زوجة الإرهابى بيجين – فى عميق عزائنا لك وللأبناء ولكل أفراد الأسرة الحزينة ، أعانك الله فى شدتك ، مناحم بيجين) .

***

تحت هذا العنوان يختم السفير الصهيونى شهاداته : " خمسة قتلى من بينهم الأسقف صمويل رئيس اللجنة القبطية والسكرتير الأول والفريق حسن علام والمهندس سمير حلمى وأجنبيان ، وثلاثة وثمانون جريحاً من بينهم سفير بلجيكا الذى أصيب إصابات شديدة وسفير كوبا ، والسكرتير الأول بسفارة أستراليا ، وشخص آخر من أصل صينى ورئيس الأركان المصرى والفريق عبد المنعم واصل ،واللواء نزيه محمد على من الحرس الجمهورى (إصابات طفيفة). أما القتلة الأربعة فهم : قائد العملية الملازم أول خالد الإسلامبولى ضابط بالجيش المصرى ، والذى شارك لثالث مرة فى استعراض السادس من أكتوبر ، والقناص حسين عباس الذى كان بطل الرماية فى مصر عام 1975 وهو الذى وجه سلاحه من فوق اللورى ، فأصاب الرئيس وقتله بأول طلقاته، وعطا طايل الذى ألقى بالقنبلة الأولى التى انفجرت بعيداً عن المنصة وعبد الحميد عبد السلام الذى أفرغ خزانة مدفعه مثل بقية زملائه إلى الاتجاه الذى كان فيه الرئيس راقداً على الأرض غارقاً فى دمائه .. كلهم أعضاء خلية سرية إسلامية متطرفة غير ممثلة فى البرلمان " (يقصد طبعاً جماعة الجهاد الإسلامى ، أما حكاية البرلمان فتقريباً كل القوى الوطنية المصرية لم تكن ممثلة فى برلمان السادات بما فى ذلك الشيوعيين الوطنيين ، لقد كان برلماناً مزوراً ومصنوعاً على عين السادات وسمى شعبياً يومها تكهماً واتهاماً ببرلمان كامب ديفيد) (الكاتب) .

ثم يقول سفير إسرائيل: لقد اغتيل السادات بأيدى مجموعة متآمرين مصريين مسلمين من السنة المتعصبين لأنه رفض أن تكون الشريعة هى أساس القانون فى الدولة رغم أن زعماء الجهاد قد رفضوا اتفاقية السلام مع إسرائيل وسوف يلغونها لو وصلوا إلى الحكم ذات يوم " (بالمناسبة هذا لم يحدث بعد أن وصل

الإخوان وحلفاؤهم من الجماعة الإسلامية والجهاديين التكفيريين لحكم مصر بل إن د. محمد مرسى كتب لرئيس دولة الكيان الصهيونى بيريز واصفاً إياه بالصديق) .

***

* ثم يزعم سفير إسرائيل أن معاهدة السلام لم تكن السبب فى قتل السادات ، ثم يستدرك فى دهاء وخبث يخالف الحقيقة التى يعلمها الرأى العام المصرى جيداً : " صحيح أنه خلال التحقيق معهم أضاف المتآمرون خلال أقوالهم كلاماً ضد اليهود وإسرائيل وكلاماً عن انضمام السادات لليهود والأمريكيين والوعود التى تتعارض مع الدين والتى تستوجب محاربتهم، ولكنهم فعلوا ذلك بعد وقوع الحدث وبدون ارتباط بالخطوة التى أقدموا عليها ، أما تلميحات بعض المصريين وأقوال آخرين " مثل نائب رئيس الولايات المتحدة السابق " بأن السادات قُتل لأنه وقع على اتفاقية سلام مع إسرائيل ليس فقط لا أساس له من الصحة ، بل إنهم يشوهون الحقيقة ويضرون (وهذا هو الهدف الخفى للسفير ساسون) رغبة الزعماء العرب والمسلمين والمسيحيين الآخرين (الذين يتطلعون ويفكرون فى إمكانية إنهاء النزاع العربى الإسرائيلى بطرق سلمية ".

* هكذا يتصور سفير إسرائيل الأسبق وهكذا يحرف الحقيقة ، ويخالف حتى شركائه الأمريكان فى التحليل السياسى لحادث مقتل السادات والذى كان سلامهم الوهمى معه أحد أبرز أسباب اغتياله ، حتى لو كان قاتلوه من أبناء حركة الجهاد الإسلامى ، لم يذكروا ذلك ، لقد كان المناخ العام الذى خلفته هذه المعاهدة الشاذة ، والمعادية لأبسط مفاهيم الأمن القومى المصرى ولقيم العدل والقانون والحق فى صراعنا مع العدو التاريخى لمصر (قبل العرب) ، والتفريط الكبير الذى قام به السادات تجاه هذه القيم – رغم ترهات البعض هذه الأيام والتى يكادون يحولوا السادات إلى نبى للسلام !! – لقد صاحب توقيع هذه المعاهدة مناخ من الخوف والاستبداد المرتبط بها لفرضها فرضاً على شعب

يكره هذا السفير ودولته ومن زرعهما فى فلسطين ، كل هذا ساعد ولاشك على التعجيل باغتيال السادات ، حتى لو كان (الإسلامبولى) ورفاقه لم يذكروا ذلك جيداً وبدقة إلا بعد اغتيال السادات فى أقل من 30 ثانية فى أسرع حادث اغتيال فى التاريخ ، لقد كانت دولة السفير (موشيه ساسون) صاحب هذه المذكرات ، وتلك الشهادة الخطيرة ، هى السبب غير المباشر فى إنهاء حياة السادات بهذا الشكل الدرامى ؛ ولم تكن مصادفة أن تزين جميع أقفاص المتهمين باغتيال السادات (لافتات) كتبت بالدم تتضمن إعلاناً واضحاً أنهم قتلوه ، لأنه فرط فى القدس وصالح العدو الصهيونى بأبخس الأثمان.

إن شهادة موشيه ساسون ، ثانى سفير لدولة العدو الصهيونى فى مصر (1981 – 1988) لتؤكد أخيراً أنهم بقدر حزنهم على فقدان صديقهم الوفى (السادات) إلا أنهم اطمأنوا وفرحوا بخليفته الرئيس المخلوع مبارك ، ثم بخليفته الأخير (محمد مرسى)؛ لأنهم جميعاً كانوا يحافظون على استمرار هذا العار المسمى باتفاقية كامب ديفيد أو معاهدة السلام ، وببقاء وكر الجواسيس الحامى لها والمسمى بسفارة العدو الصهيونى ، والتى كان إغلاقها أبرز مطالب ثوار يناير 2011 ومعها قنصليتان ومركز أكاديمى إسرائيلى!!.

إن إسرائيل – ختاماً – ووفقاً لمذكرات سفيرها الأسبق (موشيه ساسون) لا صديق لها ، مصلحتها فقط هى الصديق ؟! .

<u>المحور الثالث : مستقبل التطبيع من وجهة نظر سفيرى إسرائيل فى مصر فى الثمانينات والتسعينات:</u>

بالتأكيد كان كل من (ساسون) و(سلطان) يتبنيان استمرار التطبيع وبقوة بين مصر وإسرائيل ، أما على مستوى الواقع فقد طرح ساسون السؤال في ختام مذكراته:"كم من الوقت سيصمد ذلك السلام المنفرد مع مصر؟" .. وكانت إجابته إنه طالما لن يحدث شيء خطير جداً في المنطقة، فإن بقاء الرئيس

مبارك ضمانة لبقاء الصلح والتطبيع(*)، ومع عدم تعيين الرئيس لنائب يمكن دراسة أفكاره ومواقفه لاستنتاج نواياه نحو الصلح ، فإن الموقف سيظل في إطار "التخمين"، ومع تعدد الاحتمالات في المستقبل، فلا شك لدى ساسون أن من الضمانات القوية لاستمرار الصلح، بجانب بقاء الرئيس مبارك، أن يحدث صلح شامل بين الدولة الصهيونية والدول العربية المحيطة (مذكرات موشيه ساسون ، ص 279–280).

أما ديفيد بن سلطان، فيرى أن العلاقات المصرية الإسرائيلية ترتبط بعوامل رئيسة، على رأسها مسار التفاوض والصلح مع الكيان الصهيوني، وهو عامل لا تسيطر عليه مصر، إذ تدخل فيه أطراف أخرى(سوريا، ولبنان، والفلسطينيون)، كما أن مسيرة التطبيع لا تسير في منحنى صاعد، فمع الأزمات يمكن للنظام المصري . وهو ما حدث أكثر من مرة . أن يلغي بقرارات سياسية وإدارية ما تم تحقيقه من تقدم في التطبيع. (مذكرات ديفيد بن سلطان ، ص 197–198) .

كما يلفت سلطان الانتباه إلى أن الصلح بين النظام المصري والكيان الصهيوني لم ينجح في إزالة الحساسية بين الطرفين، وأنه يمكن لبعض التصريحات غير الحذرة، أو التي يساء فهمها – حسب كلماته – أن تؤدي إلى استحضار ما يحاول الجانبان تناسيه من تاريخ الصراع، وعودة وصف الدولة الصهيونية في الخطاب السياسي المصري بـ"العدو". لذا فإن السفير الصهيوني يحذر دولته من الغفلة عن حساسية العلاقات مع النظام المصري؛ لتحافظ على علاقاتها معه (مذكرات ديفيد بن سلطان ، ص 198) .

وبالنسبة للمستقبل، يتوقع سلطان أنه وإن تخلص الجانبان مما يسميه" رواسب الماضي"، فإن حساسية العلاقات بينهما لن تنتهي، والسبب هو إحساس النظام

---

* في هذا الإطار يمكن أن نفهم دعوات حاخامات اسرائيل للرئيس مبارك بطول العمر والشفاء من الأزمات الصحية التي كان يمر بها في السنوات الأخيرة، من حكمه كما يمكن تفهم الدعم الاسرائيلى لقضية توريث الحكم في مصر لنجل الرئيس مبارك الأصغر. وهو ما قضت عليه ثورة يناير 2011

المصري بالخوف والتهديد من الدولة الصهيونية، التي ينظر إليها كدولة متقدمة ، تملك قدرات عسكرية وصناعية وتكنولوجية مبهرة، ورادعة في الوقت نفسه.وأيضاً بسبب مخاوف المسئولين والمثقفين المصريين من سيطرة الدولة الصهيونية على الاقتصاد المصري، واقتصاد المنطقة كلها، والهيمنة على الثقافة المصرية أو المساس بها على الأقل(مذكرات ديفيد بن سلطان ، ص 198) ..

ويتفق سلطان مع سلفه ساسون على أن قوة التطبيع مع مصر وتطوره يرتبطان بالتقدم في مسار المفاوضات والتسوية مع سورية ولبنان والفلسطينيين(مذكرات ديفيد بن سلطان ، ص 198 ، ومذكرات موشيه ساسون ص279) .

كما يتفق سلطان مع ساسون في أن بقاء التطبيع مرتبط ببقاء النظام المصري الحالي، وأنه من الممكن أن ينهار كل شيء حال وصول القوى الأصولية – الرافضة للصلح مع الكيان الصهيوني – إلى الحكم ، أو في حال حدوث أي تحول حقيقي في ميزان القوى الإقليمي(مذكرات ديفيد بن سلطان ، ص 199 ، ومذكرات موشيه ساسون ص279) .

***

على أية حال وفى نهاية مذكرات سفيرى الكيان الصهيونى فى مصر (موشيه ساسون وديفيد بن سلطان) نسجل الآتى :

1- أكد الرجلان على المكانة الخاصة للسفراء الإسرائيليين في مصر، والمعاملة المتميزة التي يلقونها من النظام المصري، بدءاً بالرئيس المصري. وقد أفاض ساسون في ذكر النماذج الدالة على ذلك، خاصة في الشهور القليلة السابقة على اغتيال الرئيس أنور السادات (انظر : ص 21-31 من مذكرات موشيه ساسون) . ورغم أن الرجل بدت مبالغته في كثير من مواضع كتابه، فمما يؤيد رواياته أن ثمة خصوصية في العلاقات بين النظام المصري والدولة الصهيونية، تنبع من اتفاقية الصلح التي تلزم النظام المصري بالاحتفاظ

بعلاقات صداقة وتعاون أبدية مع الكيان الصهيوني، مهما حدث من تطورات في المنطقة، وقد نجح الإسرائيليون ورعاتهم الأمريكيون في كامب ديفيد في إحكام الضمانات والاحتياطات التي تجبر النظام المصري على ذلك.

2 – من العوامل التي تضغط من أجل دفع العلاقات مع الكيان الصهيوني، خاصة في المجال الاقتصادي، طبقة رجال الأعمال التي اصطنعها الرئيس السادات بما عرف بـ"سياسة الانفتاح" في منتصف عقد السبعينيات. فتلك الطبقة التي زاد ثقلها في العهد الحالي، وتشابكت مصالحها الاقتصادية مع الصهاينة والأمريكان، تعمل – حسب كلمات ديفيد بن سلطان – "كقوة ضغط من أجل دفع العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل"(انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان ص149).

3 – يدلل سلطان على قوة العلاقات بين النظام المصري والكيان الصهيوني في منتصف عقد التسعينيات، بنماذج تدل على زيادة الوعي لدى المسئولين المصريين بوجود مصالح مشتركة مع الكيان الصهيوني، من ذلك أن أحد كبار الوزراء المصريين . وفقاً لما يروى الرجل . تحدث عن التحديات المشتركة التي تواجهها مصر والدولة الصهيونية، وعلى رأسها: الإرهاب، والتطرف، وأطماع إيران في المنطقة!! كما ينقل سلطان عن أحد كبار الوزراء المصريين قوله:"إن مصر وإسرائيل ليستا في تنافس، وما هو حسن لإسرائيل ليس بالسيئ لمصر، بل حسن لمصر أيضاً، وما هو حسن لمصر ليس بالسيئ لإسرائيل، حيث إن لكلتا الدولتين مصالح مشتركة، وكلتاهما من هذه الناحية في قارب واحد"(مذكرات ديفيد بن سلطان ص136).

4 – يذكر ديفيد سلطان أن أصل القيود التي تفرضها الحكومة المصرية على سفر المصريين للكيان الصهيوني، هو أن الإسرائيليين طلبوا من النظام المصري منذ بداية العلاقات بينهما، اتخاذ نوع من الرقابة على المصريين الراغبين في السفر، فقد خشيت الأجهزة الأمنية في الدولة الصهيونية ألا

تستطيع السيطرة على المصريين إن وفدوا بأعداد كبيرة، كما خشي الجانب الإسرائيلي من أن يؤدي الدخول الجماعي للمصريين إلى احتكاك بين الدولتين، أو إلى ظهور عمالة غير قانونية مصرية تؤثر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الكيان الصهيوني (مذكرات ديفيد بن سلطان ص124).

5 – من المحددات التي يوردها ديفيد بن سلطان للسياسة الإعلامية المصرية تجاه الكيان الصهيوني، أن النظام المصري يشجع الإعلام المصري على نقل صورة سلبية للدولة الصهيونية، كيلا يدرك المصريون الإنجازات الديمقراطية في الدولة الصهيونية، ويقارنون ذلك بما يحدث في مصر، بما يمكن أن ينعكس سلباً على النظام المصري!! (انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان ص156). كذلك فإن النظام المصري (إبان عهد مبارك) – حسبما يذكر سلطان – يسمح للإعلام بالتنفيس عن سوء الأوضاع الداخلية المصرية في اتجاه الهجوم على الدولة الصهيونية، بدلاً من أن يتوجه الهجوم للنظام نفسه!! (انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان ص164) .

6 – المعتاد في حالة الاعتداء على الدول العربية، أن تتدهور العلاقات المصرية بالكيان الصهيوني، وأن يتم تجميد صور التطبيع المختلفة، ويتوقع ديفيد سلطان ألا يتخلى النظام المصري إستراتيجية الصلح والتطبيع، ويستبدل بها إستراتيجية أخرى في حالة تمادي الصهاينة في العدوان، وزيادة المقاومة له – أو في حالة "زادت المواجهات في المنطقة" بتعبيره – بل المتوقع حينها أن يحافظ النظام المصري على العناصر الأساسية للصلح مع العدو الصهيوني، التي تتمثل في: الالتزام بالملحق العسكري، ووجود السفارات، والحفاظ على عوامل الاتصال الأساسية مع الكيان الصهيوني. ، وهو ما أكدته بعد ذلك أحداث التطبيع خلال الفترة التالية لتولى (سلطان) عمله كسفير لإسرائيل حتى العام (2011) المحدد زمانياً لفترة الدراسة لهذه الموسوعة ، بل إن التاريخ ينبئنا بأنها امتدت إلى يومنا هذا 2014 .

***

سادساً : قضايا أهملها التطبيع السياسى (الأسرى وأم الرشراش) :

من القضايا التى ظلت تثار طيلة الاثنين والثلاثين عاماً – فترة التطبيع التى ندرسها(1979–2011) – قضيتا (الأسرى) و(أم الرشراش) ، تلك المدينة التى لازالت محتلة وأسمتها إسرائيل بـ(إيلات) ، كانت القضيتان من أبرز الهموم التى شغلت النخبة المصرية ، ولكنها لم تتحول إلى واقع سياسى ، أو عمل منظم ومؤسسى ، كانت تطفو على السطح لكنها سرعان ما تخبو سياسياً ولا يتعدى أثرها الضجيج الإعلامى خلال الاثنين والثلاثين عاماً (1979 – 2011) ، حول هاتين القضيتين نسجل ما يلى :

1 – قضية الأسرى : تؤكد الحقائق أن جريمة قتل الأسرى المصريين ودفن بعضهم أحياء خلال حروب (1948 – 1956 – 1967 – 1973) هى جريمة لا تسقط بالتقادم ، وتقول الوقائع بشأنها أن أول من فتح ملف قتل الأسرى المصريين – للأسف – كان الإسرائيليون أنفسهم حين اعترف الضابط الصهيونى (آرييه بيرو) لصحيفة (معاريف الإسرائيلية عام 1995) بارتكابه وآخرون من زملائه مذابح جماعية ضد الأسرى المصريين خلال حربى 1956و 1967 وكان مما قاله بيرو إنه وزميله (موردخاى براون) ووحدتهما العسكرية رقم 890 قد قاموا بقتل 49 أسيراً مصرياً أعزل من السلاح أثناء حرب 1956 على أرض سيناء ، وقيامهم عام 1967 بقتل ما يزيد على 500 أسير مصرى بينهم عمال مدنيون وأنهم قد أرغموا الأسرى على حفر قبورهم بأيديهم ثم أطلقوا عليهم الرصاص من الخلف .. على ظهورهم .. وبعد هذه الاعترافات الواضحة المفزعة .. توالت ردود الفعل العربية التى تشجب وتندد (كالعادة) ورغم كل الشجب والتنديد .. جاءت اعترافات أخرى مذهلة حين تم إجراء تحقيقات الإسرائيلية داخلية أثبتت – وفقاً لتقرير رسمى بوزارة الخارجية المصرية (1999) أن إجمالى عدد الأسرى الذين قتلوا خلال الحروب الأربع

(48 – 56 – 67 – 1973) قد تجاوز الـ 65 ألف أسير مصرى وأن كبار قادة الكيان الصهيونى اليوم الذين نستقبلهم فرحين فى (شرم الشيخ) !! وعلى رأسهم المجرم إيهود باراك، قد أشرفوا بأنفسهم على عمليات القتل الجماعى تلك لهؤلاء الأسرى ولنقرأ ما كتب عن اعترافات باراك نفسه وكيف أنه قتل ألفى أسير مصرى فى 11 دقيقة فقط عام 1956 :

يقول المجرم : [كنت مازلت ضابطاً صغيراً بالجيش الإسرائيلى حيث كان الجنود والقادة الإسرائيليون يتفننون فى التعذيب والتنكيل بالأسرى المصريين قبل قتلهم على مدار يومين وتجريدهم من أسلحتهم ، ولم أرحم قرابة الألفين من الجنود والمدنيين الأسرى وأبقيتهم يومين فى الصحراء حيث كانت شمس الصحراء ، ملتهبة وأمرت قوات الجيش الإسرائيلى التابعة لى بتجميع الأسرى فى مجموعتين كبيرتين وخلع ملابسهم والنوم على بطونهم ساعة القيلولة وأمرت بإطلاق نار القوات الإسرائيلية وحددت لهم (11) دقيقة فقط للتخلص من أكثر من ألفى أسير مصرى .. وكان جنودنا يقفون بأحذيتهم فوق رؤوسهم وصدورهم لعدة ساعات وكل من يصرخ من شدة التعذيب يكون مصيره القتل فى الحال ويقذف بمساعدة جنديين إسرائيليين إلى الصحراء !! (نقلاً عن تقرير لوزارة الخارجية – الأهرام العربى 1999/3/20 – ص17) .

* هل رجل بهذه الدناءة والخسة فى قتل أسرى الحرب (المحرم دولياً قتلهم) يستحق أن يُستقبل فى القاهرة أو شرم الشيخ وأن يوثق فى سلامه معنا أو مع (عرفات) أو سوريا ولبنان!! وبدلاً من إلقاء القبض عليه كمجرم حرب (مثلما فعلوا هم مع من ادعوا أنهم قتلوا اليهود فى ألمانيا) يتم تقبيل وجنتيه هو وباقى فريق القتلة الحاكم فى (إسرائيل) ؟! (وهذا السؤال طرحناه يومها (عام 1999) فى مقال لنا بصحيفة الوفد المصرية ولم يرد علينا أحد من نظام مبارك أو من إعلامييه حتى اليوم !!) .

* وبعودة إلى باقى الوثائق نجد أن كلاً من (عيزرا وايزمان وموشيه دايان – إسحق رابين – ارئيل شارون – روفائيل ايتان – أمنون روبنشتاين وغيرهم) كانوا هم القادة الآمرون والمنفذون لجرائم ذبح الأسرى المصريين وبالتحديد فى حربى 1956و1967 .. وأنهم كانوا يبررون فعلهم الإجرامى هذا بأن الأسرى بالأعداد الكبيرة تلك كانوا يعوقون سيرهم نحو استكمال احتلالهم لسيناء وللإجهاز على ما تبقى من الجيش المصرى !! ، وكأنهم يتعاملون مع (الأسرى) باعتبارهم مجرد قطيع من الحيوانات وليسوا بشراً لهم حقوقهم التى بالمصادفة صادقت عليها دولتهم (إسرائيل) منذ عام 1949.

***

ولاستكمال جوانب الصورة المؤلمة يهمنا أن نجيب على سؤال أساس خرج خلال الفترة من (1979–2011) وهو هل يجيز القانون الدولى والمواثيق الدولية عملية قتل الأسرى حتى ولو كانوا عسكريين ؟ مع ملاحظة أن نصف عدد الأسرى المصريين (الـ 65 ألف) كانوا من المدنيين أو من البدو الذين تعاونوا مع الجيش المصرى خلال تلك الحروب، للإجابة على ذلك يهمنا التأكيد على أن أحكام المواد 12 – 13 – 121 – 129 من اتفاقية جنيف الثالثة (1949) تنص على المعاملة الإنسانية الكريمة للأسير وتحظر على الدولة الحاجزة للأسرى أى فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت الأسير فى عهدتها كما حظرت تعريض أى أسير حرب للتشويه البدنى أو للتجاوب الطبية أو العملية من أى نوع كان (وبالمناسبة بعض الأسرى المصريين ممن بقوا أحياء مثل: السواركة ، قد تحولت أجسادهم إلى حقل تجارب للأطباء وللجيش الإسرائيلى) .

* ومن المعروف أن (إسرائيل) قد وقعت على الاتفاقيات الأربع الخاصة بالحرب والأسرى عام 1949 ، ووقعت عليها فى 1949/8/12 وعلى البروتوكولين المكملين لها الصادرين عام 1977 ، إذن المجتمع الدولى ملزم

قانوناً بأن يقوم بمحاكمتها علناً ومحاكمة القادة والجنود الواردة أسماؤهم فى الـ 1000 وثيقة التى جمعتها وزارة الخارجية المصرية من واقع 400 شهادة دولية ومحاكمتهم لا تسقط بالتقادم مثلما تمت محاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية فى (نورمبرج) !! .

***

* لقد كانت القضية إذن واضحة .. أسرى أبرياء عزل قتلوا عمداً من قبل ضباط وجنود ينتمون لتجمع عصابات (صارت دولة !!) ، وقتلهم تم مخالفة لكل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية ووثائق القتل وحفلات الذبح الجماعى موجودة لدى وزير خارجية مصر عمرو موسى (وفقاً لما نشرته الأهرام العربى يوم 1999/3/20) منذ عام 1996 ولم يحركها والذى تم تسويقه يومها (فى التسعينات) كرجل ثورى وقومى معاد للتطبيع ، رغم أنه كان أبرز وأهم من أيّد التطبيع وروج له وعقد عشرات الاتفاقات مع الإسرائيليين بشأنه (مثل المؤتمر الشهير فى عام 1996 فى شرم الشيخ لمساندة شيمون بيريز فى مواجهة العمليات الاستشهادية التى قامت بها حركتا حماس والجهاد الإسلامى وأوقعت عشرات القتلى من الإسرائيليين) ، وعقد المؤتمر الدولى الذى حضره 30 دولة عربية وأجنبية لدعم (بيريز) فى مواجهة الفلسطينيين وفى مواجهة نتنياهو ، ورغم جهود عمرو موسى ، فاز نتنياهو برئاسة الحكومة الإسرائيلية .

إن عمرو موسى كان من رجال مبارك المخلصين ولم يكن أبداً ثورياً أو مقاوماً للتطبيع لا قبل ثورة يناير 2011 ولا بعدها ، ولذلك لم يكن متوقعاً منه الاهتمام بقضية الأسرى المصريين ، بل لقد كان أحد معاول هدمها فى (الخارجية) وفى الإعلام !! .

***

2 – قضية أم الرشراش : من القضايا التى كان الإعلام والنخبة السياسية تثيرها كل حين ثم تخفت بفعل قوة الدولة فى فرض التطبيع السياسى بالقوة ،

كانت قضية أم الرشراش المصرية ، وهى مدينة (إيلات) حالياً ، والتى تشكلت لجان وهيئات وحملات سياسية وإعلامية لاستردادها ولكن الأمر لم يتحقق ، وفشلت جميعها للأسف ، ترى ماذا عن القضية وحقائقها؟

بعد حرب 1948 زادت مساحة إسرائيل بفعل العدوان من 14 ألف كيلو متر حسب قرار التقسيم لتصبح 20700 كيلو متر مربع عند توقيع اتفاقيات الهدنة ، بدأت بعدها إسرائيل على الفور فى دعم مواقعها فى الداخل والخارج وبدأت الإعداد العلمى لخطة تسليح واسعة النطاق لتنفيذ خطتها التوسعية ، وانتهزت إسرائيل فرصة الاسترخاء العربى ، فسارعت بالعمل على تعزيز نجاحها فاتجهت نحو الجنوب للسيطرة على النقب واحتلال خليج العقبة وقرية أم الرشراش التى يقطنها الصيادون ولم يكن الأمر مجرد اعتداء إسرائيلى وإنما كان أحد أهدافها هو فصل مصر عن المشرق العربى فبعد توقيع مصر لاتفاق الهدنة مع إسرائيل فى فبراير 1949 تقدمت قوة يهودية جنوباً فى اتجاه خليج العقبة فى مارس 1949 لاحتلال أم الرشراش وهو الأمر الذى تم فى 10 مارس 1949 أما قبلها بأربعة أيام فكانت إسرائيل قد بدأت فى تحريك قواتها جنوباً لاحتلال مناطق حيوية فى النقب ضاربة عرض الحائط بقرارات مجلس الأمن التى تحول دون أى تحرك عسكرى للحصول على مكاسب إقليمية ولما كانت هناك قوات أردنية متمركزة فى بعض النقاط المسيطرة فى النقب وعلى امتداد وادى عربة إلى خليج العقبة فقد تقدمت الحكومة الأردنية بمذكرة احتجاج على التحركات الإسرائيلية المخالفة لقرارات مجلس الأمن الدولى إلى بانش وسيط السكرتير العام للأمم المتحدة وقد أبرق بنتيجة تحقيقه إلى رئيس مجلس الأمن وورد فيه أن القوات الإسرائيلية منذ 7 مارس تتحرك جنوباً لاحتلال منطقة العقبة كما أشار إلى تواجد دوريات أردنية تجوب المنطقة وأوضح أن ما قامت به إسرائيل كان مخالفاً لأحكام الهدنة ، وعندما تقدمت مصر باحتجاج رسمى فى مارس 1949 إلى رئيس اللجنة العليا للهدنة الجنرال " رايلى "

الأمريكى الجنسية ترتب عليه اجتماع هذه اللجنة حيث مثل مصر القائمقام إسماعيل شيرين ومثل إسرائيل موشى ديان فى محاولة جديدة لانسحاب إسرائيل من أم الرشراش .

إلا أن الجنرال " رايلى " أفهم إسماعيل شيرين بعدم جدوى المحاولة ، لأن حكومة الولايات المتحدة لن تمارس أى ضغط على إسرائيل فى هذا الاتجاه .

لقد كان لاحتلال إسرائيل لأم الرشراش التى صارت تعرف فيما بعد بميناء " إيلات " الإسرائيلى أثر بالغ لدى السلطات المصرية فقد اتفقت هذه السلطات مع سلطات المملكة العربية السعودية على أن تقوم القوات المصرية باحتلال جزيرة " تيران " و" صنافر " .

وهما الجزيرتان اللتان تتحكمان فى مداخل خليج العقبة وعلى أثر هذا الاحتلال أقامت السلطات العسكرية المصرية فى " رأس نصرانى " مدافع ساحلية تسيطر تماماً على الملاحة فى مضيق " الإنتربرايسر " .

* وتتوالى الأحداث ليحدثنا التاريخ أن القوات الإسرائيلية دخلت إلى منطقة أم الرشراش المصرية ... فى 10 مارس 1949 فقتلت 350 جندياً من قوة الحراسة واحتلت المنطقة قبل أن يجف مداد اتفاقية الهدنة التى وقعت فى رودس بين مصر وإسرائيل فى 24 فبراير من نفس العام .

وفى عام 1952 استطاعت القوات المصرية استعادة مثلث أم الرشراش من جديد إلا أنه فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر احتلته إسرائيل مجدداً ، وضمته إلى باقى الأرض العربية المحتلة فى فلسطين بوصفه إحدى البقاع المقدسة التى ورد ذكرها فى التوراة قديماً تحت اسم " إيلة " .

***

منذ ذلك التاريخ ومنطقة أم الرشراش المصرية تحت الاحتلال الصهيونى بعد أن تحولت إلى أهم ميناء إسرائيلى وأخطر منفذ له على البحر الأحمر " جريدة العربى الناصرية فى نهاية التسعينات" حصلت على وثيقة عبرية تفضح

ادعـاءات إسـرائيل وتطعـن فـى حقهـا المقدس بمنطقـة أم الرشـراش المصـرية ، الوثيقة الإسرائيلية كانت قد ظلت سراً عسكرياً خطيراً لا يجوز الاقتراب منه أو التعرض له حتى وقعت فى يد اثنين من الباحثين الإسرائيليين فى علم الجغرافيا قاما بنشرها فى كتاب حديث تحت عنوان " معجم كل أرض إسرائيل " صدرت طبعته الأولى فى القدس عام 71 وصدرت طبعة جديدة له نهاية التسعينات . الكتاب الذى يتضمن تلك الوثيقة – الصدمة للحكومة الإسرائيلية فضـح التزييف والعنـاد الفـج عندما أكد أن منطقـة " إيلـة " التـى ورد ذكرهـا فـى التـوراة كـأرض إسرائيلية مقدسة ليست منطقة إيلات الحالية وأن ميناء إيلات الإسرائيلى هو فى حقيقتـه أرض مصـرية كاملـة السـيادة منـذ آلاف السـنين احتلتهـا العصـابات الصـهيونية التابعة للوكالة الصـهيونية فى مارس 1949 فى ظل تواطؤ أمريكى بريطـانى ، وبالتـالى يسـتلزم علـى الحكومـة المصـرية الآن البـدء فـى إجـراءات عودة تلك المنطقـة المهمـة والحيويـة إلـى كامـل السيادة بعد سنوات طويلـة مـن الاحـتلال ذلـك لأن الوثيقـة تؤكـد بمـا لا يـدع مجـالاً للإنكـار أن (أم الرشـراش) شـىء ومنطقـة (إيلـة اليهوديـة المقدسـة) شـىء آخـر تمامـاً ، التقـديرات المبدئيـة تشـير إلـى أن الإصـرار الصـهيونى علـى احـتلال منطقـة مثلـث أم الرشـراش المصـرى كـان يهـدف فـى الأسـاس إلـى فصـل المغـرب العربـى عـن مشـرقه بريـاً وتقليص دور مصر فى المنطقة العربية بعزلها فالجيش العربى فى كافة حروبه ضـد الصـليبيين كانت انطلاقته الأولـى من مصر ، لذلك فقد كانـت منطقـة أم الرشراش هى البداية لتكوين دولة إسرائيل فيما بعد التى انطلقت من قلب التوراة ووفقـاً لنصوصـها ومنطقـة إيلـة التـى يزعـم الإسـرائيليون أنـها منطقـة أم الرشـراش المصـرية ورد ذكرهـا فـى التـوراة خمـس مـرات ، حيـث وردت فـى سـفر الملـوك بالإصـحاح الثـانى فقرة رقم 14–220 وفى الإصـحاح السادس عشر فقرة رقم 6 (مرتين) ثم ورد ذكرها فى سفر التثنية الإصحاح الثانى فقرة رقم 8 ، غير أن

وقائع التاريخ تؤكد أن منطقة إيلة المزعومة ليست مثلث أم الرشراش المصرى ، بل إنها منطقة أخرى تبعد حوالى تسعة كيلو مترات عن المثلث المصرى.

***

إسرائيل كعادتها فى تزييف التاريخ أطلقت إسم إيلات على منطقة أم الرشراش حتى تؤمن خططها الاستعمارية فى أى مباحثات بشأن المنطقة ، وهذا ما يؤكده المستشار حسن أحمد عمر قائلاً : إن إسرائيل تحاول الآن إنشاء مطار يسمى " مطار السلام " فى المنطقة المتاخمة لأم الرشراش – إيلات – والعقبة الأردنية وهو أمر سوف يسمح لإسرائيل مستقبلاً الزعم بوجود "إيلة" شرقية وأخرى غربية ومن ثم تطالب بتوحيد المدينتين بزعم أنهما يشكلان الميناء الوحيد والأبدى لها على البحر الأحمر مثلما زعمت سابقاً بوجود قدس شرقية وأخرى غربية ثم طالبت بضمها لتكوين عاصمة أبدية لإسرائيل ، ويشير المستشار حسن عمر إلى أن إسرائيل دأبت على الالتفاف حول قضية مثلث أم الرشراش المصرى بهدف أن يكون هو آخر نقاط الاختلاف الإسرائيلى – المصرى أثناء مفاوضات طابا والتأكيد على أن النزاع على طابا نزاع حدودى وليس نزاع علامات ، ويؤكد المستشار عمر أن إسرائيل كانت تهدف من ذلك إلى إغلاق قضية الحدود بين مصر وإسرائيل وهو ما رفضه الجانب المصرى الذى جعل إصراره فى مفاوضات طابا الباب مفتوحاً أمام المطالبة بمثلث أم الرشراش فى وقت لاحق وهو ما فطنت إليه العقلية الصهيونية فخرجت إسرائيل لمحاولة جديدة خلال المؤتمر الاقتصادى بالدار البيضاء حيث تقدمت بخدعة جديدة تسلب بها مشروعية احتلالها لهذا الجزء من أرض مصر عندما تقدمت بمشروع تؤكد فيه وجود إيلة شرقية وأخرى غربية وتطالب فيه بتوحيد المدينتين باعتبارهما يمثلان الميناء الوحيد والأبدى لها على البحر الأحمر الأمر الذى رفضه الجانبان المصرى والأردنى .

***

من خلال البحث فى رحلة بنى إسرائيل من مصر عبر صحراء سيناء إلى أرض كنعان ، تحاول إسرائيل دائماً إيجاد أية صلة تمكنها من الإصرار على البقاء فى أم الرشراش ضمن الأراضى التى ظلت تحت حكمهم فى تلك المملكة لمدة 80 سنة فقط ، وهو زمن التواجد اليهودى بتلك المنطقة بينما كانت قبل ذلك تحت سيطرة قبائل كنعان العربية ثم عادت للقبائل العربية من النبطيين والآدوميين ، ثم تلاهم بعد ذلك الرومان وفى تلك العصور لم يكن يتواجد فى أم الرشراش إلا عدد قليل من اليهود لم يزد على بضع عشرات وسط أعداد كثيرة من المسلمين والمسيحيين إلى أن وقعت الحروب الصليبية والتى قامت بإبادة اليهود تماماً من تلك المنطقة .

***

خلال تلك القرون كانت أم الرشراش جزءاً من أرض مصر وإن كانت قد أقامت بها بعض القبائل العربية ولم تكن هناك حدود بالشكل المتعارف عليه حالياً حتى مجىء صلاح الدين الأيوبى الذى قام بتحرير تلك المنطقة من الصليبيين ضمن حملته لتحرير كل أرض فلسطين وكان ذلك فى القرن الـ 12 ميلادى .
وظلت أم الرشراش إحدى المحطات المهمة فى طريق المسلمين لحج بيت الله الحرام التى كانت تضم محطات شرم الشيخ وبئر سبع للوصول إلى منطقة شرق الأردن ومكة المكرمة – ويذهب كثير من المؤرخين إلى أن من حق مصر حالياً بناء على تلك الحقائق الموجودة أن تثير القضية خاصة وأنها جزء من الأراضى المصرية وليست أرضاً فلسطينية استباحت إسرائيل احتلالها ، وأنه إذا كانت فترة الـ 80 سنة التى أقام فيها اليهود بمنطقة أم الرشراش منذ عام 552 قبل الميلاد تبريراً للاستيلاء عليها فمن الأولى أن تعود أسبانيا للعرب باسم الأندلس أو أن يعود الرومان إلى مصر .

***

الدليل الدامغ على حق مصر فى تلك المنطقة تؤكده حدود 1948 أيضاً والتى صدر من خلالها قرار الأمم المتحدة 242و338 والتى تؤكد أن أم الرشراش أرض مصرية وهى القرارات التى بناء عليها حصلت إسرائيل على عضوية الأمم المتحدة كدولة لها حدود وبعد القرار 181 الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما ، يهودية والأخرى فلسطينية ، كانت أم الرشراش خارج تلك الحدود واستمرت كذلك حتى احتلال إسرائيل لها فى مارس 49 .

تزييف الحقائق التى تعتمد عليها إسرائيل كعادتها لاكتساب حق الوجود غير الشرعى وغير القانونى فى المنطقة كل ذلك مزاعم توضحها خرائط موثقة من جانب مؤرخين يهود وإسرائيليين على طريقة " شهد شاهد من أهلها " فهذه الوثائق تتضمن خريطة تتناقص مع المزاعم الإسرائيلية التى تقول : إن أيلة أو إيلوت هو الاسم القديم لأم الرشراش المقام عليها إيلات حالياً .

الخريطة – والتى تأخذ الطابع السرى لدى الحكومة الإسرائيلية تمكن كل من إفرايم ومناحم تالمى وهما اثنان من الجغرافيين الإسرائيليين من الحصول على نسخة منها قاما بنشرها فى كتاب " معجم كل أرض إسرائيل " – كما سبق وأشرنا – والذى صدر فى القدس عام 1971 والذى يؤكد أن إيلة أو إيلوت منطقة تقع بعيداً عن موقع أم الرشراش المصرية بمسافة طويلة وتشير إلى أن منطقة إيلة مستوطنة يهودية تم إقامتها على أرض فلسطينية فى عام 1918 بعد أن تمكن من شرائها صهيونى متعصب فى عام 1892 وهو البارون موريس هيرش عن طريق شركة " يفا " وهى اختصار لاسم الشركة اليهودية للاستيطان والتى أنشئت فى عام 1891 ، وأرسلت لها أموال تقدر بحوالى 100 مليون دولار فى ذلك الوقت وقد تم بناء تلك المستوطنة فى موقع القرية العربية "نجمة الصبح " وأطلق عليها اليهود لقب (إيلة) باعتبارها المدينة التى جاء ذكرها فى التوراة ثم عادت إسرائيل من جديد لتطلق نفس الاسم لكن بشىء من التحريف إيلات على أم الرشراش.

* إن التضليل الإسرائيلى بفرض إثبات حقوق لها فى أم الرشراش تبدده نصوص الحكم الدولى الذى صدر لصالح مصر فى مثلث طابا ؛ حيث أهدرت تلك النصوص الدفع الإسرائيلى الزاعم بأن كلاً من بريطانيا العظمى باعتبارها الدولة المعتدية على فلسطين ومصر قد اعترف صراحة فى عام 1926 بأن الخط المحدد فى اتفاق 1906 هو خط الحدود وأن بريطانيا قد أكدت لمصر أن حدودها لن تتأثر بتحديد حدود فلسطين ونظراً إلى سابقة الرجوع إلى اتفاق 1906 من جانب مصر وبريطانيا عام 1926 وفى غيبة أى اتفاق صريح بين مصر وبريطانيا على تعيين حدود مصر وفلسطين ، فإن المحكمة فى أثناء التحكيم فى طابا أهدرت هذا الدفع كلية ، وأكدت أن المحددات فى اتفاق 1906 المستخدمة فى التصريحات المصرية البريطانية وقتها لا يحملان معنى فنياً خالصاً ، وإنما يشيران فقط إلى وصف خط الحدود دون الإشارة إلى تعليم الحدود المنصوص عليها صراحة فى اتفاق 1906 .

أمريكا من جانبها وفى إطار سعيها المشبوه لعقد صلح بين العرب وإسرائيل، ولثقتها بأن منطقة أم الرشراش ذات الموقع الاستراتيجى هى منطقة مصرية، ولا يمكن أن تتناول مصر عنها وفى نفس الوقت لا يمكن أن تعود إليها ، وإلا تم إعادة الحبل السرى إلى مجراه الطبيعى بين العرب ومصر ، اقترحت فى الستينات إقامة كوبرى يمر فوق أم الرشراش " إيلات " ويربط بين المشرق والمغرب العربى مقابل سقوط مطالبة مصر بهذا المثلث الاستراتيجى وليبقى مغتصباً لدى إسرائيل .

ووقتها رفض عبد الناصر هذا العرض الصهيونى باعتبار أن تلك المنطقة هى همزة الوصل الوحيدة التى تربط المشرق بالمغرب العربى برياً وقال عبد الناصر وقتها: **" كيف نستبدل أرضنا بكوبرى يمكن أن تنسفه إسرائيل فى أى وقت ولأى سبب "** .

* لكن نظام السادات ومبارك من بعده تنازل عن الأرض وعن كل ما يتصل بها بل وهاجم كل من يحاول أن يذكر المصريين بها وكان ذلك بسبب قوة التطبيع السياسى بين نظاميهما والكيان الإسرائيلى طيلة الفترة من (1979 – 2011) .

الملحقات الوثائقية للفصل الأول

الملحق الوثائقى الأول

اتفاقية كامب ديفيد

اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل مع جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في كامب ديفيد من 5 إلى 17 سبتمبر 1978 ، واتفقوا على الإطار التالي للسلام في الشرق الأوسط، وهم يدعون أطراف النزاع العربي – الإسرائيلي الأخرى إلى الانضمام إليه.

إن البحث عن السلام في الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بما يلى :

اجتمع الرئيس أنور السادات .(رئيس جمهورية مصر العربية) ومناحيم بيغن .(رئيس وزراء إسرائيل) مع جيمي كارتر (رئيس الولايات المتحدة الأمريكية)، في كامب ديفيد من 5–17 سبتمبر (أيلول) 1978. واتفقوا على الإطار التالي للسلام في الشرق الأوسط، وهما يدعون أطرافاً أخرى في النزاع العربي الإسرائيلي إلى الانضمام إليه:

المقدمة:إن البحث عن السلام في الشرق الأوسط، يجب أن يسترشد بما يلي:

إن الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين إسرائيل وجاراتها، هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 242 بجميع أجزائه. بعد أربع حروب نشبت خلال 30عاماً، ورغم جهود إنسانية مكثفة، فإن الشرق الأوسط هو مهد الحضارة، ومهبط ثلاثة أديان عظيمة، لم يتمتع بعد بنعم السلام.

إن شعوب الشرق الأوسط، تتلهف إلى السلام، لكن يمكن توجيه الموارد البشرية والطبيعية الهائلة في المنطقة، إلى أغراض السعي إلى السلام. ولكي يمكن لهذه المنطقة، أن تصبح نموذجاً للتعايش والتعاون بين الأمم.

إن المبادرة التاريخية التي اتخذها الرئيس السادات بزيارته للقدس، والاستقبال الذي لقيه من إسرائيل برلماناً وحكومةً وشعباً، وزيارة التبادل التي قام بها رئيس

الوزراء بيغن إلى الإسماعيلية، وكذلك مقترحات السلام التي تقدم بها الزعيمان، والترحيب الحار لتلك البعثات من شعبي البلدين، كل ذلك أوجد فرصة للسلام لا سابق لها، وهي فرصة يجب ألا يفرط بها. إن كان لهذا الجيل والأجيال القادمة، أن تتجنب مآسي الحرب.

إن نصوص ميثاق الأمم المتحدة، وغيره من الأعراف المقبولة في القانون الدولي والشرعية الدولية، توفر مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول. ولكي يتم تحقيق علاقة من السلام تمشياً مع روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة، فإن إجراء مفاوضات مستقبلاً بين إسرائيل وأية دولة من جيرانها، تبدي استعدادها للتفاوض بشأن السلام والأمن معها، لهو أمر ضروري لتنفيذ كل أحكام ومبادئ القرارين 242، 338.

إن السلام يتطلب احترام سيادة كل دولة في المنطقة، ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي، وحقها في العيش بسلام، ضمن حدود آمنة ومعترف بها، بمأمن من التهديد أو أعمال القوة. إن التقدم نحو هذا الهدف؛ من شأنه أن يعجل الحركة نحو عهد جديد من المصالحة في الشرق الأوسط... عهد يتسم بالتعاون في تعزيز التنمية الاقتصادية، وفي الحفاظ على الاستقرار وضمان الأمن...إن الأمن يتوطد نتيجة قيام علاقة من السلام، وقيام تعاون بين الأمم التي تدعم بوجود علاقات طبيعية. وعلاوة على ذلك فإنه يمكن للطرفين بموجب معاهدة السلام، أن يتفقا على أساس تبادلي على ترتيبات أمن خاصة، مثل إقامة مناطق منزوعة السلاح، ومناطق محدودة التسليح، وإنشاء محطات إنذار مبكر، ووجود قوات دولية واتصال، وتطبيق إجراءات يتفق عليها الطرفان على أنها مفيدة...

الإطار:إن الطرفين إذ يأخذان هذه العوامل بعين الاعتبار، عازمان على التوصل إلى تسوية عادلة وشاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط، عن طريق معاهدات سلام على أساس قراري مجلس الأمن 242، 338 بكل أجزائهما.

والهدف الذي يتوخاه الطرفان، هو تحقيق السلام، وإقامة علاقات حسن الجوار، وأن الطرفين يدركان، أنه لكي يدوم السلام لابدَّ من أن يشمل جميع أولئك الذين تأثروا بالنزاع أعمق تأثير، لذلك فإنهما متفقان على أن هذا الإطار بشكله المناسب، يقصد به تشكيل أساس للسلام ليس بين مصر وإسرائيل فحسب، بل وكذلك بين إسرائيل وكل من جاراتها الأخريات، التي تبدي استعداداً للتفاوض على السلام مع إسرائيل على هذا الأساس. وانطلاقاً من هذا الهدف ، فإنهما اتفقا على المضي قدماً على النحو التالي:

<u>أ – الضفة الغربية وغزة:</u>

<u>أولاً:</u> ينبغي أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلو الشعب العربي الفلسطيني، في مفاوضات بشأن حل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها. وتحقيقاً لهذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تسير في ثلاث مراحل:

أ . أن توافق مصر وإسرائيل على أنه بغية ضمان حل سلمي ومنظم للسلطة، مع الأخذ بعين الاعتبار الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف. ينبغي أن تكون هناك ترتيبات انتقالية فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات. وبغية توفير حكم ذاتي كامل للسكان، فإنه سيتم بموجب هذه الترتيبات سحب الحكم الإسرائيلي وإدارته المدنية، حالما يقوم السكان في المنطقتين بانتخاب سلطة حكم ذاتي انتخاباً حراً للحلول محل الحكم العسكرى القائم . وللتفاوض على تفاصيل هذا الترتيب الانتقالى ، فسوف توجه الدعوة إلى حكومة الأردن للمشاركة فى المفاوضات على أساس هذا الإطار ، وينبغى أن تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتباراً ملائماً لمبدأ الحكم الذاتى لسكان المنطقتين واهتمامات الأمن المشروعة للأطراف المعنية .

ب . اتفاق مصر وإسرائيل والأردن على تفاصيل إقامة سلطة منتخبة للحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة، ويمكن لوفدي مصر والأردن أن يضما

فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة، أو فلسطينيين آخرين حسبما يتم الاتفاق عليه بصورة مشتركة، وتتفاوض الأطراف على اتفاقية تحدد صلاحيات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتي، التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة، وسيتم انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية، كما ستتم إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية المتبقية بحيث ترابط في مواقع أمنية معينة. وتشتمل الاتفاقية أيضاً على ترتيبات لضمان الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام، ويتم إنشاء قوة شرطة محلية قوية يجوز أن تضم مواطنين أردنيين، إضافة إلى ذلك تشارك قوات إسرائيلية وأردنية في دوريات مشتركة وفي تقديم أفراد مراقبة لضمان أمن الحدود..

ج . وعندما تقوم سلطة الحكم الذاتي . المجلس الإداري . في الضفة الغربية وغزة، ويتم تنصيبها، ستبدأ فترة السنوات الخمس الانتقالية، وفي أسرع مايمكن ، ولكن في موعد لا يتجاوز السنة الثالثة. بعد بدء الفترة الانتقالية ستجري مفاوضات لتقرير الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة، وعلاقته بجيرانه، ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية. وتدور هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة، وستشكل لجنتان منفصلتان، ولكنهما مترابطتان. تضم الأولى ممثلي الأطراف الأربعة التي ستفاوض وتتفق على الوضع النهائي في الضفة الغربية وغزة، وعلاقته بجيرانه. وتضم اللجنة الثانية ممثلين عن إسرائيل والأردن، وينضم إليهم الممثلون المنتخبون من سكان الضفة الغربية وغزة، وذلك للتفاوض على معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن. مع الأخذ بعين الاعتبار الاتفاقية التي يتم التوصل إليها حول الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة. وستستند المفاوضات على جميع أحكام ومبادئ قرار مجلس الأمن رقم 242. ومن بين الأطراف الأخرى سوف تقرر المفاوضات موقع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن، ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات أيضاً بالحقوق

المشـروعة للشـعب الفلسـطيني ومتطلباتـه العادلـة. وهكـذا فـإن الفلسـطينيين سيشاركون في تقرير مستقبلهم من خلال مايلي:

1 . المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلي سكان الضفة الغربية وغزة للاتفـاق علـى الوضـع النهـائي للضـفة الغربيـة وغـزة، وغيـر ذلـك مـن القضـايا المعلقة بحلول نهاية الفترة الانتقالية.

2 . طرح الاتفاق الذي يتوصل إليه من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة.

3 . إتاحـة المجـال أمـام الممثلـين المنتخبـين لسكان الضـفة الغربيـة وغـزة، كـي يقرروا الكيفية التي سيتولون بها حكم أنفسهم، تمشياً مع نصوص اتفاقهم.

4 . الاشـتراك كمـا ورد أعـلاه فـي عمـل اللجنـة المكلفـة بالتفـاوض علـى معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن.

ثانياً . ستتخذ كافة الإجراءات الضرورية والأحكام لضمان أمن إسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وبعدها. وللمساعدة على توفير مثل هذا الأمن، ستشكل سـلطة الحكـم الـذاتي قـوة قـادرة مـن الشـرطة المحليـة مـن بـين سـكان الضـفة الغربية، وستحافظ هذه القوة على اتصال مستمر حول قضايا الأمن الداخلي مع ضباط تعينهم كل من إسرائيل والأردن ومصر.

ثالثاً . خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الـذاتي لجنـة دائمـة، لتقـرر بالاتفـاق الخصوصـيات والتفاصـيل ، عـلاوة علـى الإجراءات الضرورية، لمنـع الإخـلال بـالأمن والنظـام، ويمكـن لهذه اللجنـة أيضـاً أن تعالج مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك.

رابعاً . تعمل مصر وإسرائيل معاً، بالتعاون مـع الأطـراف المعنيـة الأخـرى علـى وضـع إجـراءات متفـق عليهـا، كفيلـة بتنفيـذ حـل مشـكلة اللاجئـين تنفيـذاً سـريعاً وعادلاً...

ب . مصر وإسرائيل:

1 . تتعهد مصر وإسرائيل بعدم اللجوء إلى التهديد بالقوة، أو باستخدام القوة لتسوية النزاعات، وستتم تسوية أية نزاعات بالطرق السلمية طبقاً لنصوص المادة رقم (33) من ميثاق الأمم المتحدة.

2 . سعياً وراء تحقيق السلام بينهما،يوافق الطرفان على التفاوض بنية حسنة بهدف إبرام معاهدة سلام بينهما خلال ثلاثة أشهر من التوقيع على هذا الإطار، مع دعوة أطراف النزاع الأخرى للبدء في نفس الوقت بالتفاوض وإبرام معاهدات سلام مماثلة بغية تحقيق سلام شامل في المنطقة. وستحكم إطار إبرام معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل مفاوضات سلام بينهما، ويتفق الطرفان على الشكليات والجدول الزمني لتنفيذ التزاماتهما بمقتضى المعاهدة.

ج . مبادئ مرافقة:

1 . تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والأحكام المبينة أدناه، ينبغي أن تنطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل من جاراتها مصر والأردن وسورية ولبنان.

2 . تقيم الأطراف الموقعة فيما بينها علاقات طبيعية كتلك التي تتم مابين الدول، التي يوجد سلام فيما بينها، وتوخياً لذلك ينبغي أن تتعهد بالتقيد بكل أحكام ميثاق الأمم المتحدة. وتتضمن الخطوات التي يلزم اتخاذها في هذا المجال مايلي:

آ . الاعتراف الكامل.

ب . إلغاء المقاطعة الاقتصادية.

ج . الضمان في أن يتمتع مواطنو الأطراف الأخرى في ظل صلاحية الدول الموقعة بالحماية. التي يوفرها مبدأ التكافؤ والإنصاف في المعاملة القانونية.

3- على الأطراف الموقعة استقصاء إمكانيات التنمية الاقتصادية في نطاق معاهدات سلام نهائية، وذلك بغرض الإسهام في تعزيز جو السلام والتعاون والصداقة الذي هو الهدف المشترك.

4 – يجوز تشكيل لجان لتسوية جميع الدعاوى المالية على نحو متبادل.
5 – تدعى الولايات المتحدة إلى المشاركة في المحادثات المتعلقة بشكليات وخصوصيات تنفيذ الاتفاقيات، ووضع جدول زمني لتنفيذ التزامات الأطراف.
6– يطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام، وضمان عدم انتهاك نصوصها، ويطلب من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ضمان معاهدات السلام وضمان احترام أحكامها. كما يطلب منهم أن يجعلوا سياساتهم وأعمالهم مطابقة مع التعهدات التي يحتويها هذا الإطار..

عن حكومة جمهورية مصر العربية محمد أنور السادات وعن حكومة إسرائيل مناحيم بيجن ، شاهد التوقيع: جيمي كارتررئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إطار إبرام معاهدة سلام بين مصرواسرائيل[*] بغية تحقيق السلام بين إسرائيل ومصر، توافق الدولتان على التفاوض بحسن نية بهدف إبرام سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع هذا الإطار، وقد تم الاتفاق على مايلي:يكون موقع المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة، في موقع أو مواقع يتم الاتفاق عليها بصورة متبادلة. تطبيق جميع قرار الأمم المتحدة رقم – 242 – لحل النزاع بين إسرائيل ومصر. مالم يتم الاتفاق بصورة متبادلة خلافاً، فإن بنود معاهدة السلام توضع موضع التنفيذ خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات بعد توقيع معاهدة السلام، وقد تم الاتفاق بين الطرفين على المسائل التالية:

آ . ممارسة السيادة المصرية الكاملة حتى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وبين فلسطين، التي كانت تحت الانتداب.

ب . انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من سيناء.

* هذا الإطار تم تطويره إلى (معاهدة السلام الموقعة فى 26 مارس 1975) والمرفقة فى الملحق الثانى .

ج . استخدام المطارات التي يتخلى عنها الإسرائيليون بالقرب من العريش، ورفح ورأس النقب، وشرم الشيخ، لأغراض مدنية فقط، بما في ذلك احتمال استخدامها تجارياً من قبل جميع الدول..

د . حق حرية مرور السفن الإسرائيلية عبر خليج السويس وقناة السويس على أساس اتفاقية القسطنطينية لعام 1888، الذي ينطبق على جميع الدول، وفتح مضيق تيران وخليج العقبة بوصفهما ممرين مائيين دوليين أمام جميع الدول لممارسة حرية الملاحة، وتحليق الطائرات فوقهما دون عائق أو منع.

هـ . إنشاء طريق رئيس بين مصر والأردن بالقرب من إيلات مع ضمان المرور بحرية وسلام من جانب مصر والأردن.

و . مرابطة قوات عسكرية حسبما هو مدرج أدناه...

. مرابطة القوات:

آ . ترابط قوات مصرية لا تزيد عن فرقة واحدة (آلية أو مشاة)،ضمن منطقة تمتد إلى ما يقرب من خمسين كيلو متراً من الشرق من خليج السويس وقناة السويس.

ب . تقوم قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المزودة بأسلحة خفيفة وحدها بتأدية مهام الشرطة العادية، وترابط ضمن منطقة تمتد إلى الغرب من الحدود الدولية، وخليج العقبة ويتراوح عرضها بين عشرين وأربعين كيلو متراً.

ج . في المنطقة التي تقع في حدود ثلاثة كيلو مترات إلى الشرق من الحدود الدولية، تتواجد قوات عسكرية إسرائيلية محدودة لا تتجاوز كتائب مشاة ومراقبين من الأمم المتحدة.

د . تقوم وحدة دوريات للحدود التي لا تتجاوز ثلاث كتائب برفد الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة غير المشمولة أعلاه، يحدد التخطيط الدقيق للمناطق المذكورة أعلاه أثناء مفاوضات السلام، ويجوز تواجد محطات للإنذار المبكر لضمان التقيد ببنود الاتفاقية...

ترابط قوات الأمم المتحدة:

آ . في جزء من تلك المنطقة في سيناء التي تمتد ضمن حوالي عشرين كيلو متراً من البحر الأبيض المتوسط ومجاورة للحدود الدولية.

ب . في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور عبر مضيق تيران..ولن تنسحب هذه القوات، مالم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على هذا السحب بقرار جماعي من الأعضاء الخمسة الدائمين.

بعد توقيع معاهدة السلام، وبعد انتهاء الانسحاب المرحلي تقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تشمل:الاعتراف الكامل بما في ذلك إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية. إنهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز، التي تعيق حرية تحرك السلع والناس.

ـ الانسحاب المرحلي:خلال مدة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام، تنسحب جميع القوات الإسرائيلية إلى الشرق من خط يمتد من نقطة تمتد شرق العريش إلى رأس محمد، ويعين موقع هذا الخط على وجه التحديد باتفاق متبادل.

عن حكومة جمهورية مصر العربية محمد أنور السادات وعن حكومة إسرائيل مناحيم بيغن ، شاهد التوقيع: جيمي كارتررئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

(**2**) الملحق الوثائقى الثانى

النص الكامل لمعاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية

إن حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الاوسط ، وفقا لقرارى مجلس الامن رقم 242 و 338،إذ تؤكدان من جديد التزامهما باطار السلام فى الشرق الاوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد فى سبتمبر 1978

واذ تلاحظان أن الاطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساسا للسلام ليس بين مصر واسرائيل فحسب بل أيضا بين اسرائيل وأى من جيرانها العرب ، كل

فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ، ورغبة منها فى إنهاء الحرب بينها وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة فى المنطقة ان تعيش فى أمن واقتناعا منها بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يعتبر خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة، والتوصل إلى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى بكافة نواحيه، واذ تدعوان الاطراف العربية الأخرى فى النزاع إلى الاشتراك فى عملية السلام مع اسرائيل على اساس مبادئ أطار السلام المشار اليها آنفا واسترشادا بها ، وإذ ترغبان أيضا فى إنماء العلاقات الودية التعاون بينهما وفقا لميثاق الامم المتحدة ومبادئ القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية فى زمن السلم ، قد اتفقنا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الإطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل.

المادة الاولى

1- تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام بينهما السلام عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة 0

2- تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنية من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو وارد بالبرتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) 0 وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء 0

3- عند اتمام الانسحاب المبدئى المنصوص عليه فى الملحق الاول يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية طبقا للمادة الثالثة (فقرة 3) ثالثا : عند اتمام الانسحاب المبدئى المنصوص عليه فى الملحق الاول يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية طبقا للمادة الثالثة . (فقرة 3) ثالثا : عند اتمام الانسحاب المبدئى المنصوص عليه فى الملحق الاول يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية طبقا للمادة الثالثة (فقرة 3) .

المادة الثانية

4- ان الحدود بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى، وذلك دون المساس بالوضع الخاص بغزة 0 ويعتبر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضى الطرف الآخر بما فى ذلك مياهه الإقليمية ومجاله الجوي.

المادة الثالثة

5- يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الامم المتحدة ومبادئ القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم وبصفة خاصة :

a. يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى 0

b. يقر الطرفان ويحترم كل منهما الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها .

c. يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باسستخدام القوة أو استخدام أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير المباشر وتحل كافة المنازعات التى تنشأ بالوسائل السلمية

6- يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل إقليمه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الافعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف لمواجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان 00 كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبى هذه الافعال للمحاكمة .

7- يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلم 00 كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (المرفق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها التوصل إلى إقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازى مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

المادة الرابعة

8- بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل ، تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الاراضى المصرية والإسرائيلية وقوات أمم متحدة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الاول وكذلك أى ترتيبات أمن قد يتفق عليها الطرفان .

9- يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول ويتفق الطرفان على ان يطلبا سحب هؤلاء الأفراد وعلى أن سحب هؤلاء الافراد لن يتم الا بموافقة مجلس الامن التابع للامم المتحدة بما فى ذلك التصويت الإيجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك 0

10. تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما منصوص عليه فى الملحق الأول .

11. يتم بناء على طلب أحد الطرفين اعادة النظر فى ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى الفقرتين 1، 2 من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

المادة الخامسة

12. تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام 1888 المنطبقة على جميع الدول 0 كم يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الاشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل وإليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة .

13. يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى 0 كما يحترم الطرفان حق كل مهما فى الملاحة والعبور الجوى من أجل الوصول الى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

المادة السادسة

14- لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

15- يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزامانها الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستق عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .

16- كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير الازمة لكى تنطبق فى علاقاتها أحكام الانفاقيات المتعددة الاطراف التى يكونان من أطرافها ، بما فى ذلك تقديم الإخطار المناسب للأمين العام للأمم المتحدة وجهات الإيداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .

17- يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة .

18- مع مراعاة المادة 103 من ميثاق الامم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من

التزاماتها الأخرى بأن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة .

المادة السابعة

19–تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة

20– اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة تحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم .

المادة الثامنة

21– يتفق الطرفان على انشاء لجنة تعويضات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات .

المادة التاسعة

22– تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها .

23– تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر 1975 .

24– تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها

25– يتم إخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة 102 من ميثاق الأمم المتحدة

26– حررت فى 26 مارس 1979 من ثلاث نسخ باللغات العربية والانجليزية والعبرية وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذ يعتد به .

الفقرة الأولى

مفهوم الانسحاب 27.

إسرائيل ستكمل انسحاب كل قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء بحد أقصى خلال ثلاث سنوات من تاريخ تبادل التصديق على هذه المعاهدة.

28. لضمان الأمن المتبادل للأطراف, ينفذ الانسحاب بشكل منظم على مراحل مصاحبة بالإجراءات العسكرية لتأسيس مناطق كما فى الخريطة رقم(1)(*).

29. الانسحاب من سيناء سينجز في مرحلتين :

a. الانسحاب المؤقت خلف الخط من شرق العريش إلى رأس محمد كما هو موضح في الخريطة رقم 2 خلال تسعة شهور من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة.

b. الانسحاب النهائي من سيناء خلف الحد الدولي فى موعد أقصاه ثلاث سنوات من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة .

30- تشكل لجنة مشتركة فوراً بعد التصديق على هذه المعاهدة لكي تشرف وتنسق الحركات والجداول أثناء الانسحاب, ولضبط الخطط والجداول كضرورة خلال الحدود المنشأة بالفقرة 3, أعلاه. .

الفقرة الثانية:

الحدود النهائية :

31- لكي يتم توفير أقصى أمن ممكن لكلا الطرفين بعد الانسحاب النهائي, تنشأ وتنظم الخطوط و المناطق على الخريطة كما يلي :

a. منطقة A

1. منطقة يحدها شرقاً الخط الأحمر وغرباً بقناة السويس والساحل الشرقي لخليج السويس, كما هو مبين في الخريطة رقم 1.

2. فى هذه المنطقة ستكون هناك قوة مسلحة مصرية فرقة مشاة واحدة وأجهزتها العسكرية.

3. العناصر الرئيسة لذلك التقسيم ستتكون من :

a. ثلاثة لواءات مشاة.

---

* اكتفينا هنا بالنص وفضلنا عدم نشر الخرائط نظراً لإمكانية وجودها فى مواقع أخرى كثيرة (المؤلف).

b. لواء مسلح واحد .

c. سبع كتائب مدفعية حتى 126 قطعة مدفعية .

d. سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات متضمنة صواريخ أرض جو وحتى 126 ملليمتر مضاد للطائرات .

e. حتى 230 دبابة .

f. حتى 480 مركبة مدرعة لكل الأنواع .

g. حتى 22 ألف جندى.

b. منطقة B

1. منطقة B حدودها من الخط الأخضر شرقاً والى الخط الأحمر غرباً كما هو موضح بالخريطة رقم (1).

2. وحدات الحدود المصرية مكونة من أربع كتائب مجهزة بالأسلحة الخفيفة والمركبات ستمد الأمن و تستكمل الشرطة المدنية في الحفاظ على النظام في منطقة B . العناصر الرئيسة في كتائب الحدود الأربع ستتكون حتى مجموع أربعة آلاف جندى .

3- أجهزة انذار مبكر لوحدات دورية الحدود قد تنشأ على ساحل هذه المنطقة.

c- منطقة C

1- منطقة C يحدها الخط الأخضر غرباً والحد الدولي وخليج العقبة شرقاً, كما هو موضح على الخريطة 1 .

2- فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية ستوضع في منطقة C.

3- الشرطة المدنية المصرية المسلحة بالأسلحة الخفيفة ستجري وظائف الشرطة العادية خلال هذه المنطقة .

4- قوة الأمم المتحدة ستنتشر خلال منطقة C و تجري وظائفه كما هو موضح فى المادة الرابعة لهذا الملحق .

5- قوة الأمم المتحدة ستوضع بصفة أساسية في المعسكرات المستقرة خلال المناطق المبينة على الخريطة (1) , و ستنشئ أماكنها المحددة بعد المشاورات مع مصر :

a- في المنطقة ما بين 20 كم من سيناء للبحر الأبيض المتوسط ومجاور للحدود الدولية.

b- في منطقة شرم الشيخ .

d- منطقة D

1- منطقة D يحدها الخط الأزرق شرقاً والحد الدولي على الغرب, كما هو موضح في الخريطة 1 .

2- في هذه المنطقة سيكون هناك قوة محدودة إسرائيلية ، أربع كتائب مشاة, وأجهزتهم العسكرية و التحصينات و قوات المراقبة الخاصة بالأمم المتحدة .

3- القوات الإسرائيلية في منطقة D لن تتضمن الدبابات, المدفعية والصواريخ المضادة للطائرات باستثناء صواريخ أرض جو.

4- العناصر الرئيسة لكتائب المشاة الأربع الإسرائيلية ستتكون حتى 180 مركبة مدرعة لكل الأنواع و حتى مجموع أربعة آلاف جندى.

32- الدخول عبر الحدود الدولية سوف تكون من خلال نقاط تفتيش بالشكل الذى يراه كل طرف مناسباً وتحت سيطرته .سيكون مثل هذا المدخل وفقا لقوانين و لوائح كل بلد.

33- ستكون فقط الأجهزة العسكرية, القوات و أسلحة مسموحة بصفة خاصة من قبل هذا الملحق في هذه المناطق .

الفقرة الثالثة

نظام عسكري جوي :

34- تحليق طائرات عسكرية ورحلات الاستكشاف لمصر وإسرائيل مسموحة فقط على المناطق A و D على التوالي.

35- فقط طائرات غير مسلحة لمصر واسرائيل يمكنها أن تتواجد في المناطق A و D, على التوالي.

36- فقط طائرات مصرية غير مسلحة ستقلع وتهبط منطقة B و حتى ثمان من مثل هذه الطائرات قد تتواجد في منطقة B . وحدة الحدود المصرية .,., قد تجهز بالمروحيات غير المسلحة لإجراء وظائفهم في منطقة B .

37- الشرطة المدنية المصرية قد تجهز بمروحيات الشرطة غير المسلحة لإجراء وظائف الشرطة العادية في منطقة C.

38- المطارات المدنية فقط يمكنها أن تبقى على الأرض فى هذه المناطق.

39- فقط تلك الأنشطة الجوية العسكرية المسموحة بصفة خاصة من قبل هذا الملحق سيسمح بها في المناطق والمجال الجوي فوق المياه الإقليمية .

الفقرة الرابعة:

النظام البحري:

40- مصر و إسرائيل قد تؤسسان و تشغلان السفن البحرية بطول سواحل المناطق A و D , على التوالي .

41- قوارب حرس سواحل مصرية, نصف مسلحة, قد تتواجد في المياه الإقليمية للمنطقة B لمساعدة وحدات الحدود في إجراء وظائفهم في هذه المنطقة.

42. الشرطة المدنية المصرية جهزت بالقوارب الخفيفة, نصف مسلحة, ستجري وظائف الشرطة العادية خلال المياه الإقليمية للمنطقة C . المنطقة

43- لا شيء في هذا الملحق سيعتبر كالتقليل من حق المرور للسفن البحرية لأي طرف .

44- مواني بحرية مدنية وحيدة وأجهزة قد تبنى في المناطق .

45- فقط تلك الأنشطة البحرية المسموحة بصفة خاصة من قبل هذا الملحق ستسمح في المناطق الموضحة وفي المياه الإقليمية .

الفقرة الخامسة:

نظم إنذار مبكر:

مصر و إسرائيل قد تنشئان و تشغلان نظم إنذار مبكراً فقط في المناطق A و D على التوالي.

الفقرة السادسة:

عمليات الأمم المتحدة :

46- الأطراف ستطالب الأمم المتحدة أن تمد القوات والمراقبين للإشراف على تنفيذ هذا الملحق واستخدام أفضل مجهوداتهم لمنع أي انتهاك لمصطلحاته.

47. بخصوص قوات الأمم المتحدة هذه والمراقبين, كمناسب, الأطراف توافق طلب الترتيبات التالية :

a. عملية نقاط التفتيش, دوريات الاستكشاف وأبراج مراقبة بطول الحد الدولي و حدود منطقة B, و خلال المنطقة C .

b. ستنفذ مراجعة دورية لتنفيذ شروط هذا الملحق ليس أقل من مرتين كل شهر إلا إذا وافق من قبل المجموعات .

c. مراجعات إضافية خلال 48 ساعة فى حال طلب أي طرف.

d. ضمان حرية الملاحة خلال مضيق تيران وفقا للفقرة الخامسة لمعاهدة السلام.

48. الترتيبات التى وصفت في هذه الفقرة لكل منطقة ستنفذ فى مناطق A B C بقوة الأمم المتحدة و في المنطقة D من قبل مراقبي الأمم المتحدة .

49. فرق مراجعة الأمم المتحدة ستصاحب من قبل موظفي اتصال الطرف الخاص .

50. قوة الأمم المتحدة والمراقبون ستبلغ عن تحقيقاتهم إلى كلا الطرفين.

51. قوة الأمم المتحدة والمراقبون الذين يشتغلون في المناطق سيتمتعون بحرية الحركة والمرافق الأخرى الضرورية لأداء مهامهم .

52. قوة الأمم المتحدة والمراقبون لا تفوض لتوكيل معبر الحد الدولي .

53. الأطـراف سـتتفق علـى الـدول التـي سـتتكون منهـا قـوة الأمـم المتحـدة والمراقبون يكونون من دول خلاف الدول الأعضاء الدائمين لمجلس أمن الأمم المتحدة .

54. الأطراف تتفق أن الأمم المتحدة ينبغي أن تعمل ترتيبات الأمور لتأكيد التنفيذ المؤثر على مسئولياتها للاتفاق. .

الفقرة السابعة:

نظام الاتصال :

55. بعـد حـلّ اللجنـة المشـتركة, سـيكون هنـاك نظـام اتصـال بـين الأطـراف. لإعداد طريقة مؤثرة لتقييم التقدم في تنفيذ الواجبات تحت الملحق الحالي ولحل أي مشكلة قد تظهر فـي أثنـاء تنفيذه, و يحيـل مسـائل مستعصـية أخرى إلـى المسئولين العسكريين فى البلدين على التوالي للتفكير . هو أيضا لمنع مواقف تنشأ عن الأخطاء أو سوء التفسير على جزء من أي طرف.

56. مكتب اتصال مصري سينشأ في مدينة العريش و مكتب اتصال إسرائيلي سينشأ في مدينة بئر السبع . سيكون كل مكتب برئاسة ضابط البلد الخاص, و يساعده عدد من الضباط.

57. خط هاتف مباشر سيكون بين المكتبين وأيضا خطوط هاتفية مباشرة مع سيطرة الأمم المتحدة.

الفقرة الثامنة:

احترام النصب التذكارية للحرب :

كل طرف يتولى حفظ النصب التذكارية المشيدة للحرب في حالة جيدة وسوف يتم السماح بالدخول لمثل هذه الآثار.

الفقرة العاشرة:

ترتيبات مؤقتة :

انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية والمدنيين خلف خط الانسحاب المؤقت, ستحكم بالملحق المرفق والخريطة رقم 2 .

حكومة جمهورية مصر

محمد أنور السادات

عن حكومة دولة إسرائيل

مناحم بيجين

شهد التوقيع

جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الموقعون

الرئيس انور السادات – ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن – والرئيس الأمريكي جيمي كارتر

الدول الأعضاء

جمهورية مصر العربية – اسرائيل – الولايات المتحدة الأمريكية (بتاريخ 1979/3/26) .

*****

من المصادر المهمة لهذا الفصل (بالإضافة للمراجع التى وردت فى متن الفصل وبين سطوره – نضيف ما يلى من مصادر أخرى للبحث) :

1 – د. عصمت سيف الدولة : هذه المعاهدة – دار الثقافة الجديدة ، عام 2000 .

2 – د.صلاح العقاد – السادات وكامب ديفيد – مكتبة مدبولى، عام 1984 .

3 – د. محسن على جاد – معاهدات السلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام 1996 .

4 – الكوكبة والتنمية المشتعلة والمواجهة العربية لإسرائيل ، الهيئة العامة للكتاب ، عام 2007.

5 – تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، عام 2005 .

6 – عادل حسين ، التطبيع ، المخطط الصهيونى للهيمنة الاقتصادية ، مكتبة مدبولى ، عام 1985 .

7 – وليام ب. كوانت ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، عام 1989 .

8 – الجريدة الرسمية العدد 14 ، تاريخ 1979/4/5 .

9 – مجلة المحاماة ، العدد الثالث ، السنة 50 مارس 1970 نقابة المحامين القاهرة .

10 – موشيه ساسون – سبع سنوات فى بلاد المصريين – ترجمة فريق من الخبراء فى مركز يافا للدراسات والأبحاث – الناشر – دار الكتاب العربى – القاهرة – 1990 .

11 – ديفيد بن سلطان سفير إسرائيل الأسبق بالقاهرة ، أسرار التطبيع بين مصر وإسرائيل، ترجمة عمرو زكريا، المنصورة ، دار ابن لقمان، ط1، 2009م.

الفصل الثانى

نماذج من التطبيع السياسى
من الثمانينات حتى الألفية
2009 – 1980

شهدت الفترة الممتدة من العام 1979 (عام توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل) وحتى العام 2011 العديد من الاختراقات الإسرائيلية للسياسة والمجتمع المصرى ، وفيما يلى رصد لنماذج من هذه الاختراقات والأحداث التطبيعية .

أولاً : حقبة الثمانينات :

تناولت وسائل الإعلام المصرية والعالمية بعض الوقائع المهمة فى مجال التطبيع السياسى بين مصر والكيان الصهيونى خلال الثمانينات ، نقدم منها الآتى :

* أجمعت القوى والدوائر السياسية المشاركة فى ندوة آفاق السلام فى الشرق الأوسط المنعقدة خلال الفترة "10-12 يناير" 1989 على ضرورة عقد مؤتمر عاجل لإحلال السلام بالشرق الأوسط , كما أكدت على دور الانتفاضة الفلسطينية فى تغيير واقع القوة فى الأرض المحتلة.

لكن الندوة –التى أقامتها اللجنة المصرية للتضامن الأفروآسيوى – لم تضع أى أمل على تفهم إسرائيل والمجتمع الدولى لضرورة المؤتمر والاعتراف بحق الشعب الفلسطينى.

ورغم أن المرحلة الحالية مرحلة تاريخية- كما أكد د.عصمت عبد المجيد فى كلمته بالندوة التى ألقاها نيابة عنه السفير سامى هيبة مساعد وزير الخارجية, وتشكل منعطفاً هاماً نحو السلام, إلا أن منطقة الشرق الأوسط لا تزال حتى الآن- كما قال أحمد حمروش- رئيس اللجنة المصرية فى كلمته- بعيدة عن محاولات التسوية فى مؤتمر دولى عبر حوار بين الأطراف المتنازعة خاصة وقد أكد أيضاً البروفسير فينوجرادروف وزير خارجية جمهورية روسيا الإتحادية- والذى شغل منصب سفير الاتحاد السوفييتي فى مصر أثناء معركة 1973- أنه لا يمكن تحقيق سلام دون الفلسطينيين ودون اغتنام فرصة إعداد

المسرح فى الآونة الحالية لإرساء قواعد السلام فى المنطقة , ومع استمرار الانتفاضة وعجز الاحتلال الإسرائيلى عن قمعها

* وفى يناير 1988 تم القبض على حوالى 200 من الشباب معظمهم من التيار الدينى ، الطلاب بجامعة الأسكندرية بطريقة عشوائية على أثر حادث الانفجار الذى وقع بجوار مبنى مباحث أمن الدولة والقنصلية الأمريكية وتم ترحيلهم لسجن طرة ، واستقبال الأمن المركزى بالقاهرة ، وترجح اتجاهات التحقيق المبدئية أن الجناة عناصر إسرائيلية معادية وصلت متخفية وسط جموع الإسرائيليين الذين وصلوا إلى الأسكندرية بحجة مولد أبو حصيرة ويستهدف هذا الحادث تعميق الهوة بين النظام الحاكم والتيار الدينى وما تبعه من اعتقالات عشوائية ، تبعتها عمليات تعذيب .. ولم تقدم أجهزة الأمن حتى الآن تحرياتها عن الحادث كما أن تقرير المعمل الجنائى لم يصل بعد للنيابة العامة .

وكان انفجار قوي قد وقع بشارع عبد الحميد مرسى بحى الشلالات وهو شارع مغلق لصالح أمن القنصلية الأمريكية ويواجه مباشرة مبنى مباحث أمن الدولة وقد أدى الانفجار لتطاير زجاج نوافذ المبانى المجاورة ، واستمعت النيابة العامة لأقوال سكان هذه المبانى تحت إشراف المستشار محمد العكارى المحامى العام لنيابات شرق الأسكندرية .

* وفى فبراير 1988 نظرت محكمة القضاء الإدارى برئاسة المستشار محمد عبد المجيد وأمانة سر سامى عبد الله دعوى قضائية مقامة من مصطفى عبد العزيز عشوب ضد رئيس الجمهورية ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية يطلب فيها استدعاء السفير المصرى فى تل أبيب وتخفيض التمثيل الدبلوماسى بين مصر وإسرائيل ونقل السفارة الإسرائيلية من مكانها إلى مكان آخر بسبب سياسة إسرائيل تجاه الانتفاضة الفلسطينية .

* وفى أبريل 1988 طالبت السفارة الإسرائيلية بالقاهرة فى مذكرة عاجلة لوزارة الخارجية ضرورة التدخل لدى أجهزة مباحث أمن الدولة لكشف نتائج التحقيق

الخاصة بحادث تصادم سيارة الدبلوماسيين الصهاينة فى القاهرة برصيف أحد شوارع مصر القديمة مما أدى إلى انقلابها وإصابة راكبيها ألبرت خيل وكيليل لوبا بإصابات طفيفة ، نقلا على إثرها إلى أحد المستشفيات بالمعادى .
طالبت مذكرة السفارة ضرورة ضبط إحدى السيارات المجهولة التى قيل إنها ضيقت على سيارة الدبلوماسيين الصهاينة حتى اصطدمت بالرصيف .
من ناحية ثانية وصل إلى القاهرة فى نفس الفترة 22 من رجال الموساد للمساهمة فى تعزيز وتشديد الحراسة على السفارة الصهيونية وتأمين تحركات الدبلوماسيين الصهاينة داخل القاهرة لمواجهة أية عمليات انتقامية كرد فعل على اغتيال أبو جهاد .
وكانت سلطات الأمن المصرية بمطار القاهرة قد رفضت السماح للقوة بالدخول مما استدعى تدخل السفير الصهيونى بالقاهرة الذى أجرى اتصالات مع الخارجية المصرية .
* وفى يوليو 1989 استقبل حسنى مبارك وزير داخلية إسرائيل (أرى درعى) والحاخام أوفاديا يوسف كبير الحاخامات الإسرائيليين ، وأكد راديو إسرائيل أن الهدف الرئيس من الزيارة هو أن الوفد الإسرائيلى سيبحث كيفية عدم الاعتداء على المقابر اليهودية الرئيسة فى القاهرة فى حالة شق طريق سريع بجانبها .
وكان وزير الخارجية الإسرائيلى موشى أرينز قد أعلن أنه تحدث هاتفياً مع نظيره المصرى د. عصمت عبد المجيد مؤكداً أن الحكومة الإسرائيلية لاتزال ملتزمة بخطتها للسلام .
وكان وزير الداخلية الإسرائيلى قد عقد اجتماعاً تحضيرياً مع د. أسامة الباز مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية وذكرت إذاعة إسرائيل التى أذاعت النبأ أن وزير الداخلية يحمل رسالة شفوية وأخرى شخصية لمبارك من رئيس الوزراء إسحق شامير .

* وفـى الشـهر نفسـه رفـض عـدد مـن البـاحثين وأسـاتذة الجامعـات المصـرية وساطة الدكتور مصطفى خليل مهندس التطبيع المصرى الإسرائيلى ، لمساعدة أحد البـاحثين الإسـرائيليين فـى إجـراء بحـث عـن قـوة العمـل المصـرى بالـداخل وحجم العمالة المصرية بالخارج .

* وفى العام نفسه (1989) تواترت أنباء مصدرها السودان من وصول إسرائيل رسمياً إلـى منـابع النيـل لتهديد الأمـن القومـى المصـرى ، حيـث أكـدت مصـادر سودانية بالقاهرة وجود خبراء عسكريين إسرائيليين فى جنوب السودان للإشراف علـى المعـارك التـى تخوضـها الحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان برئاسـة جـون جارانج ضد القوات السودانية . أوضحت المصادر أن إسرائيل أمدت المتمردين بعـدد مـن الخبـراء العسـكريين وكميـات مـن الأسـلحة قبـل المعـارك الأخيـرة (فـى العـام 1989) أشـارت المصـادر الإعلاميـة إلـى أن الحكومـة السـودانية أبلغـت القـاهرة بمعلومـات كاملـة حـول الوجـود الإسـرائيلى فـى جنـوب السـودان ودور إسرائيل فى استيلاء المتمردين على مدينة توريت السودانية بعد اتفاق مشاكوس ، وتدرس القاهرة حالياً تقارير حول الدور الإسرائيلى فى جنوب السودان وآثاره علـى الأمـن القـومى المصـرى ووسـائل مواجهتـه .. وكانـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة قد سـعت مؤخراً لتقليص الـدور المصـرى فـى السـودان وإبعـاد القـاهرة عن مفاوضـات " مشاكوس " بين الحكومـة السودانية والمتمردين والتـى جمدتها الخرطوم مؤخراً .

* وفـى ديسمبر 1989 عقدت ندوة بأمانـة حزب العمل بـالجيزة بمناسبة مـرور 12 عاماً على زيارة السادات للقدس حضرها مجدى أحمد حسين الأمين العام المساعد وعضو مجلس الشعب ود.عصام العريان عضو مجلس الشعب وعدد من قيادات الحزب بمحافظة الجيزة جاء فيها أن السادات كان يتصور أن سيناء أسهل من الضفة وكان المخطط الصهيونى حريصاً على أن نأخذ سيناء ونخرج من دائرة المواجهة .. بعد هذه السنوات يجلس الصـهاينة ليقيموا مـاذا أخذوا بعد

عشر سنوات من المعاهدة ؟ بعد عشر سنوات .. جعلوا مصر تبتعد عن العرب .. جمدوا الجبهة الجنوبية وهو ما لم يحدث أبداً .. أغرقوا مصر فى المعونات الأمريكية .

وقال الدكتور عصام العريان : إن الأحداث التاريخية لا يمكن أن ينفصل بعضها عن بعض وزيارة السادات للقدس لا يمكن أن ننظر إليها دون النظر إلى ما سبقها من أحداث حيث إن السادات نفسه هو الذى قال : إنه يئس من العرب وإنه مقتنع بأن حل القضية بيد أمريكا حيث إنها تمتلك 99% من أوراقها .

** وفى سياق متصل فوجئ أهالى حلوان بوفد إسرائيلى يتجول فى الحديقة اليابانية بعد أن أغلق رئيس الحى جزءاً كبيراً من الحديقة ومنع المواطنين من الدخول بحجة تأمين زيارة الوفد الإسرائيلى .

** نشرت صحيفة " صوت العرب " فى 1988/4/24 أن السفارة الإسرائيلية طلبت من الأجهزة المصرية ضرورة الكشف عن السيارة التى صدمت سيارة الدبلوماسيين الإسرائيليين وأصابت اثنين منهم .

** نشرت صحيفة " الأهالى " فى 1989/2/28 تفاصيل صفقة الدبابات الأمريكية المستعملة والبالغ عددها 700 دبابة (M60) على أن يخصم ثمنها من المساعدات العسكرية الأمريكية لمصر .

وقد حذر خبراء عسكريون مصريون من أن هذه الصفقة ليست فى صالح الجيش المصرى لأن اتفاق التعاون العسكرى بين أمريكا ومصر ينص على تزويد الجيش المصرى بأحدث الأسلحة الجديدة وليست مستعملة ، بل وتشترط أمريكا أنه يجب على مصر أن تتخلص من دبابة شرقية قبل تعويضها بدبابة أمريكية وهذا يمثل شرطاً يصعب على مصر الموافقة عليه ، نظراً لأن الدبابات الروسية أثبتت كفاءة عالية مقابل الدبابات الأمريكية فى حرب رمضان 1973 وما بعدها .فضلاً عن أن كثيراً من الأسلحة الأمريكية الموردة إلى مصر

يكتشف المصريون عيوباً خطيرة بها ولولا وجود فرق صيانة من قبل الجيش المصرى مثل طائرات 4F التى وجد 4 موتورات بحالة سيئة ، فأعاد رجال الصيانة المصريون تأهيلها بنجاح .

** **كشفت صحيفة " الشعب " فى 1989/7/25** عن معلومات خطيرة حول أحدث شبكة أمريكية للتجسس حيث ثبت أن مندوب المخابرات الأمريكية فى مصر " نيكولاس نيولدز " الذى تولى تجنيد طبيب مصرى وشقيقه كان يعمل بمجلة " القاهرة اليوم " الصادرة باللغة الإنجليزية . وأنه عمل تحت اسم تونى لإخفاء اسمه الحقيقى وأنه جند الطبيب سمير يوسف إبراهيم وشقيقه الطبيب سامى ، وقد حاول تجنيد عناصر من التيار الإسلامى ولكنه فشل .

وفى سياق متصل كشف وزير الاتصالات السورى رضوان مرتينى النقاب عن أن بريطانيا هى الطرف الثالث الذى مرر المكالمات التليفونية من سوريا إلى إسرائيل عن طريق مركز العبور فى لندن مما سهل لإسرائيل خرق الحصار المفروض عليها من الدول العربية .

** وفى سياق مختلف طلبت السفارة الإسرائيلية 50 سيارة خاصة للسفارة الإسرائيلية وطلبت أن تحمل لوحات ملاكى القاهرة حتى لا تتعرض لأى مخاطر إذا وضعت لوحات دبلوماسية عليها .

** ومن جانب آخر كشفت تحقيقات نيابة الطور فى حادث اليخت الإسرائيلى الذى ضبط متسللاً أن الإسرائيليين استهدفوا إنتاج مادة كيميائية لتدمير الشعب المرجانية فى المياه المصرية .

** وفى ذات السياق نظرت محكمة دمياط الابتدائية دعوى أقامها محام ضد الحكومة المصرية والإسرائيلية يطالب فيها بإيقاف سريان اتفاقية كامب ديفيد للسلام بين الدولتين خاصة بعد الاعتداءات المستمرة من الكيان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى واللبنانى.

** **فى 1989/10/28 نشرت صحيفة " مصر الفتاة "** تحقيقاً عن شمعون شامير السفير الإسرائيلى الذى طردته مصر إبان أن كان مديراً للمركز الثقافى الإسرائيلى فتوسطت أمريكا وأعادته سفيراً وكأنها تخرج لسانها لنا .

وشمعون شامير أو الجاسوس السفير يعتبر من أخطر من تولى رئاسة المركز الأكاديمى الإسرائيلى ، لأنه كان عيناً لإسرائيل على العالم العربى عامة ومصر خاصة .

وقد حاولت مجلة " أكتوبر " إبان تولى أنيس منصور رئاسة تحريرها أن تضفى هالة من التمجيد الفكرى عليه ، وحاول أنيس منصور أن يصوره أنه رجل فكر وقراءة فقط ، ونسى أنيس منصور أن يذكر أن شمعون شامير شارك فى حروب 56 ، 67 ، 73 ضد مصر ثم عمل فى جهاز " أمان " الإسرائيلى ، ثم انتقل إلى الموساد ليصبح من عناصره النشطة فى أوروبا.**(كما ستقرأ تفصيلاً فى الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى – الباب الرابع).**

** وفى 1989/10/31 نشرت صحيفة " الشعب " أن السفير الإسرائيلى دأب فى الأسابيع الأخيرة على القيام بتحركات مشبوهة فقد قام بزيارة لعدد من الوزارات والهيئات الحكومية البعيدة عن دائرة عمله الدبلوماسى ، وامتد نشاطه للأندية الرياضية الكبرى للقاء بعض أعضائها وقياداتها والأغرب قيامه شخصياً بمراقبة انتخابات أحد الأندية التى جرت مؤخراً .

** فى 1989/12/18 نشرت صحيفة " الأحرار " أن إسرائيل طلبت من مصر صوراً من محاضر التحقيقات التى أجرتها النيابة مع 19 إسرائيلياً متهماً أمام المحاكم المصرية بتهم ترويج العملات المزيفة .

* استمراراً للتطبيع فى الثمانينات ومع نهايتها وفى تحقيق صحفى واف إلى حد ما قامت وكالة الأنباء العالمية رويترز يوم 1989/3/22 بعمل تقرير سياسى شامل عن محصلة كامب ديفيد بعد عشر سنوات من توقيعها بين كل من مصر وإسرائيل ، جاء فيه أن عرباً كثيرين ينظرون إلى معاهدة السلام بين

مصر وإسرائيل التى وقعتها الدولتان قبل عشرة أعوام على أنها زواج مصلحة غير مكتمل ، وعندما وقعت المعاهدة فى 26 آذار "مارس 1979 "، اعتقد مصريون أنها ستزيل مخاوف اندلاع مزيد من الحروب مع الدولة اليهودية وستؤدى إلى حياة أفضل ، أعادت إسرائيل إلى مصر الأرض التى استولت عليها عام 1967 لكن روابط الود التى نصت عليها المعاهدة لم تتحقق ومازالت العلاقات فاترة .

أما مصر المعزولة عن العالم العربى فاقتربت أكثر إلى واشنطن التى أمدتها بمعونات تصل إلى 2.3 بليون دولار سنوياً وباتت ثانى أكبر مصدر للمساعدات بعد إسرائيل .

ومع غزو إسرائيل للبنان عام 1982 تبدد الاعتقاد بأن اتفاقى السلام سيمنعان وقوع صراعات جديدة فى الشرق الأوسط ، تنفق مصر الآن أكثر من نصف المعونة الأمريكية فى إعادة تجهيز قواتها المسلحة ، ويبدو أن كرم واشنطن ليس له تأثير كبير على فقراء مصر ؟ .

أثبتت المعاهدة أنها لعنة على الرئيس الراحل أنور السادات ومهدت الطريق لاغتياله بواسطة متطرفين أثناء عرض عسكرى فى 6 تشرين الأول (أكتوبر) 1981 ويقول تقرير الوكالة أيضاً :

" أدخل الرئيس جمال عبد الناصر الاشتراكية إلى مصر وتحت حكم السادات جاءت الرأسمالية ، وأضاف : أن الاثنين لم ينجحا كما فشل السلام مع إسرائيل فى تحسين مستوى المعيشة المتردى وبات المصريون يتجهون الآن إلى القيم الإسلامية وقال مراقب سياسى قريب من الحكومة المصرية : إن الانتفاضة الفلسطينية المحتدمة فى الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين تحتلهما إسرائيل شكلت للمتشددين المسلمين فى مصر أرضاً خصبة لتجنيد الاتباع . وفيما دعا اتفاق كامب ديفيد إلى سلام بين إسرائيل وكل جيرانها وإلى إجراء مفاوضات تؤدى إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وحتى تقرير المصير

للفلسطينيين ، لكن بعد عقد من الزمن ، لاتزال مصر الدولة العربية الوحيدة التى وقعت اتفاق سلام مع إسرائيل وهذه الأخيرة لاتزال تستخدم القوة لتشديد قبضتها على الأراضى العربية التى احتلتها عام 1967.

ويرى راديكاليون عرب أن المعاهدة خيانة وتنكر للعروبة وإبعاد للقوات المسلحة المصرية القوية عن الخطوط الأمامية وتقوية لوضع إسرائيل فى المنطقة .

كانت معاهدة السلام بالنسبة إلى الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر الذى قام بالوساطة بين السادات ومناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل وقتذاك نصراً سياسياً خارجياً ، لكنها فشلت فى تحقيق سلام شامل كان يسعى إليه فى البداية وحتى الآن لم تتزحزح إسرائيل عن رفضها إعادة قطاع غزة والضفة الغربية وإلى أن يتم هذا يبقى السلام فى رأى دبلوماسيين مجرد ظاهرة مؤقتة وموضوعاً لخطب السياسيين .

وقد احتفل الرئيس حسنى مبارك يوم 1989/3/19 بعودة طابا آخر قطعة من الأراضى المصرية المحتلة كدليل على نجاح أسلوبه فى التعامل مع إسرائيل بالمفاوضات ، ومن جهة أخرى أعادت كل الدول العربية باستثناء سوريا ولبنان وليبيا علاقاتها الدبلوماسية الكاملة مع مصر ، وفى طابا أكد مبارك التزام مصر بالسلام .

<u>المحصلة فى إسرائيل :</u>

وبالنسبة إلى الإسرائيليين فى عام 1979 اجتاحهم ابتهاج عارم ، أما بعد عقد من السبعينات وفقاً لوكالة رويترز فإنهم يشعرون بخيبة الأمل ، لأن معاهدة السلام مع مصر فشلت فى إقامة صداقة بين الدولتين أو تقارب أوسع مع العالم العربى (وفقاً تقرير وكالة الأنباء رويترز فى 1989/3/22) .

وعندما وقع مناحيم بيجن والرئيس الراحل السادات المعاهدة قبل عشرة أعوام انهمر فيض من الآمال بأن أقوى عدوين فى الشرق الأوسط يسيران فى طريق التعاون .

وانهت المعاهدة التى وقعت فى واشنطن تحت رعاية الولايات المتحدة وبعد 16 شهراً من زيارة السادات التاريخية لإسرائيل صراعاً استمر 30 عاماً ، لكنها فشلت فى تشجيع دول عربية أخرى على التحدث إلى الدولة اليهودية وخاب أيضاً أمل إسرائيليين كثيرين كانوا يأملون ربما بطريقة غير واقعية فى صداقة دافئة مع مصر .

وقالت وزارة الخارجية الإسرائيلية فى بيان نشر قبيل الذكرى العاشرة " : أحرزت قضية السلام بضعة انتصارات جديدة لها أهمية المعاهدة الإسرائيلية المصرية نفسها، لكن البيان شكا من التباطؤ فى تطبيع العلاقات ، وانتقد وسائل الإعلام المصرية شبه الموسمية لفشلها فى إعطاء صورة إيجابية عامة .

والتجارة بين البلدين تكاد لا تذكر وهى متخمة بالعقبات، أما العلاقات الثقافية فغير موجودة تقريباً ، فالسياحة من جانب واحد وفى العام 1988 زار مصر أكثر من 60 ألف إسرائيلى مقابل أقل من 400 مصرى وكثيراً ما يشكو إسرائيليون عاديون أن بلدهم أعادت سيناء بأكملها مقابل سلام بارد .

وأصبح إسحق شامير الذى امتنع عن التصويت على اتفاق " كامب ديفيد " مع مصر رئيسا لوزراء إسرائيل وموشى أرينز الذى صوت ضد الاتفاقيتين وزيراً للخارجية ، ومن المفارقات أن الاثنين يستغلان عدم ولائهما للمعاهدة فى رفض مقترحات السلام بديله ويقول عيزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى السابق وأحد المهندسين الرئيسين للمعاهدة : إن إسرائيل مألومة كثيراً مثل مصر لفشل المعاهدة .

* ولرصد الحصيلة الحقيقية لعقد الثمانينات ، أى بعد عشر سنوات على توقيع معاهدة السلام عام 1979 ، تجدر الإشارة إلى أن (الاتفاقية) ذاتها تعرضت للنظر أمام المحاكم المصرية ثلاث مرات للحكم فى صحتها وشرعيتها ؛ فلقد تعرضت لها المحاكم التالية :

* محكمة الإسماعيلية الابتدائية .

* محكمة جنح الجيزة .

* المحكمة الدستورية .

وأمام المحاكم الثلاث ، صدرت أحكام قضائية بشأنها تختلف باختلاف الدعاوى المطروحة :

(1) فى عام 1979 أقام أحد المحامين بمدينة الإسماعيلية دعوى أمام المحكمة الابتدائية طالباً الحكم بصحة ونفاذ معاهدة السلام واختصم الحكومة فى هذه الدعوى .

نظرت الدعوى وترافع المحامى مشيداً بالمعاهدة وقال المستشار – ب – غ – آخر الجلسة حيث نطق بالحكم وكتبه فى صفحات معدودة ، وفى نهاية الأسبوع كان الرئيس السادات كعادته فى مدينة الإسماعيلية وطلبت الدائرة التى أصدرت الحكم مقابلته ؛ حيث قدموا له الحكم بصحة ونفاذ المعاهدة وأنها حازت قوة الشىء المحكوم فيه ونشرت الصحف الخبر .

(2) تعرضت المعاهدة أيضاً إلى النظر أمام محكمة جنح الجيزة .. إذ تقدمت المباحث بمذكرة ضد المحامى أحمد ناصر وهو قاض سابق ؛ لأنه يهاجم معاهدة السلام فى اجتماعات عامة ، وحققت معه النيابة العامة فاعترف بالاتهام الذى كان يعد عملاً موثقاً طبقاً لاستفتاء عام تمت الموافقة عليه من الشعب وهو إدانة كل من يخرج على المبادىء الأساسية التى وافق عليها الشعب فى استفتاء إبريل من عام 1979 ومنها التنديد بمعاهدة السلام ويكون عقابه بالحبس ثم حرمانه من حقوقه السياسية .

أمام محكمة الجنح طعن المحامى أحمد ناصر بعدم دستورية هذا القانون الذى جرم رأياً خاصاً له ، وأوقفت محكمة الجنح الدعوى وأعطته مهلة ليطعن أمام المحكمة الدستورية وأقام الطعن بناء على مخالفة ذلك للدستور وحكمت المحكمة بحقه فى معارضة كامب ديفيد .

وأعيدت القضية إلى المحكمة ، وفى الجلسة المحددة وقف ممثل النيابة يقول: إن النيابة العامة تفوض الرأى للمحكمة ، وهو تعبير لدى المحاكم معناه أن النيابة تطلب البراءة ولكن لا تطلبها صراحة ؛ لأنها هى التى حققت واتهمت وقدمت المتهم كتابة إلى المحاكمة ولكنها تعود فتفوض الرأى طبقاً لقاعدة قانونية فرنسية .. " إنه إذا كان القلم مقيداً – فاللسان حر طليق " ، أى أنه إذا كانت يدها مغلولة فلا قيد على اللسان فى أن تطلب ما يخالف رأيها السابق المكتوب .

وقضت محكمة الجنح ببراءة أحمد ناصر – وإذ توجه بعد ذلك إلى المحكمة الدستورية كان طعنه قد فقد أحد الشروط الأساسية وهو أنه أصبح لا مصلحة له فى الطعن بعد أن قضى ببراءته .

(3) مرة ثالثة عرض أمر معاهدة السلام أمام المحكمة الدستورية .. وتفصيل ذلك أن لجنة الأحزاب السياسية اعترضت على حزب يزمع إنشاءه النائب السابق "كمال أحمد " على أساس أنه من المعترضين على معاهدة السلام ، طعن على قرار المنع أمام الدائرة الأولى بالمحكمة العليا بمجلس الدولة .. وأمامها طعن بعدم دستورية قانون الأحزاب الذى حظر على المعارضين للمعاهدة أن ينشئوا أحزاباً سياسية ، وجاء فى استعراضه للطعن أن هذا يحدث فى مصر بينما فى الطرف الآخر وهو إسرائيل وقفت سيدة نائبة فى الكنيست ومزقت المعاهدة تمزيقاً وألقتها فى وجه بيجين .

وحكمت المحكمة الدستورية بقبول الطعن ، وانتهت إلى عدم دستورية هذا النص الذى يتعارض ومبادئها إذ حرية الرأى مكفولة للجميع طبقاً لمباديء الدستور .

واتصالاً بما سبق بشأن تزايد دور إسرائيل وسفارتها فى مصر فى كافة المجالات بعد عشر سنوات على توقيع كامب ديفيد ، تغلغل فيها الصهاينة فى كل شيء داخل مصر عبر سفارتهم رغم شعورهم بالفشل ولم يتركوا أى جهة

يستطيعون اختراقها أو استثمارها إلا وفعلوا ذلك ، فلقد قامت السفارة بدفع مبلغ مليون دولار ثمناً لأربع شقق تعاونية خاصة بالشعب المصرى ، فلقد كشفت تحقيقات الجهات الرقابية والأمنية ، الدائرة حول " جمعية السراب التعاونية لبناء المساكن " وصاحبة العقار الكائن به مقر السفارة الإسرائيلية بالقاهرة عن مخالفات مالية وإدارية خطيرة بالجمعية ، وتبين قيام أقارب لأعضاء بالجمعية ببيع 4 شقق من العمارة المملوكة للجمعية فى 6 ش ابن مالك ، والمطلة على كوبرى الجامعة بالجيزة إلى السفارة الإسرائيلية بواقع (250) ألف دولار للشقة ، وذلك دون سداد النسبة الـ 20% من الثمن للجمعية طبقاً للبند ج من المادة 21 فى لائحة النظام الداخلى بالجمعية ، والتى تنص على أداء تلك النسبة من قيمة العقار للجمعية ، قبل اعتمادها لعقد البيع الصادر من المتنازل .

وأشارت مصادر فى الجمعية إلى أن المادة 6 من قانون التعاون الاسكانى رقم 14 لسنة 1981 تنص على عدم التنازل عنه إلا للأقارب أو للجمعية على أن يصبح المتنازل إليه عضواً فى الجمعية بحكم القانون ، وهو ما يعنى أن تكون السفارة الإسرائيلية عضواً فى جمعية أول شروط لائحتها أن يكون العضو مصرياً ، لكن مصادر الجمعية أكدت أن الدوائر الرسمية هى التى أجازت هذه المسألة بالمخالفة للقانون بفضل جهود وزراء التطبيع فى حينه.

واتصالاً بما سبق صدرت تعليمات من جهة أمنية عليا تابعة لرئاسة الجمهورية فى مصر خلال شهر مايو 1989 بوقف 13 بحثاً ودراسة تجريها بعثات دبلوماسية بالقاهرة وهيئات دولية حول الأوضاع الاقتصادية والأمنية والاجتماعية بالبلاد ، أهمها حول مستوى المعيشة فى الريف المصرى ، والاكتفاء الذاتى من الغذاء وشركات توظيف الأموال والعلاقات المصرية العربية ، وجماعات المصالح والضغط بمصر (اقتصادية ودينية) وعلاقة المواطن بالسلطة رئاسة وأمناً .

وكانت معلومات قد وصلت هيئة الأمن القومى بأن عدداً من الهيئات الدولية والبعثات الدبلوماسية بالقاهرة قد قامت بجمع بيانات ومعلومات حول عدد من القضـايا الداخليـة مـن خـلال وزارات وهيئـات وشـركات حكوميـة والمـواطنين وبالاتصال المباشر دون الحصول على إذن مسبق فكلفت الهيئة لجنة خاصة من المخابرات العامة ، ببحث تلك البيانات التى اتضح أن معظمها سرية وغير مسموح بتداولها لأية جهة خارجية أو داخلية ، إلا فى حالة الضرورة والموافقة الرسمية وبإشراف أمنى بعدها صدرت تعليمات مشددة بالاتصال بتلك البعثات والهيئات ورد تلك البيانات وإحالة من أمدوها للجان تحقيق وأخطرت الهيئة كافة الوزارات بوقف أى اتصال إلا من خلال الخارجية المصرية وجاءت كل من السفارة الأمريكية وهيئة المعونة ومؤسسة فريدرش ابيرت والسفارة الإسرائيلية والسفارة الألمانية الغربية وإحدى السفارات العربية على رأس تلك الجهات التى قامت بجمع المعلومات .

***

<u>* أما عن الدور الإسرائيلى فى أزمة الهوية فى مصر خلال الثمانينات ، وبعد عشر سنوات من التطبيع نؤكد أيضاً :</u>

شهدت الفترة التالية لعام 1977 وحتى عام 1990 ، فى مصر بعض الخلل فى المكونات الأساسية للهويات العربية ، وكانت القطاعات الشعبية على اختلافها : (فلاحين وعمال وموظفين صغار) هم أكثر القطاعات التى اهتزت لديهم قناعات انتمائهم العربى ، وأكثر القطاعات تصديقاً لما روجت له أجهزة الإعلام الرسمية بفشل البديل الأمريكى والإسرائيلى ، مصحوباً بخلفية الصلح وعلاقات السلام وأنهما سوف يؤديان إلى حل هذه المعضلات وبالتالى إمكانية قبولها داخل النسيج الاجتماعى المصرى ، الأمر الذى يعنى ضرب أحد المكونات والركائز الأساسية للهوية العربية فى مصر ، ركيزة التمايز والصدام مع الوجود الصهيونى وكانت بالفعل فرصة تاريخية للكيان الصهيونى أن

يستثمر هذه (الحالة المرضية) التى أوجدها الإعلام وجهاز الرئاسة فى مصر ، فكانت عمليات الغزو السياحى والثقافى المنظم ، كما سبق ورأينا فى المحاور السابقة ، فتمت العديد من اللقاءات والمؤتمرات السياسية والثقافية إلى أن تم توقيع الاتفاقية الثقافية فى مايو / آيار 1980 وأنشىء المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة عام 1982 والذى اتجه – كما سنرى فى المحور الثقافى – إلى زعزعة الهوية القومية فى مصر من أساسها من خلال شبكة علاقاته واتصالاته بالمؤسسات والهيئات العلمية والإعلامية والشعبية المصرية ، ومن خلال أبحاثه العامة فى (الأصول العرقية للمجتمع المصرى وفى كيفية تفتيت مصر طائفياً وفى الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام وفى الشعر العربى الحديث وقضايا التعليم والزراعة والميكنة الزراعية واستصلاح الأراضى وفى توزيع الدخل وحياة البدو والبربر والنوبة وكيفية السيطرة عليها وفى تأثير السلام على العقل العربى وغيرها من الأبحاث الهامة المتصلة بشكل مباشر أو غير مباشر بضرب أصول الهوية العربية فى مصر بعد مسحها وتحليلها ورصدها تاريخياً .

ولقد واكب عمليات الغزو الثقافى الصهيونى المنظم – تلك – دور محموم لبعض المثقفين المصريين تجاه نفس الهدف الصهيونى لضرب الهوية العربية فى مصر بدأت بدعوات التركيز على فرعونية المصريين فقط ، ثم تلاها دعوة إلى " حياد مصر " فى مسألة الصراع العربى الصهيونى وانتزاع الهوية العربية من على أجساد المصريين .

وفى نفس الوقت وعلى صعيد الممارسة السياسية بدأت العلاقات تسوء بين النظام السياسى للرئيس السادات والجماعات الإسلامية ؛ لأنه لم يتجاوب لطلباتهم التى وعدهم فى أثناء تنشيطه لهم فى مواجهة الناصريين ، مثل تطبيق الشريعة الإسلامية والحكم الإسلامى وزاد الطين بله موقفه المعادى من الثورة الإيرانية ، بينما كانت الأقلية المسيحية تعانى من مهادنة السادات للاتجاه

الإسلامى مما دفع بعض قادتها إلى الاستفادة من العلاقة الخاصة بينهم وبين الولايات المتحدة فى الضغط على السادات لصالحهم ، واستطاعت إسرائيل استثمار هذا الواقع المعقد ، (اقتصادياً وثقافياً ودينياً) لصالحها ، فساهمت من خلال المؤسسات التابعة لها فى مصر فى تزكية الصراع غير المسبوق بين عنصرى الجماعة الوطنية المصرية : " المسلمين والأقباط" مما هدد مصر فى نهاية عصر أنور السادات بأزمة هوية حقيقية ، لولا المقاومة التاريخية للمثقفين الوطنيين المصريين ومؤسساتهم العلمية والسياسية ممثلة فى أحزاب المعارضة على اختلافها ونوادى أعضاء هيئات التدريس بجامعات مصر ، والحركة الطلابية ، والنقابات المهنية والعمالية .. فالجميع تصدى للدور الإسرائيلى ، وشكل بأساليب مقاومته الثقافية والسياسية حصانة قوية للحفاظ على الهوية العربية ، واستطاع ببراعة تاريخية أن يعيد ترتيب البيت المصرى من الداخل ، فأعاد للقطاعات الشعبية (بعد اغتيال السادات) قناعاتها العربية التى سلبت تحت أوهام الرخاء والسلام التى روجتها أجهزة الإعلام الرسمية ، والجميع استطاع استثمار هامش الحرية السياسية الذى عاشته مصر بعد عام 1981 نتيجة خوف حسنى مبارك من مصير يشبه مصير السادات فى بداية حكمه ثم تراجع بعد ذلك واستمر هذا المناخ فى الثمانينات فى إعادة بلورة مفهوم الهوية العربية ، ليقوم على ركيزة رفض الوجود الصهيونى ورفض علاقات السلام معه حتى ولو قبلتها الأجهزة الرسمية ، ويمكن الجزم بنجاح المقاومة الذاتية للجسد المصرى فى تأكيد الهوية العربية مرة أخرى بعد محاولات الانقطاع التى مارسها ولايزال البعض من المثقفين الذين تمتد جذورهم الفكرية خارج حدود الوطن وعلى الرغم من ذلك تؤكد الدراسات الميدانية التى أجريت على اتجاهات المثقفين المصريين نحو إسرائيل هويتهم العربية على صدق أحكامنا السابقة .

أما بالنسبة لحركة السياحة فجدير بالذكر أن فى سنة 1981 كان عدد السائحين الإسرائيليين فى مصر 35.4 ألف سائح ، أمضوا 303 آلاف ليلة

سياحية ، وفى سنة 1982 كان العدد 31.6 ألف وكانت عدد الليالى السياحية 224 ألفاً وفى الأشهر الستة الأولى عام 1983 ، كان العدد 16 ألف وكانت الليالى السياحية 106 آلاف ، والانخفاض الملحوظ تم بسبب أحداث لبنان وطبيعة المقاومة الشعبية المصرية لعملية التطبيع اقتصادياً وثقافياً وسياحياً (هذا فضلاً عن الأسباب التى سبق ذكرها فى الحلقة السابقة فى المحور السياحى) .

المصدر : مجلة الأهرام الاقتصادى فى 1984/1/30 نقلاً عن نشرة فى وزارة السياحة المصرية .

****

ثانياً : حقبة التسعينات (1990 – 2000) :

* فى مايو عام 1990 وجهت السفارة الإسرائيلية إنذارها رقم 3 لسكان عمارة الجامعة تطالبهم فيه بدفع مبلغ 60 ألف دولار أمريكى قيمة إصلاح وصيانة مصاعد العمارة والتى تمت خلال هذا الشهر بمعرفة شركة شندلر المصرية وخبراء إسرائيليين .

ولم تخطر السفارة أى اتحاد الملاك قبل إجراء الإصلاحات ، بل وضعتهم أمام الأمر الواقع وهددت بوقف المصاعد عن العمل إذا لم يتم الدفع وذلك لأنها تتحكم فى الأدوار العليا ! .

أشارت السفارة فى إنذارها إلى أن هناك حاجة ماسة خلال الأشهر القادمة لتغيير خزانات الماء الموجودة على سطح العمارة ، وكذلك إصلاح المضخات فى السرادب وقدرت ذلك بمبلغ 33.750 ألف دولار .

وأكد مصدر مسئول بجمعية السراب المالكة للعمارة أن قيمة تغيير خزانات الماء بالكامل وتركيب مضخات جديدة وليس إصلاحها فقط يتكلف مبلغ 15 ألف جنيه مصرى فقط .

* وفى نفس الشهر (مايو 1990) قامت قوات الأمن المصرية بعدة حملات أمنية على مخيم كندا برفح المصرية .. أسفرت الحملات عن اعتقال 15 من القيادات الفلسطينية "أبو على شاهين" وهو من أبرز القادة الفلسطينيين فى الأرض المحتلة ، بتهمة تهريب أسلحة إلى فلسطين المحتلة عبر الأراضى المصرية .. وأكد المقربون من المناضل أبو على شاهين أنهم فشلوا فى الاستدلال على مكان احتجازه بعد اعتقاله.

*** وفى تقرير مهم نشرته جريدة الشعب فى أبريل 1990 تحت عنوان " السفارة الصهيونية حولت عمارة سكنية إلى مستعمرة إسرائيلية عند كوبرى الجامعة " جاء فيه :** حولت السفارة الإسرائيلية العمارة المطلة على كوبرى الجامعة إلى مستعمرة !! المصريون فيها مواطنون من الدرجة الثانية

والإسرائيليون الأسياد ! أجهزة التصنت امتدت إلى غرف النوم كاشفة أسرار البيوت باسم الأمن الإسرائيلى !! استولوا على سطح العمارة بالقوة وحولوه إلى ثكنة عسكرية ووزعوا فيه الهوائيات ومنعوا السكان من الاقتراب منه ! أصبحت خزانات المياه الشرب فى قبضتهم يتحكمون فيها ! الأولوية للإسرائيليين فى استخدام مصاعد العمارة ! السكان وضيوفهم أثناء الصعود والهبوط تحت المراقبة بالصوت والصورة والتفتيش الذاتى إذا لزم الأمر ! يتم محاصرة السكان وحجزهم أثناء دخول وخروج السفير الإسرائيلى !! .

آخر تهديدات السفير الإسرائيلى إلزام السكان بدفع 50 ألف دولار (سبق الإشارة إليها) للسفارة لتصليح خزانات المياه حتى لا يتم قطع المياه كما سبق قطعها ! وهكذا سيدفع سكان العمارة المنهوبة للاستعمار الصهيونى أغلى أجر لسباك فى العالم .. لأن السباك إسرائيلي , والزبون مصرى!! .

وقبل الدخول فى تفاصيل حياة الجحيم التى يعيشها سكان مستعمرة كوبرى الجامعة طرحت الجريدة عدة تساؤلات :

أولا : كيف تمتلك السفارة الإسرائيلية بالقاهرة 4 شقق فى جمعية تعاونية للإسكان شيدت بمواد بناء مدعمة من الحكومة للشعب المصرى وليس للإسرائيليين ؟

ثانياً : كيف تمت عملية بيع الشقق الأربع للسفارة رغم أن القانون يمنع التصرف فى الشقق بالبيع أو الإيجار مفروش إلا بعد عشر سنوات من تاريخ بناء العمارة التى بنيت عام 1980.. وأخذتها السفارة عام 1981 أى بعد عام واحد من بنائها , وما هى الجهة التى قبلت أن تسجل عقد السفارة رغم مخالفته !!؟

ثالثاً : لماذا يغلق شارع عمومى ويعد منفعة عامة ببوابات حديدية .. قانوناً لا يحق للدولة أن تستخدم المنفعة العامة فى منفعة خاصة .. وحتى لو كان المبرر إجراءات الأمن ؟!

رابعاً : ماذا لو حدث وأصيب أحد السكان بنوبة قلبية أو إصابة بالغة يمكن أن تفضى للموت .. كيف يدخل الطبيب الذى يستنجد به أهل العمارة فى أسرع وقت ؟!

خامساً : كيف يخصص للمصريين اتجاه واحد لسير السيارات بينما يستخدم الإسرائيليون الاتجاهين وتميزهم حتى فى ركن السيارات عن سكان العمارة؟!

* وفى عام 1991 نشرت الصحف تشكيل الوفد المصرى لمؤتمر مدريد الذى سمى بمؤتمر السلام ، وكان أحد أبرز مؤتمرات التطبيع السياسى مع الكيان الصهيونى ووفقاً لما نشرته وسائل الإعلام ضم الوفد المصرى برئاسة عمرو موسى وزير الخارجية (الذى قدم قبل ثورة يناير 2011 وبعدها باعتباره ثورياً وكان بهذا كعادته لا يقول الحقيقة) ونخبة من أساتذة القانون ورجال الاقتصاد وعلم النفس وبعض القادة العسكريين المتخصصين فى الاستراتيجية العسكرية والسفراء والوزراء المفوضين ورجال الصحافة والسياسية والتاريخ وبعض المستشارين وهم :

السفير علاء بركات : سفير مصر وقتها فى أسبانيا ، قائد القوات الجوية الأسبق ، شارك فى حروب 56 ، 67 ، 1973 تخرج فى الكلية الحربية عام 1956 ومن مواليد مارس 1935 .

السفير محمد أبو النصر : سفير مصر السابق فى أسبانيا من مواليد 1931 كان مندوب مصر لدى الجامعة العربية .

الدكتور رمزى الشاعر : رئيس جامعة الزقازيق وقتها من مواليد 1939 بالغربية ، حاصل على دكتوراه فى القانون من جامعة عين شمس عام 1966 ، شغل منصب عميد حقوق عين شمس ثم نائباً لرئيس الجامعة وحاصل على جوائز الدولة التقديرية عام 1981 ووسام العلوم والفنون مرتين عامى 1981 ، 1984 .

الدكتور يونان لبيب رزق : أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، شارك فى عضوية اللجنة العليا بمباحثات طابا منذ عام 1985 التى تحولت إلى هيئة الدفاع المصرية أمام محكمة العدل الدولية .

الدكتور قدرى حفنى : أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس له دراسات عن الشخصية الإسرائيلية والصراع العربى الإسرائيلى وحاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى وعلى جائزة الدولة التشجيعية .

الدكتور صلاح عامر : أستاذ القانون الدولى بجامعة القاهرة وعضو الوفد المصرى للدفاع عن قضية طابا أمام محكمة العدل الدولية ، حصل على الدكتوراه عام 1974 عن شرعية المقاومة المسلحة فى القانون الدولى مع دراسة خاصة للمقاومة الفلسطينية .

الدكتور على الدين هلال : من مواليد 1944 أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ومدير مركز البحوث السياسية فيها حاصل على الدكتوراة فى العلوم السياسية من جامعة ماكجيل بكندا .

لواء أ.ح متقاعد أحمد فخر : خريج الكلية الحربية عام 1950 ، حاصل على ماجستير العلوم العسكرية بعد دراسته بالاتحاد السوفيتى ، ودرجة زمالة كلية الدفاع الوطنى المصرية ، وزمالة الكلية الملكية لدراسات الدفاع الاستراتيجية بلندن ، وزمالة جامعة الدفاع القومى بواشنطن ، شارك فى حروب 56 ، 67 ، 1973 ، حاصل على وسام الاستحقاق عام 1972 وكان يعمل وقتها رئيساً للمركز القومى لدراسات الشرق الأوسط وآخر منصب عسكرى تولاه مدير لأكاديمية ناصر العسكرية العليا .

الوزير المفوض د.رضا شحاتة : شارك فى المحادثات المصرية الأمريكية الخاصة بنزع أسلحة الدمار الشامل فى منطقة الشرق الأوسط وشغل منصب المستشار السياسى لوزير الخارجية .

الوزير المفوض أحمد أبو الغيط (صار بعد عدة سنوات وزيراً للخارجية) : مدير مكتب وزير الخارجية عمل فى سفارة مصر فى الولايات المتحدة وشارك الفريق المصرى المفاوض فى محادثات كامب ديفيد .

لطفى الخولى : من مواليد 1928 تخرج فى حقوق القاهرة وهو كاتب سياسة بالأهرام وأمين اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا ، له كتابات عديدة حول تطورات القضية الفلسطينية بالإضافة إلى كتاباته الأدبية .

* فى 1991/6/5 فى سرية تامة التقى وزير الخارجية الإسرائيلى ديفيد ليفى بالسفراء الخليجيين بالقاهرة ، ووفقاً لتصريحات صحفية لأوساط دبلوماسية رفيعة المستوى فإن الوزير الإسرائيلى لقى ترحيباً من السفراء الخليجيين فى الاجتماع به ، ونقل إليهم رغبة إسرائيل فى إتمام لقاءات منتظمة وعلنية مع المسئولين فى الدول الخليجية فى أية عاصمة يتم الاتفاق عليها ، مشيراً إلى أهمية عقد هذه اللقاءات على مستوى وزراء الخارجية .

أفادت الأوساط أن الوزير الإسرائيلى ناقش مع سفراء الدول الخليجية العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل وسبل إمدادها بالبترول فور بدء عملية السلام .

* وفى 1991/9/1 لقيت مواطنة مصرية تدعى فوزية حسن أبو جزار مصرعها على يد قوات الاحتلال الإسرائيلى فى رفح بعد أن حاولت طعن أحد الجنود الإسرائيليين فى المدينة .

وذكر راديو الجيش الإسرائيلى فى نشرته الصباحية أن المرأة المصرية حاولت طعن جندى إسرائيل كان يقف أمام مبنى الإدارة المدنية ، إلا أنه أصيب بجروح طفيفة فى وجهه فأطلق النار عليها فوراً فقتلها .

وقد تم نقل جثة السيدة إلى مستشفى ناصر فى خان يونس واتضح أنها مواطنة مصرية تقطن بمدينة القاهرة وقامت بزيارة خاصة إلى المنطقة ، هذا وقد أبلغت إسرائيل السفارة المصرية بتفاصيل الحادث .

* وفى أكتوبر 1991 تم اعتقال عدد من القيادات السياسية والدعاة المحسوبين علـى جماعـة الإخـوان بتهمـة رفض التطبيـع السياسـة ومؤتمر مدريـد، شـملت الاعتقالات حسن الجمل ، ولاشين أبو شنب عضوى مجلس الشعب السابق عن التحـالف الإسـلامى ، والداعيـة وجـدى غنـيم مـن الاسـكندرية وصـلاح عبـد المقصـود مـدير تحريـر مجلـة لـواء الإسـلام والـدكتور أحمـد عمـر رئـيس لجنـة مناصـرة فلسطين بنقابـة الأطبـاء وعدداً كبيراً من شباب المحـامين الـذين ذهبـوا للدفاع عن المعتقلين وعدداً آخر من المهندسين والطلبة من جميع المحافظات والجامعات .

وقد بـدأت نيابـة أمـن الدولـة العليا التحقيـق مـع المعتقلـين حيـث وجهـت إلـيهم جميعاً – رغم اختلاف ظروف وملابسات اعتقال كل شخص – تهمة تكدير الأمن العام ، والحض على كراهية دولة صديقة هى (إسرائيل) ! .

كما ابتدعت النيابة قراراً جديداً ، أكدت هيئة الدفاع مخالفته لنصوص القانون ، حيث قامـت بتلفيـق قضـايا للمعتقلـين ثـم قـررت إرجـاء اتخـاذ قـرار بشـأن هـذه القضـايا لحـين انتهـاء فتـرة الاعتقـال ، وهـى فتـرة غيـر محـددة وخاضـعة لمشيئة الداخليـة ، وكـان يفتـرض أن تتخـذ النيابـة قـراراً ، سـواء بـالإفراج أو اسـتمرار الحبس على ذمة القضية .

فى نفس الوقت الذى رفضت فيه الداخلية الإفراج عن بعض الأشخاص الذين قررت النيابة الإفراج عنهم .

كـان مـن بـين الـتهم التـى وجهـت إلـى عـدد كبيـر مـن المعتقلـين مـن مختلـف المحافظـات ، توزيـع منشـورات تسـب اليهـود وتحـض علـى كراهيـة دولـة صـديقة وتسىء إليها وهى إسرائيل ! .

وفى الوقت الذى وجهت فيه النيابة هذه التهمة لعدد كبير من المعتقلين ، فإنها اتهمت حسن الجمل عضو مجلس الشعب السابق بأنه أوعز إلى الشباب بطبع وتوزيع هذه الملصقات .

وفـى الجلسـة التـى عقدتها نيابـة أمـن الدولـة العليا تمـت مواجهـة حسـن الجمـل بأحمد عبد المنعم أحد الشباب المتهمين بتوزيـع الملصـقات فأكد الشـاب أنـه لم يطلب منه شيئاً بل إنه لا يعرف الحاج حسن الجمل أصلاً .

وقد رفض فريق النيابة المكون من تسعة أشخاص ، والذى تولى التحقيق مع المعتقلين أن يسجل الآية القرآنية التى استهل بها الدفاع دفاعه عن كل متهم ، وهى قوله تعالى : " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم " صدق الله العظيم .بينما اعتبرت النيابة أن عبارة " اليهود هم اليهود .. قتلوا الأنبياء ونقضوا العهود " وهى العبارة التى وردت فى الملصقات أنها تجريح لدولة صديقة وتكدير للأمن العام .

وكان عدد من المتهمين قد قاموا بتعليق ملصقات ، عليها فتوى د.محمد سيد طنطاوى والذى كان وقتها مفتى الجمهورية والتى تضمنتها رسالته لدرجة الدكتوراة والتى تحرم السلام مع اليهود وتقرر وجوب إعلان الجهاد المقدس لتحرير فلسطين ، إيماناً بأن الإسلام هو السبيل الوحيد لتحريرها من دنس الاحتلال الصهيونى (طبعاً طنطاوى نفسه تغير بعد ذلك وكان من أشد المدافعين عن التطبيع مع إسرائيل) .

وفى معرض دفاعهم عن المتهمين أمام رجال نيابة أمن الدولة ، أكدت لجنة الدفاع المكونة من 20 محامياً ، برئاسة مختار نوح وعضوية جمال تاج الدين وعبد المنعم عبد المقصود ومحمد غريب وعدد من المحامين المسيحيين، منهم فكرى نسيم ، وأكدت اللجنة أنه لا يجوز اعتبار آيات القرآن الكريم تكديراً للأمن العام ، وأشارت إلى أن مجمل ما نشر عبر الملصقات فى حالة ثبوته عبارة عن آيات قرآنية ، وحذر من أن حبس المتهمين بناءً على ترديدهم للقرآن الكريم ، إنما هو جريمة فى حق الدستور المصرى الذى ينص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيس للتشريع ، كما يعتبر نذيراً لمستقبل أسود فى

ظل معاهدات الاستسلام مع العدو الصهيونى ، وتساءل الدفاع كيف يتم اعتقال من يقوم بتعليق الفتوى دون اعتقال صاحبها ؟ .

وفى نقابة المحامين الفرعية بالقاهرة أعلن مختار نوح أن النقابة ستصدر بياناً للتنديد باعتقال اثنين من المحامين هما : زين الدين على وعمر فيصل وترحيل محام ثالث هو حسن سليمان . وذكر أن لجنة الشريعة الإسلامية بنقابة المحامين شكلت لجنة من 20 محامياً تتواجد على مدى 24 ساعة يومياً للدفاع عن المعتقلين ، وقد حضر مع كل معتقل أحد المحامين كما حضر من مجلس نقابة المحامين بالقاهرة كل من خالد بدوى وجلال عثمان .

كما أصدرت نقابة الأطباء العامة بياناً وزعته على الصحف ، نددت فيه باعتقال أحد أعضائها البارزين وهو الدكتور أحمد عمر رئيس لجنة مناصرة فلسطين بالنقابة ، وقالت فى بيانها : إن مباحث أمن الدولة تناصرها أعداد غفيرة من قوات الأمن قامت بمداهمة منزل د. أحمد عمر فجراً بطريقة همجية وروعت أطفاله الأربعة ، كما قاموا بتفتيش منزله وبعثرة محتوياته واستولوا على سيارته الخاصة رغم إلحاح السيدة زوجته بترك السيارة لتتمكن من توصيل الأبناء إلى مدارسهم .

وأشار البيان الذى وقعه د. عبد المنعم أبو الفتوح أمين عام النقابة أن د. أحمد عمر كان قد دعى من قبل نقابة المحامين لإلقاء محاضرة عن خطر اليهود فى المنطقة وكان موعدها بعد ساعات من إلقاء القبض عليه .

هذا وقد أشارت مصادر الدفاع لوسائل الإعلام وقتها إلى أن معظم المعتقلين تلقوا معاملة مهينة ، حيث يتعرض بعضهم للضرب كما تمنع الأطعمة والأغطية عنهم وبخاصة فى فترة الاحتجاز بمقار مباحث أمن الدولة .

وفى يوليو 1991 أجرى إسحاق رابين رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديدة محادثات مع حسنى مبارك فى القاهرة وقال المراقبون : إن مبارك وجه الدعوة إلى رابين لعقد أول لقاء قمة مصرى إسرائيلى بعد ست سنوات من عدم عقد

قمـم ، لأن رئـيس الحكومـة الإسـرائيلية أشـار إلـى رغبتـه فـى تقـديم تنـازلات للتواصل إلى اتفاق مع سوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين .
وقد أعرب السوريون والفلسطينيون عن شكوكهم فى موقف رابين ، وأعلنت مصادر سياسية فى دمشق بأن لقاء الرئيس السورى حافظ الأسد مع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى قد تأجل بسبب وفاة والدة الأسد ، وأعربت المصادر السورية عن خشيتها أن تنتهى جولة بيكر للمنطقة إلى مجرد الاتفاق على تقديم ضمانات القروض لإسرائيل ، وهو ما سعى إليه رابين منذ توليه مقاليد الحكام .
وكان الدكتور حيدر عبد الشافى رئيس الوفد الفلسطينى فى محادثات السلام قد علق على قرار حكومة رابين الأخير بشأن المستوطنات بقوله : إن الفلسطينيين يريدون تجميداً نهائياً وشاملاً للنشاط الاستيطانى .
وقد أكد بيكر قبل مغادرته إسرائيل إلى الأردن التزام الولايات المتحدة بمساعدة الحكومـة الإسـرائيلية الجديـدة علـى اسـتيعاب آلاف المهـاجرين اليهـود الجـدد وأضاف أن الرئيس بوش قد يوافق على منح إسرائيل ضمانات قروض بعشرة مليارات دولار .
** فـى 1995/1/2 نشـرت مجلـة " روزاليوسـف " تقريـراً عـن مفاعـل ديمونـة الإسرائيلى والأسرار الهائلة التى سربها مردخاى فانونو الذى عمل فى مفاعل ديمونة فى 1977 والمفاعل يقع فى مستعمرة النقب الوسطى وتبعد عن بئر سبع 35 كيلو متراً ويقع بالقرب من مناجم الفوسفات ، وقد استطاع مردخاى فانونو التقاط 60 صورة للمفاعل من الداخل . وقد اعترف فانونو أن إسرائيل تخزن ما يقرب من 300 قنبلة نووية فى مخازنها .
وقد تم اختطاف فانونو من روما بعد تسريبه هذه المعلومات ، وحوكم فى محاكمة وصفتها الصحف الإسرائيلية بأنها أهم محاكمة فى التاريخ الإسرائيلى بعد محاكمة النازى انخماى . وقد نشطت جماعات حقوقية أوروبية فى الدفاع

عن فانونو والمطالبة بالإفراج عنه ، لأنه عندما سرب هذه المعلومات للصحف الأوروبية والأمريكية ، كان يهدف للمساهمة فى التخلص من الأسلحة النووية أياً كان مصدرها ومنتجها .

** فى 1995/3/13 نشرت الصحف ما تناقلته إسرائيل من أن مصر ستكون ضمن ثمان دول عربية تشارك فى مناورات بحرية مع إسرائيل تحت إشراف كندى .

ونفت مصر أن تكون هناك أى نية لإجراء تدريبات بحرية أو جوية أو برية مع إسرائيل .

يذكر أن بعض الدول العربية الموقعة على اتفاقات سلام مع إسرائيل أجرت معها مناورات وتدريبات بحرية مشتركة لم يتم الإفصاح أو الإعلان عنها فى فترات سابقة وهو ما ترفضه مصر باستمرار .

** **وفى 1995/9/12 نشرت صحيفة** " **الشعب** " تحقيقاً مهماً عن مذابح الأسرى المصريين على يد الصهاينة والتى جرت فى معسكر الأبطال بمدينة العريش والتى بدأت بعض ما جرى تتضح معالمه ، خاصة بعد شهادة عدد من الجنود العائدين والذين سردوا جزءاً مما جرى ومنهم رمضان زايد بكر والذى قص حكاية شقيقه رمضان الذى فقد فى 1956 ، وحكى الحاج فهمى محمد على العراقى ما حدث قائلاً : كنت مجنداً فى الفرقة " 8 " مشاة عام 54 ، وفى عام 1956 وبعد نشوب الحرب قاتلنا بضراوة حتى نفدت الذخيرة وبعد ذلك طلب منا أن يتصرف كل جندى على طريقته للحفاظ على حياته ، وبعد عدة أيام من الكر والفر وقعت فى الأسر وتم ترحيلنا إلى معسكر بمدينة العريش ، وقد وقعت عدة مجازر فيه للأسرى المصريين ، كان يمكن أن أفقد حياتى فى أى منها ، ويؤكد الحاج فهمى أنه شاهد الصهاينة وهم يقتلون المدنيين ظناً منهم أنهم جنود يتخفون فى ملابس مدنية .

وفى مقال للدكتور عبد الله هلال وفى نفس العدد بعنوان " جريمة قتل الأسرى والسلام المستحيل " عدَّد الكاتب فيه مدى الخسة والجبن والغدر الذى يتميز به بنى صهيون ، وكيف أنهم يعتبرون القتل والاغتصاب والتعذيب قربى لرب بنى صهيون ، وأشار الكاتب لجرائم العدو التى لا يمكن نسيانها كقصف مدرسة بحر البقر وصابرا وشاتيلا ودير ياسين وكسر عظام أطفال الانتفاضة الفلسطينية عمداً ثم يستطرد الكاتب لمحاولة الصهاينة المستمرة لتيئيس الشعب المصرى بمساعدة حكام هذا الشعب الخانعين والمنقادين للصهاينة والأمريكان .

** **وفى مارس 1995** عقد حزب التجمع ندوة بعنوان " مستقبل العلاقات المصرية الإسرائيلية " حيث أعرب محمد عبد اللاه – رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب عن اتفاق الجميع على دور وتوجه مصر العربى حيث عملت مصر على تلطيف الأجواء بين العراق والولايات المتحدة قبل غزو العراق للكويت بعدما صرح صدام حسين بأنه سيحرق نصف إسرائيل، وقد سبق ذلك شحن السلاح المصرى للعراق أواخر عهد السادات بعد أن بدأت الكفة تميل لصالح إيران .

واستعرض عبداللاه سقوط الاتحاد السوفيتى وتأثيره على معادلة موازين القوى فى العالم . كما أشار لاتفاق أوسلو ومؤتمر السلام فى مدريد.

من جانبه أكد حسين عبد الرازق – القيادى بحزب التجمع – أن إسرائيل تتطلع لوراثة دور مصر ولعب دور القائد فى المنطقة .

فيما أكد صلاح الدين حافظ – نائب رئيس تحرير الأهرام – أن هناك إصراراً غربياً وأمريكياً على إنهاء النظام العربى الإقليمى لصالح النظام الأمنى الشرق أوسطى التى تكون فيه السيادة للكيان الصهيونى .

فيما أكد حلمى شعراوى – مدير مركز البحوث العربية – أن إسرائيل تعمل بكل ما أوتيت من قوة التطويع العقل العربى ، ليقبل بها كأمر واقع لا فكاك منه ولا سبيل إلا بالتعامل والتعايش معه .

* وفـى ذات السياق دعـت قيادات الأحـزاب المصـرية إلـى حشـد كافـة الجهـود الوطنية : حكومية وحزبية ونقابية وشعبية لمواجهة العدوان الإسرائيلى وتطوير الموقف الرسمى الرافض لسياسات نتنياهو . وطالبت القيادات الحزبية والعمالية فـى الاجتمـاع الـذى عقد بمقر الحـزب الناصـرى فـى مـارس 1997 الحكومـة بتجميد كافة الاتفاقات الموقعة مع إسرائيل منذ عام 1979 وحتى الآن . ووقف بيـع البتـرول والغـاز وسـحب السـفير المصـرى مـن تـل أبيـب وطـرد السـفير الإسرائيلى من مصر ، وتقديم كافة أشكال الدعم للشعب الفلسطينى .

** وفى نفس العدد أعلنت وزارة الدفاع الإسرائيلية أن لدى إسرائيل كماً هائلاً مـن حبـوب منـع الإشـعاع النـووى التـى سيتناولها المواطنـون فـى حالـة حـدوث إشعاع من المفاعل النووى فى ديمونة .

صـحيفة يديعوت أحرونـوت ذكـرت أن الحبـوب اسـمها " لوجـول " وتقـوم بتحييد التأثير الإشعاعى الذى يتعرض له الإنسان .

وزارة الدفاع الإسرائيلية ذكرت أن هناك 600 ألف حبة فى إسرائيل ستوزع فقط علـى سكان مدينـة ديمونـة فـى حالـة حدوث إشـعاع بعد أن أكد الخبير الدكتور إفرايم إسكولاى أن الإشعاع ممكن حدوثه خلال حوالى عشرة أعوام، وذلك أمام لجنة الكنيست التى ناقشت الموضوع الأسبوع الماضى .

* وفـى 1997/4/28 وفـى محاولـة مُدعاة لإثراء الحوار وتنمية التفاهم ودعم بلدان منطقة البحر المتوسط وتحقيق التعاون بين شعوبها عقد فى الفترة من 12 إلـى 19 أبريل بجزيرة رودس باليونـان مؤتمر شباب البرلمـانيين بـدعوة مـن المعهد الدولى للديمقراطية .

نـاقش المؤتمر سبل تعميق الديمقراطية وتنمية المؤسسات الديمقراطية ؛ لتكون ضماناً للسلام فى منطقة شرق البحر المتوسط ، وإيجاد سبل دعمها عن طريق الحـوار والتفـاهم الثقـافى ومشـاركة المـرأة فـى الحيـاة السياسـية فـى إقلـيم شـرق المتوسط .

شارك فى المؤتمر وفود برلمانية شبابية من مصر والأردن وفلسطين وقبرص ومالطا وتركيا واليونان والمجلس الأوروبى ، والبرلمان الأوروبى وإسرائيل ، ومندوبون عن اللجنة الأوروبية ووفد روسى كمراقب ، بينما اعتذر عن المشاركة وفدا سوريا ولبنان .

وقد مثل الوفد البرلمانى المصرى كل من الدكتور محمد عبد الآخر (رئيساً)، وأحمد رسلان (الحزب الوطنى) ، أيمن نور (حزب الوفد) ، رجب هلال حميدة (حزب الأحرار) ، وأحمد حمدى مساعد الأمين العام لمجلس الشعب.

حرصت الوفود العربية المشاركة على عقد لقاء مشترك فيما بينها للتنسيق حول القضايا التى يناقشها المؤتمر للوقوف أمام افتراءات وفد إسرائيل الذى مثله أحد أعضاء الكنيست عن حزب سوميت ، والسفير الإسرائيلى فى اليونان .

كان اهتمام الوفود العربية من خلال التنسيق والمداخلات والمناقشات هو توضيح أن السلام فى منطقة الشرق الأوسط يمر بمنعطفات خطيرة فى ظل تغيير السياسات الإسرائيلية ومواقفها تجاه ما سبق الاتفاق عليه بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، بما استجد من بناء المستوطنات الإسرائيلية فى جبل أبو غنيم بالقدس العربية المحتلة .

وقد حاول عضو الكنيست الإسرائيلى أن يشير لاحترام بلاده للاتفاقيات التى وقعتها الحكومة السابقة (حكومة حزب العمل) ، وادعى فى كلمته أمام المؤتمر أن إسرائيل لا تغير معالم مدينة القدس ، ولكنها تحمى الحقوق المدنية وتشيد بعض الوحدات السكنية للعرب والفلسطينيين واليهود فى القدس.

وتصدى الوفد المصرى لخلط الأوراق وادعاءات الممثل الإسرائيلى وفضح التصرفات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة وعدم التزام الدولة العبرية بالاتفاقيات الموقعة .

كما أكدت الوفود العربية المشاركة على ضرورة الالتزام بالاتفاقيات الدولية وبالشرعية الدولية ومبدأ الأرض مقابل السلام حتى يمكن استئناف قطار السلام لمسيرته .

* وفى 1997/7/17 فى تطور مفاجىء للأحداث أرسل أحمد الصباحى رئيس حزب الأمة طلباً إلى السفارة الإسرائيلية بالقاهرة للسفر إلى إسرائيل وبصحبته 30 عضواً من الحزب .. فى زيارة تستغرق 5 أيام ، وطلبت السفارة الإسرائيلية من الصباحى – فى حالة الموافقة – تحديد الأسماء والمدة والبرنامج ، فطلب الصباحى أن تبدأ الزيارة فى يومها الأول بلقاء مع قيادات وأعضاء حزب العمل للتهنئة بالفوز الذى حققوه فى الانتخابات الماضية على أن يلتقى برئيس الوزراء باراك فى اليوم التالى ، لتهنئته أيضاً وإطلاعه على موقف حزب الأمة المؤيد لخطواته من أجل السلام ، وللتأكيد على أن الحزب هو الوحيد الذى يؤيد التطبيع ثم يتوجه الوفد بعدها إلى غزة لعقد لقاءات مع القيادات الفلسطينية ولتهنئتها على التصريحات التى أدلى بها باراك من أجل السلام وإعلان قيام الدولة الفلسطينية ، ثم يصلى الوفد " الجمعة " فى المسجد الأقصى ، وليعود بعدها إلى القاهرة ، وحينما سُئل الصباحى عما ستقوله الأحزاب الأخرى عن هذه الزيارة فى الوقت الذى عقدت بقية الأحزاب مؤتمرات لرفض التطبيع قال : هذه الأحزاب تشتغل غلط لأن باراك أعلن السلام وجاء إلى القاهرة ولا مجال لنا " للف والدوران " ولا أحد فى مصر يستطيع أن يقول : إنه ليس مع التطبيع .. هذا كلام قديم ! ... وبعد هذه المبادرة اتصلت السفارة الإسرائيلية بالصباحى وأبلغته بالاعتذار مؤقتاً عن قيام الحزب بهذه الزيارة لانشغال رئيس الوزراء بلقاءات خارجية على أن يتم تحديد الموعد لاحقاً .

** وفى يوم 1997/7/8 فى ظل تصاعد العداء الصهيونى تجاه الأمة العربية وفلسطين وفى ظل تنامى الدور الجهادى للمقاومة الإسلامية الجماهيرية فى لبنان وفلسطين ، كان المؤتمر الجماهيرى الذى عقد فى مقر حزب العمل باسم

اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان داعياً إلى تكوين جبهة مضادة لجبهة "المطبعين" التى أسسها لطفى الخولى ، جبهة تتكون من كل التيارات السياسية والفكرية ضد أعداء الوطن من المطبعين وضد المد الصهيونى الذى يسعى إلى محو الهوية الوطنية وبدأ المؤتمر بكلمة الدكتور رفعت سيد أحمد (المنسق العام للجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين) الذى أكد فيها على ضرورة مواجهة دعاوى التطبيع الذى وصل داخل مصرنا إلى مرحلة خطيرة فى الزراعة والسياحة والنفط والاقتصاد وغيرها من المجالات ، ومواجهة هذا التطبيع بالكلمة والفعل أصبح فرض عين على كل مواطن مصرى أياً كانت عقيدته السياسية أو الدينية لأن التطبيع يهدد حياتنا ووجودنا ذاته ، وأكد الدكتور محمد عصفور بعد ذلك على أن المسألة ليست بالبساطة لكى ينظر إليها نظرة عابرة ، فنحن فى مواجهة كارثة وأن المقاومة تحتاج إلى أجيال ، ومشكلتنا أننا نتعامل مع أمريكا وإسرائيل ونحن نجهل مقومات الشخصية الأمريكية والإسرائيلية ، فأمريكا تجد فى إسرائيل شبيهاً لها فلهما نفس النشأة وهذا يقودنا إلى تشابه فى العقيدة ويتعداه إلى تشابه فى الأفكار العنصرية . فالعنصرية أصل راسخ فى كل منهما ، فإسرائيل عنصرية فى اعتقادها بسموها وأمريكا عنصرية بظنها أنها ذلك الرجل الأبيض المسئول عن تمدين البشرية، وقد نجح المخطط الأمريكى فى خرق النخوة العربية فتحولت من الرفض لأية معاهدة طرفها أمريكا إلى تنكيل العرب كل بالآخر وبعد ذلك نقول : القومية العربية !! فاستقدامنا للجيوش الأجنبية إلى بلادنا هو استقدام للاحتلال الله وحده يعلم إلى متى يدوم .

ودعا الدكتور محمد مورو رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامى إلى ضرورة القيام بعملية فرز للأفراد ، فمن هم معنا ضد أمريكا وإسرائيل فى جبهة ومن دون ذلك فهم فى جبهة ووصف مسألة التطبيع الثقافى بأنها تدمير للخلايا العصبية للجسد العربى وعملية إيهام للمثقفين العرب تحت دعوى الرخاء ولقمة

العيش ، واعتبر أن دعوات الشرق أوسطية والعولمة الكونية كلها مسميات واحدة تهدف وتروج للتطبيع وفقد الهوية العربية ، وإهانة النبى صلى الله عليه وسلم إهانة لرمز الإسلام ومن لا يشعر بهذه الإهانة فهو عضو غريب فى الجسد العربى.. وخاطب التيارات الإسلامية مطالباً إياها بالثأر من إسرائيل حيث إنه على حد قوله .. لا يعقل أن تثور الجماعات الإسلامية من أجل إهانة عمر عبد الرحمن فى أمريكا ولا تثور رفضاً لإهانة النبى فى إسرائيل من خلال عملية توزيع الملصقات ونشرها فى الخليل وأنها مجرد اختبار وجس نبض لمعرفة هل بإمكان العرب الرد على الصهاينة توطئة للهجوم على المسجد الأقصى وهدمه .

وفى يوم 1997/10/29 نشرت صحيفة " العربى " الناصرية تحقيقاً مهماً عن الاتهامات الموجهة للسفير المصرى فى إسرائيل محمد بسيونى جاء فيه: نعرف أن المجتمع الإسرائيلى قائم على التجسس والابتزاز ، ولاشك أن محمد بسيونى سفير الحكومة فى تل أبيب يعرف ذلك أكثر منا ، وكان عليه أن يتصرف بوصفه سفيراً غير عادى فى مصر وكياناً غير عادى أو بالأحرى " معادياً " مهما كانت نصوص المعاهدات والاتفاقيات.

لكن الصورة التى تنقلها وترسمها صحف العدو عن جناب السفير " لو صدقت طبعاً " تؤكد عكس ذلك تماماً إذ يبدو منها أن السيد بسيونى نسى نفسه تماماً فى تل أبيب التى قضى فيها حتى الآن 17 عاماً ، وتصرف هناك كأحد نجوم المجتمع الإسرائيلى ، فهو يقيم الحفلات الفخمة بل والماجنة ويغدق عليها من أموال السفارة ، ويحضر حفلات ودعوات الإسرائيليين مهما كانوا ، ويفرح وهو يرى صوره تزين صفحات المجلات والجرائد حتى لو كانت من النوع غير الدبلوماسى أو الذى لا يليق بمن كان فى مثل وضعه وظروفه ، وحسب الصورة نفسها فقد تعامل مع الإسرائيليين كأنهم أصدقاء ونسى وظيفته كدبلوماسى – يجب أن يبتعد عن الشبهات وتصرف كأحد نجوم هوليوود ،

وعندما أصابه شرر " نافخ الكير " صرخ .. الحقونا ، وكان الأجدى به أن يحتاط ويحترز من البداية ، خاصة وأن السفير يعرف أنه فى إسرائيل وليس فى فرنسا أو السويد ، ووصل الحال ببسيونى أن حضر احتفالات الصهاينة بقيام دولة إسرائيل ، وكافة أعيادهم وحتى احتفالهم بهزيمتنا فى يونيو ، ولم يكتف بذلك لكنه أعطى الصحف الإسرائيلية الفرصة لكى تفضحه ، وتنشر حوله كل هذه الفضائح ، وقد قالت صحيفة "معاريف" فى 19 أكتوبر 1997 : إن السفير محمد بسيونى وزوجته أكثر اثنين يسعى إليهما الإعلام ورجال المجتمع فى إسرائيل ، وأنهما يحرصان على إقامة الحفلات فى بيتهما الفاخر، وهى الحفلات التى تبدأ بـ " أهلاً وسهلاً .. واتفضلوا مع أصناف الطعام والشراب الفاخر وتصل إلى ذروتها بفقرة ساخنة جداً تحييها راقصة شرقية إسرائيلية " ودائماً – كما تقول معاريف – لا يخذل السفير والسيدة قرينته ضيوفهما الذين يتوقعون ضيافة كريمة على الطريقة الشرقية ، وبالحرف تقول الصحيفة : " بعد فاصل الموسيقى تندفع راقصة تتفجر إثارة وعارية الساقين تتمايل مع الموسيقى وتبدأ فى تدليل الضيوف على خلفية التصفيق الإيقاعى التى تشجعها على الاستمرار يحدث ذلك فى حفلات الأعياد الرسمية كما فى حفلات عيد ميلاد جناب السفير .

أم عن قصة السفير بسيونى مع العاهرة التى استخدمت لتشويه صورته فتقول الصحيفة الإسرائيلية نفسها على لسان " عادناه أربيل " النائب العام هناك : إن إغلاق ملف هذا الموضوع تم لأنه ثبت أن الأمر لم يتعد علاقة بين رجل وامرأة بالغين ولم يحدث لجوء للقوة أو الضغط ، وأن الراقصة ذهبت إلى الشقة التى التقى فيها السفير بالراقصة بملابس عارية ، وكانت تعرف ما يريده السفير منها وما يتوقعه ، وقد حصلت منه على هدايا ، لكنها كانت تأمل أن ينتهى هذا بمداعبات وقبلات فقط ، وتضيف عادناه : لقد دخلت غرفة النوم برغبتها .

وقالت النائب العام : إنها تصدق كل ما قالته الراقصة فى شكواها ضد السفير لكن ما روته ليس فيه تجاوز قانونى .. ونحن لم نجد حاجة لمقارنة ما قالته الراقصة وما قاله السفير ، لأن مضمون أقوالها صادق وحقيقى ، والقصة كلها علاقة بين شخصين بالغين .

ولمواجهة ردود الفعل الغاضبة التى أعلنتها منظمات نسائية وقضائية إسرائيلية على قرار إغلاق ملف القضية قالت النائبة العامة الإسرائيلية : إنه لم تمارس معها ضغوط مباشرة أو غير مباشرة من الخارجية الإسرائيلية فى قضية السفير ، وكان ممكناً أن نقول : بأن الرجل يتمتع بحصانة دبلوماسية ونمتنع عن التحقيق أو حتى قبول الشكوى لكنى – والكلام للنائب العام– قررت مع المستشار القضائى للحكومة ضرورة فحص الأمر وبعدها نقرر ما نفعل وأثبت التحقيق أنه لا جريمة فيما حدث بين السفير والشاكية !! .

هذه الحادثة أثارت الرأى العام الإسرائيلى ومع ذلك لم تثر ردود فعل مشابهة فى مصر رغم أنها تمثل إهانة للخارجية المصرية التى كان يرأسها آنئذ ، أحد الموصومين بالثورية والبطولة المدعاة (عمرو موسى) ولكن القضية فى المجمل تمثل الوجه القبيح للتطبيع السياسى بين نظام مبارك والكيان الصهيونى .

** **وفى العام نفسه استقبل د. ممدوح البلتاجى** السفير الإسرائيلى الذى فوجئ بعتاب البلتاجى له وعلى إسرائيل بسبب كتيب طبعته إسرائيل وتوزعه فى كل المطارات الدولية تحذر فيه من السفر للبلاد العربية ومنها مصر .

وفى سياق متصل طالبت القوى السياسية بطرد السفير الإسرائيلى من القاهرة لمواجهة العدوان الإسرائيلى على لبنان وفلسطين وتطوير الموقف الرسمى الرافض لسياسات نتنياهو .

** وفى سياق متصل طالب فاروق قدومى السياسى البارز والقيادى الفلسطينى وزراء الخارجية العرب بضرورة الطلب من حكوماتهم اتخاذ خطوات حازمة ضد الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى المحتلة .

** وفى نفس الإطار وافق اتحاد الفنانين العرب على اقتراح اتحاد المحامين بالانضمام إلى مسيرة تظاهرية ضد التطبيع مع إسرائيل .
من ناحية أخرى تم فى عام 1997 فى القاهرة ، طرد الحاخام اليهودى ديفيد جروسمان للاشتباه بأنه يعمل لحساب الموساد الإسرائيلى .
* وفى عام 1997 أيضاً طلبت وزارة الخارجية الإسرائيلية من الخارجية المصرية تسليمها المستندات والوثائق المصرية الخاصة بمرحلة الاستعداد لمفاوضات "كامب ديفيد" لنشرها بالتليفزيون الإسرائيلى للاحتفال بمرور 20 عاماً على زيارة السادات للقدس وتوقيع الاتفاقية.. وقالت الخارجية الإسرائيلية فى خطابها الرسمى الذى تم تسليمه منذ أسبوعين :" إن الاحتفال بكامب ديفيد لا يستهدف العودة إلى الخلف ولكنه يهدف التطلع إلى المستقبل وحتى تستفيد منها كل الأطراف العربية المشاركة فى عملية السلام مع إسرائيل , وفى محاولة إسرائيلية لإقناع الخارجية المصرية بتسليم المستندات ذكر الخطاب: " أن الخارجية الإسرائيلية وافقت على نشر الوثائق والمستندات التى بحوزتها والمتعلقة بزيارة الرئيس الراحل السادات وكامب ديفيد" .
ومن جانب آخر أرسل التليفزيون الإسرائيلى بعثة إلى القاهرة لإجراء لقاءات مع عدد من قادة الأحزاب والسياسيين والمثقفين المصريين المؤيدين والمعارضين لكامب ديفيد لاستطلاع آرائهم فى الاتفاقية ، والتقى بالكاتب المسرحى على سالم ود. أسامة الباز ود. عبد العظيم رمضان وأنيس منصور ، ورفض العديد من المثقفين لقاءهم .
** **فى 1998/3/30** تلقى متدربون إسرائيليون محاضرات تدريبية فى معهد النقل التابع لوزارة النقل .. جاء هذا فى التقرير السنوى لإنجازات المعهد القومى للنقل .
** **فى السياق ذاته نُشرت أخبار عن** عن مهاجمة سيد طنطاوى للداعين إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية ، وقال : إن هذه الشركات تعمل على

أرض مصر وتستوعب عدداً كبيراً من العمالة المصرية . مضيفاً أن هذه المقاطعة لن تفيد الفلسطينيين أو الاقتصاد المصرى ولن تلحق ضرراً بالاقتصاد الإسرائيلى أو الأمريكى .

** **وفى 1999/3/4** صرح سفير الكيان الصهيونى فى مصر واصفاً فيه نواب مجلس الشعب المطالبين بإلغاء كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل بأنهم وأحزابهم لا وزن ولا قيمة حقيقية لهم فى الشارع المصرى ، على الرغم من أن النواب ينتمون لأحزاب العمل والوفد والتجمع والناصرى وبعض المستقلين وهى قوى ذات قاعدة شعبية ليست بالقليلة فى الشارع المصرى المصرى .

** فى سياق متصل أعرب السفير الإسرائيلى الجديد تسفى مازئيل عن خيبة أمله بسبب البرود فى العلاقات بين مصر وإسرائيل وزعم أن مناهضة التطبيع عمل غير دستورى لمخالفته المادة 41 التى تنص على حرية التنقل .

* اختتمت يوم الأحد 1999/11/28 فى مدينة أسوان – جنوب مصر – أعمال "مؤتمر أخلاقيات المياه" الذى عقد على هامش اجتماعات مجموعة أخلاقيات المياه المنبثقة عن منظمة اليونسكو, وبحضور 12 دولة والعديد من الهيئات المائية المتخصصة بالتأكيد على ضرورة مراعاة الأبعاد الأخلاقية والإنسانية عند تصميم المشروعات المائية .

وأعاد وزير الرى المصرى محمود أبو زيد التأكيد على أن إسرائيل لن تحصل على قطرة واحدة من مياه النيل عن طريق ترعة السلام التى توصل المياه لسيناء, وقال : إن ما يتردد حول هذا الأمر مجرد شائعات , والترعة مصممة لتنقل مياه النيل إلى جزء من سيناء تبلغ مساحته 400 ألف فدان بالإضافة إلى 220 ألف فدان غرب قناة السويس .ونوه الوزير إلى أن دول حوض النيل تشترط عدم نقل المياه إلى خارجها .

وكان الوزير المصرى محمود أبو زيد قد أكد فى حوار مع "قدس برس" على عدم مد إسرائيل أو أى دولة خارج دول حوض النيل بمياه نهر النيل وأكد على

عدم حصول إسرائيل على قطرة واحدة من مياه النيل أو خروج مياه النيل إلى خارج دول الحوض " تحت أى ظرف" كما أكد أن مصر تعمل مع دول حوض النيل للتوصل إلى اتفاقية شاملة للاستفادة من مياه النيل هدفها تأكيد سيطرة هذه "الدول فقط " على مياه النيل وعدم استخدامها فى خارج دول الحوض تحت أى ظرف , ونفى الوزير وجود مشروعات إثيوبية قيد التنفيذ بدعم إسرائيلي لإقامة مشروعات على نهرى النيل الأزرق والسوباط وعلى طول الهضبة الإثيوبية لاستقطاع حوالى 22 مليار متر مكعب من المياه مما يؤثر سلباً على حصة مصر بحوالى 12 فى المائة قائلاً : إن أية دولة من دول حوض النيل ترغب فى إنشاء مشروعات لاستخدام مياه إضافية وأن هذه المشروعات الإثيوبية لا يمكن إنشاؤها دون علمنا ، وكل مشروعات التنمية فى كل دول الحوض تعرض على المجلس الوزارى لدول نهر النيل (الذى حدث بعد ذلك فى العام 2013–2014 هو نقيض ما قاله الوزير ، وسعت أثيوبيا وبدعم إسرائيلى لبناء سد النهضة الذى سيؤثر سلباً على حصة مصر فى مياه نهر النيل) .

* وفى عام 1999 حصلت الصحف المصرية على وثيقة هى فضيحة بكل المقاييس لوزير شئون البيئة المصرى د. ممدوح رياض تادرس .

الوثيقة صادرة عن وزارة خارجية إسرائيل وتحديداً عن مركز التعاون الدولى التابع لها ، والذى كشف عن تعاون " تادرس " الدائم مع الكيان منذ عمله كوكيل أول لوزارة الزراعة وحرصه على استمرار زيارات شباب الخريجين والمهندسين الزراعيين إلى الأراضى المحتلة للمشاركة فى دورات تدريبية ، وتنظيمه مؤتمرات لما يسميهم " بالخبراء " الزراعيين الصهاينة أبرزها مؤتمر ضخم بالقاهرة عام 1999 .

الوثيقة الفضيحة كشفت عن التزام علنى من تادرس أثناء زيارته لتل أبيب بتقديم جميع أنواع المساعدة للصهاينة للوصول إلى قلب القاهرة الإفريقية تنفيذاً

لما وصفه بالاستراتيجية المشتركة بين وزارتى الزراعة بالجانبين !! .. ولبناء تحالف قوى ، حرفياً .. التزم وزير البيئة بتسخير كل جهوده وسلطاته الحكومية لتمكين الخبراء الصهاينة من العمل فى دول موريتانيا وتشاد والنيجر والسنغال والكاميرون ونيجيريا وبالطبع مصر .

تادرس كان قد عبر فى جامعة بن جوريون أثناء احتفاله " معهم " بمرور 20 عاماً على كامب ديفيد ، عن سعادته بالنجاح المثمر بينه وبين العدو والذى تمثل فى استقدام الخبرة والبذور الصهيونية لزرع أشجار " التوت " فى صعيد مصر ، وتعهد بنقل التجربة إلى بلدان إفريقية أخرى .

الوثيقة احتفت من جانبها بـ " المتعاونين " معها فى وزارة الزراعة المصرية ، واصفة تعاون تادرس معها بأنه " فوق الوصف " ! معتبرة أن التعاون المصرى الإسرائيلى فى أفريقيا وتحديداً بدول غرب القارة هو الأكثر نجاحاً على مستوى العالم ، وكررت توجيه الشكر بشكل خاص لتادرس .

يذكر أن د. نادية مكرم عبيد عندما كانت وزيرة للبيئة رفضت استعانة المزارعين فى منطقة المريوطية بالاسكندرية وحوش عيسى بالبحيرة بالبذور والأسمدة الصهيونية لأنها – كما استندت لتقارير متخصصة– تمثل خطورة على الصحة والبيئة معاً على المستويين القريب والبعيد .

***

ثالثاً : حقبة الألفية (2000 – 2009) :

** **نشرت الصحف بدايات عام 2001** خبراً عن طلب السفير الإسرائيلى بالقاهرة تسيفى مازئيل إعفاءه من منصبه بالقاهرة وأن إسرائيل قررت تعيين جدعون بن عامى سفيراً جديداً لإسرائيل فى القاهرة .

جاء طلب السفير الإسرائيلى لإعفائه بعد شعوره المتزايد بالعزلة بالإضافة لزعمه أن حياته وأسرته مهددة بالخطر فى القاهرة .

** **فى 2000/7/3 نشرت صحيفة** " **الأسبوع** " تحقيقاً مهماً عن مجازر الصهاينة فى حق الأسرى المصريين فى 1967 بعد اكتشاف مقبرة جماعية لبعض هؤلاء الأسرى الذن قتلهم الصهاينة وهم عزل من السلاح وضمت المقبرة حوالى 60 شهيداً فى مدينة رأس سدر .

وقد روى بعض الأهالى بعض المجازر التى ارتكبها الصهاينة فى حق جنودنا،لأنهم عاينوها بأم أعينهم ومنها مقتل حوالى 20 جندياً بشكل عشوائى وهمجى ، وقد روى الحاج عارف نصر من أهالى رأس سدر كيف دفن هو وبعض الأهالى عشرات الجثث لجنود مصريين خلف المخبز البلدى بالمدينة.

وقد أكد أهالى رأس سدر وجود مقبرة جماعية أخرى بمنطقة أبوزنيمة التى تبعد عن رأس سدر 85كم ، ولكن للأسف لم يستجب أى من المسؤولين أو من الجيش لاستخراج هذه الجثث وتوثيق ما حدث من مجازر فى حق جنودنا فى 1967 .

والعجيب أنه مع الصمت الرسمى المصرى ظهر قادة العدو الصهيونى بكل بجاحة ، ليؤكدوا وقوع هذه المجازر ، فقد أكد بعض قادتهم مثل العقيد " دانى وولف " والمقدم احتياط "عاموس نثمان" ورواية الصحفى الإسرائيلى جارين براون الذى اشترك فى الحرب روايات كلها تؤكد قيام هؤلاء السفاحين بقتل مئات بل آلاف من الجنود المصريين بدم بارد ، واعترفوا بأنهم دهسوا المصريين بالدبابات كأنهم حشرات ، وأنهم قتلوا المصريين دون انتظار للأوامر

وإنما كانوا يتصرفون بجنون وأمر بعضهم الجنود المصريين بحفر قبورهم ثم دفنوهم أحياء والبعض ماتوا عطشاً بعد منع الماء عنهم .

وقد فتح الصهاينة سوقاً لبيع أعضاء الجنود المصريين البشرية لمن يحتاجها وأردف بعضهم قائلاً : إننا سعداء أن جماجم المصريين ماتزال بين صخور سيناء حتى تذكر المصريين أننا أقوياء .وقد اعترف العميد الإسرائيلى إرييه بيرو بالاشتراك فى قتل أكثر من 1270 جندياً مصرياً بينهم 200 مدنى .

وقد أكد بعض الأسرى المصريين الذين أفلتوا من هذه المذابح وقوعها مثل شهادة الجندى محمد حمزة علوان الذى شهد مذبحة جبل لبنى بسيناء يوم 1967/6/8 ، والتى قتل فيها 150 دهساً بالدبابات ، وشهادة الجندى أمين عبد الرحمن الذى شهد مذبحة الحسنة التى قتل فيها 300 جندى مصرى .

ويروى الجندى فهمى محمد العراقى فى شهادته على قتل آلاف الجنود المصريين جوعاً وعطشاً بعد استسلامهم للقوات الإسرائيلية ونقلهم لمعسكر عتليت . والبعض الآخر نقل لبئر سبع مع ممارسة شتى أنواع التعذيب الوحشى وقتل كل من يتجرأ ويطلب طعاماً أو ماءً .

** وفى السياق ذاته نشرت الصحف أن إرييه إسحاق رئيس قسم التاريخ بالجيش الإسرائيلى اعترف بتورط سرية شاكين الإسرائيلية فى قتل الأسرى المصريين فى 1967 بالقطاع الشمالى بين مدينتى العريش وبورسعيد .

يذكر أنه تم العثور على عدة مقابر جماعية للجنود المصريين فى سيناء قتلوا وذبحوا غدراً بيد القوات الإسرائيلية عام 1967 .

** وفى سياق متصل رفضت السفارة الإسرائيلية فى القاهرة التعليق على ما نشرته الصحف حول اكتشاف مقبرة جماعية للأسرى المصريين فى مدينة رأس سدر تضم رفات 52 جندياً مصرياً قتلوا أثناء حرب 1967 .

* وفى العام 2001 أيضاً كشفت مصادر دبلوماسية عن فشل وزير الخارجية الإسرائيلى شيمون بيريز فى إجراء لقاء بين رئيس الوزراء أرييل شارون وثلاثة

من الشخصيات المصرية غير الرسمية والتى لها صلات وثيقة بالحكومة المصرية ، وأشارت المصادر إلى أن بيريز طرح الأمر خلال زيارته للقاهرة وإجراء لقاء بين شارون وهذه الشخصيات بعد رفض الحكومة المصرية لأية ، لقاءات مع شارون ، إلا أن رئيس الوزراء الإسرائيلى قدم عدة شروط حالت دون عقد هذا اللقاء أبرزها :

– أن يكون اللقاء مفتوحاً ودون جدول أعمال محدد .

– أن يركز اللقاء على بحث العلاقات المصرية – الإسرائيلية فقط .

– أن يشارك فى اللقاء أحد المسئولين الرسميين فى مصر ، لأنه يريد الاعتماد على قناة مصرية مستمرة ورسمية فى الاتصال بمبارك ، وأن تتجاوز هذه القناة وزارة الخارجية المصرية ذات التوجه العدائى لإسرائيل .

– أن تقوم هذه الشخصيات بتوجيه خطاب رسمى إليه تبدى فيه رغبتها فى إتمام هذا اللقاء حتى لا يقال مستقبلاً : إن اللقاء تم بناء على رغبة شارون .

وقد حالت هذه الشروط دون إتمام اللقاء الذى سعى بيريز إلى عقده بهدف فتح الطريق بين القاهرة وشارون .

وفى شهر يناير 2002 كشفت مصادر أمريكية عن سعى وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " إلى إجراء تخفيض حاد للغاية على عدد القوات الأمريكية المشاركة فى القوات الدولية بسيناء ، فقد أبلغ دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى خلال الأيام الماضية مجلس الأمن القومى الأمريكى ووزارة الخارجية الأمريكية بخطة البنتاجون لتخفيض عدد الجنود الأمريكيين الموجودين فى سيناء من 856 جندياً إلى 26 جندياً فقط . تتكون القوات الدولية من 3 آلاف عسكرى ومراقب وتم إنشاء هذه القوات طبقاً لمعادة السلام بين مصر وإسرائيل فى 1978 ، كما تتضمن خطة البنتاجون وقف طلعات طائرات التجسس الأمريكية من طراز "يو–2" فوق سيناء ، كان رامسفيلد قد اقترح فى شهر مارس 2001 تخفيض عدد الجنود الأمريكيين فى سيناء

وقوبلت مقترحاته بالرفض . أشارت مصادر أمريكية رسمية إلى أن البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية يشعران بالقلق تجاه تنفيذ هذه المقترحات بسبب إمكانية أن تفسر العديد من حكومات الشرق الأوسط حلفاء الولايات المتحدة هذا الإجراء بأن أمريكا تتخلى عن المنطقة .

* وفى نفس العام (2002) أشارت وسائل الإعلام إلى أن هناك ما يزيد عن 50 شاباً من أصول مصرية ، آباؤهم من المهاجرين إلى أوروبا والولايات المتحدة تطوعوا فى الجيش الإسرائيلى منذ عام 2002 ، بعدما تشبعوا بالفكر العنصرى المناهض للعرب ، وذلك فى إطار الحملات التى تجرى لاستقطاب متطوعين يؤمنون بفكرة الصهيونية .

كما انضم شباب من جنسيات عربية أخرى ، من بينهم 44 جزائرياً و21 أردنياً و12 فلسطينياً و42 عراقياً و18 مغربياً و120 سودانياً و4 توانسة ، إضافة إلى عدد كبير من دول أفريقيا أبرزها إثيوبيا والكونغو وجنوب أفريقيا.

يأتى هذا فى إطار برنامج " سير – ال " الذى ينظم برامج تدريبية للشباب داخل الجيش الإسرائيلى ويقوم بتحمل نفقات هذا التدريب ، والذى ينضم إليه كثير من اليهود والمسيحيين المقتنعين بفكرة " أرض الميعاد " وأهمية الدولة اليهودية .

ويخدم غالبية المتطوعين العرب فى الأماكن غير القتالية ، كالعمل فى الشحن والتفريغ لصناديق الذخيرة أو كسائقين فى المصانع الحربية ، ونسبة قليلة منهم هى التى تنضم للوحدات القتالية .

ويمثل الأمريكيون 90% من المتطوعين على الرغم من أن القانون الأمريكى يمنع مواطنيه المشاركة فى حروب الجيوش الدول الأخرى إلا أنه استثنى الجيش الإسرائيلى .

* **فى حديثه للإذاعة الإسرائيلية** أدلى السفير الإسرائيلى " تسفى مازئيل " بتصريحات أكد فيها علاقة "البغض" بيننا وبين الصهاينة فضلاً عن وصفه

للسلام بين مصر وإسرائيل بأنه بارد وغير حقيقى ، وقال : إن مقاومة التطبيع مع إسرائيل عمل غير دستورى ، فهو يخالف المادة رقم 41 من الدستور المصرى والذى ينص على حرية التنقل .
وأضاف أنه يرصد يومياً حوالى 30 مقالاً ورسماً كاريكاتورياً معادياً لإسرائيل فى الصحف المصرية ، تتحدث عن مؤامرات إسرائيلية يقوم بها جهاز الموساد للقضاء على أشجار التمر فى الدول العربية وكذلك عن مسئولية إسرائيل عن إسقاط طائرة مصر للطيران البوينج فى 31 أكتوبر 1999 ، واعتبر تسفى مازيل أن السلام البارد مع مصر لن يشجع الدول الأخرى للدخول فى علاقات مع إسرائيل .
وقال : إن أرقامنا تشير إلى أن حجم الصادرات المصرية إلى إسرائيل بلغ 180 مليون دولار عام 1999 من ضمنها النفط الذى يشكل وحده مبلغ 150 مليون دولار ، وقد قدرت مصر حجم الصادرات الإسرائيلية إليها بنحو 19.5 مليون دولار عام 1998 فى حين أننا فى السفارة الإسرائيلية نؤكد أن إسرائيل تصدر لمصر بحوالى 54.4 مليون دولار سنوياً ، وزعم السفير الصهيونى أن مصر تستقبل سنوياً حوالى 300 ألف سائح إسرائيلى ، يتوجه أغلبيتهم إلى سيناء .. مشيراً إلى أن إسرائيل تطمع فى وصول هذا العدد إلى نصف مليون سائح ! .
وأكد السفير الصهيونى أن مشروعاً للنسيج سيقام فى دلتا مصر برأس مال " مصرى – إسرائيلى " مشترك يصدر ما قيمته 50 مليون دولار سنوياً ، كما أن مصفاة النفط "ميدور" التى افتتحت مؤخراً غرب الإسكندرية تساهم فيها إسرائيل بـ 18% (!) وقال مختتماً كلامه: رغم أن السلام بين مصر وإسرائيل بارد وقوامه التناقضات ولكنه فى النهاية يبقى سلاماً رغم كل شيء.
* وفى مايو عام 2001 احتشد أكثر من 3 آلاف مواطن بنقابة المحامين بالإسكندرية لحضور المؤتمر الذى عقد تحت عنوان " انتفاضة حتى الموت " والذى حضره نخبة من رموز العمل السياسى والنقابى والدينى ، منهم الشيخ

أحمد المحلاوى وأحمد سيف الإسلام حسن البنا أمين عام نقابة المحامين والدكتور إبراهيم الزعفرانى أمين عام نقابة الأطباء والكاتب الفلسطينى حمد حجاوى .

قام الحضور بحرق العلم الإسرائيلى وطالبوا بطرد السفير الصهيونى من القاهرة وإغلاق القنصلية الإسرائيلية بالإسكندرية وتوفير الدعم المادى والمعنوى لأبطال الانتفاضة والتحرك الفورى لتنفيذ السوق العربية المشتركة كبداية على طريق الوحدة العربية ، وسرعة تشكيل لجنة دولية للتحقيق فى الجرائم الصهيونية فى فلسطين .

** فى 2001/5/7 رفضت الحكومة المصرية طلباً أمريكياً إسرائيلياً لفرض قيود على الصحافة المصرية وحثها على عدم نشر أى أخبار تسئ للعلاقات المصرية الإسرائيلية بل وطالبا بإغلاق الصحف التى تهاجم إسرائيل ؛ لأنها تخالف حسب زعمها اتفاقية كامب ديفيد .

** **فى 2002/8/14** رفض مصدر مصري مسؤول أن ترد مصر على مزاعم شارون من تدخل مصر فى شؤون إسرائيل الداخلية بعد الزيارات المتكررة لوزراء من حزب العمل للقاهرة وذلك بعد تفجر خلافات بين وزراء حكومة شارون .

** وفى سياق متصل قررت حكومة شارون عدم تعيين قنصل جديد بالإسكندرية تمهيداً لغلق القنصلية لأسباب اقتصادية حسب زعمه ، إلا أن أبوالعز الحريرى عضو مجلس الشعب أرجع السبب الحقيقى لرفض الجماهير السكندرية ، لوجود قنصلية إسرائيلية بالمدينة .

** وفى سياق متصل نشرت الحياة اللندنية بتاريخ 2002/11/2 أن تظاهرات حاشدة خرجت فى الجامع الأزهر تطالب بطرد السفير الإسرائيلى ودعت الحكومات العربية والحكام العرب لمقاطعة إسرائيل ، ودعا المتظاهرون لتنظيم سلسلة من التظاهرات الحاشدة دعماً للعراق وفلسطين .

** هذا وقد نشرت الصحف أن قياديين فى حزب الأحرار المصرى وجهوا دعوة لتنظيم مؤتمر بالقاهرة يشارك فيه إسرائيليون وأمريكيون مع أطراف عربية ، لتفعيل الأفكار التى طرحها جورج بوش بشأن القضية الفلسطينية .وقد وجه هذه الدعوة طلعت السادات (توفاه الله لاحقاً) الذى يتنازع مع آخرين على رئاسة الحزب فى قضايا منظورة أمام القضاء .

يذكر أن طلعت السادات يتهمه خصومه السياسيون بأن له صلات وعلاقات مع أطراف إسرائيلية عدة .

** **وفى يونيو 2002** ودع أهالى قرية شنفاص بأجا دقهلية والقرى المجاورة ابن قريتهم سليمان مصطفى الغندور الذى استشهد وهو فى طريقه للالتحاق بكتائب المجاهدين فى الأراضى العربية المحتلة ، وقد ردد الأهالى الهتافات المناوئة لليهود وطالبوا باستمرار الكفاح ضد العدو الصهيونى .

** وفى سياق متصل طالبت لجنة الحريات بنقابة المحامين إسرائيل بتعويض 500 مليون جنيه تعويضاً للجنود المصريين الثلاثة الذين قتلتهم القوات الإسرائيلية فى رفح وطالبت الدعوى بتسليم إسرائيل الجنود الإسرائيليين المتسببين فى الحادث .

** **فى 2001/6/27** تم ترشيح محمد بسيونى لرئاسة إحدى لجان مجلس الشورى تحت دعوى أنه خدم مصر عبر 40 سنة عبر القوات المسلحة ، ثم فى العمل الدبلوماسى كأول سفير لمصر فى إسرائيل ثم عاد بقرار من القيادة السياسية؛ ليترك العمل فى وزارة الخارجية ويتم تعيينه فى مجلس الشورى .

** فى العام نفسه منع الأمن المصرى قافلة طبية كانت متجهة إلى الشعب الفلسطينى ، وكانت مكونة من 65 طناً من الأغذية والأدوية الطبية بنصف مليون جنيه تقريباً لدعم الانتفاضة الفلسطينية بمشاركة مؤسسات وأحزاب وتنظيمات شعبية بالإضافة لعدد من النشطاء السياسيين فى مجال مناهضة

التطبيع مع الكيان الصهيونى ومنهم د. رفعت سيد أحمد وأمين اسكندر وأحمد بهاء الدين والممثلة محسنة توفيق والنائب أحمد طه .

** أيضاً وفى نفس العام نشرت الصحف أن أعضاء البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية بالقاهرة انتابتهم حالة من الذعر الشديد بعد اغتيال الدبلوماسى الأمريكى بالأردن، وطلب السفير الإسرائيلى من المسؤولين المصريين زيادة الاستحكامات الأمنية حول السفارة الإسرائيلية مع زيادة التأمين الأمنى لأفراد البعثة الدبلوماسية بالإضافة إلى مقر المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالدقى .

* وفى أبريل 2002 تصاعدت بشدة حدة التوتر فى العلاقات المصرية– الإسرائيلية ؛ حيث رصدت القاهرة حركات مريبة للقوات الإسرائيلية قرب الحدود المصرية ، كما قامت إسرائيل بتركيب أسلاك شائكة جديدة على امتداد الحدود المشتركة مع مصر خاصة فى منطقة رفح, وشددت القوات الإسرائيلية من إجراءاتها على الحدود . وزعمت مصادر بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة استغلال الحدود المصرية فى تهريب الأسلحة للفدائيين الفلسطينيين، كما حاول السفير الإسرائيلى بالقاهرة جدعون بن عامى استغلال حادث مقتل الإسرائيلى فرانكومير فى نويبع أثر مشادة مع تاجر من بدو سيناء ، تبين أن الإسرائيلى القتيل تاجر بانجو وتم العثور معه على كميات كبيرة من مخدر البانجو , سعى السفير الإسرائيلى بالقاهرة إلى "تسييس" الحادث ، واتخاذه دليلاً على تنامى روح الكراهية بين المصريين ضد الإسرائيليين وحاولت السفارة الإسرائيلية تغيير أرقام تليفوناتها بعد تسريبها لطلاب الجامعات والمدارس المصرية ، وبعد أن تلقى موظفو السفارة العديد من مكالمات التهديد والسباب من المصريين ، بسبب تأييدهم للانتفاضة الفلسطينية ، وذكرت مصادر دبلوماسية أن واشنطن نقلت للقاهرة رغبة شيمون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلى لعقد اجتماع مع نظيره المصرى أحمد ماهر لبحث مقترحات آرييل شارون رئيس الوزراء

الإسرائيلى بعقد مؤتمر إقليمى جديد للسلام بحضور مصر والأردن والسعودية والمغرب وإسرائيل والفلسطينيين .

وفى نفس الفترة أجهزة الأمن ألقت القبض على أعضاء تنظيم يدعم الفلسطينيين ويرفض التطبيع،وينتمى بعضهم لمستويات اجتماعية راقية تسكن فى أرقى أحياء القاهرة،بالإضافة لعدد آخر من مناطق ومحافظات مختلفة .

قائد التنظيم المقبوض عليه هو نشأت أحمد إبراهيم وشهرته " نشأت المصرى " وهو من مواليد محافظة أسيوط وحاصل على بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس ثم التحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

ويواجه المتهمون فى التنظيم اتهامات بجمع أموال بدون تصريح لصالح جهات أجنبية (الفلسطينيين!) ومحاولة تقديم أسلحة للمقاومة فى الأراضى المحتلة والانضمام إلى جماعة محظورة ومحاولة إحياء نشاطها وحيازة مواد كيماوية .

ومن بين المقبوض عليهم شخص فلسطينى يحمل الجنسية اليمنية يدعى " محمد رباح " وقد ضبطت معه كمية من المواد الكيماوية ، ومهندس زراعى يحمل الجنسية الأمريكية ويمتلك مزرعة بطريق مصر – الإسكندرية الصحراوى ، وقد عثرت قوات الأمن فيها على عدد من الذخائر والطلقات ، كما يضم التنظيم أربعة طلاب من جمهورية داغستان التابعة للاتحاد الروسى، وهؤلاء الطلاب الداغستانيون الأربعة يدرسون بجامعة الأزهر ، وأسماؤهم هى : حبيب غازى ومحدوف أحمد عبد الله ومحدوف نظيم وعمر حاجيف ، وتقول أجهزة الأمن : إن الأخير لديه خبرة فى صناعة المفرقعات وأنها ضبطت لديه أحماضاً تدخل فى صنع المتفجرات .

وحسب التقارير الأمنية فإن قائد التنظيم استطاع جمع مبلغ 300 ألف جنيه تقريباً بهدف تقديمها للمقاومة الفلسطينية وتؤكد التقارير أنه سبق له تقديم مبالغ مالية للمقاتلين الشيشان من خلال شبكات تم تحويلها بواسطة أحد المتهمين .

ومن بين المعتقلين على ذمة التنظيم 4 من الاسكندرية أحدهم يعمل صياداً و4 من مدينة رفح مهمتهم معاينة الحدود واستطلاع الأمر .. إضافة إلى الشيخ عمر عبد العزيز " معاق " وهو أحد دعاة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية ، وعمر طارق عاشور والذى سبق اتهامه فى القضية 59 سنة 97 جنايات عسكرية .

* وفى أغسطس 2002 صرح مصدر مصرى مسئول للأهالى بأن الحكومة المصرية رفضت فكرة إصدار بيان للرد على المزاعم والادعاءات الإسرائيلية لحكومة آريل شارون بأن مصر تحاول التدخل فى الشئون الداخلية لإسرائيل بعد الزيارات المتكررة للوزراء الإسرائيليين أعضاء حزب العمل للقاهرة .

قال المصدر : إن الرفض يرجع إلى أن تلك المزاعم خير دليل على المعارضة التى يواجهها رئيس الوزراء الإسرائيلى داخل الحكومة الإسرائيلية نفسها ، علاوة على تفجر الخلافات والانقسامات داخل مجلس الوزراء الإسرائيلى .

وقالت مصادر مطلعة : إن الأمر وصل إلى حد اتهام رئيس الوزراء الإسرائيلى لأعضاء حكومته من حزب العمل بأنهم يحجون إلى القاهرة ! وقال مصدر مطلع : إن الحكومة رفضت الرد على مزاعم شارون ؛ لأن القضية لا تستحق أن تحظى بأى اهتمام على الإطلاق ، لأن كل العالم يعرف أننا نسعى للسلام ، لذلك رفضت الحكومة المصرية فكرة إصدار أى بيان بشأن تلك التصريحات .

وفى عام 2002 حذر اللواء أحمد فهمى وكيل شعبة الأمن والنظافة بغرفة القاهرة من أنه لا يوجد نص قانونى يمنع أى شركة أجنبية من ممارسة أعمال الأمن والحراسة فى السوق المصرى .

وقال : إن إسرائيل عندما سعت للتوغل فى أفريقيا بدأت بفتح أكبر مدرسة للأمن فى كينيا لتخريج ضباط أمن ثم افتتحت فروعاً لها فى تنزانيا وجنوب أفريقيا وبدأ الطلب يتزايد من قبل الشركات العاملة فى أفريقيا على خريجى هذه

المدرسة التى استطاعت السيطرة على المنشآت الحيوية فى البلاد ولزيادة درجة الولاء من جانب الخريجين لهذه المدرسة الصهيونية فإنه يجرى عقد لقاءات ودورات تدريبية سنوية لهم ومنحهم أنواطاً ونياشين .

أعضاء شعبة شركات الحراسة أيضاً حذروا من أن إسرائيل يمكنها اختراق السوق المصرى من خلال هذه المدرسة الأفريقية خاصة أن هناك بعض الشركات المصرية تلقت عروضاً من الشركات الأجنبية لتصبح وكيلاً لها أو بالشراء والخوف هو أن يصبح هناك شركات أمن صهيونية متواجدة بقوة بالسوق المصرى .هناك تحذيرات أيضاً من أن هذه الشركات الأجنبية تقوم بتحويل أرباحها للخارج وهو ما يضر أيضاً بالمصالح الاقتصادية .

مطالب أعضاء شعبة شركات الحراسة المصرية تركزت فى ضرورة قصر نشاط أعمال الحراسة والأمن على الشركات الوطنية فقط وبسرعة إصدار قانون شركات الأمن والحراسة الخاصة حتى ينظم هذا القطاع .

** فى 2002/11/28 نشرت جريدة " الحياة " و" الوفد " خبرين عن اعتزام إسرائيل إنشاء مفاعل نووى جديد بصحراء النقب قرب الحدود المصرية للأغراض المدنية على أن يبدأ تشغيله عام 2020 وتعتزم إسرائيل شراء معدات المفاعل من فرنسا أو روسيا رغم أنه محظور على الدولتين بيع أى مواد ذرية لإسرائيل لأنها غير موقعة على اتفاقية حظر الانتشار النووى .

* كشفت احصاءات لوزارة السياحة المصرية أن حوالى 73 ألف سائح إسرائيلى زاروا مصر خلال الشهور السبعة الأولى من عام 2002 ، وأن عدد الإسرائيليين الذين زاروها خلال يوليو 2002 بلغ 25 ألفاً و296 سائحاً، بزيادة 23.4 فى المئة عن الشهر ذاته من العام الماضى .

وأرجعت زيادة أعداد الوافدين من إسرائيل للسياحة فى مصر إلى حال الرعب التى تنتاب الإسرائيليين فى ظل الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وزيادة معدلات العمليات الفدائية داخل أراضى 1948 .

ووفقاً للاحصاءات المصرية تفضل غالبية السياح الإسرائيليين مناطق شرم الشيخ ونويبع وطابا فى شبه جزيرة سيناء لقربها من الحدود ، وتوافر السياج المحكم الذى يمنع تسلل الفدائيين الفلسطينيين .

وظلت سيناء دائماً فى منأى عن أعمال العنف ، لكن متعاملين فى القطاع السياحى لا يعتبرون الإسرائيلى من سياح الدرجة الأولى ، وغالباً لا يرتاد الفنادق الفخمة ذات النجوم الخمسة بل يفضل دائماً الفنادق الرخيصة .

وكانت حملات نظمتها قوى سياسية معارضة ولجان أهلية ، تأسست للعمل من أجل وقف التطبيع مع الدولة العبرية ، حاولت الضغط على الحكومة المصرية لطرد السفير الإسرائيلى وإغلاق مقر سفارته فى القاهرة ، ووضع قيود على دخول الإسرائيليين مصر لكن تلك الجهود فشلت فيما شهدت أعداد المصريين الذين اعتادوا السفر إلى إسرائيل ، بدافع البحث عن فرصة عمل أو للسياحة أو التجارة والاستثمار ، انخفاضاً كبيراً منذ بداية انتفاضة الأقصى فى سبتمبر 2000 ، وفرح المصريون حين قرأوا أخباراً عن رحيل 45 فرداً من أسر الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة وعودتهم إلى إسرائيل ، واعتقدوا أن تلك الخطوة نتيجة لازدياد الكراهية لكل ما هو إسرائيلى وبفعل الضغوط الشعبية ، لكن هؤلاء عادوا لاحقاً إلى القاهرة بعد العطلة السنوية ، وأوضحوا أنهم لم يفكروا فى عودة أبدية إلى إسرائيل .

* وفى نوفمبر 2002 أفادت الشرطة المصرية أن أكثر من ألفى شخص تظاهروا بعد صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر مطالبين بطرد السفير الإسرائيلى من مصر ، وأفادت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية أن المصلين الذين تظاهروا فى حرم الجامع دعوا أيضاً العراق إلى " مقاومة الضغوط الأمريكية والتهديدات بضربة عسكرية " .وقالت الوكالة : إن المتظاهرين طالبوا بطرد السفير الإسرائيلى من القاهرة ودعوا الحكومات العربية إلى مقاطعة إسرائيل

.وأضافت أن تظاهرة نسائية جرت فى الوقت نفسه فى الأزهر منددة بالولايات المتحدة ودعماً للعراق .

ويتم تنظيم تظاهرات دعم للفلسطينيين والعراق بانتظام أيام الجمعة بعد الصلاة فى الجامع الأزهر ويحظر قانون الطوارىء السارى المفعول منذ العام 1981 التظاهرات أو التجمعات على الطرق العامة ، لكنها مسموحة فى الجامعات وداخل المساجد ، ومصر التى وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1979 استدعت سفيرها من إسرائيل فى نوفمبر عام 2000 ؛ تنديداً بالاستخدام المفرد للقوة من الجيش الإسرائيلى فى الأراضى الفلسطينية .

***

وفى العام 2005 وفى فى ظل رفض إسرائيلى لانتشار جنود مصريين فى محور صلاح الدين ، تمكنت القاهرة من توقيع اتفاق مع الجانب الإسرائيلى يقضى بنشر حوالى 800 جندى من حرس الحدود المصرى بالمحور الحدودى لتصبح الحدود المصرية الفلسطينية تحت الإشراف المصرى المباشر ، بعدما كانت إسرائيل تسيطر على المحور فى إطار احتلالها للأراضى الفلسطينية .

المفاوضات مرت بصعوبات بالغة ، خاصة وأن الخبراء والمفاوضين المصريين كانوا يواجهون مشكلة حقيقية فى إقناع الإسرائيليين بمطالبهم الضرورية للاضطلاع بمهمة تأمين الحدود ، وإقناع القيادة السياسية المصرية بالوقوف إلى جانبهم فى هذه المطالب .

وعلى الرغم من أن الصحف الحكومية المصرية تجاهلت ما دار فى هذه المفاوضات ، إلا أن الصحافة العبرية والغربية أوردت تفاصيل كثيرة ومهمة للغاية فى هذا السياق ، فمثلاً كشف موقع " تيك ديبكا " العبرى القريب من دوائر الاستخبارات الإسرائيلية أن الخبراء الأمنيين المصريين قدموا اشتراطات محددة للموافقة على لعب دور فى خطة الانسحاب من غزة وهى اشتراطات

منطقية ؛ لتتمكن مصر من تسلم المسئولية فى هذه المنطقة وجاءت على النحو التالى:

1 – أن تضطلع مصر بمسئولية حراسة الحدود دون أى وجود عسكرى إسرائيلى فى محور صلاح الدين وعلى طول الحدود المصرية الفلسطينية حوالى 15 كم من مستوطنة كيرم شالوم حتى مدينة رفح .

2 – نقل معبر رفح إلى المنطقة الواقعة بين مستوطنتى " أفشالوم " و" كيرم شالوم " (أى كرم أبوسالم) أى داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة عام 48 ، وهى مقدمة لنقل معبر إيريز ، ومعبر المنطار إلى داخل الحدود الإسرائيلية وإن لم توافق إسرائيل على النقل ، فعليها ، طبقاً لطلبات المؤسسة الأمنية المصرية ، نقلهما للسيادة الفلسطينية .

3 – ألا يتواجد فى المعابر الحدودية أى ضباط إسرائيليين أو موظفين من مصلحة الهجرة ويسمح لإسرائيل فقط بوضع موظفى جمارك ، يقدرون قيمة الضرائب المفروضة على البضائع التى ستصدر من مصر وأراضى السلطة الفلسطينية لإسرائيل .

4 – نشر 800 جندى يرتدون زى حرس الحدود ، على أن يزود هؤلاء الجنود بسيارات مدرعة شرطية ، وأسلحة مضادة للدبابات ، وأربع مروحيات لمكافحة عمليات التهريب ، وإقامة قاعدة بحرية قرب العريش مزودة بسفن حربية لمكافحة أى عملية تهريب عبر البحر.

5 – أن يكون انتشار الجنود المصريين فى محور صلاح الدين مقدمة لانتشار مماثل للجنود المصريين على طول الحدود بين مصر وإسرائيل حتى منطقة طابا أى بمسافة 240 كم ، وعدد جنود لا يقل عن 3500 جندى .

الإسرائيليون لم يوافقوا على معظم هذه الطلبات ، وبدأوا ضغطاً شديداً على القيادة السياسية المصرية لتليين مواقفها ، حتى إن شارون بعث برسالة للرئيس مبارك عبر شمعون بيريز أثناء لقائه الأخير مع الرئيس فى شرم الشيخ ،

يطلب منه إبداء مرونة فى مطالبه بزعم أنه يواجه معارضة داخلية شديدة ، بدأت بمظاهرات المستوطنين ضد خطة الانسحاب نفسها ، ثم انضم للحملة 80 عضو كنيست من اليمين المتطرف بزعامة " يوفال شتاينتس " رئيس لجنة الخارجية والأمن بحجة أن اتفاقية السلام تقضى بأن تبقى سيناء منزوعة السلاح ، وأن إدخال 800 جندى يخل بهذا الشرط ، ويعتبر تعديلاً فى اتفاقية السلام مع مصر مما يتطلب موافقة الكنيست وانضم للحملة خبراء أمنيون إسرائيليون وسياسيون بحزب العمل مثل وزير الخارجية الأسبق شلومو بن عامى ، وكتَّاب رأى ، وخمسة رؤساء أركان سابقين نشروا إعلاناً مدفوع الأجر على صفحة كاملة بجريدة هاآرتس ضد أى وجود مصرى فى سيناء التى يصرون على أن تبقى منزوعة السلاح ، وتحت هذه الضغوط التى ظهر فيما بعد عدم جديتها ، وأنه جزء من لعبة توزيع أدوار ، حاول شارون أن يستفيد منها فى تخفيض سقف المطالب المصرية ، وأرسل شارون برسالة فى آخر لحظة للرئيس مبارك يقول فيها : " الرئيس مبارك ، أنا لا أستطيع الموافقة على طلباتكم التى وضعها أمامى الوزير عمر سليمان".

وبالفعل استجابت القاهرة بخصوص الوجود الأمنى فى العريش ، وأعلنت صحيفة هاآرتس أن مصر كانت قد طالبت بإقامة مرفأ بحرى أمام العريش لتشغيل سفن حرس الحدود لمنع التهريب عبر البحر ، وعارض رئيس طاقم المفاوضات الإسرائيلى اللواء عاموس جلعاد المطلب المصرى بدعوى أن بناء ميناء عسكرى فى سيناء يتطلب تغييراً فى الملحق العسكرى بمعاهدة السلام ، الذى يحظر نشر جنود مصريين فى منطقة العريش وكان الحل الوسط هو بناء رصيف بحرى متنقل أى قابل للتفكيك ، وبالتالى لن يطلق عليه فى الوثائق قاعدة بحرية ثابتة ، وتم النص على ذلك فى مسودة الاتفاق الذى وقع بين الدولتين مؤخراً .

المعارضة الإسرائيلية الداخلية لنشر جنود مصريين فى سيناء اتضح فيما بعد أنها مجرد توزيع أدوار ، فقد تشكلت جبهة فى الكنيست من ثمانين عضواً ضد الخطة ، واستغلها شارون حتى النهاية فى مفاوضاته مع القاهرة ، ثم تبين أن القانون الإسرائيلى لا يلزم الحكومة بعرض أى تعديلات فى الاتفاقات الدولية على الكنيست وأن مسألة عرض التعديلات فى مسألة بروتوكولية يمكن التغاضى عنها ، وذلك طبقاً للفتوى القانونية التى أصدرها المستشار القانونى لحكومة شارون والمستشارة القانونية للجنة الخارجية والأمن بالكنيست ، واللذين أوضحا أن اتفاقيات كثيرة لنقل السلطات والصلاحيات من الحكومة الإسرائيلية للسلطة الفلسطينية لم تعرض على الكنيست مثل اتفاقية الوجود الدولى المؤقت فى مدينة الخليل عام 1996 ، وبرتوكول الممر الآمن بين الضفة والقطاع عام 99 وغيرها من الاتفاقيات .

* وفى العام 2005 جاء شمعون بيريز إلى القاهرة حاملاً رسالة من رئيس الحكومة الإسرائيلية آرئيل شارون ، يدعو فيها مصر إلى التخفيف من شروطها التى أعلنها الوزير عمر سليمان ، والتى كان أبرز ما فيها مطالبة مصر بإلغاء الملحق العسكرى بمعاهدة السلام وإنشاء قاعدة بحرية مصرية فى العريش ، والانسحاب الإسرائيلى تماماً من محور فيلادلفيا الحدودى بين مع مصر ، كشروط لقيام مصر بدور أمنى فى ترتيبات ما بعد الانسحاب الإسرائيلى من غزة .

ادعى بيريز أن تغيير أية ملاحق باتفاقية كامب ديفيد يتطلب عرض الأمر على الكنيست وتمريره بالموافقة عبر ثلاثة تصويتات ، وهى أمور – على حد تعبير بيريز – لا يقوى عليها شارون فى الوقت الحالى ، بل إنها كفيلة بتأجيل الانسحاب الإسرائيلى من غزة ، وإسقاط حكومة شارون تماماً ! وبدلاً من ذلك نقل بيريز عن رئيس الحكومة الإسرائيلية إلى مصر عرضاً يتضمن تغيير كامب ديفيد على الأرض بسياسة الأمر الواقع ، بعيداً عن تسجيل أى تغييرات

فـى الوثـائق أو الملفـات الرسـمية ، بهـدف الابتعـاد عـن مشـوار " المـرور عبـر الكنيست " فتقوم مصر بنشر عدد من قواتها عند محور فيلادلفيا الحدودى ، وبعد ذلك يقال : إنها غير كافية ، فيتم السماح بإدخال المجنزرات والأسلحة المصرية الثقيلة ويبدو أن هذا هو ما جرى ولايزال مستمراً حتى اليوم 2014 وإن بوسائل أخرى.

* وفـى شـهر يونيـو 2006 نشرت الصـحف إشـارات عـن بـدء التفـاوض لتزويـد إسرائيل بالغاز وأكدت نفس الصحف أن هدف هذه الصفقة هو التمهيد لوراثة جمـال مبـارك لحكـم مصـر ، وهـو مـا قضـت عليـه – تمامـاً – ثـورة 25 ينـاير . 2011

** **فــى 2006/4/25 نشــرت صــحيفة " الكرامــة "** عـدة تقـارير تـرتبط كلهـا بالصراع العربى الإسرائيلى منها :

– تقرير عن تورا بورا المصرية أو جبل الحلال فى سيناء والمزاعم التى تروج أن المسلحين الذى ضربوا طابا وشرم الشيخ انطلقوا من جبل الحلال وقد أشار التقرير إلى أن المعاملة السيئة التى يتعامل بها الأمن مع بدو سيناء هو ما دفع قبيلـة العزازمـة للجـوء بكامـل أبنائهـا وأغنامهـا وخيولهـا إلـى إسـرائيل، قبـل أن تعيـدهم إسـرائيل ، فضـلاً علـى أن سـكان شـمال سـيناء لـم يسـتفيدوا مثـل بـدو الجنوب نظراً لوجود المشاريع السياحية الكبرى فى جنوب سيناء .

– التقرير الثانى ، يتناول إقامة حسنى مبارك أكثر من نصف العام فى شرم الشيخ رغم أنها منطقة منزوعة السلاح وعلى بعد مرمى حجر من الإسرائيليين إلا إذا كان حسنى مبارك يشعر بالأمان أكثر وهو بالقرب من إسرائيل .

وتناول التقريران الثالث والرابع الوجود السياحى الإسرائيلى فى سيناء ودخولهم بالبطاقـة الشخصـية بكـل بسـاطة ودون أى إزعـاج ، أمـا الأسـر المصـرية إذا ساقها حظها التعس للذهاب لسيناء فإنها تقابل 17 حاجزاً للتفتيش قبل الوصول لجهتها النهائية .

أما التقرير الرابع فهو وجود خبراء وعسكريين إسرائيليين فى أماكن حساسة فى سيناء ، وحرية الحركة التى يتمتع بها العسكريون الإسرائيليون فى سيناء تحت زعم البحث عن رفات جنودهم الصهاينة الذين قتلوا فى الحروب السابقة بين العرب والإسرائيليين .

وفى أكتوبر 2009 فتح الحكم الصادر من محكمة استئناف القاهرة برئاسة المستشار أحمد برديسى والذى ألزم إسرائيل بدفع 10 ملايين دولار تعويض لأسرة الشهيد عامر أبو بكر مجند الأمن المركزى الذى اغتالته قذيفة خرجت من فوهة دبابة فى عام 2004 ، ملف دعاوى المصريين القضائية ضد إسرائيل والتى تشهد أروقة المحاكم المصرية عدداً كبيراً منها ، كان آخرها الدعوى المرفوعة من ليلى زناتى والدة الجاسوس المصرى محمد صابر الذى يقضى عقوبة المؤبد لاتهامه فى الدعوى رقم (4227 لسنة 2007) بالتخابر مع إسرائيل وتقدمت بها لمحكمة جنوب القاهرة ضد رئيس الحكومة الإسرائيلية بصفته واتهمت إسرائيل بالإيقاع بابنها فى شباك الجاسوسية مما ترتب عليه إصابتها بأضرار بالغة ؛ حيث طالبت بتعويض مادى قدره مليون جنيه .

قضية العميد (فاروق الجمل) الذى شارك فى حرب 56 ، 67 وأصيب ببتر فى أصابع يده اليمنى وعجز بنسبة 70% من أقدم دعاوى المصريين ضد إسرائيل ويقول خالد فؤاد حافظ المحامى ووكيل العميد فاروق : قمنا برفع الدعوى عام 2000 أمام محكمة القاهرة الابتدائية وكانت أول دعوى ترفع وفقاً لمواد القانون المدنى المصرى وليست دعاوى شهرة أمام المحاكم الدولية وطالبنا بتعويض لكل الأسرى المصريين واختصمنا رئيس الوزراء الإسرائيلى وقتها " آرئيل شارون " حيث قررت المحكمة عدم الإعلان استناداً إلى المادة (8) من قانون المرافعات ولم نتراجع عن السير فى القضية وواصلنا المشوار أمام محكمة جنوب القاهرة إلا أن القضية ظلت داخل المحاكم حتى وفاة موكلى الذى مات حزناً وكمداً عام 2006 .

وفـى عـام 2001 أقـام إسـماعيل خطـابى – مـواطن مـن سـيناء – عـدة دعـاوى قضـائية لإزالـة النصـب الموجـود بالشـيخ زويـد وهـو عبـارة عـن عمـود مـن الرخـام وضـع فـوق سيارة محترقة خاصـة بأحد لـواءات الكيـان الصـهيونى الـذى انفجر فيه لغم عـام 1976 وعملت إسرائيل على تخليد ذكراه بإقامة هذا النصب التذكارى . وأكد خطابى فى دعواه أنه يمتلك الوثائق التى تثبت ملكيته لهذه الأرض وأنـه لا يحق لأيـة جهـة أيـاً كانت التعدى علـى أمـلاك الغيـر ، إلا أن محكمـة العريش الابتدائية رفضت الدعوى لعدم الاختصاص .

الغريـب أن أهـالى الشـيخ زويـد يسـتنكرون وجـود هـذا النصـب الـذى اهتمـت المحافظة بترميمه وطلائه منذ سنوات دون مراعاة لشعور المصريين .

كمـا رفـع أشقاء الأسير المصرى الشـهيد سيد أبـو ريـة دعوى ضد رئيس وزراء إسـرائيل الأسـبق إيهـود أولمـرت ووزيـر الـدفاع إيهـود بـراك والسـفير الإسـرائيلى بالقـاهرة وقتهـا شـالوم كـوهين بصـفتهم ، وطـالبوا بتعـويض 15 مليـون جنيـه تعويضـاً لهـم عمـا لحـق بشـقيقهم مـن تعـذيب أدى إلـى قتلـه . واسـتندوا إلـى اعترافات أدلى بها ضباط سابقون فى الجيش الإسرائيلى فى فيلم وثائقى شـهير بعنوان " روح شاكير " عرضه التليفزيون الإسرائيلى .

وإلـى جانـب هذه القضـايا التـى رفعهـا مواطنـون مصـريون هنـاك دعـاوى أخـذت طـابعـاً سياسـياً تمثلـت فـى العديـد مـن الـدعاوى التـى رفعهـا أهـالى سـيناء لإزالـة ثلاثـة نصـب تذكاريـة أقامتهـا إسـرائيل تخليـداً لـذكرى جنودهـا الـذين قتلـوا فـى معاركهم مع مصر على أرض مصر .

وكانـت أشـهر المعـارك القانونيـة التـى شـهدتها سـاحة القضـاء المصـرى دعـوى وقف تصدير الغاز المصرى لإسرائيل .

من جهته رأى خالد فؤاد المحامى أن هناك اتفاقيات قضائية دولية بين مصـر وبعض الـدول الأوروبيـة تمكن كلتـا الـدولتين الموقعتين علـى الاتفاقيـة مـن تنفيـذ الأحكـام الصـادرة فـى الدولـة الأخـرى علـى أراضـيها وبالتـالى يمكننـا أن نطالـب

هذه الدول بتوقيع الحجز على أموال إسرائيل لديها كما يمكننا أن نقوم بالحجز على أموال الحكومة الإسرائيلية فى مصر لسداد التعويضات ومن المعلوم أن شركة " العال " الإسرائيلية شركة حكومية يمكن أن نحجز على أموالها وأضاف أن وزارة العدل هى الجهة المنوطة بذلك فالقانون يسمح لها بالحجز على أى أموال بخلاف مقر البعثات الدبلوماسية .

وامتداداً لحقبة الألفية الثانية (أى السنوات التالية لعام 2000) شهدت العلاقات المصرية الإسرائيلية العديد من التقلبات والمنعطفات علي مدار تاريخها ، ولم تكن هذه العلاقات تمضي عي وتيرة واحدة طوال الوقت ، فغالبا ما وصف السلام بين مصر وإسرائيل منذ معاهدة كامب ديفيد وحتي اليوم بالسلام البارد ، ولعل ما نشرته جريدة النهار اللبنانية في عددها 153 الصادر بتاريخ 24 /2010/3 تحت عنوان "أسبوع من التوتر بين القاهرة وتل أبيب" يعبر عن فحوى هذه العلاقة المتوترة المتقلبة ، فقد ذكرت الجريدة في الخبر المنشور في العدد سالف الذكر أن إسرائيل روجت شائعات حول صحة الرئيس مبارك ، كذبها الأخير بنفسه ، وقالت : إن هذه الأخبار التي وصفتها بالكاذبة والمغلوطة بدأت مع دخلو الرئيس مبارك إلي مستشفي هيدلبرج بألمانيا لاستئصال ورم حميد ما أدى إلي قيام الخارجية المصرية باستدعاء القائم بالأعمال الإسرائيلي في القاهرة يسرائيل طيوشينسكي ووبخته علي الشائعات التي نشرتها الصحافة الإسرائيلية حول صحة مبارك ، كما احتجت الخارجية المصرية خلال اللقاء نفسه علي قيام إسرائيل بضم الحرم الإبراهيمي واقتحام القوات الإسرائيلية باحة المسجد الأقصي ، وقالت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية معلقة علي الحدث : إن القاهرة عنفت مسئولا إسرائيلياً كبيرا وتحدثت إليه بشكل "غير لائق" ، وذكرت الصحيفة أن المسئول الإسرائيلي رفع تقريرا للخارجية الإسرائيلية مطالبا ببحث الأمر مع وزير الخارجية المصري ، وقالت الصحيفة : إنها لم تكن المرة الأولي التي تنتقد فيها الخارجية المصرية إسرائيل حيث

سبق وأن احتجت الخارجية المصرية علي قرار تل أبيب بناء 1600 وحدة استيطانية شمال القدس ، هذا وقد ذكر الصحفي الإسرائيلي "تسفي برئيل" في عاموده بصحيفة "هآرتس" أن مصر تمارس ضغوطا خلف الكواليس لوقف ما وصفه "بالتوسع الطبيعي" للمستوطنات الإسرائيلية ، مشيرا إلي أن الخارجية المصرية طلبت من الاتحاد الأوربي ممارسة ضغوط علي حكومة نتنياهو لوقف الاستيطان ، وأضح الصحفي الإسرائيلي أن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية "إيباك" سيناقش مسألة هذه الضغوط خلال مؤتمرها السنوي نهاية مارس 2010 .

وفى العام نفسه اعتقلت قوات الأمن المصرية صحفيا إسرائيلياً يعمل في القناة العاشرة في التلفزيون الإسرائيلي ، اخترق الحدود المصرية بزعم إجراء تحقيق تلفزيوني حول تسلل الإفارقة إلي إسرائيل ، ونقلت النهار عن صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية أن محققين من الجيش المصري أجروا تحقيقا مع الصحفي الإسرائيلي ، تمهيدا لإحالته إلي المحاكمة العسكرية ، وذكرت الصحيفة الإسرائيلية أن أفراد الأمن المصريين تعاملوا بشكل جيد مع الصحفي الإسرائيلي ، ونقلت عن شهود عيان أنهم شاهدوه يأكل الأكلات الشعبية المصرية بناء علي طلبه .

وذكرت وسائل الإعلام أن إسرائيل ردت على ذلك بقتل مصرى زعمت أنه كان يهرب السجائر والبضائع إلي قطاع غزة ، وعثروا على جثته أثناء عمليات تمشيط بالمنطقة الحدودية مع مصر ، وادعى الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن الجيش فتح نيرانه علي مجموعة من المتسللين اشتبه في كونهم "إرهابيين" ، ولم يكن يعلم أن بينهم مصرياً حسبما ذكرت الصحف .

ولم يسلم المسئولون المصريون من الهجوم الإسرائيلي بحسب صحيفة النهار في عددها سالف الذكر ، فقالت الصحيفة : إن الحاخامات اليهود شنوا هجوما حادا علي الدكتور زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلي للآثار بعد رفضه

تنظيم حفل افتتاح لمعبد "موسي بن ميمون" اليهودي في القاهرة ، وذلك ردا علي قرار إسرائيل بضم الحرم الإبراهيمي للتراث اليهودي ، بالإضافة إلي الأساليب الهمجية التي اتبعها اليهود بعد الإعلان عن الانتهاء من ترميم المعبد ، على حد قول الصحيفة ، حيث قامت عناصر من الطائفة اليهودية بشرب الخمر أمام أعين المصريين دون مراعاة لمشاعرهم .

وذكر الحاخام اليهودي مردخاي شموئيل لإذاعة "كول حاي" أن المسئولين المصريين والأمن المصري يحاول اختلاق الذرائع لمنع اليهود من الاحتفال بأحد رموزهم الدينية ، وأضاف الحاخام اليهودي أن مصر لا تمنع الخمور ، فلماذا يمنعونها أثناء الاحتفالات اليهودية ، وقال : إن اليهود دائما ما يسافرون إلي مصر للاحتفال برموزهم الدينية ، ومن بينها "مولد أبو حصيرة" بمحافظة البحيرة ، مشيرا إلي أن هذه الإجراءات ستؤدي إلي حالة من التوتر بين مصر وإسرائيل .

* وكان آخر مظاهر التوتر بين مصر وإسرائيلي العرض المسرحي الإسرائيلي " الخروج من مصر " والذي عرضته إسرائيل في 13 دولة ، وتروي المسرحية الفترة التي عاشها اليهود في مصر وما تعرضوا له من "اضطهاد" علي يد فرعون مصر ، ويتخلل المسرحية عبارات استفزازية من نوعية "عائدون إليك قريبا" و "مصر قلب دولة الرب التي وهبها إسرائيل" وفصول كاملة من المسرحية تروي أن مصر جزءاً من إسرائيل الكبرى التي وعد بها الرب النبي موسى عند خروجه من مصر ، وقالت الصحيفة : إن وزارة الثقافة الإسرائيلية خصصت مبالغ كبيرة للمسرحية ووفرت لها إمكانات تقنية هائلة .

** أما جريدة المصري اليوم في عددها رقم 1860 الصادر في 2009/7/17 فقد تناولت العلاقات المصرية الإسرائيلية ولكن عبر البوابة الإيرانية ، فقد نشرت الجريدة تصريحاً للمتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية المصرية السفير حسام زكي نفى فيه الأنباء والتقارير الصحفية التي تحدثت عن تنسيق مصري

إسرائيلي لتوجية ضربة عسكرية لإيران ، وقال زكي : نحن نرصد في الإعلام الإسرائيلي والدولي إيحاءات لا أساس لها من الصحة ، وأكد أن هذه الأخبار مدسوسة بهدف إيهام المتابعين أن هناك تنسيقا عربيا – إسرائيليا أو تقاربا بشأن ملفها النووي والأزمة مع الغرب ، وأكد أن هذه الأمور عارية من الصحة وأن الهدف من نشر هذه الأخبار "غير بريء" ، وقال : إن هناك محاولة لإيهام الرأي العام من خلال تسريبات وتحركات إسرائيلية لا شأن لمصر بها ولا لأية دولة عربية .

وفى 2009/12/21 اهتمت الأوساط الإعلامية والسياسية الإسرائيلية بزيارة مدير المخابرات المصرية اللواء عمر سليمان لإسرائيل ومباحثاته مع القادة الإسرائيليين ، وأكدت تلك الأوساط أن سليمان التقي خلال الزيارة مع وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس المخابرات مائير داجان ، وأكد بيان صادر عن مكتب باراك بعد اللقاء أن المباحثات تناولت طرق مواجهة التحديات والتهديدات الإقليمية التي يواجهها البلدان ، وقال البيان : إن المباحثات تناولت سبل استئناف عملية السلام ، وأشارت وسائل الإعلام إلي أن سليمان يتولي الوساطة المصرية في مفاوضات تبادل الأسرى بين حماس وإسرائيل ، والإفراج عن الجندي جلعاد شاليط مقابل مجموعة من الأسرى الفلسطينيين ، ونقلت الجريدة تقريراً للإذاعة الإسرائيلية عن الزيارة وقالت : إن سليمان سيبحث مع نتنياهو سبل منع تهريب الأسلحة والذخائر عبر الأنفاق بين مصر وغزة ، وقالت : إن الزيارة تأتي بعد تصريحات أدلى بها وزير الخارجية أحمد أبو الغيط قال فيها : إن مصر تقوم ببناء حاجز معدني تحت الأرض في منطقة رفح الحدودية لمنع عمليات التهريب إلى قطاع غزة ، وأشارت جريدة الحياة بتاريخ 2009/12/21 إلى أن شبكة الأنفاق التي تربط بين القطاع المحاصر ومصر تزود غزة بالاحتياجات الأساسية مثل : الغذاء والوقود والأجهزة الإليكترونية ، وقالت إن إسرائيل تتهم

حماس باستخدام الأنفاق في تهريب الأسلحة بعد الحرب الأخيرة التي شنها الجيش الإسرائيلي على غزة فيما عرف باسم "عملية الرصاص المصبوب".
لم تكن جريدة الحياة وحدها التي اهتمت ببناء مصر لما يعرف بالجدار الفولاذي على الحدود مع غزة فقد نشرت جريدة الفجر المصرية في العدد رقم 233 الصادر في 28 /2009/12 تحقيقا حول نفس الموضوع وقالت الجريدة : إن الفلسطينيين يعيشون في حالة هلع نتيجة الإعلان عن بناء هذا الجدار ، خاصة بعد إغلاق معبر إيريز مع الضفة الغربية وأصبحت الأنفاق هي السبيل الوحيد لدخول المؤن والبضائع إلي القطاع المحاصر ، وقالت الجريدة : إن هذا الجدار سيتيح لإسرائيل تضييق الحصار علي سكان القطاع وفرض التسوية بحسب ما يوافق مصالحها ، ومن فوق سطح أحد المنازل الذي يبعد مسافة 300 متر عن الجدار صورت الجريدة أعمال البناء التي تتم على الشريط الحدودي والتي تظهر عدداً كبيراً من المعدات والأوناش التابعة لشركة المقاولون العرب والتي تقوم بأعمال البناء ، كما لاحظت أن أعمال البناء تجري تحت حماية أمنية مشددة وبمراقبة القوات متعددة الجنسيات الموجودة في سيناء ، وقال صاحب المنزل للجريدة : إن سكان المنطقة يعيشون حاليا على الأرباح التي تأتي من تهريب البضائع لغزة ، وأن المنطقة كانت شديدة الفقر قبل أن تظهر الأنفاق وعمليات تهريب البضائع ، وقال : إن سكان غزة كانوا سيموتون جوعا لو لم يتم إدخال البضائع عبر الأنفاق نتيجة للحصار الإسرائيلي وإغلاق معبر رفح ، وقالت الجريدة أن الأجهزة الأمنية أعطت أوامر مشددة إلي جميع سكان رفح التي تمر الأنفاق من تحت بيوتهم بضرورة إغلاق هذه الأنفاق بشكل حاسم ، مشيرة إلى أن عملية بناء الجدار ستستلزم الحفر لمسافة 300 متر تحت سطح الأرض ليتجاوز عمق الأنفاق الموجودة على الحدود ووضع لوحين من الحديد الفولاذي أعلاهما مواسير مياه من الحجم المتوسط تفتح بمجرد إرسال إشارة من المجسات الأرضية بوجود تحركات في هذه المنطقة ليتم

إغراقها بالكامل، ونقلت الجريدة عن مصدر في معبر رفح الحدودي قوله : إن أعمال البناء تجري بمحاذاة الشريط الحدودي بين قطاع غزة ومصر ، وأنه لا يتم عمليات بناء في الجزء الفاصل بين مصر وإسرائيل على الرغم من أن الحدود مفتوحة في هذه المنطقة وتنتشر فيها تجارة الهيروين وعمليات التسلل من قبل الأفارقة إلى إسرائيل (ولاحقاً جماعات العنف الدينى وأسلحتها الواردة من الخليج ومن داخل إسرائيل) ، وأكدت الجريدة أن شاحنات تأتي عبر معبري العوجة وكرم أبو سالم حاملة ألواحاً من الحديد الفولاذي ، ما يعنى أن الجدار يتم بناؤه بحديد إسرائيلي بحسب المعلومات التي حصلت عليها الجريدة .

كما اهتمت جريدة الفجر في العدد رقم 245 في 2010/3/23 بخبر القبض علي صحفي إسرائيلي حاول التسلل عبر الحدود المصرية لتصوير برنامج للقناة العاشرة الإسرائيلية حول تهريب السلاح والأفارقة عبر الحدود المصرية ونقلت الصحيفة عن مصدر أمني مصري قوله : إن الصحفي الإسرائيلي أُلقي القبض عليه ومعه مواطن من غانا ، بينما نجح أفارقة آخرون في الهروب ، وقالت الصحيفة : إن الجيش الإسرائيل نقل الأمر للقيادة الموسعة والتي تعمل علي إعادة الصحفي الإسرائيلي ، مؤكدا أنه لم يكن بحوزة الصحفي أوراق رسمية ، وقالت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية : إن هذا الحادث وقع بعد تصديق الحكومة الإسرائيلية علي إنشاء جدار اليكتروني علي الحدود مع مصر لمنع تسلل الأفارقة وتهريب الأسلحة بتكلفة مليار و 35 مليون شيكل إسرائيلي .

* وتحت عنوان " قرصنة إسرائيلية في المياة المصرية " نشرت جريدة الحياة اللندنية في العدد رقم 16747 في 2009/2/9 تعليقا على الاعتداء الإسرائيلي علي سفينة "الأخوة" اللبنانية في المياة المصرية وإجبارها على تغيير مسارها وتهديدها بالقصف في حالة عدم الاستجابة ، وتفتيش ركابها والاعتداء عليهم بالضرب ، وقالت الصحيفة : إن السفينة كانت تحمل مساعدات طبية وغذائية

مما يعد انتهاكا للقانون الدولي وقرصنة وفقا لاتفاقية البحار لعام 1982 واتفاقية السلامة الملاحة البحرية لعام 1988 .

* أما جريدة الأسبوع المصرية فقد اهتمت في عددها رقم659 الصادر في 2009/12/11 بخبر نشرته صحيفة (المصري اليوم) وجاء فيه أن شاباً وفتاة مصريين طالبين بكلية الأداب قسم الإعلام بجامعة عين شمس ذهبا إلي السفارة الإسرائيلية وطلب مقابلة السفير الإسرائيلي ، وقالت الجريدة : إن السفارة التي تعاني من العزلة في مصر تعاملت مع الشابين بمنطق الصيد الجاهز وعرضت عليهما السفر لإسرائيل وإقامة حوار بين شباب مصريين وإسرائيليين ، أحد الشابين هو مصطفي الطيب قال للجريدة : إن ما فعله ليس تطبيعا وأنه يرى أن إسرائيل بلد عدو وأن اللقاء هو مع ممثل دبلوماسي لدولة في مصر ، وأن من يرفض لقاءه بالسفير الإسرائيلي فعليه أن يقوم بطرده من البلاد ، وأشارت الجريدة إلى أن هذا التبرير هو نفسه الذي استخدمته الدكتور هالة مصطفي رئيس تحرير مجلة الديمقراطية التي تصدرها مؤسسة الأهرام والتي التقت بالسفير الإسرائيلي في مكتبها بالمؤسسة ، وقالت الجريدة : إن الهجوم لم يقف عند حد الهجوم علي شخص مصطفى وزميلته مروة اللذين ذهبا للسفارة بدعوى القيام بعمل مختلف من خلال إجراء حوار مع السفير الإسرائيلي بل طال أيضا قسم الصحافة بآداب عين شمس الذي أكد طلابه أنهم لا علاقة لهم بتصرف زميليهما وأنه عمل فردي ، وذكرت الجريدة أن المستشارة الثقافية للسفارة قدمت عدة عروض مغرية للشابين منها توريد طلاب لعقد حوارات وجلسات غسيل مخ ، وعروض للسفر ومنح دراسية ، وحملت الجريدة الشابين مسئولية تصرفهما مشيرة إلى أنهما لم يستشيرا أستاذة القسم قبل القيام بمغامرتهما المزعومة ، مشيرة إلي أن المناهج الدراسية كانت سببا في تشكيل وعي هؤلاء الشباب .

* وفى العام 2009 نفت الخارجية المصرية دعوة وزير الخارجية الإسرائيلي أفيجدور ليبرمان لزيارة مصر ، وأكد المتحدث باسم الخارجية المصرية أن موقف مصر من زيارة ليبرمان لم يتغير ، معبرا عن دهشته من تكرار هذه الإدعاءات ، مشيرا أن ليبرمان تعرض لهزيمة دبلوماسية خلال جولته الأوربية ، وأن الزعماء الأوربيوين وافقوا علي مقابلته علي مضض وبفتور شديد ، حتى إنهم رفضوا استقباله في مكاتبهم واكتفوا بلقائه في الفنادق وذلك باعتراف الصحافة الإسرائيلية نفسها .

* وفى العام 2009 كشفت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية عن خطة ليفني لتطبيع العلاقات مع الدول العربية ، تضمنت ثلاث خطوات على الدول العربية القيام بها وهي : إعلان زعماء عرب لاترتبط دولهم بعلاقات مع إسرائيل عن دعمهم للمفاوضات مع إسرائيل ، ومنح دعم سياسي ومالي للسلطة الفلسطينية ، والمساعدة في عزل حماس ، واتخاذ خطوات تطبيعية مع إسرائيل تتضمن التطبيع الدبلوماسي والتجاري وعقد لقاءات علنية وسرية مع المسئولين الإسرائيليين والقيام بزيارات رسمية لإسرائيل .

* وفى العام 2009 أيضاً أدلى حسنى مبارك بحديث للتلفزيون الإسرائيلي أكد فيه على استمرار الجهود المصرية لإطلاق سراح الجندي الأسير جلعاد شاليط وتحقيق المصالحة الفلسطينية ، مشيراً أنه لا يمكن القبول عربيا بدولتين في الضفة وغزة ، وقال مبارك : إن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل مكنت مصر من التحرك مع كافة الأطراف لتحقيق السلام بالمنطقة، مؤكدا في الوقت نفسه أنه لن يكون هناك تطبيع بدون التقدم في ملف السلام وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، مشيرا إلي أن الدول العربية لا تقبل تعديل مبادرة السلام العربية.

وكانت جريدة الديار المصرية قد نشرت في عددها رقم 9 في 2009/1/20 تقريرا يرصد آراء خبراء عسكريين وسياسيين حول مخاطر انهيار حماس علي

الأمن القومي المصري ، وقالت الجريدة : إن الأمن القومي سيتعرض للخطر إذا نجحت إسرائيل في القضاء علي حركة حماس ، وقالت : إن الغارات التي شنتها إسرائيل علي الشريط الحدودي المصري أثناء الحرب علي غزة هي دليل علي هذه المخاطر ، وأكد الدكتور محمد قدري سعيد الخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية للجريدة أن فشل حركة حماس سيخلق حالة من الفوضي داخل غزة مما سيدفع سكانه إلي اللجوء إلى سيناء وهو ما سيشكل عبئا على مصر ، وقال سعيد : إن الأفضل لمصر هو بقاء حماس مع تغيير في افكارها وإقامة علاقات متوازنة معها ، مشيرا إلي أن مصر تتفهم مخاطر انهيار حماس ، أما اللواء عادل سليمان الخبير العسكري فقال إن الحرب التي تجري في غزة ليست حربا بين طرفين وإنما هي هجمات تدميرية تشنها إسرائيل علي القطاع ، وهذا ليس انتصارا لإسرائيل ولا فشلا لحماس ، وقال : إنه من الطبيعي أن تحدث علي الحدود المتاخمة لأي دولة مشكلات أثناء العمليات العسكرية ومن مصلحة مصر أن يسود الهدوء والاستقرار في قطاع غزة

من جانبها اهتمت جريدة العربي المصرية في عددها رقم 1190 الصادر في 2010/1/10 بأزمة إقامة مولد "أبو حصيرة" في محافظة البحيرة ، وقالت الجريدة : إن الرئيس مبارك أمر بالاحتفال بمولد أبو حصيرة هذا العام استجابة لطلب من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ، وأضافت الجريدة أن الاتوبيسات التي تقل الزوار الصهيانة توافدت إلى قرية دميتوه التي يقع بها قبر "أبو حصيرة" وقالت الصحيفة نقلا عن أحد شهود العيان : إن الأتوبيسات الإسرائيلية كانت تدخل للاحتفال واحدا بعد الآخر فما أن ينتهى زوار أحد الاتوبيسات حتي يدخل الذي يليه ، وقالت المصادر للجريدة: إن عدد تلك الاتوبيسات بلغ 50 أتوبيسا كل واحد منها يقل 46 راكبا ، إضافة إلي حراسة مشددة مع كل أتوبيس وسائق مسلح ، وكان آخر الاتوبيسات يضم 46 حاخاما تجاوزوا الوقت المخصص لهم ، ودخلوا في نوبات من البكاء والصراخ ،

وأشارت الجريدة إلى أن القرية شهدت إجراءات أمنية مشددة ، وقال شاهد عيان إنه لم يتبق إلا أن ترافقهم الطائرات الحربية ، وأكدت الجريدة أن كل مداخل ومخارج القرية تم إغلاقها ومنع الدخول أو الخروج منها ، كما منعت أجهزة الأمن الوقفة الاحتجاجية التي كان من المقرر تنظيمها علي كوبري "أبو الريش" أمام مدخل القرية ، واضطر النشطاء السياسيون إلى تنظيمها أمام محكمة دمنهور ، وأكد النشطاء أن هذا الاحتفال هو إهدار لكرامة الشعب المصري وأهالي البحيرة ، بل ولكرامة محافظ الإقليم نفسه والذي تم تجاهل قراره بعدم إقامة المولد ، كما أنه إهدار لأحكام القضاء المصري الذي أصدر حكما بمنع إقامة هذا المولد منذ عام 2001 ، وأشارت الجريدة إلي أن المحامي مصطفي رسلان صاحب الحكم بإلغاء الاحتفال بمولد أبو حصيرة يعتزم إقامة دعوى قضائية على وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الصحة ومحافظ البحيرة يطالبهم فيها بنقل المقبرة اليهودية وضريح أبو حصيرة إلي مكان آخر .

* وبعد ثورة 25 يناير 2011 تم منع الاحتفال بهذا المولد الذى كان يمثل تطبيعاً سياسياً ودينياً مرفوضاً خلال فترة حكم مبارك .

* وبعد .. من حصيلة هذه الأخبار المتنوعة والتى قدمناها كنموذج لعمليات التطبيع السياسى بين مصر والكيان الصهيونى خلال الفترة (2009–2011) بقى أن نبحث فى سبل واستراتيجيات مقاومة التطبيع السياسى .. كيف كانت وإلى أى نتائج انتهت ؟ وتلك هى مهمة الفصل الثالث .

من مصادر الفصل الثانى (بالإضافة للمراجع التى وردت فى متن الفصل وبين سطوره – نضيف ما يلى من مصادر أخرى للبحث) :

1 – صحيفة الشعب : القاهرة بتاريخ 1989/3/7 .

2 – صحيفة الحقيقة : (صحيفة أسبوعية يصدرها حزب الأحرار الاشتراكيين بالقاهرة) بتاريخ 1989./4/15

3 – صحيفة الأهالى : القاهرة بتاريخ 1989/1/14

4 – محمود الشاذلى : وعاد الصهاينة لغزو الزراعة ، صحيفة صوت العرب بتاريخ 1988/8/22 ص7 (صحيفة قومية الاتجاه كانت تصدر أسبوعية عن أصدقاء نادى الإعلام العربى وأغلقتها السلطات الحاكمة فى مصر فى منتصف عام 1988) .

5 – صحيفة الرأى العام : صحيفة يومية تصدر بالكويت بتاريخ 1989./2/2

6 – صحيفة الحياة : صحيفة يومية تصدر باللغة العربية فى لندن بتاريخ 1989./2/7

7 – من تقرير لوكالة الأنباء العالمية رويترز يوم 1989/3/22 .

8 – المستشار عبد الحميد يونس : كامب ديفيد أمام المحاكم المصرية ، مجلة اكتوبر العدد رقم 640 بتاريخ 1989/1/29 .

9 – صحيفة الأهالى : القاهرة بتاريخ 1989/3/8

10 – صحيفة الأهالى : 1989/5/24

11 – رفعت سيد أحمد : اختراق العقل المصرى : دراسة ووثائق ، 1985 – القاهرة ، الملحق الوثائقى الذى يحتوى قائمة أبحاث المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة منذ إنشائه حتى عام 1985 .

12 – مثل الاتجاه الانعزالى لدى المثقفين المصريين بدأه على الدالى فى كتابه الشهير (مصريون فقط) – دار الشعب – القاهرة 1986 وتبعه لويس عوض

وتوفيـق الحكـيم فـى مقالتـه الشـهيرة " حيـاد مصـر " بجريـدة الأهـرام فـى 1978/3/3 ، ثم كتابه المهم (عودة الوعى) .

13 – د. سعد الدين إبراهيم مشرفاً : عروبـة مصـر (القاهرة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، 1978 ، ص ص 107 – 166) .

14 – د. فاروق يوسف : السلام وأزمة الهوية فى مصر ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، 1982 .

الفصل الثالث

مقاومة التطبيع السياسى (الكيفية والوسائل)

لقد وقعت مصر مع إسرائيل –كما سبق واشرنا–العديد من الاتفاقات والمعاهدات التى رسمت مسارات التطبيع بكل أنواعه ومستوياته (السياسى – الزراعى – الاقتصادى – الثقافى – السياحى – الرياضى – العسكرى .. إلخ) ومنها اتفاقات (كامب ديفيد 1978/9/17 – معاهدة السلام 1979/3/26 – اتفاق تبادل السفراء – اتفاق القوات متعددة الجنسيات 1981/8/3 – واتفاق طابا 1982/4/25 – اتفاق الكويز 2004 – اتفاق تصدير الغاز 2005 – وغيرها) .

هذه الاتفاقات كبلت الإرادة السياسية الحاكمة ووضعتها على مسار التطبيع ، إلا أن الأمر شعبياً كان غير ذلك ، حين تشكلت لجان وهيئات وأحياناً مبادرات فردية وجماعية مسلحة (سعد إدريس حلاوة – سليمان خاطر – محمود نور الدين وتنظيم صورة مصر – أيمن حسن) لمقاومة التطبيع خلال الثلاثين عاماً (فترة دراستنا 1979 – 2011) وظلت تقاوم حتى سقط حسنى مبارك بعد ثورة 2011/1/25 ، وتم اقتحام السفارة الإسرائيلية وإحراقها مرتين خلال عام 2011 من شباب الثورة ، وبات مستحيلاً أن تعود السفارة إلى مقرها القديم مرة أخرى بفعل هذه المقاومة الشعبية والتى لم توازيها مقاومة رسمية بل خنوع وقبول بالتطبيع وتأسيس له .

أولاً : مدخل عام للمقاومة :

* إن التاريخ يحدثنا أنه وبعد عشرات السنين من التطبيع السياسى ومسيرة ما أطلق عليه التسويات السلمية التى بدأت باتفاقية كامب ديفيد، فمعاهدة السلام (1979) والتى تلاها بخمسة عشر عاما (1993) توقيع اتفاق أوسلو بين إسرائيل والفلسطينيين، وأعقب – أوسلو – بعام واحد توقيع اتفاق وادى عربة بين الأردن وإسرائيل 1994، والتى نمت كلها برعاية ومشاركة أمريكية، على وهم أن الولايات المتحدة سوف تقوم بدور الراعى لتحقيق السلام بين العرب

والدولة الصهيونية ؛ كانت الحصيلة فى غير صالح العرب وفى القلب منهم مصر .

* فعلى مدار تلك المسيرة، وعلى عكس المستهدف من النصوص الخاصة بالتطبيع فى سائر المجالات مع العدو الصهيونى، فقد انعكس أثر النصوص والالتزامات التى وقعت على كاهل الطرف العربى بموجب تلك الاتفاقات، إلى جانب تاثير حجم العداء المستحكم بين العرب والصهاينة نتيجة ممارسات الدولة العبرية منذ نشأتها عام 1948 وتكرار اعتداءاتها على الدول المجاورة للكيان الصهيونى على أرض فلسطين، فكان أن تولدت قناعة لدى مجاميع شعبية كبيرة بأن إسرائيل إنما تقوم بعملية مراوغة وأنها غير جادة فى السلام، وأنها لن تقوم بإعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة لأصحابها، كما أن ممارسات الولايات المتحدة طوال تلك المرحلة قد كشفت أنها لن تقوم بدور الوسيط بين الأطراف فى حل المشكلة، ومن هنا تصاعدت حركة الجماهير الشعبية فى مقاومة ما تفرضه التزامات التطبيع من إجراءات وفقا لما تتضمنه الاتفاقيات الموقعة.

ثم جاءت مرحلة فرض العقوبات على العراق والحصار الذى امتد على مدار ثلاثة عشر عاما متواصلة حتى جرى الغزو الأمريكى للعراق بتحالف بعض الدول فى 19 مارس 2003، مما اعتبر إجراء غير شرعى قامت به الولايات المتحدة ومن سعى سعيها، وكان الحصار وسيلة غير إنسانية وأداة لتجويع الأطفال العراقيين الأبرياء، وتعاظمت الانتقادات الموجهة من جانب العديد من الحكومات العربية ضد سياسة الاحتواء ثم الحرب الاستباقية بعناصرها المختلفة التى تقودها الولايات المتحدة ، مع استسلام يكاد يكون كاملا للممارسات العدوانية الأمريكية من جانب معظم النظم الحاكمة العربية، بينما كانت الرؤية الجماهيرية العربية – فى أثناء الحصار وحتى الغزو– أن مسألة تحرير الكويت أمر لا خلاف عليه، أما تحولها إلى عملية تدمير العراق، فإن ذلك أمر ضد

مصلحة الأمة العربية فى مجموعها ، وعدوان غير إنسانى على شعب العراق نفسه، وكان نظام حسنى مبارك فى مصر أحد عَرَّابى هذا العدوان على العراق بحكم العلاقات الاستراتيجية مع واشنطن والدور المحدد له فى تلك العلاقات وبحكم تداعيات اتفاقية الكامب والتزامها بالترويج والحث على السير على طريق نهج "السلام" الأمريكى الصهيونى.

وقد جرى فى الوجدان الشعبى طوال تلك المرحلة، ربط بين سياسة الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية وانحيازها الأعمى للسياسات العدوانية "الإسرائيلية" التى تركز على مصادر تجويع الشعب الفلسطينى، وما جرى من تجاوز الإدارة الأمريكية حدود وأبعاد سياسة الاحتواء إلى مسميات أشد عنفا تحت مسمى "الحرب ضد الإرهاب".

وكانت الجماهير العربية تتابع تلك المسيرة، وهى على يقين من أن "السلام" الذى يجرون وراءه، ليس سلاماً حقيقياً قادراً على الازدهار، فهو سلام يقوم على امتلاك "إسرائيل" لسلاح نووى، وقصور الآخرين حتى عن مقدرة الدفاع عن السلام، وأنه سلام القبول بشروط القوة، بينما تملك الجماهير من وقائع التاريخ ومن إدراكها لطبيعة العدو، أن طبيعة التحدى "الإسرائيلى" الذى يواجه العرب، هو تحد لا يستطيع بنيانه الداخلى – فكرا وعملا– أن يقبل منطق التسوية، لأنه بالدرجة الأولى عقيدة دينية، لا تقبل فى مفهومها حلا وسطا لأنها تقوم على الإيمان، خاصة إذا ساندته القوة الغالبة، وأنه لا يمكن أن يتنازل عن تلك المعتقدات، ثم إنه فى جوهره مشروعاً استيطانياً، وأى مشروع استيطانى، لا يملك إلا إنكار الآخر، وإلا فإنه ينكر نفسه، وتأكدت الجماهير من خلال النتائج التى تمخضت عنها المسيرة حتى الآن، من غياب أسس السلام العادل، الذى يعيد الحقوق الفلسطينية المشروعة كاملة، وأن "إسرائيل" تصر على سياسة فرض الهيمنة، وأنه يجرى إعادة تقسيم خريطة الشرق الأوسط ورسم مناطق النفوذ، بتذويب كيان الأمة العربية فى كيانات إقليمية

أوسع من خلال مشروعات الشراكة الأوربية والشركة الأورومتوسطية وعملية برشلونة، واتحاد جنوب المتوسط، ومشاركة حلف الناتو الأمنية، وأن دعم واشنطن الكامل "لإسرائيل" فى تحقيق مخططها بالتوافق مع حماية المصالح الأمريكية فى المنطقة، يجعلها لا تصلح لأن تكون وسيطا بين العرب و"إسرائيل".

تلك كانت ملامح المسيرة وظروف المرحلة وتداعى الأسباب التى دفعت بالجماهير إلى الاعتماد على نفسها فى السعى بشتى السبل والإمكانيات لإعلان رأيها فى رفض السير فى عملية التطبيع، بل والدعوة إلى استمرار المقاطعة العربية لإسرائيل، والتعبير عن غضبها فى وجه أساليب الإرهاب الصهيونى والغطرسة الأمريكية، من خلال التظاهر والدعوة وعقد المؤتمرات بالرفض ومطالبة الحكام بالعمل على تحقيق التضامن العربى، وبناء القوة الذاتية العربية، والوقوف فى وجه الأطماع الصهيونية والمخططات الأمريكية التى تستهدف القضاء على عروبة المنطقة وإلحاقها فى إطار ما أطلق عليه "الشرق الأوسط الموسع"، وقد أخذت الجماهير فى العديد من الأقطار العربية تترابط وتتجمع بإرادة حرة واعية فى مجموعات ولجان شعبية بطريقة تلقائية، شاركت فيها الأحزاب والنقابات والعديد من منظمات المجتمع المدنى لإذكاء أسلوب المقاطعة الشعبية ومقاومة التطبيع، شاركت فيها الأحزاب والقوى السياسية، وصار يجرى تشكيل لجان شعبية جماهيرية، أخذت تنتشر وتتواصل بالتفاعل والحركة من خلال النقابات المهنية والعمالية ونوادى هيئات التدريس والجامعات وأخذت تعبر عن رأيها شفاهة وكتابة عن طريق البيانات والمنشورات، وكذلك فى الترتيب للقيام بمظاهرات واحتجاجات سلمية، وقد أخذ هذا التحرك أشكالا متعددة فى سائر الأقطار العربية، ومن بينها مصر، التى بدأت فيها عملية التطبيع الرسمى منذ عام 1979، بالرغم من الظروف الصعبة التى عاشها الشعب فى أعقاب توقيع المعاهدة، وما جرى من استفتاء

شعبى عليها ضمن ما أطلق عليه "إعادة تنظيم الدولة" فى أعقاب توقيع المعاهدة، وكان من ضمنه اشتراط ألا يكون من بين مؤسسى أى حزب أو قياداته من قام بالدعوة بأية طريقة من طرق العلانية لمبادئ أو اتجاهات أو أعمال تتعارض مع تلك المعاهدة، غير أنه قد تم الطعن من جانب أحد ممثلى القوى الشعبية على هذا القيد أمام المحكمة الدستورية العليا التى حكمت فى 1988/5/7 بمخالفته للدستور، وفى عام 1994 ألغى القانون الذى كان يتضمن هذه المسألة بين نصوصه الأخرى، والذى كان يطلق عليه (قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى).

* وفى الساحة المصرية أيضاً ، بدأت الحركة الجماهيرية نشاطاتها مبكرا فى أعقاب توقيع اتفاقية كامب ديفيد، باجتماع عدد كبير من قيادات الحركة الفكرية والثقافية والسياسية (فى أبريل 1979) لمناقشة موقف المثقفين من تلك المعاهدة، انبثق عند تشكيل "لجنة الدفاع عن الثقافة القومية" كجبهة مستقلة وقد نبه البيان التأسيسى للجنة إلى المخاطر العديدة التى تتعرض لها البلاد من جراء اتفاقيات كامب ديفيد، وحذرت من كافة أشكال التبادل العلمى والثقافى والتقنى مع "إسرائيل" وكان من نتاج نشاطها اتجاه كافة النقابات المهنية والعمالية والثقافية إلى إعلان رفضها الكامل للتطبيع مع "إسرائيل"، كما كان من ثمار تلك المقاومة إيقاف محاولات "إسرائيل" التغلغل فى الثقافة العربية من خلال مشاركتها فى المعرض السنوى للكتاب، وذلك بالمظاهرات التى قامت بها فى معرض الكتاب فى يناير 1980 لرفض مشاركة إسرائيل، وقد شارك فى أنشطتها معظم المثقفين الوطنيين المصريين أيا كانت توجهاتهم الفكرية وأصولهم الأيديولوجية ، حيث عملت فى أكثر من مجال، وبأكثر من وسيلة من وسائل المقاومة بما فى ذلك التظاهر، وإصدار مجلة "المواجهة" التى صدرت أعداد منها ، وكذلك العديد من نشرات المواجهة، وإصدار البيانات وتوزيعها، وعقد الندوات والمؤتمرات والمهرجانات وجمع التوقيعات على

البيانـات، ومخاطبـة الـرأى العـام المصـرى والعـالمى، وتوطيـد الصـلات بـين الجماعات المعنية بمواجهة التطبيع ، والعمل العربى المشترك بما اقتضاه ذلك فـى تصـادم يكـاد يكـون يوميـا مـع الحكومـة، ومـا ترتـب عليـه مـن مضـايقات ومطاردات واعتقالات.

وجاءت وسائل المواجهة الشعبية الحادة للصلح مع إسرائيل برفض المواطن المصرى "سعد إدريس حلاوة" توقيع معاهدة الصلح واحتجاجه بتظاهره منفردا بمقر المجلس المحلى فى قريته فى ذات يوم توقيع المعاهدة 1979/3/26 وحاصرته قوات أمن السادات وقتلته فكان أول شهيد مصرى فى حركة مقاومة التطبيـع ، وفـى 1985/5/10 قـام جنـدى الأمـن المركـزى "سـليمان خـاطر" بـإطلاق الأعيرة الناريـة من بندقيتـه الآليـة علـى عدد من السياح الإسرائيليين، أثنـاء اقتحـامهم لنقطـة الحراسـة الخاصـة بـه فـى منطقـة طابـا، ممـا أسـفر عـن مصـرع 7 إسرائيليين ، وجرح اثنين، والذى حكم عليه بالسجن، واستشهد بعد ذلك فى محبسه.

ثم تطورت أعمال مقاومة التطبيع إلى اللجوء لاستخدام "القوة المسلحة" حيث تبنى عدد من الناصريين العمل المسلح فى مواجهة "الإسرائيليين" فى مصر، وهـو مـا أطلـق عليـه "التنظـيم الناصـرى المسـلح" والـذى كـان مـن بـين الـتهم الموجهـة إلـى المتهمـين الخمسـة عشـر، محاولـة اغتيـال السـفير الأمريكـى إلـى جانب قلب نظام الحكم، وذلك فى القضية رقم 2830 لسنة 1980. وكان من المتهمين فيها كل من (د. صلاح الدين الدسوقى وعلى عبد الحميد وهما الآن من القامات الناصرية المعروفة) .

ثم كان تنظيم "ثورة مصر" الذى أسسه المناضل الراحل "محمود نور الدين" مع عدد من الشباب القومى الوطنى (ومنهم د.خالد جمال عبد الناصر نجل الزعيم الراحل) ، الذى رفض التطبيع مع العدو، ووضع عدة خطط لاغتيال عملاء الموسـاد فـى مصـر، وكـذلك عمـلاء المخـابرات الأمريكيـة، ونجـح بعضـها أمـام

المعرض الصناعى وفى طريق المعادى، حتى تم القبض عليه وعلى عدد من رفاقه فى القضية رقم 714 لسنة 1987، حيث حكم عليه بالأشغال الشاقة، واستشهد فى محبسه بليمان طره فى 16 سبتمبر 1998(*).

***

وصارت اللجان الشعبية تتشكل تلقائيا لمقاومة التطبيع، وإحياء عملية المقاطعة مع العدو بديلا عن إلغائها حكوميا بموجب التزامات كامب ديفيد، وكان من أبرز اللجان التى بدأت مبكرا فى العمل فى مجال مقاومة التطبيع وإحياء المقاطعة "اللجنة العربية لمساندة المقاومة فى لبنان وفلسطين ويرأسها د. رفعت سيد أحمد واستمرت حتى ما قبل الثورة المصرية بأيام قليلة ، واهتمت بالدعم السياسى والإعلامى والثقافى الواسع للمقاومة العربية وأصدرت العديد من الدراسات والمجلات والكتب وعقدت عشرات المؤتمرات المقاومة للتطبيع وضد العدوان الإسرائيلى على لبنان وفلسطين ، ومن اللجان المهمة أيضاً : اللجنة المصرية لمواجهة الصهيونية ومقاومة التطبيع"، والتى بدأت نشاطها فى إطار الحزب الناصرى خلال عام 1994، وقد جمعت فى صفوفها ممثلين للأحزاب والقوى السياسية (غير المعترف بها رسميا) من الإخوان المسلمين والشيوعيين، ثم توالى ظهور اللجان التى تجاوز عددها الثلاثين لجنة، وكانت تضم أعداداً كبيرة من الجماهير وبخاصة الشباب من الجنسين، ومن شتى الاتجاهات السياسية، وكان من بينها "اللجنة الشعبية لمواجهة العدوان الأمريكى" واللجنة الشعبية المصرية لكسر الحصار عن العراق. ولجان دعم الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987) والثانية (2000) ، ولجان مقاطعة السلع الأمريكية والإسرائيلية ، وكانت أداة تلك اللجان فى التعبير عن رأيها، استخدام البيانات المكتوبة والتى يتم نشرها بالتوزيع على مختلف الصحف ووكالات الأنباء، وبواسطة الأعضاء

* تفاصيل المقاومة المسلحة للتطبيع السياسى فى مصر فى البند سادساً من هذا الفصل .

أنفسهم، كما ينشر بعضها من خلال مواقع على الانترنت، وذلك إما للتعبير عن لجنة بذاتها، أو كبيان يعبر عن رؤية مشتركة لسائر اللجان. كما كانت المؤتمرات السياسية المشتركة فى مختلف المناسبات القومية لمساندة الشعب الفلسطينى ومؤازرة الشعوب العربية الأخرى مع الإعلان المستمر عن رفض التطبيع، بل وبالمطالبة بإسقاط معاهدة كامب ديفيد وتوابعها، ولعل من ابرز أنشطة لجان المقاطعة، هو نشر الوعى على مستوى شعبى واسع بوجوب مقاطعة السلع الأمريكية والبريطانية، بالإضافة إلى تحريم السلع الصهيونية، وفى هذا الإطار قامت اللجان الشعبية بإعداد قوائم بالسلع التى يتعين مقاطعتها مع عرض البدائل المتوافرة لها، وقد تواصل الرفض الشعبى للتطبيع مع العدو الصهيونى خلال الفترة من (1979–2011) ، حتى كانت أحدث حلقاته فى الدعوى التى رفعها عدد من أبناء الشعب أمام القضاء الإدارى ضد الحكومة المصرية لمطالبتها بوقف بيع الغاز لإسرائيل، والتى قضت فيها المحكمة فى ديسمبر 2008 بوقف تنفيذ القرار الصادر ببيع الغاز الطبيعى لإسرائيل، وكان هذا بمثابة تتويجا للإرادة الشعبية فى رفض التطبيع مع العدو الصهيونى، ولا يقلل من قيمة صدور هذا الحكم أن الحكومة قد أقامت طعنا عليه أمام المحكمة الإدارية العليا فى 24 ديسمبر 2008 ، حصلت فيه على حكم قضائى نهائى من المحكمة بإلغاء حكم القضاء الإدارى المشار إليه، مستندة فى ذلك على قوة تأكيد السلطة التنفيذية، وتغولها على السلطة القضائية ذاتها، حيث تعلل طعنها فى الحكم على أساس أن حكم القضاء الإدارى مخالف للقانون ؛ لأنه يتدخل فى أمور السياسة الخارجية للدولة وعلاقاتها بالدولة وهى أمور تدخل فى نطاق أعمال السيادة التى لا يجوز نظرها أمام القضاء.

وطوال تلك السنوات ، فإنه بلا شك أن الانطلاقة الشعبية التلقائية لجموع كبيرة من الشعب ومن بينهم الشباب والنساء للمشاركة الحماسية ، دوره الملموس فى التعبير عن روح التصدى والصمود والاصرار على النضال فى زمن ازدادت

فيه الضغوط على النظم العربية كافة كى تجبرها بقبول التطبيع، وقد كان لذلك إلى حد كبير أثره على تعويق مسيرة التطبيع وإعلاء شأن الإرادة الشعبية .

ويهمنا أن نسجل هنا دور بعض اللجان الشعبية السياسية والثقافية المقاومة للتطبيع :

1 – الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية : ومنسقها العام أمين اسكندر وأنشئت عام 1997 وأصدرت عشرات البيانات وعقدت 17 ندوة ومؤتمراً، ولها وثيقة ضد التطبيع موقع عليها ألف مثقف مصرى بارز (سوف نوردها فى الفصل الخاص بتحالف كوبنهاجن) وشاركت فى مظاهرات الطلبة فى الأزهر والجامعات المصرية .

2 – اللجنة الحزبية لمقاومة التطبيع : ورأسها حامد محمود نائب رئيس الحزب الناصرى (توفاه الله) ، وكانت تضم ممثلين للأحزاب الرئيسة فى مصر (العمل – التجمع – الوفد – الأحرار – الإخوان) ونشطت بالأساس داخل الأحزاب الرسمية.

3 – اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين :

وأسست عام 1995 وكان منسقها العام د. رفعت سيد أحمد وضمت فى عضويتها ممثلى القوى والاتجاهات الوطنية على اختلافها وعملت على دعم المقاومة فى لبنان وفلسطين عبر آليات التظاهر والمؤتمرات والندوات وإصدار الكتب والنشرات والاعتصامات الداعمة للمقاومة وغيرها من وسائل التأثير.

4 – اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع الزراعى : ورأسها المهندس محسن هاشم وكان أميناً للفلاحين بحزب العمل المصرى ، وكان لها أنشطة مهمة فى مواجهة التطبيع الزراعى .

5 – لجان مقاومة التطبيع فى نوادى أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات المصرية : وهى عديدة وكان لها أنشطة هامة منذ كامب ديفيد المصرية ومن أشهر رموزها د. الشافعى بشير أستاذ القانون بجامعة المنصورة ود. أشرف

البيومى الأستاذ بكلية العلوم جامعة الإسكندرية ود. أحمد حسين الأهوانى بجامعة القاهرة .

6 – لجنة الدفاع عن الثقافة القومية : وهى تكتل يسارى مصرى أنشئ عقب معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية 1979 وكانت ترأسه د. لطيفة الزيات (توفاها الله) وأشرف عليها لاحقاً الأستاذ حلمى شعراوى (الكاتب المعروف) وتضم عدداً من المثقفين اليساريين وهى لجنة اهتمامها بالأساس ثقافى وتصدر عدداً من الكتب والدراسات الجادة المعادية لإسرائيل .

7 – جماعة مناهضة الصهيونية : وهى أحد أشكال العمل المعادى للتطبيع داخل مصر وقد أنشئت فى شهر يناير 2001 ومن أبرز رموزها (د. محمد سليم العوا – د. عبد الوهاب المسيرى – د. رفعت سيد أحمد – المهندس أبوالعلا ماضى – السفير وفاء حجازى وآخرون).

8 – اللجنة المصرية لمقاطعة السلع والشركات الأمريكية والإسرائيلية : وأنشئت فى يناير 2001 واستهدفت مقاومة التطبيع من خلال الدعوة لمقاطعة واسعة للشركات والسلع الأمريكية والإسرائيلية وأعدت فعلاً قوائم بذلك ، ونجحت دعوتها وتشكلت أمانتها العامة من د. نادر فرجانى – أحمد بهاء الدين شعبان – عبد العزيز الحسينى – د. سيد البحراوى وآخرين .

9 – اللجنة المصرية لدعم الانتفاضة الفلسطينية : وهى لجنة وطنية عامة أسست عقب الانتفاضة الفلسطينية وشملت دعوتها مقاومة التطبيع ، ومساندة الانتفاضة وضمت إسلاميين وقوميين ويساريين وتأخذ من (مركز هشام مبارك لحقوق الإنسان) مقراً مؤقتاً لها . وسيرت هذه اللجنة قوافل طبية وغذائية إلى غزة لدعم الشعب الفلسطينى إبان الانتفاضة الثانية (2000).

10 – لجنة مقاطعة السلع الأمريكية والإسرائيلية فى الإسكندرية : وتشكلت من قوى إسلامية وقومية ويسارية وهدفت إلى مقاطعة السلع الأمريكية

والإسرائيلية وفى مدينة الإسكندرية تحديداً وكان لها نشاط بارز ومن أعضائها (أعضاء فى البرلمان المصرى) .
هذا وقد نشطت حركة مقاومة التطبيع إلى حد إنشاء لجنة عامة لها مقرها فى (اللجنة العربية لمساندة المقاومة فى لبنان وفلسطين وتضم 11 لجنة مصرية فعالة فى هذا المجال بالإضافة لكل هذه الأنشطة صدرت عشرات الكتب والدراسات والأبحاث المقاومة للتطبيع التى يصدرها مفكرون وسياسيون مستقلون ، فضلاً عن مجلات وصحف يومية وأسبوعية مستقلة وحزبية مثل (الأسبوع – الوفد – الأهالى – العربى – القاهرة – صوت الأمة – الأحرار)،ولاحقاً جريدة "الدستور" و"المصرى اليوم"رغم أن الأخيرة صاحبها صلاح دياب الذى أثيرت حوله علامات استفهام خاصة فى مجال علاقته الاقتصادية والزراعية بالإسرائيليين منذ التسعينات وحتى ثورة يناير 2011.
* نخلص مما سبق إلى نتيجة مهمة وهى أن المقاومة للتطبيع السياسى كانت منذ البداية شعبية ، وانتهت شعبية ، وظل الموقف الرسمى هو تكريس التطبيع وتشويه وإشاعة أسباب وذرائع واهية من أجل استمراره ورغم تهافتها عند مناقشتها بالمنطق إلا أنه استمر سادراً فى غيه متبنياً لها ، ترى ماذا عن تلك الذرائع والحجج؟

***

ثانياً : المقاومة من خلال الرد على الحجج الرئيسة للمطبعين :

يمكن أن نجمل أهم وأبرز المقولات والدعاوى التي تعلل بها المطبعون خلال الـ(32 عاماً فترة دراستنا) في النقاط التالية :

أ – **ذرائع تطبيعية سافرة:**

وهي ذرائع ومبررات لا يستحي أصحابها من إعلان موقفهم من إسرائيل ، والدعوة صراحة للتطبيع ، دون خجل ، أو محاولة للتمويه والمواربة ، وأبرز ما يقولونه :

– الرغبة في السلام وإتمام التسوية.

– ضرورة إزالة الحاجز النفسي بين العرب واليهود .

– التعلل بوجود معسكر للسلام داخل الدولة الصهيونية .

– التعلل بعقد الأنظمة في مصر والأردن وفلسطين اتفاقيات اعتراف ، وصلح ، مع الدولة الصهيونية ، وانتهاء الصراع بين تلك الأنظمة والدولة الصهيونية .

– التعلل بوقوع شخصيات شهيرة في التطبيع ، كان لها تاريخ في النضال والمقاومة

– البيزنس لا وطن له ولا دين.

– العلم لا وطن له ولا دين .

(ب) . ذرائع تطبيعية تجعل التطبيع ضرورة لا فكاك منها :

وهي ذرائع من يريدون تسويغ التطبيع باعتباره ضرورة لا فكاك منها ، ومن ثم فليس على المضطر من حرج كما تقضي قواعد الاضرار ، ومما يسوقونه من مبررات من هذا المنطلق:

– التطبيع بقصد التعرف على العقل الإسرائيلي ودراسة المجتمع الإسرائيلي.

– اعتبار التطبيع اختراقا لجبهة العدو الصهيوني.

– إحراج إسرائيل أمام المجتمع الدولي .

ولتبرير مسلكهم هذا أكثر يلجؤون إلى :

– التعلل بمعاناة الشعب الفلسطيني بسبب المقاومة ورفض الاعتراف بإسرائيل .

– التعلل بضعف العرب وعجزهم عن مقاومة الدول الكبرى التي تقف خلف إسرائيل !

* تلك كانت دعاواهم وأفكارهم ، ومن واقع رصد تجربة الـ32 عاماً من التطبيع يمكن الرد عليها فى الآتى :

1 – إدعـاء الرغبـة فـي السـلام ونجـاح التسـوية والـرد عليهـا أن السـلام يكـون بتحقيـق العـدل ، واغتصـاب فلسـطين مـن أهلهـا لا يقيم عـدلاً ومـن ثـم يـرتهن إسلامها بتحريرها ثانية ، أما السلام الشامل ، فمعناه أن نضمن لإسرائيل ، أن تسالمها كل الدول العربية ، فلا تقوم دولـة منها يوما من الأيام تطالب بحق اغتصب في 1948 ، أو في 1967 ، بل اعتراف شامل كامل من كل الدول العربيـة ، وتطبيـع شـامل لا يستثنى أحدا ، يومهـا يحـق للدولـة الصـهيونية أن تطالب بإلغاء جامعة الدول العربية ، وإقامة كيان إقليمـي بـديل ، تكون عضـوا فيه ، تدافع فيه عن حقوقها المكتسبة ، أو تطالب بعضوية كاملة وشاملة في الجامعة ، بعد أن ماتت القضية ، ونسي الثأر ، بعد أن رضيت القبائل العربية بجزء من دية القتيل ، ولا عزاء لأولياء الدم القصر !!

أما " الحق" الفلسطيني فقد اختصروه في (الضفة والقطاع) دون باقي فلسطين ، وكأن الباقي حق للإسرائيليين ، لا يجوز التفكير في منازعتهم فيه، أو المطالبة بـه ، ففلسـطين هـي ميراث تـاريخي لليهود ، ويسـتحق القـوم الشـكر أن منحـوا الفلسطينيين جزءا منه يقيمون عليه دولتهم !!

ويأتي مصطلح " التسوية " ليكمل منظومة الخداع والتضليل ، فقد استعاروه من مجـال المعـاملات الماليـة والتجاريـة ، حـين يسـقط الـدائن جـزءا مـن دينـه ، أو يرضـى بمقابـل عينـي ، لتصفيةالحسـاب ، وتبرئـة ذمـة المـدين ، فكأننـا نسـقط الجزء الذي قامت عليه إسرائيل من الحق الفلسطيني ، ونرضى بالباقي لنسوي الخلاف ، وينتهي الحق في ذمة الصهاينة !!

أمـا ثمـار السـلام ، وجهـود التنميـة فهـي الأكذوبـة الكبـرى فـي تلـك السلسـلة مـن الأكاذيب ، فمصر بعد ثلاثة عقود من المعاهدة مع إسرائيل ، ومـا يقرب من سـتين مليـارا مـن الـدولارات الأمريكيـة ، مـاذا حققت ؟ .. إنهـا تسـير للخلـف ، وتـنقض كـل الانجـازات ، فهـل كـان الصـلح سـببا فـي التقدم والنهـوض ؟ وهـل تعجز الدول في حال الصراعات أن تأخذ بأسباب القوة والنهضة ؟ .

إن مصر عبد الناصر وبعد هزيمة 1967 استطاعت أن تحارب وتعد نفسها لانتصار 1973 وتنتصر ولم تكن الحرب أبداً سبباً فى ضياع الوطن أو إيقاف الهيمنة بل العكس هو ما كان بعد التطبيع .

2 – حجة : إزالة الحاجز النفسي بين العرب واليهود

وهي المقولة التي استخدمها الرئيس الراحل أنور السادات في سياق تبرير سعيه للتصالح مع الصهاينة ، رغم أن هذه المقولة تحمل كماً من المغالطات لا يحتمل السكوت عنه ، ولا تجاهله ! فهي تسلم ، ضمنا ، بحق الصهاينة في اغتصاب فلسطين العربية المسلمة ، وإقامة دولتهم الصهيونية عليها ، وتجعل السبب في امتناع العرب والمسلمين عن الاعتراف بتلك الدولة ، راجعاً للحاجز النفسي القائم بين الطرفين ، فإذا بادر أحدهما للتصالح مع الآخر ، وإقامة العلاقات الطبيعية معه ، فسيسقط ذلك الحاجز ، وينتهي العداء ، وتُحل قضية فلسطين !!

تريد هذه المقولة أن ينسى العرب أن فلسطين كانت طوال التاريخ عربية ، وأن يسلموا بحق الإسرائيليين في إقامة دولة لليهود على أرض فلسطين العربية المسلمة ، وعلى المتضرر ، وهو الطرف الفلسطيني والعربي ، أن يلجأ لإزالة الحاجز النفسي الذي يمنعه من الاعتراف بإسرائيل ، وتطبيع العلاقات معها .. وهو تزييف للوعى ولحقيقة الصراع فى فلسطين ، حاول التطبيع والمطبعون زرعه فى العقل المصرى خلال الـ32 عاماً ولم ينجحوا.

إن المشكلة في نظرية الحاجز النفسي هذه ، أنها تفترض أن كلا طرفي الصراع ، مسالم بطبعه ، راغب في السلم والتعايش ، وهذا لا ينطبق ، حتما، على الكيان الصهيوني الذي غُرس في فلسطين ليكون ذراعا للاستعمار وحارسا أمينا على مصالحه ، ولعل عشرات السنين من العدوانية الإسرائيلية ، تلت توقيع معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية ، وتوقيع اتفاقية أوسلو بين قيادة منظمة التحرير وبين الكيان الصهيوني ، تثبت أن العدوانية طبيعة أصيلة في الكيان

الإسـرائيلى ، وأن المسـألة ليسـت سـوء فهـم ، أو عـداوة نفسـية بـين العـرب والصهاينة ، بقدر ما هي حسابات ومصالح جعلت الغرب الاستعماري ينشيء تلك الدولة ، في فلسطين ، ويرعاها ، ويعمل على ضمان تفوقها على العرب ، لتظل قادرة على أداء الدور الذي أنشئت من أجله !!

<u>3 – التعلل بوجود معسكر للسلام داخل إسرائيل</u>

وهذه الذريعة من أخطر الذرائع التي يتعلل بها المطبعون ، فهم يقولون : إنهم يقيمـون علاقـات وحـوارات مـع معسـكر السـلام داخـل الدولـة الصـهيونية ، ويتعاونون معه من أجل تحقيق "السلام " بين العرب والصهاينة ، وهم بذلك يسوقون لنا صنفين من الوهم : وجود معسكر حقيقي للسلام داخل إسرائيل ، وقدرة ذلك المعسكر على تحقيق ما يسمونه السلام !!

أما عن وجود معسكر للسلام داخل الدولة الصهيونية ، فهو اسم يطلق على نخبة إسرائيلية أشد ولاء للفكرة الصهيونية ، ورغبة في بقاء الكيان الصهيوني ، من غيرهم من دعاة الحرب التوسعية في إسرائيل ، فدعاة السلام هؤلاء يدركون خطورة المقاومة العربية /الإسلامية على ذلك الكيان ، ويعلمون أنه إلى زوال مع وجود تلك المقاومة ، فيدعون لانتهاز الفرصة التاريخية ، التي جاءت بتنازل النظم العربية عن الحق في كامل فلسطين ، ورضاهم بجزء منها ، ويرون أنها صفقة لن تتكرر ولن تعود إن ذهبت : <u>إعادة جزء من فلسطين ، بشرط ضمان أمن الدولة الصهيونية</u> ، فمعسكر السلام هذا جزء من المنظومة الصهيونية العامة ، التي تتكاتف جميعها وتتآزر في وقت الأزمات ، ربما اختلفوا على أسلوب إدارة الصراع ، ولكنهم وقت الخطر الذي يتهدد وجود دولتهم يصبحون صفا واحدا ، ويدا واحدة ، لا يتذكرون إلا مصلحة "إسرائيل" !!

<u>4 – التعلل بعقد الأنظمة في مصر والأردن وفلسطين اتفاقيات اعتراف ، وصلح ، مع الدولة الصهيونية ، وانتهاء الصراع بحكم تلك الاتفاقيات:</u>

ويتفرع عنها: التعلل بسقوط شخصيات شهيرة في التطبيع ، كان لها تاريخ في النضال والمقاومة..كما يتفرع عنها مقولة: إن القانون لا يحظر التطبيع .
وتلك حجة رئيسة يتعلل بها المطبعون ، رغم ضعفها الظاهر ، فإذا كانت الحكومات والأنظمة ، صالحت إسرائيل ، وعقدت معها اتفاقيات السلام ، ووافقت على التطبيق معها ، فلماذا يلام الأفراد وتلام الشعوب – وفق ذلك المنطق – إن حذوا حذو الحكام في الصلح والتطبيع ، ولماذا نحرم على المحكومين ما استحلته الحكومات ؟
إنه منطق التبعية ، الذي يسوغ لنفسه الخطأ بقوله : لماذا أمتنع عن الخطأ وقد وقع فيه غيري ؟ ..منطق الضعف، الذي هدفه الطمع في المزايا المادية والمقابل الذي يدفع للمطبعين ، فلا بأس بتقليد الخطأ ، والاستفادة ماديا من ذلك ، ما دام صار سياسة عامة للحكم ، وقنن في اتفاقية تلتزم بها الحكومة ، وتعمل على تطبيقها !!
لا يهم إن كان التطبيع خيانة ، وموالاة لعدو لن تنقطع عداوته ، ثم إنه وفقاً للقول المأثور لأحد المفكرين الإسلاميين الكبار (الشيخ مهدى شمس الدين) : أنه إذا كانت للحكومات ضرورات فالشعوب خيارات) وخيار الشعب العربى تاريخياً فى مواجهة إسرائيل كان هو المقاومة وليس التطبيع ! .

5 – التعامل والتطبيع الاقتصادى

إن المتعاونين اقتصاديا مع إسرائيل ، المستفيدين ماليا من التعاون معها ، كأصحاب الكويز ، مثلا ، يبررون تطبيعهم بأنهم يمارسون نشاطا اقتصاديا بحتا ، وأن العمل الاقتصادي ينبغي ألا تقف أمامه الحواجز السياسية ولا الدينية ، فالبيزنس لا دين له ولا وطن ، وإذا كانت الدولة عقدت صلحا مع إسرائيل ، فلماذا لا يبادر هؤلاء للانتفاع والتجارة ، والمكسب الضخم!
من قال : إن أي نشاط إنساني ، وليس البيزنس وحده ، لا يحكم بالضوابط الدينية والوطنية ، ثم إن التعاون الاقتصادي مع الإسرائيليين لن يحقق الربح

فقط بل ستكون لـه أضراره العامـة علـى مصـر ، والخاصـة علـى القائمين بـه ، ولننظر لآثار التعاون مع إسرائيل في مجال الزراعة – على سبيل المثال والذى سنفصله لاحقاً فى الباب الثانى – لنعرف من هو مصدر التقاوي والبذور والمبيدات المسرطنة ، ولننظر إلى التعاون الاقتصادي مع الإسرائيليين في مجالات الصناعة والتجارة ، ولنتذكر كيف يسعى الموساد لتجنيد المصريين تحت ستار التعاون الاقتصادي ، وأن ضابط المخابرات الإسرائيلي صاحب قضية التجسس الشهيرة (عزام عزام) ، تسلل للبلاد تحت ستار التعاون الصناعي بين مصانع مصر ونظائرها الإسرائيلية ، وأن المتهم الرئيس في القضية عماد إسماعيل ، بدأ تجنيده في واحدة من البعثات التدريبية التي أوفدتها إحدى شركات النسيج المصرية للتدرب في إسرائيل !

إن ما يقوم به هؤلاء المطبعون من التطبيع الاقتصادي مع العدو ، هو الوسيلة الأخطر لاختراق إسرائيل للمجتمعات العربية ، فالتجارة مع العدو ، تصنع ألوانا من التواصل معه ، وتمهد للمودة والعلاقات الحميمة ، وقد قصدت إسرائيل والولايات المتحدة من خلفها صنع هذه الطبقة من رجال الأعمال المصريين والعرب التي تشتبك في مصالحها مع الاقتصاد الإسرائيلي ، لكى تكون هذه الطبقة ظهيرا ، وحليفا للدولة الصهيونية وقت الأزمات ، فمن مصلحتهم أن تبقى إسرائيل آمنة سالمة مزدهرة ، لتزدهر الأنشطة الاقتصادية التي يديرونها مع الإسرائيليين ، ومع تغلغل هذه الطبقة في ثنايا النخبة السياسية الحاكمة ، ووصولهم لأعلى المناصب السياسية والاقتصادية في البلاد ، ساعتها لن تجد إسرائيل من يناوئها ، بعد أن أصبح القرار السياسي والاقتصادي بيد شركائها الحميمين !

6 – العلم لا وطن له :

وهي المقولة التي قالها العالم الأمريكي ، ذو الأصل المصري أحمد زويل في معرض تعليقه على من ينكرون عليه زيارته للكيان الصهيوني ، وإلقاء

المحاضرات بالجامعات الإسرائيلية ، فالرجل لم يجد سوى تلك الكلمة ليدفع عن نفسه تهمة التطبيع ، وهذه مقولة سرعان ما أسقطتها إسرائيل نفسها بالعدوان المستمر مستخدمة العلم والعلماء أمثال د. زويل الذى ساعدها فى تطوير أشعة تحريك الصواريخ ضد حزب الله ولبنان وقطاع غزة فى التسعينات ولاتزال مستمرة حتى اليوم (2014) .

7 . التعلل بضرورة التعرف على العقل الإسرائيلي ودراسة المجتمع الإسرائيلي :

وهذه هي ذريعة المطبعين من أهل الثقافة والإعلام ، والمبرر الذي يدافعون به عن زياراتهم للكيان الصهيوني ، ولقاءاتهم بالإسرائيليين ، وترجمتهم للأدب العبري ، ومشاركاتهم في المهرجانات والمناسبات الثقافية والفنية التي تشارك فيها إسرائيل ، أو تدعو إليها !!

والعجيب أن أمثال هؤلاء يزعمون أنهم يدافعون عن الحق الفلسطيني بهذا التطبيع ، فحديثهم مع وسائل الإعلام الإسرائيلية وظهورهم على القنوات الإسرائيلية ، إنما يأتي بغرض بيان الحق الفلسطيني ، أمام الجمهور الإسرائيلي ، ليقتنع بالتسوية وإقامة الدولة الفلسطينية !!

وزياراتهم للكيان الصهيوني ، ولقاءاتهم بالإسرائيليين تصب في صالح العرب والفلسطينيين ، فهم يتعرفون على الدولة الصهيونية وينقلون عنها صورة صحيحة للعرب ، من أصحاب القرار ، والمواطنين ، ليعرفوا عدوهم ويمكنهم التعامل معه !!

كلام منمق ، يخدع البعض فيصدقه ، وكان من الممكن أن نصدقه أيضا ، لولا عدة اعتبارات:

فمن يقومون بتلك النشاطات التطبيعية ، كلهم من الداعين للاعتراف بإسرائيل، والتعايش معها ، ولم يؤثر عن أي منهم دعوة للمقاومة ، أو استعادة الحق الفلسطيني بالقوة كما أخذ بالقوة ، أو مناصرة القضية الفلسطينية بأي شكل

يخلو من التطبيع ، أو يخلو من التسليم بحق الصهاينة المزعوم في الوجود في فلسطين .

* يقول المطبعون : إنهم يطبعون للتعرف على المجتمع الإسرائيلي ونقل تلك المعرفة لبلادهم ، ويتجاهلون في الوقت ذاته أنهم ينقلون لهم معرفة كاذبة ، موجهة ، يحاولون إقناع الشعوب عن طريقها بالتصالح مع إسرائيل ، وقبول إسرائيل في النسيج العربي والإسلامي ، وحسم الصراع لصالح الفكرة الصهيونية ، وهنا يسأل البعض من المقاومين للتطبيع : ماذا قدم أمثال أنيس منصور ، وعلي سالم ، ومكرم محمد أحمد ، ولطفي الخولي ...(وغيرهم من المطبعين الذين زاروا إسرائيل ودافعوا عن التطبيع معها) من معرفة تنفع فى الصراع مع إسرائيل؟ وهل من الضروري أن يذهب المرء للدولة الصهيونية ، ويلتقي بقادتها ورجال الإعلام والثقافة فيها لينقل لبلاده الصورة الصحيحة (إن صحت النية من الأساس) ؟..

لو كان الذهاب لإسرائيل ضروريا لتقديم المعرفة اللازمة عن إسرائيل والصهيونية ، لفعلها الدكتور عبد الوهاب المسيري ود. حامد ربيع ود. جمال حمدان وغيرهم من كبار (المفكرين والباحثين) المهتمين بالشأن الإسرائيلى وأصحاب الأعمال الموسوعية الرائدة عنه .

* وهناك أيضاً من كانوا خلال الـ32 عاماً من التطبيع يقومون بترجمة ونشر أعمال "أدبية" لمؤلفين إسرائيليين ، تحت شعار معرفة الحياة والمجتمع في الدولة الصهيونية ، وبعيدا عن الإغراءات المادية الكبيرة التي يستجيب لها هؤلاء المترجمون والناشرون ، التي تشكك في صدق نيتهم وهم يقومون بهذا العمل ، فلا بد أولا من التحفظ على وصف تلك الأعمال بـ"الأدبية" ، فالأدب في تعريفه المعياري ، هو الفن المحمل بالرسالة الانسانية الهادفة ، في إطار من المتعة ، ومحاولة الارتقاء بالنفس البشرية والسمو بها ، ولا نحسب أن إنسانا ولد مغتصبا لأرض غيره ، وشبَّ في كيان استعماري قائم على البطش

والوحشية ، كالمجتمع الصهيوني ، لا نحسب أن ينتج ذلك الإنسان أدبا إنسانيا حقيقيا ، نابعا عن تجربة أصيلة ، ونوازع إنسانية حقيقية، ومن ثم لا نعتقد أن في إسرائيل أدباء حقيقيين تستحق أعمالهم أن توصف بـ "الأدبية "! .

الأمر الثاني ، الذي يرد على مزاعم أولئك المترجمين ، يعرفه نقاد الأدب ، وعلماء النفس ، وغيرهم من المهتمين بالأدب ، وهو أن العمل الأدبي يحدث حالة من الاقتراب النفسي ، والتعاطف الوجداني مع الكاتب وأبطال قصصه ورواياته ، قد يصل للتوحد والذوبان في أحيان كثيرة ، وأن الأعمال الأدبية تترك في وجدان المتلقي بصمات لا تمحى ، وتخلف في عقله الباطن ، آثارا تبقى مع الزمن ، وتظهر بعد ذلك في سلوكياته وأفكاره ، فهل كان المقصود هو أن يقترب القارىء العربي من الكتاب الإسرائيليين ، ويتوحد مع أبطالهم، ويشاطرهم همومهم وأحلامهم ، ويحيا معهم في عالمهم ؟

* يقول أولئك الناشرون : إنهم لا يختلفون عمن يترجمون الكتب السياسية الإسرائيلية ، التي تتعلق بحروبنا معهم ، ومذكرات قادتهم ، وكتبهم التي تشرح استراتيجيتهم ، ونواياهم تجاهنا ، وأن القاريء يستفيد من تلك الأعمال السياسية ، فلماذا لا يستفيد من الترجمات الأدبية؟

ومن الواضح هنا أنهم أخطؤوا في القياس ، فالكتب السياسية والعسكرية الإسرائيلية ، مطلوبة ومفيدة للباحث العربي ، ولصانع القرار السياسي والعسكري في الدول العربية ، مع ملاحظة ضرورة قيام الناشر العربي بالتعليق على ما يراه بحاجة للتعليق في تلك الكتب والمذكرات ، وأن يكون حذرا ويقظا في تقديمها ، منبها لما يمكن أن تحتويه من دعاية للصهيونية ، أو أوهام وأباطيل !

أما العمل القصصي أو الروائي ، فأمره مختلف حتما ، لا يمكن التعليق عليه وتمييز الطيب من الخبيث فيه ، ولا يمكن تضمينه هوامش وحواشي تتعقب أحداثه بالنقد ، والتحقيق !

ولعلنا نلحظ تأثير الكتابات الأدبية ، والاجتماعية ، الإسرائيلية في حالات المشتغلين بترجمة اللغة العبرية في جامعات مصر وصحفها ، فعدد لا يستهان به منهم قد وقع في أسر وهوى ، اللغة العبرية ، واقترب نفسيا من أصحاب تلك اللغة ، وأخذ منهم في فكره وآرائه ، ولم يعد الإسرائيليون بالنسبة له ذلك العدو الذي يفترض أنه درس لغته ليأمن شره ، بل صاروا مجتمعا إنسانيا طبيعيا ، يفخر به هؤلاء ويتباهون بأنه من القلة التي تعرف لغته ، وتتحدث عنه في المنابر الثقافية والإعلامية .. والخطير هنا أن الحاجز قد ذاب بين من يتعلم لغة قوم ليأمن شرهم ، ومن يتعلم لغة قوم ليتعاطف معهم ، ويتفهم مبرراتهم ودوافعهم ، وينقلها لنا !!

* وهناك أيضاً من طالب خلال الـ32 عاماً – بل وفعل ذلك – بعرض الأفلام الإسرائيلية في مهرجانات مصر الفنية ، ودعا لفتح الباب على الفن والثقافة في إسرائيل ، من أجل معرفة أكبر وأدق بالعدو الصهيوني ، ولننظر للأعمال التي يترجمونها ، أو يطالبون بعرضها ، سنجدهم يترجمون ويعرضون أعمالا تافهة بالمعايير الفنية ومليئة بالحقد والكراهية ، وتروج للصهيونية ، وتزيف حقيقة إسرائيل ، وتقدمها في ثوب يحاول ستر طبيعتها وجرائمها ، وهو ما يؤكد خطورة التطبيع فى هذا الجانب .

8 – إحراج إسرائيل أمام المجتمع الدولي :

يؤكد المطبعون – خلال الـ32 عاماً – إنهم " يطبعون " مع الدولة الصهيونية ، ويدعون للسلام معها ، والاعتراف بها ، من أجل إحراجها أمام المجتمع الدولي ، واضطرارها لتغيير سياساتها نحو الفلسطينيين والعرب ، والالتزام بالاتفاقيات التي عقدتها مع الفلسطينيين !!

حين نخضع تلك المقولة للتحليل نجدها تقوم على ركنين ، كلاهما أوهى من الآخر ، أولهما افتراض أن إسرائيل يمكن أن تشعر بالحرج أمام المجتمع

الدولى ، والركن الآخر هو افتراض أن ذلك الحرج كفيل بإحداث تغيير في مسار القضية الفلسطينية !!

أما عن شعور إسرائيل بالحرج أمام المجتمع الدولي ، فهذا غير صحيح تاريخياً ، ولم يثبت ولو لمرة واحدة بل إن إسرائيل ذاتها قامت ونمت على أنقاض ما يسمى "الشرعية الدولية " ، ورغم أنف " القانون الدولي ، الذي لا يبيح احتلال الدول ، ولا اغتصاب أراضي الغير ، فكيف لمثل هذا الكيان الذي لا يبالي بالقرارات الدولية ، ولا بالمعاهدات الدولية إلا حين تكون في صالحه ، أن نتوقع منه أن يُحرج دولياً ، في (دير ياسين1948) لم يشعر الصهاينة بالحرج أمام المجتمع الدولي ، وفي (مذبحة بحر البقر) ، لم يشعر الإسرائيليون بالحرج ، وفي مذبحة قانا (1996) لم يشعروا بالخجل وهم يقصفون مبنى تابعا للأمم المتحدة يؤوي اللبنانيين المحتمين من القصف الإسرائيلي ، وهو ما تكرر بعد عشر سنوات في عدوان 2006 م ، وفي العدوان على غزة لم يشعر الإسرائيليون بذرة من تردد أو حرج ، وهم يقصفون مباني تابعة للأمم المتحدة في القطاع !![*] .

أما عن مسألة قدرة " المجتمع الدولي " على إجبار إسرائيل على أي شيء يؤثر في مسيرة الصراع لصالح العرب والمسلمين ، فهذا من قبيل الأوهام التي تم خلال الـ32 عاماً (فترة دراستنا للتطبيع 1979–2011) تعاطيها ، وترويجها على نطاق واسع من فئة من المثقفين والإعلاميين والسياسيين المطبعين ، فإن كان يُقصد بذلك المصطلح (المجتمع الدولي) ، مجموعة الدول الكبرى التي تتحكم في الأمم المتحدة ، والوكالات الدولية المتخصصة، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، فتلك الدول لم تقم يوما ما باتخاذ إجراء حقيقي ضد المصالح الإسرائيلية ، لأن إسرائيل هي القيم على مصالح تلك الدول في

* انظر : قائمة توثيقية كاملة بالجرائم والمذابح الإسرائيلية منذ 1936 حتى 2013 فى قسم الوثائق .

المنطقة العربية ، وأي إجراء من ذلك النوع هو في حقيقته ضد مصالح تلك الدول !!

9 – اعتبار التطبيع اختراقا لجبهة العدو الصهيوني

يرى أصحاب هذه الحجة أن التطبيع مع الصهاينة ، ودعوتهم للسلام ، يخترق الجبهة الصهيونية ، ويقسمها إلى معسكرات تختلف حول هذه القضية ، ما يعد اختراقا للجبهة الصهيونية الداخلية ، وإضعافا للرأي العام الإسرائيلي !! وهي الحجة نفسها التي يسوقها (أتباع اتفاق أوسلو) من الفلسطينيين المتداخلين مع العدو الصهيوني في المجالات السياسية والاقتصادية . يقولون : إنهم يسعون لاختراق جبهة العدو ، والحصول على خططه وأسراره لخدمة القضية الفلسطينية ، وللحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب للفلسطينيين ، فهل تحقق ذلك يا ترى؟

الواقع يقول : إن العكس هو الذي تحقق : انقسمت الجبهات الداخلية العربية على الموقف من إسرائيل ، وظهرت اتجاهات وأفكار شتى متباينة ، وانخفض السقف لدى كثير من النخبة العربية إلى المطالبة بالعودة لحدود 4 يونيو 1967 ، وعلى الصعيد الفلسطيني نجحت إسرائيل في اختراق الفصائل والمؤسسات الفلسطينية ، حتى صارت تعتمد على التناقضات الفلسطينية في الوصول لأهدافها ومخططاتها ، وبلغ الاختراق الإسرائيلي ذروته في المؤسسات الأمنية التي أقامتها السلطة الفلسطينية لاحقاً بعد اتفاق أوسلو 1993 ولاتزال مستمرة حتى يوماً هذا (2014) .

10 – التعلل بضعف العرب وعجزهم عن مقاومة الدول الكبرى التي تقف خلف إسرائيل :

وهو المبرر الذي ساقه الرئيس السادات لوقفه حرب أكتوبر 1973 ، واتجاهه للتسوية والصلح مع الصهاينة ، فالحرب مع الصهاينة هي حرب مع أمريكا ، ونحن لا نطيق الحرب مع الولايات المتحدة ، ومن ثم لا مناص من الاستسلام

والاعتراف بإسرائيل ، ومصادقتها أيضا ، وسيتكفل الحليف الأمريكي بحمايتنا ، وتقديم المعونات الاقتصادية لمصر !!

هذا هو المنطق الذي يردده المطبعون ، فالمفترض وفق هؤلاء أن يكون الخصم ضعيفا ، يمكن التغلب عليه بيسر ، وهذا غير صحيح واقعياً وتاريخياً، وهو منطق استسلامى لا يستقيم وحقائق الصراع ودواعى الحفاظ على الحقوق ، ثم من قال : إن أمريكا لا يمكن هزيمتها (ولنتأمل نموذج فيتنام) وكذلك نموذج حزب الله فى حربيه (2000 – و2006) الأمر يعتمد على الإرادة والإيمان بالحق . وهو فى الواقع ما كان ينقص المطبعين طيلة الفترة من 2009–2011 .

<u>11– اعتبار المقاومة سببا في معاناة الشعب الفلسطيني وأن التطبيع هو الحل :</u>

وهذا منطق ظاهرة الشفقة ، والتعاطف مع الفلسطينيين ، يقول أصحابه : إنهم يطبعون مع إسرائيل ، ويدعون العرب والفلسطينيين للاعتراف بها والصلح معها من باب الإشفاق على الشعب الفلسطيني ، الذي يسومه الإسرائيليون صنوف العذاب في رد فعل على العمليات التي تقوم بها المقاومة !! فالإسرائيليون لا يجدون أمامهم سوى الشعب الفلسطيني الأعزل للانتقام منه عقب تلك العمليات ، فيضيقون عليه الحصار ، ويقصفونه ، ويقتلون المدنيين العزل منه ، ويزيدون معاناته لدفعه للتخلي عن المقاومين ، وتأييد المقاومة ، ويضرب أصحاب هذا المنطق المثل بفوز حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بانتخابات السلطة التشريعية الفلسطينية في أوائل عام 2006 ، وكيف ضُرب الحصار الاقتصادي الشديد على قطاع غزة ، لتجويع الفلسطينيين ، وعقابهم على اختيارهم حماس في تلك الانتخابات !!

والحل في نظر هؤلاء هو التخلي عن نهج المقاومة ، والسير في طريق الاعتراف والتفاوض والتسوية ، وهذا منطق مردود عليه بأنه عملياً ، لن تنتهى

معاناة الفلسطينيين ما بقي الاحتلال ، ولن يرحم الإسرائيليون الفلسطينيين في حال توقفهم عن المقاومة والاستسلام ، بالعكس ، سيزداد الاسرائيليون في بطشهم وإجرامهم ، وهم يعلمون أنهم لن يلقوا أي مقاومة أو ردع ، بل إن المقاومة تجعل الصهاينة يفكرون كثيرا في اتخاذ قرارتهم التي تمس حياة الفلسطينيين خشية رد الفعل المقاوم ،وتجعل للدم الفلسطيني ثمنا ، وللمال الفلسطيني المدمر مقابلا من أرواح الإسرائيليين وأموالهم ، فمن يحمي الفلسطينيين من بطش الصهاينة حين يتخلون عن المقاومة ويستسلمون؟

ومن قال : إن شعبا تحت الاحتلال يمكن أن يحيا في راحة واستقرار ، وإن الاستسلام يمنح الشعوب الرفاهية والأمان المادي والاجتماعي ، ما هدف الاحتلال إذن ، وما الحاجة إليه إن ترك أهل البلاد التي احتلها ينعمون بحياتهم ؟ .. إنها فرضية وذريعة للتطبيع سرعان ما سقطت بفعل قواعد الصراع مع إسرائيل القائمة على العدوان والهيمنة .

***

ثالثاً: موجات التطبيع : سبل مقاومته الدائمة :

وفقاً لبحث **متميز للأستاذ / محسن عوض – وهو أحد الكتاب والباحثين المهميين الذين درسوا وقاوموا التطبيع فى تلك الفترة من تاريخ مصر** –يحمل عنوان (مقاومة التطبيع ثلاثون عاماً من المواجهة) نقتبس من جزئه الأخير بعض الرؤى المهمة عن مقاومة التطبيع ، والتى يذهب فيها إلى أنه فى خضم موجات التطبيع المتتالية الرامية إلى إخضاع بلدان المنطقة للاستسلام ، انبثقت حركة شعبية لمقاومة التطبيع والاستسلام والعنصرية الصهيونية ، وكما كانت مصر أول من استقبل هذه الأمواج ، فقد كانت الحركة الشعبية فى مصر أول من تحداها ، وكانت مهمة عسيرة ليس فقط وسط جمهور قيل له : إن كل معاناته سوف تنتهى دفعة بإحلال السلام ، ولكن أيضاً بإجراءات قمع الممانعين من نظام راهن بكل شيء على نجاح مبادرته.

انخرطت فى هذه الحركة الأحزاب السياسية والحركة النقابية والحركة الطلابية ، وانبثقت عبر الممارسة لجان شعبية متخصصة فى مناهضة التطبيع فى كل المجالات تعززت يوماً بعد يوم، ليس فقط بالإصرار والاستعداد للتضحية ، ولكن أيضاً بفضل تبدد الأوهام وحماقات إسرائيل التى حرصت على أن تظل مبادرة السادات مجرد صفقة لحل منفرد ، تعزل مصر عن الصراع وعن أمتها العربية فى آن ، وباستعلائها بتقنين مكانة لعلاقتها بمصر تفوق مكانة علاقة مصر بالبلدان العربية ، بينما تدعى لنفسها مكانة المركز للحركة اليهودية العالمية ، وبنيلها من كرامة مصر الوطنية بفرض التطبيع أثناء الاحتلال ، ووجدت هذه الحركة عمقاً شعبياً ورسمياً قوياً فى الأغلبية الساحقة للبلدان العربية ، وقد انكفأت هذه الموجة من التطبيع بمقتل السادات ، وتبنى خليفته الرئيس مبارك سياسة حذرة وضعت فى صدر أولوياتها إنهاء الاحتقان الداخلى والمقاطعة العربية لمصر ، وانتهت إلى ما سمى بالسلام البارد .

وبينما جاءت الموجة الثانية للتطبيع أعتى من الأولى ، وفى ظروف أقل ملاءمة للحركة الشعبية لمقاومة التطبيع ، بما رافقها من التباسات جراء انخراط منظمة التحرير الفلسطينية فى منظومة أوسلو ، والضغوط التى كان يتعرض لها التياران القومى والإسلامى فى أعقاب حرب الخليج الثانية ، وانخراط الجناح الجهادى من التيار الإسلامى فى أعمال عنف ضد الحكومات ، إلا أنها كانت مزودة بوعى التجربة الأولى فى مصر ، وخبرة الانتفاضة الأولى فى فلسطين ، وجشع القيادة العنصرية فى إسرائيل التى أرادت أن تحوز كل شىء بدون مقابل ، وبلغت فجاجتها مداها فى فترة حكومة نتنياهو (1996) الذى عرقل كل جهود التسوية ، وقد انكفأت هذه الموجة بدورها بثلاثة أحداث كبرى ، أولها : نجاح المقاومة الشعبية فى لبنان بقيادة حزب الله فى طرد الاحتلال الإسرائيلى من جنوب لبنان بلا سفارة ولا تجارة ، وانفجار انتفاضة الأقصى ، واندلاع

مظاهرات الاحتجاج العربية فى مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية على الشعب الفلسطينى .

أما الموجهة الثالثة للتطبيع ، التى دشنها التحالف الصهيونى الأمريكى بالدم بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، واستحدثت العديد من الآليات الجديدة تحت مقولات مكافحة الإرهاب ، ونشر الديمقراطية ، وتعزيز فرص التنمية، فتحمل دلالتين فى المواجهة الشعبية، إذ جعلت مقاومة التطبيع أكثر يسراً فى بعض جوانبها وأكثر صعوبة فى جوانب أخرى ، أكثر يسراً ؛ لأن حماقات إسرائيل واعتداءاتها المتواصلة أثبتت صدق تحليل الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية والتطبيع تجاه أهداف التحالف الصهيونى الأمريكى ، وكذا جراء بروز أثر نماذج المقاومة الشعبية فى العراق وفلسطين ولبنان وقدرتها على إفشال المشاريع الصهيونية ، أما موضع الصعوبة فيتمثل فى الآليات الجديدة التى دفع بها التحالف الأمريكى الصهيونى ، والتى خلقت حوافز جاذبة للنظم وبعض القوى الاجتماعية مثل نهج " الكويز " ، والمناطق الحرة ، وأخرى سلبية مثل آليات مكافحة الإرهاب وتوسيع نطاق الضغوط على التيار الإسلامى وتنظيماته ، وتكثيف استخدام الإجراءات والعقوبات الدولية ضد النظم والتنظيمات الممانعة.

وتشير دراسة مقاومة التطبيع – وفقاً لما ذهب إليه محسن عوض فى موضع آخر من بحثه – إلى أن العمل على المستوى القومى كان أحد الساحات المهمة ، حيث تنطلق مؤسسات الحركة الشعبية على هذا المستوى بدءاً من الاتحادات المهنية إلى المنظمات النقابية العمالية ، إلى التنظيمات الشعبية من توجه قومى ، فضلاً عن أن قيادات عدد كبير من هذه التنظيمات تنبثق بالأساس من تمثيل الحركة النقابية المهنية والعمالية والثقافية القطرية المعارضة للتطبيع على الساحات الوطنية ، فضلاً عن عامل ثالث وهو وجود التيارين

القومى والإسلامى اللذين يعارضان التطبيع فى قيادة عدد كبير من هذه التنظيمات .

ولم يقتصر نشاط الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع عبر هذه التنظيمات ، بل تأسست إلى جانبها تنظيمات شعبية على المستوى القومى .

ورغم الموقف العام الذى يجمع هذه التنظيمات فى مقاومة التطبيع فقد تنوعت نقاط التركيز لدى كل منها اتساقاً مع اهتماماته وما يمثله ، فركزت المنظمات الحقوقية على الجوانب القانونية ، وركزت اتحادات الأطباء والصيادلة على الجوانب الصحية ودعم ضحايا الاعتداءات الإسرائيلية ، واهتمت التنظيمات الحقوقية بكشف الوجه العنصرى للصهيونية ، ومقاومة التطبيع الثقافى ومجادلة المنخرطين فى أعمال التطبيع .

وفى موضع آخر من بحثه القيم يؤكد محسن عوض على أن مقاومة التطبيع شملت عناصر متعددة بدءاً من الإصدارات المختلفة من بيانات ونشرات وكتب ، إلى عقد الندوات والمؤتمرات والملفات البحثية ، إلى المسيرات والتظاهرات والاعتصامات الاحتجاجية ، وإحياء المناسبات التضامنية إلى الفتاوى الدينية وكذا اللجوء إلى المحاكم واستخدام الآليات القضائية ، وطلبات الإحاطة والاستجوابات فى المجالس النيابية ، ولم تخل أحياناً من مبادرات استخدم فيها العنف .

استقى خطاب مقاومة التطبيع عناصره من روافد عديدة ، عبرت عن التيارات الفكرية والاجتماعية الكبرى الرافضة للاستسلام والتطبيع على الساحة العربية وهى التيار القومى ، والتيار الإسلامى ، والتيار الماركسى ، والتيار الليبرالى ، فجاءت صياغته ذات طابع جبهوى، مع تبنى كل تيار عناصر إضافية تنطلق من مفهومه لطبيعة الصراع ، وتقديره لتأثيره على جمهوره ، وقدرته على التعبئة الشعبية التى يتوخاها .

كما وضح أيضاً أن خطاب مقاومة التطبيع – على المستوى العربى وبالذات مصر – لم يكن جامداً ، بل كان ديناميأ ، وتطور على نحو كبير على مدار العقود الثلاثة (موضع دراستنا 1979–2011) على نحو استوعب التطورات التى شهدها الصراع ، وطبيعة المتغيرات الدولية مثل الانفتاح الاقتصادى والعولمة ، وأتاح له ذلك توسيع قاعدة تحالفاته الاجتماعية وتنوعها .

ويبقى السؤال المهم – وفقاً لمحسن عوض – حول أثر جهود الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع والإنجازات التى حققتها، والصعوبات التى تواجهها ، والأفق المفتوح أمامها ، وخلص إلى الآتى :

* إن أهم إنجاز حققته الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع هو عزل التطبيع عن العمل الشعبى، وهو أهم مقتضياته ومحاصرته فى مجرد علاقة بين حكومات، سواء كان ذلك فى إطار السلام البارد فى مصر أو الشراكة الاستراتيجية فى الأردن .

* إن الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع جعلت من انخراط النظم العربية فى عملية التطبيع عمل شائن يستحق الإخفاء ، فعدا مجالات محدودة جاهرت فيها النظم بأعمال التطبيع ، فقد درجت على على إخفاء أنشطته ، والتلاعب فى تسمية اتفاقياتها مع إسرائيل حوله لتجنب عرضها على مجالسها النيابية وتفادى مناقشتها ، والمبالغة فى بيان آثارها الإيجابية على الدولة والمجتمع ، على نحو أضر بصدقيتها أكثر مما جمع لها التأييد .

* أما الأشخاص الطبيعيون والاعتباريون الذين انخرطوا فى التطبيع ، فقد حرصوا بدورهم على إخفاء أنشطتهم ، سواء خشية المقاطعة أو التشهير .

***

<u>وفى بحث مهم لـ(أمين اسكندر– منسق الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع فى مصر) يحمل عنوان (استراتيجية مقاومة التطبيع)</u> ، جاء فيه : إن الجهود المصرية خلال الـ32 عاماً تضافرت فى مقاومة التطبيع – كل حسب موقعه

وجهده – ولعل ذلك كان واضحاً من فعل النظام الرسمى – الذى وقع معاهدة كامب ديفيد – فى الإحساس بخطورة ما يتم من تطبيع قبل " السلام الشامل " حسب مفهومه ، وعندها تحولت استراتيجية التطبيع واتفاقياته بين المصرى والإسرائيلى إلى ورقة للضغط على الطرف الإسرائيلى عندما تشتد أزمات التفاوض ، بل تدعو القاهرة الأطراف العربية لعدم الهرولة إلى التطبيع والعمل على ربطه بتقدم مسارات التفاوض .

وكان ذلك واضحاً – أيضاً – فى الصراع حول الدور فى المنطقة بعد التسوية بين الدولة المصرية (والدولة الإسرائيلية) وقد ظهر ذلك التنافس جلياً من خلال استراتيجية وزارة الخارجية المصرية.وقبل ذلك وقبل توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية كانت الاستقالات الشهيرة من مسئولى الخارجية المصرية (السيد إسماعيل فهمى والسفير محمد رياض والسفير مراد غالب والوزير محمد إبراهيم كامل وسعد الشاذلى بالإضافة إلى التعويق الذى كان يتم من مسئولين فى جهاز الدولة المصرية على مستويات مختلفة لعملية التطبيع التى تتم على محاور عدة ، ويكفى أن نشير لموقف الوزير المهندس حسب الله الكفراوى وزير التعمير واستصلاح الأراضى أثناء فترة حكم السادات عندما طلب منه السادات إعطاء قطعة أرض لشارون وقد حكى تلك الواقعة السيد محمود المراغى فى جريدة الأهرام ، إلا أن المهندس حسب الله الكفراوى رفض ذلك وعبر طرق بيروقراطية عديدة ، ولا يفوتنا أيضاً أن نشير لمقاومة جهاز الأمن القومى المصرى لذلك التوجه التطبيعى والذى تمثل فى استقالات عدد من رجال المخابرات .

أما المحور الأهم فى مقاومة التطبيع (النموذج المصرى) هو المحور الشعبى وهو ما يعنينا فى البحث ، حيث كانت المواجهة السياسية والفكرية والنضالية والدينية – كما يذهب بحث أمين اسكندر – هى من أهم ملامح النضال ضد التطبيع فى مصر ، وقد تركزت معارضة التطبيع منذ بدء توقيع معاهدة كامب

ديفيد بل ونستطيع أن نقول منذ اتفاقية الفصل الثانية بين القوات المصرية والإسرائيلية عام 1975 والتى اختار الكاتب الأشهر محمد حسنين هيكل تقديم استقالته من الأهرام وإعلان خلافه مع السادات بسببها ، كما كانت مظاهرات الطلاب فى ذلك الوقت فى بعض من جامعات مصر موقفاً رافضاً وغاضباً إزاء تلك الاتفاقية.

وبعد أن تم توقيع معاهدة كامب ديفيد تركزت المعارضة لتلك الاتفاقية من جانب بعض الأحزاب السياسية وبالذات حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى وبعض من التيارات السياسية المحظورة مثل الناصريين والإخوان والشيوعيين ، وعدد محدود من فرسان مجلس الشعب فى ذلك الوقت وبعض من المفكرين والكتاب وكان على رأسهم الدكتور عصمت سيف الدولة ، كما كان للنقابات دور محوري وعلى رأسها نقابة المحامين والصحفيين واستطاعت تلك القوى المؤمنة عبر المؤتمرات والأحاديث فى مجلس الشعب وبعض صحف المعارضة أن تصل إلى الشعب المصرى الذى كان حسب تعبير محسن عوض فى كتابه المهم "الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية " الرأى العام المصرى الذى كان موزعاً بين " أحلام الخلاص " الذى يبشره بها الرئيس السادات وأركان مؤسسته ، والواقع السياسى الذى تنبه له هذه القوى " .

وقد أفرز هذا المناخ المعارض لتلك الاتفاقية أشكالاً ائتلافية من المستقلين وبالذات من المثقفين لمقاومة مخاطر تلك الاتفاقية والاتفاقية ذاتها مثل لجنة الدفاع عن الثقافة القومية بقيادة الدكتورة لطيفة الزيات واللجنة القومية لمناصرة شعبى فلسطين ولبنان ولجنة مناهضة الصهيونية ولجنة مقاطعة السينما الصهيونية وبعد ذلك الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل ، واللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان ، واللجنة المصرية لمقاومة التطبيع ومواجهة الصهيونية ، ولجان أخرى عديدة فى المحافظات المصرية

بالإضافة إلى النقابات العمالية والمهنية والأحزاب والروابط والجمعيات والأزهر والكنيسة (والتى سبق ذكرها فى البند أولاً فى هذا الفصل) . وخلص أمين اسكندر إلى أن استراتيجية مقاومة التطبيع فى مصر إبان الفترة 1979–2011 قد تأسست وانطلقت على عدة محاور هى :

<u>1 – القاعدة الإيمانية المنطلقة</u> من أن الشعب المصرى شعب متدين يربط بين دولة إسرائيل المغتصبة والحركة الصهيونية من قبلها وبين دور اليهود بشأن الدعوة المحمدية ودولتها وقد ساعد أيضاً على هذا الفهم وجود التيار الحركى الإسلامى ووجود دعاة ضد التسوية مع إسرائيل وضد التطبيع مثل الشيخ المحلاوى والشيخ الغزالى والشيخ القرضاوى (والذى تحولت مواقفه بعد ذلك إلى النقيض إثر ثورات الربيع العربى التى ركب بعضها الأمريكان) والشيخ كشك وجماعة رجال الأزهر وغيرهم .

كما أن دور الكنيسة المصرية وقيادة البابا شنودة الذى رفض موافقة السادات على كامب ديفيد كما رفض التطبيع عبر الحجاج المسيحيين وأصدر تعليماته الرعوية بعدم ذهاب المسيحيين إلى القدس إلا مع إخوتهم من المسلمين وبعد تحريرها – إن شاء الله – وطلب من الذى ذهب أن يقدم مغفرته وتوبته عبر صفحات الجرائد ، كل ذلك ساعد الجماعة الوطنية المقاومة للتطبيع أن تندمج بالتواصل عبر القاعدة الإيمانية تلك على محور الكنيسة والأزهر ورجال الدين من الجانبين بالجماهير الشعبية الواسعة وكان ذلك دعماً هاماً جداً لمقاومة التطبيع على أرض مصر العربية .

<u>2 – قاعدة العروبة والثقافة العربية :</u> منذ أن استهدفت كامب ديفيد عزل مصر عن جسدها العربى ، وتقنين ذلك بالمعاهدات والاتفاقات مع الطرف الإسرائيلى ، يقول أمين اسكندر : وعى المثقفون المصريون ، ووعت الطلائع السياسية من التيارات الوطنية والقومية والإسلامية أهمية ذلك التواصل التاريخى والجغرافى وأهمية الهوية والانتماء ، وجاء ذلك معبراً عنه فى المعارك الأولى

التمهيدية لتوقيع كامب ديفيد عندما دعا توفيق الحكيم لحياد مصر وأيده فى ذلك بطريقة ما ومن زاوية أخرى كل من لويس عوض ود. حسين فوزى ونفر قليل من المثقفين وكان فى مواجهتهم طيف واسع من المثقفين من بينهم رجاء النقاش وعصمت سيف الدولة ومحمد عودة وعلى مختار وغيرهم ، وحقيقة تلك المعركة غير الجديدة على الحياة المصرية فى تلك المرحلة بالذات استهداف فصل مصر عن عروبتها ، إلا أن الطرف الداعى لحياد مصر منى بهزيمة ثقيلة ولكنه لم يسكت وكان منتظراً مرحلة أخرى وضحت بأشكال متعددة فى حلف كوبنهاجن وجماعة القاهرة للسلام ، واستطاعت الطليعة السياسية المؤمنة بعروبتها أن تكشف ذلك الهدف وتدحضه وتعمل عبر الكتابات والمنتديات ولقاء التيارات السياسية تأكيد على عروبة مصر وكان للقوميين والإسلاميين وبعض القوى التقدمية العروبية دوراً هاماً فى التمسك بعروبة مصر كقاعدة للمقاومة . كذا تقديم البديل العربى للمشروع الصهيونى الأمريكى لتكوين وتشكيل نظام شرق أوسطى جديد مناقض للفكرة القومية بل ويعمل على تذويبها ، وهو ضرورة العمل والتعاون والتكامل والتكتل الاقتصادى العربى لتحقيق التنمية والخير لأمة العرب ، حيث إن مشهد استمرار التجزئة فى الوطن العربى والذى وصل إلى التهديد بالتفتيت فى بعض الأقطار العربية لا يمكن أن تتم تنمية حقيقية من خلاله فى المستقبل القريب ، ومن هنا فالنضال من أجل مستقبل أفضل للأجيال الجديدة فى الوطن العربى مرتبط ارتباطاً شرطياً بالعروبة وبالوحدة وبالتكامل والتعاون العربى ، ولعل نقطة البدء فى مثل هذا الطريق هى امتلاك القوى القومية – الإسلامية – التقدمية رؤية مستقبلية تجسد حلماً عربياً قابل للتحقيق فى مدى زمنى منظور ، كما تم من قبل بعض المفكرين وبعض الطلائع السياسية تقديم رؤى لتكامل العروبة والإسلام حتى يتم سد الفجوة الكبيرة المصطنعة التى صنعتها خبرة مواصلة بين الحكومات القومية وتيارات الإسلام السياسى فى الوطن العربى ، وهكذا – وفقاً لأمين اسكندر –

تم التأكيد على أن العرب أمة واحدة تستند إلى حضارة وقيم ولغة مشتركة تعيش فى جغرافية متلاصقة متجاورة متفاعلة ، وكان ذلك مطلوباً فى حد ذاته فى الرد على دعاوى الحياد والانفصال عن العرب واستشرافاً لمستقبل أفضل كان الحلم العربى والتكامل العربى والأمن هو مدخلنا وهكذا كانت العروبة قاعدة من قواعد مقاومة التطبيع فى مصر .

<u>3 – قاعدة النضال الديمقراطى مدخل لبناء الإنسان المقاومة :</u> وهنا يؤكد اسكندر على أن مقاومة التطبيع خلال الـ32 عاماً استلزمت ربط قضايا النضال العربى فى حزمة واحدة وإعادة ترتيبها وعدم التفريط فى إحداها ، فالذى كان سائداً عن الحكومات العربية والذى انتهى بالهزيمة لم يعد صالحاً التمسك به ، لم يعد صالحاً أن يغفر لنظام ما عدم ديمقراطيته ؛ لأنه تأكد عبر مسيرة الصراع العربى – الصهيونى أن الذى لم يربَ ديمقراطياً غير صالح لمقاومة التطبيع وغير صالح لبناء الوحدة العربية وغير صالح لبناء المستقبل مهما تحقق من نتائج فكلها مؤقتة وغير متينة وثابتة ، وكذلك تم التركيز على حتمية أن تكون التيارات السياسية ديمقراطية ، من هنا كتب علينا النضال على جبهات متعددة وعلى رأسها ومدخلنا الصحيح هو النضال من أجل ديمقراطية حقيقية تسمح بالرأى الآخر والحركة لصالحه ، كما تسمح بحق التعبير والتعدد ، كما تسمح بتداول السلطة فى الدولة والحزب والحركة السياسية ، كما تسمح بتكامل الأدوار وليس تنافرها ، ولعل هذا كان خلال فترة مبارك هو الطريق الأمثل لنزوح الجماهير إلى الشارع والاصطفاف خلف قيادات طبيعية مناضلة لرفض التطبيع ومقاومته .

<u>4 – قاعدة تقويم مسيرة العرب من 1948 حتى الآن :</u> وهذه قاعدة هامة – كما يرى اسكندر – حيث لابد منها لفرز الغث من السمين فى وطننا العربى، حيث نضع أيدينا على نقاط الضعف ونقاط القوة فى حياتنا السياسية وفى استراتيجيات مقاومة التطبيع وهو عين ما جرى خلال الـ32 عاماً من التطبيع .

***

__ وفـى بحث متميز آخر حـول سبل مقاومـة التطبيـع ، كتـب اللـواء طلعت مسلم – وهو احد المقاتلين فى حرب 1973 ومن الشخصيات المهمـة فـى مقاومـة التطبيـع اثنـاء عملـه فـى التسعينات داخل حزب العمل المصرى__** –أن وسائل مقاومة التطبيع خلال الفترة (1979–2011) انقسمت إلى ثلاث وسائل رئيسة : وسيلتان خاصة بالفرد والإنسان المصرى ومن بعده العربى وهما البحث عن المعلومات عن العدو أينما كان ، والنشر عن هذه المعلومات على أوسع نطاق وبأقل قدر من التعليق ، ونحن متأكدون أن أهلنا فى مصر وفى الوطن العربى سيقومون بدورهم ، وبدون الثقة فى أمتنا فإن الأمر كله يفقد قيمته .

الوسيلة الثالثة تتعلق بالمؤسسات ، وتعنى وفقاً للواء طلعت مسلم ضرورة أن تنتمى إلى مؤسسات شعبية بل إن بعضنا يرأس مثل هذه المؤسسات أو يمتلكها ، وهنا فإنه من خلال مركزه فى هذه المؤسسة أو تلك يمكنه أن يؤثر فيها وأن يقاوم اختراق العدو للمؤسسة بأكبر قدر ممكن ، وهنا أيضاً قد يكون من المناسب أن نشير إلى قيادة بعض المطبعين أيام مبارك لبعض المؤسسات الشعبية، وإن واجبنا هو مقاومتهم من داخل المؤسسات ما استطعنا لذلك سبيلاً ، وأن نعمل على انتزاعهم من مواقعهم الشعبية وليس مقاطعة المؤسسات الشعبية التى يتسلطون عليها حتى لا تكون تلك وسيلة (لتطفيش) الوطنيين والقوميين وبالتالى إحكام سيطرة العدو علينا .

إن المهمة الأساسية هى أن نقول للمواطن العربى فى جميع أنحاء الوطن العربى : كن على حذر هذا هو العدو ، إما بشخصه ، أو بمؤسساته أو أصدقائه أو بمنتجاته أو بنفوذه . إن هذا كفيل بتحقيق المهمة الأكبر وسيقوم المواطن بالباقى .

إن جمع المعلومات عن العدو وأماكن اختراقه وأساليبه وحجم هذا الاختراق هو الواجب الأول والأساس والذى لا يمكن أن نقاوم التطبيع بدونه ، هكذا كان الحال إبان الفترة (1979-2011) وهكذا ينبغى أن يستمر كما يقول اللواء طلعت مسلم، حيث نكون كما لو كنا نحارب أشباحاً أو طواحين الهواء، وهو فى نفس الوقت أصعب المهام ، ولكننا لحسن الحظ نجد وسائل مختلفة تساعدنا وفى بعض الأحيان دون قصد .

إن المطبعين يعلنون عن أنفسهم ويدعون إليه ، بل ويوزعون بعض المنشورات والدوريات التى تدعو إلى الاستسلام والتطويع ، وهم بذلك يؤدون لنا خدمة طيبة عن غير قصد ، لكننا نجد هذا الإعلان فى أغلب الأحيان مغلفاً بالكلمات الطيبة والنوايا الحسنة ، وبكلمات الإغراء وبالمزايا التى يمكن أن تتحقق من خلاله ، وعلينا – وفقاً للواء طلعت – أن نتكاتف فى جمع المعلومات التى يذيعونها وتحليلها وكشف خباياها وفضحها ، ولقد بُذلت جهود كثيرة وهامة فى هذا المجال إلا أنها تحتاج إلى تكملة بأن تصل إلى ذهن المواطن العادى دون عناء كبير .

لكن هناك معلومات تخفى وخاصة عن الأفراد والمؤسسات الإسرائيلية فى البلاد التى تقيم علاقات مع العدو الصهيونى ، وهنا تكون المهمة أصعب ويصبح مطلوباً أن نبحث عنها من خلال المؤسسات التى لها علاقات بذلك ، فى الفنادق وما شابهها وفى وسائل النقل التى يستخدمونها ، وهناك أيضاً الشركات والمؤسسات العربية والأجنبية التى تتعاون مع العدو والتى يصعب اكتشافها خاصة مع توقع إلغاء مكاتب المقاطعة التابعة لجامعة الدول العربية نتيجة الصراعات العربية ونتيجة التطبيع مع إسرائيل ، وهنا يصبح من الضرورى البحث عن كل من عمل فى هذه المكاتب والاستفادة من معلوماته وخبراته على المستوى الوطنى والقومى.

* وبنظرة مستقبلية يذهب اللواء طلعت مسلم إلى إن مراكز الدراسات والبحوث الخاصة وغير الحكومية ، تستطيع أن تلعب دوراً هاماً فى مقاومة التطبيع ، حيث يمكنها العمل بشكل مؤسسى لجمع وتحليل المعلومات والعمل على نشرها حيث يمكن التعاون فيما بين الجهات ذات الطابع القومى التى تسعى إلى مقاومة التطويع فى الإعلان عن النشاط المعادى الذى تجب مقاومته ، وهنا يكون دور الصحف الحزبية ذات الطابع القومى هاماً بل وحاسماً ، ويمكن إصدار نشرة خاصة بالمقاومة إلا أن النشر فى صحف أفضل ؛ حيث يطلع عليها عدد كبير لن يتوفر للنشرة الخاصة ، لكننا يجب ألا ننسى كُتَّاباً أفاضل يكتبون فى الصحف القومية ، إن تزويدهم بالمعلومات الصحيحة والدقيقة كفيل بنقل المعلومات إلى ملايين القراء وهو ما لا يتوفر للصحف الحزبية لأسباب لا تخفى على أحد .

أما فى المؤسسات – يقول اللواء طلعت وبنظرة مستقبلية أيضاً : فإننا يجب أن نكون يقظين لما حدث من تسلل إلى مؤسساتها تحت مسمى أن هؤلاء "أصدقاء السلام " أو أنهم " يدافعون عن الحقوق العربية " أو أننا يجب أن نهتم بإخواننا فى الأرض المحتلة فنزورهم ، وبذلك نساق إلى حجر العدو والفخ الذى ينصبونه لنا وعلينا أن نقاوم كل اتجاه من هذا القبيل باعتبارنا أعضاء عاديين أو باعتبارنا نحتل مركزاً قيادياً فى المؤسسة ، وهنا أشير إلى العاملين فى قطاع السياحة والطيران والنقل والبترول باعتبارهم أكثف القطاعات حالياً فى تعاملها مع العدو .

***

* لقد كانت الوسائل عديدة – كما بينا سابقاً – لمقاومة التطبيع السياسى فى الفترة (1979–2011) وتنوعت الآليات من إنشاء للجمعيات والمنظمات ، إلى تحريك للأحزاب والنقابات والجامعات المصرية إلى المواجهة الصحفية والفضائية – كما فى البند رابعاً وخامساً – إلى الفعل المسلح (سليمان خاطر –

محمود نور الدين – أيمن حسن) ، والتى خصصنا لها البند السادس الحركة الشعبية أن تعزل وتحصر التطبيع السياسى والاقتصادى والثقافى (وغيره) فى الإطار الحكومى المحدود ، وهو ما سنراه واضحاً فى المجال الإعلامى والثقافى ، أكثر حين صار من يرتكب فعل التطبيع مع إسرائيل من المثقفين والإعلاميين بمثابة من يرتكب فعلاً فاضحاً يستدعى الخجل منه ، وتدريجياً نجحت هذه الحركة الشعبية الواسعة والمتتالية الأفعال فى إسقاط التطبيع معنوياً وسياسياً رغم بقائه رسمياً وفى إطار النظام الحاكم قبل ثورة يناير 2011 وبعدها (للأسف) .

***

رابعاً : المواجهة الفكرية والصحفية (نموذج للرد على د. عبد العظيم رمضان)

ومن نماذج المقاومة الصحفية الفكرية للمطبعين مقال نشرناه فى جريدة الشعب يوم 1994/10/14 تحت عنوان " سقوط مؤرخ .. حالة عبد العظيم رمضان " جاء فيه : فى الأسابيع الخمسة الماضية شن د. عبد العظيم رمضان هجوماً على المعارضة المصرية . ونحن لن نخوض فيما ردده من اتهامات . بل سنسجل بعض الدفوع ونطالبه بأن يكون الحوار على أساس منها ، ولا داعى لجرنا إلى قضايا من قبيل (العمالة للعراق) و(استعداء نيابة أمن الدولة) و(المجلس الأعلى للصحافة) بل و(مؤسسة الرئاسة على الأحزاب المعارضة الورقية على حد وصفه) .

الدفع الأول : هل يجوز التعامل مع قتلة المسلمين ؟! : نسأل الدكتور عبد العظيم رمضان وبهدوء ، هل يقر الإسلام ، أو الأخلاق ، أو العرف أن تتعامل مع (شلومو جازيت) رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق وأهارون ياريف صاحب خط بارليف المشهور والذى تسبب فى ذبح عشرات الألوف من المصريين والعرب والمسلمين أثناء حروب ومعارك إسرائيل المختلفة !.

فأنت يا دكتور وتحديداً فى الفترة من 20 إلى 1985/1/25 وفى فندق ووترجيت بواشنطن التقيت بمجموعة من علماء النفس ورجال السياسة والاستخبارات الإسرائيلية فى مؤتمر سرى خاص يحمل عنوان (المعوقات النفسية فى المفاوضات الدولية تطبيقاً على الصراع المصرى – الإسرائيلى) وكان بصحبتك د. محمود محفوظ ود. محمد شعلان ، ود. عصام جلال ، ود.عادل صادق ، وناقشتم المدخل النفسى للنزاع الدولى ، والعوامل النفسية للمفاوضات بين مصر وإسرائيل والعلاقات المصرية الإسرائيلية ، ثم مفهوم الأمن فى المفاوضات العربية الإسلامية مستقبلاً ، ولقد صرح أحد ممثلى إسرائيل وقتها (الجنرال أهارون ياريف) بأن مداخلات د. رمضان وصحبه ، قد

أفادت المفاوض الإسرائيلى جيداً فى التعامل الإيجابى مع الفرقاء العرب خلال الثمانينيات فهل يجوز – شرعاً – أن تقدم لأعداء الوطن خدمات نفسية وسياسية وتعلمهم كيفية التفاوض مع العرب !! .

هل يجوز ؟ وهل يجوز شرعاً أن تجالس من قتل أبناء وطنك ولايزال يقتلهم بتجارة المخدرات وأمراض الاقتصاد والصحة (وتابع ذات الصحيفة التى تكتب فيها لتخبرك صفحة الحوادث بها بذات المعنى) !! .

قد تحتج علينا وتقول : إن أولى الأمر قد بدأوا بالسلام وشرعوا له ، وإننا نطيع أولى الأمر ونسير فى ركابهم ، فأرد عليك يا سيدى وبأدب الإسلام لأقول : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) والتعامل مع هؤلاء اليهود معصية للخالق ذاته .. إلا إذا كان لديك رأى آخر فى هذا النص القرآنى : (ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ثم دعنى أسأل: هل يجوز ذلك أصلاً من مؤرخ تعلم ودرس وفهم أصول الصراع العربى الإسرائيلى وطبيعته؟! .

<u>الدفع الثانى : هل يجوز شرعاً الهجوم على الشهداء ؟! :</u> استمراراً لذات المنحى فى التعامل مع الإسرائيليين ، قام الدكتور عبد العظيم رمضان ومعه نفس الصحبة السابقة ، بالإضافة إلى د. تحسين بشير ، بعقد لقاء خاص مع ستة من علماء النفس اليهود فى لوزان بسويسرا (فى نفس العام 1980) ، دار حول (الاعتداء على الانسان والقسوة عليه ثم الصلح كيف يكون فى النهاية؟) وفى العام نفسه وبعد عدة أشهر عقدت بالإسكندرية أخطر لقاءات الدكتور رمضان باليهود الصهاينة ، حيث ضم الجانب الإسرائيلى خمسة من رجال المخابرات يتقدمهم (شلومو جازيت – د. رفائيل موديس – د. جبرائيل كوهين) .. أما الجانب المصرى فكان يتقدمه د. عبد العظيم رمضان – كالعادة – ود. محمد شعلان ، ود. لطفى فطيم – ود. صلاح العقاد ود. عادل صادق ، وكان أبرز القضايا التى نوقشت : كيفية إيقاف عمليات العداء والتهور لدى الشباب

المصرى فى مقاومة اليهود ؟! ومسألة الحدود بين مصر وإسرائيل بعد جلاء الإسرائيليين عن مستعمرتى ياميت وأوفيرا .

بعد هذه المؤتمرات وطيلة الثمانينيات تكررت اللقاءات الخاصة بين د. رمضان والباحثين اليهود ، وبخاصة شيمون شامير مؤسس المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر ورجل الموساد المعروف !! والذى سنأتى إلى تفصيل دوره بعد قليل ، وكنتيجة لهذه اللقاءات كان الهجوم الشرس الذى تعرض له (سليمان خاطر) الشهيد المصرى البارز ، الذى دافع عن موقعه العسكرى ضد نساء ورجال الموساد الإسرائيلى الذين حاولوا تصوير الموقع، وتم استشهاده داخل السجن فيما بعد (وقيل : إنه شنق نفسه !!) هل كان لهجوم د. رمضان على سليمان خاطر ، ما يبرره ؟ وهل يجوز هذا عقلاً أو شرعاً؟! وهل يقبل هذا من مؤرخ أصلاً ؟ وهل كان للقاءات (ووترجيت بواشنطن – ولوزان – والإسكندرية) دورها المباشر على هذا المنحى الفكرى والسياسى للدكتور رمضان تجاه الرموز الوطنية من شهداء هذا الوطن ؟ ومن ثم فى استمرار نفس المنحى بأشكال أخرى اليوم مع صحافة وأحزاب المعارضة ؟ تساؤلات معلقة.

<u>الدفع الثالث : هل يجوز شرعاً توظيف العلم لخدمة الأعداء ؟</u> تحديداً،نسأل الدكتور رمضان، لقد ساهمت مع شيمون شامير ، رجل السياسة والمخابرات والعلم اليهودى (سفير إسرائيل السابق بمصر) فى إنشاء وازدهار المركز الأكاديمى الإسرائيلى منذ عام 1982 فهل من الأمانة العلمية ، ومن لزوم دور المؤرخ أن يتعامل مع أعداء أمته ؟! قد تحتج علينا بالقول : إن هذه (أوامر عليا) فنقول لك : نظن أن هذا غير صحيح ، لأن أصحاب الأوامر العليا هذه لديهم رجالهم داخل هذه الأماكن ولديهم أساليبهم الخاصة المعروفة، ومن ثم نعتقد أن تعاملك مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى كان بمبادرة خاصة منك ، وبترحيب من (قتلة الأنبياء) ومغتصبى القدس (وهى بالمناسبة يا دكتور بها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين : المسجد الأقصى) وعليه تنبغى

محاكمة سيادتكم ، محاكمة وطنية علنية ، وبمعايير السياسة الباردة وأيضاً بحضور زملاء لك من أساتذة التاريخ .. فهل تقبل ؟! .

فلقد تم ضبطك يا دكتور وأنت تتعامل مع كل من :

1 – شيمون شامير : مؤسس المركز الإسرائيلى (رجل مخابرات وسفير سابق وأستاذ جامعة) ونسأل هنا : بماذا نفسر تعاون مؤرخ مع (سفير) ؟!.

2 – جبرائيل واربورج : وهو رجل مخابرات ولد عام 1927 وتولى رئاسة المركز الأكاديمى الإسرائيلى عام 1984 ، وقد تم تكليفه عام 1985 من رئيس الوزراء الإسرائيلى الحالى (وكان وقتها فى موقع المسئولية الأمنية) بعمل عدة أبحاث عن كيفية تفتيت مصر عرقياً واستخدام الدور المصرى فى اختراق المجتمعات العربية المواجهة لهذا الكيان المزروع والطريف أن واربورج صار أيضاً سفيرًا لإسرائيل بالقاهرة .

3 – أشير عوفاديا : المدير الثالث للمركز الأكاديمي عام 1987 وهو رجل مخابرات يهتم بالدراسات المعمارية وبالثقافة والتاريخ المصرى ومن ثم كانت علاقات د. رمضان به قوية ووطيدة ويتردد أنهما أنتجا بعض الأبحاث المهمة .

4– يوسف جينات : تولى إدارة المركز من 1989/8/22 – 1992/10/1، وهو من أخطر مديرى هذا المركز التجسسى اليهودى فى مصر المسمى بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى . ولقد ربطته بالدكتور رمضان علاقات قوية إلى الحد الذى جعل أديباً مصرياً مغموراً – نشرت رواياته فى إسرائيل وتعاون مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى نطاق اختراق جماعات الأدباء والفنانين المصريين – يقول : إن هذا المدير هو الذى عرفنى على د. رمضان وأن المكسب الكبير الذى خرجت به من هذا المركز هو د. عبد العظيم رمضان الذى كنت أراه أسبوعياً بالمركز الأكاديمى (انظر : النشرة الداخلية للمركز

الأكاديمى الإسرائيلى العدد رقم 17 – يناير 1993) – هل بعد ذلك نسأل لماذا يحب د. رمضان الصهاينة كل هذا الحب ؟! .

5 – الخامس عمانوئيل ماركس : المدير الأخير للمركز الأكاديمى الإسرائيلى (1992–1994) ، وهو رجل مخابرات تخصص فى دراسة صحراء النقب ، وتاريخ الصراع العربى الصهيونى ، ولقد ربطته منذ أول يوم حضر فيه للقاهرة علاقات متميزة بالدكتور / رمضان وبنظرة واحدة فاحصة على ضيوف حفل المركز فى ذكرى تأسيسه العاشرة عام 1992 . والذى عقد فى قاعة ألف ليلة وليلة بفندق النيل هيلتون ليلة 2 من مايو 1992 ، سنجد د.عبدالعظيم رمضان قد توسط د. عمانوئيل ماركس وزوجته، وراح فى حديث ودى ذى شجون !! هذه واحدة أما الثانية والثالثة فهى الأبحاث المهمة التى أجراها الدكتور عبد العظيم مع عمانوئيل ماركس وزملائه بالمركز المذكور عن تاريخ مصر والمحاضرات المهمة التى حضرها بالمركز المشبوه كل أسبوع تقريباً .

* نضيف إلى هذه الأسماء أسماء علماء وأدباء إسرائيليين ، وهم بالأساس رجال مخابرات وسياسة ، فأحدهم يبدأ كصحفى أو باحث ثم نفاجأ به يعمل سفيراً أو وزيراً .. والشواهد عديدة لمن يريد ، تعرف وتعاون معهم د. عبد العظيم رمضان خلال الفترة من 1979 – 1994 نذكر منهم : إفرايم دويك – ديفيد بن سلطان – موشيه ساسون – سفراء إسرائيل بالقاهرة – ساسون سوميخ – موريس شماس – نيلى شوباك روفائيل بنكلفتيش – أفيعيزر رفيتسكى – نئيل ماك – شمعون بلاص – أموراى ستارك – عامى ألعاو – ديافرا هام – يعقوب جولد رشتاين – أسطفان – روايف – عليزا شنهار – شولاميت هارايفين – البوف هارايفين – إبراهيم حاييم وغيرهم .

* لقد كان علم ومعرفة ، وقراءات وأبحاث ، وأفكار المؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان ، فى خدمة هؤلاء الباحثين الصهاينة ، ونحن نرى أن هذا لا يجوز سواء من قبيل الأمانة العلمية لأستاذ الجامعة أم الأمانة الوطنية لرجل يتحدث

اليوم عن وطنية البعض ويطعنها فى الصميم ، ولا يجوز لمؤرخ يؤتمن على تاريخ وطنه ، وأمته !! .

* فضلاً عن هذا وذاك ، نرى ذلك لا يجوز شرعاً ، اللهم إلا إذا أفتانا أحدهم بأن تقديم العلم لمن يغتصب مقدسات المسلمين ، ويحتل أرضهم ، وتوظيف المعلومات والأفكار فى خدمته .. يصير لا غبار عليه ولا علاقة له بالجهاد فى سبيل الله؟ نأمل أن يفتنا علماء الإسلام فى هذا؟.

<u>الدفع الربع : سقطات المؤرخ هل يجوز العفو عنها ؟ :</u>

* إذا جاز أن نعرض عن الجاهلين ، ونأخذ بالعفو كما يأمرنا المولى سبحانه وتعالى " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " صدق الله العظيم ، فهل يجوز هذا مع العلماء والمؤرخين ، وذوى الشأن من أمثال الدكتور عبد العظيم رمضان ؟ .

* ولنتأمل .. بعد أن توغلنا قليلاً فى سيرته العلمية والوطنية العامة ، (وأرجو ألا أكون قد قربت من سيرته الشخصية) بعض هذه السقطات التى نزعم أنها تبعده تدريجياً عن نطاق المؤرخين الثقات :

* فى سلسلة مقالاته عن الناصريين وثورة يوليو لم يترك د. رمضان نقيصة إلا وذكرها عن جمال عبد الناصر وثورته ، وهو ما نرى أنه يتناقض مع مجمل ما قدمه فى كتابه (الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو 1952 إلى أزمة مارس 1954 !!) فبالكتاب تمجيد غير خفى ، بالثورة ورجالها !! .

* والمعلوم أن د. محمد أنيس المؤرخ المعروف – رحمه الله – كان أستاذاً للدكتور عبدالعظيم رمضان ، ولقد تعلمنا أن التلميذ يظل حافظاً لفضل أستاذه عليه ، إلا أن د. رمضان رأى غير ذلك بالنسبة لمحمد أنيس بعد أن حصل على الدكتوراه من خلاله والشاهد على ذلك هو الإهداء الخاص برسالته بعد أن صدرت فى كتاب (الطبعة الثانية) دون أن نفصل فهو عالم بالأمر .

* فى يوم 1987/9/18 ذكرت مجلة المصور القاهرية أن عبد العظيم رمضان وابنته هدى قد نشرا مذكرات سعد زغلول بأموال الهيئة المصرية لمصلحتهما الشخصية ، وأن عبدالعظيم قد نشر فى صحيفة الوفد مقدمة المذكرات التى كانت منشورة منذ شهور أصلاً ، ومع الباعة وتحدث عن اضطهاد المذكرات وصاحبها مع أن دار النشر الرسمية هى التى نشرتها .

* ويذكر أسامة عرابى فى دراسته المهمة عن عبد العظيم رمضان والمنشورة فى جريدة المحرر – باريس (مارس 1993) أن د. عبد الخالق لاشين أستاذ التاريخ قد أحصى لرمضان 36 خطأ تاريخياً فى المقدمة المذكورة لمذكرات سعد زغلول ، فى حين كان رمضان قد خصص بالمقابل 39 صفحة من المقدمة البالغ عدد صفحاتها 90 للهجوم على المؤرخين المعروفين د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ود. عبد الخالق لاشين .

* ويذكر (أسامة عرابى) أيضاً أن منهج الدكتور رمضان فى كتابه التاريخ به خطل ونقص وغرض بين ، وآية ذلك ما ذكره منبتاً عن سياقه حول دور الكمسارية فى صنع تاريخ مصر (والدكتور – وفقاً لأسامة عرابى – كان يعمل كمسارياً فى هيئة السكك الحديدية) ، وأنهم هم قادة ثورة 1919 وأصحاب اليد الطولى فى استمرار ثورة يوليو ، ثم يلقى الكلام على عواهنه وينسبه إلى (محمد محمد العقيلى) رئيس نقابة سائقى السيارات الأجرة بالقاهرة ، ليتنصل من مسئوليته إذا ما حوصر منطقه وتهرأ ويرى أن انتصار الدكتور – لدور السائقين محاولة للانتصار لوظيفته الأولى .

* العلاقات الخاصة التى ربطت د. رمضان بالمؤرخ اليهودى المعروف فاتكيوتسيس رئيس قسم العلوم السياسية والاقتصادية بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بلندن .. هذه العلاقات كانت خلف إعداد كتاب هذا المؤرخ الذى أساء فيه لجمال عبد الناصر واسمه (ناصر وجيله).

* اعتماد الدكتور عبد العظيم رمضان على الكتيبات الدعائية التى أصدرتها هيئة الاستعلامات وتضمنت اعترافات الإخوان المسلمين واعتبارها المصدر الوحيد لكتابه الذى يعتبره مرجعاً مهماً ، والمسمى (الإخوان المسلمين والتنظيم السرى) فهل هذا هو دور المؤرخ الذى يؤتمن على التاريخ ويطلب منه تقديمه بشكل علمى نقدى سليم ؟ تلك فقط بعض السقطات التى تخرج الدكتور عن زمرة المؤرخين الثقات .

* وأخيراً وليس آخراً .. إن حملات الدكتور عبد العظيم رمضان على المعارضة الوطنية فى مصر واستعداء أجهزة الأمن والرئاسة عليها ، لا تسئ إلى الدكتور فحسب ، بل إلى النظام ذاته والذى وصفه فى إحدى مقالاته الأخيرة بأنه (نظام أعمى لا يرى الحجم القزمى للمعارضة) تخيلوا .. نظام أعمى !! .

لو أن أحداً من رجالات المعارضة قد وصف النظام بهذا الوصف لتحركت فوراً أجهزة أمن الدولة ولأعدوا له (محاكمة عسكرية عاجلة) أما وأن المتحدث هو المؤرخ د. رمضان فإن الأمر يختلف .

* ولكن هل حقاً الأمر يختلف ؟! أم أن النظام لا يرى فعلاً ، وقد أصابه العمى ، ليس فقط ليرى (قزمية المعارضة) بل ووقاحة (الأصدقاء) .

* إننا وبأمانة لا نستعدى (النظام) على (رجاله) ، ولكن نذكر أن السادات فى نهايات عهده كان يستأجر جوقة من الكتاب ليتقيؤوا على صفحات صحفنا القومية " التى هى ملك لكل الشعب " مثل هذا الهراء تحديداً .. فهل يريد البعض أن يذكرنا بنهايات عهد الرئيس الراحل؟

* الله وحده ، ثم الدكتور عبد العظيم .. والنظام .. أعلم .

***

<u> بعد نشرنا للمقال السابق فى جريدة الشعب بتاريخ 1994/10/14 والذى أثار ردود فعل واسعة قام د. عبد العظيم رمضان بالرد علينا بالسباب والشتائم</u>**

فى جريدة الأهرام ومجلة " أكتوبر " ، فكان مقالنا الجديد للرد عليه وحمل عنوان " رداً على عبد العظيم رمضان .. أسقطت الأصول وتعلقت بالفروع الواهية " جاء فيه : دأب الكاتب الدكتور / عبد العظيم رمضان فى الآونة الأخيرة على استغلال المساحة المخصصة له فى جريدة الأهرام ومجلة أكتوبر فى التعرض بالسب والشتائم إلى أحزاب وصحف المعارضة ، بطريقة تثير العطف ، وليس الدهشة ، فأمثال سيادته لم يعد مثاراً لدهشة أو انبهار .

وفى مجلة (أكتوبر) العدد 939 – بتاريخ 1994/10/23 – وفى نفس الوقت صحيفة الأهرام بتاريخ (1994/10/22) طالعتنا المجلة ومعها الصحيفة بمقال طويل يحمل عنوان (الدور التحريضى لجريدة الشعب) خصنا فيه (عبدالعظيم رمضان) – كعادته – بنصيب وافر من السباب والألفاظ الجارحة التى لو علم (سليم وبشارة تقلا) مؤسسا الأهرام أنها صارت تنشر بصحيفتهما لكان قد ترددا فى إصدار الصحيفة أصلاً .

* ما علينا .. تعود للمؤرخ وترهاته الفكرية .

* جاء رد الكاتب / عبد العظيم رمضان سالف الذكر علينا ، بمناسبة مقال نشرناه بجريدة الشعب بتاريخ 1994/10/14 يحمل عنوان (سقوط مؤرخ : حالة عبد العظيم رمضان) بالسقوط العلمى كمؤرخ وكسياسى معاً ، وضمنا هذه الدفوع 39 معلومة واسماً وحقيقة وثائقية نثبت فيها رأينا ، وبعدُنا – بقدر المستطاع – عن الأمور الشخصية للكاتب – وما أكثرها – وكنا نود أن يدير معنا عبد العظيم رمضان حواره على أساس من هذه الدفوع العلمية ، إلا أنه آثر أن ينطلق كعادته – وكأنه كاتب مبتدئ – بالهجوم والسباب علينا – ولأننا نقدر مجلة أكتوبر وصحيفة الأهرام ، قبل الدكتور وبعده ، لذا رأينا احتراماً لهما أن نرد على المقال المذكور بإيجاز فيما يلى :

أولاً : الحصول على درجة الدكتوراه ليس بحاجة إلى شهادة صك من أحد ولا إلى الإصرار على ذكرها ، وكوننا حصلنا على الدكتوراه فى العلوم السياسية

مـن جامعـة القـاهرة منـذ سـنوات طويلـة مضـت ، ونكتـب منـذ 17 عامـاً فـى الصحافة ولنا ما يزيد على العشرين مؤلفاً ، رغم أن الدكتور لا يقرأ ولا يعرف ذلك ، لا يعنـى أننـا نعيب علـى الـدكتور / رمضـان أنـه قد حصـل وهـو العامل بهيئة السكك الحديدية سابقاً على الدكتوراه فى التاريخ ، ولا أنه حديث الإلمام بما يدور فى الساحة الثقافية والصحفية المصرية من أحداث وأسماء ، فالرجل كـافح حتـى وصـل إلـى مـا وصـل إليـه ، وهذا لا يعيبـه ، أو ينـتقص مـن قـدره طالما كانت نيته هى المعرفة ، ولكن ما يعيبه حقاً ، هو إصراره على أن يذكر باستمرار حكاية الدرجات العلمية له ولمخالفيه فى الرأى فى كل ما يسوده لنا من مقـالات أو أبحـاث ، إن هذا الإصـرار العجيب يجعلنـا نظـن أن سيادته لا يصدق نفسـه ، بأنـه حاصـل علـى درجـة الـدكتوراه ، أو أنـه يخشـى باسـتمرار أن يتـذكر النـاس عنـه مهنتـه الأولـى فيسـيئون تقـدير قيمتـه وعلمـه ، فـيلح علينـا بحكايات الدرجات العلمية والأمانة العلمية .. والتى تناثرت فى مقاله بدون داع أو مقتضى علمى وجيه !! .

<u>ثانيــاً :</u> مسـألة (الواقعيـة السياسـية) التـى غلـف بهـا الـدكتور / رمضـان مجمـل مقالـه وحـاول أن يصـورنا بأننـا ضـدها ، وبالتـالى ضـد النظـام الحـاكم فـى مصـر الذى يتخذها أسلوباً للعمل مـع الكيـان الصـهيونى ، ومسـألة هدنـة الرسـول مـع اليهود وغيرها من الحجج الواهية ، مردود عليها بأن ما تسميه (واقعية سياسية) نسميه نحن جبناً ، وأن هذه الواقعية المُدعاة غير معترف بها من الواقع الذى تعيشه ، بل ومن النظام ذاته ، فالواقع يثبت أن إسرائيل تتعامل بقسوة ، وبعداء مـع الأمـة العربيـة ، وهـى تمتلك اليوم (100 رأس نـووى) وتعتـدى يوميـاً علـى جنـوب لبنـان وعلـى أبنـاء الأرض المحتلـة وتسـتعد لامتصـاص الـنفط العربـى والمياه العربية وبعقل وحسابات باردة تماماً.. فهل من الواقعية السياسية تجاهل الخطر الحقيقى لهذا الكيان العدوانى ونبتذل فى دعوته للتفاوض والحوار ، وهل من حُسن الفطنـة ومـن الواقعيـة – ألا نـتعلم منـهم توزيـع الأدوار ، تفـاوض هنـا

واستعداد عسكرى وجهادى هناك ، على الأقل حتى لا نُصادر حق الأجيال القادمة فى أن تقول رأيها وتأخذ قرارها بنفسها فى قضية أرض ومقدسات مغتصبة !! أما حجة أن ليس هناك بديل فهى حجة خائبة ، لأن البدائل عديدة وجاهزة وهى فقط بحاجة إلى من ينفذها، وليس إلى من يرون أن كل النقائص فى أمتهم وأن أعداءها هم وحدهم أصحاب الكمال ، ولعل زميلك فى نفس الصفحة بالأهرام الأستاذ / سلامة أحمد سلامة يؤكد لنا ذلك فى سلسلة مقالاته وبخاصة المنشورة يوم 1994/10/23 (أى بعد مقالتك بيوم واحد) مشيراً فيها إلى سقوط مفهوم السلام وتبعثره ، وأن ما تسميه بالواقعية السياسية والهدنة مع اليهود قد أوصل أمتنا إلى حال يرثى لها .. أما البدائل فموجودة ولكنك لا تراها لأنها بحاجة إلى مجاهدين وطراز آخر من الكتاب والمؤرخين وليس باعة أوطان يا دكتور !! .

<u>**ثالثاً :**</u> ذكرنا للدكتور / رمضان 37 اسماً لرجال سياسة ومخابرات إسرائيلية تعامل سيادته معهم فى أبحاث وندوات (لا يهم كثيراً أنها علنية أو سرية) المهم أنه لم يتعامل مع أساتذة جامعة محترمين بل رجال موساد وجواسيس يعملون بالأساس ضد مصالح وطننا ، بل ونظامنا السياسى الذى يحاول أن يلصق الدكتور نفسه به بدون داع ، ومنهم شلوموجازيت وأهارون باريف – موشيه ساسون – إفرايم دوبك – يوسف جينات وغيرهم فما كان من الدكتور إلا أن انتقى اسماً واحداً منهم وهو (شيمون شامير) مؤسس المركز الأكاديمى الإسرائيلى (وهو مركز مشبوه بالمناسبة ولدينا الوثائق الدالة على ذلك وهى مرفقة ونتحدى أن ينشرها الدكتور مع هذا الرد ، ليرى الناس نوعية من يتعامل معهم) وراح يصوره لنا على أنه بطل سياسى ، وأسقط الحديث عن كل الأسماء السابقة عمداً لأنها تكشف ما يريد مُداراته عنا ، وانتقى المدعو فاتكيوتس وراح يؤكد لنا أنه مسيحى وليس يهودياً ونسى – أو تناسى عمداً – السياق الذى ورد فيه الحديث عنه من أننا ذكرنا أنه قد ألف كتاباً عن عبد الناصر ملئ بالإساءة

لمصر ولثورة يوليو أسماه (ناصر وجيله) ، فهل من باب الأمانة العلمية لكاتب يفترض أنه مؤرخ ينتقى ما يريد من الدراسات ليرد عليها كيفما يريد عزلاً وفصلاً عن السياق ؟ وهل يؤتمن مثل هذا المؤرخ فيما هو أكبر ؟ أما حكاية الاستناد إلى مصادر موثوق بها ، فأعتقد أن الدكتور رمضان هو الوحيد بين (مؤرخى) مصر الذى ليس من حقه الاحتجاج بذلك ، لأنه أكثر الكتاب المصريين المعاصرين استناداً فى أبحاثه إلى مصادر غير دقيقة ، ولعل فى كتابه عن (عصر السادات) وكتابه عن الإخوان المسلمين والتنظيم السرى ما يكفى .

<u>**رابعاً :**</u> أسقط الدكتور عمدا جملة الأخطاء التاريخية التى وقع فيها وجملة التناقضات التى شابت مسيرته العلمية والسياسية والتى جعلته نموذجاً للكاتب الذى يتنقل من النقيض إلى النقيض فى أقل فترة زمنية ممكنة ، أسقط ذلك ولم يرد عليه ، فمثلاً أشرنا إلى أنه فى كتابه (الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو 1952 حتى أزمة مارس 1954) قام بتمجيد ثورة يوليو وأهال التراب على خصومها ، وإذا به هذه الأيام يعتبرها (انقلاباً) وبها من السوءات ما لا يحصى أو يعد !! وأنها سبب الهزائم ، وأن عبد الناصر ديكتاتور والسادات (شهيد) !! .

* وأسقط الدكتور إشاراتنا لعدم الوفاء تجاه أستاذه د / محمد أنيس وقيامه بحذف إهداء كتابه عن (الحركة الوطنية فى مصر) من الطبعة الثانية ، مع الإشادة بالمقابل برئيس حزب الوفد دون داع !!) وفى كل مناسبة !! .

* وأسقط الدكتور قولنا : إنه قد ورد فى مقدمته لمذكرات سعد زغلول 36 خطأ علمياً ، أوردها د. عبد الخالق لاشين ، وأنها كانت كفيلة بفصله من الجامعة لو أنه كان وقتها باحثاً أو أستاذاً بها .. أسقط ذلك ولم يرد !! .

* وأسقط الدكتور تحذيرنا للعقلاء فى هذه الأمة من أن المفردات والمناهج التى يتناول بها سيادته المعارضين للنظام هى ذاتها التى كانت سائدة قبل اغتيال

السادات وأن ذلك نذير شؤم ، على النظام السياسى أن ينتبه إليه قبل فوات الأوان ، ولكن سيادته لم يرد أو يوضح وتهرب كعادته !! .

* وأسقط الدكتور الحجج الدامغة على أن ما قام به سليمان خاطر كان دفاعاً مجيداً عن تراب الوطن – الذى نحبه جميعاً وليس الدكتور فقط – ولعل أبرزها أن التبة التى كان يقع عليها موقع (سليمان خاطر) ويدافع عنها تبعد عن سطح البحر 700 متر فهل جاء اليهود للاستحمام من على ارتفاع 700 متر ، أم أنهم جاءوا لأسباب أخرى غير خافية عن أحد ؟ وإذا كنت تلومنا على عدم الدقة العلمية وأننا ندافع عن سليمان خاطر بحماس وعدم معرفة، فهل قرأت أقوال الجندى وحيثيات الحكم بدقة لتعلم أنه أطلق (طلقات تحذير) عليهم ولكنهم لم يرتدعوا وجلسوا يصورون الموقع العسكرى ؟ وأين ذهبت الكاميرا التى صوروا بها هذا الموقع وغيره ؟ ثم لنعود إلى أوراق القضية جيداً – وأنت المؤرخ – لتعلم أن الذين كانوا بالموقع ليسوا أطفالاً ونساء أبرياء هدفهم اللهو واللعب وممارسة الحب ، بل رجال سياسة ، وإلا ما الذى جعل المستشار السياسى للسفارة الإسرائيلة يتواجد هناك ؟ لكل هذا احتسبنا سليمان خاطر عند الله من الشهداء ، حتى لو رأيت أنت غير ذلك ، و(إنا إلى ربنا لمنقلبون) .. يا دكتور !! .

* وأسقط الدكتور فى مجال رده علينا العديد من الحجج والدفوع الرئيسة وتعلق بالفروع الواهية وهى حجج وأصول شكلت معاً ؛ رأينا العلمى فى حالة الدكتور / رمضان التى قدمت لنا نموذجاً لمؤرخ جرفته حرفة السياسة فلا هو صار سياسياً ناجحاً ، ولا هو ظل مؤرخاً مُعتبراً ، وتأرجحت حياته وأفكاره فى بندول من القلق الإنسانى الفريد ، الباحث دائماً عن الدور الاجتماعى ولا يجده !! .

<u>**خامساً :**</u> لعل أطرف ما ساقه الدكتور / رمضان فى رده علينا ، أننا نحرض على (الإرهاب) وأنه فى الوقت الذى استطاعت فيه أجهزة الأمن السيطرة على (جماعات الإرهاب) ، لازال فيه هؤلاء الكتاب وتلك الأحزاب (القزمية) والتى لا

يرى النظام قوتها الحقيقية (لأنه نظام أعمى على حد وصفه) ، تحرض على الإرهاب الفكرى .

وبصراحة أنا حزين على حالة الدكتور ، وعلى مستوى خطابه السياسى ، فالرجل يربط باستمرار بين شخصه والنظام الحاكم ، وأن أى هجوم أو نقد لآرائه هو فى الوقت ذاته هجوم على النظام ، فأى استخفاف بالعقول هذا ؟ أى خلط للأوراق أسخف من هذا ، إن الإرهاب الفكرى الحقيقى هو ما يمارسه الدكتور ومن صار على نهجه من حملة المباخر ، فنظرة فاحصة على مفردات خطابه المكتوب به مقالاته الأخيرة يبرهن على ذلك ولنتأمل كلمات مثل : (العمالة – الارتزاق – الانحطاط – الانحراف – التضليل – الكذب – الأقزام – النكرات – المضللين – النظام السياسى الأعمى [يقصد نظام مبارك] الخيانة – الجهل – الدعارة .. إلخ). أليست هذه مفردات خطاب إرهاب فكرى حقيقى ، أم هى كلمات لطيفة للتسرى يطلقها (بائع بطاطا) على حد وصف الدكتور !! .

وهل من يمتلك مثل تلك المفردات يؤتمن على أية ديمقراطية راهنة أو قادمة أم أنه أحد معاول هدمها ؟ تلك المعاول التى لا يهمها إطفاء الحرائق بالحوار وتوسيع مساحات اللقاء ، بل إذكاء النار أكثر وضخها بالزيت ! .

***

* وختاماً .. ليسمح لنا رئيس تحرير الأهرام بالسؤال البسيط التالى : بصفتكم نقيباً للصحفيين وقريباً ستجرى انتخابات لمجلس النقابة – التى أتشرف بالانتساب إليها ، بماذا يمكنك أن ترد به عندما يوزع البعض عليكم وعلى كل الزملاء مقالات / عبد العظيم رمضان التى كتبها ضد نقابة الصحفيين وضد صحف المعارضة دون استثناء كمنشور انتخابى يوضح كيف كانت تدار الصحافة فى فترة نقابتكم ؟ والتى وصل فى إحداها إلى حد وصف أعضاء نقابة الصحفيين بأنهم (مأجورون وأبناء بوابين؟) نأمل أن نسمع منكم – الآن – أو حين توزع رداً شافياً ، وكان الله فى عونكم !! .

***

خامساً : المواجهات القضائية للتطبيع : نموذج لمعركة قضائية بين مقاومى (التطبيع) وأنصاره :

1 – وقائع المعركة :

إثر مقال وثائقى نشر يوم 2002/3/19 لمؤلف هذه الموسوعة (رفعت سيداحمد) ، فى صحيفة (الميدان) المستقلة بالقاهرة ، ضد الكاتب – الناشر (أمين المهدى) المشهور بالتطبيع وبالعلاقات الخاصة مع الإسرائيليين ، وبعضويته لتحالف كوبنهاجن وما يسمى (بجمعية القاهرة للتطبيع والسلام) ، قام الأخير برفع دعوى قضائية حملت (رقم 13918 لسنة 2002) ثم تم تداولها تحت رقم 2420 لسنة 2003 يتهم فيها الأول بالتحريض عليه وسبه وقذفه ، ويطالب فى دعواه – التى خلت من الإشارة (وكأنه يخجل من الأمر) من ذكر اسم المقال ومضمونه – بتوقيع أقصى العقوبة على الكاتب وعلى رئيس مجلس إدارة (الميدان) ورئيس تحريرها الكاتب الصحفى سعيد عبدالخالق وبالتعويض المادى .

* جدير بالذكر أن المقال سبب الضجة ، كان يحمل عنوان (تطبيع بالسيجار) نشر يوم 2002/3/19 ، وفيه نعلق على مناظرة تليفزيونية فى برنامج الاتجاه المعاكس بقناة الجزيرة كان أمين المهدى أحد طرفيها وفى الطرف المقابل كان الدكتور على سكر رئيس لجنة مقاومة التطبيع بالأردن ، وأشرنا فى المقال إصرار (المهدى) طيلة الحلقة على الإمساك بسيجار غير مشتعل ، وكأنه يقاوم مقاومى التطبيع به إظهاراً لفوائد التطبيع ومآثره ؛ وفند الكاتب بعد ذلك كل الحجج التى استند إليها المهدى فى مناظرته وطالبناه بالكف عن هذا (التطبيع) فى الوقت الذى يذبح فيه الفلسطينيون بأيدى من يراد التطبيع معهم (الإسرائيليين).

ولقد خسر أمين المهدى القضية فى 2003/2/22 بعد عام من التقاضى ، ولقد قام بالدفاع عنا كل من (المستشار سيد أبو زيد نيابة عن نقابة الصحفيين – أحمد نبيل الهلالى القطب اليسارى المعروف – عصام الإسلامبولى المحامى الناصرى المعروف – منتصر الزيات محامي الجماعات الإسلامية المعروف) وفيما يلى نص المقال ومذكرات الدفاع التى كتبها هؤلاء جميعاً وهم يمثلون المدارس الوطنية الثلاث (اليسار – الناصرية – الإسلام السياسى) نوردها كاملة ، لأنها تمثل إحدى المعارك المهمة فى مواجهة التطبيع خلال الفترة (1979–2011) .

أ – نص المقال :

قديماً قالوا : " إذا لم تستح فافعل ما شئت " ويبدو أن من تبقى من رجال التطبيع فى مصر ينسحب عليهم هذا المثل جيداً ، فأحدهم وهو يدعى " أمين المهدى " والمتهم قبل أيام – كما نشرت الصحف – فى قضايا " شيكات بدون رصيد ومحكوم عليه بعدة سنوات سجناً كأحكام ابتدائية ، هذا " التطبيعى " ، طل علينا وعبر شاشات قناة الجزيرة ، والتى أضع ويضع غيرى عليها عشرات من علامات الاستفهام تجاه موقفها من القضية الفلسطينية ، وكان ذلك مساء الثلاثاء 2002/3/12 .

وفى الحلقة الأخيرة من البرنامج الشهير " الاتجاه المعاكس " الذى يعده ويديره الدكتور فيصل القاسم ، بدأ السيد " المهدى " ينظر ويفلسف لمسألة " التطبيع " وكيف أن هذا اللفظ لفظ اتهامى وأن الأدق هو القول : " علاقات سلام " وأن " الفاشية العربية " – وهو لفظ محبب إلى قلبه يستخدمه – عمال على بطال – وفى كل مناظراته الخائبة – أن هذه الفاشية التى تضم جمال عبدالناصر والجماعات الإسلامية وكل من يعادى التطبيع فى سلة واحدة ؛ هى السبب فى أجواء الحرب ، وأننا كعرب دائماً لا نفعل شيئاً ، لا نحارب ولا نريد سلاماً ونقع فى منطقة وسط ، دائماً ، ونحب الصياح دون تحقيق إنجاز على الأرض

وكأن الانتفاضة الباسلة والمقاومة اللبنانية ، الآن فى نظره مجرد صياح !! ، وقال أيضاً : إن العلاقات الآن بين مصر وإسرائيل على خير ما يكون – ثم ذكر رقمين غير صحيحين تماماً مثل كل أفكاره وهو أن عدد الزيجات بين المصريين والإسرائيليات قد وصل إلى (16 ألف حالة) وأن عدد المصريين الذين يعملون داخل الكيان الصهيونى قد زاد على الـ(عشرين ألفاً) .

الطريف أنه فى كل هذه التُرهات التى أطلقها ، كان يجلس واضعاً ساقاً على ساق وفى حالة استعلاء وقرف لا أدرى ممن : هل من المشاهد أم من البرنامج ، أم من نفسه هو ؟ وكان يرتدى حلة سوداء × سوداء ويمسك بسيجار كوبى فاخر غير مشتعل ولا أدرى أيضاً ما مبرر إمساكه به طيلة الحلقة طالما هو غير مشتعل ولا يدخنه وهل ذلك من قبيل تعويض نفسى عن شعور بالنقص أم من قبيل الوجاهة غير المتوفرة فى منطقه المستعلى به على وطنه وعروبته وإسلامه ، هذا إذا افترضنا انتماءه الفعلى لهم ؟ أم أن له فى هذا " السيجار " مآرب أخرى !! .

على أية حال ..

لنا على صاحب السيجار غير المشتعل ، ومنطقه المنطفيء كسيجاره ، هذه الملاحظات نهديها له للمرة الأخيرة ، عله يفيق مما هو فيه من غثيان فكرى، لازمه للأسف فى السنوات العشر الأخيرة من حياته عندما بنى علاقات تجارية فى مجال النشر والورق مع شركات إسرائيلية اشتهرت بالتبرع بالمال لشراء الأسلحة للمستوطنين .

أولاً : التطبيع أو علاقات السلام يا سيد أمين تفترض وجود طرفين طبيعيين؛ لإقامة العلاقات بينهما ، والشواهد التاريخية والجغرافية والدينية تنفى ذلك عن الكيان الصهيونى ، بل والشواهد القادمة اليوم (طازجة يعنى) ، تؤكد أننا أمام حالة يستعصى عقلياً ومنطقياً بل ومصلحياً إقامة " علاقات طبيعية " معها وأن العلاقات الطبيعية الوحيدة معها هى علاقات المقاومة ، والمقاومة مفهوم أشمل

وأعمق من علاقات الحرب لمن يريد أن يفهم ، فلماذا تجهد نفسك وسيجارك وعقلك فيما لا طائل من ورائه ؟ أم أن كل ما تفضلت بفلسفته مجرد سقطة جاريونية طويلة المدى " نسبة إلى بار وخمارة الجاريون الذى يعد الأستاذ أمين المهدى من كبار رواده " .

<u>**ثانياً**</u> : غير صحيح بالمرة العديد من الاحصائيات التى تحدث بها صاحب السيجار المنطفيء فى كل الحلقة والتى أراد بها أن يدلل على علميته وصواب نظرته إلى مسألة السلام والتطبيع ، وعند التفحص الدقيق نكتشف مدى زيف المنطق الذى وظفه فيه ، فمثلاً عدد الزيجات بين مصريين وإسرائيليات لا تزيد على مائة حالة ، " بل إن السفير الإسرائيلى بالقاهرة قال: إنها لا تزيد على عشر حالات وذلك فى البرنامج الشهير " سرى للغاية " فى حلقته الأخيرة التى قدمها يسرى فودة فى قناة الجزيرة ، والأخطر من ذلك أن هذه الزيجات تمت بين مصريين وفلسطينيات من عرب 1948 يحملن الجنسية الإسرائيلية وليس بين مصريين وإسرائيليات يهوديات كما بدا فى حديث أمين المهدى أو كما أراد أن يزيف وعى المشاهد ويسوق مقولاته وأفكاره الخطرة . ونفس الأمر ينسحب على عدد المصريين العاملين فى داخل الكيان الصهيونى والذين لا يزيدون فى الوقت الحالى على عدة مئات "، يعنى لا يصلون إلى ألف شخص ويعملون أيضاً لدى عرب 1948 " .

إذن لمصلحة من الكذب وتزييف الحقائق والمعلومات ؟ ، أما علاقات الحكومات " من نفط وغاز وزراعة " فهى فى المحصلة الأخيرة لا تعنى علاقات سلام ، إنها ضرورات أنظمة ليس مطلوباً من الشعوب قبولها ، بل من الممكن المطالبة بتغييرها عبر النضال السياسى الشرعى ، أما السلام الحقيقى فيبنى من خلال علاقات الشعوب وهو الأمر غير القائم بالمرة خاصة بين مصر والكيان الصهيونى ؛ حيث نرى ونرصد أن حركة الشعب المصرى الرافضة للتطبيع هى التى جعلت هذا التطبيع بين مصر وإسرائيل مثلاً لا يزيد

على 10% مما كان متوقعاً ، مما يعنى أنه ضرب ما يمكن أن يسمى بـ " علاقات السلام " وصارت مجرد علاقات حكومية ضيقة وفى مجالات محددة بين وزراء مصريين بعينهم وحكومة إسرائيل .

أما باقى منهج " التطبيعى صاحب السيجار " فى الحوار وحججه فمردود عليها وهى تسقط بسهولة أمام المناقشة الهادئة والموثقة وأمام مجرد الكشف عن تناقضاتها الداخلية وهو للأسف لم يقم به الضيف المواجه له .

<u>ثالثاً :</u> رغم أننا مع حرية الرأى خاصة مع من يخالفوننا فى الرأى إلا أن الأمر مع هؤلاء ليس مجرد خلاف فى الآراء بل خلاف فى الوطن والمصلحة والدين والمستقبل ، ومن ثم فإن كافة شرفاء الأمة يأخذون على قناة الجزيرة إصرارها على استضافة أمثال هؤلاء ، وكذلك استضافة أشباههم من " المنظرين الإسرائيليين " خاصة أن أمثال السيد أمين وجماعته ممن سبق لهم الجلوس مع نتنياهو فى القاهرة وبناء علاقات " سلامية " معه، وهم أول من يرفض حرية الرأى بل ويذبحها على محراب التطبيع وهم أول من يمارسون " الفاشية " بكافة معانيها مع من يخالفونهم فى الرأى ، فضلاً عن أنهم لا يمثلون فى الواقع إلا أنفسهم ومصالحهم الضيقة ونكتشف أن (الجزيرة) وغيرها من الفضائيات العربية تتعمد أن تضع فى مواجهتهم أشخاصاً ضعاف الحجة أو لا يمتلكون القدرة على الحوار الكاشف لعورات المطبعين هؤلاء ونفاجأ بضعف مستوى المحاور ، رغم أنه يقف على أرضية الحق ورغم أن كل المتغيرات الحاصلة فى فلسطين وفى المحيط العربى لصالحه وطوابير الشهداء الكبار ، تكفى وحدها للرد على أمثال هؤلاء المتصهينين ، ولكن أسلوب توظيف المعلومة والقدرة على الرد عليهم، وكشف تلاعبهم فى الألفاظ وفى المعلومات المغلوطة ، للأسف لا يتقنها عادة الضيف الشريف والوطنى وكأن " الجزيرة وأخواتها " تقصد ذلك .

وإذا كان من كلمة نقولها للسيد أمين المهدى ورفاقه " الذين انقرضوا والحمد لله ، إما لأسباب سياسية أو أخلاقية ، هى قول الشاعر الكبير محيى الدين اللاذقانى :

والنهر ..

والنهر يعرف كل الخبايا

يعرف كيف تداس الزهور

وكيف يصير الرجال .. مطايا

* مطايا .. يا سيد أمين يا مهدى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(الميدان 2002/3/19)

***

ب – مذكرات الدفاع :

1 – المذكرة الأولى وكتبها مجتمعاً كل من (نبيل الهلالى – عصام الإسلامبولى – منتصر الزيات) :

مذكرة بدفاع

الدكتور / رفعت محمد سيد أحمد (متهم)

ضد

السيد / أمين محمد المهدى (مدعى بالحق المدنى)

فى الجنحة المباشرة رقم 2420 لسنة 2003

أولاً : الوقائع :

بطريق الادعاء المباشر حرك المدعى بالحق المدنى الجنحة الماثلة ضد المتهم وآخرين ناسباً إليهم ارتكابهم لجريمتى السب والقذف ، طالباً الحكم عليهم بأقصى العقوبة المقررة لجريمتهم مع إلزامهم بالتضامن بأن يؤدوا له مبلغ 51 جنيهاً على سبيل التعويض المؤقت على سند من القول ، أنه بتاريخ 2002/3/19 وبالعدد 1444 للسنة السابعة وبالصفحة السابعة من جريدة

(الميدان) ثم نشر مقالاً تضمن سباً وقذفاً وتحريضاً ضده – لم يذكر – اسم المقال ولا العبارات المكونة للسب والقذف فى حقه – وبموافقة وتحت إشراف المعلن إليهما الأول والثانى واسترسل فى القول دون ذكر الواقعة محل الجريمة على فرض وقوعها وانتهى إلى طلباته سالفة البيان .

***

<u>ثانياً : الدفاع :</u>

أ – الدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها بغير الطريق القانونى لتقديم الشكوى من غير المجنى عليه أو وكيله الخاص بالمخالفة لحكم المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية . تنص المادة الثالثة الفقرة الأولى من قانون الإجراءات الجنائية " لا يجوز أن ترفع الدعوى الجنائية إلا بناء على شكوى من المجنى عليه أو من وكيله الخاص إلى النيابة العامة أو إلى أحد مأمورى الضبط القضائى فى الجرائم المنصوص عليها فى المواد 187 ، 274 ، 277 ، 279 ، 292 ، 293 ، 303 ، 306 ، 307 ، 308 من قانون العقوبات " ، ولما كان الحق فى الشكوى هو حق شخص يتعلق بشخص المجنى عليه فقد رتب القانون على ذلك نتيجتين الأولى أن هذا الحق ينقضى بموت المجنى عليه ، والثانية أنه يجب أن يتقدم بها بنفسه أو بوساطة وكيل خاص ومفاد هذا أن التوكيل العام لا يجدى فى التقدم بالشكوى بل يلزم أن يكون التوكيل خاصاً ؛ لإمكان التقدم بالشكوى لكى تقبل تلك الأخيرة من الوكيل (يراجع فى هذا تفصيلاً قبول الدعوى الجنائية بين النظرية والتطبيق – رسالة دكتوراه – كلية الحقوق – جامعة القاهرة للدكتور عزت الدسوقى صـ237 وما بعدها) من المقرر أن اشتراط تقديم الشكوى من المجنى عليه أو وكيله الخاص فى الفترة المحددة بالمادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية عن الجرائم المبينة بها ومن بينها جريمة السب وهو فى حقيقته قيد وارد على حرية النيابة العامة فى استعمال الدعوى الجنائية ولا يمس حق المدعى بالحقوق المدنية فى أن يحرك

الدعوى أمام محكمة الموضوع مباشرة خلال الثلاثة أشهر التالية ليوم علمه بالجريمة ومرتكبيها (الطعن رقم 5322 لسنة 57 فى جلسة 1988/10/25) ، ومما تقدم يبين أن نص المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية لا يعد سوى قيد على حرية النيابة العامة فى استعمال الدعوى الجنائية أما ما يتعلق بحق المجنى عليه فإن له حق إقامة الدعوى المباشرة قبل المتهم ولو بدون شكوى سابقة لأنه الادعاء المباشر بمثابة شكوى ، إنما يشترط أن يتم الادعاء المباشر فى خلال المدة التى تقبل فيها الشكوى والمنصوص عليها فى المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية (الطعن رقم 2711 لسنة 59 جلسة 1991/12/27) ومفاد ذلك أن الادعاء المباشر هو بمثابة شكوى ولكن يجب أن تتوافر فيه كى تصح جميع الشروط الواجب توافرها فى الشكوى وهى مراعاة المدة المنصوص عليها وكذلك أن تقدم من المجنى عليه شخصياً أو من وكيله الخاص وفى حالة عدم الالتزام بهذين الشرطين يلحقها البطلان طبقاً لنص المادة 331 من قانون الإجراءات الجنائية والتى تنص على " يترتب البطلان على عدم مراعاة أحكام القانون المتعلقة بأى إجراء جوهرى وحيث إن القانون قد اشترط فى تقديم الشكوى شروطاً معينة لتصح وتعمل أثرها وأن عدم توافر تلك الشروط يترتب عليه البطلان وقد استقرت أحكام محكمة النقض على أن الادعاء المباشر بمثابة شكوى ، فإنه يجب أن يتوافر فيه ما يجب توافره فى الشكوى من شروط وإلا أدى عدم توافر أى من تلك الشروط أيضاً إلى البطلان وقد قضت محكمة النقض ومن حيث إنه يبين من المفردات المضمومة أن المدافع عن الطاعن ضمن مذكرة دفاعه المصرح له بتقديمها أمام محكمة تأتى درجة دفعه بعدم قبول الدعوى الجنائية لرفعها من غير ذى صفة استناداً لما تقرره المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية من عدم جواز رفع الدعوى فى جرائم السب إلا بناء على شكوى من المجنى عليه أو وكيله الخاص كما يبين من الحكم المطعون فيه أنه لم يعرض لهذا الدفع أو يرد عليه، لما كان ذلك ، وكان من

المقرر أنه إذا كانت الدعوى الجنائية قد أقيمت على المتهم ممن لا يملك رفعها وعلى خلاف ما تقضى به الفقرة الأولى من المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية ، فإن اتصال المحكمة فى هذه الحالة بالدعوى يكون معدوماً قانوناً ولا يحق لها أن تتعرض لموضوعها فإن هى فعلت كان حكمها باطلاً وما بنى عليه من إجراءات معدوم الأثر ولا تملك المحكمة الاستئنافية عند رفع الأمر إليها أن تتصدى لموضوع الدعوى وتفصل فيه بل يتعين أن يقتصر حكمها على القضاء ببطلان الحكم المستأنف وعدم قبول الدعوى ، باعتبار أن باب المحكمة مغلق دونها إلى أن تتوافر لها الشروط التى فرضها الشارع لقبولها وهو أمر من النظام العام لتعلقه بولاية المحكمة واتصاله بشرط أصيل لازم لتحريك الدعوى الجنائية ولصحة اتصال المحكمة بالواقعة وإذ كان الحكم المطعون فيه قد خلا من الرد على الدفع بعدم قبول الدعوى لتحريك ممن لا يملك رفعها وكان هذا الدفع جوهرياً لتعلقه بالنظام العام مما يوجب على المحكمة تحقيقه والرد عليه ، فإنه يكون مشوباً بالقصور الذى يبطله ويوجب نقضه والإعادة (الطعن رقم 147 لسنة 58 جلسة 1990/11/28) من جماع ما تقدم وبإنزال حكمه على الجنحة الماثلة يبين لعدالة المحكمة من خلال الإطلاع على ملف الجنحة ، أن الوكيل العام للمدعى بالحق المدنى بموجب التوكيل العام رقم 3344 لسنة 2002،توثيق الأهرام بتاريخ 2002/4/27 قد حركها قبل المتهم بالمخالفة لاشتراطات نص المادة الثالثة من قانون الإجراءات الجنائية والتى تطلب أن يكون تحريك الجنحة المباشرة والتى هى بمثابة الشكوى عن طريق المضرور شخصياً أو وكيله الخاص بما يترتب عليه البطلان ويؤدى إلى عدم قبول الدعوى الجنائية والمدنية لتحريكها من غير ذى صفة وبغير الطريق الذى رسمه القانون .

ثانياً : الدفع ببطلان صحيفة الجنحة المباشرة للتجهيل :

جاءت صحيفة الجنحة المباشرة خالية من تحديد لما يعتبر جريمة فى حق المتهم حيث لم تتضمن أى عبارات توصف بأنها الركن المادى للجريمة وعليه فقد جاءت الصحيفة متجاهلة للركن المادى بما يؤدى إلى عدم توافره ، حيث إنه وكما استقر عليه الفقه والقضاء أن صحيفة الجنحة المباشرة هى بمثابة شكوى ، وأن هناك شروطاً تطلبها القانون فى الشكوى هى أن العبارات المتضمنة الألفاظ التى تعتبر سباً وقذفاً بالإضافة إلى تقديمها فى خلال معين وهو ثلاثة أشهر من تاريخ وقوع الجريمة وعليه فإن الجنحة الماثلة إذ لم تتضمن عبارات السب والقذف المدعاة فإن هذا يؤدى إلى تجهيلها ولا يغنى عن ذلك التصحيح ولو بتقديم مذكرة لبيان تلك العبارات بعد ذلك طالما قد مضت مدة الثلاثة أشهر المتطلبة لتقديم الشكوى خلالهما متضمنة جميع شرائطها وعلى ذلك فقد استقر قضاء النقض على أن تحريك الدعوى الجنائية بوساطة الادعاء المباشر بمثابة شكوى من المجنى عليه ، لأنه يهدف إلى محاكمة المتهم جنائياً وهو نفس ما تهدف إليه الشكوى إلى النيابة أو إلى أحد مأمورى الضبط القضائى فيلزم فيه كل ما يلزم فى الشكوى من شروط (نقض 1956/2/6 المحاماة س 37 ص392) وعليه فإن عدم تحديد المدعى بالحق المدنى للعبارات التى اعتبرها سباً وقذفاً فى حقه على وجه التحديد قد أدى إلى تجهيل الصحيفة بما يؤدى بنا إلى عدم قبول الدعوى الجنائية وقد قضى ببطلان صحيفة الادعاء المباشر للتجهيل الركن المادى للجريمة ، حيث اشترطت أحكام القضاء وجوب إيراد ألفاظ السب والقذف سواء فى صحيفة الادعاء المباشر أو فى الحكم الصادر بعقوبة وعدم اكتفاء الحكم بالإحالة فى شأنها إلى صحيفة الادعاء بالحق المدنى (55/3/26-433 لسنة 24 نقض).

ثالثاً : الدفع بانتفاء التهمة كلية فى حق المتهم :

بالنظر إلى صحيفة الجنحة المباشرة الماثلة نجد أنها لم تتضمن أى عبارات ، يمكن أن تروج تحت مسمى القذف أو السب المنسوب صدورهما من المتهم ولم

يذكر حتى اسم المقال المزعوم تضمنه هذه العبارات بل إن ما جاء بصحيفة الادعاء المباشرة إن دل على شيء ؛ فإنما يدل على أحد أمرين: إما أن يكون من سطرها لم يقرأ المقال محل الاتهام أو أن ما جاء بهذه الصحيفة لم يكن الا اجتهاداً شخصياً منه وتحميلاً لكلمات المقال ما لم تحمله أو تتضمنه من كلمات ومعان ذلك ؛ حيث إنه بالإطلاع على المقال المقدم من المدعى عليه المدنى بين أن عنوانه هو تطبيع بالسيجار ولم يتضمن هذا المقال أى سب أو قذف فى حق أى شخص وإنما كان عبارة عن تعليق على الحلقة الأخيرة من البرنامج الشهير (الاتجاه المعاكس) الذى أذيع على قناة الجزيرة مستضيفاً المدعى بالحق المدنى والدليل على ذلك أنه لو تضمن أى عبارات سب أو قذف لذكرها وكيل المدعى بالحق المدنى بصحيفة الدعوى وحيث إن الجريمة منتفية فإنه وبالتالى لا يوجد موجب للعقاب .

رابعاً : الدفع بقيام سبب من أسباب الإباحة وحق النقد السياسى المباح :

ما تضمنه المقال محل الاتهام لم يكن إلا ممارسة لحق مباح وهو حق النقد والذى كفلته نصوص المادتين 47 من الدستور والتى كفلت حق الرأى والتعبير والمادة 48 من الدستور والتى كفلت حرية الصحافة وأيضاً المادتين 206 ، 207 والتى جرى نصهما على النحو التالى " تمارس الصحافة رسالتها بحرية واستقلال فى خدمة المجتمع بمختلف وسائل التعبير تعبيراً عن اتجاهات الرأى العام وإسهاماً فى تكوينه وتوجيهه فى إطار المقومات الأساسية للمجتمع والحفاظ على الحريات والحقوق والواجبات العامة واحترام حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وذلك كله طبقاً للدستور والقانون وأيضاً ما تنص عليه قانون تنظيم الصحافة رقم 96 لسنة 1996 فى المادة الأولى التى تنص على (الصحافة سلطة شعبية تمارس المقاومات الأساسية للمجتمع وأحكام الدستور والقانون) والمادة السابعة التى تنص على (لا يجوز أن يكون الرأى الذى يصدر عن الصحفى أو المعلومات الصحيحة التى ينشرها سبباً للمساس بأمنه) كما لا يجوز إجباره على إنشاء مصادر معلوماته وذلك كله فى حدود القانون .

ولما كان فى ممارسة المتهم لحق النقد الذى يسانده فيه نص المادة 60 من قانون العقوبات عندما نص (لا تسرى أحكام قانون العقوبات على كل فعل ارتكب بنية سليمة عملاً بحق مقرر بمقتضى الشرعية) وأيضاً ما جاء بالمواد 19 ، 29 ، 30 من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والمادتين 19 ، 20 من العهد الدولى بشأن الحقوق المدنية والسياسية ، فإذا استند المتهم إلى هذه المصادر ومارس حقه كصحفى فى نقد المدعى بالحق المدنى من جهة آرائه السياسية التى لا تتفق أبداً مع كل آراء الشعب العربى على اختلاف انتماءاتهم ولم يكن هذا النقد من جانب المتهم وحده بل نقد أيضاً المدعى بالحق المدنى بجريدة الأسبوع لما سطره بمقالته التى تم نشرها بصحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية تحت عنوان " الأنظمة العربية فاشية مهزومة وخائفة وتطلب من

إسرائيل شهادة حسن سير وسلوك – الحكام العرب ظاهرة صوتية من نوع تنذر وتحذر ولن يفعلوا شيئاً – أجهزة الأمن هى التى تحرك المظاهرات المؤيدة لطالبان والمعادية لإسرائيل – القراران 191، 194 أحلام يقظة للعرب الأغبياء سيء السمعة وجاء أيضاً بجريدة العربى نقداً لنفس الأمر والذى جاء بها أن المدعى بالحق المدنى قال : "اتهم الحكام العرب بـ توتير علاقتهم بإسرائيل حفاظاً على كراسيهم – عنف الفلسطينيين هو الذى يستفز العنف الإسرائيلى – لابد من التخلص من وسطاء الموت فى غزة وبيروت " بعد كل هذا الذى يصدر للأسف عن المدعى بالحق المدنى والذى يوصف بكونه مصرياً وعربياً ، فهل يكون له حق فى أن يدعى أن المقال محل الاتهام حمل له سباً وقذفاً ؟ فنحن لا نعلم بأى وجه خرج علينا بهذه الجنحة ومقالاته هو تمثل سباً وقذفاً فى حق العرب جميعاً عندما يوصفهم بالغباء ، والمتهم أحد العرب الذين تبعا لقول المدعى بالحق المدنى – تنطبق عليهم مقولته ووصفه ونحن نعجب كل العجب أن يأتى شخص يسب ويقذف فى حق وطنه وأمته العربية وجميع العرب ويبرر كل أفعال العدو الصهيونى باعتبار أنها ردود أفعال ويصف الشهداء بأنهم وسطاء الموت ، وكل ذلك لصالح عدو الأمة العربية بطريقة واضحة ومستفزة للمشاعر العربية والشعور الوطنى ثم يثر لمجرد توجيه نقد محترم لأقواله وادعاءاته التى لا تحتمل ، ونهاية الأمر ، فإن المتهم قد مارس حقاً شرعياً ودستورياً قانونياً بما يخرجه عن نطاق التأثيم الجنائى ، وقد قضت المحكمة الدستورية العليا أنه كان منطقياً بل وأمراً محتوماً أن ينحاز الدستور إلى حرية النقاش والحوار فى كل أمر يتصل بالشئون العامة ، ولو تضمن انتقاداً حاداً للقائمين بالعمل العام ، إذ لا يجوز لأحد أن يفرض على غيره صمتاً ولو كان معززاً بالقانون ، ولأن حوار القوة إهدار لسلطان العقل ولحرية الإبداع والأمل والخيال ، وهو فى كل حال يولد هوة تحول بين المواطن والتعبير عن آرائه بما يعزز الرغبة فى قمعها ويكرس عدوان السلطة العامة المناوئة لها مما يهدر فى

النهاية أمن المواطن واستقراره (الدعوى رقم 42 لسنة 16ق دستورية والمنشور بالجريدة الرسمية العدد 23 فى 1995/6/8)، وقد أرسى القضاء المصرى العديد من المبادئ والأحكام القضائية فى هذا الشأن نقتطف منها ما يلى :

1 – أن طبيعة النظام السياسى بما تستوجبه من حق المناقشة العامة ورقابة الرأى العام على السياسيين يجعل من المستحيل حماية الاعتبار السياسى وقد اعتبرت محكمة النقض أن النقد مباح حتى لو استعمل المتهم عبارات مرة وقاسية (49/1/4 مجموعة ح2 ص738) .

2 – يقول المستشار شريف كامل فى كتابه (الجرائم الصحفية طبعة 84 ص19) : كل من يتصدى لأداء ثمة عمل أو نشاط يتصل من قريب أو بعيد بالصالح العام – وهو ما يصدق عليه وصف الشخص العام – يكون معرضاً للنقد وإسداء الرأى فى كل ما يأتيه من تصرفات أو أعمال أو آراء تتعلق بهذا العمل أو ذلك النشاط بغية الترشيد ومحاربة كل أوجه القصور والانحراف والفساد بها تحقق فى النهاية سلامة البناء الاجتماعى فى كافة الميادين والمجالات.

3 – النقد المباح يتسع حتى للعبارات القاسية وفى هذا تقول المحكمة الدستورية العليا فى حكمها الصادر فى 1995/5/20 فى الدعوى الدستورية رقم 42 لسنة 16ق الذى جاء فيه (كان منطقياً وأمراً محتوماً أن ينحاز الدستور إلى حرية النقاش والحوار فى أى أمر يتصل بالشئون العامة ولو تضمن انتقاداً حاداً للقائمين بالعمل العام) .. (انتقاد القائمين بالعمل العام – ولو كان مريراً يظل متمتعاً بالحماية التى كفلها الدستور لحرية التعبير عن الآراء) (لا شبهة فى أن المدافعين عن آرائهم ومعتقداتهم كثيراً ما يلجأون إلى المغالاة ، وأنه إذا أريد لحرية التعبير أن تتنفس فى المجال الذى لا يمكن أن نحيا بدونه فإن قدراً من التجاوز يتعين التسامح فيه ، ولا يسوغ بحال أن يكون الشطط فى بعض الآراء مستوجباً إعاقة تداولها) .

4 – من المتفق عليه فى جميع البلاد الدستورية أن الطعن فى الخصوم السياسيين بنوع عام يجوز قبوله بشكل أعم وأوسع من الطعن فى حق موظف معين بالذات ، وأن الشخص الذى يرشح نفسه للنيابة عن البلاد يتعرض عن علم لأن يرى كل أعماله هدفاً للطعن والانتقاد وأن المناقشات العمومية مهما بلغت من الشدة فى نقد أعمال وآراء الأحزاب السياسية يكون فى مصلحة الأمة التى يتسنى لها بهذه الطريقة لها رأياً صحيحاً فى الحزب الذى تثق به وتؤيده (محمد عبد الله – جرائم النشر ص289) .

5 – محكمة جنايات مصر 25/1/24 براءة د. محمد حسين هيكل باشا من تهمة القذف فى حق رئيس الوزراء وزعيم الأمة سعد زغلول باتهامه بالخيانة وممالأة الإنجليز والاتفاق سراً معهم ، على ما فيه التنازل عن كثير من حقوق مصر وقال الحكم فى أسبابه : (حيث إنه بالإطلاع على تلك المقالة تبين أن أهم ما جاء بها هو نسبة للرئيس مملاءته للانجليز والاتفاق معهم – ولا ترى محكمة فى تلك العبارة ما يمكن اعتباره ماساً بكرامة دولة رئيس الحكومة باعتباره من رجال السياسة ، المعرضة أعمالهم بحكم طبيعة وظيفتهم للنقد السياسى مادام هذا النقد لا ينال من أشخاصهم ، وحسبنا دليلا على ما ذكر ما نراه فى أغلب الأحيان من النقد المر فى الجرائم الأجنبية خاصة برجال سياستهم) .(الحكم المنشور فى كتاب التشريع السياسى فى مصر الجزء الثالث للأستاذ / عبداللطيف محمد ص40) .

5 – محكمة جنايات مصر 1947/11/4 حكمت ببراءة صحفى سب رئيس الوزراء إسماعيل صدقى (المقال الأول من المقالين المؤسس عليهما الاتهام يبدو من سياق عباراته أن المتهم ضمنه نقداً لسياسة المفاوض المصرى واستهجانه لعدم تمسكه بجميع المطالب المصرية وفى تضمينه ألفاظاً عنيفة وهذه الألفاظ لا يقصد منها السب بل هى نقد لموقف خصم سياسى إزاء سياسة

البلاد ومصلحتها العليا التى توجب أن يدلى كل برأيه فى المسائل العامة التى تمس كيان الجماهير والكاتب لا يحاسب على نظره وتقديره لموقف غيره " .

بناء عليه

يلتمس المتهم الحكم

أصلياً : عدم قبول الدعوى الجنائية لتحريكها من غير ذى صفة بالمخالفة للطريق الذى رسمه القانون .

احتياطياً : براءة المتهم من التهمة المنسوبة إليه لقيام سبباً من أسباب الإباحة وهو حق النقد السياسى ورفض الدعوى المدنية .

وكيل المتهم : المحامون (أحمد نبيل الهلالى – عصام الإسلامبولى – منتصر الزيات)

***

المذكرة الثانية : (الأستاذ/سيد أبو زيد سلمان (المستشار القانونى لنقابة الصحفيين)

مذكرة بدفاع السيد الأستاذ / جلال عارف بصفته نقيباً للصحفيين (متدخلاً انضمامياً)

للسيد الدكتور / رفعت سيد أحمد الكاتب الصحفى وعضو الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين وعضو اتحاد الصحفيين العرب (مدعى عليه)

ضد السيد / أمين محمد المهدى وصفته مدعى فى الدعوى رقم 2420 لسنة 2003 مدنى كلى شمال الجيزة والمحدد لنظرها جلسة الأحد الموافق 2004/5/9 – أمام الدائرة 8 تعويضات كلى شمال الجيزة

أولاً : الوقائع : لما كان المتهم صحفياً مقيداً بجدول نقابة الصحفيين وعضو الجمعية العمومية وعضو اتحاد الصحفيين العرب .. وكلاهما أصدرت الجمعيات العمومية لهما قراراتها .. بوقف كافة أشكال التطبيع مع الكيان الصهيونى ، وذلك بسبب اعتداءاته المستمرة على شعبنا العربى ، واحتلاله

لأجزاء كبيرة منه سواء فى الجولان أو القدس أو مزارع شبعا ، بخلاف اغتصابه لأرض فلسطين العربية .. والدور الوطنى لأى صحفى هو فضح وتعرية المطبعين والمُدعى ممن يتفاخرون بإقامة علاقات مع الكيان الصهيونى وضيف دائم على محطة الجزيرة التى يهاجم من خلالها المناضلين ضد التطبيع ، والمدعى عليه كتب مقالاً صحفياً يرد فيه على الذين يرغُبون ويدعون للتطبيع مع إسرائيل ولم يمس فيه من قريب أو بعيد شخص المدعى .. ونظراً لضعف حجج هؤلاء المُطبعين وأنصارهم ، ونحمد الله أنهم أقلية وشعبنا العربى مازال بخير .. ولم ينس أعداءه .. فأقام المدعى الجنحة رقم 13918 لسنة 2002 جنح العجوزة يتهم فيها المدعى عليه بسبه وقذفه ، ولأنها من قضايا الكيد والتكايد والإرهاب حكمت المحكمة بعدم قبول الجنحة ، وكان يجب على المُدعى أن يتوقف عن هذا النهج إلا أنه مازال متماشياً فيه مما يؤكد اللدد فى الخصومة .. وأنه اتخذ من القضاء وسيلة لترهيب خصومه من الوطنيين الشرفاء لإسكات صوتهم .. ولكن لن يحدث ذلك ، لأنهم يعبرون عن نبض ووجدان أمة كبيرة عربية وإسلامية كما أننا لدينا قضاء عادل وشامخ .

ثانياً:الدفاع:السند القانونى لتدخل نقابة الصحفيين انضمامياً للمدعى عليه :

ولما كانت المادة 53 من القانون رقم 76 لسنة 1970 بإنشاء نقابة الصحفيين تنص على (للنقيب حق التدخل بنفسه أو بمن ينيبه من أعضاء مجلس النقابة فى كل قضية تهم النقابة وله أن يتخذ صفة المدعى فى كل قضية تتعلق بأفعال تؤثر فى كرامة النقابة أو كرامة أحد أعضائها) .

والقضية الماثلة تتعلق بكرامة جموع الصحفيين وقرارات وتوصيات الجمعيات العمومية لنقابة الصحفيين واتحاد الصحفيين العرب ويتضح ذلك من الآتى :

تضمن ديباجة ميثاق الشرف الصحفى الذى أقرته الجمعية العمومية للصحفيين (نحن الصحفيين المصريين – أسرة معنية واحدة تستمد كرامتها من ارتباطها بضمير الشعب وتكتسب شرفها من ولائها للحقيقة وتمسكها بالقيم الوطنية

والأخلاقية للمجتمع المصرى) . وكذلك تقرير مجلس النقابة المقدم إلى الجمعية العمومية التى انعقدت فى مارس 2000 والمتضمن ما يلى : (كما حدد المجلس فى مناسبات عديدة موقفه الرافض لجميع أشكال التطبيع المهنى والشخصى والنقابى مع الكيان الصهيونى وتمسكه بقرارات وتوصيات اتحاد الصحفيين العرب التى حددها مكتبه الدائم فى اجتماعه الأخير بالقاهرة فى 13 أكتوبر 1999 الذى طالب النقابات والأعضاء بالالتزام بموقف الاتحاد وسياسته الواضحة ضد دعاة التطبيع ، كما طالب باتخاذ مواقف أكثر صرامة وتوقيع لفت نظر على بعض الصحفيين المطبعين الذين قاموا بزيارة إسرائيل أو وقعوا اتفاق كوبنهاجن مع الإسرائيليين) .

لذا وجب علينا التدخل انضمامياً للمدعى عليه فى كافة دفوعه خاصة انتفاء عناصر المسئولية التقصيرية سواء من خطأ أو ضرر أو علاقة مسببة .. فالمقال عبارة عن رد ودفاع عن ثوابت الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج ، وكذلك الشعوب الإسلامية على مستوى العالم ، ولم يتضمن أى عبارات سب أو قذف .. والدعوى الماثلة لا تهدف إلى حماية حق أو رد اعتداء إنما سوء استخدام الحق القضائى بهدف الإرهاب والترويج لخصوم المدعى السياسيين فأين الخطأ ؟ وفقاً لتعريف الفقه القانونى (إخلال بواجب قانونى عام) ، فالمدعى عليه لم يخل بواجب قانونى إنما قام بما يفرضه عليه القانون سواء عملاً بنص المادة 60 من قانون العقوبات التى تنص على (لا تسرى أحكام قانون العقوبات على كل فعل ارتكب بنية سليمة عملاً بحق مقرر بمقتضى الشريعة : لا عقاب على من ارتكب جريمة ألجأته إلى ارتكابها ضرورة وقاية نفسه أو غيره من خطر جسيم على النفس على وشك الوقوع به أو بغيره ولم يكن لإرادته دخل فى حلوله ولا فى قدرته منعه بطريقة أخرى) .أو المادة 166 من القانون المدنى والتى تنص على (من أحدث ضرراً وهو فى حالة دفاع شرعى عن نفسه أو ماله أو عن نفس الغير أو مال كان غير

مسئول على ألا يجاوز فى دفاعه القدر الضرورى وإلا أصبح ملزماً بتعويض تراعى فيه مقتضيات العدالة) .ويؤكد ذلك عدم وجود حكم جنائى بالإدانة ضد المدعى عليه بالرغم من لجوء المدعى للطريق الجنائى وذلك بإقامة جنحة مباشرة يطالب فيها بحبس المدعى عليه وقضى بعدم قبولها . وقد ذهبت محكمة جنايات القاهرة إلى (إذا أهاب المتهم بشباب مصر أن يعملوا كما عمل الشباب فى سنتى 1919 ، 1935 وأن تكون دماؤهم القانية الحمراء علم الجهاد والكفاح فى طول البلاد وعرضها ، فلا يكون بذلك قد حرض على ارتكاب جنايات القتل والنهب وغيرها من الجنايات المخلة بأمن الحكومة ولا حرض على عدم الانقياد للقوانين أو حسن أموراً تعد جنايات أوضح حسب القانون ، إنما هو نداء يهدف إلى حض الشباب على التمسك بحقوق البلاد وقبول أى تضحية تنالهم فى هذا السبيل (محكمة جنايات القاهرة يونيو 1947 القضية رقم 2589 لسنة 1945 الموسكى).كما أن ما تضمنه المقال ما هو إلا ممارسة لحق النقد المباح وحرية النشر والتعبير التى كفلتها المواد 47 ، 48 من الدستور وكذلك المادتين 206، 207 من الدستور وقانون سلطة الصحافة رقم 96 لسنة 1996 .

بناءً عليه

ننضم لكافة دفوع ودفاع المدى عليه وأهمها رفض الدعوى مع إلزام رافعها المصاريف ومقابل أتعاب المحاماة .

سيد أبو زيد سلمان (المستشار القانونى لنقابة الصحفيين)

المذكرة الثالثة : الأستاذ / منتصر الزيات (المحامى) :

مذكرة بدفاع للسيد الدكتور / رفعت سيد أحمد (مدعى عليه)

ضد السيد / أمين محمد المهدى (مدعى) فى الدعوى رقم 2420 لسنة 2003 مدنى كلى شمال الجيزة والمحدد لنظرها جلسة الأحد الموافق 2004/5/9 .

أولاً : الوقائع : نحيل بشأنها إلى ما جاء بصحيفة الدعوى والجنحة المنضمة منعاً من التكرار وحرصاً منا على وقت عدالة المحكمة وعلى ما تفضل ببيانه الدفاع المنضم .

الدفاع :

من عجب إذ أراد البعض فى مشارف القرن الحادى والعشرين أن ينتزع من حصيلة نضال الأمة ما حصلت عليه فى أوائل القرن التاسع عشر من حقوق فى مجال الحريات العامة والنقد البناء فقد قضت محكمة جنايات مصر فى 1947/11/4 ببراءة صحفى من سب رئيس الوزراء وكرر نفس القواعد السابقة وزاد عليها ، وكان هذا الصحفى قد نشر فى جريدة الوفد المصرى مقالاً جاء فيه عن دولة الباشا أنه أثيم وأنه مفرط فى حقوق مواطنيه متآمر مع الإنجليز مزيف لإرادة الشعب وأنه محامى مستر أتلى ومستر بيفن فقالت المحكمة بعد أن برأته :

(إن هذه الألفاظ لا يقصد منها السب بل هى نقد لموقف خصم سياسى إزاء سياسة البلاد ومصلحتها العليا التى توجب أن يدلى كل برأيه فى المسائل العامة التى تمس كيان الجماهير وأن الكاتب لا يحاسب على نظره وتقديره لموقف غيره من الرجال العموميين ، مادام هذا النقد كان للمصلحة العامة ولم يقصد منه مجرد النقد) ، وقد رفضت محكمة النقض الذى رفعته النيابة عن هذا الحكم فى 1948/6/15 طعن 18/53ق . هذه أحكام أربعينات القرن الماضى وبعد انقضاء القرن الماضى نريد أن نهدم هذا الصرح ونقلص الحريات ونحظر فى القرن الواحد والعشرين ما كان مباحاً فى النصف الأول

من القرن العشرين ، إن كانت ردة عن الديمقراطية فإن القضاء المصرى لا يمكن أن يهدم تراثه .

ومن ثمّ فالمدعى عليه يلتمس من الهيئة الموقرة القضاء برفض الدعوى لانتفاء أركانها .. حيث إنه وعملاً بنص المادة 163 من القانون المدنى والتى تحدد مسئولية الأشخاص عن أعمالهم الشخصية غير المشروعة إذ تنص على " إن أى خطأ سبب ضرراً للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض " فالمسئولية التقصيرية وفقاً لعناصره تفترض حصول خطأ ما نتج عنه وبسببه ضرر" هذه هى المبادئ القانونية الموصوفة قضاء والتى تستخلص من واقعات الدعوى المطروحة ومدى توافرها فى حق المدعى عليه من عدمه .

فالخطأ وفق التعريف المستقر عليه قانوناً هو العمل الضار غير المشروع المخالف للقانون بركنيه المادى والمعنوى ، فبالرجوع للمقال محل الدعوى لم يكن سوى ممارسة لحق مباح شرعاً وقانوناً ودستورياً فيما تواترت الأحكام القضائية بتعريفه " حق النقد " والذى أكده النص الدستورى فى مادته 47 التى تحدثت عن كفالة حق الرأى والتعبير بقولها " النقد الذاتى والنقد البناء ضمان لسلامة البناء للوطن " ومادته 48 التى كفلت حرية الصحافة وعلى هدى النصوص الدستورية سارت نصوص قانون تنظيم الصحافة رقم 96 لسنة 96 فى مادته الأولى التى تنص (الصحافة سلطة شعبية تمارس المقاومات الأساسية للمجتمع وأحكام الدستور والقانون) وكذا المادة السابعة والتى نصت على أنه (لا يجوز أن يكون الرأى الذى يصدر عن الصحفى أو المعلومات الصحيحة التى ينشرها سبباً للمساس بأمنه) .

وقد أرست محكمة بنى سويف فى 1935/1/22 مبدأ بالغ الأهمية حيث قضت بأن التظاهر السياسى قد ابتدع فى مصر لغة من النقد قد تكون فى حد ذاتها طائشة ، ولكن الناس قد ألفوها فى شئونهم السياسية ؛ فخف وخزها وتكونت لها فى الخواطر معان أرفق بالكرامة " ص685 د.محمد عبدالله فى جرائم النشر

هامش ص291 واحترم النقد مهما كانت العبارات التى استعملها المتهم مرة وقاسية (طعن 18/1728ق جلسة 1949/1/4 مج ص2 بند 92 ، وقد رأينا إبان حرب العراق الأخيرة أنه كتب معارضون لقرار الإدارة الأمريكية غزو العراق داخل الولايات المتحدة وصف بعضهم جورج بوش الرئيس الأمريكى بأنه شيطان ، وداخل المملكة المتحدة من وصف رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير بأن الرب يلعنه ولم يقدم أحد للمحاكمة ، بل إن قضاء مصر كان سباقاً فى هذا الصدد فقد برأت محكمة جنايات مصر فى 1925/1/24 الدكتور محمد حسين هيكل من تهمة قذف رئيس وزراء مصر وزعيم الأمة سعد باشا زغلول وقد اتهمه بالخيانة والممالأة للإنجليز والاتفاق سراً على ما فيه التنازل عن كثير من حقوق مصر ، وقالت المحكمة فى عبارات خطت بماء الذهب " وحيث إنه بالإطلاع على تلك المقالة تبين أن أهم ما جاء بها هو نسبة الرئيس لملاينة الإنجليز والاتفاق معهم ولا ترى المحكمة فى تلك العبارة ما يمكن اعتباره ماساً بكرامة دولة رئيس الحكومة باعتباره من رجال السياسة المعرضة أعمالهم بحكم طبيعتهم وظيفتهم للنقد السياسى مادام هذا النقد لا يتناول أشخاصهم " . كذلك قضت محكمة جنايات مصر فى 1947/11/4 ببراءة صحفى من سب رئيس الوزراء وكرر نفس القواعد السابقة وزاد عليها وكان هذا الصحفى قد نشر فى جريدة الوفد المصرى مقالاً جاء فيه عن دولة الباشا أنه ذو ماضٍ أثيم وأنه مفرط فى حقوق مواطنيه ، متآمر مع الإنجليز ، مزيف لإرادة الشعب وأنه محامى مستر أتلى ومستر بيفن فقالت المحكمة بعد أن برأته .

" إن هذه الألفاظ لا يقصد منها السب بل هى نقد لموقف خصم سياسى إزاء سياسة البلاد ومصلحتها العليا التى توجب أن يدلى كل برأيه فى المسائل العامة التى تمس كيان الجماهير وأن الكاتب لا يحاسب على نظره وتقديره لموقف غيره من الرجال العموميين مادام هذا النقد كان للمصلحة العامة ولم

يقصد منه مجرد النقد وقد رفضت محكمة النقض الطعن الذى رفعته النيابة عن هذا الحكم فى 1948/6/15 طعن 18/53ق هذه أحكام أربعينات القرن الماضى وبعد انقضاء القرن الماضى يريد البعض أن يهدم هذا الصرح ويقلص الحريات ويحظر فى القرن الواحد والعشرين ما كان مباحاً فى النصف الأول من القرن العشرين إن كانت ردة عن الديمقراطية فإن القضاء المصرى لا يمكن أن يهدم تراثه .

فالمدعى عليه كان يؤدى دوره المهنى وواجبه الوطنى عندما قام بالنقد وأبدى رأيه فى المقال المنشور بصحيفة الميدان دون أن يتعرض لشخص المدعى إنما دفاعه شرعياً عن وطنه وإعمالاً للمستقر عليه إجماعاً فى الأمة برفض التطبيع مع العدو الصهيونى المغتصب للأرض والمنتهك للعرض وإعمالاً لقرار الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين التى تواصلت مع قرار اتحاد الصحفيين العرب فى عام 1999 برفض التطبيع واتخاذ مواقف صارمة ضد بعض الصحفيين المطبعين الذين قاموا بزيارة إسرائيل أو وقعوا اتفاق كوبنهاجن مع الإسرائيليين . ومن ثم لم يصدر عن المدعى عليه ثمة خطأ يمكن أن ينسب إليه ويترتب عليه ضرر للمدعى وإذا كان قياس الضرر بنوعيه المادى والمعنوى يتحقق ببحث ما لحق المدعى من أضرار مادية يمكن بمقتضاه أن يستحق تعويضاً جابراً لهذا الضرر أو ما أصابه فى ماله أو الشرف أو الاعتبار .

وعلى هذا فقد خلت صحيفة الدعوى من تحديد لهذه الأضرار وجاءت مرسلة ومجهلة فضلاً عما أثاره الحكم الجنائى حينما قضى بعدم قبول الدعوى من تأثير فى الحقوق المدنية المدعاة للمدعى مما تعد معها محاولة المدعى طلب التعويض إثراء بغير سبب ، وإذا كان الحكم الجنائى قد انتهى إلى عدم ثبوت الاتهامات التى ادعاها المدعى أمام المحكمة الجنائية بما يكشف عن انتفاء صدور الخطأ عن المدعى عليه الثالث الذى كان يمارس حقه الوطنى والشرعى

الذى لا يعاقب عليه القانون وهو حق النقد الذى لم يتعرض لشخص المدعى وإنماء لآراءه المخالفة لإجماع الأمة .

ومن هنا نجد أن أركان المسئولية التى يجب التعويض عنها غير متوافرة فى حق المدعى عليه الثالث حيث لم يصدر عنه خطأ يسبب ضرراً للمدعى يجب التعويض عنه .

بناء عليه

فإن المدعى عليه يلتمس من الهيئة الموقرة رفض الدعوى لانتفاء أركان المسئولية التقصرية من خطأ وضرر وعلاقة سببية مع إلزام رافعها المصروفات ومقابل أتعاب المحاماة .

ج – ردود فعل على القضية : نموذج لما نشرته صحيفة الحياة لأمين المهدى والرد عليه :

فى أثناء تداول الدعوى القضائية فى المحاكم نشرت العديد من الصحف أخباراً ومقالات حولها مبينة أهميتها فى إطار المقاومة القانونية والسياسية للتطبيع ، ومن بين ما نشر ، قامت صحيفة " الحياة " فى العدد 2002/12/10 بنشر مقال لأمين المهدى تحت عنوان (أفيون .. يتدخل فى أعمال القضاء) جاء فيه : التفاتاً الى ما نشر عني فى جريدة "الحياة" في 21 تشرين الثاني / نوفمبر في صفحة 6 تحت عنوان: "معركة قضائية جديدة بين مقاومي التطبيع وأنصاره"، بتوقيع محمد صلاح، أرجو منكم نشر الرد الآتي:

أولاً، لست غريباً على "الحياة" قارئاً وكاتباً، واعتبر ان نشر الخبر / الرأي بهذه الصورة يندرج في محاولات متكررة من بعضهم في القاهرة للإساءة الى علاقتي بالجريدة، لأسباب معروفة. وعليه فالرد محدد بالمسؤول عن الموضوع، خصوصاً، وفي مكتب القاهرة عموماً.

ثانيـاً، لـيس غريبـاً، والحـال كـذلك، ان تكـرر تلـك السـطور بعـض المغالطـات، ومنها أنني عضو في تحالف كوبنهاجن. ومعروف، بجلاء ومنذ خمس سنوات، أن ذلك غير صحيح.

ثالثـاً، صياغة الموضـوع جعلتـه مساندة واضـحة لـدعوى سـب وقذف وتحـريض متداولة أمام القضاء منذ شهور أي ليست جديدة بحال، ومساندة جريدة خرجت علـى القـانون بـرفض نشـر الـرد علـى المقـال السـبابي. وهكـذا أصـبح الموضـوع محاولة ساذجة لتسييس قضايا جنائية بفرض تضييع الحقوق، والتدخل والتأثير في أعمال القضاء، وهو ما يعاقب عليه القانون. ومن المؤسف ان ما لم تقبل جريدة مصرية واحدة نشره، نشر بسـهولة مقلقـة علـى صـفحات "الحيـاة"، ولـيس منها.

رابعاً، الفبركة السياسية للموضـوع يعنـي، فـي جانـب منـه، محاولـة تمصـير النشـر في "الحياة"، وتوريطها في بعض القضايا الزائفة، وعلى رأسها ما يسمى بقضية التطبيــع التــي ثبــت، بكثيــر مــن الأدلــة، أنهــا سياســة بائســة، وتتخفــى وراء الغوغائية، وصـيغت فـي ادارات "إعلاميـة" فـي القاهرة، أو فـي دمشق. وغرضـها المباشـر هـو عسـكرة السـلام، وترسـيخ روايـة المتحـدث الرسـمي، وعـزل العقـل المدني والخبرة المعرفية عن الصراع، وذلك في سياق سياسات إغلاق المجتمـع، وصـرف الانتبـاه عـن قضـايا الفـرز الحقيقـي، وهـي الديموقراطيـة وتـداول السـلطة والتقدم والسلام، والتغاضـي عن قانون الطوارئ، والخطـاب الفاشـي، والدليل أنهـا لم توجه، ولو مرة واحدة، للعاملين في مجالات البترول والغاز والبنوك والسياسـة والدبلوماسـية والعسـكرية والأمـن، الـذين يـدور التنسـيق اليـومي بيـنهم ونظـرائهم الاسرائيليين. إن "التطبيع" ليس إلا إحدى ماركات الأفيون "القومـي".

خامسـاً، لـيس غريبـاً أن تهمـة التطبيـع هـي نفسـها موقـف نتانيـاهو مـن المثقفـين الاسـرائيليين، أنصـار السـلام، فـي كتابـه "مكـان بـين الأمـم". فهـؤلاء الـوكلاء مـن العـرب، مـن القـوى المعاديـة للديموقراطيـة، هـم مـن مهـدوا الطريـق دائمـاً لقـوى

التوسع الصهيوني كي تصل الى الحكم، عبر إسقاط كل مبادرات السلام وآخرها مقترحات كلينتون. وبعد ان أعادوا القضية الفلسطينية الى ما قبل الصفر، ينهمكون الآن في تمهيد الطريق "للترانسفير" الفلسطيني الثالث. إنه التحالف العنصري غير المباشر على الجانبين، لأكثر من نصف قرن.

***

<u> ثم رددنا عليه بتاريخ 2002/12/31 فى الحياة أيضاً وجاء ردنا كالتالى</u>**

<u>:</u> نشرت صفحتكم (الصفحة العاشرة) يوم الثلاثاء 2002/12/10 تعليقاً من السيد أمين المهدي على ما نشرته يوم 2002/11/21 في عنوان "دعوى قضائية جديدة بين مقاومي التطبيع وأنصاره"، باعتباره هو من قام برفع هذه الدعوى ضد كاتب هذه السطور (رفعت سيد أحمد) وضد صحيفة "الميدان" الأسبوعية المصرية المستقلة، بسبب مقال كتبته تعليقاً على حوار له في قناة الجزيرة برنامج الاتجاه المعاكس كان يهاجم فيه كعادته – التي صارت مدعاة للشفقة أكثر منها للغضب – حركات مقاومة التطبيع والانتفاضة على حد سواء. ولما كان تعليقه في "الحياة" تضمن أخطاء تقصّدها – كعادته أيضاً – رأيت أهمية ان نرد احتراماً للقارئ وللصحيفة وتوضيحاً للحقائق:

<u>أولاً:</u> لا نفهم ما هو سر تحامل المهدي على مكتب جريدة " الحياة " فى القاهرة او على من كتب الخبر الزميل محمد صلاح، خصوصاً أن القضية منظورة أمام المحاكم وهي قضية رأي عام وتدخلت فيها عملياً لجان مقاومة التطبيع ونقابة الصحافيين وأربعة من كبار المحامين في مصر من ممثلي الاتجاهات الوطنية الرئيسة فى مصر هم (أحمد نبيل الهلالى {اليسار} – عصام الإسلامبولى {الاتجاه القومى الناصرى} – منتصر الزيات {الاتجاه الإسلامى} – سيد أبوزيد {نقابة الصحفيين}) باعتبارها قضية رأي عام وليس مجرد دعوى سب وقذف. وما دور مكتب القاهرة او كاتب الخبر الا الدور المهني البحت والملزم له، ولا علاقة له بتخيلات المهدي عن التدخل في أعمال القضاء

وغيرها من الأوهام التي تصورها، فضلاً عن ان الخبر نشر بحيادية كاملة ونتمنى منكم اعادة قراءته لاكتشاف ذلك.

ثانياً: ينفي السيد أمين المهدي انه عضو في تحالف كوبنهاجن، التحالف الذي أقيم بين رجال موساد اسرائيليين وبعض المثقفين والسياسيين المصريين والأردنيين والفلسطينيين، ونحن نرحب بهذا النفي، ولكن دعونا نسأله: ألست من مؤسسي ما يسمى بجمعية القاهرة للسلام التي تدعو الى "خطيئة التطبيع" وكان يرأسها لطفي الخولي وصلاح بسيوني؟ ثم أليست هذه الجمعية هي المؤسس لتحالف كوبنهاغن المذكور؟ اذا كنت قد خرجت منها هي الأخرى، فأهلاً وسهلاً، وإذا لم تكن قد خرجت، فأعتقد انك عضو في تحالف كوبنهاغن الميت أصلاً بحكم انتساب جمعيتك له بل تأسيسها إياه بدعوى نشر ثقافة السلام في مواجهة ثقافة المقاومة؟!

ثالثاً: يدعي أمين المهدي أن طريقة صياغة الخبر هي تدخل في أعمال القضاء، وهذا غير صحيح، وإلا لمنعنا كل صحيفة أو صحافي من أن يكتب عن قضية تهم الرأي العام وليست مجرد سب وقذف ، لأن المقال ليس فيه أي سب أو قذف وهذا حتماً ما سيؤكده او ينفيه القضاء المصري العادل، ثم هو يبني على هذا الرأي نتيجة تحريضية ضد "الحياة" يقول فيها ومن المؤسف ان ما لم تقبل جريدة مصرية واحدة نشره، نشر بسهولة مقلقة على صفحات "الحياة"، ونرد على أسفه بأسف آخر يؤكد لسيادته أن صحف "الأسبوع" و"العربي" و"الميدان" و"الحقيقة" و"مجلة البداية" و"الغد العربي" وصحيفة "القاهرة" في مصر و"السفير" لبنان و"البيان" والسياسة" و"الرأي العام" خارج مصر، نشرت وبتوسع عن هذه الدعوى القضائية، فهل هو لا يقرأ أم أنه يقرأ ويريد ان يحرج "الحياة"، ومن يكتب فيها بادعاءات غير صحيحة!! وبالمناسبة، هذه الصحف نشرت انطلاقاً من أن القضية قضية رأي عام، وليست قضية سب وقذف كما يتمنى سيادته؟ .

رابعاً: ربما كان السيد أمين المهدي هو الوحيد في مصر الآن ممن يعتبرون أن قضية مقاومة التطبيع هي قضية زائفة، وهو قول لا يحتاج الى رد ، لأن الحقائق على الأرض سواء في فلسطين أو حتى في مصر تؤكد انه يعيش في وهم كبير، أما قوله أن الحديث عنها يصرف الانتباه عن قضايا الفرز الحقيقي كالديموقراطية وتداول السلطة والتقدم والسلام، فهو أيضاً وهم كبير، إذ إن غالبية مقاومي التطبيع في مصر واقعيون للغاية وهم يرون أن القضايا لا تتجزأ، وانها حزمة واحدة، فالموقف المتخاذل من الكيان الصهيوني، هو امتداد للموقف المتخاذل والملتبس من قضايا الديموقراطية وتداول السلطة وغيرها. ولكن دعونا نسأل: أية ديموقراطية يقصد السيد المهدي ورفاقه في تحالف كوبنهاغن، وأي سلام، وأي تقدم، ذلك هو السؤال المركزي؟ ثم من قال : إن من يقاوم التطبيع في مصر وهم الأغلبية دوراً وعدداً وقيمة ليس له موقف من التطبيع الرسمي السيئ الصيت او السمعة في قطاعات النفط والغاز والبنوك الخ... ليقرأ أولاً ثم يتهم بعد ذلك ولكن عن بينة؟!

خامساً: يساوي السيد المهدي بين المدافعين عن قضية فلسطين ومقاومة التطبيع وبين نتانياهو وتشدده، وهذا القول/ النتيجة والتي كثيراً ما يرددها المهدي في كتاباته في الصحف الاسرائيلية "يديعوت احرونوت" تحديداً مردود عليها ببساطة. إن من يدافع عن شرف الوطن، لا يمكن مساواته بمن يغتصب ويرهب ويعتدي، وإن اليمين الاسرائيلي كاليسار الاسرائيلي لدينا ، وما يفعله الفلسطينيون، ومن يساندونهم من أمتنا هو رد فعل طبيعي لعدوان قائم ومستمر منذ خمسين عاماً وسواء صمتنا أو تكلمنا فهو سيستمر... فلماذا الصمت ؟ ثم إنه هو الأدرى منا بنتانياهو ومعسكره ويمينه ويساره لا فرق لدينا، فقد كان السيد امين المهدي أحد خمسة مثقفين مصريين انتقتهم الحكومة المصرية ، التي يتهمها الآن هي والجميع بالفاشية ، لإجراء اوسع وأول وآخر حوار لمثقفين (سلاميين) مصريين مع نتانياهو ذاته ، عندما كان رئيساً لوزراء اسرائيل وفي

زيارة للقاهرة قبل سنوات، وكان حاضراً د. اسامة الغزالي حرب وغيره، فمن الذي التقى وصافح واتفق وطبع مبكراً وعملياً مع هذا اليمين المتطرف هل نحن ام هو؟] . انتهى الرد . [بعد ذلك بأيام حكم القضاء برفض دعوى أمين المهدى فى انتصار جديد لحركة مقاومة التطبيع فى مصر] .

سادساً : البعد الأعمق لمقاومة التطبيع
(المقاومة المسلحة)

لم تكن المقاومة السلمية الشعبية (سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً) هى وحدها سلاح الشعب المصرى فى مواجهة اتفاقات وسياسات الصلح مع إسرائيل خلال الفترة من (1979–2011) ، ولكن تعدى الأمر إلى حد العمل المسلح ضد أفراد ومؤسسات إسرائيل فى مصر ، وتقديم النفس (بالاستشهاد أحياناً) فى سبيل رفض هذا التطبيع ، ومقاومة الكيان الصهيونى داخل مصر وخارجها على أيدى مصريين رفضوا هذه العلاقات وترجموا رفضهم بالفعل المسلح تارة ، وبالسلوك السياسى العلنى تارة أخرى ، ومن أبرز أمثلة الموقف المسلح للتطبيع ما قام به الشهداء (سعد إدريس حلاوة) و(سليمان خاطر) وتنظيم ثورة مصر بقيادة (محمود نور الدين) والجندى ابن محافظة الشرقية / أيمن حسن ، وسوف نقدم فى هذا الفصل إشارات سريعة عن تلك المقاومة المسلحة ثم نستتبعها بذكر نماذج ممن ضحوا بأرواحهم بسبب مواقفهم ضد العدو الصهيونى أمثال (د. سعيد بدير) وغيره من الرموز الثقافية والعلمية .

***

أولاً : سليمان خاطر :

تتلخص قصة سليمان خاطر (ابن قرية أكياد بالشرقية) فى قيامه بقتل 7 إسرائيليين مساء يوم 1985/10/5 بعد أن خالفوا شروط البقاء بالقرب من الوحدة العسكرية ومع إصرارهم على إهانة العلم المصرى ، وقبل أن يحاكم (سليمان خاطر) عثر عليه مقتولاً فى زنزانته وادعت الحكومة أنه انتحر ، الأمر الذى رفضته القوى الوطنية المصرية كافة واعتبرته شهيداً مقاوماً بالسلاح وبالفطرة الوطنية الصافية ، للتطبيع وللعلاقات مع العدو الصهيونى، وعقدت عشرات المؤتمرات وصدرت عشرات البيانات والكتب والمواقف التى خلدت سليمان فى ضمير أمته إلى حد كتابة كبار الشعراء قصائد عنه ، كل ذلك لأن

الذى حدث فى – رأس بركة – على الحدود بين مصر وإسرائيل والقتلى الذين سقطوا فيه من اليهود يعتبر حدثاً سياسياً بامتياز – كما قال الأستاذ فتحى رضوان – لأن سليمان خاطر لم يقتل اليهود السبعة لخلاف شخصى أو نزاع على مال أو عقار ولم يكن يعرفهم ولم يحمل لأشخاصهم حقداً أو ضغينة بل بكى عندما رأى أطفالاً ضمن القتلى وهنا ذكر أ/ فتحى رضوان بشخص آخر قتل ثلاثة آلاف وليس سبعة كما فعل سليمان خاطر ورغم ذلك لم يُطلب للمحاكمة أو حتى التهديد بها وهو آرييل شارون – سفاح صبرا وشاتيلا – بمساعدة المجرم المارونى اللبنانى سمير جعجع .

وقد نشرت صحيفة " الشعب " رسالة مهمة مؤثرة من سليمان خاطر من محبسه سجلها على شريط كاسيت بطريقة سرية يقول فيها : عندما يسألنى زملائى عندما أجلس وحيداً ماذا تفعل: أرد بأننى أفكر فى أمى وأنا والله لا أكذب فأنا بالفعل أفكر فى أمى الكبرى مصر ، فلابد أنها مثل أمى غاية فى الطيبة والحنان تتعب وتعمل مثلها فأنا أقول لها : يا أمى أنا أحد أبنائك دمى من دمك ، وجسمى من ترابك ، أنا دافعت عن أرضك مثل أى جندى مخلص لك ولترابك ولا أريد أن أتكلم عمن كتبوا عنى أو وقفوا بجانبى هذا هو المنتظر منهم ولكن أريد أن أتحدث عن جندى مصرى يمكن أنه لا يجيد القراءة والكتابة اسمه عبد الشافى عبد الرؤوف من الإسماعيلية فهذا الجندى قدم أخلص دفاع عنى .

فعندما تقرر نقلى من قسم نويبع إلى سجن النار كان الجندى عبد الشافى هو حارسى وكان لابد أن يتسلح ببندقية وذخيرة ولكنه رفض ووقع على استلامها على الورق وقال : لا أحمل بندقية وذخيرة خلف سليمان وقطع معى أكثر من 200 كيلو بدون سلاح وقال لى : أعلم أنك مخلص لتراب هذه الأرض .

ويسرد سليمان فى رسالته أنه رفض مواجهة زملائه ، لأنهم شهدوا ضدى تحت ضغوط ثم عادوا وتراجعوا عن أقوالهم أمام النيابة وعندما قابلونى بعد ذلك

احتضنونى وبكوا وقالوا : احنا معاك يا سليمان ونعرفك جيداً ويكفى أنك علمتنا كيف نحرس ونحافظ على حدودنا مهما كانت الظروف فقلت لهم : أنا أعرف ظروفكم ولكنى لم أقل إلا الحقيقة كاملة فى التحقيق . ويستطرد سليمان خاطر فى رسالته عن الوقت الذى صعد فيه الإسرائيليون قمة الجبل – موقع الحادث – كان هذا الوقت بعد غروب الشمس بربع ساعة وأن خيوط الظلام كانت تتجمع من بعيد والقمر كان سيظهر فى الحادية عشرة مساءً أى أن الليلة التى تم فيها الحادث كانت شديدة الظلام وهذا يعنى أشياءً جديرة بالنظر فيها !! .

وفى نهاية رسالته شكر سليمان أهله وأهل قريته ثم حراسه فى السجن ولكل زملائه ولكل من وقف بجانبه حتى لو بكلمة وبعد إحالة سليمان خاطر للمحاكمة العسكرية ، كتب كثيرون من فقهاء القانون والمحاماة عن ضرورة إلغاء رئيس الجمهورية قراره بإحالة القضية للقضاء العسكرى وإحالته بدلاً من ذلك إلى النيابة العامة والقضاء العادى ومحاكمته أمام قاضيه الطبيعى ، محاكمة عادلة تتحقق فيها كافة الضمانات المقررة فى الدستور والقانون ، وهذا ما طالبت به نقابة المحامين عبر رئيسها أحمد الخواجة .

وقد توالت المطالبات من النقابات العمالية والمهنية المصرية بكافة أطيافها وأنواعها للمطالبة بمحاكمة سليمان خاطر أمام القضاء العادى بل وطالب البعض بالإفراج عنه فوراً نظراً لكونه كان يدافع عن أرض الوطن من تدنيس اليهود لها .

أما فى جانب الحراك الشعبى المصرى تضامناً مع سليمان خاطر فقد نشرت الصحف المصرية – خاصة المعارضة – منها تفاصيل الحراك الشعبى والطلابى والعمالى فقد نشرت "صحف الشعب والأهالى والأمة والوفد" فى أعدادها المختلفة فى عام 1985 تغطية شاملة عن هذا الحراك والتضامن فقالت صحيفة الأهالى : " إن الحكومة استخدمت قنابل ممنوعة لفض المظاهرات التى اندلعت تضامناً مع سليمان خاطر وقد علق الأساتذة والطلاب

الدراسة مطالبين بوقف محاكمة سليمان خاطر وقد حاصرت قوات كثيفة من الأمن المركزى جامعة الزقازيق والمبانى الجامعية والحكومية واعتقلت أعداداً غفيرة من الطلاب وقد أصيب عدد كبير أثناء اعتداء قوات الأمن على الطلاب والمواطنين كما خرج عدد كبير من طلاب الثانويات فى الزقازيق وباقى محافظة الشرقية تنديداً بمحاكمة سليمان خاطر .

وقد انتقد سياسيون مصريون طريقة تعامل السلطات الحكومية مع التظاهرات التى اندلعت فى أماكن عدة بمصر تضامناً مع الجندى البطل سليمان خاطر وأرجع بعضهم ذلك لخوف وخشية النظام المصرى وذراعه البوليسية من امتداد هذه التظاهرات لأنحاء الجمهورية فساعتها لن يمكن للحكومة ولكل أجهزتها الأمنية السيطرة على الموقف لذا كان رد فعلهم العنيف هو المنتظر فى هذه الحالة حتى لا تمتد المظاهرات لأماكن أخرى .

وقد نشرت الأهالى فى 1985/12/25 تفاصيل مؤتمر شعبى كبير عقد للتضامن مع سليمان خاطر وذلك بمشاركة عدد كبير من الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والمهنية وقد تحدث فيه ما يقرب من 20 شخصية ، منهم خالد محيى الدين وإبراهيم شكرى وضياء الدين داود والشيخ صلاح أبو إسماعيل والشيخ عمر التلمسانى المرشد العام للإخوان المسلمين .

كما شارك أقارب سليمان خاطر فى هذا المؤتمر وقد تحدث أيضاً المجاهد الكبير إبراهيم شكرى وقال فى كلمته: أتحدى أن يقيم الحزب الوطنى أو الحكومة مؤتمراً بمثل هذه الضخامة ولا بمثل هذا التنوع الشعبى الرائع ، وأشار إلى أن سليمان خاطر رفع رأس الأمة ورفع العار من على كواهلنا ورؤوسنا .

وقال الشيخ عمر التلمسانى : لو قام وفعل كل مسلم ما فعله سليمان لأزيلت إسرائيل من الوجود .

وأكد خالد محى الدين رئيس حزب التجمع أن محاكمة سليمان هى محاكمة للرأى العام المصرى والعربى وتساءل ضياء الدين داود الأمين العام للحزب

الناصرى : ماذا تقول الحكومة لزملاء سليمان الذين يحرسون الحدود وماذا يفعلون إذا ما دنس يهودى أرض مصر ، أسيتركونه أم سيدافعون عن الشرف والعرض ؟ وليحدث ما يحدث .

وأكد نبيل الهلالى عضو مجلس نقابة المحامين أن سليمان أطلق رصاص الأمن المركزى على الصهاينة وليس على العمال والطلبة .

وقال الشيخ صلاح أبو إسماعيل : إن اليهود اغتصبوا الأراضى العربية بالقوة وما فعله سليمان هو رد بسيط على التجاوزات الصهيونية المتكررة والاستفزاز المتصاعد لمشاعر قواتنا المصرية على الحدود المصرية الإسرائيلية .

وقد شارك فى المؤتمر د.عزازى على عزازى السياسى المعروف (عليه رحمة الله توفى عام 2014) وأحد أقارب سليمان خاطر وهو من نفس القرية وقد قال : إن سليمان حينما أراد أن يدافع عنا حاكموه وهذا من العار الفاضح أن يحاكم جندى مصرى لأنه دافع عن حدود وطنه وأرضه .

وقال د. عصام العريان – السياسى الإخوانى المعروف – إن سليمان خاطر وجه لنا رسالة قوية مفادها أن عزتنا وكرامتنا لن ننالها إلا إذا سرنا خلفه وحذونا حذوه فيما فعل فهو الطريق الوحيد لنيل كرامتنا وعزتنا أمام عدو غاصب غاشم لا يعترف إلا بلغة القوة .

وعلى صعيد متصل أصدر اتحاد طلاب جامعة القاهرة بياناً أيد فيه بقوة ما قام به سليمان خاطر – من المعروف أن سليمان خاطر طالب بالفرقة الثانية بكلية الحقوق – وطالب البيان المسؤولين المصريين بإقرار الحق والعدل مع المطالبة بالإفراج عن سليمان خاطر فوراً ووقف محاكمته لأنه أدى واجبه الذى يتحتم عليه فعله ألا وهو الحفاظ والدفاع عن حدود وطنه وأرضه .

***

ومن موقع آخر شهد الجامع الأزهر اقتحام قوات الأمن ومباحث أمن الدولة للجامع الأزهر وتم الاعتداء بالقنابل المسيلة للدموع على جموع المصلين وذلك

بعد انتهاء صلاة الجمعة بعد أن قرر المصلون الشباب الاعتصام فى المسجد حتى السبت احتجاجاً على محاكمة سليمان خاطر أمام المحكمة العسكرية وقام الأمن باعتقال 150 مصلياً من بينهم 22 من حزب العمل كما تم الاعتداء على المجاهد الكبير إبراهيم شكرى الذى تعرض للإغماء داخل المسجد وأغلقوا باب المسجد حتى لا ينفذ إبراهيم شكرى اعتصامه داخل المسجد .

وكان ميدان الأزهر والشوارع المحيطة به تحولت لثكنة عسكرية ؛ لمنع توافد المصلين على الجامع الأزهر وشوهد تواجد كثيف من قوات الأمن وفرق الكاراتيه والأمن المركزى للحيلولة دون وصول المتظاهرين للجامع الأزهر والاعتصام فيه .

كما شهدت جامعات القناة والمنصورة والقاهرة وعين شمس مسيرات سلمية شارك فيها عشرات الآلاف من الطلاب للتنديد بمحاكمة سليمان خاطر أمام المحاكم العسكرية وطالبوا بالإفراج عنه فوراً ؛ لأنه كان يؤدى واجبه فى حماية أرض وحدود الوطن .

وفى سياق متصل بقضية الجندى سليمان خاطر ، تسلمت رئاسة الجمهورية أكثر من 80 ألف توقيع من مواطنين مصريين .

فقد وصل وفد اللجنة القومية للتضامن مع سليمان خاطر بقيادة المجاهد إبراهيم شكرى لقصر عابدين لتسليم توقيعات المواطنين على بيان اللجنة القومية للدفاع عن سليمان خاطر والتى بلغت أكثر من 80 ألف توقيع وكان فى انتظارهم عدد كبير من الصحفيين العرب وممثلى وكالات الأنباء العالمية وقد تبنت التوقيعات مطالب محددة بمحاكمة سليمان خاطر أمام القضاء الطبيعى وليس القضاء العسكرى .

وقد تلقت الجرائد المصرية خاصة المعارضة منها آلاف من رسائل التأييد موجهة للبطل سليمان خاطر ، مما اضطر جريدتي الشعب والأهالى الاستعانة ببعض الأفراد لفض هذه الرسائل وتبويبها وترتيبها وكلها تحمل معانى العزة

والعرفان لهذا البطل الفلاح الأصيل الرافض للتطبيع، فما كان من النظام إلا أن قتله قتلاً صريحاً وادعى أنه انتحر .

كل هذا الحراك الشعبى العفوى وبمشاركة الفئة الأكبر وهى طلاب الجامعة خاصة أن سليمان خاطر طالب بالفرقة الثانية بكلية الحقوق وكذلك اصطفاف الأحزاب والقوى السياسية سواء حزب العمل والتجمع والأحرار والوفد وجماعة الإخوان المسلمين .

هذا الالتفاف الشعبى الرائع حول قضية سليمان خاطر ، أصيب بالصدمة المروعة من خبر صادم مفاده : استشهاد سليمان خاطر أو انتحاره حسب الرواية الرسمية التى لم يصدقها أحد بل تم تفنيدها بالأساليب العلمية والقانونية وبحسب المشاهدة المباشرة لجسد سليمان خاطر ولكن قبل واقعة الوفاة بعدة أيام ، قام مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المصور بعقد لقاء صحفى مع سليمان خاطر وكأنه يمهد مسبقاً لحادث اغتياله وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد ظل مكرم محمد أحمد يلعب نفس الدور مع نظام مبارك حتى سقوطهما معاً فى 11 فبراير 2011 . وأهم ما جاء فى هذا اللقاء أن مكرم محمد أحمد اتشح رداء محامى الحكومة والنظام بامتياز حيث ركز على حسن معاملة سليمان خاطر وأن معاملته تتم حسب عرف السجون المصرية خاصة العسكرية منها ، وأن سليمان خاطر طلب فى المقابلة لقاء أمه وأخوته وأولاد أخيه .

وركز مكرم محمد أحمد أن أسطورة سليمان خاطر ليست هى الحقيقة وخاطر فى الحقيقة ليس هو ما تروج له قوى المعارضة ؛ لأنها حسب زعمه تحاول استثمار الموقف لأقصى درجة . واستمر مكرم محمد أحمد فى هذيانه وكأنه يحاول أن يرسم صورة مغايرة تماماً لسليمان خاطر ، فقال مكرم محمد أحمد : إن خاطر أبلغه أنه لم يفكر ولو مرة واحدة فى قتل إسرائيليين وأنه كان يحلم بإنهاء تجنيده والعودة للقرية لمواصلة دراسته بكلية الحقوق وأنه غير مسؤول

عما تقوم بعض القوى السياسية ولا يعرف عنها شيئاً وكرر مكرم محمد أحمد أن سليمان أخبره إنه لم يقتل الإسرائيليين متعمداً.

***

وقد جاء بجريدة الوفد بتاريخ 14 ، 15 ، 16 يناير 1986 تغطيات عدة على استشهاد الجندى سليمان خاطر ، وقد أشارت " الوفد " لحال أهل قريته خاصة أهله بعد تلقيهم خبر وفاة سليمان خاطر – منتحراً – حسب الرواية الرسمية للدولة .

وقد انتابت أهالى قرية أكياد البحرية – مسقط رأس سليمان خاطر – مشاعر غاضبة خرج على أثرها الأهالى فى تجمعات حاشدة فأشعلوا ودمروا نقطة الشرطة بالقرية تماماً ، ثم قطعوا كل الطرق المؤدية للقرية ، ثم قطعوا خطوط التليفونات وخطوط السكك الحديدية .

ووسط بكاء وعويل نساء القرية كانت هناك سيدة ظلت وحدها صادقة لا تبكى ولا تولول كباقى النساء – إنها والدة سليمان خاطر – التى ظلت متماسكة وبعد مدة قالت : لا يمكن أن ينتحر سليمان لأنه مؤمن بالله ويصلى كل الفروض فى وقتها والمؤمن لا ينتحر .

وبقى أهالى قرية أكياد يطوفون أرجاء القرية انتظاراً لوصول جثمان سليمان خاطر حتى وصلت سيارة عسكرية تحمل جثمان الشهيد برفقة بعض أقاربه وعدد من المسؤولين الذين حاولوا إقناع الأهالى بدفن الجثة ولكن الأهالى أصروا على عدم الدفن حتى يتم الكشف على الجثة بمعرفة الطبيب الشرعى.

وقال زاهر عبد الله ابن عمة سليمان خاطر ورفيق صباه وقد انتابته حالة من الذهول : مستحيل أن يكون سليمان قد انتحر ، إنه مؤمن بالله ، ويؤدى الصلوات والمؤمن لا ينتحر أبداً ، لقد كان متفائلاً بعد الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وهذا التفاؤل لا يدفع الإنسان للانتحار وكل ما يقال كذب فى كذب .

أما هيئة الدفاع عن سليمان خاطر فقد نقلت وكالات الأنباء العالمية عنهم تصريحات خطيرة فقد أكد عماد السبكى عضو هيئة الدفاع عن سليمان خاطر استبعاده انتحار سليمان خاطر ، خاصة أنه كان فى حالة معنوية ممتازة أثناء الزيارة التى قامت بها أسرته له قبل 48 ساعة من حادث مقتله وقد طلب سليمان خاطر من شقيقه إرسال كتب دراسية جامعية لاستكمال دراسته بالفرقة الثالثة بكلية الحقوق جامعة الزقازيق كما طلب بعض الملابس وبدلة جديدة .

وفى سياق متصل قال الطبيب عبد النبى عبد الهادى – ابن خال سليمان : إن جثة سليمان كانت " مقرفصة " وكانت على رقبته آثار سلك وانقباض يديه يدل على مقاومته لمن حاول خنقه وكانت هناك محاولات مستميتة لمنعنا من رؤية الجثمان ، وأضاف أن مكرم محمد أحمد – آخر صحفى مصرى أجرى حواراً معه – طلب من سليمان كتابة اعتذار عن الحادث ولكن سليمان رفض بشدة،ونفى سليمان لمكرم محمد أحمد وجود أطفال إسرائيليين بين القتلى وأشار إلى أن إدارة السجن الحربى حاولت إيهام سليمان خاطر أن مكرم ليس صحفياً ولكنه يجرى تحقيقاً سوف تحتفظ إدارة السجن بهذه التحقيقات مع الصور المأخوذة له.وأضاف أن سليمان خاطر رفض عرضاً لتهريبه قبل يومين من الحكم عليه وأن من عرض عليه ذلك هم زملاءه من قيادة الجيش الثالث الميدانى.

وقد أشارت " الشعب " لجزء من تحقيقات النيابة العسكرية مع الشهيد سليمان خاطر وقوله : لو كنت أريد الانتحار لانتحرت برصاص بندقيتى .. أسهل ، كما أنه حمل مكرم محمد أحمد رسالة إلى رئيس الجمهورية لتخفيف العقوبة من 25 سنة إلى 10 سنوات ، إن روحه المعنوية كانت عالية جداً .

***

وقد قالت " الشعب " فى 21 يناير 1986 : إن سليمان خاطر أثار جدلاً كبيراً فى حياته وأثاره بشدة بعد أن أصبح فى ذمة الله ، فبعد وفاته بأربع وعشرين

ساعة تقدم 19 محامياً من مختلف الاتجاهات السياسية بطلب لرئيس الجمهورية وللجهات المسؤولة بضرورة إعادة تشريح جثة سليمان خاطر ، لأنه مات مقتولاً ولم يمت منتحراً ، وقد نشب إثر ذلك أغرب نزاع قانونى انتهى برفض الحكومة إعادة تشريح الجثة لأنه لن يقدم أو يؤخر ، حدث هذا فى ظل سيل من الأكاذيب الحكومية التى تسابقت الصحف القومية لتسويقها للشعب المصرى حتى تخلق حالة مصداقية واحدة للحكومة المصرية ولكن كل ذلك ذهب أدراج الرياح بعد أن بدأت خيوط الجريمة تتضح بشهادة بعض خبراء الطب الشرعى ومن خلال أهل سليمان خاطر الذين كذّبوا ادعاء الحكومة بأنهم رفضوا فتح المقبرة ، لإعادة تشريح الجثة واتهموا الحكومة بتضليل الرأى العام وأنها تعلم علم اليقين أن سليمان خاطر لم يمت منتحراً بل نحر وقتل من أجل عيون الصهاينة ومن أجل إرضائهم وإرضاء سادتهم فى البيت الأبيض الأمريكى .

وقد قال المهندس إبراهيم شكرى فى الندوة الأسبوعية السياسية لحزب العمل الاشتراكى : إننى لما ذهبت للمشرحة ، لم أشعر أننى أمام شاب منتحر بل وجدت جسداً طاهراً ووجدت نفسى أقبله بعد أن حيل بينى وبين لقائه وهو على قيد الحياة وأضاف شكرى أن رحيل سليمان خاطر سيكون نقطة تحول فى تاريخ الأمة العربية عامة ومصر بصفة خاصة .

واستمرت " الشعب " فى سرد المعلومات التى بدأت تظهر وتتوفر عن ملابسات مقتل سليمان خاطر ، فذكرت الجريدة أن ليس هناك دليل واحد على انتحار سليمان خاطر ، لأنه طلب كتباً دراسية وملابس جديدة فضلاً عن أن روحه المعنوية كانت مرتفعة جداً .

وقد ضاعف من عدم تصديق الناس أن الصحف اليومية ومحطات الراديو وقنوات التليفزيون سارعت بإعلان نبأ (الانتحار) – كما أسموه – قبل أن ينتقل

كبير الأطباء الشرعيين ومساعده ونائبه لمستشفى السجن الحربى لمعاينة الجثة ومكان الحادث .

* لقد قتل نظام مبارك (سليمان خاطر) عن عمد ، لأنه ببساطة مثّل أحد أكبر التحديات المسلحة للتطبيع مع الكيان الصهيونى فى سنواته الأولى .

***

وفى نفس يوم نشر نبأ الاستشهاد ، نشرت الأهرام تحقيقاً مع أساتذة طب نفسى حاولت فيه إلقاء اللوم على حالة سليمان خاطر النفسية أنها قد تكون وراء ارتكاب حادث قتل الإسرائيليين كما أنها قد تكون السبب أيضاً وراء انتحاره حسب زعم الصحيفة الشهيرة – لسان حال النظام – .

وأشارت الشعب لما كتبه مكرم محمد أحمد عن لقائه بسليمان خاطر وأنه غيَّر فى صياغة الأسئلة والأجوبة ليعطى إيحاءً أن سليمان خاطر كان متوتراً وأن المعارضة صنعت منه بطلاً وأن الحقيقة كانت على غير ذلك تماماً .

وقد ذكر مكرم محمد أحمد أن سليمان خاطر مكث فى موقعه فى رأس بركة 120 يوماً والحقيقة أنه مكث 600 يوم ، كما ذكر أيضاً أن سليمان ارتكب الحادث فى آخر يوم من خدمته بالجيش والحقيقة أنه كان سيمكث حوالى 3 أشهر تالية .

وقد أكد أقارب سليمان خاطر أن مكرم محمد أحمد لم يقل الحقيقة كاملة وأن سليمان خاطر اتهم مسؤولين كباراً وهاجمهم ولكن هذا لم يُنشر .

والحقيقة أن تصرفات الصحف وأجهزة الإعلام الحكومية قد ضاعفت من الشك فى إمكانية قتل سليمان خاطر وضاعف من هذا الشك تصرفات الحكومة نفسها ، فوزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء المشير عبد الحليم أبو غزالة قد نفى بشكل قاطع اغتيال سليمان خاطر ولكنه لم يقدم دليلاً واحداً على هذا النفى ، كذلك وزير الإعلام نحا نفس المنحى ومنع جريدتى عكاظ السعودية والاتحاد

الإماراتية لأنهما تناولا حادث مقتل سليمان خاطر ، وأمر الهندسة الإذاعية بالتشويش على الإذاعات المعادية .

كما مارست الحكومة ضغوطاً شديدة على الأطباء الذين رشحتهم المحكمة لإعادة التشريح للجثة ، كى لا يقوموا بهذا ، وقد أكدت والدة سليمان خاطر أن ابنها قتل ولم ينتحر وأنه قتل لإرضاء أمريكا وإسرائيل ، وأشارت الأم لما اعتبرته أدلة القتل وهى :

– سليمان خاطر لم يصب بالبلهارسيا فى حياته وإنما وضعوه فى هذا الجناح من المستشفى ليسهل التخلص منه .

– زنزانته لا يفارقه فيها شخص ليل نهار كما أنهم لا يتركونه حتى وهو يقضى حاجته ويقوم عليه أحد أفراد قوة الحراسة لخدمته طوال الوقت ، كما أن نافذة الزنزانة التى يقال : إنه شنق نفسه بقضبانها تعلو عن الأرض بثلاثة أمتار .

– أدلى سليمان خاطر بحديث للتليفزيون المصرى ورد عن سؤال حول هل يفكر فى الانتحار فرد وقال : لو كنت أفكر الانتحار لانتحرت وقت حدوث الحادث .

كما قال شقيقه : إن سليمان كان يتوقع إفراجاً بعد سنة أو سنتين فكيف لم يتوقع الإفراج عنه بعد عام أو عامين أن يقدم على الانتحار ؟! .

وفى جريدة الأهالى – لسان حال حزب التجمع – وفى تقرير لـ صلاح عيسى عن حادث مقتل سليمان خاطر بعنوان " من صاحب المصلحة فى اختفاء سليمان خاطر " . وأشار عيسى إلى سر يذاع لأول مرة وهو أن اختطاف الطائرة المصرية فى " فاليتا " بمالطا كان هدفه الرئيس هو المطالبة بالإفراج عن سليمان خاطر ، ولكن هذا الافتراض لم يجد الكاتب ما يعززه به ، ثم أشار الكاتب إلى أن اختفاء أو قتل سليمان خاطر ربما كان أحد البنود المهمة لعقد الصفقة الشاملة بين مصر وإسرائيل .

يذكر أن إذاعة إسرائيل أذاعت ليلة مقتل سليمان خاطر أغنية " الليلة عيد " كنوع من إظهار ابتهاجهم لمقتل سليمان خاطر .

ثم نختم قصة هذا البطل ، الفلاح الأصيل ، بمقال رائع للأستاذ فتحى رضوان والذى نشرته الشعب فى 1986/1/14 بعنوان " سلام على سليمان " وقد قال فيه " غادر دنيانا سليمان .. وكأنه شهاب .. ما أسرع ما لمع نجمه فى سماء مصر والأمة العربية وما أسرع ما اختفى ولا أقول انطفأ .. عبر سماءنا لماعاً باهراً .. فخطب الأبصار وملأ العيون وشغل الناس أجمعين فى كل صقع قريب وفج عميق وفى نهاية مقاله دعا لسليمان قائلاً : سلام على سليمان محمد خاطر حياً وميتاً . سلام على سليمان فى العالمين .

ومات سليمان خاطر فهل كان موته باعثاً لغيره من شباب الأمة العربية لحماية الأرض والعرض بأغلى ما يملكون وهى نفوسهم .. وهل كان سليمان خاطر الأول فى سلسلة طويلة من جيل جعلوا من أنفسهم " ثواراً على الحدود؟! " .

***

ثانياً : قضية ثورة مصر :

وهى القضية التى قاوم فيها نخبة من أبناء مصر بقيادة محمود نور الدين ومعه مجموعة من المناضلين ومنهم (خالد جمال عبد الناصر) الوجود الإسرائيلى فى مصر (فى العام 1986) مقاومة مسلحة ، فقتلت وأصابت العشرات من السياسيين والدبلوماسيين الإسرائيليين والأمريكان ، وسوف ننشر هنا بعض المعلومات من أوراق القضية ، ثم حواراً خاصاً أجراه مؤلف هذه الموسوعة مع محمود نور الدين قبل وفاته ، وإلى التفاصيل :

(1) من أوراق القضية :

فى محاضر التحقيقات التى أجرتها معه نيابة أمن الدولة العليا كشف محمود نور الدين بشجاعة نادرة تفاصيل العمليات التى قامت بها المنظمة ضد رجال الموساد الإسرائيلى فى مصر ، وعناصر المخابرات الأمريكية ، وأثر محمود أن يدرأ كل المسئولية عن زملائه فى المنظمة ليتحملها وحده .

والتفاصيل فى محاضر التحقيقات كما يرويها بنفسه :ومن خلال مراقبتنا لسيارات الإسرائيليين والتى تحمل رقم 114 بجوار الرقم العادى هيئة سياسية وقع اختيارنا على زيفى كدار لتميز سيارته عن معظم السيارات الأخرى لكونها سيارة فارهة ، كنا قد صلينا العشاء فى جامع جمال عبد الناصر بشارع الخليفة المأمون قبل تحركنا إلى المعادى ووصلنا هناك عند مسكن زيفى كدار وغيرنا أماكننا عدة مرات .

كنت أقف خارج السيارة وبعيداً عنها حتى أتى زيفى كدار بسيارته وأثناء تقدمه سيراً على الأقدام إلى مسكنه اعترضته سيارتنا وأطلق عليه المقدم أحمد على ثلاث طلقات تقريباً من البندقية الآلية التى كان يحملها ، ولم تصبه فأخذ يعدو من خلف السيارة حيث كنت قادماً لمواجهته وأطلقت عليه عدة أعيرة نارية من مسدسى الأسبانى وأصابته طلقتان بالذراع والكتف كما علمنا من الصحف وتركته وهو يقع على الأرض وينتزع مسدسه من جانبه .

ويضيف محمود نور الدين كانت الحراسة المصرية على باب العمارة تطلق علينا نيرانها والتى لم نرد عليها بالمثل ، حيث إن من أهم أهدافنا عدم إصابة أى مصرى وحينما وجدت نفسى بعيداً عن السيارة والنار تطلق علينا من الوسط سارعت بالعودة إلى السيارة وتركنا المكان عائدين حيث تركنا السيارة الفيات عند المساكن الشعبية قبل السيدة عائشة وعدنا إلى منازلنا هذا بالنسبة للحادث الأول وهو حادث محاولة اغتيال زيفى كدار .

أما بالنسبة لما قامت به منظمة ثورة مصر فى ذات الإطار ، فقد كنا نتابع أيضاً بذات الأسلوب سيارات الإسرائيليين بالمعادى الجديدة ذات مرة قابلنا من عرفنا فيما بعد من الصحف أنه المدعو " ألبرت اتراكش " مسئول الأمن بالسفارة الإسرائيلية ورئيس الموساد بها فعدنا خلفه ، وكنت أسوق السيارة بنفسى وطاردته وقد ناورنا بسيارته حتى استطعت بعون الله إيقافه على بعد حوالى مائتى متر من قلعة السفير الإسرائيلى بالمعادى وكان يجلس بجوارى نظمى شاهين يحمل بندقية آلية روسية 7.62 مم وخلفى حماده ويحمل سلاحاً مماثلاً وبجواره سامى ويحمل بندقية آلية أمريكية الذى قفز من السيارة إلى الخارج قبل إيقاف سيارة "اتراكش" تماماً وبدأ بإفراغ خزينته أى بإطلاق النار من بندقيته تجاه " أتراكش " الذى كان بسيارته ومعه سيدتان تبين فيما بعد أنهما سكرتيرته وزوجته حسبما نشر بالصحف كما أطلق نظمى دفعة من بندقيته الآلية فى اتجاه السيارة كذلك ، ووجدت شرطياً برتبة صول يقف فى وسط الشارع عند منزل السفير الإسرائيلى فالتفت بسيارتنا الفيات وتركنا مكان الحادث وعدنا إلى منزلى بمدينة نصر حيث قام سامى بتوزيع بيان ثورة مصر " 2 " على وكالات الأنباء وبعض الصحف الحزبية مثل الأهالى والوفد .

وعن الحادث الثالث يضيف محمود نور الدين : كنا قد نددنا فى بيان ثورة مصر رقم " 2 " بإجراءات التطبيع مع العدو الصهيونى وخاصة السماح له بالاشتراك فى معرض القاهرة الدولى وعلمنا بأن إسرائيل قد مارست ضغوطها

المعهودة بالمساعدة الأمريكية من الاشتراك فى المعرض ، وقررنا القيام بعملنا المسلح الثالث وبالفعل بدأنا فى رصد تحركات الإسرائيليين أعضاء الموساد المشرفين على المعرض وكانت حوالى الساعة السادسة تقريباً مساء ، وكان ذلك فى شهر مارس 1986 ، وكان المقدم أحمد على مصطحباً رائداً من الصاعقة باسم مراد لم أتعرف عليه جيداً وكانا مستقلين سيارة أخرى نصف نقل ماركة تويوتا ، كانت مشتراة بمعرفة أحمد على لحساب منظمة ثورة مصر لاستخدامها فى هذه العملية وكان أحمد على ومراد مسلحين بالبنادق الآلية وفى موقع يسمح لهما بتغطية الهجوم الرئيس على سيارة الإسرائيليين وقد خرجت سيارتان إسرائيليتان متتابعتان تحمل كل منهما أربعة أشخاص من الباب المطل على الشارع الذى يصل بين شارع صلاح سالم وشارع المنصة وكان مكان وقوفنا بالسيارة بالشارع الرئيس، يفصل بيننا وبين سيارات الإسرائيليين سور خشبى وعند تحرك السيارتين للخروج من المنفذ المخصص لخروج السيارات قمت بالاصطدام بها وإيقافها فى المدخل فى الوقت الذى أعطى فيه العقيد محيى بندقيتين آليتين لأخى أحمد عصام ، ونظمى الواقفين على الأرض وقاما بإطلاق الرصاص على الركاب الإسرائيليين الأربعة مستقلى السيارة الأولى التى اعترضتها بالسيارة قيادتى ، كما أطلق العقيد محيى رصاصات مسدسه من السيارة فى الوقت الذى وصل فيه جمال من نقطة المراقبة ، وأطلق عدة أعيرة نارية من مسدسه وأبلغنى فيما بعد المقدم أحمد أنه مع زميله الرائد مراد أطلقوا رصاصات بنادقهم الآلية على السيارة الإسرائيلية الثانية ، وكانت الطلقات تمر من فوقها نظراً لارتفاع السور الخشبى لكنهم قاموا بإطلاق رصاصاتهم من نافذتى السيارة ناحية السور الخشبى وتركنا مكان الحادث بعد ذلك حامدين الله وشاكرين لعدم إصابة أى مصرى بخدش واحد فى مثل هذه المعركة والذى كان هدفاً أساسياً لنا ، حين صعدت الطائرات الأمريكية الحربية المقاتلة واختطفت الطائرة المصرية المدنية وأجبرتها على الهبوط وقامت بتفتيش جميع ركابها ولم

يحرك أحد ساكناً على المستوى الرسمى فى القيادة السياسية ، وعن العملية الرابعة يقول نور الدين : قررنا فى ثورة مصر أن نقوم بعمل عسكرى ضد الأمريكيين لمحو هذا العار الذى لطخونا به وهم غالباً من أعضاء الـC.I.A وكنا نود أن نختار سيارة منهم يسوقها مصرى حتى نصيب الأمريكيين فقط ونترك المصرى دليلاً قاطعاً على أن رصاصاتنا لن توجه أبداً إلى صدر أى مصرى وكان ذلك فى شهر مايو 1987 وعندما ذهبنا فى سيارة بيجو 504 استيشن فسدقية اللون وقمنا بخلع الشباك الخلفى ، وكنت أقوم بقيادة السيارة البيجو وخلفى مباشرة جمال وخلف جمال سامى وتركنا نظمى وحمادة عند الملف أسفل الكوبرى الموجود بمنطقة مصر القديمة ، والذى يصل القادم من السيدة عائشة إلى الطريق المؤدى إلى المعادى حيث تركتهم عند الملف بالضبط طبقاً للخطة السابق إعدادها كقوة ضرب رئيسة ؛ بحيث إنه بمجرد ظهور السيارة المرسيدس المستهدفة أحاول إيقافها أو أزنقها فى الرصيف ويكون نظمى وحمادة جاهزين فى هذا الوقت لإطلاق الأعيرة النارية على مستقليها بالإضافة إلى إطلاق الأعيرة النارية على ذات السيارة من سيارتنا وبالفعل حدثت عدة ملابسات ووصلت السيارة المرسيدس ، قام نظمى بإشهار سلاحه تجاه السيارة ولما لم يشاهدنى بالسيارة التى أقودها أخفض سلاحه دون أن يطلق أعيرة نارية وقد شاهده الأمريكان مستقلو السيارة المرسيدس بوضوح مما أدى إلى انحراف قائدها بالسيارة انحرافاً حاداً إلى جهة اليمين وأسرع بالسيارة فى طريق قصر العينى وبعد حوالى خمس دقائق تقريباً من ذلك نبهنى سامى إلى سيارة أمريكية أخرى بيجو بها أمريكيون عددهم ثلاثة بما فيهم السائق وقد أكدت عليه هو وجمال بشدة السؤال إن كان معهم أى مصرى فأكدوا لى أن كلهم أمريكيون فقلت : إذن نتوكل على الله ، وبدأنا هجومنا على هذه السيارة وفعلاً اقتربت منها بسيارتى جانبى الأيسر بجانبها الأيمن واصطدمت بها عدة مرات لدفعها إلى الرصيف وقام جمال وسامى بإطلاق رصاص بنادقهما الآلية

علـى السـيارة الأمريكيـة ، وعنـد الملـف حيـث نظمـى وحمـادة وجـدت السـيارة الأمريكية تصعد فوق الرصيف وتلتف فى الطريق العائد إلى المعادى ووجدت أن نظمـى وحمـادة لـم يستطيعا إطـلاق الرصـاص عليهـا لحـدوث ارتبـاك بينهمـا بسـقوط خزنـة بندقيـة حمـادة علـى الأرض وأن العمليـة لـم تسـتغرق ثـوانى ولـم يتمكنـا مـن إطـلاق النـار واسـتمرت فـى الالتصـاق بالسـيارة الأمريكيـة وأطلقـت عليها خمس طلقات من مسدسى حتى اصطدمت برصيف الكورنيش ومقدمتها فى اتجاه النيل وتوقفت تماماً فتوقفت وأدرت سيارتنا إلى الخلف لالتقاط مقاتلينا نظمـى وحمـادة من علـى الأرض ، فـى هذه الأثنـاء كـان هنـاك سيل منهمر من الرصـاص يـدوى بجـوار أذنـى وأذن جمـال وسـامى ورائـى بالسـيارة التـى كانـت تطلقه سيارة أمريكيـة أخرى ماركـة " فـان بيـج " زجاجهـا فاميـه غـامق والتقطـت نظمـى ووجـدت حمـادة ينـزف دمـاً بغـزارة لكنهمـا جمعـا سـلاحهما وصـعدا إلـى سيارتنا حيث انطلقت لمسافة خمسين متراً ثم توقفت وسلمت صبياً فى الطريق صـورة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر طالباً منـه تسليمها عند آخر الطريق عند مكان الحادث وعلمت أنه قام بتسليمها إلى ضابط شرطة .

ويضيف محمود نور الدين : حدث بعد ذلك أن نشر الأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس مجلس إدارة دار الهلال ورئيس تحرير " المصور " مقالاً فـى نفس ليلـة محاولة اغتياله وكان قد تناول فى هذا المقال اسم منظمة ثورة مصر مما دفعنى إلى محاولة تصحيح ما جاء فى مقاله الخاص بنا فى صيغة بيان إلى الأستاذ مكرم محمد أحمد أذكر فيه أن هناك بعض الجماعات التى خرجت تحاول نهج أسلوبنا فى العمل المسلح ولكن للأسف الشديد وجهت رصاصاتهم إلى مصريين ومصريين أبرياء من عابرى السبيل.

***

**** فى 1994/5/3 نشرت صحيفة " الشعب " حواراً أجراه (مؤلف هذه الموسوعة)** مع محمود نور الدين قائد تنظيم ثورة مصر(*) وهو فى السجن يقضى عقوبة حبسه ، حيث أوضح فى هذا الحوار أن التنظيم كان يستطيع القيام بعمليات كثيرة وكان يملك الإمكانات لذلك ولكننا خلال 4 سنوات هى عمر التنظيم قمنا بأربع عمليات فقط ، لأننا حرصنا على عدم إيذاء أى مصرى فى أى عملية حتى لو أدى ذلك لإلغائها وقال :

– كنت أشعر بوجود ضغوط على مصر من أجل الإسراع بالتطبيع مع إسرائيل فأردنا إعطاء سبباً وجيهاً للقيادة السياسية فى مصر لرفض تلك الضغوط بسبب الرفض الشعبى والمقاومة المسلحة لذلك .

– فى تنفيذنا لعملياتنا كنا نحرص على توجيه بنادقنا لسيارات الإسرائيليين حتى لا نصيب أى مصرى أو أجنبى برئ فأنا كنت حريصاً على أن تنظيم ثورة مصر مسلح وحضارى .

– أما بالنسبة لأخى الذى أبلغ عن التنظيم فقد تعدى حدود الخيانة بكثير .

– الصحوة الإسلامية التى تعيشها مصر فرصة للحوار الجاد بين أجهزة الدولة والجماعات المناهضة كما أننى أرفض التفريق بين المصريين حسب الانتماءات السياسية أو بين الناصريين والإسلاميين خاصة أن الأمة مجمعة على تطبيق شرع الله ، ومثلى الأعلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

– أرى أن قتال اليهود فرض عين على كل مسلم لأنهم هم من اعتدوا علينا وشردوا أهلنا واحتلوا أرضنا فقتالهم واجب دينى ووطنى .

---

* جدير بالذكر أن نيابة أمن الدولة العليا قدمت هذه الدعوى بمقتضى أمر إحالة صادر فى 18 فبراير 1988 موقع من المحامى العام .. الأولى اتهمت فيه محمود نور الدين – محيى الدين عدلى رجب – أحمد على نظمى شاهين – محمد على وشهرته " حمادة " – سامى عبد الفتاح وشهرته سامى فيشة – جمال عبد الحفيظ محمود – حامد إبراهيم – أسامة خليل – ممدوح عدلى – إسماعيل الجيزاوى – أحمد إبراهيم أحمد – إسماعيل جمال الدين – حمدى عبد الغفار – مختار عبد الحميد .
والمحكمة برأت كلا من : خالد عبد الناصر – جمال شوقى عبد الناصر – وشريف الشافعى ، وقال حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة أن اتهام ابنه فى القضية " شرف لا ندعيه وجهاد لم ندع إليه ومجد لم نشارك فيه " .

أما بالنسبة لحياتى فى السجن فهى فرصة للتعبد والقراءة الجيدة وعلاقتى بباقى المساجين جيدة جداً خاصة من أبناء التيار الإسلامى فهى أكثر من ممتازة وإن كنا لا نتقابل إلا نادراً بسبب نظام السجن الذى يمنع اختلاطى مع بقية المساجين . **<u>وفيما يلى جزء من نص الحوار :</u>**

س : بصراحة هل تشعر بمرارة لاكتشاف تنظيم " ثورة مصر " ؟

ج : بالتأكيد فإنى أشعر بمرارة عميقة لاكتشاف تنظيم " ثورة مصر " ، ولكى أجيبك فلابد لى من شرح أهدافى من تنظيم " ثورة مصر " فنحن لم نكن معنيين بمجرد قتل الإسرائيليين أو اليهود ولكن :

أ – كنت أشعر بوجود ضغوط قوية على القيادة السياسية المصرية للإسراع فى التطبيع وتعميمه ، وكنت واثقاً من أن الرئيس محمد حسنى مبارك يقاوم ذلك ، بل يرفض تلك الضغوط ، والمفروض أن المقاومة المسلحة المصرية متمثلة فى " ثورة مصر " سوف تعطى الرئيس مبارك سبباً وجيهاً لرفض تلك الضغوط ، كما كانت هناك مشكلة " طابا " واسترجاعها لتراب مصر وكنت واثقاً – كما نقول بالبلدى – من أن مبارك " واخدهم على قد عقلهم " حتى يسترد كل الحقوق العربية .

ب – هدفت إلى مساعدة المفاوض المصرى على استرداد طابا وإيقاف التطبيع أو الإبطاء فيه على الأقل ، فما أسهل على المفاوض المصرى أو القيادة السياسية من أن يتعللوا لإسرائيل بعدم استطاعتهم الاستجابة للمطالب الإسرائيلية ، حيث هناك معارضة ومقاومة مصرية جدية ومسلحة لمقاومة ذلك ، وأرجو أن تلاحظ هنا أن تلك هى نفس لعبة الإسرائيليين القديمة والمعهودة ، والتى تصل فى بعض الأحيان حتى إلى تغيير الحكومة بكاملها .

ج – كان تنظيم " ثورة مصر " يستطيع أن يقوم بعمل مسلح كل عدة أيام لو لزم الأمر ، وكان ذلك متاحاً تماماً والأهداف كثيرة وسهلة ولكننا فى خلال أربع سنوات – هى عمر التنظيم – قمنا بأربع عمليات فقط بمتوسط عملية واحدة فى

السنة .. لماذا ؟ لأننى كنت حريصاً على ألا أخل أو أهز الأمن والأمان والاستقرار فى مصر من ناحية ، ومن ناحية أخرى كنت حريصاً جداً ألا أسبب أية حالة من الرعب أو الخوف لأفراد الشعب المصرى المسالم أو زواره الأجانب ، وما كان أسهل من ضرب السياحة الإسرائيلية على الأقل ، ولكنى كنت أعى النتيجة ولم أكن أبداً أسعى لضرب أو هدم جزء هام من الاقتصاد المصرى أو الاستثمار ، وأظن التفاصيل سهلة ومعروفة وما كنت أستطيع أن ألحق بوطنى وبلدى وأهلى ذلك رغم الضغوط التى مورست علىّ من بعض أعضاء التنظيم فى ذلك ، خاصة فى استعمال القنابل اليدوية الفتاكة والمتوافرة لدىّ ، فكان ضميرى لا يحتمل إصابة أى مصرى أو أجنبى برىء بشظايا تلك القنابل التى لا تميز بين أحد فى أهدافها ، وكنت ألاحظ فى وضعى لكل خطط العمليات أن يكون هناك فراغ واسع وراء الهدف حتى إذا لم تصبه رصاصاتنا فتذهب فى الهواء ولا تصيب بريئاً سائراً مثلاً على الرصيف أو جالساً بمقهى أو دكان ، وحتى عملية المعرض حرصت تماماً على أن تكون البنادق الآلية داخل سيارات الإسرائيليين ، وأعنى داخلها تماماً .. أى حتى لا تطيش رصاصة واحدة لتصيب أحد من مئات المصريين ورجال الأمن الموجودين بجوارنا وحولنا فى كل مكان ، وهو فعلاً ما وفقنا وأكرمنا به الله ، لأن الله سبحانه أعلم بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، وهو ما حدث بالضبط فى كل عمليات "ثورة مصر" .

د – كنت أريد أن أثبت أن تنظيم " ثورة مصر " هو تنظيم مسلح حضارى ، وأعنى كلمة "حضارى" بالتحديد – إن صح التعبير – وحرصت على ذلك حتى اليوم ، فمثلاً أثناء المحاكمة وحينما كانت تهاجمنا النيابة لم نكن نفعل مثلما يحدث فى بعض القضايا السياسية الأخرى فنوجه للنيابة أية ألفاظ نابية على أساس أننا لن نخسر شيئاً .. فالنتيجة واحدة .. بل كنا نلتزم الصمت التام ويكفى أن أشير إلى أن الأهالى والزوار المتعاطفين معنا والموجودين وقفوا

جميعاً وغادروا قاعة المحكمة فوراً وبهدوء ودون ضوضاء أو أى كلمة كنوع متحضر فى الاحتجاج .

س : بصراحة أكثر لماذا اكتشف تنظيم ثورة مصر ، وهل كان شقيقك ضعيفاً إلى درجة الخيانة ؟

ج – اكتشف تنظيم ثورة مصر بسبب الخيانة وأقول عن شقيقى : نعم كان ضعيفاً إلى درجة قد تتعدى الخيانة بكثير .

س : هل تعتقد فى جدوى وجود روابط فكرية وسياسية بين الإسلاميين والناصريين فى مصر اليوم ، وبماذا تنصح فى هذا الشأن ؟

ج : فى حقيقة الأمر أنا لا أفهم معنى روابط فكرية وسياسية بين الإسلاميين والناصريين فى مصر اليوم أو أى يوم ، فأنا لا أرى الإسلاميين والناصريين إلا شعباً واحداً وأمة واحدة وأنا ضد أية تفرقة بين عناصر هذه الأمة ، التى لا يجب أن تستند إلا على شرع الله فى كل الأمور ولا أعتقد أن هناك عاقلاً يطلب الآن الثأر من عبد الناصر ، فالرجل فى ذمة الله وهو الذى يحاسبه وإن شاء الله يدخله الجنة برحمته التى وسعت كل شيء سبحانه جل شأنه فهو الذى سيحاسب جمال عبد الناصر والله أعلم بنيته وأعماله ، ما خفى منها وما ظهر ، فاتركوا الأمر لله ورحم الله امرأً عرف قدره فوقف عنده ، نحن أمة الإسلام " إنما المؤمنون أخوة " وعلينا التمسك بالعروة الوثقى " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " ونحن الذين بايعنا محمداً على الجهاد أبداً ، ويختلط الأمر على البعض ويعتقدون أن الجهاد هو الحرب فقط ونسوا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد الحرب : " لقد انتهينا من الجهاد الأصغر وجئنا إلى الجهاد الأكبر ولما سئل وما هو الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال: هو جهاد النفس " . وكذلك الاجتهاد من الجهاد ولا يمكن أن يدعيه إلا من هول أهل له ، ولو أدركنا معنى اقتحام لجج الفتوى ، وخطر الخوض فى غمارها ، فالجرأة على الفتوى جرأة على النار ، وأنا لا أقصد غلق باب الاجتهاد ، أو منع الناس منه

ولكنى أقول لهم : تعلموا قبل أن تجتهدوا فليس الاجتهاد بالتحالى ، ولا بالتمنى ، ولكن ببلوغ درجة معينة من العلم يستطيع المرء بواسطتها استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها ، ويحضرنى هنا ما قاله الإمام ابن تيمية : " الشارع لا يحظر على الإنسان إلا ما فيه فساد راجح أو محض ، فإذا لم يكن فيه فساد أو كان فساده مغموراً بالمصلحة لا يحظر أبداً" . ورأيى أن نعتصم جميعاً بحبل الله ونحل خلافاتنا بالمعروف وبالحسنى حتى لا تذهب ريحنا ولا أرى أن هناك خلافاً حقيقياً حاداً لا نستطيع تسويته والاتفاق عليه بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله .. فعلينا أن نتقى الله جميعاً لعله يعزنا بعد ذلك .

س : من هو مثلك الوطنى الأعلى فى التاريخ الإسلامى ؟

ج : الإسلام ليس له وطن ، ومثلى الأعلى فى التاريخ الإسلامى هو بلا أدنى شك محمد بن عبدالله رسول الله وصفيه صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً " .

س : هل تؤمن بأن العنف المسلح وحده هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع الإسرائيليين ؟

ج – من يدرس تاريخ اليهود ومن يتعامل مع الإسرائيليين – وقد تعاملت مع الكثير منهم فى أوروبا وخاصة بريطانيا – سيتأكد أن إسرائيل لن تتنازل أبداً عن هدفها فى إسرائيل الكبرى "من النيل إلى الفرات" ولنتذكر دائماً قول الله الحق " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " .

أما عن العنف المسلح مع الإسرائيليين فى مصر ، فأنا ضد العنف المسلح ضد اليهود المدنيين فى أى مكان إلا فى الأراضى المحتلة وهو فرض على المصريين أن يشتركوا فيه هناك .

س : التطبيع بين مصر وإسرائيل وصل إلى درجات متقدمة للغاية ، فما هو أولاً : تقييمكم العام لحالة التطبيع الراهنة ، وثانياً : ما هو الأسلوب الأمثل لمواجهتها سياسياً وفكرياً ؟

ج : أرجو أن تسمح لى أن أسأل بدورى وما هو " التطبيع " ، التطبيع ليس مجرد تحية أو شد على اليد بين مصرى وإسرائيلى ، التطبيع ليس مجرد عملية بيع أو شراء بسيط حين يغلب عليه الطمع بين مصرى وإسرائيلى . إن أخطر ما فى التطبيع هو الإيدز والسموم البيضاء وتهريب السلاح وقبل كل ذلك احتمال اختراق الموساد للنظام المصرى ، ولا أقول للشعب المصرى لأنه لن يستطيع ، وأمامك مثال لذلك وهو بالضبط ما قامت به منظمة " ثورة مصر " بمقاومته وفضحه والتنبيه عليه وإنى على علم وواثق من أن أجهزة الأمن المصرية بمختلف مستوياتها متنبهة تماماً لذلك الأمر وهناك قضايا من هذا النوع لا تعلم عنها الصحف شيئاً للمصلحة العليا ، أما الأسلوب الأمثل لمواجهة التطبيع سياسياً وفكرياً فهو فى المقاومة المسلحة وفى السعى الجاد إلى الوحدة العربية الإسلامية والتى هى خير مانع وخير حافظ .

س : ما رأيكم فى اتفاق غزة – أريحا ، وما تلاه من أحداث فى نطاق التسوية السلمية بين العرب والإسرائيليين ؟

ج : لا أعتقد أنه يوجد الآن ما يسمى باتفاق غزة – أريحا ، وعموماً ما هو فى الأصل اتفاق مبادئ لم يتعد مصافحة باردة بين الرئيس ياسر عرفات ورابين ، ولكنى أعتقد أنه من مصلحة الفلسطينيين أن يتملكوا أكبر رقعة من أرضهم بصفة مبدئية وأن تكون لهم السيادة عليها وخالية من المستوطنات الإسرائيلية ، وهذا لا يعنى أبداً انتهاء الصراع العربى – الإسرائيلى ، بل يجب استمرار الكفاح المسلح وتصاعده فى فلسطين وجنوب لبنان بل قد تكون بداية سليمة له وعلينا نحن المصريين أن نعد العدة من الآن – تكنولوجياً وعسكرياً واقتصادياً – وفى اعتقادى أن ما يحدث الآن هو استعداد للمعركة الفاصلة ، وطبعاً من

غير المعقول أن نتوقع إعلاناً رسمياً بذلك ، وربما يحسن ألا أزيد فى الحديث فى هذا الأمر وأكاد أرى أول مسمار فى نعش إسرائيل وبداية زوالهم . يقول الله القوى الناصر " وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا " وإن شاء الله يخرج من الأمة الإسلامية " بخت نصر " جديد ، وإذا نظرنا إلى حوادث العنف المسلح يومياً بين الفلسطينيين والإسرائيليين – وأمامنا مذبحة الحرم الإبراهيمى ومجمع الأتوبيسات والحوادث الفردية اليومية وجنوب لبنان وغيرها وهو قتال يومى حقيقى بين العرب وإسرائيل – فهل هذا هو اتفاق غزة – أريحا .

س : كيف ترى مستقبل مصر والأمة العربية بعد بدء تنفيذ مخطط السوق الشرق أوسطية؟

ج : أرى أن موضوع السوق الشرق أوسطية مازال أمامه وقت ليس بالقصير وعقبات عديدة ولكن ما يهمنى هنا هو ماذا تستطيع إسرائيل أن تفعل إزاء أمة إسلامية عربية موحدة صلدة صلبة تعرف عدوها ومخططاته ولديها من الإرادة والإيمان والإمكانيات ما يمكنها من نسف مخططات إسرائيل ، وأمامنا أمثلة للصراع الاقتصادى والفكرى والثقافى بين الولايات المتحدة واليابان وأوروبا والصين والنمور الآسيوية وغيرهم ، الأمر متوقف علينا وليس على غيرنا فإما أن نجعلها حلف بغداد آخر أو نجعلها وحدة إسلامية عربية مباركة .. هذا هو الطريق ولا طريق غيره وقد أمرنا الله به " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ولا أظننا سنكون كافرين أبدا إن شاء الله وقد أمرنا الله بقتالهم ولا يجب أن ننسى أننا خير أمة أخرجت للناس وعلينا تحقيق ذلك بالعمل والجد وصلابة الإرادة والوعى الكامل ، إننا جميعاً فى قارب واحد وطبعاً الإيمان وطاعة الله ورسوله هما أول الطريق .

س : كيف يقضى محمود نور الدين يوم السجن ، وكيف مرت عليكم السنوات السابقة ، وما هى شكل علاقاتكم بالمساجين السياسيين الآخرين وبخاصة من الاتجاه الإسلامى ؟

ج : الحمد لله رب العالمين ، أقضى يومى بروح حرة طليقة وقلب مفعم بإيمان عميق بالله الرحمن الرحيم ، أقضى وقتى فى الصلاة والحمد لله وقراءة بعض سور القرآن الكريم وقراءة موضوعات شتى أخرى ، حيث إن القراءة هوايتى منذ الصغر ، كما أقرأ الصحف والمجلات وأحاول قدر وسعى أن أتفقه وأتعلم كل ما أستطيع من أمور ديننا الحنيف وأختلط بالسجناء وأعيش كأى سجين عادى ، وقد مرت علىّ سنوات صعبة عصيبة مريرة ولكن الله الحى القيوم أنسانى إياها ، وكنت محروماً من هواية حبيبة مارستها طوال عمرى ألا وهى الرياضة ، وذلك لعدم وجود المكان أو الإمكانيات ، أما عن علاقاتى بالمسجونين السياسيين وبخاصة من التيار الإسلامى ، فهى والحمد لله أكثر من ممتازة ، علاقة أخوة فى الله ، يشد بعضنا بعضاً ، أكن لهم جميعا كل الحب والاحترام وهم جميعاً والحمد لله يبادلوننى نفس الشعور ولكن للأسف نحن لا نلتقى إلا نادراً جداً وبالصدفة ، حيث إن إدارة السجن الجديدة فى غاية الحزم والصرامة فى هذا الأمر ولا تسمح لنا أبداً بالتقابل أو بالاختلاط ، وإن كنا فى الماضى اختلطنا وأقمنا الصلاة سوياً خاصة فى شهر رمضان قبل الماضى ، ولكن الإدارة الجديدة – سواء فى السجن أو إدارة مصلحة السجون الجديدة – دائمة المرور والتفتيش وقد منعت ذلك نهائياً ، فلم يعد متيسراً .. وأنا أدعو الله فى كل سجدة أن يفرج كرب الجميع وأن يغفر لنا ويعيدنا إلى أهلنا سالمين ناصراً دينه وموحداً لأمتنا العربية والإسلامية وأن ينصرنا على أعدائنا .

س : ما هى أمنيات محمود نور الدين الخاصة والعامة ؟

ج : أمنياتى الخاصة تنحصر فى عائلتى وبناتى الثلاث ، وأن يشفى الله زوجتى التى لا تكاد تنتهى من عملية حتى تجرى لها عملية أخرى ، وكذلك

ابنتى الكبرى التى حدث لها حادث مؤخراً فى آخر يوم لزيارتها لمصر وهى ترقد فى المستشفى الآن ودعائى لله أن يشفيها ، وهن جميعاً يعشن الآن خارج مصر لسبب العلاج والدراسة والعمل ، ورغم أننا كأسرة من أب وأم وثلاث بنات فقد تفرقنا وتشردنا إلا أننى أتمنى من الله القادر على كل شيء أن أكون حراً طليقاً حين زواجهن ، فأنا لم يقدر لى أن أفرح أو أسعد بهن ومعهن منذ 13 سنة ، وأمنيتى أن يجمع الله شملنا مرة أخرى وأخيرة ، أما أمنياتى العامة فهى أن يلتئم شمل كل المصريين وتنتهى كل الخصومات سواء بين جماعات وجماعات أو بين جماعات وحكومة وأن يعزنا الله سبحانه ويرضى عنا ، وأن يوفق ولاة أمورنا إلى كل ما فيه صالح الإسلام ومصر والعروبة .

***

ثالثاً : الجندى أيمن حسن :

وهو من الزقازيق قام فى عام 1990 بقتل خمسة إسرائيليين وجرح أربعة وعشرين آخرين على طريق رفح إيلات بعد تجرؤهم على الحدود المصرية ودهسهم للعلم المصرى بالأقدام.

وقد أكدت مصر أن الحادث عمل فردى بحت وأنه لا صلة بين الجندى المتهم وأية جماعة سياسية أو عسكرية ، وقد أعربت القاهرة خلال رسالتها إلى إسرائيل عن رفضها لمطلب إسرائيل يقضى بضرورة استقبال وفد أمنى إسرائيلى للاطلاع على سير التحقيقات مع الجندى المصرى وطلبت من إسرائيل ضرورة أن تثق فى أن القضاء سوف يصدر حكمه العادل على الجندى المتهم معلنة عن رفضها لأى تدخل خارجى فى التحقيقات .

من جانب آخر كشفت التحقيقات الأمنية التى أجريت مع الجندى المصرى أيمن محمد حسن أن الدافع الأساس وراء ارتكاب حادث قتل وجرح عدد من الإسرائيليين على الحدود المصرية الفلسطينية هو دافع وطنى بحت .

أكد الجندى البطل أن الحادث قد جاء ثأراً للشهداء والضحايا الذين سقطوا على أيدى المجرمين الصهاينة وأضاف أن مذبحة المسجد الأقصى هزت بداخلى أشياء كثيرة وأدركت أنه لا معنى للحياة وهؤلاء الصهاينة يقتلون أشقائى فى فلسطين ويدنسون مقدساتنا الإسلامية ولهذا قررت الانتقام .

أضاف أنه كان يحلم بالمستقبل شأنه شأن أى شاب مصرى والهدف الأكبر هو الذى سيطر على كل مشاعرى وأدركت أن هذا الهدف يتمثل فى الانتقام من هؤلاء القتلة . أعرب أيمن حسن عن أسفه لأنه لم يتمكن من قتل كل الركاب الإسرائيليين وقال : إننى لا أخاف الموت ولكننى تمنيت من الله قبل العملية أن أموت على أرض مصر الحبيبة .

وأشار إلى أنه ظل يراقب المركبات الإسرائيلية لعدة أيام وأنه رسم لنفسه خطة قتلهم ولم يبح بأسرارها لأحد .

نفى تماماً أن تكون له صلة بأية منظمات فلسطينية داخل أو خارج الأراضى المحتلة معتبراً أنه من الشرف أن تكون له هذه الصلة مع أناس مناضلين من أجل حقهم . أكد أنه لا يعلم شيئاً عن منظمة الجهاد الإسلامى .

كشف النقاب عن أنه كان يسعى إلى تنفيذ العملية عقب مذبحة الأقصى مباشرة إلا أنه ظل يراقب الموقف انتظاراً للخطة المناسبة ، وعلى الصعيد نفسه حذرت مصر إسرائيل من مغبة القيام بأية أعمال إرهابية على الحدود المصرية الفلسطينية رداً على الحادث وقد أكدت مصر أن لديها معلومات تفيد بعزم بعض أعضاء الجماعات اليهودية المتطرفة .

القيام بعمليات عدائية على الحدود المشتركة وكان أعضاء هذه الجماعات قد وزعوا منشورات فى الأراضى المحتلة تهجموا على الشعب المصرى وحكومته وطالبوا بالانتقام من المصريين والعرب .

شرقية وأمن مركزى .. لماذا ؟

بعد قيام أيمن محمد حسن بعملية الحدود عام 1990 أثير أكثر من تساؤل عن سر تفرد أبناء الشرقية بمعظم العمليات التى تمت ضد العدو الإسرائيلى إضافة إلى أن معظم هؤلاء الأبطال كانوا ينتمون لقوات الأمن المركزى .

الجغرافيا جعلت محافظة الشرقية إضافة لمثلث القناة هى أول من يتصدى لكافة الغزوات والهجمات التى تمت ضد مصر على مر الزمان ومنذ أيام الفراعنة .. معسكرات الصالح أيوب ومكانه الآن مدينة الصالحية هو الذى تصدى للصليبيين ثم المعركة بين عرابى والإنجليز فى التل الكبير ثم معارك خط القناة بأكملها ضد الانجليز ومعسكراتهم فى القناة والشرقية ، وبعد معركة 1967 وبدء بناء حائط الصواريخ ومع شدة قصف العدو الصهيونى لمنع مصر من تنفيذه تحملت الشرقية النصيب الأكبر من هجمات العدو والمثير أنه تم إجبار بعض أهالى الشرقية على الهجرة لمحافظات أخرى حماية لهم من القصف إلا أنهم كانوا يعودون ليلاً لزراعة أراضيهم ومساعدة الفدائيين وتكفلت السيدات بنقل الذخائر للمقاتلين . واستحوذ أبناء الشرقية على النصيب الأكبر فى بناء حائط الصواريخ حتى اكتمل إنشاؤه وقدموا العديد من الشهداء لحماية السماء المصرية من طيران العدو .. وبعد معاهدات كامب ديفيد أصبحت الشرقية بالفعل هى خط الدفاع الأول ضد أى هجوم مضاد .

هذا عن الجغرافيا وبالنسبة للتاريخ فإن كافة حروب التحرير ضد إسرائيل خلال حروب 48 ، 56،67 ثم الاستنزاف وأخيراً معركة 1973 جعلتهم يدركون أن إسرائيل هى عدوهم الوحيد.

وعلى الجانب الاجتماعى فإنه من الشائع أن الشراقوة هم أبناء عمومة للصعايدة لما يتميزون به من حمية وعدم قدرتهم على تحمل الاستفزازات وهو ما دفع سليمان خاطر وأيمن حسن على التصدى بسرعة ودون تفكير للعدو نتيجة تراكم ملايين الأسباب الظاهرة الثانية هى انتماء كل من سليمان خاطر وأيمن حسن للأمن المركزى ، إضافة إلى أن العديد من أعضاء ثورة مصر لم يتلقوا تعليماً

عالياً وتفسير ذلك أن الفطرة ربما تكون سبباً رئيساً فى التصدى لأية ممارسات وهما أشياء مقدسة بالنسبة لغالبية أفراد الأمن المركزى وأكثرهم من الصعيد والشرقية .. إضافة أن جندى الأمن المركزى لا يخضع غالباً تنفيذ مثل هذه العمليات لتوازنات أو تفكير مسبق وأيضاً فمعظم هؤلاء يقعون فى الفئة المطحونة من الشعب التى لا تخشى كثيراً على ما ستفقده إذا تعرضت للموت .وأخيراً وهذا هو المثير حقاًَ فإن الكثيرين يتساءلون عقب كل عملية ضد أهداف إسرائيلية وتقدم الدراسة الميدانية المتفردة للدكتور عبد الباسط عبد المعطى أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس الإجابة ، حين تؤكد أن 84% من المصريين يرفضون معاهدة السلام وأن 58% من المصريين حينما تقابلوا لأول مرة مع الصهاينة تذكروا الشهداء المصريين ، 41% تذكروا أبناء فلسطين .. وأكد 77% منهم أن الشخصية الإسرائيلية عدوانية ، 45% قالوا : إنها مراوغة ، 30% قالوا : بأنها تتصف بالخيانة ، 34% أكدوا بأنها فاشية وملحدة .. ألا يكفى كل ذلك من دوافع ؟! وفقاً للمنشور فى صحيفة (مصر الفتاة 1990/12/3) .

** ثم جاء الحكم بالسجن 12 عاماً سجناً أشغالاً شاقة للجندى المصرى البطل أيمن محمد حسن وذلك لقتله خمسة إسرائيليين وإصابة 27 آخرين وذلك على الحدود المصرية الإسرائيلية وذلك بعد قيامهم بالاعتداء على السيادة المصرية وتمزيق العلم المصرى .

وفى لقاء مع الجندى البطل من قفص الاتهام بالمحكمة قبل النطق بالحكم نشرته جريدة " الأهالى " فى 1991/3/13 أكد الجندى أيمن محمد حسن أنه يقتدى بجاره "وبلدياته" سليمان خاطر الذى ترك رسالة مهمة جداً قبل إعدامه حيث قال : " بأننى فداء لمصر ولن أكون أول أو آخر فداء لها فهناك الملايين من المصريين الذين سيحافظون على أرضها ويكفى أننا سنكون مثلاً وقدوة لهم كما حدث عندما ودعتهم فى سجن فنارة الحربى حيث قالوا لى : إنك يا سليمان

علمتنا كيف نحمى حدودنا ونخاف عليها مهما تكن الظروف وعندما ودعتهم بكيت فقالوا لى : أتبكى يا سليمان وأنت علمتنا الشجاعة فقلت لهم : إننى على الفراق وإننى تركت لكم حدود مصر أمانة فى أعناقكم لحمايتها وإننى لا أخاف الإعدام أو الموت فهذا أجلى وعمرى .

وقال الجندى أيمن محمد حسن : إنه تأثر بما قاله سليمان خاطر وأنه غير نادم مطلقاً ، لأنه فعل ما فعل بسبب اعتداء الإسرائيليين على الحدود المصرية ولما يقومون به فى الأراضى العربية المحتلة من قتل وتشريد لأهل فلسطين ومحاولتهم المستمرة لتدمير المسجد الأقصى ومقدسات المصريين وأنه غير آسف على ما حدث ، وبعد النطق بالحكم السابق ذكره هتف أهالى الجندى بحياة ابنهم وأنهم يتلقون الحكم بصدر رحب .

***

رابعاً : أبطال آخرون قاوموا التطبيع :

** فى أغسطس 1989 نشرت صحف المعارضة تفاصيل حادث اغتيال العالم المصرى سعيد بدير والذى تم اغتياله فى شقته بالإسكندرية ، وقد أدلت زوجة الفقيد بمعلومات خطيرة منها :

– أجهزة مخابراتية ألمانية وأوروبية كانت تطارده بسبب أبحاثه الخطيرة فى مجال الفضاء مما وضعه على قائمة الاغتيالات للموساد الإسرائيلى بعد نجاحهم فى اغتيال د. سمير نجيب عالم الذرة المصرى فى أمريكا ثم يحيى المشد فى باريس .

– وكانت أبحاث سعيد بدير ستنقل العالم من عالم الذرة إلى عالم الميكروييف وقد أصر على أن تكون مصر على علم بكل تفاصيل أبحاثه ، وقد كشفت زوجة سعيد بدير أنه بعث برسالة لمبارك يطلب حمايته من التهديدات التى تلاحقه نظراً ، لأنه كان مهندساً فى السلاح الجوى المصرى .

وبعد حادث الاغتيال قالت زوجة الشهيد سعيد بدير : إنه تم القبض على أربعة ضباط يعملون فى الموساد الإسرائيلى بالإسكندرية مما يرجح أنهم وراء عملية الاغتيال .

وفى ذات السياق نعود إلى تاريخ الموساد فى قتل العلماء حيث بدأ دور الموساد واضحاً فى هذا الصدد عام 1962 عندما استقدمت مصر مجموعة من علماء الصواريخ الالمان الغربيين للاشتراك فى مشروع " فاسل فول " لانتاج 8 صواريخ مصرية من طراز " فى تو " استعملها الألمان بنجاح فى الحرب العالمية الثانية .

وبمجرد علم الموساد بالمشروع سعت جدياً لإفشاله ، فأرسلت بطرود متفجرات إلى العلماء الألمان ، وبدأت فى خطف أفراد من أسرهم مما اضطرهم إلى الانسحاب من مصر .. بعد خمس سنوات دون إتمام المشروع.

ولم تكتف الموساد وقتها بذلك ولكنها تابعت نشاط الشركة التى كان يتبعها هؤلاء العلماء وهى شركة "أوتراكا" الألمانية الغربية لإنتاج تكنولوجيا الفضاء حتى تم القضاء على مشروع تصميم صواريخ جديدة لإطلاق أقمار صناعية للفضاء ، أطلق عليها اسم "أقمار الفقراء الصناعية"، لأن تكلفتها كانت قليلة ، وكان الهدف من صنعها هو أن تستعملها دول العالم الثالث للأغراض السلمية. وبالفعل اتفقت الشركة مع زائير لموقعها المناسب على إنشاء قواعد لإطلاق هذه الصواريخ والأقمار الصناعية ، ولكن قبل أن يتم المشروع أفشت الموساد أسراره للمخابرات الأمريكية والسوفيتية فمارست الدول الكبرى ضغوطاً شديدة على زائير حتى ألغت هذا المشروع .

بدء الاغتيالات

كان قد سبق ذلك اغتيال الدكتورة سميرة موسى عالمة الفيزياء المصرية المشهورة عام 1953 على أيدى أجهزة الموساد فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وتلاه اغتيال الدكتور سمير نجيب عالم الذرة المصرى فى مدينة ديترويت الأمريكية يوم 2 أغسطس عام 1967 وذلك قبل عودته لمصر بيوم واحد للحيلولة دون حصول مصر على ما توصل إليه من أبحاث خطيرة !! .
ونشط الدور الإسرائيلى بوضوح فى محاولات إفشال التعاون النووى الفرنسى – العراقى بشتى الطرق قبل قيام الطيران الإسرائيلى بضرب المفاعل النووى العراقى " تموز " عام 1981 ..
ففى يوم 9 أبريل عام 1979 وبينما كان الحوضان المعدان لاستقبال مولدين نووين جاهزين للشحن بحراً للعراق بعد أن تم تصنيعهما فى ميناء "لاسانيوسورير" جنوب فرنسا قام سبعة من قواعد الكوماندوز التابعة للموساد بدس ثمانى عبوات ناسفة حول الحوضين حيث انفجرت ودمرت المفاعلين بالكامل ، وذلك بعد تعطيل جهاز الإنذار الالكترونى الموجود فى الميناء وفتح الباب الحديدى الذى يؤدى إلى الحوضين بعد الحصول على مفتاحه وذلك وفق ما أكده اثنان من خبراء شئون الموساد وهما صحفيان أحدهما: فرنسى والآخر إسرائيلى فى كتاب صدر لهما منذ شهور بعنوان " إسرائيل سرى للغاية " وفضحا فيه مجموعة من أعمال الموساد السرية ضد الأهداف العربية خلال العقدين الماضيين (عشرين سنة) .

شل المشروع النووى العراقى

لم تكتف الموساد بتأخير هذا المشروع عاماً كاملاً نتيجة هذه العملية ولكنها قامت بعد مرور عام وشهرين منها ، وفى الرابع عشر من يونيه عام 1980، قام عملاء الموساد بتهشيم رأس الدكتور يحيى المشد بآلة حديدية فى الغرفة رقم 9041 بفندق المريديان فى باريس .
والدكتور المشد هو عالم الذرة المصرى الذى تعاقد مع العراق عام 1975 للإشراف على مشروع المفاعل النووى العراقى ، وكان يتردد على فرنسا كثيراً

للإشراف على الاستلام وفحص المعدات النووية الخاصة بالمشروع ، كما كان مسئولاً عن تدريب 350 خبيراً نووياً عراقياً .

وقالت مجلة " العلوم والحياة الفرنسية " فى تحقيق عن الحادث : إن موت المشد يعد ضربة قاضية للمشروع النووى العراقى وللمحاولات النووية العربية .

وكانت نتيجة التحقيق الأمنى القضائى الفرنسى أن الجريمة تمت بفعل مجهول ، ومازال البحث جارياً عن هذا المجهول حتى اليوم ولم يعثر له على أثر مع أن إسرائيل قطعت الشك باليقين وأثبتت أن الموساد وراء كل هذه الجرائم بعد أن دمرت المفاعل النووى العراقى مساء السابع من يونيه عام 1981 .

ولكن كيف تثبت فرنسا هذه الجرائم ضد الموساد الإسرائيلى وقد كونت إسرائيل فى السبعينات فريقاً من القتلة المحترفين لتنفيذ عمليات قتل ضد العرب فى أوروبا وراح ضحيتها عشر شخصيات عربية ، وقد كان قائد هذا الفريق يهودى فرنسى من أصل بولندى ، هاجر إلى إسرائيل فى بداية الستينيات ثم جرى تعيينه ملحقاً عسكرياً لإسرائيل فى باريس لمدة ثلاث سنوات قبل العودة مرة أخرى لإسرائيل للالتحاق بالموساد .. واسم هذا الرجل هو "ليبرمان" كما يذكره المستشرق الفرنسى فانسان مونتوى فى كتاب أصدره منذ عشر سنوات بعنوان "ملف سرى عن إسرائيل " وخصص نصفه عن جرائم الموساد فى أوروبا !! .

والغريب أن هذا المستشرق الفرنسى عندما قدم للقضاء الأدلة الدامغة على تورط الموساد فى عمليات العرب كان رد جهازى الأمن والقضاء أن هذه الأدلة غير كافية ! .

التصدى للمشروع الليبى

فعندما حاولت ليبيا فى بداية الثمانينات الاتصال بشركة كلف أند جنرال أتوميكر الأمريكية لمساعدتها فى بناء مفاعل نووى للأغراض السلمية تدخلت الإدارة الأمريكية ومنعت الشركة من مساعدة ليبيا ، بل ومارست ضغوطاً مكثفة على السويد لإلغاء اتفاقية كانت إحدى شركاتها "تيلوب" قد تعاقدت بمقتضاها

مع ليبيا على تدريب فنيين ومهندسين ليبيين على تكنولوجيا الصواريخ الموجهة .

وقد قاد هذه الحملة ضد ليبيا فى الخفاء الموساد الإسرائيلى بهدف منع ليبيا من إقامة أى مفاعل أو مصنع له صلة بالطاقة النووية .

هذه اللقطات السريعة من أرشيف الموساد الإسرائيلى الملىء بالجرائم والدسائس بالتعاون مع قوى دولية ضد العالم العربى تجعلنا نقول : إذا كان كل من يحاول أو يساهم فى الدخول بالعرب إلى عصر الذرة فى عرف إسرائيل ومن وراءها عدواً يستحق القتل والاختفاء نهائياً من الحياة .. إلا يكون عالماً مثل الدكتور سعيد بدير عالم الاتصالات المصرى أشد خطورة على إسرائيل خاصة أنه ووفقاً للمنشور فى جريدة الشعب بتاريخ 1989/9/19 كان مصراً على مد بلاده بنتائج أبحاثه التى توصل إليها من خلال عمله فى المشروع 254 فى جامعة ديزبرج الألمانية ، وأهمها ما توصل إليه من نتائج هامة جداً فى مجال إمكانية الاتصال بجميع السفن الفضائية أو الأقمار الصناعية والتقاط كل المعلومات حول التجسس من خلالها وإمكانية التشويش عليها . ورغم أن هذه النتائج كانت مازالت فى حكم البحث النظرى إلا أن أهميتها الاستراتيجية كانت كبيرة خاصة فى زمن التطبيع السياسى مع إسرائيل (1979–2011) .

***

(2) فى نهاية عام 1989 كشفت أسرة المهندس عبد القادر حلمى العالم المصرى الذى كانت تحاكمه أمريكا آنذاك بتهمة تهريب أسرار علمية عسكرية أمريكية لمصر – عن كثير من الجوانب الإنسانية فى قضية ابنها المحبوس فى أمريكا .

ذكر أفراد العائلة فى لقاء مع جريدة " الشعب " فى 1989/9/19 أن السلطات الأمريكية قامت بمصادرة جميع أموال المهندس عبد القادر فى البنوك الأمريكية وتبلغ 810 آلاف دولار أمريكى ، كما صادرت منزله تحت دعوى زائفة هى أنه

(لم يسدد الضرائب فى الوقت الذى بلغت فيه أتعاب المحاماه أكثر من 150 ألف دولار) .. أى ما يعادل نصف مليون جنيه مصرى ولم ولن تستطع الأسرة سداد هذا المبلغ .. كما أن السلطات الأمريكية منعت ابنيه من مقابلته فى السجن كوسيلة للضغط النفسى عليه . وكشفت الأسرة عن الدور السلبى للحكومة والسفارة المصرية تجاه قضية عبد القادر حلمى. وانتقد أفراد العائلة الموقف الأمريكى من عبد القادر الذى قدم لهم الكثير وكان جزاؤه فى النهاية المساءلة القانونية والمحاكمة .

***

(3) عملية فدائية ضد أتوبيس سياح إسرائيليين فى مصر (وكان ذلك فى أوائل عام 1990) حيث تداولت الصحف المصرية والإسرائيلية الحادث وتباينت ردود فعلها ولكنها اعتبرت أحد أشكال المقاومة المسلحة للتطبيع والعلاقات المصرية – الإسرائيلية حيث احتلت العملية صدارة الصحف الإسرائيلية ولم يقتصر ما نشرته تلك الصحف عن المتابعة الإخبارية للحادث وإنما تناولت العلاقات بين إسرائيل والحكومة المصرية ومستقبل عملية التسوية السياسية التى تتم حالياً والموقف المصرى المطلوب تجاه المنظمات الفلسطينية .

الاتجاه الرئيس فى الصحف الإسرائيلية هو اعتبار أن تلك العملية موجهة ضد النظام المصرى بنفس القدر الذى اعتبرت أنها موجهة ضد إسرائيل .

قالت صحيفة معاريف : إن الهدف الحقيقى من تلك العملية هو مبارك وحكومته ، وقد تم تنفيذ هذه العملية على الرغم من تحذيرات إسرائيل لمصر فى مرات عديدة بأن هناك (مخربين!!) فلسطينيين يختبئون فيها .

وأضافت الصحيفة أن مصر أصبحت فى الآونة الأخيرة مركزاً لنشاط متطرفين فلسطينيين من المنظمات المعارضة للمسيرة السلمية .

وبالنسبة للمتطرفين من الجماعات الدينية ؛ فإن السياح الإسرائيليين يعتبرون هدفاً مطلوباً خصوصاً مع الفتاوى الدينية بإباحة دماء اليهود.

وقالت صحيفة "بديعوت أحرونوت" : إن الحكومة المصرية تتحمل مسئولية العملية لعدم ردها على التحريض الساخر ضد اليهود فى وسائل الإعلام المصرية .وقالت صحيفة معاريف أن العملية أثبتت عدم قدرة مصر على تأمين سلامة الإسرائيليين التى يزورونها .

أما أعنف هجوم ضد مصر فقد وجهه أرييل شارون فى اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى المصغر وقال : إن الرئيس مبارك زعيم مستبد وديكتاتور ورد عليه شيمون بيريز زعيم حزب العمل قائلاً : إنك تتحدث عن زعيم بلد نحن فى سلام معه, ورد "موشيه شاحال" وزير الطاقة مشيراً إلى علاقات شارون مع "تشاوشيسكو" قائلاً : يوجد هنا وزير كان صديقاً لتشاوشيسكو وكان يصفه بأنه زعيم وطنى أما مبارك فيصفه بأنه ديكتاتور.

* وطلبت الصحيفة "حداشوت" من الرئيس مبارك حظر نشاط كل المنظمات الفلسطينية فى مصر , وقالت صحيفة "هتسوفيه" : إن مبارك يجب أن يوقف كل عمليات التحريض على إيقاف هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل نظراً لأن عملية الأتوبيس تمس مصر وإسرائيل فى نفس الوقت.ونشرت الصحف الإسرائيلية بيان إسحق شامير عن الحادث والذى حمل فيه مصر مسئولية سلامة الإسرائيليين الذى يزورونها وأمنهم،وقال: ينبغى اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لضمان ألا يذهب سياح وزوار إسرائيليون ضحية بأيدى القتلة .

وأضاف أن إسرائيل تطلب أن تدين وسائل الإعلام وأجهزة التربية والتعليم والثقافة فى مصر الاعتداء الآثم فى شدة لإشعار الجماهير المصرية بالاشمئزاز الذى يثيره هذا الحادث ولكى تدرك الجماهير المصرية انعكاساته جيداً ونشرت الصحف الإسرائيلية الحوار التليفونى بين شامير ومبارك الذى اتصل بشامير معزياً وقول شامير لمبارك : (إنه يدرك أن الوقت غير ملائم الآن لإجراء الحساب ولكن يمكن عمل ذلك فى الأيام المقبلة) .

وحمل وزير الخارجية موشيه أرينز وسائل الإعلام المصرية مسئولية ما تعرض له السياح الإسرائيليون فى مصر إذ أبلغ السفير المصرى محمد بسيونى أن نشر مقالات معادية لإسرائيل فى الصحف المصرية من شأنه أن يؤدى إلى تفشى الشعور بالكراهية وحتى إلى القيام بأعمال عنف .

* وقال يوئيل ماركوس فى صحيفة هاآرتس : من المؤسف الاعتراف بأن قادة حزب الليكود وعلى رأسهم شامير وشارون استغلوا الحادث الأتوبيس لتقوية مراكزهم السياسية داخل الليكود استعداداً للمواجهة بين القادة المتصارعين فى الحزب.فقد بدأ موقف شارون قد تعذر واعتبر أن تلك العملية لصالحه وواصل تحديه لشامير واتهامه بالعجز عن حماية الإسرائيليين فى الداخل والخارج وطالب باتخاذ موقف حازم من العلاقات مع مصر .

ودعت صحيفة (معاريف) الحكومة الإسرائيلية إلى الإعلان أن مصر منطقة خطرة بالنسبة للسياحة الإسرائيلية ومن يسافر إلى هناك يجب أن يتحمل مسئولية إمكانية تعرضه للخطر أو للاختطاف أو لأعمال أخرى .

****

هذا وقد عثرت أجهزة الأمن المصرية على خريطة تحتوى على التفاصيل الكاملة لتنفيذ عملية الأتوبيس السياحى الإسرائيلى – سالف الذكر – تضمنت الخريطة وصفاً دقيقاً لمجريات سير العملية منذ انطلاق أتوبيس السياحة من محطة إقلاعه برفح وسيراً مع كافة الطرق والمسارات التى سلكها الأتوبيس إلى داخل الأراضى المصرية وتنتهى الخريطة إلى عدة مسارات داخل الأراضى المصرية وإلى عدة مدن أساسية وهى : القاهرة والإسماعيلية والشرقية والسويس . وضمت الخريطة رسماً كروكياً يحتوى على نقاط توقف لعشرة أشخاص .. وأشرت التحقيقات إلى أنهم لعبوا دوراً فى مساعدة مرتكبى حادث الأتوبيس .وفى ضوء الرد الإسرائيلى على العملية أصدرت قيادة الجيش الإسرائيلى قرارات مباشرة إلى العسكريين الإسرائيليين بإطلاق الرصاص على كل فلسطينى

يشتبه فى قيامه بأعمال تهدد الأمن الإسرائيلى الداخلى والخارجى ، وقد جاءت عملية إطلاق النار العشوائى على التلاميذ كبداية لهذا المخطط التصعيدى .

***

(4) فى 1995/4/24 نشرت مجلة " روزاليوسف " تحقيقاً عن ضحايا مقاومة التطبيع فى مصر (منذ 1979) حيث تم إعداد 9230 قضية ضد مناهضى التطبيع وأبرز الاتهامات بداخلها كان إفساد العلاقة الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل .وهذه القضايا تمت برغم أن المحكمة الدستورية – كما سبق وأشرنا فى مقدمة هذا الباب – قد أسقطت فى عام 1988 الفقرة الواردة فى قانون الأحزاب رقم 40 لسنة 1977 والخاصة باشتراط عدم معارضة معاهدة السلام مع إسرائيل .ومن قضايا مقاومة التطبيع ما تم عام 1995 من القبض على 40 مواطناً معظمهم من الطلاب أثناء تنظيمهم وقفة احتجاجية ضد اشتراك إسرائيل فى المعرض الزراعى الصناعى بسوق القاهرة الدولية وقد ألقى القبض على بعضهم من منازلهم ، وكشفت التحقيقات أن التهمة الموجهة إليهم هى تعكير صفو العلاقات الدبلوماسية مع دولة صديقة وهى إسرائيل (!!) .وقد تم استخدام أساليب وحشية مع بعض الطلاب ، حيث تم استخدام الضرب المبرح والكهرباء والعصى الغليظة ، وقد دست مباحث أمن الدولة بعض الأسلحة على المتهمين لإضفاء صفة العنف على المقبوض عليهم مثلما حدث مع الطالب باسل رمسيس .

وكانت أول قضية لمعارضى للتطبيع بداية الثمانينات من نصيب المحامى أحمد ناصر والذى قبض عليه بتهمة الإساءة للعلاقات المصرية الإسرائيلية أثناء حملته الانتخابية .

واللافت أن القضايا التى رفعت ضد التطبيع تحولت لتكون ضد الحكومة ثم ضد معاهدة السلام نفسها .

الباب الثانى

التطبيع الاقتصادى

(2011-1979)

* مثّل التعاون فى المجالات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل خلال الفترة من (1979–2011) أحد أبرز الركائز لتدعيم التطبيع ونمو مؤسساته ، وتنوع التطبيع الاقتصادى من النفط إلى الغاز مروراً بالزراعة وصولاً إلى صناعات النسيج ، والسياحة ، وغيرها من المجالات التى شهدت صعوداً فى العلاقات بشكل عام والعلاقات الاقتصادية على وجه الخصوص ولكنها ارتبطت ارتباطاً شرطياً بالأوضاع السياسية التى مرت بها علاقات مصر بإسرائيل ، وتأثرت بها .

وفى هذا الباب نقدم بعض محطات هذا التطبيع الاقتصادى وآثارها على المجتمع المصرى وعلى قراراته الوطنية المستقلة .

وسوف نقسم الباب إلى الفصول التالية :

الفصل الأول : من ملامح التطبيع الاقتصادى .

الفصل الثانى : الزراعة : التطبيع على (أرض) مصر .

الفصل الثالث : التطبيع بين (الغاز) و(الكويز) .

الفصل الرابع : بعض وقائع التطبيع الاقتصادى .

الفصل الأول

من ملامح التطبيع الاقتصادى

أولاً : مقدمات التطبيع الاقتصادى :

منذ أن وقعت مصر ، أكبر دولة عربية اتفاقية كامب ديفيد (1978/9/17) ، ثم معاهدة السلام في 26 مارس 1979.. استطاعت اسرائيل – إلى حد ما – اختراق مصر اقتصاديا ، فقد حققت الدولة العبرية من مسيرة التطبيع مع مصر ، أقصى استفادة ممكنة في كافة المجالات التى تم التطبيع فيها ، وكان التطبيع الاقتصادي من أكثر المجالات التي جسدت التغير في شكل العلاقة بين القاهرة والدولة الصهيونية .

يتناول هذا الجزء من البحث رصد مسيرة التطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد وحتى عام 2011 .

حجم التجارة المتبادلة

نص اتفاق المبادلة التجارية الموقع بين مصر وإسرائيل عام 1981 على حرية تبادل السلع التجارية بين البلدين وفق مبدأ البلد المفضل ، إلا أن العلاقات الاقتصادية بين مصر والدولة العبرية ، شهدت فترات مد وجزر ، فقد ظل حجم التبادل ضعيفاً إذا ما استثنينا النفط الذي تصدره مصر لإسرائيل، و بقى حجم التبادل التجاري بين البلدين يراوح عند 25 مليون دولار سنوياً حتى العام 1994 ، حين إرتفعت النسبة فى ظل الهرولة العربية الشاملة نحو التطبيع من خلال القمم والمؤتمرات الاقتصادية التى عقدت فى الفترة مابين 1994 و 1997 والتى كانت تروج لنظام الشرق الأوسط الجديد ، ولكن ظل التبادل أقل مما توقعه الخبراء .

وقد شهدت العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل تراجعاً ملموساً جراء انتفاضة الأقصى ، خاصةً بعد قرار الحكومة المصرية بتاريخ 3 أبريل 2002 تجميد كافة العلاقات الحكومية – بما في ذلك الاقتصادية – التي ليست "لصالح القضية الفلسطينية" .. وبالتالي انخفضت نسبة التجارة بين الجانبين بشكل كبير.

وقد وصل حجم التجارة المتبادلة بين الدولتين إلى حوالي 59 مليون دولار عام 2003، بينها 26.2 مليون دولار استيراد إسرائيلي من مصر (خاصة المعدات الزراعية وصناعة النسيج) ، و 22.3 مليون دولار تصدير إسرائيلي لمصر (خاصة المواد الغذائية والكيماويات والمعادن) .. وفى تلك الفترة ، كان عدد الإسرائيليين الذين عبروا من منفذ طابا إلى مصر حوالي 315.000 إسرائيلى .. ومابين فترات المد و الجزر فى العلاقات الاقتصادية ظل التعاون في مجال الزراعة والسياحة مزدهراً قياساً بالمجالات الأخرى .

* إن عمليات التحول الاجتماعى والاقتصادى والسياسى – التى جرت على قدم وساق – فى مصر طيلة ثلاثة عقود (1979–2011) ، قد أتت أكُلها ، وخلقت فئات اجتماعية وطبقات ، ارتبطت عضوياً بمصالح ضخمة ومتداخلة مع كل من الأوساط الرأسمالية العالمية من جهة والرأسمال الصهيونى من جهة أخرى ، وهذه الجهات تؤثر سياسياً الآن – كما كان خلال الاثنين والثلاثين عاماً – فى مجريات التسوية مع إسرائيل ، وهى تتبنى وتدافع عن قنوات الاتصال السياسى والثقافى مع الأوساط الصهيونية ، بل وهى كذلك تمول هذا المشروع وتنفق عليه ببذخ ؛ لأنه يخدم خططها ويحمى ظهرها ، ويسهم فى إحداث تحولات فكرية وثقافية فى المجتمع المصرى ، هى فى مسيس الحاجة لها لضمان إدانتها أو تجريمها من جراء مسلكياتها غير الوطنية .

وعلى سبيل المثال ، يرى أحمد بهاء الدين شعبان فى بحثه عن (الخطاب التطبيعى) [1] أنه أمكننا فى سنوات التطبيع الأولى رصد حركة قطاعات هامة من الدولة ومن رجال الأعمال الذين يتعاونون مع الصهاينة عبر عشرات المشاريع الصهيونية النشطة فى مصر ، فى مجالات الزراعة والبترول والنسيج والكمبيوتر والمنتجات الغذائية والنقل البحرى والأدوية والمعدات الكهربائية وصناعات الأخشاب والمصنوعات الاستهلاكية .. إلخ ، التى تمارس نشاطها فى مصر ، وتدخل فى علاقات عمل وتبادلات اقتصادية ومصالح متشابكة مع

قطاعات من الموظفين ورجال الأعمال والمهنيين فى مصر ، وقد صرح " دان بروبر " رئيس الغرفة الصناعية الإسرائيلية أن الاستثمارات الإسرائيلية فى مصر قد شهدت قفزة خلال سنوات التسعينات ، فيما أكد رئيس اتحاد الغرف التجارية الإسرائيلية " دانى جلر " أنه على الرغم من التوتر الذى يسود المستوى السياسى بين كل من مصر وإسرائيل ، فقد تم عقد عشرات الصفقات مؤخراً عن طريق اتحاد الغرف التجارية ومعظمها تتمثل فى تصدير واستيراد أدوات ومعدات زراعية حديثة وقطن وملابس[2]، وقد قدمت إسرائيل خلال مؤتمر القاهرة الاقتصادى الذى عقد أوائل هذا العام مجموعة متكاملة من المشروعات التى أثارت اندهاشاً داخل أوساط رجال الأعمال المصريين بسبب طبيعتها الاستراتيجية ودقتها وترابطها ؛ وحسبما نشر فى جريدة العالم اليوم ، (التاريخ ذاته) فإن المشروعات التى تقدم بها الإسرائيليون خلال مؤتمر القاهرة الاقتصادى كانت متعددة وذات دراسات عالية الجدوى بشهادة المصريين أنفسهم ، ولكن طبيعتها غريبة وخطيرة لدرجة توحى بأن هناك نوايا مخططة من وراء هذه المشاريع[3].

ومجموع هذه المشروعات ذات التوجه الإقليمى (Network) – حسبما نشرت الجريدة – بلغ عددها 35 مشروعاً بقيمة 2.2 مليار دولار ، أحد هذه المشروعات " حماية مناطق مصر الصناعية " ويتضمن إقامة حائط أمنى ودفاعى فى مصانع مصر الكبرى ضد التجسس الصناعى والحرائق ، ومقترحاً للمشروع فى مدينة العاشر من رمضان ، كتجربة نموذجية ، على أن يعمل فيه فى السنوات الأولى خبراء من إسرائيل،وهناك مشروعات أخرى مقترحة أهمها: مشروع طابا – إيلات – العقبة ، كشبكات لمياه الشرب وإقامة شبكة صرف صحى وشبكات ربط كهرباء وتقدر قيمة المشروعات بـ450 مليون دولار وتحدد سنة 2000 لاستكمال هذا المشروع .

– مشروع قناة بين البحر الميت والبحر الأحمر ، ويقدر استثماراته بـ500 مليون دولار.

– مشروع الربط الكهربائى بين مصر وغزة وإسرائيل ، وتقدر قيمته بـ187 مليون دولار.

– إقامة قنوات للغزل الطبيعى بين مصر والأردن ، ثم إسرائيل وتقدر قيمته 800 مليون دولار.

– فى مجال النقل والمواصلات عرضت إسرائيل عدة مشاريع لإنشاء الأتوستراد (High Way) على ساحل البحر الأبيض ، ويربط بين مصر وإسرائيل وغزة إضافة إلى ربطه بسكة حديد بين مصر وإسرائيل وقيمتها 600 مليون دولار ، يضاف إليها مطار دولى فى رأس النقب بتكلفة 100 مليون دولار .

– فى مجال الاتصالات عرضت إسرائيل 6 مشروعات بقيمة 83 مليون دولار .

– فى مجال السياحة هناك 17 مشروعاً إقليمياً منها 10 تدخل فيها مصر وتقدر قيمتها الإجمالية 500 مليون دولار .

– وفى قطاع الزراعة تقدمت إسرائيل بـ12 مشروعاً إقليمياً بقيمة 110 ملايين دولار .

– وفى مجال البيئة والصناعات البيئية هناك 13 مشروعاً بقيمة 100 مليون دولار .

– وبالنسبة للتجارة والصناعة عرضت إسرائيل 13 مشروعاً منها إقامة مناطق حرة وقدرت بـ500 مليون دولار .

– ورصدت 200 مليون دولار أخرى قيمة مشروعات خاصة بإقامة متنزهات ومحميات وخدمات خاصة بالسياحة والتجارة البحرية .

وعلى الضفة الأخرى من النهر ، فإن بعض رجال الأعمال المصريين الكبار،ردوا التحية بأحسن منها (!) ،وتبادلوا عمليات الاستثمار المالى

والصناعى فى مشاريع بالدولة الصهيونية، وتم – حسب رأى العديد من خبراء البنوك المصرية – نزح الملايين من الدولارات من البنوك المصرية ، لإعادة توظيفها فى إسرائيل خلال الفترة (1979–2011) ، فى الوقت الذى كانت تحتاج البلاد فيه لكل استثمار للحد من البطالة المتفشية ، ولرفع معدلات المعيشة المتدنية ، ومن أبرز من ساهم فى التطبيع الاقتصادى – وفقاً لدراسة أحمد بهاء شعبان – يأتى "إبراهيم كامل " الملياردير المصرى – رئيس مجموعة " كانو " ، صاحب العلاقات رفيعة المستوى والوثيق الصلة ؛ بالأوساط الحاكمة فى مصر أيام نظام حسنى مبارك الذى أسقطته وحاكمته ثورة 25 يناير ، ولقد زار (كامل) إسرائيل عدة مرات ورافقه كل من د.طاهر حلمى رئيس شركة " بيكر وماكنزى " فى مصر ، ومنصور الطرزى رئيس شركة " البيت الاستثمار المصرى " وقد التقوا فى زيارتهم مع "بنيامين نتنياهو" رئيس الوزراء الصهيونى ، وكذلك مع شمعون بيريز رئيس وزراء إسرائيل السابق ، ورئيس الحزب العمل وقتها ، ودان ميردور وزير المالية الصهيونى آنئذ، وكذلك التقى الوفد المصرى مع ديفيد ليفى وزير الخارجية الصهيونى السابق وشارنسكى محافظ البنك المركزى الإسرائيلى ، وقد اشترى إبراهيم كامل حصصاً فى رأس مال مجمع " كور " الصناعى الذى يمارس أنشطته فى تصنيع الأسلحة والتكنولوجيا المتقدمة ، وله استثمارات كبيرة فى صناعة الأسمنت ، ويمثل 70% من مجمل الاقتصاد الإسرائيلى ، وأعلن فى لقائه مع نظرائه الصهاينة أنه " ليس هناك تحفظ على الإطلاق على قيامهم بالاستثمار فى مصر فى المجالات المفتوحة أمام الاستثمار الأجنبى وهى مجالات عديدة واسعة ، كما أننا شرحنا لهم التسهيلات والتيسيرات الجديدة التى أدخلتها الدولة مؤخراً على القواعد والإجراءات المنظمة للاستثمار فى مصر ، والحوافز التى أضيفت بقوانين سنها البرلمان ، أو بقرارات صدرت عن مجلس الوزراء ودخلت على الفور إلى حيز التنفيذ.

ومن الطبيعى ، والمنطقى ، أن يكون لهذه العلاقات الاقتصادية ، المادية ، الوثيقة والمتنامية، بين قطاعات من الطبقة الحاكمة المصرية ونظائرها الإسرائيلية ، وبين العديد من أجهزة الدولة المصرية (وبالذات فى مجال الزراعة والسياحة) ومثيلاتها فى إسرائيل ، انعكاسات اجتماعية وسياسية وفكرة وثقافية (بالمنظور الواسع) أيضاً ، خاصة وأن الدولة باركت وتبارك مساعى هذه الفئات – فى مناسبات عديدة – مثلما تبدى من تصريح عمرو موسى وزير الخارجية المصرى ، المؤيد لاتفاق كوبنهاجن والمنتقد لمعارضيه فى نهاية التسعينات.

***

ثانياً : احتمالات وسيناريوهات للتطبيع الاقتصادى ... لم تتحقق :

وفى الأعوام الأولى للتطبيع ، قدمت دراسات تنبؤية – إن جاز الوصف – لمستقبل العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل ولكنها فى أغلبها لم تتحقق رغم أن من قدمها بعضهم ينتسب للمؤسسة العسكرية ومن المفترض فيه الرؤية المستقبلية العميقة ، لكن أوهام السلام ، ونية إسرائيل العدوانية لم تترك لهم فرصة (لأحلام يقظة اقتصادية) ، ومن هذه الدراسات ، **دراسة للواء أركان حرب محمد جمال مظلوم بعنوان " الصراع الاقتصادى المصرى الإسرائيلى " (قدمت إلى كلية الدفاع الوطنى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا عام 1984) والتى رأينا أهمية إيرادها كنموذج للدراسات التى كانت متفائلة ثم أتت رياح التطبيع والعدوانية الاسرائيلية بعكس ما كانت تتوقع أو تتمنى .**

تنقسم الدراسة الى عدة أبواب وكل باب يحتوى على عدة فصول ، حيث جاء بالباب الأول والذى كان بعنوان " دراسة مقارنة باقتصاديات مصر وإسرائيل " حيث احتوى المبحث الأول حتى السادس على تحليل وافٍ للاقتصاد الإسرائيلى والفصل الثانى بعنوان الاقتصاد المصرى من المبحث الأول حتى السادس ، ثم جاء الباب الثانى ليناقش العقبات التى تقف أمام التنمية الاقتصادية فى إسرائيل

، ثم الباب الثالث وهو عن التصورات الإسرائيلية للعلاقات الاقتصادية مع مصر ، ثم الباب الرابع تحت عنوان " الصراع الاقتصادى المصرى الإسرائيلى مع استشراف لمستقبل الصراع الاقتصادى بين البلدين فى ضوء المتغيرات المتجددة فى المنطقة".

ففى الفصل الأول : استعرض الباحث الاقتصاد الإسرائيلى ومدى مقومات نموه واتجاه هذا النمو وأهم المشكلات التى تحد هذا النمو ومدى ارتباطها بالتحديات التى تواجه الصراع العربى الإسرائيلى ، كذلك مدى تأثر الاقتصاد الإسرائيلى بالعلاقات مع مصر ، باعتبار أن ذلك يمثل أحد جوانب التطبيع والصراع الاقتصادى فى المنطقة .

خصائص نمو الاقتصاد الإسرائيلى : استطاع الاقتصاد الإسرائيلى منذ قيام الدولة أن يحافظ على معدلات نمو عالية وهذا ما دفع الإسرائيليين وغيرهم للترويج لما أسموه " معجزة اقتصادية إسرائيلية " على اعتبار أن الاقتصاد الإسرائيلى لم يشهد أى ركود يذكر رغم الأوضاع السياسية والعسكرية التى مرت بالمنطقة وإسرائيل نفسها .

فى المبحث الأول قال الباحث : إن الزراعة استحوذت على الجانب الأكبر من الاهتمام وبأولوية مطلقة ، ونما قطاع الزراعة بمعدل 13% ، ولكن مع الاستزراع الكامل للمساحات واستنزاف مصادر المياه تباطأ معدل الطلب على المنتجات الزراعية بسبب انخفاض الطلب على هذه المنتجات ، وقد انخفضت نسبة العمالة فى الزراعة من 15% عام 1975 ورغم ذلك فقد لعبت الزراعة الإسرائيلية دوراً مهماً فى استيعاب المهاجرين والمستوطنين وفى تحقيق الاكتفاء الذاتى ، ودعم عجلة التصنيع من أجل خلق رابطة قوية بين هؤلاء المهاجرين والمستوطنين والدولة الجديدة .

– أكثر من 92% من الأراضى ملك للحكومة الإسرائيلية وتمنح حق الاستغلال فقط حتى تضمن عدم تفتيت الحيازات الزراعية وتضمن الإنتاجية العالية خاصة أن الزراعة تقوم على نظام (الكيبوتز والموشاف) .

وتبلغ مساحة الأراضى الزراعية مليون فدان (21% من مساحة إسرائيل) نصفها (مروى) والآخر على الأمطار ، وتعتمد إسرائيل على الميكنة الزراعية اعتماداً كلياً ويوجد حوالى 19 مصنع آلات زراعية للسوق المحلية والتصدير أيضاً وذلك بالتعاون مع بعض المصانع العالمية ، وتستخدم إسرائيل نظام الرى بالتنقيط والرش وتخلط مياه الرى بالمخصبات بطريقة مبرمجة بالحاسب الآلى وذلك للتغلب على قلة المياه فى إسرائيل ، كما ينشط قطاع البحوث الزراعية بإسرائيل وذلك لحل مشاكل البيئة ونقص تكاليف الإنتاج والعمل على إنتاج نوعيات من المحاصيل عالية الجودة .

أما الإنتاج الحيوانى فإنه يحتل مكانة هامة ، لأنه المسؤول عن توفير البروتين الحيوانى ، وبلغ الإنتاج الحيوانى عام 1981 من اللبن المخصص للتسويق حوالى 720 مليون لتر ومن اللحوم 40 ألف طن ومن الماعز 33 مليون لتر ومن البيض 1550 مليون بيضة ومن لحوم الدواجن 202 ألف طن ومن الأسماك 23 ألف طن .

ولكن رغم ذلك تعانى الزراعة الإسرائيلية من مشاكل كثيرة ، أهمها فقر موارد المياه وانخفاض العمالة الإسرائيلية بسبب عزوف المهاجرين الجدد من الاشتغال بالزراعة وهجرة بعض المستوطنات الزراعية ومناطق التعمير إلى المدن الكبرى ، وكذلك عدم إمكانية تصريف المنتجات لعدم وجود أسواق جديدة وانخفاض معدل الدعم للكيبوتزات الزراعية .

وفى المبحث الثانى تناول الباحث المواد الأولية والطاقة المحركة فى إسرائيل، حيث أوضح أن إسرائيل فقيرة فى المواد الأولية الطبيعية ولذلك تستورد إسرائيل البترول الخام لإعادة تكريره ، وإنتاج الكهرباء فى إسرائيل يعتمد على المحطات

الحرارية التى تعمل بالوقود المستورد والبحر الميت هو المصدر الرئيسى للثروة المعدنية فى إسرائيل ، ويتوفر الحديد والنحاس والمنجنيز والفوسفات بنسب محدودة إلا أن إسرائيل تمتلك كميات كبيرة من الأملاح المعدنية من البحر الميت .

– وقامت سياسة الحكومة الإسرائيلية منذ منتصف الخمسينات على تشجيع الزراعات الصناعية ، لأنها توفر المواد الأولية لبعض الصناعات المحلية ، وأصبحت المحاصيل الزراعية تمثل حوالى 20% من المساحة الزراعية كلها وأهمها القطن والبنجر والفول السودانى والدخان والكتان والزهور .

أما بالنسبة للوقود والطاقة فإن إسرائيل فقيرة جداً بمصادر الطاقة ولا يوجد احتياطى كبير إلا من الغاز وإنتاج الكهرباء فى إسرائيل يعتمد على الطاقة النووية بنسبة 35% ، ثم الطاقة الشمسية خاصة فى المناطق النائية كما تحاول إسرائيل إنشاء قناة البحرين (المتوسط والميت) لاستغلالها فى إنتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر .

أما قطاع الصناعة فيقول الباحث : إن الصناعة بدأت بصورة محدودة ولكن سرعان ما اهتمت الدولة بهذا القطاع خاصة بعد تدفق التعويضات الألمانية واعتماد الدولة برنامج تصنيع كثيف وحقق نمواً قدره 12% ووضعت الحكومة عام 1958 برنامجاً طموحاً للتصنيع ، واتخذت العديد من الإجراءات لزيادة الاستثمار فى الصناعة عن طريق قروض الإنماء والإعفاء من الضرائب مما ساعد على زيادة نمو هذا القطاع حتى وصل 26% واستوعب 30% من القوة العاملة فى إسرائيل ، وأصبحت إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى يزيد فيها نصيب الصناعة من الدخل القومى على نصيب الزراعة .

وتركز إسرائيل على القطاعات الصناعية الإلكترونية والكهربائية (30% من الناتج الإسرائيلى) وذلك لخدمة الصناعة العسكرية الإسرائيلية مما ساعد على زيادة صادرات الأسلحة الإسرائيلية من 60 مليون دولار عام 1967 إلى 1.25

مليار دولار عام 1980 . وتقوم استراتيجية الصناعة فى إسرائيل على الإنتاج الصناعى القائم على توفر المواد الأولية المحلية مثل الحمضيات وخامات البحر الميت والقطن والمحاصيل الزراعية الأخرى ، وكذلك الإنتاج الصناعى المرتكز على المهارة ، حيث تكون قيمته الأولية جزءاً من الإنتاج الكامل مثل الكيماويات والأدوية وبعض أنواع الآلات والأجهزة وسلع الموضة والأزياء ، وكذلك الإنتاج الذى يعتمد على الصناعات خفيفة الوزن والغالية الثمن والعالية الدخل مثل الفرو والألماس . ورغم ذلك فهناك مشكلات تعوق التنمية الصناعية أهمها ارتفاع نسبة الواردات من المواد الخام وزيادة واردات البترول مما يؤدى لتفاقم العجز فى الميزان التجارى مما أوقع الصناعة أسيرة للمساعدات الأجنبية ، أضف إلى ذلك ضعف السوق المحلية وتفعيل المقاطعة العربية وكذلك التأثير الواسع للتكتلات الاقتصادية الدولية على هيكل السوق العالمى .

ثم يأتى قطاع التشييد والخدمات الذى يعمل به 50% من القوة العاملة فى إسرائيل ، وتعتبر الإنشاءات الحربية وإسكان المهاجرين والإنشاءات المدنية الأخرى من أهم العوامل فى نمو قطاع البناء .

ويعانى قطاع البناء من أزمة فى مواد البناء ، حيث تعجز الصناعة الإسرائيلية عن توفير القدر الملائم من الأسمنت وحديد التسليح والأخشاب اللازمة ومن المتوقع زيادة الطلب على هذا القطاع لحاجة إسرائيل لبناء خط دفاع جديد بعد الانسحاب من سيناء وكذلك إنشاء مطارات حربية جديدة بعد التخلى عن مطارات سيناء .

– أما التجارة الخارجية فى إسرائيل منذ إنشائها فتتميز بزيادة حجم الواردات عن الصادرات بكثير وفى السنوات الأولى لقيام إسرائيل كانت الصادرات تمثل 15% فقط من قيمة الواردات.

وقد زادت الواردات بنسبة 9% طوال هذه الفترة وتمثل المواد الخام والسلع الوسيطة حوالى 40% إلى 45% من إجمالى قيمة الواردات ، ويمثل الوقود

والطاقـة 10% مـن قيمـة الـواردات وواردات السـلع الاسـتثمارية تمثـل 24% ، وانخفضـت واردات الطاقـة لتمثـل 5% وزادت المـواد الخـام لتمثـل 60% مـن الـواردات وتشـمل الفواكـه المعبأة والملابـس ومنتجـات البتـرول والغـزل والنسـيج ومنتجـات المطـاط والمنتجـات المعدنيـة والأسـمدة الصـناعية والخشـب الأبلكـاش والأسمنت وكذلك الطائرات ومعدات النقل والمعدات الإلكترونية والآلات الدقيقة . وتستوعب السوق الإنجليزية والأمريكية 70% من صادرات إسرائيل حتى عام 1950 واستوعبت أسواق أوروبا 50% من الصـادرات الإسرائيلية فـى السنوات القليلة الماضية .

– وهنـاك بعض العوامل التـى سـاعدت علـى زيـادة نمو الاقتصـاد الإسرائيلـى ، يـأتى أهمهـا الزيـادة السكانية ممـا سـاعد علـى وجـود القوة العاملـة بمعدل يزيـد بنسبة 6% سنوياً .

ثم يأتى التراكم الرأسمالى الذى بلـغ 25% من إجمالى النـاتج العام مما سـاعد على زيادة النمو بصورة سريعة للاقتصـاد الإسرائيلى ، وهذا التراكم لم يأت من تمويـل المـدخرات المحليـة بـل جـاء مـن تـدفقات ماليـة واردة عبـر التعويضـات الألمانيـة لإسـرائيل ، كـذلك تمـويلات المنظمـات اليهوديـة المنتشـرة حـول العـالم لـدعم الاقتصـاد الإسرائيلـى ، ثم تـأتى القروض طويلـة الأجل ومنخفضـة الفائدة لتمويـل الاقتصـاد الإسـرائيلى ، وتعمـل إسـرائيل لتبنـى نموذجـاً متميـزاً للتنميـة الاقتصـادية يقـوم علـى زيـادة فعاليـة المـوارد المحـدودة بالاهتمـام بارتفـاع كفـاءة اسـتخدامها والحصـول علـى معونـات اقتصـادية وعسـكرية كبيـرة مـن الـدول الصـديقة لإسـرائيل وتعضـيد الصـناعات العسـكرية والاسـتيلاء علـى الأراضـى العربيـة التـى تحـوى مـوارد طبيعيـة ، ثـم تشـجيع الهجـرة اليهوديـة لزيـادة حجـم المـوارد البشرية .

الاقتصــاد المصــرى : اسـتعرض الباحـث التغييـرات التـى حـدثت بالاقتصـاد المصـرى فـى الفتـرة مـن 1952 إلــى 1983 تقريبـاً ، فأوضـح أن الاقتصـاد

المصرى مر بمراحل مهمة من إصلاح زراعى وتحديد الملكية إلى تمصير إلى التوسع فى الملكية العامة إلى تأميم وتقليص لدور القطاع الخاص إلى سياسة الانفتاح الاقتصادى وتشجيع القطاع الخاص والاستثمارات الأجنبية مما عرض الاقتصاد لأزمات متلاحقة ، ورغم ذلك ارتفعت قيمة الإنتاج المصرى خلال الفترة من 65-1980 ثلاث مرات من 4.2 مليار جنيه -إلى 12.5 مليار جنيه فى 1980 بمعدل نمو يتراوح ما بين 8.5% إلى 9% .

وفى المبحث الأول : الزراعة ، قال الباحث : إنه بالرغم من أن مصر دولة زراعية إلا أنها اعتمدت على الخارج لسد احتياجاتها من السلع الغذائية وذلك بسبب زيادة السكان وتراجع إنتاجية الأرض الزراعية مع عدم توجيه الاستثمارات الكافية لمجال الزراعة .

ويعانى قطاع الزراعة من بعض المشاكل مثل العمالة الزائدة وتفتيت الملكيات إلى مساحات صغيرة يصعب معها استخدام الميكنة الزراعية وإدخال أساليب الرى الحديثة ، واستخدام جزء كبير من الأراضى الزراعية لإنتاج العلف الحيوانى كذلك عدم حل مشاكل التربة وعدم استخدام الأسمدة الكيماوية بكفاءة وكذلك وجود قصور فى مقاومة الآفات الزراعية .

- وتعمل مصر على تنمية قطاع الزراعة لسد الفجوة الزراعية مع العمل على زيادة كمية الأراضى المستصلحة لزيادة الرقعة الزراعية مع إدخال وسائل زراعية حديثة وأنظمة رى حديثة بالأراضى الصحراوية المستصلحة، وتعمل على زيادة الاستثمارات فى قطاع الثروة الحيوانية (لحوم - ألبان - بيض) بسبب العجز الشديد فى هذا المجال وكذلك الثروة السمكية لتحقيق الاكتفاء الذاتى من البروتين الحيوانى ، وفى مجال المواد الأولية والطاقة المحركة فتعتمد الصناعة المصرية على المواد الخام الأولية وتقوم باستيراد المواد الوسيطة وأصبح البترول والقطن وفوسفات الكالسيوم من أهم الصادرات

المصرية ، وأهم الواردات تتمثل فى الشحوم والدهون الحيوانية وزيوت التشحيم والمواد الكيماوية والأسمدة وكذلك اللدائن والمطاط والخشب والفحم الخشبى .

وتمتلك مصر ثروات طبيعية هائلة لم يتم الكشف عنها بعد بسبب عدم وجود خطة للأعمال الجيولوجية وعدم توفر الجيولوجيين مع عدم توفر رأس المال اللازم .

وفى مجال الطاقة تعانى مصر قصوراً شديداً بسبب زيادة الاستهلاك وتفكر مصر جدياً فى إنتاج الكهرباء من الطاقة النووية .

وفى مجال الصناعة تمتلك مصر قاعدة صناعية لا بأس بها ويستحوذ القطاع العام على 75% من هذا القطاع ، وتمثل صناعة الغزل والنسيج والحديد والصلب والخزف الصينى والأسمنت والورق ومهمات السكك الحديدية والصناعات البترولية والصناعات الحربية مثل الطائرات والصواريخ والعربات الحربية ، أهم الصناعية المصرية .

وتعانى الصناعة المصرية من مشكلات ومعوقات كثيرة أهمها : احتياج الوحدات للإحلال والتجديد وانخفاض الإنتاجية وارتفاع التكاليف ونقص الخبرة والمهارات العمالية كذلك زيادة المخزون وتراكم السلع الراكدة وتخلف أسلوب الإدارة ، وتعمل مصر حالياً على تشجيع استيراد التكنولوجيا الحديثة للصناعة ، مع إدخال أساليب الإدارة الحديثة واستقدام خبراء لزيادة مهارة العمال المصريين مع زيادة الاستثمارات فى هذا المجال الحيوى .

أما فى قطاع التشييد فقد عملت الدولة على تطوير وتدعيم شركات المقاولات التابعة لها ولكن يعيب هذا القطاع ما يلى :

– عدم التوسع فى استخدام الآلات الحديثة وارتفاع أجور العمال مع نقص فى المواد اللازمة لهذا القطاع مثل الحديد والأسمنت والعجز الشديد فى الخبرات اللازمة لهذا القطاع وتخطط مصر لاستثمار 50 مليار جنيه فى هذا المجال بسبب الطلب المتزايد على الوحدات السكنية وتحتاج مصر لإنشاء 100 ألف

وحدة سكنية سنوياً لمجابهة الطلب المتزايد على الوحدات السكنية، وتعمل الحكومة لتحويل جزء من السكان من الوادى الضيق لمناطق التعمير الجديدة فى قناة السويس والساحل الشمالى والمدن الجديدة وسيناء .

أما التجارة الخارجية فإن الاقتصاد المصرى يعانى من عدم وجود استراتيجية واضحة لسياسة التجارة الخارجية ، فمازالت مصر تصدر الفائض من إنتاجها الزراعى والصناعى دون وجود دراسة جادة لاحتياجات الأسواق الخارجية مما نتج عنه تذبذب التصدير من سنة لأخرى حسب كمية الفائض الزراعى الصناعى .

وتمثل الصادرات الزراعية 21% من قيمة الصادرات الصناعية 5% من قيمة الصادرات المصرية وتمثل دول الجامعة العربية سوقاً يمثل 7% وأوروبا 14% والدول الاشتراكية 6.6% وأمريكا الشمالية 20% وباقى العالم 17.5% ثم بعد 1973 أصبح الاتحاد السوفيتى 3% وأمريكا 15% واليابان 5% وإيطاليا 7% وبريطانيا 8% وألمانيا 11% وفرنسا 12% وباقى دول العالم 39% ، ويمثل القطاع العام 75% من القوة التصديرية للعالم .

وأهم مقومات الاقتصاد المصرى تتمثل فى زيادة توسع الحكومة والشركات فى أبحاث البترول التى أتت ثمارها فى السبعينات وزيادة حصيلة الدولة من إعادة فتح قناة السويس وزيادة إيرادات السياحة وزيادة تحويلات المصريين العاملين بالخارج مع تحسن نوعى فى الخدمات المقدمة للمواطن وزيادة ملحوظة فى دخل الفرد المصرى ، وأهم المعوقات تتمثل فى ضعف الاستثمار الزراعى وزحف العمران والبناء على الأراضى الزراعية وزيادة استيراد الحبوب وتغليب الكم على الكيف فى الصناعة وزيادة الدعم الموجه للسلع الأساسية مع تضاؤل الفائض الموجه للادخار والالتجاء للتمويل بالعجز.

ومن خلال المقارنة بين الاقتصادين المصري والإسرائيلى يتضح الآتى :

– الناتج المحلى لإسرائيل (4 ملايين نسمة) يعادل الناتج المحلى لمصر (40 مليون نسمة) .

– تقوم الزراعة المصرية بإمداد الأسواق العالمية بالمواد الأولية بينما تمد إسرائيل السوق العالمية بـ 17% فقط من مواردها الأولية .

– يوجد عجز غذائى كبير فى مصر بينما الزراعة الإسرائيلية تمد إسرائيل بـ90% من احتياجاتها الغذائية .

– تغلب على الصناعة المصرية استخدام المواد الأولية والأيدى العاملة والمواد الزراعية محلياً (الغذاء والمنسوجات) بينما يغلب على الصناعة الإسرائيلية (الكيماويات والآلات الكهربائية ومعدات النقل) .

– حجم الصادرات الصناعية لإسرائيل 3500 مليون دولار عام 1980 مقابل 550 مليون دولار فقط لمصر .لذا فالاقتصاد المصرى يغلب عليه البدائية والعشوائية ، بينما إسرائيل تعتمد على اقتصاد صناعى يعتمد على تصدير السلع الصناعية المتطورة .

وأوضح الباحث أهم المعوقات التى تعوق الاقتصاد الإسرائيلى عن النمو وقد لخصها فى الآتى :

– الاحتياج إلى تدفق رؤوس أموال أجنبية للاستثمار فى إسرائيل ، بالإضافة إلى انخفاض معدلات الهجرة والقوى العاملة إلى إسرائيل ثم ندرة المواد الأولية والمياه والطاقة المحركة فى إسرائيل مما يحد من تحقيق نمو كبير فى الاقتصاد الإسرائيلى بالإضافة إلى ضيق السوق المحلية والحاجة المتزايدة لفتح أسواق جديدة للصادرات الإسرائيلية ، مما دفع إسرائيل لعقد اتفاقيات جديدة لتشجيع الصادرات مع بعض الدول التى تقيم علاقات دبلوماسية معها . وتعانى إسرائيل من ارتفاع معدل التضخم ، لأنه الأعلى فى العالم إذ يبلغ ما بين 5%–9% فى المتوسط شهرياً وبلغ حوالى 160% عام 1980 وهو يفوق معدل زيادة الأسعار فى أى دولة فى العالم مقارنة بـ 30% نسبة تضخم فى

مصر مما سبب ركوداً نسبياً فى إسرائيل وتدهور مستوى الدخل الحقيقى للسكان الإسرائيليين .

* **وفى الباب الثالث قدم الباحث رؤية للتصورات الإسرائيلية للعلاقات الاقتصادية مع مصر** بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر ، خاصة أن إسرائيل تخطط لتحتل مركز الزعامة الاقتصادية فى المنطقة بعد إحلال السلام ، لذا فهى تلح بشدة لتطبيع العلاقات مع مصر بصورة طبيعية ، لاسيما فى المجال الاقتصادى .

وقد بدأ الباحث بتقديم التصور الإسرائيلى للتبادل التجارى مع مصر نظراً لحاجة إسرائيل لأسواق جديدة لاستيعاب منتجاتها وصادراتها الصناعية ، ومصر وما تمثله من سوق كبير ، جعل إسرائيل تتطلع لفتح آفاق التعاون مع مصر ، لخدمة أهدافها التجارية والتصديرية . وتعمل إسرائيل أن تكون لها حصة من السوق المصرى ، لكون الصادرات الإسرائيلية تتميز بالتنوع وهو الذى يحتاجه السوق المصرى .

ويمثل التبادل التجارى الإسرائيلى مع مصر أهمية استراتيجية فى ظل تطلع إسرائيل لتبوأ مركز الزعامة الاقتصادية فى المنطقة ، وإسرائيل تنظر إلى التبادل التجارى باعتباره جزءاً فقط من تطبيع العلاقات الاقتصادية والثقافية بين إسرائيل ومصر وباقى الدول العربية . كما أن إسرائيل تتصور أن علاقاتها التجارية مع مصر لن تكون تنافسية بل تطمح أن تكون تكاملية وأن يكون لها نصيب الأسد فى تصدير المواد الغذائية لسد الفجوة الغذائية فى مصر.

وستعمل إسرائيل أن تشمل الصادرات الإسرائيلية لمصر آلات الرى والمعدات الزراعية وأدوات النقل والمعدات الإلكترونية والأسمدة والمبيدات والأدوية والكيمياويات بالإضافة إلى الأغذية المحفوظة والملابس الجاهزة ومواد البناء .

والواردات الإسرائيلية من مصر ستشمل الأرز والسكر وخيوط الغزل والمنسوجات والأثاث بالإضافة إلى البترول ، وبحسب التصور الإسرائيلى

للتعاون الاقتصادى الإقليمى فإنه سيتم إنشاء مشروع مارشال لدول الشرق الأوسط عبر إنشاء صندوق برأسمال 5 مليارات دولار ولمدة عشر سنوات لدول المواجهة (مصر وسوريا والأردن وفلسطين وإسرائيل) ، وإنشاء صندوق آخر برأسمال 30 مليار دولار لرأس المال الخاص لنفس الدول يساهم فيه رأس المال اليهودى بالثلث تقريباً ، كما ستعمل إسرائيل على التعاون المكثف فى المجال الزراعى واستزراع الأسماك واستصلاح الأراضى على ضفتى النيل وإقامة مشاريع بحثية مشتركة بين مصر وإسرائيل وأمريكا ، وتفعيل مشروع " نير " الذى يهدف إلى تصريف الآلات الزراعية التى تصنع فى إسرائيل إلى مصر ومنها لسائر الدول العربية وكذلك مشروع " شاليف " لحل مشكلة تلوث المياه لتنقية مياه المجارى لإعادة استخدامها ، كما تهدف إسرائيل لإنشاء مجمعات صناعية مشتركة للبتروكيماويات والصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة والغذائية .

كذلك تعمل إسرائيل للتعاون مع مصر فى مجال مشروعات النقل والمواصلات ، عبر تطوير مشروعات السكك الحديدية خاصة طريق العريش – القنطرة شرق ومده إلى أشدود وتطوير طريق إيلات – شرم الشيخ وإنشاء طريق بين سيناء والأردن وكذلك إنشاء شركات ملاحة مشتركة وتبادل عمليات النقل البحرى والاستعانة بالأيدى العاملة المصرية فى نقل الأسطول التجارى الإسرائيلى وكذلك التعاون فى المجال الجوى وإنشاء شركة مشتركة للنقل الجوى وكذلك إقامة مشروعات سياحية مشتركة وتبادل السياح بإجراءات ميسرة وتنظيم رحلات سياحية مشتركة لسيناء وسانت كاترين وحيفا وأشدود ، والتعاون فى المجالات الأخرى مثل قطاع التشييد والخدمات المالية والمصرفية والتأمين والعمل على إنشاء سوق مشتركة للشرق الأوسط .

وتناول الباحث التصور الإسرائيلى للتعاون المشترك فى المشروعات المشتركة فى سيناء مثل إقامة معامل تكرير مشتركة والاستغلال المشترك للغاز الطبيعى

وإقامة خط أنابيب لنقل البترول من خليج السويس إلى إيلات والعمل على إمداد مياه النيل إلى النقب .

ثم يقول الباحث : إن إسرائيل واستعداداً لعهد السلام بينها وبين الدول العربية، طرحت إسرائيل خطة جاد يعقوب وزير المواصلات الإسرائيلى الأسبق لتطوير نظام الاتصالات فى الشرق الأوسط على أن تكون إسرائيل هى المركز فى الاتصال بين الشرق والغرب فى البلاد العربية إلى جانب دور المعبر (الترانزيت) ، وإنشاء شبكات من الطرق والمطارات والموانئ بين مصر وإسرائيل ولبنان والأردن ومد خطوط أنابيب لنقل البترول من السعودية والعراق لإيلات وعسقلان وحيفا فى إسرائيل والعمل على جعل القدس مركزاً مالياً مهماً فى الشرق الأوسط .

– أما بالنسبة للصراع الاقتصادى المصرى الإسرائيلى فيقول الباحث : إن إسرائيل تركز على أهمية السوق المصرى وأهمية الموارد المصرية وأهمية فتح الطريق إلى مصر بينما نجد المفاوض المصرى لا يركز على اقتحام السوق الإسرائيلى ربما لأنه يفتقد القاعدة الإنتاجية القادرة على التوجه الخارجى وربما الخطورة تنبع من أن الاقتصاد الإسرائيلى أعد نفسه للتمدد للخارج بينما المصرى أعد نفسه لتلقى المعونة .

– وهناك عدة احتمالات للعلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل ، منها الانفتاح الاقتصادى الكامل بين مصر وإسرائيل لا يمثل خطراً على الاقتصاد المصرى بسبب عدد سكان المحدود ورأس المال المتراكم الضعيف مقابل تراكم الأرصدة العربية الضخمة ، وبحسب خطة شارون أو مبدأ شارون ومفادها أن المجال الحيوى الإقليمى لإسرائيل سيمتد من الخليج العربى إلى شمال إفريقيا ، وتركز إسرائيل على الأهداف المرحلية من المشروعات التى توفر التدوير السريع لرأس المال مثل قطاع الخدمات والصادرات غير المنظورة السياحية والعمل على التغيير المحصولى فى مصر والذى تشجعه الرأسمالية اليهودية

العالمية هذا بجانب الأطماع الإسرائيلية فى مياه النيل ، وجعل سيناء منطقة للتكامل المصرى الإسرائيلى .

أما الاحتمال الثانى فهو الانفتاح المصرى على الاقتصاد الإسرائيلى فى ظل رقابة صارمة من الدولة المصرية على أن يتم الاقتصار على المشروعات المتقدمة فى إسرائيل فقط دون غيرها مثل الاستفادة من الخبرة الإسرائيلية فى مجال زراعة الموالح والورود وفرض رقابة على شركات القطاع الخاص فى تعاملها مع إسرائيل ، مع عدم التعامل مع إسرائيل فى مجال مياه النيل والإصلاح الزراعى وخطر التعاون فى مجال التجارة الخارجية وإبعاد المشاركة المالية الإسرائيلية ، وعلى أن يكون التعامل مع إسرائيل من خلال سياسة ثابتة ، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن لا تؤثر هذه المشروعات على علاقة مصر بالدول العربية وألا تؤثر على الاقتصاد أو الأمن القومى المصرى والبعد عن الصناعات الاستراتيجية المصرية ، وسيكون من المتاح التعاون فى المجال الزراعى والصناعى والبترول والطاقة واستخراج الثروات الطبيعية والتشييد والبناء والسياحة والنقل البرى والبحرى والجوى .

ولكن – وفقاً للواء جمال مظلوم – ستكون هناك عقبات ستقف حجر عثرة أمام أى تقدم فى التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى بين مصر وإسرائيل متمثلة فى قرار إسرائيل بضم القدس والعدوان الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى وضم مرتفعات الجولان والعدوان الإسرائيلى على لبنان 1982 ثم مشكلة طابا بين مصر وإسرائيل ، لذا ستكون عملية التبادل التجارى متأثرة دائماً بالأحداث والمستجدات السياسية فى المنطقة . وهو ما حدث بالفعل ! .

* ولم تتحقق توقعات هذه الدراسة للواء جمال مظلوم ، لأن إسرائيل العدوانية حالت دون ذلك طيلة الفترة التالية للدراسة (1983–2011) .

***

<u>ثالثاً : جمعية رجال الأعمال المصريين نموذجاً للتطبيع المؤسسى</u>

ويرتبط بالتطبيع الاقتصادى ما تضمنه الملحق الثالث لمعاهدة كامب ديفيد ، بروتوكولاً لتطبيع العلاقات بين البلدين في المجالات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والتجارية والثقافية والنقل والمواصلات وحرية التنقل .. واتفق البلدان على إنشاء لجنة عليا للتطبيع ، انبثقت عنها عدة لجان فرعية وقعت عدة اتفاقات بشأن تطبيع العلاقات بين البلدين .

وكان الرئيس أنور السادات قد وقع على إنشاء الغرفة المصرية الأميركية للتجارة ، ولكنها تأسست في أكتوبر 1981 ، بعد مقتله بأقل من أسبوع ، وبدأت نشاطاتها في أوائل التسعينات بالرغم من أن تسجيلها قد تم في 1982.

والملاحظ وجود دور بارز للمؤسسات الأمريكية في مجال التطبيع ، فقد سعت السياسة الأمريكية منذ قيام الدولة الصهيونية إلى حماية أمن هذه الدولة واستقرارها وإلى انتزاع اعتراف عربي رسمي بوجودها ، ثم دخلت مسألة التطبيع في الرؤية الاستراتيجية الأمريكية للدفاع عن المصالح الأمريكية وعن وجود (إسرائيل) في الوطن العربي ، ومولت أمريكا البرامج الإقليمية الخاصة بالتطبيع وشجعت مراكز الأبحاث المهتمة بهذا الشأن، ودعمت ورعت قرارات واتفاقيات التسوية. بدءاً من اتفاقيات «كامب ديفيد» وصولاً إلى معاهدة وادي عربة واتفاقات أوسلو.

وأخذت " الغرفة " تلعب دوراً في التطبيع أبعد بكثير من الهدف الذي أُنشئت من أجله وهو تشجيع حركة التجارة بين البلدين .. ويعتبرها بعض المراقبين "غرفة ضغط ورعاية مصالح خاصة ووكراً للأعمال الغامضة والمريبة".

ويقول تعريف الغرفة المدون في وثائقها: "إنها صوت هام لنمو القطاع الخاص، وإنها تستقطب معظم الشركات عابرة الجنسية التي تعمل في مصر، وإنها واحدة من أنشط التكوينات عابرة المحيطات لغرف التجارة الأميركية".

وتضم الغرفة 14 لجنة منها: لجنة الزراعة، المقاولات والهندسة، البيئة، التسويق، التنمية البشرية، الصناعة والاستثمار، النفط، السياحة، التجارة

والتصدير، ولجنة شؤون العضوية والبرامج. ويتولى رجل السياحة المصري رمزي رشدي شؤون العضوية والبرامج ، وأعلن أن كتلة الأعضاء الثابتة بالغرفة حوالي (350) عضواً، هم ممثلو ووكلاء الشركات الأميركية الكبرى. وافتتحت الغرفة فرعاً لها في الاسكندرية، ومكتب تمثيل في واشنطن.

* هذا وينبئنا التاريخ أن فترة مابعد توقيع اتفاق أوسلو قد شهدت توجه أوساط عديدة من رجال الأعمال وأصحاب المؤسسات العربية نحو إسرائيل والتسابق للارتباط معها من موقع التبعية بغية الحصول على بعض الأرباح لأسباب سياسية .. و زيارات رجال الأعمال إلى الكيان الصهيونى تتم باستمرار ، وسنورد هنا بعض زيارات وفود رجال الأعمال المصريين خلال فترة التطبيع (1979-2011) ، ففى 28 أغسطس 1994 ، زار وفد من رجال الأعمال المصريين الكيان الصهيونى والتقى بوزير الخارجية شيمون بيريز .. و قد أعد الوفد تقريرا عن الزيارة ، أشاروا فيه إلى :

- إن هناك تطوراً اقتصادياً سيحدث فى المنطقة لا يمكن تجاهله وستلعب فيه كل من إسرائيل ، الأردن ، لبنان ، سوريا دوراً هاماً 00 وأين مصر ؟!

- إن هناك مؤشرات تنبيء بأنه خلال فترة من سنة إلى ثلاث سنوات ، ستكون هناك منطقة حرة بين إسرائيل ، وفلسطين ، والأردن ، ومن ثم لابد من تحرك الحكومة المصرية ، للاستفادة من تلك التطورات 0

ويورد التقرير رغبة إسرائيل في استخدام مصر لخدمة التغلغل الإسرائيلي في البلدان العربية والإفريقية ويرى "أن يتعدى الوضع الثنائي إلى الانطلاق دولياً ومشتركاً، وإسرائيل على استعداد لتنمية هذا الأمر في كل من أميركا والاتحاد الأوروبي، وتطلب من مصر تنمية هذا الأمر في العالم العربي والإفريقي".

وجاء في تقرير غرفة الصناعة أن الجانب الإسرائيلي يرغب في إيجاد مشروعات مشتركة في صناعة الملابس الجاهزة والصناعات الغذائية وتحدث عن دور إسرائيل في تسويق المنتجات المصرية مايلي: "إن إسرائيل لديها

مؤسسات يهودية- إسرائيلية كشبكات توزيع على مستوى العالم ستساعد على تسويق منتجات هذه المشروعات تصديرياً".

وقد زار وفد آخر من جمعية رجال الأعمال المصريين الكيان الصهيونى فى 4 نوفمبر 1994 ، وقد ضم الوفد (35) من أعضاء الجمعية ، وبعض رجال الصحافة من جريدتى " الأخبار " والأهرام " 0

والتقى الوفد بعيزرا فايتسمان رئيس دولة الكيان الصهيونى وشيمون شتريت وزير الاقتصاد والتخطيط .. وشارك الوفد فى مؤتمر القدس الثالث حول " السوق الشرق أوسطية " الذى حضره حوالى ألفين من رجال الأعمال من مختلف دول العالم 0

وقد أكد المؤتمر ، فى ختام أعماله ، على ضرورة إنهاء المقاطعة العربية بكافة أشكالها مع إسرائيل كما أكد حضور المؤتمر ، بما فيه وفد الجمعية المصرية ، أن ليس هناك بديل عن قيام السوق الشرق أوسطية ،حتى يمكن لشعوب المنطقة مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية.

والتقى وفد الجمعية بشيمون بيريز ، فى مكتبه بمقر وزارة الخارجية ، وقد أكد للوفد أن نجاح الجهود السياسية غير ممكن ، دون نجاح الجهود الاقتصادية ، مشيراً إلى أهمية التنمية الاقتصادية ، لترسيخ عملية السلام فى منطقة الشرق الأوسط 0

وجاء في خلاصة تقرير وفد الجمعية الذى وضعه بعد عودته إلى القاهرة مايلي :

- يوجد لدى مجتمع الأعمال الدولي إقبال على التعاون مع إسرائيل في كافة المجالات الإقتصادية والتجارية.

- إن هناك في إسرائيل تطورات اقتصادية وتنموية غير محدودة تتزايد بزيادة فرص السلام في المنطقة.

– إن هناك رغبة من مجتمع الأعمال الإسرائيلي والقيادات الإسرائيلية للتعاون مع مجتمع الأعمال المصري.

– من المتوقع أن تتضاعف حركة النمو الاقتصادي وضخ الاستثمارات داخل إسرائيل مما سيضاعف أهميتها الاقتصادية في المنطقة أمام التكتلات الاقتصادية العالمية ومؤسسات التمويل الدولية.

– تتخوف الشركات الإسرائيلية المنتجة لكثير من السلع والخدمات التي يحتاجها السوق الإسرائيلي والأسواق المحيطة به من إقبال الشركات المتعددة الجنسية إلى إسرائيل ودول المنطقة، مما سيؤثر على القدرة التنافسية للسلع والخدمات الإسرائيلية.

وأوصى تقرير الجمعية بمايلي :

– ضرورة الاتفاق بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية لإلغاء تراخيص الاستيراد للسلع المصرية إلى الأسواق الإسرائيلية والفلسطينية ، أسوة بما قامت به الحكومة المصرية 0

– إعادة النظر فى التعريفة الجمركية ، لتكون متساوية على مستوى السلع بين البلدين ، وإلغاء الرسوم الإضافية على الواردات المصرية إلى إسرائيل.

– السماح بشحن البضائع المصرية والإسرائيلية براً إلى أسواق البلدين مباشرة دون تفريغ البضائع على الحدود 0

– توقيع اتفاقيتى ضمان وحماية الاستثمار ، وعدم الازدواج الضريبى بين البلدين 0

– التعاون فى مجال إقامة المناطق الحرة على الحدود المشتركة بين مصر وفلسطين وإسرائيل لخدمة أغراض استراتيجية فى تلك الدول 0

– الاهتمام بالتنمية السياحية على المستوى الاستراتيجى لدول مصر ، وإسرائيل ، والأردن ، وتنفيذ مشروع البحر الأحمر 0

– فتح قنوات اتصال سريعة ومباشرة مع الشركات الكبرى الإسرائيلية ، للتعاون فى مجالات اقامة مشروعات البنية الأساسية مثل الطرق والسكك الحديدية والاتصالات ومشروعات الزراعة والمياه والتعاون فى مجالات أسواق ثالثة 0

– إعادة النظر فى السياسة الإعلامية والثقافية للبلدين ، لكسر الحواجز النفسية الموجودة حالياً 0

– تسريع " التطبيع " فى مجال الزراعة 0

***

* في منتصف عام 1995 تم إنشاء المجلس الرئاسي المصري – الأميركي .. وأعطى تأسيسه دفعة لجمعية رجال الأعمال المصريين التي كان يرأسها سعيد الطويل ، المؤيد بشدة للشرق أوسطية ، وقام الطويل بعدة زيارات لإسرائيل وأعلن: "أنه لا أمل في النمو السريع من دون فتح الباب للشركات عابرة الجنسية، والإسراع أكثر في الخصخصة من دون خوف من بعبع العمال" .. ومن المعروف أن الغرفة التجارية المصرية– الأميركية، والغرفة التجارية العربية– الألمانية والمركز المصري للدراسات الاقتصادية والمجلس الرئاسي المصري من المؤيدين بشدة للسوق الشرق أوسطية.

وجاء في تقرير وفد غرفة الصناعة المصرية عن دور مصر وإسرائيل في السوق الشرق أوسطية: "إن استخدام مصر كمعبر إلى البلاد العربية وخاصة دول الخليج ، وهو مايلزم إسرائيل في المدى القصير ، ثم تنطلق العلاقات مباشرة مع دول الخليج دون وسيط... وإنه من المفترض أن يبدأ التعاون الاقتصادي مع مصر بالتكامل وعدم خلق كيانات أو مشروعات اقتصادية كبرى تتعارض مع المشروعات القائمة حالياً بين البلدين".

إن رجال الأعمال المصريين على استعداد لأن يكونوا بمثابة جسر لعبور المنتجات الإسرائيلية إلى بلدان الخليج بغض النظر عن إمكانية غلق أسواق هذه البلدان أمام منتجاتهم. "وإذا كان بمقدور رجال ومؤسسات الأعمال

المصريين أن يفتحوا أو يشاركوا في فتح أسواق الأقطار العربية الأخرى أمام إسرائيل فلماذا لا يفتحونها أو يوسعونها لأنفسهم...

وورد في تقرير اتحاد الصناعات المصرية بشأن المباحثات المصرية الإسرائيلية التي انعقدت في طابا بتاريخ 23-25 / 11/ 1995. إن رئيس الجانب المصري، رئيس اتحاد الصناعات المصرية أعلن "أن الموقف الرسمي في مصر وعلى جميع المستويات يشجع ويدعم التعاون الاقتصادي بين مصر وإسرائيل".

وأبدى التقرير اهتماماً خاصاً بعمليات التسويق الإسرائيلية وأكد على أنه "يوجد اثنتا عشرة شركة مصرية تقوم بعمليات تصنيع للشركات الإسرائيلية ليتم بيع المنتجات لأطراف ثالثة.

وتعمل جمعية رجال الأعمال المصريين على الإسراع في تطبيع العلاقات الاقتصادية والتجارية مع إسرائيل ، حيث أعلن رئيس الجمعية سعيد الطويل عن اتفاق مع إسرائيل ، لتقوم بتسويق المنتجات المصرية من الخضار والفواكه في أسواق أوروبا وأميركا، "وأنه تم الاتفاق مع الجانب الإسرائيلي على التعاون في مجال المشروعات النسيجية والصناعات الغذائية، والمشروعات المعدنية ومشروعات أخرى تسويقية " .

ونسجل للتاريخ أن الأحداث السياسية المتطورة والعدوان الإسرائيلى المستمر على الشعب الفلسطينى أثناء انتفاضته الثانية ، قد أثر فى بعض رجال الأعمال تأثيراً إيجابياً ، وتبدى ذلك فى 22 ابريل 2002 حين اتخذت جمعية رجال الأعمال المصريين التي تأسست عام 1976 ، واحداً من أقوى المواقف السياسية في تاريخها ، وأعلنت عن اجراءات فورية لمساندة الشعب الفلسطيني .. وأكدت الجمعية في بيان أصدرته ، وقعه رئيسها سعيد الطويل – الذي ترك منصبه بعدها بأيام وبالتحديد فى الأول من مايو – وقف أي اتصالات أو معاملات مع الشركات أو رجال الأعمال الاسرائيليين ومخاطبة الجمعيات التي

تتعامل معها الجمعية أو ترتبط معهم باتفاقيات في مختلف دول العالم لشرح أبعاد الموقف الحقيقي والممارسات الوحشية التي تمارسها اسرائيل، ومطالبة هذه الجمعيات بمساندة الموقف الفلسطيني والاتصال بمنظمات الأعمال الفلسطينية لابلاغها بمساندة الجمعية وأعضائها لهم بالكامل في الموقف البطولي وعرض ما يمكن للجمعية أن تقوم به لتحويل هذه المساندة الى أعمال فعلية .

ومضى البيان يقول « إن جمعية رجال الأعمال المصريين وهي تعلن عن هذه الاجراءات الفورية التي ستتخذها، ترى أنه من الضروري أن نخطط لمواجهة معركة طويلة وشرسة ، نسأل فيها أنفسنا ماذا نحن فاعلون ولماذا فشلنا في شرح قضيتنا العادلة للعالم ، بينما نجح عدونا في قلب الباطل وتصويره على أنه حق، وكيف أمكن له استخدام مصالحه المحدودة الى أقصى درجة في الوقت الذي فشلنا فيه في استخدام أوراق ومصالح الآخرين لدينا وهي كثيرة، ولماذا نجح عدونا في تشويه صورتنا كعرب ومسلمين وإظهارنا كواجهة للشر والارهاب».

كما ستعمل الجمعية على حث المصريين والعرب، أفراداً وحكومات على تحويل أكبر قدر من الأرصدة العربية الى البنوك الأوروبية، واذا تعذر سحب الأرصدة فلا أقل من منع تحويل الأرصدة الجديدة الى البنوك الأميركية وتوجيه المشتريات الحكومية العربية من السلاح والطائرات المدنية والمنتجات الغذائية كالقمح الى دول اخرى خلاف الولايات المتحدة ، حتى يشعر الاقتصاد الأميركي أنه يدفع ثمن تحيز بلاده الأعمى لاسرائيل.

واختتم البيان بتحية شعب فلسطين البطل وتمنى على الله النصر له في معركة الحق التي يخوضها والتي سيتوجها حتماً باسترداد حقوقه واقامة دولته وعاصمتها القدس الشريف.

عموما فقد ساد بين قطاع رجال الأعمال في مصر اتجاهان : الأول ويمثله سعيد الطويل رئيس جمعية رجال الأعمال المصريين وقتها ويعمل على الهرولة

باتجاه تطبيع العلاقات مع إسرائيل واتجاه آخر يمثله الاتجاه العام للغرف التجارية المصرية ويتلخص "في رفض الدخول في كيانات ثنائية أو متعددة ، تكون إسرائيل طرفاً فيها وفي الإحجام عن إقامة أي علاقات اقتصادية معها ".

***

* هذا ويحدثنا التاريخ أنه خلال الفترة الممتدة من (1979–2011) ، لم يكن هدف الكيان الصهيونى من التطبيع مع مصر ، تحقيق نوع من التعاون المشترك فى كافة المجالات تأكيدا لانتهاء حالة الحرب ، ولكن كان الهدف الاسرائيلى هو اختراق مصر تحت مسميات التعاون المشترك من أجل تخريب بنية مصر ونخر قواها الأساسية وبقائها دولة مثقلة بالديون وبأعباء التنمية وبالبطالة وبالأوبئة الاجتماعية .. وقد نجحت إلى حد ما فى تحقيق ذلك وماتم فى المجال الزراعى كما سنشير لاحقاً خير مثال على ذلك فى مجالى السياحة والاختراق بترويج المخدرات .

***

بنت مصر آمالاً كبرى على السياحة في سبيل تطوير وإنماء الاقتصاد المصرى ، ولعبت إسرائيل فى هذا المجال كما سنرى فى الفصل الخاص بالسياحة ، ولقد لعب الإرهاب الإسرائيلى ضد مصر دوراً فى تخريب السياحة وعلى سبيل المثال الذى يؤكد رعايته إسرائيل للإرهاب في مصر، ففي أوائل شهر نيسان عام 1999 استطاعت الأجهزة الأمنية المصرية، أن تصادر كميات كبيرة من الأسلحة الإسرائيلية، وخاصة مدافع الرشاش "عوزي " ، التي أرسلتها إسرائيل إلى الجماعات الإرهابية. وقد تم ضبط هذه الأسلحة في جزيرة بوسط النيل بمحافظة سوهاج.

وقد جاء اكتشاف تلك الأسلحة من خلال الحملة التفتيشية، التي قامت بها الأجهزة الأمنية المصرية، في حملة استمرت أسبوعاً كاملاً. تمت فيها مصادرة:

(221) قطعة سلاح. منها 2 مدفع رشاش عوزي و 36 بندقية آلية. و 3 نصف آلية. و23 بندقية مخشنة وعدد من البنادق الأخرى والمسدسات.

* أما بالنسبة للمخدرات فلقد تناولت مجلة روز اليوسف في عددها الصادر في أغسطس 1995 ، ملف تجارة المخدرات فى مصر .. ذلك السلاح الذى يدمر اقتصاد الدولة والشعب

وقد استخدمته بريطانيا في حربها مع الصين في القرن التاسع عشر، وأطلق المؤرخون على تلك الحرب اسم (حرب الأفيون)، وكان نتيجتها انتصار بريطانيا على الصين.

وإسرائيل استخدمت هذا الأسلوب ضد الشعب العربي المصري مباشرة بعد اتفاقية كامب ديفيد. وللدلالة على تلك الحرب، فقد بلغ عدد قضايا المخدرات (4520) قضية تهريب مخدرات، التي ضبطتها وزارة الداخلية المصرية ما بين أعوام 1979 إلى 1989، وكلها مهربة من الكيان الصهيوني إلى مصر. وتبين من التحقيقات التي جرت مع المهربين، أن المخابرات الإسرائيلية جندت عدداً من بدو سيناء، من أجل نقل كميات كبيرة من المخدرات إلى مصر ، وهذه القضايا زادت فى التسعينات والألفية .

وإلى جانب المخدرات ، استخدم الكيان الصهيوني نشر أوراق نقدية مزيفة، لتدمير الاقتصاد المصري في السوق المصرية، مما يخلق إرباكاً، وفوضى في سوق العملات في مصر. فقد هربت السلطات الإسرائيلية خلال التسعينات عبر أنفاق تحت الأرض، يمر تحت الأسلاك الشائكة المقامة على الحدود مع مصر، الآلاف من الدولارات المزيفة والتي وصلت إلى الأسواق المصرية. وكانت تلك الدولارات مزيفة بدقة بالغة، يصعب اكتشافها، حتى على أجهزة كشف التزييف. وللدلالة على قوة التزييف، استطاع أحد مديري المصارف الإسرائيلية، أن يستبدل كميات كبيرة من الدولارات المزيفة من أحد المصارف

المصرية، دون أن تكتشفها الأجهزة الموجودة في المصرف الخاصة بتزييف العملة.

***

رابعاً : الخلفية الشرق أوسطية للتطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل

هدفت إسرائيل بعد كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (1979) إلى خلق ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد ، لكى يسهل من خلاله إدخال مصر وإدماجها مع الدول العربية فى بيئة سياسية واقتصادية وثقافية واحدة ، ولقد مثل كتاب شيمون بيريز المعنون بهذا الاسم (الشرق الأوسط الجديد) المرجع الأكبر لهذا المشروع .

وضع شيمون بيريز هذه المخططات في كتابه الذى صدر في نهاية عام 1993 بالإنجليزية تحت عنوان " الشرق الأوسط الجديد " .. وطالب من خلاله وضع نهاية للصراع العربي الإسرائيلي ، وبناء شرق أوسط جديد وسوق شرق أوسطية ، وإنشاء كونفدرالية "إسرائيلية – أردنية – فلسطينية" .

الكتاب يتكوّن من أربعة عشر فصلاً تتحدث عن السلام والمصالح المشتركة لتسويق المطامع والمخططات الإسرائيلية في الوطن العربي وفرض هيمنة " إسرائيل " الاقتصادية عليه ويتألَّف المشروع من شقّين: الأول اقتصادي والثاني أمنى .. ويهدف الاقتصادى إلى دعم العامل الأمني عبر تشابك المصالح ، ويهدف الأمني إلى المحافظة على تفوّق "إسرائيل" العسكرى .

يتحدّث بيريز في الفصل الأول عن فجر السلام الذي بزغ في أوسلو ويقول : " فرحتي في أوسلو كانت مزدوجة ، فقد تصادف تلك الليلة أيضاً عيد ميلادي السبعين ، وقتها قال لي أبو علاء (يقصد أحمد قريع) ، وهو يبتسم بحرارة : " الاتفاقية هي هديتنا لك في عيد ميلادك ، قلت في نفسي يا لها من هدية، هدية متميزة وغير متوقّعة بل من المستحيل تقييمها".

ويؤكّد بيريز أن " إسرائيل " حصلت في اتفاق أوسلو على تنازلات أمنية ، وأبقت قضية القدس والمستوطنات خارج بنود اتفاق الحكم الذاتي المحدود .

ويتحدّث الفصل الثاني من الكتاب عن ازدياد التهديد الأصولي خطورة في الفترة الأخيرة بامتلاك إيران القدرة النووية ويقول : "... وخطورة وجود سلاح نووي في أيدي متعصبين دينيين لا يشكل خطورة على جيرانهم فحسب، بل إنها تمتد لتشمل العالم بأسره، إن الخلط القاتل بين الأصولية الدينية والصواريخ والأسلحة غير التقليدية إنما يهدد السلام العالمي ".

ومن المعروف أن " إسرائيل " لا تمتلك أسلحة الدمار الشامل النووية فحسب، وإنما أيضاً الكيماوية والبيولوجية ، وتمتلك أكثر من 200 رأس نووي ، وترفض إخضاع منشآتها النووية لأي تفتيش أو رقابة دولية ، وترفض وضعها تحت رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، كما ترفض التوقيع على اتفاقية حظر انتشار السلاح النووي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهي مدججة بالسلاح التقليدي وغير التقليدي .

ويتناول بيريز في الفصل الرابع النظام الإقليمي ويريد من السلام بين "إسرائيل " والعرب أن يخلق البيئة الملائمة ، لإعادة تنظيم مؤسسات الشرق الأوسط بصورة أساسية ويقول : "هدفنا النهائي هو خلق أسرة إقليمية من الأمم ، ذات سوق مشتركة، وهيئات مركزية مختارة، على غرار الاتحاد الأوربى ، وأن الحاجة إلى هذا الإطار الإقليمي تقوم على أربعة عوامل جوهرية :

1 . الاستقرار السياسي : إن الأصولية تشقّ طريقها سريعاً وعميقاً في كل بلد عربي في الشرق الأوسط مهدّدة بذلك السلام الإقليمي ، ناهيك عن استقرار حكومات بعينها .

2 . الاقتصاد : إن إنشاء منظمة تعاون إقليمية تتحرك على قاعدة فوق قومية هي الرد بل الرد الوحيد على الأصولية.

3 . الأمن القومي : إن السبيل الوحيد لضمان مستوى معقول من الأمن القومي في هذا العصر، عصر الصواريخ أرض . أرض والقدرات النووية، هو إقامة نظام إقليمي للرقابة والرصد؟

4 . إشاعة الديموقراطية: وليست الديموقراطية مجرّد عملية تضمن الحرية الشخصية والمدنية، بل هي أيضاً هيئة رقابية تحرص على السلام وتعمل على تبديد العوامل الكامنة وراء التحريض الأصولي.

ويتناول بيريز في الفصل السابع موضوع مصادر الاستثمار والتمويل والحاجة إلى استثمارات دولية كبيرة لإقامة الشرق الأوسط الجديد ، ويعترف أن السبب الرئيس في توجّهه الجديد هو الصعوبات الاقتصادية التي تعانيها الولايات المتحدة، ممّا يقلّل من إمكانياتها في تقديم المساعدات المالية " لإسرائيل " .. ويقول : " تواجه الولايات المتحدة الآن متاعب اقتصادية جمّة، الأمر الذي يجعل قابليتها لتقديم العون المالي المباشر تتناقص بصورة واضحة، وإنها لم تعد قادرة على الإسهام مالياً.

ويؤكّد بيريز أن أمريكا لم تعد قادرة على الاستمرار في تقديم المساعدات المالية الضخمة " لإسرائيل " ويضرب على وتر المصالح الأمريكية والأوروبية في المنطقة ويشجعهم على الاهتمام بها ، لخدمة مصالحهم الاقتصادية والسياسية .. ويقول : إن للأمم المتقدمة في العالم مصالح سياسية واقتصادية كبيرة في الشرق الأوسط وإن للسوق أوروبية مصالح قديمة في المنطقة ، ويتناول حديثه مع المستشار الألماني هيلموت كول ، حيث اقترح عليه تقليص البطالة الألمانية عن طريق إيجاد تنمية أسواق جديدة في الشرق الأوسط ، وبالتالي تساهم ألمانيا مع أوروبا في حل مشكلاتها الخاصة وتساعد الشرق الأوسط الجديد.

وطالب بإقامة بنك في الشرق الأوسط يديره أشخاص من المنطقة ، وتطرّق إلى رأس مال البنك وقال: "يمكن تقسيم رأس المال إلى ثلاث فئات: الأولى: أموال

سيتم جمعها من المنطقة نفسها ، والفئة الثانية : من رأس المال سيتكون من مساهمة الشركات الدولية الكبيرة، والفئة الثالثة : هي المعونة المباشرة التي يمكن أن تأخذ طريقها إلى السكان المعوزين ، مثل أهالي قطاع غزة .. ويقصد بذلك من أموال دول النفط وأموال من تخفيض نفقات التسلّح ومصادر خارجية.

ويتناول الفصل الثامن تحت عنوان " الحزام الأخضر " المشروعات التي يجري تخطيطها في "إسرائيل" للزراعة الصحراوية وتطوير تكنولوجيا الزراعة وتحلية المياه ومقاومة التصحّر وتربية الحيوانات ويقول: " لسنا بحاجة إلى الانتظار إلى أن يحل السلام رسمياً، من أجل الشروع في شراكتنا التكنولوجية. نحن نقوم فعلاً بإدارة مشاريع تعاونية مع الأقطار الصديقة التي لنا علاقات ديبلوماسية كاملة معها، مثل مصر". ويمضي ويقول: "إن العمل من أجل صبغ الشرق الأوسط باللون الأخضر ، هو الوسيلة لضمان الغذاء الكافي ، الهواء النقي ، بيئة منصفة متحرّرة من الخوف والقمع".

ويحدّد في الفصل التاسع تحت عنوان " المياه " أربعة عوامل لافتقار المنطقة إلى المياه وهي "الظواهر الطبيعية والزيادة السريعة في عدد السكان، والاستغلال الخاطئ والسياسة التي تفتقر إلى الترشيد المطلوب، ويتحدّث عن كيف أن المياه كانت سبباً لنشوب العديد من الحروب".

والمياه في الشرق الأوسط هي مُلك للمنطقة، ولعلّ المياه أكثر من أي قضية أخرى تعتبر دليلاً على مدى الحاجة لإقامة نظام إقليمي .. ويتطرّق إلى مشروع المياه التركي وتحليّة المياه.

ويتناول في الفصل العاشر "البنية التحتية للنقل والمواصلات" ويقول: إن بناء الطرق ، وتمديد خطوط السكك الحديدية وتحديد المسارات الجوية وربط شبكات النقل وتحديد وسائل الاتصالات وتوفير النفط والماء في كل مكان وإنتاج البضائع والخدمات عن طريق الكمبيوتر، سوف يفتح حياة جديدة في الشرق الأوسط.

وأشار إلى خط سكة حديد الحجاز وشحن البضائع من ميناء حيفا إلى الأردن وسوريا، وبناء ثلاث شبكات من الطرق السريعة، إحداها تخترق الشرق الأوسط من شمال أفريقيا إلى أوروبا، وإقامة مناطق تجارية حرّة بمحاذاة موانئ البحر المتوسط والبحر الميت، وقناة البحرين من البحر الأحمر إلى البحر الميت.

ويتطرّق في الفصل الحادي عشر إلى " تطوير السياحة " ، ويقول : إن فتح الحدود وحده سيساعد في إحياء النشاط السياحي بين دول الشرق الأوسط، وقد يكون المكسب الرئيس في تعاظم عدد السياح الأجانب .. ويركّز على الأموال الهائلة التي يمكن الحصول عليها من جرّاء تطوير السياحة الإقليمية.

ويتناول في الفصل الثاني عشر موضوع " الكونفدرالية الفلسطينية – الأردنية " ، وترتيب إقامة اتحاد أردني – فلسطيني "إسرائيلي"، وإبقاء القدس تحت السيطرة الإسرائيلية.

ويتناول في الفصل الرابع عشر والأخير " مشكلة اللاجئين " .. ويرفض حقهم في العودة إلى وطنهم فلسطين ؛ لأن العودة برأيه "ستمسح الوجه القومي لدولة "إسرائيل" محوّلة الأغلبية اليهودية إلى أقلية ، وبالتالي فليست هناك أية فرصة لقبولها سواء الآن، أم في المستقبل.

وعند تحليل نتائج القمم الاقتصادية واتفاقات أوسلو ووادي عربة يظهر بجلاء أن تحقيق الأهداف والمخططات التي وضعها بيريز في كتابه : " الشرق الأوسط الجديد " قد أخذت طريقها إلى التنفيذ في بعض البلدان العربية.

***

يريد بيريز – كما يرى د . غازى حسين فى كتابه " الشرق الأوسط الكبير " – تحقيق "إسرائيل" العظمى الاقتصادية بدلاً من "إسرائيل" الكبرى الجغرافية فيقول: "إن "إسرائيل" تواجه خياراً حاداً بين أن تكون "إسرائيل" الكبرى اعتماداً على عدد الفلسطينيين الذين تحكمهم، أو أن تكون "إسرائيل" الكبرى اعتماداً على حجم السوق التي تحت تصرفها.

ويمضي بيريز معلناً بصراحة وقحة قائلاً: " أنا أقول : إنه لن يكون هناك أي حل دائم إذا لم يصبح هناك شرق أوسط جديد، لقد أدركنا أنه لا قيمة للاستقلال السياسي بدون أسس اقتصادية قوية.

يعتمد بيريز في كتابه على بعض عبارات وأساليب بارعة في التكتيك، لإبعاد أنظار العرب عن مخاطر النظام الجديد الذي يطرحه، وللتغرير ببعض الأوساط العربية وتضليلها، ويهدم بأساليب خبيثة فكرة العروبة والإسلام والوحدة العربية ويستعدي العالم على العرب، ويعمل للحط من التراث الفكري والثقافي للأمة العربية وتسخيف المبادئ والأهداف التي أجمعت عليها الأمة، وتشويه أمانيها وآمالها وأحلامها وعاداتها وتقاليدها، وتدمير كل صلة بين الماضي والحاضر، والهزء بالوطن والنضال والعدالة والحقوق والتاريخ والجغرافية والمقدّسات، وجعل اللاوطنية بضاعة سهلة التناول للأطفال والشباب والقضاء على نقاء الأمة وتراثها، ونشر التفسخ وكراهية العروبة والإسلام ، لأن حكام "إسرائيل" يعرفون أن الأمة العربية المتمسكة بتراثها ودينها بعقلانية وإيمان ، لا يمكن لها أن تستسلم وتسلّم القيادة في المنطقة للإسرائيليين الغرباء عن المنطقة، والدخلاء عليها والمغتصبين لفلسطين العربية والمقدّسات الإسلامية والمسيحية، ولذلك يشنّ بيريز حملته على الدين الإسلامي تحت شعار التطرّف والأصولية.

ويسوّق بيريز مشروعه للدول الغربية بالقول : إنه يهدف إلى تعزيز استقرار سوق النفط العالمية، أي : العمل على ضمان هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النفط العربي.

ويقترح تطبيق نظام الشرق الأوسط الجديد على مرحلتين: الأولى تتضمن إقامة مشاريع مشتركة في مجال الطاقة والسياحة والمواصلات والمياه بين بعض بلدان المنطقة ومنها تركيا. وتعتبراتفاقيتا أوسلو ووادي عربة بداية تطبيق

مشروع الشرق الأوسط الجديد ، وتتضمن المرحلة الثانية من مشروعه إقامة سوق مشتركة ومؤسسات مركزية على غرار السوق الأوربية المشتركة .

قمة الدار البيضاء (نوفمبر 1994)

عقد مؤتمر القمة الاقتصادية للتنمية في الشرق الأوسط ، وشمال افريقيا في مدينة الدار البيضاء في المغرب في الثلاثين من نوفمبر 1994 واستمر ثلاثة أيام.

كان وراء تنظيم المؤتمر مجلس العلاقات الخارجية الأميركي في نيويورك والمنتدى الاقتصادي الدولي دافوس بسويسرا. وتقف المخابرات المركزية الأميركية وراء مجلس العلاقات الخارجية الأميركي كما أنها هي التي أنشأت المنتدى الاقتصادي الدولي في دافوس عام 1950.

واشتركت في الإعداد للمؤتمر مجموعة من المؤسسات الإسرائيلية والأميركية والأوروبية، ومنها"مؤسسة المبادرة من أجل السلام والتعاون في الشرق الأوسط ومقرها في إيرلندا ويطلق عليها اسم"جماعة الوشاح الأزرق" وأنشأتها المخابرات المركزية في مايو 1993.

وساهم بنك ليومي الإسرائيلي والبنك الدولي وغرفة التجارة العربية الألمانية في الإعداد للمؤتمر ، وذلك لإخراج النظام الإقليمي الجديد والسوق الشرق أوسطية إلى حيز الوجود.

انعقد المؤتمر بمناسبة مرور الذكرى السنوية الثالثة لانعقاد مؤتمر مدريد وقبل التوصل إلى حل بين أطراف الصراع حول انسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي من القدس والجولان وجنوب لبنان.

وجهت المغرب الدعوة لأكثر من ستين دولة عربية وأجنبية وإلى رئيس البنك الدولي، ورئيس الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية وحرية التجارة الدولية(الجات) وعدة مصارف عربية وإسرائيلية، والمصرف الأوروبي للتنمية وخبراء ورجال أعمال ، زاد عددهم عن ألفين لحضور المؤتمر.

واعترف الملك الحسن الثاني أن غاية انعقاد مؤتمر الدار البيضاء هي إزالة المقاطعة العربية لإسرائيل .. وأعلن أن المقاطعة العربية قد سقطت بشكل عملي بعقد مؤتمر الدار البيضاء الذي أفرغ قرار المقاطعة من معناه.

وتحدث في جلسة الافتتاح خلافاً للأصول والنظام وتقاليد المؤتمرات رئيس وزراء اسرائيل اسحق رابين ووزير خارجيته شيمون بيريز مما فاجأ الحضور.. لقد وصل الغرور والغطرسة برابين حداً وقف وأعلن فيه من على منصة قمة الدار البيضاء وأمام الملك الحسن رئيس لجنة القدس وبنبرة تنمّ عن الاستفزاز والتحدي بأن مدينة القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل ..ولخص " بيريز " هدف إسرائيل من المؤتمر وقال : " الأولوية ستعطى لإخراج إسرائيل من عزلة استمرت نصف قرن عبر المشاركة في إنشاء اقتصاد إقليمي في الشرق الأوسط على غرار الاتحاد الأوروبي " .

وقد اشتركت إسرائيل في المؤتمر بوفد كبير ضم تسعة وزراء من بينهم رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحوالي مئة شركة إسرائيلية ومسؤولو شركات كبرى ومؤسسات صناعية ومصارف تجارية.

ويعتبر عقد المؤتمر من أهم النجاحات التي حققها حزب العمل الإسرائيلي حول مخططاته لمستقبل المنطقة العربية من خلال الحروب العدوانية والتوسعية وفرض الأمر الواقع الناتج عن استخدام القوة والمفاوضات المنفردة والسرية والمباشرة برعاية الولايات المتحدة، الحليف الاستراتيجي لإسرائيل.

ويعبِّر عقد المؤتمر عن رغبة إسرائيل في حل أزماتها الاقتصادية على حساب البلدان العربية، ويكمّل الهجوم العسكري الذي قامت به في الخامس من يونيو عام 1967، والهجوم السياسي الذي شنته بعد مؤتمر مدريد عام 1991 .. واتفاق الإذعان في أوسلو عام 1993 ومعاهدة وادي عربة 1994، وبالتالي تكلل إسرائيل حروبها العدوانية بفرض مخططها الاقتصادي على الحكومات العربية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا .

***

جاء مشروع تأسيس بنك التنمية الإقليمي في مقدمة المشاريع التي عرضتها إسرائيل على المؤتمر ؛ ليقوم البنك بتنسيق السياسات الاقتصادية ويحدد الأولويات الإقليمية للسيطرة على المنطقة وتمويل مشاريع تخدم ازدهار الاقتصاد الإسرائيلي وتطوره.

وتضمنت الوثيقة الإسرائيلية للمؤتمر مشاريع لإقامة قنوات بحرية من البحرين الأحمر والمتوسط إلى البحر الميت ، وخطوط لنقل النفط والغاز من مصر وبلدان الخليج إلى إسرائيل، وميناء بحري ومطار جوي في العقبة، وطرق برية سريعة لربط إسرائيل بأوروبا من خلال الدول العربية ، ومشروع عبّارات لربط إسرائيل مع مصر ودول الخليج ، وشبكة كهربائية مشتركة لإسرائيل وسلطة الحكم الذاتي والأردن ومصر، ومشروع لنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل وبعض البلدان العربية.

وتقسم الوثيقة منطقة الشرق الأوسط إلى خمسة مراكز حرصت فيها إسرائيل على عدم الجمع بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وبين سورية ومصر وهي:

- المركز الشمالي ويضم سورية ولبنان مع إسرائيل.
- مركز المنطقة العليا ويشكل سورية والأردن و الضفة الغربية وإسرائيل.
- مركز المنطقة الواطئة ويضم الأردن والضفة الغربية مع إسرائيل .
- المركز الجنوبي ويشمل مصر وقطاع غزة مع إسرائيل .
- يربط المركز الخامس المراكز الأربعة الأخرى بطريق بري سريع .

وتشير الوثيقة الإسرائيلية إلى منطقة الشرق الأوسط والدور الذي يمكن أن تلعبه في أمن طرق التجارة العالمية واستقرارها وإلى الصراع العربي الإسرائيلي الذي تقول عنه : إنه السبب في التطرف الديني الذي يهدد أمن المنطقة واستقرارها، مشيرة إلى أن النمو الاقتصادي والاجتماعي سيضمن السلام والأمن للمنطقة التي تمتلك حوالي 60% من موارد النفط في العالم.

وتؤكد أنه لابد من تنسيق إقليمي شامل لإقامة كيان إقليمي على غرار السوق الأوروبية المشتركة التي كانت بين دولها عداوات وكراهيات تفوق ما بين العرب وإسرائيل.

وتتناول الوثيقة : الشرق الأوسط الجديد ، والتكامل الاقتصادي الإقليمي ، والاستثمار في ظل السلام ، ودور القطاع الخاص، والتخطيط الإقليمي الشامل ، ومحاولات التعاون الممكنة والاحتياجات المالية .

وتقترح ثلاث مراحل لتنفيذ برامج التعاون الإقليمي :

المرحلة الأولى: وتشمل مشروعات ثنائية ومتعددة الأطراف.

المرحلة الثانية: قيام الشركات العالمية بتنفيذ المشروعات التي تحتاج إلى رؤوس أموال ضخمة مثل قناة البحرين وتنمية التجارة الحرة والسياحة وتوليد الطاقة وتحلية مياه البحر.

المرحلة الثالثة: وتتضمن سياسة دمج مجتمعات المنطقة تدريجياً ودعم علاقات التعاون بين المؤسسات الرسمية في دولها.

واقترحت إقامة سوق المشرق من مصر وسورية والأردن ولبنان وسلطة الحكم الذاتي ، وإسرائيل وتضم سوق المغرب: المغرب وتونس والجزائر.

وتطالب الوثيقة بمد أنابيب للنفط والغاز إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط مروراً بإسرائيل لنقل الزيت الخام والغاز الطبيعي من العراق ومصر والسعودية ودول الخليج.

وتشير إلى أن التجارة بين إسرائيل ودول الخليج والدول العربية الأخرى المجاورة تشكل المصدر الأساس للتجارة الإقليمية.

وتقترح إقامة منطقة تجارة حرة مشتركة تشمل إيلات والعقبة وتضم مصر والسعودية.

وتؤكد أن قطاع السياحة يعتبر من القطاعات الهامة في العديد من دول المنطقة وتتركز عملية تنميته في ضرورة التعاون بين دول المنطقة من خلال

فتح الحدود وتنوع السياحة: كسياحة الشواطئ على امتداد البحرين الأبيض والأحمر، والسياحة العلاجية في البحر الميت، والسياحة الصحراوية والشتوية وسياحة الغطس في البحر الأحمر.

***

أظهر مؤتمر الدار البيضاء في المغرب جانباً هاماً من الغزو الاقتصادي للمشروع الصهيوني ، فقد حضر إلى جانب نصف الحكومة الصهيونية كبار رجال الأعمال الصهاينة أمثال : شاول ايرنبرج، وشموئيل دانكز ، وإسحاق زوتكي ، ومائير افتيال ، وداني جيلرمان ، وعازر ارتول، وديفيد كولتيس ، وجاليا البين ، وليليان شالوم، وحنان عساف .. وكانت مشاريعهم التي حملوها إلى المؤتمر أشبه بغزو اقتصادي للوطن العربي ، يريدون ابتلاع الأرض ، بما فيها من خيرات وثروات ، وأحضروا معهم عقوداً جاهزة للتوقيع وعقد الصفقات. فالصهيوني " شموئيل دانكز " الذي يملك مجموعة دانكز في الكيان الصهيوني، التي تملك مصانع بتروكيماويات وبلاستك ومصانع ملح، وله نشاط في عمليات استيراد البترول وتسويق منتجاته .. استطاع أن يعقد صفقة سريعة مع السلطة الفلسطينية، لتزويد مناطقها بالوقود. وعرض على رجال الأعمال العرب الذين حضروا المؤتمر، الاشتراك بإنشاء مصانع للطاقة ذات حجم صغير أو متوسط .. واستطاعت ثلاث نساء صهيونيات حضرن المؤتمر، ويمثلن شركات صهيونية متخصصة في التقنيات والصناعات الالكترونية والتكنولوجية تحقيق عدة صفقات، وعملن على اختراق السوق العربية. فقد تقدمت الصهيونية " جاليا البين " المديرة التنفيذية لشركة " جاليا " للاتصالات، ومعدات البناء والمعدات الطبية بعدة مشاريع للمؤتمر، تتضمن إنشاء صناعات خاصة بالاتصالات وبرامج الكومبيوتر في الدول العربية، ومشاريع للبناء والطب. وقد حصلت شركتها على اتفاق مبدئي مع المغرب والأردن والسلطة الفلسطينية.

وحصلت " حنان عساف " مديرة شركة " مرتولا " الصهيونية على عقود مع المغرب لتنمية الاتصالات ، ما بين شركة الصناعات الالكترونية في الكيان الصهيوني مع قطاع الصناعات الالكترونية في المغرب .. وكذلك حققت " ليليان شالوم " عدة صفقات لشركتها مع المغرب ، في مجال الطاقة والتكنولوجيا .. وعقد رجل الأعمال الصهيوني " شارل أيزن برج " ثلاث صفقات للمناطق الصناعية، التي تقرر إقامتها على الحدود بين الكيان الصهيوني وغزة. وكذلك رجل الأعمال الصهيوني " مائير افيتال " حصل على عقد باسم شركته " هارجز " ، لتصنيع هياكل الأوتوبيسات، وعربات القطار، والمباني سابقة الصنع لشركته مع الأردن، ومناطق الحكم الذاتي، وتركيا.

وقد عرضت إحدى الشركات الصهيونية المتخصصة بالأمور الأمنية، وتدعى شركة إسرائيل، ويديرها مجموعة من ضباط الأمن الصهاينة على الوفود العربية، التي حضرت المؤتمر، أن تقدم لهم خبراتها الأمنية في الحراسة والنظم الأمنية، وطرحوا عليهم أن يبيعوهم جدراناً أمنية لوضعها على الحدود .. والحدود هنا طبعاً ليست بين الدول العربية والكيان الصهيوني، بل بين الدول العربية بعضها البعض .. وإن كان هذا ما أعلن ، فإن ما تم سراً هو الأكثر والأخطر .

<u>الوثيقة المصرية</u>

قدمت مصر "وثيقة للتعاون والتنمية والاستثمار" ، وتضمنت(58) مشروعاً اقتصادياً تبلغ تكاليفها(34) مليار دولار. وشملت مشروعات لإقامة طرق سريعة لربط المغرب العربي بالمشرق، وتسهيل انتقال البضائع والأفراد بين دول المنطقة، وخمسة مشروعات لربط الشبكات الكهربائية بالمغرب والمشرق، وسبعة مشروعات لبناء معامل لتكرير البترول، وستة مشاريع صناعية للملبوسات والصباغة وإنتاج مواد البناء والصناعات الحرفية ومشروعاً ضخماً للبتروكيماويات، وثمانية مشاريع سياحية لتنمية شاطئ البحر الأحمر، ومشاريع

للمنـاطق الصـناعية الحـرة وسـبعة مشـاريع لاسـتخدام التكنولوجيـا فـي ميـدان المعلومات.

بيان القمة الختامي

وقد نص البيان الختامي للقمة على أن المشاركين قرروا وضـع أسس مجموعة اقتصادية للشرق الأوسط وشمال افريقيا تقتضـي في مرحلة معينة تدفق البضائع ورأس المـال واليـد العاملـة، وإنشـاء مكتـب إقليمـي للسـياحة ودعـم إنشـاء غرفـة تجارة إقليميـة ومجلس للأعمال. وإن مجموعـة الخبراء ستدرس خيارات مختلفة لآليات التمويل بما فيها إنشاء مصرف للتنمية.

وبالنسبة للمقاطعـة العربيـة فقد سـجل المشـاركون فـي هذا الإطـار بارتيـاح قرار مجلس التعـاون الخليجـي برفـع الـدرجتين الثانيـة والثالثـة مـن إجـراءات مقاطعـة إسرائيل.

وهكـذا ، فقـد أسـفرت القمـة عـن نتـائج هامـة جـداً لإسـرائيل ، منهـا الاعتـراف بـدورها الإقليمـي وإلغـاء المقاطعـة العربيـة وهرولـة بعـض الـدول العربيـة لبحـث كيفية التعامل والتعاون والتنسيق معها .. وكـان مـن نتـائج القمـة الاقتصـادية إذا اسـتمر عقـدها وإذا اسـتمر الوضـع العربـي فـي التـدهور ، إحـلال دور إسـرائيل محـل دور مصـر فـي قيـادة البلـدان العربـي والمنطقـة ، وبالتـالي تهمـيش دور مصـر وتحويلها إلـى دولـة ثانويـة والقضـاء علـى دور العـرب فـي القرن الحـادي والعشرين .

* * *

فى سياق مؤتمرات الشرق أوسطية ، قدمت إسرائيل مشاريع اقتصـادية تستهدف تهميش دور قناة السويس ، ومـن هذه مشروع لشق قناة مـا بين البحـر الأبيض المتوسـط مـع البحـر الميـت، ثـم يـتم شـق قنـاة مـن البحـر الميـت إلـى البحـر الأحمر.. وهذا المشروع ، سيؤدي حتماً إلى إلحاق الضرر بقناة السويس كممر

للسفن التجارية، من خلال وجود قناة منافسة لها. (وهذا المشروع يتم الآن عام 2014 تنفيذه) .

ومن المعروف علمياً وجغرافياً أن قناة بين البحر الأبيض والبحر الميت، لا تستطيع أن تلغي دور قناة السويس لمرور السفن والناقلات، لذلك اتبع مشروع القناة بمشروع آخر، يستطيع أن يكون منافساً قوياً لقناة السويس، هو ما أسماه بمشروع قطار السلام ، والذي ظهر للوجود بعد حرب يونيو عام 1967، وعرضه الكيان الصهيوني على المجموعة الأوروبية. ولكنه ظهر بقوة في عام 1995 بعد أن وافقت عدة شركات هولندية وأمريكية، على مشاركة الكيان الصهيوني في إقامة شبكة من القطارات العملاقة والسريعة، تقوم بنقل بضائع آسيوية وخليجية عبر الأردن إلى الكيان الصهيوني، ومن هناك تقوم السفن التجارية الصهيونية بنقلها إلى أوروبا. ومن أجل إنجاح هذا المشروع عرضت شركة زيم ، الذي يملك الكيان الصهيوني 98% من أسهمها، أن تقوم بنقل البضائع الخليجية والآسيوية. وتتحكم هذه الشركة بـ 21 خطاً بحرياً وتملك 40 سفينة نقل عملاقة.

وفي هذا المؤتمر ، والذي كان للوفد الصهيوني حضوره المكثف كما أشرنا ، ومن بين المشاريع مشروعان مهمان ، يؤثران على قناة السويس، الأول: الطرق البرية ، التي أسماها الصهاينة خداعاً بطرق السلام.

والثاني : مد خطوط الغاز من الخليج إلى شواطئ فلسطين المحتلة. أما مشروع الطرق الذي تقدم به الوفد الصهيوني، فيقترح ربط مصر بالكيان الصهيوني، ثم سوريا ولبنان، وصولاً إلى الحدود التركية، ومنها إلى أوربا. ويبلغ طول الطرق المقترحة (1700) كم. على أن يتم ربط الطريق من مصر عبر الشمال الأفريقي العربي إلى المغرب، وبطول (5564) كم. والهدف البعيد من كل ذلك، تهميش دور قناة السويس، وتخفيض عائداتها؛ لتتحول تلك العائدات إلى الكيان الصهيوني. وإن كان هذا المشروع لم ينفذ بعد، فإن هذا لا يعني إلغاءه،

بل تم تأجيله لفترة زمنية يستطيع الكيان الصهيوني، أن يحققه، حين تتوفر له الظروف والمتغيرات الدولية.

من المشاريع المؤثرة على قناة السويس الاتفاق الذي عقد ما بين الكيان الصهيوني ودولة قطر في المؤتمر الاقتصادي المذكور ، والذي ينص على تمديد خط لنقل الغاز القطري إلى الكيان الصهيوني ومنه إلى أوروبا. وهذا الخط يحرم قناة السويس من عائدات مرور ناقلات الغاز القطري، والخشية بعد ذلك، أن يتم إقامة مشاريع أخرى لدول خليجية لنقل البترول والغاز وغيرها. وهذا ما يؤثر فعلاً على قناة السويس كممر للمواصلات بين الخليج وآسيا وأوروبا.

قمة عمان (أكتوبر 1995)

انعقدت القمة الاقتصادية الثانية للتنمية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في عمان بتاريخ 29-31 أكتوبر عام 1995.. وبلغ عدد الدول المشاركة فيها (63) دولة ، بينما اشتركت في قمة الدار البيضاء (60) دولة .. وارتفع عدد الدول العربية المشاركة من (12) دولة إلى (13) دولة ، وذلك بانضمام موريتانيا.

تعتبر هذه القمة ، امتداداً لقمة الدار البيضاء ولكن الفرق بينهما هو أن القمة الأولى أعلنت المبادئ العامة للتعاون الإقليمي والشرق أوسطية ، بينما وضعت قمة عمان الآليات لتنفيذها ، أي : أوجدت المؤسسات التي تعيد تشكيل المنطقة من جديد وفقاً للمخططات الإسرائيلية ، فقد نجحت قمة عمان ، كقمة الدار البيضاء ، إلى فك عزلة إسرائيل السياسية وتحقيق مرحلة متقدمة من التطبيع ، وكان عمرو موسى وفريق من الاقتصاديين والسياسيين المصريين من أوائل من حضروا هذه القمة ، ودعموا عمليات التطبيع ومشاريع التعاون الاقتصادى مع إسرائيل فيها .

ولقد أدخلت قمة عمان التعاون الاقتصادي في الشرق الأوسط وشمال افريقيا مرحلة نوعية، إذ لأول مرة في تاريخ المنطقة تقام مؤسسات اقليمية دائمة ذات أهداف محددة للمحافظة على استمرارية الشرق الأوسط الجديد وترسيخها. وتم الاتفاق فيها على إقامة المؤسسات الشرق أوسطية التالية :

1-بنك التعاون والتنمية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا ومقره القاهرة برئاسة إسرائيلية لدعم تنمية القطاع الخاص ومشاريع البنية التحتية الإقليمية وتعزيز أواصر التعاون الاقتصادي الاقليمي.

2-مجلس السياحة الإقليمي لتسهيل تسويق السياحة في المنطقة ويضم المجلس ممثلين عن القطاعين العام والخاص.

3-المجلس الإقليمي لدعم التعاون والتجارة لإزالة الحواجز والمعوقات لتدفق السلع والبضائع في إطار منطقة التجارة الحرة تحت السيطرة الأميركية والإسرائيلية.

4-الأمانة العامة التنفيذية ومقرها الرباط، ولجنة متابعة لمجموعة العمل الإقليمية.

وورد في الوثيقة أن الإقليم يعتبر بوابة لعبور السياح إلى المواقع الأثرية في القاهرة والقدس وأريحا، وبالتالي تريد إسرائيل اغتصاب مكانة مصر وفلسطين والأردن السياحية باسم التنمية المشتركة.

اغتصبت إسرائيل مكانة مصر السياحية في سيناء من خلال ما يسمى " فيزا خليج العقبة " التي اقترنت باتفاقية كامب ديفيد " .. وهذه الفيزا تتيح لكل القادمين من منفذ إسرائيل دخول سيناء دون تأشيرة أو رسم دخول لمدة أسبوع ، مع حرية التنقل في سيناء حتى شرم الشيخ. ومن خلال فيزا خليج العقبة استمرت الأفواج السياحية الإسرائيلية في التدفق على سيناء ، كما كان الحال في سنوات الاحتلال .. واستفادت من هذه الفيزا في ترويج برامجها السياحية التي تضمنت زيارة سيناء ومواقع الشعب المرجانية في البحر الأحمر وخليج

العقبة، حيث أتاحت الفيزا لكل القادمين من منفذ إسرائيل بغض النظر عن جنسياتهم، دخول سيناء " .

الخلاصة أن هذه القمة أنشأت خمس مؤسسات إقليمية، لربط الاقتصادات العربية بالاقتصاد الإسرائيلي، كما شكلت هذه المؤسسات الآليات لفرض هيمنة إسرائيل الاقتصادية على البلدان العربية، والتي ستكون معززة بقوة الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية وبالوجود العسكري الأميركي في البلدان العربية وتفوق إسرائيل العسكري التقليدي والنووي على جميع البلدان العربية مجتمعة.

وكرست القمة تجزئة الوطن العربي إلى منطقتين جغرافيتين : واحدة في شمال افريقيا والأخرى في الشرق الأوسط ، وذلك لنزع الهوية العربية عن المنطقة.

<u>قمة القاهرة (نوفمبر 1996)</u>

انعقد مؤتمر القاهرة الاقتصادي للتنمية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في 12 نوفمبر 1996 – لمدة 3 أيام – في ظل تراجع الحكومة الإسرائيلية عن اتفاق أوسلو، وتصعيد الاستيطان والتهديدات المستمرة بإشعال الحرب على سورية.

كان الضغط الأمريكي السافر والتبعية السياسية لنظام مبارك هما من حمل مصر على تغيير موقفها ، وعقدت المؤتمر الاقتصادى الثالث في موعده المحدد. وكانت الولايات المتحدة قد هددت بأن تأجيل عقد المؤتمر قد يؤدي إلى انعكاسات سلبية كبيرة على برنامج الشراكة المصرية الأميركية ، وعلى إعفاء مصر من جزء من ديونها. وقدمت في نفس الوقت وعوداً لدفع عملية السلام وزيادة الاستثمارات الأميركية في مصر.

قررت حكومة مصرعقد المؤتمر ، لكنها تجنبت في الوقت نفسه الترويج لمشاريع إقليمية كبرى وإنما حاولت جعله بمثابة منتدى للترويج لاستثمارات داخل مصر وفي كل بلد مشترك في المؤتمر على حدة.

* بالمقابل عقدت أحزاب المعارضة المصرية عشية افتتاح مؤتمر القاهرة الاقتصادي مؤتمراً مضاداً تحت عنوان " مؤتمر المواجهة العربية لمخططات التعاون بين إسرائيل والدول العربية " ، تحدث فيه قادة أحزاب المعارضة وممثلوها ، حيث أكدوا إدانتهم ورفضهم انعقاد مؤتمر القاهرة في الفترة التي يطلق فيها رئيس الحكومة الإسرائيلية تهديداته بإشعال حرب عدوانية جديدة ضد سورية ولبنان والتنصل حتى من اتفاق الإذعان في أوسلو الذي صاغه سلفه شمعون بيريز .

وأكدت الأحزاب المصرية أن مشاركة الكيان الصهيونى في المؤتمر تعتبر مكافأة للمعتدى ، حيث سيقضي انعقاده على السلاح الوحيد لدى العرب في مواجهة التوسع والاستيطان والغطرسة والتعنت الإسرائيلي ، وهو سلاح المقاطعة العربية .

ودعت الأحزاب المصرية إلى قيام جبهة شعبية ضد كل أشكال التعاون مع العدو الصهيوني وإحياء المقاطعة العربية .. وأوصى المؤتمر بممارسة الضغوط على الحكومات العربية التي تتعاون مع إسرائيل ووجوب الوقف الفورى لكافة أشكال التطبيع والتصدي للمطبعين ومقاومة الاختراق التطبيعي،والعمل على إحياء المشروع القومي،ومساندة أبناء الأراضي المحتلة في فلسطين والجولان وتفعيل العمل العربي عبر المؤسسات الشعبية والرسمية .
وأصدر المشاركون في مؤتمر المواجهة العربية لمخططات التعاون مع إسرائيل بياناً عرّى أهداف مؤتمرات القمم الاقتصادية ومضامينها في الدار البيضاء وعمان ومؤتمر القاهرة وتضمن عدداً من التوصيات ، هي :
– دعم وتأكيد موقف القوى الشعبية والسياسية والمنظمات الجماهيرية والهيئات المهنية الرافض للاشتراك في أية مؤتمرات أو تجمعات أو لقاءات تحضرها إسرائيل أو تدعو إلى التعاون معها واعتبار الخروج على هذا الالتزام تحدياً للمشاعر الوطنية والقومية يستدعي المواجهة والحساب .

– ممارسة كل صور الضغط المتاحة على الحكومات والقيادات العربية التي تتعامل وتتعاون مع إسرائيل لكي توقف على الفور كل السياسات والأنشطة المتصلة مع العدو الصهيونى .

– التصدى الفعال للقلة من المثقفين الذين أصابهم مس التطبيع مع العدو الصهيوني، والداعين إليه صراحة أو بالالتفاف .

– العمل على إحياء المشروع القومي العربى الوحدوى الذى يستهدف تحقيق تنمية عربية مستقلة.

– تعبئة وتوحيد جهود الأحزاب السياسية العربية وكذا المنظمات الجماهيرية والهيئات والاتحادات المهنية والعمالية العربية لحث الحكومات على تفعيل كل المنظمات والمؤسسات العربية القائمة.

– تكوين جبهة من القوى والفعاليات والحزبية العربية تقوم بوضع استراتيجية قومية تحقق الأماني والأهداف القومية في ظل المتغيرات والظروف الدولية الجديدة وتحدد الأساليب والوسائل العلمية لبلوغ هذه الغايات .

– تأسيس حركة تضامن مع أبناء الأراضي العربية المحتلة في فلسطين وسوريا ولبنان.

– الاستمرار في متابعة ورصد التطبيع في كافة المجالات باستخدام الأساليب والأدوات العلمية الحديثة وتشخيص المخاطر وتوظيف هذه المعلومات لخدمة الأهداف السابقة ولخلق حركة مقاومة واعية ورأى عام مدرك فداحة الخسائر الوطنية والقومية التي تنجم عن التهاون في مقاومة التطبيع .

* لقد كان عقد مؤتمر (المواجهة العربية لمخططات التعاون بين إسرائيل والدول العربية) في القاهرة، قبل يوم واحد من انعقاد مؤتمر القاهرة ، يظهر بجلاء شعور القوى السياسية في مصر بمدى خطورة المؤتمرات الاقتصادية للتنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ويتطلب بناء جبهة شعبية عربية لمواجهة إسرائيل والتطبيع معها ومقاطعة المنتجات الإسرائيلية والأميركية

وتعرية مضمون المؤتمرات الاقتصادية وأهدافها التي جاءت تطبيقاً لمخططات حزب العمل الإسرائيلي وتجسيداً للشرق الأوسط الجديد الذي وضعه شمعون بيريز، رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق.

مؤتمر الدوحة الاقتصادى (1997)

أصرت قطر على انعقاد المؤتمر بحجة "التزام دولي" لابد من تنفيذه ، وكأن تنفيذ الالتزامات الدولية محصور بالعرب .. وقد كانت الفرصة ملائمة جداً لقطر لتأجيل انعقاده أو عدم توجيه الدعوة للعدو الإسرائيلي ، وذلك بسبب تصعيد سياسته الاستيطانية والإرهابية وتخليه عن تنفيذ الاتفاقات التي التزم بتحقيقها .. والغريب أن قطر التى تتحجج بالالتزام الدولي ، لم تلتزم بتنفيذ قرار مجلس الجامعة العربية في 30 مارس 1997 بوقف التطبيع مع الكيان الصهيوني؟ وبالتالي تكون قطر قد ضربت بالالتزام العربي عرض الحائط ، ونفذت تعهدها باستضافة مؤتمر الدوحة نزولاً لرغبة الولايات المتحدة . وبذلك كافأت قطر إسرائيل باستضافتها في بلد عربي وجنباً إلى جنب مع الدول العربية ورجال الاستثمار العرب في نفس الوقت الذي تتنكر فيه إسرائيل لمبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ الشرعية الدولية، وتروّج مقولة : "الأمن مقابل السلام".. مما يشجعها على السير قدماً في مساعيها لفرض الهيمنة الاقتصادية على البلدان العربية وعدم الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة".

ولم تحضر مصر هذا المؤتمر وشاركتها كل من المغرب والسعودية والإمارات وسلطنة عمان والبحرين نفس الموقف .

واختتم المؤتمر الاقتصادي الرابع في الدوحة في 1997/11/18 بتحقيق إسرائيل نجاحاً في تخفيف حدة الانتقادات الموجهة لسياستها التي تسببت في تعطيل عملية التسوية، فيما أجمع المعلقون والمسؤولون السياسيون والاقتصاديون الذين شاركوا في المؤتمر على فشله.

***

خامساً : الرد الشعبى على مخططات السوق الشرق أوسطية للتطبيع الاقتصادى :

ورداً على هذه المؤتمرات ومخاطرها انتهى عشرات الخبراء والباحثين الاقتصاديين إلى الرد عليها عبر أوراق بحثية فى المؤتمر القومى التأسيسى لمواجهة الاستسلام والتطبيع الذى عقد فى البحرين :

1 – أن البعد الاقتصادى لا يقتصر على تلك المكاسب التى حققتها إسرائيل بتوسيع شبكة علاقتها الاقتصادية فى مختلف بقاع العالم ، بل إن الأمر الأخطر هو أنها نجحت فى أن تندمج فى النظام الاقتصادى العالمى الحديث ، فمن المعلوم أن هذا النظام يرتكز على مؤسسات اقتصادية دولية تتحول حالياً إلى مؤسسات اقتصادية عالمية ، كما أنه يتألف من شبكة من الشركات عابرة للقوميات ، تساندها غابة من الأسواق المالية والنقدية العالمية ، وهو يعتمد فى الوقت نفسه على قدرات فائقة فى البحث العلمى والتطوير التكنولوجى ، توجه إلى صناعات واعدة بالتقدم السريع ، ومن ثم توجه إلى التسويق العالمى من خلال تصدير يدفع معدلات النمو إلى مستويات عالية ، ويترتب على هذا أمور ثلاثة : أولها : هو أن تعامل العرب مع الأسواق المالية ومع عابرات القوميات ينطوى على نحو أو آخر على تعامل مع أطراف لها تواجد فى الكيان الصهيونى ، الثانى : أن هذا يفتح الباب أمام قضية المقاطعة ، وهى قضية تثار حالياً بإلحاح وعلينا أن نتناولها بشىء من التفصيل ، الثالث: أن إسرائيل توظف الهجرة اليهودية والصلات الوثيقة مع مختلف الاقتصادات الغربية ؛ لتحصل بشتى الطرق ، المشروعة وغير المشروعة ، على معرفة تقنية ، يتعذر على الدول العربية الحصول عليها ، أياً كان الثمن الذين يدفعونه مقابل ذلك ، فنوع الاندماج الذى اختارته بعض الدول العربية فى الاقتصاد العالمى ، وذلك الذى تدفع له دول عربية أخرى دفعاً ، هو اندماج تبعية ، وليس اندماج تكافؤ

كذلك الذى نجحت إسرائيل فى إقامته ، وبالتالى فإن مصدر الخطر ليس فى مجرد ما حققته إسرائيل ، بل فى التبعية التى يتسابق عليها العرب ، وفى المنهج الخاطيء الذى سعوا به إلى المشاركة فى صنع القرار الدولى .
لنأخذ مثلاً على ذلك الموقف من المؤسسات الاقتصادية الدولية : صندوق النقد والبنك الدوليين. دعمت السعودية موارد الصندوق الدولى وأمدته بقروض بدون فوائد ، حينما كانت تشكو من تخمة المال ، فى الوقت الذى أوقفت فيه دفع زيادات متواضعة فى رأسمال صندوق النقد العربى الذى يفترض فيه أن يكون عوناً للدول العربية التى سبقت السعودية فى معاناة العجز فى موازين مدفوعاتها ؛ وحصلت مقابل ذلك على مقعد فى مجلس إدارة الصندوق الدولى ، والمتتبع للمواقف التى اتخذها المندوبون الذين شغلوا ذلك المقعد ، يجدها أشد تعنتاً فى الشروط التى تفرض على الدول النامية من مواقف غلاة الاستعماريين ، كالهولنديين مثلاً. فمن الذى يصنع تلك الشروط ؟ إنهم الصهيونى " بولاك " الأب الروحى للمنهج الذى سار عليه الصندوق والذى أفضى إلى البرامج التصحيحية التى حطمت صروح التنمية والعدالة فى الدول المحتاجة إلى معونات من الصندوق ؛ والصهيونى " جولد " صاحب الصياغة العبقرية لقروض الصندوق ؛ والصهيونى " استانلى فيشر " نائب رئيس البنك الدولى ، الذى أرغى وأزبد حينما تصدينا لمقترح البنك بأن ينشىء منتدياً للبحوث الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وهى تسمية تتجاهل الصبغة العربية للمنطقة ، وأصر على أن يضم ذلك المنتدى إسرائيل وإلا تركه ، فذهب غير مأسوف عليه . هذه هى المؤسسات التى باتت تتحكم فى المصائر الاقتصادية للعالم الثالث ، وهذا هو موقف الدول العربية القادرة منها ، غير أن الأخطر هو أن هذه الدول بدلاً من أن تترك الصناديق العربية تنهج نهجاً عربياً مستقلاً ، قوامه الفكر الاقتصادى السليم ، تدفعها إلى أن تستمد قواعد عملها من المؤسسات الدولية ، بل وتشترط على الدول التى ترغب فى الحصول على

مساعدات منها أن تستخرج أولاً شهادات حسن سير وسلوك من تلك المؤسسات ، ثم هى تنفق من الأموال العربية على مؤتمرات وندوات تروج لفكر تلك المؤسسات ، أى للفكر الصهيونى ، وهى أمور ليست بالجديدة ، بل ظهرت جلية منذ أوائل الثمانينات ، وبعد أن تخلت مصر عن دورها العربى ، فتقدمت أنظمة عربية أخرى لكى تقود الاقتصاد العربى إلى أحضان الرأسمالية العالمية ، حتى لا تعود أنظمة تقدمية إلى الظهور والتصدى للرجعية ربيبة الصهيونية والإمبريالية .

2 – حقيقة ثانية هى أن الاقتصاد الإسرائيلى هو اقتصاد غير سوى ، يسعى إلى الانتقال من أوضاع غير مستقرة فرضتها الظروف التى عاشها فى ظل الصراع العسكرى ، وفى ظل التطورات السريعة التى ترتبت على التوسعات التى حققها ، جغرافياً وبشرياً ، وفى نطاق المقاطعة العربية والتى لم تحل دون عقد اتفاقية مع السوق الأوروبية المشتركة ودون عقد اتفاقية استراتيجية مع الولايات المتحدة ، لقد استطاع الاقتصاد الإسرائيلى ، بفضل هذه العلاقات الوثيقة مع أقطاب الرأسمالية العالمية ، وبفضل المعونات والتدفقات البشرية التى تلقاها ، تحقيق إنجازات فى عدد من القطاعات ، مكنته من الوصول إلى متوسط للدخل بلغ فى 1992 حوالى 13700 دولار للفرد (أى 18 ضعفاً لدخل الفرد فى دول الطوق البالغ 750 دولاراً ، أو 2.4 مثلاً للمتوسط العربى العام ، أو 1.5 مثلاً للمتوسط فى دول مجلس التعاون الخليجى الغنية) ، وقد أمكنه تحقيق هذا عن طريق التخصص فى بعض الصناعات بالتعاون مع النظام العنصرى الذى كان يتحكم فى جنوب أفريقيا ، على رأسها الصناعات الحربية الإلكترونية وصناعة الماس ، كما أنه جرت الاستعانة بأيد عاملة فلسطينية رخيصة ، فضلاً عن نهب الممتلكات الفلسطينية ، ورغم هذا المتوسط المرتفع بقى الاقتصاد المحلى يعانى من مشاكل عديدة ، وهو غير مؤهل بوضعه الحالى لأن يعمل كاقتصاد مدنى قادر على تحقيق نمو مطرد فى ظل السلام ،

ويسعى الاقتصاد الإسرائيلى حالياً إلى إدخال تغيرات تستوجب تحركاً فى عدد من الاتجاهات :

* التخلص من النشاطات منخفضة العائد التى كان لابد من القيام بها بناء على متطلبات الأمن العسكرى ، والتى يصبح من السهل التخلى عنها فى ظروف السلام ، وترشح الاقتصادات العربية التى تلتحق به لأن تتولى تلك الأنشطة عنه ، فتعمل كفناء خلفى backyard للاقتصاد الإسرائيلى .

* النهوض بالبنية الأساسية الإنتاجية والاستهلاكية التى تزيد من قدرات الاقتصاد الإسرائيلى على استيعاب مزيد من المهاجرين ، ولتمكينه من الدخول فى نشاطات جديدة ، ثم لتسهيل حركة التبادل مع جيرانه (العرب) حيث إن ارتباطه ظل حتى الآن بالعالم الخارجى فى المقام الأول ، بينما بقى عازلاً ومعزولاً عن أطراف العالم العربى ، ومن المعلوم أن هذه البنيات الأساسية لا تدر عائداً مباشراً ، وبالتالى لابد من تحميلها أطرافاً أخرى ، والعرب يأتون فى المقدمة بطبيعة الحال (فضلاً عما التزمت به الولايات المتحدة لإسكان المهاجرين) سواء للتمويل أو بانتزاع أراضيهم .

* الاستثمار فى صناعات جديدة ، دون التخلى بالضرورة عن الصناعات الحربية التى لاتزال أسواقها واعدة بالعائد المجزى ، وهذه الاستثمارات تتطلب أموالاً طائلة لابد من جلبها ، وإن كان هذا لا يعنى التنازل عن عائدها،وهو ما يتطلب ترتيبات من نوع خاص على نحو ما سنبينه فيما بعد .

* وإلى جانب هذه الاستثمارات لابد من توفر الحصيلة المعرفية ، وهو ما يتطلب النهوض بالبحث العلمى والتقنى ، وإذا كان من الممكن توفير العنصر البشرى ، خاصة من علماء الكتلة الشرقية ، فإنه لابد من توفير الموارد المالية اللازمة للبحث ، وهو ما يعنى تطوير نشاط بيع ناتج خدمات البحث ، سواء فى صورته الإنتاجية ، أو من خلال تحميل نفقات البحث لدول تقنع بشراء ناتج البحث بدلاً من القيام به بذاتها ، وتحت هذا العنوان يندرج شطر كبير من

التعاون مع مصر فى المجال الزراعى ، ولا بأس من تحميل هذه الدول مخاطر الأبحاث الحافلة بالمخاطر ؛ وكثير من بحوث ما يسمى بالهندسة الحيوية يحمل هذه الصفة .

* وينطوى ما تقدم على استمرار الاقتصاد الإسرائيلى فى حالة عجز تموله إلى حين التدفقات المالية الخارجية ، غير أن هذا لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية ، ومن ثم فلابد من فتح أسواق تصدير واسعة ومضمونة لفترات طويلة ، وهذا هو الدور الذى ترشح له الدول العربية التى لازالت تتخبط فى خططها التنموية ، والتى ابتليت مؤخراً بموجة من السياسات التى فرضتها المؤسسات الاقتصادية الدولية من أجل أن تظل أسواقاً مفتوحة أمام الدول السابقة فى التطور الصناعى والتقنى ومن بينها إسرائيل ، ولهذا الأمر أهميته، ليس فقط لتأمينها كأسواق ، وإنما أيضاً لبقائها كدول عجز ، ومن ثم إخضاع إرادتها الإنتاجية فى النفط وفى غيره ، لاختيارات الإمبريالية والصهيونية ، وإذا كان الصراع العربى الصهيونى قد استنزف موارد العرب فى الماضى فهناك صراعات عربية ، وهناك حصارات مفتعلة ، وهناك استنزاف بالانفتاح .

* ولما كانت النشاطات الحديثة كثيفة الاستهلاك للطاقة ، فمن غير المعقول ألا تنهل إسرائيل من احتياطى الزيت الضخم الذى بات الآن تحت سيطرة قوى الاستعمار ، وألا تملأ صدرها بالغاز الذى بات أساساً للعديد من النشاطات الحديثة ، فضلاً عن انخفاض درجة التلوث التى يصيب بها البيئة ، ويذكر فى هذا الصدد أن متوسط نصيب الفرد من الطاقة يبلغ 2367 كجم فى إسرائيل أى أكثر من ضعف نصيب الفرد العربى (1078 كمتوسط عام ، و586 للفرد المصرى ، و69 للسودانى ، و7 للصومال!) فضلاً عن ذلك فإن الناتج الإجمالى لكل كيلو جرام طاقة يبلغ 5.8 دولاراً فى إسرائيل مقابل 4.4 فى الدول مرتفعة الدخل و1.89 فى الوطن العربى . إن النهم الإسرائيلى للطاقة متزايد ، بحكم الصناعات التى سوف تنشأ مستقبلاً ، وعلى العرب أن يجودوا

بما حباهم به المولى ليضعوه فى خدمة الإنسانية المتجسدة فى الغرب – الصديق الحميم – وفى شعب الله المختار .

3 – حقيقة ثالثة وهى التى ارتبطت بالأوضاع غير السوية للاقتصاد الإسرائيلى ، أنه ظل حتى الآن يلقى عبئاً على الاقتصاد الأمريكى لم يعد قادراً على الاستمرار فى تحمله ، عندما تولى ريجان الحكم وعد بمعالجة الدين الأمريكى الذى كان فى ذلك الوقت يبلغ تريليون (مليون مليون) دولار ، وهو ما لو تراكم فى هيئة عمود من الأوراق الدولارية لبلغ ارتفاعه 67 ميلاً أى: 100 كيلو متر ، على حد تعبير أحد الاقتصاديين ! واليوم تضاعف هذا الدين إلى ثلاثة أميال القيمة التى أزعجت ريجان ، وكان من الضرورى أن يترنح الدولار ، رغم كل المقويات والمنشطات التى يتعاطاها الاقتصاد الأمريكى ، بما فى ذلك إزاحة جورباتشوف عنه كابوس الحرب الباردة ونفقات حرب الكواكب ، وبما فى ذلك ابتزاز أموال أهل الخليج بدعوى الدفاع عن أراضيهم ضد عدوان حدث وآخر يقال : إنه ينذر بالحدوث ، وبما أن النفط العربى بات اليوم تحت حماية الحراب الأمريكية ، فإنه لابد لدوامها من استنزاف أموال العرب التى تراكمت حتى الآن ، واستنفدت الغرض منها وهو تدوير الدولارات النفطية ؛ لتغطى العجوزات التى عانت منها دول الغرب فى فترات التضخم وتصحيح أسعار النفط ، فإذا كان من غير المسموح به لأى دولة عربية أن تحقق فائضاً بعد الآن يقابله عجز يتحمله الغرب ، سواء فى مجمل موازين مدفوعاته ، أو فى موازين دول أخرى مما يفتح باب إقراض الدول النامية واحتمالات التوقف عن السداد مرة أخرى ، فإنه لابد من استنزاف التراكمات المالية العربية التى طالما تصاعدت المطالبات بعودتها لكى تستثمر فى الوطن العربى ، ولكنها ظلت شاردة ، ومعنى هذا أنه لابد من بدء مسلسل جديد تستنزف به أموال العرب لكى تتولى عن الاقتصاد الأمريكى تحمل متطلبات دفع مسار الاقتصاد

الإسرائيلى إلى الأمام ؛ تحقيقاً للهدف الأساس من مساندة إنشاء إسرائيل فى هذه البقعة من الوطن العربى ، وهو أن تكون رأس حربة للاستعمار.

4 – حقيقة رابعة وهى أن ما سبق لا يتحقق إلا إذا أنهيت المقاطعة العربية ، والواقع أن قضية المقاطعة قضية متشعبة تحتاج إلى تدقيق ، أول أبعاد هذه القضية أن الإصرار الذى نلمسه من أطراف عديدة على الإسراع بإنهائها ، والضغوط التى يمارسها الكثير من تلك الجهات على الدول العربية لإنهاء المقاطعة فوراً ، إنما هو دليل على أن هناك منافع سوف تجنيها تلك الجهات من هذا الإنهاء ، وهو ما يعنى أنها تتوقع حجماً للأعمال داخل إسرائيل يحقق تلك المنافع ، وبما أن حجم السوق الإسرائيلية ليس بالحجم الذى يجعله مغرياً إلى هذه الدرجة ، فإن المغزى الواضح هو أن المنافع المتوقعة سوف تكون نتيجة أحد أمرين أو كليهما. الأول هو أن إسرائيل تملك تقنيات ترغب تلك الجهات فى الاستفادة منها . ولو صح هذا فى عدد محدود من المجالات فلا يتوقع أن يصح بشكل عام ، ومن ثم فالأغلب أنها تتوقع أن تستفيد من العلاقات التى أقامتها إسرائيل من جهات عديدة ، بما فى ذلك المعرفة التى يحملها المهاجرون من الدول الشرقية ، ومن قدراتها على التجسس الصناعى والتكنولوجى والذى لم تسلم منه الولايات المتحدة .. والفضائح فى هذا المجال معروفة . الأمر الثانى أنها تتوقع أن تتخذ من إسرائيل منصة للتصدير ، والميزة التى يمكن أن تنسب إلى إسرائيل فى هذا المجال هو القرب من أسواق معينة ، تأتى فى مقدمتها الأسواق العربية ، وبالتالى فإن منطق الاستجابة للضغوط الذى تتذرع به بعض الأنظمة العربية حينما تدعى أن المتضرر هو الدول العربية ، فرفع المقاطعة يعنى رفع الضرر عنها ، هو منطق مغلوط ، لأن إنهاء المقاطعة يعنى أن تتدفق الأنشطة على إسرائيل وليس على العرب ، أما القول من أن إنهاء المقاطعة يعنى أن تتمكن الشركات التى فضلت فى الماضى انطباق المقاطعة عليها من العمل فى الدول العربية ناقلة خبراتها ،

فيتجاهل أنه كان فى تقديرها أن حجم المنافع التى تفقدها بتعذر دخولها إلى الوطن العربى لا يوازى ما تجنيه من مجرد التعامل مع جهات تتعامل أصلاً مع إسرائيل ، بمقتضى المقاطعة من الدرجة الثالثة ، ولا تنبىء أوضاع الاقتصادات العربية ، غنيها وفقيرها ، عن تحسن متوقع مستقبلاً يغرى الجهات المعنية بالتهافت عليها مع الإصرار فى الوقت نفسه على الاحتفاظ بصلاتها مع إسرائيل ، بعبارة أخرى فإن إنهاء المقاطعة من أى درجة من الدرجات هو كسب صاف لإسرائيل ، لا يحمل فى طياته نفعاً للعرب، بل هو فى الأغلب سوف يتم على حسابهم ، فإذا حققت إسرائيل هذه المكاسب دون أن تكون قد استجابت لما يعتبره العرب مطالب عادلة لتحقيق السلام الذى يتهالكون عليه ، بينما هى تواصل صلفها وعربدتها ، فلا مجال للحديث عن سلام فى الحال أو فى المستقبل ، وبالتالى تنهار الذريعة المدعاة من أساسها .

الجانب الآخر للمقاطعة والذى قلما ترد إشارة له فى تناول هذا الموضوع ، هو أن إسرائيل قد استطاعت أن تحقق ما حققته من تقدم فى ظلها ورغم قيامها ، والواقع أن المقاطعة لم تكن تامة بالمعنى الصحيح ، فبعض الأطراف العربية ضرب بها عرض الحائط ، من جهة أخرى فإن العلاقات الخاصة والمعونات الضخمة التى كانت إسرائيل تتلقاها من الرأسماليات المتقدمة وبخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية فضلاً عن العلاقات المعلنة والخفية مع أنظمة مناهضة للمصالح العربية ، سواء فى الشرق الأوسط أو فى مواقع أخرى مثل النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا ، ساعدتها على أن تقود اقتصاديات الحرب والعدوان على العرب ، إلى جانب اقتصاديات التعمير والتنمية ، على نحو رفع نصيب الفرد فيها من الناتج القومى من 1450 دولاراً فى 1967 إلى 13220 دولاراً فى 1992 (أى أكثر 9 مرات مقابل ارتفاع نصيب الفرد المصرى ثلاث مرات ونصف فقط من 180 دولاراً إلى 640 رغم السلام الذى عقدت معاهدته) .

والشركات المستفيدة من إنهاء المقاطعة هى أساساً الشركات عابرة القوميات، فهى التى تهتم أكثر من غيرها بأن تتعدد مواقع نشاطها فى مختلف أرجاء العالم ، ومن الواضح أن هذه الشركات ، التى يسيطر اليهود على جانب كبير من رؤوس أموالها ، سوف توزع نشاطها على الدول العربية وإسرائيل على نحو يحقق المصالح الإسرائيلية ، متذرعة بما ينسج حول التعاون العربى الإسرائيلى من تعزيز لاستقرار السلام ، بدعوى أنه إذا ترسخت منافع السلام فسوف يتردد أطرافه فى إزعاجه خشية أن يفقدوا تلك المنافع ، ولما كان السلام المقصود هو ذلك الضامن لبقاء الكيان الصهيونى ، والرادع لكل من تسول له نفسه (من العرب) مستقبلاً أن يهدد ذلك البقاء ، فإن التوزيع الأرجح لأنشطة الشركات عابرة القوميات هو جعل إسرائيل أقل اعتماداً على جاراتها العرب حتى لا تتضرر من قطع العلاقات الاقتصادية معها إذا حدث ما يعكر صفو السلام ، وجعل الدول العربية أشد اعتماداً على إسرائيل حتى يجروا ألف حساب لمغبة أى محاولة للإضرار بإسرائيل . إن مقولة الاعتماد المتبادل وارتباط أرجاء العالم فى قرية كبيرة أو ما يطلق عليه الكوكبة لا يعنى بالضرورة أن تعتمد كل دولة على جميع الدول دون استثناء ، فهذه قاعدة روجت لها العابرات حتى ترضخ الدول النامية للروابط التى تفرضها عليها ، وهى من خلال هذه القاعدة تفرض على المنشآت المستعينة بها أو التى تشركها معها فى أنشطتها أن تحصل على مستلزمات شديدة التخصص من مواقع تتخيرها لها على نحو يربط اقتصادات الدول النامية بالمراكز الصناعية الأكثر تقدماً ، والتى تشعر أنها تستطيع العمل فيها بقدر أقل من المخاطر السياسية منها والاقتصادية ، ولقد بدا هذا واضحاً فى بعض المشروعات التى يروج لها البنك الدولى ومن هم على شاكلته ، كما سيتضح فيما بعد .

5 – حقيقة خامسة وهى ترتبط بالقضية السابقة ، وبخاصة من حيث دور عابرات القوميات فى ظل الأوضاع التى يعيشها العالم العربى ، وبخاصة دول

المشرق العربى ، فتجربة مصر تشير إلى أن مجرد إيقاف الاشتباك العسكرى والتوجه إلى عودة الحياة المدنية لم يدفع عجلة البناء بالسرعة المرجوة ، رغم التسهيلات المتعاقبة التى منحت لرأس المال الأجنبى ، والدعوة الصريحة لعابرات القوميات أن تسهم فى إنشاء مشروعات جديدة وفى إدارة مشاريع قائمة ، ونفس الحال ينسحب على أغلب الدول العربية .

جذور السوق الشرق أوسطية الإسرائيلية

هذا وقد تعود جذور هذا المشروع وفقاً لأوراق (المؤتمر القومى التأسيسى لمواجهة الاستسلام والتطبيع) إلى هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، الذى دعا إلى قيام كومنولث شرق أوسطى ، يكون لإسرائيل فيه شأن قيادى فاعل ودور اقتصادى قائد وتكون هى نقطة الارتكاز التى تجذب إليها الاستثمارات ، والمركز الأساس التكنولوجى والبحث العلمى والخبرة التقنية.

المرحلة الثالثة : إقامة منطقة موسعة للتعاون ، تشمل بالإضافة إلى بلدان المرحلتين السابقتين بلدان مجلس التعاون الخليجى ويتحقق فى إطارها حرية انتقال رؤوس الأموال .

المستهدفون من التطبيع الاقتصادى

أجمعت أوراق ومناقشات المؤتمر على أن التطبيع الاقتصادى وكذا السوق الشرق أوسطية وأن الدراسات حول هذه الفكرة هى قديمة نسبياً ، لكن انفتاح بوابات التسوية الإمبريالية فى المنطقة قد جعل الباحثين الغربيين ، وخاصة الأمريكان ، يتعمقون فى رسم المخططات وإعداد الأبحاث الاستراتيجية والأكاديمية لها ، ومن أهم هذه الدراسات مشروع هارفورد عام 1992 وهو أول إنجاز تقوم به جهات فلسطينية وأردنية وإسرائيلية برعاية أمريكية ويؤكد على مرتكزين : أولهما : حرية انتقال السلع والتبادل الحر ، وثانيهما : هيمنة اقتصاد السوق على اقتصاديات الأطراف الثلاثة ، وهنا يجب الانتباه إلى الأهمية

الفائقة التى توليها الإدارة الأمريكية للحديث المتواصل على اقتصاد السوق وتعزيز وتطوير دور القطاع الخاص فى كل الأقطار العربية .

ويدعو التقرير إلى إنشاء بنك إقليمى باسم بنك الشرق الأوسط للتعاون والتنمية ، وهى الفكرة التى كانت مدار بحث طويل ، فى قمة الدار البيضاء الأخيرة .

إن البنك الدولى السيئ الصيت يتقدم إلى لجنة التعاون الاقتصادى فى إطار المفاوضات المتعددة الأطراف بتصوراته حول التعاون الشرق أوسطى والتى تتركز كلها حول كيفية استفادة " إسرائيل " من المشاريع الشرق أوسطية القادمة ، ويؤكد البنك الدولى أن أهم مشاريع الطرق التى ينبغى بناؤها هو طريق واسع يربط تركيا بمصر ويخترق سوريا ولبنان وإسرائيل ، وكذلك إنشاء طرق جديدة تربط " إسرائيل " بالداخل الفلسطينى بالأردن ، وبالداخل العربى ، وهذا البنك لا يعير أهمية لأى طريق لا يمر " بإسرائيل " أو لأى مشروع تنموى لا تستفيد منه " إسرائيل .

ورأت مناقشات المؤتمر أن قائمة المشاريع الاقتصادية الشرق أوسطية الموضوعة على بساط البحث طويلة ولا تنتهى ، وهى تشمل مشاريع مشتركة فى نقل النفط من الموانىء العربية إلى إيلات ، وضخه من الأنابيب إلى عسقلان لتكريره وتسويقه فى أوروبا وأمريكا ، عوضاً على أن يتم ذلك فى مشاريع تنموية عربية وفى أرض عربية ، كما يشمل مشاريع بتروكيماوية ومجمعات لصناعة النفط ومصافيه ، وفى هذه المشاريع تكون دول الخليج العربى ، بالطبع ، هى المعنية ، وهنا يشم المرء رائحة النفط العربى هدفاً للمشاريع الشرق أوسطية .

وتخطط إسرائيل لإقامة مشاريع مشتركة مع الأردن لاستخراج الفوسفات والبوتاس ولإقامة مشاريع مشتركة مع مصر والسعودية فى الزراعة والسياحة واستغلال مناجم الفحم والمنجنيز وحقول الغاز وتحلية مياه البحر فى سيناء ، ومشاريع ربط كهربائى مشترك بين إسرائيل وعدد من الدول العربية ودمج

مدينتى العقبة وإيلات ، وبناء مطار دولى مشترك فى إيلات أو مشاريع لضخ النفط العربى فى خط التابلاين إلى مصفاة حيفا مروراً بثلاث بلدان عربية أو أربع .

إن هذه المشروعات تهدف إلى ضخ الحياة فى الاقتصاد الإسرائيلى وتخليصه من أزماته التاريخية والقضاء على التضخم والديون الخارجية ، وستسمح لإسرائيل كما يقول اسحق رابين برفع مستوى صادراتها من 11 مليار دولار إلى 20 مليار سنوياً فى السنوات الأولى التى تلى تحقيق بعض المشاريع فقط.

كذلك رأت الأوراق أن النظام الشرق أوسطى الجديد ، يهدف فيما يهدف أيضاً ، إلى حل المشاكل التى تعانى منها الدول الأمريكية والأوروبية (عن طريق تشغيل اليد العاملة المعطلة وزيادة الإنتاج وتصدير وسائل الإنتاج والمعامل والآلات إلى الشرق الأوسط) .

وبالطبع فإن حل مشكلات أمريكا ، تقع فى رأس قائمة الاهتمامات بسبب الصعوبات الاقتصادية ، التى تواجهها الولايات المتحدة والتى تحد من قدرتها على تقديم المعونات المالية المباشرة إلى " إسرائيل " . إن مساهمتها (أى الولايات المتحدة) فى المشاريع الشرق أوسطية جديدة سيجعلها تنال أكبر حصة من الدخل الناتج عن هذه المشاريع مما يساعدها كثيراً على حل مشكلاتها الاقتصادية الداخلية .

***

هذا ولقد أجمعت أوراق (المؤتمر القومى لمقاومة الاستسلام والتطبيع) على برنامج عمل لمواجهة التطبيع الاقتصادى جاء على النحو التالى :

(1) الخطوة الأولى فى هذا البرنامج ضرورة توحيد الصف العربى ، وإذا كان هناك واجب خاص على المثقفين العرب ، فإن نفس القدر من المسئولية ينسحب على الشعوب العربية بمختلف طوائفها ، ومن ثم فإن أول خطوة إيجابية على هذا الطريق هى تكوين جبهة من المؤسسات الأهلية التى تمثل

مختلف الفئات ، تتبنى غايات المجتمع الأساسية ، سواء فى بناء مجتمع عربى سليم قادر على تحقيق التنمية المطردة المستقلة ، أو فى الوقوف فى وجه المخططات التى تتحالف فى رسمها وتنفيذها قوى الاستعمار والصهيونية .

(2) تعزيز المنظمات الشعبية التى قامت فى مصر لمواجهة التطبيع ، وإنشاء منظمات مماثلة فى جميع الدول العربية ، وتكوين رابطة عربية لمقاومة التطبيع من هذه المنظمات ؛ لتتعاون معاً فى كشف الخطوات التى تلجأ إليها القوى المؤيدة للتطبيع ، من داخل الوطن العربى وخارجه ، وتنسيق ما ترى الأخذ به من خطوات قطرياً وقومياً ، والعمل على زيادة فاعليتها ، وإشعار الأطراف التى تدفع باتجاه التطبيع أو تستجيب للدعوة إليه بحجم الخسائر التى يمكن أن تلحق بها .

(3) تكوين هيئة للتضامن مع أبناء الأراضى المحررة مهمتها التعرف على الصعوبات التى يواجهها أبناء الضفة والقطاع ولبنان فى إعادة بناء إقتصاداتهم الوطنية على أساس سليم ، وفى توفير فرص العمل ذى العائد المجزى لهم ، ووضع قواعد تشجع التبادل معهم لمنتجات غير خاضعة للسيطرة الصهيونية ، وتزويد المستثمرين العرب بما يمكنهم من إقامة مشروعات مشتركة تستعيد الروابط بين هذه المناطق وبين الوطن العربى الكبير ، وتسهم فى تحرير هذا الوطن من السيطرة الإمبريالية .

(4) إقامة مراكز بحثية تقوم بعدد من المهام :

* إجراء الدراسات اللازمة لتزويد فرق التفاوض بالخلفية المعززة للموقف العربى .

* تقييم المشاريع المطروحة من الأطراف المختلفة وبيان انعكاساتها الحقيقية على الوطن العربى ، وعلى مختلف الأقطار والشرائح الاجتماعية .

* التصدى لبرامج الصندوق والبنك والمنظمة العالمية للتجارة الدولية ، التى تستهدف إخضاع الأقطار العربية للرأسمالية العالمية والأطماع الصهيونية ،

وطرح برامج بديلة تحقق التنمية الشاملة المستقلة والمطردة ، وتوجه التكامل العربى لخدمتها وتعزيزها .

* تحليل الدراسات التى تطرحها مؤسسات غير عربية أو مؤسسات عربية مدفوعة من قوى مؤيدة للتطبيع ، وبيان حقيقة مضمونها وأساليب تأمين الرأى العام العربى من التأثر بها .

(5) إنشاء هيئة شعبية لحماية البيئة وتنمية الموارد العربية تتولى التصدى للمشاريع التى تستهدف سلب الموارد العربية ، وعلى رأسها المياه والتربة الزراعية والنفط والغاز ، والتى تؤثر سلباً على البيئة ، وبوجه خاص عن طريق نقل الأنشطة الملوثة للبيئة والمستنزفة للموارد إلى الأراضى العربية ، تحقيقاً لأطماع الرأسمالية العالمية والصهيونية ، وتتعاون هذه الهيئة مع الأجهزة الرسمية القُطرية والإقليمية والدولية ، وتتابع هذه الهيئة الأنشطة المشتركة التى ينجح العدو الصهيونى فى إقامتها على الأراضى التى اغتصبها أو داخل الوطن العربى، لاسيما فيما يسمى بالمناطق الحرة .

(6) مواجهة الحملة المنظمة التى تديرها أطراف أجنبية تحت اسم تعزيز بناء " المجتمع المدنى " تارة ، وتحت اسم " السلام " أخرى ، والتى تستهدف توجيه النشاط الأهلى الوجهات التى تتفق ومصالح القوى الإمبريالية والصهيونية الساعية للسيطرة على إرادة الشعوب ، مواصلة فى الوقت نفسه الضغط على حكوماتها ، وعلى المؤسسات المشار إليها أن تتعاون مع غيرها من المنظمات الأهلية ؛ لتقف صفاً واحداً إزاء محاولات إختراقها ، سواء من جانب الأنظمة المستسلمة ، أو من جانب الهيئات التى تستغل حاجة الكثير من هذه المؤسسات إلى تمويل ، أو تلك العناصر التى تتظاهر بالدفاع عن قضايا الوطن أو عن بعض جماعاته كستار للارتزاق ، ويقتضى هذا أن تتوفر الشفافية التى يدعو إليها الصندوق والبنك والمتشدقون ببرامجهما ؛ وليس فى قول الحق والذود عن الوطن والتمسك بأهداف الفضيلة ما يتنافى مع العلانية

ويبرر التذرع بالحاجة للتستر أو التكتم ، ويتطلب هذا فى الوقت نفسه قيام فئات الشعب بتوفير التمويل اللازم لتلك المؤسسات على نحو يمكنها من إجراء الدراسات وإتخاذ الإجراءات الكفيلة بتعزيز صمود الشعب العربى وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف القومية .

(7) وتتكون من هذه المؤسسات جبهة تعمل على بناء استراتيجيات تنموية قومية سليمة ، وتحث أجهزة التخطيط ومراكز البحث والتطوير على تزويد قطاعات الأعمال العربية ، العامة والخاصة ، بالتوجيهات التى تكفل إسهامها بكفاءة وفعالية فى التنمية العربية الشاملة، وعليها أن تؤكد على تبنى أهداف تحقق الاعتماد الجماعى على النفس وتوفير متطلبات تنفيذها، بما فى ذلك توفير الحد الأدنى الضرورى من الأمن الغذائى العربى،ودعم الاستراتيجيات والسياسات والمؤسسات والبرامج المشتركة التى تبنى قاعدة تقنية عربية لها وزنها بالنسبة لمتطلبات التنمية العربية وتقديرها لدى باقى العالم ، ويُنظر فى هذا الصدد فى إحياء المشروعات التى طرحت أكثر من مرة على صعيد العمل العربى المشترك لإقامة مؤسسات قومية للبحث العلمى والتكنولوجى .

(8) تكوين تنظيمات تتولى الدفاع عن صالح المستهلكين والفئات المحرومة والمهمشة ، ولاسيما الفقراء والمتعطلين ، وتتولى هذه التنظيمات توفير بيانات تفصيلية عن جميع التحركات التى تحدث فى الداخل والخارج ، والتى تستهدف إستمالة شرائح من الشعوب العربية للتعامل مع الكيان الصهيونى؛ لتصبح وسيطاً له جرياً وراء ربح خاص يجنونه على حساب أهداف الأمة العربية ، ويقتضى هذا بناء شبكة معلومات متجددة وامتلاك القدرة على إيصال المعلومات إلى كل من يهمه الأمر من أبناء الأمة العربية ، وسوف يتضح أن مثل هذه الشبكة سوف تكون جزءاً من شبكة أوسع تكشف المتلاعبين بأقوات الشعوب والمساهمين فى تخريب قواعد الإنتاج الوطنى .

(9) الإفصاح المستمر والتفصيلى عن كنه الاستراتيجية التى يتبعها الكيان الصهيونى وقوى الاستعمار القابعة خلفه ، وبيان آثارها الضارة بمصالح كل فئة من الفئات وبالصالح العربى العام ، ويقتضى هذا بوجه خاص التصدى بحزم للفئات المضلِّلة والمضلَّلة ، وبيان خطل دعواها ، وفضح الأهداف الحقيقية الدافعة لها ، ومصادر التمويل الخارجى الذى قد يصلها مباشرة أو عبر مراحل غسيل تلعب فيها المنظمات الدولية دوراً غير خفىً ، ومن حق الشعوب العربية أن تتعرف على المصادر الحقيقية وعلى الدوافع الخفية لأولئك الذين يريدون تدمير مكاسبها واغتيال قضاياها الوطنية .

(10) تحديد جهة تتولى إصدار ما يعتبر شهادة منشأ لتعريف المواطنين فى أرجاء الوطن العربى بمصادر المنتجات التى يجرى تبادلها ، والمكونات الداخلة فيها ، والكشف عما تحصّل عن طريق تعامل مباشر أو غير مباشر مع العدو ، ولا يعتبر هذا افتئاتاً على قوى السوق بل هو توضيح لأبعاد تلك القوى ، لأن مفهوم السوق كما تعلمناه من أدبيات الغرب وكتابات علماء كثير منهم يهود ، لا يصح إلا إذا توفر فيه ركن أساسى هو الإفصاح عن المعلومات ووصولها لجميع المتعاملين دون تمييز .

(11) يقابل هذا على الصعيد الآخر بناء قاعدة للمعلومات تحقق الترابط بين الاقتصادات العربية خاصة فى مراحل الاستثمار والمستلزمات وليس فقط فى متطلبات الاستهلاك .. إن التكامل ليس مجرد أجهزة رسمية تقام ويعمل فيها نفر من المتخصصين وتستصدر قرارات من مسئولين ، بل هو عمل على كافة المستويات ، سواء فى الإنتاج أو التجارة أو الخدمات أو الاستهلاك ، والدور الأساس الذى تلعبه أجهزة التكامل الشعبية والرسمية معاً هو الوصول إلى كل متخذ قرار (منتج أو مستهلك أو حتى سائح ينشد المتعة ، وليس فقط أجهزة الجمارك ووزارات الاقتصاد والمال) وإبلاغه المعلومات اللازمة لاتخاذه القرار السليم وتوضع هذه المعلومات أيضاً فى خدمة مجلس الوحدة الاقتصادية الذى

يجب تعزيزه وضم جميع الدول العربية إليه، وإحلال اتفاقيته محل الأسس المبهمة التى قام عليها المجلس الاقتصادى الذى كان وجوده مشجعاً على انحصار العمل العربى المشترك فى جوانب تعاون محدودة تهرباً من الالتزامات التى يفرضها العمل من أجل بناء تكامل اقتصادى حقيقى .

(12) وإذا كانت القمة العربية تبنت فى 1980 استراتيجية للعمل الاقتصادى العربى المشترك فإن ما حدث من تغيرات عالمية وإقليمية ، وإنقضاء 15 عاماً من طرح تلك الاستراتيجية التى تنتهى عام 2000 ، فإن الأمر يستوجب إعادة النظر فى تلك الاستراتيجية ، لصياغة امتداد لها ، يأخذ فى الاعتبار ما تحقق منها وما لم يتحقق ، ودواعى تعثرها ، وبوجه خاص تعرض مبدأ التخطيط القومى للعمل العربى المشترك للضرب فى المهد هناك محاولات تجرى لطرح ما يسمى "ميثاق شرف" والأجدر الرجوع إلى ميثاق العمل القومى وإلى عقد التنمية العربية المشتركة ، والإعداد لمؤتمر اقتصادية عربية يعيد النظر فى مقررات مؤتمر القمة الحادى عشر بعمان (نوفمبر 1980) ، ويعالج القضايا السابقة والقضايا الاقتصادية الملحة ؛ ليكون نقطة إنطلاق عربية صحيحة ، تفتح صفحة تضىء الظلام الذى خيم على نهايات القرن العشرين .

(13) يصحب ذلك العمل على تطوير الصناديق العربية ؛ لتكون أداة فاعلة لدعم الإقتصادات العربية فى مواجهة برامج ونشاطات المؤسسات الاقتصادية العالمية ، والمطامع الصهيونية . وبوجه خاص ، يجب تعزيز الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وزيادة قدراته على التمويل الميسر للبنية الأساسية العربية المحققة للتكامل العربى والمعززة لجهود التنمية البشرية ، وتوسيع نشاطه لكى يشمل العمل كمصرف قومى للتنمية ، يساهم فى تمويل مشروعات على أساس تجارى ، تختار وفق منظور تكاملى ، ويعمل على توفير فرص نجاحها بما يموله من بنيات أساسية ، كما يجب تعزيز صندوق النقد العربى لكى يقوم بدعم موازين مدفوعات الدول العربية ومساعدة الدول على اجتياز المراحل الأولى من

مراحل التكامل دون التعرض لضغوط تجبرها على الحد من خطى التكامل ، أما برنامج تمويل التجارة البينية فيجب أن يتحول إلى برنامج قائم بذاته ، ويرد إلى الصندوق ما احتجز له من رأسماله فيما عدا مبلغ رمزى ، إذ إن هذا البرنامج قوامه العمل وفق الأصول التجارية .

(14) تتردد دعاوى عديدة لإقامة مناطق حرة مشتركة على أرض عربية بالتعاون مع العدو الصهيونى وهو ما رحب به الأردن ، مما أنشأ لدى دول أخرى رغبة فى محاكاته . بل إن رجال الأعمال المصريين تهيبوا أن تؤدى الخطوة الأردنية إلى التأثير عليهم ، فبدؤوا ينادون بإقامة مناطق مماثلة ، وظهرت دعوة أخرى لتحويل سيناء إلى منطقة حرة بقصد اجتذاب رؤوس الأموال إليها. إن نموذج منطقة " جبل على " فى دبى يوضح الآثار الوخيمة التى تترتب على هذه المناطق ، فقد تحول المجتمع هناك بعيداً عن القيم العربية الأصيلة ، ليُرضى غرائز الباحثين عن الربح بأقصر الطرق ، وترتب على قيام تلك المنطقة عدم قدرة الإمارات المجاورة على إقامة صناعات مماثلة ، لأن رجال الأعمال لا يريدون افتقاد المزايا التى تتوفر لهم هناك ، ولا يقبلون قيام صناعات منافسة ، أى أن المناطق الحرة تغلق الباب أمام صناعات منافسة فى باقى أجزاء القطر.

* الخلاصة من هذه المقترحات المواجهة للتطبيع الاقتصادى مع مصر جاءت رداً على طوفان مؤتمرات وقمم الشرق أوسطية التى راجت فى التسعينات وكانت تستهدف تدمير الاقتصاد المصرى تمهيداً لتدمير الاقتصاد العربى،وهو ما نجحت فيه إسرائيل وأمريكا جزئياً طوال الفترة (1979–2011) .

ملحق الفصل الأول
رصد أولى لأبرز أحداث التطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل وبعض الدول العربية

1994/8/28

– وفد من رجال الأعمال المصريين يقوم بزيارة إلى الكيان الصهيونى ويلتقى بوزير الخارجية شيمون بيريز .

– وفد من رجال الأعمال يضع تقريراً يشير فيه إلى :

* إن هناك تطوراً اقتصادياً سيحدث فى المنطقة لا يمكن تجاهله وستلعب فيه كل من إسرائيل ، الأردن ، لبنان ، سوريا دوراً هاماً 00 وأين مصر ؟!

* إن هناك مؤشرات تنبىء بأنه خلال فترة من سنة إلى ثلاث سنوات ، ستكون هناك منطقة حرة بين إسرائيل ، وفلسطين ، والأردن ، ومن ثم لابد من تحرك الحكومة المصرية ، للاستفادة من تلك التطورات 0

1994/11/4

– وفد من جمعية رجال الأعمال المصريين يزور الكيان الصهيونى ، وقد ضم الوفد (35) من أعضاء الجمعية ، وبعض رجال الصحافة من جريدتى " الأخبار " والأهرام " 0

– وفد رجال الأعمال المصريين يلتقى عيزرا فايتسمان رئيس دولة إسرائيل وشيمون بيريز وزير الخارجية وشيمون شتريت وزير الاقتصاد والتخطيط 0

– وفد رجال الأعمال المصريين يشارك فى مؤتمر القدس الثالث حول " السوق الشرق أوسطية " الذى حضره حوالى ألفين من رجال الأعمال من مختلف دول العالم 0

وقد أكد المؤتمر ، فى ختام أعماله ، على ضرورة إنهاء المقاطعة العربية بكافة أشكالها مع إسرائيل كما أكد حضور المؤتمر ، بما فيه وفد الجمعية المصرية ،

أن ليس هناك بديل عن قيام السوق الشرق أوسطية ، حتى يمكن لشعوب المنطقة مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية.

- شيمون بيريز يلتقى وفد الجمعية ، فى مكتبه بمقر وزارة الخارجية ، وقد أخبرهم أن نجاح الجهود السياسية غير ممكن ، دون نجاح الجهود الاقتصادية ، مشيراً إلى أهمية التنمية الاقتصادية ، لترسيخ عملية السلام فى منطقة الشرق الأوسط 0

- وفد جمعية رجال الأعمال يضع تقريراً عن زيارته ، خلص فيه إلى :

* ضرورة الاتفاق بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية لإلغاء تراخيص الاستيراد للسلع المصرية إلى الأسواق الإسرائيلية والفلسطينية ، أسوة بما قامت به الحكومة المصرية 0

* إعادة النظر فى التعريفة الجمركية ، لتكون متساوية على مستوى السلع بين البلدين ، وإلغاء الرسوم الإضافية على الواردات المصرية إلى إسرائيل.

* السماح بشحن البضائع المصرية والإسرائيلية براً إلى أسواق البلدين مباشرة دون تفريغ البضائع على الحدود 0

* توقيع اتفاقيتى ضمان وحماية الاستثمار ، وعدم الازدواج الضريبى بين البلدين 0

* التعاون فى مجال إقامة المناطق الحرة على الحدود المشتركة بين مصر وفلسطين وإسرائيل لخدمة أغراض استراتيجية فى تلك الدول 0

* الاهتمام بالتنمية السياحية على المستوى الاستراتيجى لدول مصر ، وإسرائيل ، والأردن ، وتنفيذ مشروع البحر الأحمر 0

* فتح قنوات اتصال سريعة ومباشرة مع الشركات الكبرى الإسرائيلية ، للتعاون فى مجالات اقامة مشروعات البنية الأساسية مثل الطرق والسكك الحديدية والاتصالات ومشروعات الزراعة والمياه والتعاون فى مجالات أسواق ثالثة 0

* إعادة النظر فى السياسة الإعلامية والثقافية للبلدين لكسر الحواجز النفسية الموجودة حالياً.

* تسريع " التطبيع " فى مجال الزراعة 0

1994/11/30

– بدء أعمال مؤتمر القمة الاقتصادية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، والتى استمرت ثلاثة أيام ، فى مدينة الدار البيضاء المغربية بمشاركة ممثلين لأكثر من ستين دولة ومؤسسة دولية ، أبرزها البنك الدولى 0

– إسرائيل تشارك فى مؤتمر الدار البيضاء ، بوفد ضم تسعة وزراء ، وممثلين لستين شركة ومؤسسة0

– الملك الحسن الثانى عاهل المغرب يقول فى كلمته الافتتاحية : إن المؤتمر يهدف إلى إنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل 0

– وارين كريستوفر وزير الخارجية الأمريكى يشيد بالخطوات التى تحققت على مسار عملية التسوية ويعتبر أن مؤتمر الدار البيضاء بداية لدمج إسرائيل فى المنطقة 0

– شيمون بيريز يقول : إن الأولوية يجب أن تعطى لإخراج اسرائيل من عزلة استمرت نصف قرن0

– البيان الختامى للقمة الاقتصادية بالدار البيضاء يدعو دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط للانخراط فى نظام جديد للتعاون الإقليمى 0

ديسمبر / كانون أول 1994

– وزير الخارجية الدانماركى هربرت بونديك (الذى يحمل الجنسية الإسرائيلية أيضاً) يزور القاهرة ، للتعرف على رأى ستة وعشرين مثقفاً مصرياً بشأن مستقبل العلاقات العربية – الإسرائيلية 0

يناير / كانون ثان 1995

– وزارة الخارجية الدانماركية توجه الدعوة إلى لطفى الخولى ، وأحمد فخر ومحمد سيد أحمد ، ود0 منى مكرم عبيد لإجراء حوار مع مجموعة من الإسرائيليين هم : ديفيد كمحى ، وآموس آلون ، وآشر ساسر (مدير معهد ديان فى تل أبيب) وأفيشاى مارجيليت 0

– الخارجية الدانماركية ترعى لقاء المثقفين المصريين والإسرائيليين فى لندن 0

1995/9/30

– لقاء جديد بين المثقفين المصريين والإسرائيليين فى كوبنهاجن ، واتفاق بين الحضور على أهمية التطبيع الشعبى لإقامة السلام فى المنطقة 0

29 – 1995/10/31

– انعقاد مؤتمر عمان للتعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بمشاركة 63 دولة

– ولى العهد الأردنى ، الأمير الحسن ، يقول فى الجلسة الافتتاحية : إن القمة تمثل فرصة لشعوب المنطقة كى تتعرف على بعضها البعض 0

– العاهل الأردنى الحسين بن طلال يؤكد أن القمة تهدف إلى ضمان بناء السلام من خلال تحقيق الرخاء والازدهار لدول المنطقة 0

– وزير الخارجية الأمريكى ، وارين كريستوفر ، يطالب الدول العربية بإنهاء مقاطعتها لإسرائيل 0

– خلاف مصرى – أردنى ، بسبب اتهام وزير الخارجية المصرى عمرو موسى لعمان بالهرولة تجاه إسرائيل 0

فبراير / شباط 1996

– الدورة الثانية للحوار بين عدد من المثقفين المصريين والإسرائيليين ، وقد اشترك فيها من الجانب المصرى : لطفى الخولى ، ود0 محمد السيد سعيد ،

ود0 جمال عبد الجواد ، ود0 سميحة فوزى ، ومن الجانب الإسرائيلى : دان ميريدور (وزير المالية) ، وديفيد كمحى ، وشولاميت هاريفى ، ويوناثان ليرنر 0

- لطفى الخولى يؤكد أن اشتراك دان ميريدور (عضو قيادة الليكود) ، فى حوار المثقفين المصريين والإسرائيليين يعد اختراقاً له وزنه لجبهة اليمين ولمصلحة قوى السلام الإسرائيلية.

- الجولة الثانية للحوار تقرر إجراء الدورة الثالثة للحوار فى 1996/5/13 (قرر لطفى الخولى وجماعته ، فيما بعد ، عدم حضورها ، بسبب حرب شمعون بيريز العدوانية فى لبنان وارتكاب جيش العدو الإسرائيلى لمجزرتى قانا والنبطية الجماعيتين) 0

يونيو / حزيران 1996

- القمة العربية بالقاهرة تقرر وقف " التطبيع " مع إسرائيل رداً على تعثر عملية التسوية ، والعدوان الإسرائيلى على لبنان 0

1996/9/22

- وزير خارجية الدانمارك هربرت بونديك يبلغ عمرو موسى وزير خارجية مصر عن مبادرة كوبنهاجن ، طالباً منه أن يتدخل لدى المثقفين المصريين للعدول عن موقفهم ومتابعة الحوار مع الإسرائيليين 0

12 - 1996/11/14

- انعقاد المؤتمر الثالث للتنمية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بالقاهرة 0

ديسمبر / كانون أول 1996

- ديفيد كمحى ، وهربرت بونديك ، والدبلوماسى الدانماركى ، توربين بريل ، يصلون إلى القاهرة لبدء مرحلة جديدة من الحوار مع لطفى الخولى ، وبعض المثقفين المصريين 0

يناير / كانون ثان 1997

– بدء الجولة الرابعة للحوار بين بعض المثقفين العرب والإسرائيليين ، فى العاصمة الدانماركية كوبنهاجن 0

1997/1/30

– جولة الحوار الرابعة بين بعض المثقفين العرب (مصريين ، وأردنيين ، وفلسطينيين) والإسرائيليين تنتهى بالاتفاق على إقامة تحالف دولى للسلام ، وإصدار ما عرف بإعلان كوبنهاجن وقد بلغ عدد الحضور 40 شخصاً 0

1997/1/31

– بعض الصحف العربية تنشر نص " إعلان كوبنهاجن " ، الذى تضمن ما يلى : " إن التحالف جاء نتيجة تجمع مصريين وإسرائيليين وأردنيين وفلسطينيين ومحبين للسلام من جميع أنحاء العالم فى كوبنهاجن لكى ينشئوا تحالفاً دولياً من أجل السلام العربى – الإسرائيلى ، مؤكدين " أن السلام من الأهمية بمكان بحيث لا يترك للحكومات فقط ، كما أن الصلات بين الشعوب هى أمر حيوى لنجاح جهود السلام فى المنطقة ، وما لم تقف وراءها قاعدة شعبية ، فإن عملية السلام سوف تتراجع " 0

* " اتحاد المحامين العرب " يستنكر " إعلان كوبنهاجن " ويصفه بأنه اختراق لحالة المقاطعة العربية ، والغضب الشعبى المتنامى ضد إسرائيل ، وسياستها العدوانية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وفى الجولان ، وجنوب لبنان 0

* " اتحاد الصحفيين العرب " فى القاهرة ، يحذر جميع الصحفيين من التورط فى محاولات "التطبيع" مع إسرائيل ، حتى يتم السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط ، والأمين العام للاتحاد صلاح الدين حافظ يطالب بمحاسبة أى صحفى عربى يخرج على هذا الالتزام المهنى والقومى 0 داعياً إلى مقاومة ما يسمى التحالف العربى – الإسرائيلى ، باعتباره إحدى محاولات "التطبيع" مع إسرائيل 0

* " اللجنـة التحضـيرية للجبهـة القوميـة للاتحـادات المهنيـة والنقابيـة العربيـة " تصدر بياناً تندد فيه بالتحالف الدولى من أجل السلام ، وتؤكد أن الجماهير العربية هى صاحبة الكلمة العليا فى الحرب والسلم والدفاع عن أرضها ومكانتها وحقوقها 0

* " الاتحاد العام للفنانين العرب " يؤكد فى بيان : " إن هدف التحالف الدولى من أجل السلام هو تفتيت الاجماع الوطنى للمثقفين المصريين ، فى مواجهة العدو الإسرائيلى ، الذى تكسرت على صخرته كل محاولات الاختراق ، فى السنوات الماضية ، وأضاف البيان : " إننا نحذر هؤلاء المتعاطفين مع إسرائيل من أن يزعموا أنهم يمثلون مجموعة أو طائفة ، وفى الوقت نفسه يدهشنا أن تقوم دولة ، كالدانمارك ، ليست طرفاً فى أية من مشاكل الشرق الأوسط باستضافة هذا المؤتمر " 0

* هاجم بيان لاتحاد كتاب مصر " تحالف كوبنهاجن " ، وقال : " فى الوقت الذى تتضافر فيه جهود الدول العربية المعنية بعملية السلام ، فى اتخاذ موقف موحد ، بشأن الاستمرار فى مسيرة السلام ، وفق قرارات الشرعية الدولية ، ومبدأ (الأرض مقابل السلام) ، خرجت علينا مجموعة من الأفراد تضم كتاباً ورجال أعمال مصريين ، وأردنيين ، وفلسطينيين ، وإسرائيليين ، لا يمثلون لا شعوباً ولا نقابات ولا اتحادات ولا حتى جمعيات بزعم الدفاع عن السلام وتكوين تحالف تحت عنوان : "تحالف من أجل السلام" . إن هذا التحالف يضم أفراداً على علاقات وثيقة بإسرائيل ، ويؤكد أن الهدف الحقيقى من هذا التحالف هو إيجاد مفهوم للتسوية على الطريقة الأمريكية – الإسرائيلية " 0

* " رابطة المثقفين المصريين " تعلن معارضتها لتحالف كوبنهاجن وتقول فى بيانها : " ساعة وعشرين دقيقة فقط يحتاجها دعاة الاستسلام لإصدار بيانهم ، تحالف من أجل السلام ، وهو فى الحقيقة تحالف من أجل الشيطان ، فبعد مرور 20 عاماً من عملية (التطبيع) بين الكيان الصهيونى وبين الحكومة

المصرية مازالت كل القوى الشعبية فى مصر ترفض (التطبيع) ، على جميع المستويات الحزبية أو النقابية والجماهيرية أيضاً 0

* الأمانة العامة لحزب التجمع المصرى تعلن رفضها للقاء كوبنهاجن ، وتنفى أية علاقة للحزب به وتعتبره انزلاقاً إلى " التطبيع " مع إسرائيل 0

* " الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل دعت القوى الوطنية إلى شن حملة ثقافية مضادة لبيان كوبنهاجن لتعرية رموز التطبيع الثقافى ، ووصفت الحركة " تحالف كوبنهاجن " بأنه تحالف مشبوه " هدفه تفتيت الإجماع الوطنى للمثقفين المصريين فى مواجهة العدو الصهيونى وهو يتجه من ناحية أخرى الى خدمة مخططات العدو الصهيونى بنشر ثقافة (التطبيع) والترويج لمفاهيم انهزامية.

* الحزب الشيوعى المصرى يصف وثيقة كوبنهاجن بأنها تدشن مرحلة جديدة وخطيرة فى محاولة التطبيع مع العدو على المستوى الشعبى 0

* نقيب المحررين فى لبنان ملحم كرم يطالب بضرورة التصدى لتحركات مشبوهة يقوم بها ما يسمى التحالف الشعبى العربى – الإسرائيلى (تحالف كوبنهاجن) من أجل السلام 0

* د0 اسحاق الفرحان الأمين العام لحزب جبهة العمل الإسلامى فى الأردن يقول : " إن التحالف الدولى من أجل سلام عربى – إسرائيلى 00 يأتى ضمن مسلسل (التطبيع) الذى يسعى إليه اليهود وتسانده الدول الغربية وتهرول فى قنواته دول عربية ، إننا إذ نستنكر ونرفض هذا (التطبيع) ، فإننا ندعو أبناء أمتنا الى مقاومته ، ورفض كل أشكاله وإن الذين حضروا المؤتمر من الأردن وفلسطين، لا يمثلون نبض الأمة وضميرها ، وحضورهم يمثلهم فقط ، بل يدعو المراقبين إلى وضعهم فى دائرة الشبهة 0

* د0 يعقوب زيادين الأمين العام للحزب الشيوعى الأردنى ، يعلن رفض الحزب لهذا التحالف ، ويقول : إن جوهر هذا الاعلان السيىء موضوع من

قبل صهاينة خبثاء ، طرقوا المشكلة بشكل لبق ، ليؤثروا على الأوروبيين ، الذين لا يعلمون بحقائق الأمور ، وهذا لا يخدم أى قرار دولى ، بل يطلب من العرب أن يتنازلوا أكثر 0

* أكثر من (300) من المثقفين العرب يوقعون بياناً يعتبرون فيه أن ما تم فى كوبنهاجن هو خطوة فى عملية متصلة ومتصاعدة ، تخطط ، بدأب ودهاء، لكسر إجماع المثقفين العرب على رفض المشروع الصهيونى ، ورفض كل أشكال " التطبيع " مع الإسرائيليين 0

* الإعلامى حمدى قنديل يجرى مواجهة مباشرة بين مؤيدى ومعارضى بيان كوبنهاجن ، فى محطة راديو وتليفزيون العرب (ART) بين ثلاثة من المثقفين المصريين الذين اشتركوا فى المفاوضات التى سبقت " إعلان كوبنهاجن " واشتركوا فى التوقيع عليه وهم : لطفى الخولى ، وعبد المنعم سعيد ،ومحمد رضا محرم ، وأربعة من المعارضين وهم : سعد الدين وهبه، وعبد العظيم أنيس ، وصلاح الدين حافظ ، ومحمد سيد أحمد (بعد أن هجر الأخير جماعة كوبنهاجن فى اللحظات الأخيرة) 0

نوفمبر / تشرين الثانى 1997

* انعقاد المؤتمر الرابع للتنمية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بالدوحة وسط مقاطعة من غالبية الدول العربية 0

ديسمبر / كانون أول 1997

* شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى يستقبل حاخاماً إسرائيلياً فى مبنى مشيخة الأزهر ويعلن أن ذلك لا يتعارض مع الإسلام الذى أمر المسلمين بالحوار والتسامح خصوصاً مع أهل الكتاب مدللاً على ذلك بأن القرآن أجاز مؤاكلتهم وأباح مصاهرتهم 0

* شيخ الأزهر يبيح زواج الفلسطينى من اليهودية الإسرائيلية ، ويؤكد أنه لا يستطيع تحريم ما أحله الله (الراية القطرية 98/1/6) 0

مارس 1998

* أعضاء تحالف كوبنهاجن المصريون ، يعلنون عن تأسيس جمعية أهلية باسم " جمعية القاهرة للسلام " ولطفى الخولى يعلن أن هذه الجمعية سوف تعمل من أجل ترسيخ ثقافة السلام والتعايش بين المصريين والإسرائيليين 0

1998/4/27

* لطفى الخولى يعلن أن " جمعية القاهرة للسلام " تمثل الجناح الفكرى لتحالف كوبنهاجن مشيراً إلى أنها ستتولى إعداد الدراسات المعمقة التى تدعم رؤى التحالف بشأن السلام 0

1998/6/8

* الرئيس المصرى حسنى مبارك يستقبل عدداً من أعضاء تحالف كوبنهاجن ولطفى الخولى يقول بعد اللقاء : إن التحالف يسعى للضغط على الحكومات العربية وإسرائيل من أجل تحقيق السلام 0

1998/7/5

– تحالف كوبنهاجن يعقد مؤتمراً بالقاهرة بمشاركة أعضائه الإسرائيليين والفلسطينيين والأردنيين إضافة إلى المصريين 0

– الرئيس المصرى حسنى مبارك ينيب الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الحزب الوطنى الحاكم لإلقاء كلمته فى المؤتمر.

– القوى الوطنية المصرية بمختلف توجهاتها تستجيب لدعوة صحيفة " الأسبوع " القاهرية المستقلة وتعقد مؤتمراً حاشداً للاحتجاج على عقد مؤتمر " جماعة كوبنهاجن " 0

– الكاتب المسرحى على سالم يعترف بأنه قام بزيارة جديدة إلى إسرائيل 0

1998/11/1

– الكاتب المسرحى رؤوف مسعد يروى تفاصيل زيارته إلى إسرائيل (الحياة اللندنية)

ديسمبر 1998

–الرئيس المصري يستقبل في القصر الجمهوري بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة الجنرال الإسرائيلي المتقاعد موردخاي بار أون مع فريق حركتي السلام المصرية (بقيادة الكاتب لطفي الخولي) والإسرائيلية.

27 – 2000/4/30

– وفد إسرائيلى برئاسة الدكتورة نيتزة شابيرو يشارك فى اجتماعات المؤتمر السابع للاتحاد العالمى للمجالس الصحفية المنعقد بالقاهرة بمشاركة سبعين ممثلاً من ثلاث عشرة دولة 0

– نقابة الصحفيين المصريين تحتج على مشاركة الوفد الإسرائيلى فى اجتماعات المؤتمر السابع للاتحاد العالمى للمجالس الصحفية المنعقد بالقاهرة، وتقرر الانسحاب من أعماله ، وتدعو أعضاءها إلى عدم متابعة أعماله 0

2000/5/22

– صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية تقول : إن عمر صالح – صاحب شركة سنتشورى الأردنية – قام لأول مرة بشراء مصنع فى إسرائيل (هوريزن للنسيج فى النقب) ؛ وبذا يكون أول رجل أعمال عربى يدخل سوق الانتاج فى إسرائيل ، وأوضحت الصحيفة أن قيمة الصفقة ستبلغ 1.78 مليون دولار، وتشمل الالتزام بتشغيل 70 عاملاً إسرائيلياً لمدة 3 سنوات على الأقل فى المصنع وبالإضافة إلى ذلك ستحول شركة سنتشورى قصات ملابس من مصنعها فى إربد إلى مصنع هوريزون ، حيث سيتم تشغيل 30 إلى 50 عاملاً آخر 0

2000/8/28

– صحيفة " هاآرتس " تقول : إن لجنة فرعية تابعة لمجلس التنظيم والبناء القُطرى الإسرائيلى صادقت على إقامة منطقة صناعية إسرائيلية – أردنية ، إلى الجنوب من معبر الشيخ حسين ، على الحدود الشمالية بين إسرائيل والأردن 00 ويعطى قرار لجنة التنظيم والبناء الإسرائيلية الإيعاز بتقديم خطة المنطقة

الصناعية ، تمهيداً لتقديم الاعتراضات عليها ، فى مؤسسات ودوائر التنظيم ، وهى خطوة تمثل مرحلة متقدمة على طريق المصادقة النهائية على الخطة التى تواجه انتقادات وتحفظات من جانب جهات إسرائيلية عدة ، تعنى بشئون الحفاظ على البيئة 0

– المنظمات الخضراء فى إسرائيل تصدر بياناً فى 2000/8/29 ، توجه فيه انتقادات شديدة لقرار لجنة التنظيم والبناء ، المتفرعة عن مجلس التنظيم والبناء الإسرائيلى الأعلى ، وقال البيان : " إن إقامة المنطقة الصناعية بجوار نهر الأردن من شأنه أن يهدد سلامة البيئة على ضفاف النهر ، ويهدد مكانته الدينية والتاريخية لدى الديانتين المسيحية واليهودية " 0

2000/9/8

– صدور أول صحيفة أسبوعية أردنية عربية تطرح نفسها منبراً للترويج للتطبيع مع إسرائيل علناً ومهاجمة مقاومة التطبيع ، وقد طبعت النسخة الأولى من الصحيفة التى تحمل اسم " صوت السلام " فى الأراضى الفلسطينية يوم الجمعة 2000/9/8 بعد رفض كل المطابع الأردنية طباعتها فى عمان.

2000/10/18

– جماعة الإخوان المسلمين فى مصر تدعو الى وقف التطبيع وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الصهاينة ودعم الانتفاضة ومدها بالمال والسلاح 0

– مجلس إدارة اتحاد الغرف التجارية المصرية يوقف جميع التعاملات الاقتصادية مع إسرائيل ومقاطعة السلع الإسرائيلية ووقف الاتجار فى أى منها سواء توزيعاً أو بيعاً ، وكذلك أى سلعة يشك فى أن مصدرها إسرائيل.

– محمد فريد خميس رئيس اتحاد الصناعات المصرى سابقاً يدعو لإصدار بيان يوزع على تجار التجزئة المصريين ، يدعوهم لمنع بيع أية سلعة اسرائيلية فى المحلات الخاصة بهم وحث كافة التجار فى الدول العربية على اعادة النظر فى التعاون مع إسرائيل 0

– غرفة الملاحة المركزية المصرية تعلن عن امتناع جميع الشركات المصرية العاملة فى مجال تفريغ السفن فى الموانىء المصرية عن التعامل مع السفن الاسرائيلية ، ورفض تفريغ حمولاتها أو تقديم أى خدمات لها شحناً أو تفريغاً ، وكذلك عدم السماح للبحارة الإسرائيليين بالنزول فى الموانىء المصرية رداً على الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى وتخصيص حسابين للتبرع للشعب الفلسطينى فى المصارف المصرية 0

2000/8/21

– بدء أعمال الندوة العربية لمقاومة التطبيع والتى نظمتها " لجنة مقاومة التطبيع النقابية " التابعة لمجلس النقباء للنقابات المهنية بالأردن ، بمشاركة عدد من السياسيين من العالمين العربى والإسلامى وعلى رأسهم البابا شنودة – بابا أقباط مصر الأرثوذكس – ود0 أحمد الكبيسى والمفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى 0

2000/8/30

الحكومة الأردنية تطلب من النقابات المهنية وقف حملاتها ضد المطبعين مع إسرائيل ، معتبرة أن نشاطات النقابات فى مقاومة التطبيع عبء اقتصادي على الأردن 0

2000/11/19

– مجلس النقباء الأردنى يعلن من خلال تعميم داخلى لأعضاء النقابات المهنية الـ 14 ، الدفعة الأولى من قائمة ، تتضمن أسماء " المطبعين " مع إسرائيل ، من الأفراد والشركات ، وتضمنت القائمة 219 اسما ، منها خمس شركات ومدرسة خاصة ومؤسسة وبعض ممن شاركوا فى مؤتمر كوبنهاجن 00 ونائبان وممثل مسرحى وآخر تليفزيونى ، وناشر صحيفة أسبوعية ، تدعو للتطبيع مع إسرائيل وأستاذان جامعيان ومدير فندق وصحفى 0

2001/3/27

– صحيفة "صوت السلام " شبه المتوقفة ، بعد تعثر صدور أعدادها ، الداعية الى التطبيع مع إسرائيل تنشر مقالاً يتعاطف مع رئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون فى عددها الثانى الذى وزع فى ردهات الإعلاميين،فى أثناء القمة العربية فى عمان،قبل أن تمنعها الأجهزة الأمنية الأردنية.

2001/5/17

– جمعية مقاومة التطبيع البحرينية تنتقد استمرار عمل المكتب الصهيونى فى الدوحة 0

2001/6/1

– نقابة الصحفيين المصريين تقرر تحويل ثلاثة من أعضائها هم : حسن فؤاد ، وأشرف راضى ، وجهاد عودة ، للتحقيق الفورى بسبب حضورهم حفلاً للسفارة الإسرائيلية بالقاهرة بمناسبة مرور نصف قرن على إعلان إقامة " إسرائيل " 0

– نقابة المحامين الأردنيين تقرر وقف المحامى شوكت عبيدات عن مزاولة المهنة ، بسبب دعوته للتطبيع مع إسرائيل 0

2001/6/13

– قاضى محكمة بداية الجزاء فى العاصمة الأردنية عمان يقرر فى جلسة الأربعاء 2001/6/13 منع المحامى شوكت عبيدات من المرافعة ، خلال جلسة محاكمة المهندس على أبو السكر رئيس لجنة مقاومة التطبيع التابعة للنقابات المهنية 0

2001/8/12

– الدكتور محمد الرميحى الأمين العام للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويتى ، يقول فى تصريح لوكالة " قدس برس " : " إن الولايات المتحدة تضغط على الكويت من أجل التطبيع مع الكيان الصهيونى ، وافتتاح مكتب تمثيل تجارى فيها " ، وأردف : " إن موقفنا واضح ومحدد ، فنحن نرفض

التطبيع مع إسرائيل ، وننتقد الإدارة الأمريكية المنحازة لصالح الاحتلال الإسرائيلى " 0

وأكد الرميحى أن الكويت من الدول القليلة جداً فى منطقة الخليج العربى التى ترفض التطبيع مع الكيان الصهيونى ولو بافتتاح مكتب إسرائيلى بها وقال " إننا نرفض أية علاقة مع إسرائيل ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة " 0

2001/1/14

– شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى يدعو المسلمين لزيارة المسجد الأقصى دعماً للانتفاضة الفلسطينية ، ولقيت الدعوة تأييداً على الفور من جميع أركان المؤسسة الأزهرية بما فيها رئيس الجامعة والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ووزير الأوقاف المصرى ومن السلطة الفلسطينية نفسها 0

– التيار المناهض للتطبيع مع إسرائيل على الساحة المصرية يعتبر دعوة شيخ الأزهر لزيارة المسجد الأقصى ضربة لحركة مقاومة " التطبيع " 0

– الدكتور يوسف القرضاوى يؤكد تحريم زيارة الأقصى مادام يرزح تحت الاحتلال الإسرائيلى 0

2001/1/27

– السلطات الأردنية تعتقل 7 من مناهضى " التطبيع" ، على خلفية إصدار " لجنة مقاومة التطبيع " قائمة بأسماء المتعاملين مع الكيان الصهيونى تضم شخصيات سياسية مرموقة ، تتبوأ مراكز قيادية فى الحكومة والديوان الملكى، وأخلت سبيلهم بكفالة مالية ، تباعاً 0

2001/3/3

– مصادر اقتصادية فى عمان تؤكد أن إسرائيل مازالت تحاول اختراق السوق الأردنية من خلال استغلال الأوضاع الاقتصادية المتردية فى البلاد ، وشراء مشروعات اقتصادية ، وكانت الصحف الأردنية قد تلقت من السفارة الإسرائيلية فى عمان خبراً عن صفقة اقتصادية ، قامت بموجبها شركة " سوليج "

الإسرائيلية شراء ثلاثة مصانع نسيج فى الأردن ، وقد بلغ الثمن الذى دفعته شركة "سوليج" للشركات الثلاث 1.5 مليون دولار أمريكى ، بالإضافة إلى منح مالكى المصنع الأصليين 15% من أسهمها 0

2001/2/19

– المدعى العام لمحكمة أمن الدولة الأردنية يستدعى عدداً من أعضاء " لجنة مقاومة التطبيع " بتهمة تعريض حياة المواطنين للخطر ، ويوجه لرئيس لجنة مقاومة التطبيع ، المهندس على أبو سكر ، تهمة جديدة تتمثل بإعداد كتابات من شأنها تعريض حياة مواطنين أردنيين وأموالهم للخطر والتهديد ، فى إشارة إلى قوائم " المطبعين " مع الكيان ، التى أصدرتها اللجنة أخيراً 0

2001/5/24

– اتحاد الكتاب المصريين يقرر فصل الكاتب المسرحى والسيناريست على سالم ، بسبب تأييده المستمر للتطبيع مع إسرائيل ، ومواصلة أنشطته ضمن الجماعات المؤيدة للسلام مع إسرائيل رغم تحذيرات الاتحاد من أن هذا التوجه يتناقض مع سياساته العامة 0 وقال رئيس الاتحاد فاروق خورشيد : إن الاتحاد نصح سالم مراراً وبالتوقف عن ممارسة الأنشطة التى من شأنها أن تعزز عملية " التطبيع " مع الكيان الصهيونى ، بيد أنه لم ينصع لهذه النصائح . وقال سالم : إنه صدم للقرار لكنه أكد أنه لا توجد قوة فى العالم تثنيه عن أهدافه ، وأضاف أنه لن يتحول أبداً إلى منافق ويتخلى عن عقله 0

2001/5/28

– الروائى المصرى ابراهيم عبد المجيد يرفض عرضاً تقدمت به " دار الأندلس الإسرائيلية للنشر " لترجمة أعماله إلى اللغة العبرية 0

2001/5/29

– الكاتب المسرحى المصرى على سالم يقول : إن الأديب نجيب محفوظ يستنكر قرار اتحاد الكتاب المصريين بفصل سالم من عضويته ، بسبب مواقفه التطبيعية مع إسرائيل 0

– رئيس قسم النشر فى الجامعة الأميركية فى القاهرة مارك لين يقول : إن نجيب محفوظ وقع عقوداً مع ناشرين إسرائيليين بطريقة غير مباشرة لترجمة أعماله إلى أكثر من 400 لغة من بينها اللغة العبرية فى الثمانينات ومطلع التسعينات 0

– فاروق خورشيد رئيس اتحاد الكتاب المصريين يهدد باتخاذ الاجراءات المناسبة ضد نجيب محفوظ إذا ثبت للاتحاد بشكل قاطع أنه وقع على عقود مع ناشرين إسرائيليين لترجمة أعماله للعبرية وأن الاتحاد سيتعامل مع الوضع بكل جدية 0

2001/6/1

– المشاركون فى المؤتمر الشعبى الثانى لمقاومة التطبيع مع إسرائيل فى الخليج ، والذى عقد فى الكويت ، يطالبون الدول العربية بقطع علاقاتها نهائياً مع إسرائيل كما أوصى المؤتمر بإعادة تفعيل قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية مساوية للعنصرية 0

2001/8/28

– مذكرة لنقابة المهندسين الزراعيين الأردنيين كشفت النقاب عن قيام شركات زراعية إسرائيلية بمحاولات لاختراق السوق العربية ، تحت مسميات تجارية مختلفة وساقت المذكرة أسماء بعض الشركات الزراعية (الإسرائيلية) التى تم رصدها ، ومنها شركة " هريزا " المحدودة الإسرائيلية وشركة " حيفا للكيماويات " المحدودة ، بالإضافة إلى شركتى " بيوبى " للأنظمة الحيوية وشركة "ماختاشم" 0

2001/9/8

– لجنة التنسيق بين اللجان الشعبية المصرية لدعم الانتفاضة الفلسطينية ومقاومة التطبيع ومقاطعة السلع الإسرائيلية ومناهضة الصهيونية تنظم بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب بالقاهرة مؤتمراً تحت عنوان : " لجان مقاومة التطبيع ومقاومة السلع الإسرائيلية ودعم الانتفاضة 0

2002/1/4

– نقابة الصحفيين الأردنيين تحقق مع الصحفى عبد الله العتوم رئيس تحرير صحيفة " الهلال " بتهمة زيارة إسرائيل 0

– الصحفى الأردنى عبد الله العتوم ، يقول : إن زيارته لإسرائيل والأراضى الفلسطينية ، والتى تمت فى منتصف شهر ديسمبر/ كانون الأول 2001 ، كانت مهنية فقط 0

2002/2/5

– عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، وفريد زكريا مسئول الطبعة العربية من مجلة " النيوزويك " وشفيق ناظم الغبرا رئيس المكتب الإعلامى الكويتى فى الولايات المتحدة يشاركون مع عدد من أساتذة الجامعات والمسئولين الإسرائيليين فى أعمال مؤتمر علمى ، عقد على هامش منتدى دافوس 0

2002/2/7

– المؤتمر الشعبى لمقاومة " التطبيع " فى الخليج الذى يتخذ من الكويت مقراً له ، يدين مشاركة رئيس المكتب الإعلامى الكويتى فى الولايات المتحدة ، ناظم الغبرا فى محاضرة مع شخصيات إسرائيلية ، بينها وزير الخارجية السابق شلومو بن عامى ، وقال بيان صادر عن الأمانة العامة للمؤتمر الشعبى لمقاومة التطبيع مع الكيان الصهيونى فى الخليج : إن تصرف الغبرا وحضوره

محاضرة عامة بمشاركة وزير الخارجية الإسرائيلى السابق شلومو بن عامى ورئيس جامعة تل أبيب إيتامار رابينوفتش خروج على سياسة دولة الكويت 0

2002/2/7

– مصدر مسئول فى وزارة الاعلام الكويتية يؤكد لصحيفة " الرأى العام " الكويتية ، الصادرة يوم الخميس 2002/2/7 ، أن مشاركة شفيق ناظم الغبرا فى المحاضرة التى حضرها مسئولون إسرائيليون تمت بصفته الأكاديمية ، وليست الدبلوماسية 0

– الدكتور شفيق الغبرا فى الدفاع عن نفسه ، يقول لصحيفة " القبس " : إن المجموعة الإسرائيلية التى شاركت فى المؤتمر الذى حاضر فيه تعتبر من الحمائم فى إسرائيل ولها آراء مغايرة لسياسة رئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون ، وأوضح الغبرا أنه شارك فى ندوتين : الأولى عن الصراع العربى – الإسرائيلى ، ممثلاً فيها الجانب العربى مع الدكتور عبد المنعم سعيد رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى مؤسسة الأهرام المصرية ، بمشاركة أكاديميين من خارج الحكومة الإسرائيلية ، هم : أفيشاى برايفرمان رئيس جامعة بن جوريون وإيتامار رابينوفيتش رئيس جامعة تل أبيب وشلومو بن عامى وهو أستاذ فى جامعة تل أبيب ، بينما كانت الندوة الثانية عن الديمقراطية فى العالم العربى والإسلامى وقد أدارها فريد زكريا رئيس تحرير مجلة " النيوزويك " الأمريكية الأسبوعية ، وأضاف الغبرا : إنه لم يشر إلى منصبه الدبلوماسى خلال مشاركته فى الندوة التى قال : إنه أوضح فيها وجهة النظر العربية لدحض الادعاءات الإسرائيلية 0

2002/3/6

– الكاتب المسرحى المصرى على سالم يوافق على تقديم إحدى مسرحياته لفرقة إسرائيلية لعرضها فى تل أبيب وذلك بعد أن وافق العام الماضى على عرض مسرحية أخرى من تأليفه.

2002/4/30

– معلومات عن قيام حزب الاتحاد الاشتراكى المغربى باستضافة وفد من حزب العمل الصهيونى فى إطار مؤتمر منظمة الاشتراكية الدولية .

2002/5/15

– المؤتمر الشعبى الأول للمقاطعة يختتم أعماله فى دبى ، ويقرر تأسيس لجنة تنسيق عليا بين جمعيات المقاطعة فى الوطن العربى ، تعمل على تنسيق جهود كافة المؤسسات الفاعلة فى مقاطعة البضائع والمنتجات الإسرائيلية والأمريكية ؛ كى تحقق الدور المطلوب منها ، وتصل إلى مستوى مؤثر وفاعل0

– مطرب الراى الجزائرى الشاب خالد يشارك بالغناء مع مطربة إسرائيلية فى حفل أقيم بالعاصمة الإيطالية روما ، وحضره شيمون بيريز ، ومحمد رشيد مستشار الرئاسة الفلسطينية.

2002/10/17

– السلطات الأردنية تحيل معتقلى مسيرة الزحف على السفارة الصهيونية الى المحكمة !!

– حزب جبهة العمل الإسلامى – الذراع السياسى لجماعة الإخوان المسلمين فى الأردن – يعلن أن السلطات الأردنية بدأت باستدعاء بعض الذين اعتقلوا على خلفية مسيرة الزحف نحو السفارة الصهيونية ، فى وقت سابق ، وتحويلهم إلى محكمة أمن الدولة دون مبررات أو أسباب موجبة.

– " حزب العدالة والتنمية المغربى " يصف كازينو طنجة الذى افتتح قريباً بأنه تخريب صهيونى لقيم المجتمع .. وهاجم الحزب الاسلامى حكومة عبد الرحمن اليوسفى التى رخصت بافتتاحه 0

وقال عضو الحزب فى البرلمان عبد الله أشبابو : إن سكان طنجة (شمال البلاد) فوجئوا بالترخيص بافتتاح كازينو دولى للقمار بالمدينة ، يعد الأكبر فى

العالم العربى والشرق الأوسط وأفريقيا ، تسيره شركات صهيونية وقال : إن الشركة المالكة للكازينو هى (موفين بيك أوتيل) ومقرها الرئيس فى سويسرا ولها مشاريع فى غزة والكيان الصهيونى وعدة بلدان أوروبية ، أما جنسيات مالكيها فـ20% منهم يحملون الجنسية الصهيونية ، المدير العام : بيرتى لوز (يهودى) ، مدير الكازينو بيتر طايلور (يهودى) ، مدير الفندق طوماس نيكويسكى (يهودى) ، ومدير المطعم والبار ريموند عمو (مغربى الأصل) ، ومسئول الصندوق محمد سنتى (مغربى) وأنشىء إلى جوار هذا الكازينو فندق من خمس نجوم ، يتكون من 200 غرفة و20 جناحاً وجناح ملكى وآخر رئاسى وتصل تكاليف الإقامة فى الجناح إلى 5 آلاف دولار (لاغير)!!

2002/12/3

– الحكومة الأردنية تقرر حل نقابة المهندسين ولجان مقاومة التطبيع 0

– حزب جبهة العمل الإسلامى فى الأردن يصف قرار حكومة القاضى بحل نقابة المهندسين ولجان مقاومة التطبيع مع إسرائيل بأنه يمثل تضييقاً جديداً على الحريات العامة ، واعتداء على حقوق المواطنين فى مقاومة الأخطار التى تهدد البلاد 0

2003/2/2

– السلطات المغربية تعتقل فى الدار البيضاء تسعة من المنتسبين إلى " حزب العدالة والتنمية الإسلامى " بتهمة تنظيم اعتصام غير مرخص وخوض اشتباكات مع قوات الأمن العام خلال مسيرة احتجاجية نظمها الحزب مع جمعية مساندة الكفاح الفلسطينى فى الدار البيضاء احتجاجاً على مشاركة الممثل السويسرى اليهودى لوران جيرا فى عرض فكاهى 0

2003/5/5

– السلطات الموريتانية تعتقل رئيس جمعية الرباط الوطنى لمكافحة التطبيع مع إسرائيل محمد جميل بن منصور ولم تكشف الجهات الرسمية عن أسباب

اعتقال منصور لكن مصادر غير رسمية فى نواكشوط عزت ذلك الى نشاط هذه الجمعية التى لم ترخص لها السلطات بالعمل 0

2003/6/3

– هاآرتس تنقل عن وزير الصحة الإسرائيلى دان نافيه أنه التقى وزير الصحة الأردنى وليد المعانى يوم2003/6/2 قرب البحر الميت فى الجانب الأردنى من الحدود مع فلسطين من أجل توحيد جهود مكافحة مرض الالتهاب الرئوى اللانمطى المعروف باسم سارس 0

2003/6/4

– آرييل شارون يزور مدينة العقبة الساحلية بالأردن للمشاركة فى القمة التى جمعته برئيس الوزراء الفلسطينى محمود عباس (أبو مازن) بحضور الرئيس الأمريكى جورج بوش والملك عبد الله الثانى.

– وزير الصحة الأردنى وليد المعانى يستقبل السفير الإسرائيلى فى مقر وزارة الصحة بعمان

2003/6/8

– نقابة الممرضين والممرضات الأردنيين تعرب فى بيان لها عن غضبها من قيام وزير الصحة الأردنى وليد المعانى باستقبال نظيره الإسرائيلى دانى نافيه فى الأردن وباستقبال السفير الإسرائيلى بالأردن فى لقاءين لم يعلن عنهما رسمياً فى عمان 0

2004/1/13

– عدد من الإسرائيليين والفلسطينيين يشاركون فى رحلة الى القطب الجنوبى، فى محاولة لكسر الجمود وإثبات أن هناك مجالاً للتعايش المشترك بين الطرفين ورأس الفريق الذى رفع العلمين الفلسطينى والإسرائيلى متسلق الجبال دورون أيريل ، ووالدا أيريل البولنديان ، وكان أيريل عضواً فى وحدات النجمة فى الجيش الإسرائيلى ، كما شارك فى الرحلة رجل الأعمال الاسرائيلى المقيم فى

ألمانيا حزقيال ناتانيل ، وحصلت الرحلة على دعم الأمين العام للأمم المتحدة كوفى أنان ، والدالاى لاما ، والرئيس ياسر عرفات ورئيس البرلمان الألمانى فولفجانج تييرسى والحائزين على جائز نوبل للسلام : ميخائيل جورباتشوف وشيمون بيريز 0

ضمت المجموعة أربعة إسرائيليين ، وأربعة فلسطينيين ، من غزة والضفة والقدس وفلسطينى 48 ، ومن بين المجموعة صحفى يدعى زياد درويش سبق أن سجن فى إسرائيل على خلفية نشاطات ضد إسرائيل.

الفصل الثانى

الزراعة : التطبيع على أرض مصر وبها

أولاً : سنوات التطبيع الزراعى الأولى : مقدمات ذات دلالة :

خلال الفترة (1979-20114) ارتبط التطبيع السياسى والثقافى تحت المظلة الأمريكية ، وتلازم معه تلازماً صعب الفكاك منه ،ما كان يتم داخل أروقة وزارة الزراعة المصرية من تطبيع بين علماء مصريين وعلماء إسرائيليين بمنح مالية وغطاء مادى من هيئة المعونة الأمريكية ، وهو غطاء قديم منذ عام 1981 عندما كان وزير الزراعة الأسبق يوسف والى مستشاراً لوزارة الزراعة المصرية .

* وبعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد بشهور أتت تقارير وأبحاث أعدها المهتمون بالتطبيع مع العدو الصهيونى بالقاهرة لنصف ما كان يجرى فى وزارة الزراعة – تحديداً – التى فتحها وزراء الزراعة فى ذلك الوقت المبكر من العلاقات مع العدو ، للتطبيع معه ومنها فتح أبوابها أمام 15 شركة صهيونية تعمل فى مجال الرى بالتنقيط والزراعات الحديثة بالصحراء المصرية وبأنه نشاط مشبوه يهدد الأمن القومى خاصة وأن وحدات عسكرية مصرية كانت تنتشر بالقرب من هذه المشروعات الزراعية واحتمالات اختراق الموساد الصهيونى لأسرارنا العسكرية من خلال عملهم كخبراء بهذه المشروعات كان احتمالاً وارداً .ونوهت التقارير إلى ثبوت عمليات تهريب وغش وتخريب للسياسة الزراعية مارستها – ولاتزال تمارسها – حتى 2014 ، تلك الشركات تحت سمع وبصر وزراء الزراعة والذى ينفردون دون سائر الأجهزة الحكومية بممارسة التطبيع.

وفى سنوات التطبيع الأولى وصل القاهرة أكبر من 60 خبيراً زراعياً صهيونياً للانضمام للعشرات من الخبراء الصهاينة المتواجدين فى مصر ويعملون فى محطات البحوث الزراعية فى النوبارية والإسماعيلية ومديرية التحرير.

يأتى ذلك بعد اكتشاف المخابرات العامة فى أوائل التسعينات لمحاولة إسرائيلية لتهريب صلصة إلى مصر غير صالحة للاستخدام ، وقام بالاستيراد رجل أعمال معروف من الإسكندرية وقد تخصص فى استيراد المواد الغذائية ، وتمت الصفقة عبر بلد ثالث هو تركيا .ودلت التحريات أن الطماطم موضوع الصفقة

والتـى وردت فـى براميـل بلاسـتيك وأعيـد تعبئتهـا فـى مصـر وقـد انتهـت مـدة صلاحيتها وتعرضت لظروف تخزين غير ملائمة .

فأبلغت المخابرات وزير التموين فأعطى تعليماته لشركة الإسكندرية للجمعيات الاستهلاكية بمتابعة الصفقة ثم رفضها وهو ما تم ، ثم توالت فى مصر الحقائق حول قيام الإسرائيليين بغزو الصحراء المصرية فى الوقت الذى كان يمر فيه المصريون ببطالة قاتلة فى عقدى الثمانينات والتسعينات .

حيث انتشرت المزارع الإسرائيلية على طريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية ومعها جاء خبراء الزراعة الإسرائيليون كى يزرعوا أرض وادى النيل التى علمت الدنيا منذ الفراعنة ، الزراعة !! وفى ظل حالة بطالة تفشت فى مصر لتصل مكافأة الخبير الواحد فى كل زيارة أسبوعية خمسة آلاف دولار بأسعار ذلك الزمان ، ويتولى ذلك شركات متخصصة منها " شركة بيكو " لصاحبها (صلاح دياب الذى أصدر لاحقاً صحيفة المصرى اليوم) و" شركة ديبكو " وهما شركتان مصريتان تعملان فى مجال الزراعة وتقومان بترويج الشتلات والبذور الإسرائيلية ، هذا فضلاً عن استيراد الخبراء الإسرائيليين وتوصيلهم إلى المزارع .

العقد المبرم بين هذه الشركات والمزارع كان ينص فى سنوات التطبيع الأولى ، على أن تتولى إسرائيل الصرف وإحضار المعدات الخاصة للرى والشتلات الزراعية والأسمدة مقابل نسبة من الإنتاج تصل إلى 70% لمدة تتراوح بين 25 – 30 سنة وتتولى هذه الشركات ترويج المنتجات الإسرائيلية فى مصر من بذور ومعدات بالرى بالتنقيط ومواد كيمائية دخلت هذه المنتجات الإسرائيلية مصر بأسلوب الاستيراد التقليدى بعد أن كانت تختفى تحت أسماء أمريكية ، وبالطبع حملت المنتجات العلامات الإسرائيلية صراحة ، ومن البذور التى روجتها هذه الشركات .. بذور التفاح والكانتالوب. هذا وقد فتحت هذه الشركات للخبراء الإسرائيليين مزارع خاصة ، لإقامة التجارب الزراعية فى مديرية التحرير

بمنطقة الانطلاق ، والفتح ، وأبى رواش وأبى حصر ، وقد خصصت إحدى المزارع على الطريق الصحراوى لزراعة الزهور ويومها أيضاً دخل الإسرائيليون بالفعل إلى مجال استصلاح الأراضى الصحراوية وبيعها .

وجدير بالذكر أن شركة " الجرولاند " قد حصلت – فى سنوات التطبيع الأولى – على توكيلات من شركة "ليجو " الإسرائيلية وتولت توزيع منتجاتها فى مصر وقامت بتنفيذ مشروعات للقطاع العام فقد قامت هذه الشركة بالتعاقد مع شركة الزراعية لتنفيذ أحد مشروعاتها على الطريق بين القاهرة وبورسعيد وشركة أخرى (مش فالنشفين م – ص) الإسرائيلية وتقوم بتوزيع مستحضرات على الفلاحين لرش الصوبات وبيوت النباتات والخضراوات وتقدم هذه الشركة فى بيانها قواعد الرش والنسبة المقررة ، وتدعو للمنتجات الإسرائيلية والتعرف عليها من خلال أسماء البذور التى تحمل أسماء إسرائيلية كتبت باللغة العبرية .

ما يلفت النظر .. أن تلك الشركات كانت تتولى مشروعات قريبة من وحدات القوات المسلحة بشكل عام والمطارات الحربية بشكل خاص مثل مطار غرب القاهرة الحربى ومطار جناكليس.

***

* هذا ويحدثنا التاريخ أنه في مايو 1981م . أي عقب 15 شهراً من بداية العلاقات الدبلوماسية بين النظام المصري والكيان الصهيوني . وصل إلى القاهرة ثاني سفراء الكيان الصهيوني، موشيه ساسون، الذي أُتيح له عبر السنوات السبع التالية التي قضاها في مصر، أن يكون شاهداً على المراحل الأولى للتطبيع الزراعي بين الحكومة المصرية والكيان الصهيوني، خاصة أنه كان . حسبما روى في مذكراته عن تلك الفترة . موكلاً إليه من حكومته متابعة أنشطة التطبيع في ذلك المجال الحيوي. وقد روى ساسون في تلك المذكرات التي حملت عنوان "سبع سنوات في بلاد المصريين" الفصل الأول من قصة

التطبيع الزراعي بين النظام المصري والكيان الصهيوني، وذلك على النحو التالي[4]:

في أعقاب توقيع معاهدة الصلح بين النظام المصري والكيان الصهيوني في 26 مارس 1979م، أعرب الرئيس المصري السابق، أنور السادات، لصديقه رئيس وزراء الكيان الصهيوني، مناحم بيجين، عن رغبته في قيام "تعاون زراعي بين مصر والكيان الصهيوني"، ومع ترحيب الأخير بهذه الخطوة التطبيعية الاستراتيجية، أعطى الطرفان الإشارة للخبراء من الجانبين للبدء في ذلك التعاون، وتم توقيع اتفاقية تعاون زراعي بين الطرفين في مارس 1980م!!

في إبريل 1981م اجتمع الرئيس السادات في بيته الريفي بمسقط رأسه (قرية ميت أبو الكوم) بالإسرائيلي، شموئيل فوهريلز، رئيس هيئة التخطيط الزراعي في وزارة الزراعة بالكيان الصهيوني، في حضور حسني مبارك، نائب الرئيس آنذاك، ووزير الزراعة المصري، د.محمود داود، وفي هذا اللقاء طلب السادات من فوهريلز أن يتوجه الإسرائيليون بنشاطهم الزراعي في مصر إلى مناطق الاستصلاح الزراعي الجديدة في الصحراء المصرية، بعيداً عن أراضي الدلتا القديمة.

في شهر مايو 1981 اجتمع الرئيس السادات، بوزير الزراعة الإسرائيلي، آنذاك، آرييل شارون، في حضور وزير الزراعة المصري، آنذاك، د.محمود داود، وموشيه ساسون، والمسئول عن التعاون الزراعي مع مصر في وزارة الزراعة الإسرائيلية. وطلب السادات في الاجتماع من شارون أن يستقل إحدى الطائرات المصرية ويحلق فوق الصحراء الغربية المصرية ، ليعاين المناطق الصالحة للاستصلاح في الجنوب الغربي من مصر!! ولم يضيع شارون الفرصة فاستقل طائرة حسني مبارك، نائب الرئيس المصري آنذاك، وقام بالجولة!!

ورغم أن السادات طلب من الإسرائيليين أن يعملوا في مناطق الاستصلاح الزراعي الجديدة، بعيداً عن الدلتا، فقد بدأ التطبيع الزراعي في وسط الدلتا، وانطلق من نقطتين رئيستين: مزرعة الرئيس السادات في ميت أبو الكوم، ومزرعة جميزة القريبة، وقد أرجع ساسون ذلك إلى أن العمل في مناطق الاستصلاح الزراعي خارج الدلتا لم يكن من صلاحيات وزارة الزراعة المصرية، التي أوكل إليها التطبيع الزراعي، وذلك في وجود وزارة التعمير واستصلاح الأراضي،آنذاك، وتداخل صلاحياتها مع وزارة الري، في الوقت الذي لم يكن ممكناً فيه دمج الوزارات الثلاث في وزارة واحدة، لذا فقد أصدر وزير الزراعة د.محمود داود، قراره بأن يبدأ التطبيع الزراعي من الأراضي الواقعة في اختصاصه في محافظة المنوفية.

كذلك وجد الصهاينة في العمل وسط الدلتا .كما يقول ساسون .فرصة للتعرف على الزراعة المصرية، وفهم الفلاح المصري!! ورأوا أن البدء بمزرعة الرئيس، والنجاح في تطويرها سيجعلها نموذجاً يشجع الفلاحين المصريين على التعاون معهم.

وما لم يقله ساسون هنا، صراحة، أنهم وجدوا في العمل في وسط الدلتا فرصة للاحتكاك بالفلاحين المصريين، ودراسة طبائعهم، ومحاولة التطبيع معهم، وفي الوقت نفسه فرصة لدراسة الزراعة المصرية، وجمع المعلومات عنها، والتدخل فيها بما يخدم الاستراتيجية الإسرائيلية!!

بجانب عملهم في مزرعة الرئيس السادات، بدأ الصهاينة العمل في مزرعة جميزة على مساحة 50 فداناً، فقرروا زراعتها بالخضروات، وجلبوا التقاوي ومستلزمات الإنتاج من الكيان الصهيوني، وأشرفوا على المزارعين المصريين، وأرسلوا بعضهم لتلقي دورات زراعية في الكيان الصهيوني، وكانت النتيجة هي إنتاج الشمام الإسرائيلي(مكديمون) وبيعه في الأسواق المصرية.

ورغم أن قصف الكيان الصهيوني للمفاعل النووي العراقي في يونيو 1981م، قد حال دون تطور نشاطات التطبيع الزراعي، فإنها لم تتوقف. وفي تلك الفترة الأولى، تبرز أسماء مسئولين مصريين ساهموا في دفع عملية التطبيع وتطويرها، كان على رأسهم وزير الزراعة د.محمود داود، ومساعده د.يوسف والي، ونبيه غنام، رئيس قطاع الإنتاج الزراعي.

***

فى أكتوبر 1979 أعدت وزارة الزراعة الإسرائيلية بالتعاون مع الوكالة اليهودية إطاراً للتعاون الزراعى بين مصر وإسرائيل وقد تناول هذا الإطار كل أدوار الزراعة.

وقد صرح وقتها د. يوسف والى مستشار وزير الزراعة فى ذلك الوقت ووزير الزراعة وأمين عام الحزب الوطنى لاحقاً " أن تطوير الزراعة المصرية يسير حالياً فى إطار حلقات ثلاثية : الأولى مصر والولايات المتحدة الأمريكية والثانية : مصر والولايات المتحدة وإسرائيل والثالثة : إسرائيل ومصر والدول العربية ، وأضاف أن الحلقة الأولى فى طريقها للتحقيق وأتاحت لنا تحسين المدخلات من البذور والتقاوى والأسمدة والمبيدات والميكنة الزراعية الصغيرة وسنشرع فى العمل بالحلقة الثانية لتحسين المخرجات التسويق التصدير – التعبئة – تقليل الفاقد – التغليف – وأخيراً الحلقة الثالثة وتتجه إلى الانفتاح على الدول العربية ، وفى تل أبيب فى 80/3/24 تم توقيع اتفاق التعاون الفنى الزراعى بين مصر وإسرائيل وشمل الاتفاق :

– تبادل البعثات الدراسة بالنسبة للخبراء وإعداد دوريات تعليمية وتدريبية مشتركة .

– تعاون مصر وإسرائيل فى مجال البحث التطبيقى فى جميع فروع الزراعة بما فى ذلك تبادل الخبرة العلمية .

– تعاون مصر وإسرائيل فى مجال تطوير الزراعة الخضراوات والفواكه والتوابل النباتات الطبية .

– تعاون الدولتين فى مجال الخدمات البيطرية ووقاية النباتات والعمل سوياً فى تنظيم وإدارة مزارع لتربية الدواجن وإنشاء حظائر المواشى والتلقيح الصناعى .

– تنظيم تعاونيات زراعية لإنتاج وتسويق منتجات زراعية .

– تنشىء الدولتان بالتعاون فيما بينهما ثلاجات ومعامل تعبئة وتغليف ومعامل لحلج القطن ومسالخ آلية ، وإقامة لجنة دائمة لمتابعة الاتفاق .

وفى يوم 1980/4/20 وفى القاهرة تم توقيع اتفاقية تجارية ووفقاً للاتفاق يمكن لإسرائيل أن تشترى من مصر القطن والخيوط القطنية والجلود المدبوغة والتوابل والأرز والسكر والبصل (مواد خام) وتستطيع إسرائيل أن تصدر لمصر الأسمدة والكيماويات وعلف الماشية والمبيدات ومعدات الرى والآلات الزراعية (مواد مصنعة ومعدات) .

وفى تلك السنوات الأولى للتطبيع كان يدور مفهوم إسرائيل عن التطبيع كما حددها اسحاق نافون رئيس إسرائيل الأسبق مقابل تنازلنا عن الثروات المادية التى تحققها إسرائيل من خلال التطبيع فى علاقتها بمصر وثمناً لانسحاب إسرائيل من سيناء ، وتنظر إسرائيل إلى المشروعات المشتركة مع مصر ليس من الزاوية الاقتصادية أى من زاوية المكاسب المالية فقط وإنما من الناحية الاجتماعية أيضاً من حيث أن المشروعات المصرية الإسرائيلية المشتركة تخلق أساساً لمصالح مشتركة بين أفراد وجماعات من تلك الدولتين، وفى المستقبل سوف يشكل هؤلاء قطاعاً خاصاً وقوة اجتماعية تساند العلاقات مع إسرائيل وتقف فى مواجهة أية محاولة للإخلال بمصالحها الإسرائيلية والتطبيع حسب الفهم الإسرائيلى ، هو الفهم الذى تتبناه المؤسسات الدولية يعنى أن تتنازل الدول العربية عن وظيفتها السياسية فور توقيع اتفاقيات الصلح مع إسرائيل ، ثم تنسحب على أن تسلم مقاليد العلاقة الثنائية إلى أفراد إما رجال أعمال أو

مثقفون حسب مصلحة إسرائيل ، وفى الوقت نفسه تسيطر الحكومة الإسرائيلية والمستوردون على 80% من أدوات الإنتاج فى إسرائيل وتعتمد فكرة إسرائيل بالتطبيع على الانتفاع العربى من قوة العقول فى العلم والتكنولوجيا وفى تسيير الموارد العربية من مال – موارد طبيعية – عمال . وترى إسرائيل أن الزراعة هى الميدان الأمثل للتعاون بينها وبين مصر بسبب التفوق النسبى فى الناحية التكنولوجية وتوافر القوى العاملة المصرية الرخيصة ، وكذلك وجود شبكة إسرائيلية واسعة وقوية للتصدير وتشمل أوروبا والولايات المتحدة ، كانت القيادة الإسرائيلية ترى أنها كى تتحول إلى دولة متقدمة تستقبل القرن الحادى والعشرين عليها أن تتبنى مبادئ حديثة وهى :

1 – زيادة الهجرة اليهودية لإسرائيل .

2 – إقامة أسس اقتصادية تنموية تساهم فى زيادة عدد السكان .

والتفسير العلمى لهذين الهدفين هو تطوير الدولة على أساس صناعى حديث؛ بصفته فرعاً اقتصادياً رئيساً وكذلك فإن إسرائيل عليها أن تنفض يدها من الزراعة والاستيطان الزراعى ، لأنهما ليس من أدوات القرن الواحد والعشرين وذلك بسبب ارتهان ذلك لكميات المياه والمساحات اللازمة لها والتى ستأتى على حساب الأرض المنزرعة ، وفى الوقت نفسه عليها أن تجد احتياجاتها من المواد الخام الزراعية اللازمة لصناعتها الغذائية التى تقدر بـ أكثر من 60% من إنتاجها الزراعى .

***

وفى سنوات التطبيع الأولى أيضاً قامت مؤسسات أرماند همر بوضع جدوى اقتصادية لمشروعات التعاون والتطبيع الزراعى ، وأكدت الدراسات الإسرائيلية المتخصصة فى الزراعة أنه كان يوجد قدر من التكامل الفعلى بين مصر وإسرائيل فى مجال الزراعة وأن السمات الرئيسة للأنشطة الزراعية لا تتفاوت بشكل كبير فالخبرة الزراعية يمكن أن تنقل إلى مصر وبشكل خاص فى

الأرض المستصلحة خارج المنطقة التقليدية من وادى النيل والدلتا وحددت الدراسة ثلاثة مجالات لتشجيع التعاون بين مصر وإسرائيل وهى :

– التبادل التجارى فى مجال المنتجات الزراعية .

– نقل المعرفة التكنولوجية الخاصة بالأبحاث وتصميمات المشروعات المتطورة ونشرها .

– الربط بين المزارع التجارية والاشتراك فى الصناعات الغذائية خاصة فى المجتمعات الجديدة ونتيجة لهذه الدراسة حددت الجدوى الاقتصادية ثلاثة مشروعات :

– أولها : دراسة تخطيطية لتطوير 200000 هكتار حوالى 450 ألف فدان فى الأراضى الجديدة معدة من شركة تاحال الإسرائيلية (شركة تخطيط المياه فى إسرائيل) .

– والمشروع الثانى : هو مشروع استصلاح الأراضى بين جامعة عين شمس وجامعة سان دييجو فى كاليفورنيا وجامعة بن جوريون فى إسرائيل .

– والثالث : تصدير سلالات أبقار من إسرائيل والخدمات البيطرية المرافقة لها.

وحددت إسرائيل المناطق التى تأمل أن تتعامل فيها وحددتها بمناطق استصلاح الأراضى الجديدة وحددت مساهمتها فى نقل الخبرة وأن نقل الخبرة سيتم إلى :

– الأنشطة التى تعتمد على القطاع الخاص .

– الأنشطة والصناعات الغذائية .

– أن الأنشطة تكون قصيرة المدى .

– تفضل وجود طرف ثالث (أمريكا أو إحدى الدول الأوروبية) .

وأوضحت إسرائيل أن مساهمتها الرئيسة فى برامج التطور الزراعى للحكومة المصرية تأتى عن طريق إمداد الحكومة بأنظمة التدريب الإسرائيلية ، وتوظيف نظام البحوث للتدريب الذى سيتم تطويره فى إسرائيل .

وقد قدمت إسرائيل فى مؤتمر الدار البيضاء (الذى سبق الإشارة إليه تفصيلاً فى الفصل الأول من هذا الباب) عدة مشروعات فى المجال الزراعى أهمها، إقامة منطقة زراعية حرة على الحدود المختلفة بين الدول ، يتم من خلالها تسويق وتبادل المنتجات الزراعية وتقديم الخدمات والبذور والشتلات والمساعدات الميكانيكية للزراع والأسمدة وتضم المنطقة الحرة مخازن ، ومراكز تعبئة خدمات التجميل والتفريغ وإقامة مزارع الإنتاج ، ونقل التكنولوجيا ، وتبادل الخبرات التقنية وإجراء التجارب ، وتوفير فرص التدريب للعاملين فى مجال العمل الزراعى والتعاون فى مجال حماية النباتات من الأمراض والآفات الزراعية ، وتبادل المعلومات حول الأمراض الحيوانية والأوبئة وإجراء التدريبات فى مجال الصحة البيطرية وإجراء الأبحاث فى مجال الثروة الحيوانية وتقليل الفاقد منها وتحسين طرق تخزين اللحوم بعد ذبحها واستحداث مزروعات ومحاصيل جديدة تتلاءم مع البيئة الصحراوية وأبحاث الهندسة الوراثية فى مجال المحاصيل الزراعية وخاصة الحبوب .

وتضمنت ورقة مصر فى المؤتمر ، أن الاستثمار المباشر القائم على القطاع الخاص والأجنبى يمكن أن يسبب نمواً سريعاً فى المنطقة وتناولت الورقة المشروعات المصرية لتنمية المنطقة . وهى مشروع للتنمية الزراعية واستصلاح الأراضى لشرق العوينات ومركز دولى للتنمية والتدريب فى الشرق الأوسط بإجمالى 35 مليون دولار .

***

* هذا ويحدثنا التاريخ أن أول وفد من خبراء الزراعة فى إسرائيل قد وصل إلى مصر فى سبتمبر سنة 1980 ، وقد زار الوفد مناطق الصالحية بمحافظتى الشرقية والإسماعيلية ومثلث "العدوة" بالقرب من المنيا وبنى سويف والفيوم وذلك لإقامة مشروعات عليها واختار الجانبان محافظة الغربية بوسط الدلتا لإقامة مركز لأبحاث الزراعة المشتركة .

وتم الاتفاق على أن تشارك إسرائيل بخبراتها فى إدارة زراعة مئات الأفدنة فى واحة الفرافرة بأساليب الرى بالرش والتنقيط ، كما تم الاتفاق بين وزارتى الزراعة المصرية والإسرائيلية على تنفيذ مشروع مشترك لتطوير زراعة القطن قصير التيلة فى مصر على أن تشترى مصر من إسرائيل شتلات تجريبية للمشروع . واستقر يومها على أن يساهم فى التعاون والتنمية الزراعية بين مصر وإسرائيل لجنتان هما :

1 – اللجنة الزراعية الإسرائيلية المصرية المشتركة وتبحث تطوير الرى على أسس تكنولوجيا حديثة .

2 – واللجنة المصرية الإسرائيلية الأمريكية للتعاون فى المجال الزراعى وأنشئت فى يناير 1982 .

وكانت أمريكا قد طرحت على مصر مشروعاً لتطوير الزراعة المصرية عبر ثلاث حلقات ، تتم الأولى بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، والثانية بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل ، والثالثة تضم إسرائيل ومصر والدول العربية ، ورصد الكونجرس بالفعل مبلغ خمسة ملايين دولار مبدئياً لهذا الغرض ويعتمد المشروع على تعاون ثلاثى ، حيث تقدم مصر الأرض والعمالة والمياه وإسرائيل التجهيزات والخبرات ، وتقدم الولايات المتحدة التمويل ، وقد أمدت هيئة المعونة الأمريكية هذه اللجنة بالتمويل اللازم بواسطة مؤسسة دعم السلام .

وشكلت لجنة ثلاثية توجيهية (مصرية – أمريكية – إسرائيلية) تكون بمثابة هيئة استشارية للجنة الثنائية الدائمة (مصرية – إسرائيلية) ، تتولى البحوث الزراعية وتتوالى اجتماعات اللجنة الثلاثية سنوياً لتحديد مجال البحوث المشتركة ذات الأولوية مع تشجيع المشاريع المشتركة وتشكيل الفرق البحثية وعقد المؤتمرات وتبادل النتائج والمطبوعات والخبراء الزراعيين .

وقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار مشروعات التعاون الثلاثى مبلغ 153.9 مليـون دولار لمشـروعات انتـاج الـدواجن والتنميـة السـمكية وتحليـل الاحصائيات وتطوير الإدارة بوزارة الزراعة وتطوير أساليب الرى الحقلى ، كما تم اتفاقية مشروع زراعة الأراضـى القاحلة بين جامعة سان دييجو الأمريكية وجامعة بن جوريون الإسرائيلية ووزارة الزراعة المصرية فى عام 1982 وتضمن ثلاثة أنشطة رئيسة :

- زراعة النباتات فى ظروف ملحية .
- زراعة نباتات المراعى وتربية الماعز والأغنام .
- زراعة النباتات التصنيعية .

وفى أكتوبر سنة 1984 أبرمت اتفاقية ثلاثية حول مشروع التبادل التكنولوجى وتعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بتمويل المشروع والذى يعمل فى مجالات :

- التكثيف الزراعى والحيوانى .
- استخدام الطاقة الشمسية فى مجالات الزراعة .
- استخدام النباتات الصحراوية .

وفيما بعد وفى عهد د.يوسف والى – أكبر وأهم مؤسسى التطبيع الزراعى – عقد فى واشنطن فى عام 1989 مؤتمر اقتصادى شارك فيه خمسون عالماً مصرياً وإسرائيلياً بدعوة من الوكالة الأمريكية للتنمية لتدارس ما تم تحقيقه من تعاون بين العلماء المصريين والإسرائيليين فى فترة ست سنوات هى عمر برنامج التعاون الإقليمى للشرق الأوسط الذى أقره الكونجرس وقد تناولت الواشنطن بوست المؤتمر بالتعقيب وبالقول : إن العلاقات الاقتصادية (والزراعية بخاصة) بين مصر وإسرائيل تعد أكثر المنابر نجاحاً لاستمرار الاتصالات بين الدارسين والعلماء الرسميين من الموظفين وأن البرنامج نجح منذ عام 1979 فى تجميع أكثر من ألف عالم من مصر وإسرائيل .

وفى عام 1995 تم الاتفاق على إنشاء مصنع للعصائر ومركز للموالح المصرية فى العريش على أن يتم تصديره بمعرفة إسرائيل ، وفى نوفمبر سنة 1992 وقعت مصر وإسرائيل اتفاقية لتدريب شباب الخريجين فى إسرائيل على أن تتحمل النفقات ومقدارها 900 ألف دولار. كل ذلك فى عهد د. يوسف والى ، والذى سننتناوله بالتفصيل لاحقاً .

***

ثانياً : مشاريع زراعية خدمت التطبيع :

شكلت الزراعة أهم المجالات الاقتصادية فى علاقات مصر باسرائيل فى سنوات التطبيع الأولى ، حيث كانت الاخيرة–اسرائيل– تخطط لزيادة أرباحها عن طريق ربط الأقطار العربية بمشاريع زراعية مشتركة معها لكي تتسلل إلى عصب الحياة فيها لاختراقها ، لأن نشاطها في مجال التعاون الزراعي مع البلدان العربية سيبرمج ويخطط بحيث يخدم بصورة مباشرة الأهداف الاستراتيجية لاسرائيل .

وقد ذكر " سيمحا إيرليخ " وزير الزراعة الإسرائيلي الأسبق بعض الأهداف الإسرائيلية في مجال التعاون الزراعي مع العرب .. وقال : " إن المشاريع والنشاطات الزراعية العربية ستعتمد على الخبرة والتجربة والتكنولوجيا الإسرائيلية .. وإن أية محاولة لإنهاء دور إسرائيل في هذا المجال مستقبلاً ستكون متعذرة، لأن معنى ذلك التسبب في خسائر اقتصادية كبيرة قد تنجم عن توقف هذه المشاريع".

وهدفت إسرائيل من نشاطها في مجال الزراعة – كما سبق وأشرنا – إلى التغلغل في هذا القطاع الاقتصادي الهام وذلك عن طريق التحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالسياسات الزراعية العربية لتأمين حاجة إسرائيل من المواد الأولية اللازمة للصناعة فيها .

وكانت إسرائيل فى سنوات الثمانينات والتسعينات تخطط على أساس المقايضة بتنفيذ مشاريع زراعية ضخمة في سيناء تعتمد على وسائل الري الحديثة مقابل جر مياه النيل إلى النقب ، ومشاريع زراعية أخرى في الأردن وسورية ولبنان مقابل الانتفاع بحصة كبيرة من منابع الأردن واليرموك وبانياس والحاصباني والليطاني .

وكانت إسرائيل تعتقد أن التعاون في مجال الزراعة سيقود إلى خلق علاقات بين المزارعين العرب وبينها من خلال الاستعانة بالخبرة الإسرائيلية والخبراء الإسرائيليين والمعدات الإسرائيلية ، مما يؤدي حتماً إلى خلق رابطة مصلحية، حيث "إن هذه الرابطة قد تؤدي إلى انبهار المزارعين المحليين بما حققته إسرائيل في مجال الزراعة وإعجابهم بمنجزاتها ويجعلهم يشعرون أنهم لا يستطيعون أن يستغنوا عن هذه الخبرة والخبراء".

وحددت الدراسة التي وضعتها مؤسسة (أرمند هامر) نقل الخبرة الإسرائيلية في مجال استصلاح الأراضي ونظم الري الحديثة إلى مصر، وحددت التعاون المشترك في مجالات:

- التبادل التجاري في مجال المنتجات الزراعية .
- نقل المعرفة التكنولوجية الخاصة بالأبحاث وتصحيحات المشروعات المتطورة .
- المشاركة في الصناعات الغذائية التي تعتمد على القطاع الخاص.
- إمداد الحكومة بأنظمة التدريب الإسرائيلية وتوظيف نظام البحوث للتدريب والذي سيتم تطويره في إسرائيل.

وكانت إسرائيل تخطط لبيع الأسمدة والمبيدات والهرمونات والاستفادة من منح مصر تسهيلات وامتيازات ومنح كثيرة .. وتتذرع إسرائيل بوقاحة منقطعة النظير بحاجتها إلى نقل مياه النيل إليها لحل المشاكل المائية في الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة، وهي التي كانت ولاتزال تسرق وتنهب المياه في

هذه المناطق العربية وتمنع أصحابها العرب من استغلالها والاستفادة منها.."
وترى إسرائيل أن مصر تتولى مشروع ايصال مياه النيل إلى سيناء، وأن المشروع لن يحتاج إلا توسيعه لينقل هذه المياه المطلوبة في إسرائيل .
والمعروف أيضاً أن إسرائيل كانت تقوم طيلة الفترة (1979-2011) بسحب(50) ألف م3 يومياً من مياه جوفية عميقة في سيناء لصالح مستعمراتها في النقب " .
وكان قد بدأ التطبيع الزراعي الرسمي بعد اتفاقية كامب ديفيد مباشرة ، من خلال تسليم مزرعة مستوطنة ينعوت سيناي عند تسليم العريش .. ورغم أن الاتفاق هو تسليمها تعمل إلاّ أن مصر قد تسلمتها خراباً ونقلوا كل ما يمكن نقله وقاموا بحرق مالم يمكن نقله ومن بينها المزروعات كما قاموا بنسف آبار الري وخزانات المياه في مستعمرة ياميت .. وابقوا الأنفاق التي كانت تربط المستعمرة بإسرائيل لتسهيل تهريب المزروعات ومئات الأطنان من المبيدات المحظورة دولياً والتقاوي الفاسدة والتي بها إشعاع والأسمدة الورقية غير الصالحة والهرمونات المحظور استخدامها دولياً.
ومن اتفاقات ومشروعات التعاون والتطبيع ما يلى :

1- اتفاقية التعاون الزراعى

وقعت مصر اتفاقية للتعاون الزراعي في تل أبيب بتاريخ 24/ 3 /1980 وشملت الاتفاقية أوجه التعاون الفني الزراعي التالية :

- تبادل البعثات الدراسية للخبراء الزراعيين وإعداد دورات تعليمية مشتركة.
- التعاون في مجال تطوير الزراعة للخضراوات والفواكه والتوابل والنباتات الطبيعية .
- التعاون في مجال البحث التطبيقي في جميع فروع الزراعة وتبادل الخبرات العلمية .

- التعاون في مجال الخدمات البيطرية ووقاية النباتات والإدارة المشتركة لمزارع تربية الدواجن وحظائر المواشي والتلقيح الصناعي .
- تنظيم تعاونيات زراعية لإنتاج وتسويق منتجات زراعية .
- التعاون المشترك في إقامة ثلاجات ومعامل تعبئة وتغليف .. ومسالخ آلية.

وفى فبراير من عام 1981، اتصل المهندس محمود داود وزير الزراعة الأسبق بـ" آرييل شارون " وزير زراعة الكيان الصهيونى آنئذ ، وذلك لإرسال فريق لتنفيذ مشروع رى نموذجى فى مزرعة مصرية بقرية ميت أبو الكوم بلدة الرئيس أنور السادات .. وعلى امتداد عشرة أيام ، قام الخبراء الذين أرسلهم آرييل شارون ، بإعداد تلك المزرعة وتزويدها بنظام حديث متكامل – كما أشرنا – ، وقد قامت السيدة جيهان السادات زوجة رئيس مصر السابق بزيارة إلى تلك المزرعة وأبدت انبهارها وسرورها البالغ بما أنجزه الخبراء الصهاينة .. وفى أبريل من عام 1981 ، دعا الرئيس السادات رؤساء تحرير الصحف والمجلات المصرية إلى منزله بقرية ميت أبو الكوم ، ثم تفقد معهم مزرعة الموالح والفواكه التى قام الخبراء الاسرائيليون بتصميم نظم ريها ، مبديا انبهاره أيضا بما حققه أصدقاؤه من الإسرائيليين .

وقبل تلك الوقائع بشهور صحب أنور السادات " أرييل شارون " فى جولة بالطائرة تفقد من خلالها مع وزير زراعة الكيان الصهيونى بعض الأراضى الصحراوية من الجو تحت دعاوى التعاون المشترك بين حكومة مصر واسرائيل فى قهر الصحراء .. والغريب أن شارون لم يصدق نفسه وسط الاحتفاء الذى احاطه به صديق الإسرائيليين الرئيس محمد أنور السادات إلى الدرجة التى كان فيها شارون هو الذى يصدر تعليمات القيادة لقائد الطائرة التى أقلته والرئيس السادات .

وعن هذه الرحلة ، يقول شارون فى خطابه أمام الكنيست بمناسبة مرور 25 سنة على ابرام اتفاقية كامب ديفيد فى 24 مارس 2004 : " فى سنة 1981

عندما شغلت منصب وزير الزراعة في دولة اسرائيل ، التقيت بالرئيس السادات في القاهرة ، كلانا كنا نستند الى الخارطة، حينها طلب مني السادات أن أقوم بجولة بهدف المساهمة بإيجاد مساحات زراعية .. فهكذا وجدت نفسي أحلق في سماء مصر ،في أنحاء الصحراء الغربية وبمحاذاة حدود السودان في طائرة الرئيس السادات وكانت المهمة هى البحث عن أراض زراعية ؛ حيث يقوم أخصائيو الزراعة الاسرائيليون بتحويلها لحقول مزهرة .. الطيارون الذين حلقوا بي عرفوا أنفسهم على أنهم ملاحو حربية كانوا قد اشتركوا في الهجوم الجوي الكبير ضد قواتي العسكرية في 18 أكتوبر 1973 ، فعندما جلست بين الطيارين على كرسي ملاح الجو والخارطة على ركبتي ونحن نحلق على ارتفاع منخفض قلت في سريرتي : هذا هو السلام .. ضابط إسرائيلي قامت قواته بعبور قناة السويس يحلق اليوم برفقة طياري الحربية المصرية الذين كانوا قد هاجموه وأصدقاءه ، ها هم يبحثون عن مساحات لاستصلاحها من أجل انتاج الغذاء لسكان مصر – هذا هو السلام وهكذا رأيت السلام ".

ويعتبر عام 1982 ، نقطة تحول كبيرة فى مشروعات الإختراق الاسرائيلى لمصر تحت مسمى التطبيع والتعاون الثنائى بمجال الزراعة ، حيث تشكلت فى ذلك العام لجنة زراعية مصرية إسرائيلية عليا برئاسة وزير الزراعة المصرى د.يوسف والى ، إضافة إلى وزير زراعة الكيان الصهيونى ، وقد تم الإتفاق فى إطار تلك اللجنة التى رأسها والى ووزير زراعة إسرائيل على تبادل الزيارات بين الخبراء فى مجالات الزراعة وإجراء البحوث المشتركة والاستفادة من تكنولوجيا اسرائيل المتقدمة فى مجالات الرى واستنباط البذور والشتلات وهى مجالات نفذت من خلالها اسرائيل لتخريب الزراعة وتدمير المحاصيل التى تمثل جزءاً من الإنتاج المصرى التقليدى عالى الجودة فى زراعة مصر ، ولعل حوادث اجتياح المياه الراكدة بالمصارف وبحيرات شمال الدلتا فى أواخر عام 1991 خير دليل على ذلك .

2- مشروعات التطبيع

سعت الولايات المتحدة الأمريكية ، فى أعقاب زيارة السادات لإسرائيل بكل ثقلها من أجل تنفيذ مخطط الإختراق الاسرائيلى تحت مسميات التطبيع والتعاون المشترك ، سواء بين مصر و اسرائيل وأمريكا ، وكان ذلك أوضح ما يكون فى قطاع الزراعة ، وكان قد تأسس في عام 1977 الصندوق الأميركي الإسرائيلي المشترك للبحث والتطوير ، وأنفق خلال عشر سنوات أي حتى عام 1987 حوالي(63) مليون دولار على 374 مشروعاً لإدارة المياه ووسائل تحسين الإنتاج الزراعي وتطوير أنواع من النباتات ذات قدرة على مقاومة الجفاف .

وأقر الكونجرس الأميركي برنامجين للمساعدات لتمويل المشروعات العلمية في مجال استصلاح الأراضي الزراعية والنباتات والمحاصيل الزراعية بين إسرائيل والدول العربية.

وتضمن التقرير الذي وضعه وفد غرفة الصناعة المصرية بعد عودته من زيارة قام بها لإسرائيل موقف إسرائيل في مجال الزراعة مع مصر أنه"يمكن بناء تعاون زراعي بين البلدين مبني على الخبرة الإسرائيلية .. وفيما يلى نبذه عن مشروعات التطبيع فى مجال الزراعة .

أ - المشروعات الثلاثية :

مشروع زراعة الأراضى القاحلة ، كان أول مشروعات التعاون الثلاثى ، فى محال الزراعة بين وزارة الزراعة المصرية وأمريكا واسرائيل ، وقد مثل الجانب الأمريكى فيه جامعة سان دييجو ومثل اسرائيل جامعة بن جوريون ، وقد تم التوقيع على الاتفاق التنفيذى لهذا المشروع فى مايو من عام 1982 وتضمن ثلاثة أنشطة رئيسة للتعاون بين أطراف الإتفاق وهى :

- زراعة النباتات فى الظروف الملحية .
- زراعة نباتات المراعى وتربية الماعز والأغنام .
- زراعة النباتات التصنيعية .

وكانـت مـدة المشـروع خمسـة أعـوام بميزانيـة بلغـت 5 ملايـين دولار وتضـمن الإتفاق الخاص بهذه الإتفاقية تشكيل لجنة توجيهية للمشروع تتكون من ستة أعضـاء بواقـع عضـوين لكـل طـرف ، واتفقـت أطـراف المشـروع الثلاثـى علـى عقـداجتماع علمـى للمشـروع سـنويا علـى أن يـتم الاجتمـاع الأول بالولايـات المتحـدة خـلال الفتـرة مـن2 – 6 يونيـو 1984 وأن يكـون اللقـاء الثـانى بالاسكندرية

وقد عقد هذا اللقاء خلال الفترة من 15 إلى 22 يناير 1986 .. ونظرا لأهمية المشروع من وجهة النظر الأمريكية ، فقد وافقت وكالة التنمية الدولية الأمريكية على مد البرنامج الزمنى للمشروع بمقدار 125 ألف دولار بداية من العام الرابع للمشروع بدأت بعد ذلك مرحلة ثانية من المشروع تنتهى فى عام 1990 .

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى مايلى :

أولا : أن بيوت الخبرة الأمريكية والإسرائيلية قد أستأثرت لنفسها بإعداد دراسات الجدوى لمشروعات البرنامج وذلك يعنى إتاحة الفرصة الكاملة لها للحصول على المعلومات الأساسية الخاصة بموضوعات البحوث التى يتضمنها البرنامج باعتبار أن المعلومات هى أساس عمل دراسات الجدوى .

فمن يضمن أن هذه المعلومات التى حصل عليها الأمريكان والصهاينة وهى معلومات كثيرة ومتنوعة لم تسخر ضد أمن مصر القومى فى قطاع الاقتصاد الزراعى ؟

ثانيا : نود أن نشير أيضا إلى أن المرتبات والمكافآت وبدلات السفر التى تقاضاها الخبراء الاسرائيليون من ميزانية المشروع قد بلغت حوالى 600 ألف دولار فى العام ، وهكذا فإن ماسمى بالمساعدات وبرامج المنح التى تقدمها أمريكا هى فى الحقيقة أشياء تعطى باليمين ليأخذها الخبراء الأمريكان أو الصهاينة باليسار .

ثالثـا : إن إسـرائيل – ولـيس مصـر – هـى أول المسـتفيدين مـن برنـامج المساعدات الذى يقدم لمشروعات وبرامج وأبحاث تنمية الزراعة المصرية .
وليس أدل على ذلك من أن الجزء المتعلق بمشروع الأراضى القاحلة والذى جرى تنفيذه فى صحراء النقب المحتل قد ترك آثاراً إيجابية على الثروة الحيوانية ونباتات إسرائيل وقد أعرب الصهيونى ريتشارد براون مدير برنامج المساعدات الأمريكية فى مصر عن شكر حكومة العدو الإسرائيلى لمشروعات البرنامج ، وهو مايؤكد أن مشروعات هذا البرنامج لم تتم فقط فى مصر ولكن أيضا فى فلسطين المحتلة .
رابعا : إن اتفاقيات التعاون بين وزارة الزراعة واسرائيل والولايات المتحدة كانت تستهدف ضمن ماتستهدف إيصال مياه النيل عبر سيناء إلى النقب وهو الأمر الذى يؤدى إلى انتعاش الاقتصاد الإسرائيلى فى تلك المنطقة ، وتسهم فى حل مشكلتها المائية التى تهدد وجودها على الأمد الطويل .
ولم يتوقف مشروع التعاون الثلاثى عند هذا الحد ، فقد كان مشروع الأراضى القاحلة عاملاً رئيساً فى حرمان مصر من زراعة الساحل الشمالى غرب الإسكندرية بمسافة ممتدة أكثر من 160 كيلو متراً بمحاصيل الحبوب والثمار الزيتية الآن ، حيث أقنع الأمريكان والصهاينة د. يوسف والى ورجالات التطبيع بوزارة الزراعة المصرية أنه بدلا من زراعة السهل الساحلى فإن من الأفضل إقامة مراكز بحثية على امتداد الساحل لزراعة نباتات الصحراء والمراعى وتربية سلالات من الأغنام والماعز الإسرائيلى ، وإقامة مزارع للبط والدواجن تعتمد على سلالات جرى استنباطها وتهجينها بمعرفة خبراء اسرائيلين بالمجالات البيطرية .. وكانت الكارثة من هذا التعاون الذى تم فى منطقة الساحل الشمالى وهو ماتعرضه الوثائق المرفقة مثل انتشار أمراض الطفيليات الديدانية وطفيليات الدم الأولية والحويصلات والديدان الشريطية والديدان الكبدية بالثروة الحيوانية فى مزارع وزرابى تلك المنطقة ونفوق أعداد غير قليلة من

أغنام منطقة الساحل الشمالى قدرت بمئات الآلاف من أغنام البرقى التى يربيها عربان الساحل الشمالى ، وهو مانشر بوسائل الإعلام فى أوائل عام 1991 والتزمت وزارعة الزراعة حياله الصمت آنذاك .

ولم تتوقف الكارثة ولم يتوقف الاختراق عند هذا الحد .. حيث طالبت أمريكا أيضا فى إطار التعاون الثلاثى مع مصر بمجال الزراعة وبمشاركة إسرائيل أن يجرى اختيار باحثين بيطريين مصريين لتسجيل رسائل الماجستير والدكتوراه بإشراف أساتذة أمريكيين أو اسرائيليين فى أحد مجالات تربية المواشى والثروة الداجنة على أن يجرى الباحث جزءا من دراسته بمصر ويقضى سنة أو سنتين فى واشنطن لاستكمال الجزء الأخير من رسالته .

وبالطبع فإن هذه الرسائل والتى تقوم بتمويلها واشنطن تحت اسم منح السلام تشترط أن يكون موضوعها متناولا لقضايا الثروة الحيوانية والداجنة وما يتعلق بها فى مصر .. وخروج هذه المعلومات من مصر – تحت دعاوى أنها رسائل علمية سيشرف عليها أساتذة أمريكان وصهاينة فى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية – يعنى وصول هذه المعلومات إلى من تتعارض مصالح مصر الوطنية وأمنها القومى معهم .

ب- مشروع التبادل التكنولوجى

فى الأول من أكتوبر عام 1984 أبرمت اتفاقية ثلاثية بين مصر و أمريكا وإسرائيل تتعلق بالتعاون بين قطاعات الزراعة ومؤسساتها العلمية فى الدول الثلاث من أجل تحقيق الاستفادة بالتكنولوجيا المتطورة فى تنمية الثروة الزراعية الحيوانية والاستفادة من تكنولوجيا الطاقة الشمسية فى مجالات الزراعة المختلفة ، وقد تعهدت الولايات المتحدة بتمويل هذا المشروع تشجيعا لمصر على المضى فى خطط التطبيع والسلام مع اسرائيل ، ويتم وضع أهداف محددة لاتفاقيات التعاون الثلاثى والتبادل التكنولوجى منها :

(1) التكثيف الزراعى والحيوانى .

(2) استخدام النباتات الصحراوية فى الأغراض الطبية .

(3) استخدام الطاقة الشمسية فى مجالات الزراعة .

(4) تقييم نظم التبادل التكنولوجى .

وقد حددت لهذا المشروع مدة زمنية مقدارها أربعة أعوام ، تم اختصارها إلى ثلاثة أعوام على أن تتبعها مراحل الأخرى وتم تشكيل لجنة تنسيقية للمشروع يمثل فيها كل بلد من البلدان الثلاث بعضوين على أن تعقد اجتماعاتها دوريا فى كل من مصر و اسرائيل بالتناوب .

ويجدر أن نشير هنا إلى التقارير الحكومية المصرية وبينها تقرير الشعبة رقم 12 بالجهاز المركزى للمحاسبات الصادر بتاريخ 1987/7/27 الذى ينفى تماما استفادة الزراعة المصرية تكنولوجيا من هذا المشروع وأنه أدى لنتائج فاشلة فى مجالات استخدام الصوب وتعقيم التربة والرى بالتنقيط .

لقد فشلت استراتيجية وزارة الزراعة فى عهد الدكتور يوسف والى فى إقامة خمسين ألف فدان من الصوب الزراعية خلال عشرة أعوام والتى أعلنت فى بدايات التطبيع ولم يتعد عدد الصوب الزراعية التى تم إقامتها خلال تلك الفترة عشرة آلاف صوبة .. ويرجع ذلك بالأساس للأخطار المدمرة على الزراعة المصرية نتيجة إستخدام الصوب حيث إنها تعتبر مكلفة اقتصاديا ، وناقلة للأوبئة والأمراض النباتية وبيئة خصبة للحشرات الضارة بالنباتات .

يقول الكاتب الصحفى صلاح بديوى فى سلسلة دراساته المهمة عن التطبيع الزراعى : " لقد كانت وزارة الزراعة – تحت دعاوى التكنولوجيا وتطبيقات العلم – تدعى بأنها فى سبيلها إلى إنجاز زيادة بالإنتاجية للأراضى التى تم استصلاحها خلال الثلاثين عاما الماضية ب 1.5 مليون فدان ، ويجمع الخبراء والباحثون الذين التقينا بهم خلال مرحلة جمع المعلومات بأن 300 ألف فدان فقط من إجمالى المساحة المستصلحة وصلت الى الحدية الانتاجية بينما باقى المساحات مهددة بالتصحر ، وأوضح مثال على ذلك انهيار مشروع الصالحية

وتصحره وعرضه للبيع فى الوقت الذى تهدد فيه المبيدات و المياه الجوفية خصوبة الأراضى القديمة والجديدة ، ولعلنا لمسنا خطورة ذلك مؤخرا .

وبخصوص دور المشروع فى التركيب المحصولى وتقييمه الاقتصادى فقد وضع الأمريكان والصهاينة عدة أسس لهذه الجزئية تتمثل بالآتى :

(1) إدخال سلالات القطن الأمريكى والإسرائيلى قصير التيلة بمزارع تجريبية بالنوبارية والفيوم ومريوط ؛ تمهيدا لإحلالها محل الأقطان المصرية طويلة التيلة بحجة أن الفدان قصير التيلة الأمريكى ينتج قدر عشرة أفدنة من الأقطان المصرية طويلة التيلة ويمكث فترة أقل بالتربة مما يتيح لمصر زراعة محاصيل أخرى على حساب مساحات القطن والتى ستقل عند تعميم زراعة القطن الأمريكى .

(2) تطوير زراعة الخضر والفواكه عبر هندسة الجينات المعاملة وراثيا والتى تتمثل فى بذور وشتلات تنتج عند زراعتها أضعاف أنواعها التقليدية وهذه الزراعات ستختصر المساحات المزروعة منها إلى حوالى 50 ألف فدان تقريبا .

(3) الإتجاه لزراعة محصول البنجر محل قصب السكر ، لأن البنجر لا يستهلك كميات مياه كبيرة ، وتجريب زراعة نباتات الكاينولا – زيت الشلجم بدلا من نباتات الزيوت الأخرى .

وإذا كان مشروع تبادل التكنولوجيا قد أدخل سلالات من الكتاكيت والدواجن للمزارع المصرية وطرقا حديثة لتربيتها ، فإنه جلب لمصر ترسانة من مستلزمات إنتاجها المستوردة والملوثة .

وحرص الصهاينة والأمريكان على إدراج النباتات الطبية التى تنمو تلقائيا والمنتشرة فى الصحراء المصرية والإستفادة منها ، وبإلحاح غريب يعكس نواياهم العدوانية للسطو على أسرارها وتصنيعها ببلادهم .

ج – مشروع المجمع الزراعى الصناعى بمريوط

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على طرح فكرة هذا المشروع والذى بدأ تنفيذه منذ عام 1990 على مساحات تمتد ل 250 ألف فدان بتمويل أمريكى وباشتراك خبراء واشنطن والكيان الصهيونى ومصر ، واشترطت اتفاقياته استيراد مستلزمات الإنتاج الخاصة به من بذور وشتلات وآلات ومعدات خاصة بمصانعه من الكيان الصهيونى .. ويهدف هذا المشروع إلى انشاء أول تجمع زراعى صناعى ضخم من نوعه بين الكيان الصهيونى ومصر منذ بدأت خطوات التطبيع يعتمد على إنتاجيته زراعيا وتصنيعيا بالمستقبل .

د- **المشروعات الثنائية**

(1) تجارب إستخدام طرق الرى الحديثة :

هذا النوع من المشروعات هو شكل من أشكال التعاون الثنائى بين مصر وإسرائيل ، كان يتم فى نطاق ضيق وفى حدود التجارب ، بُدئ العمل به بناء على اتفاق موقع بين وزارة الزراعة المصرية و شركة اجريديف التابعة لوزارة الزراعة الأسرائيلية فى ديسمبر عام 1981 ، ويمول هذه المشروعات الحكومة الهولندية عبر شركة آجرولاند للمشروعات الزراعية وهى شركة يمولها رأس المال الإسرائيلى .. وتم تنفيذ تجارب هذه المشروعات مبدئيا على مساحة 36 فدانا بمنطقة الجميزة بمحافظة الغربية ، حيث تم تطبيق أسلوب الرى بالرش والرى بالتنقيط على زراعات الخضر بهذه المساحات ، وطبقا لما ألزمت به اتفاقيات التطبيع مصر ، فإن التجارب استمرت فى الفترة من 1979-2011 تتكرر بمناطق مختلفة بأرجاء مصر ، حيث نفذت التجربة التالية فى مزرعة تابعة لشركة نوباسيد بمنطقة غرب النوبارية على مساحة 50 فدانا وأطلق عليها جميزة (ب) وتتابعت التجارب.

(2) المشروع المصرى الأمريكى للأبحاث الزراعية (النارب) :

تحرص دائما واشنطن خلال مشروعاتها الثنائية مع مصر أن تشرك مع خبرائها عدداً كبيراً من العلماء الصهاينة ، ومشروع النارب أحد هذه المشروعات .

وقد خصص الجانب الأمريكى – من خلال الوكالة الأمريكية للتنمية – لمشروع النارب 300 مليون دولار أمريكى بخلاف ما خصصته الحكومة المصرية ، ويهدف المشروع كما زعمت الامريكان إلى تنمية وتحديث الزراعة المصرية وتطوير معلومات الباحثين الزراعيين بمركز البحوث الزراعية والجامعات المصرية .

بدأ المشروع فى عام 1989 وضم خمسة مجالات للعمل هى : البحوث الزراعية ، التقاوى ، السياسة الزراعية ، المبادرات الزراعية الجديدة ونقل التكنولوجيا الزراعية .

(3) مشروعات الإنتاج الزراعى والائتمان :

يدخل هذا المشروع ضمن إطار المشروعات الثنائية بين مصر والولايات المتحدة وهو تكملة لمشروع المزارع الصغيرة والذى بدأته واشنطن مع بنك التنمية والائتمان الزراعى أوائل الثمانينات ، ومن خلاله نجحت فى خلق طبقة جديدة من كبار الملاك موالية لها أحكمت قبضتها على سياسة الائتمان الزراعى ، ثم طرحت فكرة مشروع الإنتاج الزراعى بعد ذلك بهدف الهيمنة المطلقة على مسار السياسة الزراعية بمصر – ورصدت له 130 مليون دولار تمنح على مرحلتين .. وعموما فهذا المشروع كانت تديره وتخطط له وتعزز بنود الصرف وتقيم أداءه حاليا مجموعة عمل أمريكية إسرائيلية مشتركة تابعة لشركة كيمونكس الأمريكية للاستشارات الدولية ، وهى شركة مكلفة من قبل الحكومة الأمريكية بإدارة المشروع ، وكان يرأس هذه المجموعة المشتركة فى التسعينات هيرمان آليس وله الكلمة العليا بإدارة المشروع.

هـ – آثار المشروعات ضد زراعة مصر

لقد كان لمشروعات التطبيع الثنائية و المشتركة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيونى ومصر أثار مدمرة ضد زراعة مصر ، ذكرها العالم د . مصطفى الجبلى وزير الزراعة السابق فى بحث له عن آثار المعونة الأمريكية

علـى الزراعـة المصـرية ، فأشـار نصـاً : " والشــيء المفـزع فـى هـذه المعونـة الأمريكية – لمشروعات التطبيع – أن 40 – 50 % من قيمة أموالها تعود فى النهايـة إلـى جيـوب الأمريكـان و الصــهاينة ، كمـا اشـترطت واشـنطن نظيـر معونتهـا أن تكـون الآلات والسـلع المتحصـل عليهـا أمريكيـة – ومهمـا زادت أسـعارها عـن بـدائلها بالأسـواق الاخـرى – فـى الوقـت الـذى لا يسـمح فيـه الأمريكـان لمصـر بتصـدير سـلع متـوفره لـديها إلـى أسـواق الولايـات المتحـدة ، ويشـترط الأمريكـان أيضـا انفـاق جـزء كبيـر مـن مسـاعداتهم علـى مزيـد مـن الدراسات والأبحاث بهدف الحصول على أكبر قدر من البيانات حول الهيكل الزراعـى المصرى مما يهم الجانب الأمريكى الوقوف عليه ، بينما ينفق جزء صـغير من المعونـة الأمريكية على تنفيذ برامج محدودة الأثر ، والجزء الباقى يستخدم فى استيراد سلع غذائية كالقمح والدقيق والذرة والزيت وغيرها . "

ولـم تسـهم واشنطن بشكل ملحوظ فـى رفـع إنتاجيـة محاصـيل الحبـوب الرئيسـة بمصـر أو السكريات أو الإنتـاج الحيـوانى ، واتخـذت موقفـا سـلبيا مـن التوسـع الأفقى فى استصـلاح الأراضـى .. وأدى ذلك إلـى ازدياد الفجوة الغذائيـة لمصـر والتـى قفـزت عـام 1984 إلـى 6.5 مليـون طـن قمـح ، 650 ألـف طـن سـكر ، 400 ألف طن زيت و 1.5 مليون طن ذرة .

كمـا حـاول الأمريكـان والصــهاينة إقنـاع مصـر بفكـرة الثـورة الخضـراء وغـزو الصـحراء فـى السبعينيات ، وحرصـوا طـوال عقد الثمانينات من القرن الماضـى علـى التـرويج لعلـم هندسـة الجينـات والهندسـة الوراثيـة وأغرقـوا – مـن خـلال شركاتهم العاملة بمصر وبعض مكاتب التصدير والاستيراد المصرية المتعاملة معهم – الأسواق المصرية بالبذور والشتلات والمخصبات والأسمدة والهرمونـات المعاملـة وراثيـا وجينيـا وبجوارهـا أجهزة الـرى الحديثـة ، وكانـت النتيجـة انتشـار الأمراض متعددة الفصائل والجنسيات وسط زراعات مصر وبأراضيها ، وتلوث

مياها ، وعدوى الفيروسات التى أصابت المواشى ومزارع الدواجن و خلايا النحل بها .. كل ذلك حدث من خلال مشروعات التطبيع المشتركة .

يقول د . محمد طلعت الأبراشى عالم اليونسكو ورئيس قسم فسيولوجيا الحشرات بالمركز القومى للبحوث : إن هندسة الجينات كما اعترف كبار العلماء فى العالم و كما ذكرت كبريات المراجع العلمية هى مجرد خدعة تكنولوجية ابتكرها الأمريكان والصهاينة ليستفيدوا من أسرارها لصالحهم ويطوعوها لتعمير زراعات العالم الثالث ليظل تابعا لهم ، وهى أكثر فتكا من خدعة الثورة الخضراء والتى ابتكروها من قبل وفشلت ، وهندسة الجينات وتأثيرها مدمرة على التنوع الوراثى والصحة العامة والتوازن البيئى " .

ويضيف : " نعم فإن الهندسة الوراثية عندما استخدمت بمصر قد أدت بالفعل إلى زيادة الخضر وبعض الفواكه ومن قبل زاد إنتاج القمح والأرز ، ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟

أعطت سلالات التقاوى والشتلات المستخدمة زيادة كبيرة فى المحصول بالعام الأول ، ثم تضاءلت فى العام الثانى ، وتفشت الأمراض بعد ذلك بالزراعة المصرية فى الوقت الذى حدثت فيه علامات تدمير للتربة ، أدت إلى تلوثها نتيجة للمركبات الكبريتية و الكيميائية المستخدمة مع السلالات عند زراعتها ، ومن حيل الصهاينة والأمريكان أنهم ينتجون دائما سلالات بديلة عن السلالات الفانية ، حتى عندما تصل السلالة السابقة لها للمرحلة المرضية تضطر الدول النامية لشراء السلالات الجديدة ومعها بقية مستلزمات الإنتاج المخصبة لها " .

وفى عام 1989 وحده ، ضبطت سلطات الأمن المصرية 466 قضية تداول للمبيدات والمخصبات الملوثة قدرت بحوالى 189 طنا تبلغ قيمتها مليونى جنيه ، منها 47.5 طن تقاوى ملوثة و مخصبات ومبيدات اسرائيلية مهربة لمصر .. ورفع مدير زراعة محافظة الإسماعيلية وقتها تقريرا للدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة أوضح خلاله بأن المزارعين الذين استخدموا

التقاوى الاسرائيلية ظهرت بزراعاتهم مخاطر وآثار جانبية كبيرة على الأرض والمحاصيل وصحة الإنسان والحيوان ، لأن بعض هذه التقاوى والبذور بها نسبة كبيرة من الملوثات مما يؤدى لظهور أمراض مثل الفشل الكلوى وغيره ، ووقتها اعترف رئيس قسم اعتماد التقاوى بمحافظة الاسماعيلية بأن اسرائيل تدفع فى البداية بأصناف تقاوى جيدة يعتاد عليها المزارع المصرى ثم تزوده بالتقاوى التالفة ؛ فتنتشر بعدها الأمراض كما حدث لبذور الخيار و الطماطم الاسرائيلية بمحافظات الفيوم والاسماعيلية والشرقية .. وقد ثبت لجميع الخبراء أن بذور طماطم (نعمى وريتا) الاسرائيليتين قد أدتا عند زراعتهما بالفيوم بموسم 1989 إلى نشر مرض فيروس البذور والذى تحمله الذبابة البيضاء بمساحات تعدت 82 ألف فدان .. كما نجحت إسرائيل في تدمير سلالة طماطم ادكو التي تتحمل الملوحة 6 آلاف جزء في المليون .

كما ثبت لوزارة الزراعة رسميا أن طفيل " الفاروا " – والذى زحف على مناحل النحل بسيناء فأباد خلاياها – انتقل إلى الوادى بواسطة تهريب الملكات من اسرائيل ، وقد تسبب فى إصابة 80% من خلايا النحل ، وهو طفيل يتغذى على دماء الشغالات ، ولا تزال وزارة الزراعة عاجزة منذ عام 1987 – وهو العام الذى تسرب فيه الطفيل من الكيان الصهيونى – عن مكافحته أو القضاء عليه.وأكدت تجارب زراعة شتلات الأقطان الأمريكية وبذورها بأنها مصدر كبير لنقل عدوى الآفات للزراعات المصرية ، وقد تسببت زراعتها فى عام 19990 بالمنوفية والأعوام السابقة .

بالنوبارية و الفيوم فى إعدام محصولها بعد نضجه خشية تسربها للمحاصيل المصرية ، الأمر الذى جعل المسئولين عن الزراعة بمصر يتنكرون لفكرة زراعة الأقطان الأمريكية .

وفيما يلى استعراض لتاريخ مصر مع القطن منذ الستينيات حتى يتبين لنا خطورة ماحدث لأقطاننا خلال سنوات التطبيع والضياع ، ففى نهاية الستينيات

وبالتحديد موسم 1970/69 كان إنتاجنا من القطن يقدر ب 10.4 مليون قنطار تم تصدير 5.8 مليون قنطار منه واستهلاك 2.7 مليون قنطار داخل مصر .
وفى موسم 1981/80 كان إجمالى صادرات مصر من القطن 4.5 مليون قنطار ، ومنذ هذا العام بدأ الانخفاض التدريجى للقطن المصرى إلى أن بلغ مداه فى عام 1989 حيث انخفض الإنتاج من 7.3 مليون قنطار فى عام 1978 إلى 5.3 مليون قنطار فى عام 89 أى نسبة انخفاض تقدر ب 20.6% بينما ارتفعت حاجة السوق المحلية لتصل إلى 6 ملايين قنطار مما حدا بالدولة إلى استيراد أكثر من مليون قنطار من القطن الأمريكى .
ومن المضحك المبكى أنه فى عام التطبيع الأول 1981 كانت صادرات الأمريكان من القطن إلى مصر لا يتجاوز 30 ألف بالة واسرائيل لا تزرع سوى مساحات محدودة من القطن ، وبعد تجاربهم بمصر وتنفيذهم لمخططهم المشترك بلغ إجمالى مانستورده من أمريكا عام 1991 ما يقرب من مليون وربع قنطار ووصل بنا الحال إلى إرسال وفود للكيان الاسرائيلى لاستيراد قطن منه .
وعلى الرغم من اكتشاف وزارة الزراعة لخطورة ماقترفه هؤلاء المخربون بالأقطان المصرية من جراء تجاربهم والتى لا تزال مستمرة مع التطبيع إلا أن هؤلاء المخربين كانوا كالحرباء ، فغيروا من أسلوبهم ، وأقنعوا المسئولين عن الزراعة فى بلادنا باستخدام وإدخال الهندسة الوراثية أو " هندسة الجينات " لزيادة إنتاج القطن المصرى وتحسين سلالاته .
وفى عام 1987/86 قررت اللجنة الزراعية المصرية الاسرائيلية العليا برئاسة الصهيونى ابراهام كاتز أوز وزير زراعة الكيان الصهيونى ونظيره بالحكومة المصرية بالتنسيق مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية تشكيل مجموعات عمل تضم خبراء من جامعة سان دييجو الأمريكية ومركز البحوث الزراعية و الجامعة العبرية وذلك للقيام بتطوير سلالات القطن المصرى بالمعالجة الوراثية عن طريق هندسة الجينات وتبادل الزيارات والخبرات بين الجهات الثلاث ،

واتفقت الولايات المتحدة الأمريكية مع مصر على استيراد شتلات وبذور وأقطان معاملة وراثيا من الكيان الصهيونى .

وفى أواخر عام 1987 ، غادر القاهرة وفد مكون من من ثلاثة خبراء مصريين متوجها إلى تل أبيب للإشراف على عمليات تصدير أقطان متوسطة التيلة إلى مصر .

وإزاء استمرار تدهور محصول القطن المصرى و إخفاق تجارب زراعة القطن الأمريكى و الشكوك التى ساورت المسئولين بمصر حول دورهم ، طرح الأمريكان على المصريين مشاركتهم فى زراعة البذور الأمريكية للقطن والتى تقاوم أمراضه وآفاته بمصر .. ومازالت التجارب فى أرض المحروسة مستمرة .

ونموذج آخر لما ارتكبه الصهاينة من تخريب فى الزراعة وعلي سبيل المثال – لا الحصر – فبالقرب من الأقصر كيبوتس مقام علي مساحة 15 فدانا ويتم تنفيذه لتطوير زراعة قصب السكر عبر معدات ري حديثة وذلك بواسطة خبراء إسرائيليين .. المدهش أن حشرة القصب القشرية والتي باتت تهدد محصول السكر لم تظهر إلا بعد عام من مجيء الخبراء الإسرائيليين العاملين بهذا الكيبوتس .

كما نجحت إسرائيل عبر المشروعات البحثية المشتركة في تدمير السلالات المصرية وحصلت علي صنف الدواجن الشركسي عارية الرقبة التي تتحمل الحرارة العالية والموجودة بصعيد مصر والماعز المصري النوبي المشهور بولادة التوائم .

ز – أبرز الشركات الاسرائيلية الزراعية التى عملت فى مصر :

الزمت اتفاقات تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل الحكومة المصرية بالسماح للشركات الاسرائيلية بفتح مكاتب لها وممثلين ووكلاء من أجل تحقيق التعاون في مختلف المجالات، ومن أبرز الشركات التي سعت إلى إقامة مكاتب لها في مصر وتعيين ممثلين ووكلاء لها شركات أجرديف وكارمل وأكنوع وكلال..

أيضا لقد جاءت الى مصر مع الانفتاح ثم مع التطبيع شركات صهيونية تعمل وتمارس نشاطها من عواصم أوروبية .. وقد قامت هذه الشركات بفتح مكاتب لها في القاهرة ونذكر منها شركات سيبا جايجي وآجرولاند.

* إذن فقد كان من اليسير جداً علي جهاز الاستخبارات والمعلومات الاسرائيلي (الموساد) وعبر هذه الشركات ومكاتب تمثيلها وفروعها الحصول على المعلومات الخاصة بقطاع الزراعة وإنتاج الغذاء بمصر، خاصة وان هذه الشركات قد نجحت في توثيق علاقاتها التجارية مع عدد من رجال الأعمال المصريين.

وخلال أعوام التطبيع وما قبلها ومنذ سنوات الانفتاح ، استخدمت وزارة الزراعة 12 مبيداً تعرف عالميا باسم (دستة الأشرار)، كان وراء إرسالها لمصر هذه الشركات بطرق مباشرة وغير مباشرة. وهذه المبيدات تتسبب في إصابة الإنسان بالعقم والسرطان وتشوه الأجنة. وأشارت منظمة الشبكة الدولية لتاثير المبيدات (البان) – وهي منظمة شعبية إنسانية دولية مقرها الفلبين تضم علماء محايدين – بأن مبيدات دستة الأشرار أشرف على تصديرها للعالم الثالث 13 معهدا دوليا من خلال الشركات الصهيونية العملاقة متعددة الجنسيات ، وهذه المعاهد والشركات التي تهيمن عليها الصهيونية العالمية تعمل تحت ستار مشروعات دولية لخدمة الثورة الخضراء، وفيما يلي انواع وأسماء تلك المبيدات :

(1) داي . بروموكلوروبربان (د ب ك ب) : يتسبب في اصابة الذكور بالعقم، ويتسلل للمياه الجوفية ويلوثها وقد أثبتت تقارير وزارة الزراعة الأمريكية منذ 25 عاما أنه مسؤول عن تسمم آبار المياه الجوفية وعلى إثر ذلك تم اغلاق عدد من الآبار ببعض الدول عقب تلوثها.

(2) ايثيلين داي – برومايد (ا د ب) : وهو مبيد يؤثر على خصوبة الذكور والإناث ، ويسبب السرطان ويستخدم لتعقيم الحبوب والرش على اشجار الموالح وينفذ بأعماق الأرض للمياه الجوفية.

(3) . (4) كلوردين / هيتباكلور: يتراكمان بالخلايا البشرية ويتسببان بالإصابة بالسرطان.

(5) إتش . سي . إتش / ليندين : يباع بالأسواق رغم حظره عالميا ، وله تأثير ضار على أعصاب البشر والحيوانات ، كما أنه يستخدم على نطاق واسع في الزراعة.

(6) كامفيكلور (توكسافين) : يمكن امتصاصه عن طريق البشرة ويتسبب في قتل أي شخص يبتلعه ، فضلاً عن أنه سام جدا للأسماك وينتشر بمساحات كبيرة بمجرد رشه كما انه يتراكم بخلايا الحيوانات.

(7) ألدرين / داي . إلدرين / إندرين : يصيب بالسرطان وأعراض مزمنة خطيرة ويتبقى بالجو فترات طويلة عقب استخدامه وقد عثرت بعض الشركات على آثاره بمياه الأمطار والتربة – والمسطحات المائية والحاصلات الغذائية.

(8) د، د ، تي : يوجد حاليا بكافة الأغذية والكائنات الحية، ويزداد تأثيره السام بتراكمه في الجسم مع كل مراحل التغذية.

(9) تو . فور . فايف . تي : يبيد الأعشاب لأنه يحتوي على مادة الديوكسبين القاتلة لها ، ويشتبه في إحداثه لتشوهات بالاجنة عند الولادة ، وخلال حرب فيتنام استخدمه الأمريكان ضد ثوار فيتنام بالغابات.

(10) – (11) الباراثيون – وباراكات : مسؤول حاليا عن قتل نصف الحشرات في العالم كمبيد لحشرات القطن، ومعروف أن الشركة الوحيدة التي تنتجه بالعالم هي شركة سيباجايجي ومقرها الرئيس سويسرا وهي شركة يهيمن عليها رأس المال الصهيوني ، وحاليا لها بمصر ثلاثة مراكز هي : محطة الابحاث بقها، والمنفذ التجاري والمكتب العلمي .

وجانب آخر من الحرب البيولوجية التي تشنها إسرائيل تحت ستار التطبيع الزراعى ويتعلق بالهرمونات النباتية او منظمات النمو التي أغرقت بها الأسواق المصرية بواسطة شركات العدو الموجودة بمصر مثل آجريديف الإسرائيلية ،

ويستخدم هذه الهرمونات خلال الفترة (1979–2011) 75% من زراع الخضر والفاكهة وهي مادة صنعتها هذه الشركات . على غرار هرمونات النباتات الطبيعية. وعند رشها للنباتات تؤدي لازدهارها ونموها واثمارها ونضجها وتلون وتضخم ثمارها وخطورة هذه الهرمونات أنها تتراكم بالثمار في صورة مواد كيماوية وتنتقل للانسان والحيوان ، ويمكن أن تسبب السرطان والعقم وامراض القلب على المدى الطويل.

لقد سعت اسرائيل من خلال مشروعات التطبيع فى قطاع الزراعة المصرية إلى تحقيق أهداف سياسية واستراتيجية ، ترمى إلى تدمير الزراعة المصرية وليس تنميتها وبدا ذلك واضحا من خلال إصابة محاصيل الفراولة والقطن ومناحل العسل ومزارع الدواجن بأمراض خطيرة ، نتيجة لما يسمى بالتعاون المصرى الاسرائيلى ، حيث زودت اسرائيل قطاع الزراعة المصرى (بتقاوى وشتلات زراعية) حاملة للأمراض كما أمدت اسرائيل قطاع الثروة الداجنة بأعلاف و أدوية وكتاكيت ملوثة ، أدت إلى زيادة أمراض الدواجن فى مصر من ثلاثة أمراض قبل التطبيع إلى واحد وعشرين وباء بعد عشرة أعوام فقط من عمر التطبيع ، كل ذلك تم فى عهد وزير الزراعة الأسبق د. يوسف والى الذى كان يعد بحق رجل إسرائيل الأول فى قطاع الزراعة ، وإليه يعود (الفضل) – إذا سمى فضلاً – فى أكبر عملية تدمير للزراعة المصرية خدمة لإسرائيل التى حرصت على ابقائه فى منصبه لأكثر من 25 عاماً ، فماذا عنه ؟ .

***

ثالثاً : يوسف والي ودوره فى التطبيع الزراعى مع إسرائيل :

رغم أن التطبيع مع إسرائيل، بأشكاله المتعددة، هو في الأساس قرار سيادي يصدر من رئيس الجمهورية، ورغم أن الوزراء في النظام المصري لا يتعدون منزلة(السكرتارية) التي تنفذ كل ما يراه الرئيس، ونادراً ما يتحرك أحدهم من

تلقاء نفسه في أي شأن من الشئون العامة، فلا يمكن إنكار الدور المحوري الذي قام به يوسف والي في مسيرة التطبيع الزراعي مع إسرائيل.

***

أولاً : بعض شهادات الإسرائيليين ليوسف والي:

" كان الدكتور يوسف والي . ولا يزال . يعتبر في نظري حتى هذا اليوم شخصية عظيمة الأهمية... وعندما قررت إعطاء أولوية للتعاون الزراعي مع إسرائيل اهتم شخصياً بهذا الموضوع، واختار لرئاسة مكتبه شاباً صغيراً حاصلاً على شهادة جامعية في اللغة العبرية .لقد طلب من السفارة أن ترتب له الاطلاع على الجرائد اليومية الإسرائيلية، وكلف سكرتيره بإبلاغه يومياً عما يجري في إسرائيل"[5].

هذا هو جزء من المديح الذي كاله موشيه ساسون (ثاني سفراء العدو الصهيوني في مصر) في مذكراته ليوسف والي، ودعونا نتأمل جيداً عبارته" شخصية عظيمة الأهمية" التي تلخص تقييم الصهاينة للوزير المصري.

يؤكد ديفيد بن سلطان – السفير الإسرائيلي الخامس في مصر 1996/1992م – الدور المحوري ليوسف والي في التطبيع مع العدو الصهيوني:" كان الدكتور يوسف والي، الذي شغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة وأمين عام الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، من المؤيدين بحماس شديد للتعاون مع إسرائيل، لإيمانه الشديد بأهمية هذا التعاون لمصر. **ولقد بذل كل ما في وسعه أثناء توليه منصبه لدفع العلاقات مع إسرائيل**، وكان من المدافعين في المناقشات الداخلية عن العلاقات مع إسرائيل"[6].

لقد تجلى مدى العلاقة الشخصية التي ربطت بين يوسف والي وموشيه ساسون حين أنهى الأخير خدمته في القاهرة وكان يستعد للرحيل غير مأسوف عليه، فقد دعاه يوسف والي لتناول كوب شاي معه في مكتبه بالوزارة مساء يوم العطلة الأسبوعية، وحين ذهب السفير فوجئ بصديقه والي قد أعد له حفل وداع

ضم كبار موظفي وزارة الزراعة، وعشرة من السفراء الأجانب، ووزيري البترول والكهرباء، وعينة من المزارعين المصريين الذين زاروا الكيان الصهيوني في السنوات السبع التي قضاها ساسون في مصر، وفي الحفل الذي تلقي فيه السفير الإسرائيلي الهدايا، وأكل من التورتة التي كانت على صورة علم الكيان الصهيوني، ألقى والي كلمة استهلها بقوله :"إننا نودع اليوم السفير الذي عمل دون توقف من أجل التآخي بين الفلاح المصري والفلاح الإسرائيلي"[7]!

كذلك تجلى إخلاص يوسف والي لأصدقائه الإسرائيليين، في مايو 1996م، حين كانت مصر تغلي في أعقاب القصف الإسرائيلي للبنان، الذي استمر أسبوعاً (11إبريل . 17 إبريل)، يومها قاطع أغلب المسئولين المصريين والمطبعين من الشعب المصري الحفل الذي أقامته السفارة الإسرائيلية بمناسبة الذكرى السنوية لقيام الكيان الصهيوني، مجاراة للغضب الشعبي، أما الدكتور والي فقد حرص على حضور الحفل ومعه طاقم مكتبه، خشية أن يُغضب أصدقاءه الإسرائيليين[8]!!

من المهم كذلك الربط بين إخلاص يوسف والي للتطبيع وصعوده الصاروخي في النظام السياسي المصري، فأستاذ الزراعة الذي كرمه السادات في 1975م صار خلال سنوات قليلة المساعد الرئيس لوزير الزراعة محمود داود في الفترة التي شهدت بداية التطبيع الزراعي، وفي أقل من عامين تولى وزارة الزراعة (في يناير 1983م)، وفي أقل من عامين تاليين، وتحديداً في نوفمبر 1984م صعد في الحزب الوطني الحاكم وصار أميناً مساعداً عاماً للحزب، وفي السنة التالية(1985م) تولى أمانة الحزب، وأصبح نائباً لرئيس الوزراء، وظل محتفظاً بمنصبه الحزبي وبوزارة الزراعة ما يقرب من عشرين سنة تالية، حتى رأى النظام أنه استنفد صلاحيته، فحل صفوت الشريف محله في الأمانة العامة للحزب في سنة2002م، وحل أحمد الليثي محله في وزارة الزراعة في يوليو

2004م، لينتهي به الحال نائباً من نواب الرئيس مبارك في رياسة الحزب الوطني، مع صديقه مصطفى خليل رمز التطبيع الشهير!! لقد انتبه موشيه ساسون نفسه لهذا الصعود وألمح إليه دون أن يتوقف عنده كثيراً[9]، بما يوحي أنه متعلق بمواهب خاصة يمتلكها يوسف والي، ولم يقل لنا ساسون أي مواهب تلك؟

استلم يوسف والي وزارة الزراعة بعد أشهر من بدء برنامج (Calar- Cooperative Arid Lands Agriculture Research Program)، وهو برنامج بحثي مشترك بين وزارة الزراعة المصرية وجامعة بن جوريون في الكيان الصهيوني، وبتمويل أمريكي، تركزت أبحاثه حول الري بالمياه المالحة، وتحسين المراعي وزراعة الخضروات والفواكه في المناطق الجافة، والزراعة في الصوبات. ولم يتغير وضع البرنامج في عهد يوسف حوالي، بل حظي برعايته طوال اثنتي عشرة سنة تالية، شارك فيه خلالها أربعون باحثاً مصرياً[10].

وفي بداية 1986م اجتمع يوسف والي بشموئيل فوهريلز على مأدبة عشاء في مقر موشيه ساسون، وفي نهاية الليلة وُضعت خطوط مشروع جميزة (ب)، ولكن في الأراضي الجديدة هذه المرة، وتحديداً في منطقة النوبارية(85كيلومتر جنوب الإسكندرية)، وبتمويل أمريكي. ووافق الوزير في الحال . بحسب كلمات ساسون . على تدريب الطلبة المصريين الذين سيعملون في المشروع في الكيان الصهيوني، وأسند إلى مساعده فؤاد أبو حطب الإشراف على المشروع من الجانب المصري[11].

وفي الاجتماع نفسه اقترح موشيه ساسون اختيار عشر قطع من الأراضي في عشر قرى محيطة بمزرعة جميزة(أ)،وإقناع أصحابها من المزارعين بالاستعانة بالـ"خبراء" الإسرائيليين في تطوير إنتاجها وأساليب زراعتها، على أن يتولى بنك التنمية الزراعية التمويل!! فوافق يوسف والي فوراً على الاقتراح[12]!!

من الواضح . على عكس ما يزعم موشيه ساسون . أن الإسرائيليين رغبوا في أن يكون نشاطهم الزراعي داخل الدلتا وليس خارجها في الأراضي الجديدة، وأنهم بمشروع العشر قطع الذي طلبوه صراحة من وزير الزراعة، أرادوا الحصول على عشر بقع تطبيعية في ثوب مصر الأخضر، تكون نقاط انطلاق للاحتكاك بالفلاحين واستمالتهم للتطبيع مع العدو الصهيوني، وفي الوقت نفسه للحصول على المعلومات والبيانات الكافية عن الزراعة المصرية وأساليبها، والاستفادة من ذلك بكل الوسائل الممكنة.ورغم الحماس من السفير الإسرائيلي ساسون، ورغم الموافقة المتحمسة من الوزير يوسف والي، فلم يتم تنفيذ مشروع العشر قطع، والأظهر أن الرفض الشعبي للتطبيع مع الإسرائيليين أو التعامل معهم كان هو العقبة الرئيسة أمام ذلك المشروع؛ لذا فقد انصبت الجهود على منطقة النوبارية.

على امتداد 35 فداناً أنشئت مزرعة نوباسيد النموذجية بالنوبارية في سنة 1987م، وتمثل الدور الصهيوني في تزويد المزرعة بالخبراء والمستشارين وإنشاء شبكة للري، وتوفير المبيدات والأسمدة والصوبات الزجاجية وبذور وشتلات الليمون والطماطم والخيار والبطيخ والفلفل التي انتشرت في كل أنحاء مصر، كما يقول الموقع الالكتروني لوزارة الخارجية الإسرائيلية[13]. وقد غرست المساحة الكبرى من المزرعة بأشجار الفواكه التي يأكلها المصريون، مثل التفاح، والخوخ، والمشمش،!! وحسب الموقع نفسه فقد وصل صافي أرباح المزرعة سنوياً في الفترة الحالية إلى 100000 دولار أمريكي.

وفي سنة 1989م بدأ برنامج مريوط المشترك بين وزارة الزراعة المصرية وجامعة بن جوريون،(Maryut Cooperative R&D Activity for Agriculture in the Desert) وعلى مدار ثماني سنوات تركزت أبحاثه حول تطوير الزراعة المكثفة في الظروف الصحراوية، وتزامنت تجاربه في مريوط المصرية وصحراء النقب الفلسطينية المحتلة[14]!!

امتدت البرامج المشتركة كذلك لمجال الإنتاج الحيواني، فتم في منتصف التسعينيات استجلاب 2500 بقرة من الكيان الصهيوني إلى منطقة الصالحية بشرق الدلتا. واستعانت وزراعة الزراعة بالـ"خبراء" الإسرائيليين في مجالات: "تحسين" السلالات الحيوانية، ومقاومة الأمراض والآفات التي تصيب الحيوانات والمحاصيل، والري بالتنقيط[15].

ولترسيخ التطبيع الزراعي وكسر المقاطعة الشعبية المصرية للكيان الصهيوني، فقد حرص الصهاينة على استقدام شباب الباحثين والمزارعين المصريين إلى الكيان الصهيوني، لحضور دورات التدريب الزراعي، كذلك أقيم في مريوط مركز للإرشاد الزراعي عقد فيه الإسرائيليون دورات تدريب للمرشدين الزراعيين المصريين.

لقد اعترف ديفيد سلطان، السفير الإسرائيلي الخامس في مصر، بأن الهدف الرئيسي من استقدام الشباب المصري للكيان الصهيوني تحت مظلة التدريب الزراعي، هو غسيل أدمغتهم فيما يخص ذلك الكيان، ودفع جهود التطبيع، وذلك حين قال: "وعلاوة على الدورات التدريبية التي حصلوا عليها، والتي منحتهم المعرفة المتخصصة، فإن هؤلاء الشباب الذين زاروا إسرائيل لأول مرة اطلعوا على الواقع الإسرائيلي وهو أمر مهم في ذاته ... ساهم التعاون الزراعي بين مصر وإسرائيل في دفع علاقات التطبيع بين الدولتين/ ووصل عدد الباحثين والمزارعين المصريين الين اتصلوا بنظرائهم الإسرائيليين إلى الآلاف. كما كانت هذه فرصة ليس فقط لتطوير العلاقات المهنية، بل للتعاون الإنساني والتعرف المتبادل على الواقع. وكانت هناك بالإضافة إلى العلاقات المهنية علاقات صداقة غير قليلة. وفي هذا الاتجاه فإن التعاون الزراعي تفوق على المجالات الأخرى التي شهدت اتصالاً بين مصريين وإسرائيليين".

لم يتوقف التطبيع الزراعي يوماً في عهد يوسف والي بوزارة الزراعة(1983-2004م)، ولم يتأثر كثيراًُ بفترات الهبوط في منحنى العلاقات

المعلنـــــة بـــين النظـــام المصـــري والكيـــان الصـــهيوني، باســـتثناء السنتين(2002ـ2004م). وفي الفترة التي شهدت توقيع اتفاقية أوسلو بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسحاق رابين(سبتمبر 1993م) وما تلاها من "هرولة" عربية تجاه الكيان الصهيوني، زاد التطبيع الزراعي نشاطاً على نشاطه، وفي ذلك يقول دافيد سلطان:" والمجال الزراعي هو المجال الوحيد الذي اتسع فيه التعاون بشكل كبير .ولقد تجسد التعاون في هذا المجال خاصة فـي مشـاركة مئـات المتـدربين المصـريين فـي دورات تدريبيـة عقـدت فـي إسرائيل"[16]. ويورد سلطان أعداد الشباب المصريين الذين سافروا للكيان الصهيوني فيما بين سنتي 1992ـ1996م على النحو التالي[17]:

السنة	عدد الدارسين في الكيان الصهيوني	عدد الدارسين في مصر	الإجمالي
1992م	114	.	114
1993م	261	.	261
1994م	602	.	602
1995م	526	200	726
1996م	466	296	762

مع مجيء حكومة الليكود بقيادة بنيامين نتانياهو في منتصف 1996م، وانتهاء شهر العسل الذي عاشه النظام المصري مع حكومتي رابين وبيريز بين سنتي 1992ـ1996م، انخفض حجم التعاون الزراعي المصري الإسرائيلي، خاصة في عدد المتدربين والدارسين المصريين الذين يوفدون للكيان الصهيوني[18]، كنوع مـن الضـغط مارسـه النظـام المصـري علـى حكـومتي نتانيـاهو وبـاراك (1996ـ2001م) لاستئناف مسيرة التفاوض.

وفي سبتمبر 2000م اندلعت انتفاضة الأقصى، وقد تصور النظام المصري في البداية أن الكيان الصهيوني سينجح في قمعها سريعاً، ولكن مع تطور المقاومة الوطنية الفلسطينية، الذي واجهه الصهاينة بمزيد من الإرهاب والإجرام، اضطر النظـام المصـري لسـحب سـفيره مـن الكيـان الصـهيوني فـي نـوفمبر 2000م،

ولتخفيض التعاون الاقتصادي مع الكيان الصهيوني، باستثناء التعاون الزراعي، فلم تنقطع الاجتماعات الدورية النصف سنوية للجنة الزراعية المشتركة، وظل الوضع على ذلك حتى أعلنت الحكومة المصرية في إبريل 2002م – عقب عملية الجدار الواقي(*) وقف كل الاتصالات الحكومية مع الكيان الصهيوني، باستثناء الاتصالات الدبلوماسية التي تتصل بالقضية الفلسطينية، وكانت المرة الأولى التي تتوقف فيها أنشطة التطبيع الزراعي.

في تلك الفترة أزيح يوسف والي عن الأمانة العامة للحزب الوطني، في مؤتمر الحزب الثامن (سبتمبر 2002م)، وعين نائباً لرئيس الحزب للشئون الداخلية، وهو منصب شرفي لا يتمتع بصلاحيات حقيقية، ثم أُبعد عن وزارة الزراعة في يوليو 2004م.

* * *

* في يوليو 2004م تولي الدكتور أحمد الليثي وزارة الزراعة، وكانت العلاقات المجمدة بين النظام المصري والكيان الصهيوني منذ إبريل 2002م، قد بدأت في التحرك مع عدة أحداث شهدتها تلك الفترة، كان أبرزها الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي عزام عزام في ديسمبر 2004م، وتوقيع اتفاقية الكويز في الشهر نفسه، ولقاء الرئيس المصري برئيس وزراء الكيان الصهيوني آرييل شارون في شرم الشيخ في فبراير 2005، فيما عُرف بالقمة الرباعية، والتوقيع على اتفاقية تصدير الغاز المصري للكيان الصهيوني في أغسطس 2005م، وفي هذه الأجواء استأنف النظام المصري علاقاته الاقتصادية مع الدولة الصهيونية، فعين سفيراً جديداً فيها في مارس 2005م، وطلب من حكومتها في أغسطس من السنة نفسها استئناف اجتماعات اللجنة الزراعية المشتركة،

* ـ هي العملية التي حشد لها الإسرائيليون 30 ألف جندي وبدؤوها في 29 مارس 2002م بغرض القضاء على الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وفيها اقتحمت القوات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية، وحاصرت مقر ياسر عرفات في رام الله، وكان حصيلتها استشهاد 250 فلسطينياً، ومقتل 29 جندياً إسرائيلياً.

والدورات الزراعية التي تعقد في الكيان الصهيوني. وبالفعل سافر في الأشهر التالية المتبقية من سنة 2005م 46 شاباً مصرياً للمشاركة في دورات زراعية مختلفة عقدت في الدولة الصهيونية، وارتفع العدد في السنة التالية إلى 96 مشاركاً في سبع دورات[19]. ومن الواضح أن العدوان الإسرائيلي على لبنان في صيف تلك السنة لم يؤثر على تلك الدورات.

لم يؤثر تولي وزير الزراعة ، أمين أباظة (2005/12/31م) ومن تلاه بالسلب على التطبيع الزراعي، بالعكس فقد تضاعفت أعداد المبعوثين المصريين لتلقي الدورات التدريبية الزراعية في الكيان الصهيوني، فحسب ما نشر في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية بتاريخ 23 مارس 2009م، فقد شارك 200 مزارع مصري في الدورات الزراعية التي عقدت في الكيان الصهيوني خلال سنة 2007م، وفي السنة التالية بلغ العدد 220 مزارعاً، ولم تتوقف اللجنة الزراعية المشتركة عن اجتماعاتها، وشارك 6 من الخبراء الإسرائيليين في المؤتمر الدولي لأنفلونزا الطيور الذي عقد في مصر في أكتوبر 2009م.

***

رابعاً : الآثار السلبية للتطبيع الزراعى :

كان للتطبيع الزراعى كما ذكرنا فى ثنايا هذا الفصل آثار سيئة على المحاصيل الزراعية وعلى مجمل المشهد الزراعى المصرى ، وسنأخذ أمثلة لذلك :

1 – آثار التطبيع على زراعة البطاطس المصرية :

تعتبر مصر من الدول المصدرة لمحصول البطاطس والذى يتم تصديره أوروبياً ، وكان نتيجة لاستيراد تقاوى البطاطس من الكيان الصهيونى التى استوردتها وزارة الزراعة المصرية (عن طريق اتحاد مصدرى ومنتجى الحاصلات البستانية) بديوان عام الوزارة ، فقد حدثت كارثة العام الماضى ، وهذا العام مما أدى إلى عدم تصديرها للأسواق الأوروبية (بسبب إصابتها بمرض العفن البنى) ونتيجة لعمليات نظام التسميد والمكافحة التى وردت مع تقاوى البطاطس عالية

السـمية والتــى تحتـوى علــى مركبـات : الأدرديـن – الفسـفور – السـليكون ، ومعظمها محرم دولياً ، فقد أدى إلى قلة جودتها ورفضها فى الأسواق الأوروبية بسـبب إصــابتها بمـرض العفـن البنــى ونتيجــة أن اتحــاد مصــدرى ومنتجــى الحاصـلات البسـتانية برئاسـة المهنـدس / علـى أبـو جازيـه قـام بالتعاقـد علـى أصناف ليست ملائمة للفلاح المصرى والتربة الزراعية المصرية مما تسبب فى تدمير محصـول البطـاطس – حيث تعاقد المزارعون مع اتحاد المصدرين على خمسـة أصـناف تقاوى للبطـاطس وهـى : (دايمونـت – سبوتنا – كـارا – ألفا – نيقـولا) ففوجىء المزارعـون عنـد الاسـتلام بأصـناف مختلفـة تمامـاً مثـل صـنف (أجاريا) وقد أصر الاتحاد الأوروبى على أن حصة مصر يجب ألا تزيد عن 160 ألف طن بدلاً من 440 ألف طن .

2 – الآثار على الفاكهة المصرية

نتيجة لاستيراد الشتلات ، والتقاوى الإسرائيلية الموجودة بالأسواق المصرية وهى ملوثة بسموم قاتلة نتيجة لحقن : الجريب فروت ، والموز ، والوليامز ، والتفاح الأنـا ، والكـانتلوب، والحمضـيات ، والبرقـوق ، والفراولـة ، والخـوخ ، ونتيجـة أن وزارة الزراعـة قامـت باسـتيراد مبيـدات – مـن الكيـان الصـهيونى – فقد انتشـرت حـالات التسـمم الغذائى فـى الصـيف الماضــى بشـكل ملحـوظ ، وأعـراض هـذا التسمم قـيء ، وإسهال ، ومغص حاد ، والسبب يرجع فى معظم هذه الحـالات التى تناول بعض : ثمار الخوخ ، والكانتلوب ، والفراولة وكانت مشبعة بكميات كبيرة من المبيدات المحرمة دولياً – كما أنها محقونـة بالهرمونـات بغرض زيـادة حجم الثمرة ووزنها وتعديل الصفات الخارجية للثمرة – والملاحظـة أن (الخـوخ : بالذات كبير الحجم ولونه أحمر داكن) أكثر من المعتاد فإذا تناول الإنسان ثمرة الخوخ لم يشعر بطعم الخوخ المعروف لدينا جميعاً ويلاحظ أن المحتوى المائى للثمـرة كبيـر وإذا اقتـرب المسـتهلك مـن النـواة وجـدها انقطعـت إلـى نصـفين مـع وجود عفن أبيض اللون .

أما الكنتالوب (صنف : جاليا) فهذا الصنف معامل هرمونيا ، وهو صنف إسرائيلى منتشر زراعته بمصر ، ومن عيوبه التغير فى الطعم وزيادة المحتوى المائى للثمرة ، ومن أصناف الفاكهة الإسرائيلية أيضاً :

الموز ، الوليامز ، بلاستيمات موز .

التفاح : كامشابى – ملالة (4–13) .

الخوخ : هرموزا ، بامكوك .

المشمش : صنف ، كليلنتون وصنف طايننو .

البرقوق : أصناف : صين جولد ، لارودا ، برميير .

اللوز : صنف : أميل فام .

الكمثرى : صنف (سادونا ، كوتشيان) .

العنب : أصناف (سيبريور ، سيربرو ، بريليت ، ديليت) .

وبتاريخ 1990/3/12 احتجز الحجر الزراعى هذه الأصناف ، وتم تحرير استمارة إجراءات زراعية تحمل رقم (293) باسم مشروع المجمع الزراعى الصناعى بمريوط ، تقول : إن هذه المواد ملوثة ، وقد أقيم مشروع المجمع الزراعى الصناعى بمريوط على مساحة 125 ألف فدان بالكيلو 53 بمحافظة مطروح ، وبه ما لا يقل عن (200 خبير زراعى إسرائيلى) وبالكشف عن طريق الحجر الزراعى اتضح أن براعم شتلات الفاكهة منتفخة وبها فطريات ومجموعها الجذرى وترى وغير صالحة للزراعة .

وأكد خبراء الزراعة وجود نمو جرثومى وفطرى واضح على مناطق التطعيم بصفة عامة وعلى الجذور وبعض أنواع القلف بصفة خاصة .

أما أهم الأصناف الإسرائيلية التى تزرع فى مصر

أ – الفاكهة :

– الفراولة : صنف شارون – دوريت – عوفيرا – وأهم مناطق زراعة هذا الصنف فى أراضى الخريجين بالنوبارية ، والفيوم ، والشرقية .

– كنتالوب (جاليا) : ويتم زراعته فى سيناء ومديرية التحرير .

– موز ويليامز : تنتجه شركة بيكو وصاحبها (علاء دياب وصلاح دياب) وهى من أخطر الشركات فى مصر ويتم زراعة هذا الصنف فى معظم محافظات مصر .

– البطيخ : صنف أدوم ، ولونه أخضر غامق وبذوره صغيرة جداً ويزرع بسيناء .

– التفاح : صنف (أنا مطعوم على أصل 106) وهو صنف إسرائيلى ينتشر زراعته فى النوبارية والأراضى الجديدة .

ب– الخضر :

– الفلفل : صنف مكابى – وهو صنف إسرائيلى يتم تداوله على نطاق واسع بين الفلاحين والخريجين بحجة أنه يعطى إنتاجاً أعلى وأكبر ، ويتركز زراعته بالشرقية والقليوبية .

– الخيار : صنف (دليلا – ليلى) وهو صنف إسرائيلى يتم زراعته فى الفيوم – وبنى سويف ، ويسبب القيء والإسهال .

– الطماطم : صنف أوريت دانيلا 144 ، ومكمن الخطورة أن هذا الصنف من الضرورى رشه بمنظم نمو يسمى (تومست – أوراست) وقد ثبت معملياً وعلمياً أن هذا يسبب السرطان ويتم تداول هذه البذور من هذا الصنف على مدى واسع بين الفلاحين والمزارعين فى أراضى الخريجين ، وللأسف الشديد تقوم منافذ البيع التابعة لوزارة الزراعة بتوزيعه بدعوى أن هذا الصنف يعطى إنتاجاً أكبر وأوفر ، والبديل لهذا الصنف : أصناف كثيرة جداً منها صنف يوبر مارمند GS12 ، وكذلك مشروع الأراضى القاحلة والذى تم إنشاؤه عن طريق وزارة الزراعة المصرية ووزارة الزراعة فى الكيان الصهيونى ، وقد وصل عدد الإصابة التى لحقت بزراعة مصر ، وخاصة الفاكهة وأثرت تأثيراً مباشراً على

الإنتاج إلى أكثر من (400 مرض ، منها 350 مرضاً جاءت مع مستلزمات الإنتاج الزراعى) .

ومن أبرز الشركات التى ارتبطت بالعلاقات الوثيقة مع إسرائيل فى مجال الزراعة وسبق الإشارة إليها فى **(شركة كارمل – شركة أجرولاند – مجموعة المغربى الزراعية – شركة تكنو جرين – شركة سيف أجريت – شركة أجروتك – شركة أجروكيميالزج – شركة ستارسيدس إيجيبت – مجموعة شركات : هريزا ، حيفا ، كلال – شركة بيكو) .**

3 – المبيدات الإسرائيلية وتأثيرها على المحاصيل المصرية :

قامت وزارة الزراعة باستيراد كميات كبيرة من المبيدات من الكيان الصهيونى وهى بها نسبة عالية من السمية وقد تم استخدام هذه المبيدات على نطاق واسع من المزارعين والفلاحين . ونتيجة استخدامه فى رش محصول الخوخ وقد ظهرت إصابات مرضية فى بداية النضج واستمرت الإصابة حتى النضج والإصابة فى مكان العنق وتصل هذه المبيدات إلى قلب الثمرة فتؤدى إلى حالات التسمم الغذائى .

كما أن استخدام المبيدات فى الزراعات المحمية داخل الصوب أمر شديد الخطورة ، وقد أكدت الأبحاث العلمية ما لاحظه الباحثون ، أن المبيدات المستوردة من العدو الصهيونى تسبب التسمم الغذائى ، السرطان ، التخلف العقلى ، وتشوه الأجنة ، ظل مبيد (التامرون) القاتل ومبيدات (البيروتيدات) ، وكذلك استخدام هرمون (توماست : القاتل) والذى يتم رشه على ثمار الطماطم ، وهو من الهرمونات المحرم استخدامها دولياً ، فهرمون (توماست) – مرتبط ارتباطاً وثيقاً بصنف الطماطم (أوريت : الإسرائيلية) لأن ثمار هذا الصنف لا تعقد إلا إذا تم رشه بهرمون تومست القاتل ، علاوة على مجموعة (B.C) وهى من المبيدات المحرم استخدامها دولياً وثبت أنها مسرطنة ، وهناك أكثر من 29 مبيد ثبت أنها من الهرمونات المحرم استخدامها دولياً يتم توزيعها داخل منافذ

البيع بوزارة الزراعة ، ويتم بيعها للفلاحين والمزارعين من شباب الخريجين بناحية (النوبارية –بنجر السكر – البستان).

لقد بدأت إسرائيل تدريجياً وبشكل غير معلن تقليص المساحات التى تزرع بالمحاصيل التقليدية والتركيز على زراعة التقاوى والشتلات وتوظيف أحدث تقنيات الهندسة الوراثية وزراعة الأنسجة فى إنتاجها لا بغرض تحسين السلالات وزيادة الإنتاجية ، وإنما بغرض الإضرار بالآخرين عن طريق تصدير ما من شأنه التأثير على الإنتاج الزراعى ، وتدعى إسرائيل القدرة على التحكم فى الاستهلاك المائى للمحاصيل أى أنه لا يرتبط بالظروف المناخية السائدة بمعنى أن كل محصول يزرع فى منطقة معينة ويراد الحصول منه على الإنتاج الأمثل لا يمكن إلا أن يستهلك كمية معينة من المياه إذا انقصت فإن ذلك يقابل مباشرة بانخفاض الإنتاج .

وتصر إسرائيل إلى وصولها إلى تقنيات عالية فى نظم الرى الحديثة (رش – تنقيط) والطريقة التى يمكن تطبيقها مثل هذا النظام طريقة خاطئة ، ومصر تبنت سياسة واضحة فى ذلك تؤكد ضرورة استخدام أنظمة الرى الحديثة مع تحديث منظومة الرى فى الأراضى الطينية عن طريق مشروعات التطوير التى تشمل المساقى المبطنة وخطوط المواسير التى تعمل تحت ضغط منخفض واستبدال المناوبات بنظام السريان المستمر – وإشراك الفلاحين فى إدارة مرفق الرى على مستوى الترعة التى توزع المياه وتحسين الإرشاد المائى للفلاح ، والمجال الوحيد الذى دخلته إسرائيل ولم تدخله مصر هو استيراد المياه عن طريق ما يسمى بحقائب المياه وهى عوامات تنقل كميات من فائض المياه التركية إلى الموانىء الإسرائيلية .

1 – إسرائيل تزرع ما لا يزيد عن مليون فدان فى حين أن مصر تزرع ما يقابل 8 ملايين فدان زراعى أى ما يقارب 14 مليون فدان محصولى ، وبذلك فإن ما تزرعه إسرائيل مقارنة بما تزرعه مصر يمكن تمثيله بزراعات الصوب .

2 – إن إنتاج مصر من الأرز ينسحب أيضاً على قصب السكر ، حيث إن مصر تعتبر الأولى فى إنتاجية الفدان التى اقترب محصول الفدان فيها إلى (5 ملايين طن لمساحة مزرعة بحوالى 300.000) .

3 – بالإضافة إلى ذلك فإن الزراعة المصرية لا تكتفى بمحصول واحد فى السنة للفدان بل محصولين وأكثر ، بحيث إننا نستطيع القول بأن التكثيف الزراعى فى الأراضى المصرية غير المنزرعة بالفاكهة قد تصل إلى (20%) .

4 – الاختراق الصهيونى للقطن المصرى

القطن المصرى يساهم فى حركة الإنتاج فهو يساهم فى النهاية فى تدعيم القطن اقتصادياً واجتماعياً ، فبدأ بالفلاح صاحب الحقل وتجار القرية والعامل الزراعى الأجير وتجار القطن بالجملة والمهندسين الزراعيين ثم رحلة حلج القطن ويساهم فيها جميع الفئات من العمال والمهندسين والمهنيين ، ثم الصناعات التالية لعمليات الحلج وتنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يعمل على التيلة وآخر يعمل على البذرة – بداية من صناعة الغزل – وصناعة النسيج وصناعة الصباغة وصناعة الملابس الجاهزة .

والقسم الثانى : يختص بالبذرة يشمل صناعة عصير الذرة وإنتاج الزيت والزيوت المهدرجة وصناعة الصابون وصناعة الكسب ، من كل هذا تأتى الأهمية الاقتصادية لمحصول القطن ، فقد حدث فى فترة الستينات أنه حين انخفضت إنتاجية محصول القطن فى محافظة كفر الشيخ ومحافظات أخرى عن معدلها السنوى بمقدار 10/1 طلب من وزير الزراعة وقتذاك أن يقدم استقالته فوراً .

من هنا يتبين فداحة الخسائر التى تصيب والأفراد والجماعات والتى تشتغل بالقطن حين يتعرض محصول للانخفاض عن طريق الاختراق الصهيونى والأمريكى ، وقد اشترط الأمريكان والصهاينة أنه من ضمن شروط منح مصر قمحاً أمريكياً أن تقوم مصر بتحجيم زراعات القطن لتهبط مساحة زراعة القطن

من 2 مليون فدان إلى 0.9 مليون عام 1998 لأن هناك تعاوناً تاماً بين السياسة الأمريكية والإسرائيلية فى محاربة القطن المصرى .

ويمكن رصد خمسة مظاهر لهذا التدهور :

<u>**أولاً :**</u> هبوط كمية المحصول أو متوسط إنتاجية الفدان من 10 قناطير للفدان فى أوائل الستينات إلى 2 قنطار للفدان أو أقل فى عام 1999 .

<u>**ثانياً :**</u> لقد أدت قلة المحصول إلى انخفاض التصدير والدليل على ذلك أننا صدرنا فى عام 1937 ، 9 ملايين قنطار بينما صدرنا فى عام 1996 (0.9 مليون قنطار) هذا فى الوقت الذى زاد فيه إنتاج القطن فى العالم من حوالى (15 مليون بالة أى ما يعادل 75 مليون قنطار إلى حوالى 100 مليون بالة أى ما يعادل 500 مليون قنطار) .

<u>**ثالثاً :**</u> نتيجة لقلة المحصول انخفضت البذور مما أدى إلى استيراد الكسب والزيت بكميات متزايدة .

<u>**رابعاً :**</u> نتيجة لانخفاض المحصول وقلة التصدير سواء قطناً أو غزلاً أو منسوجات ، انخفض إيراد مصر من العملة الصعبة ، والمضحك المبكى أن مصر اضطرت إلى استيراد كميات من الأقطان الأمريكية بكميات كبيرة وصلت إلى أكثر من مليون قنطار فى الوقت الذى كنا نصدر إلى أمريكا 10 ملايين قنطار عام 1900 .

***

خامساً : العلم والمال الأمريكى فى خدمة التطبيع الزراعى :

ويرتبط بمقدمات الاختراق الإسرائيلى للزراعة المصرية فى سنوات التطبيع الأولى ما نشرته مجلة science الأمريكية (1982)(*) عن المشاريع البحثية المبكرة فى مجال الزراعة ، وكان أحد أبطالها يوسف والى ووقتها كان مستشاراً لوزير الزراعة ، ولنقرأ ترجمة المقال المعلوماتى الخطير وكيف بدأت قصة العلاقات المشبوهة مع إسرائيل برعاية أمريكية مالية وسياسية لتدمير الزراعة المصرية بحجة النهوض بها :

بالرغم من سير العلاقات الإسرائيلية بين مصر وإسرائيل فى خط متواتر من الارتفاع والانخفاض منذ توقيع معاهدة كامب ديفيد ، إلا أن التعاون العلمي بين الدولتين يشهد وبهدوء متعمد قدراً كبيراً من الانتعاش ، وهو الأمر الذى يبدو من خلال ثلاثة من مشاريع التعاون الكبرى التى تبلغ قيمتها حوالى خمسة (15) مليون دولار ، والرابع فى طريقه إلى الدخول حيز التنفيذ .

وفى كل مشروع ، فإن التمويل يأتى أساساً من A.I.D بالإضافة إلى دخول الجامعات الأمريكية كشريك كامل فى البرامج .

وقد حظيت إقامة هذه الروابط العلمية بين الدولتين بتأييد كبير من الولايات المتحدة . التى عملت كوسيط بينهما ، ثم ما لبث التعاون أن تطور إلى حد أن أضحى التعاون يتم اليوم مباشرة بين العلماء المصريين والإسرائيليين ، وبعد أن بدأت الحساسية السياسية تقل بخصوص هذه البرامج خاصة عقب إرجاع سيناء إلى السيادة المصرية .

وقد بدأت الخطوات الأولى لهذا التقارب بين علماء البلدين فى تكساس عام 1979 ، حيث عمل كل من روبرت ابل وسيد السيد وفى أعقاب الإعلان عن زيارة السادات إلى القدس، عملاً على الكشف عن إمكانية التعاون بين علماء مصر وإسرائيل والولايات المتحدة فى مختلف المشاريع العلمية البحرية وقد اهتم روبرت ابل على وجه الخصوص ببحث المشاريع التى تبحث فى المشاكل التى

ترتبت من جراء إنشاء سد أسوان الذى أحدث – على حد قوله – عديداً من المشاكل فى جنوب شرق البحر المتوسط ، أثرت على كل من إسرائيل ومصر ،تمثلت فى منع وصول الرواسب إلى الشواطىء مما سبب تآكل الشواطىء، وهذا بدوره أضعف الثروة السمكية فى المنطقة .

من هناك قرر العالمان القيام بجولات فى كل من أمريكا والشرق الأوسط ، فى الأولى من أجل البحث عن إمكانيات التمويل المادى ، وفى الثانية من أجل الكشف عن إمكانيات المعالجة. وعقب عديد من المصاعب والمعوقات تقابل فى أغسطس 1980 فى سان ديجو ، مفوضون من كل من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة ، لكى يناقشوا مقترحات برنامج (العلم البحرى) الذى يعد واحداً من المشاريع الثلاث ، وقد نتج عن هذه المقابلة مشروع برنامج بحثى تعهدت بموجبه إحدى وعشرون مؤسسة فى الدول الثلاث بالاشتراك فى أربعة أنواع من البحوث هى :

1 – تقييم القدرة الانتاجية للشواطىء الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط .

2 – الزراعة المائية .

3 – حماية الشواطىء .

4 – إدارة مصادر المياه النقية .

ومن أجل الحصول على التمويل المالى ، قدمت الأطراف طلباً إلى (الإيد) التى تملك المال المتاح لمثل هذه المشاريع ، ولأن الكونجرس كان قد وافق فى العام المالى 1980 على تخصيص مبلغ خمسة ملايين دولار سنوياً ؛ لتشجيع التعاون العلمي بين دول الشرق الأوسط ، فإن هيئة المعونة وافقت على تقديم مبلغ 4.3 مليون دولار موزعة على فترة ثلاث سنوات .

ومن أجل إدارة المشروع ، ترك ابل تكساس فى العام الماضى ، لكى يرأس اتحادات هيئات العلوم البحرية بنيوجيرسى ، وقد ذكر " أن المشروعات بدأت فى كل المناطق ، وأن المقابلة التى تمت فى القاهرة حديثاً من أجل التخطيط

لهذه المشروعات ، انتهت إلى أنه يجب أن يكون هناك تدفق حر للعلماء والمعلومات بين الواحد وعشرين مؤسسة المشتركة .

المشروع الثانى والذى يتم من خلال التعاون المشترك يتركز حول (البحوث فى العلوم الصحية) حيث تلا قرار الكونجرس الخاص بتخصيص مبالغ للتعاون العلمي الإقليمى فى منطقة الشرق الأوسط ، عديد من الاقتراحات التى رفعت إلى (الإيد) والخاصة بعديد من المشروعات الصحية المرتبطة بهذا المشروع .

وبعيد عن هذه التطورات ، فإن البرنامج تركز فى دراسة ثلاث من الحشرات الحاملة للأمراض فى كل من إسرائيل ومصر ، وتتم إدارة البرنامج من الولايات المتحدة عن طريق المعاهد القومية للصحة (N.I.H) أما تنفيذه فيتم بالأساس – من خلال الجامعة العبرية بالقدس، وجامعة عين شمس فى القاهرة ، وممثل برنامج العلوم البحرية السابق ، فإن هذا البرنامج تم التخطيط له أيضاً من خلال عديد من المقابلات واللقاءات المتصلة بين علماء الدول الثلاث. وقد وافقت (الإيد) على تقديم مبلغ يقدر بـ 6 ملايين دولار خلال فترة خمس سنوات ينفق منها حوالى 90% فى القاهرة وإسرائيل .

وقد وقعت الاتفاقية الرسمية فى الأول من ديسمبر فى العام الماضى 1981 وتبعاً لما ذكره العالم الأمريكى (كارل ديسترن) الذى يدير المشروع " فإن كثيراً من نقاط التعاون بين المصريين والإسرائيليين تحدث الآن بطريقة مباشرة من خلال العلماء الأمريكان إلا أنه ومع نهاية المشروع فإن التبادل المباشر للأشخاص بين الدولتين قد يكون ممكناً " .

أما الوجه الثالث لمحاولة الولايات المتحدة تشجيع هذا التعاون العلمي فيظهر من خلال مشروع (زراعة الأراضى الجافة) حيث أتت القوة الدافعة لهذا المشروع بالأساس من (معهد هانسون للسلم الدولى) الملحق بجامعة الولاية فى مدينة سان دييجو ، إذ قدم هذا المعهد عام 1980 منحة مالية لتشجيع البحوث فى العلوم البحرية ، واستكمالاً لهذا أرسل فى ديسمبر 1980 ممثلين إلى مصر

وإسرائيل من أجل البحث عن احتمالات أخرى للتعاون فى المشاريع البحثية ، وقد لمس الممثلون الحماس الكبير من جانب علماء كلتا الدولتين من أجل التعاون فى التنمية التكنولوجية لدراسة زراعة المحاصيل فى الأراضى الجافة .

وقد قادت مهمة معهد هانسون إلى عديد من المقابلات بين يوسف والى الذى كان يشغل منصب المستشار الأول لوزارة الزراعة وهو الآن وزير الزراعة، ونظيره الإسرائيلى صاموبل بوهنوريليس S.Pohoryles وبموافقة الرئيس السادات طلب كل من والى وبوهوريليس من معهد هانسون الدعوة إلى اجتماع علماء كل من مصر وإسرائيل فى الولايات المتحدة تدرس من خلال اتفاقات التعاون أو تقديم منحه مشتركة إلى وكالة الأفراد الأمريكية ، وهو الاجتماع الذى تم فى يونيو 1981 فى سان دييجو وقد اتفق المجتمعون على خطة تنمية قيمتها عشرة ملايين دولار لإنفاقها فى ثلاثة مشاريع .

1 – استخدام المياه المالحة فى زراعة محاصيل خاصة ، لنمو الطماطم والبطيخ .

2 – تطوير أنواع معينة من النباتات مثل شجرة جوجوبا ، وهى نباتات ممكن زراعتها فى الأرض الجافة ، ولها فوائد صناعية كثيرة .

3 – زراعة نباتات تقاوم التحاريق ، وممكن استعمالها كعلف للخراف والماعز .

وقد رافق (الإيد) على تقديم مبلغ 5 ملايين دولار للبرنامج خلال (5 سنوات وسوف تتم دراسته من جانب مؤسسة جامعة الولاية فى سان دييجو ،وتبعاً لما ذكره "روبرت أونيتل" مدير معهد هانسون (فإن معظم العمل سوف يتم فى الجامعة العبرية،ومعهد الأبحاث الصحراوى التابع لجامعة بن جوريون فى إسرائيل،وفى جامعات عين شمس والأزهر فى مصر).

وسوف تشارك جامعات آيرزونا وكاليفورنيا قسم (إيفيس) عن الولايات المتحدة ، وقد تمت الموافقة على المشروع فى يناير 1982 ، وبالرغم من أن هذه

المشاريع الثلاثة هى المشاريع التى تمت الموافقة عليها ، إلا أن الرسميين فى (الإيد) يقولون : إن هناك برنامجاً زراعياً آخر فى المراحل الأول للتخطيط له.

وتقول المصادر العلمية الأمريكية : إن العلاقات المباشرة بين العلماء المصريين والإسرائيليين العاملين فى هذه المشروعات المشتركة ينحصر فى جلسات التخطيط فقط وإذا تمتع المناخ السياسى بجو من الحماسة والحرارة خلال الأعوام القليلة القادمة ، فلربما أقدم العلماء من الدولتين على تبادل العمل ، كل فى معمل الآخر .

وكما ذكر ريتشارد بيرنز أحد الرسميين فى (الإيد) والمشرف على المشاريع المذكورة أن هذا ممكن أن يحدث ، وهو أمر مرغوب فيه بالنسبة لنا .. فنحن نقدم الدعم المادى بقدر ما نستطيع ، إلا أننا نذهب لحد محاولة دفع العلماء للعمل معاً فى حجرة واحدة ".

***

من مصادر الفصل الثانى (بالإضافة للمراجع التى وردت فى متن الفصل وبين سطوره – نضيف ما يلى من مصادر أخرى للبحث) :

1 – أحمد بهاء الدين شعبان : بحث (تهافت الخطاب التطبيعى .. ضمن أبحاث كتاب تحالف كوبنهاجن – مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة – 1998 – ص ص).

2 – جريدة العالم اليوم (1997/1/6).

3 – المصدر نفسه.

4 – نشر موشيه ساسون مذكراته في الكيان الصهيوني سنة 1992م، وقد تُرجمت للعربية بعد عامين تحت عنوان : 7 سنوات في بلاد المصريين.. مذكرات أخطر سفير إسرائيلي في مصر، القاهرة – دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1994م، مصدر سابق . انظر :ص 272.239.

5 – المصدر نفسه، ص 250.249.

6 – تُرجمت مذكرات ديفيد بن سلطان للعربية تحت عنوان: سفير إسرائيل الأسبق بالقاهرة دفيد بن سلطان يكشف أسرار التطبيع بين مصر وإسرائيل، ترجمة عمرو زكريا، المنصورة،دار ابن لقمان، ط1، 2009، انظر:ص 38

7 – انظر: مذكرات موشيه ساسون، مصدر سبق ذكره، ص 286.283

8 – انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان، مصدر سبق ذكره، ص 154.

9 – انظر مذكرات موشيه ساسون، مصدر سبق ذكره، ص 250.

10 – انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان، مصدر سبق ذكره،ص 152–153

11 – انظر مذكرات موشيه ساسون، مصدر سبق ذكره، ص250.251

12 – المصدر نفسه، ص 251.

13 – انظر : الرابط :

93%80%2http://www.mfa.gov.il/MFA/Mashav+%E +International+Development/Activities/The+Nubaseed+Agricultural+ Demonstration+Farm.htm

14 . انظر : مذكرات ديفيد بن سلطان، مصدر سبق ذكره، ص 153.

15 . انظر : المصدر نفسه، ص 151..154

16 . المصدر نفسه، ص .54

17 . المصدر نفسه، ص .152

18 . انظر:المصدر نفسه، ص 187..

* هي العملية التي حشد لها الإسرائيليون 30 ألف جندي وبدؤوها في 29 مارس 2002م ؛ بغرض القضاء على الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وفيها اقتحمت القوات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية، وحاصرت مقر ياسر عرفات في رام الله، وكان حصيلتها استشهاد 250 فلسطينياً، ومقتل 29 جندياً إسرائيلياً.

19 – المصدر نفسه، ص 191.189.

* مقال بقلم كولن نورمان – مترجم من مجلة Science الأمريكية العدد 215 – 5 فبراير 1982 – ص639–642 – ترجمة د. ماجدة صالح ، ونشر فى مجلة صامدون الصادرة عن نادى أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة – العدد الرابع .

الفصل الثالث

التطبيع بين (الغاز) و(الكويز)

يعد اتفاقا الكويز (2004) والغاز (2005) فى مسار التطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل خلال الفترة (1979–2011) هما الأبرز والأخطر ، وذلك لما تضمناه من ترجمة عملية على الأرض لأفكار وسياسات التطبيع ، ولما حملاه من مخاطر مباشرة على الأمن القومى المصرى ، وما آثاره من ردود أفعال واسعة .

فى هذا الفصل نقترب من الاتفاقين لدراسة تفاصيلهما وآثارهما على الاقتصاد والسياسة فى مصر خلال فترة الـ32 عاماً من التطبيع (فترة البحث) .

أولاً : اتفاق الكويز :

تعد "الكويز"، واحدة من أبرز ثمار المشروع الأمريكي لإدماج "إسرائيل" في المحيط العربي اللافظ لها، وهو المشروع الذي سمى تارة بالشرق أوسطية وتارة أخرى "بالشرق الأوسط الجديد" وتارة ثالثة "بالشرق الأوسط الموسع". إنه المشروع الذي يستهدف تفكيك المنطقة بالقوة ثم إعادة تركيبها من جديد وفقاً للمصلحة الأمريكية والإسرائيلية. إن الكويز وتطبيقها مع "مصر خاصة" تعد في السياق التاريخي الذى عقدت فيها والذى كانت تعاني فيه الأمة من اضطرابات وتحولات دامية، ليست فحسب بمثابة كامب ديفيد اقتصادية، بل هي في تقديرنا أشد خطراً وأكثر اتساعاً من حيز الاقتصاد، لقد استهدفت السياسة والثقافة، وكانت مقدمة لاستهداف الوجود.

على الرغم من مرور قرابة الستة عقود من الزمن على زرع الكيان الصهيوني في قلب المنطقة العربية والإسلامية، وبالرغم من الرعاية السياسية الدولية "الأمريكية والغربية تحديداً" له وحدبها عليه، إلا أنه ظل طيلة تلك العقود فاقداً لشرعية القبول من المحيط العربي – الإسلامي، حتى في ذروة انتصاره العسكري "1967 نموذجاً" أو ذروة انتصاره السياسي المتمثل في توقيع اتفاقات تسوية مع دول الجوار وبخاصة مع "مصر" والتي تمكن من إخراجها من المعادلة الإقليمية بتوقيع اتفاقات كامب ديفيد 1979، رغم ذلك ظل دائماً

يستشعر فقدان هذه الشرعية سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي وإن كان الأخير أشد قوة وأعظم أثراً.

وفي سبيله لكسر جدار هذه العزلة السياسية والاقتصادية ومحاولة اكتساب الشرعية المفقودة تلك، أقام الكيان الصهيوني العديد من العلاقات السياسية مع أكثر من نصف الدول العربية عبر الاتفاقات والمعاهدات العلنية والسرية أو من خلال العلاقات الاقتصادية التي وصلت إلى مستوى خطير للغاية حيث توجد اليوم عدة دول عربية تم اختراقها اقتصادياً وبينها وبين **الكيان الصهيوني علاقات اقتصادية وتبادل تجاري مشهود.**

*** على أية حال:** لقد ظل هاجس الاختراق أو التطبيع، مع المنظومة العربية والإسلامية حاكماً لكافة الممارسات الإسرائيلية، وتنوعت وسائل التعبير عنه وترجمته من مرحلة لأخرى، وفقاً لظروف المنطقة وأحداثها؛ فما جرى في كامب ديفيد عام 1979 اختلف في الشكل عما جرى في "وادي عربة" وفي "أوسلو" وإن كان ذلك الجوهر واحد: الاختراق ومحاولة اكتساب الشرعية المفقودة.

وتوالت الأحداث والتطورات في المنطقة، وجاء تحرير الجنوب اللبناني ثم أحداث الانتفاضة الفلسطينية عام 2000، فأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وما تلاها من زلزالي أفغانستان "2002" والعراق "2003"، وصولاً إلى رياح التغيير الأمريكي الكبير على المنطقة التي تستهدف إعادة هندستها سياسياً والمسماة بالشرق الأوسط الكبير أو الجديد، والذي تزامن مع انغراس الأقدام الأمريكية في الوحل العربى والإسلامى إجمالاً بلا أمل في الخروج بشكل آمن، كل هذا ترافق مع استمرار أعمال المقاومة الفلسطينية، وصمود شعبها الأسطوري، والذي لم يفت في عضده أعمال الإرهاب والقتل اليومي الصهيونية والتي وصلت في العام الأخير "2004" إلى حد تصفية ثلاثة من كبار قادة الشعب الفلسطيني "الشيخ أحمد ياسين – الدكتور عبد العزيز

الرنتيسى – الرئيس ياسر عرفات" ومع ذلك استمرت المقاومة وتنوعت أساليبها واستعصى هذا الشعب المناضل على الهزيمة النفسية أو العسكرية والشواهد على هذا عديدة.

في هذه الأجواء أرادت أمريكا ومعها الكيان الصهيوني تجديد محاولات الاختراق الاقتصادي بعد أن فشل الاختراق السياسي على الصُعد الشعبية بل والرسمية والتي رغم قبولها بالتطبيع ظلت محصورة في علاقات محدودة مع أجهزة بعينها داخل البلاد التي تطبع مع الكيان الصهيوني ، ولم يتورط في هذا التطبيع باقي أركان الحكومات أو الوزارات وبالطبع لم يصل أثره إلى "الشعب العربي" الذي ظل رافضاً لهذا التطبيع جملة وتفصيلاً، وظل ممانعاً لإكساب هذا الكيان الصهيوني شرعيته المُفتقدة.

***

أرادت أمريكا و"إسرائيل" إذن معاودة الاختراق، خاصة في أجواء التشتت العربي والانقسام الرأسي الذي أصاب العديد من الأنظمة، وبات كل يبحث عن مهرب أو ملجأ أمام طوفان القوة الأمريكي في العالم والمنطقة، في هذا الإطار جاءت اتفاقية "الكويز" مع مصر والتي وقعت يوم 2004/12/14 بين وزير التجارة الخارجية والصناعة المصري ونظيره الإسرائيلي والسفير الأمريكي بالقاهرة، جاءت لتعيد إلى الأذهان مرة أخرى اتفاقية كامب ديفيد عام 1979 وما تلاها من أحداث جسام هزت مصر والعالم، ولقد كان المفكر الاقتصادي المصري البارز د.إسماعيل صبري عبد الله صادقاً عندما أسماها بالفعل بـ "كامب ديفيد اقتصادية" ، لما لها من آثار سلبية قاتلة على الاقتصاد المصري، ولما ستجره على المستوى العربي من اختراق تطبيعي مسموم، شبيه إلى حد كبير بتلك الاختراقات السياسية التي أنتجتها اتفاقات كامب ديفيد عام 1979 في المنطقة العربية والإسلامية.

ولكن ماذا عن هذه الاتفاقية؟ وما هي حقيقتها وماذا عن آثارها المستقبلية؟ ذلك ما نحاول الإجابة عليه في هذا الفصل. في البداية يهمنا الإشارة إلى أن اتفاقية الكويز: هي اختصار لـ **(اتفاقية المناطق الاقتصادية المؤهلة)** ويقصد بالتأهيل هنا أي : القادرة على التعامل التنافسي مع السوق الأمريكي في مجال الصناعات النسيجية تحديداً مع ضرورة أن تكون منتجاتها النسيجية قد دخلها مكون إسرائيلي بنسبة 11.7% هذه الاتفاقية – وقبل الدخول في تفاصيلها – جاءت في سياق علاقات اقتصادية عربية – إسرائيلية – للأسف– موسعة رغم الأحداث في فلسطين، وهى علاقات يهمنا الإشارة إليها أولاً وبتفصيل ؛ لأنها تمثل السياق العام الذي ولدت فيه اتفاقات "الكويز" سالفة الذكر وهو أيضاً السياق الذي ستولد فيه الاتفاقات المستقبلية الشبيهة بالكويز مع الدول العربية الأخرى، فماذا عن هذا السياق؟

إن التقارير والوثائق الرسمية تقول : إن عدة دول عربية قامت خلال عام 2004 "عام زيادة الذبح الإسرائيلي للفلسطينيين" بإجراء عمليات تبادل تجارى مع "إسرائيل" بلغت قيمتها 193 مليوناً و960 ألف دولار وهذه الدول جاءت وفقاً للترتيب التالي:

1 – المملكة الأردنية الهاشمية واحتلت الموقع الأول، بقيمة إجمالية لحجم التبادل التجاري مع الكيان الصهيوني 131 مليوناً 200 ألف دولار بلغت قيمة الصادرات 44 مليوناً و500 ألف دولار، أما الواردات فبلغت 86 مليوناً و700 ألف دولار.

2 – جاءت مصر في المركز الثاني بإجمالي 48 مليوناً و610 آلاف دولار، بقيمة صادرات بلغت 22 مليوناً و110 آلاف دولار وواردات بقيمة 26 مليوناً و500 ألف دولار.

3 – في الموقع الثالث جاءت المملكة المغربية ، بلغ إجمالي قيمة التبادل التجاري 7 ملايين و840 ألف دولار منها صادرات بقيمة مليون و140 ألف دولار أما الواردات فبلغت 6 ملايين و700 ألف دولار.

4 – في الموقع الرابع دولة جيبوتي بإجمالي مليون و270 ألف دولار، أما الواردات فكانت بقيمة مليون و100 ألف دولار.

5 – في الموقع الخامس جاءت المملكة العربية السعودية بإجمالي مليون و270 ألف دولار أما الواردات فبلغت قيمتها مليون و100 ألف دولار.

6 – في الموقع السادس دولة الإمارات العربية المتحدة بإجمالي 904 آلاف دولار بلغت صادراتها 4 آلاف دولار أما الواردات فبلغت 900 ألف دولار.

7 – في الموقع السابع جاءت لبنان بإجمالي 802 ألف دولار، وبلغت صادراتها ألفي دولار بينما بلغت الواردات 800 ألف دولار.

8 – وفي الموقع الثامن جاءت دولة الجزائر في المرتبة الثامنة بإجمالي 5.1 ألف دولار وبلغت صادراتها ألف دولار أما الواردات فكانت 500 ألف دولار.

9 – ثم تأتى العراق في الموقع التاسع بإجمالي 5.2 ألف دولار بلغت صادراتها ألفي دولار والواردات 500 ألف دولار.

بعد كل هذا يبقى السؤال المطروح: أين الالتزام بقرارات المقاطعة العربية؟! ولأن هذا السؤال سيظل بلا إجابة لأن أغلب هذه الدول تكيل بعدة مكاييل وتتعامل بعدة أوجه، لذلك لن تكون هناك إجابة عن هذا السؤال، وسيصبح لزاما علينا الانتقال إلى "الكويز" المصرية وقصتها المثيرة للأسى!! .

***

في سياق هذا التطبيع والاختراق الاقتصادي للدول العربية، جاء توقيع اتفاقية الكويز بين "مصر وأمريكا و"إسرائيل""، لتدشين مرحلة جديدة "خطيرة" من مراحل التطبيع الاقتصادي يمكن تسجيل دلالات قصتها، وآثارها، ومخاطرها المستقبلية في المحاور التالية:

أولاً: وفقاً للوصف الرسمي الذي قُدم عن هذه الاتفاقية، فإنها تعد انتصاراً وفتحاً اقتصادياً حيث جاء في بيانات وزارة التجارة والصناعة أن هذه الاتفاقية سوف تؤدى إلى دخول "إسرائيل" بنسبة تقرب من 12% من المواد المصنعة في بلادنا، أي اختراق اقتصادي تطبيعي يصعب رده مستقبلاً مع تحصيل نسبة كبيرة من عائد هذه الصادرات الصناعية ويقدر مبدئياً بـ "745 مليون دولار" وهى صادرات من المفترض أن تذهب إلى الولايات المتحدة، ووفقاً لوثائق وزارة التجارة التي أكدت أيضاً أن "إسرائيل" وفقاًً للاتفاقية ستدخل كعامل رئيس في تشغيل عدد كبير من المصانع المصرية وستؤثر في تحريك واختراق عقول "161 ألف عامل" أما هذه المناطق فهي: العاشر من رمضان – شبرا الخيمة – مدينة نصر – جنوب الجيزة – مدينة 15 مايو وحلوان – محافظة الإسكندرية – العامرية – برج العرب – العامرية الجديدة – الدخيلة – منطقة قناة السويس – بورسعيد. إضافة لذلك فإن الواقع يقول : إن هذا العدد من المصانع لن يعمل بأكمله، وهذا العدد من العمال لن يكون له حظ الحصول على فرصة عمل مستمرة، فضلاً عن أنهما "المصنع والعامل" سيكونان عرضة للاختراق الصهيوني السياسي والثقافي المنظم، والحقائق التي ترشحت عن أصحاب هذه المصانع والمستفيدين الرئيسين منها تؤكد أن ثلاثة من كبار رجال الأعمال ممن لهم علاقة بقصة التطبيع التاريخي بين "إسرائيل" والحكومة المصرية ، هم المستفيدون الوحيدون من هذه الاتفاقية وفي مقدمتهم أحد رجال الأعمال صاحب مصانع النسيج والذي عرف بدفاعه عن التطبيع الاقتصادي الشهير والذي سبق له زيارة "إسرائيل" وتوقيع عدة اتفاقات خاصة معها في مجال النسيج، وأن ادعاء استفادة مئات العمال والأسر ادعاء باطل إلى الحد الذي دفع صحيفة "الأهالي" لوضع عنوان "مانشيت" صفحتها الأولى بهذه الكلمات ذات الدلالة "بتاريخ 2004/12/22 "المستفيدون من اتفاقية الكويز ثلاثة أفراد".

ثانياً: وفي نطاق النقد العلمي لهذه الاتفاقية والتي تعد اتفاقية سياسية أكثر منها اتفاقية اقتصادية ، أنها أتت لتقدم فيها مصر لإسرائيل تنازلاً مجانياً يفتح الباب السياسي "فضلاً عن الباب الاقتصادي" لزيادة تجارتها وتطبيعها من خلال إدخال مكون صناعي بنسبة 11.8% الأمر الذي لم يقابله تنازل إسرائيلي مواز، ولو بشكل رمزي متمثلاً في إيقاف حمامات الدم – مثلاً – في غزة والضفة، بل العكس هو الذي حدث وفي نفس اللحظة التي كان يوقع فيه وزير التجارة المصري "رشيد محمد رشيد" على بروتوكول الاتفاقية كانت خان يونس تضرب بالقنابل الإسرائيلية الحارقة وبطائرات الأباتشي الأمريكية الصنع، الأمر الذي مثَّل هزيمة نفسية كبيرة أمام آلة القمع والإرهاب الإسرائيلية التي خرجت لوحدها – ومعها أمريكا بالطبع – منتصرة من هذه الاتفاقية البائسة.

ثالثاً: تؤدي هذه الاتفاقية إلى الإنهاء العملي لاستراتيجية المقاطعة العربية للشركات والسلع الإسرائيلية، وهى استراتيجية كبدت العدو الصهيوني في الفترة من "1948 – 2004" ما يقترب من مائة مليار دولار، تأتي هذه الاتفاقية لتجعل التطبيع الاقتصادي السري "والمحدود" الذي كان يجري مع 14 دولة عربية، تطبيعاً علنياً ومتزايداً وبأحجام كبيرة، ولم لا؟! ألم يقل أيهود أولمرت وزير التجارة الإسرائيلي، ذلك بعد توقيعه للاتفاقية وفي مؤتمر صحفي علني لم تترجم فيه كلماته كاملة من قبل المترجم المصري!! ثم ألم تقم فعلاً أكبر دولة عربية، والتي يقول قادتها عن أنفسهم : إنهم الشقيقة "والقائد الأكبر" للمنطقة، بفتح الباب العلني على مصراعيه في توقيت سيئ للغاية، توقيت تحتاج فيه فلسطين، بل والبلاد العربية مجتمعة إلى مزيد من الصلابة والصمود في وجه الغزوة الأمريكية والإسرائيلية الجديدة وليس إلى هذا الاندفاع المجاني على جبهة الاقتصاد من أجل قليل الربح السريع والسهل للبعض من الراغبين في الثراء أياً كان الثمن السياسي أو الاستراتيجي المدفوع من دور وتاريخ وقيمة دولتهم التي كانت فيما مضى هي الدولة القائد!!

رابعاً: ستؤدى هذه الاتفاقية إلى فتح أسواق عربية واسعة أمام إسرائيل خاصة أسواق الخليج التى ستبادر من خلال رجال الأعمال المصريين إلى توسيع دائرة التطبيع الاقتصادي مع "إسرائيل" دون الاعتبار لتطورات القضية الفلسطينية ودون أدنى احترام لدماء الشهداء التي كانت تسقط في نفس اللحظات التي يطبعون فيها مع "إسرائيل"، وستؤثر هذه الاتفاقية بالتالي على الاتفاقات العربية – العربية مثل السوق العربية المشتركة، و اتفاقية التجارة العربية الحرة، و"اتفاقية التيسير العربية" وغيرها، جميعها سوف يتأثر سلباً ؛ لأن دخول "إسرائيل" وأمريكا على الخط من خلال استراتيجية "الكويز" والتي ستعمم لاحقاً ؛ سوف يحطم تدريجياً البدائل العربية ويؤدي إلى تقلصها لصالح الأسواق والاقتصاديات الإسرائيلية والأمريكية.

خامساً: إذا كان هذا هو حال الخطر العام من الاتفاقية.. فماذا يقول خبراء الاقتصاد المصريون عن أخطارها على الصعيد المصري. إنهم يرون أن هذه الاتفاقية هي لتحرير التجارة مع "إسرائيل" وليس مع أمريكا وأنها تأتي في توقيت اقتصادي خطأ وهو بدء تطبيق "الجات" التي ستعني أصلاً فتح الأسواق العالمية وتخفيض الجمارك، فضلاً عن أنها تؤدي – أي الكويز – على المستوى المصري إلى إغلاق مئات المصانع المتخصصة في صناعة النسيج في عشرات المناطق الحيوية "والتي سبق الإشارة لبعضها مثل : حلوان – المحلة – بورسعيد"، كما يؤكد الخبراء أيضاً أن المصانع المصرية التي تدعي الاستفادة من الاتفاقية لا تحتاج إلى أسواق ؛ لأن لدينا أسواقاً أخرى بديلة "أفريقيا – أوروبا – الدول العربية" ولكنها تحتاج إلى تطوير كامل على المستوى التكنولوجي والتدريبي من أجل المنافسة، ويؤكدون على أن دخول "إسرائيل" بنسبة "11.8%" كمكون في صناعة النسيج سوف يجعل لها وضعاً احتكارياً متحكماً في الصناعة التي لن تتم إلا به، مما قد يدفعها إلى المغالاة في أسعار هذا المكون، والتي في الغالب ستقوم "إسرائيل" باستيرادها من دول

جنوب شرق آسيا مثل الصين بأرخص الأسعار وهو ما كانت تقوم به مصر مباشرة أي أن هامش الربح المتوقع سوف يضيع في فارق أسعار المكون الإسرائيلي المغالى فيه ، وقد يدفع هذا الوضع الاحتكاري "إسرائيل" إلى تعلية نسبة المكون لتصل إلى 35% وليس 11.8% فقط، الأمر الذي يمتص نسبة الربح المتوقعة لتعود إلى "إسرائيل" التي ستخرج وحدها رابحة وسيخرج الطرف المصري خاسراً ، إلا أن الجانب المصري مضطر للقبول بذلك تحت وهم الثراء السريع بسبب دخول السوق الأمريكية، رغم أن هذه السوق ليست بالحجم الذي يُغرى إلى هذه الدرجة "ونسبة الجمارك المرفوعة منه إذا قيست بما كانت تدفعه مصر لدول الكوميسا الأفريقية أو أوروبا يعد هزيلاً للغاية ولا يستحق أن يدفع مقابلاً له كل هذه الأثمان الاقتصادية والسياسية"، بالإضافة إلى ذلك فإن السوق الأمريكية بها منافسة عالمية عالية سوف تؤدي تدريجياً إلى طرد "السلعة غير الجيدة" وكما هو معلوم فإن مستوى السلعة النسيجية المصرية ليس جيداً بسبب عوامل تاريخية تحتاج إلى إصلاح على مستوى البنية الصناعية المتخلفة تكنولوجياً والتي لا يسعى أصحاب المصانع من رجال الأعمال أبناء هذا الزمان الرديء إلى تطويرها بجدية، لأن جُل همهم هو الثراء السريع دون النظر الاستراتيجي للمستقبل: مستقبل صناعتهم أو مستقبل بلادهم!! وإلى أن يتم هذا الطرد من السوق الأمريكية يكون "الإسرائيلي" قد ضمن وجوداً واختراقاً كبيراً في الصناعة المصرية النسيجية سوف يمتد بعده إلى الصناعات الأخرى.

<u>سادساً:</u> إذا علمنا أن "الكويز" اتفاقية شُرعت في عهد الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون عام 1996 كبديل عن مشروع ما كان يسمى وقتها بـ "بنك الشرق الأوسط" وهدفت إلى ضمان اندماج "إسرائيل" في اقتصاديات المنطقة التي لا تزال تلفظها، فإنه من المفيد أن نقول : إنها طُبقت أول ما طبقت مع الفلسطينيين والأردن ففشلت مع الاثنين فشلاً ذريعاً، ولم ينتج عنها سوى تغلغل

إسرائيلي كبير "عمال – إداريين – خبراء – مكونات اقتصادية" احتاجت إلى جيوش من الشرطة والأمن لحراستهم، الأمر الذي رفع من التكلفة المالية "والسياسية بالطبع" مقابل عائد متواضع للغاية، ولنتأمل تجربة الأردن على سبيل المثال حيث وصلت الصادرات الأردنية وفقاً لاتفاقية الكويز في قطاع النسيج عام 2002 "كمثال" إلى حوالي 289.7 مليون دولار في مقابل واردات وصلت إلى "285 مليون دولار" وأغلبه بالطبع من "إسرائيل" أي أن الفارق العائد للأردن لم يتجاوز "5 ملايين دولار" كان له أثمان باهظة على مستوى الاختراق الإسرائيلي الواسع للاقتصاد الأردني، حيث اخترقت 11 مدينة صناعية، وأنشئت غرفة تجارة مشتركة، ووقعت خمس اتفاقات كبرى وانسحبت الأردن رسمياً من اتفاقية المقاطعة العربية لإسرائيل ولم تحضر اجتماعاتها منذ توقيعها لهذه الاتفاقية وازداد التعاون الأمني والاستخباري مع "إسرائيل" ، كل ذلك تم في أجواء الانتفاضة والمذابح الإسرائيلية اليومية ضد الشعب الفلسطيني.. هذه التجربة بكل وقائعها ومراراتها سوف تنتظر "مصر" ولكن بثمن أقسى وأكبر وأفدح.

ورغم أن البحرين والمغرب لا يمثلان أهمية كبيرة لأمريكا قياساً بمصر سياسياً أو حتى بأسواق مصر بالنسبة للتجارة الأمريكية "2 مليار دولار تجارة أمريكية سنوية في السوق المصري**!**" رغم ذلك لم يوضع لها أفضلية بل عوملت بطريقة أقل من حجمها ودورها، وهذه الاتفاقية خير نموذج على ذلك**!!**

<u>سابعاً:</u> هذه الاتفاقية وقعت في مصر بطريقة مخالفة لدستور البلاد، أي أنها اتفاقية غير دستورية وغير قانونية، وذلك لأنه وفقاً للدستور المصري لابد وأن تعرض أية اتفاقية اقتصادية أولاً على مجلس الشعب "البرلمان" قبل التوقيع عليها، لأن للاتفاقات الاقتصادية التزامات مالية على الخزانة العامة للدولة سواء كانت خصماً أو إضافة إلى الرافد الضريبي والجمركي، وهو الأمر الذي لم يحدث مع هذه الاتفاقية ، حيث قامت الحكومة المصرية من خلال وزير

التجارة بتوقيعها مع الطرفين الأمريكي والإسرائيلي دون عرضها على مجلس الشعب، الأمر الذي أثار عاصفة من الانتقادات الواسعة من أعضاء المجلس بمن فيهم أعضاء الحزب الوطني الحاكم ذاته بعد أن علموا بتوقيعها دون علمهم وحاولوا لاحقاً احتواء الموقف ولكن لا تزال القضية مثارة، وهو الأمر الذي يفتح الباب أمام الطعن بعدم دستوريتها ومن ثم إسقاطها وهو الإجراء الذي يسعى نفر من نشطاء حركة المقاطعة الشعبية ومقاومة التطبيع وبالتحديد "اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين – لجنة مصرية مستقلة" إلى الأخذ به من خلال رفع دعوى قضائية أمام المحكمة الدستورية العليا ضد هذه الاتفاقية التطبيعية الخطرة والتي لا تقل سوءاً عن اتفاقية كامب ديفيد المصرية – الإسرائيلية "1979".

***

* وحول ردود الفعل والنتائج التى أفرزتها هذه الاتفاقية على مستوى الرأى العام والإعلام جاء ما **نشرته مجلة** " **الموقف العربى** " **فى 2004/12/24** من تقرير عن اتفاق الكويز بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة والتآمر الذى يتم على الصناعة المصرية خاصة صناعة الغزل والنسيج متجاهلة 120 مصنعاً متخصصاً فى صناعة الإكسسوارات الخاصة بالملابس الجاهزة والتى يعمل بها 30 ألف عامل ، ينتظر أن تغلق أبوابها خلال العام الأول للاتفاقية نتيجة لاستيراد المثيل الإسرائيلى البديل لمنتجاتها حسب بنود الاتفاقية .

وفى سياق متصل وجه مسؤول تركى انتقادات حادة لاتفاقية الكويز ، وقال: إن تركيا لم تستفد من الكويز لرداءة المنتج الإسرائيلى ووجوب عيوب به مما تسبب فى وجود عيوب خطيرة بالمنتج التركى .

وعلى جانب آخر أعلن رشيد محمد رشيد عدم وجود علاقة للحكومة المصرية بالمفاوضات الخاصة بالكويز رغم أنه شخصياً ذهب للولايات المتحدة للتفاوض

باسم مصر حول الاتفاقية لخفض نسبة المكون الإسرائيلى من 18% إلى 11.7% .

** **وفى مايو 2005** نشرت صحيفتا " الفجر والمصرى اليوم "عدة تقارير عن اتفاقية الكويز والتى تسمح لإسرائيل بنسبة 11.7% من مكونات صناعة النسيج المصرية كشرط لفتح أسواق أمريكا أمام منتجات الغزل والنسيج المصرية .

وأشارت هذه التقارير الصحفية إلى أن إسرائيل بدأت تضرب تحت الحزام وقامت برفع أسعار خامات " الكويز " بنسبة 300% مما تسبب فى رفع أسعار المنتج النهائى وهو ما يقلص الفرص أمامه للتسويق الخارجى وأمام تصديره .

وقد كشفت الزيادات الجديدة مدى ضعف رجال الأعمال المصريين فى التفاوض مع الجانب الإسرائيلى ، ويقال : إن هناك جهة حكومية تسعى لإنشاء شركة مصرية فى إسرائيل تقوم بتوريد مكونات الكويز بأسعار معقولة على أن يكون للدولة المصرية اليد الطولى على رجال الأعمال المصريين المتعاملين مع الكويز .وبعد تفعيل اتفاقية الكويز بدأت إسرائيل ضمن خطة ممنهجة للسيطرة على سوق النقد المصرى فقد تقدمت إسرائيل بطلب لمصر بفتح بنكين لها فى مصر ، ورغم رفض الطلب الإسرائيلى إلا أنه يوحى بأن إسرائيل تستغل الاتفاقيات الاقتصادية كالكويز للتسلل للاقتصاد المصرى ومحاولة التأثير السلبى عليه ، وتسعى إسرائيل لأن تدخل مصر " الشيكل الإسرائيلى" ضمن سلة العملات فى السوق المصرى .

وأوضحت الصحيفتان أن اتفاقية تصدير الغاز المصرى لإسرائيل لن يستفيد منها إلا رجل أعمال مصرى واحد ، هو حسين سالم وشركاؤه اليهود .

* وتحت عنوان " **إسرائيل قدمت طلباً رسمياً للحكومة .. شبح الكويز يظهر على هيئة بنوك إسرائيلية فى مصر** " **نشرت صحيفة " صوت الشعب " فى 2005/5/31 تقريراً جاء فيه أن خطوة (الكويز)** تأتى ضمن سلسلة من الخطوات التى بدأ الإعلان عنها فجأة للتعاون الاقتصادى بين مصر ودولة

الكيان الصهيونى ، جاءت هذه الخطوة فى شكل طلب مقدم من إسرائيل للسلطات المصرية يقضى بالسماح لها بافتتاح فروع لأكبر بنكين إسرائيليين بالقاهرة ؛ لتعزيز التعاون الاقتصادى بين البلدين وخدمة رجال الأعمال الإسرائيليين خاصة مع بداية العمل باتفاقية المناطق الصناعية المؤهلة .. هذا المطلب يفتح الباب أمام سيل من الإجراءات الاقتصادية التى تنوى إسرائيل القيام بها وعلى الرغم من أن المطلب الإسرائيلى لم يلق الترحيب ولم يتم الإعلان عنه بشكل رسمى بل تم تجميده تماماً بعد دراسات اقتصادية مكثفة ، أكدت أن رد الفعل الشعبى والمصرفى لن يقبل بوجود بنوك إسرائيلية وسوف تلاقى صعوبات كبرى فى التعامل معها سواء من قبل الأفراد أو المؤسسات الاستثمارية .

ولقد أكدت مصادر اقتصادية باتحاد البنوك أن هذا الطلب الإسرائيلى محكوم عليه بالفشل مسبقاً ومرفوض رسمياً وشعبياً خاصة أن السلطات النقدية فى مصر تتحفظ على أية طلبات من بنوك أجنبية لإقامة أو افتتاح فروع جديدة لها بالقاهرة والمحافظات .. هذا بالإضافة إلى أن مجرد تواجد البنوك الإسرائيلية فى السوق المصرية لن يحقق لها أرباحاً أو عائداً اقتصادياً فى ظل تزايد التوقعات بالمقاطعة ورفض التعامل معها كما أن تواجدها سيتطلب إجراءات أمنية مشددة .

واستغربت المصادر من الجرأة الإسرائيلية فى التقدم بطلب كهذا وهى تعلم مدى الضغط الشعبى على المسئولين الحكوميين لتقليل أو منع التعامل معها نهائياً ، وربما جاءت هذه الخطوة بعد أن تم التمهيد لها على مستوى البنوك بعد قبول الأخيرة التعامل بالعملة الإسرائيلية "الشيكل" ضمن سلة العملات التى تتعامل بها بعد رفض الاعتراف بها لفترة طويلة .

* إن هذه المطالب الإسرائيلية زادت بعد توقيع (الكويز 2004) وكبلت الاقتصاد المصرى بقيود عديدة أثرت على الأمن القومى المصرى وخاصة فى

شقه الاقتصـادى . ثم جـاءت اتفاقيـة أخـرى أكثـر خطـراً أثـرت سلباً علـى أحد الموارد الكبرى للاقتصاد المصرى ، وهو الغاز !

***

ثانياً : اتفاقية الغاز :

إذا كانـت اتفاقيـة كامـب ديفيـد 1978 ومعاهـدة السـلام (1979) بـين الحكومـة المصـرية والكيـان الإسـرائيلي، نقطـة تحـول خطيـرة فـي مسـار الصـراع العربـي الصــهيوني، أدت إلــى سـلبيات عديـدة ، كـان أبرزهـا إخـراج الـدور السياسـي القيـادي لمصـر مـن عروبتـه، وخلـع مركزيتهـا، وإلحاقهـا تـدريجياً بالاسـتراتيجية الأمريكيـة فـي المنطقـة، وإذا كانـت اتفاقيـة الكـويز الاقتصـادية (الموقعـة يـوم 2004/12/14) تمثل مرحلة ثانية خطيرة في مسار التطبيع الاقتصادي المؤثر سلباً على الاقتصاد والسياسة المصرية ولعقود قادمة، فإن توقيع اتفاقية توصيل الغاز المصـري إلـى الكيـان الصـهيوني الموقعـة فـي (2005/6/30) والتـي بـدأ تنفيذها فعلياً في فبراير عام (2008)، تمثل مؤشراً لمرحلة من الانهيار الكبير للدور العربي لمصر، اقتصادياً وسياسياً واستراتيجياً، مرحلة وصل فيها تدهور الدور المصري حداً أن تصبح مصر، ذات التاريخ من النضال والتضحيات في مواجهـة الغـزوة الصـهيونية ؛ هـي الممـول الأول لاسـتمرار حيـاة هـذا الكيـان العدواني، وهي الحارس لأمنه، والمغذي لشرايين اقتصاده: من صناعة النسيج وصـولاً إلـى الغـاز مـروراً بالسياحة وبـاقي مجـالات التجـارة والاستثمار (السـابق رصدها عبر الفصول الأخرى فى الموسوعة خلال الفترة 1979-2011) .

* إن ما جرى، كان مقدمة لانهيارات أخرى لهذا الدور المصري المفترض في المنطقة، وقبل أن نناقش تفاصيل ودلالات ومستقبل هذه الاتفاقية ، فلنؤكد أولاً على جملة من البديهيات السياسية التي رغم وضوحها تجاهلها البعض عمداً خاصـة مـن المطبعين مـن إعلامـي نظـام مبارك وممن يسمون لـديها بـالخبراء الاستراتيجيين والاقتصاديين :

***

<u>أول البـديهيات:</u> أن أصـل الـداء الـذي فـتح المجـال لمثـل هـذه الاتفاقيـات هـو اتفاقيــة كامــب ديفيــد (1987) ومعاهــدة الســلام الموقعــة عــام (1979) بــين الحكومـة المصـرية وإسـرائيل، وأن مـا احتوتـه مـن بنـود سـرية وشـروط مذلـة ومجحفـة للأمـن القومي المصـري، هـي التـي مهـدت الأرض لعقد العديـد مـن الاتفاقيات وفرضت على النظام المصري الرضوخ المستمر لها، رغم أن القانون الـدولي يبيح لمصـر وبعد مـرور 25 عامـاً مـن توقيـع أي اتفـاق دولـي أن تعيد النظر فيه بل أحياناً أن ترفضه كاملاً وهذا ما لم يتم حتى اليوم رغم مرور أكثر من ثلاثين عاما على توقيعها.

<u>ثـاني البـديهيات:</u> مـن المفتـرض أن لمصـر دوراً عروبيـاً وإسـلامياً، وهـو دور فرضـته الجغرافيا والتـاريخ ولـيس فقط المصـالح، وعقد مثـل هذه الاتفاقات كـان يقلص إن لم يقض على هذا الدور، خاصة أنها تعقد وتنفذ دونما مقابل سياسـي يستحق (من قبيل إعادة بعض الحقوق الفلسطينية المهدرة) بل أحياناً بلا مقابل اقتصادي فعلي كما سنرى عند مناقشة بنود اتفاقية الغاز، إننا إذن أمام انتكاسة كبيرة لهذا الدور المصري الذي كـان يتطلب إدارة وإرادة فعالـة تقوده وتوجهـه، وتحدد أولوياته ، وهو ما لم يتوفر خلال فترة حكم مبارك وخلال فترة بحثنا هذه (1979−2011).

<u>ثالث البديهيات:</u> تنفيذ هذه الاتفاقية (بدأ في فبراير عام 2008 كما أشرنا سلفاً) يـتم فــي الوقـت الـذي اشـتد فيــه الحصــار العربــي الإسـرائيلي علــى الشــعب الفلسطيني في الضفة وغزة، وتقطع فيه الكهرباء ومُنع فيه ضخ النفط ومشتقاته إلى أهل غزة، فيتحولون إلى الحياة البدائية في أسوأ أوضاعها، إن (العار) هي الكلمة المخففة لوصف هذه الازدواجية الخطيرة في التعامل مع قضية تصدير الغاز ومن قبله النفط عن طريق نفر من رجال الأعمال وفي مقدمتهم رجل الأعمال والذي كـان من قبل رجل مخابرات سابق (حسين سالم) والذي كـان

صديقاً وشريكاً لحسنى مبارك فى أغلب قضايا الفساد والنهب التى حوكم مبارك عليها بعد ثورة يناير 2011 ، وحكم عليه بالسجن، الغريب أن حسين سالم هذا تم الاحتفاء به إسرائيلياً بسبب دعمه للاقتصاد الإسرائيلى وتم تكريمه فى إسرائيل كشخصية صديقة .

* تلك البديهيات، لم يدركها عام (2005) يوم وقعت الاتفاقية، بعض من نخبتنا السياسية والإعلامية بل انقلبت رأساً على عقب، ومع هذه الاتفاقية تحديداً باتت تلك البديهيات تحتاج إلى إعادة تثبيت خاصة والاتفاقية – كما سبق وأشرنا – خطيرة ومؤسفة إلى حد الإهانة لدور وتاريخ ورسالة مصر العربية. فماذا عنها؟

***

(1) في البداية تحدثنا الأرقام والحقائق المتاحة عن احتياطي الغاز المصري وتفاصيله المهمة أن احتياطي مصر المعلن حكوميا من الغاز يساوى 1% من احتياطي الغاز العالمي(المعلن حكوميا 75 تريليون قدم مكعب بينما تقرير الخبير العالمي وود ماكينزى في يناير 2008 هو 28 تريليون قدم مكعب غاز)، وأن نصيب الفرد من الطاقة (ط.ب.م/فرد)0.83 في مصر 1.24 في الأردن 7.62 في الولايات المتحدة الأمريكية مما يعنى أن مصر مازالت بعيده جدا عن التشبع.

ومن المفيد معرفة أن مصر تشترى كل حصة الشريك الأجنبي من إنتاج الغاز الطبيعي بسعر حد أدنى 2.65 دولار لكل مليون وحده حرارية بريطانية.

•الغاز الطبيعي ملك مصر 100% – إنتاج أبو ماضي وأبو قير وتم بيع أبو قير(إنتاج أبو قير حوالي 170 مليون قدم مكعب يوميا سيباع لمصر بسعر 6 دولار لكل مليون وحده حرارية بريطانية)؟؟؟وما تبقى لا يصل 0.2 % من إجمالي الإنتاج.

•يتم تصدير الغاز الطبيعي من شبكة الاستهلاك المحلى أي : بعد المعالجة ومدعم إلى كل من (أسبانيا وإسرائيل والأردن) ، إجمالي المتعاقد عليه للتصدير هو 18 تريليون قدم مكعب غاز). ويتم التصدير الى أسبانيا بسعر 0.75 سنت لكل مليون وحده حرارية بريطانية وبسعر 1.25 دولار لكل من الأردن وإسرائيل أما (شركة رشيد) فتشترى مصر كل الغاز الطبيعي وحصة الشريك ثم تسلمه لمصنع الإسالة بنظام صافى العائد علما بأن الجانب المصري غائب عن رقابة أية خطوة.

وتؤكد الحقائق الجديدة أن زيادة استهلاك المازوت في توليد الكهرباء على حساب الغاز الطبيعي هو إهدار للمال العام ويتوجب إيقافه فورا (مليون وحدة حرارية بريطانية من المازوت تساوى عشرة دولارات بينما يتم تصدير نفس الكمية مقابل 0.75 سنت أو 1.25 دولار)، وتضيف الحقائق الجديدة أيضاً أن شركة Novatic الروسية برأسمال إسرائيلي أخذت امتياز منطقة العريش التي يمر فيها خط الغاز إلى إسرائيل ، بينما المتعارف عليه أن كل المناطق الحدودية تمنح للشركة العامة للبترول لأسباب أمنية،وهو ما لم يتم مع الصفقة الأخيرة المر الذي سيؤدي إلى أضرار مستقبلية على الأمن القومي لمصر.

***

أما عن تفاصيل صفقة الغاز فإن الأرقام المحايدة تقول : إن مصر اتفقت مع إسرائيل عام 2005 وعبر شركات خاصة على تقديم الغاز الطبيعي المصري لهذا الكيان المعادي بأسعار تبلغ نحو 43% من سعر السوق العالمية آنذاك، علماً بأن هذا السعر هو سعر وصوله إلى هذا الكيان شاملة تكاليف النقل والتأمين، ولم تشر الاتفاقية إلى تحريك السعر بما يعني أن السعر من المفترض أن يظل ثابتاً لمدة 15 عاماً قابلة للمد 5 أعوام أخرى، وإذا كان سعر تصدير الغاز المصري لإسرائيل 1.5 دولار للمليون وحدة حرارية بريطانية، ترفع إلى 2.65 دولار بإضافة لتكاليف النقل والتأمين، فإن السعر في السوق

الدولية كان 6.2 دولار للمليون وحدة حرارية بريطانية عند عقد الاتفاق، في حين كانت الأسعار الآجلة للغاز عند عقد الاتفاقية في منتصف عام 2005 تشير إلى أن سعر المليون وحدة حرارية بريطانية سوف يرتفع إلى 13 دولاراً في يناير 2006 ، بما يعني أن الأسعار تأخذ اتجاهاً صعودياً بالغ القوة يفرض على أي مفاوض أن يأخذ ذلك في اعتباره، وللعلم فإن سعر تصدير الغاز لإسرائيل يعني : أن الغاز الطبيعي الذي يكافئ برميلاً واحداً من النفط يخرج من مصر بسعر 8.7 دولار، ويصل إسرائيل بسعر 15.4 دولار في وقت يصل سعر مكافئ برميل النفط من الغاز نحو 52.2 دولار في صفقة تصدير الغاز من روسيا لأوكرانيا، وهو سعر يتغير سنوياً، بينما يصل السعر في السوق الدولية إلى 54.5 دولار.

وفي دراسة مهمة له عن (الانهيار الاقتصادي في عهد مبارك) يقول الباحث الاقتصادي بمركز الدراسات الاستراتيجية بصحيفة الأهرام المصرية الرسمية أحمد السيد النجار(صار فيما بعد رئيسا لمجلس إدارة جريدة الأهرام) : إن ما ترشح من معلومات بشأن هذه الصفقة يقول : إنه سيتم تصدير نحو 160 مليون قدم مكعب من الغاز يومياً إلى إسرائيل أي ما يوازي نحو 1.7مليار متر مكعب من الغاز في العام لمدة 15 عاماً قابلة للمد إلى 20 عاماً. كما تم الإعلان عن أن هذا التصدير سيتم من خلال خط أنابيب يمتد من الشيخ زويد إلى عسقلان.

ووفقاً لهذا الإطار الذي تم إعلانه فإنه سيتم تصدير نحو 25.5 مليار متر مكعب من الغاز إسرائيل على مدار 15 عاماً بقيمة 2.7 مليار دولار بواقع 10.6 سنت أمريكي لكل متر مكعب كأسعار ثابتة على مدار الـ15 عاماً ،أي ما يوازي 16 دولار لكميات الغاز المكافئة لبرميل واحد من النفط، حيث إن برميل النفط يكافئ 152 متر مكعب من الغاز الطبيعي. وهذا السعر يعني أن سعر المليون وحدة حرارية بريطانية (برميل النفط يساوي 5.8 مليون وحدة

حرارية بريطانية)، سوف يكون نحو 2.8 دولار. وهذا السعر هو بمثابة كارثة وسطو صريح على موارد مصر، لأن السعر الآني لمليون وحدة حرارية بريطانية في سوق لندن هو 6.2 دولار، بينما تبلغ الأسعار الآجلة للشحنات التي تستلم في يناير 2006 نحو 13 دولاراً (راجع: النشرة الشهرية لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط "أوبك"، يوليو 2005، صـ16)، فكيف يمكن تثبيت السعر لمدة 15 عاماً عند مستوى 2.8 دولار للمليون وحدة حرارية بريطانية؟!

هذه الاتفاقية من وجهة نظر الخبراء تقدم نموذجاً لإهدار موارد الشعب المصري وإمداد دولة معادية بها بأبخس الأثمان على حساب مستقبل مصر وقوت أبنائها.

ومثلما تهربت الحكومة المصرية من عرض اتفاقية الكويز على مجلس الشعب ، فإنها تهرب هذه المرة أيضاً مستخدمة نفس الادعاء بأنها ملحق لاتفاقية التسوية السياسية المعقودة سنة 1979 بين إسرائيل وبين نظام حكم الرئيس السادات الذي قتل عام 1981، وهو ادعاء غير صحيح تم اختلاقه لتبرير العدوان الغاشم من السلطة التنفيذية على حقوق الشعب ونوابه.

وقد بررت الحكومة هذا الاتفاق بأنه يستهدف تنويع أسواق تصدير الغاز، ولكن هذا التبرير يفتقد لأية مصداقية ؛ لأن أسواق الغاز طولاً وعرضاً مفتوحة أمام صادرات مصر من الغاز كمصدر للطاقة النظيفة وغير الملوثة للبيئة، ولن يتوقف الأمر على السوق الإسرائيلية الصغيرة والمعادية للأمن القومي المصري والعربي في آن واحد.

***

في مواجهة الصفقة كانت هناك تحركات واعتراضات شعبية واسعة، انطلقت من البرلمان ووصلت إلى الشارع ومنظمات المجتمع المدني وبخاصة لدى حركة الإخوان المسلمين التي تفاعلت مع موجات الغضب الشعبي عبر

المشاركة في المظاهرات، وعقد المؤتمرات في غالبية أنحاء مصر، أما في البرلمان المصري فقد تقدم 50 نائباً معارضاً بطلبات إحاطة وطالبوا بوقف تصدير الغاز إلى إسرائيل والذي سيصل كما قالت أوراقهم إلى 1.7 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً لمدة عشرين عاماً بأسعار تقل بكثير عن الأسعار العالمية ، وأنها ستظل ثابتة وغير متحركة وفي ذلك ظلم كبير للحقوق الاقتصادية للشعب المصري، وأن شركة (أي إم جي) هي المكلفة بذلك، وأن هذه الشركة مجرد غطاء وهمي للحكومة المصرية وأن الغاز قد بدأ ضخه بالفعل ليس في مارس بل فبراير/ شباط (2008).

* ولعل الموقف العملي المهم الذي تم في سياق مواجهة هذه الاتفاقية هو ما قام به المحامي المعروف (وكان سفيراً سابقاً في وزارة الخارجية المصرية) إبراهيم يسري، عندما قام برفع دعوى قضائية ضد وزير البترول المصري مطالباً إياه بإلغاء هذه الاتفاقية وإيقاف ضخ النفط والغاز إلى العدو لأن ذلك يتعارض والمصلحة المصرية المباشرة فضلاً عن المصلحة العربية ونظراً لأهمية الدعوى التي تضامن معها العديد من الهيئات الشعبية في مصر وبعد تداولها في المحاكم ابتدءً من يوم 6/24/ 2008حكمت لصالح المدعين بايقاف تصدير الغاز الى اسرائيل إلا أن الحكومة المصرية استأنفت الحكم واستمرت فى مواقفها المتعنتة والمؤيدة لاسرائيل ورغم ذلك من المهم إيراد أبرز ما ورد في نص عريضة التظلم أو الدعوى لأنه مهم من الناحية القانونية والسياسية تاريخيا والذي جاء فيه:

[اتصل بعلم المتظلم الموقع أدناه (أي المحامي إبراهيم يسري) أنه بموجب ما سمي بمذكرة تفاهم وقعت علي المستوي الوزاري بين مصر وإسرائيل وتتعهد فيه مصر بتوريد الغاز الطبيعي لإسرائيل بسعر منخفض للغاية لا يتجاوز دولاراً وربع الدولار في حين أن قيمته السوقية حاليا تزيد علي 9دولارات،وحيث أن هذه المذكرة لا ترقي إلي المعاهدة الدولية ويلحقها البطلان المطلق وفقا لأحكام

المادة2/151من الدستور،وبالتالي لا تصلح كأساس قانوني يستند عليه تعهد مصري يهدر الثروة البترولية المصرية بسعر بخس. وحيث علم المتظلم في تاريخه بأن وزير البترول بصفته كان قد أصدر القرار الوزاري رقم 100 لسنة2004 ، و الذي أعتبر سريا و لم ينشر بالجريدة الرسمية حيث أفادت الجهة المختصة بالنشر بعدم ورود القرار لها للقيام بنشره و فقا للأصول المرعية.

وحيث وصل لعلم المتظلم أن القرار يشير في ديباجته إلي قرار مجلس الوزراء في اجتماعه بتاريخ سبتمبر عام 2000 والذي يمنح وزارة البترول ممثلة في الهيئة المصرية العامة للبترول (إيجبك) الحق في التفاوض والتعاقد مع :شركة غاز شرق المتوسط من أجل بيع 7 مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي لإسرائيل علي مدار 15 سنة قابلة للتجديد و أنه تم توجيه خطاب الي رئيس مجلس إدارة شركة غاز شرق البحر المتوسط جاء فيه : إنه قد تم توجيه خطاب إلى الجانب الإسرائيلي جاء فيه : " إنه من دواعي سرورنا إبلاغ سيادتكم بأن مجلس الوزراء في اجتماعه الذي عقد في 18 سبتمبر عام 2000 قد قرر تحديد أسعار بيع من الهيئة المصرية العامة للبترول في ميناء العريش وغيرها من وحدات قياس الغاز بسعر 75 سنتا وبسعر أقصي دولار وربع الدولار وقد يرتفع إلي دولار ونصف الدولار في حالة وصول سعر خام برنت إلي 35 دولارا أو أكثر ". واستند ذلك الاتفاق المشترك – بالإضافة إلي مذكرة التفاهم الباطلة سالفة الذكر والتي يظل النص الكامل لنصوصها محظورا علي البرلمان و الشعب دون مقتضى ، استند أيضا للقانون رقم 20 لسنة 1976 الخاص بالهيئة العامة للبترول وعلي قرار رئيس الوزراء رقم 1009العام2001 الخاص بالشركة المصرية للغاز الطبيعي (إيجاس) وحيث إنه بناء علي هذا القرار قام رئيس مجلس إدارة كل من:

1. شركة إيجبك وهي شركة مصرية مساهمة أسست وفقا للقانون الخاص للمناطق الحرة رقم 8 لعام 1997 ونصوصه التي نشرت في جريدة الاستثمار الرسمية رقم 3573 بتاريخ 31 يوليو عام 2000 وجري الإشارة إلي أهدافها في جريدة الاستثمار رقم 8029 بتاريخ 9 يوليو عام 2004.

2. والشركة المصرية للغازات الطبيعية وهي شركة قطاع عام مائة في المائة ومملوكة للحكومة المصرية وأسست وفقا لقرار رئيس الوزراء رقم 1009 لعام 2001 ويشار إليها احيانا باختصار (إيجاس) بتوقيع اتفاق لتوريد كميات من الغاز الطبيعي المصدر ونقله وبيعه لإسرائيل عبر شركة غاز الشرق الأوسط .وحيث إن القرار الوزاري رقم 100 لسنة 2004باطل بطلانا مطلقا بل ومنعدماً حيث صدر مخالفا مخالفة صريحة وواضحة للدستور والقانون ، وتلحقه العيوب الواردة في الفقرة 14 من المادة العاشرة من قانون مجلس الدولة علي ما سيبينه المدعي و حيث إن الدعم الكبير لإسرائيل المعتدية على الحقوق العربية والذي يؤمنه توريد الغاز لإسرائيل بأسعار رمزية لا تصل إلي عشر السعر العالمي السائد و أن ذلك قد انعكس سلبا علي مصلحة المعلن و غيره من المواطنين المصريين وتجسد ذلك في تقليص الدعم لمحدودي الدخل بزيادة أسعار البنزين و السولار و منتجات بتروكيميائية عديدة.لذلك أرفع تظلمي من القرار المذكور لما يلحقه من جوانب البطلان والعوار والقصور الواردة بقانون مجلس الدولة وثم طالب المدعي (إبراهيم يسري) بعدة مطالب كان أبرزها:

1. بإلغاء القرار رقم 100 لسنة 2004 سالف الذكر وتوابعه من القرارات و كل ما ترتب عليه من آثار و علي الأخص تلك الاتفاقيات التي ترتبت عليه بين شركات مصرية و إسرائيلية.

2 – ولما كان من نتائج هذا القرار أنه انعكس سلبا علي مصلحة المدعي وغيره من المواطنين المصريين و تجسد ذلك بزيادة أسعار البنزين والسولار ومنتجات بتروكيميائية عديدة. و من ثم يلتمس المتظلم إلغاء قرار وزير البترول

الأخير برفع سعر البنزين والسولار ؛ حيث يمكن تعويضه من رصيد الدعم الذي منح لإسرائيل.والأمل أن تنظروا في هذا التظلم وأن تتفضلوا بإلغاء هذين القرارين.

***

هذه الدعوى القضائية ، انتصر فيها رافعوها من المناضلين المصريين ولكنها لم تنفذ ، إلا بعد ثورة 25 يناير 2011 ، وبعد أكثر من 16 مرة تفجير لخط الغاز ، ونفذت الدعوى مرحلياً ، وتم مؤقتاً إيقاف تصدير الغاز لإسرائيل وان تم الامر استناداً لأسباب مالية وليس سياسية كما كان متوقعاً وكما أُعلن.

***

(2) رؤية قانونية :

استكمالاً للدعوى القانونية التى أقامها السفير إبراهيم يسرى ، وردود الفعل السياسية على الاتفاقية ، ثمة قراءة أخرى لجوانبها القانونية قدمها د. مصطفى أبوالخير (الخبير القانونى) حول بطلان الاتفاقية قانونياً وجاء فى دراسته أن هذه الاتفاقية باطلة بطلاناً مطلقا فى القانون الدولى، التى يعتبرها فى حكم العدم، أي أنها فعل مادى لا يرتب عليها القانون الدولى أى أثر قانونى، وتقف عن هذا الحد، أى أنها فى حكم المعدوم طبقا للقانون الدولى، ويستند الخبير القانونى فى نتيجته إلى

أ- الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة من النهر إلى البحر قوة احتلال، لأن وجوده فى فلسطين غير شرعى ومخالف لمبادئ عامة فى القانون الدولى، أولها : مبدأ تحريم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة، وقد تأكد هذا المبدأ من خلال النص عليه فى المادة العاشرة من عهد عصبة الأمم التى نصت على (يتعهد الأعضاء باحترام سلامة أقاليم جميع الدول الأعضاء فى العصبة واستقلالها السياسى القائم والمحافظة عليه ضد أى عدوان خارجى) والعديد من قرارات الأمم المتحدة سواء من مجلس الأمن أو الجمعية العامة، وقد ورد هذا المبدأ

فى المادة الثامنة من مشروع حقوق وواجبات الدول لعام 1974م التى نصت على (يجب على كل دولة أن تمتنع عن الاعتراف باكتساب الأقاليم الناجم عن استعمال القوة أو التهديد بها) وأيضا المادة (11) من مشروع حقوق وواجبات الدول الذى اعتدته لجنة القانون الدولى، ويؤكد هذا المبدأ نص المادة الثانية، الفقرة الرابعة بحظر استخدام القوة فى العلاقات الدولية، مما ينتج عنه عدم الاعتراف بالنتائج المترتبة على استخدام القوة.

كما ورد النص على مبدأ تحريم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة فى العديد من قرارات مجلس الأمن منها القرار رقم (3256/أ) فى 2 نوفمبر 1956م، والقرار رقم (3257/أ) فى 4 نوفمبر 1967م، والقرار رقم (252) فى 21 مايو 1968م، والقرار رقم (2734) فى 16 ديسمبر 1971م والقرار رقم (2625) الخاص بإعلان مبادئ القانون الدولى بشأن العلاقات الودية والتعاون الدولى ، والقرار رقم (298) فى 25 سبتمبر 1971م والقرار رقم (662) فى 8 أغسطس عام 1990م، كما ورد هذا المبدأ فى القرار (242) حيث ورد فيه (إن القوة لا تخلق الحق) والقرار رقم (336) أكد على ذات المبدأ.

وقد أصدرت الجمعية العامة قرارات تؤكد على هذا المبدأ منها القرار رقم (2799) فى 13 ديسمبر 1971م، والقرار رقم 2851) فى 20 ديسمبر 1971م، والقرار رقم (2949) الصادر فى 1972/12/8م، القرار رقم (3144) الصادر فى 1974/12/14م بشأن تعريف العدوان.

وكذلك ورد فى أحكام القضاء الدولى منها الرأى الاستشارى الصادر من محكمة العدل الدولية بشأن احتلال جنوب إفريقيا لنامبيا فقد ورد فيه : إن المحكمة لا تعترف بهذا الاحتلال، اعتمادا على مبدأ تحريم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة. وهذا المبدأ مستقر فى الفقه الدولى العربى والغربى ومتفق عليه من كافة فقهاء القانون الدولى العام " .

ترتيبا على ما سبق، وإعمالا لأحكامه، يتبين لنا أن وجود الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة باطل بطلانا مطلقا أى : فى حكم العدم.

ب – المبدأ الثانى الذى يؤكد على عدم شرعية وجود الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة من النهر إلى البحر، هو مبدأ حق تقرير المصير وهو من المبادئ العامة والمستقرة فى القانون الدولى ولا خلاف عليها من الفقه والقضاء الدوليين، كما أنه ورد فى ميثاق الأمم المتحدة فى المادتين الأولى الفقرة الثانية والمادة الخامسة والخمسين، وقد ورد هذا المبدأ فى كافة مواثيق المنظمات الدولية العالمية والإقليمية، وحق تقرير المصير هنا السياسى والاقتصادى للشعب الفلسطينى كاملا ، ويترتب على ذلك نتيجة هامة جدا وخطيرة، أن قوات الاحتلال الصهيونية فى فلسطين المحتلة ليس لها حق الدفاع الشرعى ضد المقاومة الفلسطينية، لأن من أركان الدفاع الشرعى ألا يكون القائم بالدفاع الشرعى معتديا، لأنه لا يوجد دفاع شرعى ضد دفاع شرعى ولا مقاومة لفعل مباح، هاتان قاعدتان مستقرتان فى كافة الأنظمة القانونية الموجودة فى العالم، كما أن الاحتلال جريمة من الجرائم الدولية ، وهى جريمة حرب طبقا للنظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية المادة الخامسة، وطبقا لقرار تعريف العدوان رقم (3144) لعام 1974م الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، والعديد من قرارات مجلس الأمن، لذلك لا يترتب على فعل غير مشروع وهو الاحتلال فعل مشروع وهو الدفاع الشرعى الذى حق طبقا للمادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة حق طبيعى، والحق الطبيعى لا يملك القانون حياله سوى حمايته ووسائل الحماية، لذلك ليس لقوات الاحتلال دفاع شرعى.

ترتيبا على ما سبق، فإن وجود الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة من البحر للنهر غير شرعى ومنعدم ويترتب على ذلك وطبقا لميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة وجوب أن تقوم كافة الدول أشخاص القانون الدولى وآلياته بعدم مساعدة قوات الاحتلال الصهيونية، ويجب عليها

أن تقدم كافة أنواع المساعدات والدعم للمقاومة الفلسطينية، بداية من الدعم العسكرى والمالى والسياسى واللوجستيى، ولا تعد فى ذلك مخالفة للقانون الدولى أو مرتكبة جريمة دولية.

أهم هذه الوثائق إعلان الجمعية العامة رقم (3103) الدورة (28) بتاريخ 1973/12/12م بشأن المبادئ الإنسانية الأساسية فى جميع النزاعات المسلحة ومبادئ الوضع القانونى الخاص بالمناضلين ضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية والأنظمة العنصرية، وكافة القرارات المدونة فى صدر هذا الإعلان، وإعلان الجمعية للأمم المتحدة رقم (375) لعام 1949م بشأن حقوق الدول وواجباتها، فقد كان تحديد حقوق الدول وواجباتها محل اهتمام رجال القانون الدولي منذ عهد بعيد، وكذلك قامت الهيئات العلمية الدولية بتناول الموضوع واتخاذ قرارات بشأنه. وقد نص على حقوق الدول وواجباتها في مواثيق دولية متعددة وأهمها:

- معاهدات لاهاي لعام 1899.

-" بيان حقوق الدول وواجباته ا" الصادر عن " المعهد الأمريكي للقانون الدولي" في جلسته المنعقدة بواشنطن بتاريخ السادس من يناير 1916م

-" بيان حقوق الدول وواجباتها " الصادر عن" اتحاد القانون الدولي" بتاريخ الحادي عشر من نوفمبر 1919م

- عهد عصبة الأمم.

- اتفاقية حقوق الدول وواجباتها التي أبرمتها الدول الأمريكية في " مؤتمر مونتفيديو" لعام 1933. وقد تم التشديد على أهم بنود هذه الاتفاقية في "مؤتمر بونيس آيرس" لعام 1936م . ثم في مؤتمر " ليما" لعام 1938م.

- ميثاق الأمم المتحدة، ومواثيق المنظمات الدولية الإقليمية.

– مشروع الإعلان الصادر عن" الجمعية العامة للأمم المتحدة" رقم 375 (4) لعام 1949 بشأن حقوق الدول وواجباتها يتكون من (14) مادة تتضمن أربعة حقوق وعشرة واجبات.

فحقوق الدول التي نص عليها هذا المشروع هي: الاستقلال، السيادة، المساواة في القانون، والدفاع المشروع عن النفس أما واجباتها فهي : عدم التدخل، عدم إثارة الحروب الأهلية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وعدم تهديد السلم والأمن الدوليين، وتسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية، وعدم اللجوء إلى الحرب، (وعدم مساعدة الدول المعتدية، وعدم الاعتراف بالاحتلال الحربي،) وتنفيذ المعاهدات، والتقيد بالقانون الدولي.

تطبيقا لما سلف من حقوق وواجبات الدول التي أصبحت من القواعد العامة في القانون الدولي التي لا يجوز الاتفاق علي مخالفتها، بعد أن استقرت بكثرة تطبيقاتها وكثر النص عليها في مواثيق دولية على رأسها ميثاق الأمم المتحدة وكافة مواثيق المنظمات الدولية الإقليمية مثل جامعة الدول العربية والاتحاد الإفريقي ومنظمة الدول الأمريكية.

ومن الثابت قانونا أن اتفاقية السلام المصرية لعام 1979م مع الكيان الصهيونى لم تنه حالة الحرب بين مصر والكيان الصهيونى، واتفاقية الغاز محل الدراسة جاءت نتيجة استخدام القوة بالحروب التى حدثت بين مصر والكيان الصهيونى ، آخرها حرب أكتوبر عام 1973 وترتبت عليها وطبقا لنص المادة (52) من قانون المعاهدت بين الدول لعام 1969م، التي تنص على:(تعتبر المعاهدة باطلة بطلانا مطلقا إذا تم إبرامها نتيجة التهديد باستعمال القوة واستخدامها بالمخالفة لمباديء القانون الدولي الواردة في ميثاق الأمم المتحدة).

ومما لا شك فيه أن معاهدات الصلح بين العرب إسرائيل تدخل في دائرة البطلان المطلق المنصوص عليه في هذه المادة ؛ لأنها أبرمت تحت تهديد باستخدام القوة مخالفة بذلك المبادئ العامة في القانون الدولي ، أى : القواعد

الآمرة في القانون الدولي العام، وكذلك مبادئ وأحكام ميثاق الأمم المتحدة، وهذا ما نصت عليه المادة (53) من قانون المعاهدات السالف والتي تنص على أنه (تعتبر المعاهدة باطلة بطلانا مطلقا إذا كانت وقت إبرامها تتعارض مع قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي العام ، وتعتبر قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي العام : كل قاعدة مقبولة ومعترف بها من الجماعة الدولية كقاعدة لا يجوز الإخلال بها ولا يمكن تغييرها إلا بقاعدة لاحقة من القواعد العامة للقانون الدولي لها ذات الصلة).

وتؤكد المادتان (64) و (71) من قانون المعاهدات استحالة تطبيق معاهدات الصلح التي تتضمن تنازلات إقليمية أو حقوقا إقليمية لبطلان هذه المعاهدات بسبب مخالفتها لقاعدة تحريم استعمال القوة في العلاقات الدولية أو التهديد باستعمالها. فتنص المادة (64) منه على(إذا ظهرت قاعدة آمرة جديدة من قواعد القانون الدولي العام فإن أي معاهدة قائمة تتعارض مع هذه القاعدة تصبح باطلة وينتهي العمل بها) وتنص المادة (71) من قانون المعاهدات على إبطال أي معاهدة تتعارض مع قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي العام فنصت على أن: (1- في حالة المعاهدة التي تعتبر باطلة طبقا للمادة (53) يكون على الأطراف:

(*) أن تزيل بقدر الإمكان آثار أي عمل تم استنادا إلى أي نص يتعارض مع قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي العامة.

(*) وأن تجعل علاقاتها المتبادلة متفقة مع هذه القاعدة الآمرة)).

2- في حالة المعاهدة التي تعتبر باطلة وينتهي العمل بها طبقا للمادة (64) يترتب على إنهائها:-

(*) إعفاء الأطراف من أي التزام بالاستمرار في تنفيذ المعاهدة.

(*) عدم التأثير على أي حق أو التزام أو مراكز قانونية للأطراف تم نتيجة لتنفيذ المعاهدة قبل إنهائها ، بشرط أن تكون المحافظة على هذه الحقوق والالتزامات والمراكز بعد ذلك رهينة اتفاقها مع القاعدة الآمرة الجديدة).

ترتيبا على ما سبق يذهب د.السيد أبو الخير إلى أن اتفاقية تصدير الغاز المصرى للكيان الصهيونى، تكون منعدمة، وباطلة بطلانا مطلقا، ولا يجوز الاتفاق على مخالفتها من قبل كافة اشخاص وآليات القانون الدولى أو التمسك بها لمخالفتها مبادئ عامة فى القانون الدولى هى مبدأ تحريم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة ومبدأ حق تقرير المصير ومبدأ حق الدفاع الشرعى.

***

(3) فى الطريق إلى الاتفاقية وإلغائها : يوميات تصدير الغاز لإسرائيل :

٦ يناير ١٩٩٧

قام حمدى البنبى، وزير البترول –فى ذلك الوقت– بتشكيل أول لجنة للغاز الطبيعى بوزارة البترول بموجب القرار رقم ٣٢ لسنة ١٩٩٧ بهدف وضع خطة قومية للغاز المصرى.

٥ مايو ١٩٩٧

أرسلت لجنة الغاز أول تقرير لها إلى مجلس الوزراء تخطره فيه عن لقاء البنبى مع السفير الإسرائيلى وطلبه استيراد الغاز، فضلا عن وجود طلبات من تركيا والأردن لاستيراد الغاز المصرى، مع التوصية بسرعة الاستجابة للأردن.

١٦ديسمبر ١٩٩٨

تم لقاء بين رئيس الهيئة العامة للبترول –وقتها– المهندس عبدالخالق عياد مع رئيس شركة الكهرباء الإسرائيلية رافى بيليد فى باريس.

٢١ ديسمبر ١٩٩٨

أرسل رئيس هيئة البترول مذكرة لوزير البترول حمدى البنبى يعرض تفاصيل لقاء باريس مع مسؤولى شركة كهرباء إسرائيل.. كما أرسل خطاباً آخر فى نفس اليوم للشركة الإسرائيلية ببدء المفاوضات.

أوائل ١٩٩٩

تم توقيع اتفاق بين الهيئة العامة للبترول والشركة الدولية «شركة إينى الإيطالية حاليا» لإقامة خط أنابيب لنقل الغاز إلى غزة لتوليد الكهرباء بقطاع غزة.

منتصف ١٩٩٩

تم تجميد أعمال خط الأنابيب الذى اقامته الشركة الإيطالية، نظرا لتوقف المفاوضات مع السلطة الفلسطينية.وكان الخط الذى أقامته الشركة الإيطالية بقطر ٣٦ بوصة يمتد من شرق الدلتا إلى شمال سيناء برياً.

١٩ يناير ٢٠٠٠

أرسلت المخـابرات العامـة خطاباً لـوزير البتـرول سـامح فهمـى، يفيـد بتفـويض شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز لإنشاء مشروع تصدير الغاز لتركيا وإسرائيل.

٢٩ يناير ٢٠٠٠

تم تأسيس شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز «إى إم جى»، بموجب القرار رقم «٢٣٠» من الهيئة العام للاستثمار، وصاحبها رجل الأعمال حسين سالم.

مارس ٢٠٠٠

أجرى الرئيس السابق مبارك زيارة إلى تركيا وتم خلالها توقيع وزيرى البترول المصرى والتركى مذكرة تفاهم بشأن تصدير الغاز المصرى إلى تركيا. «ولم يتم تفعيل المذكرة».

مايو ٢٠٠٠

أرسل رئيس الهيئة العامة للبترول خطابا رسميا إلى سفير مصر بإسرائيل محمد بسيونى يخطره بتفويض شركة شرق البحر الأبيض المتوسط لشراء ونقل الغاز المصرى لإسرائيل.

مارس ٢٠٠١

طرحت شركة الكهرباء الإسرائيلية مناقصة لشراء الغاز الطبيعى وتقدمت لها ٣ شـركات، هـى «بـى جـى»البريطانية،وشـركة «نوبـل إنرجـى»الإسـرائيلية، وشركة«غاز شرق المتوسط» المصرية،وتم ترسية المناقصة على الأخيرتين.

مارس ٢٠٠١

وجـه رئـيس الـوزراء الـدكتور عـاطف عبيد خطابـا لـرئيس شـركة شـرق البحـر الأبيض المتوسط لإبلاغه بقرار المجلس بالموافقة على بيع الغاز للشركة بحد أدنى ٧٥ سنتاً وحد أعلى ١,٥٠ دولار للمليون وحدة حرارية.

٧ يوليو ٢٠٠٤

أرسل أمين عام مجلس الوزراء صفوت النحاس خطابا إلى وزير البترول ليخطره بتفويضه للتوقيع على مذكرة التفاهم مع الجانب الإسرائيلى نيابة عن حكومة جمهورية مصر العربية.

١٣يونيو ٢٠٠٥

وقعت الهيئة العامة للبترول والشركة القابضة للغازات الطبيعية عقداً تجارياً لتوريد ٧ مليارات متر مكعب سنويا من الغاز الطبيعى مع ربطها بالمعادلة السعرية السابقة.

٣٠ يونيو ٢٠٠٥

تم توقيع مذكرة التفاهم فى القاهرة وتحديدا بـ«القرية الذكية» بين المهندس سامح فهمى وزير البترول ووزير البنية التحتية الإسرائيلى بنيامين بن إليعازر.

أوائل٢٠٠٨

أعلن حسين سالم خروجه من شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز، وبيع حصته إلى شركة «أى جى أى» الأمريكية وصاحبها سام زيل وشركة «بى تى تى» التايلاندية.

يوليو ٢٠٠٨

بدأت شركة «إى إم جى» تصدير ١,٧ مليار متر مكعب سنويا لشركة الكهرباء الإسرائيلية.

مايو ٢٠٠٩

تم إقرار هيكل سعرى معدل لأسعار تصدير الغاز لترتفع إلى أكثر من ٣ دولارات للمليون وحدة حرارية بزيادة تقدر بنحو ١,٥٠ دولار للحكومة المصرية، على أن يتم تطبيقه بأثر رجعى.

٥ فبراير ٢٠١١

بدأت سلسلة تفجيرات خط أنابيب العريش المسؤول عن تصدير الغاز إلى إسرائيل والتى تكررت بعد ذلك على مدار العام ليصل إجمالى عدد التفجيرات ١٤ تفجيراً.

١٩إبريل٢٠١٢

أرسلت الهيئة العامة للبترول خطابا إلى شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز تخطرها بعدم استكمال التعاقد بينهما نظرا لإخفاق الشركة فى سداد مستحقات الهيئة.

***

4 – وقف تصدير الغاز .. صفعة قوية على وجه تل أبيب بعد الثورة :

تغطية موجزة :

جاء القرار المصرى فى 2012/4/19 بإيقاف تصدير الغاز بعد انتظار طويل بإلغاء اتفاقية بيع الغاز المصرى إلى إسرائيل ، والذى لطالما كان مثار جدل فى مصر بسبب الأسعار المخفضة التى تضمنتها الاتفاقية ، ولدواع قومية ، ليثير مخاوف الكثيرين من إمكانية نشوب حرب جديدة بين مصر وإسرائيل ، ويفتح الباب واسعاً للتكهنات حول توقيت اتخاذ القرار المصرى ، فهناك من يرى أن قرار توقيف الغاز المصرى جاء استجابة من الإدارة السياسية للإرادة الشعبية التى عبرت عن رفضها للصفقة بـ 14 تفجيراً لخط الغاز المؤدى لإسرائيل وعدد من الدعاوى القضائية .لكن مصدراً أمنياً رفيع المستوى أكد أن قرار إلغاء تصدير الغاز لإسرائيل ليست له أى أبعاد سياسية ولكنه جاء بناء على قرار هيئة البترول والشركة القابضة للغازات واللتين قررتا إلغاء عقد تصدير الغاز مع شركة شرق المتوسط لإخلال الأخيرة بالتزاماتها تجاه الجانب المصرى وأضاف المصدر أن الموقف القانونى لمصر سليم ولا يلزمها بدفع أى تعويضات للجانب الإسرائيلى .

أما الدكتور عبد الله الأشعل – أستاذ القانون الدولى – فقال : إنه يجب الآن الاستمرار فى قطع الغاز المصرى إلى إسرائيل حتى يتم تعديل الأسعار لتتماشى مع الأسعار العالمية ، مؤكداً أن الاتفاقية التى تمت فى الوقت السابق هى اتفاقية بين مبارك بشخصه وإسرائيل ، وليس بين مصر وإسرائيل ، وأضاف أن العقد الذى تم توقيعه يستند إلى بنود غير قانونية ، كما أنه ليس التزاماً دولياً على مصر فى هذا المجال ، فمن الممكن أن يتم إيقاف تنفيذ العقد حتى يتم تعديل بنوده ، مطالباً بتشكيل لجنة من قبل رئيس الوزراء الجديد لدراسة هذا الأمر .وعن إمكانية لجوء شركة شرق المتوسط إلى التحكيم الدولى لو تم تصعيد هذا النزاع،أكد الأشعل أن موقف مصر فى هذا المجال قوى جداً ولن تلجأ الشركة إلى التحكيم دولياً لأنها تعرف العواقب .

من جانبه عبر حمدين صباحى – المرشح لانتخابات رئاسة الجمهورية – عن فرحته الغامرة لصدور قرار يقضى بوقف تصدير الغاز المصرى للكيان الصهيونى بعد أن أعلنت شركة "إى إم جى" الشريك فى اتفاقية تصدير الغاز المصرى إلى إسرائيل أن مصر أبلغتها بإلغاء الاتفاق طويل الأجل .وكتب صباحى عبر صفحته على " تويتر " : تحية لقرار وقف تصدير الغاز المصرى للكيان الصهيونى ونتمنى استمرار تنفيذ القرار احتراماً لإرادة الشعب وأحكام القضاء وحفظاً للثروة الوطنية .

وقال : إن قطع الغاز عن إسرائيل لا يعتبر تعدياً على اتفاقية كامب ديفيد لأنه عند إتمام الاتفاقية لم يكن هناك غاز فى مصر ، وأضاف أنه النائب البرلمانى الذى كشف هذه الجريمة فى مجلس الشعب وعلى مسئوليته فإن إسرائيل لن تحارب مصر .

ويشار إلى أنه بموجب معاهدة السلام بين الجانبين تقوم مصر ببيع الغاز والنفط لإسرائيل بأسعار بخسة ، وتصدر مصر الغاز لإسرائيل بأسعار تتراوح بين 70 سنتاً و1.5 دولار للمليون وحدة حرارية من خلال عقد يتيح لها تصدير

نحو 25 مليار متر مكعب لمدة 15 عاماً قابلة للتجديد لخمسة عشر عاماً إضافية ، ويتم التصدير من خلال شركة "غاز شرق المتوسط" وهى شركة مشتركة تأسست فى عام 2000 بنظام المناطق الحرة بمحافظة الإسكندرية .
وأسس الشركة حسين سالم–أحد المقربين من الرئيس السابق مبارك–وقام فى عام 2008 ببيع كل حصته لشركة "بى تى تى" التايلاندية ورجل أعمال إسرائيلى أمريكى يدعى سام زل،وتمتلك الهيئة العامة للبترول المصرية حصة فى الشركة تقدر بنحو 68.4% والشركة الإسرائيلية الخاصة "مرحاف" بنسبة25% وشركة "أمبال إسرائيل" الأمريكية بنسبة6.6% ويمتلك الشركتين الأخيرتين رجل الأعمال الإسرائيلى يوسف مايمان وهو ضابط سابق فى الموساد .
ويبلغ السعر العالمى للغاز الطبيعى حالياً نحو 3.79 دولار للمليون وحدة حرارية ، وقامت الحكومة المصرية فى 30 يونيو فى العام 2008 برفع أسعار توريدها للغاز الطبيعى إلى المصانع المصرية نفسها ، فى قرار حمل رقم 1795 ليصل إلى 3 دولارات لكل مليون وحدة حرارية بالنسبة للصناعات كثيفة الاستهلاك للطاقة بينما أقرت برفع سعره للصناعات قليلة الاستهلاك للطاقة تدريجياً على مدار ثلاث مراحل ليصل إلى 2.65 دولار .
وكانت إسرائيل تخشى من أن توقف مصر تصدير الغاز إليها ، وطالب عدد من مسئوليها الحكوميين بإيجاد بديل للغاز الطبيعى المصرى ، نظراً للاضطرابات التى شهدتها وتشهدها مصر فى الوقت الراهن والتى أدت إلى تعليق إمدادات الغاز إلى إسرائيل ، التى كانت توفر على الدولة العبرية قرابة 10 مليارات دولار سنوياً .
وفى محاولته لامتصاص غضب الإسرائيليين وإن بطريقة غير موفقة أهانت النضال الشعبى المصرى ، أكد المهندس محمد شعيب رئيس الشركة القابضة للغازات الطبيعية " إيجاس " أن فسخ التعاقد مع الجانب الإسرائيلى فى تصدير

الغاز ليس له أبعاد سياسية ، وأوضح شعيب أن العقد مبرم بين الهيئة العامة للبترول والشركة المصرية للغازات الطبيعية " الجانب المصرى" وبين شركة شرق البحر المتوسط للغاز "الجانب الإسرائيلى" ويعد هذا العقد عقداً تجارياً بين الطرفين .

وقال : إن سبب فسخ العقد عدم التزام شركة شرق البحر المتوسط للغاز فى سداد حصتها من شراء الغاز لمدة أشهر مما دفع كلاً من الهيئة المصرية والقابضة للغازات لإخطار "البحر المتوسط للغاز" بإلغاء العقد لعدم التزامها بالنصوص القانونية بين الطرفين ، حيث إن العقد يعطى الحق للطرف الأول "الجانب المصرى" فى فسخ العقد فى حالة عدم التزام الطرف الثانى " الجانب الإسرائيلى " .

5 – ردود الفعل السياسية والإعلامية فى إسرائيل على قرار إيقاف تصدير الغاز :

أكدت صحف ومواقع إسرائيلية أن إعلان رئيس الشركة القابضة للغازات والمواد الطبيعية "إيجاس" المصرية إلغاء الاتفاق مع إسرائيل الخاص بتوريدها الغاز الطبيعى قرار خطير سيترتب عليه الكثير من الإجراءات الجارى بحثها حالياً داخل الإدارة الإسرائيلية ، مشيرين إلى أن وقف تصدير الغاز لإسرائيل قد يكون بداية النهاية للعلاقات المصرية – الإسرائيلية ، ما قد يؤدى إلى حدوث توتر بين البلدين .

وقالت : إن مصر مقبلة على عاصفة سياسية شديدة فى الفترة المقبلة لو تم تأكيد هذا الإعلان من قبل المجلس العسكرى الذى يدير الأمور فى مصر بعد رحيل نظام مبارك الذى كان من المستحيل أن يتم قطع الغاز فى عهده .

واعتبرت صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية أن إعلان رئيس الشركة القابضة للغازات والمواد الطبيعية "إيجاس" المصرية إلغاء الاتفاق مع إسرائيل الخاص بتوريدها الغاز الطبيعى سابقة خطيرة لها ما بعدها ، وقد تكون إشارة إلى نهاية

الاتفاقيات المبرمة بين القاهرة وتل أبيب وأهمها اتفاقية كامب ديفيد مما يعنى انتهاء حجر الزاوية الذى يرتكز عليه السلام فى المنطقة. وأضافت أن هذا الإعلان بدون تأكيد أو نفى من المجلس العسكرى الحاكم فى مصر يبعث على الحيرة ويدفع للتساؤل : ما الدافع وراء هذا القرار وكيف تقرر ؟ وتجيب الصحيفة قائلة: من الممكن أن يكون الهدف الضغط على إسرائيل لإلغاء الدعوى الخاصة بالحصول على تعويض قدره 8 مليارات دولار بسبب عدم انتظام توريد مصر للغاز ، وهذا يتفق مع ما أعلنه مسئولون دبلوماسيون أن القرار ناجم عن " نزاع عمل " .

وتابعت رغم عدم تعليق المجلس العسكرى على هذا الإعلان حتى وإن يعتزم نفى ذلك فإن حقيقة أن الرئيس التنفيذى للشركة أعلن ذلك يضع الاتفاق فى دائرة الضوء ، فإذا ما تبين أن مصر لديها حقاً رغبة فى إنهاء الاتفاق ، فإنه قد يكون سابقة خطيرة تشير لما بعدها وسوف تؤثر فى الاتفاقات بين مصر وإسرائيل . وأوضحت أن بيع الغاز لإسرائيل كان واحداً من الانتقادات الرئيسة المعارضة المصرية ضد الرئيس السابق ، وبعد الثورة أصبح الاتفاق واحدة من أساس الخلاف بين الشعب والعسكرى الذى وعد بالنظر فى السعر الإسرائيلى . وشددت الصحيفة على أنه حتى لو تبين أن الخلاف تجارى ، وليس بسبب فشل مصر فى الحفاظ على تأمين الغاز لإسرائيل ، فإن النظام قد يجد نفسه فى خضم عاصفة سياسية ؛ لأنه لم يحافظ على مصالح الأمة الحيوية .فيما أعربت الصحيفة الإسرائيلية " إسرائيل اليوم " عن حنينها الشديد لعصر الرئيس السابق حسنى مبارك ، مشيرة إلى أن سيناريو إلغاء اتفاقية الغاز كان مستحيلاً فى عهد الرئيس المخلوع وأكدت أن وقف إمدادات الغاز كان متوقعاً بعد الثورة لكنه حدث بشكل سريع يفوق كل التوقعات .

وقال الكاتب " بوعاز بيسموت " فى مقاله بالصحيفة : إن المرء لا يجب أن يكون نبياً حتى يتوقع كل الأحداث التى توفرها لنا مصر منذ ثورة التحرير ،

ومن المدهش أن نرى إلى أى مدى تتحقق كل التكهنات التشاؤمية ، من ناحية تل أبيب وبأقصى سرعة ممكنة .
وأضاف الكاتب : كم كان سريعاً أن سيطر الإخوان المسلمين على البرلمان ، وكم كان سريعاً أن سيطر الإسلاميون على تأسيسية الدستور ، وطرحوا مرشحاً للرئاسة وكم كان سريعاً اقتحام سفارة إسرائيل واعتبار بعثتها الدبلوماسية هدفاً للشغب والعنف من قبل الجماهير ،وكم كان سريعاً أن أصبح الهجوم على إسرائيل هدفاً يوحد كل المتظاهرين،وكم كان سريعاً تشكيل تحالف غير طبيعى بين الإخوان والمجلس العسكرى ، وكم كان سريعاً انهيار ذلك التحالف وتمزقه وكذلك كم كان سريعاً اعتبار أنبوب الغاز الواصل بين مصر وإسرائيل هدفاً للتفجيرات ، وكم كان سريعاً أن أصبحت الحدود الجنوبية هدفاً للإرهاب ، وكم كان سريعاً إعلان المصريين عن إلغاء اتفاقية تصدير الغاز لإسرائيل .
وتابع الكاتب : أن التفجير هذه المرة لم يكن نتيجة عملية إرهابية إنما جاء بقرار أحادى الجانب ، مشيراً إلى أن المتفائلين سيزعمون أن الحديث يدور حول نزاع تجارى فحسب ولكن التشاؤم فى هذا الصدد أفضل ، وزعم الكاتب أنه بهذه الطريقة التى انتهجها المسئولون الإسرائيليون ستصبح الجارة الجنوبية مصر دولة أكثر عداء بشكل يفوق جميع التوقعات .
وأضاف الكاتب أن أنبوب الغاز تم تفجيره أكثر من 14 مرة بواسطة البدو الذين بدأوا يفرضون الإتاوات والإرهاب ، ورغم إصلاح أنبوب الغاز إلا أنه مع كل الاحترام للبدو ؛ فإن الحكومة المصرية التى كان من المفترض بها الإشراف على الأنبوب هى التى فجرته نهائياً مستغلة الأجواء الجديدة فى مصر تجاه إسرائيل ، والتى ربما يكون لها تداعيات بعيدة المدى – على حد تعبيره – مؤكداً أن هذا الأمر كان مستحيلاً أن يحدث فى عصر مبارك .
وتابع الكاتب : أن اتفاقية الغاز بين مصر وإسرائيل أصبحت أحد الموضوعات الرئيسة لضرب النظام القديم ، وأن الشعب المصرى الذى يعانى المجاعة يقرأ

كل يوم فى الصحف كيف أن إسرائيل هى المسئولة عن فقدان ملايين الدولارات المنهوبة من الشعب المصرى وبالتالى فإن أفضل وصفة لتوحيد الشعب المصرى هى تعزيز كراهيته للنظام القديم ، وفى الوقت ذاته إذكاء نار الكراهية والعداوة ضد إسرائيل ، مشيراً إلى أن هذا هو السبب فى مطالبة المفتى على جمعة بالاستقالة بعد زيارته للمسجد الأقصى واتهامه بإضفاء شرعية على الاحتلال الصهيونى .وذكر موقع إذاعة الجيش الإسرائيلى أن مصر قد نفذت تهديدها بشأن وقف ضخ الغاز إلى إسرائيل الذى أثار ضجة فى الشارع المصرى بعد رحيل نظام " مبارك " ، فقد أعلنت شركة الغاز المصرية إلغاء تصدير الغاز لإسرائيل .

وعلى خلفية هذا القرار قال رئيس شركة الكهرباء الإسرائيلية : إن هذا الأمر غير قانونى فقد دفعنا الكثير من الأموال وتلقينا ربع الكمية التى وصلت إلينا طبقاً للاتفاقية .

وأضاف الموقع أن شركة " أمبال " الإسرائيلية قد أعلنت أن اتفاقية الغاز الموقعة بين مصر وإسرائيل تم إلغاؤها ، ووصفت القرار بأنه خطوة غير قانونية ولفت الموقع إلى أن مصر طالبت إسرائيل بأن تغير اتفاق توريد الغاز ورفع أسعاره ، وذلك بسبب التغيرات التى طرأت على أسعار الغاز ، ووفقاً لوزارة البترول المصرية طالبت مصر بزيادة إيراداتها من 90 مليون دولار فى السنة إلى 290 مليون دولار .

***

* هذا وقد أثار قرار وقف تصدير الغاز المصرى لإسرائيل ردود أفعال غاضبة بين مسئولى إسرائيل لدرجة ذهاب البعض منهم إلى الرد على هذه الخطوة المصرية بانتهاك اتفاقية كامب ديفيد وسحب السفير الإسرائيلى المختبىء والعودة إلى سيناء والتعامل مع مصر كحركة إرهابية وليس كياناً سياسياً ، أو اللجوء للولايات المتحدة الأمريكية للضغط على مصر ، إلا أن الرأى الرسمى

للخارجية الإسرائيلية هو أن إلغاء اتفاقية الغاز هو نزاع تجارى لكنه يضر بالسلام . من جانبه أكد وزير خارجية إسرائيل أفيجدور ليبرمان فى حديث إذاعى مع برنامج "صباح الخير يا إسرائيل " أن إسرائيل تريد تصديق أن الحديث يدور حول نزاع تجارى وليس سياسياً ، صحيح أن اتفاق السلام مهم لإسرائيل لكنه لا يقل أهمية بالنسبة لمصر التى توشك على إجراء الانتخابات الرئاسية ، وكالمعتاد خلال الانتخابات كل واحد من المرشحين يميل إلى التصعيد واتخاذ مواقف أكثر تشدداً .

وأضاف : " نحن نريد تصديق أن التطورات الأخيرة بما فى ذلك التصريحات الأخيرة تنبع من اعتبارات انتخابية ، وأن تلك الموجة ستنتهى بعد شهر ونصف الشهر ، لقد انتظرنا كثيراً ويمكننا الانتظار فترة قليلة أخرى حتى نرى ماذا سيحدث على أمل أن تعود الأمور إلى مسارها السليم " . كما تطرق ليبرمان فى حديث آخر مع صحيفة " معاريف " الإسرائيلية إلى التدهور الأمنى فى سيناء والعلاقات المتوترة مع القاهرة قائلاً : " لقد بذلنا كل ما بوسعنا لمساعدة المصريين ووافقنا على دخول سبع كتائب لشبه جزيرة سيناء خلافاً للملحق العسكرى لاتفاقية السلام كل ذلك من أجل تدعيم الأمن وتمكين المصريين من السيطرة على الوضع " .

من جانبه ، أعرب وزير مالية إسرائيل يوفال شتانيتس فى حديث مع موقع " كالكاليست " الاقتصادى الإسرائيلى عن قلقه الشديد حيال إعلان مصر إلغاء اتفاق الغاز مع إسرائيل محذراً من تداعيات ذلك على الصعيدين السياسى والاقتصادى ، ومؤكداً أن إسرائيل بصدد سابقة خطيرة تلقى بظلالها على السلام بين الدولتين واتفاقات السلام المبرمة بينهما .

وشدد وزير المالية الإسرائيلى على ضرورة مضاعفة الجهود الإسرائيلية للبدء فى ضخ الغاز الطبيعى لإسرائيل من مواقع تمار وداليت ولفتيان الواقعة فى المياه التجارية الإسرائيلية – اللبنانية اعتباراً من العام الجارى بدلاً من إبريل

2013 ، مشيراً إلى ضرورة تذليل كل العوائق البيروقراطية لتحصين استقلالية إسرائيل فى مجال الطاقة وخفض أسعار الكهرباء للمرافق والمواطنين على حد سواء .وبحسب شتانيتس فإنه يمكن أن يصل الغاز من حقل تمار إلى إسرائيل قبل شهرين حيث قال : "إذا فعلنا المطلوب من أجل حل المشكلات سننجح فى ضخ الغاز من حقل تمار بأسرع وقت ممكن" .

وفى سياق متصل ، نقلت صحيفة " معاريف " الإسرائيلية عن وزير الطاقة والمياه الإسرائيلى عوزى لانداو قوله : إن وزارته تستعد لتلك الخطوة منذ بداية الثورة المصرية مشيراً إلى أنه أصدر تعليمات بإعادة رسم خريطة وزارة الطاقة الإسرائيلية .

***

6 – غاز المتوسط : الإطار العام لاتفاقية الغاز وآثارها التطبيعية :

هذه دراسة مهمة عن قضية غاز شرق المتوسط وأبعادها الاقتصادية التي بدأت في رسم خريطة جديدة لشرق المتوسط، ستكتمل في أقل من خمس سنوات كما يقول مؤلفها، ويتحدد بموجبها مَّن السيد القوي ومن التابع المصدّر للعمالة.ونظرا لأهمية الدراسة رأينا إيرادها فى سياق قضية توصيل الغاز الى اسرائيل

الدراسة نشرتها جريدة الحياة اللبنانية على عدة أجزاء ابتداء من (2012/6/5) ، في قسم التكنولوجيا، مقسماً إلى خمس مقالات جزئية متكاملة في صفحة كاملة، بدلاً من الترتيب الزمني. (أعد الدراسة : نائل الشافعى خبير اتصالات مصرى مقيم فى نيويورك) .

الجزء الأول: الثابت والمتحوّل في شرق المتوسط

التعريف بقضية غاز شرق المتوسط وأبعادها الاقتصادية. أتاحت التكنولوجيا الحديثة اكتشاف حقول غاز هائلة على أعماق سحيقة بشرق المتوسط. في عامي 2010–2011 تخلت مصر عن حقلي غاز لإسرائيل وقبرص بإجمالي

دخل سنوي يفوق 20 مليار دولار. وفي فبراير 2012 بدأت اسرائيل تطوير حقل على بعد 110 كم من دمياط. رئيس قبرص يعد شعبه بأنهم سيكونوا أكثر ثراء من دبي في خمسة أعوام.

الثابت والمتحوّل في شرق المتوسط

يشهد شرق البحر المتوسط، فترة تحوّل تاريخية وتنقلب فيه موازين القوى، بطريقة تشبه ما حدث في الخليج العربي في القرن العشرين خلال الانتقال إلى حقبة النفط. بدأت هذه التغيّرات تتسارع مع ظهور تقنيات تنقيب وحفر بحري حديثة في مطلع القرن الحادي والعشرين. وبات ممكناً الحفر تحت مياه عمقها يفوق ألفي متر. وللسبب ذاته تشهد البرازيل طفرة اقتصادية مماثلة.

في هذا الصدد، أعلنت إسرائيل أخيراً أن حقلي الغاز المتلاصقين، لفياثان (الذي اكتشفته إسرائيل في 2010) وأفروديت (الذي اكتشفته قبرص في 2011)، يزخران باحتياطيات قيمتها قرابة 200 بليون دولار. ويمتدان إلى المياه الإقليمية المصرية، على بعد 190 كيلومتراً شمال دمياط، بينما يبعدان 235 كيلومتراً من حيفا و180 كيلومتراً من ميناء ليماسول القبرصي.

ويقع البئران في السفح الجنوبي لجبل إراتوستينس المختفي تحت البحر، لكن هويته المصرية مثبتة من عام 200 قبل الميلاد. وبدأت إسرائيل في مسلسل إعلان استخراج الغاز من أراض عربية في 2009، حين أعلنت عن اكتشاف حقل «تمار» المقابل لمدينة صور اللبنانية. وفي 2003، رسمت مصر حدودها البحرية مع قبرص من دون تحديد نقطة البداية من الشرق مع إسرائيل التي حفرت بئراً في تلك المنطقة في 2010، قبل أن ترسم حدودها بحرياً مع قبرص. وبقيت حدودها البحرية مع مصر غير معرّفة (وما زالت)، ما يفرض ضرورة رسم تلك الحدود.

مع توالي أنباء التنقيب عن الغاز واكتشافاته في المنطقة، ازداد الاهتمام بقعر شرق المتوسط، ونشطت المناورات البحرية والدوريات المتعددة الجنسيات، تارة لمكافحة الإرهاب وتارة لمنع انتشار تكنولوجيا الصواريخ الموجهة.

ثم ظهرت البعثات العلمية لمسح قاع البحر، وتلتها منصات الحفر البحري للتنقيب. دخلت شركات جديدة على الخط، مقابل انسحاب شركات عريقة منه، على رغم امتلاكها امتيازات في التنقيب .

وفى السنوات الثلاث الأخيرة، ارتسمت ملامح ثروة هائلة من احتياطيات الغاز الطبيعي، إذ أعلنت إسرائيل وقبرص عن اكتشاف غاز طبيعي تعدت قيمته حتى الآن 240 مليار دولار. لكنها مجرد نقطة في هذه المنطقة البكر التي يرى البعض أنها تحوي أحد أكبر احتياطات الغاز عالمياً.

واللافت أن موقع «غوغل إيرث» لا يحتوي صوراً للقعر البحري في هذه المنطقة، على رغم توافر صور مُشابهة للبحار كافة!

الجزء الثاني: «إراتوستينس»: جبل اسكندري غارق يربط آبار الغاز في لبنان ومصر وإسرائيل وقبرص وتركيا واليونان .

عرض سريع لتطور قضية غاز شرق المتوسط

حقل «شمشون» في الخريطة الوحيدة التي نشرتها إسرائيل عنه، وتظهر حدودها مع لبنان ومصر على رغم عدم موافقة البلدين!

«إراتوستينس»: جبل اسكندري غارق يربط آبار الغاز في لبنان ومصر وإسرائيل وقبرص وتركيا واليونان .

***

عند التبدّل في مصادر الطاقة، تحدث أمور كثيرة، أشد عمقاً وغوراً مما تراه الأعين، بل أحياناً مما تذهب إليه الأذهان والمخيلات. الدروس كثيرة. ما الذي حدث عندما كفّ الإنسان عن استخدام القوة البيولوجية والطبيعية، وانتقل إلى عصر الصناعة التي تأسست على الفحم الحجري؟ كيف تبدّلت خريطة العالم،

حين حدث الانتقال الى عصر النفط والبترول، كبديل لطاقة الفحم الحجري؟ ربما يلزم تفكير على هذا المستوى عند التصدي للحظة الراهنة في الطاقة. هناك ميل لتبني مصادر الطاقة البديلة للبترول، والاعتماد على مصادر أخرى مثل الطاقة المتجددة للشمس والرياح وغيرها. تُطلّ الذرّة برأسها المُرعب في هذه الصورة الفوّارة. لكن، ربما لا يلتفت كثيرون إلى شيء أكثر بداهة، وتالياً أشد عُمقاً: البديل المباشر للنفط يأتي من... الغاز الطبيعي.

يشبه الأمر صراع إخوة ؛ لأن النفط والغاز متلازمان أساساً، لكن الأمور الأكثر عملانية ولوجيستية، مثل مواقع صدوع قشرة الأرض وصفائحها التكتونية العميقة، تؤدي دوراً عميقاً في فكّ أواصر التلازم بين النفط والغاز، وترسم خطاً طويلاً وضخماً في تحديد الخريطة التي تستند إلى حلول الغاز تدريجاً بديلاً من البترول. ولربما شكّل لبنان وآبار غازه بحرياً، نموذجاً عن هذا التحوّل العميق.

وصف العالم السكندري إراتوستينس (276– 194 ق م)، الذي كان ثالث أمناء «مكتبة الإسكندرية» في عصرها الذهبي، منطقة من البحر المتوسط تقع على بعد 190 كلم شمال دمياط، تعيش فيها أسماك وقشريات مختلفة عن باقي البحر. وفي العصر الحديث، جرى تفسير ذلك بوجود جبل غاطس ضخم في تلك المنطقة، إذ يرتفع ألفي متر فوق قاع البحر. وقد أطلق على الجبل اسم إراتوستينس.

وجيولوجياً، يقع شرق المتوسط في منطقة ارتطام الصفيحة التكتونية التي تحمل إفريقيا، بالصفيحة الأناضولية، محتوياً منطقتي «الحوض المشرقي» و«قوس قبرص». وتتحرك الصفيحة الأفريقية في اتجاه الشمال الشرقي بسرعة 2.15 سنيمتر في السنة منذ 100 مليون سنة، ما دفع بجبل إراتوستينس إلى أعماق سحيقة تحت صفيحة قبرص. وتلى ذلك تشكل نهر النيل، وترسيب طميه في ساحل مصر، فتشكّلت «دلتا النيل».

استُهلّت المسوحات الحديثة لجبل إراتوستينس في 1966 من بريطانيا، وتلتها أميركا (1977–2003) وروسيا (1994) وبلغاريا (2003). ووضعت إسرائيل ما يزيد على 20 ورقة بحثية عن جيولوجيا هذه المنطقة نشرت بين عامي 1980 و1997.

وفي عام 1997، جرى تطوير منصات حفر شبه غاطسة قادرة على العمل على أعماق تصل إلى ألف متر، بفضل شركتي «شل» و «بريتش بتروليوم». وعملت المنصّات قبالة سواحل البرازيل وفي خليج المكسيك الأميركي.وتشكّل فريق مشترك (من جامعتي حيفا الإسرائيلية وكولومبيا في نيويورك) لإجراء مسح منهجي أول من نوعه في قعر جبل اراتوستينس. وأجرى الفريق مسحاً مماثلاً لمنطقة شمال البحر الأحمر، حيث عثر على أشياء تقتضي مقالات منفصلة! .

الدلتا بكاميرا إسرائيل

بين عامي 1997 و1998، أجرى هذا الفريق البحثي المشترك ثلاث عمليات حفر أولي على عمق 800 متر تحت قاع البحر في السفح الشمالي لجبل إراتوستينس. ونُشِرت نتائج هذه العمليات في دوريات الجيولوجيا والأحياء البحرية.

في عام 1999 أعطت «الهيئة العامة للبترول» المصرية امتياز تنقيب بحري ضخم شمل مساحة 41.5 ألف كيلومتر مربع، لتحالف مُكوّن بصورة رئيسة من شركة «رويال داتش – شل في شمال شرقي البحر المتوسط» (إسمها المختصر «نيميد» NEMED)، بمشاركة شركات «بتروناس كاريغالي» (ماليزيا) و«الشركة المصرية القابضة للغاز الطبيعي». ويمتد الامتياز شمال الدلتا حتى السفح الجنوبي لجبل إراتوستينس.

وفي 2003، قامت سفينة «نوتيليس» الأميركية المزوّدة بـ3 غواصات روبوتية، مصحوبة بسفينتي أبحاث بلغاريتين، بمسح الجوانب الشمالية والشرقية والغربية من الجبل.

ونشرت خريطة دقيقة له. وفي السنة عينها، وقّعت مصر اتفاقية «مبهمة» لترسيم الحدود مع قبرص .

وفي 2004، أعلنت شركة «شل- مصر» اكتشاف احتياط للغاز الطبيعي في بئرين على عمق كبير في شمال شرقي البحر الأبيض المتوسط. وأوضحت الشركة أنها في صدد مواصلة عملها لمدة 4 سنوات، بهدف تحويل المشاريع المكتشفة إلى حقول منتجة. وأشارت الشركة إلى الحفار العملاق «ستِنا تاي»، الذي أُعدّ للعمل خمس سنوات في المياه العميقة. يشار إلى أن عمل «ستِنا تاي» في البرازيل أدى الى اكتشاف حوضي «سانتوس» و«كامبوس» على عمق ألفي متر، اللذين يدرّان للبرازيل قرابة 50 مليار دولار سنوياً. وفي مطلع 2004، حفر «ستِنا تاي» ثلاثة آبار في مصر بعمق 2448 متراً. وفجأة، انقطعت أخبار حفريات الغاز في شمال شرقي البحر المتوسط. هل يقدم البرلمان المصري على طلب كشف المعلومات عن الحفريات وأسباب توقّفها بطريقة غير مفهومة؟

«إستراتيجية البوارج»

في 2008، أعلنت إسرائيل عن بدء نشرها مجسات متنوّعة في قاع البحر المتوسط، بدعوى كشف أعمال تخريبية أو هجوم قادم من إيران.

في 2009 أعلنت إسرائيل وشركة «نوبل إنرجي» عن اكتشاف حقل «تمار» للغاز في الحوض المشرقي «المتداخل» مع الحدود البحرية الاقتصادية للبنان، قبالة مدينة صور. ويعود الخلاف بين الدولتين الى أن إسرائيل تزعم أن الحدود البحرية يجب أن تكون عمودية على الميل العام للخط الساحلي اللبناني (وهي النقطة 1 في ترسيم الحدود اللبنانية القبرصية). في المقابل، يوجد في لبنان

رأيان: الأول هو أن الحدود البحرية ترسم خطاً متعامداً على الخط الساحلي عند رأس الناقورة (النقطة 23 في ترسيم الحدود اللبنانية– القبرصية)، والرأي الثاني هو أن الحدود البحرية تكون امتداداً للحدود البرية، ما يضاعف مساحة النزاع.

وفي 2010، أعلنت شركات «أفنير» و«دلك» (إسرائيليتان) و«نوبل إنرجي»، عن اكتشاف حقل «لفياثان» العملاق للغاز، في جبل إراتوستينس، باحتياطي 16 تريليون قدم مكعبة. وتعترف إسرائيل بأن الحقلين موجودان في مناطق بحرية متنازع عليها، على خلاف الوضع مع حقلي «سارة» و «ميرا». وفي حال استغلال الحقلين الجديدين، تستغني إسرائيل عن الغاز الطبيعي المصري الذي يشكل حاضراً 43 في المئة من الاستهلاك الداخلي في اسرائيل.

وفي 2010، استعارت إسرائيل سفينة الاستكشاف الأميركية «نوتيلس»، لأخذ عينات من إراتوستينس، بغرض استخدام سونار (أداة لكشف الأعماق تعمل بالموجات الصوتية) كبير لمسح أعماق في إسرائيل، وضمنها البحث عن الغاز والنفط. واستكملت «نوتيلس» مسح السفح الجنوبي من إراتوستينس. ثم مسحت المنطقة الممتدة جنوباً حتى سواحل مصر، بل دخلت دلتا النيل، وصورت مياهه وحقوله أيضاً (انظر «تخبّط مصر في الغاز»).

وفي كانون الثاني (يناير) 2011، خرج الرئيس القبرصي على شعبه مبشّراً بأن بلادهم اكتشفت أحد أكبر احتياطيات الغاز عالمياً، إذ تقدر مبدئياً بقرابة 27 تريليون قدم مكعبة، بقيمة 120 مليار دولار في ما يسمى «بلوك–12» من امتيازات التنقيب القبرصية، والمعطاة لشركة نوبل إنرجي. وقرر الرئيس تسميته حقل «أفروديت». ويقع «بلوك–12» في السفح الجنوبي لإراتوستينس».

وفي 2011، بدأت شركة «نوبل إنرجي الحفر»، لحساب الحكومة القبرصية، في المنطقة نفسها تقريباً، التي تسميها قبرص «بلوك – 12». في 2011، وصل إلى القاهرة وزير الخارجية اليوناني، للاطمئنان الى التزام مصر باتفاقية

ترسيم المنطقة الاقتصادية البحرية مع قبرص. وتردد أنه تلقى تطمينات كافية. لكن بعض الصحف اليونانية أبدت تشكيكها في بقاء اتفاقية ترسيم الحدود القبرصية- المصرية الموقعة في 2003، في ضوء الترسيم اللاحق لحدود إسرائيل مع قبرص في 2010، الذي يجعل المياه الإسرائيلية حاجزاً بين مصر وقبرص في المنطقة شمال دمياط.

في 2011، قامت البوارج التركية بقصف الشريط الضيق (كيلومتران) بين حقلي «أفروديت» القبرصي و«لفياثان» الإسرائيلي، على بعد 190 كيلومتراً شمال دمياط. وتقدّمت قبرص بشكوى للأمم المتحدة عما وصفته بـ «ديبلوماسية البوارج». وفي أواخر العام نفسه، ألغت إسرائيل صفقة قيمتها 90 مليون دولار لتزويد سلاح الجو التركي بنظام استطلاع ورؤية متقدمين.

* الجزء الثالث: «اختراق»... الدلتا

غواصة لإسرائيل تمسح قاع المياه الإقليمية والاقتصادية المصرية، بل وتتوغل داخل فرعي النيل وتأخذ صور ، وتضعها مختومة بالوقت على موقع تابع لمصلحة المساحة الجيولوجية الإسرائيلية.

في 2003، وقّعت قبرص ومصر اتفاقية ترسيم المنطقة الاقتصادية بينهما، ارتكازاً على حساب يسمى «حدّ المنتصف». وتضمّنَت 8 نقاط إحداثية. لكن، كيف جرى التوصل لهذا الترسيم ، فيما الدولتان لم تكونا قد رسمتا حدودهما مع إسرائيل آنئذ؟ أين بدأ الترسيم في الشرق؟ وما يرفع حدّة السؤال، أن إسرائيل بدأت في حفر حقل «لفياثان» في منطقة إراتوستينس، شمال دمياط! بقول آخر: لم تعد مصر تجاور قبرص، بل تفصلهما مياه إسرائيلية هي جبل إراتوستينس البحري الذي كان مصرياً! بقول آخر: جابت «نوتيليس» المياه الإقليمية المصرية لمدة أسبوعين، بل تفاخرت البعثة بأن غواصاتها الروبوتية دخلت النيل، وصوّرت ضفافه من تحت الماء! وفي 2010، نشر موقع

إسرائيلي مختص بالأحياء المائية صور هذه المهمة. وشكرت مصلحة المسح الجيولوجي الإسرائيلية جهات عدة، إلا أنها لم تشكر أي جهة مصرية.

وفي 2011 قررت «رويال دتش شل» الانسحاب من امتياز التنقيب المصري في منطقة شمال شرقي البحر المتوسط، التي تتضمن جنوب إراتوستينس، متذرّعة بارتفاع تكاليف العمل في أعماق المياه. يبدو هذا المبرّر مثيراً للاستغراب لأن الشركة عينها أعلنت اكتشاف بئرين على عمق ألفي متر في 2004! وكذلك تحتفظ الشركة عينها بالرقم القياسي في حفر أعمق حقل نفط عالمياً، هو «برديدو» الأميركي في خليج المكسيك، في مياه عمقها 2400 متر، وبدأ تشغيله في 2007. وكان غريباً أيضاً حرص وزارة البترول المصرية على شكر «شل»، كما لو أنها لم تكن مخلة بشروط العقد، أو كما لو كانت تقوم بالتنقيب من باب الصدقة على الشعب المصري!

في 2011، زار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان القاهرة. وتردد أنه حاول دفع مصر (ولبنان) إلى إلغاء ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية البحرية مع قبرص.

وإثر إعلان قبرص اكتشاف الغاز في حقل «أفروديت» (عام 2011، وتحت تسمية «بلوك – 12»)، خرج عبدالله غراب، وزير البترول المصري، طوعاً عن اختصاصه، معلناً أن «الاكتشافات القبرصية الغاز (حقل «أفروديت» في «إراتوستينس») لا تقع ضمن الحدود البحرية المشتركة.

وقال وزير البترول:إن المناطق التي تم اكتشاف الغاز فيها في قبرص، قريبة جداً من المنطقة التى كانت تعمل فيها شركة«شل»العالمية في المياه العميقة في البحر المتوسط، والمعروفة باسم حقل«نيميد»،بينما الخريطة القبرصية تكذّب الوزير غراب وتعترف بأن «أفروديت» يقع داخل امتياز «نيميد».

***

<u>الجزء الرابع: انخراط في الطاقة البديلة – عنوان غير معبر</u>

أما وقد تم الاستيلاء على حقول الغاز المصرية واللبنانية، تسعى إسرائيل الآن لتأمين الحقول ولتصدير الغاز ولإيجاد مسار آمن لخط أنابيب يصدر هذا الغاز إلى أوروبا. ولاقتضام المزيد من غاز مصر ولبنان، والتوغل باتجاه سواحلهما.
يبدو أن هناك حال اطمئنان في إسرائيل لجهة السيطرة على حقول غاز في المتوسط، لأنها منخرطة فعلياً في عمليات بيعه وتصديره. وهي استهلت جهودها عبر تطوير حقلين يتوغلان أكثر قرباً من سواحل لبنان ومصر.
وفي شباط (فبراير) 2012، بدأت شركة «نوبل إنرجي» للطاقة تطوير حقل «تنين» للغاز ويقع بين حقلي «لفياثان» و«تمار»، في منطقة يطالب بها لبنان.
أواخر نيسان (إبريل) 2012، بدأت شركة «إيه تي پي» الأميركية للنفط والغاز تطوير حقل «شمشون» البحري، الذي تُقدّر احتياطاته بقرابة 3.5 تريليون قدم مكعب. ويقع على عمق ألف متر تحت سطح البحر، جنوب لفياثان، ما يجعله على بُعد 114 كيلومتراً شمال دمياط و237 كيلومتراً غرب حيفا.
في مطلع 2012، وقعت «نوبل إنرجي» صفقة أولى لبيع غاز حقل «تمار» بكمية 330 مليون متر مكعب سنوياً لمدة 16 سنة (قيمتها 1.2 مليار دولار) مع شركة «زورلو إنرجي» التركية التي تشغل محطتي توليد كهرباء في إسرائيل.
وفي ربيع 2012، كشفت إسرائيل نيتها نشر الصاروخ «مقلاع داود» على منصات انتاج الغاز في حقلي «لفياثان» و «تمار». إلا أن إسرائيل أرادات أن تضمن وسيلة ثابتة لتصدير هذا الغاز عبر خط أنابيب لا تتنازعه دول أجنبية، ما يفسّر اهتمامها بترسيم الحدود البحرية اقتصادياً، خصوصاً أنها تنوي بيع الغاز لأوروبا، عبر قبرص واليونان، وهما غير متواصلتين في الحدود الاقتصادية البحرية.

وفي 2012، شنّ الكاتب دانيال بايبس (من صقور المحافظين الجددّ الذين هيمنوا على ولايتي جورج دبليو بوش) هجوماً على تركيا، بخصوص جزيرة «كاستلوريزو» اليونانية التي تبلغ مساحتها 11 كيلومتراً مربعا، وتبعد 1500 متر عن ساحل مدينة أنطاليا التركية.

وأشار إلى أن تركيا وافقت على أن تكون للجزيرة مياه إقليمية بعمق 10 كيلومترات. لكن بايبس أنذر بانفجار منطقة شرق المتوسط ما لم توافق تركيا على منطقة اقتصادية خالصة للجزيرة الضئيلة بعمق 200 ميل بحري، بمعنى خلق تواصل مع المياه الإقليمية لليونان وقبرص معاً، ما يجعلها نقطة التماس الوحيدة بين اليونان وقبرص، التي بدورها متماسة مع إسرائيل. والهدف من ذلك إقامة خط أنابيب غاز لتصدير الغاز الإسرائيلي والقبرصي إلى أوروبا مباشرة.

ويبدو أن تركيا رفضت السماح بمرور خط أنابيب عبر «كوستلوريزو». وكان تشكّل فريق مشترك بين إسرائيل وقبرص واليونان لإنشاء خط أنابيب غاز من حقول شرق المتوسط إلى جزيرة كريت، الأمر الذي يجعله يمرّ في المنطقة البحرية الاقتصادية لمصر.

***

<u>الجزء الخامس: نحو قاهرة أكثر يقظة</u>

على مصر أن تعاود بأقصى سرعة ممكنة عمليات التنقيب والحفر في امتياز شمال شرقي البحر المتوسط «نيميد»، كما عرّفتها في الامتياز المعطى عام 1999. وإذا كانت هناك شركات ترفض التنقيب لأي سبب، فمن المؤكد أن هناك شركات أخرى تود التعاون، بسبب ضخامة المشاريع. ويفترض بديهياً أن تعاود مصر ترسيم حدودها بحرياً واقتصادياً مع قبرص وإسرائيل. وينطبق الوصف عينه على الحدود البحرية مع ليبيا والسودان والسعودية وتركيا واليونان، بل بريطانيا التي يجب ترسيم الحدود الاقتصادية معها في منطقتي «أكروتيري» و «ذكليا» الملاصقتين لميناءي ليماسول وفماغوستا القبرصيين.

وتبرهن هذه الوقائع مدى حاجة مصر لامتلاك القدرة على تصوير أراضيها ومياهها عن طريق قمر اصصناعي خاص بها. ولا تزيد تكلفة هذا المشروع على 100 مليون دولار. وربما شكّل نواة لبناء وكالة فضاء مصرية، على غرار وكالة «ناسا». ولا يجب أن يغيب عن البال، ما يربط هذه الأشياء ومسألة خط الغاز مع إسرائيل وصفقاته التي ربما تظهر تفاصيلها في سياق محاكمات النظام السابق، خصوصاً الرئيس المخلوع حسني مبارك ونجليه. ولننتظر. لنرى.

***

انتهت الدراسة المهمة ولاتزال قضية الغاز وتوصيله إلى إسرائيل بأبخس الأسعار فى سنوات التطبيع السابق للثورة (2005–2011) من القضايا المهمة فى مجال التطبيع الاقتصادى ، والتى دارت من حولها أحداث وعقدت صفقات ، وحوكم قادة تورطوا فيها ، ولم يكن مبارك وحسين سالم وأحمد نظيف وسامح فهمى ، إلا رأس الجبل الظاهر من مافيا الغاز فى مصر فى زمن التطبيع .

الفصل الرابع

من وقائع التطبيع الاقتصادى

(نماذج وأحداث)

نقدم فى هذا الفصل نماذج من أبرز وقائع التطبيع الاقتصادى (الزراعى – النفطى – السياحى – الصناعى .. إلخ) مما أوردناه مجملاً فى الفصول الثلاث السابقة ، نقدمه الآن على شكل خبرى مما وثقته وسائل الإعلام خلال الفترة من (1979–2011) ، كأحداث وأخبار ، نقدمهما هنا لتدعيم الحقائق التى وردت فى الفصول الثلاثة السابقة ، وسنقسم الفصل إلى حقب زمنية من الثمانينات حتى الألفية الثانية .

أولاً : حقبة الثمانينات :

** نشرت صحيفة " الشعب " فى 1987/11/8 أن الإسرائيليين رغم حملات المقاطعة الشعبية ضدهم فى مصر إلا أنهم مازالوا يرون فى مصر وخاصة سيناء المقصد السياحى الأول لهم وذلك هرباً من الانتفاضة الفلسطينية التى باتت تؤرق وتقض مضاجع الإسرائيليين بل وألحقت بالاقتصاد الإسرائيلى خسائر فادحة .

*فى العام 1988 طالبت الصحف المصرية مثل (صوت العرب) فى 1988/4/17 بفتح ملف الاتفاقيات الإسرائيلية " وجاء فى تقرير لها أنه على امتداد مائتى كيلو من القاهرة للأسكندرية والمشروعات الزراعية الإسرائيلية المصرية تتواصل على امتداد الطريق الصحراوى .

ومع ذلك لم يسمع أحد عن اتفاقية زراعية واحدة عرضت على مجلس الشعب وزعم امتلاء الفنادق بالسياح الإسرائيليين .. وتصريحات وزير السياحة بأنه لا يفرق بين المال الإسرائيلى وأموال القطاع العام .. بل ربما كان الأول هو الأكثر تدليلاً ومع ذلك لم نسمع عن اتفاقية سياحية واحدة عرضت على مجلس الشعب .كذلك رغم وجود البضائع الإسرائيلية فى أسواق مصر إلا أنه لم يعرض حرفاً واحداً عن التبادل التجارى بين مصر وإسرائيل على نواب الشعب .وهكذا .. وبالقياس على ذلك يمكن أن نقول نفس الشىء فى المجالات العلمية .. والثقافية ومظاهر التطبيع تنتشر وإن دخلت مصر على أطراف الأصابع

دون أن يدرى بها أحد ، المبرر الرسمى لذلك أن هذه الاتفاقيات جزء مكمل لكامب ديفيد وحيث إن مجلس الشعب المعوق قد وافق على " الأصل " فلابد وأن يوافق على الفرع ولا داعى للمناقشات .

وعلى ما فى هذا المنطق من استخفاف بعقول الناس وعواطفهم وعلى ما فيه من لا مبالاة بالرأى العام وعدم احترامه كل ذلك على أهميته .. إلا أن ما استجد من تصريحات رسمية تؤكد أن كامب ديفيد قد استنفدت أغراضها وبناء عليه أصبح من حقنا أن نناقش " الجزئيات " إن صح هذا التعبير مادامت الكليات قد سقطت .. هذا هو المنطق إلا إذا كنتم لا تعقلون .

** نشرت صحيفة " الحقيقة " فى 1989/9/3 أن مصر وإسرائيل اتفقتا على وضع مجموعة من القواعد المنظمة لمرور اليخوت السياحية وقوارب النزهة وسفن السيد فى منطقة طابا وخليج العقبة .

** وفى سياق متصل نشرت الصحف أن شركات نقل بحرى مصرية قامت بتأجير العلم المصرى لخطوط الملاحة الإسرائيلية لكى تتمكن من العمل بحرية بين موانئ الإسكندرية وبورسعيد وحيفا وأشدود وذلك عبر شركة أراب إكسبريس بالإسكندرية بالتعاون مع شركة زيم للملاحة البحرية الإسرائيلية .

** نشرت صحيفة " الأحرار " فى 1989/11/20 أنه تم الكشف عن مخطط إسرائيلى لتدمير الاقتصاد المصرى يتكون من 3 محاور أولها : سحب العملة الصعبة من السوق المصرى عبر تجار المخدرات الذين يتعاملون مع شبكة إسرائيلية لهذا الغرض ، وثانيها : عن طريق ترويج العملات المزيفة داخل البلاد وذلك عن طريق عملاء يتخفون وراء أسماء وهمية وشركات سياحية واستثمارية تم كشفها مؤخراً وثالثها : عبر استخدام وتهريب أسمدة محرم استخدامها دولياً تسبب بواراً للأرض الزراعية .

** وفى سياق متصل تم إحالة 13 إسرائيلياً لجنايات سيناء بتهمة تهريب مخدرات داخل البلاد ، كما تمكنت شرطة بورسعيد من القبض على إسرائيلى

وبحوزته عملات فئة المائة دولار كان يحاول استبدالها من البنوك المصرية، كما تم ضبط سائحة إسرائيلية تتسول داخل أحد الفنادق وبحوزتها مبالغ مالية كبيرة ودفتر شيكات على أحد البنوك الإسرائيلية .

وفى العام 1989 عُلم أن بعض الشركات اليهودية تسعى لشراء أراض زراعية بالإسماعيلية عن طريق شركة " تكنوجرين " والتى تعتبر وكيلاً لشركتى زراعيم وحيفا كيميكال الإسرائيليتين من تاجر أراض بالإسماعيلية .

* وفى سياق متصل بالتطبيع الزراعى ، انتقد تقرير للجنة القومية لمقاومة التطبيع الزراعى ، الاتحاد العام لمنتجى ومصدرى الحاصلات البستانية والذى يعتبر من أهم مستوردى البذور والتقاوى والمبيدات الإسرائيلية .وقد حذر تقرير صادر من هيئة الطاقة النووية من نشاط إشعاعى ملحوظ بمنطقة الدلتا والذى يمكن أن يكون نتيجة نشاط إشعاعى إسرائيلى فى مفاعل ديمونة.

* من جهة أخرى أعلن بعض الخبراء المصريين أن إسرائيل تقوم بسرقة المياه الجوفية فى سيناء فى منطقة العجيل ورفح .

* هذا كان يتم فى أثناء محاولة السفارة الإسرائيلية وملحقيتها الإعلامية لفتح وسائل اتصال مع الصحف المصرية الرسمية والمعارضة والحزبية عن طريق إرسال فاكسات لكل هذه الصحف ولكن دون جدوى ، حيث تتصرف هذه الصحف مع هذه الفاكسات كأنها لم تكن .

* هذا وقد رفضت هيئة الاستثمار طلباً من عساف ياجورى – قائد الدبابات الإسرائيلى المشهور – لإقامة مصنع فى منطقة طابا لكونه أحد المحاربين الإسرائيليين الذين خاضت معهم القوات المصرية كثيراً من المعارك حتى تم أسر عساف فى إحداها وهى معركة " المزرعة الصينية" أثناء حرب أكتوبر 1973 .

** فى 1989/3/20 شرت مجلة " روزاليوسف " تقريراً عن الجهود المصرية الضخمة لإعمار منطقة طابا بعد استلامها من إسرائيل وقد عبر بعض

الإسرائيليين المتواجدين فى طابا عن دهشتهم من حماس العمال المصريين لتوصيل المياه والكهرباء والاتصالات لكل شبر من طابا ، فالمصريون كانوا جاهزين لكل شىء فبعد تسلم طابا رسمياً كان رجال الجوازات جاهزين لاستلام مواقعهم ، وكتائب العمال المصريين تعمل ليل نهار لإحياء المنطقة وبسط الوجود المصرى الفعلى عليها .وفى سياق متصل تظاهر عمال فندق سونستا ضد إسرائيل بسبب رفضها معاملتهم كمهجرين من سيناء ودفع تعويضات لهم .

*وفى تقرير صحفى مهم يحمل عنوان "الإجرام الإسرائيلى فى مصر :شبكات منظمة لتهريب الهيروين والدولارات المزيفة وسرقة الآثار والتجسس! نشرت صحيفة (صوت العرب) بتاريخ 1988/7/17أن أجهزة الأمن المصرية اكتشفت أن76% من جرائم التهريب وتزوير العملات فى مصر تتم بأيد إسرائيلية،فقد تعددت أشكال وألوان الجرائم التى يمارسها الإسرائيليون فى مصر من تهريب المخدرات إلى ترويج الدولارات المزيفة مروراً بشبكات التجسس فضلاً عن محاولات نقل عدوى الإيدز إلى مصريين.

* وفى 1989/7/18 تقدم عدد من كبار المسئولين بهيئة التوحيد القياسى واللجنة النقابية للعاملين بها ووزارة الصحة ببلاغات لجهاز الأمن القومى والنائب العام تحذر من أن تكون إسرائيل وراء تمرير الموافقة على استخدام زيت الشلجم فى مصر ، والمعاونة على استيراد كميات كبيرة منه لرخص ثمنه .وقد أعد المعارضون لاستخدام الزيت فى الهيئات الصحية المختلفة ، مذكرة لتقديمها كبلاغ للنائب العام مدعماً بالمستندات يحذر من خطورته على الشعب ، خاصة بعد أن قررت الحكومة زراعة 18 ألف فدان بالنباتات المنتجة لهذا الزيت .

ومن ناحية أخرى تم سحب اختصاصات مسئول كبير بهيئة التوحيد القياسى، كما تم إحالة سبعة من المحامين والنقابيين ، لاعتراضهم على استخدام الزيت،

وقد تم إرسال مذكرات جديدة لوزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية وهيئة الجمارك توصى بالموافقة على دخول الزيت للبلاد وإلغاء الحظر السابق على استخدامه فى الاستهلاك الآدمى. كما وافق أخيراً د. محمد هلال رئيس هيئة التوحيد القياسى (وهى الهيئة المسئولة عن الرقابة على جودة السلع الغذائية) على الاستخدام الآدمى للزيت بعد اعتراضه عليه ، وجاءت هذه الموافقة بعد الاتصال الذى تم بينه وبين د. فتحى شيبة الحمد وكيل وزارة الصحة للطب الوقائى آنذاك .

* وفى 1989/10/25 أرجعت مصادر زراعية بالفيوم أسباب تدهور محصول الطماطم إلى التقاوى والمبيدات المستوردة من إسرائيل ، ودخولها بدون فحص من الحجر الزراعى وخاصة الصنف المسمى " نعمة " ! . كما انتشرت أمراض الذبابة والأكاروس فى محصول الطماطم التى تبلغ مساحة زراعته 42 ألف فدان بالفيوم .

* وفى العام نفسه (1989) حذرت سلطات الأمن المصرية المواطنين المصريين فى المناطق السياحية من أخذ أية معلبات من التى يحملها السياح الإسرائيليون معهم ، ونبهت السلطات المواطنين إلى ضرورة الإبلاغ عنها فوراً أو تسليمها إلى الجهات المختصة وذلك بعد أن أكدت الاختبارات المعملية تلوث هذه المعلبات بفيروس شلل الأطفال.

* وذكرت بعض وسائل الإعلام فى العام نفسه (1989) أن الحكومة قررت تأجيل تنفيذ اتفاق تجارى مع إسرائيل ، تبلغ قيمته 120 مليون دولار ، بناء على مطلب عدد من الهيئات الحكومية والجهات الرقابة بعد ورود 25 شكوى لوزارات الزراعة والتموين ومجلس الوزراء ، تشكو من واردات مصر من إسرائيل ومن احتوائها على فيروسات لا تكشفها أجهزة الفحص ، ولا تظهر إلا عند الاستخدام ، وورد بالشكاوى أن الجهات المسئولة عن التعاقد تتساهل كثيراً فى

تحديد النوعيات المستوردة من إسرائيل وتقبل كل ما يقدمه الجانب الإسرائيلى وأنها لم ترفض حتى الآن أى منتج إسرائيلى.

* وفى نوفمبر 1989 أحال المستشار مصطفى صادق المحامى العام لنيابة جنوب سيناء ثلاثة إسرائيليين إلى محكمة جنايات جنوب سيناء لمحاكمتهم بعد اعترافهم بحيازة كميات من الحشيش والهيروين بغرض الإتجار فيها مع استمرار حبسهم .

كانت تحريات قسم مكافحة المخدرات لجنوب سيناء قد دلت على أن بن هارت ياريف وصديقته ليراتشيم يوسى ودونيم أشبيل – الحاملين للجنسية الإسرائيلية – ويقيمون بمنطقة المسبط بدهب فى جنوب سيناء ، يحوزون كميات كبيرة من الحشيش والهيروين وأقراص الفاليوم ويستعدون لتوزيعها .. وبالتفتيش تأكدت المعلومات فألقت قوات الأمن القبض عليهم واتخذت النيابة قرارها السابق .تمت عملية الضبط والتحريات بإشراف النقيب السيد الظواهرى وكيل قسم مكافحة المخدرات بجنوب سيناء .

** و فى 1989/12/29 نشرت جريدة " الشعب " تقريراً عن المناقشات الساخنة التى شهدها مجلس الشورى حول اتفاقيات كامب ديفيد تمنع مصر من مد خطوط السكك الحديدية لسيناء وحذر النواب من أن توطين اليهود فى صحراء النقب يهدد بسحب خزان المياه الجوفية من سيناء عن طريق سحب المياه عن طريق الآبار العميقة .

وفى سياق متصل شهد مجلس الشعب جلسة ساخنة بسبب كشف نواب التحالف الإسلامى عن حصول الخبراء الأمريكيين والمصريين على 23 مليون جنيه بدون وجه حق من أموال المعونة الأمريكية ، كما شن النواب هجوماً على هيئة مشروع تنظيم الأسرة والقائمين عليه ، وتساءل أين ذهبت الـ 25 مليون دولار المخصصة من أمريكا لتنظيم الأسرة وحصلت عليها جمعية أسرة المستقبل القريبة من أسر مبارك حاكم مصر وقتها .

* وفى العام نفسه أخطرت الخارجية المصرية الحكومة الإسرائيلية أنه لا يمكن استثناء مقابر اليهود الموجود بالقاهرة من الإزالة بسبب اعتراضها الطريق الدائرى حول القاهرة وقالت : إنها عرضت الأمر على الجهات المعنية بما فيها وزارة التعمير ومحافظة القاهرة ورئاسة الجمهورية ، فاتفق الجميع على أن الإزالة ستشمل مقابر المسلمين والمسيحيين واليهود ولا يمكن استثناء أحد .وكان بعض اليهود قد عرضوا 50 مليون دولار كتعويض مؤقت لتغيير مسار الطريق بعيداً عن المقابر وقوبل هذا العرض بالرفض .

* وفى العام نفسه جددت مصر وإسرائيل والولايات المتحدة مدة مشروع التعاون الزراعى بينهم لمدة 5 سنوات قادمة ، فقد وقع مسئولون عن الدول الثلاث الاتفاق فى تكتم شديد بإحدى العواصم الأوروبية . ويتضمن المشروع قيام إسرائيل بإجراء الأبحاث العلمية والتطويرية لاستنباط حيوانات ومزروعات تناسب جو الصحراء وتقديم نماذج للإسكان بالصحراء الغربية لمصر . وذكرت مصادر مصرية أن الموقعين على الاتفاق قد تجاهلوا تحذيرات أجهزة الأمن ومطالبتها بتقليص التعاون مع إسرائيل ، بالإضافة إلى التقارير الاقتصادية التى أكدت عدم جدوى هذا التعاون فى المجال الزراعى .

***

ثانياً : حقبة التسعينات :

عاشت مصر خلال حقبة التسعينات 1990–2000 تطورات هامة على صعيد العلاقات السياسية والاقتصادية مع إسرائيل ، أثرت على أداء النظام السياسى وعلى حركة الشارع الرافضة لهذا التطبيع ، فلقد تطور ونما التطبيع الاقتصادى فى مصر ، مواكباً مؤتمرات الشرق أوسطية مع الانتفاضتين الفلسطينيتين الأولى والثانية ، ومع انتصار لبنان عام 2000 على العدو الإسرائيلى بعد 18 عاماً من الاحتلال . إن المتغيرات الإقليمية والدولية لعبت دوراً مهماً فى تنامى

التطبيع الاقتصادى بكافة مكوناته ، وفيما يلى نماذج من أبرز وقائع التطبيع الاقتصادى فى التسعينات :

(1) العام 1990 :

* فى يونيو 1990 ثارت ضجة عربية وداخلية حول ما أذيع عن سفر اثنين من قيادات عمال الزراعة إلى إسرائيل وإلقائهم خطابات تشيد بالصداقة بالعدو كما أدليا بأحاديث إلى راديو إسرائيل بنفس المعنى .

* إلا أنه فى العام نفسه (1990) أكد أحمد حرك سكرتير الاتحاد العام للعمال أن مجلس إدارة الاتحاد يلتزم بقرارات جمعياته العمومية المتتالية وسياسته القومية والمبدئية وهى عدم الاتصال أو التطبيع مع الهستدروت الإسرائيلى إلا إذا قام بعمل إيجابى وفعال فى تحريك عملية السلام فى الشرق الأوسط وإقرار حق الشعب العربى الفلسطينى وإقامة دولته المستقلة .

ونفى ما أذاعه راديو إسرائيل عن قيام وفد نقابى مصرى بزيارة تل أبيب والالتقاء بالاتحاد العام لعمال إسرائيل والهستدروت .

* وفى 1991/1/18 وفى تقرير مهم يحمل عنوان " **مخطط صهيونى للسيطرة على الزراعات الاستراتيجية .. مشروع أمريكى صهيونى لحرمان مصر من زراعة نصف مليون فدان** " **نشرت صحيفة الشعب ما يلى :** تحت ستار زراعة النباتات ، وإقامة المراعى لتربية المواشى والأغنام والبط ، نجح الصهاينة فى اختراق منطقة الساحل الشمالى الغربى من مصر وعلى امتداد سواحل غرب الاسكندرية انتشرت محطات أبحاثهم والتى تقوم بتحليل التربة المصرية فى هذه المنطقة .

ويبدو أن الحكومة المصرية وعلى وجه التحديد وزارة الزراعة قد منحت الإسرائيليين تسهيلات غير محدودة للتغلغل داخل مصر ، وفرض سيطرة تدريجية على الأراضى المصرية بحجة المشروع الثنائى المشترك بين مصر

وإسـرائيل لتنميــة الأرض القاحلــة ، وتكشــف لنــا المســتندات والوثــائق وكــذلك التقارير المختلفة إلى أى مدى وصلت هذه السيطرة وهذا التدخل .

المسـتند الأول : عبـارة عـن مـذكرة مـن الـدكتور عـادل البلتـاجى رئـيس الإدارة المركزية لشئون مكتب الوزير (الدكتور يوسف والى) .

وهـذه المـذكرة تفيـد بـأن السـفارة الإسـرائيلية فـى القـاهرة قـد أبلغـت وزارة الزراعـة تليفونياً بـأن السيد زيف بوجر المدير الفنـى بشركة أجريـديف الزراعيـة بإسرائيل يرغب فى زيارة البلاد فى العاشر من إبريل الجارى وذلك لمناقشة أوجه التعاون مـع شـركة نوباسـيد الزراعيـة وكـذلك زيـارة منطقـة الجميـزة بمحافظـة الغربيـة .. وبحـث أوجـه التعـاون بـين الشـركة الإسـرائيلية وبعـض شـركات القطـاع الخـاص المصرية التى تعمل فى هذا المجال .

وقد وافق الدكتور يوسف والى على الزيارة المقترحة دون أية تحفظات .

وقـد كانـت شـركة أجريـديف الإسـرائيلية المتخصصـة فـى تصـدير الحاصـلات والمعدات الزراعية لمصر ، نواة التغلغل الصهيونى داخل وزارة الزراعة المصرية .

المستند الثانى : يتمثل المستند الثانى فى تقرير أرسله كل من الدكتور محمد دسـوقى رئـيس اللجنـة المصـرية الإسـرائيلية ووكيـل أول وزارة الزراعـة والـدكتور عـادل البلتـاجى المشـرف علـى العلاقـات الزراعيـة الخارجيـة إلـى السـيد ريتشـارد بـراون مـدير مكتـب الشـئون المصـرية الأوروبيـة بوكالـة التنميـة الدوليـة بالولايـات المتحـدة وقـد طالـب التقريـر الـذى تعلـق بالمشـروع المصـرى الإسـرائيلى فـى النوبارية شرق جميزة (ب) بضـرورة التدخل الأمريكى من خـلال منظمـة التنميـة الدولية إلـى جانـب إسرائيل التـى تمثلهـا شـركة أجريـديف، لأن الجانـب المصـرى فى حاجة إلى إرشادات أمريكا لما لهذا المشروع من قيمة كبرى .

لذلك – فنحن – على الجانب المصرى – مازلنا نلح عليكم وبشدة بتمويل هذا المشروع بعد موافقتكم السابقة على مركزنا بمشاركة إسرائيل .

وإذا كانت رسالة الاستجداء المصرية توضح مدى المهانة التى وصل إليها الجانب المصرى فى طلبه للعون الأمريكى .

نرى على الجانب الآخر إبراهام كاتزيير وزير الزراعة الإسرائيلى يبعث إلى نفس الوكالة برسالة شكر جاء فيها :

" نشكركم على مساهمتكم فى مشروع تنمية الأراضى القاحلة الذى خططه الخبراء الإسرائيليون وتم تنفيذه فى منطقة النقب الإسرائيلية ونأمل استمرار المساعدة وتكشف لهجة الرسالتين كيف تتعامل أمريكا مع مصر وكيف تتعامل مع إسرائيل .

ويواصل التقرير فى موضع آخر (لم تتوقف محاولات الشركات الصهيونية التى تهدف إلى التغلغل فى شئون مصر الزراعية على شركة أجريديف التى تتعامل مباشرة مع مصر أو حتى وكالة التنمية الدولية . بل امتد إلى إحدى الشركات الإسرائيلية التى تعمل بالدنمارك ، حيث أرسلت هذه الشركة رسالة مشبوهة وخطيرة فى نفس الوقت من خلال السفارة الدنماركية بالقاهرة والرسالة مرسلة إلى الدكتور عادل البلتاجى تطلب منه تقديم معلومات كافية ووافية عن محصول الطماطم فى مصر بحيث تتضمن المعلومات أنواع الطماطم التى تزرع بمصر وأماكن زراعتها وكميات إنتاجها ونوعية المستهلكين .. والمساحة الكلية للمحصول وقيمة الإنتاج الكلى لمصر من الطماطم ، وكيفية إنفاق زارعى الطماطم لأموالهم . وتطلب الرسالة تسليم هذه المعلومات للسفارة الدنماركية بالقاهرة حتى تقرر الشركة إمكانية إنشاء فرع لها فى مصر .

ولعل فحوى الرسالة يوضح أن هناك مخططاً صهيونياً يستهدف مصر بشكل مباشر .. كيف لم تتنبه وزارة الزراعة له ؟ .

** وقد أكدت المفاوضات والإجراءات التى تمت خلال العامين الماضيين خطورة الخطة الثلاثية المتمثلة فى مصر وأمريكا وإسرائيل ، ففي مؤتمر تنمية الساحل الشمالى الذى عقد فى مارس 1990 بجامعة الاسكندرية والذى شاركت

فيه هيئة المعونة الأمريكية وبعض الخبراء الصهاينة .. رفض الجانبان الأمريكى والإسرائيلى زراعة محاصيل استراتيجية بالساحل الشمالى على أن تقام بدلاً منها مراع طبيعية تربى فيها قطعان الماعز والأغنام ومناحل للنحل ومزارع للبط الإسرائيلى .

ويتضح هذا الرفض لإقامة زراعات استراتيجية داخل مصر ، الحفاظ على حالة عدم الاكتفاء الذاتى من المحاصيل الضرورية مثل القمح والأرز داخل مصر) ، وفى تقرير لبرنامج بحوث تنمية الأراضى القاحلة أشار التقرير إلى أن المرحلة الأولى من الخطة والتى استغرق تنفيذها سبع سنوات بتكاليف وصلت 10 ملايين دولار .

قد تركت آثاراً إيجابية على الثروة الحيوانية .. والأعلاف .. وأن المرحلة الثانية من الخطة والمزمع انتهاؤها عام 1995 سوف تضمن لإسرائيل تحقيق أهداف التنمية المرجوة ، حيث سيمكن توصيل المياه إليها من خلال نهر النيل مما سينعش الاقتصاد الإسرائيلى لذلك أوصى التقرير بضرورة إقامة تجمعات زراعية مشتركة بين مصر وإسرائيل فى سيناء والنقب .

وقد رصدت هيئة المعونة الأمريكية 25 مليون دولار لتنفيذ هذه الخطة التى تتلخص فى الآتى:

– استمرار التعاون بين مصر وإسرائيل وأمريكا فى تنمية الأراضى القاحلة.

– يمثل مصر فى المشروع الدكتور عادل البلتاجى ويمثل إسرائيل د.صوميل بوريز ويعمل الجانبان من خلال لجنة زراعية مصرية إسرائيلية مشتركة تخضع خضوعاً تاماً لتوجيهات الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التى تتولى اختيار وإعداد الموظفين والعاملين بالمشروع وكذلك إعداد برامج الخطة .

– تستغرق الخطة خمسة أعوام يتم خلالها إعداد الدراسات والبحوث الحقلية بالمنطقة الغربية لمعرفة تفاصيل نحو نباتات الأعلاف وسلالات الماعز والأغنام .

– استمرار العمل على دراسة الخواص العدائية لنباتات وأغنام الصحراء الغربية .. وتحليل عينات التربة .

– دراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية التى تربط المزارعين بهذه الأرض .

– تطوير أساليب زيادة إنتاج مزارع الدواجن بهذه المنطقة .

– يبدأ العمل فى المشروع بالأراضى التى استصلحتها الحكومة المصرية بالساحل الشمالى .

– يراعى أخذ وجهات نظر المسئولين بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة .. وكذلك هيئة المعونة الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية فى خطوات تنفيذ المشروع بصفة دائمة .

وإذا كان هذا المشروع يهدف إلى حرمان مصر من زراعة محاصيل حقلية مثل القمح والأرز فى مساحة 160 كم ، كما يجعلها تابعاً لخطط وبرامج الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ، فما الذى استفادت منه مصر من وراء هذا المشروع وتلك الاتفاقيات .. خاصة إذا أضفنا إلى كل ما سبق أن جملة المرتبات التى يتقاضاها الخبراء الصهاينة والأمريكان فى هذا المشروع بلغت 180 ألف دولار فقط .

كما أن بيوت الخبرة الأمريكية والصهيونية هى التى قامت بالبحوث والدراسات التى تكلفت الملايين وتم تجاهل بيوت الخبرة المصرية رغم أن مصر هى التى تعهدت بتقديم معامل الأبحاث لبيوت الخبرة الأمريكية والإسرائيلية بالمجان .

** ولم يتوقف الزحف والتغلغل الصهيونى عند الصحراء الغربية بل امتد إلى مريوط ، حيث تقدمت الحكومة الإسرائيلية بفكرة إنشاء مجمع صناعى زراعى بمنطقة مريوط وتموله هيئة المعونة الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ، وقد اختارت الحكومة الإسرائيلية هذه المنطقة بالذات لأن بها أكثر من نصف مليون فدان أراض زراعية تم استصلاحها تمهيداً لزراعتها .

لذلك أرادت إسرائيل ضمان عدم قيام مصر بزراعة هذه المساحة بمحاصيل استراتيجية والاكتفاء بإقامة مصانع لانتاج الأعلاف والزيوت وبعض العصائر والمعلبات .

* وفى نفس العام صدر تقرير مصرى رسمى يتضمن الآتى :

* إن إسرائيل بالاشتراك وبالدعم الكامل من أمريكا تخطط للسيطرة الكاملة على توجهات مصر الاقتصادية .

* إن الشركات الصهيونية وخبراءها فى مصر وراء جميع الآفات والأمراض التى انتشرت مؤخراً بالأراضى الزراعية فى مصر والذى ظهر واضحاً فى انخفاض انتاج القطن المصرى بنسبة 60% والفول بنسبة 40% وعسل النحل بنسبة 75% ومزارع الدواجن بنسبة 80% واستمرار مهاجمة الآفات للطماطم والفواكه .

* انتشار المنتجات الزراعية الإسرائيلية بالأسواق المصرية بشكل لافت للنظر لدرجة أن كمية ما توروده إسرائيل من البذور الخاصة بالخضراوات ومشتلات الفواكه وصلت 40% من احتياجاتنا و20% من المخصبات والمبيدات ووصلت إلى 80% فى أجهزة الرى بالتنقيط والرش .

** **نشرت صحيفة " الشعب " فى 1990/3/27** أن الجهات الرقابية أعدت تقارير خطيرة تثبت عمالة أحد كبار الموظفين فى وزارة السياحة للمخابرات المركزية الأمريكية .

المسؤول متهم بالاستيلاء على أموال طائلة من المشروعات التى أشرف على تنفيذها بالإضافة لملكية لقصر كبير فى أمريكا ناهيك عن الحسابات السرية فى سويسرا وأوروبا . والغريب أن هذا المسؤول مازال فى موقعه رغم كل هذه التقارير الأمنية التى تدينه .

** وفى عام 1990 قام عدد من رجال الأعمال ممن لهم صلة بالوكالة اليهودية ، بشراء عقارات وشركات مصرية ، وكان تقرير أمنى قد حذر من

توسع وتفشى ظاهرة حصول يهود إسرائيليين على أراضٍ ومنشآت سياحية فى المدن الساحلية فى شبه جزيرة سيناء المصرية مع التوسع فى جلب العمالة الإسرائيلية للعمل فى هذه المنشآت . ويلجأ اليهود الإسرائيليون للتحايل حيث يحصلون على قطع أراضٍ بأسماء أشخاص مصريين بنظام حق الانتفاع مقابل مبالغ مالية كبيرة يحصل عليه الأشخاص المصريون .

وأوضح التقرير أن عدداً من رجال الأعمال الإسرائيليين اشتروا 5 قرى سياحية ودخلوا بالمشاركة فى أكثر من قرية وفندق سياحى بمدن شرم الشيخ الغردقة بنسب تتراوح بين 20% و40% من قيمة هذه القرى والفنادق وأنهم بعد شرائهم هذه المنشآت استبدلوا الطاقم الإدارى المصرى بآخر إسرائيلى حتى بلغ عددهم حالياً إلى 660 إسرائيلياً يقيمون بصفة دائمة فى شرم الشيخ والغردقة.

** فى 1990/5/2 نشرت صحيفة " الشعب " أن مصر طلبت من إسرائيل المساهمة فى إنشاء محطة للطاقة الشمسية فى سيناء بقوة واحد ميجاوات لاستخدامها فى تحلية مياه البحر وإنتاج الكهرباء .

** **فى 1990/5/29 نشرت صحيفة** " **الشعب** " أن فؤاد سلطان وزير السياحة آنئذ قال : إن الحكومة لا تستطيع منع الأجانب ولو كانوا إسرائيليين من شراء وحدات القطاع العام المعروضة للبيع .

جاء هذا فى الندوة التى عقدت فى نقابة الصحفيين وقال الوزير : إن رأس المال ليس له جنسية محددة .

** فى سياق غير بعيد حذر البنك المركزى المصرى من قيام جهة أجنبية – قد تكون إسرائيل – بطبع مليار دولار مزورة لإغراق الأسواق العالمية – ومنها مصر – بها .

** وفى 1990/1/12 نشرت " الشعب " أن وفداً من رجال الأعمال المصريين التقى الإرهابى آريل شارون ، وقد حث شارون رجال الأعمال

المصريين لتوسيع نطاق التعاون بين البلدين خاصة بعد عودة العلاقات العربية المصرية ، كما اجتمع الوفد مع وزير الزراعة الإسرائيلى.

** وفى 1990/3/27 نشرت صحيفة " الشعب " أن وزير الرى المصرى عصام راضى اعترف بوجود خبراء إسرائيليين فى منابع النيل بأثيوبيا للمساعدة فى إقامة مشاريع وسدود مائية على نهر شبيلى الذى يصب بالصومال وأضاف أن السدود الموجودة حالياً صغيرة جداً ولا تشكل خطورة على حصة مصر من مياه النيل.

** وفى سياق متصل أشارت صحيفة الأسبوع إلى القلق المصرى المتزايد من اتفاق السودان مع الجيش الشعبى السودانى بقيادة جون جارانج على حق تحقيق المصير وما سيترتب عليه من إقامة دولة مسيحية فى الجنوب السودانى نظراً للعلاقات الوطيدة التى تربط جون جارانج بإسرائيل ، مما سيشكل خطراً بالغاً على الأمن القومى المائى المصرى ، لأن الخبراء الصهاينة موجودون بالفعل فى أثيوبيا وسيتواجدون بالقطع فى الجنوب السودانى .

** ونشرت الصحف خلال عام 1991 تقريراً عن عدد من الشركات السياحية التى تروج للسياحة الدينية عن طريق الحج للأماكن المقدسة فى مكة والمدينة ، وفى نفس الوقت تنظم رحلات للأراضى العربية المحتلة لزيارة الكنائس والأماكن المسيحية الأخرى .

ومن هذه الشركات " دى كاسترو تورز " ، والتى يملكها آل الفايد وشركة ترافكو .

** **استمراراً لحملاتها ضد الفساد وضد دور يوسف والى فى التطبيع الزراعى نشرت "الشعب " فى 1990/12/11** تفاصيل عن خطة يوسف والى لتخريب الزراعة المصرية بعد موافقته على استيراد تقاوى ومواد زراعية ملوثة وبعد استخدامها هددت 125ألف فدان بمريوط بالفناء والبوار.

موافقته لدخول مجموعة بحثية صهيونية لمسح الساحل الشمالى مما يهدد الأمن القومى المصرى .

– وافق على إدخال شتلات عنب ملوثة رغم اعتراض الحجر الزراعى .

– كل الصفقات والاتفاقات التى تمت مع الكيان الصهيونى نتج منها تسرب فطريات وميكروبات تضرب الزراعة المصرية فى مقتل .

وبخصوص صفقة الشتلات التى كانت موجهة لمريوط ، قال خبراء الحجر الزراعى : إنها لا تصلح للزراعة لوجود تلوث على الجذور وأنها وتدية الجذر ووجود نمو جرثومى وفطرى واضح على مناطق التطعيم .

– موافقته على تصدير 120 ألف طن من الملح المصرى الذى يدخل فى بعض الصناعات المتعلقة بالصناعات الحربية .

– موافقته على إنشاء برك للطاقة الشمسية واستيراد هذه المعدات من إسرائيل بمبالغ طائلة ثم تلفها بعد فترة قصيرة مما يعتبر إهداراً للمال العام .

* وفى العام ذاته نشرت صحيفة " الأهالى " فى 1990/4/11 تقريراً عن تجارة الأعضاء البشرية وكيف أن المرضى الإسرائيليين وخاصة المصابين بالفشل الكلى اتجهوا لمصر لإيجاد قطع غيار بشرية لاستمرار حياتهم على حساب صحة وأجساد مصريين .

وتحدث التقرير عن تورط مستشفيات مصرية وأطباء مصريين يلعبون دور السمسار بين المرضى الإسرائيليين وبائعى الكلى المصريين .

* وفى العام 1990 أمرت وزارة الزراعة بحفظ التقارير المرفوعة حول النشاط الصهيونى المشبوه داخل مصر وإبعاد أصحاب هذه التقارير إلى أماكن نائية ومن هؤلاء الباحث نصر محمد محمود بمعهد البحوث السمكية بالسويس الذى اكتشف خلال عمله مع خبراء إسرائيليين بمشروع تربية المزارع السمكية على ناتج الصرف الصحى أقيم على مساحة 200 فدان بالسويس ، أن الأسماك المنتجة منه بها نسبة عالية من البولينا تسبب التسمم والفشل الكلوى فرفع بذلك

تقرير للوزارة فتم نقله إلى أسوان !! خشية غضب هيئة المعونة الأمريكية التى تمول المشروع بعشرة ملايين جنيه ، خصوصاً وأن الباحث حمَّل خبراء العدو الصهيونى المسئولية .

* وفى نفس العام طلبت مصر من السلطات الإسرائيلية المساهمة فى إقامة محطة طاقة شمسية بقوة واحد ميجاوات فى سيناء بتكلفة خمسة ملايين دولار وبمساعدة الخبراء الصهاينة ، ووصف موشى شاحال وزير الطاقة والتعدين بالكيان الصهيونى لقاءاته بوزير البترول المصرى حول هذا الأمر بأنها كانت ناجحة ومثمرة ، وأشار بأن حكومة مصر طلبت المساعدة من إسرائيل أيضاً فى إزالة ملوحة البحر وإقامة محطات للطاقة الشمسية وإنتاج الكهرباء حيث كان الوزير الصهيونى يتحدث منذ أيام فى النادى الاقتصادى للصناعات الصغيرة بجنين المحتلة .

من جهة أخرى وقعت وزارة الزراعة المصرية عدة اتفاقات سرية جديدة مع المسئولين عن الزراعة فى الكيان الصهيونى ، وصفها خبراء الزراعة بأنها ستؤدى إلى كارثة فى حالة تنفيذها .. منها الاتفاق على تبادل المعلومات والشتلات حول القطن طويل التيلة وإقامة مزرعة حديثة مشتركة بالقرب من الإسكندرية لإنتاج وتربية قطعان بقر للحصول على الألبان وتصدير الأغنام والماعز لإسرائيل واستيراد سلالات من أغنام وماعز بزعم تحسين السلالات المصرية ، واتفق على إقامة مشروعات زراعية مشتركة بالصحراء المصرية فى مجالات الأعلاف والخروع لإنتاج الزيت والذرة لإنتاج السكر، فضلاً عن انتاج مشترك بين الجانبين لوسائل الإنتاج والطاقة اللازمة لتشغيل هذه المشروعات ، كما اتفق على انتاج مشترك من الميكنات الزراعية ووضع نظام للرقابة على البيئة والحفاظ عليها والاستفادة من تكنولوجية العدو الإسرائيلى المبتكرة لتخزين القمح ، بالإضافة للتعاون فى مجالات الأبحاث والتدريب . كانت اللجان الزراعية المشتركة بين الجانبين قد عقدت سلسلة من الاجتماعات بالقاهرة

برئاسة عمر دسوقى وكيل أول وزارة الزراعة وصموئيل مدير التطوير الزراعى بالكيان الصهيونى وانتهت بتوقيع الاتفاقات والتى رصدت لها مبدئياً 2 مليون دولار .

* وترددت أنباء خلال عام 1990 عن قيام خبراء إسرائيليون بالعمل فى شركة توباسيد وهى شركة النوبارية لإنتاج البذور ومقيمون بها ويسيطرون عليها وتستورد هذه الشركة البذور والتقاوى من إسرائيل وتصل إلى مطار القاهرة ومنها تنتقل إلى الشركة دون فحص حقيقى لهذه البذور والتقاوى ودون إجراءات حجر صحى زراعى ، غالبية هذه البذور والتقاوى ملوثة بالفيروسات والأمراض التى تنتقل إلى مختلف المحاصيل فى مصر مما يؤدى إلى إصابتها وقلة انتاجها ، هذه التقاوى والبذور يوزع جزء منها على التجار لتعبئتها فى أكياس بلاستيك ملوثة ، ثم تقفل لتزيد الرطوبة بها وتكون مرتعاً خصباً لنمو الفيروسات والبكتيريا والجراثيم ثم تباع للزراع بعشرة أضعاف ثمنها .

وأكد بعض المسئولين بوزارة الزراعة ، أن كوارث الطماطم والمشمش والبرقوق وعسل النحل والمن الأسود كلها جاءت من إسرائيل وسببت كل هذه الكوارث ، ومنها ضياع محصول 80 ألف فدان طماطم بالفيوم فى العروة الماضية .

* وفى 1990 أيضاً حذر أعضاء نادى هيئة التدريس بجامعة المنوفية من نتائج المشروع الثلاثى الذى تتبناه وزارة الزراعة المصرية مع إسرائيل وأمريكا .

كان النادى قد أصدر بياناً يستنكر فيه سفر عميد كلية الزراعة بالمنوفية ورئيس قسم المحاصيل إلى إسرائيل .

وقد أكد العميد ورئيس القسم أن سفرهما جاء بناء على طلب الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة للاشتراك فى المعرض الصناعى الدولى هناك .

* وفى 1990/2/28 نشرت صحيفة " الأهالى " تقريراً مهماً عن مقابر اليهود فى مصر " جاء فيه : فجأة .. احتلت منطقة مقابر اليهود بالبساتين مكاناً بارزاً

فى صدر وسائل الإعلام الدولية والمحلية ، بل كادت تثير أزمة سياسية بعد أن تدخلت أطراف دولية لوقف مد الطريق الدائرى حول القاهرة مروراً بمقابر اليهود .

فى البداية كانت جولتنا فى المقابر اليهودية والتى لا توحى بأنها يمكن أن تثير أى أزمة . ففيها حوالى 3500 مقبرة تعانى 90% منها من الإهمال الشديد وتهشمت أحجارها ، ولا يمكن التعرف إلا على عدد قليل منها بعد أن أزال الزمن ما كان مكتوباً على رخامها وأحجارها . ويؤكد حارسها عواد عيد أن عشرة فى المائة فقط منها يمكن التعرف على أسماء المدفونين فيها ، وقد ظلت نسياً منسياً طوال عشرات السنين ، خاصة بعد أن هجر اليهود المصريون أرضهم ونزحوا إلى أوروبا وأمريكا وإسرائيل ولم يتبق منهم إلا نحو 178 شخصاً من أصل 75 ألفاً .وقد عانت المقابر اليهودية من مزاحمة الأحياء لها ، مثلها مثل جميع المقابر وبدأ يسكن حولها وفيها من لا يجدون مأوى .

ويروى حارس مقابر اليهود قصته مع المقابر ، فقد كان والده حارساً لها وتم رفع الحراسة عنها عقب حرب 1967 وبعد أن تولى السادات الحكم أعاد الحراسة عليها وتقدم الحارس إلى الطائفة بطلب تعيينه خلفاً لوالده ، ويؤكد الحارس أن عدد الموتى الذين يدفنون فى هذه المنطقة الشاسعة لا يزيد على اثنين أو ثلاثة فى العام الواحد وكانت الزيارات نادرة جداً لكنها زادت فى الأعوام الأخيرة حيث يأتى بعض السياح اليهود لزيارتها وخاصة فى بعض المواسم والأعياد وبينها مولد أبو حصيرة .

وعندما تقرر إزالة ثلاثمائة مقبرة لمد الطريق الدائرى حول القاهرة ، وهى مساحة لا تزيد على 10% من المقابر ، اعترضت الطائفة اليهودية التى انتعشت مع تحسن العلاقات المصرية الإسرائيلية وسارعت برفع دعوى قضائية أمام محكمة القضاء الإدارى .

واقترح رئيس جهاز التعمير على الطائفة اليهودية أن تتكفل وزارة التعمير بنقل المقابر التى تعترض الطريق الدائرى إلى مكان مجاور ، ودفع التعويضات وتكاليف النقل واستقدام حاخامات من الخارج لإعادة طقوس الدفن على نفقة الوزارة ، وأشار رئيس الجهاز إلى إجراءات مماثلة مع مقابر إسلامية ومسيحية .

أصرت الطائفة اليهودية على اعتراضها وقالت : إن الطقوس اليهودية تقضى بإقامة صلوات خاصة عند الدفن وأن يكون الدفن فى مقبرة مستقلة ، واتهمت وزارة التعمير بأنها لم تراع القانون المنظم لنزع الملكية ، وأنها لم تشرك الطائفة فى مشروع الطريق الدائرى .

* ترد المذكرة التى أعدها المستشار محمد ياسين نائب رئيس هيئة قضايا الدولة على هذه المزاعم ، فهو يؤكد أن الأرض المقامة عليها المقابر ملك للدولة ، وأنها قدمتها على سبيل الهبة إلى الطائفة اليهودية ، ولا يجوز لها أن تتحكم فيها ، خاصة عندما يتقرر أن يقام على جزء منها مشروع للنفع العام، وراعت الدولة تخصيص مكان آخر لنقل جزء من المقابر لا يبعد عن المكان القديم أكثر من ثلاثين متراً .

شحاتة هارون .. اليهودى المصرى المعروف بمواقفه المعادية للحركة الصهيونية ، له موقف متميز عن الطائفة اليهودية بخصوص المقابر ويقول : إن الحياة أبقى من الموت ولا ينبغى أن تكون المقابر أياً كانت ديانة المدفونين بها عقبة أمام مشروع يخدم الأحياء ، وكما حدث من إزالة لبعض مقابر المسلمين عند شق طريق صلاح سالم ، فمن الطبيعى تطبيق نفس المبدأ على مقابر اليهود بلا تفرقة .

وحول ما تقوله الطائفة عن طقوس الدفن التى تقضى بوجود مقبرة مستقلة لا يمكن نقلها إلى الأبد ، فيقول شحاتة هارون : أنا لست متخصصاً بأمور

الشريعة وفى حدود علمى فقد جرى نقل مقابر اليهود فى مدينة براغ ثمانى مرات متوالية .

* وفى 1990/4/11 ذكرت صحيفة " الأهالى " أن وفداً من الاتحاد العام لعمال نقابات مصر برئاسة أحمد بدر نائب رئيس نقابة العاملين بالزراعة والرى شارك فى مؤتمر الهستدروت – اتحاد العمال الإسرائيلى – السادس عشر الذى بدأ اجتماعاته الثلاثاء الأسبق فى إسرائيل ، كما شارك فى أعمال المؤتمر د.عصام غيث ووفد من مجلس رجال الأعمال المصرى الإسرائيلى.

* وفى نفس الفترة عرض د. عادل البلتاجى المشرف العام لمشروعات التعاون مع الإسرائيليين ووكيل أول وزارة الزراعة مذكرة على الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة يطلب منه الموافقة على استيراد الأنواع والأصناف التالية من شتلات وبذور من الكيان الصهيونى .

– تفاح كاشابى – سلالة (4–13) – الخوخ أصناف – هرموزا سويلنق – بابكوك (12–198) – هجين اللوز والخوخ – المشمش صنف " كايننو " – البرقوق أصناف " صين جولد – لارودا – برمبير) – اللوز صنف "إميل فام" – الكمثرى صنف " سبادونا " وصنف "كوتشيا" ذى الثمار سيئة الصفات – العنب أصناف " سيبربور ، وسيوبرور ، بريليت ، وديليت 5 " .

* كما ناشد وكيل الزراعة البلتاجى الوزير والى الموافقة على استيراد بعض أنواع الأشجار من العدو الصهيونى مثل أشجار " أرجيينا " الغنية بالزيت ، وفاكهة " ديزيبيوز " والتى تتفتح بالشتاء و" ماريلا " ثمارها من أنواع " النيت وويت سبوت ، وبلاك سبوتا ، ودريف مانجوز".

***

* وفى مقال مهم للكاتب الراحل عادل حسين فى صحيفة " الشعب " التى كان يرأس تحريرها فى تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر والذى حمل عنوان " **متى يحاكم يوسف والى عن جريمة القطن ؟ .. تصريح خطير جداً لوالى منذ 10**

سنوات عن التعاون مع إسرائيل فى الزراعة " جاء فيه : الدكتور يوسف والى ظل يشغل طوال حكم الرئيس مبارك منصبين خطيرين: منصب المسئول الأول عن قطاع الزراعة ، ومنصب المسئول الأول عن حزب الحكومة ، وفى المجالين وقعت مصائب واقترفت جرائم أهدرت مصالح الوطن بقدر ما أفادت الأعداء ونحن نقصر حديثنا اليوم على جريمتى القطن ونواب المخدرات .

إن المؤامرة على القطن تسبق عهد الرئيس مبارك ، ففي عهد الرئيس السابق أنور السادات تحددت سياسات وصدرت قرارات كان من شأنها خفض المساحة المنزرعة قطناً بنسبة كبيرة ، وانخفضت بالتالى صادرات القطن .. إلا أن هذا الاتجاه تواصل وتسارع تحت إشراف يوسف والى ، والفارق بين المرحلتين أنهم كانوا فى أيام السادات يعلنون صراحة أنهم ضد القطن ، بينما نراهم فى هذه الأيام يولولون بعد ضياع كل محصول وكأنهم حزانى على ما حدث .. وما حدث هو أن محصول القطن :

كان 10.5 مليون قنطار عام 1981/80

وأصبح 8.6 مليون قنطار عام 1986/85

ثم 7.9 مليون قنطار عام 1988/87

ثم 6.1 مليون قنطار عام 1989/88

حتى وصل إلى 5.6 مليون قنطار عام 1990/89

و.. تشير كل التوقعات إلى أن الموسم الجديد لن يكون أسعد حالاً .

وكان طبيعياً أن يصاحب هذا هبوط فى صادرات القطن عاماً بعد عام ، حتى وصلت فى الموسم الحالى (1991/90) إلى رقم رمزى (250 ألف قنطار) ، وهو رقم يكاد يخرجنا من السوق العالمية .. وللعلم كانت صادراتنا فى عام 1981/80 حوالى 4 ملايين قنطار .

وقد أصبح من الأمور التقليدية أن نسمع – كما قلت – نواحاً وولولة عند ظهور نتائج المحصول كل سنة ، والمسئولون فى الإدارات المختلفة لوزارة الزراعة

يتبادلون الاتهامات فهناك من يقول : إن نوع المبيدات هو المسئول ، ويرد آخرون : بل أسلوب الرش ومواعيد استخدام المبيدات هى التى مكنت الآفات ، ويعترض بعض ثالث بأن أصل الكارثة يكمن فى مواعد الزراعة ، أو فى فساد البذور ، أو فى أصناف القطن وسلالاته ، بينما يزيح البعض المسئولية عن كاهل وزارة الزراعة كلها ويلقيها على الرى .. إلخ .. ونحن مع المطالبين بتشكيل لجنة قومية للتحقيق ، ولكننا نعلم أن هذه اللجنة لن تتشكل إطلاقاً ، وسواء أقامت هذه اللجنة أم لم تقم ، فإن من حقنا أن نستنتج أنه إذا تكررت ظاهرة الخراب فى محصول القطن لعدد متوال من السنين ، فإن الأمر لا يمكن أن يكون صدفة .. إنه جريمة قتل متعمد ، وينطبق على من ينوحون على محصول القطن كل سنة المثل الذى يقول : " يقتل القتيل ويمشى فى جنازته " ويؤكد هذا الاستنتاج أننا لم نسمع عن أى عقاب أصاب أى مسئول .. ألا يعنى هذا أن ما نعتبره كارثة للاقتصاد الوطنى يراه أهل الحكم إنجازاً محموداً يستحق المكافأة ولا يستوجب العقاب ؟ .

لقد قادت " الشعب " من خلال مقالات (الأستاذ صلاح بديوى) فى السنوات الماضية حملة ضارية ضد جريمة اغتيال القطن المصرى ولكن من واجبنا أن نشير إلى دور الاقتصاديين والفنيين المصريين فى هذا الاتجاه ، ومن الواجب أن نشيد كذلك بدور " مجلة المصور " التى نشرت – منذ عام 1989 – تحقيقات قيمة للأستاذ غالى محمد ، وقد سجل الأستاذ غالى (فى عدد 26 يوليو 1991) أنه يلاحظ أن انخفاض محصول القطن المصرى وانخفاض صادراته بالتالى ، كان يتوازى مع الزيادة المطردة فى صادرات أقطان البيما الأمريكية (بل والأقطان الإسرائيلية) ويلاحظ كذلك أن المساعدات الأمريكية التى تتدفق بسخاء لتطوير السلالات فى المحاصيل المختلفة استثنت القطن طويل التيلة ، وبالإضافة إلى ذلك انخفضت الاعتمادات المصرية للإنفاق على أبحاث القطن ، فتوقف إنتاج سلالات جديدة منذ نحو عشر سنوات ، وأدى هذا

إلـى تـدهور الصـفات الغزليـة للقطـن المصـرى بينمـا تنـتج الولايـات المتحـدة سلالات جديدة كل سنتين تزيد قدرتها التنافسية فى الأسواق العالمية .

ما أصاب القطن المصرى لم يكن صدفة إذن ، ولكنه مخطط أمريكى إسرائيلي يجرى تنفيذه بإشراف يوسف والى .

وهذا المخطط لضـرب القطـن المصـرى يكشـف للمـرة المليـون كـذب الهيئـات الدولية التى تتحدث عن تحرير الاقتصاد والذى يتضمن أن يتخصص كل بلد فى إنتاج السلع التى يملك فيها مزايا نسبية ، إننا لا نناقش هنا نظرية المزايا النسبية فى التجارة الدولية ، ولكن نقول : إذا كان هذا هو مرجعهم فإن مصر تملك مزايا نسبية فريدة فى محصول القطن ، ومصر كانت تحتل المركز الأول بين دول العالم المصدرة للقطن طويل التيلة ، وكانت صادراتها تمثل 49% من اجمالى الصادرات العالمية من تلك الأقطان .. فلماذا يضغطون ويتآمرون ضد استمرار إنتاج القطن وتحسينه فى بلادنا ؟ ألا يعنى هذا أنهم يضللوننا بالحديث عن الحرية والتحرير ، بينما هم يقصدون فى الحقيقة الاستغلال والهيمنة ؟ لقد أوضـح حـديثنا السـابق أنهـم يقتلعـون أقطاننـا مـن السـوق العـالمى لتحقيـق مصالحهم المباشرة بإحلال أقطانهم محل أقطاننا .. ولكن الموضوع له جوانب أخطر .

منـذ مـا يزيـد علـى عشـر سـنوات نشـرت كتابـاً عـن (الاقتصـاد المصـرى مـن الاستقلال إلى التبعية) وقد تضمن الفصل الأخير قسماً عنوانه (مأساة القطن وتغيير هيكل الانتاج الزراعى) أيامها كان وزير التخطيط يقول صراحة : إن القطن لم يعد ثروة قومية ، ولعلى لا أكون مبالغاً إذا قلت : إنه أصبح يمثل مشكلة حقيقية وأن الاستغناء عن زراعته قد يكون أجدى وأفيد للاقتصاد القومى من الإصرار على زراعته .. لقد بدأت المؤامرة منذ ذلك الوقت البعيد بتخطيط أمريكى وبمتابعة من الهيئات الدولية.

وينتهى مقال عادل حسين إلى القول : إن المخطط الأمريكى – الإسرائيلى لضرب القطن المصرى جزء أصيل وأساس لضرب الاستقلال الاقتصادى ، ولضرب الاعتماد على النفس ولتصفية التشابك بين المشروعات الوطنية ، ولربط هذه المشروعات بالشركات الدولية والاقتصادات الأجنبية .

ويتضافر مع هذا المخطط إدخال المحاصيل غير التقليدية ، فبدلاً من القطن تنتج أنواع جديدة من الخيار والفراولة وما أشبه .. وليس عيباً أن ندخل محصولات جديدة ، ولكن الطريقة التى يتم بها هذا التحول ، تعنى أنه بدلاً من القطن الذى عرفنا كل خباياه ، نستجلب محاصيل جديدة تعتمد فى إنتاجها وفى تصديرها على الخبرة الأجنبية (الصهاينة أساساً) فتعود السيطرة الأجنبية على الزراعة المصرية كما كان حالنا مع القطن حتى الخمسينيات .

وأود فى هذا الصدد أن أشير إلى تصريح خطير للدكتور يوسف والى أدلى به إلى مجلة لوموند ديبولوماتيك (مارس 1980) . كان والى أيامها وكيلاً لوزارة الزراعة ، مسئولاً عن العلاقات الدولية ، قال يوسف والى : إن تطوير الزراعة المصرية يسير حالياً فى إطار حلقات ثلاث : الأولى مصر – الولايات المتحدة والثانية مصر – الولايات المتحدة – إسرائيل ، والثالثة مصر – إسرائيل – الدول العربية ، وأضاف أن الحلقة الأولى قد تحققت تقريباً وأتاحت لنا تحسين المدخلات (البذور والأسمدة والمبيدات والميكنة الصغيرة) ، وسنشرع فى العمل بالحلقة الثانية لتحسين المحصولات وتسويقها بمساعدة الإسرائيليين ، وأخيراً تأتى الحلقة الثالثة وتتجه للانفتاح على الدول العربية وبالذات السودان (وقد رأينا انعكاس ذلك أثناء حكم النميرى فى السودان وكل ما قيل أيامها عن التكامل واستخدامات مياه النيل وترعة زمزم التى تروى إسرائيل)

هذا ما أعلنه يوسف والى منذ أكثر من 10 سنوات ، ونشهد للرجل أنه التزم بهذا المخطط (فى شأن القطن وغيره) طوال الفترة التى استقر فيها مسئولاً عن قطاع الزراعة ! .

2 – العام 1991 :

* وفى (1991) كشفت مصادر مسئولة بوزارة الزراعة معلومات خطيرة عن طبيعة مهمة الوفد البرلمانى المصرى الذى أرسله الدكتور يوسف والى وزير الزراعة والأمين العام للحزب الوطنى مؤخراً إلى إسرائيل فذكرت بأن الهدف الأساس للوفد هو التباحث والتخطيط مع كبار المستثمرين ورجال الأعمال بمجالات الزراعة والغذاء والتصدير والاستيراد بالكيان الصهيونى ، بهدف تحديد أطر التعاون الرئيسة المتعلقة بالتعاون بين الجانبين من خلال الإعداد لمرحلة التطبيع العربى الإسرائيلى .

فى هذا المجال الحيوى ، اتفق الجانبان على تولى الجانب المصرى مهمة إجراء الاتصالات مع كبار المستثمرين ورجال المال والأعمال العربى ، وتحديد العناصر التى تستجيب وتصلح لمرحلة التطبيع ، على أن تكون القاهرة هى محطة التنسيق والتلاقى بين جميع الأطراف . ومن أبرز المجالات التى ركز عليها الصهاينة البذور والتقاوى والخضراوات والفواكه وأدوات الرى الحديثة ، وتبادل الخبرات وإقامة المشروعات المشتركة والتصدير والاستيراد وإمكانيات التعاون بمجالات السياحة والثقافة .

** نشرت صحيفة " الأهالى " فى 1991/6/19 خبراً عن طلب جهات علمية بوزارة الزراعة التحقيق فى ظاهرة انتشار الأمراض وسط زراعات مشروع المجمع الصناعى الزراعى بديروط وذلك عقب ورود شتلات فاسدة من إسرائيل وزراعتها بأرض المشروع رغم ثبوت عدم صلاحيتها .

وكان يوسف والى قد وقع مذكرة لاستيراد شتلات من التفاح والخوخ والمشمش واللوز وقد رفض الحجر الزراعى هذه الشتلات لعدم صلاحيتها ، ولكنها تسربت بفعل فاعل لأرض المشروع بديروط مما تسبب فى انتشار الأمراض الفيروسية الزراعية وسط زراعات المشروع .

** وفـى 1991/9/3 نشـرت صـحيفة " الشـعب " تحقيقـاً مثيـراً عـن تصـدير الطـوب الطفلـى المصـرى لإسـرائيل بعـد الأزمـة الحـادة فـى مـواد البنـاء فـى الأراضـى المحتلـة ولجـوء إسـرائيل للاسـتيراد مـن السـويد ولكـن التكلفـة العاليـة وأسعار الشحن البحرى العالمية الباهظة دفع إسرائيل للطب من مصر لتوريد مواد البناء والطوب الأسمنتى والطفلى لإسرائيل ، وقد وقع الاختبار على شركة الطوب الرملى المصرية لتوريد الكميات المطلوبة ولخداع الرأى العام تم الاتفاق لتصدير مواد البناء عبر وسطاء وهم : سامى سعد وسامى توفيق من القاهرة وسعد رضوان من العريش .

وتقول الأرقام : إن مصر صدرت فى الفترة من فبراير حتى يونيه 1991 ما مقداره 50 ألف متر مكعب من الطوب الرملى ، وتبدأ رحلة التصدير للطوب المصرى لبناء المستوطنات الصهيونية بالأراضى المحتلة من قويسنا فالعريش ثم إسرائيل ، فى ظل ترحيب حكومى رسمى بهذا التصدير لمواد البناء المصرية التى تساعد فى ابتلاع المزيد من الأراضى المحتلة فى فلسطين .

** نشرت الصحف المصرية المعارضة (العربى – الشعب تحديداً) فى عام 1991 عدة تحقيقات عن مزرعة النوبارية التى يديرها إسرائيليون ، وقد جاء بهذه التحقيقات والأخبار الآتى:

* لم يكن هدف يوسف والى من التطبيع الزراعى بين مصر وإسرائيل هو تبادل الخبرات أو تبادل السلع الزراعية فقط بل كان يهدف فى المقام الأول التمكين لليهود فى مصر عبر زرعهم وتثبيتهم فى أماكن عدة خاصة فى المناطق المستصلحة الجديدة مثل النوبارية والتى خصص فيها 500 فدان لإقامة قرية أو مستعمرة صهيونية لا نعرف عنها شيئاً حتى إنه يمنع المرور من أمامها إلا بإذن أو بعد تفتيش دقيق.

هذه المستعمرة يعمل بها 600 خبير يهودى يستخدمون كل أنواع الهرمونات والبذور المسرطنة لإغراق السوق المصرية من منتجات هذه المزرعة ، فضلاً

عن قيام شركات زراعية إسرائيلية ببيع منتجاتها سواء من الأسمدة أو الآلات الزراعية بأسعار مرتفعة جداً إذا قورنت بنظيرتها المصرية كما يقوم خبير إسرائيل يدعى " جادى ريجيف " بإعطاء محاضرات تدريبية عن استخدام الآلات الزراعية . يذكر أن هذا الخبير اشترك فى ثلاث حروب ضد مصر .

كما أن عدداً من مهندسى الزراعة المصريين قد اتهموا وزارة الزراعة المصرية بتسهيل دخول الهرمونات والأسمدة المسرطنة عبر حقائب الخبراء اليهود أثناء دخولهم سواء من معبر رفح أو من المطارات المصرية مما نتج عنه خلل فى التركيب المحصولى بجانب انتشار الآفاق والأوبئة الزراعية والتى تشكل تهديداً مباشراً لصحة ومستقبل الإنسان المصرى .

يذكر أن شركة النوبارية لإنتاج البذور عمل بها فى تلك الفترة خبراء إسرائيليون وأقاموا بها وكانت هذه الشركة تستورد البذور من إسرائيل وتنقل عبر المطار لمقر الشركة دون فحصها من الجهات المختصة .

* وقد أقامت شركة زراعيم الصهيونية سوقاً بالنوبارية لتوزيع ما يحتاجه المزارعون من (تقاوى) ومبيدات ومعدات وشتلات رغم خطورة هذه الأصناف على صحة الإنسان المصرى.

* وفى العام 1991 أكدت الصحف أن أكثر من 200 سلعة من الصلصة حتى المعدات الزراعية إسرائيلية تنتشر فى مصر وهى تتنوع بين آلات الطباعة والورق والمشروبات والفواكه والسلع الزراعية ، وبين الكيماويات والجنود ومستحضرات التجميل وغيرها ، فالمنتجات والسلع الصهيونية لا تأتى إلى مصر بصورة مباشرة بمعنى أنها تتخفى وراء ماركات أجنبية أمريكية وأوروبية ، وهو ما يزيد من صعوبة حصر كل الأسماء ونوعيات المنتجات ، والعديد من هذه المنتجات يتم تهريبها بأساليب ملتوية إلى الأسواق المحلية وتعرض بالفعل بينما يتبين فى الكثير من الأحيان أن هذه السلع الإسرائيلية غير صالحة للاستخدام الآدمى ، أو منتهية الصلاحية ، وانتهى عمرها الافتراضى ، أو

تخلو من المواصفات الفنية والقياسية ، وتتم هذه الجريمة عن طريق من نسميهم بسماسرة وتجار التطبيع والاستيراد ممن نسوا ضمائرهم ووطنيتهم .

* وفى نفس العام (1991) حذرت مصادر مسئولة بمحافظة القاهرة من مغبة تمليك أراضى مصانع البلاستيك والبلاط وقمائن الجير بالقطامية لمستثمرين إسرائيليين ، والتى قام رئيس جهاز القاهرة الجديدة بإزالتها بطريقة عشوائية .. فى الوقت الذى هدد أصحاب 190 مصنعاً أزيلت بالإضراب عن الطعام حتى يتم حل مشاكلهم مع رئيس الجهاز وإعادة تخصيص أراضيهم أو تعويضهم عن خسائرهم التى بلغت أكثر من مليار جنيه وشرد أكثر من 1400 أسرة من العمال.

* وفى نفس العام طلبت إدارة الحجر الزراعى ومعاهد البحوث الزراعية وإدارات فحص البذور والتقاوى وقف استيراد واستخدام البذور الإسرائيلية ومنع الاستعانة بها فى الأراضى المصرية ، أثبتت التحاليل المعملية أن الأصناف المستوردة من إسرائيل محرم استخدامها دولياً .

كانت الجهات الأمنية وعلى رأسها مباحث التموين قد ضبطت (فى شهر فبراير 1991) 12 طن بذور خيار وطماطم وفلفل وفراولة مستوردة من إسرائيل عن طريق شركات خاصة وأفراد . وكشفت التحاليل احتواءها على فيروس مميت لخصوبة التربة الزراعية وتالف لمحصول القطن والذرة كما أنه يسبب عفناً لمزارع الأرز ، إضافة إلى 10 أمراض زراعية أخرى .

أكد مصدر مسئول لجريدة الأهالى أن هناك معلومات عن وجود ضعف الكمية المضبوطة لدى بعض التجار والمستوردين ومايزال البحث عنها جارياً .

* وفى فبراير 1991 صرح د. يوسف والى نائب رئيس الوزراء بأن (شامير) قائد حكيم وأن (بيريز) مفكر عميق . وأضاف فى حديث أجراه مع صحيفة " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية أن لديه رؤية ثاقبة مؤكدة بنسبة مائة فى المائة أن إسرائيل تتجه نحو السلام .

وقال يوسف والى : إن استمرار تدفق السياح الإسرائيليين على مصر يثبت ويؤكد عمق وقوة العلاقات المصرية الإسرائيلية بغض النظر عن الصدمة التى أحدثتها الانتفاضة .

ووصف مراسل الصحيفة الإسرائيلية يوسف والى بأنه أفضل أصدقاء إسرائيل فى الحكومة المصرية وأنه أكثر تفاؤلاً بشأن عملية السلام من شيمون بيريز .

* وفى العام 1991 أيضاً صدرت الأوامر على أعلى المستويات لمصانع الطوب الرملى للاستعداد لتصدير الطوب الرملى مرة أخرى للمستوطنات الإسرائيلية ، فقد تلقى مصنع قويسنا الشهير بالمنوفية تعليمات من قيادة عليا وبعيداً عن وزير التعمير ، للاستعداد لتصدير الأنواع الممتازة من هذا الطوب لإسرائيل والتى تم استيراد خط إنتاج خاص لها من السويد مما أدى إلى رفع إنتاج المصنع إلى 2000 م3 يوماً .

وإمعاناً فى التمويه لإعادة ممارسة هذه الجريمة البشعة ، فقد تم الاتفاق مع المقاولين الرئيسين الموردين لهذا الطوب لإسرائيل ، حيث تم الاتفاق معهم على شراء الكميات المطلوبة من الطوب بدعوى نقلها إلى سيناء للمساهمة فى عمليات التعمير على أن يقوموا بنقلها بالفعل إلى هناك حيث يعدون مخازن خاصة تمكث فيها كميات الطوب عدة أسابيع وبعدها يمكن نقلها إلى الحدود المصرية الفلسطينية ثم تشحن بواسطة الناقلات الإسرائيلية إلى المستوطنات.

وبهذه الطريقة ظهرت مصانع الطوب المصرية بريئة تماماً أمام الرأى العام، وكانت عمليات الشحن من سيناء إلى إسرائيل فى جنح الظلام أكثر أماناً بعيداً عن الأعين ويكون من الصعب فضحها .

** وفى نفس العام ورداً على جريمة تصدير الطوب لإسرائيل وجه مجلس إدارة اللجنة النقابية الرئيسية للعاملين فى شركة الطوب الرملى بياناً إلى جريدة "الشعب" يتعلق بالتحقيق الصحفى الذى كشفت فيه صحيفة " الشعب " جريمة تصدير الطوب الرملى لإسرائيل .

قال البيان : إن مجلس إدارة اللجنة النقابية وهو جزء أصيل من شرفاء الشعب المصرى وهو يمثل ثلاثة آلاف عامل مصرى وطنى على امتداد المصانع التسعة بأنحاء الجمهورية .. وهو فى نفس الوقت شريحة من شرائح الحركة النقابية المصرية الوطنية التى رفضت ومازالت وستظل ترفض قيام أو تطبيع العلاقات مع إسرائيل حتى يعود الحق الفلسطينى لأصحابه . ومن هذا المنطلق نود أن نعلن للحقيقة والتاريخ :

أولاً : نحن ضد الزحف الاستيطانى والصهيونى فى الأرض العربية والمستهدف تغيير هوية الأرض العربية وقهر الشعب الفلسطينى وإيجاد قاعدة صهيونية بشرية وتنميتها لتحقيق المطامع الإسرائيلية لإقامة دولة من النيل إلى الفرات .

ثانياً : نحن نؤكد وبصدق أن شركة الطوب الرملى ترفض بصورة مطلقة تصدير طوبنا لإسرائيل رغم ما نعانيه كشركة من قصور مالى رهيب .

ثالثاً : إذا كانت بعض الشركات أو المقاولين سواء مصريين أو غيرهم قد تحايلوا وبشكل ما على شراء الطوب وتصديره بمعرفتهم إلى الصهاينة ، فإن ذلك لا يعنى إطلاقاً الإساءة لكرامة شركة وطنية من عمالنا الشرفاء .. فشركة الطوب الرملى انتاجها المتميز متاح للشراء لأى فرد .. وليس من حقنا أن نتحقق من هوية المشترى أو نواياه ولا يلصق بنا هنا تهمة المشاركة فى التآمر .. ثم إن إسرائيل وكما يعلم كل المطلعين على أهداف إسرائيل – تحصل على معونات من المساكن الجاهزة من دول أوروبا وتركبها مباشرة بالأراضى المحتلة .

إننا نؤكد رفض التوسع الاستيطانى الإسرائيلى على حساب الشعب الفلسطينى .. ومن نفس المنطلقات نطالب كل القوى الوطنية بمساندة شركة الطوب الرملى وهى تمثل طليعة المدافعين عن الأرض الزراعية المصرية التى تصحر نصفها نتيجة تجريفها .

* وفى نفس العام (1991) وردت معلومات لهيئة الطاقة الذرية بقيام عناصر من الإسرائيليين بالتسلل داخل سيناء وتلويث مياه الآبار الجوفية بالمواد المشعة .

وصرح مصدر مسئول أن الهيئة قامت على الفور بتشكيل بعثة علمية من خبراء مركز الأمان النووى للتوجه إلى سيناء وتحليل بعض العينات للتأكد من سلامتها وخلوها من المواد المشعة .

وقد أكد الدكتور فوزى حماد رئيس هيئة الطاقة الذرية أنه ليس هناك ما يدعو للقلق حالياً خاصة بعدما تأكد أن اتجاه المياه الجوفية فى سيناء يسير نحو صحراء النقب .

* وفى 1991/9/23 ذكرت صحيفة الوفد أن مباحث أمن الموانىء ألقت القبض على 4 إسرائيليين بحوزتهم دولارات أمريكية مزورة ، وردت معلومات للعميد عبد الكريم الجزار مدير مباحث أمن الموانىء بتعدد ظاهرة حيازة الإسرائيليين القادمين عبر منفذ رفح للدولارات المزيفة ، وبعرض المعلومات على اللواء حسن الأجهورى مساعد وزير الداخلية ومدير مصلحة أمن الموانىء أمر بتشديد الرقابة على المنفذ وضبط العملات المزيفة .

تمكن العقيد سمير عبد القادر رئيس ميناء رفح البرى من ضبط الإسرائيليين كمال دار معلم " وسليم مؤنس " وباكوف اسحق وعماد كرم وبحوزة كل منهم دولارات مزيفة .

*** وفى 1991/10/29 نشرت جريدة الشعب خبراً تحت عنوان " تصدير الزلط المصرى للمستوطنات الإسرائيلية " جاء فيه :** تحت سمع وبصر الجهات المسئولة فى الدولة قام عدد من مقاولى القطاع الخاص بتصدير أجود أنواع الزلط المصرى من نوع "الفينو" –2سم و3سم – من محاجر الزلط فى السويس وفايد إلى المستوطنات الإسرائيلية.

وعلى امتداد عام ونصف كان يتم شحن ناقلات عملاقة مزودة بصناديق حديدية سعة 32م بهذا الزلط والذى يعد من أجود الأنواع المناسبة لأعمال الخرسانة المسلحة من المحاجر الموجودة فى صحراء فايد والسويس الكيلو 30 والكيلو 36 الصحراوى.

استطاع المصدرون الحصول على موافقات الجهات الأمنية للخروج من المنافذ إلى فلسطين المحتلة , حيث المستوطنات كما تم تسهيل كل الإجراءات الاقتصادية والرسمية الخاصة بهذه الصفقات.

سلكت الناقلات طريقها إلى منفذ العوجة آخر نقطة على الحدود المصرية الفلسطينية وهو نفس المنفذ الذى كشفت "الشعب" عنده جريمة تصدير الطوب الرملى للمستوطنات الإسرائيلية.

الجدير بالذكر أن هذه المحاجر تتبع رسمياً المحافظات التى قامت بتأجيرها للقطاع الخاص , وكان يتواجد بها يومياً 7ناقلات فى كل محجر حمولة كل ناقلة 32م3 مما يعنى أن عشرات الآلاف من الأمتار المكعبة قد تم تصديرها للمستوطنات . ويفيد خبراء الإسكان أن الـ 250م3 من الزلط تكفى لبناء عمارة مكونة من ستة طوابق على شقتين.

هذا وحصلت صحيفة "الأهالى" فى نفس العام على إحصائية رسمية تفيد زيادة حجم الزيارات المتبادلة بين وزارتى الزراعة المصرية والإسرائيلية والتى بلغت منذ يناير 1986 وحتى الآن 72 وفداً مصرياً ضمت نحو 360 خبيراً و 550 وفداً إسرائيلياً ضمت نحو 225 خبيراً.

كانت معظمها فى مجال البحوث المشتركة لتطوير السلالات والهجن, وحضور المؤتمرات والندوات إلى جانب تبادل لحدائق الحيوان.

** نشرت صحيفة " الحياة " فى 1991/10/27 تقريراً عن التجارة فى الشريط الحدودى وتحديداً فى رفح المصرية حيث تتزايد شكوى تجار المنطقة من تغول نشاط تجار الشنطة والعملة وتأثير ذلك على دخول التجار المصريين بسبب

النشاط المتزايد لتجار التهريب والشنطة مما نتج عنه تدفق المنتجات الإسرائيلية على رفح مما أثر سلباً على التجار الوطنيين.وأهم البضائع التى يتم تهريبها من إسرائيل : الصابون والشامبو ومستحضرات التجميل فضلاً عن الياميش .
وتأتى عمليات تهريب العملة والمخدرات لتمثل صداعاً لدى الأجهزة الأمنية، لأن تجار المخدرات يعتبرون رفح مدينة ترانزيت قبل نقل المخدرات إلى دول المشرق العربى .

* وفى شهر سبتمبر من العام 1991 ضبطت شرطة أمن الموانىء طالباً إسرائيلياً عقب وصوله لمنفذ طابا وبحوزته 220 طلقة ذخيرة ، كما تم ضبط 5 إسرائيليين آخرين أثناء عبورهم منفذ رفح وبحوزة كل منهم 200 دولار مزورة .
وكانت المعلومات قد تجمعت أمام اللواءين حسن الأجهورى مساعد الوزير لأمن الموانىء وسيد النبوى مدير أمن جنوب سيناء بقيام بعض الإسرائيليين القادمين إلى مصر للسياحة بتهريب دولارات مزورة وذخيرة ، فتم تشديد الحراسة على منافذ العبور حيث تم ضبط الطالب الإسرائيلى واسمه ذو هارليفى (23 سنة) وبحوزته 220 طلقة ذخيرة داخل سيارته أثناء عبوره منفذ طابا .
كما تمكن العقيد سمير عبد الغفار رئيس مباحث مركز رفح البرى من ضبط 5 إسرائيليين آخرين أثناء عبورهم المنفذ وبحوزة كل منهم 200 دولار مزورة تم إحالة المتهمين للنيابة التى باشرت التحقيق معهم .

** رغم الدور المشبوه لوزارة الزراعة المصرية ويوسف والى وعلاقاته الواسعة مع إسرائيل خلال فترة البحث (1979–2011) ورغم نفيه الدائم أن يكون لإسرائيل أى دور تخريبى فى مصر إلا أن الحقائق تكذبه وتكذب مسئولى وزارته الغارقين فى بئر التطبيع حتى النخاع فقد أكدت محاضر الضبط الصادرة عن شرطة المسطحات المائية فى 1991 عن أرقام مذهلة لعمليات تهريب التقاوى والبذور والمخصبات والمبيدات الإسرائيلية إلى مصر حيث تم

ضبط 446 قضية وتداول 236 طن تقاوى وبذور ومبيدات ومخصبات إسرائيلية .

والعجيب أن هذه المضبوطات الإسرائيلية كتب عليها " ممنوع تداولها فى الأسواق الإسرائيلية" وذلك لأن إسرائيل تنتجها ولكن لا تستخدمها نظراً لخطورتها المدمرة للبيئة والصحة والآثار الكارثية لها على الصحة العامة وأنها سبب رئيس لأمراض الكلى والكبد والسرطانات بجميع أنواعها .

وأشار التقرير الذى نشرته جريدة " مصر الفتاة " فى 1991/3/25 إلى أن أشهر المبيدات والبذور المتداولة وهى " دليلة ونعيمة وجاليا " قد أصابت الخضر والفواكه خاصة فى محافظة الإسماعيلية فى مقتل وذلك على عكس ما يردده يوسف والى ووزارته .

** نشرت جريدة " الشعب " فى 1991/8/2 تقريراً موسعاً عن هجرة اليهود الهنود من الهند إلى إسرائيل عبر مطار القاهرة الدولى وتحدث التقرير عن حالة التعتيم والطوق الأمنى حول المهاجرين الهنود ، وكشف التقرير أنه بالفعل تم سفر حوالى 350 هندياً يهودياً على خمس رحلات فى شهر يونيه 1991 ، وبمقابلة بعض المهاجرين تبين أن أسماءهم أسماء يهودية صرف مثل ميتشيل عيزر – مناحم – عيزرا – إسرائيل – روزفيلد – شارون – باتل – مولان – شمويل .

وأثبت التقرير أن شركة إير سيناء للطيران الخاصة شاركت فى عملية التهجير وليس بالنسبة لليهود الهنود فقط بل شاركت فى تهجير يهود أثيوبيا ويهود روسيا .

وقال د. عبد الوهاب المسيرى : إن أعداد اليهود فى الهند يقدر بحوالى 8000 يهودى . وهؤلاء لن ينعموا بكافة الحقوق فى إسرائيل ، لأنه يوجد جماعات دينية يهودية ترى هذه المجموعات المهاجرة أقل درجة من اليهود الإشكناز أى : الأوروبيين .

***

3 – العام 1992 :

* فى العام 1992 قام وفد يهودى بزيارة قرى النوبارية وأجرى مقابلات مع المسئولين عن أراضى الخريجين كما زار الوفد قرية (الشجاعة) والتقى ببعض من شباب الخريجين وأجروا تجارب حقلية واطلعوا على نتائج بعض أنواع المبيدات والبذور التى جلبها الوفد المصرى من تل أبيب .

قام الوفد بعدة جولات فى قرى الخريجين بكفر الشيخ والحسينية ، حيث يتضمن برنامجهم محاضرات مشتركة بين الشباب اليهودى ونظيره المصرى تعقد فى مقار الحزب الوطنى بالقاهرة .

قام الوفد بزيارة الآثار اليهودية والمصرية واختتم زيارته للقاهرة بحفل عشاء أقيم فى فيللا السفير الإسرائيلى بالمعادى وحضره الدكتور يوسف والى وعدد من المسئولين المصريين . وكشفت مصادر مسئولة بوزارة الزراعة رافقت الوفد المصرى فى زيارته الأخيرة لتل أبيب عن قيام الفلسطينيين بقذف الوفد بالطوب والحجارة عندما رأوا أعضاء الوفد .

وأضافت المصادر أن المسئولين عن الزراعة الإسرائيلية رفضوا الإجابة عن الأسئلة والملاحظات التى أبداها الوفد المصرى بحجة أنها أسرار تتعلق بالزراعة الإسرائيلية ومنها بعض تقنيات الرى بالتنقيط وأدوات التحكم داخل الصوب وطرق زراعة الأنسجة وتقزم أشجار الفاكهة نتيجة معاملتها بهرمونات معينة .

كان الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء واستصلاح الأراضى قد أكد أن سياسته فى إرسال وفود الخريجين المصريين للكيان الصهيونى سوف تستمر وأنه سوف يواصل استقبال وفود الشباب الإسرائيلى لما يرى فيه من مصلحة للزراعة المصرية ، وهو ما أثار ليس فحسب غضب الحركة الوطنية آنئذ (1992) بل سخريتها أيضاً من كون مصر هى التى علَّمت العالم الزراعة فكيف ينتهى بها الحال إلى أن تذهب لعدوها ليعلمها الزراعة؟! .

* وفـى العـام 1992 أكدت مصـادر مسئولة بجهـاز شئون البيئـة قيـام شـركة أمريكيــة – يهوديــة بعمــل دراســة اســتراتيجية شــاملة عــن ســيناء والتغيــرات الاجتماعيـة التـى شـملت المنطقـة بعـد كامـب ديفيـد . تتضـمن الدراسـة جمـع إحصائيات ومعلومات عن الأجهزة الأمنية والعلمية فى محافظتى شمال وجنوب سيناء ودرجـة التوزيـع والنمـو السكانى ونسبة الحضـر بالمقارنـة بالبدو وأعداد المصريين القادمين إلى سيناء من المحافظات الأخرى للاستقرار بها.

كما تشمل الدراسة طبوغرافية سيناء وحجم المشروعات السياحية التـى أنجزت بها ، وتقوم هذه الشركة بجمع إحصائياتها ومعلوماتها من جهاز شئون البيئة وجهاز تعمير سيناء والمعهد القومى لعلوم البحار .

* وفــى العــام 1992 طالــب عــدد مــن الاقتصــاديين التــابعين لرئاســة مجلــس الوزراء بإلغاء القيود المفروضة على التعامل مع الشركات الأجنبية التى تربطها تعاملات مباشرة مع إسرائيل ، وزعموا أن التعامل مع تلك الشركات سوف يكون فــى صــالح الاقتصــاد المصــرى وذلـك نظـراً للرصـيد الضـخم لتلـك الشـركات العملاقة فى مجالات الاستثمارات الدولية .

وذكرت مصادر مطلعة بمجلس الوزراء " للشعب " أن هؤلاء الاقتصاديين زعموا فى معرض تبرير موقفهم أن الحكومة الإسرائيلية ترغب فى فتح صفحة جديدة من صفحات التعاون الاقتصادى مع مصر ، وأشاروا بهذا الصدد إلى وجود 12 شركة يهودية ترغب فى استثمار العديد من أنشطتها فى مصر .

وكانت بعض الجهات الرقابية قد أبدت معارضتها لهذا الاتجاه الحكومى ، وحذرت بشدة من فتح باب الاستثمار أمام أى من هذه الشركات ، مشيرة إلى أن الشركات اليهودية تهدف إلى شراء العديد من مساحات الأراضى المصرية ، حيث انصبت عروضها على مناطق حيوية ومهمة لأمن البلاد ، مثل مناطق البحر الأحمر وأسوان ومرسى مطروح وسيناء والعريش وشرم الشيخ وبعض المناطق على حدود القاهرة وأشارت إلى أن عروض تلك الشركات اليهودية

تركز على إقامة المشروعات السياحية مثل القرى السياحية والكافيتريات التى يتم تشييدها على أسس دولية وصالات ألعاب مختلفة ومصانع عطور ، ونبهت الجهات الرقابية إلى أن الشركات اليهودية لم تعرض فى أى من عطاءاتها أية مشروعات إنتاجية يمكن أن تسهم فى زيادة الدخل القومى للبلاد ، وحذرت من أن امتلاك تلك الشركات لهذه الأراضى سوف يترتب عليها استغلال يضر بشكل مباشر بالمصلحة القومية للبلاد .

* وفى 1992/8/4 أكدت معلومات صحفية تدمير وباء الحشرة العسلية الوافد للفيود هذا العام أشجار الزيتون فى مساحات تعدت 30 ألف فدان وتركزت الإصابة بمركز أبشواى ، وانتقل المرض عبر هدية من الشتلات الإسرائيلية تقدر بخمسة آلاف شتلة ، تلقاها د. يوسف والى من أصدقائه الصهاينة وأهداها لأهالى مسقط رأسه " أبشواى " .

وفى اجتماع عقده محافظ الفيوم بعدد من الخبراء والمسئولين عن أعمال المكافحة بالوزارة مؤخراً ، أكد علماء مكافحة الحشرات أن كافة المواد المقاومة للحشرات قد استخدمت لوقف زحف هذا المرض دون جدوى ، وأنهم يخشون من انتقال عدواه إلى كافة المزارع بالجمهورية كما حدث بالنسبة لطفيل فاروا النحل ، وتقدر الخسائر الأولية بأبشواى فقط بما يبلغ 10 ملايين جنيه .

جدير بالذكر أن معظم الأوبئة التى أصابت مزارع مصر بدأت بالبذور والشتلات الإسرائيلية التى جربها والى بالفيوم وآخرها طماطم نعمة ، وريتا، وشتلات المشمش .

** وفى سياق متصل قالت صحيفة الشعب فى 1992/3/23 : إن الحكومة الإسرائيلية احتجت لدى وزارة السياحة المصرية بسبب سوء معاملة السياح الصهاينة على نقاط التفتيش فى رفح وشرم الشيخ ودير سانت كاترين .

** وفى سياق متصل أيضاً بالسياحة حذرت وزارة السياحة الإسرائيلية السائحين الإسرائيليين المسافرين لمصر من توخى الحذر فى تناول الطعام وفى

ارتياد دورات المياه العمومية بسبب اكتشاف ثانى حالة كوليرا بين السائحين العائدين من مصر .

** وفى نفس الفترة نشرت الصحف تقارير عن صندوق النقد الدولى ومؤامراته التى لا تنتهى على مصر وذلك بفضل السياسات الاقتصادية الفاشلة للحكومات المصرية المتعاقبة .

وقد أعد صندوق النقد الدولى خطة تتباحث بشأنها مع الحكومة المصرية برئاسة عاطف صدقى أعدها أمريكى يهودى يدعى " براين كارسيل " ، هذه الخطة يمكن تلخيصها بأنها تهدف لإخضاع الاقتصاد المصرى بشكل نهائى للسيطرة الأمريكية والصهيونية عن طريق إغراق مصر فى سلسلة من المشاكل الاقتصادية المتراكمة وبما يؤدى إلى تطويع اتجاه السياسات المصرية وفق ما تراه الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها فى المنطقة ، وطبقاً لهذه الخطة فستصل قيمة الديون الخارجية على مصر 70 ملياراً فى سنة 2000 .

وأى محاولة لجدولة الديون المصرية يجب أن ترتبط بفرض شروط جديدة تزيد من الأعباء على كاهل الاقتصاد المصرى .

وطبقاً للخطة الجديدة التى أعدها اليهودى " براين كارسيل " فإن ميزانية القوات المسلحة المصرية يجب تخفيضها 30% مع العمل تدريجياً لرفع الدعم عن السلع الأساسية للمواطن المصرى .

** علمت صحيفة " الأهالى " فى 1992 أن وفداً اقتصادياً صهيونياً يضم بعض المستثمرين قام بزيارة لمحالج القطن فى محافظة البحيرة لبحث مسألة شراء هذه المحالج . وهرولة الإسرائيليين لشراء محالج القطن يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع قانون تحرير تجارة الأقطان الذى سيسمح لأصحاب المحالج بشراء القطن من الفلاحين مباشرة .

كما ناقش الوفد الإسرائيلى إقامة مشروعات فى صناعة الدواء ومحطات تنقية المياه واستصلاح الأراضى وإنشاء قرى سياحية جديدة فى سيناء .

* وفى تقرير مهم نشرته صحيفة الشعب يوم 1992/2/15 ، وحمل عنوان " **أخطر بروتوكول زراعى وقعه والى مع الصهاينة !! : إقامة 3 " كيبوتسات " إسرائيلية – إرسال 10 آلاف طالب للكيان الصهيونى – استقدام 600 خبير لإدارة زراعاتنا !! وكان أبرز ما جاء فيه :** بروتوكول خطير للتعاون الزراعى مع الكيان الصهيونى أبرمه د. يوسف والى منذ أيام، نصت بنوده التى تحت أيدينا بكاملها على ما يلى :

إقامة 3 كيبوتسات زراعية متكاملة يقيمها الصهاينة فى الصالحية والساحل الشمالى وسيناء تتكون من 1500 فدان .

تسفير 10 آلاف طالب بتمويل مشبوه لتعلم الزراعة بالكيان الصهيونى لكنهم سوف يتعلمون أشياء أخرى ! .

استقدام 600 خبير وفنى صهيونى يديرون التعاونيات ، والإرشاد الزراعى ، ويشكلون معاهد بحوث موازية لمعاهدنا على أرض مصر خلال 5 أعوام .

وحصلت إسرائيل من خلال البروتوكول على ميزات جديدة لعبور البضائع والأفراد ، كما أن الوزير الصهيونى يطلب حرية تدفق المياه والتكنولوجيا والمعلومات ، ووالى يتحمس بشدة لأفكاره لإقامة سوق مشتركة للشرق الأوسط ، ومجمع مشترك ضخم لتزويد أفريقيا بالمساعدات الزراعية اعتماداً على الخبرة الإسرائيلية .

والجانبان يتفقان على تشكيل لجان لوضع الخطط الاقتصادية لمرحلة ما بعد التسوية على مستوى أفريقيا والشرق الأوسط .

تزويد الصالحية بـ 2500 بقرة إسرائيلية ، ودراسة زراعة الطماطم على الأرض المالحة ، وتطوير مشروع نوباسيد المشترك ، البروتوكول يحتاج إلى 100 مليون جنيه ، غالبيته تمويله أمريكى ودولى مشبوه .

***

<u>4 – عام 1993 :</u>

* وفى العام 1993 نشرت جريدة " الشعب " مقالاً للراحل الدكتور محمد حلمى مراد عن جرائم يوسف والى ووجوب عزله ومحاكمته نظراً لدعوته القبول بمشروع إسرائيل الكبرى ، أو الشرق الأوسط الكبير ، وقد عدَّد السياسى الكبير جرائم يوسف والى وهى :

– تدميره المنظم للزراعة المصرية وفقد مصر لعرشها فى إنتاج القطن .

– عمله على زيادة الفجوة الغذائية بالتوقف عن زراعة المحاصيل الاستراتيجية وإبدالها بالكانتالوب والفراولة وغيرها .

– استيراده للبذور والتقاوى الفاسدة .

– التطبيع الكامل فى المجال الزراعى بين مصر وإسرائيل برعاية يوسف والى .

– دعوة يوسف والى لإقامة السوق شرق أوسطية والتى على رأسها إسرائيل، وهى دعوة تستوجب عزله ومحاكمته ، لأنه بذلك فضح نفسه وأظهر وجهه الحقيقى الموالى لإسرائيل على طول الخط .

– بأى صفة يتحدث يوسف والى عن إسرائيل الكبرى وضرورة انضمام مصر لهذه السوق المشتركة (التى تلقى الرعاية والتأييد الأمريكى والأوروبى) .

– ما قام به يوسف والى عبر كل المسارات التى له فيها يد ، تظهر قيامه بفعل الخيانة العظمى فى حق مصر والعروبة والإسلام ولأنه تجاوز بتصريحاته رئيس مجلس الوزراء ثم مجلس الشعب ثم رئيس الجمهورية .

** وإلحاقاً بالمقال السابق عن يوسف والى ، نشرت " الشعب " تقريراً عن توقيع يوسف والى خطة من 45 بنداً مع الجانب الصهيونى من أجل تمرير السوق الشرق أوسطية أو خطة إسرائيل الكبرى .وقد أشارت " الشعب " إلى أنه منذ توقيع اتفاقات " العار " مع الكيان الصهيونى وبدء التعاون الزراعى بين البلدين قفزت معدلات السرطان فى مصر لـ 1000% والفشل الكلوى 600% والعقم 500% والقلب 300% وكل هذا مسجل فى المستشفيات وعبر 15 ندوة

طبية علمية و20 رسالة بحثية تطبيقية . وقد ذكرت " الشعب " أن دول أوروبا رفضت تسلم الموز والفاكهة المصرية بسبب تلوثها .

الأخطر أن رئاسة الجمهورية تؤيد وتشجع تعاون يوسف والى مع الجانب الصهيونى وقد جاء اجتماع اللجنة العليا الصهيونية المصرية ، لتضع النقاط على الحروف للخطة التى تتكون من 45 بنداً لتحرير السوق شرق أوسطية التى تجعل من إسرائيل المتحكمة فى دول الشرق الأوسط .

– وقد نص بروتوكول تم توقيعه بين الجانبين على إنشاء مركز علمى اقتصادى ضخم يشرف على إدارته خبراء صهاينة ، وقد خصص له يوسف والى 3 آلاف فدان فى النوبارية ، فضلاً عن قيام الجانب الصهيونى بتدريب 120 قيادة بوزارة الزراعة المصرية ، وقد رفعت جهات سيادية تقريراً عن إرسال 1800 قيادى بوزارة الزراعة للتدريب بإسرائيل وأن الخبراء الصهاينة لم يقدموا أى فائدة أو معلومة للمتدربين المصريين وأن الهدف منها كان سياسياً فقط.

– وقد ذكر التقرير عن التمويل المشبوه لجهات أمريكية لمشاريع مشتركة بين مصر وإسرائيل خاصة بتبادل المعلومات عن مصادر المياه بالمنطقة ، كما حذر التقرير من مؤامرة البحوث المشتركة التى تعطى وتفسح المجال للصهاينة لتمرير كل الميكروبات والملوثات التى تؤثر بالسلب على الزراعة المصرية .

* وفى نفس العام نشرت صحف المعارضة أن أمريكا وإسرائيل وقعتا اتفاقاً لما يمكن توصيفه (للتجسس) الاقتصادى على المنطقة وتضمن الاتفاق ما يلى :

– حقيقة الموقف الاقتصادى لكل دولة فى المنطقة .

– الموارد الأساسية لكل دولة والموارد الخارجية فى تقدير الناتج والمشكلات الاقتصادية الملحة التى تعانيها كل دولة ومدى قدرة الأسواق المحلية فى هذه الدول على استيعاب المنتجات والسلع والتكنولوجيا الأمريكية .

– دراسة غزو أسواق المنطقة اقتصادياً عبر عدة خطوط ، منها مدى تفعيل النقاط السابقة ثم اعتماد سياسة إعلامية موجهة تكون إسرائيل فيه هى الرائدة والموجهة للأحداث والتغيرات الاقتصادية بالمنطقة ، ثم مدى إسهام رجال الأعمال فى المنطقة فى المرحلة الاقتصادية المقبلة ، ومدى استيعاب المنطقة لهذه المتغيرات ، ثم العمل على إشراك إسرائيل فى مشروعات اقتصادية مع دول المنطقة ، تكون مقدمة لجعل إسرائيل شريك أساس فى المعادلة الاقتصادية للمنطقة .

** وفى العام ذاته (1993) نشرت صحف " الميدان وصوت الشعب والأسبوع " عدة تقارير متشابهة عن التطبيع ورجاله فى مصر سواء كانوا اقتصاديين أو مثقفين .

وأشارت التقارير إلى نقل شركة " كفرون " للنسيج لجزء من نشاطها لمصر وذلك على خطى شركة " دلتا " الإسرائيلية التى تعمل فى مصر منذ فترة ، كما زار إسرائيل وفد اقتصادى برئاسة جلال الزوربا – رئيس اتحاد الصناعات – ومعه عدد من رجال الأعمال المقربين من جمال مبارك ، وكان جمال الناظر رئيس جمعية رجال الأعمال قد صرح بأنه ليس هناك ما يمنع من إقامة علاقات تجارية واقتصادية مع إسرائيل .

أما على الجانب الثقافى فيبقى على سالم أحد الرموز المهمة والداعية للتطبيع مع إسرائيل حتى فى ظل وجود الاحتلال وقد منحته جامعة بن جوريون الدكتوراه الفخرية لجهوده فى الدعوة للتطبيع والتعايش السلمى بين العرب وإسرائيل .وكذلك المايسترو أحمد الصعيدى الذى زار إسرائيل بدعوة من جامعة حيفا الإسرائيلية لقيادة الأوركسترا الإسرائيلية فى حفل أقيم بجامعة حيفا (التى قاطعتها الجامعات البريطانية بسبب تأييدها للاحتلال) .

وقد نشرت صحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية حديثاً للصعيدى هاجم فيه من يرفض التطبيع وزعم أن السلام والتعايش بين العرب وإسرائيل سيدعم الديمقراطية فى الشرق الأوسط .

* وفى تقرير وثائقى نشرت مجلة " روزاليوسف " بتاريخ 1993/11/15 تحت عنوان "**القائمة الكاملة لبضائع الاستيراد والتصدير بين مصر وإسرائيل !** " **جاء فيه :** فى عام 1989 بلغ حجم صادرات مصر لإسرائيل 365 مليون جنيه بينما بلغ حجم وارداتها من إسرائيل 50 مليون جنيه ، وهذا الفرق الضخم يرجع إلى البترول الخام الذى وصلت قيمته إلى نحو 350 مليون جنيه من إجمالى قيمة الصادرات المصرية .

وقد ارتفع حجم الصادرات المصرية عام 1990 إلى ما قيمته 451.5 مليون جنيه وذلك أيضاً بسبب ارتفاع حجم البترول بينما بلغ حجم الواردات 109 ملايين جنيه بسبب ارتفاع حجم الواردات من السولار إلى نحو 106 ملايين جنيه .

ثم ارتفع حجم الصادرات المصرية لإسرائيل عام 1991 بنسبة 50% تقريباً، لتصل إلى مليار و187 مليون جنيه بسبب البترول أيضاً ، بينما بلغ حجم الواردات 13.5 مليون جنيه تقريباً يمثل السولار نحو 90% من إجمالى هذه القيمة (12 مليون جنيه تقريباً) .

وفى عام 1992 بلغت الصادرات المصرية 967 مليون جنيه تقريباً وارتفع حجم الواردات من إسرائيل بنسبة تزيد على 55% فوصلت إلى 41 مليون جنيه ، 70% منها هى قيمة السولار (28 مليون جنيه) كما تم استيراد زيوت نباتية بنحو 8.5 مليون جنيه .

أخيراً فى عام 1993 شهدت قائمة الأصناف المصدرة والمستوردة اتساعاً ملحوظاً رغم انخفاض قيمة الصادرات التى بلغت 14 مليون جنيه تقريباً حتى أغسطس الماضى ، غير أن هذا الانخفاض الملحوظ يعود إلى خلو الإحصائية

من قيمة البترول التى ترد فى نهاية العام . أما الواردات فقد بلغت قيمتها حتى أغسطس 1993 52.744 مليون جنيه .

البترول إذن تصديره إجبارى بموجب أحد بنود اتفاقية كامب ديفيد .

وقد حاولت إسرائيل فى عام 1988 وبعد انتهاء الفترة الأولى من الاتفاقية زيادة حصتها من البترول المصرى من 2.5 مليون طن إلى 4.5 مليون طن سنوياً والتى تحصل عليها إسرائيل بأسعار تقل كثيراً عن الأسعار العالمية إلا أن طلبها قوبل بالرفض والذى تجدد مرة أخرى من وزير البترول حمدى البنبى عندما أعاد الإسرائيليون اقتراحهم العام الماضى .

إلا أن ذلك لم يمنع قيام وزارتى البترول المصرية والطاقة الإسرائيلية من إعداد دراسة فنية لمشروع مصفاة بترول مشتركة بالعريش ويخصص معظم ناتج المشروع للتصدير إلى إسرائيل ، ومن المتوقع أن يتم اجتماع لجنة من الوزارتين خلال الأسبوع القادم لإقرار اتفاقية تأسيس المشروع .

* تأتى الزراعة فى المركز التالى للبترول فى قائمة الصادرات المصرية لإسرائيل ، والقائمة طويلة من شتلات وبذور للزراعة وأعشاب ونباتات طبية (كراوية – كركديه – شمر – زهور البابونج) إضافة للخضراوات والمنسوجات القطنية واللوف والماشية والدجاج .

كما أن وزارة الزراعة فى مقدمة المتعاملين مع نظيرتها الإسرائيلية فى شكل اتفاقات رسمية يتم بمقتضاها تبادل المنتجات والخامات والسلع والخبرات .

على طول منطقة الخطاطبة والعامرية المخصصة للاستصلاح الزراعى تتم الاستعانة بالخبراء الإسرائيليين فى هذا المجال سواء من قبل وزارة الزراعة أو على شكل اتفاقات ثنائية لأصحاب هذه الأراضى من الضباط المتقاعدين والذين يتعاقدون مع الخبراء لاستصلاح الجزء البور من المساحة الإجمالية التى يمتلكونها .

ومن الجدير بالذكر أن الإسرائيليين فى إطار محاولاتهم لضرب الجهات الرافضة للتطبيع فى مصر لجأت إلى إيفاد رجال أعمال يحملون جنسيات مزدوجة أى إسرائيلى أمريكى أو ألمانى أو فرنسا كغطاء لاستثماراتهم فى مصر أو الاستعانة ببعض القيادات المتقاعدة واستخدامهم كواجهة لشركاتهم .

وفى المقابل تقوم مصر باستيراد شتلات بذور وبذور للزراعة وفلاتر لتنقية المياه ومعدات رش المياه للرى وقطع غيارها إضافة للنسيج الخام المستخدم فى صناعة الأقمشة والموكيت كما تقوم باستيراد كميات من الأفراخ الصغيرة للتهجين والسلالات إضافة إلى بيض التفقيس.

وهذا الإطار الواسع للتعامل مع قطاع الزراعة المصرى الإسرائيلى يثير – من وجهة نظر مجلة روزاليوسف فى تحقيقها الوثائقى المهم – تساؤلاً مهماً حول جدوى هذا الاهتمام والتوسع النوعى ، فهل فقدت مصر التى تعتمد على الزراعة كمصدر أساس للدخل على مدار التاريخ خبراتها أو عجزت عن توفير إمكانيات التقنيات الحديثة فى الزراعة .. ثم ما هى الاستفادة التى عادت على مصر من ذلك فى ضوء تراجع إنتاج القطن سنوياً وانخفاض جودته المستمرة ؟ فما هى إذن مبررات هذا التوسع غير الطبيعى فى إطار التعاون الزراعى ؟ .

أما عن واردات مصر البترولية من إسرائيل فإن الحقائق تقول : إن السولار يمثل مع المواد الكيماوية نسبة لا تقل عن 80% من حجم الواردات الإسرائيلية لمصر ، والذى وصلت قيمته إلى نحو 29 مليون جنيه عام 1992 بالإضافة لبعض المنتجات الكيماوية مثل الإيثيلين جلايكول والزيوت الحيوية والمواد المبلمرة .

هذا عن وزارتى البترول والزراعة فماذا عن وزارة الصناعة ؟ .

غير أن الأرقام تؤكد حدوث تبادل خلال الفترة السابقة على 1993 وبعدها بين وزارة الصناعة ونظيرتها الإسرائيلية وعلى سبيل المثال بلغ حجم الواردات من قطع غيار السيارات 220 ألف جنيه هذا العام ومحركات السيارات 4 سلندر

(1300/1000 س3) 1000 محرك بإجمالى 40 ألف جنيه ، بالإضافة إلى مناشير نجارة آلية ويدوية ومحركات كهربائية وأدوات كهربائية للاستخدام المنزلى ومحركات للحافلات (الأتوبيسات) ومحركات ديزل (قوة 125 حصاناً) ، وسخانات مياه بالطاقة الشمسية وصلت قيمتها خلال عام 1993 وحتى شهر أغسطس نحو 2 مليون جنيه .

هذه هى القطاعات الأساسية التى تمثل الثقل الرئيس لحجم تجارة مصر وإسرائيل ، وهى تعكس بوضوح شديد أنها أرقام صغيرة لا تمثل ثقلاً فى حجم التبادل التجارى الخارجى لأى دولة خاصة إذا عرفنا أن الحد الأقصى لحجم الصادرات المصرية بلغ 462 مليون دولار عام 1985 لينخفض عام 90 إلى 76 مليون دولار فقط – رغم توسع قائمة الأصناف – وهذا يعنى بوضوح أكثر أن إسرائيل لم تستطع اختراق مصر اقتصادياً – وفقاً لمجلة روزاليوسف–وأن رفض التطبيع مسألة لازالت تجد القبول لدى الغالبية العظمى من قطاعات الشعب فى مصر .

* وفى نفس العام جددت إسرائيل عرضها لوزارة البترول المصرية باستكمال دراسة الجدوى لإنشاء مصفاة للبترول ضخمة فى ضواحى مدينة العريش بشمال سيناء .. بتكلفة قدرها 200 مليون دولار قابلة للزيادة تدفع إسرائيل نصفها على أن تتحمل الوزارة النصف الآخر .

يقضى الاتفاق بتخصيص أكثر من نصف ناتج المشروع للتصدير إلى إسرائيل .. ولكن وزير البترول وقتها رفض الشروط الإسرائيلية وخاصة ما يتعلق بزيادة حصتها من البترول المصرى المصدر إليها من 2.5 مليون طن إلى 4.5 مليون طن سنوياً مع خفض أسعار بيع البترول لها إلى النصف ومحاسبتها بعيداً عن الأسعار العالمية .

خبراء وزارة البترول رفضوا الطلب الإسرائيلى دون مناقشة مؤكدين أن هذا المشروع لن يفيد مصر بقدر الاستفادة التى ستحققها إسرائيل من ورائه .

هذا هو العرض الثانى الذى تتقدم بـه إسرائيل فـى هذا الصـدد إذ سبق لـوزارة الطاقة الإسرائيلية إن طرحت الفكرة فى بداية عام 1993 ، وتم بالفعل تشكيل لجنة رفيعة المستوى من وزارتى البترول المصرية والطاقة الإسرائيلية لبحث هذا الموضوع ثم توقفت .

5 – عام 1994 :

* فى النصف الثانى من عام 1994 وفى تقرير لصحيفة الحياة اللندنية يحمل عنوان التطبيع المصرى – الإسرائيلى بدأ يثمر ، لكن مستويات الاستثمار لاتزال متدنية " جاء فيه : يبدو أن تطبيع العلاقات الاقتصادية والتجارية ، الذى طال انتظاره بين مصر وإسرائيل ، بدأ يثمر بعد مرور 16 عاماً على توقيع اتفاق السلام بين الدولتين .وشهدت العلاقات التجارية بين الدولتين ازدياداً حاداً ، كما ازدادت الحركة السياحية على نحو ملحوظ بينهما بفضل اتفاق السلام الذى عقد بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام 1993 وبفضل مؤتمر القمة الاقتصادى الذى عُقد فى الدار البيضاء.

ورافق هذا التنامى فى العلاقات عدد كبير من الأنشطة فى القطاع الخاص وبدأ رجال الأعمال المصريون والإسرائيليون تخطى العقبات السيكولوجية التى حالت فى الماضى دون تعاونهم بعد عقود من الشك وعدم الثقة المتبادلين .

ويقول دوف سيجيف – ستاينبيرج المستشار الإسرائيلى للشئون الاقتصادية فى القاهرة أنه دُهش جداً وفى شكل إيجابى من التبدل العام فى المناخ على مدار العامين الماضيين .

ويضيف : بدأت العلاقات الاقتصادية بيننا وبين المصريين بالانطلاق الفعلى منذ ألغت الحكومة المصرية عام 1993 القيود التى كانت مفروضة على تحركات رجال الأعمال والشركات وعلى السياحة .

ولعل أقوى ما يدل على التبدل والتحول هو ازدياد التبادل التجارى المباشر بين الدولتين ، وعلى رغم أن هذا التبادل بدأ من قاعدة ضئيلة ضيقة ، ازداد حجم التبادل التجارى المباشر أكثر من ضعفين العام 1993 ، وبعدها كانت قيمة هذا التبادل 20.5 مليون دولار عام 1993 وصلت إلى 43.9 مليون دولار ، عدا سعر النفط المستورد .

وفى الأشهر الستة الأولى من 1994 نما التبادل ووصلت قيمته إلى 35.4 مليون دولار على حد ما تشير إليه أرقام وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية .

وبالإضافة إلى هذا كله ، تبيع مصر إلى إسرائيل ما قيمته نحو 200 مليون دولار من النفط الخام سنوياً بموجب اتفاق السلام المعقود عام 1979 .

وفى تقدير سيجيف – ستاينبيرغ تبلغ قيمة السلع المتبادلة مداورة بين الدولتين، أى عن طريق أطراف ثالثة ، تجنباً لإغضاب بعض الزبائن العرب الذين لايزالون يتظاهرون بمقاطعة إسرائيل اقتصادياً ، تصل إلى نحو 70 أو 80 مليون دولار سنوياً .

ويعرب طاهر الشريف الأمين العام لجمعية رجال الأعمال المصريين الذى نظم رحلتين لهؤلاء إلى إسرائيل خلال الأشهر التسعة الماضية ، عن اعتقاده بأن التبادل التجارى غير المباشر سيتراجع بسرعة فيما تزول العقبات السيكولوجية من أمام التعامل مع إسرائيل . ويضيف : أن قيمة ما يجرى من تبادل غير مباشر قليلة جداً بالنسبة إلى قيمة التبادل التجارى المباشر الذى سيحصل فى المستقبل ، فالمصريون حريصون على الاستفادة من خبرة الإسرائيليين فى التسويق وفى تسهيلات النقل ، فى حين يعتبر الإسرائيليون أن لهم سوقاً كبيرة جداً لسلعهم التكنولوجية المتطورة كالمعدات الطبية والزراعية فى مصر .

ويقول الشريف : إن مجموعة من رجال الأعمال من الطرفين وقعت الشهر الماضى اتفاقاً يتناول إنشاء جمعية تجارية مصرية – إسرائيلية تساهم فى الترويج لمزيد من التعاون بين الدولتين .

ويرافق الازدياد فى التبادل التجارى ازدياد فى المسافرين المصريين والإسرائيليين بين القاهرة وتل أبيب ، وتشير آخر الأرقام المتوافرة إلى أن عدد الإسرائيليين الذين زاروا مصر ارتفع من 132.985 ألف عام 1993 إلى 213.214 ألف شخص عام 1994 .

وازداد عدد المصريين الذين زاروا إسرائيل من 4625 شخصاً عام 1993 إلى 13.785 ألف شخص العام 1993 .

لكن الشركات المختلطة لاتزال قليلة جداً ويوجد بعض التعاون فى قطاعى الزراعة والمنسوجات لكن مستويات الاستثمار بقيت حتى الآن متدنية جداً .

لكن من شأن مبادرة مهمة من القطاع الخاص تتناول إنشاء مصفاة للنفط فى الاسكندرية بقيمة 1.2 بليون دولار ، أن تساهم فى تدشين التغيير .

وتولى تنفيذ المشروع (كما تقول جريدة الحياة) رجلان من كبار رجال الأعمال المصريين والإسرائيليين هما : حسين سالم المصرى ويوسف ميمام الإسرائيلى اللذان أسسا شركتهما المختلطة "مصافى نفط الشرق الأوسط فى آب (أغسطس) العام 1993 ، واشتركت فى هذه الشركة على أساس حصة أقلية ، شركة البترول المصرية العامة التى تملكها الدولة ، ويذكر أن بنك الاستثمار الأوروبى وافق رسمياً فى 1994 على تقديم 290 مليون دولار مساهمة منه فى تمويل المشروع .

وقد بدأ العمل فى المشروع فى وقت متأخر من 1994 وكان من المفترض أن ينتهى العمل آخر سنة 1998 ، ووفقاً للمشروع ستتمكن المصفاة من تكرير خمسة ملايين طن فى العام أو 100 ألف برميل فى اليوم وستكون أسواق المصفاة الرئيسة : مصر وإسرائيل وفلسطين ودول متوسطية أخرى .

ويقول حسين سالم : إن قوة المشروع لا تكمن فقط فى إشارته الرمزية إلى السلام والتعاون بل أنه أيضاً استثمار ممتاز وعلى الرغم من أننى لم أكن مطمئناً إلى المشروع فى البدء وجدت وحدة حال ووحدة تفكير مع الإسرائيليين وهى الوحدة التى يكتشفها الآن مصريون وإسرائيليون آخرون ، ويقيم هذا المشروع الدليل على أن بوسعنا أن نتعايش ونتعاون بعدما تواجهنا فى ساحات القتال .

** نشرت مجلة " العمال العرب " فى سبتمبر 1994 خبراً عن المؤتمر الشعبى القومى لمواجهة الاستسلام والتطبيع والهيمنة الأمريكية والصهيونية الذى عقد فى العاصمة الليبية طرابلس ، وقد حذر المجتمعون من أن قطار التسوية الاستسلامية يحرز تقدماً كل يوم ويكسر حلقة من حلقات الصمود والممانعة فمن اتفاق كامب ديفيد إلى غزة – أريحا إلى وادى عربة إلى اتفاقات شرم الشيخ والقاهرة إلى فتح مكاتب لإسرائيل فى بلاد عربية كثيرة ، فعلى الشعوب العربية أن تثبت أن اتفاق الحكومات العربية مع الكيان الصهيونى لا أساس لها ولا محل لها من الإعراب وغير ملزمة للشعوب العربية فى شيء .

* وفى 1994 أيضاً سافر رجل الأعمال ماهر منير إلى إسرائيل لعقد صفقة ورق طباعة ، المصنع الإسرائيلى نظم له استقبالاً رائعاً ورفع علم مصر على سارية المصنع ، وأقاموا حفل غداء على شرفه .

** وفى نفس العام واستمراراً لسياسة د. يوسف والى فى التمكين لليهود فى أراضى مصر ، دعا – والى – الجانب الإسرائيلى للاستثمار الزراعى فى شرق العوينات التى يقال : إن فيها حوالى 6 ملايين فدان جاهزة للزراعة وأن مياه الرى متوافرة على بعد سنتيمترات من سطح الأرض ، فيما أثبتت الدراسات أنه يمكن زراعة القمح ثلاث مرات فى العام ، وأن امكانات المنطقة لتكون مخزناً للحبوب والخضراوات ورغم دعوة يوسف والى للإسرائيليين إلا أن للصهاينة مآرب أخرى ، حيث تسعى إسرائيل للبحث عن اليورانيوم فى جبال العوينات والتركز فى المنطقة لتكون منطلقاً للتجسس على ليبيا والسودان وتشاد .

وكان يوسف والى قد كذب وادعى أن منطقة شرق العوينات خارج حزام القمح وهو ما كذبته تجربة القرية الشمسية ؛ حيث أثبتت التجارب المصرية صلاحية المنطقة لزراعة القمح بكل كفاءة وعلى مدار العام وبإنتاجية مرتفعة يمكن من خلالها الاكتفاء الذاتى لو تحققت الإرادة السياسية لذلك .

** وفى سياق متصل جددت مصر وإسرائيل وأمريكا مدة مشروع التعاون الزراعى لمدة 5 سنوات قادمة ويتضمن المشروع قيام إسرائيل بإجراء أبحاث لاستنباط سلالات زراعية وحيوانية جديدة ، وقد تجاهل الموقعون على الاتفاق التحذيرات الأمنية بشأن التعاون مع إسرائيل فضلاً عن عدم جدوى هذا التعاون لمصر .

* وفى العام 1994 أيضاً شهدت القاهرة أكبر تجمع اقتصادى شرق أوسطى، وذلك بهدف تذويب الصهاينة فى المنطقة وفى الوقت الذى طرح فيه الصهاينة مشروعات محددة ورؤية متكاملة ، سادت العرب النظرة الفردية ، وبات الخطر من الغزو الاقتصادى الصهيونى للمنطقة أكثر وضوحاً من ذى قبل ، وقد أثار المؤتمر العديد من التساؤلات : مَنْ وراءه ؟ وما الفائدة التى سيجنيها العرب ؟ وما هى أهدافه وهل حققها أم لا ؟ هذه وغيرها من التساؤلات نجيب عنها فى هذا التحقيق .

أكدت مصادر اقتصادية مشاركة فى المؤتمر أن هذا الملتقى يأتى كحلقة فى سلسلة تهدف إدخال إسرائيل فى المنطقة ، وقد بدأت هذه السلسلة بمؤتمر الدار البيضاء وتتبعها خطوات أخرى ، وأكدت المصادر أن إسرائيل هى التى خططت ودعت لهذه المؤتمرات وذلك عن طريق اللوبى اليهودى فى كل من أوروبا وأمريكا وبتمويل يهودى أيضاً ، وبالنسبة لمؤتمر ملتقى الشرق الأوسط وأوروبا المذكور ، فإن المعلومات تؤكد أن إسرائيل طرحت الفكرة عن طريق رجال الأعمال اليهود المشاركين فى السوق الأوروبية ، ولكى تكون الجماعة الأوروبية هى الواجهة الإعلامية للمؤتمر ، وهى أيضاً التى تتولى التمويل حيث تكلفت الجماعة الأوروبية بتمويل المؤتمر بـ 3 ملايين دولار " ما يعادل 10 ملايين جنيه مصرى " ودللت المصادر على ذلك بأن المؤتمر قد شهد تكثيف تواجد رجال الأعمال اليهود فى الجماعة الأوروبية فضلاً عن رجال الأعمال الصهاينة .

*** وفى 1994/2/13 نشرت جريدة " الشعب " تقريراً مهماً تحت عنوان " فى أسوأ تقرير لاتحاد الصناعات يروج للاقتصاد الصهيونى : المناطق الحرة بوابة التدخل .. والبنوك الدولية تساند " جاء فيه :** منذ عدة أسابيع ذهب وفد من اتحاد الصناعات المصرية لزيارة الكيان الصهيونى وبعد عودته ، أعد تقريراً مفصلاً روج فيه بشتى السبل للاقتصاد الصهيونى وزاد على ذلك بأن اتخذه نموذجاً يتمنى أن يحذو حذوه.. بل ودعا إلى تمليك أرض مصر للخبرات العالمية بما فيها اليهود طبعاً ، وبرخص التراب تحت دعوى إقامة المناطق الحرة ، ولم يبق لاتحاد الصناعات من انبهار بالنموذج الصهيونى سوى أن يقولها صراحة : " ليتنى كنت فى إسرائيل " أو "لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون إسرائيلياً " وذلك دون النظر لأى اعتبارات أو مبادىء أخرى ! وإليكم تفاصيل التقرير .

زعم التقرير أن الزيارة جاءت كدراسة ميدانية استكمالاً للدراسات التى بدأها الاتحاد حول مستقبل الصناعة المصرية فى ظل المتغيرات العالمية بما فى ذلك تحرير التجارة العالمية واقتصاديات الشرق الأوسط فيما بعد "السلام" ، ضمت مجموعة العمل 27 عضواً بحيث مثلت كلاً من القطاعين العام والخاص وقطاع الأعمال ورؤساء الغرف الصناعية باتحاد الصناعات وقيادات اقتصادية وتجارية مع رؤساء جمعيات المستثمرين بالمدن الجديدة ومراكز البحوث المهتمة بشئون الشرق الأوسط .

وكشف التقرير عن اتصالات تمت قبل بدء الزيارة مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الصناعة والثروة المعدنية ووزير الاقتصاد ووزير الداخلية بالإضافة إلى العديد من القيادات الاقتصادية والصناعية والتجارية فى مصر "التمثيل التجارى – السفارة المصرية فى تل أبيب" وذلك بهدف جمع أكبر قدر من المعلومات ووجهات النظر ، وكان من نتيجتها الموافقة على الزيارة والتنبؤ بأنه خلال فترة تتراوح ما بين سنة وثلاث سنوات ، ستكون هناك منطقة حرة

بين إسرائيل وفلسطين والأردن ، وتساءل التقرير : أين دور مصر فى المنطقة ؟ وما هى إسرائيل اقتصادياً ؟ ثم أجاب : هى ليست إسرائيل التى بجوارنا ، ولكن هى المنظم للأموال والبنوك فى كافة أنحاء العالم وشركات التأمين والمؤسسات الاستثمارية العالمية وشركات الإعلام العالمية وغيرها .

وفى فترة الزيارة التى استغرقت ثلاثة أيام من العمل المتواصل ، أجرى العديد من الاجتماعات مع ممثلى الكيان الصهيونى وقياداته الاقتصادية ومن بينهم وزراء التجارة والصناعة والاقتصاد والزراعة والخارجية والقيادات الصناعية والاقتصادية والتجارية والمصرفية . كما تم تنظيم زيارات ميدانية لمواقع الصناعات الصهيونية فى مجال الغزل والمنسوجات والملابس الجاهزة والصناعات الغذائية والإلكترونيات والكيماويات والبتروكيماويات والبلاستيك والتلفزيونات .. كما عقد بعض رجال الأعمال اجتماعات ثنائية مع نظرائهم من الصهاينة . وزعم التقرير أن الشعور العام الصهيونى أظهر أن الوفد المصرى مهم للغاية وأن ما يدور فى الاجتماعات من أفكار وآراء للوفد سيكون موضع دراسة واهتمام من الجانب الصهيونى ، وأن هناك إلحاحاً صهيونياً على أن يكون التحرك على المستوى الاقتصادى بين مصر وإسرائيل بنفس قوة التحرك السياسى وخطواته .

وفيما يتعلق بأهم النقاط التى بحثها الوفد أشار التقرير فى مجال التبادل التجارى إلى أن الجانب الصهيونى زعم أن حجم التبادل التجارى على المستوى الثنائى لا يحقق طموحات وأهداف البلدين فى هذا المجال حيث يبلغ حوالى 120 مليون دولار ، وأن إجمالى صادرات الكيان الصهيونى إلى البلاد العربية مباشرة أو عن طريق وسيط بلغ 1.2 مليار دولار عام 93 .. وللخروج من هذا الوضع اقترح الجانبان أن يتم الانطلاق دولياً ومشتركاً بدلاً من الوضع الثنائى " .

***

6 – عام 1995 :

* فى بداية العام 1995 أكد الاقتصادى الإسرائيلى أهارون دوفرات– الذى يعدونه رجل الاقتصاد الأول فى إسرائيل– أن السلام أصبح ضرورة ملحة لإسرائيل حيث يعنى تخفيض ميزانية الدفاع وأيام الخدمة الإحتياطية فى الجيش الإسرائيلى.وأكد أنه بدون السلام لن تقوم لإسرائيل قائمة اقتصادية , فلن تعيش إسرائيل كدولة تابعة دائماً.

* وفى فبرير 1995 فوجىء أساتذة الدواء ورؤساء شركات الأدوية والعاملون بهيئة الرقابة الدوائية بحضور "أفريم سنيه" وزير الصحة الإسرائيلى ندوة " الإتاحة الحيوية للأدوية " والتى عقدت بمقر الهيئة ، وذلك بحضور د. على عبد الفتاح وزير الصحة ود. فينيس كامل جودة وزيرة البحث العلمى .

كانت المفاجأة بالنسبة للمشاركين أنه لم يعلن عن حضور الوزير الإسرائيلى إلا عندما قام مدير الهيئة بتقديمه لإلقاء كلمته ، مما أصاب الحاضرين بالدهشة .

الوزير الإسرائيلى قال : إنه موجود فى مصر لدعم التعاون الصحى بين البلدين ، وخاصة أن الدولتين متشابهتان فى الإمكانيات ، كما قام بزيارة مركز الإتاحة الحيوية بالهيئة ، ومصانع شركة " سيد " للأدوية ، ومستشفى الهرم التابع للمؤسسة العلاجية .

* وفى فبراير 1995 وعلى هامش أعمال المنتدى الاقتصادى الذى عقد فى دافوس بسويسرا ، التقى وزير الخارجية الصهيونية شمعون بيريز وعمرو موسى وزير خارجية النظام المصرى مع ممثلى أربع شركات كمبيوتر من أجل توفير أجهزة كومبيوتر للتلاميذ فى الدول العربية لاعتماد هذه الدول المعلوماتية فى برامجها التربوية ، واعتبر بيريز هذا المشروع مهماً لأن الكيان الصهيونى يعتمد على البرنامج ذاته, مؤكداً " أن الثورة الحقيقية لا تنفذها الجيوش بل التلفزيون والشباب".

وأضاف : " أن تحقيق هذا المشروع سيساهم فى تقريب الشبان الإسرائيليين من الشبان العرب ، لأن البرنامج المشترك يساهم فى إزالة الفوارق بين الطرفين من خلال فتح الحوار بين الشباب".

7 – 1996 :

** فى 1996 نشرت مجلة " روزاليوسف " أن سلطات الأمن المصرية بدأت فى وقف سفر المصريين لإسرائيل ماعدا رجال الأعمال والوفود وإصدار قوائم تمنع خروج بعض الفئات من التوجه للعمل أو السياحة فى إسرائيل .

* وفى عام 1996 أكد المهندس طاهر الشريف مدير اللجنة التنفيذية للقطاع الخاص فى مؤتمر القاهرة الاقتصادى أن رجال الأعمال المصريين يضعون أيديهم فى يد رجال الأعمال الإسرائيليين ، لأنهم يبغون السلام ويرفضون سياسة حكومة الليكود .

ويضيف طاهر الشريف من وجهة نظره أنه ربما يكون التعاون الاقتصادى هو الطريق للتمهيد للسلام فى الشرق الأوسط مما يؤدى إلى تنمية الإقليم .

وحول موقف رجال الأعمال من التعنت الإسرائيلى ، أشار طاهر الشريف إلى أنهم رجال أعمال ولا يعملون بالسياسة !

* وفى نفس العام 1996 أعلنت الصحف الإسرائيلية أن إسرائيل تبحث عن ألف مهندس مصرى لإنتاج برامج الكمبيوتر ، وألف غيرهم للعمل فى الصناعات الالكترونية ، وقال إسرائيل آثر رئيس إدارة الصناعات الالكترونية فى اتحاد الصناعات الإسرائيلية : " إننا ننشر إعلانات بالإنجليزية عن هذا فى الصحف المصرية ، لكن الاستجابة ليست عالية " آثر برر سبب الاهتمام بأنه محاولة لاقتحام إسرائيل للأسواق العربية.. وقال نحن فى حاجة لمن ينتج لنا البرامج العربية .

* وفى 1996/12/4 نشرت صحيفة " الدستور " المصرية أن مصر رفضت بيع المكتب العربى للتصميمات الهندسية لإسرائيل مقابل 750 مليون دولار لأن

هذا المكتب يضم كافة التصميمات الهندسية وأسرار المبانى الحكومية بما فيها المبانى الاستراتيجية .وقد أوضح د.صلاح حجاب رئيس جمعية المهندسين المعماريين أن المكتب الهندسى ثروة قومية وبيعه يهدد بلاشك الأمن القومى المصرى ويضع معلومات غاية فى الخطورة فى أيدى أعدائنا.

** وفى العام نفسه كشفت صحيفة " يديعوت أحرونوت " أن عدد العاملين المصريين فى إسرائيل يبلغ 5 آلاف عامل ، يعملون فى أعمال الخدمات والبناء وأوضحت الصحيفة أن المصريين فى إسرائيل يعانون أشد المعاناة من الشرطة ومطاردتها لهم كونهم جاؤوا بفيزا سياحية ثم تخلفوا فى إسرائيل للعمل ومعظمهم يعيشون فى مستوى متدهور لدرجة جعلتهم يسكنون فى الاسطبلات وحظائر الغنم . معظم المصريين فى إسرائيل يقيمون فى مدينة يافا العربية ومدن الجليل والطيبة وفى المناطق البعيدة التى لا تصل إليها سلطات الجوازات والهجرة الإسرائيلية ، وكثير منهم يعانى المرض مع صعوبة العلاج كما أن مشكلة الدولارات المزيفة من أكبر المشاكل التى تواجههم ، حيث إنهم يعملون ويكدون وربما حصلوا على أجرهم دولارات مزيفة إذا ضبطت معهم تكون سبباً لدخولهم السجن والعقاب .

* وفى 1996/9/16 تحت عنوان " محاولة للاختراق النووى من جانب مصر " ، قالت صحيفة "هاآرتس" إن مصر مصرة بشدة على وضع المنشآت النووية الإسرائيلية تحت الإشراف الدولى أو تدمير السلاح النووى الإسرائيلى.

وقال التقرير الذى كتبه زئيف شيف فى معرض روايته للصدام بين مصر وإسرائيل فى طرقات وغرف الأمم المتحدة فى جنيف : إن ممثل إسرائيل هاجم الموقف المصرى وقال : إنه ليس مبدأ من أجل الأمن القومى المصرى, كما تصفه القاهرة, لكنها محاولة مصرية لدخول مفاعل ديمونة لمعرفة ما يجرى داخل المفاعل .. خاصة فى مكان دفن النفايات النووية.

وقالت هاآرتس: إن هذا الهدف لن يجعل إسرائيل تتنازل عن سياسة الغموض النووى التى تتبعها الآن.

وأضاف: إن المخابرات الأمريكية كان يكفيها التوصل إلى عينتين من المفاعل النووى فى كوريا الشمالية كى تعرف حجم القدرة النووية فى كوريا.

وفى جنيف قال ممثل إسرائيل: لن نسمح لأى أجانب بالدخول إلى ساحة النفايات النووية , وهاجم مصر وقال: هذا ليس حقها قانونياً ودولياً وأضاف: إن الإلتزام الوحيد هو أن نبلغ عن أية حوادث غريبة فى مكان المفاعل أو دفن النفايات.

وقال : سوف نتغلب على قدم مفاعل ديمونة بتحديث أجزاء المفاعل.

لكن ممثل إسرائيل كشف عن ورقة يلعب بها اليهود الآن، وهى عبارة عن تصريح أدلت به الدكتورة فينيس كامل لجريدة الشرق الأوسط يوم 14 مايو 1996 وقالت فيه إنه لا خطر على المياه الجوفية المصرية من دفن النفايات النووية الإسرائيلية فى باطن الأرض قرب الحدود, ثم لم تنفه.. وأصبح هذا التصريح ورقة تستخدمها دائماً إسرائيل فى أية مؤتمرات تطالب فيها مصر بالإشراف الدولى على منشآت إسرائيل النووية.

يذكر أن التليفزيون الإسرائيلى كان قد تحدث عن هذه الأخطار فى برنامج أذيع خلال مارس 1996.

* وفى بيانات رسمية بلغ حجم الصادرات المصرية إلى الكيان الصهيونى 549 مليون جنيه خلال عام 1996 والذى قفز فيه معدل التجارة لحوالى 92% عن عام 1995 بشكل يمثل 2.5% من حجم التجارة المصرية مع العالم الخارجى , وكان معظم صادرات مصر من البترول , وفى المقابل استوردت مصر من إسرائيل ما يعادل 35 مليون جنيه خلال ذات الفترة , وأوضحت مصادر صحفية أن إسرائيل ذهبت إلى أبعد مسعاها للتغلغل من اقتصاديات المنطقة وبالأخص مصر ، فقد دفعت إسرائيل أصحاب مصانع النسيج فى مصر التى

تمثل العمالة فيها 85% من قوة العمالة فى القطاع العام إلى الدخول فى مشروعات مشتركة ، وبالفعل تم إنشاء هذا النوع من الشركات ، وأقامت مكتباً للتسويق ومصنعين بالمحلة الكبرى بجانب مصنع العاشر من رمضان ، وأنتجوا صناعة مشتركة مكتوباً عليها " صنع فى إسرائيل" .

* وفى نفس العام 1996 وفى سرية تامة تم رصد النتائج للأبحاث المشتركة بين باحثين بجامعة بن جوريون الإسرائيلية وعلماء المركز القومى للبحوث ، المشروع المشترك لاستخراج علاج لمرضى السرطان والإيدز ، من الطحالب المصرية المنتشرة فى خليج العقبة.

يمول المشروع هيئة المعونة الأوروبية بمليون دولار . أعضاء الفريق المصرى رفضوا الإفصاح عن أية معلومات خاصة للباحثين المصريين عن الطحالب على الرغم من اعتراض عدد كبير من الباحثين المصريين بالأكاديمية على هذا المشروع .

* وفى العام نفسه أعلنت إسرائيل عن مشروع غريب لتعليم المصريين فى إسرائيل, المشروع تموله أقسام علم النفس الاجتماعى فى جامعات إسرائيل. ووزارة الخارجية ورئاسة الوزراء.. بتكلفة تقدر بـ2مليار دولار.

مجموعة النشرات الدعائية للمشروع كتبت بالإنجليزية والعربية والعبرية للباحثين لتدعوهم للدراسة فى جامعات تل أبيب وحيفا والجامعة العربية وبن جوريون ومعهدين آخرين.

والنشرات الموجهة إلى نوعين من الطلبة , الأول ويضم الحاصلين على الدراسة الثانوية ، والثانى للذين حصلوا بالفعل على شهادات جامعية ويرغبون فى إعداد الماجستير والدكتوراه.

وتتوجه إسرائيل لهذه الفئة بعروض مغرية للدراسة فى مشروع تعليم المصريين بإسرائيل مقابل مبالغ مادية تقل كما تقول النشرات عن أسعار الدراسة بدول العالم ، لأنها دراسة تدعمها دولة إسرائيل ، وتدعو تل أبيب تلك الفئة للحضور

لإسرائيل للالتحاق بالجامعات المفتوحة والمعاهد الخاصة التى تطبق المشروع الجديد بداية من هذا العام .

وتركز إسرائيل فى النشرات الخاصة بالمصريين على جملة : " إن الشهادات الإسرائيلية معترف بها عالمياً " .

* وفى عام 1996 نددت الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية فى مصر بالمؤتمر الاقتصادى الذى عُقد فى القاهرة ، وطالب رجال الأعمال المصريون والعرب بمقاطعة المؤتمر ، الذى وصفته فى بيان أصدرته أنه يستهدف تثبيت دعائم إسرائيل فى المنطقة وفرض هيمنتها على مقدرات الوطن العربى وهدم كل مشاريع الوحدة والتكامل العربى وإلغاء الهوية العربية لشعوب المنطقة .إلى ذلك عقدت اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع المنبثقة عن لجنة التنسيق بين الأحزاب المعارضة مؤتمراً شعبياً فى قاعة جمال عبد الناصر فى حزب التجمع لإعلان رفضها مشاركة إسرائيل فى المؤتمر الاقتصادى .

وأكد مقرر اللجنة حامد محمود لجريدة " الحياة " اللندنية أن الهدف من المؤتمر فضح مخططات التطبيع التى سيجرى الترويج لها خلال المؤتمر الاقتصادى فى المجالات المختلفة .

* وفى نفس العام (1996) أوضحت وزيرة البحث العلمى حول ما نشر عن دفن النفايات النووية الإسرائيلية وتأثيرها على المياه الجوفية المصرية فى سيناء, أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات متعمقة ومتعددة تتناول مجالات علمية وفنية عديدة.

وأشارت د. فينيس كامل جودة إلى أنها دعت فى مايو 1996 إلى عقد مؤتمر عربي يضم وزراء البحث العلمى فى الدول العربية،لوضع استراتيجية عربية موحدة لمواجهة أية مخاطر محتملة من دفن النفايات المشعة.

* وفى العام نفسه فشل عدد من الشركات الإسرائيلية العاملة بمجال تصنيع المعدات الطبية فى تسويق منتجاته داخل مصر وهروب وكلائه بسبب الخسائر

التـى تكبـدوها ، بعـد رفـض الأطبـاء المصـريين التعامـل مـع المعـدات الطبيـة المصـنوعة فـى إسرائيل ، ولجـأ أصـحاب الشـركات الإسـرائيلية إلـى الاتصـال المباشـر بالأطبـاء عـن طريـق البريـد ، يعرضـون المعـدات الإسـرائيلية بنصـف سعر مثيلاتها الأوروبية .

وقـال د. ممـدوح صـبرى أسـتاذ النسـاء والتوليـد بطـب عـين شـمس : إنـه تلقـى عروضـاً مغريـة مـن شركات إسرائيلية عبـر البريـد لأجهزة الـرنين المغناطيسـى وأجهزة الأشعات التشخيصية وتضمن العرض تسهيلات فى الدفع والسداد .

ويضـيف : أنـه رغـم تجـاهلى لعشرات الرسـائل إلا أنـها لا تتوقف ، وأخيراً بـدؤوا يرسلون دعوات لزيارة مصانعهم فى تل أبيب .

ويؤكـد د. ممـدوح صـبرى أن أصـحاب الشـركات الإسـرائيلية لجـؤوا إلـى افتتـاح فروع لمصانعهم فى أوروبا لتسهيل إعادة تصدير منتجاتهم إلى الأسواق العربية ، خاصـة بعـد العقوبـات الصـارمة التـى تفرضـها نقابـة الأطبـاء علـى أى طبيـب يتعامل مع المعدات الإسرائيلية .

وذكرت مجلة روزاليوسف فى 1996/9/16 أن رجل أعمال خليجى زار إسرائيل سراً للمشاركة فى معرض عقد فى تل أبيب مؤخراً ، وعرض على مجموعة من رجال الأعمال الإسرائيليين أن يتولى احتكار توزيـع المعدات الطبيـة الإسرائيلية فى الشرق الأوسط بما فيها مصر ، بشرط استبدال بلد الصـنع من إسرائيل إلـى أى دولة أوروبية أخرى .

***

<u>8 – عام 1997 :</u>

** نشرت صحيفة " الدستور " المصرية فى 1997/1/1 أن الحكومة المصرية تدرس اتخاذ إجراءات صارمة لمنع تسلل رجال الأعمال الإسرائيليين وتغلغلهم فـى الحيـاة الاقتصـادية المصـرية وذلـك تحسباً لبيـع 52 شركة مصـرية وخشـية تسـلل المـال الإسـرائيلى خلـف شـركات أجنبيـة وذلـك عقـب محاولـة بعـض

المستثمرين الإسرائيليين شراء شركة دمياط للحاويات واكتشاف عملية تجسس إسرائيلية على الشركة وعلى الشركات المصرية الأخرى .

** ونشرت الصحيفة أيضاً أن وزارة البحث العلمى رفضت طلباً إسرائيلياً للتعاون مع المراكز القومية للهندسة الوراثية والأبحاث العلمية وهو الثانى خلال شهرين وعرضت إسرائيل تقديم كل ما تطلبه مراكز الأبحاث المصرية والتعاون البحثى المشترك .

وفى جانب متصل أكدت مصادر مطلعة أن وزارة الزراعة المصرية عقدت بروتوكولاً مع وزارة الزراعة الإسرائيلية يقضى بتبادل الخبرات والتدريب المشترك وإنشاء مزارع مشتركة لإنتاج العنف والكانتالوب والموالح .

***

** نشرت صحيفة " الأهالى " فى 1997 تحقيقاً عن مؤتمر القاهرة للتعاون الاقتصادى والذى شاركت فيه 99 دولة واعتبر متخصصون أن المؤتمر سيقدم مكاسب اقتصادية وسياسية لإسرائيل فى الوقت الذى تعرقل فيه إسرائيل المسيرة السلمية مع الفلسطينيين ، فى حين يرى بعض الخبراء الاقتصاديين أن المؤتمر فرصة لتسويق مشروعاتنا الاقتصادية .

أما على الجانب الأمريكى فقد قدمت وزارة التجارة الأمريكية للمؤتمر مشروعات اندماج وتكامل بين إسرائيل والأردن مع توصية لإقامة كوبرى قناة السويس بتكلفة مليار دولار لربط مصر وإسرائيل مما يجعل التطبيع الاقتصادى – وهو الأهم – متاحاً وبسهولة .

أيضاً عمل المؤتمر على تشجيع هجرة وتبادل العمالة خاصة العمالة المصرية لإسرائيل مما يعد تهديداً للأمن القومى المصرى ، كما اعتزم رجال الأعمال المصريون تقديم حوالى 110 مشروعات كما قال طاهر الشريف – مدير اللجنة التنفيذية بمؤتمر القاهرة الاقتصادى – وأوضح أن تكلفة هذه المشاريع حوالى

10 مليارات دولار وأن رجال الأعمال المصريين يضعون أيديهم فى يد رجال الأعمال الإسرائيليين لتحقيق السلام حسب زعمه .

* وفى العام 1997 طالب رجل أعمال صهيونى الرئيس مبارك بتبنى دخول إسرائيل السوق العربية المشتركة .

وقال "ألبرت بابو كادو" الذى أعلن من طرف واحد عن قيام غرفة تجارية إسرائيلية – مصرية لصحيفة "جلوبزايرينا" الاقتصادية الإسرائيلية أن فكرة السوق العربية المشتركة لن يكتب لها النجاح ما لم تشترك فيها إسرائيل بشكل كامل .

وزعم رجل الأعمال الصهيونى أن حجم مشروعات المستثمرين الصهاينة فى مصر بلغ عشرات الملايين من الدولارات فى مجال الملابس الجاهزة والمنتجات الزراعية والأجهزة الطبية وأجهزة التكييف والتبريد وتطوير الصناعات البلاستيكية .

وقال : إنه من المتوقع أن يرتفع حجم التبادل التجارى بين مصر وإسرائيل هذا العام (1997) إلى مائة مليون دولار بنسبة 20% .

* وفى عام 1997 أيضاً عقدت اللجنة العامة البرلمانية لمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية أول اجتماعاتها الموسعة يوم 1997/11/14 لإعلان بدء أنشطتها الخاصة بمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية تدعيماً لحركة المقاطعة الشعبية المصرية لإسرائيل وللعب دور جماهيرى يعتمد على ضم الشخصيات العامة ذات الشعبية الجماهيرية لضمان اجتذاب الجماهير إلى حركة المقاطعة .

اللجنة التى بدأ تأسيسها بمبادرة من محمود زينهم وأحمد طه انضم إليها عشرة نواب آخرين من جميع التوجهات داخل المجلس .. نجحت اللجنة التحضيرية فى ضم عدد من الشخصيات العامة إليها ، أبرزهم الفنانة نادية لطفى ومحسنة توفيق والشاعر عبد الرحمن الأبنودى وعزت العلايلى وأحمد نبيل الهلالى المحامى والكاتب الصحفى جلال عارف والسفير وفاء حجازى والفريق محمد

فوزى ومحمد فايق وتهانى الجبالى وجمال الغيطانى وسالم شنب عضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى وعطية أبو سريع عضو المجلس السابق وفكرى الجزار .

* وفى ذات العام ألغى وزير الصحة مناقصة توريد جهاز تفتيت حصوات الكلى لمستشفى سوهاج التعليمى حيث تبين أن الجهاز الوحيد الذى وافقت عليه لجنة البت برئاسة د. نايل الشال من إنتاج شركة إسرائيلية .

كلف وزير الصحة رئيس هيئة المستشفيات التعليمية بإجراء تحقيق شامل حول ملابسات المناقصة خاصة أن ثلاثة من أساتذة المسالك فى المستشفى رفضوا الموافقة على توريد الجهاز وحرروا محضراً رسمياً حددوا فيه أن الجهاز غير مطابق للمواصفات الواردة فى كراسة الشروط وله تأثير ضار بصحة المرضى فضلاً عن ارتفاع تكاليف قطع الغيار التى يجرى استهلاكها لعلاج كل حالة مما يفرض أعباء إضافية على المواطنين .

** نشرت صحيفة " الدستور " المصرية فى 1997/5/14 أسماء أكبر عشر شركات متورطة فى تسفير المصريين لإسرائيل ، وأكدت أنه وفقاً للإحصاءات بلغ عدد المصريين 25 ألف شخص عن طريق 10 شركات كبرى منها : (بنو للسياحة وبنتون وهيبتون وهولا لاندو وحابى ولاكى وترافكو و 5 قارات وماجى تورز) ، وقد أعلن عز الشبراوى نائب رئيس منظمة "الإستا" العالمية للسياحة أنه لا يرى أى غضاضة للتعامل والسفر لإسرائيل .

* وفى نفس العام نشرت الصحف أنه وبناء على معلومات لأجهزة أمنية عليا حول الشركات الأجنبية التى ستتقدم لشراء أسهم 52 شركة مصرية مطروحة للبيع خلال عام 1997 ثمة محاولات إسرائيلية لشرائها .

* وفى نفس العام (1997) أيضاً رفضت المراكز القومية للهندسة الوراثية والأبحاث العلمية عرضاً جديداً تقدمت به إسرائيل للمرة الثانية فى خلال شهرين يتضمن إجراء تجارب مشتركة بين مراكز أبحاث الهندسة الوراثية فى مصر

ونظيرتها فى إسرائيل .كما تضمن العرض تدريب الخبراء المصريين فى مجال الهندسة الوراثية فى المعامل الإسرائيلية لمدة ثلاثة أشهر فى العام مع مكافآت مرضية لهم .كذلك يترك الخبراء الإسرائيليون أبحاثهم فى مراكز الأبحاث المصرية ، وقد طلب العرض الإسرائيلى أن يتم توفير كافة الأجهزة والمعدات التى تطلبها المراكز المصرية ، وتجهيزها على أحدث مستوى من التكنولوجيا مقابل هذا التعاون.

وقد أكد مصدر دبلوماسى أن الطلب الإسرائيلى رفضته د. فينيس كامل وزيرة الدولة للبحث العلمى.

وتعد هذه إحدى المحاولات التى تقوم بها إسرائيل لاختراق المراكز العلمية المصرية المتخصصة حيث قامت قبل ذلك بمحاولات اختراق لمراكز بحوث الأسماك فى القناطر الخيرية وأيضاً اختراق المركز القومى للبحوث بالدقى الذى رفضت مصر مجرد التفكير فى العرض الإسرائيلى بتبادل الخبراء فيه.

من جهة أخرى أكد مصدر مطلع أن وزارة الزراعة المصرية عقدت بروتوكولاً مع وزارة الزراعة الإسرائيلية يقضى بتبادل الخبراء الزراعيين وخاصة فى مجال الزراعة المحمية والأراضى الجديدة ، وأكد المصدر نفسه لصحيفة " الدستور " المصرية أن الشهور القادمة ستشهد وصول ما بين 50 إلى 100 خبير فى الزراعة المحمية إلى مصر وسيعمل هؤلاء فى المشروعات الزراعية الجديدة فى سيناء وتوشكى والأراضى التى ستتم زراعتها بمياه ترعة الشيخ زايد .وقد تضمن البروتوكول إيفاد ما بين 80 إلى 150 مهندسياً زراعياً مصرياً للتدريب فى مزارع تابعة للإسرائيليين فى مناطق النقب وبالقرب من تل أبيب ، حيث خصصت إسرائيل ما بين 300 إلى 600 فدان ؛ لإجراء تجاربها الزراعية والهندسة الوراثية لإنتاج محاصيل عالية الكثافة خاصة فى مجال الموالح والكنتالوب والأعناب . وسوف يقوم المهندسون المصريون بإجراء تجارب فى الزراعة وكيفية استصلاح الأراضى الصحراوية ، وأكد المصدر أيضاً أن التبادل

الزراعى بين مصر وإسرائيل يعد من أكبر عمليات التعاون بين البلدين ، حيث توفد وزارة الزراعة المصرية أعداداً من المهندسين شهرياً إلى إسرائيل للتدريب هناك ، وقد عاد أغلبهم للعمل فى مراكز مرموقة داخل وزارة الزراعة .. وأن جميع الخبراء العاملين فى مشروع " شروق " فى مجال الزراعة والاستصلاح قد سافروا إلى إسرائيل ونالوا شهادات كفاءة زراعية .

* وفى تقرير مهم نشرته صحيفة " الدستور " فى 1997/8/6 ويحمل عنوان " **سراً وعلانية وتطبيعاً .. وزراء وكتاب ورجال أعمال مصريون يعالجون فى إسرائيل** " **جاء فيه** : أصبح السفر للعلاج فى الخارج موضة منذ سنوات، يحرص المشاهير والمسئولون على تلقى العلاج فى الخارج وإن كان أغلبهم يحرصون على عدم الاحتفاظ بالتقارير الطبية أو رحلات العلاج فى طى الكتمان ، ويأتى سفر المسئولين والمشاهير للعلاج فى الخارج فى كثير من الأحيان لعدم الثقة الكاملة فى العلاج المصرى .. خاصة خدمة ما بعد الجراحات ويفضل الكثيرون تلقى العلاج فى دول مثل أمريكا وفرنسا وانجلترا وألمانيا ، وغيرها من الدول المتقدمة التى وصل الطب والعلاج فيها إلى درجات عليا ، لكن بعض هؤلاء يذهبون للعلاج فى إسرائيل ، وتؤكد المصادر أن عدداً ليس قليلاً من المسئولين والمشاهير ورجال الأعمال سافروا للعلاج فى إسرائيل .ومنذ سنوات تروج إسرائيل لوهم كبير اسمه التقدم الطبى ، هناك ادعاءات " إعلانية" حول تقدم الجراحة والطب هناك ، وهو ما دفع بعض المطبعين والمخدوعين بعد تصديق ذلك السفر إلى هناك .. ودون تهويل أو تهوين فإن الطب فى إسرائيل لا يصل فى تقدمه إلى مستوى التقدم الأمريكى أو الأوروبى ، وإن كان الإسرائيليون يحصلون على المعلومات الطبية ويتبادلون الأبحاث مع الأمريكان وبعض الدول الأوروبية .

لكن الحقيقة التى يؤكدها الخبراء أن الطبيب والجراح الإسرائيلى لا يفضل نظيره المصرى بل على العكس يمكن أن يكون صحيحاً ، لكن المشكلة فى مصر

هى غياب الخدمة الطبية . سواء التمريض أو خدمات ما بعد الجراحات وسرعة أداء العلاج ، وكلها عوامل تدفع بالمرضى القادرين والمشاهير للسفر إلى الدول الأوروبية التى تفوق مصر فى أداء الخدمات الطبية بشكل أسرع وأدق .لكن أكثر الشواهد تشير إلى أنه إذا كان الطب فى أوروبا والدول المتقدمة أكثر تقدماً عنه فى مصر ، فإن ذلك لا ينطبق تماماً على حالة إسرائيل .. لكن ذلك لم يمنع بعض المخدوعين بإسرائيل والمنبهرين بها من تلقى العلاج فى إسرائيل أكثر من مرة ، وهناك وزراء وسفراء ورجال أعمال وبعض الكتاب والفنانين – بتوع التطبيع – جربوا الذهاب لتلقى العلاج هناك ؛ لأنهم اعتقدوا أن فى إسرائيل أنبياء الطب كما تروج الدولة العبرية عن نفسها ، لكن التجارب أكدت أن المسألة لا تختلف كثيراً عن غيرها ، والدليل وفاة عدد ممن ذهبوا للعلاج من حالات خطرة هناك ، وفشل الطب الإسرائيلى فيما فشل فيه نظيره المصرى .. لكنها الدعاية الصهيونية التى تصور كل ما هو إسرائيلي على أنه الأفضل ، وقد أقامت إسرائيل حسب المصادر أكثر من 650 مكاناً للاستشفاء الطبى فى إيلات ويافا وتل أبيب ، استضافت فيها أكثر من 20 رئيس دولة و1500 وزير و20 ألف رجل أعمال من أنحاء العالم ، وكان آخر الرؤساء الذين تلقوا العلاج فى إسرائيل أسياسى أفورقى رئيس إريتريا الذى أجرى جراحة هناك فى العام 1996 ، وضمن هذه الأعداد الكبيرة كان بعض رجال الأعمال والمسئولين والسفراء المصريين .وقد سجل السفير المصرى فى إسرائيل محمد بسيونى الرقم القياسى فى إجراء الفحوصات الطبية والجراحات فى إسرائيل ، وذلك بسبب إقامته فى تل أبيب ، وهناك تحاط تحركاته أثناء الفحص والجراحات بسرية وإجراءات أمنية مشددة ، وسبق لبسيونى أن طلب من السلطات المصرية تخصيص طائرة هليكوبتر أو طائرة خاصة لتنقله إلى القاهرة كلما شعر بوعكة صحية خاصة وأنه تم نقلة عدة مرات لإجراء فحوصات طبية وعمليات جراحية منها تغيير صمام بالقلب.

* وفى العام نفسه كشف تقرير أمنى أعدته ثلاث جهات عن قيام عدد من المواطنين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية بتدمير المحميات الطبيعية والحياة البحرية خاصة الشعب المرجانية فى مناطق البحر الأحمر وسيناء .
وأضاف التقرير أن التدمير وصل إلى الحياة البرية فى الصحراء الغربية خاصة فى المناطق التى يوجد فيها ازدحام شديد وتزداد كثافتها من الزائرين الأجانب مثل : المحميات والشعاب المرجانية فى طابا وشرم الشيخ ورأس محمد؛ بهدف تقليص النشاط السياحى فى تلك المناطق. طالب التقرير بضرورة وضع أى زائر إسرائيلى إلى تلك المناطق تحت المراقبة عند زيارة تلك المناطق فضلاً عن عدم التصريح بإنشاء مساكن فيها حتى لا تؤثر على بيئتها الطبيعية وخشية زيادة الكثافة السكانية بها .
* وفى العام نفسه (1997) وتحت ستار التعاون الزراعى ، نجحت إسرائيل فى شراء 500 فدان بمنطقة النوبارية ، وإقامة مستوطنة بداخلها .. وعلى امتداد 60 كيلو متراً بالنوبارية انتشرت محطات أبحاثهم التى تقوم بتحليل التربة المصرية فى هذه المنطقة .. كما دفعت إسرائيل بأكثر من 600 خبير إسرائيلى يجوبون قرى شباب الخريجين بحجة بحث مشاكلهم وتدريبهم على استخدام أساليب الزراعة الحديثة ، ويبدو أن الحكومة المصرية ، وعلى وجه التحديد وزارة الزراعة ، قد منحت الصهاينة تسهيلات غير محدودة للتغلغل داخل مصر ، وفرض سيطرة تدريجية على الأراضى والزراعات المصرية عبر المشروع الثلاثى المشترك بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة لتنمية الأراضى القاحلة .
ورغم أن السنوات السابقة على العام 1997 كشفت النقاب عن مخططات إسرائيل تجاه الزراعة المصرية ؛ حيث تدفع إلى مصر ببذور ملوثة تساعد على تدمير الزراعات والتربة فى آن واحد ، وهو ما أكده خبراء وزارة الزراعة

المصريون ، ورغم هذا الخطر الداهم إلا أن الحكومة المصرية مازالت تصر على استمرار التطبيع فى مجال الزراعة مع الصهاينة .

يبدو أن إسرائيل تلعب فى النوبارية كيفما تشاء وذلك منذ بداية التطبيع ، حتى أصبحت إسرائيل تملك مزرعة مساحتها 500 فدان ، اشترتها من شركة "نوباسيد" المصرية ، وهى شركة تابعة لوزارة الزراعة ، والأخطر من ذلك أن إسرائيل أقامت مستوطنة على أحدث طراز فوق هذه الأرض التى اشترتها .. ويتردد العشرات من الخبراء الإسرائيليين على هذه المزرعة يومياً ، للإشراف عليها . والأدهى من هذا وذاك أن الحكومة المصرية استجابت للضغوط الأمريكية الشديدة التى تمثلت فيما يسمى "بمعونات السلام" ؛ حيث سمحت الحكومة المصرية للخبراء الإسرائيليين بالتجول فى قرى الخريجين بالنوبارية وعقد لقاءات مع شباب الخريجين وإقناعهم بالسفر إلى إسرائيل لتدريبهم على وسائل الزراعة الحديثة ؟! .

* وفى 1997/12/18 ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن السلطات المصرية ألقت القبض على رجل الأعمال الإسرائيلى الشهير ليون كوبلر مدير سلسلة محلات (سوبر فارم) الكبيرة بعد أن اقترب مع أصدقائه بدون تصريح من الحدود البحرية الدولية لمصر فى طابا .

الجريدة ذكرت أن كوبلر اعتقل لمدة ثمانى ساعات فى نويبع على أيدى السلطات المصرية ، ثم أطلق سراحه بعد عمل الإجراءات اللازمة ، السفير بسيونى تدخل مع السفير الكندى فى إسرائيل وبمساعدة السفارة الإسرائيلية فى مصر لإطلاق سراح رجل الأعمال الإسرائيلى بعد أن وقع على أوراق مصرية لم يذكر محتواها بالخبر .

* وفى 9 مارس 1997 وقبل اجتماع مجلس الجامعة العربية بثلاثة أسابيع ، أرسل المكتب التجارى فى سفارة مصر فى إسرائيل رسالة تحت عنوان "عاجل وهام " إلى وزارة التموين والتجارة المصرية – أرسلتها بدورها إلى وزير الخارجية

– بشأن أزمة حدثت فى حفل استقبال معهد التصدير الإسرائيلى فى تل أبيب ، حيث هاجم مسئول إسرائيلى موقف مصر من أعمال مجموعة طابا (وهى أهم إطار اقتصادى إقليمى انبثق عن المؤتمرات الاقتصادية الثلاثة التى عقدت فى الدار البيضاء وعمان والقاهرة ، ويضم مصر والأردن والسلطة الفلسطينية) ، واتهم المسئول الإسرائيلى الوفد المصرى فى المجموعة بـ " السلبية والتعنت " والسعى لعرقلة أنشطة المجموعة الاقتصادية ، والغريب أن المستشار الاقتصادى للسفارة الأمريكية فى إسرائيل ، والذى كان موجوداً فى الحفل شارك فى الهجوم على الوفد المصرى ووعد – أو توعد – بإثارة الموضوع من خلال السفارة الأمريكية بالقاهرة .

وجاء فى رسالة المكتب التجارى المصرى فى تل أبيب : إن ما أثار حفيظة جابى بار مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بوزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية والمنسق الإسرائيلى لأعمال مجموعة طابا هو ما أثير خلال الاجتماع المشترك لمنسقى المجموعة قبل أيام من حفل معهد التصدير، وركز المنسق الإسرائيلى فى حديثه معى – الرسالة موقعة باسم المستشار التجارى المصرى فى تل أبيب مجدى فرحات – على ما وصفه بالسلبية والتعنت لم يعضد أى مقترح يهدف إلى تفعيل نشاطات المجموعة مكتفياً بإبداء الحاجة للرجوع إلى المستويات السياسية للحصول على موافقتها فى كل حالة على حدة ، وذلك بالرغم مما ارتأه المنسق الإسرائيلى من وجود " ضوء أخضر " من تلك المستويات للمضى قدماً فى تلك النشاطات (وهو الضوء الأخضر الذى منح للمنسقين الإقليميين فى إطار اجتماع وزراء المجموعة على هامش مؤتمر القاهرة الاقتصادى فى نوفمبر 1996) ، وأكد السيد تين تومكين المستشار الاقتصادى للسفارة الأمريكية فى تل أبيب على ما أبداه المنسق الإسرائيلى، جابى بار ، مشيراً إلى أنه حصل على نفس الإحساس من المنسق الأمريكى

للمجموعة ، وأن الموضوع سوف يثار مع المسئولين المصريين المعنيين من خلال السفارة الأمريكية بالقاهرة– برجاء التفضل بالإحاطة .

هذا الخطاب أرسله المستشار التجارى المصرى إلى رؤسائه فى القاهرة بناء على طلبهم بعد أن أخذوا علماً بهجوم المسئول الإسرائيلى على مصر بسبب موقفها من اجتماعات طابا الاقتصادية .

** وثيقة حديثة أخرى عبارة عن شكوى إسرائيلية أرسلت إلى مصر عقب آخر اجتماع لمنسقى مجموعة طابا الاقتصادى الذى عقد فى الأردن ، وشارك فيه ممثلون عن وزارات الصناعة والتجارة والخارجية والاقتصاد فى كل من مصر والأردن والسلطة الفلسطينية ، وجاء فى الشكوى : أحبط الوفد المصرى اقتراحاً هاماً بإرسال بعثة تجارية مشتركة مصرية – أردنية – فلسطينية – إسرائيلية من رجال الأعمال إلى الولايات المتحدة ، وإقامة ندوة للمستثمرين الأجانب تتعلق بالمشروعات والأعمال الإقليمية ، كما رفض الوفد المصرى أية اقتراحات لتنشيط أعمال المجموعة الاقتصادية ودفعها إلى الأمام بدعوى أنه من غير المناسب تطوير العلاقات الاقتصادية فى ظل السياسات الإسرائيلية فى جبل أبوغنيم – يقصد الانتهاكات الإجرامية التى قامت بها حكومة إسرائيل هناك – كما أن الوفد المصرى أثار أكثر من مرة العلاقة بين التقدم فى مباحثات السلام وتطوير العلاقات الاقتصادية بين الدول الأربع ، بالإضافة إلى أن مستوى تمثيل الوفد المصرى كان ضعيفاً ، وأقل من المستوى المطلوب فى حين كانت الوفود الأخرى كلها رفيعة المستوى .

** وثيقة هامة ثالثة بعنوان " مذكرة بشأن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مصر وإسرائيل " أعدتها وزارة التجارة والتموين فى 30 يناير 1997 بناء على طلب عاجل من مجلس الوزراء ، وتكشف هذه الوثيقة بالأرقام التراجع التدريجى الكبير فى العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل ، وأهم ما جاء فيها ما يلى :

– ينظم العلاقة التجارية بين مصر وإسرائيل اتفاق للتجارة وقع فى 8 مايو عام 1980 ويتضمن تبادل شرط الدولة الأولى بالرعاية وتكوين لجنة تجارية مشتركة .

– اللجنة التجارية المشتركة بين مصر وإسرائيل لم تعقد إلا أربعة اجتماعات فقط منذ إنشائها بسبب الخلافات السياسية .. وآخر هذه الاجتماعات كان فى نوفمبر عام 1994 فى إسرائيل ، ولم يتحدد موعد عقد الدورة الخامسة للجنة التجارية المشتركة فى القاهرة طبقاً لمبدأ التناوب، والتى كان من المزمع عقدها فى أواخر عام 1995 ، على الرغم من أنه عقد لها اجتماع تحضيرى فى مقر التمثيل التجارى بالقاهرة يوم 20 ديسمبر 1995 ، ضم كل ممثلى الجهات المصرية المعنية بالعلاقات مع إسرائيل ، واجتماع آخر فى 27 مارس 1996 ، ومع ذلك تأجل انعقادها خمس مرات متتالية حتى تاريخ إجراء الانتخابات العامة فى إسرائيل فى منتصف العام الماضى ، ومع وصول الليكود للحكم ، واضطراب الموقف السياسى للمنطقة رأى الجانب المصرى – وفقاً لنص الوثيقة – تأجيل عقد اللجنة التجارية المشتركة إلى حين تحسن المناخ السياسى وتهيئة الظروف المناسبة .

إن هذا بالتالى يعطى انطباعاً عما تسلكه مصر اقتصادياً مع إسرائيل وربطها التقدم الاقتصادى بالتقدم السياسى ، وكشفت نفس الوثيقة بالأرقام عن تراجع تدريجى كبير فى حجم التبادل التجارى بين مصر وإسرائيل، فبعد أن وصل إلى أكثر من مليار جنيه عام 1992 انخفض إلى (839.1 مليون جنيه) عام 1993 ، ثم واصل الانخفاض إلى (681.3 مليون جنيه مصرى) عام 1994 ، وانخفض بعد ذلك إلى (669.1 مليون جنيه) عام 1995 ، ثم ارتفع بنسبة ضئيلة جداً إلى (677.7 مليون جنيه) فى النصف الأول من عام 1996 (وهى الفترة التى حاولت فيها مصر دعم رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق شيمون بيريز قبل الانتخابات الإسرائيلية ، بعد الهزة التى تعرض لها بسبب عمليات

حماس الانتحارية، وربما يفسر ذلك الصعود الضئيل عن العام السابق ، وانخفض الميزان التجارى (وهو لصالح مصر) من (918.2 مليون جنيه) عام 1992 إلى 617.7 مليون جنيه فى النصف الأول ، أى أن حجم التبادل التجارى انخفض بما قيمته 323 مليون جنيه خلال ثلاثة أعوام ونصف العام بسبب الخلافات السياسية .

وانخفضت الصادرات المصرية إلى إسرائيل من 959.4 مليون جنيه عام 1992 إلى 774.8 مليون جنيه عام 1993 إلى 637.2 مليون جنيه بفارق 312 مليون جنيه عن صادرات عام 1962 ، وهو حجم التراجع فى الصادرات المصرية إلى إسرائيل خلال ثلاثة أعوام ونصف العام ، بينما استوردت مصر من إسرائيل سلعاً قيمتها (41.2 مليون جنيه) عام 1992 زادت إلى 64.3 مليون جنيه عام 1993 ، ثم انخفضت مرة أخرى 44.1 مليون جنيه ، ثم ارتفعت ثانية إلى 79.1 مليون جنيه ، وعادت إلى الانخفاض فى النصف الأول من عام 1996 إلى 30 مليون جنيه ، أى أن واردات مصر من إسرائيل كانت تتراوح بين الارتفاع والانخفاض الطفيفين وفقاً للظروف السياسية .

وفقاً لتقارير ووثائق نشرتها الصحف المصرية عام 1997 ننتقى هذه الوثائق :

1 – الوثيقة الأولى : وهى عن العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل المرسلة إلى مجلس الوزراء جاء فيها ما يلى :

أ – بالنسبة لاتفاق النقل البرى (وهو اتفاق تحتاجه مصر لتنمية صادراتها) ، فقد ماطلت إسرائيل فى تنفيذه ، وتهربت منه خلال اجتماعات اللجنة التجارية المشتركة ، وطلبت تأجيله لأسباب أمنية (وهو ما يعنى أن إسرائيل تتخوف أمنياً من مجرد وجود طريق للنقل البرى بينها وبين مصر) .

ب – بالنسبة لموضوع حماية الاستثمارات .. وافقت هيئة الاستثمار على إعداد مشروع إطارى يحقق التوازن بين أمرين : تنمية العلاقات المصرية الإسرائيلية

والمتطلبات الأمنية يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ، ويتطلب حضور ممثلين عن كل الجهات الأمنية العليا فى اللجنة التى ستشكلها هيئة الاستثمار لإعداد المشروع .

ج – تحت عنوان : " أهم معوقات تنمية الصادرات المصرية لإسرائيل " شكت المذكرة المصرية من عدم التزام إسرائيل بتوقيتات عمل منافذ العبور التى حددتها اتفاقية السلام ، ومن عدم السماح للشاحنات المصرية بالدخول إلى إسرائيل بحجة الأسباب الأمنية ، وجاء فيها بالنص : " تنص اتفاقية السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل على توقيتات عمل المنافذ البرية بين البلدين وهى من الثامنة صباحاً حتى الرابعة مساء ، أى لمدة ثمانى ساعات يومياً ، ولكن الجانب الإسرائيلى يقوم بفتح تلك المنافذ لمدة أربع ساعات يومياً ، الأمر الذى يؤدى لتكدس تلك المنافذ بالشاحنات المحملة بالصادرات المصرية لإسرائيل وتعرضها لاحتمالات تلف حمولتها وتعرضها لغرامات تأخير لا مبرر لها .

وأضافت الوثيقة : يصر الجانب الإسرائيلى على استخدام نظام Back to Back فى نقل البضائع بين البلدين ؛ حيث تقوم الشاحنة بتفريغ حمولتها فى منافذ العبور ، ثم يعاد شحنها على الناقلات الوطنية للدولة المستوردة (أى : أن سيارات النقل المصرية تنقل البضائع المصدرة إلى المنفذ الإسرائيلى فقط .. ثم تفرغ حمولتها لتحملها سيارات إسرائيلية إلى داخل إسرائيل) ، الأمر الذى يكلف الكثير من الوقت والجهد والمصروفات نتيجة لذلك ، وقد سبق مناقشة هذا الموضوع فى الدورات السابقة للجان المشتركة بين البلدين لبحث عبور الشاحنات مباشرة – والكلام مازال وفقاً لنص الوثيقة – دون المرور بعملية التفريغ والشحن فى منافذ العبور ، وشاركت وزارة التموين والتجارة – إدارة آسيا فى اجتماع عقد بهيئة عمليات القوات المسلحة فى 25 أكتوبر 1995 ، لبحث مسارات وطرق عبور الشاحنات الإسرائيلية فى الأراضى المصرية ، وطرق

تأمينها إلا أن الجانب الإسرائيلى عاد وتراجع عن موافقته فى تحرير عبور الشاحنات بين البلدين لدواع أمنية واقتصادية لديه .

2 – الوثيقة الثانية : وهى عبارة عن محضر اجتماع مصرى للجنة مشروع تنمية الساحل الجنوبى الشرق للبحر المتوسط (تعاون ثلاثى بين مصر والسلطة الفلسطينية وإسرائيل لتنمية مناطق سيناء وغزة وأشدود) ، وقد عقد بمقر وزارة الخارجية ، وحضره ممثلون لوزارات الزراعة والصناعة والأشغال والنقل والكهرباء والسياحة وجهات أمنية ، وترأس الاجتماع السفير رؤوف غنيم نائب مساعد وزير الخارجية للتعاون الاقتصادى الإقليمى فى تلك الفترة ؛ فى محضر الاجتماع عبرت جهات أمنية عن مشكلة المياه فقالت : هذه المنطقة – سيناء وغزة وأشدود – تعانى من ندرة مصادر المياه ، ولذلك أتوقع أن يطرح الجانب الإسرائيلى هذا الموضوع بصفة خاصة ، وستعيد إسرائيل فتح ملف نقل مياه النيل إلى سيناء وإسرائيل فرد عليه السفير رؤوف غنيم قائلاً : رأى وزارة الرى فى موضوع المياه واضح وقاطع وهو أنه لا مجال إطلاقاً للتفكير فى مشروعات للاستفادة المشتركة من مياه النيل أو حتى المياه الجوفية ، وأن وزارة الرى ترحب فقط بالتعاون فى مشروعات لتنمية مصادر المياه غير التقليدية .

3 – الوثيقة الثالثة : عبارة عن رسالة بعث بها المكتب التجارى والاقتصادى المصرى فى الأردن إلى المسئولين المختصين فى وزارتى التجارة والتموين والخارجية يحذر فيها من أن مشروع المنطقة الحرة المشتركة المقرر إقامتها بين مصر والأردن وإسرائيل قد تتحول إلى منفذ للتهريب ، وهذه المنطقة من المقرر إقامتها فى إطار مشروع التنمية الكاملة لخليج العقبة (العقبة – إيلات – طابا) والذى تشترك فيه الدول الثلاث ، ويهدف إلى جعل خليج العقبة وحدة متكاملة ومنطقة مركزية للنقل والتجارة عن طريق إنشاء منطقة حرة مشتركة ومركز لانطلاق الشاحنات فى عمليات النقل .

وإذا كانت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مصر وإسرائيل تشهد تراجعاً تدريجياً واضحاً ، فإن القطاع الوحيد الذى شذ عن ذلك التراجع هو قطاع الزراعة باعتراف المذكرة الرسمية التى أعدتها وزارة التجارة والتموين عن العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل حيث جاء فيها : يعتبر قطاع الزراعة أهم مجالات التعاون الفنى بين مصر وإسرائيل ، حيث توفد وزارة الزراعة المصرية عدداً من المهندسين الزراعيين للتدريب فى إسرائيل سنوياً ، وهذا أيضاً أول اعتراف رسمى بهذه البعثات كما يوجد تعاون ثلاثى بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل فى برامج معينة بالزراعة فى المناطق الصحراوية ومقاومة التصحر .

ومعظم الصادرات الإسرائيلية لمصر تدخل فى نطاق الزراعة وأهمها : الأسمدة والتقاوى والبذور والكيماويات والمعدات الزراعية .

ففى النصف الأول من عام 1996 استوردت مصر من إسرائيل أسمدة معدنية وكيماوية قيمتها (3 ملايين جنيه و794 ألف جنيه) ، وكانت قد استوردت عام 1995 أسمدة إسرائيلية بـ 2 مليون جنيه و419 ألف جنيه بالإضافة إلى أسمدة معدنية أخرى تحتوى على نيتروجين وفسفور قيمتها 3 ملايين جنيه (أى ما مجموعه 5 ملايين جنيه ونصف المليون جنيه) أسمدة إسرائيلية بمختلف أنواعها فى عام واحد فقط .

ولكن المفاجأة التى كشفت عنها الاحصائيات الرسمية أن السلع الغذائية تأتى فى المرتبة الثانية ففى النصف الأول من عام 1996 استوردت مصر من إسرائيل (قمر الدين) لمواجهة احتياجات شهر رمضان بما قيمته 435 ألف جنيه واستوردنا فى نفس الفترة ديوكاً ودجاج رومى من إسرائيل بـ299 ألف جنيه .

وفى عام 1995 استوردت مصر من إسرائيل جوز بقشره (115 ألف جنيه) – تفاح طازج (249 ألف جنيه) – مشمش مجفف 275 ألف جنيه – ديوك رومية

459 ألف جنيه – فواكه طازجة أخرى 977 ألف جنيه – خس وكرنب طازج 364 ألف جنيه – خضراوات مجمدة أخرى 527 ألف جنيه – طماطم محفوظة فى عبوات 124 ألف جنيه – صلصة طماطم 504 آلاف جنيه – طيور أقل من 185 جراماً 619 ألف جنيه – بط وأوز لا يزيد عن 185 جرام 481 ألف جنيه – طيور للتربية أقل من 185 جراماً 92 ألف جنيه – أسماك حية وأخرى 316 ألف جنيه – تونة وسمك مجهز أو محفوظ 595 ألف جنيه – حلوى ذات قوام عجينى 74 ألف جنيه – عجائن تستخدم فى المخابز ومحلات الحلويات 5 آلاف جنيه – بذور فواكه للزراعة وأخرى 596 ألف جنيه – بذور خضراوات وتقاوى للزراعة 565 ألف جنيه – شتلات وبراعم بذور غير طازجة – 3 آلاف جنيه شجيرات وثمار أشجار صالحة للأكل 21 ألف جنيه – جذور بصيلات ودرنات 39 ألف جنيه ، الغريب أننا نستورد هذه المواد الغذائية من إسرائيل فى الوقت الذى شكت فيه وزارة التموين رسمياً من (تعسف السلطات الإسرائيلية فى قبول العديد من المنتجات الغذائية المصرية) .

وتستورد مصر من إسرائيل أيضاً حديد خردة بما قيمته مليون جنيه و163 ألف جنيه – ومنتجات صلبة قيمتها مليون جنيه و471 ألف جنيه – يوريا قيمتها 25 مليون جنيه و220 ألف جنيه – خيوط مفردة من القطن بـ5 ملايين جنيه و391 ألف جنيه – وخيوط متعددة من القطن بـ4 ملايين جنيه.

أما صادرات مصر إلى إسرائيل فيشكل البترول الخام 85% من مجملها ، ففى عام 1995 صدرت مصر إلى إسرائيل بترولاً خاماً قيمته 503 ملايين جنيه و869 ألف جنيه فى حين أن إجمالى الصادرات المصرية إلى إسرائيل فى نفس العام بلغ 950 مليون جنيه ، وبقية الصادرات هى : كربون 6 ملايين جنيه و418 ألف جنيه – بصل مجفف 3 ملايين جنيه و108 آلاف جنيه أسمنت بورتلاند عادى 2 مليون و356 ألف جنيه – أثاث خشبى مليون جنيه

و89 ألف جنيه قطن خام غير مخلوط مليون و166 ألف جنيه – وخيوط قطن مفردة 3 ملايين و647 ألف جنيه .

وحددت المذكرة الرسمية التى أصدرتها وزارة التجارة والتموين اسمى شركتين إسرائيليتين فقط تعملان فى مصر وأكدت بشأنهما : بالنسبة للاستثمارات تشارك شركة ميركان الإسرائيلية فى مشروع لتكرير البترول بالإسكندرية ، كما يوجد لشركة دلتا الإسرائيلية مصنع للملابس مقام بالمنطقة الحرة بمدينة نصر ، ويجرى تنفيذ مشروع ميدور الشرق الأوسط بالإسكندرية لتكرير البترول كمشروع مصرى إسرائيلى مشترك / قطاع خاص .

***

9 – عام 1998 :

* فى بداية العام 1998 تم توزيع منشور بجامعة القاهرة يطالب المصريين بمقاطعة العديد من المنتجات التى تصنع فى مصر بحجة أنها يهودية الأصل، المنشور الذى حمل عنوان " قاطع منتجاً تهدم مستوطناً " بدأت بإحصائية صغيرة عن حجم التبادل التجارى بين مصر وإسرائيل ، حيث ذكر أن الواردات المصرية ارتفعت من إسرائيل بنسبة 5.2% بما يوازى الواردات المصرية من كل الدول العربية خلال السبعة أشهر الأخيرة من العام السابق، فى الوقت نفسه ذكر المنشور أن الصادرات المصرية لإسرائيل انخفضت بنسبة 59% عن نفس الفترة .

وفى فقرة أخرى يتحدث المنشور عن مؤتمر الدوحة والمهانة التى تعرض لها كل العرب بمشاركتهم إسرائيل ، هذا المؤتمر ، وتأتى دعوة هذا المنشور فى نفس التوقيت الذى دعا إليه روجيه جارودى أثناء زيارته للقاهرة مؤخراً لمقاطعة البضائع الإسرائيلية .

* وفى العام نفسه (1998) قامت إحدى الشركات الإسرائيلية بإرسال خطابات إلى مديرى المستشفيات الجامعية تعرض عليهم تقديم خدماتها لعلاج المرضى فى إسرائيل .

وجاء فى رسالة موجهة إلى مستشفى عين شمس التخصصى : " نحن شركة إسرائيلية خاصة تكونت لتمثل مصالح المؤسسات الطبية الإسرائيلية الخاصة والعامة من ناحية توفير الخدمة الطبية لمواطنى الاتحاد السوفيتى السابق والدول الأخرى .. يقصد طبعاً الدول العربية ومصر ، وذكرت الشركة أنها حصلت على أسماء المستشفيات ومديريها من السفارة الإسرائيلية بالقاهرة .

وأضاف خطاب الشركة التى تقع فى أكبر شوارع تل أبيب (ش ديز نجوف)، الذى شهد إحدى العمليات الاستشهادية التى نفذتها حركات المقاومة الفلسطينية .وشركتنا تخطط لتنفيذ كل أنواع الخدمات المتصلة بتشخيص الأمراض والوصول إلى إسرائيل والإقامة بها وأنواع العلاج المختلفة كما يلى :

1 – التحديد المبدئى للعلاج المطلوب بعد تلقى التاريخ الطبى بالبريد أو بالفاكس لاستشارة الإخصائيين بالمستشفيات .

2 – وضع الخطة للتشخيص والتقييم والعلاج للمستشفيات .

3 – الحجز بالفنادق وشركات الطيران والمساعدة فى الحصول على الفيزا .

4 – مقابلة المرضى بالمطار واصطحابهم بالمستشفى أو الفندق حتي يحين موعد عودتهم .

5 – الاتصال المستمر والمرافقة بوساطة مرافقين متعددى اللغات طوال مدة الإقامة بإسرائيل.

6 – العناية التامة بالمريض ومرافقيه لو كان معه مرافقون .

7 – متابعة الاتصال بالمريض بعد عودته لبلده بما فى ذلك إرسال الأدوية المطلوبة إليه .

ويتم العلاج الطبى بأحد المراكز الطبية الإسرائيلية طبقاً للمشاكل الخاصة بكل مريض علماً بأن العلاج والأسعار تحدد بواسطة المستشفى بالتوافق مع قائمة الأسعار الرسمية التى تحددها وزارة الصحة الإسرائيلية .

نحن ننتظر تعاونكم معنا إذا كانت هذه الخدمات تهمكم ، ونحن على استعداد للرد على أية إيضاحات تطلبونها بكل سرور .

المخلص / إيفت دوبروفسكى

وقد أرسلت الشركة هذا الخطاب متجاهلة إمكانيات مستشفيات كبرى فى مصر وكفاءات طبية يعترف بها العالم فى مستشفى عين شمس (الذى أرسلت إليه الخطاب) ومستشفيات القاهرة والمستشفيات الجامعية والمتخصصة الأخرى .

* وفى العام نفسه اعترف السفير أحمد أبو الخير المدير السابق لإدارة العلاقات والتنسيق بوزارة الخارجية أمام الندوة التى أقامتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان بأن عدداً من رجال الأعمال الإسرائيليين الذين شاركوا فى أعمال مؤتمر التطبيع الاقتصادى فى نوفمبر 1996 بالقاهرة تقدموا بطلبات للحكومة المصرية للسماح لهم بالتعامل فى البورصة بالشراء والبيع ، وتأتى أهمية هذا الاعتراف من أنه على لسان المسئول الأول عن تنظيم المؤتمر حينذاك والذى أضاف بأن الحكومة رفضت وقتها هذا الطلب مشيراً إلى أنه الآن لا تستطيع مصر أن تمنعهم من الدخول نظراً لالتزاماتها فى اتفاقية "الجات" وعمليات الخصخصة والتحرير الاقتصادي والعولمة !! .

وخطورة الأمر أن ذلك يأتى فى الوقت التى وافقت فيه منذ أسبوعين هيئة سوق المال لمجموعة "فلمنجر" العالمية للتعامل مع البورصة المصرية فى نشاط السمسرة والترويج للأسهم المصرية بالداخل والخارج .

فى الوقت الذى يحذر فيه الخبراء من أن هذه الشركات الأجنبية ستستغل الفرصة لتسيطر على نصيب الأسد من الأصول الوطنية وتحويلها للخارج عبر

بوابة البورصة ليتحول الاستثمار فى البورصة المصرية فيما بين الأجانب فقط بعد خروج المستثمر الوطنى نهائياً.

وكان محمود عبد العزيز رئيس اتحاد بنوك مصر – وقتذاك – قد صرح فى تلك الفترة بأنه لا توجد أية موانع للسماح للمضارب اليهودي الأمريكى الجنسية فى العمل بالبورصة المصرية تحت زعم وجود الضوابط التى تحكم هذا الأمر متناسين أن هذا المضارب كان السبب الرئيس للأزمات المالية التى تشهدها دول جنوب شرق آسيا بسبب مضارباته المفتعلة على عملاتها الوطنية .

* وفى العام ذاته (1998) نجح خبراء إسرائيليون تستعين بهم وزارة الزراعة المصرية منذ 16 عاماً فى إنتاج ما يقدر بـ12 مليون قنطار من سلالات القطن المصرية من سلالات الأقطان المصرية المختلفة الرتب بـ5 ولايات أمريكية يماثل طقسها مناخ مصر , وعبر ذلك الإنتاج تمكن اللوبى الصهيونى المهيمن على تجارة وصناعة القطن فى العالم من الإستيلاء على 70% من أسواق القطن المصرى وإحلالها المنتج الأمريكى الإسرائيلى المماثل من الأقطان محلها بهذه الأسواق , وقال مسئول مصرى بارز متخصص بمجالات الزراعة – فى تقرير رفعه لجهات مسئولة : إن الخبراء الصهاينة لا يزالون يعملون ضمن وفود هيئة المعونة الأمريكية والتعاون بين الزراعة وخبراء العدو الإسرائيلى وقاموا على امتداد أعوام طويلة ماضية بإجراء بحوث مشتركة مع خبراء مصريين تحت ستار تطوير سلالات القطن المصرية عبر مزجها بصفات سلالات أمريكية ، زعموا أنها تقاوم الآفات وتدر عائداً أكبر عبر مشروع النارب ومشروعات أخرى نفذها باحثون من معهد القطن المصرى مع الخبراء الصهاينة والأمريكان ، ومضى المسئول المصرى فى تقريره مشيراً إلى أن جميع نتائج البحوث طبقها هؤلاء الخبراء فى حقول أمريكية وأخرى فى النقب فى فلسطين المحتلة ، وكان د. يوسف والى قال فى ذات العام فى ندوات علمية مغلقة : إن إنتاجية الفدان من القطن فى إسرائيل أعلى إنتاجية فى العالم

، واليهود يزرعون القطن شتلاً وعبر شبكات الرى بالتنقيط ، وأن علماء بوزارة الزراعة المصرية يحاولون بشتى السبل الاستفادة من التقنيات الإسرائيلية فى زراعة القطن إلا أن اليهود يعتبرونها سراً خاصاً بهم ولا يرغبون فى منحه لمصر ! .

ولم يكتف وزير الزراعة المصرى بذلك بل بعث برسالة لرئيس مجلس الشعب رداً على سؤال من أحد النواب حول دور الصهاينة فى تهريب السلع الفاسدة والملوثة بالأمراض لمصر ، دافع د. يوسف والى خلالها عن موقف وزارته من مستلزمات الإنتاج الإسرائيلية وسخر من المشككين فى سلامتها .

* وفى العام 1998 أيضاً كشفت ورقة حديثة تحت عنوان " إنجازات المعهد القومى للنقل " عن وجود متدربين وفنيين إسرائيليين ومن جنسيات أخرى شاركوا فى الدورات التدريبية وورش العمل والندوات التى أقامها المعهد بهدف تأهيل وتدريب المشاركين على الموضوعات المتعلقة بصناعة القرارات فى مجالات النقل ، وإدارة مؤسسات النقل وسياسات وتخطيط النقل فى البلدان المختلفة . أشارت الورقة إلى أن قائمة جنسيات المتدربين بالمعهد تشمل أيضاً مصريين وسعوديين وكويتيين بالإضافة إلى دول الكومنولث الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى السابق .

أوضحت الورقة أن المعهد حقق عدة إنجازات منها منح الطلاب والدارسين درجة الماجستير والدبلوم والاعتراف بها دولياً من الجامعات البريطانية ، كما شارك المعهد فى منح الدكتوراه والماجستير لعدد كبير من الدارسين وساهم فى تأهيل القيادات المتخصصة فى مجالات سياسات وتخطيط النقل بمصر والبلدان العربية .

* وفى ذات العام اتهمت منظمة جرينبيس (السلام الأخضر) المعنية بشئون البيئة الحكومة الإسرائيلية بعدم الاكتراث بالحفاظ على البيئة أو بإقامة علاقات طيبة مع جيرانها ، وفى بيان أصدرته فى تل أبيب أمس الأول اتهمت المنظمة

رفائيل إيتان وزير الزراعة الإسرائيلى بالنكوص عن وعده بوقف إلقاء النفايات السامة فى البحر المتوسط .

وقالت المنظمة : إن ايتان سمح فى شهر ديسمبر 1997 لشركة أمريكية بإلقاء رواسب طينية سامة فى البحر المتوسط لمدة عشرة أشهر رغم تعهد سابق بوقف هذه العملية فى نهاية العام الماضى .

وقالت جرينبيس : إن قرار إيتان سيسمح للشركة بإلقاء 40 ألف طن من الرواسب الطينية شديدة السمية فى مياه البحر المتوسط على مدى الشهور العشرة المقبلة .

يذكر أن إسرائيل لم توقع على الاتفاقية الدولية لمنع إلقاء النفايات السامة فى البحر .

* وفى العام 1998 أقامت شركة "زراعيم" الصهيونية سوقاً بالنوبارية لتوزيع ما يحتاجه المزارعون من (تقاوى) ومبيدات ومعدات وشتلات.. ورغم خطورة الأصناف التى توزعها هذه الشركة وتحذير الخبراء المصريين إلا أن وزارة الزراعة لم تلتفت إليهم, مما أغرى المسئولين بشركة زراعيم بإقامة لوحات إعلانية على الطرق الصحراوية لترويج بضائعهم المسمومة ، الجدير بالذكر أن وزارة الزراعة عقدت مؤخراً مؤتمراً بالتعاون مع الخبراء الإسرائيليين بقرية " على بن أبى طالب" بمنطقة البساتين بالنوبارية ؛ لشرح مزايا صنف الكنتالوب الإسرائيلى الجديد "جاليا" ، وقام الخبراء الإسرائيليون بشرح مزايا الصفقة فاعترض أحد علماء البساتين المصريين مؤكداً أن هذا الصنف معامل هرمونياً وليست له أى ميزة نسبية وأن النوع العربى المغربى "شلنتيه" أفضل ويزرع بنجاح عن الصنف الإسرائيلى ، فقام مسئول وزارة الزراعة بتعنيفه مؤكداً أن هذا الأمر يدخل فى إطار السياسة العليا للوزارة .

من ناحية أخرى يغادر 50 من القيادات الزراعية بمحافظة بنى سويف فى زيارة إلى إسرائيل تحت إشراف وزارة الزراعة. وقد اجتمعت أمانة الفلاحين بالحزب

الناصرى لمناقشة الموضوع وأوصت بسرعة تحرك لجنة مقاومة التطبيع والكشف عن الشركة الزراعية الصهيونية والمتعاملين معها خاصة بعد ورود أخبار عن حصول الخبيرين الإسرائيليين إبراهام ,وبن زينون عل عمولات كبيرة من عناصر مصرية لتسهيل استيراد هذه الأصناف .

** وفى 1998/9/8 أيضاً نشرت صحيفة " الشعب " تقريراً حول طرح جهات دولية مشروعات سياحية فى سيناء تحت اسم " الطرق الدينية والتاريخية " ، وهى الطرق التى سبق للأنبياء والرسل والقادة التاريخيين أن سلكوها عند مجيئهم لمصر ، وقد أبدى عدد من الخبراء عن خشيتهم أن تكون بعض الشركات الأجنبية ما هى إلا ستار لجهات إسرائيلية تسعى لإقامة هذه المشروعات والإشراف عليها .

وفى إطار متصل اتفق شيمون بيريز مع يوسف والى لتنظيم مؤتمر لمناهضة ما أسماه التطرف والإرهاب فى المنطقة وخطورته على السياحة فى المنطقة ، والعجيب أن المؤتمر سيعقد فى القاهرة ولكن تتم الدعوة إليه من تل أبيب .

***

* وفى العام 1998 ذكر أحدث تقرير صادر عن اللجنة القومية لمقاومة التطبيع أن شركات يهودية بدأت فى شراء أراض زراعية مصرية , حيث اشترت شركتا " زراعيم وحيفا كيمكال" اليهوديتان عن طريق شركة " تكنوجرين" الوكيلة لهما فى مصر (200فدان) من تاجر أراضى بمحافظة الإسماعيلية لإقامة عدد من الصوب لإنتاج وتسويق شتلات الخضر والأسمدة والمبيدات بالمنطقة والتى يمتنع ساكنوها عن شراء التقاوى الواردة من الكيان الصهيونى عبر التسريب أو الوكلاء نظراً لما يترتب على زراعتها من أضرار على التربة والمحصول والإنسان المصرى المستهلك لها, إضافة إلى خطورة موقع هذه الأراضى التى توجد فى مدينة (أبو صوير) المصرية ذات الأهمية الخاصة للأمن القومى المصرى .

من جهة أخرى كان تقرير مقاومة التطبيع المصرية قد ركز على علم وزارة الزراعة المصرية بدخول كميات كبيرة أخرى من الأسمدة والمبيدات والهرمونات عبر مياهها الإقليمية والتى سمحت بمرور 67 مركباً من الكيان الصهيونى تحمل هرمونات ومبيدات وأسمدة معظمها يضر بالتربة والإنسان.

وفى هذا الصدد انتقد التقرير الاتحاد العام لمنتجى ومصدرى الحاصلات البستانية الذى اعتبرهم على صدر قائمة المستوردين من الكيان الصهيونى بالإضافة إلى وكلاء وأفراد وشركات مثل رجال الأعمال "عمرو مصطفى" وشركات "أجرولاند دايمكس" للتجارة وشركة "سوفيزكو" وكذلك وكلاء محليون آخرون أشهرهم سيد السمّاك بالقناة .

أما عن الخضروات والفاكهة التى تدخل مصر عبر التعاون بين وزارتى الزراعة المصرية وفى إسرائيل فيقول التقرير : إن الوزارة المصرية صرحت مؤخراً بزراعة أصناف أوريت (TY 84, TY70) كتقاوى للطماطم المستوردة من الكيان اليهودى بالتنسيق معها والتى ثبت خطورتها على الزراعة المصرية من قبل صنف " أوريت" المحظور استخدامه دولياً , وأصناف (TY) التى تصاب بشدة بمرض البياض الدقيقى مما يستلزم رشها بمبيدات جهازية تسبب السرطان للمستهلك , بالإضافة إلى أنها أصناف محدودة وضعيفة الإنتاج لعدم قدرتها على مقاومة الذبابة البيضاء .

* وفى العام ذاته 1998 أيضاً تمكنت الصحف المعارضة من رصد تنظيم شبابى أقامه د. يوسف والى داخل وزارة الزراعة والحزب الوطنى , ووضع على رأسه شاب فى الـ38من عمره بعد أن أنعم عليه الوزير بدستة من المناصب , منها موقع وكيل أول الوزارة , وقد نجح هذا الشاب وهو يوسف عبد الرحمن – الذى يعتبره والى معجزة – فى تكوين التنظيم بعد أن زرع فى عقول شبابه كل أفكار وزير الزراعة المتعلقة بثقافة التطبيع السياسية والزراعية مع إسرائيل وهو تنظيم كان يخطط د. يوسف والى منذ أعوام ، لأن يقود أفراده ليس وزارة

الزراعة فحسب بل الحزب الوطنى ومصر ,وهى فكرة طرحها خبراء صهاينة على الوزير وبدأ تنفيذها منذ أعوام .

* وفى العام 1998 أيضاً كلف د. يوسف والى إحدى الشركات "الإسرائيلية" بالإشراف على تركيب وتصميم شبكة "معلومات زراعية موحدة" وتدريب كوادرها , وذلك إثر الانتهاء من تركيب شبكة مماثلة لحساب الأمانة العامة للحزب الوطنى , نفذتها جهات إسرائيلية أيضاً مع ملاحظة أن د. يوسف عبدالرحمن (وكيل أول الوزارة "38" عاماً وسكرتير الوزير الخاص وكاتم أسراره المتعلقة بشئون التطبيع – هو المختص بالإشراف على شبكتى المعلومات فى الوزارة والحزب . والذى سجن فيما بعد هو ويوسف والى بتهم الفساد والتطبيع وتدمير صحة المصريين !! .

* فى 22 من شهر يوليو 1998 بعثت سيدة أعمال إسرائيلية ذات العلاقة المعروفة بدوائر الموساد "أميليا موسرى" وهى رئيسة شركة NIMED الإسرائيلية" التى تعمل بمجالات الكمبيوتر برسالة لنائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الأراضى المصرية يوسف والى ! نقتطف سطور المقدمة منها وكى تدلنا على عمق علاقة المسئول المصرى باليهود , تقول السيدة موسرى فى مقدمة خطابها :

" معالى الدكتور/ يوسف والى ..

نائب رئيس الوزراء وزير الزراعة واستصلاح الأراضى – الدقى – القاهرة – مصر

أملى أن يكون كل شيء على ما يرام , وأنا على يقين أن الاجتماع السنوى للحزب كان ناجحاً (وتقصد مؤتمر الحزب الوطنى العام الذى عقد بجامعة القاهرة) .. وأكرر شكرى على تخصيص الوقت لمقابلتنا فى هذه الفترة الصعبة (فى إيماءة منها على تفضيل والى مقابلتها ووفدها رغم انشغاله بالمؤتمر) ونحن نجل ذلك ونقدره أبلغ تقدير .. وبخصوص الزيارة الأخيرة أعتقد أننا قد

حققنا الأهداف المرجوة من الزيارة سواء من جانب شركة فور سوفت أو من جانب جامعة "تل أبيب"

انتهت مقدمة خطاب موسرى .

الحكاية ملخصها أن د. يوسف والى قرر العام 1998 تشييد شبكتين للمعلومات : الأولى فى وزارة الزراعة والثانية فى الأمانة العامة للحزب الوطنى حتى يستطيع تنظيم معلومات الحزب بحوزة لوبى شبابى مؤمن بالتطبيع ، شكله د. والى فى الحزب والوزارة منذ أعوام ويقوده د.يوسف عبد الرحمن والذى عهد إليه د. يوسف والى بكل الأسرار ومسئوليات الوزارة والأمانة العامة للحزب الوطنى المتعلقة بالتطبيع , وتقوم شركة فور سوفت "الإسرائيلية" التى تمثلها كاتبة الرسالة بتبنى عملية إنشاء الشبكتين المعلوماتيتين ، وبعد أن اكتملت شبكة معلومات الأمانة للحزب الوطنى , باتت الشركة الإسرائيلية أيامها (1998) تضع الملامح النهائية للانتهاء من شبكة معلومات وزارة الزراعة وتدريب كوادرها .

* وفى العام نفسه 1998 ذكرت مصادر إعلامية أن الحكومة الإسرائيلية تقدمت بطلب إلى الحكومة المصرية يقضى بحصولها على رمال سوداء وبيضاء من سيناء تقدر بـ3.5 مليون متر مكعب من الرمال السوداء و2 مليون متر مكعب رمال بيضاء , وأفادت المعلومات بأن هذه الرمال تستخدم فى بناء المفاعلات الذرية الجديدة التى تنوى إسرائيل إقامتها .

أكدت المصادر أن هذا الطلب يعد رقم 18 فى إطار الطلبات المقدمة إلى الحكومة المصرية منذ العام 1993 , حيث زادت هذه الطلبات بشكل أساس خلال هذا العام بسبب اتجاه إسرائيل لتطوير برنامج صواريخها , وإدخال تقنية متطورة فى هذه الصواريخ تعتمد على شرائح مادة السليكون الموجودة بكثرة وبصفة أساسية فى الرمال المصرية ، وقد جاء الطلب الإسرائيلى فى سياق عرض لاستثمارات إسرائيلية فى مصر تقدمت به خلال الأسابيع الماضية ,

تحت زعم استخدام هذه النوعية من الرمال متعلق بأغراض إنسانية وتعليمية لبناء مستشفيات ومدارس , خاصة أن إسرائيل تعانى تقصاً حاداًُ فى هذه النوعية من الرمال , وادعت إسرائيل فى طلبها أن ذلك التعاون يندرج فى إطار الالتزامات المتبادلة وفق معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية .

وحاولت إسرائيل إرغام مصر على قبول التعاون فى هذا المجال عبر ادعائها بأن هناك انخفاضاً فى معدل الأداء والنمو الاقتصادى المصرى .

وحاولت إسرائيل زعم أن الاقتصاد المصرى تأثر كثيراً بالأزمات الآسيوية والأزمة الروسية , بالإضافة إلى تخوف المستثمرين الدوليين من استثمار أصولهم المالية فى مصر نظراً لتشككهم فى قوة الاستقرار المصرى فى الداخل . وأوضح التقرير الإسرائيلى أن هناك 34 مستثمراً سحبوا استثماراتهم لمشروعات كبرى كان من المقرر إقامتها فى سيناء والبحر الأحمر, وأن 28 من هذه المشروعات كانت تتعلق بالسياحة.

وادعى التقرير أن هذه المشروعات تم سحبها بعد موافقة الحكومة المصرية على تنفيذها .

* وفى العام 1998 وفى **تقرير إخبارى عن المقاطعة الشعبية بعد 18 عاماً من التطبيع** " **جاء فيه : أنه قد مرت هذا العام** 18 عاماً على إنهاء المقاطعة الاقتصادية بين مصر وإسرائيل ، ففي الخامس من شهر فبراير 1980 وافق مجلس الشعب على إنهاء المقاطعة مع إسرائيل مما فتح الباب لتمرير سبع اتفاقيات اقتصادية بين البلدين فى مجالات السياحية والتجارة والزراعة والطيران والنقل البحرى والمواصلات .

وعلى مدى الثمانية عشر عاماً الماضية مرت العلاقات التجارية المصرية الإسرائيلية بمراحل متقلبة ، فبعد أن بدأت ضعيفة نسبياً أخذت تقوى إلى أن تمكنت من تحقيق أرقام قياسية فى نهاية 1994 ، إلا أنها بدأت تتراجع وبشدة

بعد ذلك خاصة مع وصول حكومة الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو إلى الحكم قبل نحو عشرين شهراً .

ومنذئذ شهدت المبادلات التجارية بين مصر وإسرائيل تراجعاً ملحوظاً مع مطلع 1996 فى كافة المجالات عدا قطاع البترول الذى مازال يحتفظ بمعدلات نمو ثابتة ، حيث تعتمد إسرائيل فى تجارتها مع مصر على استيراد جزء كبير من احتياجاتها من النفط ، وكان أبرز القطاعات التى شهدت تراجعاً خلال الثلاثة أعوام الماضية ، قطاع السياحة والذى تراجع بنسبة تزيد على 60% مقارنة بالأرقام المعلنة فى 1982 حيث لم يتجاوز عدد السياح المصريين إلى إسرائيل 4500 سائح ، بينما عدد السائحين الإسرائيليين إلى مصر فى العام نفسه حوالى 31600 سائح .

وبالنسبة لأهم السلع المتبادلة بين البلدين يتصدر البترول قائمة هذه السلع ، فبعد مباحثات السادات وبيجين فى جنيف فى 1979/9/5 ، والاتفاق على مد إسرائيل بمليونى طن من البترول ، كان أول اتفاق تجارى بين البلدين يضمن لإسرائيل هذه الكمية من بترول سيناء كما تؤكد الحقائق وثائق المعاهدة المصرية الإسرائيلية ، بعد ذلك تم دراسة مشروع مد خط أنابيب النفط من حقول علماء فى سيناء إلى ميناء إيلات ، وبعد مرور فترة قصيرة وتحديداً فى مايو 1981 أعلنت إسرائيل أن مصر خفضت أسعار الوقود المباع لها بأكثر من 12% وهو ما رفع بدوره كميات الوقود المصرية المصدرة لإسرائيل .

ومنذ رفع المقاطعة وحتى الآن أخذت الصادرات النفطية من مصر إلى إسرائيل فى النمو لكن بشكل محدود مقارنة بالكميات التى تصدرها مصر إلى الدول العربية الأخرى .. وتشير آخر الاحصائيات المعلنة إلى إسرائيل تستورد أكثر من 30% من احتياجاتها النفطية من مصر .. ويعكس تطور الأرقام حجم الصادرات المصرية من البترول بالنسبة لإجمالى الصادرات التى تدخل تل أبيب والمكونة من 30 سلعة بخلاف النفط حيث يمثل النفط 99% من إجمالى

الصادرات المصرية إلى إسرائيل وهو ما يوضح الأرقام المعلنة حول حجم الصادرات المصرية الإسرائيلية .

فبعد أن كان حجم الصادرات الإسرائيلية لمصر 12 مليون دولار ، وحجم الصادرات المصرية لإسرائيل 13 مليون دولار عام 1980 بما فيها البترول تضخم هذا الرقم خلال الأعوام 81 ، 82 ، 83 ، 1984 بالنسبة لحجم الصادرات المصرية لإسرائيل ليصل إلى 443 ، 2472 ، 143 مليون دولار على التوالى ، وعادت تلك الأرقام لتأخذ طور الانخفاض مجدداً لتهبط بشدة منذ 1985 ؛ ليصل إجمالى حجم التبادل التجارى بين البلدين إلى ما دون مستوى 60 مليون دولار بخلاف النفط وتنتقل شريحة كبيرة من هذه القيمة بين البلدين بواسطة حسابات مصرفية عبر دولة عربية ثالثة من خلال السوق الخاصة فقط .

وبوجه عام كانت أبرز الصادرات الإسرائيلية إلى مصر هى : الكيماويات والمواد العضوية وبعض التجهيزات الخاصة بالمزارع والورق والبيض والزبدة والفاكهة وبعض المعدات الصغيرة والأدوات الكهربائية .

* * *

<u>10 – عام 1999 :</u>

* فى العام 1999 نُشر تقرير عن مؤتمر " لجنة أخلاقيات المياه " وقد أوضح د. محمود أبو زيد وزير الرى آنذاك أن معظم الدول العربية تحصل على احتياجاتها المائية من خارج الوطن العربى وهذا يعرضها لضغوط سياسية خارجية .

وقال أبوزيد : " إن إسرائيل لن تحصل على نقطة مياه واحدة من النيل ، وأن ترعة السلام تهدف لزراعة 400 ألف فدان فى سيناء وتوطين آلاف من الفلاحين والمزارعين المصريين فى سيناء وكذلك إيجاد الاستقرار لبدو سيناء بعد تسلمهم أراض جديدة بعد عبور المياه لسيناء.

* فى العام 1999 أيضاً قررت محكمة العريش نظر دعوى قضائية مهمة أقامها المواطن رياض حمدى قويدر من الشيخ زويد بشمال سيناء ضد 3 قيادات فى محطة مركز بحوث الصحراء بالمدينة الذين اتهمهم بمحاولة إمداده بشتلات تقاوى طماطم من سلالة " أوريت وردة " الإسرائيلية ملوثة بأمراض وحشرات فيروسية وبدودة الأنفاق ، وعندما رفض تسلم الشتلات قاموا بإعدامها على أنها تلفت وتهالكت.

وأوضح المواطن رياض حمدى قويدر لصحيفة " الشعب " فى 1999/6/11 أنه سلم ربع كيلو تقاوى طماطم إسرائيلية من طراز أوريت للمحطة بعد أن أعلنت عن استعدادها لتربية الشتلات وبيعها للزراع بثمن رخيص إذا ما أحضروا إليها التقاوى ، وأوضح أنه اشترى التقاوى بـ4500 جنيه من التجار بالعريش ، حيث توزع هذه التقاوى شركة ستار سيدس ولا توجد أى تقاوى للخضر والفاكهة سوى التقاوى الإسرائيلية .

واستطرد قائلاً : إنه اتفق فى عقد مكتوب مع المحطة على تسليمه ما يقدر بـ 53 ألف شتلة ولم تف المحطة بتعهداتها وهو ما دفعه لانتداب لجنة حررت محضراً على أرض الواقع يؤكد تلف الشتلات .

والجدير بالذكر أن شتلات تقاوى أوريت الإسرائيلية عندما تنمو لا يمكن أن تنعقد ثمارها إلا برش " هرمون تومست " الإسرائيلى المحرم دولياً والقاتل بإجماع العلماء والذى ظل يستخدم فى عهد يوسف والى على نطاق واسع .

* **نشرت صحيفة " العربى " فى 1999/8/29** تقريراً للكاتبة الصحفية نور الهدى زكى عن مدينة دهب التى ذهبت إليها ضمن وفد من نقابة الصحفيين ، يقدر بمائتى صحفى مع أسرهم وأولادهم فى رحلة مصيف لمدة خمسة أيام .

وقد قالت الكاتبة : إن دهب تحولت إلى مدينة أو مستعمرة إسرائيلية وأنها تحت السيادة المصرية بالاسم فقط ، فكل ما فيها من بشر ومنشآت تعمل فى خدمة الإسرائيليين ، فالفنادق والمطاعم أعدت كلها على حسب المزاج الإسرائيلى

والطعام إسرائيلى والموسيقى إسرائيلية واللغة المستخدمة عبرية ، كما يلفت النظر هذا العدد الهائل من الساقطات الإسرائيليات اللاتى يبحثن دائماً عن ضحايا من الشباب المصرى عبر المتعة الحرام .

المثير للغضب هو ما قاله مدير أحد الفنادق السياحية بأن عشرة إسرائيليين أفضل من 200 صحفى تبعث بهم نقابة الصحفيين إليه !! .

* وفى العام نفسه أكدت مجلة الشرطة الإسرائيلية أن عناصر ومؤسسات تابعة لوزارة العمل الإسرائيلية متورطة فى خطف وشراء أطفال عن طريق عصابات معروفة من جميع أنحاء العالم لبيعهم لعائلات إسرائيلية تعانى من العقم .

وذكرت المجلة أنه يتم شراء وتجارة الأعضاء البشرية عن طريق مستشفى كبير فى القاهرة مقابل مادى كبير .

حتى الحيوانات المنوية من شباب مصريين وأردنيين يتم شراؤها وبأثمان باهظة عن طريق طبيب إسرائيلى يدعى إبراهام مور من تل أبيب ويوفر هذه الحيوانات المنوية لعواقير إسرائيليات حتى ينجبن .

وذكر التقرير أيضاً أن حكومات إسرائيلية متعاقبة متورطة فى بيع أطفال يهود اليمن والذين تم نقلهم ما بين عامى 1949 إلى 1954 إلى أسر العالم الغنية من أجل تمويل عمليات تهريب يهود الدول العربية المجاورة.

* وفى العام 1999 أيضاً وعلى رغم التحذيرات التى أطلقها سياسيون وبرلمانيون مصريون للتحذير من ظاهرة انتشار السلع الإسرائيلية فى مدينة العريش المصرية ، فإن الظاهرة ازدادت استفحالاً والسلع الإسرائيلية تهرب بمعدلات وكميات كبيرة وتغمر عاصمة محافظة شمال سيناء التى عادت للسيادة المصرية قبل سنوات وتحولت مركزاً لاستقبال المنتجات الإسرائيلية ثم إعادة ضخها إلى الأسواق المصرية .

ورغم أن بعض أهالى المدينة انتقدوا الأمر ويعتبرونه ظاهرة فريدة تتجاهل طبيعة التاريخ المأسوى الذى عاشه سكان سيناء على يد المحتل الإسرائيلى ،

وكذلك التاريخ البطولى لبعض أهالى سيناء وعلى رأسهم محمود السواركة الذى قضى أكثر من 25 عاماً فى السجون الإسرائيلية ، إلا أن السلع الإسرائيلية تباع وتشترى على رغم أن غالبيتها سلع استهلاكية تنتج مصر مثلها ، ومنها مستحضرات التجميل والأحذية والأطعمة والملابس ، بل إن البعض لم يجد حرجاً فى أن يخصص متجره بالكامل لبيع المنتجات الإسرائيلية .

ولا يجد التجار حرجاً فى الإعلان عن أن بضائعهم " صنعت فى إسرائيل " وقال أحدهم لصحيفة "الحياة" فى 1999/8/29 : إن الربح فى المنتجات الإسرائيلية أكبر منه فى المنتجات المصرية لذلك نبيعها".

ويؤكد مدير الغرفة التجارية فى شمال سيناء السيد سعيد جمعة أن السلع الإسرائيلية يتم تهريبها عن طريق تجار الشنطة الذين يحضرون من إسرائيل عبر منافذها مع مصر .

* وفى عام 1999 وبعد مرور أقل من أسبوعين على ترحيل سيدة الأعمال الإسرائيلية ديفورا جنانى ومنعها من دخول مصر لنشاطها التجسسى كشف مصدر مسئول بجهاز شئون البيئة عن ظهور سيدة أعمال جديدة تدعى " إيلينا موصيرى" وتعمل وكيلة إحدى الشركات الأمريكية العاملة فى تنقية مياه الشرب وتسمى (فيلتومات آى.إن.سى) ومقرها ولاية نيوجيرسى فى الولايات المتحدة. وقد بدأت هذه السيدة بمعاونة مدير تسويق الشركة وهو يهودى أيضاً ويدعى " إيفى شوارتز" فى عقد اللقاءات مع العديد من رجال الأعمال المسئولين المصريين.

من ناحية أخرى كشف المصدر عن عقد جهاز شئون البيئة صفقة مع إحدى الشركات الإسرائيلية عن طريق أحد كبار رجال الأعمال المصريين (ح.أ) لتوريد و تركيب ثلاث محطات لمعالجة مياه الشرب لتغذية 6 قرى من قرى محافظة الشرقية .

نوعية الفلاتر التى تستخدمها الشركة – رغم رخص ثمنها– تحتاج إلى عمليات صيانة دورية واستبدال شبه دورى لأجزاء معينة منها.. مما يزيد من سعر الفلاتر الحقيقى ..

ويوفر ذلك علاقة مستمرة بين الجهاز والشركة الإسرائيلية .. الأمر الذى يمكنها من عقد صفقات أخرى مشابهة .

* نشرت صحيفة " العربى " فى 1999/4/28 تقريراً عن صحيفة معاريف الإسرائيلية تتحدث فيه عن انجذاب الصهاينة لسيناء وتفضيلهم إياها عن السفر لأوروبا .

وأوضح التقرير أن سهولة الوصول لسيناء عبر السيارات الخاصة أو الباصات أو الطيران يمثل عامل جذب للسياح الإسرائيليين إلى سيناء .

فضلاً عن توافر جميع أنواع الفنادق وبجميع المستويات التى تلبى حاجات السائح الإسرائيلى حسب مستوياته المادية .

* نشرت صحيفة " آفاق عربية " فى 1999/1/7 تقريراً عن التطبيع السياسى والاقتصادى مع إسرائيل وقد ذكر التقرير أن التطبيع السياسى ظل قاصراً على نخبة قليلة العدد من أفراد النخبة السياسية ولكن بعد مدريد وأوسلو تبادل وزراء الخارجية فى مصر وإسرائيل الزيارات المتعاقبة بل وزار مصر رؤساء وزراء منهم إسحاق رابين ونتنياهو بل وزار عمرو موسى إسرائيل عدة مرات .

كما زار إسرائيل عدة وزراء مثل فؤاد سلطان وزير السياحة وممدوح البلتاجى وفينيس كامل وزيرة البحث العلمى وغيرهم .

أما الجانب الاقتصادى والتجارى فقد بدأ ضعيفاً ثم شهد تطوراً ملحوظاً عام 1994 وذلك بعد قيام لجان وهيئات لتنشيط التبادل التجارى بين البلدين مثل اللجنة التجارية المصرية الإسرائيلية المشتركة ، ثم اللجنة الاقتصادية المشتركة بين البلدين مما أعطى زخماً كبيراً للتبادل التجارى والنشاط الاقتصادى بين

البلدين ، وتعد المواد البترولية من أهم السلع التصديرية بين البلدين وتعتمد الآلة العسكرية الإسرائيلية على المواد البترولية المصرية بشكل كبير .

** نشرت صحيفة " الشعب " فى 1999/2/5 فتوى لمفتى الديار المصرية نصر فريد واصل يحرم فيها إقامة أى علاقات اقتصادية مع إسرائيل بل ودعا لفرض حصار على إسرائيل مشدداً على أن المسلمين لن يتنازلوا عن كامل الحقوق فى كل فلسطين وفى كل الأراضى العربية المحتلة .

** وفى سياق متصل نشرت " الدستور " أن اللجنة العامة للمقاطعة مدعومة بنواب فى مجلس الشعب دعت لمقاطعة كاملة للبضائع الأمريكية والإسرائيلية.

** نشرت صحيفة " الجيل " فى 1999/5/10 تقريراً عن شركة " زيم " الإسرائيلية وتحكمها فى الصادرات المصرية للسوق الأفريقية ، حيث تقوم هذه الشركة عبر وكيلها أحمد خيرى – أمين الحزب الوطنى بالإسكندرية (آنذاك) والضابط السابق بالبحرية المصرية – بفرض "نولون" مرتفعة على السلع والبضائع المصرية مما يؤثر على الأسعار التنافسية للمنتجات المصرية فى السوق الأفريقية ، مع العلم أن إسرائيل تتحكم فى خطط الملاحة للسوق الأفريقى منذ سنوات طويلة مما يجعل مصر وصادراتها للسوق الأفريقية رهينة بشركة زيم للملاحة البحرية عبر وكلائها الفاسدين فى مصر .

** نشرت صحيفة " الحياة " فى ديسمبر 1999 أن ارتفاعاً ملحوظاً سجل فى حركة السياحة الإسرائيلية لمصر حيث زار مصر 284 ألف إسرائيلى مقابل 256 ألفاً فى 1995 .

** نشرت صحيفة " الدستور " فى العام ذاته أن حركة السياحة الإسرائيلية لمصر سجلت تراجعاً بنسبة 18% من العام الماضى بسبب التوتر المستمر فى الأراضى المحتلة والمشاعر السلبية تجاه الإسرائيليين من الشعب المصرى .

** وفى العام 1999 أيضاً نشرت صحيفة " العربى " تحقيقاً عن اختراق البضائع الإسرائيلية للأسواق المصرية . حيث ذكرت أن ما يقرب من 200

منـتج إسـرائيلى يتواجـد فـى السـوق المصـرى ابتـداءً مـن الصلصـة والمنتجـات الغذائيـة وآلات الطباعـة والـورق والمشـروبات والفواكـه والسـلع الزراعيـة . وبـيّن التحقيق أن هذه المنتجات تدخل السوق المصرى تحت شعار شركات وماركات عالميـة وتعتبـر رفـح والعـريش أهـم نقـاط تهريـب هـذه المنتجـات خاصـة الجينـز والملابس الجاهزة ، حيث أسعارها متدنية جداً بالمقارنة بالمنتج المصرى .

** وفــى عــام 1999 أكــدت وســائل الإعــلام تقريــراً عــن غــزو المنتجــات الإسرائيلية للسوق العربيـة عبـر وسطاء أوروبيين وفلسطينيين وأردنيين وعرب آخرين .

وبيّن التقرير أن المنتجين الإسرائيليين لا يرون أى مشكلة إذا حذف التعريـف بالشـركة الإسـرائيلية مـن علـى المنـتج حتـى لا يـؤثر ذلـك علـى حركـة التجـارة والتصدير للأسواق العربية لاسيما الخليجية .

وقد تم تصدير الملابس والأدوات الصحية والأحذية للأسواق العربية على أنها منتجات فلسطينية .

* وفـى تقريـر مهـم لمركـز معلومـات رئاسـة الـوزراء نشـر عـام 1999 أكـد أن الصـادرات المصـرية شـهدت تراجعاً كبيراً خـلال عـام 1998 وأن التراجـع وصـل إلـى مرحلة التدهور مما أدى إلـى اتسـاع الفجوة بين الـواردات والصـادرات بشكل غير مسبوق فإذا كانت الصـادرات المصـرية قد تراجعت من 8.71 مليار جنيه عام 1997 ووصلت إلى 6.87 مليار خلال عام 1998 فإن الواردات ارتفعت من 29.5 إلى 35.59 مليار خلال نفس الفترة وتمثل ذلك فى تصـاعد وارتفـاع قيمة العجز بالميزان التجارى السالب من 25.54 مليار إلى 29.86 مليار جنيه ، وفق تقرير شهر ديسمبر الماضـى الصـادر عن مركز معلومات رئاسة مركز الوزراء .

محسن قنديل عضو شعبة المصدرين باتحاد الغرف التجارية يرى أن الصـادرات المصـرية لـم تتعـد حـاجز الـ 4 مليـارات دولار منذ عدة سنوات مضـت بـل إنـها

هبطت عن هذا الرقم بكثير خلال العام 1999 فى الوقت الذى تبلغ قيمة صادرات دولة مثل كوبا 100 مليار دولار وإسرائيل نحو 35 مليار دولار رغم أن تعداد الأخيرة لا يزيد عن 5 ملايين نسمة .

ويحدد قنديل أهم تلك الأسباب التى تعوق تقدم الصادرات وزيادتها مشيراً إلى غياب الخطوط الملاحية المصرية المنتظمة حتى فى أقرب الدول وهى دول القارة الأفريقية ، وهو ما قامت إسرائيل باستغلاله وأقامت خطوطاً بحرية منتظمة مع دول هذه القارة من خلال شركة "زيم" الإسرائيلية للملاحة البحرية خلال الـ 35 عاماً الماضية ، وبذلك تحتكر هذه الشركات عمليات نقل التجارة البينية ليس فقط بين إسرائيل وأفريقيا بل بين دول القارة بما فيها مصر والعالم الخارجى .

ويقول قنديل : إن الشركة الإسرائيلية أصبحت تتحكم فى تجارة مصر مع الدول الأفريقية عبر وكيلها المصرى أحمد خيرى – أمين الحزب الوطنى بالإسكندرية – والضابط السابق بالبحرية المصرية لما له من نفوذ داخل الحكومة ، حيث تقوم الشركة الإسرائيلية بفرض رسوم شحن "نولون" مرتفعة الثمن ومبالغ فيها على المنتجات المصرية حتى لا تتمكن من المنافسة داخل السوق الأفريقية ، مؤكداً أن ذلك أدى إلى ميل الميزان التجارى المصرى لصالح الدول الأفريقية ، بمقدار أربعة أضعاف ، فالصادرات المصرية لأفريقيا لا تتجاوز الـ 146 مليون دولار سنوياً بينما الواردات الأفريقية لمصر تبلغ 585 مليون دولار سنوياً حتى أصبحت دولة مثل كينيا تصدر لمصر " الشاى " .

ويضيف قنديل : إنه فى الوقت الذى يوجد لشركة الملاحة الإسرائيلية " زيم " خطوط ملاحة مع كافة العواصم بالدول الأفريقية فإن شركة مصر للطيران لا يوجد لها خطوط منتظمة سوى مع 6 عواصم أفريقية فقط .

فيما أكد الدكتور حمدى سالم رئيس مركز تنمية الصادرات على ضرورة تنظيم رحلات بحرية وجوية حتى لا يعتمد المصدر المصرى على الشركة الإسرائيلية

التى لا يجد غيرها أمامه للتصدير إلا أفريقيا خاصة أن الجهود كشفت خلال الفترة الماضية لدخول السوق الأفريقية التى لا يؤكد البنك الدولى أن ناتجها القومى سيرتفع من 3.3% إلى 4.1% سنوياً حتى عام 2000 .

* وفى حصيلة للمعارك الصحفية ضد الفساد الاقتصادى والتطبيعى ، **دفعت صحيفة " الشعب " – لسان حال حزب العمل بل والحزب نفسه كما سبق وأشرنا–** ثمناً باهظاً بسبب انحيازها لمصالح الوطن العليا والوقوف بقوة وجسارة فى وجه يوسف والى وجماعته من المطبعين فى وزارة الزراعة بل وضد بعض رجال القضاء المرتشين وبعض موظفى الدولة الكبار الذين ثبت بما لا يدع مجالاً للشك تورطهم فى شبكات فساد لا نهاية لها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعدو الصهيونى سواء مباشرة أو بمن يمثلون مصالحه فى الداخل المصرى .

– وقد أسهمت " الشعب " فى فضح فساد يوسف والى وتورطه مباشرة فى تدمير الزراعة المصرية وتدمير صحة المصريين عن طريق استيراده للمبيدات المسرطنة التى أنهكت ونهشت أكباد وكُلى المصريين البسطاء لحساب أسياده فى تل أبيب .

وقد أظهرت " الشعب " كيف وقف رئيس مصر المخلوع حسنى مبارك ضد كل محاولات إقالة يوسف والى بل ووفر له الحماية فى كل القضايا والبلاغات التى لاحقه بها شرفاء الوطن ، وفيما يلى ملخص بأهم القضايا التى اتهم فيما يوسف والى بشخصه أو أحد من أقرب رجاله فى وزارة الزراعة .

1 – قضية تتعلق (بإدخال مبيدات مسرطنة وتقديم رشاوى مادية وجنسية) وقد اتهم فيها أن يوسف عبد الرحمن (وكيل وزارة الزراعة) .

2 – راندا محمد الشامى (مستشارة فنية بالشركة المصرية لإنتاج وتسويق وتصدير الحاصلات الزراعية) .

3 – هانى مصطفى مدير الوحدة الاقتصادية بوزارة الزراعة .

4 – هشام نشأت (مدير شركة خاصة) .

5 – موريس أريس (فرنسى الجنسية) .
6 – هشام عفيفى مدير إدارة مكافحة الآفات بالإصلاح الزراعى وعدد من الشخصيات التى تعمل بوزارة الزراعة أو مراكز البحوث التابعة لها وبلغ عدد المتهمين 21 متهماً .

والمتهم الأول يوسف عبد الرحمن كان يشغل 14 وظيفة قيادية بوزارة الزراعة وكان يوصف بالولد المدلل ليوسف والى ، وقد شارك والمتهمون الآخرون فى تقاضى رشاوى بالملايين وتسهيل دخول مبيدات مسرطنة ومنتهية الصلاحية للبلاد ، وقال النائب العام فى قرار الاتهام: إن المتهمين ارتكبوا جرائم وجدت هوى فى نفوسهم ، لتحقيق مكاسب خاصة وقد خانوا الأمانة رغم أنهم كلهم فى مناصب قيادية ومتميزة مادياً إلا أنهم أبوا إلا أن ينحرفوا ويرتكبوا جرائمهم .

وقد أصدرت المحكمة برئاسة محمد عزت العشماوى حكمها على يوسف عبد الرحمن بالسجن 10 سنوات وراندا الشامى بـ 7 سنوات وعلى 16 متهماً بين سنة وخمسة أعوام ، وطالب القاضى فى حكمه باتخاذ الإجراءات القانونية ضد يوسف والى حيث ثبتت موافقته على استيراد مبيدات زراعية مسرطنة لها تأثير مُضر على صحة الإنسان ، وقد تم الطعن على الحكم وقبوله وتم المحكمة من جديد أمام دائرة أخرى برئاسة المستشار المحمدى قنصوة الذى أصدر أحكاماً مشابهة تقريباً لأحكام المحكمة الأولى .

ومما يثبت تورط القاضى عادل عبد السلام جمعة فى تلقى رشاوى لحبس مجدى حسين رئيس تحرير جريدة الشعب وصحفيين آخرين بالجريدة ، ذلك البلاغ الذى تقدم به أحمد عبد الفتاح مستشار يوسف والى ومحاميه أمير سالم للنائب العام ، وقد اعترف فيه بخط يده أنه – أى أحمد عبد الفتاح – توسط بين يوسف والى والقاضى عبد السلام جمعة لكى يصدر الأخير أحكاماً ضد مجدى حسين وصحفيي الشعب .

وقال عبد الفتاح : إنه بعد صدور أحكام بالسجن على صحفيي الشعب حدث نزاع على قطعة أرض بين اللواء هتلر طنطاوى وجمعية الأمل كانت مملوكة لوزارة الزراعة وتم فسخ العقد مع هتلر ، وأكد عبد الفتاح أنه توجه للواء هتلر طنطاوى لاتخاذ إجراءات الفسخ ففوجئ بالأخير يهدده بفضح علاقاته مع المستشار عادل جمعة فى قضية "الشعب" وطلب90ألف جنيه رشوة مقابل السكوت وذكر عبد الفتاح أنه تسلم المبلغ من عادل جمعة ثم سلمه لهتلر طنطاوى.

ومن أبرز ما كتب حول قضية جريدة " الشعب " ومعاركها ضد يوسف والى مدافعاً عن الجريدة بعد إغلاقها فى عهد حسنى مبارك ، تلك الدراسة التى نشرتها جريدة الدستور المصرية لـ د. رفعت سيد أحمد بعنوان " قبل أن تحاكموا الصغار حاكموا الجواسيس الكبار " الذى فضح فيها أبرز الجواسيس والعملاء والمطبعين الكبار أمثال : على سالم وأنيس منصور وجلال الزوربا وسعد الدين إبراهيم ولطفى الخولى وعبد المنعم سعيد وهالة مصطفى وغيرهم ، وبالطبع على رأسهم يوسف والى – الذى دمر الزراعة المصرية بامتياز – والذى تسبب فى سجن رموز وطنية أمثال عادل حسين ومجدى أحمد حسين وصلاح بديوى ممن تصدوا لتطبيعه وفساده ! .

* طرحت صحف المعارضة المصرية فى العام 1999 أسئلة حول : هل تتحول مستشفيات جامعة القاهرة إلى حصان طروادة ينفذ منها الصهاينة إلى المؤسسات الطبية المصرية ؟ .. السؤال تفجر بعد إصرار الجامعة وطوال عامين ونصف العام على تجاهل تقارير وشهادات تؤكد أن شركة " نيو تكنولوجى " الأمريكية الجنسية تمتلك مصانع تابعة لها بحيفا المحتلة ، وأن الأجهزة التى وافقت الجامعة على شرائها حسب اعتراف مندوب الشركة الأمريكية منها صنعت فى مصانع صهيونية .

* وفـى تقريـر وثـائقى مهـم لصـحيفة " الأسـبوع " بتـاريخ 1999/12/6 تحـت عنـوان " **القـوائم السـوداء لمؤسسـات التطبيـع مـع إسـرائيل : 263 مؤسسـة مصرية تتعامل مع العدو .. وتبيع دم الشهداء .. أسماء كبيرة جداً علـى رأس القـوائم** " **جـاء فيـه** : انخفضت واردات مصر من العدو الصـهيونى ما قيمته 142.2 مليون جنيه عام 1997 إلى 66.4 مليون جنيه عام 98 ، إلى 29.2 مليون جنيه فى الستة أشهر الأولى من العام الحالى 1999 وهو نفس ما حدث مع الصادرات المصرية إلى الأراضـى المحتلة أيضاً حيث انخفضت من مليار و68 مليون جنيه عام 1997 إلى 454.8 مليون جنيه عام 1998 ، وسجلت فى الستة أشهر الأولى من العام الجارى 1999 ما قيمته 190 مليون جنيه .

ورغـم أن هـذا المؤشـر يتجـه إلـى الانخفـاض باسـتمرار فـإن بعـض المتغيـرات الحكومية التى جرت مؤخراً فى مصر قد أتت بوجوه تطبيعية جديدة فى صدارة صـناعة القـرار التجـارى والاقتصـادى ، ودفعـت بـبعض قـدامى المطبعـين – دفعات جديدة – مكنتهم أكثر من اتخاذ قرارات ذات تأثير أوسع فى هذا المجال ، ولـذلك بـدأ الحـديث يعـود مجدداً عـن التطبيـع الاقتصـادى ومـؤتمرات الشـرق الأوسط الاقتصـادية المشبوهة ، وبدأت الاتصـالات السرية بين رجال الأعمال الصـهاينة وبعض أصـدقائهم مـن قـادة التطبيـع فـى عـالم البيـزنس داخـل مصـر وخارجها فى البلدان العربية .

تمكنـت " الأسـبوع " مـن الحصـول علـى القـوائم الكاملـة للشـركات المتعاملـة مـع العدو الصـهيونى – تصديراً واستيراداً – وهى قوائم حكومية رسمية مسجلة لدى الأجهـزة المختصـة ، وتتضـمن أسـماء الشـركات وأحجـام اسـتيرادها أو تصـديرها مـن وإلـى العـدو بالإضـافة إلـى كشـوف السـلع مفصـلة ومفهرسـة تبعـاً للبنـود الجمركية .

قائمـة الجهات يبلـغ إجمالى الجهـات المتعاملـة مع العدو الصـهيونى فى مصـر 263 جهـة – طبقـاً للحصـر الرسـمى – الـذى أوردهـا دون تفرقـة بـين طبـائع

أنشطتها ، لكنه لم يغفل أن يذكر حجم تعامل كل منها بالجنيه المصرى ، ورغم أن حجم وقيمة ما تستورده مصر من العدو الصهيونى أقل بكثير من صادراتها ، فإن عدد الجهات المصرية التى تستورد من إسرائيل أكثر من الجهات المصدرة ، فهناك 135 شركة ومؤسسة وهيئة مصرية تستورد من إسرائيل بالإضافة إلى 12 جهة أجنبية (سفارات وجهات دبلوماسية ومنظمات دولية) بينما يوجد 108 شركات ومؤسسات تصدر ولا تستورد من إسرائيل و8 مؤسسات وشركات تمارس التصدير والاستيراد فى نفس الوقت .

ويصدم المتصفح لتلك القوائم من وجود أسماء كبيرة وضخمة على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية بل والثقافية على رأس هذه القوائم .

وهناك جهات حكومية رسمية تتعامل تجارياً (تصديراً واستيراداً) مع الكيان الصهيونى من تلك الجهات الهيئة العامة للبترول ، الشركة العربية للاتصالات (هيئة التليفونات) ، وزارة الزراعة ، وزارة الخارجية ، الهيئة المصرية العامة للمستحضرات البيطرية ، معهد بحوث وقاية النباتات ، بالإضافة إلى مؤسستين صحفيتين هما : دار الهلال والشركة القومية للتوزيع.

هناك أيضاً أسماء كبيرة من قطاع الأعمال العام مثل شركات الشرقية للدخان والسجاير وأبو قير للأسمدة والصناعات الكيماوية ومصر لصناعة الكيماويات ، والنصر للكيماويات الدوائية ، النصر للملابس والمنسوجات " كابو " والدلتا للغزل والنسيج ، وطنطا للكتان والزيوت والنصر لتجفيف المنتجات الزراعية وإدفو للأغذية المحفوظة !! وتحفل القائمة بأسماء معروفة فى عالم البيزنس والقطاع الخاص منها : مستشفى مصر الدولى ، النساجون الشرقيون، سوزوكى إيجيبت المصرية لتعبئة الزجاجات " بيبسى "، مصر كافيه ، الشركة المساهمة للتجارة وتصدير الأقطان ، شركة بورسعيد للمنظفات (برسيل) ، المصرية الإيطالية للملابس ، العالمية للالكترونيات الهندسية للإنشاء والتعمير (درة) !! .

ولا أحد يعلم لماذا تهرول كيانات كبيرة من هذه النوعية على التعامل مع كيان مغتصب لا تمثل أسواقه قيمة تذكر مقارنة بأصغر سوق عربية فى منطقة الخليج حتى الشمال الأفريقى!! وعلى الرغم من تهرب المسئولين عن هذه الكيانات من إبداء أى أسباب أو تصريحات حول هذا الموضوع ، فإن عدداً من رؤساء الشركات والمؤسسات التى تقوم بالتصدير إلى الأراضى المحتلة أكد لنا أن صادراته هى لمناطق الحكم الذاتى الفلسطينى بينما تؤكد أوراق الحكومة أنها لإسرائيل .

* تستمر صحيفة الأسبوع فى تقريرها المهم قائلة : هناك نحو 12 جهة أجنبية دبلوماسية داخل مصر تمارس أنشطة تجارية مع إسرائيل رغم أنه لا توجد علاقة مباشرة بين العمل الدبلوماسى الرسمى والعمل التجارى البحت .

من هذه الجهات : سفارات فنلندا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ، وهولندا ، وبلغاريا ، والأرجنتين ، والهند ، وساحل العاج ، وأوزبكستان بالإضافة إلى سفارة العدو الصهيونى ذاتها ووكالة الأمم المتحدة للإغاثة ، والقوة متعددة الجنسيات والمراقبين الدوليين فى سيناء .

أما قوائم السلع المتبادلة فهى طويلة .. طويلة .. طويلة ، وتتنوع بين مستلزمات انتاج وآلات وعدد ، وخامات وسيطة ، ومنتجات تامة الصنع ، وسلع رأسمالية واستهلاكية وأغذية ولوازم بناء المستوطنات (!!) ولوازم تخريب الزراعة المصرية (!!) .

ويستورد أهل التطبيع من إسرائيل نحو 360 سلعة (أو بلغة الجمارك 360 بنداً جمركياً) ، على رأسها المستلزمات والآلات الزراعية والمبيدات الحشرية ومبيدات الحشائش والبذور والشتلات ومستلزمات الرى بالتنقيط والأسمدة والصوبات الزراعية ومستلزمات وفوط وحفاضات الأطفال والمناديل الورقية وكيماويات الصباغة والديوك الرومية والدجاج وألواح الزجاج والصلب وأجهزة الإذاعة والتليفزيون (!!) وأجزاء الميكروفونات وسماعات تضخيم الصوت

والأحذية ذات المواصفات الخاصة والنعال الخارجية والكعوب من المطاط واللدائن وماكينات الخياطة المنزلية وأسلاك التليفونات المعزولة والأسلاك الكهربائية وقضبان الصلب والصهاريج والخزانات والأوعية المصنوعة من اللدائن وأوراق الصحف والمجلات وورق التبغ والخيوط والأثاث !! وعلب صناديق ومجوهرات (التى تعتبر مصر رائدة فى تصنيعها بخان الخليلى) وورق الطباعة والكتابة والصحف ومفاتيح وقواطع الدوائر الكهربائية والمحركات وقطع وكتل الرخام (التى تمتلئ محاجر مصر بها) والسكاكين والنصال القاطعة وأدوات النسيج وألواح الزجاج بسمك من 3سم إلى 5سم (!!) وأجهزة التكييف ومكوناتها(!!) وملابس الغطس المطاطية والإطارات الخارجية للدراجات العادية وآلات حلب الأبقار والتفاح الطازج والأنانس الطازج والمجفف وبروتينات فول الصويا وزيوت البرتقال العطرية وورق الحائط وصناديق النقود والمستندات وما يماثلها من معادن عادية (!!) والمصنوعات الزجاجية المستخدمة فى مختبرات الصيادلة وأجهزة الانذار ضد الحريق والأجهزة الكهربائية الخاصة بإشارات المرور(!!) وأفران الطبخ بالغاز والوقود – التى تنتج المصانع الحربية كميات كبيرة وجيدة منها!! – وهناك سلعتان لافتتان للنظر فى هذا الكم الهائل من السلع الواردة إلينا من الكيان الصهيونى إحداهما : تحت البند الجمركى المسمى (محضرات روائح للطقوس الدينية للتجزئة .. يعنى: بخور!!) .

أما الثانية : فهى تسمى (منتجات ومحضرات أخرى من مخلفات الصناعات الكيماوية !) وهذه السلعة والغريبة والمريبة الأخيرة تم استيراد نحو 33.75 طن منها من العدو الصهيونى خلال الستة أشهر الأولى من العام .. فهل وصل بنا الحال إلى استيراد المخلفات الكيماوية ... ومن أكبر عدو لنا ؟!!

* ويستطرد تقرير " الأسبوع " المهم : أنه رغم اتساع خارطة الصادرات المصرية إلى الأراضى المحتلة فإن هناك بعض السلع المستفزة مثل الأسمنت والحصباء والرمل والحجارة المنقوشة والجبس وكتل الجرانيت .. أى بمعنى أدق

مستلزمات بناء المستوطنات ورغم أن هناك من يقول : إنها أو بعضها يتجه لإعمار المناطق الفلسطينية , إلا أن الكميات الضخمة المصدرة من هذه المواد يستحيل أن تكون للفلسطينيين فقط !!

ويأتى البترول على قمة هرم الصادرات المصرية إلى إسرائيل حيث بلغت قيمة ما تم تصديره من بترول خام نحو 828 مليون جنيه فى عام 1997 وهو رقم كبير جداً بالمقارنة بإجمالى حجم الصادرات المصرية كلها إلى الكيان الصهيونى والتى بلغت فى ذلك العام ملياراً و68 مليون جنيه ، وبالطبع انخفض حجم وقيمة صادرات البترول مع بقية الصادرات المصرية إلى إسرائيل – كما أشرنا من قبل – فوصلت فى العام 1998 إلى ما قيمته 291.5 مليون جنيه بينما بلغت فى الستة أشهر الأولى من العام الحالى 105.6 مليون جنيه , وهناك سلع متنوعة يتم تصديرها لإسرائيل مثل السجاد والخيوط القطن الخام والجلود والخضر والبقوليات والأسماك الطازجة (والتى تعانى مصر نقصاً شديداً منها تعوضه بالاستيراد) والأثاث الخشبى والتليفونات وأجهزة الكاسيت وبذور السمسم والأدوية وفحم الكوك والفحم النباتى والصحف والمجلات وقصب السكر (!!) والصمغ العربى والأرز والبصل المجفف والشيكولاتة والأدوات الطبية والجراحية والضمادات (التى نخشى أن تكون فى خدمة جيش الاحتلال) والضفادع والنحل ، ومن الواضح طبقاً للكشوف التى لدينا أن هيكل الصادرات المصرية إلى إسرائيل يعتمد بشكل أساسى على البترول الذى يشكل ما لا يقل عن 90% من قيمة هذه الصادرات , بينما يعتمد الصهاينة على أسلوب الانتشار فى القاعدة الصناعية والزراعية وأسواق الاستهلاك المباشر لضمان التأثير على مجمل أداء الاقتصاد المصرى فيما بعد .

****

<u>حقبة الألفية (2000-2011) :</u>

تواصل التطبيع الاقتصادى بين إسرائيل ومصر خلال عقد الألفية الأول (2000–2011) ولكنه تأثير بدرجة ما بأحداث الانتفاضة الفلسطينية الثانية (2000) وبالحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان (2006) وبالعدوان على غزة (2008–2009) وفيما يلى رصد لأبرز وقائعه :

<u>1 – عام 2000 :</u>

** فى 2000/2/7 نشرت صحيفة " الحياة " تقريراً عن إجراء مباحثات غير رسمية بين مصر وإسرائيل لتسهيل حركة السياحة(*) بين البلدين وتذليل الصعوبات التى تحد من تدفق السياحة الإسرائيلية لطابا والأماكن السياحية فى سيناء وباقى المقاصد السياحية المصرية .

** وفى سياق متصل بالسياحة ، نشرت الحياة وصحف أخرى أن السياح الإسرائيليين يلجؤون لحيلة غريبة للحصول على أموال من شركات التأمين الإسرائيلية ، فيلجؤون لبيع بعض مقتنياتهم الشخصية مثل آلات التصوير والمسجلات وآلات التصوير السينمائى ويصرون على تحرير محاضر فى أقسام الشرطة وأخذ صورة من هذه المحاضر لتقدمها شركات التأمين فى إسرائيل للحصول على مبالغ تعويض عنها وكذلك الإساءة لسمعة مصر .

** فى 2000/3/19 اتهمت الولايات المتحدة القاهرة بأنها أصبحت نقطة انطلاق لتجارة المخدرات فى الشرق الأوسط والتى يصل جزء منها لإسرائيل وأمريكا الجنوبية وأوروبا واقترحت أمريكا مشروعاً للتعاون بين مصر والأردن والفلسطينيين وإسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة لمكافحة المخدرات بين هذه الدول للحيلولة دون وصولها للأسواق الإسرائيلية ، لأنه على حد التقرير الأمريكى أصبحت المخدرات تشكل خطراً كبيراً على مستقبل الدولة العبرية مع

* تفاصيل العلاقات السياحية بين مصر وإسرائيل خلال الفترة (1979-2011) فى الفصل (الثانى) الباب (الخامس) المخصص عن التطبيع الاجتماعى

انتشار عمليات غسيل أموال المخدرات لكون هذه العمليات غير مجرمة فى إسرائيل .

** نشرت صحيفة " العربى " فى 2000/5/7 تحقيقاً عن وكلاء اليهود فى مصر ، حيث أشار بالتحقيق لأسماء مثل فريد الديب المحامى المعروف وأحمد خيرى أمين الحزب الوطنى بالإسكندرية وعبد المنعم الشربينى ، هؤلاء محامون ورجال أعمال ولكنهم فى النهاية عملوا كولاء لشركات وأشخاص إسرائيليين ويهود فى مصر .وأشار التحقيق لقضية فندق سيسل الذى أممته الدولة عام 1956 بعد طرد اليهودى ألبرت بعد ثبوت خيانته وتعامله مع القوات المعتدية على مصر آنذاك وقد رفع لورثة " جين جيوفانى ميتزجر" المحامى عبد المنعم الشربينى قضية لاسترداد الفندق وكان الفندق سيسلم لهؤلاء الورثة لولا اكتشاف التزوير الذى وقع فى توكيلاتهم للمحامى ، ولم تنته القصة إلا بعد أن أصدر رئيس الوزراء قراراً بضم هذا الفندق التاريخى لهيئة الآثار .ثم تأتى قضية ورثة اليهودى البريطانى "سموحة" والموكل فيها المحاميان أحمد زكى الشيتى وكامل سليمان وقد طالبا بضم 35 عقد إيجار بالإضافة لـ39 شركة ومنشأة وقد تم تمديد أجل القضية .ومن سموحة إلى فريد الديب – محامى الجواسيس – والذى لم يكن معروفاً قبل قضية عزام عزام اشتهر بعدها ثم يأتى أحمد خيرى أمين الحزب الوطنى بالإسكندرية ووكيل شركة زيم الإسرائيلية للملاحة البحرية ، وهذا فى مجال الاقتصاد والتجارة.

***

2 – عام 2001 :

** تعهد وزير البيئة المصرى ممدوح تادرس فى بداية عام 2001 بمساعدة إسرائيل علناً على اختراق أفريقيا أمام حشد كبير فى جامعة بن جوريون ، وأعلن تحالفه مع الصندوق القومى اليهودى المعروف بدوره فى تأسيس المشروع الصهيونى ، وأعلن الوزير أنه أرسل ما لا يقل عن 20 باحثاً مصرياً

لإسرائيل سنوياً للدراسة بالجامعات الإسرائيلية. وكشفت الصحف أن الاتحاد الدولى للأرض القاحلة والذى يتولى الوزير المصرى أحد مقاعده قد أنشىء عام 1990 ، ليكون جسر تواصل بين الإدارة الأمريكية والصندوق القومى اليهودى وذلك لتوفير الاعتمادات المالية لتدريب المطبعين وعقد ورش التدريب وكذلك دراسة كل ملفات المياه العربية بهدف توفيرها فى المستقبل لرى أراضى إسرائيل .

** نشرت صحيفة " العربى " فى 2001/8/19 تقريراً عن التطبيع الزراعى بين مصر وإسرائيل والذى يقف خلفه بقوة يوسف والى – رجل إسرائيل الأول فى مصر – فقد دافع يوسف والى عن التطبيع مع إسرائيل ، وزعم أنه أفاد مصر (وفقاً ليوسف والى) فأصبح موز ويليامز والتفاح الإسرائيلى متوفرين للمستهلك المصرى،وأفادت إسرائيل مصر فى مجال الميكنة الزراعية ونظم الرش الحديثة للأراضى الصحراوية.وأكد والى أكثر من مرة أن مصلحة مصر العليا تكمن فى التعاون مع إسرائيل فى كل المجالات.ولكن – تساءلت الصحيفة والخبراء الزراعيون من خلالها – يا ترى ما الجدوى التى عادت على مصر من ابتعاث 1700 شاب من طلبة كليات الزراعة لتل أبيب وأكثر من 900 مزارع و120 قيادة من وزارة الزراعة.والغريب أن سفر هذه الوفود تزامن مع أحداث مؤلمة للعرب تمثل مذبحة قانا (1996) ، وفى ذات العام سافر أحد قيادات الطب البيطرى لتل أبيب بسبب حمى الوادى المتصدع .

وقد ذكر بعض المبعوثين إلى إسرائيل أن مصر لم تجنِ من إسرائيل سوى الفأر النرويجى والأمراض والحشرات الضارة للفاكهة وهرمونات البودرة والهرمون السائل تومان والمبيدات المسرطنة فضلاً عن سرقة إسرائيل سلالات القطن المصرى ، واحتلالها مكان مصر فى سوق القطن الدولية بسبب تدهور إنتاجه فى مصر بفضل يوسف والى وعصابته .

* وفى ذات العام ذكرت الصحف 2001 أن حادث إطلاق النار بين جنود مصريين وإسرائيليين فى معبر رفح ساهم فى تقليص جزئى لعلاقات التطبيع مع الكيان الصهيونى ، وقد تم إلغاء مشروع التدريب الزراعى المشترك لزراعة الأشجار المثمرة بالمياه المالحة وكذلك بيع البترول المصرى لإسرائيل بالأسعار العالمية وعبر مزاد لأعلى سعر .

* وفى نفس العام أيضاً (2001) دعت نقابة الصيادلة إلى مقاطعة شركة " ليللى " الأمريكية للأدوية لما تقوم به من دور فعال فى دعم المستوطنات الإسرائيلية والترويج لمزاعم محرقة اليهود على يد النازية "الهولوكست" وتعاونها السافر مع وزارة الصحة الإسرائيلية بتقديم أدوية مجانية لسكان المستوطنات .

جاء ذلك فى البيان الذى أصدرته النقابة وقدمت خلاله للصيادلة والمستهلكين بدائل للأدوية التى تنتجها شركة " ليللى " أكثر جودة وأقل سعراً .

وطالبت نقابة الصيادلة أيضاً بمقاطعة شركة " إستى لودر " للعطور ومستحضرات التجميل وجميع الماركات العالمية المملوكة لها ، وتشمل (أداميس) و(كلينيك) و(أفيدا) ومنتجات التجمل (M.A.C) حيث إن رونالد لودر رئيس مجموعة شركات (أستى لورد) هو رئيس مجلس رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى وهى منظمة تضم رؤساء أكبر (53) منظمة يهودية أمريكية .

** وفى العام نفسه نشر بالصحف تحقيق عن قيام الشركة المتحدة للدواجن باستيراد خبز وفطائر مصنعة من الدقيق الأبيض والخميرة والتوابل والملح وذلك من شركة فاداش للفطائر .

** قال " إسرائيل آثر " رئيس مجلس إدارة الصناعات الإلكترونية فى اتحاد الصناعات الإسرائيلية : إن إسرائيل تسعى للتعاقد مع 1000مهندس كمبيوتر مصرى و1000 آخر للعمل فى الصناعات الإلكترونية الإسرائيلية ، لأن

إسـرائيل تحتـاج لهـذا العـدد الكبيـر لإنتـاج بـرامج الكمبيـوتر العربيـة إلا أن الاستجابة ضعيفة رغم الإعلانات الإسرائيلية المكثفة عن هذه الوظائف.

** نشـرت صـحيفة " العربـى " فـى 2001/4/22 أن دراسـة أعـدها مركـز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام والذى يترأسه عبد المنعم سعيد حول التعاون الإقليمى فى الشرق الأوسط .أوضحت الدراسة أن 35% من رجال الأعمال يريدون تحسين العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مصر وإسرائيل ، ولم يتسن التحقق من هذه الأرقام من مصدر مستقبل .

** نشرت صحيفة " العربى " أيضاً فى نفس التاريخ فى 2001/4/22 أن شركة جنرال ديناميكس الأمريكية التى تتولى الإشراف على مركز " نوك " ، وهو مركز مراقبة الاتصالات تعد من أهم شركات التصنيع العسكرى ولها ارتباط وشراكة واسعان مع الكيان الصهيونى ، وقد وقعت الشركة اتفاقاً استراتيجياً مع مؤسسة التصنيع العسكرى الإسرائيلى " رافال " يكون للطرف الإسرائيلى حق الإطلاع على كافة البيانات والمعلومات التى تملكها الشركة .

وقد تعاقدت إسرائيل مع هذه الشركة لتصنيع وتوريد عدد كبير من المدرعات والدبابات فضلاً عن صواريخ " هيدرا 70 " التى تستخدم ضد الفلسطينيين .

***

3 – عام 2002 :

** نشرت صحيفة " آفاق عربية " فى 2002/8/8 أن وزارة الزراعة المصرية تنسق مع الجانب الإسرائيلى لإحياء المنتدى الرباعى الذى يضم مصر وإسرائيل والأردن وفلسطين لوضع استراتيجية للنهوض بالصادرات الزراعية للدول الأربع ، مع محاولة ضم دول خليجية لهذا التعاون بالإضافة للشركات الخاصة فى الدول الأربع لتوسيع نطاق هذا التعاون الزراعى.

* وفى نفس العام (2002) لجأت السفن الإسرائيلية إلى حيلة جديدة للتعامل داخل الموانئ المصرية , قامت شركة زيم باتخاذ بعض الإجراءات لإخفاء هوية

السفن التابعة لها , أزالت الشركة نجمة داود السداسية التى ترمز لدولة إسرائيل , كما أزالت اسم شركة زيم المكتوب بالعبرية والإنجليزية من جسم السفينة والحاويات , كشفت مصدر مسئول بميناء الإسكندرية أن الشركات لجأت إلى مثل هذه الإجراءات بعد اشتعال الانتفاضة وتصاعد الأعمال الوحشية ضد الشعب الفلسطينى , لكى لا تتعرض لأعمال تخريبية ولتجنب رفض عمال الشحن والتفريغ التعامل معها, وكانت إحدى سفن شركة زيم الإسرائيلية قد أثارت أزمة الأسبوع الماضى عندما رفض عمال الشحن والتفريغ العمل بها , وشرح مسئولو الأمن الموقف للعمال وتبين أن السفينة تتبع شركة أوروبية ومؤجرة لشركة زيم , وقام المسئولون عن السفينة بإزالة اسم شركة زيم ونجمة داود السداسية من أعلى جسم السفينة واستبداله باسم الشركة الأوروبية المالكة .

* وفى نفس العام دخلت المقاطعة المصرية للبضائع والشركات الأمريكية والإسرائيلية احتجاجاً على العدوان الصهيونى على فلسطين – مرحلة جديدة بالقرار الذى اتخذته يوم 2002/4/22 جمعية رجال الأعمال المصريين برئاسة سعيد الطويل بوقف جميع أشكال التعامل والاتصال مع الإسرائيليين ، كما قررت الجمعية تبنى الدعوة إلى تحويل رؤوس الأموال العربية من أمريكا إلى الدول الأوروبية ، وفى أقل القليل عدم إيداع أى أموال أخرى فى البنوك الأمريكية ، وذلك بقصد جعل الولايات المتحدة تشعر بالعبء الاقتصادى بسبب اختيارها السياسي المتمثل فى مساندة السفاح شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية الذى يضرب الشعب الفلسطينى وانتفاضته وقيادته بلا هوادة .

وتأتى تحركات رجال الأعمال المصريين المناهضة للولايات المتحدة وإسرائيل استجابة للضغط الشعبى المصرى العارم المطالب بالتصدى للهجمة الصهيونية الشرسة التى تلقى المساندة الأمريكية الكاملة .

* وفى نفس العام طالب نواب برلمانيون مصريون الحكومة المصرية بإغلاق مكتب شركة العال الإسرائيلية وحظر تسيير رحلات للشركة لمطار القاهرة بعد

نشوب مشاجرة بين عشرين راكباً من عرب إسرائيل و7 من أمن الشركة مما أحدث حالة من الفوضى العارمة بمطار القاهرة .

** وفى سياق متصل تسبب موظفو الأمن فى شركة العال أيضاً فى إثارة حالة من الذعر بعدما اشتبهوا فى راكبة أمريكية وأن بحوزتها قنبلة ولكن تبين بعد الفحص أنها تحمل شريط فيديو من نوع " بيتا كام " غير المتداول وشكله مختلف عن الأشرطة العادية .

** وفى سياق متصل ، ولكن هذه المرة بالنقل البحرى ، حيث كشف الربان عاطف المارونى رئيس الشركة القابضة للنقل البرى والبحرى أن 25% من إجمالى حجم تجارة مصر الخارجية فى تلك الفترة يجرى نقلها عبر سفن شركة زيم الإسرائيلية مقابل 5% فقط على السفن المصرية ، ويرجع هذا لحالة التدهور الشديد التى أصابت 65% تقريباً من الأسطول التجارى المصرى .

* وفى العام نفسه لقن عمال ميناء الإسكندرية بحارة إحدى السفن الإسرائيلية درساً فى الوطنية حيث رفضوا أن يكونوا مادة لتسلية الإسرائيليين عندما رفضوا أن يأخذوا علب السجائر التى رماها عليهم الإسرائيليون ، بل وداسوها بأقدامهم وسط حالة من الغيظ انتابت الإسرائيليين .

* وفى 2002 نشرت الصحف المصرية تقريراً عن العمالة الإسرائيلية فى مصر ، لأن وزارة القوى العاملة لا تعترف إلا بالتراخيص والتصاريح الرسمية الصادرة منها. ولكن وجود مصانع استثمارية يملكها إسرائيليون يثير علامات التعجب والدهشة نظراً لأن هذه المصانع تقع فى قلب الدلتا مثل مصنع " الدلتا تكستيل " والذى يملكه رجل الأعمال اليهودى "داف لاوتمان" صاحب النفوذ الكبير فى الدوائر الاقتصادية الإسرائيلية .

وتعتمد الاستثمارات الإسرائيلية فى مصر على العمالة رخيصة الثمن والمواد الخام المصرية أيضاً ثم تذهب الأرباح كاملة للجانب الإسرائيلى والإنتاج عادة ملابس داخلية .

ودعا " لاوتمان " المستثمرين الإسرائيليين لنقل مصانعهم لمصر والأردن مثل مصانع التليفزيونات والتليفونات المحمولة وغيرها نظراً لتقارب الأسواق والعادات حسب زعمه .

** وفى العام نفسه أعدت السفارة الأمريكية تقريراً اعترفت فيه بأن دعوات المقاطعة الشعبية للمنتجات الأمريكية والإسرائيلية والشركات الأوروبية التى تدعم إسرائيل قد جاءت بنتائج سلبية للمصالح والشركات الأمريكية وانخفضت مبيعات المطاعم الأمريكية والبضائع التى تحمل علامات تجارية أمريكية ، وتأثرت التجارة مع مصر وخسرت أمريكا ما يوازى 750 مليون دولار فى فترة الانتفاضة الثانية بسبب المقاطعة الاقتصادية .

** فى السياق ذاته ذكرت صحيفة " الحياة " اللندنية فى 2002/8/28 أن لعنة الكساد أصابت مسحوق الغسيل المعروف باسم " إريال " لأن لجان المقاطعة الشعبية تربط بينه وبين السفاح آرييل شارون فتراجعت مبيعاته بشكل كبير جداً مما حدا برئيس الوزراء المصرى عاطف عبيد بزيارة مصانع شركة بركتور آند جامبل الأمريكية بمصر لتحسين صورة مسحوق الغسيل إريال بالأسواق المصرية .

* وفى العام ذاته (2002) أعلن يوسى نيمان الملياردير الصهيونى أمام حشد من رجال الأعمال فى تل أبيب أن اتحاد رجال الأعمال والغرف التجارية الصهيونى بدأ فى تنفيذ مخطط وضعته كبريات مراكز الأبحاث الإسرائيلية المتخصصة للسيطرة على مناطق الاستثمار العربية بمجالات الصناعات البترولية والتكنولوجيا العالية بالتنسيق مع كبريات الشركات الصهيونية العالمية متعددة الجنسيات ، وأضاف : إن حكومة بنيامين نتنياهو تجرى عبر دوائرها المتخصصة اتصالات مع عدد من الاتحادات والحكومات العربية – بمساندة الإدارة الأمريكية – لإبرام مزيد من الاتفاقات فى هذا الإطار .

من جهة أخرى ، نالت مصفاة تكرير البترول الإسرائيلية – المصرية التى احتفل مؤخراً بتوقيع اتفاقية إقامتها على مقربة من الإسكندرية مباركة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون خلال استقباله الرئيس مبارك ، وأعلنت المجموعة الأوروبية أنها ستوظف 300 مليون دولار استثمارات فى هذا المشروع .

وقالت سفارة إسرائيل بالقاهرة : إن الاتفاق يفتح أمام المنتجين الإسرائيليين إمكانات ضخمة للاستثمار بقطاعات البترول ليس فى مصر فقط .. بل على مستوى العالم العربى ، الأمر الذى وصفه المراقبون بأنه تطور خطير سيؤدى إلى هيمنة رؤوس الأموال الصهيونية على الصناعات النفطية المصرية والعربية.

** وفى العام 2002 أيضاً نُشر تقرير عن نتائج الحملة الشعبية لمقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية ، وذكر التقرير أن شركة كوكاكولا تكبدت خسائر فادحة نتيجة المقاطعة الشعبية لمنتجاتها ، حيث إن الخسائر بلغت أكثر من نصف رأس المال ورغم استعانة الشركة برياضيين مشهورين وفنانين فى حملات إعلامية غير مسبوقة وادعاء الشركة أنها تتبرع لمشروعات خيرية ، فإن نزيف الخسائر مازال مستمراً مما يؤهل الشركة للحاق بسلسلة متاجر سينسبرى البريطانية التى أغلقت أبوابها فى مصر تحت ضغط المقاطعة الشعبية لها .

وفى سياق متصل دعا المؤتمر الشعبى العربى الذى عقد فى دمشق لإقامة محارق للبضائع الأمريكية وإنشاء موقع خاص للهيئة العامة للمقاطعة على شبكة الانترنت والعمل على عقد مؤتمر للإعلاميين العرب لوضع خطة إعلامية للمقاطعة فى أقرب فرصة ، وأكد المؤتمر إلى أن المقاطعة الشعبية ليست موجهة للشعب الأمريكى بل للسياسة الأمريكية .

** وفى سياق غير بعيد نشرت " الصحف المصرية " أيضاً خبراً عن إصدار القضاء الإدارى بحل جمعية القاهرة للسلام وإلغاء أى آثار ترتبت على إنشائها

وأن دعوة هذه الجمعية للسلام وسط بحار الدماء التى تريقها إسرائيل يومياً وتقتل وتعذب الفلسطينيين والعرب والمصريين على الحدود يجعلها تسبح عكس التيار الجارف الرافض لهذا الكيان المغتصب .

** من جانب آخر رفض المسؤولون المصريون فكرة إنشاء مركز أكاديمى مصرى بالأراضى المحتلة على غرار المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر .

* وفى 2002/4/27 نشرت صحيفة " الأهرام " عدة تقارير اقتصادية عن المقاطعة الشعبية للمنتجات الأمريكية وضرورة تفعيلها لضرب المصالح الأمريكية فى المنطقة رداً على مساندة أمريكا اللامحدود لإسرائيل ، وقد رأى خبراء اقتصاديون ورجال الأعمال أنها وسيلة فعالة للضغط بشرط ألا يكون هناك خسائر للاقتصاد القومى خاصة أن مصر تستورد قطع الغيار والمحركات والسلع الاستثمارية الوسيطة فيما أكد خبراء آخرون صعوبة استخدام حظر الصادرات البترولية العربية كسلاح للضغط على الولايات المتحدة إلا فى حالة الإجماع الشامل لجميع الدول المنتجة للبترول .

من جهته قال د. أحمد الغرباوى رئيس جمعية مستثمرى سيوة : إن مفهوم المقاطعة مصطلح اقتصادى لذا ينبغى دراسته جيداً قبل اتخاذه ، فيما أكد مصطفى السلاب رئيس جمعية مستثمرى مدينة العبور أن أصحاب 300 مصنع أكدوا أنه لا يوجد أى تعاون مع الجانب الإسرائيلى وأن المقاطعة نابعة من أخلاقيات الشعب المصرى .

*** وفى العام ذاته نشرت صحيفة " الحياة " اللندنية بتاريخ 2002/5/3 تقريراً مهماً تحت عنوان " سلالة إسرائيلية جديدة لـ " القلاعية " تصيب الماشية .. ونقيب البيطريين يطالب بإقالة وزير الزراعة " جاء فيه** : كشفت منظمة صحة الحيوان " oie " عن ظهور سلالة جديدة من مرض الحمى القلاعية فى قطاع غزة وهو ما يمثل تهديداً للثروة الحيوانية فى مصر خاصة مع بدء الهيئة العامة للخدمات البيطرية فى عمليات تحصين الماشية ضد المرض متأخراً

وبعد أن تسبب فى تدمير الثروة الحيوانية ، وهو ما ينذر بكارثة محققة حال عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة المرض . وقد أكد الدكتور سامى طه – نقيب البيطريين – أن التقارير الصادرة عن منظمة الصحة الحيوانية تؤكد أن هذه العترة ظهرت نتيجة دخول شحنة أبقار من أستراليا إلى قطاع غزة عبر إسرائيل مما نتج عنه دخول المرض إلى إحدى المزارع بالقطاع والقريبة من الحدود المصرية مما نتج عنه ظهور العترة الجديدة ، لافتاً إلى أن ذلك يؤكد أن تصريحات وزير الزراعة المهندس محمد رضا إسماعيل عن مصدر دخول المرض إلى مصر " كلام غير سليم " .

وأضاف نقيب البيطريين أن خطورة ظهور هذه السلالة تكمن فى قرب مسافة المزرعة التى انتشر بها المرض من الحدود المصرية،وذهب نقيب البيطريين إلى أن الحل الوحيد لمقاومة هذه الأمراض هو ضرورة إقالة وزير الزراعة وإنشاء جهاز يضم جميع هيئات الطب البيطرى .

* وفى العام ذاته نشرت تقارير علمية عن الأضرار الكارثية على الزراعة المصرية بعد سماح يوسف والى وجماعته فى وزارة الزراعة باستيراد الأسمدة العضوية الإسرائيلية خاصة بعد انتشار الحشرة القشرية وتدمير محصول قصب السكر وانخفضت انتاجية الفدان من 40 طناً إلى 20 طناً فقط مما ألحق خسائر فادحة بمداخيل الفلاحين المصريين فى صعيد مصر .

يذكر أن اتفاقية كامب ديفيد لم تنص صراحة على التطبيع الزراعى ولكن يوسف والى دأب على رؤية ما لم يره الآخرون وتعامل مع إسرائيل على أنها الصديق والشقيق فدمر عن عمد المحاصيل الاستراتيجية كالقطن وقصب السكر والبقية تأتى .

وفى سياق متصل بالتطبيع الزراعى مع إسرائيل نشرت صحيفة الأنباء الدولية تقريراً عن انهيار الزراعة المصرية وانتشار الأمراض الفتاكة مثل الكلى والكبد والسرطان بين المصريين بعد فتح يوسف والى وزبانيته فى وزارة الزراعة الباب

واسعاً لاستيراد البذور والأسمدة العضوية الإسرائيلية التى تحمل فى تركيبها مواد مسرطنة مدمرة لصحة الإنسان المصرى .

وتساءل النائب عادل عيد ، عمن يحمى يوسف والى وعصابته خاصة بعد إدانة الجنايات له . وقال محسن هاشم – رئيس اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع : إن الشتلات والبذور الإسرائيلية تغزو الزراعة المصرية وكلها مهرمنة ومسرطنة وتسبب القيء والإسهال والمغص الحاد ، علاوة على انتشار مرض الفشل الكلوى والكبدى جراء تناول منتوجات هذه الشتلات والبذور من الفاكهة مثل الفراولة من نوع دوريت وعوافير وشارون والكنتالوب من نوع جاليا والموز من نوع وليامز وغيره من الأنواع الأخرى من المحاصيل الزراعية والفاكهة التى ثبت بما لا يدع مجالاً للشك خطورتها على صحة الإنسان المصرى .

من جانبها أشارت صحيفة الأسبوع فى 2002/9/2 إلى سجن يوسف عبد الرحمن أبرز مساعدى يوسف والى فى التعاون مع الإسرائيليين والذى بدأت العلاقة معهم عام 1983 عندما تعاون مع سيدة إسرائيلية تدعى " إيميليا موسيرى " على علاقة بالموساد لإقامة شبكة معلوماتية بوزارة الزراعة المصرية والحزب الوطنى يستطيع من خلالها تكوين لوبى شبابى مؤيد للتطبيع .

* وفى 2002/12/29 علمت صحيفة " العربى " أن شركات نقل بحرى مصرية قامت بتأجير " العلم المصرى " لخطوط الملاحة الإسرائيلية خلال الأسابيع الماضية لتمكينها من العمل بحرية بين موانىء الإسكندرية وبورسعيد بمصر وحيفا وأشدود بالكيان الصهيونى .

وكشف الجدول الخاص ببيانات الحركة المرسل إلى شركة أراب إكسبريس التى يمتلكها أحمد خيرى أمين عام الحزب الوطنى بالإسكندرية سابقاً من شركة زيم الصهيونية عبر الفاكس أربع رحلات لسفن إسرائيلية دخلت الإسكندرية وبورسعيد وعليها العلم المصرى بعد قيام الشركة الصهيونية باستئجار " العلم " .

وأوضح كاشف الحركة أن أولى الرحلات شهر (ديسمبر 2002) بدأت فى الخامس منه برقم (26) لتصل ميناء أشدود فى اليوم التالى بعد أن استبدلت العلم الصهيونى بالعلم المصرى ، ثم كررت اللعبة بالرحلة رقم 29 لتصل الإسكندرية فى 24 ديسمبر .

وحسب المعلومات التى حصلت عليها " العربى " فإن هذه الشركة سبق وأن أجرت العلم المصرى لشركة الملاحة الصهيونية " زيم " فى الرحلة رقم 28 فى السادس عشر من ديسمبر 2001 والتى غادرت ميناء أنطاليا التركى ويتوقع أن تصل ميناء بورسعيد لاحقاً .

وفى السياق ذاته حصلت " العربى " على جدول آخر يؤكد قيام إحدى الشركات الأردنية بتأجير باخرة تدعى " نجمة العقبة " إلى شركات الملاحة الصهيونية لتقوم برحلاتها تحت العلم الأردنى.

***

4 – عام 2003 :

** نشرت صحف المعارضة المصرية فى بدايات العام أن وزارة الزراعة المصرية مازال ترسل وفوداً لمهندسين زراعيين إلى إسرائيل تحت دعوى التدريب .

يذكر أن خبراء وزارة الزراعة الذين يتصدون للتطبيع ولمؤامرات العدو الصهيونى يتم إبعادهم مع التجاهل التام لتقاريرهم التى يحذرون فيها من مغبة التعاون مع الصهاينة فى المجال الزراعى على صحة ومستقبل الإنسان المصرى ، مثلما كشفه الباحث نصر محمد محمود بمعهد البحوث السمكية بالسويس الذى اكتشف زراعة السمك على ناتج الصرف الصحى بإشراف خبراء صهاينة وعندما رفع تقريره محذراً من خطورة هذه الأسماك على صحة الإنسان تم نقله إلى أسوان .

** فى هذا العام أيضاً وتحديداً فى 2003/8/30 نشرت الصحافة الدولية ومنها صحيفة الحياة اللندنية أن مصر وافقت على بيع الغاز لإسرائيل فى عقد يمتد لمدة عشرين عاماً قابلة للتجديد ، وذلك فى انتهاج واضح للتفاهمات المصرية الفلسطينية بعدم بيع غاز مصرى لإسرائيل بعد رفض الأخيرة لعرض لشراء غاز مستخرج من غزة لاعتبارات سياسية .

***

5 – عام 2004 :

** نشرت صحيفتا " العربى " و" الأهالى " فى ديسمبر 2004 عدة تقارير صحفية عن جمعيات رجال الأعمال المصريين وزياراتهم السرية لإسرائيل للترويج للتطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل عبر مشاريع كبرى وكذلك عبر " الكويز " .

فقد ذكرت "العربى" أن زيارات رجال الأعمال المصريين السرية لإسرائيل ، تهدف لإقامة مساعى إنشاء منطقة تجارة حرة مع إسرائيل وذلك بعد زيارة حسنى مبارك لجنيف 2003 ومقابلته مع سيلفان شالوم وزير خارجية إسرائيل والاتفاق معاً على إقامة " الكويز " مع توالى زيارات رجال الأعمال المصريين بمباركة وزارة التجارة الخارجية بقيادة يوسف بطرس غالى وكان من نتائج هذا التطبيع والتقارب أيضاً الاتفاق على تصدير الغاز المصرى لإسرائيل للمساعدة فى توليد الكهرباء فى إسرائيل عن طريق الغاز المصرى لمدة عشرين عاماً .

ولعب جلال الزوربا عضو لجنة السياسات بالحزب الوطنى ورئيس اتحاد الصناعات المصرية دور العراب والمهندس فى هذا التطبيع ولسان حاله وحال رجال الأعمال المصريين بجمعياتهم المختلفة يقول : لابد أن نجعل السياسة فى خدمة مصالحنا الاقتصادية .

وقد أظهرت اتفاقية " الكويز " دولة الاحتكارات فى مصر من احتكار للسلطة والمال والنفوذ وتشابك هذه المصالح المحرمة على حساب المهمشين والمحرومين من أبناء الشعب المصرى الفقير .

وقد كشفت " الأهالى " أن مشروع الشرق الأوسط الجديد يعود بقوة من خلال اتفاقية "الكويز" ؛ لأنها ستكون الركيزة الأولى لهذه السوق الشرق أوسطية التى تسعى فى النهاية أن تكون إسرائيل هى القوة السياسية والاقتصادية والثقافية الأولى فى المنطقة وستتمكن إسرائيل من السيطرة على العلاقات الاقتصادية العربية ، كما أنها – أى الاتفاقية – وما سيتلوها من اتفاقيات أخرى ستمثل اختراقاً خطيراً للاقتصاد المصرى كما أنها ستعتبر كامب ديفيد جديدة تحقق التكامل الاقتصادى بين مصر وإسرائيل ، وسيكون المستفيد من مجمل هذه الاتفاقات إسرائيل وحفنة من المصدرين المصريين الذين ضاعت ضمائرهم فى سبيل مصالحهم فقط.

** نشرت جريدة " صوت الأمة " تقريراً عن الشركات والبنوك التى اشتراها أجانب فى مصر وأشارت إلى أهم الشركات التى تم بيعها وهى : شركة كلورايد ، شركة المهندس للتأمين ، بنك القاهرة – باريس ، شركة الاسكندرية للصلب ، بنك القاهرة باركليز ، شركة نوباسيد لإنتاج البذور ، بنك مصر العربى الأفريقى ، الشركة المصرية الفرنسية للصناعات وغيرها من الشركات التى بيعت لمستثمرين أجانب بحوالى 17.5 مليار دولار والعجيب أن هذه الشركات تمثل عصب الاقتصاد المصرى نظراً لكونها تعمل فى مجالات متعددة من الاقتصاديين فى المجال الطبى والصناعى والزراعى والسياحى وغيرها من المجالات . المعروف أن هذه الشركات قبل بيعها كانت متعثرة بفعل فاعل ثم ما تلبث وتحقق مكاسب كبيرة بعد بيعها بفترة وجيزة .

** ذكرت جريدة الحياة فى عددها الصادر 2004/11/6 على لسان وزير مصرى رفض ذكر اسمه أن الإدارة الأمريكية أبلغت القاهرة أخيراً ضرورة إنجاز

خطوات محددة لتوضيح جدية اهتمامها باتفاقات تجارية عدة فى مقدمتها اتفاق التجارة الحرة ومن الخطوات المطلوبة أن تظهر القيادات رفضها للنداءات المطالبة بمقاطعة المنتجات الأمريكية على اعتبار أن استمرار تلك النداءات سيضر أكثر بالمصريين ؟ واكتفت الإدارة الأمريكية بتوضيح أن الاتفاقات تأخذ وقتاً للتفاوض .. هذا ويتجه وزير التجارة المصرى وأعضاء فى الغرفة الأمريكية إلى أمريكا لإحياء العلاقات الاقتصادية مع أمريكا وأعلن وزير التجارة أنه سيبحث إمكان توقيع اتفاق المناطق الصناعية المؤهلة " الكويز " مع الجانب الأمريكى .

كما قالت الصحيفة : أحبطت الدول العربية محاولات إسرائيلية لتسريب أدوات تجميل وصبغات شعر تحتوى على مواد مسرطنة لأسواقها وذلك عبر دول ثالثة فى أوروبا والتى من أهمها اليونان وألبانيا وقبرص وهنغاريا ، لتستقر كافة الدوائر الحكومية فى الدول العربية لمراقبة الواردات التى تصل إلى المنافذ الحدودية والمختبرات لفحصها والتأكد من خلوها من المواد المسرطنة وأكد لـ " الشرق الأوسط " مصدر مطلع أن المحاولة الإسرائيلية تأتى ضمن محاولات عديدة خلال السنوات الماضية لتسريب سلع مشعة ومسرطنة للأسواق العربية والتى كان آخرها الساعات المشعة والمسرطنة والأحزمة وغيرها من المواد الغذائية والاستهلاكية.

وقالت الصحيفة : اشترت فايزر الأمريكية للأدوية يوم 2004/6/6 ، 2.82% من أسهم شركة فايزر مصر بإجمالى 186.146 سهماً بسعر السهم 4 دولارات لتكون القيمة الإجمالية للصفقة 744.584 ألف دولار وكانت الشركة قد اشترت 12.2% من أسهم الشركة بقيمة إجمالية 3.225 ملايين دولار ، وبذلك ترتفع حصة فايزر كوربوريشن الأمريكية فى فايزر مصر إلى 99.9% أى كامل الأمركة .

* وفى العام ذاته (2004) طالبت لجنة مؤلفة من خبراء من إسرائيل وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية الحكومة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات فورية لمنع مزارع الأسماك فى منتجع إيلات الإسرائيلى (الذى هو قرية أم الرشراش المصرية المغتصبة من العام 1948) من ممارسة أنشطتها التى تتسبب فى تلوث مياه البحر الأحمر مما يهدد بالقضاء على نوع نادر من الشعاب المرجانية .

وأكد خبراء تابعون لمؤسسة " زالول " الإسرائيلية المهتمة بالدفاع عن القضايا البيئية تضاؤل الشعاب المرجانية بنسبة سبعين بالمائة خاصة تلك التى تعد الأكبر فى هذا الجزء من العالم .

وأوضح الخبراء الأمريكيون والألمان والإسرائيليون أن الفضلات والمخلفات التى تنتج عن مزارع الأسماك الموجودة شمال منتجع إيلات على البحر الأحمر تدمر التوازن الطبيعى المطلوب لبقاء الشعب المرجانية على قيد الحياة والمتمثل فى المياه الدافئة اللازمة لحياة هذه الشعاب .

واقترح الخبراء بمؤسسة زالول إنشاء مزارع صناعية على اليابسة فى أنحاء العالم ونقل المزارع من البحر الأحمر إلى تلك المزارع الصناعية منعاً لحدوث خلل فى النظام البيئى .وذكرت شبكة سى إن إن الأمريكية أن رئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون وعد بإصدار قرار حكومى خلال أسابيع (وهو ما لم يحدث).وجدير بالذكر أن مزارع الأسماك فى إيلات يصل عددها إلى خمس مزارع يصل إنتاجها جميعاً إلى ألف وأربعمائة طن من الأسماك سنوياً .ولا يتوقف الأمر عند كون هذه الشعاب المرجانية النادرة ملاذاً طبيعياً لعدد كبير من الحيوانات البحرية التى قد تصبح حياتها مهددة فى حالة اختفاء هذه الشعاب بل تعد هذه المنطقة من البحر الأحمر من الأماكن الرئيسية جذباً للسياحة حيث تستهوى آلاف السائحين سواء الذين يعشقون الغطس وسط هذه

المناظر الساحرة أو السائحين الذين يشاهدونها من خلال مراكب خاصة ذات قاع زجاجى .

****

6 – عام 2005 :

* فى تقرير للخارجية المصرية أكد أن أجزاء من سيناء أصبحت مزرعة للقمح الإسرائيلى ودور مصر فقط توريد العمال وأكد أن 2252 شخصاً من وزارة الزراعة تدربوا فى إسرائيل حتى أوائل 2005 .

* فى العام 2005 أدلى د. يوسف أبو صفية الوزير الفلسطينى بحديث لشبكة " إسلام أون لاين" اتهم فيه إسرائيل بإغراق السوق الفلسطينية ببضائع ملوثة بإشعاعات ومواد كيماوية مسببة للسرطان ، وغيره من الأمراض الخطيرة التى تلحق الضرر بصحة المواطن الفلسطينى . وكشف عن أن هذه البضائع تصنع خصيصاً للمستهلك الفلسطينى وأسعارها منخفضة . وقال : إن الاحتلال الإسرائيلى يشن حرباً خفية لقتل المواطن الفلسطينى بشكل بطىء والتركيز يكون على المنتجات الغذائية كالخضراوات والفاكهة والبطيخ والشمام والخوخ والمشمش حيث يتم حقنها بمواد كيماوية وإشعاعية .

الوزير الفلسطينى حذر أيضاً من ألعاب الأطفال المنتشرة بالسوق الفلسطينية والملوثة بالإشعاعات .. وكشف عن أن السلطات المصرية ضبطت فى نهاية شهر مارس 2005 على معبر " العودة " التجارى شاحنتي ألعاب للأطفال مصنوعة فى إسرائيل وملوثة بمواد مشعة ومسرطنة .

* وفى العام ذاته وبالصدفة تم اكتشاف ثلاث شحنات أدوية فاسدة مصنعة فى إسرائيل وموجودة بميناء دمياط تم تفريغ 24 حاوية منها وتوزيعها بالأسواق، الغريب أن سبب الكشف عن هذه الكارثة ليس أجهزة معامل التحاليل المصرية ، ولكن الخلاف بين شركة فايزر الأمريكية للأدوية وشركة إليام الإسرائيلية هو الذى كشف عن صفقات الأدوية الفاسدة بميناء دمياط . فقد اتهمت فايزر

الشركة الإسرائيلية بأنها تقوم باستغلال العلامة التجارية لها وتضعها على أدوية مغشوشة ومنتهية الصلاحية بغرض الإضرار بالاسم التجارى لفايزر وتقوم الشركة الإسرائيلية بتوزيع هذه الأدوية فى الاسواق المصرية والعربية .. ومؤخراً قامت السلطات السعودية برفض دخول شحنة مستحضرات تجميل منتهية الصلاحية .

وقام النائب محمد خليل قويطة بتقديم طلب إحاطة عاجل لرئيس الوزراء يكشف تفاصيل الصفقة المشبوهة حيث تقوم شركة (إليام) بطرح أدوية مغشوشة وغير مطابقة للمواصفات وتحمل العلامة التجارية لشركة فايزر الأمريكية وتدخل تلك الشحنات إلى السوق المصرية على أنها منتجات أمريكية .

** مصر والأردن وموريتانيا يقاطعون مؤتمراً لمقاطعة إسرائيل !! فقد نشرت جريدة العرب فى 2005/5/3 هذا الخبر ومفاده أن المؤتمر العربى لضباط اتصال المكاتب الإقليمية للمقاطعة فى الوطن العربى والذى كان سيعقد فى دمشق فى 23 مايو 2005 ستغيب عنه مصر وموريتانيا والأردن!! .

** ونشرت صحيفة الحقيقة خبراً فى نفس السياق فى 2005/10/1 عن تصريح اللجنة الفلسطينية لمقاومة التطبيع طالبت فيه قطر وتركيا بالتوقف عن لعب دور سمسار التطبيع مع إسرائيل وتشجيع هاتين الدولتين لباقى الدول العربية بإقامة مكاتب تمثيل اقتصادى واتصال سياسى مع إسرائيل لمجرد انسحابها من غزة .

وقال المصدر الفلسطينى : إن الهرولة نحو التطبيع مع إسرائيل هى بيع للقدس بثمن بخس ودعا الشعوب العربية للضغط على حكوماتهم للعدول عن تسريع وتيرة التطبيع مع إسرائيل .

** **نشرت صحيفة " العرب " فى 2005/5/24** تقريراً عن التطبيع ومزاعم المناوئين لمقاطعة التطبيع وحججهم الواهية حيث أشار التقرير لحملة إعلانية ضخمة نشرته ميكروسوفت فى إسرائيل تشكر من خلالها القوات الإسرائيلية

لحربهـا علـى الإرهـاب المزعـوم. وتسـاءل التقريـر هـل نسـتطيع الطلـب مـن ميكروسوفت أن تضع إعلانات مماثلة تشكر فيها القوات المصرية أو السعودية أو الأمريكيـة لحربهـا علـى الإرهـاب أم أن الحجـة هنـا سـتثار مـن أن أجـواء الاستثمار ستتأثر من مثل هذا الإعلان .

وأشار التقرير لنجاح فعاليات المقاطعة التى انطلقت بقوة بعد الانتفاضة الثانية عـام 2000 وقد سجلت الأرقام حقيقة الخسائر الفادحة التى طالت الشركات الأمريكية والإسرائيلية خاصة بعد تحول المستهلك العربى لمنتجات من شركات غير أمريكية .

وتعيد المقاطعة للشركات الأمريكية من العوامل التى تخفف العبء عن الميزان التجارى لدولتين مثلاً مثل مصر وتونس ؛ لأنه يخفف من عجز هذا الميزان التجارى كثيراً بعد تقليص الاستيراد من الولايات المتحدة .

يذكر أن شركات غربية كبرى انسحبت من الأسواق العربية بعد معاناتها من خسائر فادحة بسبب فاعلية سلاح المقاطعة الشعبية لهذه الشركات الداعمة لإسرائيل .

** " إحياء التطبيع على شاطىء البحر الميت " كان عنوان موضوع صحفى نشرته "الأهالى" فـى 2005/5/25 وقد ألقـى الضـوء علـى مؤتمر " دافـوس " الاقتصـادى الـذى عقد بـالأردن فـى البحـر الميـت الـذى سـيكون بدايـة تعـاون اقتصـادى كبيـر بـين الأردن وإسـرائيل والسـلطة الفلسـطينية عبـر قنـاة " البحـر الميت " .

وذكرت الصحيفة أن منتدى دافوس بات يضم أكبر الشركات عابرة القارات فى العـالم وقد عقد تحـت عنـوان اغتنـام الفـرص والمقصـود طبعـاً الـدول العربيـة؛ ليصـب فـى النهايـة نحـو تطبيـع اقتصـادى كامـل مـع إسـرائيل وقـد شـارك فـى المؤتمر وفود عربية عديدة وعمرو موسى أمين عام الجامعة العربية وشيمون بيريز ولكن كان اللافت مشاركة د. على السمان ممثلاً للأزهر الشريف .

وقد قدم الاتحاد الأوروبى اتفاقية للأردن وفلسطين وإسرائيل وفتح الأبواب لمنتجاتهم فى 40 دولة أوروبية ، وهى اتفاقية قريبة من الكويز والتى تضم مصر وإسرائيل والولايات المتحدة . وقد شهد مؤتمر منتدى دافوس الإعلان تفصيلياً عن اتفاقية تصدير الغاز المصرى لإسرائيل.

** نشرت وسائل الإعلام المصرية تقريراً عن أصحاب مصانع النسيج الذين اشتركوا فى اتفاقية " الكويز " وأشار التقرير إلى أن أصحاب هذه المصانع مهددون بالإفلاس بسبب ارتفاع أسعار مستلزمات الإنتاج الإسرائيلى المنشأ مع مثيلتها من تركيا والصين وماليزيا وغيرها .

وقد أوضح حمدى أبو العينين صاحب أحد مصانع الملابس ووكيل الغرفة التجارية بالقليوبية أن صناعة الملابس المصرية تواجه منافسة شرسة من منتجات الصين .

وقال أبو العينين : إن بعض المنتجات التى كنا نستوردها من تركيا اتضح أنها من مصانع أصحابها مستثمرون يهود يعيشون فى تركيا .

وفى سياق متصل قررت الإدارة الأمريكية استبعاد أربع شركات مصرية من " الكويز " بسبب اعتراضها على أسعار التوريدات الإسرائيلية ، يأتى هذا فى خضم الغضب العارم من أصحاب شركات النسيج والملابس بسبب الخدعة الكبرى التى ساقتها لهم الحكومة المصرية بعد أن وعدتهم أن اتفاقية الكويز ستكون فاتحة خير كبير عليهم ولكنهم حصدوا المر من " الكويز " ومن أمريكا وإسرائيل .

** نشرت صحيفة " صوت الأمة " فى 2005/6/13 رداً من جمعية رجال الأعمال برئاسة جمال الناظر بشأن زيارتها لإسرائيل ، وقد جاء فى الرد أن وفد جمعية رجال الأعمال عندما يذهب لإسرائيل فإنه يقدم تقارير للجهات الأمنية بعد عودته عن سيطرة إسرائيل علينا ونحن الذين تفوقنا عليها فى حرب 1973

وأثبت العامل المصرى تفوقه على نظيره الإسرائيلى فى مجالات عديدة فالذى يجب أن يخشى هم لا نحن .

وقد ردت عليه صوت الأمة متسائلة : هل يفضل رجال الأعمال المتعاملون مع إسرائيل التنسيق مع الأجهزة بدلاً من التنسيق مع وزارة الخارجية والقنوات الدبلوماسية ، ثم إن رجال الأعمال المصريين يخفون حقيقة صفقاتهم مع الإسرائيليين عن السفارة المصرية فى إسرائيل ، حتى المكتب التجارى المصرى فى تل أبيب يأخذ معلوماته من الجانب الإسرائيلى بسبب رفض رجال الأعمال المصريين تزويده بأى معلومات عن حجم أنشطتهم مع الإسرائيليين . وسألت الصحيفة جمال الناظر عن الاستفادة التى ستعود على مصر والمصريين وبالأرقام من التطبيع مع إسرائيل .

** نشرت صحيفة " العربى " فى 2005/6/19 أن جمال مبارك رئيس لجنة السياسات بالحزب الوطنى الحاكم أرسل صديقه الشخصى جلال الزوربا لتقديم أوراق اعتماد جمال مبارك فى إسرائيل كحاكم مقبل لمصر خلفاً لوالده .

وكان جلال الزوربا والسفير حسن عيسى قد سافرا على رأس وفد اقتصادى للمشاركة فى مؤتمر بجامعة تل أبيب لمناقشة تفاصيل التطبيع فى المجالات الصناعية والزراعية والسياحية والسياسية وسائر المجالات . هذا فى الوقت الذى ضغطت فيه الحكومة المصرية بقوة لتنفيذ اتفاقية تقدير الغاز المصرى لإسرائيل عبر اتفاقية سياسية تلزم مصر بتصدير الغاز فى كل الظروف السياسية ، بعدما أبدت إسرائيل مخاوفها من احتمال سقوط النظام المصرى فى أى وقت. وتبلغ مدة الاتفاقية عشرين سنة بقيمة ثلاثة مليارات دولار عبر شركة شرق المتوسط وهى شركة مملوكة لرجل الأعمال المقرب من مبارك، حسين سالم .

يذكر أن الحكومة المصرية لم تعرض اتفاقية تصدير الغاز على مجلس الشعب خوفاً من رفضها .

وقد طالب جلال الزوربا – ممثل جمال مبارك فى الندوة الاقتصادية التى عقدت بجامعة تل أبيب – بضرورة فتح الأبواب على مصراعيها بين مصر وإسرائيل .

وقد كشف تقرير للخارجية المصرية أن 2252 شخصاً من وزارة الزراعة المصرية تدربوا فى إسرائيل وتم إرسال 5000 من عمال النسيج بزعم التدريب .

وقد طالبت الندوة الاقتصادية بتحويل سيناء لمنطقة زراعية بأموال وخبرات إسرائيلية وبأيد عاملة مصرية وهو نفس ما طالب به هنرى كيسنجر قديماً ، كما طالب الزوربا بفتح الآفاق الاقتصادية ومد جسور التعاون المكثف فى كل الأصعدة بين مصر وإسرائيل .

** نشرت صحيفتا " العرب " و" القاهرة " فى 2005/6/28 تقريراً عن اقتراحات مصر وإسرائيل بتعديل بعض البنود الأمنية فى اتفاق كامب ديفيد وقد طالب شارون بتغيير معاهدة السلام على الأرض دون توقيع على وثائق ولكن الجانب المصرى رفض وطالب أن يتم ذلك رسمياً وبوضوح حتى لا يتراجع أحد وذلك تمهيداً للخروج الإسرائيلى من غزة والترتيبات الأمنية المصرية لتولى حفظ الأمن على الحدود المصرية الفلسطينية لمنع وصول السلاح والفدائيين لقطاع غزة أو للأراضى الفلسطينية كلها ، وطالبت مصر بنشر 800 جندى مصرى من سلاح حرس الحدود على محور صلاح الدين مع نقل معبر رفح ليصبح فى الحدود الفلسطينية مع نقل معبر إيريز والمنطار مع وجود 3500 جندى مصرى على طول الحدود من طابا حتى رفح ولكن إسرائيل أبدت تحفظها على هذه الطلبات ومارست ضغوطاً شديدة على مصر لتليين مواقفها .

** وفى سياق متصل نشرت جريدة العربى المصرية فى 2005/7/3 تقريراً عن خطة كونداليزا رايس وزيرة خارجية أمريكا لتطبيق ما يسمى بالتطبيع الساخن بعد الإعلان عن النية لإقامة مشاريع اقتصادية ضخمة تتركز على

مجالات الصحة والبيئة والتجارة والزراعة ، وهو ما يتيح فتح باب التطبيع على مصراعيه بين إسرائيل والدول العربية لاسيما الخليجية وبعد أن تنسحب إسرائيل من غزة نهائياً ، لكى تحسن صورتها أمام العرب ، ليجد حكامهم مسوغاً للتطبيع والتعاون الاقتصادى معها دون خجل أو مواربة.

** جلال الزوربا رئيس اتحاد الصناعات فى مصر أم فى إسرائيل ، كان هذا عنوان موضوع صحفى نشرته روزاليوسف فى 2005/7/16 وقد جاء فيه أن الزوربا نفى أن يكون الجانب الإسرائيلى قد سبب أى مشاكل فى تطبيق اتفاق الكويز وأن الجانب المصرى هو من يتحمل هذه المشاكل لأسباب فنية ، وذكر التقرير أن الزوربا يغازل الجانب الإسرائيلى ليفتح مجالاً واسعاً لشركاته المتخصصة فى الغزل والنسيج وصناعة الملابس حتى يكون لها موطيء قدم فى السوق الأمريكية والتى تسيطر عليه إسرائيل بالكامل ، رغم أن الشركات والتجار المصريين قد اشتكوا من ارتفاع أسعار المكون الإسرائيلى فى مستلزمات الإنتاج فى الغزل والنسيج مقارنة بمثيلاتها من دول شرق آسيا ولكنه تجاهل هذا وأطلق تصريحه الغريب ، لأنه المستفيد الأول هو وشركاته من اتفاق الكويز مع الجانب الإسرائيلى والأمريكى .

** نشرت صحيفة " المصريون " فى 2005/7/17 أن حلقة نقاشية عقدت فى الجامعة العبرية بتل أبيب تحت عنوان " العلاقات الاقتصادية الإسرائيلية المصرية .. أفق جديد " وقد أوصت الندوة بتنمية المناطق الحدودية فى سيناء عبر المشروعات الآتية:

- إنشاء سلسلة من مراكز تحلية المياه وتوليد الطاقة .
- استثمار مياه ترعة السلام عبر تشييد مستوطنات وتجمعات زراعية وصناعية وسياحية .
- إقامة مناطق تجارية حرة مشتركة فى رفح وطابا .

اشترك فى الندوة ضباط موساد سابقون مثل العميد متقاعد صموئيل بوهريز– المنسق فى اللجنة الزراعية المصرية الإسرائيلية ومدير وزارة الزراعة الإسرائيلية – وزيفى هرمان مدير سينادكو وهو مشروع للتعاون الدولى الغرض منه التجسس ، وقد أعلنت جهات سيادية أنه خلال العقدين الماضيين وفى عهد يوسف والى تم إرسال أكثر من 15 ألف فلاح ومزارع مصرى تحت ستار التدريب لإسرائيل مما سهل لإسرائيل التعرف على أدق تفاصيل الزراعة المصرية .

** ونشرت صحيفة " المصريون " أيضاً فى 2005/7/21 أن شركة الكهرباء الإسرائيلية وشركة شرق البحر المتوسط وقعتا عقداً لتصدير الغاز لإسرائيل ، وقد أكدت الشركة الإسرائيلية أن أسعار تصدير الغاز المصرى لإسرائيل تعد الأدنى فى العالم وأن الشركة ستوفر أكثر من 4 مليارات دولارات لإسرائيل طوال فترة العقد ومن المنتظر أن يتم تصدير 1.7 مليار متر مكعب من الغاز لإسرائيل سنوياً .

** نشرت وسائل الإعلام فى نفس العام (2005) تقارير عن مشروع " كمبيوتر لكل بيت " الذى تتبناه وزارة الاتصالات وإصرار الوزارة على التعاقد مع شركة إنتل التى تملك مصنعاً فى إسرائيل بأسعار عالية جداً مع توافر البديل المحلى أو من الشركات العالمية الأخرى مثل "AMD" أو VIA أو شركة " سيركس " التايوانية وغيرها من الشركات التى تقدم أسعاراً أقل بكثير من إنتل ، وقد رد مسؤولو الوزارة عندما سئلوا لماذا الإصرار على إنتل ؟ فأجابوا بأنه لا يوجد بديل لهذه الشركة وهى حجة واهية ، وسوف تشترى الوزارة الويندوز من ميكروسوفت رغم توافر البديل المجانى من الانترنت مثل " اللينكس " . يذكر أن انتل وميكروفوست من أكبر الداعمين الدائمين لإسرائيل .

** نشرت صحيفة العربى فى 2005/7/17 خبراً عن زيارة وفد زراعى إسرائيلى إلى مصر لبحث سبل تطوير التعاون بين البلدين ، وذكرت الإذاعة

الإسرائيلية أن الوفد الإسرائيلى برئاسة " دان لفانون" كبير علماء وزارة الزراعة الإسرائيلية .ونقلت الإذاعة عن فؤاد أبو الدهب نائب وزير الزراعة المصرى قوله : انتهينا من وضع جدول زمنى لتنفيذ مشاريع زراعية مشتركة بين مصر وإسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية.

** ذكرت مجلة " الموقف العربى " فى عددها رقم 171 الصادر بتاريخ 2005/8/9 أن إسرائيل تعمل جاهدة للقضاء أو على الأقل التأثير الشديد على صحة المصريين عن طريق المبيدات المسرطنة التى أدخلتها مصر بمساعدة بعض رجال الأعمال غير الوطنيين للتأثير المباشر على صحة المصريين وإصابة البنية المصرية فى مقتل ، وكذلك التأثير الفاعل على خصوبة المصريين .هذا ما كشف عنه تقرير صادر للشبكة الدولية لتأثير المبيدات " ألبان " وهى منظمة عالمية تتخذ من الفلبين مقراً لها ، حيث أكدت أن وزارة الزراعة المصرية استوردت من شركات إسرائيلية 12 نوعاً من المبيدات الزراعية تعرف عالمياً بدستة الأشرار لأنها تسبب السرطان والعقم كما أنها السبب الرئيس فى تشوه الأجنة وتتسرب للمياه الجوفية فتسبب تسمم المياه .

** نشرت وكالة " هلا " الإعلامية أن جهات أمنية مصرية حذرت من سعى رجال أعمال إسرائيليين للحصول على مساحات شاسعة من الأراضى المصرية على سواحل البحر الأحمر فى شرم الشيخ والغردقة ورأس محمد وطابا بنظام حق الانتفاع لمدة 25 عاماً بأسماء مواطنين مصريين مقابل مبالغ مالية بغرض إنشاء قرى ومنتجعات سياحية وفنادق ، كما تمكن رجال الأعمال الإسرائيليون من شراء عدد من المنشآت السياحية بعد عرضهم أسعاراً خيالية على أصحابها ثم قيامهم باستبدال العمالة المصرية بعمالة إسرائيلية .

وأوضح مصدر مسئول فى وزارة التجارة أن هذا القرار يأتى ضمن سلسلة خطوات أثبتت فشل اتفاقية " المناطق الصناعية المؤهلة – الكويز " حيث لم تستفد من الاتفاقية حتى الآن إلا أقل من 20% من الشركات المصرية

المسجلة فى هذه المناطق والبالغ عددها 471 شركة كما أن قيمة الصادرات المصرية للسوق الأمريكية لم ترتفع ، على عكس كل الوعود الحكومية التى ثبت كذبها بعد ذلك ، والتى حاولت تمرير الاتفاقية والتغلب على الاعتراضات الشعبية عليها بالادعاء بأنها ستفتح هذه السوق أمام الصادرات المصرية لتتجاوز مليارى دولار فى قطاع الغزل والنسيج وحده .

وكشف المصدر أن الشركات الأربع رفضت الأسعار المرتفعة التى حاول الجانب الإسرائيلى توريد المدخلات بها مستفيداً من أن الاتفاقية تشترط وجود مكون إسرائيل فى المنتج المصرى الذى يسمح بنفاذه إلى السوق الأمريكية وبنسبة لا تقل عن 11.5% .

وأضاف المصدر أن الإدارة الأمريكية عاقبت هذه الشركات التى رفضت الرضوخ للشروط الإسرائيلية باستبعادها لفترة ثلاثة أشهر بدأت من 15 نوفمبر 2004 .

* وفى العام ذاته رفض مستثمرون مصريون الشروط الإسرائيلية للسماح لهم بدخول غزة للمشاركة فى ندوة مصرية فلسطينية مشتركة "اشترطت إسرائيل الحصول على تأشيرتها قبل السماح بالدخول للأراضى الفلسطينية .

وقال نبيل فريد حسنين رئيس غرفة الصناعة الهندسية : إن عدداً كبيراً من الوفد المصرى المشارك فى أعمال الندوة التى كانت تعقد بمدينة غزة فى يوليو 2005 أعلنوا رفضهم الحصول على تأشيرة إسرائيلية مؤكدين ضرورة الحصول على تأشيرة فلسطينية وليست إسرائيلية.

وأضاف : إن الوفد سيدخل أراضى السلطة الفلسطينية الوطنية من خلال معبر رفح مطالباً بتوفير حرية الانتقال بين مصر وفلسطين, شأنها فى ذلك شأن الدول العربية الأخرى دون تدخل قوات الاحتلال الإسرائيلى.

وأكدوا أن التأشيرة الإسرائيلية على جوازات سفرهم تهدد بفقدانهم الأسواق العربية التى ترفض التعامل مع مؤيدى التطبيع مع إسرائيل ومن يحملون جوازات السفر أو تأشيرات إسرائيلية.

وأوضح أن الجانب الإسرائيلى حاول الالتفاف على رفض المستثمرين الإسرائيليين المصريين من خلال اقتراح إدراج الأسماء المشاركة فى أعمال الندوة فى كشوف خاصة ، ويتم ختمها بالأختام الإسرائيلية للسماح لهم بدخول مدينة غزة , مؤكداً أن هذا الاقتراح يزيد من شعورنا بالمهانة ويدعم التوجهات الإسرائيلية بغياب الدولة الفلسطينية وعدم الاعتراف بها.

** " المصدرون المصريون يتنافسون على تصدير الحاصلات الزراعية خاصة الأرز إلى إسرائيل " جاء هذا فى سياق تقرير الهيئة العامة للرقابة على الصادرات والواردات المصرية فى العام 2005 ، أنه تم تصدير 7375 طناً من الأرز المصرى لإسرائيل بنسبة تزيد عن 90% عنه فى العام الماضى ، وتمثل إسرائيل المرتبة 21 وفلسطين المرتبة 17 فى قائمة الدول المستوردة للأرز المصرى .

ونشرت الصحف أيضاً أن مصدراً إسرائيلياً رفيع المستوى صرح لموقع " نيوز فرست كلاس " العبرى أن مصر وإسرائيل فى سبيلهما لإقامة خط حديد يربط بين القاهرة وتل أبيب تحت مظلة فكرة قطار الشرق وأن هناك مشروعات عديدة فى سيناء لخدمة التجارة البينية بين مصر وإسرائيل واتفاقية الكويز وستكون مرحلة هذا الخط الحديدى الأولى بين القاهرة وغزة ثم تمتد لتل أبيب .

* كشفت دراسة صهيونية صادرة عن معهد الصادرات الإسرائيلى – يونيو 2005– نشرت على الموقع الإلكترونى للمعهد عن خطط إغراق الأسواق المصرية والعربية بالسلع الإسرائيلية .

المعهد قام بتوزيع دراسة على المصدرين الإسرائيليين لتوضيح حجم التبادل (التطبيع) التجارى بين الكيان الصهيونى والدول العربية .

وتـأتى مصـر فـى مقدمـة الدراسـة إذ يـرى الإسـرائيليون أن مصـر دولـة جاذبـة للإستثمار ، لما تقدمه من مزايا للاستثمارات الأجنبية , لذلك قاموا بإنشاء أكثر من 20 شركة فـى المدن الصـناعية الجديدة فى مصر, وتمكن الصـهاينة من جذب 135 تاجراً مصرياً ليقوموا بتوريد وتهريب السلع الإسرائيلية إلـى السوق المصرية بعد التلاعب فى وثائق وعلامات المنشأ بمعاونة شركات شحن وتوريد من أنصار التطبيع مع الكيان الصـهيونى , وارتفعت نسبة التصدير الإسرائيلى إلـى مصـر فـى الربـع الأول مـن العـام الحـالى بنحـو 72% بالمقارنـة بالعـام الماضـى؛ حيـث بلغـت قيمـة الصـادرات 10 ملايـين دولار, ويعمـل حاليـاً فـى مصر 123 مصدراً إسرائيلياً ويراهن الإسرائيليون – كما أشارت الدراسة– على الاستثمار فـى مجـالات صـناعة البلاستيك والمعدات الزراعيـة والطبيـة وأجهزة التكييف ومواد البناء ومعدات المناجم وأجهزة الكمبيوتر فى مصر ليصل حجم صادراتهم مع بداية عام 2006 إلى 200 مليون دولار.

وأشار المعهد التصدير الإسرائيلى فى دراسته إلـى أنـه فـى أعقاب بدء العمل باتفاقية (الكويز) مع مصر سعى المعهد لتفعيل مركز لمتابعة الموضوع, وقام المعهد بتشغيل (خط ساخن) للاتصال بين المصدرين الإسرائيليين والسفارة بالقاهرة لمتابعة خطط وحجم التبادل التجارى مع مصر , كما يسعى المعهد لتنظيم لقاء دولى للأعمال بين المصدرين الإسرائيليين والمصريين فى سبتمبر المقبل.

وأوضـحت الدراسـة إن إسـرائيل تـدرك حقيقـة عـدم قبـول منتجاتهـا فـى الأسـواق المصرية , لذلك فهى تسعى للالتفاف حول المقاطعة الشعبية للسلع الإسرائيلية عن طريق تهريب تلك السلع عبر الحدود المصرية والقيام بتغليفها بأغلفة خاصة بعد إزالة أى علامات أو أحرف تشير إلى أنها إسرائيلية.

أما عن الأردن فقد أكد المعهد الصهيونى أن القطاع الصناعى فيه ينمو بشكل ملحوظ مشيراً إلـى أن الصـادرات الإسـرائيلية لـلأردن بلغـت حـوالى 40 مليـون

دولار خاصة مع وجود 1800 مصدر إسرائيلي داخل الأردن , وأكدت الدراسة وجود فرصة كبيرة لزيادة التعاون بين الأردنى – الإسرائيلى وزيادة الصادرات الإسرائيلية للأردن وتضم هذه الصادرات الأسمدة والمواد اللازمة لصناعة الكيماويات والآلات والمعدات , فإسرائيل تعتبر الأردن ترانزيت لدخول سلعها لدول الخليج العربى .

أما الإمارات العربية فتشير الدراسة إلى أن هناك إمكانية كبيرة لتصدير إلى أسواقها رغم قلة عدد سكانها ؛ لأن وارداتها تصل إلى حوالى 30 مليار دولار إلى جانب ارتفاع مستوى المعيشة بها وزيادة القدرة الشرائية لسكانها , كما ينظر الإسرائيليون إليها كمعبر لهم للأسواق الخليجية وباقى الدول العربية والهند وربما إلى إيران.

وتشير الدراسة لإمكانية حصول الإسرائيليين على نصيب كبير من فتح باب الخصخصة فى مجال البنية التحتية للإمارات خاصة فى مجال الكهرباء والمياه والبترول والغاز الطبيعى وتراهن الدراسة على زيادة صادراتهم إلى الأسواق الإماراتية بحوالى 400 مليون دولار فى الفترة المقبلة.

ونصحت الدراسة الإسرائيليين بوضع عيونهم على منطقة التجارة الحرة فى البحرين من أجل دخول الأسواق السعودية عبرها بطريق البر لأنهم يدركون أن السعودية هى الشريك التجارى الأول للبحرين ويطمع الإسرائيليون فى أن يكون لهم وكلاء تجاريون لشركاتهم فى البحرين وذلك للفوز بعقود تجارية وعقود للمشروعات الكبرى التى أعلنت عنها البحرين.

أما الكويت فإن التصدير الإسرائيلى لها يكمن فى مجال صناعة البترول والخدمات المتعلقة بها والاتصالات والخدمات الإدارية وأجهزة التكييف وأجهزة المراقبة وقياس الجودة وقطع غيار السيارات والأدوات الرياضية .

* فى يوليو 2005 تحدثت صحيفة " معاريف " عن علاقات البيزنس بين رجال الأعمال الإسرائيليين ونظرائهم فى مصر مشيرة إلى أن شركة " تفرون "

وهى من كبرى شركات صناعة الملابس الداخلية فى إسرائيل قررت نقل جزء كبير من خطوط إنتاجها إلى مصر .. وفى سبيل ذلك أقالت الشركة نحو 150 عاملاً لديها وبذلك تنضم شركة " تفرون " إلى شركة " دلتا " الإسرائيلية التى تعمل فى مصر منذ سنوات طويلة كإحدى شركات النسيج الإسرائيلية العاملة فى مصر . وأضافت الصحيفة أن المصنع الإسرائيلى الجديد فى مصر سيقوم بتشغيل نحو 500 شاب من الشباب المصرى العاطل فى حين تشغل شركة " دلتا " الإسرائيلية نحو أربعة آلاف عامل مصرى . وأوضحت الصحيفة أن رخص اليد العاملة المصرية هى من أبرز الأسباب التى دفعت الشركات الإسرائيلية إلى نقل خطوط إنتاجها إلى مصر ؛ حيث يحصل العامل المصرى ذو الخبرة العالية على نحو 60 دولاراً شهرياً فى حين يحصل نظيره الإسرائيلى على عشرة أضعاف هذا الرقم ويتراوح راتبه ما بين 750 إلى 850 دولاراً شهرياً .

هذا ويتوقع الخبراء الاقتصاديون الإسرائيليون أنه بسبب التعاون مع مصر سوف تزيد مبيعات النسيج والملابس الجاهزة الإسرائيلية خلال عام 2005 بنحو 8% حيث حققت المبيعات خلال العام الماضى ما قيمته 27.2 مليار دولار .

كما نشرت " معاريف " و" هاآرتس " تفاصيل زيارة وفد اقتصادى مصرى رفيع المستوى برئاسة جلال الزوربا لإسرائيل بصحبة السفير المصرى حسن عيسى رئيس النادى الدبلوماسى ووفد من رجال الأعمال والأكاديميين وعدد من خبراء وزارة الزراعة ومنهم د.عقيلة حمزة مديرة صندوق الرعاية الحيوانية بوزارة الزراعة المصرية ، وزميلها د.محمد الشناوى معهد الدراسات الحيوانية ، ود. أحمد طاهر معهد بحوث الأراضى والمياه ، وكذلك د.ليلى نبهان مديرة التسويق بإحدى الشركات السياحية الكبرى المتعاملة مع خطوط طيران العال الإسرائيلية ، ومحاضر مصرى آخر فضلت إدارة المؤتمر ترك اسمه سراً !! وقد ذهب

هؤلاء للمشاركة فى مؤتمر بعنوان " تطوير العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل " برعاية جامعة تل أبيب ومركز بيريز لأبحاث السلام ، ونقلت فى حينه " معاريف " عن مصادر إسرائيلية مهتمة بالشأن المصرى بأن هذه الزيارة لم تكن لتتم فى عهود أخرى مع إشارة للوضع السياسى الراهن بمصر واحتياجات القيادة السياسية لحليف دولى .

وكان جمال الناظر رئيس جمعية رجال الأعمال المصريين قد سبق له أن أكد أنه ليست هناك حالياً أية اتصالات بين رجال أعمال مصريين وإسرائيليين .. وإن كانت جمعية رجال الأعمال ليس لديها مانع فى التعامل مع إسرائيل فى الجوانب الاقتصادية والتجارية ، مشيراً إلى أنه لا يوجد أى خوف أو غضاضة فى التعاون التجارى مع إسرائيل وأشار إلى أن مصر تملك من المقومات الاقتصادية الوطنية التى تمكنها من التعاون مع إسرائيل لخدمة المصالح المصرية. وأن هناك مجالات تستطيع مصر منافسة إسرائيل فيها بقوة مثل صناعة الغزل والنسيج وزراعة الموالح والصناعات الغذائية والصناعات الجلدية .

الأمر الذى يؤكد أنه خلال العام 2005 أن بعضاً من رجال الأعمال باتوا يراهنون على الحصان الإسرائيلى لانتعاش الاقتصاد المصرى أو إنعاش جيوبهم إن جاز التعبير .

* فى يوليو 2005 شهدت جامعة تل أبيب حلقة نقاشية نظمها مركز شيمون بيريز بالتعاون مع معهد الدبلوماسية والتعاون الإقليمى بجامعة تل أبيب ، تحت عنوان " العلاقات الاقتصادية الإسرائيلية المصرية أفق جديد " طرحت خلالها أفكار شديدة الخطورة ، ومن أهم الأفكار التى طرحت فى المؤتمر .. تشييد سلسلة من مراكز تحلية المياه وتوليد الطاقة عبر إقامة محطة طاقة نووية مشتركة توفر حاجات سكان النقب وغزة والمناطق الحدودية بسيناء ، استثمار مياه ترعة السلام عبر ما يسمى بالتكنولوجيا الاسرائيلية فى تشييد مستوطنات

وتجمعات زراعية وصناعية وسياحية مشتركة بمنطقة وادى الجرافى – الغنية بخزانات المياه الجوفية – والتى تقع إلى الشرق من وسط سيناء على الحدود مع فلسطين وهى منطقة تسرق تل أبيب مياهها الجوفية منذ احتلالها فلسطين وتصل مساحات الأراضى الصالحة للاستزراع بوادى الجرافية أضعاف الأراضى المزروعة بالوادى والدلتا ، الانتهاء من تشييد شبكة طرق حديثة ومطارات وبنية تحتية بتلك المناطق لخدمة تلك المشروعات المقترحة ، إقامة منطقة تجارية حرة مشتركة أو أكثر فى رفح وطابا .

كانت الحلقة النقاشية الاستراتيجية قد افتتحها نائب رئيس الوزراء ووزير الصناعة والتجارة الإسرائيلى إيهود أولمرت عمدة القدس الأسبق ، وقد حضرها من مصر وفد كبير ضم كلاً من محمد عاصم إبراهيم السفير المصرى بتل أبيب ، وجلال الزوربا عضو لجنة السياسات بالحزب الوطنى ورئيس اتحاد الصناعات ، والدكتور أحمد طاهر من معهد بحوث المياه والتربة ، والدكتور محمد الشناوى الباحث بمعهد الإنتاج الحيوانى والدكتورة ليلى نبهان المتخصصة بالسياحة والسفير حسن عيسى المسئول عن الملف الإسرائيلى بوزارة الخارجية ، وخالد رأفت رئيس مركز الصادرات المصرى الألمانى ومجموعة من المتخصصين فى مجالات السياحة والنسيج والبيزنس .وقد أعلن مركز موشاف للتعاون الدولى التابع للخارجية الإسرائيلية أن المركز قام بتدريب 5 آلاف خريج مصرى يتواجدون بمشروع مبارك الزراعى سواء فى مركز ماريوت أو فى إسرائيل ، وقال المركز : إن من بين المتدربين مزارعات من السيدات فقط ذهبن فى وفود لهذا الغرض إلى إسرائيل وقد ذهب آخر وفد منهن لتل أبيب عام 2002 عندما أوقفت مصر التعاون مع تل أبيب .

***

<u>7 – 2006 – 2008 :</u>

** نشرت صحيفة " الحقيقة " فى 2006/4/15 خبراً أن الحكومة المصرية تدرس إعادة تشغيل خط الحافلات بين القاهرة وتل أبيب والتى توقفت بعد تفجير فندق طابا عام 2004 .

* نشرت صحيفة " الكرامة " 2006/4/25 ، خبراً عن إدارة خبراء إسرائيليين لمزرعة مانجو يمتلكها جمال مبارك فى سيناء ، نقلاً عن صحيفة هاآرتس فى ثنايا تقرير عن رحلة قام بها عدد من ضباط الجيش الإسرائيلى الذين شاركوا فى حرب أكتوبر 73 للبحث عن رفات زملائهم الذين قتلوا أثناء المعارك فى سيناء .

وتباهت الصحيفة العبرية بحرية الحركة التى يتمتع بها العسكريون " الإسرائيليون " فى سيناء المحررة واقترابهم من مناطق حساسة للغاية ، بفضل علاقات ضابط متقاعد . ورجل أعمال حالى يدعى يتسحاق سيجف كان الحاكم العسكرى لسيناء فى فترة الاحتلال ثم ملحقاً عسكرياً فى إيران فى عهد الشاه ، وشارك فى عدة هجمات كوماندوز على القوات المصرية ، ثم أسس جمعية سرية تعرف باسم بنى إبراهيم ، ركزت نشاطها فى البداية على توطيد العلاقات بين المسئولين الإسرائيليين ونظرائهم المصريين ، واستطاع من خلال هذه الجمعية تسهيل مهمة الإسرائيليين الأخيرة فى سيناء مستعيناً بأسامة الباز المستشار السياسى للرئيس مبارك ، ويوسف والى وزير الزراعة السابق ، ومسئول أمنى رفيع المستوى . المصيبة أن المسئول الأخير قام بتوفير حراسة لصيقة للوفد الإسرائيلى عبارة عن حرس خاص مدجج بمدافع رشاشة من طراز " كارل جوستاف " علاوة على جيش جرار من الجنود ورجال الشرطة وأتوبيس ينقلهم من القاهرة إلى الإسماعيلية ، تتقدمه دراجة بخارية لإفساح الطريق وتتذيله سيارة مكدسة بالحرس الخاص وعلى متنه مترجم عبرى كان يعمل سكرتيراً للمركز الأكاديمى الإسرائيلى وسبق له أن زار إسرائيل 34 مرة .

ضم الوفد الإسرائيلى 12 رجلاً وامرأة من أقارب الجنود الإسرائيليين الذين كانوا على متن الدبابة 109095 ، التابعة للواء الرابع عشر بجيش الاحتلال، اختفوا جميعاً أثناء الحرب ولم يتبق أثر للدبابة نفسها ، وعلى الرغم من أن الوفد الإسرائيلى كان متأكداً من استحالة عثوره على دليل واحد يقوده إلى رفات الجنود أو موقع الدبابة المختفية منذ 33 سنة ، إلا أنهم صرحوا للصحيفة أنهم انطلقوا إلى سيناء للسير فى المحاور الاستراتيجية على الجبهة المصرية التى مات فيها ذووهم ، ولم يكتفوا بالزيارة بل اصطحبوا معهم المخرج السينمائى يائير ليف ومساعد له لتوثيق الرحلة وتصوير الأماكن التى سمح لهم بدخولها . المثير أن الوفد الإسرائيلى وصل لمنطقة محظورة وتحدثوا مع الشخص المسئول باللغة العربية وألحوا عليه فسمح لهم بالدخول وإقامة طقس للذكرى، ثم تحدث إليه يتسحاق سيجف مرة أخرى وأقنعه بأنه يصطحب وفداً من الثكالى ، ويجب أن يسدى لهم معروفاً ، فوافق الرجل بشهامة ينبغى أن يعاقب عليها ، أن يدخل بهم الأتوبيس عابراً المنطقة المحرمة ، حتى اقترب من شاطىء المياه وهنا بدأ دافيد جيلات العقيد متقاعد بالجيش الإسرائيلى يحفر فى الأرض واضعاً نصباً تذكارياً صغيراً لذكرى قتلى الجيش الإسرائيلى !! .

* فى محاولة مستهجنة لكسب ود سكان العمارة التى تقع بها السفارة الإسرائيلية فى شارع ابن مالك بالجيزة قرر السفير الإسرائيلى بالقاهرة وضع لافتة على واجهة العقار 6 أ شارع ابن مالك تؤكد إعفاء السكان من دفع رسوم النظافة والصيانة والكهرباء والمياه والتزام سفارة إسرائيل بدفع هذه التكاليف نيابة عن سكان العمارة التى يبلغ عدد أدوارها 19 دوراً من ضمنهم الثلاثة طوابق الأخيرة المخصصين لمقر السفارة وباقى الأدوار خاصة بالسكان والشركات الموجودة بالعمارة كما قررت السفارة إرسال هدايا قيمة للسكان بمناسبة مرور أكثر من 17 عاماً على وجود السفارة بين سكان تلك العمارة وتركت حرية اختيار الهدية للسكان .

وقد طلبت السفارة من ضباط مديرية أمن الجيزة إرسال فواتير الكهرباء والنظافة والمياه الخاصة بسكان العقار إلى مقر السفارة مباشرة لدفعها وإدراجها ضمن ميزانية السفارة .

* وفى العام 2006 ذكرت تقارير صحيفة إسرائيلية أن هنرى كرامبتون منسق مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية قام بزيارة إلى الجانب المصرى من الحدود بين سيناء وقطاع غزة من أجل تفقد الإجراءات التى تتخذها القوات المصرية للحد من عمليات تهريب السلاح إلى الفلسطينيين عن طريق أنفاق ممتدة بين سيناء وقطاع غزة ، وذلك على حد زعم التقارير الإسرائيلية .

وذكرت صحيفة " يديعوت أحرونوت " الإسرائيلية أن محادثات كرامبتون الذى قام بزيارة إلى إسرائيل تأتى فى إطار جولة له فى الشرق الأوسط زار خلالها إسرائيل وفلسطين وذلك لتقييم الأوضاع عقب فوز حركة حماس فى الانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة ، حيث حذر المسئول الأمريكى حماس من الاستمرار فى المقاومة مطالباً المجتمع الدولى بالتدخل للضغط على الحركة وحملها على الاعتراف بإسرائيل .

ولمزيد من إذلال النظام الحاكم فى مصر آنذاك ، اعتبر كرامبتون أنه على المسلمين المعتدلين فى المنطقة المشاركة مع أمريكا فى مكافحة تنظيم القاعدة الذى يمتلك خلايا نائمة فى المنطقة. (يعنى يتحول نظام مبارك إلى أداة أمريكية فى مقاومة من تسميهم هى بالإرهابيين وقد كان ، ولكن ذلك لم ينفعه ولم يشفع له عند الأمريكان عندما قرروا التخلى عنه لصالح الإخوان بعد ثورة 25 يناير 2011) .

** نشرت صحيفة " الأسبوع " فى 2006/5/8 تقريراً عن كارثة بيئية سببها مصنع هندى له علاقة بإسرائيل عن طريق إلقائه أطناناً من الأصباغ المسرطنة فى المصارف العمومية بمحافظة الإسماعيلية . وقد كشف هذا

التدمير المتعمد والمسكوت عنه من الجهات التنفيذية والرقابية محمود الشحات عضو مجلس محلى محافظة الإسماعيلية .

** نشرت صحيف " الغد " و" الأهرام " و" صوت الأمة " و" الجزيرة " فى 2006 عدة تقارير عن تصدير الغاز المصرى لإسرائيل حيث جاء فى هذه التقارير :

– حيث أقالت إسرائيل يوسف بارتيسكى وزير البنية التحتية الإسرائيلى لاتهامه بتقاضى رشى من شركة بريتش غاز لكى تفوز بالصفقة .

وقد أقدمت الحكومة المصرية على توقيع صفقة تصدير الغاز المصرى لإسرائيل رغم أن المصريين لا يجدونه مع العلم أن مصر تصدر البترول المصرى لإسرائيل منذ 1979 بأسعار مخفضة عن الأسعار العالمية ومع ذلك تستورد جزءاً كبيراً من احتياجاتها البترولية مما يعتبر إهداراً صريحاً لثروات الوطن وتبديداً لمقدراته الاقتصادية لصالح إسرائيل .

وقد أثار تصدير الغاز المصرى جدلاً فى أوساط صناعة الأسمدة وحاول كل طرف إلقاء اللوم على الآخر ؛ لأننا لو استطعنا استغلال مواردنا الغازية فى صناعة الأسمدة لأصبحنا من المنتجين الكبار للأسمدة بكافة أنواعها المختلفة.

وقد أكد خبراء أن 5700 جمعية زراعية تبحث عن الأسمدة علماً بأن تصدير الغاز يضيع على مصر عشرات المليارات .

** نشرت صحيفة " آفاق عربية " فى 2006/1/26 تقريراً عن اتفاقية الكويز وفشلها الذريع وإساءتها لسمعة مصر بجانب أنها لم تحقق أى ميزة للاقتصاد المصرى بل تعانى صادرات الغزل والنسيج والملابس الجاهزة فى تراجع مستمر ، ورغم فشل الكويز الواضح تصر أمريكا وإسرائيل على ضم شمال سيناء للاتفاقية مما يتيح للأخيرة إقامة مصانع فى هذه المنطقة وإثبات وجود إسرائيل بها وهو هدف استراتيجى لها .

* وفى يوليو 2006 وفى حلقة جديدة من سلسلة الإجرام الصهيونى .. ظهر بالأسواق بطيخ يعرف باسم البطيخ الإسرائيلى ، وترتب على تناول بعض المواطنين لهذه النوعية من البطيخ ظهور حالات تسمم فى محافظة بنى سويف ؛ حيث أصيب أكثر من 15 مواطناً من قرى مختلفة بحالات تسمم بعد تناولهم البطيخ المعروف بالإسرائيلى .

** نشرت صحيفة " المصريون " فى 2008/11/12 أن القناة السابعة الإسرائيلية كشفت عن أن الاتحاد الأوروبى بادر بمشروع لتطوير التكنولوجيا فى مجال النسيج والغذاء فى دول حوض البحر المتوسط وأن تكلفة المشروع 7.3 مليار يورو ومدته ثلاث سنوات ويشمل مصر وتركيا وإسرائيل والأردن وسوريا ولبنان والمغرب وتونس والجزائر والسلطة الفلسطينية ، وقد شارك إسرائيليون فى لقاء عقد فى القاهرة لبحث هذا المشروع وأن الهدف النهائى منه هو دمج إسرائيل فى أى تحرك اقتصادى فى المنطقة عبر تقديم معونات ومساعدات وتسهيلات لا يستطيع العرب رفضها ولكن تكون مشروطة بدمج إسرائيل فى أى مشروع يموله الاتحاد الأوروبى .

** وفى تلك الفترة نشرت جريدة " البديل " لمحضر اجتماع الوفد الاقتصادى المصرى برئاسة جلال الزوربا وبحضور ممثلين عن الحكومة المصرية ومجموعة من رجال الأعمال مع إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل ووفد ممثل للحكومة الإسرائيلية ، وقد تمت هذه الاجتماعات فى معهد الدبلوماسية بجامعة تل أبيب فى يونيو 2005 وظلت فى طى الكتمان حتى نشرت البديل محاضر هذه الاجتماعات فى 2008/11/30 .

وقد تم الاتفاق فى هذه الاجتماعات على ضرورة العمل على كسر الرفض الشعبى المصرى للتطبيع مع إسرائيل والتخلص من السلام البارد وخيبة الأمل كذلك توقيع معاهدة "الكويز" التى تسمح لأول مرة بدخول منتجات نسيج

إسرائيلية للسوق المصرى حتى يتم فتح أسواق الولايات المتحدة الأمريكية للمنتجات المصرية .

– كذلك تم الاتفاق على إلغاء تأشيرات السفر بين الطرفين لتنشيط السياحة والعمل على إذابة مشاعر الكراهية المتجذرة لدى الشعب المصرى تجاه الإسرائيليين .

– العمل على أن تكون إسرائيل وجهة للعلاج الصحى للمصريين بدلاً من أوروبا .

– التوسع فى تدريب خريجى الجامعات المصرية على الزراعة فى صحراء النقب .

– تزويد إسرائيل بالنفط والتزام مصر الدائم بهذا ثم أضيف إليه اتفاق تصدير الغاز المصرى لإسرائيل بأسعار زهيدة مقارنة بالسوق العالمى للغاز وأسعاره .

– العمل على رفع التبادل التجارى من 100 مليون دولار إلى مليار دولار فى العام .

وقد أكد عدد من المشاركين ثقتهم فى نجاح التطبيع الشعبى إذا ما كان هناك عائد اقتصادى يستشعره مواطنو البلدين من وجهة نظرهم .

فقد أكد جلال الزوربا أنه لا توجد أية إمكانية لقطع العلاقات بين مصر وإسرائيل بسبب الوضع فى الشرق الأوسط ولكن السلام الإسرائيلى المصرى يجب حمايته والحفاظ عليه .

أما السفير حسن عيسى فقد أكد أن الرغبة فى السلام يجب أن تكون نتيجة لتغلب الجانبين على ترسبات الماضى .

وقد أحدث نشر " البديل " لمحضر هذه الاجتماعات ردود فعل واسعة فى الشارع المصرى فقد أكد عدد من البرلمانيين فى مجلس الشعب المصرى أنهم سيقدمون استجوابات وسيلجؤون لكل الطرق الممكنة لوقف هذه المهزلة من

الاستمرار ، بينما قال السفير محمد بسيونى : اسألوا من حضر الاجتماعات ولا تسألونى عن اجتماع لم أحضره .

بينما أرجع عدد من المحللين الاقتصاديين أن هذه الاجتماعات لن تجنى مصر من ورائها أى فوائد تذكر وإنما هناك مجموعة رجال أعمال هم المستفيدون الوحيدون من هذه الاجتماعات وإن كان التعاون الزراعى بين مصر وإسرائيل يستحوذ دائماً على محاضر هذه الاجتماعات. بينما دافع عبد المنعم سعيد رئيس مجلس إدارة الأهرام فقال : إن إسرائيل قوية اقتصادياً ومصر ستسفيد من التعاون معها فضلاً أن التعاون مع إسرائيل آفاقه واسعة وكبيرة .

بينما قال د. رفعت سيد أحمد مدير مركز يافا للدراسات والأبحاث : إن هذا الاجتماع نتج عن وجود علاقات خفية بين إسرائيل ومجموعة جمال مبارك وعلى رأسها جلال الزوربا وهى علاقات لم ولن تفيد الشعب المصرى ، إنما المستفيد فيها مجموعة رجال الأعمال المرتبطة أعمالهما بقطاع المنسوجات كما فى اتفاقية " الكويز " .

** نشرت صحيفة " الفجر " مقالاً مطولاً بعنوان " رشيد محمد رشيد مهندس التطبيع مع الشركات الإسرائيلية والتوريث بالشركات الأمريكية " وقد جاء :

– الشركات الدولية العملاقة أو متعددة الجنسيات أصبحت هى من تحرك العالم وسياساته. ورشيد محمد رشيد هو ابن بار لواحدة من هذه الشركات وهى "يونيليفر" الذى أصبح مديراً لها

– هذه الشركات هى التى استحوذت على معظم صفقات بيع حق القطاع الخاص المصرى وشركاته الضخمة ، مما ربط مصالح هذه الشركات بجمال مبارك بوصفه المرشح لخلافة والده حسنى مبارك فى حكم مصر وهو ما سيمثل دعماً لهذه الشركات .

– رشيد محمد رشيد مهندس التطبيع مع إسرائيل خاصة فى اتفاقية الكويز التى كان "عرابها" بجدارة.

** نشـــرت صـــحيفة " المصـــريون " فـــى 2008/12/14 أن وزارة الزراعـــة المصرية ومركز البحوث الزراعية التابع لـه استعان مؤخراً بـ35 خبيراً زراعياً إسـرائيلياً لعقـد دورات لمهندسـين زراعيـين مصـريين بمحطـة بحـوث البسـاتين بالقناطر الخيرية التابعـة للمركز ، وسيقيم الخبراء الإسرائيليون لمدة 6 أشـهر بالمساكن التابعة لمحطة بحوث البساتين بالقناطر الخيرية. وفى سياق متصل بالزراعـة كشـف تقريـر للهيئـة العامـة للرقابـة علـى الصـادرات والـواردات أن صـادرات الأرز المصـرى لإسـرائيل شـهد ارتفاعـاً كبيـراً حيـث بلـغ 1300 طـن خلال 4 أشهر فقط.

***

8 – عام 2009 :

** كشـفت صـحيفة " الأسـبوع " فـى 2009/1/31 أن شـركة مصـرية قامـت بتزويد الجيش الإسرائيلى بالأغذية أثناء عدوانه الأخير على قطاع غزة وذلك عبـر شـاحنات مـن خـلال معبـر العوجـة التجـارى ، وهـذه الشـركة هـى شـركة الاتحاد الدولى للصناعات الغذائية المتكاملة الكائنة فى مدينة السادات وسلمت الشحنات إلى شركة " تشانل فود " الإسرائيلية التى تقوم بدورها بتوريدها للجيش الإسـرائيلى ، وقالـت الصـحيفة : إن عمـال الشـركة كـانوا مسـتائين بسـبب هـذه العملية ولكنهم لم يتوقفوا عن شحن الأغذية لإسرائيل .

** نشرت " المصرى اليوم " تقريراً بقلم د. محمد نور فرحات بمناسبة مرور 30 عاماً على توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل وكيف أن فريق الدفاع عن تنظيم " ثورة مصر " والذى كان يضم د. محمد نور فرحات ود. سليم العوا ود. الشـافعى بشـير وضـم كثيـرين ولكـنهم لـم يرغبـوا فـى نشـر أسـمائهم نظـراً لوجودهم فـى وظـائف حساسـة ، كذلك كـان فريـق الـدفاع يضـم أحمـد الخواجـة نقيب المحامين المصريين والعرب .

فكان أولى أولويات فريق الدفاع ضرورة نزع الشرعية عن معاهدة السلام ، لأنها تمت بشكل منفرد من السادات ووقع عليها بشكل منفرد مع إسرائيل ولم يؤخذ رأى الشعب ولا نواب الشعب عليها ، بل عندما اعترض بعض أعضاء مجلس الشعب عليها قام السادات بحل هذا المجلس .

ثم إن هؤلاء المتهمين – تنظيم ثورة مصر – لو قاموا بإطلاق نيران أسلحتهم على الصهاينة فى أى مكان فى العالم قبل توقيع هذه الاتفاقية لعوملوا معاملة الأبطال وليس كمجرمين ، ثم إن متهمى ثورة مصر مارسوا حقاً مقرراً فى الشريعة الإسلامية وهو حق الدفاع عن العرض والأرض والنفس والمادة (6) عقوبات تمنع معاقبتهم .

مع العلم أن هذه الاتفاقية وقعت بشكل منفرد مع تل أبيب مما تسبب فى عزلة مصر وفتت العرب وزاد من عربدة إسرائيل بعد خلو الميدان لها بعد تحييد مصر وخروجها من معادلة الصراع العربى الإسرائيلى ، ثم إن الأمم المتحدة رفضت اتفاقية كامب ديفيد الأولى ، لأنها أغفلت مبدأ تقرير المصير والأمم المتحدة أدانتها ورفضت بنودها ثم إن التزامات مصر تجاه معاهدة السلام تتعارض بشكل مباشر مع التزاماتها بمعاهدة الدفاع العربى المشترك .

** نشرت صحيفة " الدستور " فى 2009/8/4 تقريراً صادراً عن موقع " أرابيان أويل آند جاس " أن الحكومة المصرية بصدد مراجعة شاملة لقطاع البترول والغاز بعد ظهور بعض السلبيات بهذا القطاع خاصة بعد تصدير 1.5 مليار متر مكعب من الغاز لإسرائيل فى عام واحد ، وأوضح التقرير أن مصر ستتحول لدولة مستوردة للبترول فى 2015 بسبب معدلات الاستهلاك المتزايد .

* وفى 2009/11/13 أعلنت القناة العاشرة بالتليفزيون الإسرائيلى أن جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلى (الموساد)، قام بعملية تجسس على ميناء دمياط، لتتبع السفينة التى تقول تل أبيب : إنها كانت تحمل أسلحة من إيران إلى حزب الله واستوقفتها البحرية الإسرائيلية قبالة سواحل قبرص فيما بعد.

ونقلت وكالة «سما» الفلسطينية للأنباء عن ألون بن دافيد المحلل العسكرى للقناة الإسرائيلية أن السلطات المصرية لا تعلم شيئا عن الحاويات، التى تصل موانيها، خاصة ميناء دمياط، الذى تصله أعداد كبيرة من الحاويات. غير أنه لم يحدد طبيعة أنشطة التجسس المزعومة فى الميناء.

وشدد بن دافيد على أن تل أبيب كانت تعلم مسبقا بأن سفينة ستأتى من إيران عبر ميناء «بندر عباس»، ثم تمر عبر البحر الأحمر وقناة السويس لتصل ميناء دمياط، بينما تصل سفينة أخرى تابعة لحزب الله من بيروت، ويتم التقابل ونقل حاويات الأسلحة إليها فى ميناء دمياط.

وأضاف أن طهران حاولت تضليل السلطات المصرية، وكتبت فى الأوراق الرسمية أن السفينة تحمل مواد بلاستيكية، إلا أن الأقمار الصناعية الأمريكية رصدت تحركاتها، قبل أن تنقض عليها إسرائيل فور خروجها من المياه الإقليمية المصرية.

وقال المحلل العسكرى : إن دولا مختلفة تزود إسرائيل بمعلومات عن تهريب الأسلحة. وكان الإعلام الإسرائيلى قد وصف اعتراض السفينة «فرانكوب» بأنها واحدة من أكبر عمليات تهريب الأسلحة من إيران إلى حزب الله، معتبرة أنها ليست عملية تهريب عادية بل عملية تسليح خاصة لجيش كامل، بينما نفت إيران وحزب الله أى علاقة بالأسلحة المزعومة.

** نشرت صحيفة " بر مصر " أن حسن كعيبة – قنصل إسرائيل فى الإسكندرية – استعان بسيدة أعمال قريبة لأحد الوزراء للبحث عن فيلا لإقامة مركز ثقافى إسرائيلى . ويذكر أن كعيبة طلب من رئيس جامعة الإسكندرية توقيع اتفاقية تبادل طلابى بين جامعة الإسكندرية وجامعة تل أبيب .

** كشفت النائب الإخوانى محسن راضى أن 73 باحثاً إسرائيلياً حصلوا على براءات اختراع من مكتب تسجيل براءات الاختراع وتساءل النائب عن كيفية حصول الإسرائيليين على هذه التراخيص ومن سمح لهم بالحصول على

المعلومات وعمل الأبحاث فى الأراضى المصرية دون رقيب . جاء هذا الخبر فى جريدة الشرق القطرية فى 2009/7/25 .

** نشرت صحيفة " المصرى اليوم " فى 2009/10/20 أن صحيفة " يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية أعلنت أن شركة " شرق المتوسط " التى تصدر الغاز المصرى لإسرائيل أعلنت عن توقيع 3 عقود جديدة لتصدير الغاز لإسرائيل مدتها 18 عاماً وتتيح هذه العقود تزويد المناطق الصناعية فى أسدود ورمات موقيف بالكهرباء والطاقة اللازمة لتشغيل مصانعها . وفى سياق متصل أعلنت شركة الكهرباء الإسرائيلية تأجيلها الاجتماع الذى كان مقرراً عقده للتصديق على تعديل أسعار الغاز المصرى بسبب رفض البورصة الإسرائيلية اعتماد الزيادة الجديدة فى أسعار تصدير الغاز المصرى لإسرائيل بسبب تعارضها مع قوانين البورصة حسب زعمها .

يذكر أن اتفاق تصدير الغاز المصرى لإسرائيل قوبل بحملة شديدة فى وسائل الإعلام المصرية خاصة بعد تمرير الحكومة المصرية للاتفاق دون عرضه على مجلس الشعب وباعتماد أسعار تقل كثيراً عن الأسعار العالمية للغاز .

يذكر أن شركة شرق المتوسط بدأت ضخ كميات غاز تجريبية لمحطة الطاقة للأسمنت "نيشر" التابعة لمصنع " كاليست كال " الإسرائيلى لتوفير الطاقة اللازمة لصناعة مواد البناء الإسرائيلية بأسعار تعتبر بخسة ، وقد بدأ ضخ الغاز المصرى لإسرائيل عام 2005 عبر اتفاق مدته 15 عاماً لضخ 1.7 مليار متر مكعب سنوياً .

** نشرت وسائل الإعلام المصرية فى عام 2009 خبراً عن أن ملف مياه النيل ستتولاه جهة سيادية خاصة بعد ورود معلومات عن تورط الموساد الإسرائيلى فى إثارة كينيا وأوغندا وأثيوبيا ضد مصر ، وطلبت وزارة الرى تدخل جهات سياسية عليا بعد أن تحول النزاع من قضائى وقانونى إلى قضية أمن قومى يهدد مستقبل مصر .

وأكدت الوزارة أن إقامة مشروعات مائية مشتركة بين دول حوض النيل هو الطريقة المثلى لحل هذه الخلافات .
يذكر أن نشاطاً إسرائيلياً دبلوماسياً قد لوحظ فى الفترة الأخيرة خاصة بعد زيارة ليبرمان لأثيوبيا وكينيا وأوغندا بهدف الضغط على مصر عن طريق المياه وأيضاً عن طريق مشاريع زراعية مشتركة تمولها إسرائيل بهذه الدول.
* ذكرت جريدة الدستور المصرية فى العدد رقم 617 بتاريخ 2009/3/16 تحت عنوان "وفد شركة مصرية فى تل أبيب لبحث مد إسرائيل بالغاز الطبيعى لمدة 18 عاماً " أن موقع «ذا ميكر» الإخباري الإسرائيلي كشف أن وفدًا بارزًا من شركة «إي إم جي» المصرية للغاز الطبيعي وصل الأسبوع الماضي إلي تل أبيب في زيارة عمل رسمية، لعقد جلسات مع مجموعة من مسئولي الشركات، ومسئولي وزارة البنية التحتية الإسرائيلية.
وذكر التقرير أنه تم خلال الزيارة تجديد المفاوضات بين الجانبين بشأن توفير الغاز الطبيعي المطلوب لإقامة إحدي محطات الطاقة بإسرائيل، موضحًا أن الحديث يدور حول اتفاقية تمتد لفترة تتراوح بين 15 و18 عامًا يتم فيها مد تل أبيب بالغاز بواقع نصف مليار متر مكعب سنويًا.وأوضح التقرير أن مندوبي شركة «إي إم جي» الذين عادوا إلي طاولة المفاوضات مع تل أبيب بعد توقف دام نحو 6 أشهر، التقوا خلال الزيارة مسئولي شركة الكهرباء ومجموعة دوراد الإسرائيليين لبحث إمكانية إبرام اتفاقيات جديدة بين هذه الأطراف خلال الفترة المقبلة.

وأضاف التقرير الإسرائيلي أن الوفد التقي مجموعة «باز» الإسرائيلية التي تسيطر علي أحد مواقع التكرير بأشدود، كما قام بزيارة أخري لموقع تكرير في حيفا، موضحًا أن الجانبين عقدا منذ عام مفاوضات لاستيراد الغاز الطبيعي المصري بكمية تبلغ نصف مليار متر مكعب سنويًا لمدة 15 عامًا، وهو من شأنه تشغيل محطة الطاقة التي ستقام في بلدة حيفا.

* قالت جريدة الدستور المصرية فى العدد رقم 616 بتاريخ 2009/3/15 تحت عنوان "حملة لا لنكسة الغاز " تقيم دعوى بطلان أمام المحكمة الإدارية العليا ضد حكمها بتأييد تصدير الغاز لإسرائيل " : إن السفير إبراهيم يسرى مؤسس حملة لا لنكسة الغاز أقام دعوى بطلان أمام المحكمة الإدارية العليا ضد الحكم بتأييد تصدير الغاز لإسرائيل ، مطالباً بوقف تنفيذ الحكم المذكور ، وقال السفير يسرى فى طعنه أن عضو اليمين فى دائرة فحص الطعون التى أصدرت الحكم وهو المستشار مصطفى حنفى منتدب منذ خمس سنوات فى رئاسة الجمهورية ، ومن ثم فهو خصم وحكم فى آن واحد ، وكان ينبغى عليه أن يتنحى بشكل واضح وصريح منذ الجلسة الأولى ، وقال عصام الإسلامبولى المحامى : إن حملة لا لنكسة الغاز سبق وأن أقامت دعوى أمام محكمة القضاء الإدارى ضد الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء والمهندس سامح فهمى وزير البترول طعناً على قرارهما بتصدير الغاز لإسرائيل بأقل من خمس أسعاره عالمياً ، وقضت المحكمة بوقف قرارى رئيس الوزراء ووزير البترول ، إلا أن رئيس الوزراء ووزير البترول تقدما بطعون أمام دائرة فحص الطعون فى المحكمة الإدارية العليا التى تضم فى عضويتها أحد المستشارين البارزين لدى رئيس الجمهورية التى تعمل الحكومة تحت كنفه .

* نشرت جريدة العربى المصرية فى العدد رقم 1151 بتاريخ 2009/3/29 تحقيقاً موسعاً تحت عنوان " تطور خطير : صفقة جديدة لتصدير الغاز المصرى لإسرائيل " قالت فيه : إن قضية تصدير الغاز لإسرائيل وبعد تداولها فى ساحات القضاء وصلت لمنعطف خطير ، وأن الحكومة دخلت فى صفقة جديدة ، وحاولت إرهاب السفير إبراهيم يسرى الفقيه القانونى الدولى برفع دعوى سب وقذف ضده وإدعاء أنه يروج لمعلومات كاذبة ، واستطلعت الجريدة آراء أربع شخصيات كانت لها أدوار بارزة فى هذه القضية .

أما الدكتور عمرو كمال حمودة الخبير البترولى فقال : إن عملية بيع الغاز لإسرائيل دخلت مرحلة أخرى بالاتفاق على صفقة جديدة بين وزارة البترول ووزارة البنية التحتية الإسرائيلية عبر شركة غاز شرق المتوسط ، وأضاف أن وزير البترول لم يكشف تفاصيل هذه الصفقة حتى الآن ، مشيراً إلى أن مصر فى موقف خطير فى هذه الصفقة لاسيما وهى تجرى فى الخفاء وبعيداً عن الرقابة الشعبية والبرلمانية ، مشيراً إلى أن شركة غاز شرق المتوسط تضم رجل الأعمال المعروف حسين سالم الذى باع أغلبية حصته لرجلى أعمال يهودى أمريكيين هما سام زيل وسام فيشر ، واحتفظ بـ10% من حصته أما بقية الأسهم فتملكها شركة " مرجاف المالية" ومقرها هرتزليا بإسرائيل ويملكها نمرود يوفاك ويوسى ميمن وهما من كبار ضباط الموساد الإسرائيلى ، وعملا كمديرى مكتب شيمون بيريز فى فترة توليه وزارة الخارجية ورئيس الوزراء .وقال حمودة : إن وزارة البترول تمارس غشاً إعلامياً صريحاً باستخدام إمكاناتها الضخمة لمواجهة المعارضين لصفقة بيع الغاز لإسرائيل .

وقال الدكتور إبراهيم زهران الخبير البترولى الدولى : إن الغاز الذى تصدره مصر لإسرائيل يمكن أن يسهم فى القضاء على مشكلة غاز البوتاجاز التى تطفو على السطح من آن لآخر من خلال مد الشبكات إلى المناطق السكنية ، وأشار إلى أن عدد اسطوانات الغاز المتداولة فى مصر 770 مليون اسطوانة، ويمكن إذا خفضت كمية الغاز المصدرة لإسرائيل بواقع 2 مليار دولار أن تساعد فى حل مشكلة غاز البوتاجاز بشكل نهائى ، وأشار إلى أن دراسة بالمجالس القومية المتخصصة أشارت إلى أن تحقيق خطة تنمية بمعدل 7% حتى عام 2021–2022 يستوجب توفير 56 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعى ، وهو الأمر المستحيل فى ظل سياسة التصدير الحالية .

***

9 – عام 2010 -2012:

** نشرت صحيفة " بر مصر " الإلكترونية فى 2010/1/9 أن تقريراً صادراً عن ميناء أشدود الإسرائيلى البحرى أوضح أن الموانئ المصرية تحتل المركز السادس فى حجم التعامل مع الموانئ الإسرائيلية وأن حجم الصادرات المصرية لإسرائيل بلغت 237 ألف طن بينما الواردات المصرية من إسرائيل بلغت 270 ألف طن .

** نشرت جريدة " الشروق " فى 26 يناير 2010 موضوعاً مهماً عن بيع أراضى سيناء لإسرائيليين بمعرفة لواء شرطة سابق بأمن سيناء وبمشاركة ثلاثة محامين مصريين ، وقد اكتشف هذا التلاعب رئيس محكمة الإسماعيلية مجدى الإبيارى بعد شكه فى أمين عام المحكمة وقد تبين أن محام آخر سافر أكثر من مرة لإسرائيل وأنهما يملكان شركة سيناء للتنمية السياحية وأنهما باعا بالتدليس 2000 قطعة أرض لأجانب بعضهم إسرائيلى أو يهودى وتم التحايل فى البيانات لإثبات أنهم أوربيون فقط دون ذكر الديانة .

وكشفت التحقيقات عن كم هائل من الفساد وذلك من أجل التحايل لبيع أراضى سيناء لليهود أو الإسرائيليين بعد التلاعب فى أوراقهم الثبوتية ، كذلك تم التلاعب فيما يسمى " بالتحكيم " عند نشوب أى نزاع قضائى وأنهم استعانوا بمحكم واحد فى أكثر من 50 نزاعاً وأن جلسات التحكيم كانت تتم بصورة وهمية ، وقد تم إحالة المتهمين للقضاء .

** نشرت جريدة " الملتقى " المصرية فى 2010/6/10 تحقيقاً عن الأراضى التى استولى عليها رجال أعمال على طريق مصر اسكندرية الصحراوى ، والتى تقدر بعدة ملايين من الأفدنة وبعضها مزارع للإسرائيليين عن طريق شركات خاصة مثل شركة "بلونيل" وهناك شكوك بأن محاصيل هذه الشركة تصل لإسرائيل وهناك معلومات أن صاحبها يمت بصلة قرابة قوية ليوسف والى – رجل إسرائيل الأول فى مصر – العجيب أن وزير الزراعة الأسبق أحمد الليثى عندما حاول تصحيح هذا الوضع الشاذ تم استبعاده من الوزارة .

ومن أجل تحويل هذه الأراضى من الزراعة للإسكان فقد تم تحويل ملكيتها لوزارة الإسكان وذلك من أجل بيعها كأراضى للسكن مما سيحقق لأصحابها مليارات الجنيهات علماً بأنهم اشتروا الفدان بـ 200 جنيه فقط .
** نشرت الدستور فى 2010/12/10 تقريراً عن المحاولات الإسرائيلية الحثيثة للاستيلاء على انجازات وابتكارات العقول المصرية فى كل الميادين العلمية والاقتصادية وذلك من خلال متابعة المركز الأكاديمى الإسرائيلى لنشاطات الباحثين المصريين وذلك فى الوقت الذى تتجاهل فيه الدولة المصرية وأجهزتها البحثية هؤلاء المخترعين ، بل وتضع أمامهم صعاباً كثيرة حتى يفكر معظمهم فى الهجرة للخارج حتى ترى مبتكراته النور .
والمركز الأكاديمى الإسرائيلى لديه ملفات لخمسة من شباب المخترعين المصريين تتركز اختراعاتهم فى مجال الماكينات الثقيلة فى المصانع والغزل والنسيج وتحويل التربة المالحة لخصبة ومجالات تحلية المياه واعتبر المركز الإسرائيلى أن هذه المخترعات تعتبر من أنبغ ما توصل إليه العلم فى العالم .
وهذا ما حدث للدكتور إيهاب داوود – استشارى القلب والباطنة – الذى صمم أول جهاز يحاكى عمل القلب الطبيعى – وهو قلب صناعى متكامل يتم زراعته كاملاً داخل القلب التالف.
وعندما راسل الطبيب المصرى إحدى الشركات الأوروبية لتبنى اختراعه جاءه رد من هذه الشركة ولكن أخطأ الراسل وكتب عنوانه والذى اتضح أنه نائب رئيس شركة ديسكفرى الإسرائيلية فقطع الطبيب المصرى كل صلاته بهذه الشركة ، وقال الطبيب المصرى بحسرة كبيرة : إنه لا يوجد مركز مصرى يتبنى ابتكارات المصريين ويتولى الاتصال بالشركات العالمية لتسويق مخترعاتنا .
** نشرت الصحف فى عام2010 خبراً عن تمويل إسرائيل لإنشاء سدود على النيل فى أثيوبيا (سد النهضة) وفى أوغندا ، وأن هذه السدود ستحرم مصر من 12 مليار متر مكعب وذلك للضغط على مصر فى ملف المياه مع دول

حوض النيل .وقد قال د. أحمد فوزى – خبير المياه بالأمم المتحدة : إن إنشاء أوغندا لهذه السدود سيؤثر بالسلب على حصة مصر من المياه .

من جانب آخر طالبت الكونغو بدعم العلاقات بين مصر والكونغو فى مجال الدراسات الفنية للموارد المائية وتنفيذ عدد من المشروعات فى مجال إنشاء السدود وخزانات الأدوية لإمداد المناطق الريفية بالمياه الصالحة ، وجدير بالذكر أن الكونغو لم توقع على الاتفاقية الإطارية لدول حوض النيل .

** ذكرت صحيفة " الشعب " أن خبراء زراعيين مصريين اتهموا شركات زراعية مصرية باستيراد بذور وتقاوى طماطم إسرائيلية تسببت فى إتلاف 42 ألف فدان مزروعة طماطم فى الفيوم .

** وفى سياق متصل نشرت الصحف أن سلالة جديدة من الحمى القلاعية ظهرت فى قطاع غزة وهو ما يمثل تهديداً للثروة الحيوانية فى مصر . وأوضح نقيب البيطريين أن التقارير الصادرة عن منظمة الصحة الحيوانية أظهرت أن العترة الجديدة ظهرت نتيجة شحنة أبقار من أستراليا إلى قطاع غزة عبر إسرائيل مما نتج عنه دخول المرض لقطاع غزة ومنه إلى مصر.

** نشرت الصحف عام 2010 موضوعاً مهماً عن 250 مليار جنيه حصلت عليها مصر على مدار 30 عاماً من الإدارة الأمريكية على هيئة منح ومعونات وتساءلت الصحيفة " أين ذهبت أموال المعونات الخارجية والمنح منذ كامب ديفيد " ؟.

وأوضح حمدى عبد العظيم – الخبير الاقتصادى – أن المعونة الأمريكية مشروطة والاستغناء عنها أفضل لأن الأمريكان لا يتخلون أبداً عن فرض شروطهم عند تقديم أى منح أو قروض أو مساعدات مالية .

وأشار إبراهيم زهران الخبير البترولى أن مصر لم تستفد أبداً من المعونة الأمريكية وأن هناك مجموعة قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة هم من استفادوا

من هذه المعونة بدليل أن هناك أشخاصاً أعلنوا أن ثرواتهم تخطت ما بين 40 – 70 مليار دولار ولم يتم سؤال أياً منهم عن مصدر هذه الثروة.

وأوضح د. حمدى عبد العظيم مرة أخرى أنه يوجد فساد كبير فى صرف أموال المعونة الأمريكية فى مصر مشيراً إلى أن مجلس الشعب ليست له أى أدوار رقابية على أموال المعونة ولا فى الأغراض التى تصرف عليها ، لافتاً إلى أن العلاقات السياسية بين مصر وأمريكا تبقى دائماً رهناً على الصورة التى يراها الأمريكان وعلى أية كيفية يجب أن تكون.

** ونشرت " روزاليوسف " فى 2011/7/4 تقريراً عن أراضى الشرابية التى تمكن ورثة المليونير اليهودى فيليب كفورى من الاستيلاء على هذه الأرض التى كانت مخصصة للشركة المصرية لتجارة السلع الغذائية بالجملة، والعجيب أن هذه الأرض سلمت لورثة المليونير اليهودى بعد تسلمهم للأرض بعد صدور حكم أول درجة دون استئناف من الحكومة على هذا الحكم مما يؤكد تواطؤ الحكومة مع هذا الحكم .

ورغم أن اليهودى كان له 5 أبناء إلا أنه لم يظهر إلا وريث واحد فقط دون تقديم توكيلات من الأبناء الآخرين ، ويضاف لهذه الأرض أرض السكاكينى التى تدخل يوسف بطرس غالى بنفسه لتسليمها لمجهولين وهما : أحمد حسام سيف الدين وشقيقته فتحية ، مما يثبت أن وزراء حكومة مبارك سهلوا تسليم أراضى الشرابية لليهود مرة أخرى وسهلوا أيضاً الاستيلاء على أرض السكاكينى التى كانت مؤجرة لشركة حسن علام وتسليمها لأشخاص لهم صفة قانونية بطريق التحايل بتدخل شخصى من بطرس غالى الهارب للندن والذى ثبت تورطه فى علاقات مباشرة مع الإسرائيليين والأمريكان .

** نشرت المصرى اليوم موضوعاً عن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل وأن إسرائيل تنوى إقامة حوار استراتيجى وإجراء تعديل فى الملحق العسكرى وذلك خوفاً من أن تتحولى معاهدة السلام كإحدى القضايا فى الانتخابات الرئاسية

المقبلـة .وقد أكد مسؤول فـى المجلس العسكرى الحـاكم فـى مصـر أن مصـر زادت مـن قواتهـا فـى سيناء لحمايـة أمنهـا القومـى وأن مصـر ستزيد قواتهـا فـى المنطقة " ج " سواء وافقت إسرائيل أم لم توافق .

كذلك نشـرت المصـرى اليـوم فـى نفس العـدد عـن القلـق المصـرى المتزايـد مـن اختيـار دولـة جنـوب السودان القدس مكان لإقامـة سفارتها ، خاصـة بعد تـوافر معلومـات مؤكدة عن التعـاون الوثيق بين إسرائيل وجنـوب السودان ، فيمـا أكد نصر الدين كوشيب ممثل الحركة الشعبية فى مصـر أن علاقة جنوب السودان مـع إسرائيل لـن تكـون علـى حسـاب العـرب .فيمـا أكد هـانى رسـلان مـدير وحدة السـودان وحـوض النيـل بمركـز الأهـرام للدراسـات أنـه ينبغـى اعتمـاد اسـتراتيجية مصـرية للتواجد فـى جنـوب السـودان لوقف المـد الإسـرائيلى الـذى لا يسـتهدف جنوب السودان فقط بل يتعداه لكل أفريقيا .

يذكر أن إسرائيل تدعم جيش جنوب السودان بالمعدات العسكرية والتدريب الفنى العسكرى عبـر مـدربين وخبـراء إسـرائيليين وأيضـاً عبـر التعـاون الاسـتخبارى ، كذلك أرسلت إسرائيل الخبراء الزراعيين والأطباء إلـى جنوب السودان للمسـاعدة فـى بنـاء الدولـة الوليـدة خاصـة أن علاقـة إسـرائيل بجنـوب السـودان تعـود لعـام 1955 بعد تمرد الجنرال جوزيف لاقو الذى زار إسرائيل لأول مرة عام 1967 وبدأت إسرائيل بعدها فى تدريب قوات التمرد فى الجنوب ومدها بالسلاح .

** وفـى خبر آخر قالت المصرى اليوم : إن اللوبى اليهودى فـى أمريكا طالب البيت الأبـيض بالضـغط علـى مصـر عبـر المعونـة الأمريكيـة لفرض مزيد مـن الأمن على الحدود المصرية الإسرائيلية وذلك خوفاً من تسلل عناصـر جهادية من سيناء أو غزة لتنفيذ عمليات فى العمق الإسرائيلى .

** وفـى سـياق متصـل خلصـت دراسـة إسـرائيلية أعدها مركـز أبحـاث الأمـن القومـى فـى تـل أبيب إلـى أن التغييـر الـذى حـدث فـى مصـر بعـد خلـع حسـنى مبارك يعتبر محدوداً جداً .

واعتبرت الدراسة أن الوضع الاقتصادى المصرى معقد للغاية وهو المشكلة الكبرى التى ستواجه أى نظام سيحكم مصر بعد الانتخابات الرئاسية وأن هذا الوضع الاقتصادى هو ما سيصعب على أى رئيس قادم حتى لو كان معادياً لإسرائيل شن حرب عليها .

** فى إطار الحرب البيولوجية التى تشنها إسرائيل على مصر منذ السبعينات كشفت جريدة "الميدان" فى 7مارس 2012 أن إسرائيل قامت بتطوير جراثيم وميكروبات وتم حقنها لبراغيث وفئران وحشرات فى سبيل نشر الأمراض الفتاكة مثل السرطان وضمور العضلات والبلادة بين أفراد الشعب المصرى،وأن إسرائيل أسقطت هذه الفئران على صحراء النقب فى السبعينات .وقالت الصحيفة : إنه كانت توجد شبكة جواسيس وخونة فى وزارة الصحة والزراعة فى العقود الماضية سهلت دخول هذه الأمراض الفتاكة لمصر بأوامر مباشرة من الرئيس المخلوع (حسنى مبارك) ويوسف والى وزير الزراعة الأسبق وأن فوبيا أنفلونزا الطيور والأمراض التى أصابت صناعة الدواجن المصرية كلفت الدولة والمربين 45 مليار جنيه وقال د. أسامة سليم رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للخدمات البيطرية : إنه تم اكتشاف لقاحات وهرمونات إسرائيلية فى السوق المصرية تؤدى عند استخدامها لتخريب كامل لصناعة الدواجن فى مصر.

يذكر أنه تم اكتشاف عدة حالات طاعون فى مرسى مطروح مع ثبوت تلوث مصادر المياه ببعض المناطق كما قال د. مراد شعير أستاذ الطب الوقائى بالأسكندرية والذى تم التحريض ضده ثم فصله من عمله بسبب تقدمه بعدة بلاغات ضد قيادات وزارة الزراعة ووزارة الصحة لثبوت تواطؤهم فى هذا المخطط الإسرائيلى البيولوجى لتدمير مصر وشعبها واقتصادها .

كما تقدم ببلاغ لوزير الدفاع السابق المشير طنطاوى للتحقيق فى هذه الوقائع التى تهدد قوات مصر المسلحة فى الصحراء الغربية .

وفى هذا الإطار أيضاً نشرت جريدة المصرى اليوم بتاريخ 2011/8/15 تحقيقاً عن مبيدات إسرائيلية يستخدمها المزارعون المصريون خاصة من يزرعون الخضراوات والفاكهة مثل الطماطم والباذنجان والبطيخ والخيار والعنب والخوخ . وقالت الصحيفة : إن هذا المبيد يحتوى على " ACETOCLITOR " وهذه المادة المسبب الأول للسرطان وهى مادة محظورة عالمياً بما فيها إسرائيل أى أنها تنتجه ولا تستخدمه وذلك بهدف القضاء على أجيال من أبناء الشعب المصرى .وفى لقاء لمراسل الجريدة مع بعض مزارعى الطماطم بمنطقة الصالحية تبين أن معظم المزارعين بهذه المناطق يستخدمون هذا المبيد الإسرائيلى والذى يسبب أضراراً بالغة لمن يتناول هذه الثمار .

وقد أكد د.محمد فتحى سالم مستشار منظمة الزراعة العالمية "الفاو" أن هذا الهرمون يعرف علمياً بهرمون النمو وهو أحد أنواع الأسمدة التى ترش خارجياً وتحدث انقساماً سريعاً وعشوائياً فى شكل وحجم الثمرة بسبب فاعلية المبيد وتتعرض الثمرة لعمليتين هما كبر حجم الخلايا وتتضاعف عددها مما ينتج عنه كبر حجم الثمرة مما يعطى فى النهاية محصولاً أكثر من ثلاثة أضعاف المحصول الطبيعى.وأكد أن هذا الهرمون يصل للدم خلال دقيقة واحدة من تناول النباتات المرشوشة به كما أن له أضراراً بالغة على الجلد والعين ويسبب تلوثاً خطيراً بالتربة كما يتلف ويلوث مياه الصرف الزراعى.

** فى مقال للخبير الاستراتيجى اللواء طلعت مسلم نشرته الدستور فى 2012/4/29 عن سيناء وضرورة تعميرها حقيقة وفى أسرع وقت ، لأننا كل عام دأب الإعلام على تكرار نفس المقولات والأحاديث المكررة دون السعى الجاد لإعمار سيناء تنموياً وسكانياً فهل يعقل أن سيناء وهى تمثل 6% من مساحة مصر لا يسكنها إلا 300 ألف نسمة والنسبة التى ينبغى لها أن تكون لا تقل عن أربعة ملايين نسمة وأولى المشاكل التى تواجهنا فى سيناء هى توفير المياه الصالحة للشرب والزراعة ، فبات تحلية المياه من البحر أولى

الأولويات التى يجب التوسع فيها لتلبية احتياجات الزراعة والتنمية وجذب السكان لمواجهة المد الإرهابى من بعض المنظمات والتى نادى بعضها بإقامة إمارة إسلامية فى سيناء ، مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة إقامة صناعات صغيرة قائمة على الثروة المعدنية الغنية بها سيناء ، مع ضرورة توفير الأمن وسيطرة الأجهزة الأمنية والعسكرية على كل شبر فى سيناء لأنه لا تنمية بدون أمن .

من جهة أخرى كشف التقرير السنوى أن حركة السياحة بين مصر وإسرائيل فى مطار القاهرة شهدت زيادة ملحوظة بلغت 15% حيث بلغت 50 ألف راكب على عدد 506 رحلات جوية بين القاهرة وتل أبيب .

** إسرائيل تسعى لاستعادة أملاك اليهود فى مصر والدول العربية(*) ، كان هذا عنوان لمقال كتبه " محمد شعبان " بتاريخ 2012/8/13 ونشر على بوابة الأهرام الالكترونية وجاء فيه أن إسرائيل تسعى لإستعادة أملاك اليهود التى تم تأميمها فى مصر وبعض الدول العربية وأنها أطلقت حملة دولية من مقر الأمم المتحدة كما عقدت وزارة الخارجية الإسرائيلية مؤتمراً لمناقشة أوضاع وأملاك اليهود فى مصر والعالم العربى وكيفية استرداد هذه الأملاك التى تم تأميمها عبر العقود الماضية أثناء احتدام الصراع العربى الإسرائيلى.

وذكرت الخارجية الإسرائيلية أن حوالى 865 ألف يهودى كانوا يسكنون مصر وبعض الدول العربية وقد هاجر منهم حوالى 600 ألف بعد قيام إسرائيل فى حين هاجر الباقى إلى أوروبا وأمريكا وتبقى عدة مئات فقط فى مصر وباقى الدول العربية وكانت ممتلكات اليهود فى مصر تقدر بحوالى مليار جنيه والآن تقدر بحوالى 21مليار دولار وتطالب إسرائيل باسترداد مبانٍ ومدارس وممتلكات ومساحات واسعة وأراض فضاء ومستشفيات وغيرها .

* انظر تفاصيل قضية اليهود المصريين فى باب " التطبيع الاجتماعى "

وحسب مخطط أمريكى إسرائيلى يقوده اللوبى اليهودى ومنظمات أخرى إسرائيلية فإنه من المقرر أن يتم وضع قضية حق العودة للفلسطينيين مقابل استرداد ممتلكات اليهود فى مصر وباقى الدول العربية .

** نشرت صحيفة " الصباح " فى 2012/10/4 خبراً عن تقرير إدارى يتهم نائب رئيس قطاع الآثار بالتعامل مع إسرائيل عبر أساتذة فى جامعة بن جوريون ويقابلهم فى مبنى سكنى خاص به فى مدينة القنطرة، فضلاً عن تلاعبه فى ميزانيات تعمير سيناء بصفته المسئول عنها وقد كشف نور عبدالصمد مدير عام التوثيق الأثرى بقطاع المتاحف اختفاء 36 ألف قطعة من الآثار المستردة من إسرائيل .وفى سياق متصل طالبت مصر إسرائيل بإعادة تابوتين أثريين مسروقين من مصر بعد العثور عليهما فى أحد المحال بالقدس المحتلة ، وكانت " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية اعترفت بأن تجار الآثار يزورون مستندات تفيد العثور على تلك الآثار داخل إسرائيل لبيعها بعد ذلك بطرق غير قانونية وعبر مستندات مزورة .

** نشرت صحيفة " الوطن العربى " فى 2012/10/29 قوائم بأسماء عملاء إسرائيل فى كافة المناحى والمجالات وقد ضمت القائمة مهندسين وصحفيين ومحامين وسياسيين وفنانين، وضمت القائمة أكثر من 35 شركة تعمل فى سوق الاتصالات والمعلومات فى الوطن العربى وتغير دولة المنشأ من إسرائيل لاسم دولة عربية أو أوروبية ومن هذه الشركات " شك بوين " وشركة راد وشركة بى جاسوس للتكنولوجيا وغيرها من الشركات التى تعمل فى الوطن العربى بأسماء مستعارة بعد تغيير دولة المنشأ كما أن هناك شركات تعمل فى المجال الزراعى وتعتبر فروعاً أو توكيلات لشركات إسرائيلية منها أجرولاند وكارمل وتكنوجرين وسيف أجريت .

** نشرت صحيفة " الأهرام " فى 2012/11/4 أن 5 شركات مصرية أصرت على استيراد 1400 طن من غاز " تروميد الميثيل " رغم أنه غاز محظور

استخدامه فى الزراعة وأنه قد تم استيراده بموافقة رسمية خاصة من وزارة البيئة رغم أن هذا الغاز هو الأكثر فتكاً بالبيئة وتدمير الكائنات الحية بالتربة كما يلحق ضرراً مباشراً بطبقة الأوزون وإسرائيل مصدر رئيس له.

وفى سياق متصل أوضحت اللجنة العليا للمبيدات بوزارة الزراعة أن المبيد نيمافوس 2E 40% منشأه اليونان ويتم الاستيراد مباشرة من اليونان وإسرائيل من كبار المصدرين له .

** نشرت صحيفة " المصرى اليوم " تصريحات لوزير البترول المصرى أسامة كمال نفى فيها قيام قبرص وإسرائيل بانتهاك حدود مصر المائية الدولية للتنقيب عن الغاز الطبيعى وقال: لن يستطيع أحد أن يعرقل جهود مصر لتنمية مناطقها الاقتصادية عبر البحث واكتشاف الغاز وأن الخرائط المقدمة من هيئة المساحة العسكرية وهيئة عمليات القوات المسلحة توضح أنه لا يوجد أى نشاط أجنبى فى مناطقنا فى المياه الدولية ، ونفى أن تكون اليونان منطقة للتنقيب عن الغاز تبعد مسافة 30 كم فقط من سواحل مطروح مؤكداً أن الشركة القابضة للغازات طرحت المنطقة للتنقيب ضمن المزايدة المطروحة حالياً .

**تلك كانت نماذج من أبرز الأخبار والأحداث المتصلة بالتطبيع الاقتصادى بين مصر وإسرائيل خلال الفترة (1979–2011) وما بعدها ، والتى تثبت فى مجملها أن الاختراق الاقتصادى الإسرائيلى لمصر ، خلال فترة حكم مبارك أفاد إسرائيل أولاً ، ولم يفد فى مصر إلا النظام الحاكم ومن دار فى فلكه من رجال أعمال ، كانت تهمهم مغانمهم الشخصية بعيداً عن (الوطن) الذى يعيشون فيه ، ولذلك فشل التطبيع الاقتصادى أن يتحول إلى حالة شعبية، وظل أمره قاصراً على الشريحة الأكثر ثراءً وفساداً واستبداداً خلال الفترة (1979–2011).

***

<u>من مصادر الفصل (بالإضافة للمراجع التى وردت فى متن الفصل وبين سطوره – نضيف ما يلى من مصادر أخرى للبحث) :</u>

1 – عادل حسين : التطبيع / المخطط الصهيونى للهيئة الاقتصادية ، القاهرة – بيروت ، مكتبة مدبولى ، دار أزال ، الطبعة الثانية ، 1985 .

2 – محسن عوض : مصر وإسرائيل خمس سنوات من التطبيع ، القاهرة ، دار المستقبل العربى – 1986 .
3 – حازم هاشم : المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصرى ، أسرار ووثائق ، القاهرة ، دار المستقبل المصرى ، 1986 .
4 – د. رفعت سيد أحمد : اختراق العقل المصرى : دراسة ووثائق ، القاهرة : التونى للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، 1986 .
5 – د. رفعت سيد أحمد : وصف مصر بالعبرى : تفاصيل الاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى – دار سينا للنشر – القاهرة 1989 .
6 – محسن عوض : الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،مايو 1988 ، ص ص 76 – 79.
7 – محمود المراغى : حديث الوثائق : رجال فوق القانون ، صحيفة الأهالى بتاريخ 1989/2/8 ص3 (صحيفة أسبوعية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، القاهرة) .
8 – د. رفعت سيد أحمد : حرب المعلومات – مجلة استراتيجيات – بيروت – العدد 94 – ديسمبر 1989 .

الباب الثالث

التطبيع الإعلامى

(2011-1979)

الفصل الأول

التطبيع الإعلامى :
الحقائق والمسارات والنماذج

* يظل التطبيع الإعلامى والثقافى من أخطر أشكال التطبيع مع إسرائيل منذ العام 1979 حتى اليوم ، وذلك لدوره فى تشكيل الوعى وخلق أوهام جديدة حول العلاقات مع الكيان الصهيونى ، لا تمت إلى طبيعة هذا الكيان أو لسياساته على أرض الواقع بصلة ، مثل رغبته فى السلام والتعايش والحوار وإعادة الحقوق إلى أصحابها فى فلسطين ؛ ولما يقوم به التطبيع الإعلامى – تحديداً – من اختراق للعقل وإعادة صياغة لأولوياته وهو ما حاوله رجال الإعلام من المطبعين وكذلك المؤسسات التطبيعية المرتبطة بهم.

* وفى هذا الفصل نحاول أن نقدم بعض الحقائق المرتبطة بالتطبيع الإعلامى و(الصحفى بخاصة) ومساراته التى مضى فيها ، مع الكشف عن أبرز الأسماء الصحفية " المطبعة " خلال الـ32 عاماً (فترة بحثنا هذا) والرد على ذرائعهم التى يبررون بها التطبيع الإعلامى مع الكيان الصهيونى رغم استمراره فى عدوانه وسياساته وحروبه ضد شعوبنا وأمتنا .

وسوف نمحور البحث فى هذا الفصل حول المحاور التالية :

أولاً : الموقف الرسمى لنقابة الصحفيين من التطبيع ، قراءة فى معركة مهمة ضد المطبعين:

لقد كان موقف نقابة الصحفيين موقفاً مبكراً جداً ضد أى شكل من أشكال التطبيع مع الكيان الصهيونى : إعلاماً وسياسة ؛ وذلك منذ مارس من العام 1980 ، لإدراك الجماعة الصحفية لخطورة هذا التطبيع على الهوية والحقوق العربية ، وبأنه لا علاقة له بالمهنية أو حرية الرأى والتعبير كما ذهب المطبعون والإعلاميين .

إن أول قرار لنقابة الصحفيين المصريين صدر في مارس 1980 وكان ينص على: "مقاطعة كافة أشكال التطبيع النقابي مع الكيان الإسرائيلي حتى استرجاع جميع الأراضي العربية المحتلة".

وفي مارس 1985صدر قرار جديد يقول نصه:

التأكيد على القرار السابق وإضافة "ومنع إقامة أية علاقات مهنية وشخصية مع المؤسسات الإعلامية والجهات والأشخاص الإسرائيليين".

وفي مارس 1987 تم التأكيد على القرارات السابقة وإضافة "وتطلب الجمعية العمومية من أعضائها جميعا الالتزام الدقيق بقرارات عدم التطبيع وتكلف المجلس بوضع أسس المحاسبة والتأديب لمن يخالف القرار".

وأصبح القرار الذي تؤكده الجمعيات العمومية في نصه الأخير هو:

"حظر كافة أشكال التطبيع المهني والشخصي والنقابي ومنع إقامة أية علاقات مع المؤسسات الإعلامية والجهات والأشخاص الإسرائيليين حتى يتم تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة.

وتطلب الجمعية العمومية من أعضائها جميعا الالتزام الدقيق بقرارات عدم التطبيع وتكلف المجلس بوضع أسس المحاسبة والتأديب لمن يخالف القرار"(*)، وعليه فإن من يقم بهذا التطبيع المرفوض شعبياً، فإنه إما مقتنعاً به إلى حد أن يدفعه إلى معاداة جموع المثقفين والصحفيين، وهذا مالا نعتقده ومالا تسنده وقائع أو حقائق على الأرض.

وإما أن هؤلاء يؤدون وظيفة محددة لصالح جهات لا تتمنى الخير لهذه الأمة وتتعمد اختراق وتهديد أمنها القومي، وبخاصة شقه الثقافي والاجتماعي، لعلمهم أن السياسي أو الاقتصادي أسهل في المواجهة وأيسر.

***

* فى هذا الإطار جاءت إحدى أبرز معارك نقابة الصحفيين ضد ما سمى بتحالف كوبنهاجن بقيادة لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد عضوى النقابة ، حين أحالتهم للتحقيق وطالب جموع الصحفيين بإسقاط عضوية النقابة عنهما لمخالفتهما قرارات النقابة ، فى هذه المعركة التى جرت فى عام 1997 .

---

* انظر فى قسم الوثائق ، صورة ضوئية من قرار النقابة .

لقد شهدت الفترة خلال شهرى يوليو وأغسطس 1997 وقائع هذه القضية ، وبدأت رحاها عندما أحال مجلس نقابة الصحفيين كلاً من لطفى الخولى ، ود. عبد المنعم سعيد للجنة تحقيق نقابية لقيامهما بالسفر إلى إسرائيل أكثر من مرة ولإجرائهما اتصالات مع إسرائيليين فى تل أبيب والقاهرة بالمخالفة لقرارات الجمعية العمومية للنقابة رغم لفت نظرهما. وقد أثار هذا القرار العديد من ردود الأفعال كان أولها المقال الذى نشره د.محمد السيد سعيد فى جريدة الأهرام يوم 23 أغسطس 1997 بعنوان : " نقابة الصحفيين ضمير جماعى أم روح القطيع؟! " وهو المقال الذى بدأت به المعركة السياسية التى شهدتها الصحافة المصرية ، وقد تنوعت القضايا والموضوعات التى شملتها هذه الحملة .

ولكن وقبل تناول هذه المعركة بالتحليل لابد من الإشارة إلى الملاحظات التالية وفقاً للعدد الخاص من مجلة (الدراسات الإعلامية) الذى احتوى جميع كتابات تلك الحملة :

1 – إن هذه المعركة الصحفية كان يراد لها فى البدء أن تكون حملة صحفية موجهة ضد قرار نقابة الصحفيين واتهام النقابة بمعاداة حرية الرأى والتعبير وانتهاك القانون العام . وهذا ما يمكن لنا أن نستخرجه من مقال د. محمد السيد سعيد ، ولكن تصدى عدد كبير من الكتاب الكبار والعديد من الصحف لهذا المقال وللقضايا التى يثيرها حولها إلى معركة صحفية متكاملة ونموذجية جديرة بالدراسة .

2 – اشترك فى هذه المعركة الصحفية عدد كبير من الصحف والمجلات المصرية مثل : الأهرام ، الأخبار ،والجمهورية، والوفد ،والدستور، والعربى، والأهالى ، والأحرار ، وصباح الخير ، وروزاليوسف،وأخبار اليوم ، والعالم اليوم ، والمصور ، والسياسى المصرى .

3 – شملت الحملة كافة الفنون الصحفية مثل : المقال ، والتحقيق الصحفى ، والكاريكاتير ، والحوار الصحفى ، والخبر ، والعمود اليومى .

4 – فى الوقت الذى لجأ فيه مؤيدو قرار النقابة إلى استخدام كافة هذه الفنون الصحفية . فإن معارضى القرار لم يلجؤوا إلا إلى المقال الصحفى وأحياناً العمود اليومى .

5 – كانت التحقيقات الصحفية التى شملتها هذه الحملة متوازنة فى أغلبها "من خلال نشر آراء المؤيدين والمعارضين لقرار النقابة والمؤيدين والمعارضين للتطبيع مع إسرائيل ،وشذ عن هذه القاعدة جريدة العربى الناطقة بلسان الحزب الناصرى حيث كانت تحقيقاتها أيضاً موجهة ضد المعارضين لقرار النقابة وضد مؤيدى التطبيع مع إسرائيل وهو نفس الحال الذى سارت عليه المقالات التى نشرتها العربى وأيضاً الحوارات الصحفية التى شملت الموضوع. أما الأهالى فقد جاءت مقالاتها وتعليقات كتابها فى أغلبها يشذ عن هذه القاعدة وقد جاءت المقالات مؤيدة لقرار النقابة،أما التحقيقات التى نشرتها فقد كانت متوازنة بنشر الآراء المؤيدة والمخالفة .

6 – تناول بعض الكتاب الموضوع بطريق غير مباشر من خلال تناول أزمة حسام الدين مصطفى مع نقابة السينمائيين ، وكأنهم يقولون للنقابة المثل الشعبى الشهير : " الكلام لك يا جارة" ومن هؤلاء الكتاب : عبده مباشر وصلاح منتصر .

7 – كانت جريدة الأهرام هى الصحيفة الأكثر التزاماً بمعارضة قرار النقابة سواء بنشر مقالات عديدة وبدء الحملة الصحفية أم بمنع نشر ردود على مقال د. محمد السيد سعيد وحظر مقالات لكتابها الدائمين ، يتناولون فيها نفس الموضوع من وجهة نظر مخالفة ومن الردود التى منعت رد د. رفعت سيد أحمد ، وسعد زغلول فؤاد ، ومن المقالات التى حظرت مقال فهمى هويدى وكلها نشرت فى مجلة " الدراسات الإعلامية " فى عدد خاص ، وكان الاستثناء هو نشر مقال لصلاح الدين حافظ بالأهرام يؤيد فيه قرار النقابة وينتقد التطبيع .

8 – بعض المقالات التى شملتها الحملة لا تستحق الوقوف أمامها بسبب تجاوزها حدود اللياقة وأحياناً أدب الحوار خاصة بين زملاء فى نفس المهنة، أو بسبب اللغة المستخدمة التى لا ترقى إلى اللغة التى يجب أن تستخدم فى الصحافة الموضوعية والجادة .

9 – من خلال رصد كم المواد الصحفية التى شملتها هذه المعركة الصحفية الكبرى يمكن لنا دون عناء القول بأن أنصار التطبيع داخل مهنة الصحافة أقلية ضئيلة للغاية،فقد حرص معظم المدافعين عن د. عبد المنعم سعيد ولطفى الخولى على تأكيد رفضهم للتطبيع ، وموافقتهم على قرارات الجمعية العمومية الصادرة بهذا الشأن،وأحياناً إظهار أن ما فعله الزميلان ليس تطبيعاً، وأيضاً تأكيد اختلافهم مع تجمع كوبنهاجن والإعلان الصادر عنه من حيث المبنى والمعنى .

وقد تنوعت القضايا التى تتناولها هذه المعركة الصحفية لتشمل حزمتين رئيستين من القضايا الأولى ، يمكن أن نطلق عليها القضايا السياسية مثل : قضية التطبيع مع إسرائيل ، وحدود حرية الرأى والتعبير ، أما الحزمة الثانية من هذه القضايا فهى النقابية والمهنية مثل : الفارق بين الحزب السياسى والنقابة المهنية ، ومدى إلزام قرارات نقابة الصحفيين على أعضائها ، وحدود الدور السياسى لنقابة السينمائيين ، وكيف يتصرف الصحفى إذا ما كان قيامه بواجبه المهنى يتعارض مع التزامه بواجبه النقابى.

1 – القضايا السياسية :

يمكن القول : إن مقال د. محمد السيد سعيد نجح إلى حد كبير فى تحقيق مهمة رئيسة ، وهى فرض جدول أعمال هذه المعركة الصحفية ، حيث كانت غالبية الأفكار التى تضمنتها المقالات النى نشرت للرد عليه ليست إلا تناولاً وتفنيداً للأفكار والآراء التى طرحها الدكتور محمد السيد سعيد ، أما عن القضايا السياسية التى شملتها هذه المعركة الفكرية فلعل فى مقدمتها قضية

التطبيع مع إسرائيل وتكاد كافة المقالات التى نشرت تجمع على إحدى القضايا الفرعية التى تختص بالتطبيع وهى تعريف التطبيع ، ففى الوقت الذى قدم د. محمد السيد سعيد تعريفه للتطبيع فى المقال الذى نشره بالأهرام وهو : " تلك الترتيبات التى تعطى إسرائيل – كدولة – الحق فى الحصول على مزايا التعاون مع الدول العربية وهيئاتها ، بما فى ذلك هيئات المجتمع المدنى – وهو ما يضيف إلى قوة هذه الدولة (أى إسرائيل) ! فى نفس هذا الوقت يدعو محمد سيد أحمد فى إحدى مقالاته إلى عقد مؤتمر نقابى لوضع تعريف للتطبيع فى ظل المستجدات التى طرأت على الصراع العربى – الإسرائيلى منذ توقيع اتفاق أوسلو عام 1993 وهو نفس المنهج الذى يسير عليه كل من : محمد عودة ، وصلاح عيسى ، ود. فتحى عبد الفتاح .

ومن القضايا الفرعية المرتبطة بالتطبيع مع إسرائيل ، قضية جدوى هذا التطبيع ففى الوقت الذى تطرح فيه بعض المقالات آراء ترى أن التطبيع مع إسرائيل يمكن أن يحدث انقساماً فى المجتمع الإسرائيلى ، فضلاً عن أنه يعزز ويقوى من القوى المؤيدة للسلام داخل هذا المجتمع وأنه لابد من أن يكون هناك حوار بين أنصار السلام من كلا الجانبين العربى والإسرائيلى ، تقف آراء على نقيض ذلك تماماً وترى أن قوى السلام داخل المجتمع الإسرائيلى هى قوى هامشية وليست أصيلة داخل هذا المجتمع ، وأن التطبيع مع العدو الصهيونى لن يحدث انقساماً داخل المجتمع الإسرائيلى بقدر ما أحدث هذا الانقسام بالفعل داخل النخبة المصرية : وهناك آراء طرحت ترى أن سياسات بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى تنسف تماماً كافة الدعاوى الخاصة بالتطبيع مع إسرائيل ، وتنسف إعلان كوبنهاجن من أساسه.

والقضية السياسية الثانية التى تضمنتها هذه الحملة تتركز حول حرية الرأى والتعبير ، والممارسة الديمقراطية ففى الوقت الذى رأى فيه محمد السيد سعيد أن قرار مجلس نقابة الصحفيين بالتحقيق مع لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد ،

مصادرة للحرية وملاحقة للضمير ووأد للاعتقادات السياسية والفكرية، يرد عليه العديد من الكتاب والصحفيين بالقول بأن قرار مجلس النقابة لم يكن موجهاً ضد الاعتقادات السياسية والفكرية بقدر ما كان موجهاً ضد فعل سياسى ، والدليل على ذلك أن العديد من الكتاب والصحفيين نشروا مقالات تنادى بالتطبيع على الصعيد النظرى دون أن يتخذ مجلس النقابة إزاءهم أية إجراءات ، وفى هذا الصدد يقول سعد زغلول فؤاد : إن هناك خلطاً بين حرية الرأى والتعبير وبين الممارسة والعمل الميدانى.. من ذلك مثلاً يمكن لكاتب أن يكتب ما شاء من مقالات يتعاطف فيها مع الإرهابيين ويدافع عنهم مدلياً بمبررات وعوامل انحرافهم ويمكن أن يبدى هذا التعاطف فى ندوات ثقافية أو اجتماعات سياسية فهذا يندرج تحت حرية الرأى والتعبير وأن أعمال التصدى والقمع لهذه الجرائم لا تعد مقصلة لأصحاب الآراء السياسية وقمعاً للحرية ! ونفس هذا الرأى يطرحه العديد من الكُتاب وإن كان باستخدام مفردات أخرى ومنهم : فهمى هويدى ، صلاح عيسى ، ولويس جريس وغيرهم .

أما جمال عبد الجواد فهو يقدم وجهة نظر ترى أن إجماع أعضاء نقابة الصحفيين ، يمثل رصيداً يجب أن نسعى لتدعيمه لصالح النقابة ولصالح مصر ، وأن أساليب بناء الإجماع فى مجتمع ديمقراطى أو ساع للديمقراطية لا تتضمن الضغط والتهديد ، وكان هذا الرأى يطرح كمحاولة لتفسير رأى د. محمد سيد سعيد بصورة تزيل عنه التباسات عديدة ، جعلت البعض يفهمه على عكس المقصود منه وعلى نفس الخط يسير د. أسامة الغزالى حرب الذى يقول : إن الواجب لنقابة الصحفيين إذا كانت تعبر عن رأى أو تتخذ موقفاً فى قضية سياسية عامة تهم الوطن كله ، فذلك لا يعنى حقها فى مصادرة رأى الأقلية من أعضائها الذين يختلفون مع هذا الموقف ، أو معاقبتهم على موقف آخر يتخذونه .

<u>2 – القضايا النقابية والمهنية :</u>

لعل أهم القضايا المهنية والنقابية التى شملتها هذه الحملة تتعلق بما إذا كانت نقابة الصحفيين منوط بها لعب دور سياسى عام ، أم لابد وأن يقتصر دورها على الشأن النقابى فقط ، فمحمد السيد سعيد يرى أن الشأن النقابى هو جوهر ما يجمع الصحفيين فى نقابة واحدة ، من هنا ، فإن "العقل والمنطق وأحكام المحكمة الدستورية العليا يعرف النقابة المهنية بأنها هيئة أو اتحاد ينشأ للدفاع عن مصالح أفراد تجمعهم مهنة واحدة ، ولم يقل أحد قط : إن النقابة هى هيئة سياسية مهمتها هى الدفاع عن آراء سياسية محددة ضد من يخالفها ! ويضيف فى موضع آخر : إنه يجوز لنقابة الصحفيين أن تقوم باتخاذ رأى حيال الشأن أو الشئون العامة وممارسته ، ولكن يجب أن يتم فى إطار قانون للبلاد يكون ديمقراطياً ، وفى إطار قانون النقابة الذى يتفق مع أوليات الممارسة الديمقراطية ، أى أن يعكس الرأى السياسى للنقابة مزاج ورؤى الأغلبية دون أن يجب آراء الأقلية أو ينكرها أو يصادرها أو يعاقب عليها ، وإلا تحولت النقابة إلى حزب سياسى صريح وتضمحل الحدود والفواصل بين النقابة والحزب السياسى .

وقد تصدى العديد من الكتاب لهذا الرأى وقد تركزت وجهة نظرهم على أنه من الصحيح أن نقابة الصحفيين نقابة مهنية أولاً وقبل كل شىء ، لكنها بحكم طبيعة عمل الصحفيين المحدد بصورة رئيسة فى تناول قضايا ومشكلات المجتمع والوطن ، وبحكم أن الصحافة جهاز من أجهزة الرقابة الشعبية على دولاب الحكم والإدارة،وهذه المهام فى ذاتها سياسية ، بهذا كله فإن الدستور المصرى أضفى على الصحافة مكانة سامية فأطلق عليها السلطة الرابعة ومن منطلق المهام السياسية الوطنية والقومية التى تمارسها مهنة الصحافة ، فإن قانون نقابة الصحفيين أقر صراحة العمل السياسى للنقابة حيث تحدد المادة 47 فيه اختصاصات مجلس النقابة وبيان ما يقوم به من واجبات ومن بين هذه المهام:وضع خطة العمل السياسى للنقابة ومتابعة تنفيذها .

وطرحت أيضاً خلال هذه المعركة الصحفية آراء حول مدى إلزام قرارات نقابة الصحفيين لأعضاء النقابة ، حيث إن قرار الجمعية العمومية – من وجهة نظر د. محمد السيد سعيد يجب أن يكون ملزماً النقابة كمؤسسة ، وأن الجمعية العمومية ليست سلطة على كل فرد من أفراد النقابة إلا فيما يتعلق بالجانب الذى يجمع بين أعضائها ، أى : مصالحهم ونشاطاتهم النقابية . ومن وجهة نظره أيضاً فإن قرار الجمعية العمومية هو توصية وليس قانوناً ، وأن فاعلية وضمان نفاذه يتوقف على الانضباط الطوعى والإرادى له من جانب الصحفيين ، وفى مواجهة هذا الرأى يتصدى صلاح عيسى بالقول : إن مناط التفرقة بين ما هو قرار وما هو توصية فيما يصدر عن الجمعية العمومية للنقابة ، يرتبط بما إذا كان الأمر يدخل فى نطاق سلطتها أو فى نطاق قدرتها أو يخرج عن النطاقين ، أما سعد زغلول فؤاد فيرد على محمد السيد سعيد بالقول : إن كل ما يصدر عن الجمعية العمومية للصحفيين يسمى بأسمائه فهناك توصيات تنفيذها اختيارى وهناك قرارات تنفيذها إجبارى .

ويرى صلاح عيسى أن ما ذهب إليه محمد السيد سعيد من قطع بأن كل ما تصدره الجمعية العمومية للنقابة هو توصيات ليست ملزمة لأحد ويستطيع كل عضو فى النقابة أن ينفذها أو لا ينفذها هو دعوة للقضاء على النقابة وتقويض لبنيانها كتنظيم جمعى يضم العاملين بالمهنة ويكتسب قوته من احتشادهم داخلها ومن اتخاذهم لمواقف جماعية ومن التزامهم بهذه المواقف.

والذى لاشك فيه – وفقاً لرأى محرر مجلة الدراسات الإعلامية التى جمعت فعاليات تلك المعركة – أن هذه المعركة الصحفية أثرت إلى حد كبير جو الحوار والنقاش فى صحافتنا المصرية ، وقدمت نموذجاً للحوار البناء والمسئول بين أصحاب الآراء المتباينة .

***

وفى إطار إبراز حقيقة هذه المعركة وأهميتها نورد ثلاث رؤى ترد على الراحل د. محمد السيد سعيد الذى كان يدافع وقتها عن لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد ، وفى أيامه الأخيرة تراجع عن هذه المواقف ، لأنه أدرك خاصة بعد رئاسته لتحرير جريدة (البديل) أن ما تمسكت به نقابة الصحفيين من رفض للتطبيع كان صحيحاً ، وأن إسرائيل لاتزال عدواً ولن تتغير .

أ – الرأى الأول للكاتب المعروف أحمد الجمال وجاء تحت عنوان " ليس دفاعاً عن قطيع الصحفيين " وجاء فيه : فجأة أصبحت نقابة الصحفيين المصريين متهمة بأنها تحولت إلى محكمة تفتيش تنصب المشانق لأصحاب الرأى ، وتنساق وراء روح القطيع ، الأمر الذى سيؤدى إلى تدمير هذا الصرح الديمقراطى العظيم !! .

أما سبب الاتهام فهو أن مجلس النقابة قرر أخيراً إحالة الزميلين الأستاذ لطفى الخولى والأستاذ عبد المنعم سعيد رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية بـ " الأهرام " إلى تحقيق لمخالفتهما قرارات الجمعية العمومية للنقابة بشأن منع التطبيع مع إسرائيل ، والمعروف أن الاثنين كانا على رأس قائمة المشاركين من مصر فى تحالف كوبنهاجن .. المشبوه !! .

أما عريضة الاتهام ضد النقابة فقد تقدم بها الزميل الدكتور محمد السيد سعيد نائب رئيس مركز " الأهرام " للدراسات الاستراتيجية ونشرتها " الأهرام " فى 23 أغسطس ، وفيها يبدى فزعه من تحول النقابة إلى مقصلة لأصحاب الرأى وأداة لمصادرة الحرية وملاحقة الضمير ووأد الاعتقادات السياسية الفكرية .. هكذا خبط لزق ، ولمجرد أن مجلس النقابة الذى سبق أن حذر الزميلين المشاركين فى تحالف كوبنهاجن ووجه لهما " لفت نظر " طالباً منهما الامتناع عن خرق قرارات الجمعية ، قام بتحويلهما أخيراً للتحقيق بعد استمرار الزميلين فى سلوكهما وسط تصريحات بتحدى النقابة أن تفعل شيئاً ضدهما باعتبار أن أهل كوبنهاجن فوق الحساب والمساءلة ، وبأنه يخضع لروح القطيع !! .

ولأنى واحد من " قطيع **!!** " ، الصحفيين المصريين المتمسكين بقرارات الجمعية العمومية لنقابتهم فى هذا الشأن ، فإننى أسمح بنفسى لنفسى بمناقشة ما جاء فـى عريضـة الاتهـام التـى وجهها الـدكتور سـعيد لمجلس النقابـة و"قطيـع" الصحفيين **!!** .

والدكتور سعيد يبدأ بالتأكيد على أن قرار منع ومناهضة التطبيع هو قرار صحيح " خاصة فى السياق التاريخى الذى اتخذ فيه هذا القرار **!!** أما الخطأ فيأتى فى إحالة مخالفى هذا القرار إلى التحقيق .. وهو ليس خطأ واحداً ، بل عدة أخطاء تجمعت لتشكل جريمة ضد حرية الرأى وخضوعاً لروح " القطيع**!** " .

* **<u>الخطـأ الأول</u>** عند الدكتور أن مجلس النقابة لم يفهم أن قرارات الجمعية العمومية ليست قرارات حقيقية بل مجرد توصيات لا تلزم أحداً .

والحقيقة أننى كنت أظن أن الجمعية العمومية قد قررت قبل أسابيع انتخاب الزميل مكرم محمد أحمد نقيباً للصحفيين ، ولم أكتشف إلا الآن فقط أن ذلك ليس إلا مجرد توصية من حق أى صحفى أن يقبلها أو يرفضها ! .

والحقيقة أننى كنت أظن أن ميثاق الشرف الصحفى هو التزام يعاقب القانون على مخالفته ولكنى الآن اكتشف – وفقاً لفتوى الدكتور سعيد – أنه ليس إلا توصية غير ملزمة لأنه صدر عن الجمعية العمومية ، ونفس الشىء ينطبق على اللائحة الداخلية التى تنظم كل شئون العمل النقابى وعلى لائحة آداب المهنة وعلى كل ما يصدر عن الجمعية العمومية .. إنها مجرد توصيات لا يلتزم بها أحد إلا بمزاجه أو بقناعته ، وعلى النقابة والعمل النقابى ألف سلام .. مثل سلام كوبنهاجن إياه **!!** .

* **<u>الخطأ الثانى</u>** عند الدكتور أن مجلس النقابة لم يكن يدرك الحقيقة الجوهرية ، وهى أنه لا يجوز للنقابة أن تفصل عضواً لمخالفته رأياً سياسياً حتى ولو تمتع هذا الرأى بتأييد الأغلبية . والمغالطة هنا مكشوفة .. فالنقابة هنا لا تحاسب

أهل كوبنهاجن على " رأى " آمنوا به ، وإنما على سلوك قاموا به ، وهو سلوك لا يمثل فقط خروجاً على قرارات الجمعية العمومية التى ساهم بعضهم فى صياغتها ودعمها حينما كانت المواقف غير المواقف والأحوال غير الأحوال ، ولكنه يمثل أيضاً إضراراً بمصالح النقابة وأعضائها الذين ترتبط مصالحهم بمصالح زملائهم فى الوطن العربى .. وليس بمصالح رجال المخابرات الإسرائيلية الذين أصبحوا بين يوم وليلة شركاء فى حلف كوبنهاجن ودعاة لسلام مشبوه !! .

أما النقطة الثالثة التى فى عريضة الاتهام ضد النقابة وقطيع الصحفيين فهى أنهم لم يدركوا أن قرارات الجمعية العمومية تلزم النقابة كمؤسسة ولكنها لا تلزم الأعضاء إلا فيما يتعلق بمصالحهم ونشاطاتهم النقابية .

وهو أمر يدركه الصحفيون جيداً ، مع الوضع فى الاعتبار أن مصالح المهنة عند الحديث عن الصحافة لا تنفصل عن مصالح الوطن وأنه لا صحافة حرة إلا فى وطن حر مستقل آمن . إننا هنا لا نتحدث عن قضية نفقة لمطلقة ولا عن مشكلة زواج أو طلاق أو نزاع على شقة تدخلت فيها الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين ، ولكننا نتحدث عن قضايا مثل التطبيع والإرهاب والحريات وهى من صميم العمل النقابى فى نقابة الصحفيين ، وما تراه الجمعية العمومية بشأنها ليس توصيات تأخذ بها أو تلقيها فى سلة المهملات ، بل هى قرارات على الجميع احترامها والالتزام بها .

و.. تبقى ملاحظتان على عريضة الاتهام التى وجهها الزميل الدكتور سعيد إلى نقابة الصحفيين بسبب قرارها بإحالة أهل كوبنهاجن إلى التحقيق .

**** الملاحظة الأولى** أن أى حديث عن " روح القطيع " بين الصحفيين هو حديث مرفوض. إن الذين أسقطوا القانون 93 لم يكونوا " قطيعاً " بل كانوا خير معبرين عن روح الوطن كله بمختلف اتجاهاته .

والذين خاضوا كل المعارك المهنية والوطنية والقومية من خلال نقابة هى جزء هام من تاريخ الحريات فى مصر .. ليسوا قطيعاً ولو كانوا كذلك لوقفوا وراء السلطة فى كل عهد بالحق والباطل ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، وتاريخ النقابة خير شاهد على المعارك النبيلة التى خاضتها ودفعت ثمنها والتى امتزج فيها مصير المهنة بمصير الوطن ، والتى تساوى فيها الموقف من تأييد مظاهرات الطلبة عام 68 مع الموقف من نزوة السادات حين أراد تحويل النقابة إلى ناد.
فى كل هذه المعارك وغيرها لم يكن الصحفيون " قطيعاً " بل كانوا ضمير الأمة وارتفعوا فوق الخلافات ، واتخذوا القرار الصحيح والتزموا به وموقف الصحفيين من التطبيع واحد من هذه المواقف العظيمة ، اتخذوه رغم الضغوط ، وتمسكوا به حين كان البعض " يهرول " إلى تل أبيب ، والبعض " يتسلل " إلى كوبنهاجن ، وها هى الأيام تثبت صحة الموقف ، والفلسطينيون أنفسهم يناشدون العرب ألا " يهرولوا " وألا " يطبعوا " بعد أن اتضحت حقيقة الصفقة التى يراد فرضها فى المنطقة والتى لن يدفع ثمنها إلا العرب .. والعرب وحدهم .

*** * <u>والملاحظة الثانية</u>** تتعلق بهذا القاموس غير " الليبرالى " الذى استخدمه الزميل فى عريضة الاتهام التى تريد باسم " الليبرالية " أن تضرب صميم العمل النقابى .
النقابة – عند الزميل العزيز – أصبحت مقصلة لأصحاب آراء سياسية وتحولت إلى محكمة تفتيش والأعضاء أصبحوا قطيعاً وقرار مجلس النقابة بالتحقيق مع أهل كوبنهاجن هو تعبير عن جمهرة متهوسة يصيبها الغضب والعمى وفقدان العقل وحمى العنف ! .
وقد نكون أمام كلام لا يستحق الرد ، ولكنه يثير الكثير من التساؤلات : فلماذا كل هذا الخوف من تحقيق " قانونى " تجريه النقابة لتثبت البراءة أو الإدانة ؟

ولماذا كل هذا الرعب من اتخاذ إجراءات التأديب إذا تقرر ذلك ، والأمر يتم فى وجود عناصر قضائية مستقلة وبالاحتكام إلى القانون ؟ .

هل هو الخوف من ظهور المزيد من الحقائق حول التحالف المشبوه ؟ أم أن البعض قد ظن أن تحالف كوبنهاجن قد أعطاه حماية خاصة ليصبح فوق الحساب وفوق المساءلة .. خاصة إذا جاءت هذه المساءلة من هذا القطيع الذى يضم الغالبية العظمى من الصحفيين المصريين الشرفاء ؟ ... أسئلة كثيرة نرجو أن يبدأ التحقيق على الفور لنعرف إجابتها .

****

ب – أما الرأى الثانى فهو لمؤلف هذه الموسوعة (د. رفعت سيد أحمد) وحمل عنوان " تعليقاً على د. محمد السيد سعيد : كيف تصف أعضاء نقابة الصحفيين بأنهم " قطيع " ثم تطالب هذا " القطيع " أن يكون ديمقراطياً ؟ "

وجاء فيه : احترت وأظن أن الكثيرين يشاركوننى هذه الحيرة فى فهم بعض " الزملاء " فى مركز الدراسات السياسية والفكرية من الضد إلى الضد دون التريث فى بعض " المحطات" لتوضيح الأمور على " المتجمدين " من أمثالنا، ممن التبست عليه القضايا وعجز عن فهم " عبقرية " هذه التحولات الدرامية.

أحد هؤلاء هو الدكتور " محمد السيد سعيد " الشيوعى الثائر سابقاً والمدافع الشرس عن قيم الغرب واقتصاديات السوق وما ينتج عنهما حالياً ، المدافع الصلب عن الاستقلال السياسى والثقافى سابقاً والمشارك النشط فى البحوث الممولة من الغرب بل والمنشىء – مع رفاق له – لأحد المراكز الثقافية الممولة من الغرب الذى ينتقص هذا الاستقلال ويقلصه إلى حد الكفاف ونقصد مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان " الاستقلال حالياً " ومن معاد عقلانى لمشروع الدولة العبرية فى فلسطين إلى مدافع عاطفى ديمقراطى عن التطبيع معها وعن حق المطبعين فى الإعلان عن تطبيعهم ونشره " انظر: مقالاته فى الحياة والأهرام خلال العامين الأخيرين" . ومن رافض لنظم الملكية والوراثة فى الحكم

إلى " محابٍ " لهم ومؤلف عنهم الكتب ومبشر بسقوط النظام الإقليمى العربى " كتابه عن مستقبل النظام العربى بعد حرب الخليج – سلسلة عالم المعرفة – الكويت " .

بماذا تفسر هذه التحولات لشخص واحد فى أقل من عقدين من الزمن ؟ ! سنترك التفاصيل للبحث الميدانى الذى نعده ومعنا فريق من الباحثين عن " تحولات الفكر والسياسة لدى الجماعة البحثية فى مصر – دراسة حالة لمركز دراسات الأهرام"1977– 1997"..وسأتوقف هنا فقط أمام أحدث تحولاته وتخريجاته الفكرية الصحفية ففى عدد الأهرام 1997/8/23 كتب الزميل الدكتور مقالاً تحت عنوان "نقابة الصحفيين ضمير جماعى أم روح القطيع" متهماً فيه قرار مجلس نقابة الصحفيين الذى صدر مؤخراً بإحالة بعض رموز المطبعين من أعضاء النقابة إلى التحقيق ؛ تنفيذاً لقرار الجمعية العمومية بأنه صادر عن روح عدوانية توظف آليات العقاب والقمع،وتشكل ما أسماه روح القطيع تلك الروح التى ستفرغ الجمعية العمومية للنقابة من " قوة الضمير " .

وقد ساق الزميل الدكتور العديد من الاتهامات واستخدام عشرات الألفاظ الخارجة التى تعكس حالة عقلية ونفسية خاصة – مغلفاً إياها كعادته دائماً – بقالب علمى براق وسأتجاوز عن كل ذلك لأ توقف معلقاً على بعض النقاط تاركاً التفاصيل لموضع آخر .

أولاً : يدعى الزميل الدكتور أن قرار الجمعية العمومية قد أخطأ ثلاثة أخطاء كبرى أولها ، أنه قد خلط بين قرارها من ناحية وبين قانونها وقانون البلاد من ناحية أخرى وأن قرارها ليس قانوناً للبلاد لا يمكن الخروج عليه إنما هو مجرد " توصية " .. وفى هذا يناقض الزميل نفسه عندما يقرر فى موضوع آخر من مقاله أن الجمعية العمومية هى السلطة العليا للنقابة، إذ كيف تكون الجمعية العمومية هى السلطة العليا للنقابة وتكون قراراتها مجرد "توصية". إن قرارات الجمعية العمومية ملزمة للأعضاء ، ولا يستقيم هذا التمحك فى مسألة قانون

البلاد أو عدم تدخل النقابات فى الآراء السياسية التى استقرت فى صدور البعض من العملاء الصغار مثلاً .

هذا هزل فى موضع الجد،فقرارات الجمعية العمومية ملزمة أدبياً قبل إلزامها المادى للأعضاء.

<u>ثانياً :</u> يقول الزميل الدكتور : إن النقابة عندما لوحت بإحالة بعض المطبعين إلى التحقيق فإنها خرجت عن دورها الحقيقى وهو الشأن النقابى إلى دور آخر هو الشأن السياسى وفى نفس الوقت يناقض الزميل نفسه فى الفقرة التالية مباشرة ويقول : " إذ يجوز – وربما يجب – أن تقوم نقابة الصحفيين باتخاذ رأى حيال الشأن أو الشئون العامة وممارسته " .. ويلف الزميل ويدور حول هذا المعنى كثيراً لكى يبرر أن إحالة البعض إلى التحقيق بخصوص الموقف من قضايا التطبيع هو مجرد خلاف فى الرأى السياسى ولا علاقة للنقابة به .

إن هذا القول مردود عليه فى كون قضية التطبيع تتصل بـ " أعصاب " العمل الصحفى وبـ"قلب" العمل النقابى وهى ليست قضية ذات سمت سياسى فحسب ، بل تتداخل فيها الأدوار والمعانى والمواقع بشكل يصعب الفصل فيه بين ما هو نقابى بحت وما هو سياسى صرف "فهى قضية وطنية بالأساس" فضلاً عن أننا عانينا كثيراً وبالذات الجماعة الصحفية والثقافية فى مصر – من مسألة الفصل هذه تارة بين الدين والسياسة وأخرى بين الأصالة والمعاصرة وثالثة وأخيرة بين السياسة والنقابة وبالتالى لم تعد تجدى معنا هذه الثنائيات .

إن الزملاء الذين مارسوا هذا الدور المشبوه فى كوبنهاجن وفى غيرها من المواقع والأزمنة لم يمارسوا رأياً سياسياً استقر فى ضميرهم كما حاول الدكتور محمد السيد سعيد أن يفهمنا ، بل مارسوا إرهاباً صحفياً منظماً والحالات عديدة " وتاملوا على سبيل المثال حالة لطفى الخولى وصفحته فى الأهرام وعلاقاته بزملائه داخلها وخارجها وبالسياسيين المختلفين معه فى الرأى ... إلخ .. وعندما حاول بعض الضعفاء من الشرفاء من أعضاء النقابة إثارة هذا الأمر

وتقويمه جاء الدكتور محمد السيد سعيد ليصفهم بـ "القطيع" .. فهل هذا يليق بعضو نقابة ترقى القلب والعقل وتدافع عنهما !! وهل من المنطقى أن تتطلب ممن تصفهم بالقطيع أن يمارسوا الديمقراطية مع المتحضرين من أمثال جماعة كوبنهاجن ومن لف لفهم !! .

ثالثاً : يطالب الزميل الدكتور أن يكون قرار الجمعية العمومية " لاحظ التناقض أو التحول " ، فمسيرة دكتورنا كلها تحول ما شاء الله ، ملزماً النقابة كمؤسسة ، وبعد قليل أفتى بعكس هذا الرأى حيث قال : " الجمعية العمومية ليست سلطة على أى فرد من أفراد النقابة إلا فيما يتعلق بهذا الجانب الذى يجمع بين أعضائها : أى مصالحهم ونشاطاتهم النقابية " .. ولا تعليق .. فقط لنا أن نسأل الدكتور عندما كنت معتقلاً منذ سنوات فى قضية تنظيم شيوعى سرى وقامت النقابة كلها – وبخاصة فريق من هذا القطيع – مجموعة من الشيوعيين المحترمين والناصريين المحترمين والإسلاميين المحترمين من أعضاء النقابة – قاموا جميعاً للدفاع عنك بكل السبل وقادوا حملة كبيرة بشهادتك أنت للدفاع عنك ، باعتبارك عضو نقابة يمارس دوره النقابى الذى هو هنا " الدفاع عن الفكر الشيوعى وقتها والقضايا اليسارية بإجمال " هل يا صديقى العزيز يومها كانت النقابة – وبخاصة فريق المهتمين بك بروح القطيع – كانوا يخرقون بذلك قانون النقابة وقرارات جمعيتها العمومية ودورها الذى حددته المحكمة الدستورية العليا ؛ لأنهم كانوا يهتمون بـ "شأن سياسى " وليس شأناً نقابياً بحتاً ؟! .

– أجبنى .

– أم أنك تكيل بمكيالين ؟!!

– أم أن فى الأمر شبهة لا نعلمها ؟

– أم أن علاقة سيادتكم بالدكتور عبد المنعم سعيد " رئيسك فى مركز الأهرام وأحد المحالين للتحقيق فى النقابة بسبب مواقفه غير النقابية بشأن قضية نقابية

سياسية هى التطبيع مع القتلة الإسرائيليين هى السبب وراء هذه العصبية الشديدة التى كتبت بها مقالك فى " الأهرام " ؟!.
رابعاً : وأخيراً أرجو ألا يتهمنا الزميل الدكتور بأننا قد اجتزأنا بعض فقرات مقاله ، فلقد أخذنا أبرزها ومازالت هناك عشرات القضايا والفقرات التى تحتاج إلى تعليق فى مقاله الغريب ، وربما يتولى ذلك البعض من الزملاء أو حتى مجلس النقابة الذى اتهمه الدكتور بأنه مجلس تتحكم فى قراراته روح القطيع ، ولكنى أنهى تعليقى هذا بأن أطالب مجلس نقابتنا بأن يستمر فى محاكمة هؤلاء المطبعين وبقوة ، وبأن يقوم بالدعوة لعقد اجتماع للجمعية العمومية للنقابة تقنن فيه هذه المواجهة لرموز المطبعين من الصحفيين المصريين حتى لا يخرج علينا البعض فيسميها " توصية " .. ولنعمل على أن نستعيد فى هذا الاجتماع روح المقاومة التى جاءت علينا أيام سوداء رآها فيها البعض روحاً للقطيع ، ونظر فيها البعض إلى " فلسطين " وكأنه ينظر إلى " سنغافورة " وتحدث فيها البعض عن صراع مع عدو قاتل " لايزال يقتل حتى كتابة هذه الكلمات ، فعشرات الشهداء يتساقطون فى جنوب لبنان فى هذه اللحظة من جراء قصف الطائرات الإسرائيلية وكأنه يتحدث عن نزاع بين جارين فى "الدقى" أو "السيدة زينب" .. هل كانت إسرائيل تحلم بأكثر من هذا ، أن يفكر هذا النفر من أبناء وطننا بلغتها وعقلها ولسانها!! حسبنا الله ونعم الوكيل .

***

<u>ج – أما الرأى الثالث للكاتب المعروف / سعد زغلول فؤاد وكان تحت عنوان " الصحفيون ليسوا قطيعاً .. ولكنهم ضمير الأمة " وجاء فيه :</u> ما يثير الدهشة والتساؤل معاً أنه فى الوقت الذى فيه تتضاعف أعمال العنف والقهر وضروب القمع الإسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى .. وتتتابع الانتهاكات وتتصاعد الاعتداءات الإسرائيلية فى الجولان وجنوب لبنان .. ناهيك عن المضى فى تنفيذ مخطط تهويد القدس العربية .. وتزايد عمليات مصادرة الأراضى وهدم

البيوت الفلسطينية لبناء المستوطنات على أنقاضها وفى الوقت الذى لا يتوقف فيه نتنياهو عن ضرب الحق العربى وتمزيق كافة ما جرى توقيعه من اتفاقيات ومواثيق أبرمت تمهيداً لتحقيق السلام ، ويشيع فى المنطقة أجواء التوتر ، ويضعها على حافلة نشوب حرب جديدة .. وفى الوقت الذى أعلنت فيه غالبية الدول العربية رفضها حضور المؤتمر الاقتصادى المزمع عقده فى قطر بمشاركة إسرائيل ، رفضاً منها للتطبيع مع دولة نسف حكامها طريق السلام وأغلقوا أبوابه وبصلف عنصرى (فاشي) ، راحوا يواصلون سياسة التوسع والقمع الاستعمارى الاستيطانى ويشددون فى قبضة احتلالهم للأراضى العربية فى فلسطين والجولان وجنوب لبنان .. وفى الوقت الذى لم تصادف جهود المساعى المصرية والأوروبية لإنقاذ السلام أى تجاوب إسرائيلى .. فى هذا الوقت بالذات نشر زميلنا الدكتور محمد سيد سعيد مقالاً فى الأهرام بتاريخ 23 أغسطس 1997 يدافع فيه عن التطبيع ويحمل على قرار مجلس نقابة الصحفيين بإحالة بعض الزملاء إلى التحقيق لممارستهم التطبيع المحظور بقرار للجمعية العمومية للصحفيين بدعوى أن ممارسة التطبيع تندرج تحت مظلة حرية الرأى والتعبير !! ولخطورة مضمون ومرامى هذا المقال ، ومن منطلق الواجب النقابى والوطنى نتناوله بالرد والتفنيد ، فى محاولة السعى لوضع النقاط على الحروف وكى لا تختلط الأمور وتختفى الحقيقة فى ضباب الفلسفات والترهات .

* يرى الكاتب أن ممارسة صحفى للتطبيع مع إسرائيل تندرج تحت راية حرية الرأى والتعبير وحرية العقيدة " التى حمايتها والدفاع عنها والحرص على أن تظل مرفوعة عالية أوجب واجبات وأبرز مهام نقابة الصحفيين ، من هذا المنطلق يرى أن قرار مجلس النقابة إحالة الزملاء التطبيعيين إلى التحقيق لخرقهم قرار الجمعية العمومية للصحفيين بمنع التطبيع ، يعنى : إن تصبح

نقابــة الصــحفيين مقصــلة لأصــحاب الآراء السياســية وأداة لمصــادرة الحريــة وملاحقة الضمير ووأد المعتقدات السياسية والفكرية " .

ويضيف أنه بقرار الإحالة إلى التحقيق " يراد لهذه النقابة أن تتحول إلى محكمة تفتيش وأن تنصب المشانق لأصحاب رأى ، دفعهم رأيهم وضميرهم للاعتقاد فى صحة رأى ما حول شأن من الشئون العامة وللإيمان برسالة ما ومتابعتها وممارستها " .

والـرد عليـه أن هـذا خلـط بـين حريـة الـرأى والتعبيـر وبـين الممارسـة والعمـل الميدانى ، من ذلك مثلاً يمكن لكاتب أن يكتب ما شاء من مقالات يتعاطف فيها مـع الإرهـابيين ويـدافع عـنهم مـدلياً بمبـررات وعوامـل انحـرافهم ويمكـن أن يبدى هذا التعاطف فى ندوات ثقافية أو اجتماعات سياسية فهذا يندرج تحت حرية الرأى والتعبير لكن ممارسة الإرهاب وعمليات القتل والترويع لا يمكن أن تندرج تحت مظلة حرية الرأى والتعبير وأن أعمال التصدى والقمع لهذه الجرائم لا تعد " مقصلة لأصحاب الآراء السياسية وقمعاً للحرية " .. كما وأن الكاتب جانبه الصواب حين بلغ به الحماس أن وصف التطبيع لدى الزملاء المحالين إلـى التحقيق بأنـه " عقيدة ورسالة" يتوجب حمايتها واحترامها بمقتضـى "حريـة العقيـدة" ومـن جانبنـا لا نعـرف أن "التطبيـع مـع إسـرائيل " يشـكل لـدى العـرب عقيدة ورسالة ، إنما هو كذلك لدى الإسرائيليين لما يعود عليهم من تحقيق أطماعهم فى السوق والمال العربى وما يمنحه لهم من مزايا فى المنطقة العربية : اقتصادية،تجارية،ثقافية،وسياسية ، ومـا يحقـق لهـم مـن أبعـاد اجتماعية،هـذا ومـن ناحيـة أخـرى فقـد سـبق أن خـاض أنصـار التطبيـع وأصـحاب "وثيقـة كوبنهاجن" فى الإعراب عن آرائهم ومعتقداتهم التطبيعية فى الصحف والنشرات والنـدوات جـدلاً واسـعاً ومتشـعباً مـع خصـوم التطبيـع مـن الكتـاب وأفاضـوا فـى كتاباتهم التطبيعية عشرات المقالات ، لم تحجب كلمة من كتاباتهم عن القراء جرى كل هذا تحت مظلة حرية الرأى..أما انعقاد الاجتماعات والندوات الدورية

وغير الدورية العربية – الإسرائيلية على طريق التعاون التبادلى الثقافى والفنى والمهنى والتجارى والاقتصادى وما يسمى بحلقات الحوار السياسى فهذا وحده هو المحظور على الصحفيين المصريين بموجب قرار جمعيتهم العمومية ، خاصة فى المرحلة الراهنة التى تشدد فيها إسرائيل قبضتها على الأراضى العربية التى تحتلها وتبسط عليها هيمنتها وتضاعف من اعتداءاتها وعمليات القمع والقهر للسكان العرب وتدأب على ضرب عوامل السلام وتخريب قنواته وإغلاق منافذه وأبوابه..هنا وفى هذه الأجواء تكون الممارسة العربية لأوجه وأنشطة التطبيع مع إسرائيل ليست فقط خطأ ، وإنما خطيئة كبرى يتوجب وضع ممارسها تحت المساءلة والعقاب .

* يرى الكاتب أن مجلس النقابة قد أخطأ حين قرر إحالة الزملاء التطبيعيين إلى التحقيق ، استناداً إلى قرار الجمعية العمومية للصحفيين بمنع التطبيع فيقول : " قرار الجمعية العمومية ليس قانوناً للبلاد لا يمكن الخروج عليه ، وإلا اعتبر هذا الخروج انتهاكاً للقانون يستوجب العقوبة فالأصل فى الأشياء، أن قرار الجمعية العمومية هو " توصية " وليس قانوناً وأن فاعليته ونسمان نفاذه يتوقفان على الانضباط الطوعى والإرادى له من جانب الصحفيين وأن الخروج على هذه التوصية لا يشكل مخالفة،خاصة أن القضية المطروحة هى اجتهاد للجمعية العمومية وليست نصاً مقدساً أو قانوناً يلزم البلاد والعباد"! .

فى هذا الصدد نقول : كل ما يصدر عن الجمعية العمومية للصحفيين يسمى بأسمائه هناك "توصيات" تنفيذها اختيارى وأخرى " قرارات " تنفيذها إجبارى، الجمعية العمومية ، توصى الجمعية العمومية " تقرر " والقرار إجبارى وملزم للنقابة كمؤسسة ولجميع أعضائها ويتوجب على مجلس النقابة تنفيذ القرارات ومتابعة تنفيذها وذلك بحكم المادتين 36و47 من قانون النقابة ومنع التطبيع مع إسرائيل ومناهضته " قرار " لم يصدر بالأغلبية المطلقة التى توجب صحته ونفاذه فحسب وإنما بإجماع وأصوات أعضاء الجمعية العمومية ، كما تتابع

التأكيد على هذا القرار فى كافة اجتماعات الجمعية العمومية التى تتابعت على صدور هذا القرار وكل قرار الجمعية العمومية ملزم للجميع ، جميع الصحفيين ، ومنوط بمجلس النقابة تنفيذه ومتابعته ومخالفته تستوجب المساءلة النقابية والمؤاخذة التأديبية وفق المادتين 75و80 من قانون النقابة كما لم يكن صدور القرار " مجرد اجتهاد للجمعية العمومية وليس نصاً مقدساً أو قانوناً يلزم البلاد والعباد " نقابة الصحفيين وجمعيتها العمومية ليست ساحة للاجتهاد والإفتاء إنما لإصدار قرارات وتوصيات فى قضايا نقابية ووطنية قومية وحظر التطبيع مع إسرائيل على الصحفيين كرد فعل للعربدة الإسرائيلية فى المنطقة العربية ، هو فى صميم مصلحة " البلاد والعباد " .

وفى هذا الجانب نسأل الكاتب : لماذا لم يدل بدلوه ويدع لرأيه فى اجتماع الجمعية العمومية الذى أصدر القرار أو فيما تبع ذلك من اجتماعات لهذه الجمعية والتى نودى فى كل منها بضرورة يقظة مجلس النقابة وتشدده فى متابعة تنفيذ قرار حظر التطبيع ومناهضته ؟ والمعروف أن فى هذه الاجتماعات لجميع أصحاب الاتجاهات والرؤى المختلفة مطلق الحق فى الإعراب عن آرائهم وطرح مقترحاتهم حيث حرية الرأى مكفولة للجميع بمطلق أبعادها وتصدر القرارات بأغلبية الأصوات وعلى مدى التاريخ الطويل والعريق لنقابة الصحفيين لم يصدر أى قرار للجمعية العمومية إلا بعد تداول وحوار وعرض كافة وجهات النظر والآراء بديمقراطية متوارثة مثلى عبر كافة العقود والأجيال .

هذا ولا يسعنا هنا غير إبداء الأسف أن يصم الكاتب صدور قرار منع التطبيع مع إسرائيل "بروح القطيع .. وعن جمهرة متهوسة يصيبها الغضب والعمى وفقدان العقل وحمى العنف" وهذه الأوصاف المشينة والمهينة تصدق من وجهة نظر الكاتب مادام قد أذعن مجلس النقابة لقرار منع التطبيع واستمر فى إحالة

المخالفين إلى التحقيق ، ذلك أنه يكون قد أذعن لقرار أصدرته "جمهرة متهوسة .. إلخ " .

والصحفيون يا هذا وهم طليعة الأمة وضميرها وصفوة الصفوة لجموع المثقفين حين يجتمعون ويصدرون قرارات إنما بعد عرض وتداول كافة الآراء وبعد استنفاد أوجه الدرس والحوار والتدقيق والتصويت فى النهاية بعقلانية واستنارة ويقظة ورشد يحكمهم فى الضمير المهنى والوطنى الجماعى وليس إسداء " بروح القطيع " ولا هم " جمهرة متهوسة " !! .

وفى هذا الباب نشد الانتباه ونشير إلى أن الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين العرب فى اجتماعها الأخير هذا العام فى دمشق أصدرت قراراً بمنع الصحفيين العرب من التطبيع مع إسرائيل ، تلتزم تنفيذه جميع نقابة الصحفيين فى الوطن العربى ومن بينها النقابة المصرية التى كان لها السبق فى إصداره ، كما أن اجتماع الجمعية العمومية للصحفيين المصريين الذى صدر فيه القرار كان برئاسة الزميل النقيب إبراهيم نافع وكذلك قرار اتحاد الصحفيين العرب صدر برئاسة رئيس الاتحاد إبراهيم نافع ، وزميلنا الكبير الأستاذ إبراهيم نافع ظل يرأس اجتماعات الجمعية العمومية للصحفيين على مدى ثمانى سنوات فى أربع دورات انتخابية لموقع النقيب وهو الذى قاد بعقلانية واستنارة معركة إسقاط القانون رقم 93 لسنة 1996 المشبوه ، ومن المؤكد أن الانجازات النقابية التى حققها والانتصار للحرية فى معاركها ذلك لم يكن ليتحقق لو أنه كان يقود " جمهرة متهوسة كما وأنه وهو يرأس اجتماع الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين العرب ، الذى يضم نقباء كافة نقابات الصحفيين فى الدول العربية لم يصدر قرار منع التطبيع مع إسرائيل " بروح القطيع " و" لا عن جمهرة متهوسة يصيبها الغضب والعمى وفقدان العقل وحمى العنف " .. ولا نود القول : إن الكاتب فى كلماته تلك إنما صدرت بضغوط هذه الأوصاف الخاصة بانفعال المصابين بأمراض نفسية ! .

* يرى الكاتب أن نقابة الصحفيين نقابة " مهنية " فقط لا شأن لها بالسياسة وقرار الجمعية العمومية بمنع التطبيع قرار سياسى يخرج عن مهام واختصاصات النقابة حيث يقول : "العقل والمنطق وأحكام المحكمة الدستورية يعرف النقابة المهنية بأنها هيئة أو اتحاد للدفاع عن مصالح أفراد تجمعهم مهنة ، واحدة ولم يقل أحد قط : إن النقابة هى هيئة سياسية مهمتها الدفاع عن آراء سياسية محددة ضد من يخالفها وإلا تحولت النقابة إلى حزب سياسى صريح "!
.

ونصحح له مفهومه هذا الخاطىء فنقول : صحيح أن نقابة الصحفيين نقابة مهنية أولاً وقبل كل شىء ، لكن بحكم طبيعة عمل الصحفيين المحدد بصورة رئيسة فى تناول قضايا ومشكلات المجتمع والوطن وبحكم أن الصحافة جهاز من أجهزة الرقابة الشعبية على دولاب الحكم والإدارة وهذه المهام فى ذاتها مهام سياسية كما أضفى عليها الدستور المصرى مكانة سامية فأطلق عليها " السلطة الرابعة " إلى جانب بقية سلطات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية كان ذلك من منطلق المهام السياسية الوطنية والقومية التى تمارسها على أن الأهم من ذلك كله أن قانون نقابة الصحفيين أقر صراحة العمل السياسى للنقابة فأورد النص التالى فى المادة 47 الخاصة بتحديد اختصاص مجلس النقابة وبيان ما يقوم به من واجبات ومهام حيث تقول : "وضع خطة العمل السياسى فى النقابة ومتابعة تنفيذها " فمنع الصحفيين من التطبيع مع إسرائيل يدخل ضمن خطة العمل السياسى للنقابة وإحالة زملاء مخالفين إلى التحقيق هى متابعة للتنفيذ وبعد .. قرار الصحفيين فى جمعيتهم العمومية بمنع التطبيع مع إسرائيل إن هو إلا ترجمة صادقة لإرادة شعبية عربية كاسحة من المحيط إلى الخليج ، ذلك أنهم فى أنشطتهم المهنية يحكمهم الضمير الوطنى القومى والمهنى وليس أبداً روح القطيع .

***

ثانياً : نماذج من التطبيع والمطبعين فى الإعلام الصحفى :

لأن الصحافة في نظر البعض من الخبراء تقوم على الإثارة ، ولأن الساحة الصحفية كانت أثناء فترة بحثنا هذا(1979-2011)تموج بالاتجاهات الفكرية المختلفة ، الصالحة والطالحة ، وتختلط فيها المباديء بالنوازع الشخصية والمصالح الخاصة ، ولأن العرف الحاكم للصحافة الحكومية ، كان خلال فترة التطبيع موضوع دراستنا هو الدفاع الدائم عن النظام ، والحكومة ، والدوران معها أينما دارت خاصة فى مجال التطبيع الصحفى ، لذلك بات من المهم الدراسة الموضوعية لهذا (التطبيع الصحفى) .

بداية يحدثنا التاريخ أن أبرز الأسماء الصحفية التي مارست التطبيع الإعلامى مع إسرائيل ، أو دافعت عنها ودعت للاعتراف بها ومسالمتها تحت شعارات "السلام" ، و"الواقعية" ..وغيرها من الشعارات:

- أنيس منصور الكاتب المعروف (والذى توفاه الله فى عام 2012) .
- مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين الأسبق .
- د. عبد المنعم سعيد ، رئيس مجلس إدارة الأهرام .
- صلاح منتصر الكاتب الصحفي بالأهرام .
- حسين سراج نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر .
- حازم عبد الرحمن ، الكاتب بالأهرام.
- طارق حجي ، الكاتب بالأخبار المصرية .
- د. هالة مصطفى ، التى عملت كرئيس تحرير دورية الديمقراطية التي يصدرها مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ورئيس وحدة النظم السياسية بالمركز .
- لطفي الخولي ، الصحفي بالأهرام ومؤسس تحالف كوبنهاجن، والذي توفي سنة 1999 م.
- محمد سيد أحمد ، الكاتب الصحفي بالأهرام ، والذي توفي عام 2006 م.

وبالإشارة الموجزة لبعض أفكار وأنشطة هؤلاء يستبين الآتى :

– أنيس منصور :

وقع الكاتب الصحفي المعروف ، أنيس منصور ، في هوى (إسرائيل) منذ البداية ، ساعده في ذلك علاقته القوية بالرئيس السادات ، الذي كان – كما يقول أنيس – لا يثق في أحد سواه لحمل رسائله للإسرائيليين أثناء مفاوضات كامب ديفيد ، والذي أرسله ذات يوم للرئيس السوري حافظ الأسد ليطلعه على تفاصيل مبادرة الصلح مع الصهاينة !!

وقد امتلأ سجل أنيس باللقاءات الحميمة مع الإسرائيليين ، واستقبالهم في القاهرة ، وزيارتهم في تل أبيب ، منذ رافق الرئيس السادات في رحلته للقدس في نوفمبر 1977 م، فمن يومها والرجل لا يخفي موقفه من إسرائيل، ولا علاقته بها ، ولم يحاول ذلك يوما ، بل يفخر بها في تبجح ، ويدعو للتطبيع علنا ، ويقول في أحد حواراته الصحفية (جريدة المصري اليوم 2009/3/26 م) : إنه من شجع السادات على اتخاذ خطوة زيارة الدولة الصهيونية والتفاوض معها من أجل الصلح والتطبيع ، وإنه اشترك في كتابة الخطاب الذي ألقاه السادات في الكنيست الإسرائيلي !! ويروي أنيس كيف أن حماسه لتلك الزيارة دفعه للاتصال بالسادات هاتفيا من مكة في موسم الحج ، حيث كان أنيس ينوي الحج ذلك العام ، وطلب من السادات أن يسمح له بمرافقته في الزيارة ، فأرسل له طائرة خاصة أقلته لتل أبيب !!

. مكرم محمد أحمد :

في عام 1974 أدرك مكرم أن السادات يتجه للصلح والصداقة مع إسرائيل ، وبحجة دراسة العقلية الإسرائيلية وفهم المجتمع الإسرائيلي ، كان لقاء مكرم مع مجموعة من الإسرائيليين في لندن سنة 1974 ، أي : قبل ثلاث سنوات من زيارة السادات للقدس ، ومع تلك الزيارة كان مكرم من أوائل من أيدوا السادات في سعيه للتصالح مع الصهاينة ، وكان أول من نشر نص المسودة قبل

الأخيرة لمعاهدة السلام التي عقدها السادات معهم في صحيفته "الأهرام"، وبالحجة نفسها – حجة دراسة وفهم المجتمع الإسرائيلي – ذهب مكرم إلى الدولة الصهيونية زائرا ، وكتب اثني عشر مقالا عن رحلته تلك نشرها في الأهرام .

وفى عهد مبارك استقبل وهو نقيب الصحفيين مجموعة حاخامات تابعين لجمعية يهودية أمريكية تهدف لتحسين صورة إسرائيل في العالم ، ولكي يقلل من مسئوليته عن ذلك العمل المخالف لقرارات الجمعية العمومية للنقابة، قال مكرم : إنه استقبل هؤلاء الحاخامات بناء على تكليف من الرئيس مبارك، لتوضيح حقيقة الموقف المصري من إسرائيل واليهود عموما !!

وكان ولايزال يدعو للفصل بين التطبيع المهني والشخصي ، ويقول إن زيارة الصحفيين المصريين للدولة الصهيونية ، واللقاءات الصحفية بالإسرائيليين بغرض نقل الأخبار وتقديم صورة صحيحة للمجتمع الإسرائيلي، هي واجبات مهنية ليست من التطبيع في شيء ، وإن على النقابة أن تعدل قراراتها في هذا الشأن ، وأن تفتح الباب لأعضائها لإقامة علاقات "مهنية " مع الإسرائيليين .

وانطلاقا من هذه الرؤية نجد مكرم يعلن تعاطفه مع الصحفيين الذين يخرقون قرارات النقابة ويلتقون بإسرائيليين ، بل يمارسون التطبيع الشخصي ، ويحاول حمايتهم من العقوبات التي قررتها النقابة في هذا الشأن !! وهناك مثل شهير لذلك وقع سنة 1997 م ، حين كان مكرم نقيبا للمرة الأولى ، فقد أصدر مجلس النقابة قرارا بإحالة : لطفي الخولي ، ود. عبد المنعم سعيد للتحقيق لانخراطهما في تحالف كوبنهاجن وسفرهما لإسرائيل ، وتكرار لقاءاتهما بإسرائيليين في القاهرة وتل أبيب ، يومها كان مكرم خارج مصر ، لذا اجتمع المجلس برئاسة الراحل/ جلال عيسى واتخذ القرار بناء على قرارات الجمعية العمومية للنقابة ، وحين عاد مكرم حاول تغيير القرار ، لكن المجلس رفض ، فعمل على تعطيل تنفيذه ، رغم أن الخولي وعبد المنعم سعيد مارسا التطبيع

بكل صوره ، وليس التطبيع المهني وحده ، الذي يستثنيه مكرم من صور التطبيع المحظورة !!.

. عبد المنعم سعيد

فى أغسطس عام 1997 أصدر مجلس نقابة الصحفيين – كما ذكرنا – قرارا بإحالة الراحل لطفى الخولى ، ود .عبد المنعم سعيد للتحقيق لمخالفتهما قرارات الجمعية العمومية للنقابة بحظر التطبيع مع إسرائيل ، وفي يناير من العام (2009 م) ، وفي ذروة العدوان الصهيوني على قطاع غزة ، ورد اسم د.عبد المنعم سعيد في قائمة الكتاب "العرب " ، الذين أوصت وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة (تسيبي ليفني) بإعادة نشر مقالاتهم المنشورة في الصحف العربية المختلفة ، على الموقع الرسمي لوزارتها ، باعتبارها كتابات تمثل وجهة النظر الإسرائيلية للعدوان على القطاع !! ووصفت ليفني هؤلاء الكتاب في اجتماع خاص عقد خلال الحرب على غزة بقولها : " إن هؤلاء سفراء إسرائيل لدى العالم العربي، وأفضل من يوصل وجهة النظر الإسرائيلية إلى الشارع العربي بشأن حركة حماس"!!

كلتا الواقعتين تلخص مسيرة عبد المنعم سعيد مع التطبيع ، تلك المسيرة التي بدأها بعضويته في تحالف كوبنهاجن ، الذي تزعمه في مصر الراحل لطفي الخولي ، في منتصف التسعينيات ، بهدف نشر التطبيع ، والمطالبة بوقف المقاومة للمشروع الصهيوني ، مرورا بعضوية عبد المنعم سعيد في جمعية القاهرة للسلام التي تأسست عام 1998 م ، لتحقيق نفس الهدف ، وهي الجمعية التي شغل الدكتور عبد المنعم رياستها.

تتمثل خطورة عبد المنعم سعيد في المواقع التي كان يشغلها في حياتنا العامة، فقد ظل لسنوات رئيسا لمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، واستطاع خلال تلك السنوات أن يصبغ المركز بصبغته السياسية والفكرية ، ثم كوفيء بتعيينه رئيسا لمجلس إدارة الأهرام ، بجانب عضويته في مجلس

الشورى بالتعيين ، وعضويته في لجنة السياسات الحاكمة لمصر والتى أنشأها جمال مبارك لتسهيل التوريث ، وبعد أن قامت الثورة فى يناير 2011 وانزوائه لفترة بسبب أنه كان من كبار منظرى النظام السابق ، وبعد أن أعاد ترتيب أوراقه السياسية والتطبيعية جيداً تم تعيينه رئيساً لمجلس إدارة صحيفة المصرى اليوم لصاحبها صلاح دياب صاحب العلاقات الاقتصادية والزراعية مع إسرائيل .

- رسام الكاركاتور جورج البهجورى أبرز هواة التطبيع:

كانت نقابة الصحفيين المصريين من أوائل النقابات والهيئات الوطنية التى اتخذت قرارا واضحا عام 1980 بشأن مناهضة تطبيع العلاقات مع إسرائيل – كما سبق وأشرنا – وبالطبع فإن قرار الجمعية العمومية لم يمنع بعض هواة التطبيع من زيارة إسرائيل بمختلف الذرائع.

وكان من بينهم رسام الكاريكاتير جورج البهجورى فالذى حدث أن النقيب مكرم محمد أحمد الكاتب الصحفى نشر مقالا يعرب فيه عن تعاطفه مع رسام الكاريكاتور جورج البهجورى الذى زار إسرائيل مؤخرا، فتقدم مئات الصحفيين بمذكرة إلى مجلس النقابة يطالبون بمحاسبة النقيب على موقفه المعلن المخالف لإجماع الصحفيين أولا، ولقرارات الجمعية العمومية ثانيا. وللإجماع الوطنى المصرى المتمثل فى قرارات مواجهة التطبيع الذى اتخذتها كافة الهيئات الأخرى.

وطالبت المذكرة أيضا بالتحقيق مع الصحفيين الذين سافروا مؤخرا لإسرائيل وفى مقدمتهم البهجورى ورغم انقضاء شهر على تقديم المذكرة، فإن مجلس النقابة لم يحرك ساكنا، لا قام بالرد، ولا بالتوضيح ، ولا وعد بالنظر فى المذكرة، وكأن مئات الصحفيين الموقعين على المذكرة "لا أحد".

***

**** ومن وقائع التطبيع الصحفى الأخرى ذلك الهجوم الذى وجهه برنامج إذاعى إسرائيلى ضد الإعلامى المصرى عمرو أديب** لهجومه الشديد على وزير الثقافة المصرى فاروق حسنى على خلفية تصريحاتها لصحيفة "يديعوت أحرنوت" العبرية التى أبدى فيها استعداده لزيارة إسرائيل لحل أزمة معارضتها ترشيحه لرئاسة منظمة "اليونسكو".

وقد علق ضيوف البرنامج، الذى بثته إذاعة صوت إسرائيل فى 29 يونيو عام 2008 واستمر لأكثر من نصف ساعة، على اتهام عمرو أديب للوزير بأنه يستجدى الإسرائيليين ليدعموا ترشيحه لمنصب مدير عام "اليونسكو" بالقول : إن ذلك توجه إعلامى يرفض أى محاولة للتطبيع، على الرغم من كون التطبيع بندا أساسيا من بنود عملية السلام بين البلدين.

وقال المذيع الإسرائيلى لضيفته الصحفية: "لقد أثار لقاءك بفاروق حسنى ضجة كبيرة فى الإعلام المصرى وأوساط المثقفين، وأصبح الوزير فى موقف صعب لا يحسد عليه بعد الحملة الإعلامية الشديدة عليه، ولعله يواجه نفس مصير الكاتب المصرى على سالم المتهم بالتطبيع مع إسرائيل..

وعلق أحد الضيوف فى البرنامج بالقول : إن الإعلام المصرى يهاجم بقوة فكرة التطبيع بالرغم من كونها أحد بنود معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل منذ أكثر من 30 عاما، وأضاف أن وسائل الإعلام فى مصر تتربص بكل مبادرة فى هذا الإطار من خلال الإصرار على عرض إسرائيل فى شكلها السلبى ومهاجمة رموز التطبيع أو الداعين له على حد قوله.

واستشهد المتحدث بفيلم "السفارة فى العمارة" للفنان عادل إمام والمؤلف يوسف معاطى وقال "شاهدت هذا الفيلم الكوميدى، حول وجود سفارة إسرائيل فى أحد البنايات المصرية، وكيف يتكاتف المصريون مع هذا الساكن لطرد السفارة من العمارة، ويتحول البطل من إنسان هامشى إلى بطل مشهور ؛ لأنه أراد أن يواجه إسرائيل، وأضاف أن الفيلم ملئ بالرسائل الموجهة التى تحض على

الكراهية لإسرائيل من خلال أحداثه ومشاهد قتل الجيش الإسرائيل للطفل بطل الفيلم.

وعادت الصحفية الإسرائيلية التى أجرت الحوار مع الوزير حسنى لتؤكد أن التطبيع مع مصر صورى ليس له وجود على أرض الواقع، مستشهدة بنصيحة الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك لنظيره السورى بشار الأسد أن يسير فى اتجاه السلام ، ليسترد الجولان، كما استردت مصر سيناء، فقال الاسد: "أنا لا أقبل بالتطبيع مع إسرائيل " فرد مبارك : "هذا كلام يكتب فى الاتفاقيات فقط!" على حد قول الصحفية الإسرائيلية، فقد وقعت مصر اتفاقية سلام مع إسرائيل عام 1979، ويقيم النظام المصرى علاقات سياسية وأمنية واقتصادية مع المؤسسات الإسرائيلية إلا أن التقارب الثقافى بين البلدين وشعبيهما لم يحصل، وهناك مقاطعة تامة بين فنانى ومثقفى البلدين.

وفى سبتمبر عام 2007 أدلى السفير الإسرائيلى بالقاهرة شالوم كوهين بتصريحات صحفية قال فيها : إن الوزير فاروق حسنى لن يتمكن من الفوز بمنصب الأمين العام لليونسكو فى عام 2009 من دون مباركة وقبول إسرائيل، مما استدعى ردا من حسنى جاء فيه: " إذا كانت إسرائيل تقف وراء عدم فوزى بالمنصب الدولى فهذا شرف لى، على الرغم من أهميته لمصر والعرب واستحقاقى له!!"

واستطرد يقول: "إن السفير الإسرائيلى يؤكد فى تصريحاته أنه لا يعرف الفرق بين ما يدافع به الإنسان، مسئولا أم مواطنا عربيا معبرا عن وطنه ولا يدرك الأبعاد الدولية لمنصب مدير عام اليونسكو".

***

وتتوالى خطوات التطبيع الإعلامى مع إسرائيل حين عرض فيلم لها بعنوان "زيارة الفرقة" بفندق الفورسيزون بالقاهرة بدعوة من السفارة الإسرائيلية لعدد من الشخصيات السياسية والإعلامية، فى الوقت نفسه الذى أعلن فيه مصدر أمنى

مسئول بمحافظة مرسى مطروح فى مصر خلو أسواق شارع الاسكندرية وسوق ليبيا من "تى شيرتات" تحمل اسم العاصمة الإسرائيلية " تل أبيب tel aviv"
فى حين واجه محافظ مطروح بيان أحزاب المعارضة بشأن الـ "تى شيرتات" بقوله: " لا أعلم بوجود أحزاب معارضة فى مرسى مطروح"!
فقد نشرت إحدى الصحف الخاصة المصرية وهى "البديل" صورا لـ "تى شيرتات" التطبيع فى شوارع المدينة فى عددها الصادر بتاريخ 2008/7/11.
وقد ارتدى أطفال المدينة هذه الـ "تى شيرتات".
وتساءل الناقد الفنى أحمد يوسف عن كيف اجتمع 200 مشاهد فى فندق كبير "الفورسيزون" يشاهدون عرض فيلم اسرائيلى دون أن تراه الرقابة المصرية وقد فلتوا من سلطة قانون الطوارئ الذى لا يسمح باجتماع ثلاثة أشخاص، فى حين دافع رئيس الرقابة على أبو شادى عن وزير الثقافة فى ذلك متهما عارضى الفيلم والسفارة بمحاولة إحراج الوزير بعرضه.
ومن ناحية أخرى تندر الفنان المصرى محمد صبحى على ما سماه تطبيع زراعى واقتصادى ، مؤكدا أن عرض الفيلم جاء لهدف سياسى بعد رفض الفنانين المصريين كل محاولات التطبيع عبر طرق خلفية.
والسؤال هنا هو كيف وكلت قناة روتانا التى لها مقر كبير فى مصر شركة إسرائيلية لإدارة أعمالها فى الدولة الصهيونية.

***

* وتحدثنا قصة التطبيع الإعلامى أنه كانت تطل فى مصر بين حين وآخر أزمة التطبيع الفنى والإعلامى مع إسرائيل، سواء عن قصد من طريق تعمد الصحافة الإسرائيلية الزج بأسماء فنانين مصريين يشاركون فى مهرجانات أو عروض كنوع من إثارة البلبلة ، أو من دون قصد من طريق التعاطى الإعلامى المبالغ فيه.

حيث تفاعلت الأزمة فى القاهرة أخيرا، فى صورة غير مسبوقة، بعد تصريحات المؤلف المسرحى لينين الرملى التى فاجأ بها الوسط الفنى والثقافى، والتى بدت مؤيدة للتطبيع الثقافى مع إسرائيل.

وجاءت هذه التصريحات عقب دعوة لينين الرملى أحد كبار الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة إلى حضور عرض مسرحية "اخلعوا الأقنعة" التى قام بتأليفها وإخراجها على خشبة المسرح القومى، قائلا : إن الأديب العالمى "نجيب محفوظ" كان يدعو إلى التطبيع مع إسرائيل لمدة ثلاثين عاما ولم يتهمه أحد بالتطبيع.

والغريب أن مدير المسرح القومى شريف عبد اللطيف أطلق هو الآخر تصريحات تضامن فيها مع الرملى، بحجة أن منصبه ليس محكوما بقانون يمنعه من التطبيع مع إسرائيل.

ودفعت هذه التصريحات بعض الفنانين والمثقفين إلى المطالبة بالتحقيق العاجل مع الرملى وعبد اللطيف.

وأكد سيد راضى رئيس اتحاد النقابات الفنية ، أن قرارات الراحل سعد الدين وهبه ومجلس النقابات الفنية الثلاث "التمثيلية والسينمائية والموسيقية" عام 1981، هو ذاته قرار المجلس الحالى والمقبل، وهى ثوابت لن تتغير ما دامت إسرائيل تنتهك حقوق الفلسطينيين وتستمر فى إعلانها أن دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات.

أما المخرج المسرحى حسام الدين صلاح، فتقدم بمذكرة إلى نقيب المهن التمثيلية طالب فيها بإحالة الرملى وعبد اللطيف إلى التحقيق ، مهددا بتصعيد الأمر.

وأشار المؤلف يسرى الجندى إلى أن هذه القضية تتعلق بالأمن القومى.. ومن لا يدرك ذلك إما جاهل وإما مستفيد، وهذه القضية تخص النقابات التى اتخذت

القرار بالمقاطعة، وهى المسئولة عن كل ما يثار حول الموضوع ، وقرار المقاطعة لم يكن عاطفيا، بل كان مبنيا على الإرادة الشعبية.

ومن ناحية أخرى نفى المخرج عادل أديب ما تردد حول وجود اتفاق بين شركة "جود نيوز" وإحدى الجهات الإسرائيلية لعرض أعمال الشركة السينمائية فى إسرائيل، ومنها فيلم "مرجان أحمد مرجان" لعادل إمام ومرفت أمين، والذى نشرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية قبل أيام أنه عرض فعلا فى إحدى دور العرض فى منطقة "عين حاروت" وحضر العرض 150 مشاهدا عربيا وذلك بأسعار مخفضة عن أسعار بقية صالات السينما فى إسرائيل.

وكشف أديب أن الشركة رفضت عروضاً إسرائيلية كثيرة لشراء الفيلم ؛ لأنها ترفض التعامل مع إسرائيل بأى شكل من الأشكال.

ومن جانب آخر نفت كل من الراقصتين لوسى ودينا تلقيهما أية دعوات للمشاركة فى مهرجان رقص شرقى فى تل أبيب، وعلقت لوسى: "لم أعرف إلى الآن مصدر الخبر، ولا أنكر أن الناطق باسم السفارة الإسرائيلية فى القاهرة يحاول منذ أربع سنوات الاتصال بى لإقناعى بالمشاركة ولكنى لا أرد، ولم أهتم بالرسائل الواردة منه، لأننى بصراحة لا أحب إسرائيل ومن رابع المستحيلات أن اسافر إليها، وهذه مسألة ليس لها أية علاقة بالتطبيع أو السياسة.

أما دينا فنفت تلقيها أية عروض للمشاركة فى مهرجان رقص فى إسرائيل، لأن الجميع يدرك أنه ضد التطبيع – كما تقول: "وأنا لست ضد أى فنان يقوم بالتطبيع الفنى مع إسرائيل ، كل شخص حر فى نفسه، أنا لست ضد أحد يمكن أن يفعل الخطأ وهو مقتنع به، وليس لى علاقة بسلوك الآخرين، وما يهمنى هو سلوكى الشخصى".

كما حققت نقابة المهن الموسيقية مؤخرا مع مطرب الأوبرا المصرى جابر البلتاجى، بتهمة دعوته إلى التطبيع مع إسرائيل وغنائه فى المعبد اليهودى فى

القاهرة لمناسبة مرور 100 سنة على إنشائه، وكشف نقيب الممثلين منير الوسيمى أن النقابة جمدت عضوية البلتاجى فى نهاية العام الماضى 2007.

وكان الأديب علاء الاسوانى قد أعلن مؤخرا أنه سيقاضى دور نشر إسرائيلية لترجمتها روايته "عمارة يعقوبيان" إلى اللغة العبرية من دون أخذ موافقته، وأكد أن موقفه من التطبيع واضح وغير قابل للمزايدة.

كما برأت نقابة المهن التمثيلية الفنان عمرو واكد من تهمة التطبيع الفنى مع إسرائيل ، بعد مشاركته فى مسلسل من أربع حلقات أمام ممثل إسرائيلى يتناول قصة حياة الرئيس العراقى السابق. كذلك الأمر مع الفنان عمرو دياب والفنانة شيرين عبد الوهاب الشهيرة .

***

ورغم أن معظم المطبعين يفضلون أن يكون نشاطهم التطبيعى غير ظاهر ، إلا أن القناة السابعة للتليفزيون الإسرائيلى كشفت عن أحد الأنشطة التطبيعية التى شارك فيها مصريون على أرض فلسطين المحتلة حين أذاعت خبراً عن مؤتمر فى جامعة بن جوريون ببئر سبع تحت عنوان " الإصلاح ، المعارضة، والنزاع فى الشرق الأوسط " وشارك فى المؤتمر من المصريين الباحث المصرى شريف حافظ ، والصحفى أشرف راضى ، والمدون المصرى محمد مسعد عبد العزيز ، وناقش المؤتمر قضايا مثل : المبادرة الأمريكية لنشر الديمقراطية فى المنطقة ومشاكلها ، نضال جماعات المعارضة ضد الأنظمة ، بالإضافة إلى جلسة خاصة عن صحفيى الانترنت " المدونون " بعنوان : " مدونة الانترنت اتساع للمعارضة " والتى تحدث فيها المدونون الثلاثة المشاركون فى المؤتمر .

حتى المطبعون المصريون أنفسهم لم يسلموا من ديمقراطية الكيان الصهيونى، الصحفى أشرف راضى المشارك فى المؤتمر ، والذى شارك فى عدة مؤتمرات فى إسرائيل من قبل ، أجبرته السلطات الإسرائيلية فى مطار اللد فى العام الماضى على خلع حذائه وحزامه ، وتم اقتياده إلى أحد غرف الأمن فى المطار

للتحقيق معه ، بل إن المحققين الصهاينة طلبوا منه قراءة المحاضرة التى ألقاها عن الليبرالية فى الندوة .

وقد نشر المركز الفلسطينى للإعلام على شبكة الانترنت يوم 30 مايو 2005 ، بحثاً بعنوان "مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة فى خدمة التطبيع والاستراتيجية الصهيونية " .

ويشير البحث إلى أنه ضمن الإطار التطبيعى أقيمت فى مصر ست وثلاثون مؤسسة علمية أمريكية وثقافية إسرائيلية مثلت وتمثل مظلة رسميّة لاختراق الشخصية العربية، والتجسّس على قطاعات المجتمع كافّة، ومن ذلك –مثلاً– النشاط الذي يقوم به "مركز البحوث السياسية" في كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، الذي يجري كثيراً من الأبحاث بتمويل من "مؤسّسة فورد"، وكذلك نشاط "مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام" وتحديداً فى عهد رئيسه الأسبق د. عبد المنعم سعيد ، و"معهد التخطيط القومي" وغيرها من المؤسّسات العلمية، وبغية اختراق العقل العربي وعناصر المجتمع العربي أُنشئ في مصر عام 1982 م "المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة"، الذي لعب ويلعب دوراً خطيراً في مجال التمهيد للتطبيع، ونظراً لكونه الأخطر في ميدان إستراتيجية العدو على الأصعدة الأمنية والثقافية والعلمية، فقد توالى على إدارته عدد من أبرز المتخصصين في الدراسات الشرقية والعربية، الذين يرتبطون بعلاقات عضويّة مع أجهزة المخابرات (الإسرائيلية)، ومع مراكز التخطيط الاستراتيجي في الكيان الصهيوني حيث ركّز المركز جهوده خلال مدة ماضية للحصول على معلومات عن طلبة كليات العلوم والهندسة في جامعات مصر، لمعرفة آخر ما توصل إليه الطلبة النابغون من اختراعات جديدة، فاختير عشرة اختراعات وضعها "مدير المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة" تحت المجهر، ووجّه بشأنها رسالة إلى السفير الإسرائيلي بالقاهرة كتب فيها:

بنـاء علـى تعليمـاتكم بإحضـار ملفّـات كاملـة عـن آخـر اختراعـات الشـباب المصـريين أرسلنا لكم عشرة ملفات عن اختراعات في مجال الزراعة وتحلية المياه والبلاستيك والكمبيوتر وإطارات العربات، ونودّ أن ننبهكم أنّ معظم هذه الاختراعات قمنا بتجربتها وفحصها جيداً، وهي تعد من أحدث ما توصل إليه العلم، فأرسل السفير الإسرائيلي بالموافقة على شراء أربعة اختراعات وبأسرع وقت، أحدها : جهاز لتحلية مياه البحر لطالب في كلية الهندسة، والثاني جهاز لإنتاج سماد يعيد خصوبة الأرض، ويحول الأرض المالحة إلى أرض صالحة للزراعة، لطالب في كلية الزراعة، وهو الوحيد الذي قابل السفير الإسرائيلي في اليوم التالي ليعرض اختراعه، فعرض عليه السفر، وتجربة الاختراع ذاته بطريقة عملية، شاملة تكاليف الإقامة ومكافأة لكل يوم يقضيه في الكيان الصـهيوني، إضافة إلى حق شراء الاختراع نفسه ومدة الإقامة ثلاث سنوات، وسافر بالفعل بعدما وضع ثمن الاختراع في البنك الأمريكي المصري.

والمؤسّسـات والهيئـات الأمريكيـة، التـي كانـت تمثّـل بـؤراً تطبيعيـة فـي جسـد المجتمـع المصـري لا حصـر لهـا، ومـن أبرزهـا : خـلال فترة البحـث(1979-2011) كما سبق واشرنا فى الفصول السابقة:

1- الجامعة الأمريكية في القاهرة.

2- المركز الثقافي الأمريكي في مصر.

3- مؤسسـة فـورد: يرى بـاحثون منصفون أنها من أخطـر مؤسسات التغريب العالمي الأمريكية، وقد انفردت بتمويل (أبحاث ودراسات الشرق الأوسط) وعبر هذه المؤسسـة تقوم وكالـة التنميـة الأمريكيـة: (aid) بتخصـيص حوالي مئة مليـون دولار سـنوياً لمركـز البحـث العلمـي والجامعـات المصـرية منـذ نهايـة السبعينات وحتى اليوم.

4- مؤسّسـة رانـد الأمريكيـة، وهـي مؤسسـة دراسـات وأبحـاث تقـدم توصـياتها للحكومة الأمريكية.

5- معهد ماساشوستس وفروعه في القاهرة ومعهد "إم-إي-تي" (في مبنى جامعة القاهرة).

6- الأكاديمية الدولية لبحوث السلام.

7- مشروع ترابط الجامعات المصرية الأمريكية ومقره المجلس الأعلى للجامعات في القاهرة. (تبلغ ميزانيته السنوية 27 مليون دولار تقدّمها المخابرات الأمريكية).

8- "مركز البحوث الأمريكي" بالقاهرة، ويتركّز نشاطه في مجال الدراسات الاجتماعية، إلى جانب البحوث الاقتصادية والتاريخية والأثرية.. ويحظى بعضويته الشرفية "الزمالة" عدد من الأساتذة المصريين ومزدوجي الجنسية أمريكي/ مصري، وأمريكي/إسرائيلي , كما ينشط في مجال البحوث المشتركة والمموّلة.

وفى منتصف الثمانينات كثف مركز البحوث الأمريكى نشاطه فى مجال التطبيع والتجسس العلمى على المجتمع المصرى وتمثل ذلك فى عشرات الأبحاث الممولة ومنها :

دراسة عن العادات والتقاليد المتوارثة للأسرة المصرية، الموالد الشعبية المصرية، تقصي ظاهرة التطرف في الحياة المصرية الحديثة، الإسلام والثورة... إلخ.

9- هيئة المعونة الأمريكية:قامت بتمويل عشرات المشروعات البحثية المرتبطة بترسيخ التطبيع بين مصر واسرائيل ومنها تمويل مشروع بحثي، أُنجز بالتعاون بين عدد من الجامعات الأمريكية، والجامعات المصرية، شمل أكثر من 500 دراسة بحثية برصيد 60 مليون دولار، وتناولت كل شيء في مصر من الصناعات الاستراتيجية، مثل: صناعة الحديد، والصلب، مروراً بمناهج التعليم والتربية وموقع الدين فيها، وانتهاء بسياسة مصر الخارجية تجاه (إسرائيل)، والتطبيع معها، وقد اشترك في هذا المشروع أكثر من 2007 من الباحثين

المصريين، وأكثر من 500 أمريكي، وقد كُتبت جميع هذه الدراسات باللغة الإنجليزية، وحصلت (هيئة المعونة الأمريكية) على نسخ منها، وعلى جميع المعطيات والأرقام والاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون إلى الحدّ الذي دفع بعض الباحثين المصريين إلى القول: إن «كمية المعلومات التي حصلت عليها هذه المؤسّسات تفوق ما تعرفه القيادة السياسية، وتفوق ما يعرفه علماؤنا».

وقد نشرت صحيفة «السياسي المصرى » في عددها بتاريخ 1993/5/25م تحت عنوان «اليهود والأمريكان... هل اندسوا في تطوير مناهجنا الدراسية؟» أشارت إلى أن «العملية التطويرية للمناهج التعليمية المصرية» قام بها 29 أستاذاً ومستشاراً أمريكياً، بينهم عدد كبير من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية لمصر .

***

وسط حالة الغضب الشعبى والمظاهرات اليومية ضد المجازر الإسرائيلية اليومية التى ترتكب بحق الشعب الفلسطينى أثناء الانتفاضة الفلسيطينية عام 2000 ، قام عدد من رجال الإعلام والثقافة والأعمال بزيارة إلى السفارة الإسرائيلية فى مصر لحضور حفل ذكرى تأسيس دولة إسرائيل على الأراضى الفلسطينية المغتصبة .

فقد جاءت إليهم الدعوة للاحتفال من قبل السفير الإسرائيلى بالقاهرة جدعون ابن عامى للمشاركة فى الاحتفال بفاعلية من أجل يهود العالم ، وقد جاءت جملة على ذيل الدعوة مكتوب فيها " شاركوا على طريقتكم الخاصة " .

قال أحد الإعلاميين الذين شاركوا فى هذا الاحتفال بأنهم يذهبون للسفارة الكائنة فى منطقة الجيزة والمطلة على النيل مباشرة ، ونصعد للسفارة وسط استقبال حافل ، ثم نقدم التحية للسفير والأعضاء الآخرين بالسفارة ثم نتناول المشروبات التى غالباً ما تكون خموراً وعصائر ثم مائدة مفتوحة ، ثم ننصرف منها بعد إلقاء التحية على السفير .

وكان أبرز الحضور من الشخصيات الهامة فى احتفال عام 2000 يوسف والى وزير الزراعة المصرى الأسبق ونائب رئيس الوزراء الأسبق ، وصلاح نبهان مدير مكتب شركة العال الإسرائيلية للطيران فى القاهرة ، وأبو قاسم عزب مدير سابق بوزارة الزراعة المصرية ، وعمر شكرى مصور فى السفارة الإسرائيلية ، والدكتور جهاد عودة أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان وعضو لجنة السياسات بالحزب الوطنى الديمقراطى المصرى، ونبيل فودة مخرج فى التليفزيون المصرى ، مؤسس جمعية للصداقة مع إسرائيل – التى كانت لاتزال تحت الإنشاء ثم رفضها القضاء المصرى – ومحمد والى مدير مكتب استشارى بالفيوم ، ومنسق جمعية شباب السلام فى الشرق الأوسط ، ومحمد عبد العزيز منسى " محام " ، وعبد الحميد عثمان صاحب شركة سياحة يعمل فى سفر المصريين إلى إسرائيل ، وسعيد كامل مصدر منتجات نخيل إلى تل أبيب ، وباسم العريان أحد المستثمرين بالمنطقة الصناعية فى محافظة الفيوم ، ومايكل عبدالمقصود – محام – وعبد الله برسوم تاجر أدوات كهربائية ولعب أطفال ، وإبراهيم على تاجر من الإسكندرية ، وأنور مهران موظف حسابات بصحيفة الأهرام المصرية ، بالإضافة إلى على مينا صاحب شركة تجارية ، ورأفت رشدى رجل أعمال ، وحسن فؤاد الصحفى بجريدة الأهرام المصرية ، وأشرف راضى صحفى مصرى .

كلهم حضروا ومعهم بعض الإعلاميين ، الاحتفال السنوى الذى أقيم فى أحد الفنادق الكبرى بالقاهرة ، كما حضروا فى السفارة الإسرائيلية نفسها فى مصر باعتبارهم من المطبعين المصريين على مختلف المستويات .

* ويؤكد تاريخ التطبيع الإعلامى أن الكاتب الصحفى صلاح منتصر – الكاتب بجريدة الأهرام وصاحب أحد الأعمدة الثابتة فى الجريدة وعضو مجلس الشورى " المعين " وعضو المجلس الأعلى للصحافة إبان عصر مبارك ، والذى كان مرشحاً لمنصب نقيب الصحفيين عام 1997 ، حيث كان رئيساً

لتحرير مجلة أكتوبر حتى 1994/1/2 – يعد واحداً من الشخصيات الإعلامية المطبعة مع إسرائيل ، بسبب كتاباته فى الأهرام وغيرها من المطبوعات القومية عن أهمية السلام والتعاون مع العدو الصهيونى ، فقد سافر أكثر من مرة إلى إسرائيل ، وكان لا يتخلف عن حضور أى عيد تقيمه السفارة الإسرائيلية بعدما توجه إليه الدعوة لحضور هذا الحفل بمناسبة عيد الاستقلال الإسرائيلى ، وفى بعض مقالاته أثناء أزمة الجاسوس الإسرائيلى عزام عزام وجدناه يدافع عن هذا الجاسوس بشكل غريب يدعو للريبة ، وقد قام قبل ذلك بمهاجمة نقيب الممثلين يوسف شعبان قبل ذلك بسبب قيام النقيب بفصل المخرج حسام الدين مصطفى من النقابة بسبب سفره إلى إسرائيل ؛ حيث كان صلاح منتصر يعتبر السفر لإسرائيل عملاً عادياً !! .

وفى مقال لصلاح منتصر فى مجلة الأهرام العربى المصرية يوم 2000/5/6 كتب يقول بأن " الرافضين للتعامل مع إسرائيل هم فقط بعض التجار الذين عفا عليهم الزمن وتتملكهم عقدة الخوف من التطوير " .

كما ذهب صلاح منتصر مع لطفى الخولى إلى إسرائيل فى مارس 1997 بدعوى التظاهر هناك احتجاجاً على بناء مستوطنة إسرائيلية جديدة فوق جبل أبو غنيم ، فى حين أنه لم يقف فى مظاهرة ضد إسرائيل فى مصر ! .

ويذكر بأن صلاح منتصر فى المرة الأولى التى ذهب فيها إلى إسرائيل ، وبعد عودته كتب على صفحات مجلة أكتوبر سلسلة مقالات أسبوعية بدأت فى 1995/12/3 وأسماها " إسرائيل بعيون صحفى مصرى " وأقسم فى مقدمتها أنه سافر إلى إسرائيل مع حماه " سعيد الطويل " رجل الأعمال المعروف بغرض المعرفة .

وكتب صلاح منتصر على صفحات جريدة الأهرام سلسلة مقالات يومية بدأها فى 1997/3/25 وقال فى نهايتها " هذه هى أول مرة يزور فيها إسرائيل مصريون لا يتطلعون إلى عقد صفقات " .

لذلك يعد صلاح منتصر واحد من الصحفيين المطبعين مع إسرائيل خلال فترة حكم مبارك .

* وعن مطبع صحفى آخر تقول المعلومات المتاحة عن التطبيع الإعلامى فى فترة الـ32 عاماً موضوع دراستنا أن ترجمة دور النشر المصرية لرواية إسرائيلية اسمها رواية " ياسمين" للكاتب الإسرائيلى إيلى عمير ، أثارت العديد من التحفظات بعد أن ترجمها الكاتب الصحفى حسين سراج محرر الشئون الإسرائيلية ونائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر ، ووزعتها وكالتا الأهرام والجمهورية للصحافة ، حيث يعد هذا العمل من أعمال التطبيع مع العدو الإسرائيلى فى ظل الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة وحالات القتل والإبادة اليومية التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى الأعزل .

وقد برر حسين سراج عمله هذا والذى تم نشره فى عام 2000 بأن ترجمته للرواية ليس تطبيعاً مصرياً إسرائيلياً ، إنما هو تبادل ثقافى بين الجانبين ، يدخل ضمن عمله المهنى ، مضيفاً أن الترجمة هى السبيل للتعرف والتعايش مع الآخر بسلام ، مشدداً أنه كصحفى له مطلق الحرية فى الترجمة العبرية ، والسفر إلى إسرائيل ، ولا يمنعه قرار نقابة الصحفيين بعدم التطبيع الإسرائيلى ، لأنه فى نقابة رأى له حرية الرأى والتعبير .

ويذكر أن رواية ياسمين هى الرواية الثالثة ضمن ثلاثية للكاتب الروائى إيلى عمير الإسرائيلى ، والرواية الثالثة اسمها " ديك الكيبير " والثانية رواية " المقورجى " والتى تبدأ فى مجملها على خلفية حرب 1967 ، واحتلال القدس والشخصيتان الرئيستان هما " نورى " اليهودى العربى المولود فى العراق والذى هاجر إلى إسرائيل ، و" ياسمين " الفلسطينية المسيحية والتى كانت تدرس دكتوراه فى جامعة السربون بفرنسا .. صدرت الرواية عام 2000 فى إسرائيل عن دار نشر تدعى عامر عوديد .

* وفى موقف آخر فقد أصدر اتحاد كتاب مصر قراراً – فيه لهجة شديدة – ضد الكاتب الصحفى والمؤلف على سالم عضو اتحاد الكتاب المصريين ، مضمونه هو الفصل من عضوية الاتحاد بسبب مواقفه التطبيعية مع إسرائيل، واعترافه بأنه قام أكثر من مرة بزيارة إسرائيل ، وحضور أعيادها واحتفالاتها خاصة عيد الاستقلال الوطنى الذى تقيمه كل عام إسرائيل فى سفارتها فى مصر بالتعاون مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى .

صدر هذا القرار فى بدايات عام 2000 حيث طالب الاتحاد – آنذاك – فى بيانه بطرد السفير الإسرائيلى بالقاهرة ، وإعلان سياسة المقاطعة للبضائع الأمريكية والإسرائيلية ، واستند المطالبون بفصل الكاتب المسرحى على سالم إلى ما كتبه فى كتابه " رحلتى إلى إسرائيل " وإلى عدد كبير من المقالات التى كتبها فى العديد من الصحف ، إضافة إلى لقاءاته مع الفضائية الإسرائيلية ، وزياراته المتكررة لإسرائيل منذ عام 1994 ، بما يخالف قرارات الجمعية العمومية .

وفى حدث آخر قام مطرب الأوبرا المصرى العالمى الدكتور جابر البلتاجى بالغناء فى الاحتفال الذى أقامته السفارة الإسرائيلية والطائفة اليهودية المصرية بالتعاون مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى ، بمناسبة مرور 100 عام على إنشاء المعبد اليهودى فى القاهرة بمناسبة ترميمه .

هذا العمل الذى قام به جابر البلتاجى قد تسبب فى صدمة كبيرة فى الوسط الثقافى مما يمثل مخالفة صريحة للقرار الذى تلتزم به المؤسسة الثقافية والمثقفون منذ ما يقرب أو يقارب عقدين من الزمان (من تاريخ هذه الحادثة) بمقاومة التطبيع ، فقد اتفقوا على أنه لا تطبيع ثقافى أو فنى مع إسرائيل مادامت تحتل القدس والأراضى الفلسطينية والعربية الأخرى .

وقد قام البلتاجى بغناء أغنية " بحب السلام " للشاعر الراحل صلاح جاهين ، كان قد ألفها عام 1958 وغنتها المطربة فايدة كامل ، والأكثر إثارة أن البلتاجى

قدم الأغنية بـ7 لغات أجنبية منها اللغة العبرية التى يتحدثها بطلاقة شديدة فى الحفل الذى حضره السفير الإسرائيلى بالقاهرة شالوم كوهين و80 شخصاً آخرين ، من بينهم السفيران الأمريكى والبريطانى فى القاهرة .

* ومن وقائع التطبيع أيضاً ما ذكره ذكر أحد الإعلاميين والكتاب المصريين فى مقال له بأنه فى عام 1996 كتب المفكر اليسارى الراحل لطفى الخولى مقالاً فى جريدة الأهلام من خلاله قدم للمصريين الدكتور أحمد زويل على أنه موهبة مصرية علمية فذة تعمل فى أحد المعاهد الأمريكية المهتمة ببحوث وعلوم الليزر ولقد ابتكر نوعاً من الكشوفات العلمية بمجالات الليزر ، لم يتوصل إليه عالم من قبله وكان ذلك أول تقديم لزويل داخل مصر ، حيث لم يكن أحد يعرف زويل من قبل .

وبمجرد أن قام لطفى الخولى بتقديم أحمد زويل قامت مؤسسة الأهرام المصرية باحتضان أحمد زويل فى مختلف إصداراتها الصحفية ، وقامت بإجراء حوارات صحفية متنوعة معه ثم امتدت الحوارات إلى مختلف وسائل الإعلام المصرية والعربية .

وكان لطفى الخولى المعارض أيام السادات معارضاً لاتفاقية كامب ديفيد ثم تحول بسرعة الصاروخ إلى تأييد الاتفاقية بعد رحيل السادات ، وأسس ما اصطلح على تسميته فى القاهرة بتحالف كوبنهاجن ثم جمعية القاهرة للسلام .

ويذكر أن تحالف كوبنهاجن يضم عناصر من الصهاينة ، ويذكر أيضاً أن لطفى الخولى جاء إلى نقابة الصحفيين فى ندوة قبيل رحيله فى عام 1997 ، وكان السيجار الكوبى فى فمه وأخذ فى الترويج لمنهاج كامب ديفيد ومهاجمتنا كقوة معارضة للتطبيع واتهامه للمعارضة المصرية بأنهم ديماجوجيين وحنجوريين !! .

وكتب الصحفى عادل حسين الأمين العام لحزب العمل الأسبق – آنذاك – مقالاً حذر فيه من علاقة زويل بالصهاينة وتل أبيب ، ودوره فى خدمة الدولة

العبرية مشيراً إلى اختراعه للفمتو كان أساساً لخدمة الكيان الإسرائيلى من ناحية سلاح الردع ! .

ويعتبر أحمد زويل هو العربى الوحيد الذى تحدث أمام الكنيست الإسرائيلى مرتين ، منها مرة قام الكنيست فيها بتكريمه وقام بمنحه جائزة اعترف بها زويل نفسه وقال : إن صاحبها كوبى أو يهودى من أمريكا اللاتينية ، اشترط أن توزيع جائزته فى إسرائيل محاولاً التخفيف من الهجمات عليه .

أما المرة الثانية التى تحدث فيها أحمد زويل أمام الكنيست كنوع من التكريم له فكانت خلال رحلة عمل قام بها إلى إسرائيل وكانت لصالح الجيش الإسرائيلى واستغرقت 6 شهور وهناك مكث زويل فى معهد وايزمان بحيفا التابع لجيش الحرب الصهيونى لكى يطور لتل أبيب منظومة صواريخ تعمل بالليزر أرض أرض ، وأرض جو ، من خلاله يتم التعامل مع صواريخ حزب الله فى جنوب لبنان ، والتى كانت فى النصف الثانى من التسعينات تشكل خطراً كبيراً على الغزاة .

***

** وفى حدث آخر يعتبر الكاتب الراحل موسى صبرى من بين الكتاب الذين أيدوا السادات فى خطوته التطبيعية أو اتفاقية السلام مع إسرائيل عام 1979 ، فقد كان موسى صبرى يرسم للسادات صورة ترفعه فوق مرتبة البشر ، وتجعله خالياً من كل عيب ، مبراً من كل ذنب فالسادات – كما يقدمه – هو ابن مصر البار الذى أعطى بلاده ومواطنيه من حبه وجهده أكثر مما أخذ بكثير !! .

ويقول الكاتب محسن محمد فى مقال له بعنوان " المشى فوق الأشواك " مصر وزعيمها المظلوم : " إن الرئيس السادات عندما اجتمع به وباثنين آخرين من الصحفيين قبيل عقد اتفاق كامب ديفيد ومن أخذ رأيهم فى هذا الاتفاق ، كان رأى موسى صبرى بأنه موافق على هذه الاتفاقية وأن العرب سوف يؤيدون السادات فى موقفه هذا " .

***

* نشرت صحيفة الأهرام تقريراً عما يسمى بمنتدى الإعلام فى الشرق الأوسط " والذى أقيم بمشاركة من مؤسستى (الأهرام) و(فريدم فور إم الأمريكية) ومن بين ما نشر يوم 1998/8/15 ما يلى نصاً (وحول تساؤلات " الفريدوم فور إم حول ما إذا كانت هناك غضاضة من نشر مقالات بالأهرام لكتاب إسرائيليين ؟ قال الأستاذ سلامة أحمد سلامة: لا يوجد حرج لدينا فى نشر مقالات لكتاب إسرائيليين بالأهرام وقد تم نشر مقالات بالفعل لكتاب من إسرائيل من المؤيدين للعملية السلمية ، إننا لا نغلق أعيننا عما يحدث فى إسرائيل .. وأرى أنه من واجبنا أن نبذل قصارى جهدنا للتعامل مع الصحفيين الإسرائيليين وأن نتفاعل مع ما يحدث فى إسرائيل حتى نستطيع أن نحقق سلاماً حقيقياً أما التظاهر بأنه لا شئ يسمى إسرائيل كما كنا نعتقد فى الماضى فإنه خطأ ، ويجب أن نصحح من ذلك بطريقة متحضرة وذكية مع إسرائيل من منطلق الاحترام .. وهو ما أيده د. سعد الدين إبراهيم) ... انتهى (الأهرام 1998/9/15) .

حول هذا الرأى للراحل للأستاذ / سلامة أحمد سلامة عدة ملاحظات :

(1) هناك قرار ، نظنه يعلمه ، من الجمعية العمومية للنقابة التى ينتهى إليها (نقابة الصحفيين) ومنذ 1980 ، وكان هو عضواً فى مجلسها ويعلم به حقاً وهو منع أى تطبيع من صحفى مع الصحفيين الإسرائيليين والمسئولين الإسرائيليين .. فتحت أى بند سيوضع كلام سيادته السابق ، أليس فى نشر المقالات لصحفيين إسرائيليين والتعامل معهم (بتحضر!!) هو أخطر أشكال التطبيع ؟! أو لم يسمع عن معركة الأهرام – ذاتها – مع رسام الكاريكاتير الصهيونى " اليهودى " " لورى " ومنعه من الرسم فيها انطلاقاً من احترام قرار الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين ؟! أم ترى أنه أكثر علماً ودراية ووعياً بقيمة الحوار (التطبيع) مع هؤلاء المجرمين – سواء كانوا صحفيين أو سياسيين – من كل أعضاء نقابته ، ومسئولى الأهرام الذين منعوا (لورى) من الرسم ؟! .

(2) ما هى حكاية أن إسرائيل حقيقة قائمة ينبغى التعامل معها وعدم إغماض العين عنها : إن الأستاذ سلامة ، وآخرين بالأهرام يعلمون حتماً الفرق بين الإقرار الواقعى بوجود كيان مغتصب لأرضنا ومقدساتنا ومصالحنا ، وبين إعطاء هذا الكيان (شرعية الاعتراف منا) نعم هو موجود ، وقائم ولكنه غير شرعى ، غير قانونى ، وجهادنا – بالكلمة ينبغى أن ينطلق من هذا المبدأ وأظن أن أغلب المقاومين للتطبيع فى مصر يا أستاذ / سلامة ينطلقون من ذلك أما الادعاء بأن هذا هو (الواقعية) فإنها ولاشك (وقوعية) – كما قال بحق كلوفيس مقصود من قبل – إنها هزيمة داخلية مريرة يحملها بعض المثقفين ويريدون فرضها على الآخرين ولو بالقوة ولو بالمخالفة للحقائق ، وللتاريخ ، أى للواقع ذاته !! .

(3) ثم يفاجئنا الأستاذ سلامة أحمد سلامة ، بوصف نشر أعمال الصحفيين الإسرائيليين على الرأى العام المصرى – وكأنهم سيأتون بمعجزات ثقافية – ووصف إجهاد النفس فى فهم المجتمع والكيان العدوانى الصهيونى فى فلسطين من منظور " التطبيع " وليس المقاومة ، يصف كل ذلك بأنه (تحضر) يعنى من لا يفعل ذلك أو يفعله من منظور مختلف هو متخلف، وهذا قول غير صحيح ودعونا نسأل : ما هى بالضبط معايير (التقدم) و"التخلف " عند بعض الإعلاميين من أنصار التطبيع ؟! هل التخلف هو أن نرفض أن يلوث صحفى إسرائيلى عقل القارئ المصرى والعربى ، بترهات عن (حق البقاء) وأرض الميعاد ، وتعايش المجرم مع الضحية ، و" سلام المتعبين " ذلك المصطلح الملتبس الذى أطلقه ذات يوم الراحل لطفى الخولى – وغطرسة القوة النووية فى المنطقة .. هل هذا هو التخلف ؟! هل التخلف هو أن تدافع عن عودة كل فلسطين إلى أهلها حتى ولو كانت العودة فى غير جيلك وفى غير عمرك – المديد إن شاء الله – وألا تصادر عن حق الأجيال القادمة فى أن تسترد ما

ضيعته الأجيال الراهنة بمثل هذه المواقف المهزومة من داخلها هل هذا هو " التخلف " !! .

* فليكن ...

(4) إن مؤسسة " فريدوم فور إم " عندما تسأل (سلامة أحمد سلامة) هذا السؤال ويكون مؤيده الوحيد هو د. سعد الدين إبراهيم بسجله المعروف فى التعامل مع الإسرائيليين وزيارتهم وفى نشر فقه " الأقليات " فى مصر !! فإنها بذلك تؤكد ما يشاع عن هذه المؤسسات بأنها مؤسسات مشبوهة ، وذات أهداف خبيثة وإن التحفت بعباءة فضفاضة من الحرية والدفاع عن الصحافة فى هذا (الشرق الأوسط – ولاحظ عدم استخدام ولو لمرة واحدة لكلمة الوطن أو العالم العربى) وهى عباءة مطلوبة لكى يقع فى فخها أكبر عدد ممكن من مثقفينا الوطنيين أمثال الأستاذ / سلامة ، وربما تكون مثل هذه الندوات مجرد بوابة لتمرير مثل هذه الأسئلة فحسب ، بوابة لإضفاء الشرعية وللحصول على موقف مسبق من مثقف فى حجم (سلامة أحمد سلامة) ، أما باقى الأوراق والجلسات واللقاءات ، وبالتالى " المصروفات" فلا تهم ولا قيمة لها .. ربما نبالغ وربما يسارع البعض ليتهمنا بتبنى نظرية المؤامرة فى تفسير الأشياء والتاريخ ، ولكن ليجيبنا هذا البعض عن الحكمة البليغة جداً فى قيام ممثل هذه المؤسسة الأمريكية (المحترمة) فى مفاجأة الأستاذ / سلامة وطرح مثل هذا السؤال عليه ، ثم قيام عرَّاب من عرَّابى التطبيع بالتأكيد عليه مباشرة ؟! لماذا ؟ هل هى حرية الرأى ؟ هل هو التحضر ، هل هى الواقعية ، أم ماذا ؟ .

***

* واقعة لقاء الدكتورة هالة مصطفى (الصحفية بالأهرام) بالسفير الإسرائيلى بالقاهرة (شالوم كوهين) أوائل (سبتمبر 2009) أثارت ردود أفعال، وتساؤلات عديدة، حتى بعد أن تم إحالتها إلى لجنة تحقيق في نقابة الصحفيين تمهيداً (ربما) إلى تحويلها إلى لجنة التأديب بالنقابة لمخالفتها لقرارات الجمعية

العمومية التي تحظر التطبيع الشخصي والمؤسسي مع إسرائيل منذ أوائل الثمانينات من القرن الماضي وحتى اليوم، ويتجدد قرارها مع كل مؤتمر عام للنقابة ومع قدوم كل مجلس جديد لها مما يكسبها مصداقية وحداثة واحترام على العكس مما روج البعض، والملاحظ على ردود الفعل داخل وخارج الجماعة الصحفية، هو الرفض، والإدانة لهذا اللقاء التطبيعي (الحرام)، والمخالف لقرارات ولوائح النقابة، وللروح العامة التي تسود ليس فحسب الوسط الصحفي بل والشعبي بإجمال.

ولم يدافع عن هذا الفعل سوى قلة معروفة سلفاً والملفت أن دفاعها جاء ملتوياً وضعيفاً، وغير مقنع حتى لأصحابه.

حول الواقعة وما تلاها وانطلاقاً من اهتمام منا نسجل ما يلي عله يفيد فى تحديد حقيقة التطبيع الإعلامى ومخاطره :

أولاً: في ظني أن الأولى بالمحاكمة وبالتحويل إلى مجلس تأديب عاجل ليس فحسب (د. هالة مصطفى) بل د. عبد المنعم سعيد، فالأخير إن كنا قد نسينا قد فتح ليس فحسب (الأهرام) لزيارات السفراء الصهاينة وخبراء المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة (السابقين منهم والحاليين) بل ساهم بكتاباته المعادية دائماً لثقافة المقاومة والمروجة لثقافة الاستسلام باسم العقلانية فضلاً عن ممارساته وأدواره التي لعبت دوراً مؤثراً في فتح واختراق الإسرائيليين وثقافتهم للجماعة الوطنية المصرية، فالرجل كان ولا يزال أحد أبرز مؤسسي تحالف كوبنهاجن الذي تشكل في تسعينات القرن الماضي مع رجال الموساد الإسرائيليين السابقين (هل تتذكرون مؤتمر فندق ماريوت المشبوه مع الصهاينة) وهو عمل إلى جوار الراحل لطفي الخولي فيما سمي بجمعية القاهرة للسلام، وشارك في احتفالات الكيان الصهيوني بإقامة دولته عدة مرات في تل أبيب والرجل تم تحويله إلى لجنة تأديب هو ولطفي الخولي بسبب اختراقهم لقرارات الجمعية العمومية للنقابة والتطبيع المباشر مع العدو الصهيوني، ثم هو

بالإضافة إلى هذه الأدوار التي يرى البعض أنها – فضلاً عن علاقاته بدوائر أمريكية معروفة – كانت السبب في وصوله إلى مواقعه الرسمية، وليس كفاءته العلمية كما حاول أن يروج هو وبعض حواريه من الصحفيين، وإذا أضفنا إلى كل هذه الأدوار كتاباته الدائمة والثابتة في أكثر من صحيفة مصرية التي تسفه المقاومة العربية كلها (من العراق إلى لبنان وفلسطين)، والتي دأب عليها بأسلوب أمريكاني بارد وسافر ، حيث يوحي لك بالموضوعية والواقعية، ولكنه يقطر سماً وكرهاً لكل ما هو مقاوم، واستمر في لعب هذا الدور قرابة الربع قرن الأمر الذي أسعد الإسرائيليين والأمريكيين أنفسهم ودفعهم لترشيحه لزيارتهم عدة مرات والإقامة في أحضان مراكزهم البحثية وعقد الندوات معهم والتمويل الواسع لأبحاثه المشتركة ، فالرجل من كثرة ما يكتب، وفي خفة ما يكتبه أضحى ليس بحاجة إلى ذكر، المؤلم هنا هو ذلك الغسيل الواسع لسمعته الوطنية التي انطلقت من صحف وأقلام وطنية مصرية بعد أن صار رئيساً لمجلس إدارة الأهرام طبعاً بترشيح وطلب من جمال مبارك والأمريكان (وربما الإسرائيليين الذي تجمعهم به صداقات شخصية ويزوره سفيرهم في بيته ويتناول معه طعام العشاء حتى أثناء مذابح غزة ولبنان كثيراً)، ففجأة صار الرجل ليبرالياً، وديموقراطياً وإصلاحياً، ووطنياً، (طيب بأمارة إيه؟ "كما يقول المصريون") .

عبد المنعم سعيد وغيره ممن أطلقوا على أنفسهم أصحاب المدرسة الليبرالية نظن أنهم الأولى بالمحاكمة وليس (هالة مصطفى) وفى الأهرام تحديداً نحسب أن من مارس التطبيع أكثر عدداً وتأثيراً منها ولذلك هم الأولى بالمراجعة والنقد والمحاكمة إن أرادت نقابة الصحفيين ذلك .

***

<u>ثانياً:</u> من الأمور المهمة أيضاً فى واقعة استقبال هالة مصطفى للسفير الإسرائيلى فى مكتبها الصحفى بالأهرام ، هو ذلك الدور الحكومي الخبيث الذي دفع بعض الصحفيين ومن يسمون أنفسهم بخبراء استراتيجيين (وهم في

الواقـع بـلا قيمـة ولا وزن ويسـتمدون احتـرامهم الأكـاديمي فقـط مـن المؤسسـة التاريخية التي يعملون بها وليس من كفاءة وقدرة علمية محترمة)، فالنظام ومن خلال التنظيم السري (العلني) الموجود بداخله والمسمى بلجنة السياسات برئاسة جمال مبارك الذي كانوا يجهزونه ليصبح وريثاً لحكم مصر (والتى أنقذها الله منه بثورة 25 يناير 2011)، يريد أن يرسل عدة رسائل إلى من يتصورون أن بيدهم مسألة التوريث حلاً وربطاً، أول تلك الرسائل وأهمها أن تلك اللجنة (والتي كان ينتمي إليها عبد المنعم سعيد وهالة وفريق المشتاقين من خبراء وباحثين وصحفيين) مع التطبيع ومع عقد مؤتمرات ولقاءات إسرائيلية . مصرية بحضور رجل المخابرات (شالوم كوهين سفير إسرائيل في مصر)، وأنه في عهد هذه اللجنة القادم لحكم مصر لن تتأثر العلاقات مع إسرائيل لا بحصار غزة ولا مذابحها ولن يرى دعاة التطبيع ونظامهم القادم بقيادة جمال دماء الأطفال تقطر من يد هذا السفير وباحثيه وسياسييه ، ومن هنا اختارت اللجنة (هالة مصطفى) لتكون بالون الاختبار لإرسال هذه الرسالة، في استهانة واضحة بمشاعر المصريين (صحفيين وغير صحفيين)، تماماً كعادة قيادات وأعضاء هذه اللجنة والحزب والنظام الذي أنتجها، ولقد وضع من اتخذ قرار إرسال الرسالة عبر السيدة هالة كل الاحتمالات وردود الأفعال على طريقته، وهي الطريقة البرجماتية المتوحشة وغير الأخلاقية والصادمة لأبسط مشاعر وقناعات هذا الشعب المبتلى بتلك النخبة (البرجماتية) ، لقد حسب كل شيء وقدره، إلا تكون ردود الفعل الإعلامية . بل والشعبية . بكل هذا العداء والكراهية لفعل السيدة هالة ومن دفعها إليه ومن سبق أن صار عليه سراً أو علناً، لقد فوجئت لجنة (جمال مبارك) بردود الفعل، وربما ستفاجأ أكثر لو تم تنظيم هذه الردود وتحويلها إلى حركة شعبية حقيقية تطال الأكثر خبثاً من (هالة)، لذلك فشلت مؤقتاً رسالتهم ولم تصل بالشكل اللائق والمطلوب، ورغم ذلك استمر جمال – وقتها – وبطانته من عينة الخبير الاستراتيجي رئيس مجلس الإدارة أو

أستاذ الجامعة الذي تحول إلى سمسار أفكار ومنظر لسياسات توريث مصر أو أولئك الصحفيين أنصاف الموهوبين الذين يتولون رئاسة تحرير العديد من الإصدارات القومية، استمرت سادرة في غيها وقراراتها ورسائلها، إلى أن قامت ثورة يناير 2011 فوأدتها .

***

<u>ثالثاً:</u> يتبقى في ملف واقعة (هالة وشالوم) هو ذلك الإدعاء الفج بأن ثمة علاقات طبيعية بين مصر والعدو الصهيوني ، وبالتالي فإن عقد المؤتمرات وبناء علاقات ثقافية أو إعلامية يعد أمراً طبيعياً، ففضلاً عن تهافت هذا الادعاء وعدم صموده أمام المناقشة الموضوعية الهادئة، فهو أيضاً ادعاء فج لا يتحدث به إلا الانتهازيون من الساسة والمثقفين (والخبراء الاستراتيجيين) الذين ابتلينا بهم في عهد مبارك ونجله، وفي الرد على هذه الحجة نقول ببساطة : إنه إذا كان للحكومات (ومنها حكومتنا الغراء) ضروراتها السياسية والتي نرفضها أصلاً، فإن للمثقف . المحترم طبعاً . (اختياراته) ومواقفه، وشروطه التي لا يصح أن يخضعها لاعتبارات النظام وسياساته، فالمثقف من المفترض أنه ضمير، والضمير (بالذات ذلك الذي لم تعطبه المناصب والطموحات) يعلم أن هذا التطبيع الحكومي مع إسرائيل لا يلزمنا، بل هو قيد على حريتنا، وأنه مفروض فرضاً على هذا الشعب المُبتلى بنظامه، وأنه لم يستفت فيه، وهو مرفوض شعبياً وتاريخياً، وممارسات إسرائيل وعدوانه وإجرامها ضد شعبنا العربي وبخاصة الفلسطيني واللبناني (والمصري طبعاً) تكفي لمن في قلبه ذرة احترام لهذا البلد ولأمنه القومي، أن يرفض التطبيع عبر عقد اللقاءات والمؤتمرات والزيارات (كما هو حال قصة هالة وشالوم) والتي تدعي زوراً أن هدفها معرفة العدو (أو الخصم على حد تعبيرهم)، وهنا أيضاً يرد عليهم بأن أساتذتنا د. حامد ربيع . ود. جمال حمدان . د.عبد الوهاب المسيري – محمود عوض – عليهم رحمة الله – وغيرهم عشرات من كبار العلماء والمفكرين

والخبراء الاستراتيجيين الحقيقيين (وليس المزيفين) عرفوا وتعلموا وعلمونا الكثير عن هذا العدو دون أن يرتكبوا هذا الفعل الفاضح المسمى بالتطبيع، إن الأمر إذن من ألفه إلى يائه ليس أمر معرفة، وليس أمر طلب من الدولة أو من وزير خارجيتها، لكي تطبع هالة أو عبد المنعم أو لطفي مع إسرائيل، إن الأمر أمر انتهازية سياسية وثقافية قصيرة النظر، مفضوحة الهدف، وهو أمر رسائل أراد البعض إرسالها لتل أبيب وواشنطن في غيبة من الحركة الوطنية المصرية، فشاء الله أن تكون سبباً في فضحهم . جميعاً . وفي إيقاظ تلك الحركة ولو عبر الإعلام مؤقتاً تمهيداً لأن تستيقظ عبر السياسة، لتسقط ، وهو ما جرى فى 25 يناير 2011.

إن ملف التطبيع الإعلامى ، لايزال مسكوناً بعشرات الحالات والأحداث ، والتى تبرز المحاولات الدؤوبة لإسرائيل كى تخرق هذه الجبهة – الإعلام – لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة لها ، وحول هذه الحالات والوقائع تدور محتويات الفصل التالى .

الفصل الثانى

نماذج من عمليات التطبيع والاختراق الإعلامى

* نقدم هنا ومن واقع الرصد العام لأبرز ما نشرته الصحف ووكالات الأنباء العربية والدولية ، والمصادر الإعلامية الأخرى ، عدداً من الأخبار والوقائع المتصلة بعمليات التطبيع الإعلامى مع الكيان الصهيونى ، وهى مجرد (عينة) أو (نماذج) لحالة عامة حاولت إسرائيل من خلالها اختراق النخبة الإعلامية المصرية ، ولكنها فشلت فى المحصلة الأخيرة كما بدأ لنا بحصاد التطبيع فى مجال الإعلام مع نهاية الفترة موضع الدراسة ، أى : مع بدايات الثورة المصرية عام 2011 ، ولقد قسمنا التطبيع الإعلامى إلى مراحل زمنية تتناول الحقب الممتدة من عقد الثمانينات والتسعينات فالألفية الثانية وصولاً إلى العام 2009 ثم الثورة المصرية عام 2011 فماذا عن هذا التطبيع الإعلامى عبر سنينه المتعددة ؟ .

<u>أولاً : حقبة الثمانينات 1980 – 1990 :</u>

**** نشرت مجلة " المجلة " فى 17 – 23 ديسمبر 1986** تقريراً عن إذاعة إسرائيل الناطقة باللغة العربية عبر دراسة علمية للباحثة نجلاء فهمى العمرى بكلية الإعلام – جامعة القاهرة بعنوان " إذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية وأسلوب الدعاية الصهيونية بها " . وأشارت إلى أن الإذاعة تمارس الدعاية الرمادية لبث الأفكار الهدامة متخفية فى ثوب الموضوعية والمهنية وعن طريق دس السم فى العسل .

– وبالبحث والإحصاء تبين أن إذاعة إسرائيل من أكثر الإذاعات الأجنبية الموجهة التى يتابعها المصريون وأن هذه الإذاعة تستخدم المضمون الترفيهى لجذب أكبر عدد ممكن من المستمعين عن طريق إذاعة أغانٍ للمطربين الكبار مثل : أم كلثوم وفيروز وعبد الحليم حافظ بهدف كسر حاجز الغربة كما تبث برامج مهمة وتوعوية مثل طبيب خلف الميكروفون وتتعمد ذكر أسماء عربية فى البرامج الإخبارية لإضفاء المصداقية لدى المستمع العربى وذلك بانتقاد الحركة الصهيونية فى بعض الأحيان وبأسماء وتواقيع عربية ، وتقدم أحياناً

جوانب إيجابية عن العرب نقلاً عن مصادر إسرائيلية ولكن خلف هذا القناع تختفى حقائق الدعاية الصهيونية ، فتجدها مثلاً تقدم برنامجاً عن الأدب العبرى ولكن بالمقارنة مع الأدب العربى وكذلك تقدم انجازات إسرائيل الطبية عبر برنامج " طبيب خلف الميكروفون " كذلك يتم التركيز على الوضع الداخلى لبعض الدول العربية وفى مقدمتها مصر ، فتركز على الوضع الاقتصادى وأوضاع المعارضة المصرية وتركز على الأحداث اللبنانية خاصة الاقتصادية وتلعب دور المفجر للصراع الطائفى بتضامنها مع طرف ضد الآخر .

وأشارت الباحثة إلى أن الإذاعة الإسرائيلية تنحاز للطائفة الشيعية وأحياناً تبرر اعتداءاتها على الجيش الإسرائيلى وتهدف الصهيونية لتفريغ مفهوم المقاومة من محتواه الحقيقى وتتلاعب بالمشاعر العربية فتكسب مصداقية لدى المستمع العربى وتشعل النار فى الوقت نفسه بين العرب بعضهم بعضاً وإذاعة إسرائيل تبث 18 ساعة يومياً مقابل 15ساعة للإذاعات العربية.

**** نشرت المجلة العسكرية الفلسطينية فى عددها الأول من يناير 1989** عرضاً لكتاب محسن عوض والذى يحمل عنوان " الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع الدول العربية " وقد جاء فيه :

– تسعى إسرائيل لتحويل آليات الصراع إلى آليات تطبيع بين إسرائيل والدول العربية .

– تطبيع العلاقات الإسرائيلية المصرية كان الجزء الظاهر من جبل الجليد فقد سبقه تطبيع العلاقات فى الأراضى المحتلة تم تطبيق الأمر الواقع مع الأردن من خلال سياسة الجسور المفتوحة ثم سياسة التطبيع مع الحكومة اللبنانية باتفاق 17 مايو 1983 مروراً باتفاق نقل يهود الفلاشا مع النميرى ثم التطبيع مع المغرب عبر لقاء إيفران .

– استراتيجية التطبيع الإسرائيلية ليست من النوع الذى يمكن تنفيذه دوماً تحت أشعة أو بصورة علنية ولكن يظل جزء كبير منها يدور فى الكواليس المغلقة .

ويقسم المؤلف الكتاب إلى الفصل الأول وتناول فيه مفهوم التطبيع ويتناول فى فصل ثانٍ خارطة التطبيع الإسرائيلى مع الدول العربية منذ 1967 مع كل من : الأرض المحتلة والأردن ومصر والمغرب والسودان ولبنان ، أما الفصل الثالث فتناول فيه آليات العمل العربى نحو استراتيجية التطبيع الإسرائيلية وذلك على الصعيدين الرسمى والشعبى .

**** فى عام 1989 كشفت العديد من وسائل الإعلام ومنها صحيفة " الشعب** " عن أكبر جريمة سرقة لآثار مصر عن طريق إسرائيل ، فالشعب كشفت فى تحقيق لها أن آلاف القطع الأثرية من العصر الفرعونى والهلنستى والرومانى والقبطى والإسلامى سرقتها إسرائيل بمعاونة أمريكا وبعض الدول الغربية ، وقد أقامت إسرائيل جسراً جوياً طوال 16 عاماً منذ 67 حتى 83 لنقل الآثار المصرية المسروقة على أن يتم بيعها فى أسواق العاديات بتل أبيب .والأخطر أن هذه الآثار غير مسجلة ولا نعرف عنها شيئاً ، وكشفت الشعب أن موشى ديان أشرف بنفسه على الحفريات فى سيناء بمشاركة ثلاث عشرة جامعة ، ومعهد آثار عالمى باستخدام الأشعة فوق البنفسجية للكشف فى أعماق الأرض التى ترقد فيها الآثار ثم استخراجها وسرقتها وتم سرقة الكنائس والمعابد من أماكنها التاريخية وتحولت أماكنها إلى ثكنات ومواقع عسكرية .

وحذر التقرير من أن إسرائيل ربما تقدم على اغتيال علماء الآثار المصريين، حتى لا يكشفوا زيف ادعاءاتهم وذلك بعد اغتيالهم لعلماء الذرة العرب والمصريين ، ودعت " الشعب " لحملة قومية لاسترداد آثارنا المسروقة من إسرائيل .

** وفى العام نفسه عقدت ندوة إعلامية وسياسية موسعة ضد التطبيع نظمتها لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ،بالتعاون مع المجلس الثقافى اللبنانى الجنوبى، تحت عنوان "ثقافة المقاومة فى مواجهة الصهيونية" شارك فى الندوة عدد كبير

من البـاحثين الفلسـطينيين واللبنـانيين وبـاحثى لجنـة الـدفاع عن الثقافـة وجـرت مناقشة 16 بحثاً عبر 5 جلسات،فى المقر المركزى لحزب التجمع.
لم تكن مصادفة أن تحتضن قاعة جمال عبد الناصر بمقر التجمع هذه الندوة، كما قال خالد محيى الدين الأمين العام للحزب فى افتتاح الندوة ، فالتجمع هو الحزب الذى وقف ومعه قوى وطنية واسعة من الناصريين والشيوعيين ضد مجمل السياسات التى أوصلت البلاد إلى ما هى فيه الآن ، وهو الحزب الذى يطرح برنامجاً بديلاً لتخليص مصر من شبكة التبعية للإمبريالية.
وأشار الأمين العام فى كلمته إلى أن المقاومة اللبنانية تشكل مع الانتفاضة الفلسطينية ظاهرة ثقافية جديدة فى حياتنا كإبداع أصيل للشعبين ، سيأخذ هذا الإبداع تجلياته المختلفة فى كل وطن عربى حسب ظروفه الخاصة .
ولأن المرحلة التى نعيشها تتطلب عملاً ثقافياً طويل المدى ، فإن تنظيم هذه الندوة – كما أوضحت د. لطيفة الزيات رئيسة لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية – جاء بهدف ترسيخ مفهوم الثقافة الوطنية العربية ، كفعل مقاومة ضد الصهيونية والإمبريالية ، ولكن سؤال الثقافة الوطنية يتشابك بالضرورة مع سؤال مواجهة الصهيونية ، ذلك ما أكدت عليه الورقة التى أعدتها لجنة الدفاع عن الثقافة ، وحررتها د. أمينة رشيد وحلمى شعراوى ود. رضوى عاشور ، وتحدد الورقة معنى الثقافة الوطنية بأنه مجمل السلوك والقيم والأفكار والمؤسسات التى ينشئها الإنسان فى مواجهة الطبيعة ، وفى تنظيم حياته داخل المجتمع ، وتفرق الورقة بين ثقافة التبعية التى ترسخ التبعية الاقتصادية والسياسية وبين الفعل الثقافى المقاوم ، الذى يتسم بالرفض والتحدى ويصبح – بالتالى – عنصراً أساسياً من عناصر التحرر الوطنى ، ولكن بشرط أن يتجاوز المثقف حالة الإحباط التى تشمل حياته ، وأن يحدد أبعاد الصراع الاجتماعى .
ولأن الثقافة لا تنفصل عن سياقها التاريخى – كما يرى الباحث والناقد الفلسطينى د. فيصل دراج – فإن الثقافة فى ظروف التبعية والإذعان التى

نحياها ، ينبغى أن تكون فعلاً هادفاً إلى التحرر الوطنى وتحرير الإنسان .. كما ينبغى أن يتجلى هذا الهدف بالأساس فى الفعل الشعبى المتمرد ، أكثر مما يتجلى فى كتابات المثقفين ، وذلك ما قالته الانتفاضة فى الأرض المحتلة، والمقاومة اللبنانية ، ومظاهرات الجياع فى أكثر من بلد عربى .

وفى محاولة لانتزاع تعريف الثقافة الوطنية من مفهومه الضيق كرد فعل مباشر على قهر طارئ ، ترى د. أنيسة الأمين ، أستاذة الاجتماع بجامعة بيروت ، أن المقاومة المباشرة للغريب والمحتل ، قد رسخت هذا المفهوم الضيق ، كرد فعل مباشر على قهر طارئ ، ترى د.أنيسة الأمين أستاذة الاجتماع بجامعة بيروت ، أن المقاومة المباشرة للغريب والمحتل ، قد رسخت هذا المفهوم الضيق ، فى حين يدعونا البحث الحقيقى عن هوية إلى ضرورة إرساء ثقافة عميقة ، والخروج من ثقافة اللافتات ، خاصة أن لدينا بالفعل ثقافة عربية مقاومة .. وهناك الكثير من الأمثلة بين الأدباء والكتاب .

وفى محور " مقاومة الصهيونية " قدم المفكر المصرى د. سمير أمين تصوره حول الوضع الراهن للقضية الفلسطينية ، من خلال نقطتين :

الأولى : تناسى أن المشروع الصهيونى اختراع قديم ، آثاره بزوغ مشروع محمد على وآفاق النهضة العربية .

الثانية : ظهور شبه تسوية تقوم على الاعتراف المتبادل بين الإسرائيليين والفلسطينيين . ويعلق د. سمير أمين على النقطة الأخيرة بقوله : إن الاستيطان الصهيونى لن يستمر فوق التراب الفلسطينى إلا باستمراره فى تقديم الخدمات للسياسة الاستعمارية فى المنطقة أو أن يتحول الكيان نفسه إلى قوة إقليمية مهيمنة ، تستغل المنطقة العربية فى إطار النظام الدولى ولا بديل ثالث أمام إسرائيل لتأمين حياة المستوطنين .

ويتطرق بحث حبيب صادق أمين عام المجلس الثقافى اللبنانى الجنوبى ، إلى الإبداعات الشعبية فى نطاق المقاومة اليومية للغزو الصهيونى فى لبنان وفلسطين ، منذ الفترة السابقة لقيام الكيان الصهيونى .

وأشار الكاتب والباحث اللبنانى سمير سعد إلى مساهمة الانتفاضة فى إحداث انعطاف نوعى فى الحركة السياسية العربية ، وفى اتجاه وضوح طريق واقعى للثورة العربية الجديدة وأضافت إلى هذه الإشارة بعداً معاشاً ، الشهادة التى قدمتها زهيرة كمال – مواطنة من الأرض المحتلة – وأكدت فيها أن المثقفين هم أقل الفئات التى قدمت شيئاً ذا بال لدعم الانتفاضة .

وحول " مصر والتطبيع " قدم د. عبد الباسط عبد المعطى – باحث علم الاجتماع المصرى – دراسة لمائة حالة من نماذج المواطنين المصريين ، حول آليات التطبيع وثقافة المقاومة فى الشارع ، خرج منها أن عمليات التطبيع تأخذ أشكالاً عديدة تخطط لها إسرائيل منها الإغراء المادى ومديح المصريين وافتعال الحوار معهم وفى نفس الوقت جمع المعلومات التى تساعد فى جولات مقبلة للتطبيع .

** **فى العام نفسه (1989) كشفت لمحاولات** الاختراق المنظم للعقل المصرى من عدة جهات تابعة لإسرائيل والموساد ، وآخر المحاولات مجموعة فنادق هيلتون حيث كان هناك إعلان عن وظائف ولكن الغريب والعجيب أن الشرط الأكبر لنيل الوظيفة إجادة اللغة الإنجليزية ولغة أخرى ويفضل أن تكون العبرية وذلك للتعامل مع السياح اليهود القادمين لمصر .

** وفى نفس الفترة كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت عن أن المطربة الإسرائيلية اليهودية (سافو) قررت إعادة غناء وتوزيع وطبع أغانى سيدة الغناء العربى أم كلثوم لبيعها فى العالم لمحبى غناء أم كلثوم من طوائف يهود الدول العربية . سافو من أجل الترويج لأغانيها سافرت إلى غزة أثناء الاحتلال عدة

مرات لتغنى أغانى أم كلثوم بعدة لغات منها : العربية والفرنسية والأسبانية والمغربية .. حفلات سافو ستقام فى غزة تحت عنوان حدائق الأندلس .

** وفى الفترة نفسها قالت صحيفة (يديعوت أحرونوت) : إن استقالة سفير إسرائيل فى القاهرة (شيمون شامير) تعتبر صفعة على وجه حكومة إسرائيل.

وأضافت الصحيفة فى مقال كتبه (أهارون بابو) أن مصر ليست دولة صديقة أو محايدة . وإنما يربطها سلام بارد مع إسرائيل ، كما أنها تتعاطف مع طموحات العرب بشأن مصير إسرائيل ، وهى نشيطة فى الفترة الأخيرة فى محاولات وقف الهجرة من الاتحاد السوفيتى . وأضاف : أن الصحافة المصرية هى أكثر الصحف السياسية فى العالم معاداة لإسرائيل ، وتصريحات الساسة المصريين الذين يتعاطفون مع منظمة التحرير الفلسطينية لا تبقى شكا بأن مصر دولة معادية.

** نشرت جريدة الأهالى فى 1989/1/18 أن حزب التجمع لا يرى أنه من المناسب سفر الصحفيين المصريين للأراضى المحتلة لتغطية أخبار الانتفاضة ، لأن دعم الانتفاضة لا يكون بالتطبيع مع العدو الصهيونى لأن هذا من شأنه إحداث شرخ فى جدار مقاومة التطبيع مع إسرائيل .

وفى سياق متصل نشرت صوت الأمة فى 1997/7/8 أن حزب العمل نظم مؤتمراً حاشداً ، جمع كل القوى السياسية المصرية والذى دعت إليه اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان بالاشتراك مع المركز العربى الإسلامى للدراسات داعياً إلى تكوين جبهة مضادة للتطبيع والداعين إليه .

وقد أكد د. رفعت سيد أحمد فى كلمته بالمؤتمر على ضرورة مواجهة دعاوى التطبيع الذى وصل لمراحل متقدمة وخطيرة فى الزراعة والسياحة والتجارة وغيرها .

وحذر د. محمد عصفور أننا بصدد كارثة محققة وأن المقاومة تحتاج لأجيال ويجب علينا أن نفهم الشخصية الأمريكية والإسرائيلية حتى نعرف كيف نواجهما، فالعنصرية أصل راسخ فى كل منهما .

ووصف د. محمد مورو التطبيع الثقافى بأنه عملية تدمير للخلايا العصبية فى الجسد العربى.

** وفى نفس الفترة عقدت ندوة إعلامية وتاريخية بمقر " حزب مصر الفتاة " بعنوان " السامية وإسرائيل " ألقاها د.محمد جلاء إدريس – رئيس قسم اللغة العبرية فى آداب طنطا وقد جاء فيها :

– معاداة السامية اختراع لعالم ألمانى 1879 وسرعان ما أصبح أى عداء لليهود هو عداء للسامية .

– من الخطأ البين أن مصطلح السامية يقتصر على اليهود وتم إخراج العرب من هذا المصطلح.

– يحصر اليهود المعادين للسامية فى كل من يدين أعمال دولة إسرائيل أو ينكر الهولوكست أو يعادى الصهيونية بمن فى ذلك الفلسطينيون الذين يطالبون بتحرير وطنهم . ويرد إدريس العداء لليهود والصهيونية إلى أربعة عوامل وهى :

– الدافع الدينى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى .

– معظم الأعمال المعادية لليهود فى أوروبا من صنع اليهود أنفسهم بعد أن وجد قادتهم فى معاداة السامية ما يفيد الصهيونية مما أدى إلى أن تمنح أوروبا تأييدهم للصهيونية . والعجيب أن الصهاينة سحبوا معاداة السامية على القدماء المصريين واعتبرهم اليهود أول من عادى السامية وقد أشهروا سلاح معاداة السامية لكل من ساند الانتفاضة الفلسطينية أو المقاومة الإسلامية عموماً وقد خلص الباحث إلى أن الصهيونية ليست ردة فعل لمعاداة السامية فالأخيرة سابقة على الأولى .

** **نشرت جريدة " مصر اليوم " فى 1989/9/21** تقريراً عن فيلم " المخدوع " للمخرج "كوستا جافراس" وأنه منحاز لليهود والصهيونية وقد انقسم النقاد حول الفيلم فترى الناقدة خيرية البشلاوى أن الفيلم موجه بواسطة جماعات الضغط الصهيونى ، لإظهار اليهود بمظهر الشعب المسلم الغلبان الذى يتمنى أن يعيش فى أمان .

أما مدحت محفوظ فيرى أن كوستا مخرج ليبرالى يدافع عن أى جماعة تواجه ضغطاً من جماعة إرهابية وفى هذا الفيلم يعالج النازية الجديدة من خلال جماعة إرهابية تقتل الزنوج واليهود .

** وفى نفس العام (1989) كشفت مصادر إعلامية مصرية النقاب عن معلومات أفادت أن إسرائيل طلبت رسمياً من الولايات المتحدة تمويل مخططها الخاص بالتغلغل العسكرى والاقتصادى فى القارة الأفريقية واستعادة العلاقات بين تل أبيب والدول الأفريقية التى قطعت علاقتها فيما بين 1967 ، 1973 .

قالت المصادر : إن الحكومة الإسرائيلية شكلت لجنة سرية ضمت ممثلين من وزارات الدفاع والخارجية والزراعة بالإضافة إلى مندوب من جهاز الاستخبارات " الموساد " لإعادة تخطيط الدور الإسرائيلى فى أفريقيا وذلك فى أعقاب تلبية رئيس أفريقيا الوسطى الدعوة لزيارة إسرائيل والدلائل التى تشير إلى عزم عدد من الدول الأفريقية استئناف التعاون العسكرى والاقتصادى مع إسرائيل .وأضافت المصادر أن اللجنة الإسرائيلية طالبت بتخصيص مائة مليون دولار لدعم التعاون الإسرائيلى مع الدول الأفريقية من خلال برنامج موسع لتقديم الأسلحة الإسرائيلية وتدريب الكوادر العسكرية الأفريقية فى إسرائيل وإيفاد بعثات من خبراء الزراعة الإسرائيليين للمساهمة فى خطط التنمية الزراعية للدول الأفريقية .

وأكدت المصادر أنه فى ضوء الأزمة التى يمر بها الاقتصاد الإسرائيلى طالبت تل أبيب الإدارة الأمريكية بتمويل برنامج التعاون الإسرائيلى مع الدول الأفريقية من خلال برامج المعونات التى تقدمها واشنطن للدول الأفريقية .

** وفى العام نفسه (1989) اتهمت اللجنة النقابية للعاملين بالمركز القومى للسينما المخرجة منى جمال الدين محمد حسانين بالاستيلاء على فيلم تسجيلى من إنتاج المركز القومى للسينما ، والمشاركة به فى مهرجان عقد بالقدس المحتلة ، رغم عدم أحقيتها فى ملكية الفيلم أو المشاركة به فى أى مهرجان . وقرر مجلس إدارة اللجنة النقابية بالإجماع فصل المخرجة من العضوية العاملة باللجنة النقابية وذلك إثر اجتماع عقدته اللجنة برئاسة مصطفى ناجى، وذلك لخروجها على مقتضيات الواجب الوظيفى وميثاق الشرق الأخلاقى للعمل للعمل النقابى بزيارتها لإسرائيل مخالفة بذلك قرارات رفض التطبيع مع العدو الإسرائيلى .

الجدير بالذكر أن قراراً مماثلاً كان صدر بفصل المخرجة من اتحاد السينمائيين التسجيليين للسبب ذاته .

** نشرت وسائل الإعلام فى 1989/10/31 أن د. بورتون – اليهودى الأمريكى الجنسية – ومعه مساعدة إسرائيلية يعملان فى معمل الترميم بالمتحف المصرى والمعروف باسم " الجلسة " والإسرائيلى ومساعدته يوقعان يومياً فى دفتر أحوال المتحف المصرى الخاص بالشرطة وهذا لا يتم إلا عن فتح أو غلق مخازن أو معامل أو فترينات .

** نشرت الشعب فى 1989/11/25 مقالاً للكاتب شفيق أحمد على وقد وجه فيه الكاتب عدة أسئلة لمنظمة التحرير الفلسطينية عن سر اختيارهم للمطرب سمير الإسكندرانى لكى يغنى لأطفال الحجارة ، فهل نسيت المنظمة وقادتها بأن هذا المطرب ووالده كانوا يدعون موظفى السفارة الإسرائيلية فى بيتهم لتناول

الغداء مما يثبت أن هناك علاقة حميمة بين هذا المطرب ووالده وبين الإسرائيليين .

وتطرق الكاتب لموضوع كشف هذا المطرب لشبكة جاسوسية أثناء دراسته فى إيطاليا . ويرد الكاتب بأن هذا كذب محض لأن هذا المطرب لم يعترف بالجاسوسية إلا عندما أيقن أن المخابرات المصرية قد كشفته وأرغمته على العمل معها .

وتساءل الكاتب كيف يتحول مطرب كامب ديفيد إلى مطرب للانتفاضة ؟! .

** وفى العام نفسه صدرت تعليمات إلى معدى البرامج الدينية فى التليفزيون من قبل صفوت الشريف بعدم انتقاد بنى اسرائيل نهائياً , او ذكر أى آيات قرآنية كريمة أو أحاديث نبوية شريفة تتعلق بهم!!

** **وفى 1989/11/29 قرر مجلس نقابة الاجتماعيين بالإجماع عدم** التعامل مطلقاً وبأى صورة من الصور مع العدو الصهيونى حتى يعترف اعترافاً كامل بالحقوق الفلسطينية وبالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس العربية .

** وفى العام نفسه أعربت لجنة الدفاع عن الثقافة القومية عن قلقها البالغ إزاء المناقشات التى تدور فى نقابة الصحفيين وبعض الهيئات الثقافية والنقابية الأخرى بخصوص اقتراحات إرسال وفود إلى الأراضى المحتلة لتغطية أنباء الانتفاضة ودراسة الأوضاع السائدة هناك وإظهار الدعم للشعب الفلسطينى البطل ، وأكدت اللجنة أن النوايا الطيبة وراء هذه المقترحات لا تخفف من المخاطر العديدة فى إحداث ثغرة فى جدار المقاطعة ، وناشدت اللجنة كافة المنظمات باستمرار الالتزام بوقف أى شكل من التطبيع مع العدو الصهيونى ، خاصة أن هذا الالتزام لا يعوق أى شكل لإظهار التأييد للانتفاضة الفلسطينية ، ومن الأجدى أن نعبر عن التضامن بمعارضة السياسات التى تسعى لتصفية الانتفاضة أو صرفها إلى عكس أهدافها الاستراتيجية .

** **نشرت الشعب فى 1989/10/31** تقريراً عن جائزة نوبل للآداب والتى فاز بها الروائى الأسبانى كاميلو خوسيه ثيلا ، وهو رئيس جمعية الصداقة الأسبانية – الإسرائيلية ، وقد نشر بيانات تدين الانتفاضة الفلسطينية ويؤيد بشكل أعمى كل ما تقوم به إسرائيل .

والكاتب الروسى الذى كان يدعم ثيلا للفوز بالجائزة سافر لإسرائيل قبل إعلان الفائز ، مظهراً تأييده لسياسة إسرائيل ، ومنتقداً قادة الاتحاد السوفيتى؛ لأنهم مازالوا يقطعون العلاقات مع إسرائيل .

يذكر أن الكاتب الأسبانى تمتاز كتاباته بالإباحية الفجة حتى عناوين كتبه تدل على ذلك مثل كتاب " القاموس السرى للألفاظ الجنسية " و" دائرة معارف الشهوة " .

ولهذا يرجع كثيرون من النقاد والكتّاب أن الباب السرى للفوز بجوائز نوبل يوجد فى إسرائيل.

** حرق طلاب جامعة المنصورة العلم الإسرائيلى بساحة الجامعة أثناء احتفال أسرة الإنسان بكلية الحقوق بمناسبة ذكرى وعد بلفور والتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية ، حضر المؤتمر أكثر من ألفى طالب وتحدث كل من د. الشافعى بشير رائد الأسرة ود. زكى البحيرى ود. حافظ القاطونى وأكدوا على رفضهم لممارسات الصهاينة ضد شعب فلسطين وتأييد كافة حقوقه المشروعة .

** نشرت الأهالى فى 1989/12/5 أن وكالة التنمية الأمريكية والسفارة الأمريكية ووزارة التربية والتعليم المصرية احتفلوا بإنشاء المدرسة رقم (1000) فى محافظة الإسماعيلية وذلك من أجل تكريس أمركة التعليم لتخريج أجيال تدين بالولاء لأمريكا .

يذكر أن هذه المدارس تأخذ موافقة فورية من أحمد فتحى سرور بينما يماطل فى إعطاء تصاريح للمدارس الخاصة ، خاصة إذا كانت إسلامية .

** وفى العام ذاته لفت مجلس نقابة الصحفيين نظر أعضاء النقابة إلى ضرورة الالتزام الصارم بقرارات الجمعية العمومية للنقابة ، التى توالت منذ عام 1980 بعدم تطبيع العلاقات مع إسرائيل ، حتى تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتنسحب من كل الأراضى العربية المحتلة .
صدر القرار بإجماع الآراء ، فى جلسة المجلس التى عقدت يوم الأحد الماضى برئاسة مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين .
** **نشرت الشعب أن مجموعة من أساتذة جامعة القاهرة ومركز البحوث الاجتماعية** اعترضوا بشدة على سماح وزارة التعليم لمجموعة من الطلاب والباحثين اليهود الأمريكيين بعمل دراسات وأبحاث فى الهيئات العلمية ، لأن هذه المجموعات الطلابية والباحثين من المنتظر أن يلعبوا دوراً فى تنشيط علاقات التطبيع بين مصر وإسرائيل .

***

ثانياً : حقبة التسعينات : 1999 – 2000 :

** **نشرت الشعب فى 1990/3/7** أن نجيب محفوظ صرح بأنه لا يمانع فى مقابلة ساسون سوميخ الناقد الإسرائيلى صاحب الكتابات النقدية عن نجيب محفوظ ، ولكنه سيعتذر لأنه لا يقابل أحداً فى بيته نظراً لظروفه الصحية . يذكر أن سوميخ حضر للقاهرة لإلقاء محاضرة فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى عن مسيرة نجيب محفوظ الأدبية ووجهت الدعوة لمحفوظ إلا أنه اعتذار لظروفه المرضية. وتردد أن الاعتذار سببه أيضاً تحفظ نجيب محفوظ على التطبيع الثقافى مع إسرائيل بهذا الشكل السافر .
ومن جانبه أكد نجيب محفوظ – للأهالى – أنه لا يقبل أى دعوات نظراً لظروفه الخاصة التى يعرفها الجميع ، والأمر لا يتعدى الاعتذار ، وأوضح أن الجامعة الأمريكية وجهت إليه – أيضاً – دعوة لحضور حفل استقبال بمناسبة

صدور الثلاثية باللغة الإنجليزية ، وقد اعتذر أيضاً عنها رغم أن الجامعة الأمريكية صاحبة الامتياز فى نشر أعماله بالإنجليزية .
المعروف أن سوميخ أحد النقاد الإسرائيليين المهتمين بالأدب العربى ، وله دراسات عدة عن الأدب المعاصر فى كثير من الأقطار العربية ، كما أن أطروحته للدكتوراه كانت عن الإيقاع فى أدب نجيب محفوظ ، ومحفوظ قرأ له كثيراً قبل معاهدة كامب ديفيد ، وأشار إلى أن د.محمد يوسف نجم أستاذ الأدب العربى بالجامعة الأمريكية بلبنان أرسل له نسخة من أطروحة سوميخ قبل أن تصدر فى كتاب داخل إسرائيل .

** على صعيد آخر وفى عام 1990 أعلنت الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل مقاطعة المؤتمر الأول لمقاومة التطبيع الذى عقد بالعاصمة اليمنية صنعاء .. أمين اسكندر منسق عام الحركة الشعبية قال: إن سبب المقاطعة هو إعداد حامد محمود أمين عام الحزب الناصرى ورئيس لجنة الأحزاب لمقاومة الصهيونية ملفاً نسب فيه انجازات الحركة الشعبية للجنة الأحزاب.

** **وفى العام نفسه** رفضت مصر الضغوط الأمريكية لتغيير موقفها الرافض لاشتراك إسرائيل فى سوق القاهرة الدولية . حاولت الولايات المتحدة عبر فرانك ويزنر سفيرها بالقاهرة إقناع الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، بضرورة اشتراك الشركات الإسرائيلية فى المعرض ، لتعبئة الرأى العام الإسرائيلى لصالح عملية السلام، ولكن أكدت مصر إصرارها على رفض مشاركة إسرائيل فى السوق لأسباب أمنية ، اشتركت الدول العربية فى السوق ، عقب رفض مصر الموافقة على اشتراك إسرائيل ، وأكدت دوائر دبلوماسية بالقاهرة ، أن الحكومة الإسرائيلية تسعى حالياً عبر سفارتها بالقاهرة ، لإقناع السلطات المصرية بإقامة معرض خاص للشركات الإسرائيلية بعد انتهاء السوق الدولية ، وكانت مصر قد رفضت منذ ثلاث سنوات اشتراك إسرائيل فى

المعرض الدولى للكتاب أو سوق القاهرة الدولية لضمان اشتراك الشركات والهيئات العربية .

** وفى سياق متصل بالثقافة فوجئ الحاضرون فى ندوة نجيب محفوظ التى أقيمت فى فندق شبرد بوجود الكاتب الإسرائيلى مناحم لويس الذى وزع كتاباً أعده نجيب محفوظ ، وزعه على الحاضرين وأبدى حزنه لعدم حضور على سالم .

** **نشرت الوفد فى 1990/1/30أن رؤوس الأموال الإسرائيلية** تقف وراء شركات السينما العالمية التى تتقدم بطلبات للسلطات المصرية لطلب تصريح لتصوير أفلامها فى مصر.

وأحدث هذه المحاولات فيلم " عندما يرحل الملائكة " ويدور حول مجموعة من الإسرائيليين يزورون بعض الأماكن السياحية فى مصر ويقومون بطقوسهم الدينية فى سيناء ويستكمل الفيلم فى حيفا وعكا والقدس والأراضى الفلسطينية المحتلة .فضلاً عن قيام شركات بتصوير مشاهد فيديو فى مصر ثم استكمالها فى إسرائيل مع تشويه المشاهد المأخوذة فى مصر لإظهار الشعب المصرى كشعب متخلف وإظهار الإسرائيليين بأنهم شعب متقدم ومتمدن ويستحق أن يمتد نفوذه من الفرات إلى النيل .

يذكر أن شركة ألمانية سينمائية عرضت على يوسف وهبى القيام بدور النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – إلا أن وقوف الأزهر والسلطات المصرية آنذاك وقفت حائلاً دون إتمام المشروع، فمن يقف الآن فى وجه المحاولات الصهيونية الدائمة لتشويه مصر والإسلام ؟ .

** وفى السياق ذاته أكد د. عبد السلام عبد الغفار رئيس جامعة عين شمس عدم وجود أى تعاون علمى بين جامعة عين شمس وإسرائيل ، وأن الأمر لا يتعدى مشروع بين مركز الأبحاث والتدريب بالجامعة ومعهد الصحة العامة بالولايات المتحدة الأمريكية ، يهدف لدراسة الأمراض كالبلهارسيا وأضاف رئيس

الجامعة فى تصريح " للأهالى " : أؤكد عدم سفر أى عضو هيئة تدريس أو طلاب من الجامعة إلى إسرائيل .

** **نشرت الشعب فى 1990/3/20** مقالاً لمحمد شوقى مأمون باسم (متحدثاً باسم إسرائيل). وقد أورد الكاتب أن أنيس منصور يعرف على أنه المتحدث باسم إسرائيل فهو يدافع عن مصالح إسرائيل وحق اليهود الروس فى الهجرة إليها فى الوقت الذى يهاجم فيه الانتفاضة الفلسطينية بكل ضراوة بل ويتبنى نفس وجهة النظر الأمريكية والإسرائيلية لمفهوم السلام وهو السلام من أجل السلام لا السلام مقابل الأرض .

وفى نفس السياق نشرت مصر الفتاة فى 1991/10/7 تحقيقاً حول دعوة أنيس منصور وزملائه من أنصار ودعاة التطبيع مع الكيان الصهيونى إلى تغيير العلم المصرى والعودة للعلم القديم قبل ثورة يوليو ، وهذه لو تمت ستكون أولى الحلقات ، يأتى بعدها حذف كلمة العربية من اسم جمهورية مصر العربية ثم التهجم على كل ما هو وطنى مثل مصر للطيران.

ويؤكد أنيس منصور أن علم مصر يتشابه مع علم العراق وسوريا واليمن مع أنه لا يوجد أى شئ يجمعهم من وجهة نظره .

وقد رد عليه فى التحقيق د. عبد الوهاب المسيرى والفنان محمود الحدينى والناقد السينمائى على أبو شادى بأن هذه الدعوى مشبوهة وهى بداية لتسطيح وتسفيه كل ما هو عربى أو مصرى وطنى لصالح الكيان الصهيونى وأذنابه فى مصر والمنطقة .

** **نشرت جريدة " الأهالى " فى 1990/6/1 رسالة عبد الستار الطويلة** لرئيس تحرير الأهالى وهى الرسالة التى يحاول فيها تبييض وجهه بعدما ظهر فى التليفزيون الإسرائيلى وهو يمجد الشعب والحضارة الإسرائيلية ويحسد فيها عرب 48 ؛ لأنهم يعيشون فى جنة الديمقراطية الإسرائيلية .

وكان الطويلة فى تعليقه على حادث الأتوبيس السياحى الإسرائيلى بالإسماعيلية قد أدان كل الشعب الفلسطينى بجميع فصائله الجهادية ، وقد اعتبر علاقاته بالساسة الإسرائيليين مفخرة له ؛ لأنه يعمل على التواصل مع القوى الفاعلة فى إسرائيل التى تعمل للسلام الدائم فى الشرق الأوسط .

**** وفى سياق غير بعيد ومتصلا بالأجواء الفنية والثقافية نشرت الشعب فى 1990/7/17 تقريراً** لمحمد عبد الرحيم سليمان – عضو مؤسس لحزب العمل بالإسماعيلية – تقريراً عن الممثلة راقية إبراهيم التى ذاع صيتها فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضى ومازال التليفزيون المصرى يذيع أفلامها حتى الآن رغم أنها كانت ذات ميول صهيونية وديانتها يهودية واسمها الأصلى " راشيل ليفى " وبعد قيام إسرائيل هاجرت إليها وعملت فى طاقمها الدبلوماسى فى الأمم المتحدة وبعد تقاعدها افتتحت بوتيكاً بنيويورك لبيع الأنتيكات اليهودية .

**** نشرت مصر الفتاة فى 1991 أن مسؤولى وزارة التربية والتعليم فى مصر** استنكروا الإجراءات التى اتخذتها د. كوثر كوجك رئيس مركز تطوير المناهج بعد أن قامت بإبعاد عدد من الباحثين الذين تصدوا لمحاولات أمريكية وإسرائيلية لحذف آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وفى سياق متصل قال مسؤول بالوزارة : إن الوزارة تقوم بالتصدى لمحاولات الخبراء الأمريكان للسيطرة على المعهد القومى للدراسات التربوية بمساعدة د. كوثر كوجاك مديرة المعهد .

من جانب آخر ظلت وزارة التربية والتعليم خلال هذه الفترة مصرة على ذكر اسم إسرائيل بدلاً من فلسطين على خرائط موزعة بالمدارس خاصة المدارس التى تم بناؤها من المعونة الأمريكية .

ولكن الغريب والعجيب أن مسؤولي وزارة التربية والتعليم ينكرون معرفتهم بهذه الخرائط ومن يوزعها على هذه المدارس ؟! .

وفى سياق متصل أقام أساتذة اللغات الشرقية بجامعة الأزهر دعوى قضائية ضد الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس الجامعة بسبب القرار الذى اتخذه مجلس الجامعة بكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه بلغة التخصص العبرية والفارسية والأردية وهو مخالف لقوانين الجامعات المصرية ، لأن هذا القرار يعتبر خدمة لإسرائيل لإحياء تراثها المزعوم ويعد ضربة قاصمة للثقافة العربية الإسلامية المكتوبة بغير اللغة العربية .

** وفى عام 1991 قاطع الفنانون المصريون عرضاً مسرحياً أقامه المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة ورفضوا تلبية دعوات لقاء المخرج المسرحى الإسرائيلى سيفاى بيتر والممثل يوناتان شرشى.

وخلال العرض الذى حضره أستاذ اللغة العبرية فى جامعة القاهرة الدكتور جمال الشاذلى تم عرض فيلم وثائقى تضمن أجزاء من أعمال مسرحية تناولت أوضاع الأسر الإسرائيلية خلال الفترة من 1933 إلى 1947 ، مظهراً عدم التوافق بين الأسر الفلسطينية والاحتلال البريطانى.

كما تطرق الجزء الثانى من الفيلم إلى المشاكل التى يعانيها المستوطنون الجدد وعدم قدرتهم على الاندماج فى المجتمع الإسرائيلى والمعاملة السيئة التى يلقونها ، وقال يوناتان ، وهو من أصل إيرانى : إنه شخصياً عانى سنوات سوء المعاملة من المستوطنين الأصليين الذين ينظرون إلى القادمين على أنهم دخلاء .

وكان رئيس مهرجان القاهرة السينمائى حسين فهمى رفض على غرار سلفه سعد الدين وهبة طلباً إسرائيلياً للاشتراك فى مهرجان القاهرة ، وقال : "طالما استمرت إسرائيل فى احتلال الأراضى العربية ورفض السلام فإننا لن نسمح بمشاركتها فى المهرجان المصرى " .

** **نشرت جريدة " مصر الفتاة " فى شهر يوليو 1991** عدة تقارير عن المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة وخطورته على الأمن القومى المصرى[1] وقد جاء بالتقارير عدة نقاط مهمة منها :

– المركز الأكاديمى الذى أسس عام 1982 وكان له هدف رئيس ، هو احتلال العقل المصرى واختراقه ومحاولة تقويض الحقائق الراسخة بداخله عن طبيعة الصراع بين العرب والصهاينة.

– المركز واحد من أبرز أذرع التجسس الإسرائيلى على مصر .

– فى العشر سنوات الأولى من عمر المركز الأكاديمى الإسرائيلى تورط المركز فى ثلاث قضايا تجسس وطالبت مصر عام 1987 بسحب أشير عوفاديا مدير المركز لتحركاته المريبة فى مصر .

– المركز يعمل بكل قوة من أجل التطبيع الثقافى ، لأنه أحد المحاور القوية التى من خلالها تستطيع إسرائيل اختراق العقل المصرى وذلك بتغيير ثقافة الأجيال الجديدة من طبيعة الصراع بين العرب والكيان الصهيونى .

– المركز يهتم جداً بجمع المعلومات فى جميع فروع المعرفة مثل : الاقتصاد والاجتماع والزراعة والطب والآثار وما يستجد من أشياء .

– معظم العاملين الإسرائيليين فى المركز الأكاديمى ضباط فى الموساد الإسرائيلى وأجهزة الاستخبارات العسكرية " أمان " .

– المركز متورط فى تهريب آلاف الكتب والمخطوطات النادرة عبر مكتبة معبد حنان بالظاهر .

– المركز يحاول الإيقاع بأساتذة الجامعات عن طريق الساقطات والبلطجية .

– المركز ميزانيته 2 مليون دولار مع أن مرتبات العاملين به لا تتجاوز 26 ألف دولار .

---

[1] انظر : الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى فى الباب الرابع (الباب الثقافى)

– كذلك المركز يتعاون مع مؤسسة فورد الأمريكية التى تقوم بعمل أبحاث ودراسات ميدانية تمس كل أوجه الحياة فى مصر لتكون قاعدة بيانات مصر واضحة أمام العدو الصهيونى .

– المركز الأكاديمى الإسرائيلى لا يتعاون فقط مع مؤسسات أجنبية مشبوهة فى مصر بل يتعداه للتعاون مع جهات وجامعات إسرائيلية ، تطلب منه توفير دراسات عن فئة معينة بالشارع المصرى .

وعن نشاط المركز تبعث إدارة المركز تقارير سرية للموساد عبر الحقائب الدبلوماسية لكل أنشطة المركز فى مصر وأبرز ما جاء فى هذه التقارير :

– بيان بعدد المترددين على المركز ووظائفهم .

– حصر لكل الأحداث الساخنة على الساحة المصرية .

– وصف للقاء مدير المركز مع يوسف والى والذى نعته بالصديق ، وأعرب والى عن استعداده للتعاون التام بين وزارة والوزارات المعنية فى إسرائيل .

– كذلك لقاءات مع مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق وكذلك مع يوسف السيسى مدير فرقة السيمفونية المصرية ومحمد صالح مدير المتحف الدولى بالقاهرة وعبد العظيم رمضان وعدد من أساتذة الجامعات المصرية .

– يوجد أكثر من 50 شخصية مصرية تتعاون تعاوناً وثيقاً مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى.

– ثم تطرقت التقارير لمحاولات المركز الأكاديمى لتجنيد أساتذة الجامعات المصرية ثم بعد ذلك يتم غسيل مخ لهؤلاء الأساتذة فى معهد أوليان عقيبا الذى تشرف عليه الموساد مع خبراء فى علم النفس وغيره ، وبالفعل حدثت عدة نجاحات للمركز فى استقطاب كثير من أساتذة الجامعات مثل : محمد شعلان ومحمد أبو غدير وغيرهم من أساتذة الجامعات المصرية الذين نجحت إسرائيل فى استقطابهم لصالح مواقفها وقضاياها .

* وفى السياق ذاته طالبت لجنة الدفاع عن الثقافة القومية بضرورة مراقبة نشاط المراكز الثقافية الأجنبية فى مصر والتصدى لمحاولات التغلغل الثقافى الأجنبى وتشويه الحقائق التاريخية وتزييف الوعى وخاصة من جانب المركز الأكاديمى الإسرائيلى .

** **نشرت الشعب فى 1992/3/2** أن القيادة السياسية فى مصر هى التى أعطت الضوء الأخضر لاتحاد كرة اليد للموافقة على الاشتراك فى بطولة العالم لكرة اليد وبالتالى مقابلة الفريق الإسرائيلى لوقوعه فى نفس مجموعة فريقنا القومى لكرة اليد .

يذكر أن رجال منتخب كرة اليد رفضوا الوقوف أثناء عزف النشيد الوطنى الإسرائيلى وقد حدثت احتكاكات بين اللاعبين انتهت بتلقين رجال كرة اليد للاعبى إسرائيل علقة ساخنة مع تمزيق العلم الإسرائيل .

يذكر أن لاعبى منتخب إسرائيل لكرة اليد معظمهم من روسيا وبولندا .

** **وفى 1992/3/28** اكتشفت الحكومة المصرية كارثة ثقافية جديدة وهى استيلاء إسرائيل على أكثر من 90% من أوراق ووثائق " الجينزا " الخاصة باليهود عن طريق تهريبها عبر عصابات تهريب دولية خلال الفترة من 1979 – 1982 وتبين أن معظم هذه الوثائق موجود حالياً فى متحف التاريخ والحضارة فى تل أبيب ومتحف " الأرتياج " فى روسيا .

ووصفت مصادر دبلوماسية طلب إسرائيل مؤخراً للبحث عن وثائق الجينزا بأنه للتغطية على السرقة التى قامت بها لهذه الوثائق من قبل .

** **قال السيد يسين فى جريدة الأهالى فى 1992/4/29 :** إنه ينفى نفياً قاطعاً ما ذكره مركز ابن خلدون بالقاهرة من أن منتدى الفكر العربى بعمان يشارك مع مركز ابن خلدون فى مشروع مبادرة من أجل السلام والبحث عن أرضية مشتركة ، يشارك فيه باحثون إسرائيليون. كما أن مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام لم يشترك فى هذا الأمر ويأتى هذا التزاماً كمفكرين

وباحثين عرب بمقاطعة التطبيع مع الدولة الإسرائيلية العنصرية التى تمارس أبشع أنواع العنف والتنكيل ضد الشعبين الفلسطينى واللبنانى .

**** نشرت مجلة " الكفاح العربى " فى 1995/7/17** حواراً مع الناقدة لطيفة الزيات ، حيث أكدت فيه أن الأديب مثله مثل أى مبدع فى نشاط إنسانى آخر ، ولا يجب أن نراه بمعزل عن كونه مواطناً له نزعته الجماعية وأيضاً فرديته شديدة الخصوصية ، لكننى فى هذا الاتجاه لا أوافق هؤلاء الكتاب الذين بدأوا السعى للتطبيع مع إسرائيل خاصة أن قضية فلسطين مازالت معلقة ولم تحل والأراضى العربية مازالت تحت الاحتلال لذلك لا تملك سلاحاً أقوى من المقاطعة وحين تنتزع إسرائيل هذا السلاح فساعتها سنكون عراة تماماً .

**** نشرت صحيفة " الشعب " مقالاً لعبد القادر صالح فى 1995/10/6** بعنوان " فى مواجهة التطبيع الثقافى : الأساليب التى قد يلجأ إليها الصهاينة من أجل التطبيع أمراً واقعاً " حيث جاء فيه : إن اليهود يرون أن الوجود الإسرائيلى بالمنطقة أمر لا فكاك منه وأنه أولى للعرب أن يتعاملوا مع هذا الوجود كحقيقة واقعة وأن يتعايشوا معه .

– المركز الأكاديمى الإسرائيلى توالى على رئاسته خمسة من رجالات الموساد بهدف غزو العقل والوجدان المصرى عبر التعاون السينمائى والتعاون مع الجامعات المصرية وغيرها من المؤسسات ؛ بهدف ترسيخ الوجود الصهيونى فى المنطقة والتعامل مع هذا الوجود كأمر واقع. وقد اقترح الكاتب عدة نقاط لمواجهة هذا التطبيع ومنها : الإيمان بالذات وتعزيز الانتماء لتاريخ الأمة والتقاط الثوابت الإيجابية فى الوعى الوطنى العربى والفلسطينى والتصدى للتنظيرات التى تدعو إلى الشرق الأوسط الجديد ونقدها فى العمق وتبيان الهدف من ورائها وهو دمج إسرائيل بالمنطقة مع التركيز على قدسية الأرض مع نبذ الخلافات العربية العربية.

**** لم يقترب صحفى من السادات مثلما اقترب أنيس منصور** ولم يتحمس صحفى لزيارة السادات للقدس مثلما تحمس أنيس منصور وذكر منصور فى مقابلة مع روزاليوسف فى 1997/11/17 ذكر فيها أن السادات سيطرت عليه فكرة إنهاء الحرب مع إسرائيل وكيفية الوصول لسلام مع إسرائيل .

قال منصور إن اسحاق نافون أخبره أنه صدق السادات عندما أخبر شعبه أنه سيزور إسرائيل ولم يعتبرها مناورة سياسية .

يشير أنيس منصور أن كيسنجر وهيلموت شميت وبرزنسكى وهم يهود قد أثروا على السادات وربما دفعوه لاتخاذ خطوته التاريخية حسب تعبيره .

أشار أنيس منصور إلى أن مناحم بيجين حكم على نفسه بالعزلة لأن السادات ضيع عليه حلم إسرائيل الكبرى من النيل للفرات .

وقال منصور : إن إسماعيل فهمى وبطرس غالى وإبراهيم كامل دبلوماسيون تقليديون لا يملكون الجسارة والمغامرة لذا انسحابهم لا يدل على أنهم شجعان.

والسادات كان يتعمد كيل الضربات النفسية لليهود وذلك بإرسال جثث قتلاهم مما أصاب الإسرائيليين ومسؤوليهم بحالة نفسية سيئة . وعاب منصور على المعارضين حالياً للتسوية السلمية لأنهم من وجهة نظره شيء مستغرب !! .

**** نشرت صحيفة " الشعب " تحقيقاً فى 1994/5/27** عن مهاجمة الصحف الإسرائيلية لجريدة الشعب وحزب العمل والمثقفين المصريين لوقوفهم ضد التطبيع وفضحهم الدور التخريبى لإسرائيل فى مصر .

فقد جاء بجريدة دافار الإسرائيلية انتقاد لاذع للدكتور جلاء إدريس أستاذ اللغة العبرية والأدب المقارن لما شكلته كتاباته من كشف لحقائق الشخصية اليهودية بالأدلة العلمية وجاء بالجريدة تحت عنوان " جذور الكراهية العربية " ناقشت فيه الجريدة تقريراً أعدته د. رفقه يادلين خبيرة الشؤون المصرية بقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بالجامعة العبرية والمهتمة بالإصدارات العربية والمصرية خاصة التى تعالج القضايا التى ترتبط بإسرائيل .

وأشار التحقيق إلى إشادة الخبيرة الإسرائيلية بعرض كتابين إسرائيليين فى مصر بعد ترجمتهما من العبرية للعربية وهما لعاموس عوز والثانى للسفير الإسرائيلى السابق فى القاهرة موشى ساسون ، ثم شنت الخبيرة هجوماً ضارياً على المعارضة المصرية وخاصة حزب العمل وجريدة الشعب ، ودللت الخبيرة أولاً بما جاء فى عمود رئيس لجريدة الشعب ، كان يتناول مجموعة من اليهود أدخلوا كمية من القمح الممزوج بالمخدرات مما يعرض مستهلكيه للإصابة بأمراض فتاكة وخطيرة .

ثانياً : قالت الخبيرة : إن جريدة " الشعب " زعمت أن فتح معرض القاهرة للكتاب أمام إسرائيل سيساعد على تغلغلها فى قلب الحركة الثقافية المصرية ، كما نوهت الخبيرة الإسرائيلية لظاهرة تنامى التيار الإسلامى داخل المجتمع المصرى وأنه ربما كان مرشحاً بقوة للوصول لحكم مصر فى يوم ما .

واستعرضت الكاتبة الكتب المعروضة بمعرض القاهرة للكتاب ومنها د. حسن ظاظا ونهاية اليهودى وتناولت كذلك ما نشره عادل حمودة بعنوان جريمة فى الحى اليهودى ، ثم تعرضت لأساتذة الجامعة المصريين ومعاداة معظمهم لعمليات التطبيع مع إسرائيل خاصة التطبيع الثقافى .

وأفردت الكاتبة الإسرائيلية جانباً خاصاً للهجوم الضارى على د. محمد جلاء إدريس وكتابه " الشخصية اليهودية ، " حيث يؤكد فيه أن الإرهاب أحد السمات الأصيلة فى الشخصية اليهودية .

** وفى العام نفسه نشرت أنباء عن إرسال التليفزيون المصرى دعوة رسمية إلى ميخائيل نيائى وشاى أفيفى مقدمى برنامج الأطفال الإسرائيلى " الكرة المتفتحة " للمشاركة فى أحد برامج الأطفال الرسمية فى مصر .

** وفى حديث بالوثائق نشرت " روزاليوسف " تحقيقاً مهماً تحت عنوان: **"مشروع فيلم "الخروج " الإسرائيلى الذى رفضته مصر ! "**

*** سعد الدين وهبة يكشف أسرار التسلل الإسرائيلى إلى الثقافة المصرية**

*** أوراق المشروع سلمها المتحدث الرسمى باسم بيجين إلى د. بطرس غالى ووصلت إلى صفوت الشريف ثم وزير الثقافة الذى رفض المشروع**

وعلم أن المشروع كان يتصل بإنتاج فيلم مشترك عن خروج اليهود من مصر فى عهد النبى موسى .

فى 24 سبتمبر 1979 وبعد شهور قليلة من التوقيع على اتفاقية " كامب ديفيد " بدأت المحاولة الإسرائيلية بخطاب من "استديوهات إسرائيل المتحدة " وقعه مديرها " ديفيد جولد شتاين " .

فى هذا الخطاب الموجه إلى " دان باتير " مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلى – مناحم بيجن وقتها – طلب جولد شتاين المعاونة فى لفت نظر السلطات المصرية إلى " عرضنا الخاص بإنتاج فيلم تسجيلى إنتاج مشترك مع شركات التليفزيون الغربية بعنوان خطوات على طريق الهجرة الجماعية باللغة الإنجليزية ، ليتم توزيعه على شركات التليفزيون الدولية فى جميع أنحاء العالم".

* هذه المحاولة لم تكن الأخيرة ولا الأولى أيضاً ، وجانب هام من هذه المحاولات يمكن أن تكشفه شهادة سعد الدين وهبة الذى تولى منصب وكيل أول وزارة الثقافة فى فترة من أدق الفترات (خلال منتصف السبعينيات إلى بداية الثمانينيات) والذى ترأس مهرجان القاهرة السينمائى الدولى أحد أهم النشاطات الثقافية الفنية فى مصر إلى جانب رئاسته لاتحاد الفنانين العرب واتحاد النقابات الفنية أكثر من مرة .

يكشف سعد وهبة لـ " روزاليوسف " أن مهرجان القاهرة السينمائى الذى طلب إقامته الراحل كمال الملاخ لأول مرة عام 1976 كان أحد أهم أهدافه مواجهة مهرجان القدس السينمائى الدولى الذى تستعد إسرائيل لإقامته .

ووافق سعد وهبة على إقامة المهرجان (كان الوزير جمال العطيفى يجرى عملية جراحية بالقلب فى انجلترا) ودعى رئيس الوزراء (ممدوح سالم وقتها) لحضور افتتاحه ، وعقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد نجح وفد إسرائيل فى المشاركة بدورة

1978 باثنين من المنتجين أحدهما "إيلى سوفر" وفى عام 1979 تمت دعوة إليزابيث تايلور المعروف صلاتها بإسرائيل ، وقاطع سعد وهبة هذه الدورة ولم يحضرها منصور حسن الذى كان قد أصبح وزيراً للثقافة والإعلام.
وخلال السنوات من 80 إلى 84 لم تهتم إسرائيل بالمشاركة فى المهرجان بعد سحب الاعتراف الدولى به إلى أن أشرف عليه سعد الدين وهبة بقرار من وزير الثقافة (عبد الحميد رضوان) عام 85، فجاءت طلبات من مخرجين إسرائيليين للاشتراك بأفلام ولم يرد عليها وبعد اعتراف الاتحاد الدولى للمنتجين بالمهرجان مرة أخرى عام 86 زادت طلبات المشاركة الإسرائيلية وتم تجاهلها أيضاً إلى أن جاءت واقعة هامة فى عام 90 يذكرها سعد وهبة .
" جاءنى طلب مشاركة من الممثل الفلسطينى محمد بكرى الذى كان قد حضر إلى المهرجان بلا دعوة وأحضر لى فيلماً اسمه (كأس العالم) ممثلوه فلسطينيون وإسرائيليون والمفروض أن هدفه السلام حيث يصور رحلة مجموعة فلسطينية إلى بيروت فى الوقت الذى فاجأهم الاجتياح الإسرائيلى لها فدخلوا فى مناوشات مع الجيش الإسرائيلى وأسروا جنديين ثم تحولت علاقة الأسر إلى ما يشبه التعاطف الإنسانى .. وقتها أدركت أن عرض الفيلم سيحدث جدلاً حول ما إذا كان يدعو للسلام أم لا ؟ ولكن المؤكد أنه سيكسر مبدأ عدم مشاركة إسرائيل فى المهرجان ولهذا رفضت عرضه " .
واقعة أخرى حدثت فى مهرجان 1993 : " كانت شيلا ووتكر مديرة مهرجان لندن مدعوة كعضو فى لجنة التحكيم ، وعرفت من شيراتون الجزيرة – مقر إقامة الضيوف – أن مديرة مهرجان القدس موجودة – بلا دعوة طبعاً – وأنها مقيمة هناك وعلى علاقة بشيلا .. ثم أبلغونى أنها نجحت فى الذهاب مع الوفود الأجنبية من الفندق فى سيارة ميكروباص إلى مقر المهرجان فى قاعة المؤتمرات ولم يتعرف عليها أحد ، وهناك طلبت من السكرتيرة مقابلتى ووجهت لى دعوة لمهرجان القدس التالى فقلت لها : إنه لو تم حل جميع المشكلات

المعلقة بين العرب وإسرائيل حتى موعد انعقاد المهرجان فسأحضره (كانت المدة الباقية 7 شهور) وبعدها طلبت منى كارنيه مهرجان القاهرة فاعتذرت لأنه مخصص للمدعوين والصحفيين فقط ، ولكنها كررت المحاولة مع مديرة المهرجان سهير عبد القادر فاعتذرت لها أيضاً وجاءت ثالث محاولاتها للذهاب مع الضيوف الأجانب إلى إحدى السهرات المصرية ولكنها فشلت أيضاً ثم اختفت تماماً فى اليوم التالى " .

ويشير سعد الدين وهبة إلى أن ما تردد حول حضور مديرة مهرجان حيفا إلى القاهرة ومقابلتها لبعض السينمائيين المصريين مؤخراً غير صحيح وأن الدعوات التى وجهتها إدارة هذا المهرجان لمخرجينا جاءت عن طريق مدير المركز الثقافى الإسرائيلى فى القاهرة وضمت سبعة أسماء منهم حسام الدين مصطفى وحسين كمال وحسين فهمى وسعيد مرزوق الذى أجرى اتصالاً هاتفياً لإبلاغ سعد وهبة بالدعوة واعتذر عنها فى أعقابه .

وبين التهديد والتزييف تواصلت محاولات إسرائيل التطبيعية فقد حاولوا – مثلاً – الإيهام بأن مصر شاركت بوفد رسمى فى مهرجان حيفا 94 رغم أن هذا الوفد كان عبارة عن المخرج حسام الدين مصطفى وشخص آخر قدموه ككاتب سيناريو والاثنان بالطبع لا يمثلان مصر .. وفى المقابل شنت الصحف والإذاعة الإسرائيلية حملة شرسة ضد مهرجان القاهرة ورئيسه منذ بدايته عام 1994 ، بدأت بالهجوم على فيلم الافتتاح " الطريق إلى إيلات " الذى وصفوه بأنه " ضد إسرائيل ويتعرض لواقعة حدثت عام 69 لنسف مخازن للجيش الإسرائيلى فى ميناء إيلات ، ولم ينسوا الإشارة إلى أن سعد وهبة المعروف بعدائه الشديد لإسرائيل رفض دعوة أى إسرائيلى للمهرجان .

ثم توالت الأوصاف عليه من نوع أنه : عسكرى لا يحب السلام .. يقود اتحاد الفنانين من داخل دبابة .. دموى يهوى رؤية الجماجم .. ديكتاتور .. لديه نزعات نازية ، وأخيراً فقد تم وضعه ضمن قائمة أعداء السامية (!!) ولكن كل

هذا لم يمنع اتحاد الفنانين العرب الذى يرأسه وهبة من إصدار قرار وافقت عليه 13 دولة عربية برفض التطبيع مع إسرائيل .

واقعة أخيرة ذكرها سعد الدين وهبة وهى إفشاله محاولة موشى ديان رؤية مؤمياء رمسيس الثانى فى باريس والطلب الحازم من فرنسا عدم السماح لموشى برؤية المؤمياء وهو ما تم بالفعل .

وفى سياق متصل نشرت روزاليوسف فى 1994/4/10 تحقيقاً عن محاولات " معهد الفيلم الإسرائيلى " جذب المنتجين والفنيين المتخصصين فى مؤثرات الفيديو بالإضافة للمهتمين بالأدب والشعر ، واشترطت إسرائيل للمتقدمين لهذه المنح إجادة اللغة العربية وألا يزيد السن عن 35 عاماً .

وقد عبر اتحاد السينمائيين المصريين عن رفضه لأى شكل من أشكال التطبيع مع إسرائيل ، وقد طالب الاتحاد الحكومة المصرية ضرورة تجديد معدات صناعة السينما ومعامل الترجمة للأفلام حتى لا يضطر منتجو السينما للاتجاه أو التعاون مع المؤسسات الإسرائيلية العاملة فى هذا المجال .

وفى سياق متصل نشرت المجلة خبراً عن أغنية أم كلثوم " غريب على باب الرجاء " التى منعت الإذاعة المصرية إذاعتها بسبب خلاف بين الملحن وإحدى شركات الكاسيت بينما تذيعها باستمرار إذاعة إسرائيل باللغة العربية فهل هى حرام على المصريين حلال على الإسرائيليين؟ .

** وفى 1995/3/27 نشرت روزاليوسف تقريراً عن سرقة إسرائيل للفن والموسيقى المصرية عندما احتلت شبه جزيرة سيناء ، فقد أرسلت إسرائيل بعثتين إلى سيناء لجمع التراث والأغانى والرقصات والموسيقى الشعبية فى هذه المناطق وذلك تحت إشراف مركز البحوث الموسيقية بالجامعة المصرية وأرشيف الصوت القومى الإسرائيلى ، وبالفعل تم تسجيل عشرين ساعة من الفلكلور الشعبى السيناوى ثم بيعها إلى إحدى المؤسسات الأمريكية التى طبعتها على اسطوانات حديثة وطرحتها فى الأسواق .

وقد سبق ذلك محاولات حتى قبل قيام إسرائيل متمثلة فى الموسيقى اليهودى الألمانى وهو " كورت زاكس " وقد قامت عدة لجان منبثقة من المؤتمر الموسيقى الأول للمعهد الملكى الموسيقى المصرى وقد تم تسجيل 180 اسطوانة من جميع أنحاء مصر عدا سيناء ، لذا عملت إسرائيل على إكمال تغطية مصر كلها لذا أرسلت البعثتين لسيناء .

ولم يسلم الفلكلور الفلسطينى من محاولات السطو عليه ، حيث سرقت إسرائيل المئات من الأغانى والرقصات الشعبية الفلسطينية وأعادت إنتاجها على أنها تراث يهودى – إسرائيلى فى أكبر عملية تزييف للتاريخ الثقافى فى العالم .

** وفى ذات الوقت عام 1995 كان يوزع كتاب فى القاهرة يحمل عنوان "تحياتى من إسرائيل" وهو صناعة إسرائيلية تأليفاً وتوزيعاً .

** **نشرت جريدة " الوفد " فى 1994/5/18 وعلى صفحة " السياسى "** التى كان يشرف عليها د. أيمن نور وقد تم تخصيصها للنشاط الأمريكى والإسرائيلى فى مصر وقد تضمنت الموضوعات الآتية : معهد أبحاث النامرو – الملحق بمستشفى العباسية وهو مركز بحثى طبى بغرض إفادة مصر وأمريكا ولكن نشاطه الحقيقى يكمن فى تجميع أكبر قدر من المعلومات عن دول المنطقة كلها والخطورة من هذه الوحدة أو مركز نامرو – أنه لا يخضع للإشراف أو الرقابة المصرية .

– ثم أشارت " الوفد " فى موضوع آخر للنشاطات الإسرائيلية الخطيرة المشبوهة فى مصر وقد قدمت " الوفد " لوثائق تظهر اختراق أحد المراكز الإسرائيلية العاملة فى مصر للجماعات الإسلامية .

وهذه الوثائق عبارة خطابات موجهة من المركز الإسرائيلى لرجال وسيدات يعملون داخل المركز الأكاديمى أولهم صلات بأعضاء فى جماعات إسلامية، وقد رأت " الوفد " أن هذه الوثائق : إما هى صحيحة أو تم تزوير خاتم المركز

الإسرائيلى أو أن هذه الوثائق تم تسريبها من الموساد حتى يتم زرع الشك والبلبلة فى أوساط المثقفين المصريين .

وفى موضوع آخر ذكرت الوفد أنه يوجد 36 مؤسسة بحث أجنبية تعمل لاختراق مصر على كل الأصعدة ، وهذه المؤسسات الأوروبية والأمريكية والإسرائيلية تتخذ من البحث العلمى ستاراً لاختراق العقل المصرى وتعتمد على عدد كبير من الباحثين المصريين فى إجراء البحوث المشتركة والممولة من جهات مجهولة الهوية ولأهداف بعيدة عن إدراك الباحثين ومن هذه المراكز : المركز الأكاديمى الإسرائيلى – المركز الثقافى الأمريكى ومؤسسة راندا الأمريكية – معهد كارنيجى ومؤسسة فريدريش فريدمان – مؤسسة هانز زايدل.

وقد أبرزت الجريدة رأى الخبراء الذين أشاروا إلى أن بدايات الاختراق الغربى لمصر يبدأ من بداية القرن التاسع عشر عندما قام الإنجليز والفرنسيون باحتلال البلاد العربية والإسلامية وعندما تم افتتاح الجامعة الأمريكية فى مصر عام 1919 تم أول احتكاك علمى ثقافى بين مصر وأمريكا ولكنها كانت ستاراً للتبشير المسيحى فى مصر عبر منظمات غربية كانت تعمل فى مصر ، خاصة أن الجامعة الأمريكية تثير الشكوك حولها دائماً بسبب طبيعة المناهج التى يتم تدريسها وفقاً للنمط الأمريكى فى التعليم أما بالنسبة للأساتذة فالغالبية من الأمريكيين والقلة القليلة من المصريين .

ولكن الشىء الأكثر خطورة هو قيام الجامعة بعمل بحوث مشتركة تتناول أدق تفاصيل المجتمع المصرى وخصوصياته مثل : (المرأة العاملة – استراتيجية التصنيع فى مصر – العمل والعدالة فى مصر – الجماعات الإسلامية فى مصر) وغيرها من المشاريع البحثية التى تثير الشك دائماً فيما تفعله وتقوم به الجامعة الأمريكية فى مصر.

* فى شهر فبراير 1990 وقعت عملية فدائية استهدفت أتوبيساً سياحياً إسرائيلياً على طريق القاهرة – الإسماعيلية الصحراوى وقد قتل فيها أحد عشر إسرائيلياً

وجرح أكثر من 20 آخرين ، وقد تناولت صحف " الشعب والأهالى والوفد " هذا الحادث من زوايا مختلفة فقد ركزت " الشعب " على ردود الأفعال الإسرائيلية بعد الحادث مباشرة وتركيز شارون أن مصر قد خلقت جواً من الكراهية تجاه كل ما هو إسرائيلى .

وأشارت جريدة " الشعب " أيضاً رد فعل الصحفيين المصريين الذين يعملون فى الصحف الرسمية أمثال سمير رجب وإبراهيم سعده وغيرهم ، فقد صبّ هؤلاء خاصة "سعدة" جم غضبهم على الفلسطينيين عامة وعلى ياسر عرفات بصفة خاصة ، ونعتوا الفلسطينيين بالإرهاب وبكافة الأوصاف السلبية ، ونسوا أو تناسوا أن للمحتلة أرضه كامل الحق فى الدفاع والمقاومة ولو على سطح القمر ، وتساءلت الصحيفة ؟ أين كان هؤلاء الكتاب يوم تهجم شارون على مصر ورئيسها ؟! .

وذكرت الصحيفة أنه تم استدعاء سعيد كمال – السفير الفلسطينى بالقاهرة – للاستعلام والتباحث حول هذا الحادث ومن يقف وراءه .

وذكرت " الشعب " أن الحادث ربما يقف وراءه جهات إسرائيلية تهدف لإحراج مصر ، وأن إسرائيل قد استأجرت مرتزقة أو عملاء من داخل فلسطين المحتلة وتحديداً يقف مكتب آرييل شارون وراء هذا الحادث حسب معلومات توفرت للجهات والأجهزة الأمنية الإسرائيلية .

أما جريدة " الأهالى " فقد أوردت آراء بعض المثقفين المصريين حول الحادث ، فأشار د.محمد حسن الزيات إلى هذا الحادث لا يخدم القضية الفلسطينية ، لأنه يثير تعاطف الغرب مع إسرائيل باعتبارها ضحية عمل يصفونه بالإرهابى .

أما أمين هويدى مدير المخابرات الأسبق فقال : إن اسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلى هو المسئول عن الحادث بسبب سياساته العدوانية ضد الشعب الفلسطينى ولكل فعل رد فعل.

أما المستشار مأمون الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين فقال : نريد صحوة إسلامية عربية شاملة لتحرير الأرض المحتلة وليس مجرد تفجير أوتوبس سياحى رغم أنه خطوة على الطريق ولكنها خطوة لا تكفى ، نريد إجراءات فعلية على الأرض لبدء الاستعداد الفعلى لتحرير الأرض – كل الأرض العربية المحتلة وتحرير المسجد الأقصى المبارك .

وقال د. يوسف إدريس : لا أوافق على هذه العملية ؛ لأنها تهدف أولاً وأخيراً لإحراج ياسر عرفات .

أما د. جلال أمين فقال : إن إسرائيل تقف وراء الحادث ؛ لأنها فى الآونة الأخيرة تعانى من الضغط الدولى عليها بسبب سياساتها العدوانية السافرة فهذا الحادث ستستغله لصرف الأنظار عن ممارساتها التعسفية ، ثم لصرف الأنظار عن عملية تهجير اليهود السوفيت لفلسطين المحتلة.

أما جريدة الوفد فقد أشارت لشهادة الشاهد د. محمود ياسر رمضان الذى ساعد بعض السياح الإسرائيليين للوصول للمستشفى ، فذكر أن سيارة بيجو بيضاء كان بداخلها شخصان هما من قاما بالهجوم على الأتوبيس السياحى الذى يقل السياح الإسرائيليين ، وقد تبنت القيادة العامة لتحرير فلسطين المسؤولية عن الحادث ، وقد شن آرييل شارون هجوماً حاداً على الصحافة المصرية واتهمها بالتحريض على الحادث ، فيما أدانت القيادة الفلسطينية فى الداخل الفلسطينى الحادث .

وفى سياق متصل قد يكون هذا الحادث للتمويه والتغطية عليه ، بدأت أولى خطوات ترحيل وتهجير اليهود السوفيت للكيان الصهيونى ، فقد رصدت جريدة الوفد وصول فوج من يهود السوفيت للقاهرة ، واستخدامه أتوبيسات سياحية للسفر إلى تل أبيب .

وقد دعت الصحيفة وزير السياحة بضرورة التدخل السريع لوقف تأجير أتوبيسات من الشركات السياحية للسفارة الإسرائيلية التى تستخدمها لنقل اليهود السوفيت لتل أبيب عبر الحدود المصرية الإسرائيلية .

** **وفى العام 1995** أسفرت حملات الرقابة على المصنفات الفنية عن ضبط 18 قضية لتوزيع شريط المغنية الإسرائيلية "دانا" – سعيدة سلطان بدون تصريح فى القاهرة والإسكندرية.

الغريب أن أحدث وسيلة للتحايل من بائعى الشريط هى وضعه داخل أغلفة شرائط المقرئين المشهورين : الطبلاوى, وعبد الباسط عبد الصمد.

** وفى عام 1995 قامت إسرائيل بتأمين جناحها بالمعرض الدولى بالقاهرة والذى بدأ فى مارس 1995 , جاء ذلك رغم وجود وحدة أمنية خاصة مكلفة من وزارة الداخلية المصرية تقوم بهذه المهمة.

تأتى هذه الخطوة وفقاً للمصادر الإسرائيلية لضمان عدم وقوع اعتداءات من جانب بعض المعارضين للتواجد الإسرائيلى فى المعرض, وقد كلفت إسرائيل وحدة خاصة تضم خمسة أفراد لا تزيد أعمارهم على 25 عاماً, يرتدون ملابس مدنية ومزودين بأسلحة حديثة وأجهزة اتصال دقيقة مع أجهزة للكشف عن المتفجرات , وزودت إسرائيل جناحها ببوابة مراقبة خاصة فضلاً عن دورية متنقلة تقوم بحراسة الجناح من خارج المبنى.

وقد وزعت إسرائيل كتيبات دعاية فى جناحها ضمت دعاية باللغة العربية عن "القدس عاصمة إسرائيل الأبدية" ، وكذلك عرضت عبر شاشات خاصة للعرض صوراً للمستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة.

** **وفى العام نفسه** ألغت مصر مؤتمراً علمياً دعت إليه منظمة اليونسكو ودول السوق الأوروبية بالاتفاق مع كلية الهندسة جامعة المنصورة بمشاركة إسرائيل .

وعُلم أن سبب الإلغاء رفض إسرائيل الانضمام إلى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، وإصرار وفدها على المشاركة فى المؤتمر بعدد من الشركات والباحثين ضعف كل الدول الأخرى .

وأكد د. محمود قنديل عميد كلية الهندسة بجامعة المنصورة أن المؤتمر كان مقرراً عقده بالقاهرة لبحث تطبيق استخدامات الطاقة المتجددة ، وكانت ستشارك فيه مجموعات عمل من تونس والمغرب وإيطاليا ، وعدد من دول أوروبا وأيضاً إسرائيل ووفد من كلية الهندسة بالمنصورة يمثل المجموعة المصرية ، وأول مرة يتعذر عقد هذا المؤتمر فى مصر ، وبعد أن وصلت بعض الوفود المشاركة بالفعل تم إلغاء المؤتمر .

*** وفى 1995/4/12 قام د. محمد عطية عميد كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية وأمين عام الحزب الوطنى بدائرة العطارين** بافتتاح معرض للصور بالمركز الأمريكى بالإسكندرية فى حضور ديفيد ذوهار قنصل عام إسرائيل بالإسكندرية وعدد آخر من قناصل الدول الأوروبية وأساتذة الجامعة.

***

هل كراهية إسرائيل جريمة وإذا كانت كذلك قانوناً فهل هى جريمة سياسية..!!

.. 9230 قضية ضد معارضى التطبيع

المتهمون: علمتمونا فى المدارس أن إسرائيل عدو ولا نعرف كيف ننزع ذلك من داخلنا , فعالجونا إن كنا مرضى.. أول قضية تطبيع نظرتها محكمة جنح إمبابة فطعن المتهم فى عدم دستورية قوانين منع معارضة كامب ديفيد واضطرت المحكمة إلى تبرئته لتسقط دعواه ضد الحكومة.

قضايا مقاومة التطبيع لا تذهب غالباً إلى المحكمة.. تبدأ فى لاظوغلى , حيث مباحث أمن الدولة , وتنتهى غالباً فى مصر الجديدة فى نيابة أمن الدولة العليا.. وخلال ذلك يعيش "مساجين التطبيع" رحلة عذاب أليمة على ذمة

الاعتقال أو الحبس الاحتياطى متهمين بالإساءة إلى العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل.

بلغت قضايا مقاومة التطبيع منذ توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية 9230 قضية (80%) منها لم تذهب للمحكمة..

ونظرت محكمة جنح إمبابة أول محاكمة جنائية لمتهم بالإساءة إلى العلاقات مع إسرائيل ومعارضة معاهدة السلام معها فى حملته الانتخابية.. كان المتهم هو أحمد ناصر المحامى.

وشهدت نيابة أمن الدولة فى 20 مارس الماضى , ومع افتتاح سوق القاهرة الدولية , آخر قضية لمقاومة التطبيع.

** وفى عام 1995 لاحظ مثقفون مصريون كانوا مدعوين إلى الإفطار الذى أقامه الرئيس حسنى مبارك أن رئيس الحكومة الصهيونية اسحق رابين أكل بشهية.

وقال الكاتب المصرى لطفى الخولى : " يبدو أن رابين كان صائماً ؛ لأنه أكل بشهية" وعلق أنيس منصور مازحاً: " إنه فى المرة المقبلة سيعتنق– رابين– الإسلام".

وكان الآذان إشارة لرابين والملك حسين اللذين يدخنان بشراهة أن فى إمكانهما إشعال لفافة.

** **نشرت روزاليوسف فى 1995/10/30** تقريراً عما أسمته " حرب إسرائيلية ضد روزاليوسف " وقد دللت المجلة على ذلك بالهجوم الذى تعرضت له من قبل الصحف الإسرائيلية وذلك بسبب تصدى روزاليوسف لملفات قتل الأسرى المصريين فى 1956 ومخطط التطبيع بالجنس الذى حاولت تنفيذه بالتليفون وشرائط الكاسيت والمجلات العارية . ففى مقال كتبه شيفى جبافى بعنوان " هكذا احتلت الموساد مصر " نشرته " معاريف " فى 95/10/13 وقد شن منه هجوماً كاسحاً على روزاليوسف بسبب تصديها لمحاولات غزو مصر بالدولارات

المزيفة والإيدز ثم عن طريق الجنس بالتليفون الذى فضحته روزاليوسف وكشفت جوانبه والقائمين عليه ثم المجلات العارية وشرائط الكاسيت وأشهرها شريط المطربة الإسرائيلية سعيدة سلطان أو دانا انترناشيونال .

ثم كشفت المجلة لمحاولات بعض مخرجى السينما المصريين التطبيع مع إسرائيل عبر الإنتاج المشترك وكيف تصدت المجلة وبعض المثقفين والفنانين لهذا المخطط .

ثم كان تصدى المجلة لدفن وقتل الأسرى المصريين فى سيناء فى 1956 وكيف هرب السفير الإسرائيلى ديفيد بن سلطان بعدما ذكرت روزاليوسف أنه متورط فى هذه الجرائم التى تعتبر جرائم ضد الإنسانية ، وقد شبهت روزاليوسف مجرمى الحرب الإسرائيليين بالمجرمين النازيين فلذلك يجب محاكمتهم دولياً وتوقيفهم فى أى مكان يتواجدون فيه على سطح الأرض. فى مقال آخر كتبه شلومو شامير بعنوان"مصر ضد ثقافة الجنس" نشرته هاآرتس فى 1995/10/11 أشار فيه لتصدى روزاليوسف لمحاولة غزو مصر عن طريق الجنس بأدواته المختلفة وفى الناحية الثقافية تسببت حملة روزاليوسف فى غياب المصريين عن مهرجان حيفا السينمائى وغيره من الفاعليات التى أعلن بعض السينمائيين المصريين عن حضورها ولكن مع تكثيف الحملة الصحفية لروزاليوسف تراجع هؤلاء عن حضور هذه الفاعليات .

ثم تعلق روزاليوسف قائلة : إن إسرائيل تدعى أنها واحة للديمقراطية فى صحراء من ديكتاتوريات عربية لكنها فى امتحان لهذه الديمقراطية يتضح أن هذه الديمقراطية هى لنفسها فقط ؛ لأنها لا تطبق الديمقراطية خارجها حتى إنها لا تتحمل حرية الرأى والتعبير خصوصاً لو كانت ضدها .

** **فى 1995/8/1** نشرت تقارير بعنوان " لؤم الجيران " وفيه توضيح لاثنى عشر رسماً على تى شيرت بعنوان " عام فى سيناء " وهذا التى شيرت يباع

الآن للمصريين والأجانب بمناطق سيناء السياحية وفيه عبارات تستهزيء بأهم الأماكن السياحية فى مصر .

** **وفى عام 1996** ألقت قوات الأمن القبض على الجنديين اللذين ظهرا مع المطربة الإسرائيلية دانا انترناشيونال فى الصورة التى نشرتها صحيفة بديعوت أحرونوت .

كانت جهات أمنية عليا قد اهتمت بالواقعة وحددت شخصية الجنديين , وتم القبض عليهما بعد أن تبين أن أحدهما مكلف بحراسة برج القاهرة , والآخر من قوة حرس كلية التربية الرياضية للبنات بالجزيرة, وتمت إحالتهما إلى محكمة عسكرية.

وأوضح الجنديان أن المطربة الإسرائيلية ادعت أنها سائحة إيطالية , كما أشار الجنديان إلى أن التصوير تم فى السابعة صباحاً.

** **وفى نفس العام** حصل المسئول بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة على موافقة وزارة الخارجية وجهات الأمن المصرية لعقد عدد من المحاضرات لأساتذة إسرائيليين بالمركز .

وفى نفس العام ووجه المركز الدعوة إلى عدد من المثقفين المصريين بهدف المشاركة فى مناقشة كتاب " دولة يهودية أم وطن إسرائيلي " للمؤلف يوز إيفرن ، بالإضافة إلى مناقشة د. زيف بن يورتا الأستاذ بجامعة تل أبيب بعنوان " ثقافة الكوبتز العبرى بين الدولة المثالية والدولة الحقيقية " .

** **نشرت روزاليوسف فى 1997/1/31 تقريراً لعادل حمودة** بعنوان " حرق الإنجيل والقرآن فى القدس " حيث أشار للدكتور إسرائيل شاحاك أستاذ الكيمياء الحيوية والذى هاجر لإسرائيل عام 1945 وهو بولندى المنشأ وقد حدث تحول تاريخى له عام 1965 بعدما شاهد يهودياً متعصباً رفض طلب سيارة إسعاف لفلسطينى مصاب بحجة أنه كان يوم سبت ، ولكن الأهم فى هذه القضية أن مجلس حاخامات القدس أقر بأن تصرف الإسرائيلى طبيعى وصحيح ، لأنه لا

يجوز انتهاك حرمة يوم السبت من أجل إنقاذ غير اليهودى وهو ما يصفه بأنه تأميم لتعاليم السماء من أجل أقلية دينية لا تمثل سوى 2% من أتباع الديانات فى العالم .

واعتبر أن إسرائيل اليهودية لا تشكل خطراً على الغير فقط ، بل تمثل خطراً على نفسها أيضاً لأنه لماذا يقبل اليهود أن تكون إسرائيل يهودية فقط ولا يسمحون أن تكون دولة مسيحية دون غير المسيحيين .فى إسرائيل الآن لا فرق بين الحاخامات والجنرالات فكلهم يدعون لتوسيع النطاق الجغرافى لإسرائيل حتى يتلاءم مع ما جاء فى التوراة ، فضلاً عن انتشار البذاءات ضد المسيحية والسيد المسيح نفسه ووصفه بألفاظ بذيئة لا تليق بمقام الأنبياء، وقد تم حرق نسخ من الإنجيل علناً فى 1980 ، 1997 فى القدس برعاية منظمات دينية يهودية متطرفة .وعادت من جديد الصلوات اليهودية ضد السيد المسيح كما أن المقابر الإسلامية والمساجد لم تسلم من اعتداءاتهم أيضاً.

** **وفى نفس العام** أكد رئيس حزب العمل المصرى المعارض السيد إبراهيم شكرى أن دعوة حزبه إلى مواجهة شاملة مع إسرائيل " لا تعنى الدعوة إلى إعلان الحرب عليها ، ولكنها تعنى وقف كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيونى " .

* وفى ذات السياق رفض الموسيقار الراحل محمد الموجى عرضاً إسرائيلياً بمبلغ 3 ملايين دولار مقابل استغلال إسرائيل لألحانه.. فجر هذه المفاجأة ابنه الموسيقار الموجى الصغير فى ندوة تكريمه التى أقيمت على هامش المهرجان الدولى الثانى للأغنية .

** **وفى العام 1996 أيضاً** ألقت مباحث أحداث الجيزة القبض على أشهر دجال أطلق على نفسه لقب " معالج روحانى" يقوم بممارسة الدجل والشعوذة فى فنادق الخمس نجوم ومنزله فقط ، ويرفض الانتقال إلى منازل ضحاياه ، بعد أن تعلم السحر لمدة عام ونصف العام فى إسرائيل .

* وفى العام 1996 أكد المؤتمر الشعبى العربى الأول لمقاومة التطبيع الذى عقد فى اليمن على ضرورة توظيف العمل العربى المشترك وطاقات الأمة العربية , وتحرير القرار العربى والإدارة العربية من كل ما يعوقها للتصدى لمحاولات الهيمنة الإسرائيلية وتحرير فلسطين وجميع الأراضى العربية المحتلة .

وأشار – المؤتمر فى ختام أعماله بالعاصمة اليمنية صنعاء – إلى أن إسرائيل بالرغم من زعمها أنها اختارت السلام – لم تتوقف عن تطوير قوتها وقدراتها العسكرية وامتلاك أسلحة الدمار الشامل النووية وغير النووية , والذهاب إلى أبعد مدى فى التهويد والاستيطان والتهديد والاستفزاز .

وكان المؤتمر الذى شارك فيه عدد كبير من الأحزاب السياسية والمنظمات الشعبية والاتحادات المهنية والنقابية العربية وكبار المفكرين والأدباء والفنانين قد ناقش على مدى أربعة أيام سبل المواجهة التطبيع مع إسرائيل .

وطالب محمد المجدوب رئيس المؤتمر بضرورة حشد الجماهير العربية لاقتلاع العدو الاستيطانى من الأراضى الفلسطينية مشيراً إلى أن فلسطين تشكل الحلقة القوية التى تربط المشرق العربى بالمغرب العربى .

وأكد المشاركون فى المؤتمر ضرورة دعم الفلسطينى حتى يتمكن من إقامة دولته المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس الشريف , وكذلك دعم الموقفين السورى واللبنانى فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى للجولان وجنوب لبنان.

وطالب المؤتمر برفع الحصار الظالم المفروض على ليبيا والعراق ودعم التضامن العربى وأهمية تفعيل اتفاقات التعاون العربى فى جميع المجالات خاصة فى المجال خاصة فى المجال الاقتصادى وإقامة السوق العربية المشتركة فى مواجهة دعاوى الشرق أوسطية .

وكان الرئيس الجزائرى الأسبق أحمد بن بيلا – ضيف شرف المؤتمر – قد أكد – خلال المناقشات – أهمية الاستمرار فى التصدى لجميع أشكال الهيمنة

على الأمة العربية أيا كان نوعها ومصدرها ، موضحاً أن السلام الحقيقى هو السلام الشامل والعادل .

** **نشرت الأحرار فى 1996/9/10** تقريراً عن كشف فريق من الباحثين المصريين عن وجود 36 مؤسسة بحثية وثقافية وإعلامية غربية مشبوهة تعمل فى مصر كغطاء للوجود والنشاط الصهيونى الثقافى ؛ بهدف اختراق العقل المصرى .

ومن هذه المؤسسات المركز الأكاديمى الإسرائيلى وقد أعد هؤلاء الباحثون المصريون مشروعاً ضخماً أطلقوا عليه " نحو مشروع لمواجهة صحيحة للاختراق الثقافى " وذلك لمواجهة شبكات التجسس التى تعمل فى وضح النهار فى مصر والدول العربية .

وقد أكد د. رفعت سيد أحمد – أحد الباحثين الرئيسين الذين أعدوا هذا المشروع – أن إسرائيل لا تألو جهداً لاختراق مصر فى كل المجالات وذلك عن طريق النشاط المشبوه للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة وهو أداة متقدمة للموساد الإسرائيلى لاختراق العقل المصرى وتفتيت مصر طائفياً وكذلك الأبحاث التى قام المركز الثقافى الأمريكى عن طريق اليهودى الشهير ليونارد بايندر حول رؤى الصراع العربى الصهيونى والجماعات الإسلامية فى مصر وبحث عن بدو مرسى مطروح .

فضلاً عن اكتشاف خلية تجسس إسرائيلية تضم بعض موظفى المركز الإسرائيلى والسفارة الإسرائيلية وبعض الدبلوماسيين الأمريكيين بالإضافة لبعض اليهود المصريين ، لذلك كان إطلاق هذا المشروع لمواجهة الاختراق الإسرائيلى للعقل والوجدان المصرى والعربى ولكن بآليات علمية وبحثية حديثة .

** وفى العام نفسه تعرضت اكسسوارات السينما المصرية للتهريب إلى إسرائيل وفقاً لما نشرته الصحف المصرية.

** **نشرت وسائل الإعلام فى 1996/12/16** خبراً عن المؤتمر العام الأول للجبهة القومية للاتحادات المهنية والنقابية العربية بحضور عدد كبير من الشخصيات العربية المناهضة للتطبيع مع الكيان الصهيونى وتقرر تشكيل ما يقرب من 12 ألف لجنة لمقاومة التطبيع فى كل المدن العربية .
من ناحية أخرى سادت حالة من الغضب الشعبى العارم فى محافظة الغربية بعد اشتراك ثلاثة لاعبين صهاينة فى بطولة الستالايت للتنس تحت رعاية ماهر الجندى محافظ الغربية .
* وفى العام 1996 أكدت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين فى أحد بياناتها التأسيسية أن الأسرى اللبنانيين والمعتقلين فى السجون الإسرائيلية والذين يتجاوز عددهم 300 أسير يعيشون أسوأ ظروف صحية ونفسية حالياً .
وأوضحت اللجنة أن الأسرى اللبنانيين والمعتقلين منذ عام 1982 وحتى اليوم تمارس إسرائيل عليهم شتى أنواع التعذيب التى يتقنها جيش الاحتلال ، ويتقنها ما يسمى بجيش لبنان الجنوبى التابع للعميل لحد ، وأدان البيان الصادر عن اللجنة استمرار اعتقال اللبنانيين الشرفاء فى سجون الاحتلال الإسرائيلى .
وطالب جميع المنظمات المعنية بحقوق الإنسان التدخل لحماية هؤلاء الأسرى والإفراج عنهم وإثارة قضيتهم دولياً أسوة بباقى المعتقلين فى العالم خاصة أن أغلب هؤلاء الأسرى من أبناء الجنوب اللبنانى الذين كانوا – ولايزالون – يدافعون عن أرضهم المحتلة ، وعندما تم اعتقالهم كانوا يمارسون حقهم المشروع فى المقاومة لاسترداد أرضهم المحتلة وهو حق أقرته المواثيق الدولية على اختلافها .
وأعلن بيان اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان أنه على المنظمات والهيئات الدولية المعنية بحقوق الإنسان أن تبادر بالقيام بدور واضح وفورى تجاه قضية المعتقلين اللبنانيين .

** **نشـرت مجلــة " روزاليوسـف " فــى 1996/12/2** تحقيقـاً عـن المركـز الأكاديمى الإسرائيلى والخطابات التى يرسلها لإسرائيل التى هى بمثابة تقارير استخباراتية فبالنظر لبعض عينات هذه الخطابات يتضح بما لا يجعل هناك مجـالاً للشك أن وظيفة ومهمة المركز الأكـاديمى الإسرائيلى فـى مصـر هـى التجسس ثم التجسس على كل مناحى الحياة فى مصر ، وذلك عبر باحثين مصـريين مغرر بهم أو عن طريق موظفيه الذين هم بالأساس ضباط من الموساد الإسرائيلى ، ففى 96/11/25 تم القبض على جاسوس إسرائيلى اتضح أنه يعمل بالمركز الإسرائيلى .

وفـى فبراير 1990 اختفى ملف بنى اللون كان يخص يوسف جينات مدير المركـز وبـه عشرات الخطابـات والمراسـلات مـع مصـريين هـدفها الأول جمـع معلومات عن مصر .

وكـان عدد هذه الخطابات 95 خطاباً موجهة إلـى 12 شخصية منهم 7 فـى محافظـات الإسـكندرية وأسـيوط والمنيـا والشـرقية والسـويس والإسـماعيلية و5 عمـلاء يعملـون فـى دول عربيـة طُلـب مـنهم جمـع معلومـات عـن المصـريين العـاملين فـى السـعودية والأردن وليبيـا والعـراق. والمكافـأة كانـت موحـدة وهـى 1000 دولار لكل متعاون مع السفارة أو المركز الأكاديمى .

وكل هذه المراسلات طُلب من المتعاونين مع المركز الأكاديمى معلومات عن المظاهرات الطلابية ضد إسرائيل وبالتفصيل . وآخر يطلب منه معلومات عن مشكلة الإسكان والزحام فـى الإسكندرية وأيضـاً مشكلة شركة الريان لتوظيف الأموال وتأثيرها علـى المجتمـع فـى الإسكندرية وآخـر عـن انتشـار المخـدرات والهيروين بين الشباب بالإسكندرية وآخر يطلب منه تقريراً عن حالة الأمن وحركـة التيـار الـدينى فـى أسـيوط والصـدامات المحتملـة بـين الأمـن وهـذه الجماعات ، ويطلب من آخر تقريراً عن سفر الفلاح المصرى للعمل للخارج وتأثير ذلك على النساء فى الريف وعلى الأرض الزراعية ، وآخر يطلب منه

شراء المخطوطات التى يملكها وهى كما يزعم تخص اليهود أثناء وجودهم فى مصر ويخبره فيها بأنه مستعد لدفع أى ثمن مع ترتيب خروج هذه الوثائق والمخطوطات بطريقة آمنة من مصر ، وآخر يطلب منه تقريراً عن أحوال المصريين فى السعودية ومتوسط مرتباتهم ومدى ترابط العلاقة فيما بينهم ، وهذا تكرر مع متعاونين يعملون فى الأردن وليبيا والعراق والسودان مع الطلب المتكرر بإرسال النشرات العلمية للجامعات العربية فى هذه البلدان .

** **نشرت مجلة " فتح " فى 1996/2/17** حواراً مع الناقد المصرى د. فوزى سليمان ، حيث أكد فيه أن جميع المثقفين والفنانين والكتاب المصريين اتخذوا قراراً حاسماً وهو رفض التطبيع شكلاً وموضوعاً وبخصوص بعض الكتاب الذين لهم مواقف مؤيدة للتطبيع مثل ثروت عكاشة وعلى سالم فهم معزولون تماماً فى الوسط الثقافى فعلى سالم تحديداً بعد عودته من إسرائيل أصبح يخشى أن يمد يده للسلام على أى شخص خشية أن لا يمد الآخر يده إليه،وهذا رد مختصر جداً على مواقفه المؤيدة للتطبيع مع العدو الإسرائيلى .

* **وفى نوفمبر 1996 عقد** المؤتمر التأسيسى الأول للحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل ، وناقش المؤتمر وثيقة الحركة التى تقدم بمشروعها د. فوزى منصور كما تم الاتفاق على الإطار التنظيمى الحاكم للحركة .

أدار المؤتمر أمين اسكندر المنسق العام للحركة وقدم عرضاً لنشاط الحركة فى الفترة الماضية, كما أشار إلى دلالة التوقيت بانعقاد المؤتمر بعد أيام لفرض مشروعات إسرائيل الاستيطانية.

وفى كلمة عبر سعد الدين وهبة عن اللعبة الخطرة التى تمارسها أمريكا وإسرائيل فى مفاوضات إعادة الانتشار فى الخليل لكى تنسينا القدس والنفق الذى تم حفره تحت المسجد الأقصى والاحتلال بشكل عام .

وذكر أن حرب 1973 هى آخر الحروب على الورق , أما الغيب لا يعلمه إلا الله , وطالب باستمرار النضال على كافة الأصعدة والانتباه لما يردده البعض من عدم الخوف من ثقافة "الآخر" ، وذكر أن إسرائيل لم تنجح فى التطبيع بين مثقفيها وفنانيها ، حيث تضم ثقافتهم 9 اتجاهات ولغات مختلفة , وتساءل كيف يطالبوننا بالتطبيع مع هذا الكيان الصهيونى الاستعمارى .

واستهل المناضل أحمد نبيل الهلالى كلمته بقوله : إن هذه اللحظات مصيرية وفاصلة وإن الأمة العربية تواجه أشرس هجمة ولم يعد الأعداء مقتنعين بالسلام الاستسلامى وإنما المخطط الإمبريالى يستهدف إعادة تشكيل الجغرافيا السياسية لنسف البلدان العربية وأن التصدى لهذه الهجمة يتطلب تلاحم كل القوى المناوئة على المستوى المحلى والعربى .

وفى كلمته عبر د.عبد الوهاب المسيرى عن طبيعة الصراع ؛ لأنه لا يوجد هناك ما يسمى بالثقافة أو الحضارة الإسرائيلية .

واتفق عادل حسين الأمين العام لحزب العمل مع ما طرحه نبيل الهلالى , وأضاف إلى ذلك دعوة لمقاطعة سلعة واحدة إسرائيلية حتى نستطيع إعلان الخصم أننا نرفض وليس من زاوية تخسيره مليوناً أو مليونين , ويرى أن الدعوة للمقاطعة هى درس لنا نعيد من خلاله تنشيط ذاكرة الذاكرة لدى العدو. وضرب الشيخ عبد المنعم البرى رئيس جبهة علماء الأزهر مثلاً فى المقاومة حينما هبت مدينة رشيد لمحاربة حملة فريزر الإنجليزية , مؤكداً أننا قادرون على الدفاع عن الشرف والكرامة .

أما فهمى ناشد عن حزب الوفد فقد أشار إلى أن هذا المؤتمر يدعوا للأسى ، لأننا قد جاء اليوم الذى ندعو فيه إلى اجتماع يرفض التطبيع مع أن هذه الدعوة بديهية وأن الرفض أمر طبيعى فى مواجهة العدو الذى يقف بكل جبروت وعناد فى مواجهة الأمة كلها .

وأشار فريد عبد الكريم إلى أننا لم نختر عدونا بهوانا وإنما الماضى والحاضر والمستقبل هم الذين فرضوا علينا هذا العدو , وأن كل الأمور يمكن نسيانها ما عدا قبور الفلسطينيين ، وأن المستقبل يؤكد تناقض مصالح الأمة مع المستعمر , وهذا التناقض لابد أن يؤدى للصراع ومن الصراع تكون الحرب .

د. أشرف البيومى أوضح فى كلمته خطة عمل الحركة مؤكداً فى البداية أن عمل الحركة يتم والأمة العربية فى حالة هزيمة , ويتم فى مناخ غير ديمقراطى وبالرغم من ذلك ليس لدينا تشاؤم ولابد كتمهيد الاستفادة من طاقاتنا العملية والفنية والسياسية والاقتصادية , ومع تدفق المعلومات عن العدو يمكن التبسيط فى لغة هذه المعلومات والنزول بها إلى الشارع عبر ملصقات وندوات ومقالات وكتب , حتى فكرة التظاهر ضد العدو فكرة واردة . وذلك باعتبار أن الحرب شاملة ضد العنصرية الصهيونية , واتفق فى ذلك مع ما طرحه محمد فخرى الذى أكد ضرورة المجازفة المحسوبة , وذلك بالنزول إلى الشارع بعيداً عن مقرات الأحزاب والهيئات .

ووضع د. حامد عمار خطة الحركة الشعبية فى اتجاه إعلام الآخرين فى أوروبا وآسيا خاصة الحركات المشابهة , مفسراً ذلك وضوح القضية وهى استعلاء الصهيونى , فكيف نقبل صورة الإسرائيلى الذى يخنق طفلاً .

وأضاف محمد على بشر أنه إذا كانت هناك قضية يمكن للمصريين المسلمين والمسيحيين أن يجمعوا عليها فليس هناك أكبر من هذه القضية ودعا إلى ضرورة إعطاء البعد الإسلامى إلى جانب القومى والعربى فى مشروع الوثيقة , أما د. أحمد الصاوى فقد ذهب فى تعريفه لخطة عمل الحركة إلى ضرورة إبراز فكرة بيع القطاع العام والخصخصة ونقل ملكيته كأداة فى هذا الصراع الدائر , ويفسر د.محمد عامر القضية بأنها للقضاء على العنصرية كهدف أساس واقترح تطوير اسم الحركة إلى الحركة الشعبية للتحرير والسلام , مؤكداً الشرعية

الدولية وحقوق الإنسان.وفى ختام المؤتمر ألقى أحمد بهاء الدين شعبان البيان التأسيسى للمؤتمر الذى وافق عليه الحاضرون.

* **وفى العام 1997 أعلن لطفى الخولى نصاً** " لا يوجد صراع مصرى – إسرائيلي .. الصراع الحقيقى بين البلدين من جهة وبين الأصولية الدينية من جهة أخرى .."

زيارة إسرائيل بالنسبة للخولى الآن لم تعد مشكلة كما يقول محرر "هاآرتس" جاى بيشور ، حيث يصف الخولى بأنه أحد أهم المفكرين المصريين فى القرن العشرين وكان من أشد المعارضين لإسرائيل .. يقول المحرر : من الصعب أن تتخيل التحول الهائل الذى حدث للخولى وأنت تراه يدخن السيجار فى ردهة بأحد فنادق تل أبيب ، فهو الشخص نفسه الذى تحالف مع عرفات والإخوان وكل اليسار المصرى والعربى ضد كامب ديفيد والوجود "الطفيلى" لإسرائيل , هذا الشخص نفسه هو الذى يجلس مستمتعاً بالطبيعة الخلابة لإسرائيل الساحرة عبر مياه البحر المتوسط – "الوصف السابق بأكمله على لسان محرر هاآرتس – الذى يقول : إن اعتدال الخولى بدأ بحضوره لمؤتمر مدريد ثم تأييده لاتفاقيات أوسلو ثم تزعمه لعملية كوبنهاجن!.. هذا التحول يفسره الخولى بقوله :

" لقد تغير كل شئ الأيدلوجيات العربية التقليدية لم تعد صالحة فى العصر الجديد .. فهناك أجندة أعمال جديدة تنتظر المصريين والإسرائيليين ستجمعهم فى إطار واحد من التعاون , لقد انتهت فكرة "أنا" ضد "هو" ولكنه اليوم "أنا وهو" ."!! ثم يستمر الحوار بين الصحفى الإسرائيلى ولطفى الخولى ليؤكد تحوله بالكامل ناحية ما كان يرفضه وهو التطبيع السياسى والإعلامى والثقافى مع إسرائيل .

** فى حواره مع "هاآرتس" أيضاً قال د.عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية "بالأهرام" : إن عمرو موسى وزير الخارجية على رأس

قائمة مؤيدى كوبنهاجن وأن ممن يحاولون معاقبة المطبعين سوف يفشلون فى مصر كما أن صناع القرار غير ناصريين مؤكداً أن التطبيع جزء من المفاوضات .

وإلى نص الحوار الذى دار داخل إحدى غرف فندق القدس بالمدينة المحتلة :

* مجيئك إلى القدس أنت ومجموعة بارزة من المثقفين المصريين دليل على تغير النظرة الأحادية ؟

– لا تزال الغالبية العظمى من المصريين تعتبر إسرائيل وحدة سياسة أحادية منفردة ومفصولة عن العالم ، ولكن تزايدت مؤخراً الرغبة فى معرفة الكثير عن إسرائيل ويصدر فى مركز الأهرام مجلة تعرض الرأى الإسرائيلى كاملاً من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ، ولكنها لاتزال مجهوداً أكاديمياً أكثر منه عملاً صحفياً ، لست على يقين من أن هذا الاتجاه أصبح شعوراً عاماً فى مصر .

* قلت سابقاً : إن إعلان كوبنهاجن استهدف كشف الاستعداد الخفى للرأى العام الإسرائيلى تجاه السلام .. ماذا كنت تقصد ؟ .

من وجهة نظر المثقفين المصريين فإنه بعد اغتيال رابين ونتائج الانتخابات الأخيرة كان لابد من مواجهة هشاشة عملية السلام فى المجتمع ، ويدعى منتقدونا أننا نشجع على التطبيع – وهو محرم كما يقولون – ولكن أريد أن أوضح أن التطبيع جزء من المفاوضات .

* يخشى الإسرائيليون من أن تكون عملية كوبنهاجن والمبادرات المصرية محاولة من عمرو موسى لنسف الرأى العام الإسرائيلى وإضعافه – المشاركون الإسرائيليون ليسوا سذجاً ، فهم شخصيات معروفة منذ فترة طويلة وهذا يعنى أن مجهودنا خلال الأربعة أشهر الماضية من خلال الكتابات والمقابلات التليفزيونية والرأى العام قد ضاعت سدى .. العديد من الإسرائيليين المشاركين ينتمون إلى اتجاهات يمينية ويسارية قد تقترب من اتجاه الحكومة ، ولكن هذا

لا يعنى أننا أدوات تستغلها الحكومات ولا يختلف موقف الحكومة المصرية كثيراً عن موقفنا حتى وإن كان هناك بعض الاختلافات وعمرو موسى على رأس قائمة مؤيدينا .

* على ضوء استمرار وسائل الإعلام المصرية فى انتقاد إسرائيل هل أثر المشاركون فى كوبنهاجن فى الثقافة المصرية ؟ .

ونحن هنا لاحظنا شيئاً عجيباً وهو أن إسرائيل لا تنقل إلا من الصحف المصرية المعارضة فلم يكتب إسرائيلي عما كتبته " الأهرام " عن كوبنهاجن والحوار الجديد مع إسرائيل .. الأهرام يوزع 1.8 مليون نسخة يومياً .. لم ينقل أحد شيئاً عن المقالات الكثيرة التى نشرتها صحيفة " الحياة العربية " التى تصدر فى لندن .. ولم يتحدث أحد أيضاً عن صحيفة مصرية صدرت مؤخراً وتدعى " التحول " تتحدث فقط عن عملية السلام ، أضف إلى ذلك أن إجمالى توزيع الصحف المعارضة لا يتعدى 100ألف نسخة وأنا أطلق عليها "هاتسوفيه وهى جريدة إسرائيلية يمينية" وبالمناسبة فالعديد من الصحف المعارضة المصرية تميل إلى النقل عن تلك الجريدة فالمتطرفون ينقلون عن بعضهم البعض وألوم الصحف الإسرائيلية الرئيسة التى تتجاهلنا .

* فى رأيك ما هو سبب العداء الكبير لك فى مصر والعالم العربى وخاصة بين المثقفين ؟ .

هناك جدل يتردد كثيراً واتسع لدرجة أن وزير الدفاع السورى أدانكم .. وادعى على رسلان رئيس نقابة الكتاب السوريين أنك تحولت من الـK.G.B إلى C.I.A ؟

الادعاء الرئيس يتركز حول أنه لا يوجد توازن بين إسرائيل القوية والعرب الضعفاء وخاصة الفلسطينيين والتطبيع هو الورقة الأخيرة التى يساوم بها العرب ، ولكن فى الحقيقة نحن لا نطبع " لاحظ التناقض" ولكن نطور الحوار ، ونحاول تشجيع الآخرين على فهم تعقيد المجتمع الإسرائيلى فلو كانت لديهم

الرغبة الحقيقية لتنشيط عملية السلام فهم بحاجة إلى تكوين علاقات مع الإسرائيليين المؤيدين للسلام .

* ألا تخشى من مقاطعة النقابات المهنية الأخرى لك كما حدث لمحامى عزام عزام فريد الديب ؟

– بعد إعلان كوبنهاجن سرى شعور بالغضب وحاولت نقابة الصحفيين إيقافنا ولكنهم فشلوا ، والحقيقة أننى مازلت عضواً فى نقابة الصحفيين ويمكن أن نعدك أيضاً أنها ستكون نفس حالة المحامى الذى ذكرته .. عليك أن تدرك فى التحقيقات التى تجريها النقابات المهنية وتتخذ القرارات فيها بأغلبية رفع الأيدى بدون الأخذ فى الاعتبار الجوانب المهمة ، وفشلت كل المحاولات فى معاقبة أى شخص ساهم فى حركة السلام .. لقد فشلت كل المحاولات ما عدا اتحاد الكتاب وهذا بسبب قلة عددهم حيث يضم الاتحاد سبعين عضواً ولا ينتمى غالبية الكتاب لهذا الاتحاد ، لذا بإمكان ذلك العدد القليل أن يتخذ القرارات التى يريدها .

هذا هو عبد المنعم سعيد كما كان عام 1997 فهل لايزال على نفس حاله فى العام 2014 ؟! وهل يجوز الثقة فى هذا الصنف من النخبة التى تميل حيث تميل السلطة وتبرر لها انحرافاتها التاريخية فهل نحسن للغاية إذا ما وزنت أقدار الرجال وأفكارهم ومواقفهم .

** فى 1997/8/20 نشرت جريدة " الدستور " تحقيقاً مطولاً عن شركة إعلامية مشبوهة مقرها بجوار التليفزيون المصرى وتتعامل مع التليفزيون الإسرائيلى وعمل بها كبار الإعلاميين والمذيعين .

** نشرت الصحف فى فبراير 1997 خبراً عن وصف مكرم محمد أحمد لنقابة الصحفيين بالغباء لمجرد أن النقابة حولت بعض الصحفيين المطبعين مع الكيان الإسرائيلى للتحقيق رغم أنه فى برامجه الانتخابية لم يذكر أنه مع التطبيع وإلا ما كان يوماً سيصبح نقيباً للصحفيين فى أى وقت.

** نشرت مصر الفتاة فى 1991/9/2 أن لقاءً سرياً سيجمع بين السعودية وإسرائيل فى واشنطن لبحث العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل ودول الخليج العربى وفى حال تحقيق نجاح فى هذا اللقاء ستتم لقاءات أخرى علنية بين الطرفين .

** لقيت مواطنة مصرية مصرعها على يد جندى إسرائيلى بعد أن حاولت طعنه إلا أنه أطلق عليها الرصاص فأرداها قتيلة.

** وفى سياق متصل ألقت قوات الأمن المصرية القبض على 16 مناضلاً فلسطينياً فى مخيم كندا بمدينة رفح المصرية بتهمة تهريب السلاح للمقاومة الإسلامية فى الأراضى المحتلة .

** أصر يوسف والى على الاعتراض على التعليمات الصادرة من القيادة السياسية بضرورة موافقة رئاسة مجلس الوزراء على أى بيع لأراضى ومشروعات الدولة لأجانب، خاصة أن جهات سيادية حذرت من أن كيانات صهيونية وأمريكية تخطط لشراء هذه الأراضى حال بيعها.

** **نشرت الشعب فى 1991/11/18** أن لجنة الدفاع عن الثقافة القومية حذرت من السيطرة الأجنبية على وسائل الإعلام المصرية عن طريق القروض والمنح التى تقدمها الولايات المتحدة للمؤسسات الصحفية .

كما طالبت بضرورة مراقبة نشاط المراكز الثقافية الأجنبية العاملة فى مصر، والتصدى لمحاولات التغلغل الثقافى الأجنبى وتزييف الوعى وخاصة من المركز الأكاديمى الإسرائيلى ودور التجسس الهدام فى مصر .

وفى سياق غير بعيد عقدت الجمعية الدولية (لابن رشد والتنوير) مؤتمراً فى مكتبة الإسكندرية تحت عنوان " الثقافات وصورة العدو " حيث طالب مراد وهبة رئيس المؤتمر بتصحيح النظرة التاريخية للصراع العربى الإسرائيلى ، وطرح الحوار مع إسرائيل فى إطار البحر المتوسط .

وقد أشارت منى أبو سنة مقررة المؤتمر إلى أن الإرهاب مصطلح عسكرى استخدم فى القرآن من أجل إرهاب العدو وإخضاعه ، أما مفهوم الجهاد فهو يشير لفعل عدوانى هجومى بينما مصطلح الفتح فيعد من الناحية اللغوية احتلالاً ، فى تحد غريب وهجوم على الإسلام وسط حضور الأجانب الذين صفقوا لها بشدة .

بينما تطاول عبد المنعم سعيد على صدام حسين وهاجم منتقدى أمريكا وكل ما هو أمريكى ، وهاجم الإخوان بضراوة ؛ لأنهم يتبنون فكرة القضاء على الآخر (إسرائيل) وهو لا يرى ذلك بالفعل بل يدعو للحوار معها ولا يخفى إعجابه بها وبسياسة أمريكا بلا مواربة ولا خجل .

** **نشرت صحيفة " مصر الفتاة " فى 1991/12/16** تعقيباً للدكتور رفعت سيد أحمد على ندوة " الأبعاد الثقافية لحقوق الإنسان فى العالم العربى " التى عقدت فى فندق بولمان المعادى المعروف باستضافته المستمرة للإسرائيليين واليهود الأمريكيين .

– إن المشكلة ليست فى الذين نظموا المؤتمر سواء كان سعد الدين إبراهيم أو مساعده على الدين هلال – فى مدريد أو مؤسسة فورد فونديشن التى بدأت عملها فى مصر عام 1952 فهؤلاء جميعاً ليسوا فى بالنا ولكن ما يحزننا هو تورط عدد من العلماء الذين نحسبهم أنهم على غير مثل د. محمد عمارة وأحمد كمال أبوالمجد ومحمد عابد الجابرى ود. فؤاد زكريا .

فإذا كان هؤلاء العلماء الأفاضل لا يعرفون خلفيات هذه الجهات المشبوهة فتلك مصيبة وإذا كانوا يعرفون فالمصيبة والطامة لاشك قادمة وكبيرة .

وليعلم الجميع أن مصر بها أكثر من 36 مؤسسة أجنبية مشبوهة تعمل فى مجالات البحوث وجمع المعلومات فى كل المجالات .

إن الموقف السليم والذى ينبغى لهؤلاء العلماء فيما هو آت أن يقاطعوا مثل هذه الندوات أو المؤتمرات التى تمولها هذه الجهات المشبوهة وتعقد بمعرفة وكلائهم فى مصر .

** رفضت وزارة الخارجية أكاذيب وادعاءات قدمها السفير الإسرائيلى بالقاهرة حول سياسات حكومته .. وتصريحات رئيس وزرائه نتنياهو كما رفض جميع رؤساء تحرير الصحف القومية السماح للسفير الإسرائيلى بعقد لقاء أو مقابلته وتسلم مذكرة منه .

وكان السفير الإسرائيلى بالقاهرة " زيفى زائيل " قد سعى للقاء رؤساء تحرير الصحف القومية لتوضيح موقف وسياسات حكومته ، إلا أن طلبه قوبل بالرفض ثم سعى إلى تقديم مذكرة نفى لتصريحات رئيس حكومته ، وزعم أن الصحف المصرية حرفتها وأساءت نشرها .

** شهدت جامعة سوهاج فى أبريل 1997 ، مظاهرة حاشدة شارك فيها 10 آلاف طالب ، تنديداً بالموقف الإسرائيلى ، حيث طالب المتظاهرون بإعلان الحرب المقدسة لتحرير القدس ، وقد شاركت الطالبات لأول مرة منذ إنشاء الجامعة فى المظاهرات جنباً إلى جنب مع الطلاب، وفور اندلاع المظاهرات قامت قوات الأمن بمحاصرة مبنى الجامعة للحيلولة دون خروج المتظاهرين إلى شوارع سوهاج .

** زفت صحيفة معاريف الإسرائيلية لقرائها خبراً ساراً لليهود ، وهو أن الرسام اليهودى رعنان لورى تعاقد مع جريدة الأهرام المصرية ؛ لنشر إنتاجه فيها ، قال الخبر الذى نشر فى الصفحة الثامنة : " الآن تصل رسوم لورى إلى 13 دولة عربية ليست لها علاقات مع إسرائيل".

من جانبهم قدم 19 رساماً كاريكاتير مصرياً مذكرة إلى إبراهيم نافع نقيب الصحفيين تطلب إنهاء التعاقد بين الأهرام والرسام الأمريكى الإسرائيلى لورى ، والذى بدأت الأهرام تنشر أعماله ، وعرضت المذكرة على مجلس النقابة وقال

الأستاذ إبراهيم نافع : إنه لا يعلم أن الرسام إسرائيلى أو أنه كان جندياً فى جيش إسرائيل ، وأن المذكرة التى قدمت من الجمعية المصرية لرسامى الكاريكاتير ضد لورى نفسه من قبل فى عام 1986 ، مضى عليها وقت طويل ولم يخطر بباله الربط بينها وبين حاضر الرسام الذى قدم نفسه على أنه أمريكى .

وفى هذا السياق تقرر أن يتابع عضوا المجلس يحيى قلاش ورجائى ميرغنى الموضوع ، وقد تم تسليم ما يؤكد أن لورى يهودى وإسرائيلى أيضاً ، من خلال صفحة فى كتاب " أساتذة الكاريكاتير فى العالم " ، الذى صدر فى عام 1982 ، وتتضمن ترشيحه لنيل أكبر جائزة للصحفيين فى إسرائيل ، وهو فى سن الثانية والعشرين ، وأنه شارك فى حرب 1967 ، وحيته جولدا مائير وأنه كان مرتزقاً فى فرقة فرنسية داخل الجزائر .

الرسامون المصريون قدموا مذكرتهم أيضاً إلى صلاح الدين حافظ أمين اتحاد الصحفيين العرب لعرضها على إبراهيم نافع نقيب الصحفيين العرب لاتخاذ ما يلزم ، وبما يتفق مع قرار الاتحاد بالوقوف بشدة ضد أية محاولات تطبيعية مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل .

** **وفى محاولة للتطبيع الفنى والثقافى طالب عمر الشريف** بنقل مهرجان القاهرة السينمائى من الأقصر أو أسوان إلى طابا ليكون لقاء الإسرائيليين ميسوراً وسهلاً ، جاء ذلك فى خبر نشرته روزاليوسف فى 1997/12/15.

** **وفى نفس الفترة** وافق اتحاد الفنانين العرب على اقتراح اتحاد المحامين العرب بالانضمام إلى مسيرة تظاهرية ضد التطبيع وممارسات إسرائيل فى الأراضى المحتلة..

وذلك على هامش الاجتماع الدورى لاتحاد المحامين العرب الذى يعقد فى تونس خلال شهر مايو القادم.

فى الوقت نفسه وافق اتحادا الكتاب والصحفيين العرب على الانضمام للمسيرة للتنديد بالممارسات الإسرائيلية .

** **وفى ذات السياق** ألقت سلطات الأمن التونسية القبض على الحاخام "ديفيد جروسمان" من مؤسسة مجدال أور الدينية الإسرائيلية للاشتباه فى عمله لحساب الأجهزة الإسرائيلية .

صحيفة بديعوت أحرونوت" الإسرائيلية ذكرت أن جروسمان وصل إلى تونس عبر باريس , حيث كان فى طريقه إلى مدينة جربا فى مهمة دينية , وقد أجرى 8 ضباط تونسيين تحقيقاً معه لمدة ست ساعات فى أول يوم , ثم استمر التحقيق فى اليوم الثانى ,وقرروا طرده من تونس بعد ذلك .

** **نشرت الدستور فى 1997/9/10 مقالاً ليحيى قلاش سكرتير نقابة الصحفيين** عن النقابات المهنية وقيام بعض المنتسبين إليها بالسفر والتواصل مع الإسرائيليين حيث ذكر حالة حسام الدين مصطفى – المخرج السينمائى – وعبد المنعم سعيد ولطفى الخولى وغيرهم ممن خرقوا المقاطعة لإسرائيل .

وأوضح قلاش أن النقابات وجمعياتها العروبية هى صاحبة السلطة العليا وقراراتها ملزمة للجميع وهى التى تكلف هيئاتها المنتخبة لتنفيذ هذه القرارات وفقاً لقانون النقابة .

** وفى سياق متصل أصدر اتحاد الصحفيين العرب تقريراً عن انتهاك إسرائيل لحقوق الصحفيين الفلسطينيين فى الأراضى الفلسطينية المحتلة حيث سجلت 10 حالات سجن لصحفيين وإغلاق صحف .

** **نشرت صحيفة " الأحرار " فى 1999/8/23** عرضاً لحلقة من برنامج الاتجاه المعاكس على قناة الجزيرة بين عبد المنعم سعيد – أحد دعاة التطبيع– مع إسرائيل ، مع أمين اسكندر أحد أقطاب مناهضى التطبيع مع إسرائيل ، وأهم ما جاء فى هذه المواجهة من وجهة نظر المؤيدين :

– اعتراف عبد المنعم سعيد أن الاتحاد الأوروبى يمولهم من أجل ما يسمى بالسلام .

– أرضنا كانت محتلة فى ظل العنجهية الناصرية ومنهج السادات أدى لانسحاب إسرائيل من أرض فلسطينية ولبنانية ، وإسرائيل تلهث وراء الفنانين للتواصل مع العرب ، ولم نعد نمتلك أى أوراق ضغط وإسرائيل تسعى للشرق الأوسط الجديد بنوايا سيئة فلماذا نتركها ولا نتواصل معها ؟ .

أما المعارضون للتطبيع وكان يمثلهم فى الحلقة أمين اسكندر فكان رأيهم :

– الأمن القومى العربى فى خطر مع وجود إسرائيل ولن يفلح السلام معها ومقاومة التطبيع تعبير عن ثوابت الشعب المصرى والعربى والانتفاضة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية دليل على قوة الشعب العربى وعدد الداعين للتطبيع فى مصر لا يزيدون عن ألف شخص ، وهؤلاء يتلقون دعماً من أمريكا وإسرائيل ، لأنهم بالأساس يعملون ضد مصالح الوطن .

** وفى العام 1997 قررت تركيا المسلمة وضع نفسها رهينة لخدمة المخططات الصهيونية فى المنطقة فبعد التعاون العسكرى المشترك مع إسرائيل كشفت مصادر عربية عليا للصحف المصرية عن فحوى خطة مشتركة بين أنقرة وتل أبيب هدفها الإعداد لغزو إعلامى واسع النطاق موجه إلى الشعوب العربية فى المنطقة .

والمخطط يهدف إلى التخطيط والإعداد لوصول القنوات الفضائية الإسرائيلية والتركية بوضوح إلى العالم العربى وتجاوز حدود التشويش والموانع الالكترونية العربية التى تحول بينها وبين المواطن العربى حالياً .

** **جاءت زيارة نتنياهو للقاهرة فى 1997** مع الإثارة الشديدة والأجواء الصاخبة التى كانت موجودة قبل الزيارة وأثناءها وبعدها فنتنياهو بأسلوبه وتصريحاته المستفزة استنفرت الشارع المصرى ضد الزيارة وكان من المرات

القليلة التى تتحد فيها إرادة الشارع ووسائل الإعلام وبعض أجهزة الحكومة ضد هذه الزيارة .

وعندما وصل القاهرة بحسب صحيفة إسرائيلية أبدى غضبه من صور أحمد زكى على أفيشات فيلم ناصر 56 لأنه – أى نتنياهو – يكره عبد الناصر وكل ما يمت له بصلة .

ونتنياهو كغيره من قادة إسرائيل يريد التفاوض مع مصر منفردة وبدون دعم العرب والتنسيق معهم وهو ما تحرص مصر عليه فقد استقبلت قبل 48 ساعة من الزيارة عبد الكريم الكباريتى رئيس وزراء الأردن وفاروق الشرع وزير خارجية سوريا .

وقد استقبلت الصحف المصرية زيارة نتنياهو بالسخرية الشديدة منه فقد وضعت صحيفة الدستور مانشيت باللغة العبرية لا يرحب بزيارة نتنياهو ، وقد سخر الساخران أحمد رجب ومصطفى حسين منه أيضاً موضحين أن مصر مغلقة أمامه .وقالت إحدى الصحف المعارضة : إن هواء القاهرة أصابه التلوث لوجود " نتن .. ياهو " فيها.

** وفى 1997 نشرت التقرير الذى نشرته هاآرتس الإسرائيلية حول الصحف المصرية حفل بالعديد من الأكاذيب والأوهام والادعاءات لكنه حفل أيضاً بحقيقة رصدها الصهيونى المتعصب كاتب التقرير ويدعى جاى بيشور وقال فيها : إن الشئ الوحيد الذى يجمع بين الصحف والاتجاهات اليسارية المصرية التى تنتقد الإسلام السياسى وبين الصحف ذات التوجه الإسلامى هى كراهية إسرائيل .

ويرصد التقرير ما تكتبه الصحافة المصرية عن إسرائيل ولا يستثنى صحيفة فهو يتحدث عن "العربى" و"الأهالى" كما يتحدث عن "الوفد" و"الشعب" وحتى جريدة "النيل" وكذلك "الحقيقة" و"صوت الشعب" و"الأمة" وإذا كان التقرير قد

تحدث عن جريدة "الدستور" باعتبارها مستقلة لا تصدر عن حزب ، فقد أغفل الإشارة لجريدة "الأسبوع" أيضاً والتى توجه بدورها ضربات قوية للصهاينة.
اللافت للنظر أن محرر التقرير يبدو أنه استقى معلوماته عن الصحف المصرية من أحد المطبعين أو الكارهين لكل ما تكتبه الصحف ضد إسرائيل فتحت عنوان " صحف غير مستقرة الصدور " يتحدث عن "الحقيقة" و"صوت الشعب" فى حين أن الصحيفتين دائمتا الصدور.
والمعروف ان محرر التقرير سبق له محاورة كل من لطفى الخولى وعبدالمنعم سعيد خلال وجودهما فى القدس منذ أسابيع وخلال الحوار مع د.عبد المنعم سعيد أحد نجوم كوبنهاجن عتب على الإسرائيليين أنهم يركزون على ما تكتبه صحف المعارضة ضئيلة التوزيع وليس على ما ينشر فى الأهرام التى توزع مليون نسخة .. ولم ينتظر محرر هاآرتس طويلاً واستجاب لملاحظة الدكتور ولكنه وضعها فى سياق مختلف حينما قال : إن الإسرائيليين لا يعجبون بمقولة أن الأهرام تدعو للتعايش السلمى لكنها لا تترك أى صدى إعلامى فى إسرائيل بعكس ما ينشر فى صحف معارضة أقل توزيعاً ولكنها أكثر تأثيراً .
ويتحدث التقرير عن إحدى المتناقضات العميقة فى العلاقات بين مصر وإسرائيل الآخذة فى الإضمحلال – حسب وصفه– إن الإعلام الإسرائيلى وكذلك الحكومة الصهيونية يتعاملون بجدية مع ما تنشره الصحف المصرية خلافاً لما تفعله القاهرة وتقول هاآرتس : إن التقرير الصحفى المرسل من السفارة الصهيونية ةفى القاهرة يتكون من استعراض موحد يشمل تقارير لما تنشره الصحف الثلاث "الأهرام– الأخبار – الجمهورية" التى وصفها التقرير بأنها رسمية وكذلك كل صحف المعارضة ولا يتم التفريق بين الأهرام التى توزع أكثر من 700 ألف نسخة يومياً وبين الأهالى التى ادعى التقرير أنها لا توزع أكثر من 5 آلاف نسخة أسبوعياً .

ويقول تقرير هاآرتس : إن المصريين يترجمون أيضاً عن الصحف الإسرائيلية موضوعات متعددة ، ولكنهم لا يفرقون بين ما تنشره صحف كبرى مثل بديعوت أحرونوت ومعاريف وهاآرتس وبين ما تنشره صحيفة متطرفة مثل هاتسوفيه ذات التوزيع الأقل .ولذلك يقول التقرير : إن القاعدة حالياً هى أن الأكثر تشدداًَ هو الأكثر بروزاً فى فترة اللا سلم واللا حرب التى تعيشها علاقات البلدين والمنطقة حالياً .

لكن التقرير يعود للكذب قائلاً : إن صحف المعارضة تقدم خدمة هائلة للحكومة المصرية فهذه المعارضة التى لا يصل صوتها للإذاعة والتليفزيون – وهذه حقيقة – تشن حملاتها ضد إسرائيل بدعم حكومى – وهذه كذبة– أما الهدف فهو يتيح للحكومة المصرية بأن تزعم بأن بها حرية صحافة أكثر من أى دولة عربية " والجزء الأخير بالطبع قابل للجدل" .

أما أكثر ادعاءات الصحيفة الصهيونية فى إثارة الجدل فى تقريرها عن الصحف المصرية فهو قولها : إن "الأهالى" يتم تمويلها علناً من ليبيا أما "الشعب" فتمول من إيران" فى حين أن "الوفد" تمول من السعودية ودليل هاآرتس الوحيد هو قلة الإعلانات بهذه الصحف .

** **وفى العام نفسه عادت بعض الصحف المصرية للحديث حول** أن الموساد الإسرائيلى أصدر كتاباً لمؤلف مجهول بعنوان " قبلاتى أو تحياتى من إسرائيل " يوزع الآن بالقاهرة ، والكتاب ملئ بالأكاذيب والافتراءات عن إسرائيل وكأنها جنة الله فى الأرض ، وقد تجاهل الكتاب كل المعاناة والمأساة التى يعيشها الفلسطينيون، بل صورهم على أنهم ينعمون بحياة كريمة مستقرة وهم واليهود سواء فى الحقوق والواجبات بما ينافى الحقيقة المرة التى يحياها كل ما هو غير إسرائيلى أو يهودى فى الأراضى العربية المحتلة .

** وفى عام 1997 أيضاً وفى جلسة مهمة باتحاد الكتاب وقع أعضاء مجلس الاتحاد على طلب بضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة لتقديم أعضاء الاتحاد الذين

يشاركون فى التطبيع مع إسرائيل للتحقيق معهم تمهيداً لمحاسبتهم .. وكان العضوان رفقى بدوى وإبراهيم عبد المجيد قد تقدما بطلب إلى المجلس بضرورة تطبيق قرارى الجمعية العمومية للاتحاد عام 95,97 بفصل أى عضو من الاتحاد يقوم بالتطبيع مع العدو الصهيونى سواء بالسفر أو الدعوة أو بأى شكل من أشكال التطبيع وحدد الطلب أربعة أسماء: على سالم لسفره إلى إسرائيل مرتين , ولطفى الخولى لسفره إلى إسرائيل ومشاركته الحوار مع مثقفين صهاينة فى كوبنهاجن , وفتحى العشرى لدعوته المستمرة للتطبيع مع إسرائيل , وحمدى البطران لنشره ما يؤيد حوار كوبنهاجن التطبيعى.. وقد وقع على الطلب جميع أعضاء المجلس الذين شاركوا فى الاجتماع وهم:

د.أحمد هيكل, د. يسرى العزب, وصبرى موسى , محفوظ عبد الرحمن, وحيد حامد , حمدى الكنيسى , وفاء وجدى , عبد الفتاح رزق, عبد التواب يوسف, إبراهيم عبد المجيد , رفقى بدوى , فؤاد قنديل, محمد السيد عيد, حسين الشاعر, عبد العال الحمامصى , بينما تشكلت هيئة المكتب من فاروق خورشيد وأحمد سويلم ومدحت الجيار نظراً لغياب الأستاذ سعد الدين وهبة لعلاجه فى الخارج.

** **نشرت العربى تقريراً فى 1997** عن نبيه سرحان المصرى الذى كان زبوناً دائماً لمقاهى المثقفين فى القاهرة فى الستينات وهو من قرية البيروم بالشرقية . ونبيه سرحان كان مشروع شاعر صعلوك ، ولكن المفاجأة كانت فى تحول هذا الصعلوك إلى جاسوس يعمل لصالح العدو برتبة جنرال ، بعدما تزوج من امرأة مجهولة سهلت له السفر لإسرائيل ونبيه سرحان زار مصر عام 1987 ، لتلقى العزاء فى والدته ولم يمكث فى قريته سوى ساعة واحدة ، لأنه لم يتحمل نظرات الغضب والاحتقار فى عيون أهل قريته إلا أن سرحان استطاع أن يستقطب أخاه يسرى ثم 76 من أهل قريته والقرى المجاورة لها ومازال صوت نبيه سرحان يتباهى أنه ابن القرية التى أنجبت يوسف إدريس، إلا أنه لا يخفى ولاءه التام لإسرائيل بعدما باع وطنه وشرفه ودينه .

وفى المقابل وفى إحساس وطنى عال رفض د. محمد غنيم مدير مركز الكلى بالمنصورة الطلب الذى تقدمت به مراكز بحوث إسرائيلية للتعاون البحثى مع مركز الكلى والمسالك البولية فى المنصورة .

كتب د. غنيم على الطلب : " نأسف .. لا تعاون مع إسرائيل " وحصل على موافقة مجلس جامعة المنصورة على رفضه لهذا الطلب .

** **وفى ذات السياق** اتهمت إسرائيل الإعلام المصرى بـ " تحريض الشعب الفلسطينى على العنف وارتكاب أعمال الإرهاب ورفض أى تسوية سياسية سلمية للنزاع " ، واعتبرت حكومة إسرائيل خلال اتصالات دبلوماسية مع القاهرة خلال الأيام الماضية ، أن الإعلام فى مصر أصبح مليئاً بالمواد التى تدعو إلى رفض الأمر الواقع والانتقام وإهدار الدماء وتشجع على أعمال انتحارية بدل التشجيع على الحوار البناء والعودة إلى طاولة المفاوضات .

ووصفت حكومة إسرائيل هذه المواد فى شكوى رسمية بأنها بمثابة خروج على معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية ، كونها تحض على انتهاك القانون والشرعية والاتفاقات عبر الدعوة إلى الانتفاضة ، علاوة على ما تكيله لإسرائيل من اتهامات بأعمال وحشية يدعو الإعلام المصرى إلى الانفجار فى مواجهتها .

ورأت تل أبيب أن هذه المواد هى التى تشجع على الإحباط واليأس بدلاً من الدعوة إلى التمسك بالاتفاقات والتفاوض والعمل المدنى السلمى من أجل إحلال السلام ، كما عبرت عن استغرابها دعوة الإعلام فى مصر إلى مقاطعة إسرائيل عربياً وترويج الغضب لدى الرأى العام العربى .

ورأت أن معالجة الإعلام المصرى " العمل الفظيع " الذى ارتكبته المستوطنة نتانيا سوسكند فى الخليل ، حيث علقت ملصقات مسيئة إلى الإسلام اتسمت بالمغالاة لدرجة الإساءة إلى الديانة اليهودية باعتبار ما ارتكبته المستوطنة يعبر عن موقف الديانة اليهودية رغم إدانة حكومة إسرائيل وحاخاماتها هذا العمل .

واعتبرت إسرائيل أن مشكلة الإعلام المصرى هى أنه يشجع على الاتجاهات المعادية للسامية، مشيرة إلى أن الصحافة فى مصر ليست حرة تماماً وآراءها تعكس آراء مسئوليها والغلبة فى الصحف المصرية للعناصر المتطرفة .
وتأتى هذه الشكوى الرسمية فى وقت يشن بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية هجوماً على الإعلام المصرى بحجة أنه يواصل حملاته على دولة إسرائيل وشخصية اليهود . وتشير الشكوى إلى أن لغة الانتقادات المصرية تحولت إلى " لغة شتم " .وهذه الشكوى هى الرابعة من نوعها منذ تولى رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو السلطة فى مايو 1996 .
** **رغم معاناة مراسلى الصحف الإسرائيلية فى القاهرة** فى التواصل مع المثقفين المصريين إلا فى النادر ، لكن نوال السعداوى رحبت بشدة بإجراء لقاء مع مراسلة "يديعوت أحرونوت" فى القاهرة رغم علمها أنها تعارض اتفاقية كامب ديفيد وقد استعرضت السعداوى فى مقابلتها مع الصحيفة الإسرائيلية موقفها ومعركتها التى تخوضها بسبب الختان ومواقفها السياسية وحقوق الإنسان وقد نشرت تفاصيل هذا اللقاء روزاليوسف(1998/1/12) .
** وبالمقابل وفى التاريخ نفسه (1998) تقرر تأجيل موعد انعقاد الاجتماع التأسيسى الأول لإنشاء أمانة للتنسيق بين المؤسسات الشعبية والديمقراطية العربية المقاومة للتطبيع والذى كان من المقرر انعقاده بنقابة الصحفيين إلى موعد لاحق يتحدد عقب أجازة عيد الفطر المبارك .
كانت النقابة قد استقبلت فى نهاية ديسمبر الماضى ممثلين لعدد من المنظمات النقابية والسياسية العربية الموجودة بمصر والمناهضة للتطبيع والصهيونية ، ونظرائهم بالقاهرة من القيادات النقابية والشخصيات العامة فى اجتماع استهدف دراسة ضرورة توحيد الجهود والتنسيق بين كافة النقابات والاتحادات واللجان والمنظمات المصرية والعربية المناهضة للتطبيع فى مواجهة تكثيف جماعة تحالف كوبنهاجن هجومها على الشعب المصرى، بهدف ضرب مقاومته

للتطبيع مع العدو الإسرائيلى وقيامهم بتشكيل جمعية أهلية باسم " حركة القاهرة للسلام " على غرار حركة " السلام الآن " الإسرائيلية ، وهو ما يمثل خرقاً واضحاً للموقف الشعبى الرافض للعدوان والسيطرة الإسرائيلية والتحالف الصهيونى الأمريكى للعرب المعادى والهادف إلى فرض إسرائيل كدولة كبرى قائدة فى المنطقة .

** فى محاولة لإنقاذه من العزلة والمقاطعة التى يعانى منها منذ صعود نتنياهو للحكم قرر المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة إلغاء المحاضرات الدورية المتخصصة التى كانت تتم بمقر المركز طوال أشهر الشتاء والربيع وتحويل النشاط إلى خارج المركز من خلال (صالونات) حوارية – ثقافية تتم أسبوعياً فى قاعة مؤتمرات أحد فنادق الدقى الكبرى وذلك على شرف بوفيه مفتوح فاخر . الصالونات يتم حضورها بدعوات شخصية يوجهها المدير المقيم للمركز "يوسى أميتاى" المتخصص فى صحافة اليسار المصرى لعدد من طلبة الجامعات وصغار الكتاب ، آخر صالونين أقامهما المركز ناقشا قضية العولمة والنظام العالمى الجديد فى ظل سيطرة قطب واحد و.. فيلم " المصير " للمخرج يوسف شاهين ، الصالونات سيتم الاتفاق عليها بالتنسيق مع وزارة التعليم العالى .

** **وفى العام 1998 أيضاً** وفى الوقت الذى يتطلع فيه الشعب العربى لعقد قمة عربية لمواجهة الغطرسة الصهيونية ، فاجأ أعضاء ما يسمى بـ " جمعية القاهرة للسلام " الرأى العام المصرى بصدمة تطبيعية أخرى من العيار الثقيل ، حيث يشهد فندق شيراتون الجزيرة صباح يوم 1998/3/2 وقائع مؤتمر صحفى مشترك بين المطبعين المصريين وأصدقائهم الصهاينة ، وقد تم توجيه الدعوة لحضور المؤتمر الصحفى باسم كل من "جمعية القاهرة للسلام" و"التحالف الدولى" المعروف باسم تحالف كوبنهاجن وجمعية " السلام الآن" الصهيونية وتعد هذه سابقة لم تحدث فى تاريخ مصر , أن توجه جهة صهيونية دعوة

لمؤتمر لها على الأراضى المصرية ! أما الضجة الأكبر للمطبعين المصريين فقد تفجرت على أوسع نطاق من خلال شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" حيث أعلنت الشبكة نبأ مشاركة اثنين من "جمعية القاهرة للسلام" وهما لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد فى احتفال عقده اللوبى الصهيونى فى واشنطن بمناسبة مرور نصف قرن على استقلال إسرائيل , الفضيحة – كما أسمتها صحيفة العربى الناصرية – وقعت من 12-15 مايو 1998 , عندما زعم لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد أنهما يذهبان إلى أمريكا لإفهام وزارة الخارجية الأمريكية أبعاد الوضع– وكأن أمريكا لا تعرف– لكن حتى هذه الادعاءات نسفتها شبكة المعلومات التى نشرت أن سعيد والخولى كانا فى أمريكا لحضور الاحتفالات التى عقدتها " اللجنة اليهودية الأمريكية" فى الاجتماع رقم 92 الذى خصصته اللجنة الصهيونية للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام "كيانهم" .
شملت الاحتفالات تكريم كل من قدم خدمات جليلة لإسرائيل ,. بالمناسبة القصة كاملة موجودة على الانترنت فى موقع WWW.ajc.ory:80/pc
** **وفى السياق ذاته** وفى خطوة مفاجئة قام عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام على رأس وفد من حركة القاهرة للسلام وأعضاء من جماعة كوبنهاجن بزيارة إلى تل أبيب ، حيث حلوا "ضيوفا"على مركز ديان والتقوا أيضاً مع ديفيد ليفى وزير الخارجية الإسرائيلى وشيمون بيريز وزير التعاون الدولى ومع رئيس جامعة تل أبيب ومع أيتامار رابينوفيتش المفاوض الإسرائيلى السابق مع سوريا !
وفى حديث أدلى به عبد المنعم سعيد للإذاعة الإسرائيلية قال: إن هدف الزيارة هو التنسيق مع حركة " السلام الآن" الإسرائيلية وذلك فى إطار التحرك داخل ما يسمى " الحركة الدولية للسلام" علاوة على الحركات الأخرى فى إسرائيل .
** **وقد أصدر الحزب العربى الديمقراطى الناصرى بياناً تعقيباً ورداً على تحالف كوبنهاجن قال فيه :** " يراقب الحزب منذ فترة بقلق واستغراب جهود

القلة من المصريين الخارجة على إجماع الشعب العربى فى مصر وفى المنطقة العربية كلها على مقاطعة الصهاينة وقطع التعامل معهم بكافة صوره وكافة العلاقات خاصة ، وقد بان الصهاينة وتأكدت أهدافهم بكافة فصائلهم التى لم يتراجعوا عنها لإنكار كل حق عربى فى الأرض وفى العودة وفى السيادة ، وتأكدت مطامعهم فى السيطرة والطغيان بل وأعلن باراك رئيس حزب العمل الصهيونى أن الصراع العربى الصهيونى صراع وجود بتفصيل واضح لا يحتمل تأويلاً ولا يدع مجالاً لحسن الظن ، مما يؤكد وحدة أهداف الصهاينة بمختلف فرقهم مهما اختلفت أساليبهم فى التعبير عنها " .

كما تأكد موقف أمريكا المنحاز والمتجنى على العالم العربى والإسلامى والذى يكيل بمكيالين ففي الوقت الذى يستمر إصرارهم على محاصرة العراق ودعوته للانصياع لما يسمى قرارات مجلس الأمن ، تبسط حماية الكيان الصهيونى بل وتقف ضد نفس قرارات مجلس الأمن إذا كانت موجهة ضد الكيان .

وفى الوقت الذى يبحث عن أسلحة موهومة فى غرف النوم ودورات المياه فى العراق يزود الكيان الصهيونى بالأسلحة والصواريخ ويؤيد امتلاكه للأسلحة النووية ورفضه للتوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية .

فى الوقت الذى اتضحت فيه كل الحقائق وظهرت فيه كل الخبايا ويصرح فيه كوهين وزير الدفاع الأمريكى أثناء جولته فى المنطقة مؤخراً أن من أهداف جولته دعم القدرات الدفاعية للصهاينة ويؤكد تزويدها بأحدث بطاريات الصواريخ " أور 2 " ، لأن سحب إسرائيل لأى حرب تدخلها أمر حاسم شديد الأهمية حسب تقديرهم ، وسط ذلك يخرج علينا نفر من أبناء مصر للأسف يشكل جمعية للتطبيع مع العدو تسارع الجهات الحكومية بالموافقة عليها فى الوقت الذى تعرقل فيه قيام عشرات الجمعيات الأخرى .

ويحتفل العدو الصهيونى بقيامها احتفالاً أبرزته بسعادة بالغة وترحيب الصحافة الصهيونية والتليفزيون الصهيونى الذى صور وقائع الاحتفال وسجل لقيادات

الجمعية تصريحات ، فى حين استقبل الشعب العربى كله وفى مصر بالذات الحدث بالأسف والاستنكار والإدانة الشديدة .

فعلى أرض فلسطين يجرى القهر والاعتقال والتقتيل والهدم لبيوت العرب والاستيلاء على أراضيهم وانتهاك مقدساتهم بأيدى الصهاينة ، وعلى أرض لبنان تجرى مواجهة دامية ورافضة بين الفصائل الفدائية اللبنانية والصهاينة، وفى الجولان يجرى صراع حاد ومقاومة باسلة بين السوريين واللبنانيين. ضد المقترحات الخبيثة المتبجحة الإسرائيلية للانسحاب من الجنوب اللبنانى وعلى أرض العراق يجرى تدمير شعب العراق وتعريض مواطنيه وأطفاله للجوع والموت ، وفى كل مكان فى العالم العربى ، وفى كل مدن مصر تنعقد المؤتمرات وتتشكل اللجان لمقاومة التطبيع وفرض المقاطعة الشاملة وتدفع لعودة المقاطعة الشاملة وتستعد مصر والعالم العربى والإسلامى لوضع برنامج واسع بمناسبة مضى 50 عاماً على مأساة فلسطين وقرار تقسيمها واحتلال الصهاينة النازحين من كافة بقاع الأرض لأرضها .

وفى مصر للأسف وفى غير حياء تحتفل قلة بقيام جمعية للتعاون العربى الصهيونى الكاذب والمخادع بحجة دعم السلام الوهم ، وهو شكل فج ومرفوض يسبح ضد التيار القومى والوطنى ويتجاهل بل ويدوس المصالح العربية الأساسية والمصيرية ويطمس حقائق الصراع المصيرى المحتوم ، والحزب إذ يندد بهذا التطور ويدينه يدعو كل الأحزاب والنقابات وتنظيمات المجتمع المدنى للتصدى لهذا الحدث الشاذ .

وسوف يبادر الحزب بالتعاون مع سائر الأحزاب والنقابات والمنظمات والجمعيات لاتخاذ كافة الإجراءات والوسائل السياسية والقانونية اللازمة لمواجهة هذا العمل المدان .

** **نشرت " النبأ الوطنى " فى 1998/5/3** تقريراً عن حفل السفارة الإسرائيلية بالقاهرة بمناسبة اليوبيل الذهبى لإقامة الكيان الصهيونى والذى حضره من

الجانب المصرى عدد من الصحفيين المصريين بالإضافة ليوسف والى – رجل إسرائيل الأول فى مصر – والصحفيون هم : حسن فؤاد وأشرف راضى وجهاد عودة وقد تم تحويلهم للتحقيق فى النقابة فيما تم تحويل عبدالمنعم سعيد ولطفى الخولى للتحقيق بسبب سفرهما لإسرائيل ضمن وفد كوبنهاجن فيما تحدى عبد المنعم سعيد أن يتم التحقيق معه وقال : إنه لن يرضخ للتحقيق مع أى جهة كانت . فيما شارك عدد من المصريين منهم مصطفى خليل ولطفى الخولى وأمين المهدى وعلى سالم ويوسف والى وغيرهم السفارة الإسرائيلية احتفالاتها بمناسبة ذكرى حرب يونيو 1967 .

وقد قرر المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب فرض عقوبات شديدة على المطبعين مع إسرائيل وقرر إعداد قائمة سوداء بأسماء الصحفيين المطبعين مع العدو الصهيونى .

**** نشرت صحيفة " الحياة " فى 1998/5/8** دراسة مصرية تحذر من سرقة إسرائيل المبرمجة والممنهجة للتراث الفنى العربى ، وأكدت الدراسة أن فرق الأوركسترا فى حيفا والقدس تعزف موسيقى عربية مسروقة ، وامتد النهب لأغانى أم كلثوم وفريد الأطرش وسرحوا كورال أطفال فلسطين ، وأنشأوا كورال تل أبيب كما نهبوا مبنى أوبرا فلسطين وسحبوا أعضاءها بعد عرض أوبرا عايدة 1961 ، كما احتلت أوبرا إسرائيل دار المسرح القومى الفلسطينى فى القدس ولم تكتف إسرائيل بسرقة الألحان بل امتدت السرقة للاستعراضات ووصل الأمر لحد الاستيلاء على الأساطير العربية ، ومنها علاء الدين وألف ليلة وليلة والسندباد البحرى وإيزيس وأوزوريس ونسبتها لكفاح الشعب اليهودى فى الشتات وصورت هذه الأساطير فى أفلام كارتون ووزعتها على العائلات اليهودية .

وتولى إسرائيل عناية خاصة بأغانى وألحان فريد الأطرش وكذلك أسمهان وامتد الاهتمام حتى أحمد عدوية ، وتم افتتاح ديسكو باسمه فى القدس كما اعتبروا

أن تراث ليلى مراد ومنير مراد ملك لليهود ويحق لهم ترجمته دون أى خوف على اعتبار أن عائلة مراد يهودية الأصل .

** وفى ذات السياق أبدت الأوساط الصحافية والدبلوماسية فى القاهرة ارتياحاً بعد قرار وزارة الخارجية الإسرائيلية أخيراً نقل المستشار الصحافى لسفارة إسرائيل ليئور بن دور من القاهرة وتعيينه فى سفارة إسرائيل فى أوروجواى بدءاً من أول شهر "أغسطس" 1998 وإبلاغ القاهرة بتعيين السيدة ايليتا يحيى آف مكانه .وحسب مصادر مطلعة , جاء قرار وزارة الخارجية الإسرائيلية نقل بن دور بعد تصاعد الشكوى منه بسبب أسلوبه المستفز الذى أدى إلى عزله داخل مكتبه فى السفارة.وكانت آخر مشاكل بن دور هجومه فى تصريحات صحافية على ما وصفه بـ " منع السلطات المصرية مواطنيها من السفر إلى تل أبيب, والسياسة الخارجية المصرية حيال إسرائيل بعدما انتقد السلطات الأمنية أثناء محاكمة الجاسوس عزام عزام ". وكان رئيس مجلس الشورى الدكتور مصطفى كمال حلمى تلقى بوصفه رئيس المجلس الأعلى للصحافة رسالة احتجاج من بن دور أعرب فيها عن استياء حكومته من نشر كاريكاتير لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتانياهو فى إحدى الصحف معتبراً أن هذا الكاريكاتير يخالف التقاليد الصحفية واتهم الرسام بالصحيفة بالعداء للسامية والجهل .

**** كما نشرت صحيفة " الحياة " مقالاً للكاتب رؤوف مسعد فى 1998/11/8** بعنوان "مرحباً بكم فى إسرائيل بلد الأبرتايد الحقيقى فى العالم" ، حيث قام برحلة إلى الكيان الصهيونى وقد سجل مشاهداته وكلها تشى بعنصرية فجة ابتداءً من الدخول للمطار والأسئلة غير المنطقية للمسافرين من قبل ضباط الجوازات الإسرائيليين خاصة الدبلوماسيين الداخلين لقطاع غزة ، والتفتيش الدقيق للحقائب والرفع الهيدروليكى لسيارات الدبلوماسيين حتى فى مطار تل أبيب هناك ثلاثة ممرات للمسافرين ، أحدها: لليهود الإسرائيليين الذين يتحدثون العبرية والثانى : للجنسيات الأخرى حتى لمن يحملون الجنسية

الإسرائيلية ولا يتحدثون العبرية . أما الممر الثالث : فهو للعرب الفلسطينيين الذين تتم معاملتهم بقسوة بالغة ، حتى نظام المواصلات والتاكسيات فى إسرائيل يطبق الفصل العنصرى بجدارة .

**** فى 1998/11/5 نشرت صحيفة " الحياة " مقالاً ليوسف القعيد** بعنوان " كاتبان مصريان فى إسرائيل .. كيف ؟ ولماذا ؟ " ويقصد كاتب المقال على سالم ورؤوف مسعد ، وقد قال الكاتب إننى أذكر على سالم بفيلمه " أغنية على الممر " وأذكر رؤوف مسعد بوصفه للإسرائيليين عندما غادر الفلسطينيون بيروت .

وقد فند يوسف القعيد دعاوى على سالم ورؤوف مسعد فى أسباب زيارتهما لإسرائيل أو فلسطين المحتلة وأن هذه الدعاوى لا تنطلى على أحد لأن الغرض منها هو ترسيخ التطبيع مع إسرائيل .

وقد نشرت الحياة رداً من رؤوف مسعد على يوسف القعيد فى 1998/11/22 وقد حاول فيه تفنيد ادعاءات القعيد له بالتطبيع وأنه – أى رؤوف مسعد – قد ذهب لإسرائيل للقيام ببحث ميدانى عن أحوال الفلسطينيين بعد 50 عاماً من قيام إسرائيل ، وأنه لا يفعل شيئاً فى الخفاء مثل الذين يقبضون من نظام صدام حسين وأننى قد ذهبت لإسرائيل فى مهمة لتليفزيون هولندا وزيارتى للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية فى إسرائيل لا تعتبر تطبيعاً من وجهة نظرى ؛ لأن الفلسطينيين يعيشون فى هذه المناطق أيضاً .

**** محذراً من اختراق إسرائيلى للمجتمع المصرى تحت ستار مراكز الأبحاث كتب جمال الدين حسين فى روزاليوسف بتاريخ 98/12/14** تحت عنوان " من يسمح بهذا الاختراق " وقد حذر الكاتب من اللافتات البراقة لمراكز الأبحاث وحقوق الإنسان وجمعها للمعلومات وعمل دراسات ممولة من منظمات أو جهات أجنبية تعمل من خلف بعضها جهات استخبارية وتستغل للإضرار بأمن مصر القومى .

وقد أشار الكاتب لما جاء فى تقرير لمعهد " جافى " الإسرائيلى فى 1995 واشتماله على قاعدة البيانات السكانية والجغرافية لمصر وقد جاء بالتقرير أن سكان وأصولهم تتضمن أن 58.043 مليون من أصول عربية و59 ألفاً من النوبيين أما اليونانيين والإيطاليين والأرمن 590 ألفاً وأصول أخرى 295 ألفاً وأن 55.448 مليون من المسلمين السنة و3.539 من الأقباط والطوائف المسيحية الأخرى .وحذر الكاتب من ارتزاق بعض هذه المراكز وتسهيل حصول الإسرائيليين على معلومات تمس الأمن القومى المصرى تحت ستار وزيف المراكز البحثية المصرية ومنظمات حقوق الإنسان .

** **نشرت صحيفة** " **العربى** " تقريراً عن تفنيد د. رشاد الشامى أستاذ الدراسات العبرية بجامعة عين شمس وخبير الشؤون الصهيونية لما قاله أسامة الغزالى حرب من أن لإسرائيل حقوقاً تاريخية وعاطفية فى القدس مقدماً بذلك وعد بلفور جديداً لإسرائيل ، وفند الشامى ما قاله الغزالى حرب بأن التاريخ ومنطقه يثبتان حقوق العرب فى القدس وفلسطين كلها وسيناء مثلاً بعد احتلالها من قبل إسرائيل عام 1967 قال غلاة ومتطرفو اليهودية : إنها جزء من أرض إسرائيل الكبرى ورغم ذلك حررناها كاملة فإذا سلمنا بهذا المنطق اليهودى المعوج والمزيف لتاريخ ما كانت هناك حاجة لشن الحرب لاسترداد سيناء إذا سلمنا أنها جزء من أرض إسرائيل الكبرى المزعومة .

وأثبت د. الشامى أن القدس لم تكن عاصمة سياسية لمملكة يهودية إلا فى عهد داود وسليمان إلا 70 سنة فقط قبل أن تنقسم هذه المملكة لاثنين إحداها عاصمتها نابلس ، وقد حررها الآشوريون والثانية يهودا فى الجنوب وقد دحرها البابليون ثم الرومان حتى دخل الإسلام فلسطين وصارت عربية حتى يومنا الحالى .

وأضاف الشامى : رغم أن أبواب فلسطين والقدس مفتوحة إلا أن عدد اليهود فى القدس من بداية الحركة الصهيونية حتى القرن التاسع عشر لم يزد عن خمسة آلاف يهودى .

– القدس فى المفهوم الدينى اليهودى الصحيح ليست عاصمة إلا فى حالة واحدة وهى قدوم المسيح المخلص ؛ ليقوم بدوره الذى نصت عليه أسفار الأنبياء وخاصة سفر أشعياء .

أما الغزالى حرب فيريد منا الرضوخ للقوة العسكرية الصهيونية مع التسليم لهم بكل ما يرددونه حتى لو كان مزاعم وخرافات ليس لها فى صدقية التاريخ أى منطق أو وزن .

** **وفى ذات السياق** عادت الجماعة الصحفية المصرية لتؤكد على قراراتها التاريخية فى رفض التطبيع ولتذكرنا أن د. سامى منصور كان وقت صدور بيان نقابة الصحفيين عام 1980 هو مقرر لجنة الحريات التى صاغت قرار النقابة التاريخى بتحريم وتجريم التطبيع الإعلامى مع إسرائيل .

** **وفى عام 1999** وصف ديفيد شاؤل مازحام سفير الكيان الصهيونى فى القاهرة النواب العشرة مقترحى مشروع قانون إلغاء معاهدة كامب ديفيد بأن هؤلاء الأشخاص وأحزابهم لا وزن لهم ولا قيمة، وكان عشرة من نواب مجلس الشعب وهم : على فتح الباب (عمل) وأحمد طه ومحمود زينهم ومحمد مرزوق (مستقلون) وأحمد ناصر وفؤاد بدراوى (الوفد) ومحمد عبد العزيز شعبان ومحمد الضهيرى والبدرى فرغلى (التجمع) وسامح عاشور (الناصرى) قد عقدوا مؤتمراً صحفياً بمقر حزب الوفد تحدثوا فيه عن دوافعهم لتقديم هذا المشروع بقانون ، وأجمعوا على أن المعاهدة كانت عواقبها وخيمة على مصر والأمة العربية والإسلامية من لحظة توقيعها ، وعدّد بعضهم نماذج من الخسائر المترتبة على تلك المعاهدة فذكروا : الفساد الأخلاقى الناجم عن السياحة الإسرائيلية وفتح الحدود،وتخريب الزراعة المصرية بالبذور والأسمدة المغشوشة، وإغراق مصر

بالعملات المزيفة سواء الدولار أو الجنيه المصرى أو غيرها ، أما على المستوى السيادى العسكرى فقد غلت المعاهدة يد مصر فى أن تضع قوات أو أسلحة فى شبه جزيرة سيناء ، فى الوقت الذى تمتلك فيه دولة الكيان الصهيونى أسلحة الدمار الشامل والصواريخ المحملة بالقنابل النووية والموجهة إلى كافة العواصم العربية والأهداف الحيوية فى مصر وغيرها .

وتحدث البعض عن تحويل مصر إلى وسيط وعرّاب لجذب دول عربية أخرى لمائدة المفاوضات المنفردة ، وعن الاتفاقات السرية أو شبه المعلنة للتعاون فى ضرب "الأصول الإسلامية" مما يحتم تحريك هذه الرغبة الشعبية وجمع التأييد لها من كافة الهيئات والجمعيات والنقابات والأفراد ، حيث سيتم جمع توقيعات فى عرائض تقدم للدولة .

أما بخصوص تفاصيل المشروع ، فقد أرجأ الأعضاء عرضها على الرأى العام لحين قيام أحزابهم بدراسته بدقة.

وكان الرئيس المصرى السابق أنور السادات قد اضطر لحل مجلس الشعب المصرى بمجرد توقيع معاهدة السلام ؛ نظراً لقوة المعارضة المصرية داخل ذلك المجلس ، وكان من بين أشهر المعارضين ممن توفاهم الله الشيخ صلاح أبو إسماعيل ، الدكتور حلمى مراد ، د. محمود القاضى ، المستشار ممتاز نصار ، ومن الأحياء الذين يساندون أصحاب المشروع وكانوا من معارضى المعاهدة بمجلس الشعب الذى جرى حله : المحامى عادل عيد ، وأحمد طه ، وخالد محيى الدين ، وكمال أحمد ، وعلى سلامة .

**** فى دراسة نقدية عن الكاتب – المطبع – على سالم وكتابه رحلة لإسرائيل جاء بزاوية (دنيا الكتب والتى يقدمها ابن النديم) بجريدة العربى الناصرى ما يلى :**

– يرد على سالم دائماً أنه سافر لإسرائيل تأييداً لحقوق الفلسطينيين ، رغم أنه لم يقرأ عن القضية ولا يعرف حيثياتها ولا مقدماتها ولا نتائجها ، فهو يذكر

التاريخ الحالى فقط ولا يركن إلى الماضى ، لأن الماضى يذكر دائماً أنه كانت هناك دولة اسمها فلسطين لذا فهو لا يريد عناء البحث عن الأسئلة التالية : أين ذهبت فلسطين ومن اغتصبها وشرد أهلها واحتل أرضها .

– الكاتب إذا تذكر الماضى للاستشهاد بنصوص التوراة ويلجأ للاحتماء بالسلام ولم يقف لحظة ليحدد لنا ما هو مفهوم السلام من وجهة نظره .

– هل وجد على سالم إجابة عن أسئلته التى زعم أنه سافر من أجلها وهى البحث عن ماهية هؤلاء القوم ومن هم وكيف يفكرون .

– على سالم فى مشاهداته فى إسرائيل يعقد مقارنات سريعة بينها وبين واقعه فى مصر أو البلاد العربية ، ودائماً المقارنة لصالح الواقع الإسرائيلى فهو يقدمه كنموذج يجب أن يحتذى سواء سلوكيات الناس وتصرفاتهم .

– لم ير على سالم ولم يسمع عن مذبحة الحرم الإبراهيمى بل سمع فقط عن محاولة تفجير سيارة وطعن سيدة فلسطينية لجنود محتلين صهاينة ، ووصف هذه الأخبار بأنها تثير الاكتئاب ولم يصف شعوره بالمقابل عن عشرات الضحايا والمصابين من جراء مجزرة الحرم الإبراهيمى وغيرها .

– يرى سالم أن الإخفاقات والهزائم التى حلت بالعرب لم يكن نتيجة للعدوان الصهيونى بل كان وفقط نتيجة أخطاء الحكام المستجدين بالعالم العربى .

– يرى سالم فى دعوته لتعلم العبرية أن مستقبل مصر لابد أن يمر بالضرورة بإسرائيل بل هو مرتبط بها .

– يرى على سالم أن ثورة يوليو ونظيراتها بالعالم العربى كانت وبالاً على الأمة العربية فقد وسعت أراضى إسرائيل وأفقدت العرب مئات الآلاف بين قتيل ومصاب ومشرد ومهجر من أراضيه .

– كتاب " رحلة إلى إسرائيل " ما هو إلا تجسيد لتزييف التاريخ العربى والمواقف العربية والقدرات العربية وقدم إسرائيل كنموذج رائع وسط غابة من التخلف العربى .

**** وفى ذات الفترة نشرت صحيفة " العربى " مقالاً لعبد الحليم قنديل على ثلاث حلقات** عن فاكس مرسل من إسرائيل لشخص شيوعى يدعى بهيج نصار الذى انتقل من أقصى اليسار الشيوعى إلى أحضان منظمات تدين بالولاء للصهيونية وإسرائيل عبر مكاتب المنظمة العربية للتنسيق مع المنظمات غير الحكومية .

وبدأ بهيج نصار يمد جسور الود مع الصهاينة عبر يهودى أمريكى يدعى بيتر وايز وبالفعل أكثر من 50 منظمة إسرائيلية تتعامل معه عبر المنسق الإسرائيلى آدم كيلر ، وبدأت لقاءات فى عدة عواصم أوروبية ما بين 1997، 1998 والعنوان الظاهر الإعداد لنداء لاهاى للسلام ودخل جورج سوروس والصندوق القومى اليهودى على الخط .

المهم أنه يوجد كثيرون وقعوا فى الفخ مثل بهيج نصار وأمل محمود ومحمد مندور وعزة الخميسى ، وكلهم وراءهم منظمات وهمية ولكنهم يختلفون عنه، لأنهم يدينون الاحتلال الإسرائيلى للأراضى المحتلة وبالطبع رفض بهيج نصار إدانة الاحتلال .

وفى لاهاى وقعت الفضيحة–وفقا لعبدالحليم قنديل–أكثر من 8000 مشارك فى مؤتمر جرى إعداده بدقة ، ترأس المؤتمر كوراوايز – صهيونية ومذيعة تليفزيون – ولاهاى نفسها قلقة من قلاع اليهود والصهاينة . وفى لجنة الرئاسة شيمون بيريز والممولون حكومات وهيئات غربية مثل وزارة الشباب والخارجية الهولندية ، سويسرا ، هيئة التنمية السويدية ، وزارة الخارجية البريطانية وجورج سورس ومؤسسة فورد والصندوق اليهودى ، المهم أنه تم تلميع المدعو بهيج نصار فى هذا المؤتمر ربما لإعداده لشئ قادم ربما على شاكلة تحالف كوبنهاجن .

**** نشرت صحيفة " الأسبوع " فى 1999/12/6** مقالاً بعنوان "صهيونيون أكثر من هيرتزل " حيث اعتبر اسامة انور عكاشة أنه يتصور أن يكون هناك

البعض منا يرون أن السلام هو طريق الرخاء والازدهار ولكن أن يعتنق مصرى أيديولوجية السلام الإسرائيلى ويقع فى غرام الفكرة الصهيونية ويستسلم ويسلم لها فهذا ما لا يمكن أن أفهمه أو أسوغه وهذا ما فعله رئيس ما يسمى بجمعية النداء الجديد السيد جلال فى برنامج " الاتجاه المعاكس " ، لأنه دافع عن إسرائيل أكثر من هيرتزل نفسه لو كان حياً فقد سمى الفلسطينيين إرهابيين وسوغ كل الأفعال الإرهابية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ، لأنها رد فعل من وجهة نظره على الممارسات الإرهابية للفلسطينيين .

** وفى ذات السياق فوجىء الحاضرون فى ندوة نجيب محفوظ بفندق شبرد بوجود الكاتب الإسرائيلى مناحم لويس .

مناحم كان يحمل كتاباً أعده عن نجيب محفوظ وقام بتوزيعه على الحاضرين وانتابته حالة من الحزن لعدم وجود على سالم فترك له نسخة مع أحد أصدقائه وجلس مع عدد من المثقفين الشبان وسألهم عن علاقتهم بجمعية أصدقاء السلام .

لفت انتباه أحد الحاضرين علبة الكبريت التى كان يحملها مناحم ومكتوب عليها باللغة العبرية وقال له : " أنت جايب معاك كبريت من تل أبيب " .مناحم ادعى أنه التقى بجمال الغيطانى فى أحد المؤتمرات بلندن إلا أن الغيطانى أكد لجريدة "الأسبوع" أن ذلك لم يحدث على الإطلاق وأنه لم يتحدث معه إسرائيليون مطلقاً .أحد الحاضرين سأل مناحم عن مصطلح ما بعد الصهيونية (الذى يرى أن مشروع الصهيونية لا يصلح كمشروع حياة الآن ، لأنه كان يهدف إلى التعبئة) فراوغ وسأله هل أنت مع الصهيونية أم ضدها ؟ .

** **وفى العام ذاته** وفى تطوير خطير ، ولأول مرة فى الوطن العربى تعلن جهة عربية أياً كان وزنها وشأنها ، تنازلاً عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين ، جاء هذا فى بيان أصدرته " جمعية القاهرة للسلام " التى تكونت أخيراً بالاشتراك مع حركة السلام الإسرائيلية ، كما تضمن البيان فقرة خطيرة أخرى

تنص على أن تظل القدس مدينة موحدة ، وبرر الجانبان ذلك بأنه على الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى الأخذ بعين الاعتبار الحقائق التى جرت على أرض الواقع .

وطالب الإعلان الطرفين – بعد قيام الدولة الفلسطينية واستيعابها للاجئين بالصورة التى تراها – بالتنازل مطلقاً وبدون شروط عن أى ادعاءات لاحقة حول اللاجئين واستعادة حقوق الملكية أو حق الاستيطان فى أراضى الدولة الأخرى .

وألقى البيان بعد يومين من الاجتماعات التى شارك فيها من الجانب المصرى كل من لطفى الخولى وصلاح بسيونى وعبد المنعم سعيد وعلى الشلقانى وناجى قمحة باللوم على شخص رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو وأفكاره التى أدت لتدهور خطير قادت إلى استمرار أعمال الإرهاب من المتعصبين على الجانبين ، ويأتى هذا الإعلان متناقضاً مع ما صرح به المتحدث باسم حركة السلام الآن لويس روث لصحيفة "فورود" الأمريكية ، والتى أكد فيها أن الحركة تؤيد اعتبار القدس " الموحدة " عاصمة لإسرائيل كما تؤيد انتقال السفارة الأمريكية إلى المدينة المحتلة وأن اعتراض الحركة على زيارة نيوت جينجريش رئيس مجلس النواب الأمريكى تنصب فقط على توقيت الزيارة وليس على أهدافها.

**** عن التطبيع الثقافى ودعاته نشرت صحيفتا " العربى والأسبوع " فى 1998 عدة موضوعات عن** جماعة كوبنهاجن أو جمعية القاهرة للسلام ، وقد وصفت " العربى " ما حدث فى ذكرى الانتفاضة الفلسطينية فى الثامن من ديسمبر عندما اختارت جماعة كوبنهاجن هذا التوقيت ؛ لتعقد اجتماعاً فى فندق ماريوت ضم ديفيد كيمحى ولطفى الخولى وعبد المنعم سعيد وصلاح بسيونى وعلى الشلقانى ومراد وهبة وحسن الحيوان فضلاً عن مشاركين من فلسطين والاتحاد الأوروبى .

وقد أعلنت الجماعة تكوين أمانة دائمة لنشاط جماعة كوبنهاجن ، كما أعلنت إقرار مبدأ شعبين ودولتين ، إحداهما فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية مع تغيير طفيف فى رسم الحدود كما تعتزم تنظيم مؤتمرات شعبية فى رام الله والقدس ثم القاهرة ونيويورك ويحضرها أطراف التحالف الدولى .

وقد أدانت أطراف وقوى سياسية مصرية تحركات جمعية كوبنهاجن المشبوهة ، منها اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع وكذلك لجنة الدفاع عن الثقافة العربية ، وكانت جمعية القاهرة للسلام – وهى الفرع المصرى من جماعة كوبنهاجن للسلام – قد أشهرت فى 1998/4/22 فى 12 شارع المرعشلى بالزمالك .

وقالت " العربى " : إن لطفى الخولى – أحد مؤسسى جمعية القاهرة للسلام – قال : إنه لا يوجد صراع مصرى إسرائيلى وإنما الصراع الحقيقى بين البلدين من جهة والأصولية الدينية من جهة أخرى .

وفى حديث للخولى مع محرر جريدة " هاآرتس " الإسرائيلية قال : إنه بدأ فى التغير عندما بدأ العرب فى الأراضى المحتلة ورجال منظمة التحرير الفلسطينية فى الاعتراف بضرورة وجود أمتين وشعبين ، وأن مبارك طلب منه السفر ضمن الوفد المصرى لمؤتمر مدريد ، ومن يومها بدأ يؤمن بالسلام كمنهاج للتعايش بين العرب وإسرائيل وهو ما دعاه لإنشاء جمعية القاهرة للسلام لتكون – حسب زعمه – بوابة وجسراً للتواصل بين الشعبين المصرى والإسرائيلى .

وفى نفس العدد أيضاً نشرت " هاآرتس " لقاءً مع عبد المنعم سعيد – مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام – قال سعيد : إن عمرو موسى أكبر مؤيد للتطبيع وأن من يحاولون معاقبة المطبعين سوف يفشلون .

وقد أجرى هذا اللقاء مع عبد المنعم سعيد فى إحدى غرف فندق بالقدس المحتلة .. وقال سعيد أيضاً : إن إعلان كوبنهاجن استهدف كشف الاستعداد الخفى للرأى العام الإسرائيلى تجاه السلام .

وقال : إنه يلوم الإعلام الإسرائيلى ؛ لأنه لا ينقل إلا من الصحف المعارضة فى مصر رغم أنها كلها مجتمعة لا توزع أكثر من 100 ألف نسخة والأهرام وحدها توزع 1.8 مليون نسخة يومياً وبها مقالات كثيرة ويومياً عن السلام والتطبيع .

وقال سعيد : إن موقف نقابة الصحفيين منه ليس مفهوماً ولكنه تحدى أن النقابة لن تستطيع أن تفعل شيئاً ضده ، كما أن نقابة المحامين لن تستطيع أن تفعل شيئاً ضد فريد الديب – محامى عزام عزام .

بعد حديث مدير مركز الأهرام للدراسات مع جريدة " هاآرتس " الإسرائيلية ومشاركته فى تأسيس جمعية القاهرة للسلام فهل أصبح مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وكراً للتطبيع ، هذا ما أجاب عنه بعض الأساتذة العاملين بالمركز منهم الدكتور عبد العليم محمد رئيس وحدة الشئون الإسرائيلية بمركز الدراسات الذى يرى أن ما حدث محض سلوك شخصى والمركز له نضال واضح فى مقاومة التطبيع منذ 1979 ، وأن دعاة السلام عبر جمعية القاهرة للسلام واهمون فالإسرائيليون لا يعرفون لغة السلام على الإطلاق .

الدكتور حسن أبو طالب يرفض بشدة إقحام مركز الأهرام فى مثل هذه المسائل لأن كل شخص يعبر عن رأيه فقط ولا يمكن لأى شخص مهما كان مركزه أن يكون ممثلاً لمركز الأهرام بكامله .

ويرى الدكتور عمرو هاشم ربيع أن جماعات السلام ليس لها أية أهمية فى إسرائيل فضلاً عن أن أسماء أعضائها ملوثة وكانت هذه الجماعات أول من دعت لتدمير العراق .

وفى سياق متصل قالت " الأهالى " : إن مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين قال : إن النقابة أحالت لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد للتحقيق وهذا لا يعنى توجيه التهمة لهما بل يعنى وضع الأمور فى نصابها الصحيح .

وقال يحيى قلاش – عضو مجلس نقابة الصحفيين : إن الأهرام لم تنشر إلا وجهة نظر مؤيدة للتطبيع وحرية الأعضاء فى خرق قرار الجمعية العمومية للنقابة برفض التطبيع جملة وتفصيلا .

من جانبه قال د. حمدى السيد نقيب الأطباء : إن قرارات الجمعيات العمومية لأية نقابة تصدر بالأغلبية فعلى الأقلية احترام رأى الأغلبية وهذا أيضاً ما دفع بيوسف عثمان – نقيب السينمائيين – للقول بأنه مع الحرية الكاملة لجميع الأعضاء لكن هذه الحرية غير مطلقة خاصة تجاه القضايا القومية وهو ما دفع النقابة لإحالة حسام الدين مصطفى – المخرج السينمائى – للتحقيق لقيامه بزيارة إسرائيل .

** **كشفت الصحافة المعارضة** عن إحباط محاولة إسرائيلية مشبوهة لتوريط جامعة القاهرة عن طريق اليونسكو فى مشروع إعداد ودراسة عن الجنيزة – الوثائق اليهودية بمصر – بعد أن اتضح أن الهدف الحقيقى هو تزييف التاريخ بما يخدم المزاعم الإسرائيلية .

وقد أوضح أساتذة اللغة العبرية بالجامعات المصرية أن جامعة القاهرة بحوزتها جزء من الجنيزة اليهودية ولدى الجامعة مركز متخصص لدراسة الوثائق اليهودية على أساس أنها جزء مهم من تاريخ الشعب المصرى .

** وفى التاريخ ذاته أعلن المسرحيون المصريون رفض جميع أشكال التطبيع مع العدو الإسرائيلى ورفض مجرد التفكير فى التعامل معه ورفض جميع محاولات الاختراق التى تحاول إسرائيل التسلل من خلالها إلى ثقافة مصر ، جاء ذلك فى مؤتمرهم الأول لأدب المسرح المنعقد فى مطروح .

* **وفى العام 1999** شهدت القاهرة مؤتمرين لمقاومة التطبيع مع إسرائيل ، وقد نظم أحدهما الحزب العربى الناصرى وشارك بالثانى ممثلون عن عدد من التيارات الفكرية والسياسية والنقابية المصرية التى دعت إلى عقد مؤتمر شعبى عربى فى القاهرة قبل نهاية العام لمقاومة التطبيع مع إسرائيل يضم جميع القوى

واللجان والهيئات العاملة فى ميادين مقاومة التطبيع على أن يتم الاتفاق على تشكيل أمانة للتحضير لهذا المؤتمر.

وأكدوا– فى بيان صدر فى ختام مؤتمر موسع لمقاومة التطبيع رداً على انعقاد مؤتمر تحالف قوى السلام الذى نظمته جماعة كوبنهاجن – التزامهم بالسلام الحقيقى العادل الذى يضمن إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس , وأعلنوا رفضهم للوهم الذى يروجه البعض والذى لا يمت للسلام الحقيقى بصلة .

وأعلنوا عن بدء الإجراءات القانونية لإشهار جمعية جديدة تكرس جهودها لمقاومة التطبيع ومكافحة الصهيونية والدعوة إلى السلام القائم على العدل مؤكدين رفضهم جميع أشكال التطبيع مع إسرائيل مهما تتعدد أو تتنوع المسميات .وأعربوا عن إدانتهم لانعقاد المؤتمر الذى نظمته جماعة كوبنهاجن ، والذى قالوا : إنه يهدف إلى ضرب وحدة الأمة العربية وتجريد القوى الوطنية والقومية من سلاح المقاومة .

** **هذا وقد** شهدت القاهرة مواجهات سياسية وقضائية جديدة وبوادر تصعيد شعبى فى شأن مسألة الاتصال مع إسرائيليين إثر لقاء شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى وكبير حاخامات اليهود الغربيين إسرائيل لاو والذى جرى فى نهاية عام 1997 .

وأصدر ممثلو خمسة اتحادات وروابط عربية وست نقابات ومنظمات مصرية بياناً انتقد المقابلة ودعا إلى إنشاء أمانة لتنسيق الجهود الوطنية والإقليمية المعادية للتطبيع مع إسرائيل .

وكان مندوبون عن اتحادات الصحفيين والمحامين والفنانين والصيادلة وأمانة مؤتمر الأحزاب العربية وممثلون مصريون عن اتحاد المهن الطبية ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية واللجنة المصرية لمواجهة التطبيع والصهيونية والحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية واللجنة المصرية لمقاطعة المنتجات الأمريكية والإسرائيلية ونقابة الصحفيين ، عقدوا اجتماعاً فى مقر الأخيرة بالقاهرة لدراسة توحيد الجهود بين المنظمات المعادية للتطبيع .

** وفـى العـام 1998 حضـرت300 شخصـية بـارزة إلـى منـزل تسيفى مازئيـل السفير الإسرائيلى للمشاركة فى الاحتفال بذكرى إنشاء دولة العدو الصـهيونى.

** **وفــى عــام 1999** قـرر المكتـب الـدائم لاتحـاد الصـحفيين العـرب فـرض عقوبات شديدة على الصحفيين المطبعين مع إسرائيل وقرر إعداد قائمة سوداء بأسـماء الصـحفيين الـذين قـاموا بـالتطبيع بالمخالفـة لقرارات الاتحـاد والإجمـاع العربـى ، كمـا تشـمل العقوبـات فصـل الصـحفى مـن النقابـة ومنـع مشـاركته فـى المؤتمرات الصحفية العربية والتشهير به مع احتمال فرض عقوبات مادية عليه .

ودعا الاتحاد الصحف العربية إلى الاستعانة بالصحفيين الفلسطينيين المقيمين فـى داخـل الأراضـى المحتلـة للعمـل كمراسـلين لهـا بـدلاً مـن إرسـال مـن يختـرق قـرارات رفـض التطبيـع . وأشـار الاتحـاد إلـى أن مـوقعى بيـان كوبنهـاجن هـم عملاء لأجهزة المخابرات الإسرائيلية ، وأن هذا البيان مرفوض عربياً ومدان من جانب الصحفيين والمثقفين العرب .

وكـان الاتحـاد قد نجـح فـى عقد أول اجتمـاع للمكتـب الـدائم لـه منذ 17 عامـاً عقب خلافات تم التغلب عليها بين الممثلين العراقيين والممثلين المصريين فى الاتحـاد وأصـدر بيانـاً فـى اجتماعـه الأسبوع الماضـى بدمشـق ضـد التطبيـع مـع إسرائيل .

** **نشـرت آفـاق عربيـة فـى 1999/3/4** خبـراً عن قيـام وفـد بحثـى صـهيونى بزيارة المركز القومى للبحوث فى إطار تبادل المعلومات والبيانات الأنشطة بين إسرائيل والمركز القومى للبحوث .

يـذكر أن عـدداً كبيـراً مـن الأسـاتذة والخبـراء بـالمركز قـد حـذروا مـن مغبـة هـذه الاتصـالات وطـالبوا بوقف كافة صـور التطبيع مع الكيان الصـهيونى .

** فـى سـياق متصـل نشـرت جريـدة الحيـاة فـى 2000/4/9 أن هيئـة الآثـار المصرية رفضت طلباً من أربعة باحثين إسرائيليين للاشتراك فى المؤتمر الدولى الثامن لعلوم المصريات بمشاركة 1500 عالم وباحث من 50 دولة .

** **نشرت الأسبوع فى 1999/4/5** عدة تقارير عن التطبيع ورؤية الإسرائيليين لـه ، فقد نشرت صـحيفة الجيروزاليم بوست تحقيقاً قالت : إنها جمعت عيناتـه مـن آراء شـباب الجامعـات المصـرية وأفـراد مـن الشـعب المصـرى وقـد خلصـت الصـحيفة من تحليل عينات هذه الآراء أن كل المصريين ضدنا بجميع فئاتهم وديانـاتهم فالحكومـة رغـم تطبيعهـا الرسـمى إلا أنـه يوجـد بـرود فـى العلاقـات السياسية وغيرها وكذلك وسائل الإعلام المصرية تأخذ موقفاً سلبياً تجاه إسرائيل فيما أكد شباب الجامعات على ضرورة تدمير إسرائيل وأصدقاؤنا فقط مصطفى خليل وعلى سالم وعبد المنعم سعيد ويوسف والى .

وجاء فـى مقال للكاتبـة الإسرائيلية " سـمدار بيرى " نشرته يـديعوت أحرونـوت، أنها تنفى التطبيع مع بقية العرب وأن كل الخطوط التى كنا نأمل فى ثباتها قد تقطعت ولـم يعد لنـا صـديق واحد سواء فـى مصـر أو الأردن بفعل التصـرفات الإسـرائيلية التـى أخافـت منـا الأصـدقاء قبـل الأعـداء فضـلاً عـن شـن أجهـزة الإعـلام فـى البلـدين هجمـات منظمـة ضـد إسـرائيل ممـا عمـق الشـعور السـلبى تجاهنا على كل الأصعدة .

** نشـرت " الجيـل " فـى عـددها الصـادر فـى 23 مـايو 1999 حـواراً مـع أ / صـلاح عيسى تناول فيه نقاطاً عديدة عن بداياته الأدبية والصحفية ثم استطردوا فـى إجابتـه عـن سـؤال عـن التطبيـع فقـال عيسـى : إنـه يطالـب بعقـد مـؤتمر للمثقفـين والسياسـيين لوضـع إطـار وتعريـف الكلمـة تطبيـع ثـم كانـت إجابتـه الصـادمة ؛ لأنـه اعتبـر أن مـن يعتبـرون الصـراع مـع إسـرائيل صـراع وجـود لا حدود هم الأقلية ، أما الأكثريـة فهم على العكس من ذلك تماماً ثم كان دفاعه

المستميت عن أدونيس وعلى سالم وهما من أوائل من دعيا للتطبيع الكامل بين العرب وإسرائيل لاسيما الثقافى منه .

** **وفـى العـام 1999** شـاركت حـوالى 17 شخصـية مصـرية فـى احتفـالات إسرائيل بانتصـارها علـى العرب فـى يونيـو 1967 .. توجهت هذه الشخصـيات إلـى القدس بنـاء علـى دعوة من الجامعة العبريـة للمشاركة فـى هذه الاحتفالات وعُلم أن قائمـة المصـريين الـذين لبـوا الـدعوة تضـم كـلاً مـن الـدكتور مصـطفى خليل رئيس جمعية الصداقة المصرية الإسرائيلية .. ود. أحمد فؤاد أبـو هدب مستشار وزير الزراعة ومنسق التطبيع الزراعى ، وكذلك لطفى الخولى .. من الذين اعتذروا عن الحضـور علـى سالم وأمين المهدى والمستشار شريف كامل كـذلك حـال المـرض دون سـفر عبـد السـتار الطويلـة الـذى وصـلته دعـوة مـن الجامعة العبرية الأسبوع الماضـى .

كما نشرت جريدة " الدستور" أن د. عبد المنعم سعيد بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام كان فى مقدمة المشاركين ، ومن بين المشاركين أيضاً عدد من الشخصيات الأردنية فى مقدمتهم الأميرة عائشة ابنة العاهل الأردنـى التـى قـدمت إلـى إسـرائيل ونزلـت فـى ضـيافة " إسـرائيليا إيـرون " قائـدة سـلاح المجنـدات فـى الجـيش الإسـرائيلى ، وشـارك فـى الاحتفـال الإسـرائيلى عـدد مـن أشهر باحثى الجامعة العبرية أمثال إيلى كوديه الذى قدم بحثاً عن موقف عبد الناصر قبيل حرب يونيو 1967 .

جاليا جولان الباحثـة الإسرائيلية المتخصصـة فـى الشئون الروسية قدمت بحثاً عن الـدور الـذى لعبـه السـوفيت فـى تـوريط عبـد الناصـر . نـادى هيئـة تـدريس جامعة القاهرة رفض دعوة الجامعة العبرية .

** قام وفد بحثـى صـهيونى خـلال عام 1999 بزيـارة للمركز القومـى للبحـوث فـى إطـار تبـادل المعلومـات والبيانـات والأنشـطة التـى يقـوم بهـا المركـز ضـمن خطتـه البحثـة للعـام 1999 .. وقـد ضـم الوفـد الصـهيونى عـدداً مـن الأسـاتذة

والخبـراء الـذين يتبعـون عـدداً مـن الجامعـات العبريـة ومراكـز البحـث العلمـى بالإضافة إلى المجمع البحثى العبرى .. الزيارة تمت فى نطاق من السرية ولم يتم إبلاغ بعض الأقسام المتخصصة بالمركز بهدف الزيارة وما سيترتب عليها من نتائج .. يذكر أن بعض الأساتذة والخبراء بالمركز قد حذروا من مغبة هذه الاتصالات وخطورتها على عملية السلام وطالبوا بوقف كافة صور التطبيع مع الكيان الصهيونى .

**** نشـرت صـحيفة " الحيـاة اللندنيـة " رداً لقـارئ سـورى علـى مقـال لأمـين المهـدى– أحـد رمـوز التطبيـع وسـبق الحـديث عنـه فـى التطبيـع السياسـى – نشـرته الحيـاة بتـاريخ 1999/11/27** بعنـوان " كيـف سـاعدت الفاشـية العربيـة الصـهيونية " وقد جاء بالرد : أن المفاهيم الصـهيونية فى ذهن الكاتب موجودة مسبقاً أكثر مما تعانى الأقطار العربيـة مـن الفاشـية، ولـو كـان العـرب فاشـيين لأقـدموا علـى احتجـاز اليهـود العـرب فـى معسـكرات مثلمـا فعلـت أمريكـا مـع مواطنيها من بنى الأصفر عندما بدأت الحرب مع اليابان ولكن العرب لم يكونوا فاشيين بما يكفى .

والمعروف أن إسرائيل وضعت خططاً جاهزة سلفاً لنقل وخطف اليهود الشرقيين فـور إعـلان قيـام الكيـان الإسرائيلى وحتـى قبـل ذلـك كـى لا يكـون هنـاك سـلاح رادع لها فى يد حكام العرب ألا وهو اليهود العرب .

ولم يتعرض اليهود العرب لأى ممارسات قاسية بحجة تأمين الجبهة الداخلية؛ لأنـه ببسـاطة تعاملـت معهـم الأنظمـة العربيـة علـى أنهـم مواطنـون لهـم كامـل الحقوق والواجبات وحتى الآن يهود المغرب حالة قابلة للدراسة حتى إن بعضهم وصل لدرجة وزير .

وحتى الستينات كان اليهود يعيشون فى دمشق ولم يرحلهم أو يبعدهم أحد وإنما اختـاروا الهجـرة طواعيـة بسـبب الإغـراءات التـى كانـت تقـدمها إسـرائيل لهـم وبعضهم هاجر من موطنه العربى ولكنه لم يذهب أبداً لإسرائيل .

** استقبل حسنى مبارك عام 1999 بمقر رئاسة الجمهورية وفد حركة "السلام الآن" الإسرائيلية ، وحركة السلام المصرية ، وصرح السيد لطفى الخولى الكاتب الصحفى – عقب المقابلة – بأن الرئيس استجاب لرغبة قيادتى الحركتين فى لقائه ، بعد سلسلة الاجتماعات التى عقدتها الحركتان بالقاهرة ، وصدر عنهما بيان مشترك يؤيد التطبيع.

** **وفى العام 1999** وفى الذكرى العشرين لتوقيع المعاهدة والتى مضت بلا أى إشارة مصرية قامت صحيفة جيروزاليم بوست الصهيونية بنشر تحقيق ادعت أنها أجرته بين عينة من الشعب المصرى وبدأته بالقول : " عشرون عاماً مرت على توقيع اتفاقية السلام مع مصر ورغم ذلك لم ينشأ مجرد سلام بارد .. وأصبحت الأمور أقرب ما تكون إلى حرب باردة كما يرى البعض " .

هذه الفقرة كانت تعليقاً على ما وصفته بتجرؤ عشرة من أعضاء مجلس الشعب المصرى ومطالبتهم بإلغاء كامب ديفيد تلك الوثيقة التاريخية .

وعلى حد قول الصحيفة : لم يكتب لهذه الحملة النجاح فقد أحبطتها الحكومة المصرية ولم يتمكن أصحابها من جمع تأييد أحزاب المعارضة الرئيسة فى مصر .. فالغالبية العظمى من قادة مصر السياسيين لا يرغبون .. كما يبدو فى العودة إلى الحرب مع إسرائيل أو التصادم مع الحكومة .

ويرى المحللون المصريون كما يقول التحقيق أن هناك إمكانية لحدوث تقارب أو نوع من التعاون الإقليمى بين مصر وإسرائيل .. ولكن لن يتم قبل توصل إسرائيل إلى اتفاقية سلام كامل مع الفلسطينيين والسوريين .. وعلى النقيض يوجد توجه بدأ يشيع فى القاهرة مؤداه أن أطراف اتفاقية السلام المنتظرين هم المنافسون على الزعامة الإقليمية التى كانت تتمتع بها مصر وحدها لفترة طويلة .. وقد تزامن هذا التوجه حسب ما ذكرته الصحيفة مع ظهور مجموعة تضم شخصيات سياسية وثقافية فيما يسمى بحركة السلام التى تدعو إلى فتح حوار مع الإسرائيليين وتنادى بأهمية كامب ديفيد ؛ لأنها جنبت مصر إراقة

الدماء بعد حرب دامت خمس سنوات .. كما أنها جنبت المنطقة بأكملها اندلاع حرب مدمرة وحررت شبه جزيرة سيناء .. ويؤكد البعض أن مناخ السلام سيستمد الروح من التطور الاقتصادى لمصر .. وعلى سبيل المثال يشير التقرير إلى آراء كل من الدكتور سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون الذى يؤكد باستمرار " أن الشعب المصرى اعتاد السلام ونسى الحرب ولم يعد هناك من يفكر أو يتحدث عن حروب أخرى " .

والدكتور عبد المنعم سعيد مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وقائد حركة السلام الذى يعتبر أن عودة سيناء لمصر هى أهم وأبرز ما جنته مصر من كامب ديفيد . وأشاد فى مقالته التى ينشرها فى صحيفة " الأهرام ويكلى " بحنكة السادات واقتناصه الفرصة المناسبة ودفعه الغرب للضغط على إسرائيل للتراجع وعقد السلام .

وينقل التقرير عن سعد الدين إبراهيم وجهة نظره القائلة بأنه لابد من الأخذ فى الاعتبار التغييرات الجذرية التى أحدثها السادات فى السياسة المصرية والتى قلبت الأوضاع فى مصر وهى أولاً : المصالحة مع الغرب وسياسة الانفتاح التى مهدت الطريق أمام سياسة التحرير الاقتصادى الحالية والاتجاه نحو التعددية بعد عقود من هيمنة الاتحاد الاشتراكى العربى والتى فرضها جمال عبد الناصر .. وهذه التحولات الثلاثة فى رأى سعد الدين إبراهيم دفعت بمصر نحو التقدم الاقتصادى والاستقرار السياسى فهى كما يقول : حققت ومازالت تحقق نجاحاً فى مصر بمعدلات وعلى مستويات مختلفة .. لكن المصريين يعتقدون كما يؤكد سعد الدين إبراهيم أن المعاهدة فشلت فى دفع عملية السلام على المسار الفلسطينى وتركت جوهر الصراع العربى الإسرائيلى قائماً إلى الآن .. كما أدت سياسة توسيع المستوطنات التى تتبعها حكومة نتنياهو وتراجعه عن اتفاقية " واى بلانتيشن " إلى تعقيد الأمور وحولت المدافعين عن السلام إلى صفوف مهاجميه .

ويرى " سعد الدين " أن تصرفات نتنياهو زادت من مشاعر العداء فى نفوس المصريين وليس نتنياهو وحده من أساء للسلام بل هناك تجاوزات إسرائيلية كثيرة لم تساعد على خلق مشاعر التفاهم .. فبعد شهر من الانسحاب الإسرائيلى من سيناء فى 1982 غزت إسرائيل لبنان ونتج عن ذلك استدعاء السفير المصرى من تل أبيب لمدة ثلاث سنوات .. كذلك السنوات الست التى قضتها مصر فى نزاع مع إسرائيل حول طابا .. ثم الانتفاضة التى تضامن معها الشعب المصرى وتسببت فى فتور العلاقات .

أما إسرائيل فترى أن مصر تسبب فى إفساد العلاقات السلمية ولم تبذل أى جهد فى تدعيم الصورة المثلى بإسرائيل باعتبارها (دولة جوار) تربطها بمصر علاقات صداقة .

بل على العكس استمرت وسائل الإعلام المصرية فى تصوير الوحشية الإسرائيلية وتصوير قادة إسرائيل فى صورة الإرهابيين والنازيين .

ويعتقد سعد الدين أن مستقبل العلاقات سيعتمد على من سيفوز فى الانتخابات الإسرائيلية المقبلة .

لكن كيف يمكن للسلام أن يفلح وينمو كما يتساءل التقرير .. ومصر لم تتعاون مع إسرائيل فى (22) مجالاً ورد ذكرها فى الاتفاقية واكتفت فقط بالتعاون الزراعى الذى يتمثل فى إيفاد حوالى (500) مصرى سنوياً للحصول على دورات تدريبية متقدمة فى مجال الزراعة فى إسرائيل .. واستخدام بعض الفلاحين المصريين بصفة شخصية تقنيات الرى الإسرائيلية.

بل إن هذا التعاون لم يسلم من هجوم الإعلام المصرى .. فقد تحول وزير الزراعة المصرى يوسف والى إلى فريسة سهلة وهدف لهجوم الحملات الصحفية الشرسة وخاصة صحيفة الشعب وهى من كبريات الصحف المصرية المنتقدة لسياسات الحكومة الاقتصادية والسياسية وهى واسعة الانتشار ، حيث يبلغ عدد قرائها 200 ألف قارىء .. وعلى سبيل المثال قامت " الشعب " مؤخراً بعرض

رسم كاريكاتورى يرسم اسم يوسف والى على شكل " ثعبان " ورسم آخر يصور والى وهو يطعن سكيناً فى قلب خريطة مصر بالإضافة إلى المقالات الكثيرة التى رصدتها الصحيفة لاتهام والى بالخيانة واعتباره عضواً فى الشبكة الصهيونية التى تتعاون مع إسرائيل؛ لتحقيق الطموح الإسرائيلى للسيطرة على مصر .

وبالانتقال إلى الإعلام المصرى فتؤكد الصحيفة أنه مستمر فى تصعيد المشاعر العدائية تجاه إسرائيل فعندما أعلنت إسرائيل مؤخراً أنها لن تمد الأردن بحصة المياه المتفق عليها فى اتفاقية السلام ، نشرت مجلة أكتوبر المعبرة عن النظام الحاكم مانشتات تقول فيها "حرب المياه بدأت فى المنطقة" كذلك أبرزت الإصدارات الحكومية من الصحف قصصاً تدعى الصحيفة الإسرائيلية أنها وهمية عن رفض مصر طلبات إسرائيلية بالمشاركة فى مهرجانات وأسواق دولية تقام فى القاهرة سنوياً .

ويعلل أحد المعلقين المصريين هذا الاتجاه إلى حاجة النظام الحاكم فى مصر لخلق عدو خارجى لتجنب محاولات القوى السياسية للمشاركة فى السلطة ، حيث يصعب التحدث عن التحول الديمقراطى والبلد مقبل على حرب ومن ثم فإن الرسالة غير المعلنة هى أننا مازلنا نواجه أعداء ولدينا قضية قومية محورها " فلسطين " !! .

ويضيف هذا المعلق المصرى الذى لم تذكر " جيروزاليم " اسمه : أن تعثر السلام على المسار الفلسطينى والسورى تسبب فى بقاء لهجة المواجهة مع إسرائيل فى الخطاب العربى ، كذلك يخشى القادة من تغيير أسلوبهم مع إسرائيل خوفاً من الصدام مع المعارضة المتشددة سواء الإسلامية أو القومية العربية التى تتهم الحكومة بخيانة القضية العربية والإسلامية .

أما مصطفى خليل رئيس وزراء مصر السابق فلم يخش الهجوم عليه وطلب من المصريين الإقبال على العلاقات مع إسرائيل فهى علاقات المستقبل الوثيقة

.. وعلى الرغم من شعوره بالقلق من خرق نتنياهو اتفاقيات السلام فهو يرى تقدماً كبيراً فى تطور العلاقات المصرية الإسرائيلية اقتصادياً ، ويقول : لو نظرنا إلى مستقبل الشرق الأوسط يمكن أن نقارنه بما حدث للاتحاد الأوروبى حيث كنا نسمع كثيراً أن فرنسا وألمانيا هما المحركان لعملية الاتحاد فى السابق ، والآن أنا أقول : إن مصر وإسرائيل هما محركان لاستقرار الشرق الأوسط .
ويضيف أن أسس التعاون بين مصر وإسرائيل تتزايد مع تقدم إسرائيل تكنولوجيا وتنافس المستوردين العرب على منتجاتها الزراعية .
ويتطلع مصطفى خليل إلى الغد الذى تشارك فيه مصر إسرائيل فى إنتاج البضائع ذات التقنية العالية والمنسوجات والمنتجات الأخرى التى تصدر إلى البلدان الأخرى .
ويكمل مصطفى حديثه : أعتقد أن المستقبل يحمل سوقاً كبيرة لنا بشرط أن نعيش فى سلام ولا نفكر فى الحرب .
* حاول على سالم المؤلف المسرحى المعروف أن يشرح لمجموعة من الطلبة من جامعة بن جوريون فى محاضرة ألقاها فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة سبب تخوف المصريين منهم بقوله : إنه بسبب قراءة الشعب المصرى لصحف المعارضة ، قد يعتقد البعض أنكم جنرالات من الموساد ولا نعرف من يطلق عليكم ذلك أهو يعنى ذلك أم أنها مجرد مزحة .
على سالم يعتبر كما تصفه الصحيفة من المثقفين المصريين الذين تجرؤوا وزاروا إسرائيل ، وهو من مشجعى الاتصال والتقارب المصرى الإسرائيلى فأصبح عرضه للهجمات الإعلامية التى أسمته " بالمطبع " ، فلسفة على سالم مناقضة للسياسة الإعلامية المصرية التى تصر على التمهل فى التطبيع حتى يعم السلام فى المنطقة فهو يقول : إنه يؤمن بتحقيق الخطوات السلمية الصغيرة مثل التحدث للطلبة وإرسال الفنانين والمثقفين إلى إسرائيل .. فلو أصبحنا شركاء فى مشاريع إسرائيلية على أى مستوى سندفع بالسلام للأمام .

أما الأصوات المؤيدة للسلام فتتجنب استخدام كلمة " تطبيع " فعبد المنعم سعيد مثلاً والذى تعرض لهجوم حاد بسبب إعلان كوبنهاجن يقول : " ما نفعله ليس تطبيعاً ولكنه حوار سياسى مشروع يهدف إلى إتاحة فرصة للسلام.

* هذا ما ذكرته الصحافة الإسرائيلية عن المطبعين ورؤيتهم للتطبيع الإعلامى والسياسى والتى ثبت فشلها فشلاً ذريعاً .

***

ثالثاً : حقبة الألفية 2001 – 2010 :

** نشرت صحيفتا " الأهالى " و" الميدان " فى أبريل 2000 تقريراً عن جمعية الصداقة المصرية الإسرائيلية التى حاول تأسيسها المخرج غير المعروف نبيل فودة وبعد أن رفضت وزارة الشؤون الاجتماعية التصريح له بإشهار الجمعية رفع قضية أمام القضاء الإدارى لإلزام الوزارة على الموافقة على إشهار جمعيته المشبوهة .

وقال نبيل فودة : إن إسرائيل ليست كلها شياطين ونحن نتعامل مع الملائكة منهم ويجب علينا أن نحترم شهداء إسرائيل كما نحترم شهداءنا .

وأكد أن تمويل جمعيته ذاتى وأنه على استعداد للسفر لإسرائيل ولكن من ماله الخاص . وبالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى فادعى فوده أن مصر هى من بدأت العدوان على إسرائيل وليس العكس .

وعن أهداف الجمعية قال : إن الجمعية ستعمل على تربية أطفال مصر على نبذ العنف والكراهية بل ستحثهم على محبة إسرائيل والإسرائيليين كما سنعمل بكل السبل على وقف الحملات الصحفية ضد إسرائيل أو الصهيونية، إلا أن الزمن لم يمهل المخرج صديق إسرائيل وتم رفض جمعيته قضائياً بعد لفظها شعبياً.

** وفى موازاة هذا السلوك للمخرج نبيل فودة صدر كتاب لمؤلفه مجهول آخر ضمن كتب (مهرجان القراءة للجميع) وعنوانه " من روائع الأدب القضائى "

لمؤلفه خالد القاضى .. يقدم الكتاب فى فصله " الثالث عشر " دفاعاً حاراً عن اليهود شعباً وعقيدة وديانة وأهدافاً ، ففى هذا الفصل يقدم المؤلف مذكرة دفاع حسن الجداوى المحامى الذى ترافع أمام محكمة مصرية عن يهوديين جاءا من فلسطين ، وقتلا فى نوفمبر 1944 " اللورد موين " وزير الدولة البريطانية بالشرق الأوسط وممثل بلاده فى القاهرة .

يبدأ الجداوى دفاعه الذى يعتبره المؤلف من روائع الأدب القضائى قائلاً : "وما حكاية اليهود إلا حكاية الرجل الذى يأبى أن يموت .. الرجل الذى ظل ثلاثين قرناً أو تزيد مشرداً فى الأرض ، محتقراً مرذولا يطرده هؤلاء ويضطهده أولئك ، وهو من ذلك سائر فى طريقه لا يحيد عنه .. لقد شاهد هذا الشعب الممالك ترتج حوائطها وتتهدم ورأى شعوباً عظيمة تنمحى من فوق سطح البسيطة ، رأى الفراعنة ورأى الكنعانيين ورأى الفينقيين والآشوريين والكلدانيين والفرس ، لقد انمحى هؤلاء ولم يعد لهم وجود وهو مع ذلك باق بقاءه الأول ، ممتلئاً حيوية أفنى اليونان وأفنى الرومان وهو باق، وطأه كل أولئك بالأقدام ومروا عليه فخورين مزهوين،ليسقطوا بعد ذلك فى الهاوية ويبقى هو ..يبقى ليحارب الزمن،إن الزمن والناس قد تحالفا عليه وهما يحاربانه ولكنه يعيش عيشته ويسير فى طريقه محتفظاً بعاداته ووسائله وهو ينتظر..وينتظر..مملكة الله فى الأرض التى بها يوعدون " .

* ولقد صدم هذا الكلام الصحافة المصرية المعارضة فكتبت جريدة " العربى " الناصرية يوم 2002/3/20 قائلة تعليقاً على هذا الكتاب وما احتوى من دفاع اليهود الصهاينة : لو صدر هذا الكلام عن يهودى صهيونى لقرأناه من باب " اعرف عدوك " ، ولكن أن يصدر عن مصرى فالأمر يختلف وينقلب الحال من " اعرف عدوك " إلى " انصر عدوك " .

ولو كان هذا الكلام صدر عن دار نشر خاصة لقلنا : إن ارتفاع ثمن الكتاب سيجعل الإقبال عليه محصوراً بين القلة،ولكن أن يصدر عن مشروع جماهيرى

تتبناه الدولة المصرية وتقدم كتبه بأسعار رمزية وعلى أوسع نطاق، فإن الأمر لا يكفى وصفه بالعبث ولا يكفى إحاطته بالشك والريبة وسوء القصد .ويستعرض الكتاب على مدار 26 صفحة أوصافاً وسجايا لليهود ترتفع بهم فوق مستوى البشر وتتسق مع أسطورة شعب الله المختار التى قامت عليه النظرية العنصرية الصهيونية ، كما أن الكتاب يؤكد على حقهم التاريخى فى الدولة الموعودة، وعاصمتها القدس بل ويدين المصريين لأنهم طردوهم من بلادهم ، ويستعرض الكتاب من خلال مذكرة الجداوى الدعاوى الزائفة التى روجها اليهود عن اضطهادهم فيقول: " ولكن حال اليهود السعيدة لم تطل..فرأينا هتلر يسيطر على ألمانيا فيسوم اليهود سوء العذاب:يقتل أبناءهم ويسبى نساءهم ويصادر أموالهم ويذيقهم عذاب الهون وتبعته فى ذلك عن رضا أو عن اضطرار إيطاليا وفرنسا ورومانيا وهنجاريا،كما طارد اليهود فى كل قطر غزاه وفى كل بلد فتحها " .

تقول العربى : هذان مثالان فقط مما جاء فى فصل كامل من كتاب " من روائع الأدب القضائى " . وإذا كان مؤلف الكتاب " المجهول " يرى أن مذكرة لقيطة لمحام مشبوه تعتبر من روائع الأدب القضائى ؛ لأنها تدافع عن اليهود الصهاينة وتتبنى مقولاتهم الزائفة وفكرهم العنصرى فإنه يكون قد أساء إساءة بالغة للقضاء المصرى الذى دمغ الحركة الصهيونية بالانحطاط والعنصرية من خلال عشرات الأحكام التى أصدرها ، والتى لاحقت جواسيس إسرائيل وأودعتهم السجون . ولا نريد استعراض آلاف الجرائم التى ارتكبتها الحركة الصهيونية والدولة الصهيونية ضد شعبنا الفلسطينى والشعوب العربية فكلها معروفة حتى لأطفال المدارس الذين هتفوا بقلوبهم فى مظاهرات تأييد الانتفاضة .. فقط لابد من اتخاذ إجراء إزاء هذا الكتاب .

** وفى العام نفسه أحالت نقابة الأطباء طبيباً إلى التحقيق ، اتهمته النقابة بالمشاركة فى تنظيم مؤتمر بالقاهرة بمشاركة إسرائيليين ، تم خلال المؤتمر

الإعلان عن تنظيم رحلة سياحية إلى تل أبيب .. أكد الدكتور أسامة رسلان أمين عام النقابة أن النقابة حذرت الطبيب من التعرض لعقوبات تأديبية لمخالفته آداب المهنة والتى تصل إلى الوقف المؤقت عن مزاولة المهنة ، كما حذرت النقابة إحدى الجمعيات الطبية المتخصصة بالاسكندرية من التعاون مع شركة " ليللى " الأمريكية للأدوية وطالبتها باحترام قرار الجمعية العمومية بمقاطعة الشركة التى تدعم المستوطنات الصهيونية .

** **وفى العام 2000 أيضاً** تسببت مشاركة صحفية إسرائيلية فى اجتماع دولى عُقد فى القاهرة ، فى تجديد الخلاف بين الصحفيين المصريين فى شأن الاتصال مع الدولة العبرية أو التطبيع معها .

وفيما أصدرت نقابة الصحفيين بياناً دعت فيه إلى مقاطعة الاجتماع الذى استضافه المجلس الأعلى للصحافة ، وشاركت فيه وفود 13 دولة بينها إسرائيل ، وشارك عدد من كبار الصحفيين فى فعاليات الاجتماع ، فيما قاطعه آخرون .

وكان المجلس الأعلى فى مصر وجه الدعوة لاستضافة الدورة السابعة للمكتب التنفيذى لمؤتمر الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية ، وافتتح الاجتماع بكلمة للرئيس حسنى مبارك ، ألقاها الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس أكد فيها حرص بلاده على الديمقراطية والتعددية الحزبية وحرية الصحافة وسيادة القانون ، كما تحدث نقيب الصحفيين إبراهيم نافع ، مؤكداً أن الصحافة المصرية شهدت فى العقدين الأخيرين حرية غير مسبوقة .

وجاءت مشاركة الصحفيين المصريين مخالفة لبيان النقابة الذى أصدرته قبل افتتاح المؤتمر بساعتين ولفتت فيه إلى أن المسئولية القومية والنقابية تتطلب مقاطعة المؤتمر التزاماً بقرارات الجمعيات العمومية المتعاقبة التى حظرت على أعضاء النقابة كل أشكال التطبيع المهنى والنقابى مع الأشخاص والمؤسسات

والجهات الإسرائيلية إلى أن يتم تحرير جميع الأراضى العربية المحتلة ، وكذلك التزاما بقرارات اتحاد الصحفيين العرب .

وقال سكرتير عام نقابة الصحفيين وقتها يحيى قلاش : إن المشاركة فى هذا المؤتمر بمثابة تطبيع واضح مع العدو الإسرائيلى لأنه اجتماع لمنظمات غير حكومية والمشاركة فى أعمالها تتم بالإرادة الذاتية ، ونحن الجهة الداعية والمستضيفة للمؤتمر ، وكان يجب الوضع فى الاعتبار قرارات النقابة الوطنية ، وتوصيات اتحاد الصحفيين العرب .

لكن عضو المجلس الأعلى للصحافة الدكتور رفعت السعيد رئيس مجلس إدارة صحيفة "الأهالى" المعارضة انتقد موقف النقابة، وقال لجريدة " الحياة": إن التطبيع علاقة ثنائية ونحن لا نقاطع الاجتماعات العامة ، وفى هذه الحالة علينا الانسحاب من الأمم المتحدة أو حتى من منظمة اليونسكو .

ولفت السعيد إلى أن هذه المسألة محسومة منذ زمن الاحتلال الإسرائيلى لسيناء ، وفى ظل الدولة الناصرية كان هناك قرار واضح بالمشاركة فى الفعاليات الدولية التى تشارك فيها إسرائيل وعدم الانعزال عنها ، وفى هذا السياق كنا نشارك فى المجلس العالمى للسلام الذى حضرته قيادات بارزة من الاتحاد الاشتراكى العربى للتنظيم الحاكم فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر وكان الأفضل لنقابة الصحفيين المشاركة فى هذا الاجتماع الدولى لحشد وتعبئة رأى عام لمصلحة قضاياهم المحورية بدلاً من المقاطعة .

ومن جهته استغرب الكاتب الصحفى كامل زهيرى عضو المجلس الأعلى للصحافة المشاركة فى الاجتماع ، وقال لـ " الحياة " أيضاً لم أشارك فوجود وفد إسرائيلى يعنى التطبيع مع الصحفيين المصريين ، ولفت إلى أن الأمم المتحدة أو غيرها من المنظمات الدولية تضم ممثلى دول وفقاً لقواعد قانونية ومعاهدات وتمثيل دبلوماسى ، واستخدام هذه المعانى سيتسبب فى خلط الأوراق وخرق جدار الرفض الإعلامى للتطبيع مع إسرائيل .

ويعد قول الراحل كامل زهيرى بمثابة رد على رفعت السعيد ومن يزينون أو يبررون التطبيع الصحفى بحجج واهية مثل تلك التى قالها !! .

** **نشرت صحيفة " الحياة اللندنية " فى 2001/1/14** عدة مقالات صحفية تتصل بالتطبيع مع إسرائيل حيث أكد أمين المهدى أحد دعاة التطبيع أن الحل الوسطى التفاوضى قد يكون فرصة حقيقية لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل .

وقد أشار الكاتب إلى غموض مصطلح السلام سواء على الناحية الإسرائيلية أو العربية والفلسطينية .

واعتبر الكاتب أن العرب ليست لديهم رؤية واضحة أو استراتيجية لخوض غمار الحرب أو السلام ، لأن لو كانت لديهم هذه الرؤية لأثروا فى المجتمع الإسرائيلى بحكم أنه مجتمع مفتوح ويمكن التأثير فيه حسب رؤيته ولأمكنهم حينئذٍ أن يفرضوا حزب العمل – بقيادته التى تميل للسلام – حكاماً لإسرائيل.

ودعا الكاتب إلى استقلال القرار الفلسطينى بعيداً عن التأثيرات الخارجية سواء كانت عربية أو غير ذلك .

فيما أكد الصحفى رضا هلال نائب رئيس تحرير الأهرام وأحد نشطاء حركة التطبيع المصرية (والذى اختفى لاحقاً ولم يستدل على مكانه حتى اليوم 2014) بأنه يجمد عضويته بجمعية القاهرة للسلام ، وبرر ذلك بأن بعض دعاة السلام والتطبيع فى مصر تحول مع الوقت إلى " لوبى " يتحدث باسم إسرائيل وكأنه مفوض بذلك ثم مع الوقت أيضاً تحول إلى الدفاع الشرس عن مصالح إسرائيل فقط ، فضلاً عن أن أنصار السلام فى إسرائيل صمتوا إزاء التعامل الوحشى لإسرائيل ومع الانتفاضة إلا القليل منهم .

فيما أشارت (الحياة) عبر مكتبها فى القاهرة إلى الانقسامات الحادة التى نشأت بين مؤسسى جمعية القاهرة للسلام بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية التى

شهدت معها حالات استقالات جماعية مثل رضا هلال ورضا محرم وعبد الفتاح عساكر وغيرهم.

** فى نفس الفترة الزمنية رفض مسئولون مصريون مشاركة أربعة باحثين إسرائيليين فى المؤتمر الدولى الثامن لعلوم المصريات فى القاهرة وحضره نحو 1500 من العلماء والباحثين من 50 دولة . وصرح زاهى حواس المدير العام لمنطقة آثار الجيزة الأمين العام للمؤتمر لوكالة " رويترز" بأنه رفض طلباً للمشاركة تقدم به ثلاثة باحثين إسرائيليين قبيل انعقاد المؤتمر ، ثم رفض طلباً آخر من باحثة إسرائيلية مع بداية أعمال المؤتمر الثلاثاء الماضى .

وقال : " أرفض شخصياً التعامل مع أى إسرائيلى قبل التوصل إلى السلام وإعادة الحقوق كاملة للفلسطينيين والعرب " ، وأضاف : " هدد أربعة باحثين أجانب بينهم أمريكيون على إثر ذلك بالانسحاب من المؤتمر لكنى أرفض هذا التهديد .. من يريد الانسحاب فلينسحب مشدداً على أن رفض التعامل مع إسرائيل هو موقف كل المثقفين المصريين " .

من جانبه قال الدكتور جاب الله على جاب الله الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار رئيس المؤتمر لـ " رويترز " : " لا أعرف تفاصيل ما حدث ، لكن ليس من المقبول السماح لإسرائيليين بالمشاركة فى المؤتمر " .

** **وفى نفس العام قام** مجلس نقابة المهن التمثيلية بفصل المخرج نبيل فودة من عضوية النقابة .

القرار جاء رداً على قيام المخرج بتأسيس جمعية الصداقة مع إسرائيل وهو قرار اتخذته أولاً اللجنة التى شكلتها النقابة للتحقيق مع المخرج ، والتى تشكلت من الفنان محمود رحمى والسيناريست يسر السيوى ، والفنان أحمد متولى ، وصدق مجلس النقابة على هذا القرار بالإجماع .. موجهاً بذلك لطمة قوية لكل دعاة التطبيع والمتهافتين عليه .

النقيب يوسف عثمان أكد أن القرار جاء تنفيذاً لتوجهات اتحاد النقابات الفنية التى تقضى بحظر التعامل مع إسرائيل إلا بعد الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة واسترداد الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى .

وموقف نبيل فودة – كما يقول يوسف عثمان – مختلف تماماً عن موقف المخرج الراحل حسام الدين مصطفى الذى اعتذر عن سفره لإسرائيل مؤكداً مصريته وعروبته وموضحاً أن سفره كان بناء على طلب من عمدة يافا لتبادل الرأى فى قضية السلام مع إسرائيل ، ورغم ذلك فقد وجهت إليه النقابة لوماً كان عقاباً كافياً لمخرج كبير مثل حسام الدين مصطفى .. فى حين أن فودة أقر بتأسيس الجمعية ومازال مصراً على موقفه والفرق شاسع بينهما .

** وفى سياق متصل بالعداء لإسرائيل لدى الشعوب العربية ، اتهمت المخابرات الإسرائيلية عبر بحث لها اعتمد على 2000 كتاب صدرت فى الدول العربية فى السنوات العشر الماضية بأنها تحوى كتابات تحرض على العداء ضد إسرائيل والشعب اليهودى ، واتهم التقرير مصر بأنها أكثر البلدان العربية عداءً لإسرائيل وأن غالبية الكتاب المصريين يكرهون إسرائيل ويتمنون زوالها من الوجود وأن كتب " بروتوكولات حكماء صهيون " واليهودى العالمى لهنرى فورد من أكثر الكتب انتشاراً ؛ لأنها تعطى صورة سلبية عن اليهود ، حتى كتب الأطفال لم تخلو من أساليب تحريضية ضد اليهود وهو ما أسماه التقرير " المدى البعيد فى التحريض ضد اليهود وهو ما تخشاه إسرائيل ؛ لأن الأجيال الصغيرة ستنشأ على كره الوجود اليهودى فى المنطقة ، كذلك كتاب كفاحى لهتلر من الكتب التى تلقى رواجاً فى العالم العربى وكذلك كتاب "حقائق تاريخية " التى تناول مقتل الأب توما بواسطة اليهود فى سوريا 1840م.

** **فى 2000/5/18 رفضت** وزارة الشؤون الاجتماعية إعطاء تصريح بإنشاء جمعية للصداقة المصرية الإسرائيلية لمخالفتها للمواد 16، 17 من قانون الجمعيات بالإضافة للممارسات الإسرائيلية السيئة ضد السكان العرب فى لبنان

وفلسطين، وكانت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة قد رفضت تأسيس جمعية الصداقة المصرية الإسرائيلية التى تقدم بها المخرج نبيل فودة.

من ناحية أخرى قرر مجلس نقابة المهن التمثيلية – كما سبق وأشرنا – فصل المخرج نبيل فودة من عضوية النقابة لمناداته بالتطبيع مع الكيان الصهيونى وهو ضد ما تنادى به النقابة من تجريم أى علاقات أو تطبيع مع الكيان الصهيونى .

** فى 2000/6/20 تم تنظيم مؤتمر المكتبات والمعلومات العالمى فى إسرائيل وقد قاطعته الجامعات المصرية والعربية وقد استغلت إسرائيل هذا الحدث للاحتفال بعيد ميلاد الناشر المصرى أمين المهدى(*) وصدور ترجمة عبرية لكتابه " الصراع العربى الإسرائيلى .. أزمة الديمقراطية والسلام " حيث شن هجوماً كاسحاً على الأنظمة العربية ووسائل الإعلام والمثقفين العرب المعادين للصهيونية .

وفى سياق متصل وفى حديث لأمين المهدى لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية وصف المهدى كل معارضى التطبيع بأنهم يمثلون صهيونية إسلامية فاشية .

** **وفى 2001/6/13** أكد مجلس نقابة الصحفيين فى اجتماعه برئاسة الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين رفضه القاطع التطبيع مع إسرائيل حتى تعود الحقوق الفلسطينية المغتصبة ودعا جميع الزملاء إلى الالتزام بقرارات الجمعيات العمومية المتعاقبة للنقابة والتى تحظر كل أشكال التطبيع سواء المهنى أو النقابى أو الشخصى .

وناقش المجلس المذكرة الموقعة من عدد كبير من الصحفيين التى تطالب المجلس بالتحقيق الفورى مع الزملاء حسن فؤاد وأشرف راضى وجهاد عودة

---

* وهو صاحب الدعوى الشهيرة ضد د. رفعت سيد أحمد عام (2002) (مؤلف هذه الموسوعة) لأن الأخير اتهمه بالتطبيع، وسبق أن اشرنا تفصيلا الى هذة القضية فى الفصل الثالث من الباب الأول (التطبيع السياسى). (المؤلف) .

لحضـورهم حفـل السـفارة الإسـرائيلية بالقـاهرة فـى ذكـرى اغتصـاب فلسـطين والإعلان عن قيام دولة إسرائيل .
وقرر المجلس تشكيل لجنة برئاسة عبد العال الباقورى وعضوية صلاح عبد المقصود وياسر رزق للتحقيق مع الزملاء فيما نسب إليهم ، وناشد المجلس جميع الزملاء أن تكون الانتخابات النقابية المقبلة مناسبة لإثارة القضايا وهموم المهنة من خلال حوار موضوعى وحضارى داخل نقابتهم وبيتهم الصحفى .
** **وفى نفس الفترة أيضاً نشرت تقارير** عن استرجاع بعض آثار مصر التى نهبها الجيش الإسرائيلى بعد حرب 1967 واحتلاله لسيناء . ويكفى أن موشى ديان – وزير الدفاع الإسرائيلى ، فقد استحوذ وحده على 900 قطعة أثرية نادرة وحول بيته لما يشبه متحفاً يضم كل العصور القديمة تقريباً .
وكان شغل اليهود الشاغل إثبات أى صلات بسيناء تساعدهم فى ادعاءاتهم وتزييفهم للتاريخ. وكانت تقارير صحفية قد تحدثت عن بيع إسرائيل لآثار مصرية منهوبة لبعض المتاحف العالمية وتم حصر ما تمت سرقته من سيناء فى 14 مجلداً تقريباً .
وقد تم الاتفاق بعد مفاوضات ومراوغات إسرائيلية متعددة وكثيرة على إعادة الآثار المسروقة على أربع دفعات لم تتسلم منها مصر سوى بعضها فقط .
** **وفى السياق ذاته وفى نفس العام** رفضت النقابات والهيئات المصرية ذات الصلة طلباً أمريكياً – إسرائيلياً للتدخل فى حرية الصحافة المصرية أو تكبيلها واعتبرت أن أية ذرائع فى هذا الشأن غير مقبولة ، وأكدت أن المساس بالصحافة المصرية يتعارض مع المبادىء الديمقراطية الراسخة التى تنادى بها الولايات المتحدة وأشارت إلى أن الصحافة الإسرائيلية تحذو بذات الاتجاه فى انتقاد مصر وسياسييها وطلبت مصر من إسرائيل أن تغير من مسلكها بما يؤكد الاتجاه نحو السلام .

كانت كل من واشنطن وتل أبيب قد تقدمتا بطلب إلى مصر حثتا فيه القيادة السياسية على التدخل لعدم نشر ما يسىء للعلاقات المصرية – الإسرائيلية والمبادرة إلى إغلاق الصحف التى تعمل على تسميم العلاقات بين الجانبين .

واعتبر الطلب أن ما تكتبه الصحف المصرية حول العلاقات يؤدى إلى إثارة الرأى العام وتهييجه ضد أى ارتباط للسلام بين الجانبين .

** **وفى فى فبراير 2001 ذكرت دراسة ميدانية بجامعة عين شمس نشرتها العربى** أن محافظة أسيوط أكثر المحافظات المصرية كرهاً للإسرائيليين ، فقد ذكر الباحث طه حسنين بقسم علم الاجتماع – جامعة عين شمس – أن كل المحاولات التى باشرها الإسرائيليون لخداع بسطاء المصريين بتقديم صورة منقحة لليهود وإسرائيل باءت بالفشل الذريع ، وذكر الباحث أن العينة العشوائية لفلاحين بسطاء أثبتت أن صفات الغدر والخيانة والمكر صفات لصيقة حسب العينة بالإسرائيليين بسبب سياسات إسرائيل المدمرة ضد العرب والمسلمين عامة وضد الفلسطينيين خاصة .

وذكرت الدراسة أيضاً أن هذه النسبة قلت قليلاً فى محافظة الإسكندرية ربما بسبب طابعها التجارى وأوضحت الدراسة أن الصورة السلبية لليهود غير مرشحة للتغيير بسبب سياسات العدوان الإسرائيلية المستمرة.

** **وفى السياق ذاته وفى 2001/2/6 نشرت جريدة القاهرة** تحقيقاً عن معسكرات بذور السلام الذى تم تنفيذه فى أكثر من دولة عربية وإسرائيل وهل هو مؤامرة أم عملية غسيل مخ لأطفالنا أم هو برنامج عادى لا يحتمل هذه الطروحات .

وقد قال الكاتب المعروف فهمى هويدى : إن المشاركة العربية فى أنشطة هذا البرنامج خطأ فادح وهذا أكبر برنامج أسسه الصحفى الأمريكى جون والاش بعد اتفاق إعلان المبادئ بين عرفات ورابين عام 1993 ولكن نفس الأطفال الذين حضروا البرنامج هم أنفسهم من خرجوا فى المظاهرات ضد إسرائيل .

واعتبر أسامة أنور عكاشة أن هذا البرنامج يعرض أبناءنا للخطر ، لأنه يخفى أغراضاً دنيئة الهدف منها إيجاد أجيال مستأنسة .

أما عبد المنعم سعيد – المعروف بميوله التطبيعية – فأيد هذا البرنامج وأكد أن الشباب العربى هو الأقدر على التأثير فى الآخر فهذه البرامج ربما تكون فائدتها أكبر بكثير من سلبياتها .

** " **فى 2002/2/3 نشرت صحيفة** " **العربى** تقريراً عن وثائق " الجنيزا " التى توجد فى معبد ابن عزرا اليهودى والجنيزا عبارة عن غرفة عالية مغلقة من جميع الاتجاهات ، يوجد فى أعلاها نافذة يصعد إليها بسلم وهذه الحجرة مخصصة لتخزين كل الأوراق التى تخص اليهود وطرق معايشهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والمعابد تقع مباشرة تحت إدارة هيئة الآثار ولكن مكتبات المعابد تحت إشراف المركز الأكاديمى الإسرائيلى وهو ما يعطى لإسرائيل فرصة للهيمنة على التاريخ المصرى وهو التاريخ الممتد فيما يتصل " الجنيزا " لما يزيد على 900 عام ، مما يجعلها مصدراً مهماً للتاريخ المصرى وهى مصدر مهم للعصرين الفاطمى والأيوبى وقد طالب د. محمد خليفة مدير مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة بضرورة المحافظة على وثائق الجنيزا واسترداد ما تم تهريبه للخارج باعتبارها وثائق مصرية صرف .

** **تحت عنوان " مأساة طبيب نفسى " نشرت جريدة العربى فى 2001/2/18** قصة الطبيب النفسى محمد شعلان الذى اعترف فى لقاء له مع مجلة " نصف الدنيا " أنه سعيد جداً بزيارته لإسرائيل هو وابنه فى الثمانينات وأنه يدعو المصريين والعرب لإقامة علاقات طبيعية مع اليهود مع استنكاره الشديد لموقف جامعة الأزهر منه بعد زيارته لإسرائيل كذلك اعترف بتعاطيه حبوب الهلوسة والحشيش والبانجو وبعض أنواع المخدرات الأخرى .

وقد رحب بقبول زيارة ثانية لإسرائيل فى أى وقت توجه له دعوة ، وقد دعا شعلان لإطلاق تعاطى المخدرات لجموع الشباب والشعب ولكن تحت إشراف طبى .

** **وفى 2002/9/2** عقدت ندوة أقامتها لجنة فلسطين باتحاد الأطباء العرب حول دور الإعلام العربى فى دعم الصمود الفلسطينى ومدى نجاحه فى ذلك . وقد أعرب المشاركون عن أملهم فى استمرار الدعم الإعلامى العربى لفضح سياسة الاحتلال العنصرى الإسرائيلى وإيصالها لوسائل الإعلام العالمية .

** **وفى نفس العام أكدت تقارير صحفية** أن المركز الأكاديمى الإسرائيلى عاود نشاطه بعد تولى السفير الصهيونى الجديد جدعون بن عامى وذلك بإقامة عدد من الندوات وتقديم دعوات لطلاب الأقسام العبرية بالجامعات المصرية وكذلك التعاون مع عدد من الصحفيين والباحثين السياسيين مقابل مبالغ مالية كبيرة إلا أن المركز بعد هذا النشاط الكبير ربما يكون فى طريقه للإغلاق التام وذلك بعد ترحيل أعضائه الأكاديميين والدبلوماسيين الذين أعيدوا للعمل فى الجامعات العبرية وديوان عام وزارة الخارجية الإسرائيلية.

** **وفى العام 2002 أيضاً شنت** الصحف الإسرائيلية حملة شعواء على بعض الفنانين المصريين تحت زعم معاداتهم للسامية وكراهية اليهود فى أعمالهم الفنية وخصت صحف تل أبيب أحمد السقا بسبب فيلم " مافيا " ومحمد هنيدى فى فيلم " صعيدى فى الجامعة الأمريكية " ومحمد صبحى بسبب مسلسل " فارس بلا جواد " والذى خصصت له مساحات واسعة من الهجوم نظراً لتناوله بروتوكولات حكماء صهيون ، وكيف خطط اليهود منذ القدم للسيطرة على العالم بكافة الوسائل القذرة وغير المشروعة .

يذكر أن مسلسل فارس بلا جواد لم تعترض عليه إسرائيل وحدها وإنما دخلت أمريكا على الخط وطلبت عدم عرض المسلسل المذكور ، لأنه يسئ للعلاقات

المصرية الإسرائيلية والمصرية الأمريكية بحجة أنه يدعو لكراهية اليهود ويعادى السامية حسب زعمهم .

** **وفى 2002** أيضاً نشرت تقارير عن مسرحية الكاتب المؤيد للتطبيع/ على سالم " شهر عسل " والتى أخرجها الصهيونى يعقوب كوهين والتى فتحت نيراناً جديدة على الكاتب المثير للجدل فى الوسط الثقافى المصرى والذى سبق وتم فصله من اتحاد الكتاب والسينمائيين والمسرحيين وعاش فى شبه عزلة بعدما أقدم على السفر لإسرائيل وتحوله لأحد الأبواق الداعية للتطبيع مع العدو الصهيونى .

وفى سياق غير بعيد اتهم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية " CAIR " بالوقوف جهات يهودية ، وراء الترويج لكتاب مشبوه يسئ للإسلام اسمه " أبناء إبراهيم – مقدمة عن الإسلام لليهود" من تأليف خالد دوران وهو يشوه صورة الإسلام والمسلمين .

** **وفى 2002/7/2 نشرت الميدان** أن اتحاد الكتاب قرر تقديم استشكال ضد حكم المحكمة الإدارية بشأن إعادة قيد الكاتب المسرحى على سالم فى الاتحاد . كان الاتحاد قد شطب على سالم بعد زيارته إسرائيل ودعواته الدائمة للتطبيع معها .

وفى سياق متصل تجرى الشؤون القانونية بنقابة المحامين التحقيق مع عدد من المحامين المتعاملين مع مؤسسات إسرائيلية بالمخالفة لقرار مجلس النقابة بحظر التعامل المباشر أو غير المباشر مع إسرائيل . وكانت النقابة قد قررت شطب أى عضو يثبت تعامله مع إسرائيل .

** **وفى العام نفسه دعمت وزارة الخارجية الأمريكية** طلب إسرائيل بزيادة وتيرة التطبيع الثقافى والصحفى بين مصر وإسرائيل وطلبت إسرائيل بالبدء فى بروتوكول تعاون ثقافى من 4 جامعات مصرية هى : القاهرة وأسيوط

والإسكندرية وعين شمس مع جامعات إسرائيلية فى مجال تبادل المناهج وتنظيم محاضرات مشتركة وذلك كنواة لتفعيله مع دول عربية أخرى .

** وفى ذات السياق أجرت الشئون القانونية بنقابة المحامين تحقيقاً مع عدد من المحامين المتعاملين مع مؤسسات إسرائيلية بالمخالفة لقرار مجلس النقابة بحظر التعامل المباشر أو غير المباشر مع إسرائيل ، وكانت لجنة الحريات بنقابة المحامين قد تقدمت بشكوى لمجلس النقابة تتهم عدداً من المحامين بالتطبيع مع إسرائيل ، ضمت قائمة المحامين المحالين للتحقيق تامر محمد محمد العالم ، ومحمد عبد العزيز منسى ومايكل عبد المقصود ومحمد سيد محمد توفيق ووليد سعد محمد على وعبد العزيز محمد عبد العزيز محمد ، وخالد كمال عبد المعطى حمودة ، وكان سامح عاشور نقيب المحامين قد أعلن مؤخراً أن مجلس النقابة قرر شطب أى محام يثبت تعامله مع إسرائيل.

** **وفى مايو 2005 عقد فى** المنامة عاصمة مملكة البحرين المؤتمر الشعبى العربى لمقاومة التطبيع مع الكيان الصهيونى ، المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام ، وانقسم إلى ثلاث ورش عمل ، منها ورشة أدارها الكاتب الصحفى فهمى هويدى تحت عنوان : كيف نقاوم التطبيع اقتصادياً وسياسياً ؟ وندوة يحاضر فيها د. ميلاد حنا من مصر ، وعبدالله القصير من لبنان ، ود. هدى عبد الناصر من مصر ، ومن الكويت عبد المحسن جمال ، ناقشت تطورات القضية الفلسطينية والانتفاضة .

الوفد المصرى للمؤتمر ضم حامد محمود وعبد العظيم المغربى ، وأمل محمود ، وبهاء شعبان ود.رفعت سيد أحمد والفنانة فردوس عبد الحميد ود. محمد هشام ممثلاً لأعضاء هيئة التدريس فى جامعات مصر ، أهم فاعليات المؤتمر هو لقاء عربى مصغر بين الوفود العربية المشاركة فيه ، سيناقش التجربة العربية فى مقاومة التطبيع مع الكيان الصهيونى .

الدورة الحالية للمؤتمر هى الدورة الثالثة لـه ، وهو فـى الأساس مؤتمر لحركات ولجان مقاومة التطبيع مع إسرائيل فى دول الخليج ، ولكن مشاركة وفود عربية فيه ، طرحت سؤالاً مهماً ، هل آن الأوان لتوحيد حركة مقاومة التطبيع فى كل قطر عربى ، أو لوجود هيئة قُطرية تنسق بين عشرات اللجان الوهمية والحقيقية التى تعمل فى هذا المجال ؟ .

وهل يكون مؤتمر حركات المقاومة فى الخليج بروفة لمؤتمر قومى يضم هذه الحركات على صعيد الوطن العربى تتدارس تجربتها وتنسق بين أنشطتها .

بمعنـى أدق تتحـول حركـة مقاومـة التطبيـع المصـرية والعربيـة إلـى فعـل يـومى منظم ، بدلاً من أن تظل عملاً موسمياً فردياً .

لقد طرحت هذه الأسئلة على العديد من الرموز الثقافية وأيدت فى مجملها عقد هذه اللقاءات مع إعطائها جرعة من الدعم الفكرى والدينى والمادى كى تستمر .

وأكدت تلك الرموز علـى أن الدعوة لمقاطعـة السلـع الأمريكيـة والإسرائيلية تعد عمل شعبى وبطبيعة الأعمال الشعبية تعتمد على المبادرة ويصعب تنميطها فى إطار تنظيمى فكل من تعن لـه مبادرة يحـاول تنفيذها ، وعلـى الرغم من أنـه قد تبلورت لجنة تنسيق تجتمع دورياً للتنسيق ؛ لتحقيق أكبر قدر من الكفاءة إلا أن بعـض المنتمـين للأيـديولوجيات يرفضـون الانصـياع للعمـل الجمـاعى ويجـدون أنفسهم فى العمل منفردين على الرغم من الجهود لتوحيد الجهود ، وهذه إحدى سمات العمل العام فى مصر وعلـى أيـة حـال أرى أن مـا يجمـع هذه الأطـراف أكثر مما يفرقها ، خاصـة وأن أكبر اللجان الشعبية وهى اللجنة المصرية العامة لمقاطعـة السـلـع والشـركات الصـهيونية والأمريكيـة (رئيسـها الشـرفى د. نـادر فرجانى) لها خبرة طويلـة فى هذا المجال وقد اتحدت مع ثمانى لجان عربية أخرى لـلأردن وسوريا وفلسطين والبحرين والإمارات واليمن إضـافة لمصـر ، ولجنة تاسعة تعمل وسط المغتربين العرب فى أوروبا وأمريكا ، وقد اتخذت هذه

اللجنـة الأكبـر " الثمانيـة " القـاهرة مقراً مؤقتـاً لهـا. وبـدأت تؤسـس عـام 2002 موقعـاً علـى شـبكة الانترنـت لشـرح أنشـطة اللجنـة ، ومـن المعوقـات الخطيـرة محاولة أصحاب الاحتكارات شراء ذمم القائمين على الدعوة للمقاطعة .

** فى نفس العام تزايدت الدعوات الإعلاميـة للانتباه للرموز الإسرائيلية فـى الملبس والعمل المعمارى والشعبى ، ومن بينها انتشار نجمة داود علـى الملبس وفـى المعمار ، الأمر الذى يدل علـى جهل المسئولين وبعض المثقفين لمعنـى التطبيع مع الإسرائيليين .

** نشـرت جريـدة " العربـى " فـى ديسـمبر 2002 عدة أخبـار وتحقيقـات عـن مسلسل "فارس بلا جواد " للفنان محمد صبحى والذى صاحب عرضـه ضـجة عالميـة بسبب اعتراض أمريكا وإسرائيل علـى عرض المسلسل ومـا قيل وقتهـا عـن تـدخل الحكومـة المصـرية لحـذف مشـاهد تتعلـق بانتقـاد الصـهيونية ؛ لأن المسلسل قائم علـى أن بروتوكولات صـهيون حقيقة وليست من محض الخيال كمـا يـدعى منـاوئو المسلسـل ، وقـال محمـد صـبحى بطـل المسلسـل : إن التليفزيـون المصـرى خضـع لابتزاز رئيس إسرائيل وتعجب صـبحى من موقف المنظمة المصرية لحقوق الإنسان التى أصدرت بياناً تتهم فيه المسلسل بمعاداة الأديـان ، فيمـا اعتبـر المؤلـف محمـد بغدادى أن ضـجة الصـهاينة والأمريكـان حول المسلسل قد أضرته بشدة ولم تفده .

من جهته دافع المخرج هانى لاشين عن الفنان محمد صبحى ومسلسل فارس بلا جواد وقال : نحتاج إلى فارس حتى لو كان بلا جواد أو كان فى مسلسل فقط ؛ لأن هذا إنما يعبر عن أن ثقافة المقاومة كامنة فى صدور الأمة وأنها لو وجدت مناخاً صالحاً فستظهر للوجود .

** ورغـم أجـواء الانتفاضــة الفلسـطينية التـى أدت إلــى إيقـاف نشـاط المركـز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة إلا أنه عاود الأخير نشاطه عام 2002 بعقد عدد

من الندوات والمؤتمرات التى تتناول قضايا إسلامية وعربية فى إطار الرؤية والتفسير الصهيونى .

وكان المركز الأكاديمى قد بدأ فى وضع مخطط صهيونى لضم أكبر قدر من طلاب الجامعات وخاصة من جامعة القاهرة إضافة لأقسام العبرى بالجامعات الأخرى مع توفير الإمكانيات والسبل لتقديم خدمات مميزة للطلاب فى تعليم اللغة العبرية والحصول على إصدارات وكتيبات متخصصة .

وكان رئيس المركز السابق يوسى أميتاى قد أعلن أنه فشل فى التعامل مع شرائح المجتمع المصرى وأوصى خليفته ديفيد كوشتر بضرورة وضع مخطط لمعالجة الثغرات التى وقع فيها المركز طيلة فترة توليه وهو ما نشر بالكامل فى نص التقرير السنوى للخارجية الصهيونية مؤخراً ، وكان المركز قد بدأ فى عقد سلسلة ندوات عن أثر الحكم الصهيونى فى القدس والممتلكات الصهيونية فى ضواحيها والخصوصيات اليهودية بالقدس(*) .

** **وفى عام 2002 أيضاً** أعدت منظمة صهيونية تعرف باسم " الرابطة اليهودية لمكافحة تشويه السمعة " تقريراً عن رسامى الكاريكاتير العرب وصفتهم فيه بأنهم معادون للسامية ، مبرهنين على ذلك بأنهم يصورون الشخصية الصهيونية تتلاعب بأمريكا ويساوون بين النازية والصهيونية فى رسومهم ، وجاء فى التقرير أن رسامى الكاريكاتير يتعمدون تصوير الشخصية اليهودية بأنف معقوف ولحية طويلة ، ويتضمن تقرير الرابطة عرض نماذج من أعمال الكاريكاتير للرسامين العرب والتعليق عليها ، وتضم القائمة الرسام المصرى " جمعة " والرسام السورى "ابن الخليل" كما وجهت الرابطة تهمة معاداة السامية لوزير الدفاع السورى وقتها مصطفى طلاس ، الذى صدرت له الطبعة الثامنة لكتاب " فطيرة صهيون " ، الذى يتضمن قصصاً عن أحبار يهود يقتلون أطفال

---

* انظر : فصل كامل عن نشاط هذا المركز فى باب التطبيع الثقافى (الباب الرابع).

فلسطين ليخبزوا بدمائهم فطيرة عيد الفصح ، وتصف الرابطة الكتاب بأنه يحوى افتراءات تماثل افتراءات المسيحيين على اليهود فى العصور الوسطى ، كما وجهت الرابطة تهمة معاداة السامية لعدد من المواقع المقاومة منها موقع " حزب الله " وموقع منظمة التحرير الفلسطينية ، وموقع " حماس " ووصفت الرابطة والمواقع بأنها تثير الكراهية ضد اليهود والإسرائيليين واتهمت المواقع بأنه من خلالها يجرى التخطيط والتنسيق للعمليات الإرهابية ضد الإسرائيليين والأمريكيين الأبرياء ، وحذرت الرابطة من أن المواقع تتيح للإرهابيين الإسلاميين نشر أفكارهم إلى المسلمين حول العالم ، وأنه من خلالها يتم الدعاية ضد إسرائيل وأهدافها بالإضافة لتمويل العمليات الإرهابية ضدها ، واقترحت الرابطة منع المستخدمين من الدخول إلى هذه المواقع عن طريق برامج الحماية ، وكانت الرابطة قد وجهت تهمة معاداة السامية إلى الفنان المصرى محمد صبحى – كما سبق وأشرنا – لقيامه ببطولة مسلسل " فارس بلا جواد " لتقديمه لـ "بروتوكولات صهيون " ، التى تعتبر حجر الأساس فى بناء الدولة العبرية من خلال السيطرة على العالم ، بينما يعتبرها اليهود ملفقة ومنسوبة إليهم زوراً من أجهزة أمن القيصر الروسى أليكسندر الثانى كذريعة للقضاء على اليهود وإشعال جنون أوروبا ضدهم .

** وفى السياق نفسه وتفصيلاً للخبر الموجز السابق الإشارة إليه ، من رفض القضاء لجمعية القاهرة للسلام تقول المعلومات : إنه بعد أربع سنوات من التداول فى محكمة القضاء الإدارى صدر تقرير مفوض الدولة فى القضية رقم 1796 بحل جمعية القاهرة للسلام وإلغاء أى آثار كانت قد ترتبت على قرار إشهارها ، التقرير الذى يعد وساماً على صدر القضاء المصرى أخرس الألسنة التى كانت تحاول المتاجرة بسمعة القضاء المصرى وتحاول الإيحاء بأن هناك ضغوطاً على القضاء الإدارى لعدم إصدار تقريره فى هذه الدعوى تحت زعم أن الظروف السياسية للوطن العربى لا تسمح بمواجهة مع إسرائيل أو اتباعها ،

ففـى 17 سـبتمبر 1998 أقـام السـفير إبـراهيم يسـرى المحـامـى والمـدير السـابق لإدارة القـانون الـدولى والمعاهدات بـوزارة الخارجيـة دعوى أمـام القضـاء الإدارى للمطالبـة بحـل (جمعيـة القـاهرة للسـلام) والمشـهرة بـرقم 392 لعام 1998 ووقف جميع أنشطتها وكافة القرارات المترتبة عليها ، وذلك لأن النشاطات التـى تقوم بهـا هـذه الجمعيـة لا تخضـع لأحكـام قـانون الجمعيـات ، بـل تعتبـر مـن قبيـل النشـاط الحزبـى السياسـى ، كمـا أن اعتبـارات المصـلحة العامـة توجـب التـزام الحذر من كل نشاط يتصل بإسرائيل حرصاً على سلامة البلاد وأمن الوطن ، الأمـر الـذى يغـدو معـه القـرار الصـادر بإشـهار الجمعيـة بـاطلاً ومعيبـاً بعـدم المشروعية ، وليس من شأنه ترتيب أى آثار قانونية ، وأوضح تقرير المفوضين أنـه لمـا كـان إجـراء الدراسـات والبحـوث وعقـد المؤتمـرات والنـدوات العلميـة لنشـر ثقافـة السـلام بمفهومـه الكامـل وتبـادل الزيـارات مـع الجمعيـات المماثلـة (فـى إسـرائيل) ، لا يعـد مـن قبيـل الخدمـة الثقافيـة والعلميـة والدينيـة التـى أنشـئت الجمعيـة للعمـل فيهـا طبقـاً للمعنـى المحدد لهـا قانونـاً . كمـا لا ينـدرج ضـمن أى من الميـادين المحددة باللائحـة التنفيذيـة لقانون الجمعيات والمؤسسـات الخاصـة أو تلك التـى يصدر بها قرار من وزير الشئون الاجتماعية .

وأشار تقرير المفوضين إلى أن القرار الذى صدر بإشهار الجمعية قد صدر من غير ذى اختصاص ومخالف لأسباب القانون وليس له ما يبرره وطالب التقرير بإلغاء القرار رقم 392 لسنة 1998 . السفير إبراهيم يسرى صاحب الدعوى أكد أن قرار مفوضـى الدولة ليس غريباً على قضاء مصر الشامخ الذى لا يخضـع لأى ضغوط والتـى كان الطرف الأخير يحاول الإيعاز بأن هناك ضغوطاً تتم ممارستها لعدم إصدار هذا التقرير .

وأكـد أن الظـروف السياسـية التـى تمـر بهـا المنطقـة والانتهاكـات الإسـرائيلية اليوميـة وأسـر الـرئيس الفلسـطينى وذبـح العشـرات مـن أبنـاء الشـعب الفلسـطينى الأعزل فى الأراضـى المحتلة كل هذا يدعو إلى عدم الاعتراف بأى جهة تدعو

للتطبيع أو الاتصال بالعدو الصهيونى ، ويوضح أن القيادة السياسية أصدرت قرارات بوقف كافة أشكال التطبيع عدا ما يخدم القضية وما تقوم به جمعية القاهرة للسلام يخرج عن هذا الإطار فهى تدعو لثقافة ما يسمى بالسلام وسط هذا التيار الجارف من الدماء التى تسيل على الأراضى الفلسطينية ، الأمر الآخر أن ما يسمى بتيار السلام داخل إسرائيل لم يقدم تنازلات أو يدعو إلا تنازلات مثلما يدعو تيار الاستسلام فى مصر .

وأشار السفير إبراهيم يسرى إلى أن استطلاعات الرأى داخل إسرائيل نفسها تؤكد عدم تأثير هذا التيار فى أى قرار يتم اتخاذه من جانب الحكومة الإسرائيلية بعد أن أصدرت هيئة مفوضى الدولة تقريرها بإلغاء جمعية القاهرة للسلام (انظر : فى قسم الوثائق فى نهاية الموسوعة صورة أصلية من قرار إنشاء هذه الجمعية) .

** وفى عام 2002 ومع بدايات العام الدراسى فى شهر سبتمبر شهدت القاهرة إجراءات أمنية مشددة حول مقر السفارة الإسرائيلية ومنزل السفير الإسرائيلى بالقاهرة قبل ساعات من استئناف الدراسة بالجامعات خوفاً من انفجار الغضب الطلابى .

** وفى خطوة وصفتها الدوائر السياسية بأنها تمهد لإغلاق السفارة الإسرائيلية فى مصر ، أغلق المركز الأكاديمى الصهيونى أبوابه وتم ترحيل عدد من أعضائه الأكاديميين والدبلوماسيين الذين أعيدوا للعمل فى الجامعات العبرية وديوان عام وزارة الخارجية الصهيونية ، وذلك بعد وقف الاتصالات الثقافية والتعليمية مع الحكومة الصهيونية بعد ترحيل أسر وعائلات وأعضاء الهيئة الدبلوماسية الصهيونية فى مصر .

** وفى عام 2002 قام عدد من مثقفى مصر بالإضراب داخل نقابة المحامين والذى يضم عديداً من الفنانين والشعراء والنقاد وهذا الإضراب كان عنوانه "إضراب حتى الموت أو طرد السفير الإسرائيلى " وقد رفض المشاركون

فى الإضراب تناول أى شىء إلا المياه فقط ، وقد توافد عدد كبير من الشباب والطلاب لمؤازرة المضربين ، لتحقيق مطالبهم ومطالب الشعب المصرى كله وطرد للسفير الإسرائيلى وغلق السفارة الإسرائيلية.

– وفى سياق متصل أوضح تقرير نشرته صحيفة صوت الأمة فى 2002/4/29 أن 75 شاباً وفتاة مصرية حاولوا التسلل عبر بوابة صلاح الدين فى محاولة منهم للوصول للأراضى المحتلة للمشاركة فى النضال ضد الاحتلال الصهيونى للأراضى العربية المحتلة ، وقد استشهد بعض هؤلاء الشباب لدى محاولتهم الدخول للأراضى الفلسطينية ومنهم الطفل ميلاد ، وقد حاولت 20 فتاة اقتحام بوابة صلاح الدين إلا أن السلطات الأمنية ردتهم وسلمتهن لذويهن .

– وبنفس العدد نشرت صوت الأمة تقريراً عن إغراق السوق المصرى بالورق الإسرائيلى عن طريق رجل أعمال هندى ينتمى للبهرة وهى طائفة شيعية متطرفة .

وقد نشرت الصحيفة وثيقة تبين مسار شحنة الورق الإسرائيلى من حيفا حتى ميناء دمياط ثم خروجها تحت نظام " الدروباك " وهو ما يعد تهريباً جمركياً مع فترة السماح لسداد الجمارك المستحقة عليها وهى أربعة أشهر .

**** وفى 2002/6/17 نشرت صحيفة " الميدان "** ترجمة لمذكرات بطرس غالى الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة والتى أدلى بها للصحفى الفرنسى " أيف بارتولو " وأهم ما جاء فيها :

– هو فخور لأنه كان مهندس العلاقات المصرية – الإسرائيلية .

– يرى أن إسرائيل يجب أن تندمج فى العالم العربى وتكون مثل هونج كونج.

– هو من حرض السادات على زيارة القدس .

– يعترف بطرس غالى بأنه هو الذى اقترح فتح مركز أكاديمى إسرائيلى فى القاهرة ومعهد مصرى فى تل أبيب .

– انتقد غالى النقابات المهنية الرافضة للتطبيع ووصفها بأنها منعت انخراط الشعب المصرى فى السلام ، وأخرت مصر كثيراً كما اعترف بطلبه مساعدة إسرائيل له لتولى منصب الأمين العام للأمم المتحدة .. يذكر أن زوجة بطرس غالى يهودية الديانة .

** **نشرت صحيفة " الأسبوع " فى 2002/7/8** رد سمير غريب رئيس دار الكتب المصرية على ما أثارته الصحيفة من وجود اتصالات بينه وبين جهات إسرائيلية وأنه فقط يتصل بالجانب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة إلا أن الصحيفة فى تعقيبها أثبتت أن الأرقام التى وردت فى فاتورة تليفون سمير غريب بها أرقام بالكود الإسرائيلى وتختلف بالطبع عن الكود الفلسطينى ، أما حصول سيدة بولندية على مواد ميكروفيلمية عن وقف أحد الأشخاص يرجع للعصر العباسى مقابل 30 جنيهاً فقط وعدم اتخاذ سمير غريب أى إجراءات إزاء هذه الواقعة هو ما يثير علامات كثيرة حوله ، لأن وثائق مصر أصبحت مرتعاً للأجانب خاصة اليهود مع العلم أن الزائرين لدار الكتب والوثائق المصرية لا تدون أسماؤهم فى سجل الزيارات وهناك بعض الوقائع التى طلب رئيس الدار من الأمن إدخال ضيوفه الأجانب دون اتخاذ الإجراءات المطلوبة والمتبعة فى هذه الظروف .

** **وفى 2002/8/12** نشرت عدة تقارير عن المقاطعة فأبرزت عدداً من الجامعات الداعمة للكيان الإسرائيلى وذكرت أن جامعة هارفارد ومعهد ماشوستس الأمريكية دفعتا 788 مليون دولار للشركات التى تعمل بمجال الاستثمار فى إسرائيل . وهذا الدعم اللامحدود من هذه الجامعة وهذا المعهد يأتى رغم معارضة أساتذة وطلاب هذه الصروح العلمية ، وقد طالب 590 من أساتذة وطلاب هارفارد وماشوستس بالتوقف فوراً عن دعم إسرائيل .

من جانبه أكد أحمد بهاء الدين شعبان مقرر اللجنة الشعبية للمقاطعة أن الولايات المتحدة خسرت 200 مليون دولار فى 3 أشهر فقط بسبب تراجع صادراتها للأسواق العربية لفاعلية سلاح المقاطعة شعبياً .

** **نشرت صحيفة** " **أخبار اليوم** " **فى 2002/11/2** فى ملحق الأدب والفنون عدة تقارير متعلقة بمسلسل " فارس بلا جواد " للفنان محمد صبحى وذكرت أن ردود الفعل الأمريكية مازالت غاضبة لعرض المسلسل فى رمضان على شاشة التليفزيون المصرى بجانب عدد من القنوات الخاصة بل وصل الأمر لطلب جماعات ضغط يهودية بقطع جزء من المعونة الأمريكية عن مصر بسبب عرض المسلسل الذى يفضح " بروتوكولات صهيون " وتدبيرهم لهدم الأخلاق والقيم النبيلة فى أى مجتمع يحلون به .

أما الفنان محمد صبحى فقال : إنه يقدم رسالة وطنية لاستبيان الحقائق التاريخية أمام جيل الشباب العربى ، ليعرف من هو العدو الحقيقى لأمتنا على مر التاريخ ولا يهمنى الموقف السلبى للأمريكان أو الإسرائيليين واعتبر أن ردود فعلهم المتشنجة شهادة نجاح للمسلسل قبل عرضه.

يذكر أن التليفزيون المصرى تراجع عن إنتاج المسلسل بعد موافقته المبدئية وتم إنتاجه عن طريق قناة فضائية خاصة .

** **وفى 2002** ألقى الفريق سعد الدين الشاذلى محاضرة فى منتدى عبد العزيز حجازى الثقافى والتى دعا فيها الحكام العرب للاستيقاظ من غفلتهم وضرورة قطع العلاقات مع إسرائيل وإيقاف ما يسمى بالتطبيع مع تقليص التجارة مع الولايات المتحدة وتخفيض تصدير النفط وإلغاء معاهدتى كامب ديفيد ووادى عربة والانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووى وتطبيق إصلاحات تحقق الديمقراطية الحقيقية والإصلاح الاقتصادى على أساس تحقيق تكامل عربى عربى فى كل المجالات .

وأكد الشاذلى أنه فى ظل كامب ديفيد يمكن لإسرائيل احتلال سيناء فى خلال 24 ساعة بسبب القيود المفروضة على القوات المصرية وعددها ونوعيتها بالمناطق أ ، ب ، ج .ودعا الشاذلى لضرورة دعم الانتفاضة الفلسطينية والمقاومة فى لبنان بكل الغالى والنفيس ، لأنهم يمثلون قواعد متقدمة للدفاع عن الأمة مع ضرورة الاستيقاظ من وهم السلام المزعوم مع العدو الصهيونى .

**** نشرت جريدة " العربى " فى 2002/10/20** تقريراً عن هنرى كورييل (الجاسوس الإسرائيلى القديم) والذى خدع الشيوعيين العرب حتى حسبوه واحداً منهم بل وينبرى أحد أساطين الشيوعية واليسار المصرى رفعت السعيد ليدافع باستماتة عن هنرى كورييل وأنه قدم خدمات جليلة لمصر إبان عدوان 1956 على قناة السويس ، وكيف أن ثروت عكاشة طلب رد اعتباره وإعادة الجنسية المصرية له بطلب من جمال عبد الناصر واستمر رفعت السعيد فى أقواله بخصوص هذا الجاسوس الإسرائيلى ومحاولته تمجيد تاريخه الملوث .مما دعا الناقد الأدبى إبراهيم فتحى للرد على رفعت السعيد موضحاً حقيقة هنرى كورييل وأن اسمه الحركى كان " يونس " وأنه كان زبوناً دائماً على بيوت الدعارة والمواخير قبل ثورة يوليو ثم هرب من مصر بعد الثورة خشية كشف أمره .وكيف أن كورييل حاول توطيد علاقته بثوار الجزائر من أجل إمداد إسرائيل لهم بالسلاح مقابل صداقة متينة بين إسرائيل والجزائر بعد استقلال الجزائر .وكيف عمل رفعت السعيد مع كورييل و" مجموعة روما " عبر المسؤول المالى لها اليهودى يوسف حزان ، من أجل عقد مؤتمر سلام يضم الفلسطينيين واليهود إلا أن هذا المؤتمر ولد ميتاً .

ولم يفت أن يشير التقرير إلى أن مجموعة روما وجهت خطاباً لعبد الناصر عام 1955 تدعوه فيها للاستجابة لدعوة السلام من بن جوريون .

**** وفى 2002/12/7 نشرت جريدة الأهرام مقالاً لعادل حمودة بعنوان " حاجز نفسى مكهرب** " وقد تحدث فيه عن صلاح بسيونى ووفاته المفاجئة

وكيف كان صلاح بسيونى من أشد المتحمسين للسلام ، وكان متحدثاً رسمياً باسم جمعية القاهرة للسلام بعد رحيل لطفى الخولى وتساءل الكاتب هل الأزمة القلبية التى أودت بحياة صلاح بسيونى كانت بسبب ممارسات إسرائيل المحبطة للمتطلعين للسلام ؟! .

ثم أشار الكاتب إلى أن العلاقات المصرية الإسرائيلية هى علاقات هشة ومعلقة على شعرة حتى إن السفير الإسرائيلى جدعون بن عامى يعانى العزلة الرسمية والشعبية والدبلوماسية ولم تنشر عنه الصحف المصرية إلا وقت اعتماد أوراقه كسفير ولن تنشر عنه إلا بعد انتهاء عمله كسفير لإسرائيل لمصر .

– لقد عاد الحاجز بين مصر وإسرائيل كأشد ما يكون ، وأشار الكاتب لعلى سالم الذى شذ بزياراته المتعددة لإسرائيل فعانى من العزلة من ألصق أصدقائه وتم شطبه من اتحاد الكتاب ، كذلك أصبح معظم من كتبوا عن السلام كبطرس غالى ومحمد سيد أحمد قد عدلوا كثيراً عن آرائهم ورؤاهم التى ساقوها فيما تم نشره لهم .

بقى كاتب واحد هو أمين المهدى الذى سفه رأى خصومه ورأى أن السلام هو قيمة أخلاقية وثقافية وسياسية ومازال مُصراً على رأيه رغم أن معظم الكُتاب والمثقفين الفلسطينيين قد انسحبوا من الحوار أو التواصل مع نظرائهم الإسرائيليين .

** **وفى نفس الفترة عقد** اجتماع شبه سرى لبعض أنصار السلام والتطبيع فى فلسطين داخل مركز الأهرام الدراسات والأبحاث ، وقد أدار الحوار حسين عبد الرازق حيث تم طرح أفكار 3 من عرب 48 وهم : نظير مجلى الكاتب اليسارى وإميل شوفانى المسيحى العلمانى على حد وصفه لنفسه وأحمد العفيفى – رجل أعمال فلسطينى .

وقد أكد نظير مجلى وجهة نظره أن أفضل الطرق للوصول للسلام هى مخاطبة المجتمع الإسرائيلى غير المتعصب ومحاولة التأثير فيهم بعيداً عن التجييش

والخطاب الحماسى وأشار إلى تقبل الإسرائيليين لمفهوم السلام وعلينا أن نوضح لهم أننا لم نكن طرفاً فى اضطهادهم أو إبادتهم .

أما إميل شوفانى صاحب كتاب (مثل الرفيق ينتظر السلام) فقد أكد أنه يدعو للحل على طريقة السلطة الفلسطينية عن طريق التفاوض للوصول لسلام دائم وأكد أنه ليس عنده مانع من الوقوف مع ضحايا الهولوكست ، لأننا لم نكن طرفاً فيه .

وأشار إلى أن التطبيع أو المقاطعة لم يحققا ما نصبوا إليه والحل هو الحوار مع الشعب اليهودى ذاته بلا واسطة وأكد أنه مواطن إسرائيلى يبدى وفاءه للدولة التى تتكون من عرب وإسرائيليين .

** وفى ذات العام كشف الفنان محمد صبحى أن هناك جهات إسرائيلية استطاعت الحصول على نسخة من مسلسل " فارس بلا جواد " بعد الانتهاء من تصوير الحلقة العشرين وهى فى الغالب السفارة الصهيونية فى القاهرة .

جاء ذلك فى الندوة التى عقدتها نقابة المحامين.

وأشار صبحى إلى أن ما تم عرضه من " فارس بلا جواد " يمثل ثلاث فترات تاريخية هى : الاحتلال التركى والإنجليزى ويعقبه الحركة الصهيونية التى بدأت منذ عام 1897 .

وأضاف : لقد قررت صناعة هذا المسلسل للرد على ما يفعله الصهاينة من مجازر للشعب الفلسطينى والتهديد بضرب الكعبة والمسجد الحرام بالسلاح النووى كما قال متطرفوهم ، وكان لابد أن أرد وليكن ما يكون .

** من ناحية أخرى أكد المؤلف والشاعر محمد بغدادى – مؤلف مسلسل فارس بلا جواد – أن بروتوكولات حكماء صهيون موجودة بدليل أنهم نفذوا جزءاً كبيراً منها ، وأشار إلى أنه لم يزور التاريخ وأن مسلسل فارس بلا جواد هدفه إشعال روح المقاومة ضد الصهاينة ..

** أما المخرج أحمد بدر الدين مخرج مسلسل " فارس بلا جواد " فقد أكد أن ما تردد مؤخراً عن شخصية " حافظ نجيب " بطل المسلسل ، أنها شخصية حقيقية ، وهى لمغامر ونصاب مصرى عمل مع المخابرات الفرنسية وارتبط بالحركة الصهيونية العالمية ، ووصف هذا بغير الصحيح .

** **وفى 2003/1/5 نشرت العربى** أن إسرائيل ظلت طوال ثمانية أشهر هى بداية البث العبرى لبعض البرامج والنشرات عبر قناة النيل الدولية تعرض خدماتها واستقبال العاملين بالبث العبرى ؛ لعقد دورات تدريبية لهم بل وإمداد البث العبرى بكل المواد الأرشيفية والمعدات التى يحتاجها القسم إلا أن التليفزيون المصرى ممثلاً فى إدارة قناة النيل الدولية رفضوا هذه المحاولات المتكررة وقالت هالة حشيش رئيس قناة النيل الدولية : إن البث العبرى لن يكون بوابة إسرائيل الذهبية لاختراق التليفزيون المصرى .

** **وفى 2005/7/24** تداولت الصحف خبراً عن أن الكاتب على سالم أعلن تقاعده عن خدمة التطبيع وذلك بعد 12 رحلة تطبيعية بين مصر وإسرائيل والتى حاول بكل الطرق أن يكرس لثقافة التطبيع الثقافى بين مصر وإسرائيل مما جعله هدفاً لقذائف الصحافة والإعلام المصرى دائماً ، ولكنه بعد أن شعر بالضعف على مقاومة ذلك توقف بمحض إرادته عن دوره كمروج للتطبيع الثقافى بين العرب وإسرائيل .

** **وفى العام نفسه (2005) أعلن** عن سفر على سالم رائد المثقفين التطبيعيين لإسرائيل لتسلم الدكتوراه الفخرية التى منحتها له جامعة بن جوريون تقديراً لشجاعته وجهوده فى التطبيع الثقافى والسياسى بين مصر وإسرائيل .

** **كما نشرت الصحف المعارضة** خبراً عن احتفال الصحف القومية بحصول سوزان مبارك على جائزة منظمة " بذور السلام " ولكنها تجاهلت أن هذه المنظمة يهودية وهى معنية بتحقيق التطبيع بين إسرائيل والدول العربية من خلال معسكرات يدعى لها شباب عربى صغير السن يتم تلقينه ما شاؤوا من

مفاهيم تصب كلها فى صالح إسرائيل ووصفها بأنها منارة للديمقراطية وسط جيران لا يؤمنون بالسلام .

وقد اعتبرت المنظمة سوزان مبارك من القيادات النسائية العالمية التى تدعو لنبذ العنف وإرساء مبادىء وقواعد السلام الدولى .

** وفى نفس العام تم لقاء وزير الثقافة فاروق حسنى مع السفير الإسرائيلى وزعمت الصحيفة أن فاروق حسنى ذكر للسفير الإسرائيلى أن التطبيع قرار شعبى وليس سياسياً وأنه يجب على إسرائيل تغيير نظرتها العنصرية الصهيونية نحو الثقافة العربية والإسلامية .

** **وفى عام 2005 أيضاً أكدت وسائل الإعلام** أنه بعد فشل إسرائيل المتكرر أن يكون لها موطىء قدم فى الثقافة المصرية رحبت هى بشدة بمبادرة من مخرج مصرى مغمور لعرض فيلمه فى دور العرض السينمائى الإسرائيلية فى تل أبيب ، رغم أن الفيلم يتناول الاحتلال الإسرائيلى لأراضى فلسطين ولكن إسرائيل رمت من وراء ذلك تزييف الحقائق ومحو الرسالة التى يحاول مخرج الفيلم تقديمها والتى تعكس واقع النكبة الفلسطينية أما الهدف الثانى فهو مغازلة مصر ممثلة فى غرفة صناعة السينما ووزارة الثقافة فى مصر لتطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل فى هذا المجال .

** **هذا وقد نشرت العربى فى 2005/7/10 مقالاً للدكتور صلاح الراوى** بعنوان " تطبيع بتوصية لأمن الدولة " وقد تناول فيه د. سوزان.س مؤلفة كتاب عن أبى حصيرة ، أثار نشره ضجة كبرى عام 1998 كما أنها تعلن فخرها بصداقة رئيس المركز الأكاديمى الإسرائيلى وزوجته ، كما أنها تشير ليوم 1948/5/15 وهو يوم تأسيس الكيان الصهيونى بأنه يوم الاستقلال الإسرائيلى .

وقد سبق لهذه الكاتبة المشاركة فى فعاليات وندوات المركز الأكاديمى الإسرائيلى كما شاركت مرتين فى مولد أبى حصيرة .

يذكر أن سوزان .س تعمل بأكاديمية الفنون وقد رفض مؤتمر أدباء الأقاليم ببنى سويف وجودها بالمؤتمر وقاموا بطردها .
وقد أورد د. صلاح الراوى أن هناك بعض الشخصيات مثل مقرر لجنة الفانون الشعبية يدعم ويحرض تلك الكاتبة للجوء لأمن الدولة لتقديم بلاغات ضد زملائها فى أكاديمية الفنون لمجرد اعتراضهم على سلوكها الداعم للتطبيع مع الإسرائيليين .
** **نشرت صوت الأمة فى 2005/7/11** تقريراً عن إقامة ليلة ثقافية عبرية فى فندق سميراميس وبحضور 100 شخص ما بين صحفيين ورجال أعمال ومثقفين مطبعين ، أقيمت ندوة فنية حول رواية " ياسمين " للروائى الإسرائيلى " إيلى عامير " العراقى المولد اليهودى الديانة والإسرائيلى الجنسية .
وكان من أبرز الحضور على سالم وحسين سراج الصحفى بمجلة أكتوبر . يذكر أن الصحف الإسرائيلية وصفت تعاون وزارة الداخلية المصرية لإقامة الندوة أنه أكثر من ممتاز .
** **بالمقابل وفى نفس العام أكد** جموع الصحفيين المصريين رفضهم مجدداً للتطبيع مع الكيان الصهيونى بعد أن افتتحت الخارجية الإسرائيلية قسماً خاص للتواصل مع الصحفيين العرب .
وقد أشار إبراهيم منصور عضو مجلس نقابة الصحفيين إلى أن التطبيع مع إسرائيل يتم عن طريق صحفيين من عرب 48 مثلما يحدث مع صحيفة الشرق الأوسط اللندنية التى تتعامل مع نظير مجلى وهو صحفى فلسطينى وليس إسرائيلياً من داخل أراضى 48 .
فى حين أشار د. سيد سليمان أستاذ اللغة العبرية بعين شمس إلى أن أحد الصحفيين المصريين يتواصل مع الصحف ووسائل الإعلام الإسرائيلية وذهب إلى إسرائيل ولم يعد مرة أخرى ، لأنه مطلوب للأجهزة الأمنية المصرية وأكد أن إنشاء إسرائيل لهذا القسم يهدف لجذب أصحاب النفوس الضعيفة من

الصحفيين العرب والمصريين ويهدف القسم كما تقول رئيسته أميرة أورون إلى سد الفجوات بين وسائل الإعلام الإسرائيلية والصحفيين والإعلاميين العرب .

**** وفى نفس العام ذكرت الصحف فى تقارير مهمة لها عن شبكة انترنيوز الإعلامية عام 1982** والتى أثارت جدلاً كبيراً منذ نشأتها فهى أمريكية الأصل ونشأت هذه الشبكة فى كاليفورنيا وهى عضو تمويلى فى مجموعة انترنيوز الدولية التى يعمل أعضاؤها فى 74 دولة حول العالم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية وقد عملت شبكة انترنيوز العربية التى تتخذ من مصر مقراً لها على دعم وتطوير التشريعات الإعلامية فى 17 دولة لتعزيز الحرية الممنوحة للإعلام وكذلك دعم ممارسة سياسات إعلامية منفتحة فى العديد من الدول العربية تشمل اتباع سياسة تحرير وسائل الاتصال وتسهيل الوصول إلى الانترنت .

وعن ممارسة السياسات الإعلامية والتى تنادى بها انترنتيوز خاصة فى مصر منذ 2003 فإن علامات استفهام لها أغضبت الصحفيين خاصة علاقات هذه المنظمة بالإسرائيليين .

**** وتحت عنوان " تطبيع بطريق الخطأ " ذكرت روزاليوسف فى 2005/9/17** خبراً عن مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والقصيرة وأنه تم عرض الفيلم التسجيلى الإسرائيلى "اللمبة الحمراء" بطريق الخطأ حسب زعم إدارة المهرجان .

** فى هذه الفترة ظهر فيلم " السفارة فى العمارة " لعادل إمام وللكاتب يوسف معاطى ، وللحق يعتبر هذا الفيلم من أوائل الأفلام التى عالجت قضية التطبيع مع إسرائيل بشكل جاد ورصد مؤلفه مدى التوافق الشعبى المصرى مع رافضى التطبيع وكذلك أشار فيه بقوة للداعين للتطبيع.

** وفى العام نفسه وعن لقاء فاروق حسنى بالسفير الإسرائيلى وما تسرب من اللقاء عن رفض الوزير للتطبيع جاء رأى رئيس اتحاد كتاب مصر الكاتب

محمد سلماوى الذى قال : (إن واجبى كمثقف ورئيس لاتحاد الكتاب أن أدافع عن قرار رفض التطبيع والمطبعين باعتباره الموقف المعبر عن إجماع الجمعية العمومية والضمير الثقافى المصرى والعربى بشكل عام وأؤكد لك أننى سأترك الاتحاد لو تغير موقف الجمعية العمومية .. أما بخصوص لقاء الفنان فاروق حسنى مع كوهين فواجبنا هو دعم موقف الوزير ، لأنه عبر عن جموع المثقفين ورفض كافة أشكال التطبيع الثقافى , ورغم أنه وزير مرتبط بموقف حكومته الملتزمة باتفاقيات ومعاهدات , وموقف الوزير أقرب لموقفنا ولذلك يجب دعمه..) لكن ومع تقديرنا ودعمنا لموقف الوزير فى رفض التطبيع إلا أن مجرد اللقاء مع السفير الصهيونى فى القاهرة مرفوض ، لأنه تعبير عن ضعف المناعة السياسية والثقافية سوف تستتبعه اختراقات هنا وهناك, ولكل اختراق أو حوار أو مبررات كأن يقول أحد المثقفين المطبعين : (ليس المهم مع من أجلس المهم ماذا أقول!!) أو أن يقول أحدهم : (وهل نترك لهم كل الساحات وننسحب؟) وقديماً كان السادات – رحمه الله – صاحبة مقولة "هجوم السلام" والذى انتهى بهجوم (المنصة).

والقضية – من وجهة نظر مثقفين آخرين – أنه وبرغم كل المخاطر والاختراقات وبرغم ضعف النظام وهوانه على الناس إلا أن الضمير الوطنى فى مصر كان ومازال يعتبر أن ثقافتنا هى (حائط الصد الكبير والأخير) ، وهو التعبير الذى يستخدمه الجميع : حكومة ومعارضة ومستقلين . ولذلك فمن حقنا أن نقلق بعد الكويز والغاز والاختراق الثقافى التطبيعى الذى تمارسه جماعة كوبنهاجن فى الصحف السيارة وفى الفضائيات , ونخشى أن يأتى يوم لن ينفع فيه موقف وزير أو غفير , وذلك بعد التفكيك الذى يتم لدور الدولة ومؤسساتها من ناحية وتفكيك المنظومة الثقافية الوطنية من ناحية أخرى , وكذلك ربط المصالح الاقتصادية لآلاف المواطنين بالعجلة الإسرائيلية , كل ذلك فى ناحية ,ووفى ناحية ثانية الاستعداد الهائل من قبل حكومتنا لتقديم كل

التنازلات المطلوبة طوعاً أو عن طريق ضغط خفيف ., وفى النهاية سأل هؤلاء المثقفون السيد وزير الثقافة سؤالين: أولاً : إذا كنت لا ترى هناك مشكلة فى لقائك مع السفير الإسرائيلى على اعتبار أن العبرة بالمضمون فلماذا رفضت ذلك اللقاء 18 عاماً دون أن يكون هناك جديد فى الموقف الإسرائيلى أو تغيير فى موقف المثقفين المصريين؟ هذا مع علمنا أن فاروق حسنى ليس مسئولاً عن السياسة المصرية ولا ينبغى أن نحمله أكثر مما يحتمل.

ثانياً : إذا كان موقفك أثناء لقائك مع شالوم كوهين بهذا الوضوح والجذرية كما أشيع صحفياً فلماذا لم تعلنه على الجميع ، لتحصل على دعم المثقفين فى مواجهة الضغط من أعلى؟

أما المثقفون وهم الأصل والأساس فى القضية وإجماعهم على رفض التطبيع هو الأولى بالاهتمام , فقد تساءلوا من خلال جريدة الأسبوع فى 2005/7/18 : هل يكفى مجرد الرفض أم أنه الإجراء الأسهل؟ وفى غياب المشروع الثقافى الوطنى المقاوم , هل ينفع ألف رفض ومليون (لا) ؟!

** وفى تقرير صحفى مهم لجريدة " صوت الشعب " نشر فى 2005/6/7 تحت عنوان **المطبعون يتبجحون !! الصعيدى .. وسالم والسفارة فى العمارة !! " وجاء فيه :**

منذ أن قامت الحكومة المصرية بتطبيع العلاقات مع إسرائيل وإقامة العديد من المشاريع المشتركة مع الدولة العبرية بدأ الفنانون فى التطبيع مع إسرائيل فى المجالات الفنية ، ففي أوائل شهر يونيو 2005 قام المايسترو أحمد الصعيدى – قائد الأوركسترا السيمفونية المعروف – بزيارة إسرائيل وقاد الأوركسترا السيمفونية الإسرائيلية فى جامعة حيفا ، وفى نفس الأسبوع حاول الكاتب المصرى على سالم دخول إسرائيل لاستلام درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة بن جوريون تقديراً من الجامعة لإسهاماته فى تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل .

وبسؤاله عن رأيه فى من يرفضون التطبيع مع إسرائيل قال الصعيدى : أنا لا أرى سبباً للخوف من التطبيع .. ألم يلتق مبارك مع شارون ، صحيح أنه يوجد فى مصر تيارات قومية ترفض التطبيع وهناك العديد من الأفكار القديمة ضد إسرائيل إلا أننى لا أتفق معهم خاصة أن الفترة الأخيرة قد شهدت كثيراً من أوجه التعاون بين البلدين وأزيلت بعض الحواجز الموسيقية بينهم بعد أن شارك عدد من العازفين المصريين والإسرائيليين فى أوركسترا سيمفونية بقيادة المايسترو دانيال بارنيوم .

وعن رأيه فى المقاطعة الأكاديمية التى كانت قد فرضتها الجامعات البريطانية على جامعة حيفا – والتى ألغيت فى نفس يوم زيارته للجامعة – أجاب الصعيدى ضاحكاً : أنا لم أكن أعلم شيئاً عن هذه المقاطعة ولو كنت قد علمت فإننى لم أكن لأقاطعها ؛ لأننى لا أؤمن بالمقاطعة الفنية وعندما أعمل مع الأوركسترا أنسى جنسيتى ، فالموسيقى يمكن أن تكون جسراً للتفاهم بين الشعوب .

وتردف صحيفة هاآرتس قائلة " لكن العازفين الإسرائيليين كانوا يتحدثون عن البلد الذى أتى منه ؟ ويجيب الصعيدى قائلاً : أنا لم أرهم يتحدثون فى هذا الموضوع بل إنهم أحسنوا استقبالى وكانوا يعملون معى بشكل جيد .

فى شهر يونيو 2005 دعته جامعة بن جوريون لزيارة إسرائيل واستلام الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسرائيلية وعن أسباب منحه هذه الجائزة يقول رئيس جامعة بن جوريون : إن الجامعة قررت منحه الدكتوراه الفخرية لكونه إنساناً مثقفاً وجريئاً ومناضلاً من أجل حقوق الإنسان ، ولأنه يدعو بلا خوف لإقامة علاقات طيبة بين مصر وإسرائيل .

على سالم الذى كانت زيارته السابقة خرقاً للموقف الجماعى للكتاب العرب فى مقاطعة إسرائيل وتعرض بسببها لهجوم شديد من جانب هؤلاء الكتاب لم يتمكن هذه المرة من تلبية الدعوة التى وجهتها إليه الجامعة الإسرائيلية فعندما توجه

إلى مطار القاهرة الدولى محاولاً السفر إلى إسرائيل منعته السلطات المصرية ، إلا أنه كان مصراً على السفر فتوجه إلى طابا محاولاً دخول إسرائيل عن طريقها إلا أنه لم يتمكن من ذلك ومنعته السلطات المصرية ، وعندها شعر أنه لن يستطيع زيارة إسرائيل واستلام الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسرائيلية بسبب تعنت السلطات المصرية ومنعه من دخول إسرائيل.

وفى رد فعل الجامعة على منع مصر لعلى سالم من دخول إسرائيل شن رئيس جامعة بن جوريون البروفسور " أفيشاهى بروبرمان " هجومه على مصر قائلاً : أنا لا أرى سبباً لهذا التصرف الغريب الذى أقدمت عليه السلطات المصرية !! لماذا تمنع على سالم من المجىء إلى جامعة بن جوريون رغم أن الرئيس السادات زارها عام 1979 برفقة الرئيس الحالى حسنى مبارك ومنحته الجامعة نجمة السلام مع مناحيم بيجن ، كما أن الجامعة منحت هذه الدكتوراه الفخرية للسفير المصرى السابق محمد بسيونى والمعروف أن جامعة بن جوريون منذ اتفاقية السلام التى وقعت بين مصر وإسرائيل وهى تعمل على الترويج للسلام بين إسرائيل وجيرانها وتشجع على التطبيع الكامل للعلاقات بين مصر وإسرائيل وتمنح درجة الدكتوراه الفخرية لكل من يساهم فى توطيد العلاقات بين البلدين .

** **وفى عام 2005 جدد** المثقفون المصريون رفضهم لما طرحته الإدارة العليا لمهرجان القراءة للجميع والتى اتخذت شعار " ثقافة السلام" شعاراً للمهرجان ذلك المصطلح المشبوه الذى يروج للتطبيع. وقبول الآخر وغيره من دعاوى الاستسلام.

ومن هؤلاء د. حسن فتح الباب ود. يسرى العزب وفؤاد قنديل وعاطف العراقى الذى حذر من الانسياق وراء هذا المصطلح المشبوه الذى يخفى وراءه مخاطر عديدة تضر بالثقافة العربية والإسلامية منها أنه لا يمكن لإسرائيل أن تغرق الأسواق بآلاف من الكتب المحرفة التى تبث أفكاراً صهيونية وعدائية ضد

العرب والإسلام فى الوقت الذى تعجز فيه الدول العربية عن نشر ثقافتها أو ثقافة مبدعيها للجماهير .

الأديب عبد العال الحمامصى كانت له رؤية خاصة فى تلك الإشكالية ، حيث عبر عن حبه الشديد للسلام ؛ لأن الأدب بطبيعته يحمل معانى جميلة من الحب والجمال لكن استخدام هذا المصطلح فى المهرجان أمر غريب لأن الذى طرح هذا المصطلح كان يقصد من وراءه أشياء كثيرة ولها أهداف معينة ممكن أن تكون أهدافاً سياسية .

وتساءل الحمامصى : كيف أدعو إلى ثقافة السلام والعدو بجوارى يدعو إلى ثقافة الحرب والتدمير وطرد أصحاب الأرض من مساكنهم؟ ولماذا أنا الذى أطرح فكرة السلام ثم أدفع الثمن غالياً من دم أبنائى وأشقائى فى فلسطين والعراق؟ .

وتساءل الحمامصى أيضاً: هل راجعت إسرائيل الكتب الثقافية التى تنتجها بالآلاف وتحمل بين طياتها افتراءات وأكاذيب صهيونية ضد الإسلام والعرب؟ .

* وعلى نفس المنوال صار محمد السيد عيد والروائى أحمد الشيخ والروائى الراحل إبراهيم أصلان الذى قال : إنه يرفض مصطلح ثقافة السلام .. ويقول: الثقافة هى مفهوم شامل لا يمكن تجزئته بين ثقافة سلام وثقافة حرب ولو قرأ أى شخص هذا العنوان ، فإنه يضع فى حسبانه أنه يكرس لعملية التطبيع الثقافى مع إسرائيل ولذلك فإن طرح التسمية " ثقافة السلام" كعنوان لمهرجان القراءة لهذا العام هو طرح خاطئ ؛ لأن الثقافة هى إعلاء من قيمة الإنسان وليست مرتبطة بالسلام أو الحرب.

ويشير أصلان إلى أن هناك ربطاً خاطئاً بين السلام والسلام الاجتماعى لأن الأخير مشروط بتحقيق العدل والحفاظ على كرامة المواطن وإنسانيته وأن يعيش فى ظل الظروف يسود فيها القانون وأن مصطلح السلام الاجتماعى ليس له

علاقة بالكتب والأدب ولذلك فإن مصطلح "ثقافة المقاومة" هو المناسب فى تلك المرحلة التى نجد فيها دولاً عربية كبيرة محتلة ، ومن ثم فإن ثقافة المقاومة أصبحت مفهوماً أشمل وأوسع فى ظل مؤسسات تفكر بدلاً من الناس وتتخيل وتقرر مصائرهم ولذلك فإننى أرفض مفهوم " ثقافة السلام" الذى يعطى للآخر التحكم فى ثقافتنا وتاريخنا.

الشاعر محمد أبو سنة قال : السلام شيء جميل فى زمن ملئ بالحروب والصراعات لكن ثقافة السلام تحتج إلى موازين تحكمها تلتزم بها الدول كلها منها: العدل الاجتماعى والاستقلال الوطنى وحقوق الإنسان وإزالة الاحتلال، أما إذا كان مفهوم السلام يعنى قبول الطرف الآخر من موقف ضعيف فهذا أمر مرفوض وطرح خيالى يعبر عن مرحلة منعزلة تبلغ فيها العشوائية مداها ، ولذلك فإننى أوافق على مصطلح السلام كفكرة نبيلة ولكنى أرفض طرحها كبالون إختبار .

** وفى العام 2006 دعت بعض الصحف الإسرائيلية مثل يديعوت أحرونوت لعودة الملكية لمصر بزعم أن مصر كانت تنعم بالديمقراطية الحقيقية وقتها مستغلة أزمة القضاة المصريين مع الحكومة المصرية .

** **وفى العام نفسه (2006) تقدم** موشيه كوهين سفير إسرائيل فى القاهرة إلى السلطات المصرية وجهاز أمن الدولة بطلب غريب فى مضمونه ، جاء فيه عزم إسرائيل على إقامة حفل غنائى كبير باستاد القاهرة على أن يخصص إيراده بالكامل لتعويض أهالى ضحايا عبارة السلام 98 كتعويض بسيط عن فقد ذويهم ونقل السفير فى الطلب عزاء دولته شعباً وحكومة فى الحادث الأليم وأن قرار الحفل نابع من شعورهم بمدى الحزن والأسى على الضحايا . وتردد أن إسرائيل خصصت 8 ملايين جنيه لإقامة الحفل الذى تم رفضه .

وهذا الطلب لم يكن الأول من نوعه فسبق وأن تقدمت السلطات الإسرائيلية منذ خمسة شهور بطلب إقامة حفل بنفس المكان" استاد القاهرة " لصالح مستشفى السرطان تحت رعاية إسرائيل.

** فى الوقت نفسه تحدث الإعلاميون فى أوساطهم وندواتهم عن أنه مثلما جاء فيلم " السفارة فى العمارة" كخطوة جادة نحو مناقشة قضية التطبيع مع الإسرائيليين ، جاء فيلم " ظل الشهيد " للمخرج إيهاب راضى الذى أراد من خلاله مناقشة قضية التطبيع بين مصر وإسرائيل .

وفيه يناقش قضية الزواج بين مصريين وإسرائيليين ، وذلك من خلال أسرة مصرية فقدت ابنها شهيداً فى الحرب بين مصر وإسرائيل ولكن شقيق الشهيد هو من وقع فى غرام فتاة إسرائيلية .

وحالة الارتباك التى تسيطر على الشباب المصرى لأنه وجدانياً لا يتقبل ذلك التطبيع ولكنه يقع فريسة للإغراء الحسى والمالى .

" ظل الشهيد " الذى يناقش هذه الأفكار كان لابد أن ينتهى بحسم الارتباك وكان لابد أن ينتهى بعودة الشاب إلى حضن الأسرة المصرية بعد أن يفيق من نشوة السفر والثراء .

** وفى العام نفسه نشرت أنباء عن هجمة إسرائيلية على المجال الثقافى السكندرى عن طريق منظمة ألكس فيزت التى ترتبط مع الصهاينة منذ فترة طويلة . ووفقاً لندوة للسيد البدوى عضو اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيونية بالإسكندرية فإنه توجد حوالى (748) جمعية حقوقية وثقافية ممولة من الخارج ومصر الآن أكبر متلقى للمال السياسى والتمويل الأجنبى فى العالم .

– توجد منظمات سكندرية تمول من الخارج أبرزها :

* اسكندريلا للثقافة وجماعة جدران والدكان وهذه المنظمات فى مجملها تخضع للمخابرات الأمريكية فهى التى تمولها وتحدد معالم عملها المشبوه فى مصر .

– أما أهم منظمات التمويل الأجنبى وفقاً لهذه الندوة فهى :

* الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) .

* منظمة المجتمع المفتوح .

* المعهد الدولى الجمهورى .

* المعهد الدولى الديمقراطى .

* المركز الدولى للتضامن مع العمال .

* مؤسسة فورد – فريدريتش ناومان .

* هانز زايدل – فريدم هاوس – مؤسسة إسرائيل الجديدة .

**** وفى مقر مركز يافا للدراسات أعلن فى 2007/12/9 عن إنشاء الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية عن** بدء فعالياتها وشارك فى تأسيسها كل من (عبدالقادر ياسين – د. رفعت سيد أحمد – أحمد بهاء الدين شعبان – عبدالكريم العلوجى – سلوى بكر) وقد جاء فى بيانها التأسيسى :

– تضم الجبهة مختلف الأطياف والمدارس الفكرية والسياسية العربية وأن قضية فلسطين العربية هى من جمعتهم على هدف واحد ألا وهو تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيونى وذلك بنشر الوعى بين الجماهير العربية وأن فلسطين قضية تحرر وطنى ذات عمق عربى وبُعد دينى وأفق إنسانى .

– هناك أهداف استراتيجية وهى تحرير فلسطين كاملة ثم يتفرع أهداف مرحلية منها التعريف بطبيعة القضية ونشر ثقافة المشاركة والنضال والتصدى للخطر الصهيونى المدعوم أمريكياً مع تقديم الدعم لكل عمل جبهوى وطنى أو وحدوى فى أى بلد عربى والعمل على حشد طاقات الأمة عبر المؤتمرات والمحاضرات والبيانات والمقالات وغيرها من وسائل الاتصال.

وقد جاء بالبيان التأسيسى للجبهة بأن اختيار فلسطين لإقامة الكيان الصهيونى إنما كان هدفه فصل المشرق العربى عن المغرب العربى لذلك كان من الضرورى التحرك السريع لإحياء الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية وتم البدء بمصر لأنها قلب العروبة النابض والتى بدأت لريادتها فى قيادة الأمة من جديد .

** **وفى العام 2008 ادعى كاتب أمريكى** فى جريدة " وول ستريت جورنال الأمريكية " هو " عمر بارجيس " أن الصحف المصرية تعادى السامية وتضطهد اليهود وأن الصحف المصرية اتهمت اليهود بالوقوف خلف الأزمة المالية العالمية والتلاعب فى سوق الأسهم والبورصات العالمية كما فعلوا فى أسواق الذهب فى أواخر السبعينات .ودعا الكاتب إلى ضرورة أن تتبنى المؤسسات الغربية أسلوباً خاصاً بأن ترفض دعوى أى صحيفة تسمح بانتقاد اليهود على صفحاتها فربما هذه المعاملة الجافة تجعل الصحف المصرية تعيد حساباتها بشأن معاداة اليهود .

** **وفى 2009/7/19 نشرت جريدة المصريون** أن اتحاد الشباب الليبرالى المصرى قال : إن المؤتمر الدولى للشباب الليبرالى الذى عقد فى لبنان كان مموله سعد الحريرى رئيس تيار المستقبل ورئيس الحكومة اللبنانية ، ونفى بيان اتحاد الشباب الليبرالى مشاركة إسرائيليين ، لأن القانون اللبنانى يمنع دخول أى إسرائيلى ولكن لم ينف البيان مشاركة إسرائيليين كما حدث فى مؤتمر مماثل عقد فى ألمانيا عام 2007 .

** **فى خبر نشر على الشبكة الدولية فى العام 2009** عن الاختراق الصهيونى لأدق تفاصيل الحياة فى مصر فقد تناول الخبر الامتعاض الشديد لنواب الإسماعيلية فى مجلس الشعب بعد الحفريات الإسرائيلية فى فناء مدرسة بالإسماعيلية تحت زعم البحث عن رفات جنود إسرائيليين .

وفى سياق متصل نفت وزارة الخارجية المصرية فى بيان لها اعتراضها على السفير الإسرائيلى الجديد يتسحاق ليفانون المقرب من ليبرمان وزير الخارجية الإسرائيلى وهو نجل الجاسوسة الإسرائيلية شولا كوهين التى قبض عليها فى لبنان فى 1961 بتهمة التجسس طوال 14 عاماً لمصلحة الكيان الصهيونى .

**** وفى سياق متصل نشرت جريدة المصرى اليوم فى 2009/11/17 تصريحات لأيمن نور** –مؤسس حزب الغد– اعتذر فيها عن تصريحاته التى فهم منها أنه يهاجم إسرائيل . وقال نور : إنه وحزبه يؤيدون معاهدة السلام ويرفض العدوان على الدولة العبرية ، وأنه يدعو باستمرار لتحقيق حل سلمى للصراع العربى الإسرائيلى ومن ثم فإنه يرفض وبشدة عبارة " معاداة السامية" وانتقاداته تتعلق بسياسات دولة إسرائيل وليس للشعب اليهودى كله .

**** فى العام 2009 نشر خبر عن زيارة الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل** للنصب التذكارى للهولوكست بألمانيا وما أثارته من ردود فعل صاخبة حول هذه الزيارة التى ينظر إليها كنوع من التطبيع مع العدو الإسرائيلى .

**** وفى العام نفسه (2009) نشرت صحيفة المصريون تفاصيل مشادة ساخنة بين محمود سعد مقدم برنامج** "البيت بيتك" وفاروق حسنى وزير الثقافة المصرى بسبب دعوة وزارة الثقافة لعازف أوركسترا إسرائيلى لقيادة إحدى حفلات الأوبرا المصرية متسائلاً لماذا دعا وزير الثقافة عازف الأوركسترا الإسرائيلى فى هذا التوقيت بالذات ، ورفض سعد استضافة الإسرائيلى فى برنامجه بأى صورة من الصور ووجه نقداً لاذعاً لوزير الثقافة بسبب تطبيعه مع الكيان الصهيونى رغم مواقفه السابقة التى كانت ترفض التطبيع الثقافى مع إسرائيل .

**** فى مقال لها بعنوان " بعد العاصفة " نشرته صحيفة " الأهرام " فى 2009/11/2 دافعت** هالة مصطفى عن موقفها واستقبالها للسفير الإسرائيلى فى مكتبها بالأهرام واعتبرت أن مصطلح التطبيع أصبح " فوبيا " ويخيف أى طرف لمجرد مناقشة مصطلح التطبيع . واعتبرت أن الحوار مع الآخر هو

وسيلة ناجحة لفهمه وفهمنا وأشارت إلى أن قرار نقابة الصحفيين عام 1983 بشأن التطبيع مع إسرائيل هو مجرد توصية وليست قراراً ملزماً للصحفيين أعضاء النقابة بعدم إجراء أى لقاءات مع الجانب الإسرائيلى . (طبعاً هذا القول لهالة مصطفى غير صحيح ، لأن قرارات النقابة واضحة وترفض التطبيع المهنى والشخصى واعتباره مخالفاً لقرارات الجمعية العمومية – يمكن مراجعة نص القرار فى قسم الوثائق وكذلك قضية هالة مصطفى فى باب التطبيع الثقافى) .

من جهة أخرى عبرت لجنة " إيباك " الصهيونية الأمريكية عبر بيان لها عن تضامنها مع هالة مصطفى إزاء موقف نقابة الصحفيين منها وتحويلها للتحقيق معها بتهمة التطبيع مع الإسرائيليين بعد استقبالها للسفير الإسرائيلى فى مكتبها بالأهرام .

**** فى ذات السياق وبما بدا وكأنه ينقلب على تاريخه الطويل فى مقاومة التطبيع كتب صلاح عيسى عضو مجلس نقابة الصحفيين الأسبق فى المصرى اليوم فى 2009/10/17** أن إحالة الصحفيين المطبعين مع إسرائيل لمحاكمة تأديبية يعد مخالفة للقانون والدستور وأن أى محكمة إدارية ستحكم من أول جلسة ببطلان هذه المحاكمة التأديبية . وأوضح أن التطبيع أو زيارة إسرائيل لا يعد خروجاً على القوانين التى تحكم العمل النقابى. وأشار إلى أن قانون النقابة أو لائحتها الداخلية ليس فيه ما يلزم عضو النقابة بالالتزام بقرارات الجمعية العمومية للنقابة التى يمكن للمجلس الأعلى للصحافة أو وزير الإعلام الطعن على أى قرار تتخذه النقابة ، إذن قرارات النقابة لا تمثل أعلى سلطة فى المجال الصحفى . وقد اقترح صلاح عيسى إضافة بعض المواد لقانون النقابة لضبط مصطلح التطبيع ودعا للفت نظر عضو النقابة الذى يتصل بإسرائيليين أو يسافر إلى إسرائيل بدلاً من الدخول فى دهاليز المحاكم والقانون ؛ لأن أى محكمة ستحكم بعدم دستورية وقانونية قرار النقابة بإحالة أى صحفى مطبع

لمحاكمة تأديبية مما سيضفى غطاءً قانونياً للتطبيع والمطبعين. (ولقد ثبت لاحقاً أن هذا القول لصلاح عيسى غير صحيح وحكم القضاء بصحة قرارات النقابة برفض التطبيع) .

** **فى ذات السياق نشرت المصريون فى 2009/10/17 تصريحات للكاتب طارق حجى دافع فيها باستماتة** عن هالة مصطفى – رئيس تحرير مجلة الديمقراطية – لاستقبالها السفير الإسرائيلى بمكتبها بالأهرام ، وقال : إنه كان رئيساً لشركة بترول عالمية وكان يتعامل مع الإسرائيليين بل هو على استعداد لزيارة إسرائيل ، واتهم المجتمع بالتخلف والرجعية والمرض ، لأنه يقف بالمرصاد لكل من يتعامل أو يتعاون مع الإسرائيليين ولن تتقدم مصر إذا استمر الوضع على ما هو عليه حسب زعمه .

** **وفى نفس العام نشرت الحياة تقريراً عن معسكر " بذور السلام " الأمريكى والذى يعد قيادات المستقبل** من دول تشهد صراعات فيما بينها مثل فلسطين وإسرائيل وباكستان والهند والبوسنة ويوغسلافيا وغيرها من مناطق النزاع والتوتر فى العالم ، وقد أشار التقرير للمناقشات والحوارات التى تدور بين مراهقين فلسطينيين وإسرائيليين وهنود ونظرائهم الباكستانيين وبوسنيين ويوغسلافيين بهدف إيجاد أرضية مشتركة للحياة بين هؤلاء الشباب والمراهقين .

** **نشرت صحيفة " المصرى اليوم "** أن د.حسين حمودة الخبير الأمنى المعروف حذر فى دراسة له أن إسرائيل أصبح لها تأثير سلبى على قضية الانتماء لدى الشباب المصرى ، بل وأصبح الكثير من الشباب المصرى متعاطفاً مع إسرائيل والبعض الآخر عميلاً لها .

وقال الباحث : إن هناك متعاونين ومتعاطفين مع إسرائيل ، وهؤلاء جواسيس، وكذلك يوجد البعض ممن يلوحون باللجوء لإسرائيل وهم ضحايا الاستبداد السياسى فى مصر بعد كفرهم بالوطنية بعد أن سامتهم الحكومة المصرية سوء العذاب فى قضايا ملفقة .

وهناك معارضون لإسرائيل وهم كثر أيضاً مثل أمين الشرطة الذى رفض حراسة السفارة الإسرائيلية وأحيل لمحاكمة عسكرية .

وقد احتلت إسرائيل المرتبة التاسعة كمصدر للهجرة من المصريين قبل اليونان التى جاءت بالمرتبة العاشرة .

**** وفى 2009/10/28 نشرت صحيفة " اليوم السابع "** تقريراً مطولاً حول الضجة التى أثارها السفير الإسرائيلى شالوم كوهين بعد زيارته لمبنى صحيفة الأهرام ثم لمكتبة الإسكندرية والتساؤلات الكثيرة حول تحركات هذا السفير فى القاهرة خاصة بعد تواتر أخبار عن لقاءاته المتعددة مع رجال أعمال وفنانين مصريين فى أحد مطاعم الأسماك الشهيرة فى منطقة نيل العجوزة خاصة مع الفنان عمر الشريف الذى لم ينف السفير الصداقة القوية التى تربطه به منذ فترة طويلة .

**** وفى ذات القضية نشرت صحيفة " المصرى اليوم " فى 2009/10/24**
تقريراً آخر أكدت فيه أن زيارة السفير الإسرائيلى شالوم كوهين لمكتبة الإسكندرية أثارت غضباً واستياءً شديداً بين القوى السياسية فى الإسكندرية .
فقد وصف محمد البنا رئيس لجنة التنسيق بين النقابات المهنية بالمدينة الزيارة المشؤومة والمرفوضة ، وقد عبر كل من حمدى سليمان المنسق العام للقوى السياسية بالاسكندرية والدكتور فهمى فتح الباب عضو لجنة الحريات بالجامعة عن استيائهما من زيارة السفير الإسرائيلى لمكتبة الإسكندرية .

وفى سياق متصل أدانت لجنة الحريات بجامعة الإسكندرية إعلان مكتبة الاسكندرية تنظيم ورشة عمل بمشاركة إسرائيلية ، وطالبت اللجنة المكتبة سحب دعوته للإسرائيليين وعدم السماح بمشاركتهم فى هذه الورشة .

وفى سياق متصل شارك اثنان من الخبراء الإسرائيليون فى المؤتمر العلمى الثالث لدول البحر المتوسط تحت عنوان " الثراء والتنوع المتوسطى " مما أدى

إلـى ارتبـاك أمنـى واضـح فـى المكتبـة مـع وجـود اسـتياء واضـح للمشـاركة الإسرائيلية فى المؤتمر .

** وفـى العـام نفسـه نشـرت " صـوت الأمـة " تقريـراً عـن " نـونى درويـش " أو ناهد مصطفى حافظ درويش ابنة المناضل المصرى الكبير الشهيد / مصطفى حـافظ مؤسس الحركـة الفدائيـة الفلسطينية عـام 1954 ، والـذى قتلتـه إسـرائيل بطرد ناسف قتلـه علـى الفور فـى مكتبـه بعد سلسلة من العمليات البطولية ضد الصهاينة فى تلك الفترة داخل قطاع غزة ، وكان عمرها آنذاك 7 سنوات .

- نونى درويش خريجة الجامعة الأمريكية عملت فـى صحيفة الشرق الأوسط ثم تزوجت من قبطى أشهر إسلامه وسافرت إلى الولايات المتحدة وهناك حدث التحويل الكبير وانسلاخها عن قيمها وجذورها الإسلامية ، وشيئاً فشيئاً تحولت للمعسكر المعادى لكل ما هو عربى وإسلامى. ويعتقد البعض أن نونى درويش وقعت فريسة لمرض نفسى بعد وفاة والدها يسمى : كراهية الذات .

تقـول نـونى درويـش : إنهـا زارت مصـر فـى 2001 وصـدمها انتشـار الإسـلام المتطرف والتلوث والقذارة والفقر والبطالة فى الشارع المصرى بل وأنشأت موقعاً الكترونيـاً اسـمه " عـرب مـن أجـل إسـرائيل " لتشـجيع المتعـاونين مـع إسـرائيل للجهـر بأفكـارهم واعتبـرت خطـاب أوبامـا فـى جامعـة القـاهرة نوعـاً مـن التـودد للمسلمين سيدفع ثمنه غالياً .

** **وفى فى 1 مايو 2010 نشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون** تحقيقاً صحفياً عن المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة للصحفى محمد نعيم حيث يشير فى تحقيقه الصحفى للنقاط الآتية:

- هدف هذا التحقيق محاولة إماطة اللثام عن عمل هذا المركز الذى يقاطعه معظم المصريين العاملين فى مجال البحث والدراسات العبرية .
- يرتاده كثير من الشخصيات الإسرائيلية اليهودية .

المهم أن مدير المركز جبرائيل روزنبا بات مكتئباً لأنه دائم استقبال نفس الشخصيات الإسرائيلية واليهودية مع عزوف المصريين على التردد على المركز .

ويشير التحقيق أن عيون الأمن المصرى يقظة تماماً لرصد أى نشاط معاد ربما يقوم به المركز أو موظفوه .

يوما الثلاثاء والأربعاء مخصص لمحاضرة تلقيها شخصية إسرائيلية أو يهودية وقد كان المحاضر يعقوب شويقة – الذى ينحدر من أصول مصرية – وقد اتضح أنه من حى الظاهر وأيضاً هناك الموظفة فى المركز نيللى شيلا – يهودية من أصول سورية من مدينة حلب – وهى متحدثة سابقة باسم الخارجية الإسرائيلية وقت أن كانت تسيبى ليفنى وزيرة للخارجية وقد ظهرت شيلا فى كثير من المحطات الفضائية وقد طلبت مناظرة السيد حسن نصر الله إبان حرب 2006 على لبنان.

– وفى محاضرة يعقوب شويقة وكانت عن جنيزة القاهرة أى : الوثائق الأثرية اليهودية فى مصر وقد أعلن المحاضر اليهودى أنه سيطلق موقعاً الكترونياً لإتاحة قراءة الوثائق اليهودية باللغتين الإنجليزية والعبرية بعد اعترافه بأن بريطانيا سرقت الجنيزة اليهودية لتعرضها بأوروبا.

** وفى العام نفسه (2010) قررت الهيئة التأديبية بنقابة الصحفيين إيقاف الصحفى حسين سراج نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر عن مزاولة المهنة لمدة ثلاثة أشهر لقيامه بزيارة إسرائيل واعترافه بأنه زار إسرائيل أكثر من 25 مرة وأنه تربطه علاقات وطيدة بكثير من المسئولين الإسرائيليين ، كما وجهت الهيئة التأديبية إنذاراً لهالة مصطفى رئيس تحرير مجلة " الديمقراطية " لاستقبالها السفير الإسرائيلى بمكتبها بالأهرام مما تسبب فى احتجاج زملائها وتجمهرهم للتنديد بهذه الزيارة المشؤومة للسفير الإسرائيلى .

وفى نفس السياق طلب معتز الشاذلى رئيس تحرير جريدة الجماهير إحالة الصحفى بالجريدة حسام العايدى لمشاركته فى المؤتمر الصحفى للسفير الإسرائيلى السابق شالوم كوهين مع حسين سراج من أكتوبر ويحيى غانم من الأهرام .وطلب الشاذلى من نقابة الصحفيين التحقيق مع حسام العايدى ؛ لأنه خرق قرار رفض التطبيع مع إسرائيل .

** وفى ذات السياق كشفت جريدة المصريون فى 2010/3/9 أن نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر حسين سراج أحد المروجين ودعاة التطبيع سافر لإسرائيل رغم قرار نقابة الصحفيين بوقفه عن العمل لمدة ثلاثة أشهر ، وشارك حسين سراج فى مهرجان الأدباء العالمى الذى أقيم فى ضاحية ماشكانوت شأنايم بالقدس المحتلة مع 20 أديباً من أنحاء العالم .

** وفى العام ذاته تحدى المركز الثقافى الفرنسى مشاعر المصريين وسمح للفيلم الإسرائيلى " شبه طبيعى " بالعرض فى مهرجان " لقاء الصورة " السينمائى وقد شهد المهرجان قطيعة من السينمائيين المصريين بسبب اشتراك إسرائيل فى المهرجان .

** وفى سياق متصل أدانت لجنة الحريات بجامعة الإسكندرية ما وصفته بالتطبيع الثقافى مع إسرائيل بعد إعلان مكتبة الإسكندرية عن مشاركة إسرائيلية فى ورشة عمل بالمكتبة تحت عنوان " الورشة الأمريكية الشرق أوسطية لشبكة المعلومات " ، والذى يقتصر الحضور فيه على مجموعة من الأكاديميين المصريين والعرب ونظرائهم الأمريكيين والإسرائيليين واعتبرت اللجنة أن الهدف الرئيس لهذه الورشة هو تكريس التطبيع مع إسرائيل والترويج لمصطلح الشرق أوسطية .وناشدت اللجنة مكتبة الإسكندرية لسحب دعوتها لإسرائيل خاصة فى ظل الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة على إخواننا الفلسطينيين فى غزة .

** وفى العام نفسه أصدرت اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيونية بياناً ترفض فيه معاهدة السلام مع إسرائيل مع المطالبة بضرورة إسقاطها وذلك لعدة أسباب منها :

– تفريغ سيناء من الوجود العسكرى المصرى وتهميش وحصر وجود الجيش المصرى فى منطقة محدودة مع وجود رقابة أمريكية لمراقبة أى تحركات عسكرية وللجيش المصرى مما يجعل سيناء تحت رحمة إسرائيل مما يضع الحكومة المصرى تحت ضغط إسرائيلى دائم .

– سلب السيادة المصرية عن جزيرة ومضايق تيران .

– فرض المرور بدون تأشيرة للإسرائيليين والبضائع الإسرائيلية إلى جنوب سيناء .

– إسقاط حق مصر لاسترداد أم الرشراش (إيلات الإسرائيلية حالياً) .

واعتبرت اللجنة أن إسرائيل حققت عن طريق المعاهدة أهدافها بتحييد الجبهة المصرية الأمر الذى أعطاها دافعاً قوياً على الجبهات السورية والفلسطينية والسورية وجبهة الصراع العربى الصهيونى عامة بعد أن تكبيل مصر وتحركات جيشها ببنود هذه الاتفاقية .

– ترى اللجنة الآتى :

– منع مصر من الدعاية المعادية لإسرائيل مع عقد تحالف مصرى حكومى – إسرائيلى تحت قيادة أمريكا ضد الشعب الفلسطينى والشعوب العربية ومعادٍ للشعب المصرى وحاضره ومستقبله ، لأنه يجعل مصر رأس حربة للتطبيع العربى مع إسرائيل والعمل على تخلى العرب عن المقاومة ضد الاستعمار الصهيونى .

– أطلقت هذه المعاهدة يد إسرائيل فى الاحتلال والاستيطان فى أرض فلسطين والعدوان على دول الجوار .

– عكف حكام مصر (السادات – مبارك) على العمل لدعم كل الحكام المستبدين سواء فى أفريقيا أو دول الخليج العربى (عملاء أمريكا) فى المنطقة .

– المشاركة المصرية فى تدمير العراق 1991 تحت زعم تحرير الكويت .

– المشاركة فى الإعداد لمؤتمرات السلام ابتداءً من مدريد وأوسلو وشرم الشيخ ووادى عربة وغيرها .

– الترتيبات الأمنية فى سيناء تجعل سيناء تحت رحمة إسرائيل وذلك لضعف التواجد المصرى وضعف تسليحه .

– بعد عقد المعاهدة سيطرت أمريكا وإسرائيل سيطرة كبيرة على الاقتصاد المصرى وذلك عبر سياسة الانفتاح والخصخصة التى تم من خلالها بيع القطاع العام المصرى بأرخص الأسعار لرجال أعمال مشبوهين وكثير منهم على علاقة بالشركات الإسرائيلية والأمريكية مع جعل مصر مرتبطة دائماً بالمعونة الأمريكية سواء منها المدنية أو العسكرية للجيش المصرى مع ربط تسليحه بالسلاح الأمريكى فى معظمه .

وترى اللجنة المصرية لمقاومة الاستعمار والصهيونية أن بناء الاقتصاد الوطنى القوى لن يتأتى إلا إذا توافرت إرادة سياسية لنهضة هذا البلد وهذا لن يكون إلا إذا تم التخلص من الطوق الأمريكى الإسرائيلى الذى بات يخنق مصر وسيادتها ، لذا على القوى الفاعلة فى الشعب المصرى الاصطفاف والوحدة لإسقاط هذه المعاهدة المذلة لمصر وشعبها .

**** جاء فى النشرة الإلكترونية لجريدة " كنعان " تقرير عن " الموقف المبدئى فى مواجهة** التطبيع المنهجى " فى 2010/11/27 ، وقد تناول فيه لقاء محمود عباس أبو مازن مع رئيس اتحاد الكتاب محمد سلماوى ويوسف القعيد لمحاولة إقناع المثقفين المصريين والعرب لزيارة رام الله بتأشيرات إسرائيلية ولكن عن طريق السلطة الفلسطينية .

– وقد اقترح محمد سلماوى إقامة مؤتمر عن التطبيع فى القاهرة لمناقشة التطبيع فى ضوء المتغيرات الجديدة .وقال التقرير : إن المطلوب هو عقد مؤتمر لمناهضة التطبيع ؛ لأن التطبيع يهدد شعب فلسطين وحق عودته لأرضه .

– وأوضح التقرير أن اللقاء كان بترتيب أمريكى لمحاولة دفع التطبيع بين المثقفين والكتاب فى إسرائيل والعالم العربى بواسطة ومباركة السلطة الفلسطينية التى تروج أن الشعب الفلسطينى يعتبر أسيراً لذا زيارته لا تعتبر تطبيعاً مع إسرائيل .

وللأسف فهناك زمرة من المثقفين المطبعين سواء فى مصر أو باقى الدول العربية بما فيها الفلسطينيين فى الأرض المحتلة ، ولكن الملاحظ أنه لا توجد حركة جذرية لمناهضة التطبيع فى الأرض المحتلة فهناك من لا ينقد ولى نعمته مهما فعل وهناك من يطالب بمفاوضات مباشرة مع إسرائيل أو غير مباشرة .

**** وفى ذات السياق نشرت صحف مصرية تقارير عن المركز الأكاديمى الإسرائيلى وقضايا إسرائيلية أخرى** ، وجاء عن المركز أن خطته الجديدة هى اختراق الجامعات المصرية وذلك من خلال خطة محكمة لاستقطاب أكبر عدد من الطلاب والباحثين للمركز وذلك عبر محاضرات باللغة الإنجليزية والعبرية . كذلك حضر السفير الإسرائيلى السابق شيمون شامير ليس بوصفه سفيراً سابقاً فقط ولكن بصفته أستاذاً لدراسات تاريخ الشرق الأوسط فى جامعة تل أبيب كما أنه أحد المتخصصين فى التيارات الفكرية فى العالم العربى ومصر خاصة .

الجدير بالذكر أن مدير هذا المركز وفقاً للتقرير ، قد سطا على عدد من الأعمال الفنية لأدباء مصريين وتم ترجمتها للعبرية دون الرجوع لأصحابها كما يستعد لإصدار قاموس فى اللهجة العامية المصرية ، كما أن المركز لا يألو جهداً فى ترويج الأكاذيب الفكرية المرتبطة بوجود اليهود فى مصر .

أما التقرير الثانى فكان عن استعداد إسرائيل لإطلاق أحدث قمر صناعى "نانو تكنولوجى" من الهند للتجسس على مصر علماً بأن لإسرائيل حوالى 5 أقمار صناعية كلها موجهة للتجسس على البلاد العربية عامة وخاصة مصر.

وقد أكد بعض الخبراء العسكريين والمتخصصين فى المجال الفضائى أن كل برامج الفضاء العربية مجتمعة تعتبر متخلفة بالقياس لإسرائيل ، لأن الصهاينة انتقلوا تكنولوجياً لمرحلة التشويش على الأقمار العربية وتأتى خطورة أقمار التجسس الإسرائيلية من ربطها بالمؤسسة العسكرية والبرنامج النووى الإسرائيلى .

أما ثالث التقارير فكان عن التدخل السافر الإسرائيلى فى الشأن المصرى بعد مطالبة صحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية مصر بتحسين ظروف بدو سيناء وطريقة التعامل معهم لأن مشكلة بدو سيناء لم تعد مشكلة مصرية فقط بل أصبحت مشكلة إسرائيلية أيضاً ؛ بسبب مشاركة البدو فى تهريب السلاح والبضائع لقطاع غزة عبر الأنفاق وقالت الصحيفة : إن هناك احتقاناً شديداً بين بدو سيناء والحكومة المصرية بسبب التعامل الأمنى السيىء مع البدو ومشاكلهم .

4 – أما رابع التقارير فكان عن مدرس بدوى طلب اللجوء لإسرائيل بعد شعوره بالتجاهل والظلم وقد هدد " سلامة الزميلى " المدرس بإدارة رأس سدر باللجوء السياسى لإسرائيل إذا لم تعد إليه حقوقه المسلوبة من الإدارة التعليمية بعدما تم تجاهله كثيراً لحساب حملة دبلوم المعلمين رغم أنه يحمل مؤهلاً عالياً وقد كتب سلامة الزميلى رسالة قوية لمحافظ جنوب سيناء يهدد فيها بأنه إذا لم يتم إرجاع حقه السليب فإنه سيتوجه هو وأسرته للجوء لإسرائيل وعلى الأقل إذا لم ينل حريته سيعتبر نفسه بأنه ليس فى وطنه .

***

رابعاً : تقارير موسعة عن التطبيع الإعلامى خلال التسعينات وحتى 2009

1 – نماذج ووقائع من التسعينات :
هذه نماذج من تقارير تطبيعية مهمة نشرها الإعلام المصرى خلال حقبتى التسعينات والألفية عن التطبيع الحرام مع العدو الصهيونى فماذا عنها؟

***

الموساد والمخطط الإعلامى لاختراق العقل المصرى

محمد نوار

إذا كان السلاح الإسرائيلى قد تراجع – مؤقتاً – على الجبهة المصرية ، فإن خبراء الدعاية والإعلام يعملون ليل نهار ، لتنفيذ مخطط رهيب هدفه اختراق العقل المصرى ، بغزو ثقافى نفسى مركز تتجه موجات هجومه الرئيسة إلى " شباب مصر " وأسلحة هذا الغزو الخطير أسلحة لها بريق خادع .. أفلام سينمائية .. كتب .. محاضرات .. برامج تليفزيونية وإذاعية . أبحاث وإحصائيات عن كل نواحى الحياة فى مصر ؟! .

ويشارك فى هذا الغزو شبكة رهيبة من علماء النفس والاجتماع مستخدمين مواقع تجسسية واضحة مثل " المركز الأكاديمى الإسرائيلى " فى القاهرة أو متسترين وراء لافتات خادعة لشركات إنتاج أفلام أمريكية مثل شركة كانون، أو هيئات بحثية أمريكية تجند المئات من الباحثين المصريين لدراسات تستهدف معرفة كل شيء عن الشعب المصرى !! .

السوبرمان الصهيونى !!

ويتحرك الغزو الثقافى على ثلاثة محاور :

المحور الأول : ترسيخ مشاعر اليأس والهزيمة بالتشكيك فى قدرات الشعب المصرى ، وتضخيم قدرة إسرائيل فى مختلف المجالات لزرع الإحساس بالإعجاب والرهبة معاً تجاه إسرائيل .

وعلى هذا المحور تتحرك بتنسيق دقيق جميع القوى والأجهزة الإسرائيلية سواء منها ذات الهوية الصريحة المعلنة أو المتسترة خلف واجهة أمريكية!!.

فالمركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة ينظم المحاضرات الثقافية التى تنسب إلى اليهود الانجازات الحضارية على أرض مصر منذ عهد الفراعنة .. فاليهود هم " بناة الأهرام " ؟ ومعابد فيله وتاريخ مصر صنعه اليهود ؟! .

وشركة " كانون " الأمريكية تنتج الأفلام السينمائية للعرض فى محطات التليفزيون ودور السينما وأكثرها أفلام تمجد الإسرائيليين وتقدم اليهود كنموذج راق للتحضر ، يملك الذكاء الخارق ، ويواجه به العربى المتخلف الضعيف ، والمؤسف أن الكثير من أفلام هذه الشبكة تتسرب إلى المشاهد المصرى وهى الشركة التى يديرها صهيونيان هما : "مناحم جولان" و"يوران جلويس" ويفخر جولان بأنه كان طياراً يقصف مدن مصر فى عدوان 1956.

ودور النشر الممولة من المخابرات الإسرائيلية أسهمت تحت أسماء عربية أو أجنبية بإصدار مجموعات من الكتب التى تصور الموساد على أنها السوبرمان الذى لا يقهر والكتب فى هذا المجال كثيرة من ايخمان فى القدس ، عيون تل أبيب ، وتحطمت الطائرات عند الفجر ، الميراج ضد الميج .

وعشرات الكتب المشابهة ، والمؤسف أن عدداً من دور النشر والتوزيع العربية تعمل جاهدة لترويج هذه الكتب المسمومة على اتساع الوطن العربى كله .

المحور الثانى : تدمير القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية لدى الشباب المصرى .. وتستعين خطة الغزو الثقافى فى حركتها على هذا المحور بما هو أخطر من مجرد غزو العقول واختراق الوجدان .

عمليات الغزو التمهيدية يتولاها سيل من الأفلام المبهرة التى تعرض أمام عيون الشباب نماذج لحياة الرفاهية والدنيا مليئة بالبهجة والمتعة والطريق الوحيد الذى يقود إلى هذا العالم الوردى. طريق التحرر والانحلال الذى يتخلص من كل قيود القيم الأخلاقية .. وطريق تغييب العقل بالمخدرات والجنس .

يواكب ذلك تنظيم عمليات تهريب المخدرات بغزارة إلى مصر والأخطر قيام أعداد ضخمة من الإسرائيليين بالحضور إلى مصر والإقامة لفترات طويلة ،

والتقرب للشباب المصرى واستخدام فتيات إسرائيليات لإغراء الشباب وبمنطق الصداقة ، والتطبيع يتشارك الجميع فى تعاطى المخدرات ! ولا يعود هؤلاء الإسرائيليون إلا بعد أن يتركوا وراءهم عدداً لا بأس به من الشباب وقد وقعوا فريسة الإدمان ! .

أبحاث مصرية فى خدمة إسرائيل

المحور الثالث : تجنيد أكبر عدد من الباحثين المصريين لإجراء البحوث الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية عن مصر ، وذلك باستغلال مناخ حرية البحث .. وفى أغلب الأحيان تتقدم جهات تحمل أسماء علمية وهوية أمريكية أو أوروبية لطلب باحثين لإجراء أبحاث حول هذه الموضوعات ، ويسارع الآلاف من الشباب العاملين فى حقل هذه الأبحاث للمشاركة وأكثر هؤلاء يتقدمون للعمل مع هذه الهيئات بحسن نية ، ونتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة حيث قدر عدد المؤهلين للمشاركة فى مثل هذه الأبحاث من حملة الماجستير والدكتوراه بأربعين ألف باحث خلال عامى 87/86 .. ولنا أن نتصور حجم الكوادر المتاحة للعمل فى هذا الميدان وحجم البطالة أو تدنى الأجور وعندما تطلب هذه الجهات باحثين وتغريهم بمرتبات ضخمة وبلافتات خادعة عن صفتها العلمية ، وبمنطق خبيث يبرر هذه الأبحاث على أنها أبحاث علمية ستساعد على حل مشكلات مصر .. لنا أن نتصور مدى النجاح الذى ستحققه هذه الجهات المشبوهة فى جذب آلاف الباحثين .. وبالتالى لنا أن نتصوركم الأبحاث الهائلة التى ستحصل عليها والتى ستمكنها من رسم صورة بالغة الدقة لأساليب حياة وتفكير وتصرفات الشعب المصرى والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى يعانى منها .

ومثل هذه الأبحاث هى التى يصنع منها خبراء الغزو الثقافى خريطة دقيقة للشعب المصرى وللثغرات التى يمكنهم أن ينفذوا منها ! .

على هذه المحاور الرئيسة يتحرك قادة الغزو الفكرى الإسرائيلى لمصر .. ومن الطبيعى أن يستخدموا وسائل إعلامهم المتاحة حالياً لتعميق هذا التحرك. وتأتى فى المقدمة حتى الآن إذاعة إسرائيل التى تبث 18 ساعة يومياً باللغة العربية .. وتليفزيون إسرائيل الذى يصل واضحاً تماماً إلى المحافظات الشرقية لمصر ؟ وبالطبع فإن البث المباشر القادم بالأقمار الصناعية سيكون أحد أهم الأسلحة الإسرائيلية فى عملية الغزو الفكرى ليس فقط بواسطة القمر الصناعى الإسرائيلى بل بواسطة البث المباشر من أقمار صناعية تحمل هويات أمريكية أو أوروبية لكنها تقع تحت سيطرة الصهاينة وإذا كان هذا أمراً طبيعياً ومتوقعاً ، فالأمر الخطير هو مشاركة عدد قادة الفكر والرأى فى مصر فى حملة "الغزو الفكرى" الإسرائيلى، بعضهم بمنطق التحضر ينادى بالتطبيع الثقافى؟! وبعضهم بمنطق الموضوعية التاريخية يهيل التراب على البطولات المجيدة للقوات المسلحة المصرية، وبعضهم يغازل إسرائيل ويتغنى بما يشاهده هناك عند زياراته المتكررة لها!!.

هذا هو الخطر الذى يتهددنا .. وإذا كان الأسف يملأ قلوبنا لمن سقطوا فى حبائل إسرائيل فإن الأمل كبير ونحن نرى القاعدة الأكبر من المثقفين والفنانين والعمال والمهنيين يرفضون بحسم دعوة ! . التطبيع المشبوهة ويتصدرون بقوة لكل محاولات الغزو الفكرى الإسرائيلى فى العديد من المواقع التى تحاول اختراقها ! .لكننا نخشى أن نطمئن إلى قوة هذه الجبهة الوطنية فلا نعطى هذه الخطة الإسرائيلية ما تستحق من اهتمام وهذا العرض السريع ناقوس إنذار لنحاول إغلاق بعض الثغرات التى تتحرك من خلالها حملة " الغزو الفكرى " الصهيونى ولنطالب جميعاً بمواقف سريعة :

1 – عدم السماح لأية هيئة أجنبية بإجراء أبحاث اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية فى مصر ، وقصر هذه الأبحاث على الهيئات القومية المصرية كالجامعات والمراكز القومية المتخصصة.

2 – اتخاذ النقابات المهنية مواقف صارمة وحازمة من كل عضو يتعامل مع إسرائيل التزاماً بقرارات رفض التطبيع التى التزمت بها النقابات المهنية فى مصر .

3 – تعرية مواقف المتعاطفين مع إسرائيل من قادة الفكر والرأى أمام الرأى العام .

(الشعب 1990/1/2)

تقرير وثائقى لجريدة (الشعب)

الوثائق تؤكد هجرة اليهود الهنود إلى إسرائيل و"الشعب" تضبطهم بمطار القاهرة . ومدير أمن المطار: لا أستطيع منع اليهود من السفر عبر المطار

رغم حصار رجال الأمن وأعين مباحث أمن الدولة فى مطار القاهرة الدولى .. ورغم التعتيم الإعلامى على حرية تهجير يهود الهند عبر القاهرة ..

استطاعت الشعب أن تقتحم أسوار المطار وتضبط يهود الهند فى وكرهم بصالة الترانزيت "غرفة عمليات التهجير" وانفردت بنشر أحاديث مع اليهود المهاجرين وهم يسجلون اعترافاتهم بالهجرة الأبدية إلى أرض الميعاد لحاقاً بذويهم .... لم يكن من اليسير التقاط صور لليهود ,لقد كان خطر الموت صعقاً ورجال الأمن يحاصروننا ففي شرفة ضيقة تطل على موقع الطائرة التى تبعد أكثر من 150 متراً عنا كادت أسلاك الكهرباء العارية تصعقنا .. بينما رجال المباحث على بعد أمتار منا ولا يفصلنا عنهم سوى جدار خشبى..وفى اللحظة الحاسمة .. ظهر اليهود بحقائبهم بعد أن هبطوا من أتوبيس سياحى فانقضضنا عليهم والتقطنا الصور ..!

كما تكشف الشعب "بالمستندات" تورط السلطات المصرية فى عمليات التهجير عبر شركة مصر للطيران المختفية وراء شركة إير سيناء .لتمويه وخداع العرب ,. كما تكشف "الشعب" سر زيارة زوجة شامير للهند قبل بدء عمليات التهجير

ونشاط الوكالة اليهودية فى الهند.وكانت وكالات الأنباء الأمريكية والبريطانية وإذاعتا مونت كارلو ولندن قد أذاعتا ما نشرته الشعب من قبل عن الجريمة .

<u>* الوثيقة الأولى :</u>

بتاريخ 91/6/19 الموافق يوم الأحد وتشير إلى مغادرة نحو سبعين راكباً هندياً قادمين من بومباى إلى تل أبيب عبر القاهرة .

<u>* الوثيقة الثانية :</u>

بتاريخ 6/23 الموافق يوم الأحد "تاريخ انتهاء رحلة الفوج الهندى المسافر يوم 6/16 ثم وصول نحو 36 راكباً فقط "سياح إسرائيليين" ولم تتضمن الوثيقة اسم أى راكب هندى .

<u>* الوثيقة الثالثة :</u>

بتاريخ 91/6/12 الموافق يوم الأحد وتشير إلى مغادرة نحو ستين راكباً هندياً آخرين قادمين من بومباى إلى تل أبيب "ترانزيت" عبر القاهرة .

<u>* الوثيقة الرابعة :</u>

بتاريخ 6/26 وتشير إلى وصول أربعين راكباً إسرائيلياً آخرين ولم تتضمن وجود أى راكب هندى .

<u>* الوثيقة الخامسة :</u>

بتاريخ 6/16 تشير إلى مغادرة واحد وتسعين راكباً منهم نحو أربعين راكباً هندياً إلى تل أبيب بغرض السياحة .

<u>* الوثيقة السادسة :</u>

بتاريخ 6/12 تؤكد وصول برقية من بومباى تبين وصول ستين راكباً هندياً.

*** الوثيقة السابعة :**

وهى عبارة عن كشف جوازات المطار القاهرة بتاريخ 91/6/16 وتتضمن أسماء الركاب اليهود وهى أسماء يهودية بحتة ومنهم " شارون بارس ومناحم أشير وشالوميت صموئيا....."

*** الوثيقة الثامنة :**

عبارة عن كشف يحمل أسماء المسافرين من الهنود دون أرقام جوازات سفرهم بتاريخ 6/16 منهم " أبراهام – ليفى– موركار– كيلى– كلين – زيفيلى.." .

*** الوثيقة التاسعة :**

عبارة عن كشف جوازات بالمطار القاهرة بتاريخ 6/23 ويحتوى على أكثر من عشرين راكباً هندياً ونحو 25 راكباً من بانكوك .

*** الوثيقة العاشرة :**

هى كشف بأسماء الركاب القادمين من إسرائيل وهم سياح إسرائيليون بتاريخ 6/16–6/2–6/9 ومنهم .. "روزمان– ابراهام – راشى– ليان .. بينما لم تتضمن الرحلة القادمين من إسرائيل " فى العودة أى "راكب هندى"

*** الوثيقة الحادية عشر :**

هى كشف بأسماء الركاب المسافرين يوم 6/23 من الهنود ويتضمن الاسم الأول فقط ومنهم مناحم–عيزر–إسرائيل– ميشيل....

***

** ثم تنتقل (الشعب) فى جزء آخر من تحقيقها المتميز إلى القول :

لغز شركة سيناء

ولكن كيف تمت هجرة اليهود الهند عبر مطار القاهرة ؟

تقول الوقائع : إن جريمة التهجير تمت عن طريق شركات السياحة التى لها صلة بالوكالة اليهودية .. حيث تم الاتفاق مع شركة إير سيناء لنقلهم إلى تل أبيب "ترانزيت" حيث من الصعب أن يتم تهجيرهم مباشرة من الهند إلى تل

أبيب لرفض الدول العربية الموجودة فى المنطقة مرور أى طائرة إسرائيلية فوق مجالها الجوى , كما أن اليهود يفضلون الهجرة عبر الأراضى المصرية فهى أسهل وأقل فى التكلفة ، ولا يوجد ما يمنعهم من قبل أجهزة الأمن المصرية وخاصة أن هناك اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل .

وقد ظلت شركة إير سيناء لغزاً فترة من الزمن .. فالحكومة المصرية تدعى أنها شركة أجنبية وليست مصرية , إلى أن اتضحت الحقيقة فقد أكد لنا مصدر أمنى بوزارة الداخلية – رفض ذكر اسمه– أن شركة إير سيناء منبثقة من شركة مصر للطيران الوطنية وقد اضطرت الحكومة المصرية إلى تغيير الاسم للتمويه حتى لا يمكن للدول العربية اكتشاف تعامل شركات مصر للطيران المصرية مع إسرائيل وحرصاً على النشاط السياحى مع الدول العربية الذى سيتأثر كثيراً بالمقاطعة العربية ..

أنشئت شركة إير سيناء بناء على اتفاقية كامب ديفيد .. واجتمع عدد من المسئولين بالمطار على رأسهم اللواء/محمد فهيم ريان مع مندوبين من الحكومة الإسرائيلية وعدد من الدبلوماسيين , وتم الاتفاق على أن تقوم شركة إير سيناء بنقل السياح اليهود من إسرائيل إلى مصر بجانب شركة العال الإسرائيلية ,وعلى أن تقوم الشركة بتنظيم رحلات داخلية إلى سيناء والطور وشرم الشيخ لكثرة إقبال السياح الإسرائيليين على السياحة فى سيناء.. إذ توضح الإحصائيات أن هناك نحو 12000 سائح إسرائيلي يستقبلهم مطار القاهرة سنوياً بواسطة شركة إير سيناء . ويضيف المصدر الأمنى .. أنه نظراً للتسهيلات الأمنية فى مطار القاهرة فقد استخدمت السلطات الإسرائيلية مطار القاهرة فى تنفيذ غالبية عمليات التهجير ..

(الشعب 1991/7/2)

****

اليهودى الغامض خلف مهرجان النوبة ... ومؤامرة تقسيم مصر

كتبنا من قبل .. منذرين محذرين .. من المؤامرة .. التى ستنفذ على مدى شهرى أغسطس وسبتمبر القادمين (1991) .. فى شكل مهرجان فنى وثقافى يقام فى أسوان والقرى النوبية حولها .. تحت اسم "المهرجان الإفريقى النوبى الأول " وقلنا : إن أمريكا والصهاينة يقفون خلف هذا المهرجان .. وأن الهدف من ورائه هو فصل النوبة عن مصر ..كما قلنا : إن المهرجان تصاحبه بعثات تبشيرية .. فى شكل بعثات طبية .. وقد حذرنا من المهرجان – المؤامرة .. وطالبنا الأجهزة المختصة أن تنفض يديها عنه .. ونظراً لخطورة المؤامرة على أمن مصر القومى .. وعلى تاريخنا وحضارتنا .. فإنا نعيد فتح ملف "المهرجان النوبى الأفريقى الأول " فنعرض اليوم للمحات من حياة اليهودى الغامض يوسف بن " صاحب فكرة المهرجان ومنظمه ومموله الظاهر .. تلك اللمحات التى تكشف لنا أبعاداً جديدة وخفية فى مسلسل التآمر على أمن مصر وسلامتها .. وتؤكد أيضاً أن المهرجان ليس إلا حلقة ممتدة .. وإن كانت كبرى .. فى سلسلة الحلقات التى استهدفت النوبة المصرية على وجه التحديد .

كما تكشف لنا أيضاً .. عن مدى التغلغل الصهيونى – الأمريكى فى كافة مناحى حياتنا ونحن إذ نكشف خفايا المهرجان – المؤامرة .. فإننا ندعو كافة القوى السياسية والثقافية فى مصر.. للوقوف فى وجه هذه المؤامرة .. كما نؤكد أننا لسنا فى خصومة مع أى من الأطراف المصرية المشاركة فى المهرجان .. سواء أكانت وزارة الثقافة أو السياحة أو محافظة أسوان ، وأننا نثق فى مستوى المسئولية الوطنية .. وأنهم سيكونون أول من يفشل محاولات الصهيونية العالمية .. لتقسيم مصر والنيل من أمنها وسلامتها .. فالأمر ليس خلافاً فى وجهات النظر .. لكنه أمن مصر ووطنية أبناء مصر .. كما أننا متأكدون أيضاً من الأخوة فى النوبة , وقد أكدوا بمواقفهم أنهم متيقظون ومستعدون لمواجهة المؤامرة و إفشالها .

<u>بطاقة اليهودى :</u>

– الاسم: د. يوسف بن .

– عمل بالجيش الأمريكى عدة سنوات ويمتلك شركة سياحية كبرى فى نيويورك لتغطية أنشطته .

– أهداه الرئيس الأمريكى ريجان وساماً بسبب دراسته فى الأزهر .

– يتردد على منطقة النوبة منذ عام 1957 .

– فى عام 1987 نظم مؤتمراً سرياً فى أسوان حضره ساسة أمريكان تجولوا معه فى قرى النوبة .

– ابتدع علماً جديداً أسماه نوبيات .

– يدعى أن اليهود الزنوج هم مبدعو الحضارة المصرية .

علامات استفهام ضخمة .. ومناطق غموض شاسعة تفاجئنا عند تقليبنا لصفحات حياة د. يوسف بن .. قائد المؤامرة الأمريكية الصهيونية الجديدة ضد مصر , التى تهدف إلى أكثر من غرض .. الأول : محاولة فصل النوبة عن مصر من خلال استغلالهم اللون الأسمر الغامق لدى المصريين فى النوبة .. وإيهامهم بأنهم ينتسبون إلى الزنوج الذين أبدعوا الحضارة المصرية القديمة .. وأن لهم قوميتهم الخاصة وشخصيتهم التاريخية المميزة وأنهم يتعرضون للقهر والإهمال من جانب الحكومة المصرية ..وبخاصة بعد تهجيرهم بعد بناء السد العالى .. وأنهم أحق بالنوبة وبمصر من بقية أهلها .

ويستغل يوسف بن وجماعته الإغراءات المالية والمساعدات العينية فى التسلل إلى أهلنا فى النوبة وترويج هذه الأفكار الشيطانية بينهم .. والثانى: محاولة تهويد الحضارة المصرية القديمة سعياً لمطالبة اليهود بحقوقهم فيها .. وفى مصر الحديثة .. كما طالبوا من قبل بفلسطين .. ونجحوا فى اغتصابها فى عصرنا الحديث .

من هو يوسف بن ؟!يوسف بن هو رئيس جمعية الحضارة الأفريقية بنيويورك بأمريكا ..

وهذه الجمعية تقوم على فلسفة مؤداها : أن الزنوج هم مبدعو وبناة الحضارة المصرية القديمة .. وفى تحديد أدق .. أن اليهود الزنوج هم مبدعوها وبناتها.

وفى موضع آخر من التقرير الصحفى تقول جريدة الشعب : (وخلال تلك الفترة ومنذ عام 1957 تردد اليهودى الغامض على مصر وشارك فى بعثات التبشير الأولى التى أرسلتها أمريكا إلى النوبة فى الستينات وانتبهت لها الحكومة المصرية آنذاك وأجهضتها فى مهدها ..

كما رافق الجولات الدراسية والعلمية لأفراد جماعته التى يدعمها الصهاينة , وتلتها زيارات كلا من مصر والسودان وإثيوبيا بمعدل أربع جولات سنوياً ولعلنا نشم رائحة يهود الفلاشا , عند ذكر أثيوبيا مرتبطة بجولاته فى المنطقة .. والتى يقول عنها : إنها دراسية وتعليمية كما سنجد تفسيراً لهذا الجمع بين البلدان الثلاث فى الحلقة القادمة ..ومنذ عام 1972 ويوسف بن يتردد بشكل شبه منتظم على مصر وعلى النوبة على وجه التحديد , وله فى أسوان منذ ذلك التاريخ أصدقاء كثيرون يتقلد الآن بعضهم مناصب مؤثرة ! نحجم عن ذكر أسمائهم .. لأننا لا نزال نثق بعد كل ذلك فى وطنيتهم وإخلاصهم لوطنهم ، وإن ثبت عكس ذلك من خلال وقائع المهرجان , فسوف نعلن الاسماء على الكافة .ولعلنا نتساءل تساؤلاً حسن النية عن كيفية تردد يوسف بن وهو اليهودى الأصل فى تلك الفترة منذ عام 1957 إلى عام 1974 على الأقل عندما بدأ التغيير والتبدل إلى النقيض يلوح فى أفق السياسة المصريه تجاه إسرائيل ,, فخلال تلك الفترة , كان من الصعب على الشعب – على الأقل– تقبل مجرد التحدث مع أى يهودى مهما كانت جنسيته .. فما بالنا بيهودى أمريكى .. ما بالنا بالصداقات والتعاون والتجوال الحر ؟!الشىء المؤكد أنه كان يدخل إلى مصر من خلال طرق ملتوية وأساليب غامضة !! وأن هناك من ساعده على ذلك !

ولعل هذا .. يقودنا إلى مسألة إسلامه ففجأة أصبح يوسف بن مسلماً عام 1986 وهو دائماً ما يتحدث عن إسلامه ومع صداقته الطويلة لمصر واهتمامه بالإسلام كدارس لدين مقارن أصبح دكتور بن مسلماً فى عام 1986 . ولن نقف طويلاً عند هذه النقطة أو نتشكك فيها , لكنا نطلب من القاريء الكريم أن يعيد قراءة الجملة السابقة والتى ذكر فيها أسباب إسلامه .. فقط .. نطلب التأمل فى أسلوب صياغة الجملة .ويبدو أن عملية إسلامه تلك فتحت أمامه الأبواب المغلقة , أو التى كانت تبدو كذلك منن قبل ففي العام التالى مباشرة عقدت جمعيته المشبوهة مؤتمراً للحضارة الأفريقية فى أسوان فى أغسطس 1987 وحضره أكثر من (1850) سائحاً أمريكياً زنجياً .. كما حضره أساتذة أمريكان متخصصون فى علم المصريات وبعض السادة من البيت الأبيض !وقد قام المشاركون فى هذا المؤتمر بزيارة بعض القرى النوبية !

وللعلم فإن علماء الآثار والحضارة المصرية لم يعلموا بهذا المؤتمر حتى تلك اللحظة .. حتى المقيمين منهم فى صعيد مصر .. لم يعلموا إلا عند اتصالى بهم كما أن ما يدعونه من أنهم علماء أمريكان متخصصون فى علم المصريات قد حضروا المؤتمر كلام غير صحيح فكل الذين حضروا مجرد هواه ويهود ممن يرددون أكاذيب يوسف بن, والتى يقف وراءها اليهود والصهيونية العالمية ، ولعلنا نتساءل أيضاً عن سر عقد المؤتمر علمى فى السر وعن السر فى مشاركة سياسيين فيه وترددهم على قرى النوبة على وجه الخصوص؟! فقط مجرد تساؤل !!

كيف تم إختراق الأزهر

والأخطر من ذلك .. ما حدث فى العام الدراسى 1988-1989 فقد نجح يوسف بن جوكانان فى التسلل إلى معقل الإسلام إلى الأزهر الشريف متمثلاً فى جامعته العريقة .. فقد عمل محاضراً متطوعاً فى كلية اللغات والترجمة فى

العام الدراسى المذكور ..وكان يدرس مادة " المقال والقراءة" فى قسم الدراسات الإسلامية أحد فروع قسم اللغة الإنجليزية بالكلية .

السياحة والمخابرات

وبعيداً عن اختراق يوسف بن للأزهر الشريف .. نعود إلى موضوع تملك يوسف بن لشركة سياحية ، فتؤكد المعلومات التى وصلتنا من مصادرنا فى أمريكا أن حجم تعاملات هذه الشركة لا يقل عن 150 مليون دولار بأى حال من الأحوال .. فمن أين ليوسف بن – الذى عجز عن نشر كتبه من قبل– بالأموال اللازمة لإنشاء مثل هذه الشركة الضخمة ؟ وما هو السر وراء ضخامة تعاملات هذه الشركة ؟ وما علاقة أستاذ جامعى , لم يهجر التدريس بعد التسويق السياحى , وقد تُفهم تساؤلاتنا , إذا ما عرفنا أن أجهزة المخابرات فى كل الدنيا تستخدم شركات السياحة ؛ لتنفيذ عملياتها وتضليل الأجهزة المعادية ؟!

وأخيراً بقى أن نعلم أن الرئيس الأمريكى ريجان قد منح يوسف بن وساماً أمريكياً أثناء وجوده فى جامعة الأزهر .. وذهب يوسف إلى أمريكا لاستلام الوسام الذى منح له تقديراً للخدمات الجليلة التى قدمها لأمريكا فى مجال الدراسات الأفريقية ! علماً بأن كل الدراسات التى أجرها كانت حول مصر ووادى النيل وهى 32 كتاباً !!

(الشعب 1991/7/9)

***

وزارة الشئون الاجتماعية تبيع أطفال مصر لليهود !

تحت مظلة وزارة الشئون الاجتماعية وبقرارات الوزيرة التى لا تعرض على مجلس الشعب ؛ ليأخذ فيها رأياً بعد مناقشتها – تسللت المنظمات الصهيونية والمشبوهة إلى مصر ، وهذه واحدة من تلك المنظمات تسمى منظمة " بلان " العالمية ومركزها الولايات المتحدة الأمريكية ويديرها يهودى أمريكى .. تسللت منذ عام 1980 إلى منطقة مصر القديمة وما حولها .. مخترقة الأسر الشعبية الفقيرة فى محاولة ؛ لتخريب نفوس الأطفال ونشر الرذيلة وتحقير العقيدة.

يتركز اهتمام المنظمة الأمريكية " بلان " على أطفال الأحياء الفقيرة .. خاصة فى مصر القديمة ومناطق : المنيل والسيدة زينب وعين الصيرة ومناطق أخرى عديدة .

وتعمل هذه المنظمة بطريقة " الأسر البديلة " بمعنى أن يقوم المشتركون فيها من دول أستراليا ، وبلجيكا ، وكندا ، وهولندا ، وبريطانيا ، واليابان إلى جوار مركزها الرئيس فى أمريكا تحت اسم " الشركاء فى التنمية " – بإقامة علاقات تآلف وتكافل شخصى مع الأسر المصرية الفقيرة التى تحتضنها المنظمة تحت إشراف مدير صهيونى أمريكى يدعى "ثيموثى فاريل " وآخر مصرى اسمه " أحمد نبيل " ويعمل محامياً .. وذلك من خلال مكتب المنظمة الرئيس فى المنيل .. شارع عبد العزيز الدرينى .

ويؤكد مصدر مسئول بوزارة الشئون الاجتماعية : إن الوزارة تقوم بدور الممول البشرى للمنظمة ، حيث تمدهم بوكلاء الوزارة الذين انتهت مدة خدمتهم ، كمستشارين لها ، وذلك بوضع خبراتهم فى مجال الأعمال الاجتماعية والبحوث وجمع المعلومات تحت تصرف المنظمة .

ويضيف : أن بمقدور رئيس المنظمة جمع أكثر من ألف أسرة فى خلال ساعة واحدة من خلال أعوانه وما سجله عنهم بأجهزة الكومبيوتر من معلومات تتناول تفاصيل حياتهم الخاصة فهو يعين لكل منطقة " أمينة " من الأهالى ، تكون هى

المسئولة أمامه عنهم ومن خلالها يكون التعامل وتنفيذ الأوامر..ومن هذه الأوامر عدم إعطاء أية معلومات لأى شخص سوى موظفى المنظمة وتعاقب أية أسرة تعطى معلومات لأى فرد بحرمانها من الإعانات .

(الشعب 1992/1/21)

****

حتى يستريح أنيس منصور وأصدقاؤه : هل نضع نجمة داود فى العلم المصرى ؟! الفنانون والمثقفون وأساتذة التاريخ ورجل الشارع : دعوة مشبوهة لهدم انجازات الثورة وخدمة إسرائيل

الهدف العاجل الآن لأنيس منصور والقوى المحركة له هو تغيير " العلم المصرى " الذى وضعته ثورة يوليو والعودة إلى علم الاحتلال التركى والإنجليزى ورمز الملكية والإقطاع والتخلف .. هذا الهدف يكرس له " الكاتب والمفكر الكبير " كل وقته وعموده فى الأهرام .. ولم لا ؟ وقد تم الإجهاز على معظم إنجازات ثورة يوليو المادية من قطاع عام ومجانية فى التعليم والعلاج ودعم للسلع الغذائية وتصدٍ للكيان الصهيونى .

إذن فالباقى هو الإجهاز على " الرموز المعنوية " وفى مقدمتها العلم الوطنى .. وبعد ذلك يتم حذف كلمة " العربية " لتصبح جمهورية مصر الفرعونية أو العبرية اتساقاً مع النظام العالمى الجديد وحتى يرتاح بال " شامير " الصديق الحميم لأنيس منصور ! وقد أثمرت الحملة عن تقدم أحد أعضاء مجلس الشعب مؤخراً بمشروع قانون تغيير العلم المصرى وإعادة العلم القديم .

ولأن الهدف ليس بريئاً فقد ارتكب صديق الصهاينة أخطاء متتالية حينما أخذ يتهجم على كافة الشعارات والرموز خاصة شعار " مصر للطيران " الذى استمر يؤكد فى عموده أنه " بطة عرجاء " بلا معنى أو هدف ، ورد عليه المثقفون والفانون بأن شعار مصر للطيران هو "حورس الفرعونى " رمز اليقظة

والانتباه والفضاء .. ويقطر قلمه حقداً وسماً حينما يؤكد أن علم مصر متشابه مع أعلام اليمن وسوريا والعراق وأنه لا يوجد أى شىء يجمعهم ولن يوجد !!.

عن حملة أنيس منصور والقوى التى تقف خلفه التقت " مصر الفتاة " بالمثقفين والفنانين وعدد من المواطنين ليفضحوا الأسباب الحقيقية وراء هذه الفكرة المشبوهة .

لنبدأ بالعلم القديم الذى يطالبون بعودته الآن .. د. عبد الخالق محمد بكلية الآداب جامعة عين شمس يقول : من المعروف أن اللون الأخضر يمثل مرحلة تاريخية معينة ترمز إلى سمات البلد الزراعى التى عاشتها مصر فى ظل الاستعمار التركى الذى أذاقنا سنوات من البؤس والفقر والقهر والحرمان والانعزالية .. حيث اقتصرت الحياة فى مصر على الزراعة دون الالتفات إلى التصنيع وعصر الحضارة ، وحينما قامت ثورة يوليو المجيدة بدلت الحياة بكل ما فيها وأزاحت هذا الرمز المتخلف مع تطوير الزراعة نفسها وتم تصميم العلم بصورته الحالية وبألوانه الثلاثة ، باعتبار أن كل لون فيه يمثل مرحلة معينة ، فاللون الأسود يمثل الإقطاع والاستعمار والملكية والظلام ، أما اللون الأبيض فيمثل الثورة البيضاء فى 1952 كذلك اللون الأحمر دليل عدم إراقة الدماء فى مرحلة انتقالية ما بين الدموية والظلامية وكذلك الاستعداد لتقديم الدم والتضحية فى سبيل الوطن .. أما نسر صلاح الدين فيدل على القوة وقهر الاستعمار أكثر من صقر قريش الذى يعبر عن مدلول دينى فقط وكل أعلام الدول الثورية بما فى ذلك علم فرنسا صاحبة الثورة العظيمة اتخذت من هذه الألوان الثلاثة شعاراً لها ، إذن فالقضية ليست فى تغيير الحلم ولكنها تكمن فى العودة إلى الماضى السحيق ، فأولئك الذين يريدون عودة العلم باللون الأخضر فقط يريدون عودة الماضى البغيض ثم وضع نجمة داود فى وسط العلم حتى تكتمل المؤامرة !! .

د. عبد الوهاب المسيرى أستاذ التاريخ المقارن وخبير الإسرائيليات يؤكد أن العلم مثل السلام الوطنى من أهم رموز الدولة القومية فهو تجسيد (الصورة فى لحظة الرؤية) ومن هنا كان علم العدو الصهيونى ممثلاً فى نجمة داود داخل خطين مستقيمين باللونين الأبيض والأزرق .. أما النجمة فهى رمز يهودى قديم لـه دلالات كثيرة من بينها القوة ويشيرون إليها باعتبارها درع داود .. أما الخطان فهما يرمزان إلى النيل والفرات وتقترب حافتا النجمة من الخطين رمزاً للمشروع الصهيونى أمام اللونان الأبيض والأزرق فهما لون الأرض والسماء وأيضاً لون شال الصلاة (الطاليت) ، ومما لاشك فيه أن المستوطن الصهيونى يدرك كل هذه المعانى والتى يجدها أيضاً فى نشيده الوطنى (الهاتيكفاه) أو الأمل الصهيونى ، وقد غيرنا نشيدنا الوطنى كما أسقطنا الحديث عن السلاح والجهاد والآن حان دور العلم ، ولست ضد تغيير الرموز لمواكبة المرحلة ، ولكن ما هو البديل المقترح ، هذا ما يثير شكوكى، خاصة وأن المرحلة الآن تخلو من الجهاد والنضال وتتجه بكل ثقلها للنظام العالمى حيث تسود قيم السوق الفردية ، وحيث يخلع الناس ثياب المعارك ويجرون نحو كل من يدفع أكثر .

زوبعة فى فنجان

المخرج عاطف الطيب يؤكد أن كل الأجيال الجديدة تربت وتعودت على وجود هذا العلم والمعروف أنه رمز ارتبط بكل الظروف التاريخية العظيمة التى مرت بها مصر ، وإذا كان هناك خطأ ما قصد منه طمس معالم هذه الفترة ، فهذا لا يعنى أن نرتكب خطأ التغيير المستمر وهذه الرؤية جاءت انطلاقاً من حرصنا على النشء الصغير وما ترسب فى وجدانه من انتماء وارتباط بالمكان والزمان والأشياء ، وتلك الأشياء التى تؤكد وقوع الخلل إذا ما حدث التغيير.

وتضيف الفنانة نادية رشاد : إن صاحب الفكرة يدعو الباب العالى للعودة مرة أخرى وخفقان العلم التركى على سماء مصر وتتساءل قائلة : هل يتصور هذا

الكاتب أن تغيير العلم سيلغى انجازات الثورة وزعيمها وهما أعظم كثيراً من كل ما يروج ويخطط ضدهما ولا أعرف السبب الذى يجعله " زعلان قوى كده " !!
.

نفس المعنى يؤكده الفنان محمود الحدينى : إن القضية ليست تغيير العلم ولكن من يقف وراء تلك الفكرة خاصة إذا ربطنا ذلك بالمقالات التى رحبت بعودة الملك أحمد فؤاد لمصر ومهاجمة كل ما فعلته الثورة وكلهم يتناسون كم عانينا من مرحلة الملكية السوداء .

ويتفق معه الفنان المخرج محمد فاضل بقوله : إن هذه الأفكار بدأت مع ظهور حزب الوفد من جديد ولم يلتفت أحد إليها ثم جاء من يحاول إعادة التجربة ، ولذلك أرجو أن يتم إجراء استفتاء شعبى حول تقبل الشعب لعودة الملكية والإقطاع والفساد الملكى وبيع القطاع العام أو استمرار الجمهورية وسيادة القانون .

وتصرح الفنانة فردوس عبد الحميد قائلة : أعتقد أن الحاج أنيس منصور لن يتوقف عند تغيير العلم بل سيطالب بهدم السد العالى وإحراق مصانع الحديد والصلب والغزل والنسيج والقضاء تماماً على مجانية التعليم .. وفتح الباب على مصراعيه لبناء القواعد العسكرية البريطانية فى مصر ، لكى نرى العسكرى الإنجليزى والأمريكى يرتدى الشورت متجولاً فى شوارع وأزقة القاهرة وأقول لهم : لن يحدث هذا يا سادة وستظل مصر باقية بإنجازات الثورة وتلك القشور التى تظهر على السطح الآن ستخبو يوماً ما .

ويعلق الناقد السينمائى على أبو شادى قائلاً : إن العلم امتداد لظرف تاريخى معين ، والدعوة لتغييره تعنى العودة بنا إلى مثل هذا الظرف ، الأمر الذى يدعو إلى الريبة فى صدق النوايا وإذا كان أنيس منصور يريد بهذه الدعوة شيئاً مقصوداً بذاته فما الداعى لهذا الالتواء ؟ فأحرى به أن يتحدث عن غايته دون

موارية ، وليعرف أن العلم أصبح يشكل جزءاً أساسياً فى ذاكرة الإنسان المصرى .

واللون الأخضر بمدلوله القديم تحديداً يدل على أشياء أقرب إلى الانتكاسة القومية ، إن العلم لم يعد ملكاً للثورة ولكنه ملك للناس الذين أحبوه وإذا كانوا قد نجحوا فى تغيير اسم الجمهورية العربية المتحدة إلى جمهورية مصر العربية فعلينا أن ننتظر حذف " العربية " قريباً !! وأهلاً بالديمقراطية التى تسىء إلى أجيال بأكملها – ولكن ليعلموا أنه رغم إصابة تماثيل عبد الناصر فى كافة الميادين إلا أنه مازال حياً فى ذاكرة الشعب العربى وستظل كلمة التاريخ أقوى كثيراً من أى دعوات حاقدة .

وبانفعال واضح تؤكد الكاتبة فتحية العسال : إن مصر اليوم يسيطر عليها ذوو التوجهات الأمريكية التى تغرق دول العالم الثالث فى المطالب الاستهلاكية والفردية هذا التوجه يترسخ من خلال كتاب بعينهم ، لأن الأقلام تسبق الأهداف الحقيقية يحملون أفكاراً صهيونية تريد أن يكون من أبناء مصر شعباً منصرفاً عن الانتاج والعمل منغمساً فى البحث عن قوت يومه وهدف الدعوة استقطاب الناس البسطاء ، ولكنهم لا يدرون أن الشعب المصرى يلفظ هذه الأفكار كما يلفظ أى شىء يشعر بالاشمئزاز تجاهه .

دعوة شيطانية

نأتى إلى عينة بسيطة من المواطنين ، يقول إبراهيم عبد القادر بشركة مصر للتأمين : إن رأى أنيس منصور هو جزء من حملة قديمة بدأت منذ عام 1974 ، وبغض النظر عما تستهدفه هذه الحملة ، فإنها انتهت آخر الأمر إلى حقيقة هامة تتعلق باندثار الولاء والانتماء لدى رجل الشارع فى مصر ، الأمر الذى أوصلنا إلى مطالبة البعض بتغيير العلم ، رغم أن الهدف الحقيقى من ذلك تفكيك مبادىء 23 يوليو والدعوة إلى أمجاد زائفة للحكم كنا نعتقد أنها ذهبت إلى مزبلة التاريخ .

ويؤكد د. جمال الرفاعى أن هذه الدعوة على قدر كبير من الخطورة ؛ لأنها تتمثل فى محاولة للقضاء على جزء كبير من تاريخ الوطن، فنحن جيل شاهد العلم المصرى الحالى وهو يرتفع على أرض سيناء فى حرب أكتوبر 1973،ولذا فإننا نعشق اللون الأحمر ،ويتعين علينا تخليده للحفاظ على ذكرى الشهداء الأبرار الذين راحوا ضحايا العدوان الصهيونى الغادر والمستمر .

أما خالد الخولى – مترجم – فيرى أن دعوة الكاتب الأخيرة دليل جديد على كرهه الشديد لثورة يوليو العظيمة ، فهو رجل عرفناه محباً للاستعمار وداعياً لصهينة الشعب العربى وعاشقاً للتبعية والسيطرة ومنتمياً لأذيال الملكية ، وليس غريباً أن يخرج علينا بأى دعوة تناهض كرامة هذا الشعب وهو بدعوته الأخيرة يضيف إلى ميراثه نقطة جديدة تجعله من أعدى أعداء هذا الشعب .

ويضيف أحمد غندور – موسيقى – من الممكن الدعوة لتغيير أى شىء ولكن هناك ظروف معينة تناسب جدوى التغيير ، والظرف الآن يتجه إلى الردة ، وبالتالى حينما ينظر إلى دعوة تغيير العلم فلابد أن نقيمها من زاوية – من هو الداعى ومن يكون وما هى الظروف والملابسات التى تحيط بها ؟! فإذا كان الداعى أنيس منصور ، وإذا كان الظروف هو الدعوة إلى الردة ، إذن يصبح تغيير العلم أمراً مرفوضاً تماماً .

وتقول أمل محمود بشركة ميتالكو : لقد عهدنا من الكاتب دعواته الشيطانية غير المنطقية وتقديرى أن دعوته لتغيير علم مصر لا تختلف كثيراً عن دعوته الشهيرة فى التهام لحوم الكلاب الضالة ! .

ويتساءل أمين اسكندر مدير مركز الفالوجا للدراسات والنشر بقوله : من هو أنيس منصور ؟! أليس هو صاحب دعوات التطبيع مع العدو الصهيونى وبيع القطاع العام ، وإلغاء مجانية التعليم وبناء المستشفيات الاستثمارية إذن ليس غريباً أن يخرج علينا بدعوة شيطانية جديدة لتغيير ألوان العلم المصرى ، وإذا ما ربطنا بين ما كتبه أنيس عن العلم العربى وبين ما كتبه عن الملك أحمد فؤاد

؛ لعرفنا أن الهدف الأساس يكمن وراء اختيار اللون الأخضر تحديداً وما يرتبط به من ملكية وتبعية واستعمار وهو الأقرب والأكثر تعبيراً عن شخص الكاتب .
تلك هى آراء عينة تمثل وتشكل ضمير ووجدان الشعب المصرى .. فإذا كانت فرنسا مازالت تستخدم علم الثورة التى قامت عام 1789 رغم كل الانتقادات التى وجهت للثورة وكذلك الحال بالنسبة لأمريكا ومعظم بلدان العالم .. هل نقوم نحن بالتغيير ؟! .
والغريب أن العلم المصرى القديم ظل باقياً منذ الاحتلال العثمانى عام 1517 حتى يوليو 1952 وتعاقبت على مصر جنسيات من كل لون ولم يفكر فى تغييره حتى حزب الوفد إلى أن جاءت ثورة يوليو وصممت العلم الحالى ، الذى يطلبون تغييره فما رأى " محمد أفندى رفعنا العلم ورأى كل الشرفاء الذين شاهدوا العلم يرفرف فوق الأرض المحررة بقناة السويس وكل المناسبات القومية وآخرها مباريات المنتخبات المصرية فى لقاءاتها الدولية؟!

(مصر الفتاة 1991/10/7)

***

اليهود والأمريكان يضعون مناهج التعليم الجديدة :

حذف كل ما يتصل باليهود والحروب الصليبية والأقصى والخمر

بعد أيام قليلة يبدأ العام الدراسى الجديد حاملاً إلينا خطر جريمة لم يشهدها تاريخنا.. مناهجنا التعليمية قام بوضعها وتطويرها الخبراء اليهود والأمريكان بمركز تطوير المناهج والوسائل التعليمية الأمريكى .. الأزهر يصرخ : الكتب الدينية الجديدة تخالف تعاليم الإسلام .. وخبراء المناهج المصريين يؤكدون أن هذه الكتب تتضمن تشويها واضحاً لكل مقوماتنا !!
بلغت الجريمة منتهاها : حذف الخبراء الأمريكيون الآيات التى تحرم الزنا والخمر ؛ بدعوى أنه تبث فى نفوس التلاميذ الكراهية للعالم المتحضر , ولا تساعد على توثيق روح المحبة والإخاء العالمى ...

والخبراء اليهود حذفوا من مناهجنا كل الآيات الخاصة ببنى إسرائيل والمسجد الأقصى بدعوى أن هناك صلة قربى بين العرب واليهود !!

هذه الجريمة تتم بموافقة وزارة التعليم .. ولا يزال الخبراء الأمريكيون واليهود – بمركز تطوير المناهج– يضعون اللمسات الأخيرة لتطوير "57" كتاباً بمختلف مراحل التعليم لتدريسها العام القادم بعد أن انتهوا من 13 كتاباً يتسلمها تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسى هذا العام وهى كالتالى (5 كتب خاصة باللغة العربية و5 خاصة بالرياضيات و3 خاصة بالتربية الإسلامية) .

وعلى الرغم من أن وزير التعليم قد أخفى الكتب الجديدة إلا أن كتاب التربية الإسلامية للصف الخامس قد تسرب وقامت ثورة الأزهر والمركز القومى للبحوث التربوية وأصدر تقريرين حول الكتاب تضمنا وقائع خطيرة .

تقرير الأزهر

التقرير الأول صادر عن اللجنة المشكلة طبقاً لقرار شيخ الأزهر رقم 47 لمراجعة مشروع كتب التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الابتدائية برئاسة الشيخ أحمد السيد عطا سعود – رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الدينية – وعضوية 11 عالماً أزهرياً وأوضح التقرير " أن الكتاب الجديد خلا من آية قرآنية يفتتح بها , كما أن القسم الخاص بالقرآن عبارة عن سورتين فقط فى حين أن الكتاب المقرر حالياً يحتوى عل سبع سور !!

وأشار التقرير – الذى بلغ عدد صفحاته 25 صفحة من القطع الكبير – إلى أن الإستشهادات بآيات القرآن بالكتاب لا تعرض لأركان العبادة عرضاً صحيحاً ص 65 – ويفتقر إلى التدريبات التى تنمى الجوانب السلوكية التطبيقية .."

وعن السيرة وحياة الصحابة فى تنمية بالكتاب قال التقرير : " وبالرغم من أهمية السيرة وحياة الصحابة فى تنمية السلوك وغرس الأخلاق الحسنة ، فقد بدا هذا الجانب فى الكتاب غير كاف تماماً" .. ولم ينس التقرير ، وجود 126 خطأ لغوياً بالكتاب الجديد .. واختتم تقرير الأزهر قائلاً : " إن الكتاب – فى مجمله

– به قصور واضح ويرجى معالجه أوجه القصور بكل دقة , كما يرجى الإبقاء على كتاب طبعة 1991–1992 إلى أن يتم إعداد مشروع الكتاب الجديد على الوجه الأكمل !!"

وكالعادة .. ضربت وزارة التعليم بتقرير الأزهر عرض الحائط وانتهت من طبع الكتاب الجديد ليتجرع طلاب المعاهد الأزهرية الابتدائية سموم أمريكا علنا!!

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

شهادة أخرى

التقرير الثانى صادر عن شعبة بحوث تطوير المناهج بالمركز القومى للبحوث التربوية .. جاء بالتقرير : " إن كتاب التربية الدينية الإسلامية تضمن تشويهاً واضحاً لأركان الإسلام خاصة الصلاة والزكاة " وقال : إن العرض المسئ لهما فى ص 29 أدى إلى عدم إدراك الطفل لأركان العبادة فى الإسلام , وأكد التقرير أن هناك آيات دخيلة على السياق موضوع الدرس – ص25– وفوق مستوى إدراك التلاميذ – ص 46– كما أن هناك أحاديث لا تناسب عقلية الأطفال مطلقاً– ص51 .."

ورصد التقرير خطأ فادحاً .. فتحت وعنوانه مساعدة المحتاجين أوضح الكتاب أن المحتاج هو اليتيم فقط – ص43– وهذا بنص الآية الكريمة رقم 36 من سورة النساء كما قال التقرير..

كما رصد صورة لامرأة شعرها ورقبتاها عاريتان ص 34 والمفروض – كما قال التقرير – أن تكون المرأة مرتدية للحجاب الشرعى حتى ترسخ فى أذهان الطفل تلك الفضيلة الإسلامية.

وانتقد التقرير امتلاء الكتاب بالأخطاء اللغوية الفادحة وقال : إن صيغ أسئلة الكتاب لا تناسب قدرات الأطفال العقلية – ص25 وغير مناسبة – وص 20– وغير مرتبة ولا تنطبق على ما تشتمل عليه السور – ص 29 – كما أن أسئلة

الكتاب غير مفهومة ومطولة وأجوبتها لا يعرفها المعلم ذاته ، لا طفل فى السادسة – ص 32 –!!

وأشار التقرير إلى أنه فى 27 – وتحت عنوان " ماذا تعلمت من هذه الوحدة؟" – هناك توجيه للتلاميذ يذكرهم بأنهم قد تعلموا من خلال الوحدة أن شكر الله يكون بالمواظبة على الصلاة وبطاعة الوالدين وسماع كلامهما وبمذاكرة دروسهم وعمل الواجبات وحب المدرسين والعطف على الفقراء ومساعدة المحتاجين وهذه كلها أمور لم تذكر بتاتاً فى الوحدة موضوع الحديث , وبالتالى لم يتعلمها التلاميذ ,وهذا قد يؤدى إلى أن يفقد المعلمون والتلاميذ الثقة فيما يقدمه الكتاب من معلومات !!

شهادات حية

ولا يتعجب من ذلك الباحث على إسماعيل– بلجنة تطوير مناهج التربية الدينية والذى لم استبعاده منها بسبب رؤيته الفكرية الإسلامية حيث يقول : إن الخبراء الأمريكيين ما زالوا يقومون بوضع جميع مناهج التعليم العام بما فيها التربية الدينية الإسلامية .

ويضرب مثلاً يؤكد سيطرة الأمريكيين على لجنة تطوير التربية الدينية قائلاً: أثناء رئاسة الخبراء الأمريكيين لإحدى جلسات لجنة تطوير الدين تطرق الحديث عن آيات ووقائع تاريخية حول الخمر والزنا واليهود والحروب الصليبية , وفوجئنا بالخبيرة الأمريكية "ليندا لامبرت" تطالبنا بترجمة الآيات ترجمة حرفية دقيقة , وبعد أن تمت الترجمة قالت: هذه آيات تحد من إبداع الطلاب وتعودهم الحفظ وتبعث فيهم الكراهية نحو العالم وهدفنا هو توثيق روح المحبة والإخاء العالمى!!

يضيف على إسماعيل قائلاً : ثم فوجئنا بالخبير اليهودى – جيرالد فيرت يطالب بحذف تلك الآيات الخاصة باليهود والمسجد الأقصى تحت دعوى أن

هناك صلة قربى بين اليهود والعرب وقال : " لا داعى لأن نحشو ذهن الطلاب بالخرافات " .

يقول على إسماعيل : عندما سمعت كلام الأمريكيين اعترضت بشدة وأكد لهم أن حذف تلك الآيات جريمة ، لأنها تمثل هويتنا وعقيدتنا ولكن فوجئت بعد انتهاء الجلسة بساعات بقرار صادر من د. كوثر كوجك – مديرة المركز الأمريكى – باستبعادى من لجنة تطوير الدين !!

مركز ضد الوطنية

د. عيد أبو المعاطى الباحث بمركز تطوير المناهج " المشبوه" عايش قيام الأمريكيين بعملية "طبخ " مناهجنا قائلاً : " انضممت إلى مركز التطوير كي أخدم وطنى إلا أننى فوجئت أن هذا المركز ليس لتطوير المناهج وإنما هو معول لهدم الوطنية – ونجحنا – كباحثين مصريين شبان – فى وضع مناهج ملائمة لبيئتنا وواقعنا ومتفقة مع عقيدتنا وهويتنا ، وقمنا بتسليمها للدكتورة كوثر كوجك , إلا أننى فوجئت بها تؤكد لنا أن المركز انتهى من عملية وضع المناهج ، فسألناها كيف؟ فردت بأن مركز تطوير التعليم بواشنطن بخبرائه الأمريكيين انتهوا منها , وهى فى طريقها للطبع بعد موافقة د.حسين كامل بهاء الدين – وزير التعليم – عليها !!

فوجئ د. عيد بهذا الكلام ودخل فى حوار ساخن مع مديرة المركز ، قرر بعده الانسحاب من الوكر الأمريكى ؟!

قال د. كوثر امرأة " مسنودة جدا" ... والدليل أنها رأست المركز بعد إحالتها للمعاش ولم يكن لها صلة من قريب أو بعيد بتطوير المناهج !!

عودة الكتب الملغاة

ودليل جديد يؤكد أن الأمريكيين وضعوا ومازالوا مناهجنا .. فبعد حملة "الشعب" الناجحة ضد كتب المعلومات العامة والأنشطة المقررة على الصفوف الثلاث الأولى من التعليم الأساسى – والتى يقوم بتأليفها الخبيران الأمريكيان " ايفرت

كيتش وديفيد بتس " – وقيام وزير التعليم بإلغائها رقم 4215 فى 7 ديسمبر 1991 على أن يتم تدريس كتب البيئة المصرية بدلاً منها , استقبل وزير التعليم وفداً من هيئة المعونة الأمريكية طالبه بالعدول عن فكرة إلغاء الكتب الثلاثة , وأكد له أن مركز تطوير التعليم بواشنطن – الذى يقوم بوضع المناهج المصرية – يقوم بالتنسيق مع د. كوثر كوجك وتجريب الكتب المؤلفة ميدانياً بكفاءة عالية !!

وبعد أيام قليلة من زيارة وفد المعونة الأمريكية – كما أكد لنا مصدر كبير بوزارة التربية والتعليم أن الوزير أصدر وزير التعليم تعليماته لأحمد عبدالمعطى وكيل الوزارة لشئون الكتب بإعادة طبع الكتب الأمريكية الثلاثة مرة أخرى .. وبالفعل انتهت الوزارة من طبعها !!

فريق أمريكى

ويؤكد تقرير سرى خطير رفعته د. كوثر كوجك مديرة مركز تطوير المناهج مدى هيمنة الأمريكان على وضع مناهجنا .. إذ يوضح التقرير قيام فريق أمريكى برئاسة " جيرالد فيرت" – وعضوية د. بيتر تومان ود. جوان كابر ود. ديفيد بتس ود. ايفرت كيتس ود. ليندا لامبرت ود. كارولينا بمراجعة ووضع سبعين كتاباً جديداً فى مختلف الفرق الدراسية فى التعليم العام!! كما وضعوا دليلاً لإعداد المناهج والمواد التعليمية أسموه "مصفوفة المدى والتتابع" ويورد التقرير فى صفحة ص17" " أن الخبراء الأمريكيين أقنعوا مؤلفى الكتب الدراسية بتعديل كتبهم وفقاً للتعديلات الجديدة بعد أن قاموا بعقد حلقات نقاشية أسبوعية مع الباحثين المصريين الشبان لصبغ تفكيرهم بالصبغة الأمريكية .

وفى ص19 يقول التقرير : لقد تم وضع المناهج المصرية الجديدة اعتماداً على ما يلى :

- تقارير المشروع الأمريكى الخاص بتطوير التعليم الأمريكى لعام ؟
- التقرير الخاص عن إعداد الشخصية الأمريكية فى القرن القادم .

أما هويتنا وبيئتنا وحضارتنا فلا ذكر لها !!

خيانة وطنية

يصرخ سماح رافع رئيس قسم البحوث التجريب بشعبة تطوير المناهج بالمركز القومى للبحوث التربوية قائلاً :

" إن ما يحدث جريمة وطنية ومهزلة لم تحدث فى تاريخنا .. تحت سمع وبصر وزارة التعليم دون أن يتحرك أى مسئول !! "

إهدار 30 مليون جنيه

وعلمت " الشعب" أن وزير التعليم قد تجاهل التقرير كما تغاضى عد إهدار رد. كوثر كوجك لثلاثين مليون جنيه من أموال المنحة الأمريكية لتطوير المناهج والبالغة 57 مليون جنيه .

أهدرت تلك الأموال الضخمة على هيئة مكافآت وهدايا وبعثات سفر للباحثين.

وقد رصد تقرير خطير تسلمه وزير التعليم انحرافات بالمركز كما وردت به إشارة إلى أن د. كوثر تتقاضى مرتباً شهرياً يصل إلى أكثر من 5 آلاف جنيه!!

وأنها استجلبت 35 مستشاراً من وزارة التعليم والجامعات ليبرروا سياسة المركز التعليمية .. ورصدت لكل منهم ألفى جنيه شهرياً عدا البدلات والحوافز لمدة خمس سنوات متواصلة !!

بل وصلت المكافآت الإضافية لباحثى المركز فى 3 شهود فقط إلى أكثر من 100 ألف جنيه وزعت بدون قواعد واضحة !!

مطلب شعبى وعلمى

وليس المطلوب هو عزل د. كوثر بل إلغاء مركز تطوير المناهج الأمريكى بخبرائه واضطلاع شعبة بحوث وتطوير المناهج بالمركز القومى بمهمة تطوير مناهجنا .. وهو ما يعد مطلباً علمياً وشعبياً نادى به مئات التربويين والمفكرين فى مؤتمر نادى تدريس جامعة القاهرة عن أزمة التعليم .. حيث أكدت

توصيات المؤتمر أن مركز التطوير يعد من أخطر ما يهدد الأمن القومى المصرى !!

ويأتى إلغاء مركز تطوير المناهج استجابة لمطالبة الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة بذلك فى 27 يونية 1991 .. حيث أكد رئيس الجهاز د. حسين كاظم فى خطاب لوزير التعليم عدم جدوى مركز التطوير .. ولا يعد إلغاء مركز التطوير عملاً مستحيلاً .. فقد تم إلغاؤه مرة سابقة بالقرار 192 لعام 1988 والذى حول شعبة تطوير المناهج إلى شعبة تطوير المناهج الوطنية .

إننا بحاجة إلى وقفة حاسمة للمعلمين تطالب بإشراكهم فى وضع المناهج حتى لا يكونوا حقلاً للتجارب فقط !!

(الوفد 1992/9/11)

****

الإسرائيليون يتسترون وراء شركات غربية لتصوير أفلام فى مصر

" عندما ترحل الملائكة " .. سيناريو فيلم تقدمت به شركة مصرية للخدمات السينمائية .. مندوبة عن شركة ألمانية ، إلى جهة إعلامية مسئولة للحصول على موافقتها لتصوير الفيلم فى مصر ، وتضمن السيناريو موافقة الجهات الإعلامية المسئولة فى إسرائيل على تصوير مشاهد من الفيلم فى إسرائيل!!.

هذا السيناريو يعتبر امتداداً للمحاولات الإسرائيلية المستمرة لغزو الفكر العربى والغربى فى نفس الوقت ؛ لتحقيق العديد من الأهداف التى يضعها الفكر الإسرائيلى ، من خلال العديد استراتيجيات يتم فيها خلط الأوراق ، وينافس فيها الإسرائيليون ودعاة الفكر الصهيونى – الحواه وبتوع الثلاث ورقات .

ومن بين هذه الأفلام ، فيلم " غزاة الكنز المفقود " الذى ثارت ضده الأقلام الشريفة إلى أن تقرر وقف عرضه ، وأفلام فرنسية وأمريكية عديدة من بينها " المخدوع " .

وبالإضافة إلى هذا الأسلوب ، يقوم اليهود بتصوير أفلام الفيديو التى تشوه مصر والمصريين ويستكملون تصويرها فى إسرائيل ، ويفعلون ما يشاءون ويعبثون بالمشاهد التى صورت فى مصر لإظهارنا شعباً غبياً متخلفاً وتأكيد أحقيتهم كعباقرة وأذكياء فى أن تمتد دولتهم من الفرات إلى النيل .

ولم يكتف البعض بتسريب أفلامهم إلى مصر ، أو تصوير بعض أفلام الفيديو – سرقة – فى مصر ، بل وصل الأمر إلى التقدم بصورة رسمية إلى جهة إعلامية مسئولة بسيناريو فيلم يحمل عنوان " عندما ترحل الملائكة " وتدور أحداث الفيلم من خلال مجموعة من الإسرائيليين الذين يأتون فى زيارة سياحية إلى المعالم الدينية فى مصر ، ويذهبون إلى سيناء ، ويمارسون طقوسهم الدينية فى سانت كاترين .. وتستكمل مشاهد الفيلم فى حيفا ويافا والقدس والأرض الفلسطينية المحتلة .

وقيام الشركة السينمائية الألمانية بإنتاج هذا الفيلم لم يأت من فراغ .. فرأس المال اليهود يهمه أن تتولى الإنتاج شركة ألمانية للانتقام الأزلى من سلوكيات ألمانيا مع اليهود وحتى يكتسب الفيلم مصداقية ؛ لأن المنتج ألمانى ينتصرون لليهود .

هذا الحدث يذكرنا بما حدث منذ أكثر من نصف قرن عندما جاءت شركة ألمانية سينمائية للاتفاق مع الممثل الراحل يوسف وهبى على القيام بدور النبى محمد – صلوات الله وسلامه عليه – فى فيلم بعنوان "محمد رسول الله" وأوهمه المنتج ومندوب الشركة بأن الفيلم حصل على موافقة من الجهات المسئولة ومن بينها الأزهر ، وأنه دعاية طيبة للإسلام ونبى الإسلام ، وكاد يوسف وهبى – كما يقول فى مذكراته – أن يتورط وتقدم بطلب إلى الأزهر الذى ثار علماؤه فى ذلك الوقت ، ووصل الأمر إلى تهديد الملك فؤاد ليوسف وهبى بالنفى وحرمانه من الجنسية المصرية ، وتراجع الممثل الكبير الذى أكد أن جهله بالإسلام صور له أنه لا مانع من ظهور النبى على شاشة السينما .

ومنذ أيام يأتى اليهود من خلال شركة ألمانية ومندوبيها الذين وصلت بهم الجرأة إلى تقديم خدمات لليهود لتشويه مصر والإسلام لتصوير فيلم يحقق نفس السياسة .

* زمان وقفت مصر بأجهزتها الحكومية والدينية والشعبية ضد محاولة اليهود للعبث بمصر والإسلام ، والآن تحدث نفس المحاولة .. يا ترى ماذا سيفعل المسئولون عندنا ؟! .

(الوفد 1992/9/30)

****

هواية إسرائيلية تحولت إلى احتراف :سرقة الموسيقى

عندما تجلس مرتدياً كامل ملابسك

وتلمح بجوارك شخصاً عارياً تأكد أنه سيسرقك عند أول فرصة.

ليس بالضرورة لأنه لص , ولكن لأنه –أيضاً– عار.

وعندما يكون عمر الفن المصرى آلاف السنوات.. وعمر إسرائيل (كلها) أقل من نصف قرن فمن الطبيعى أن يسرق الإسرائيليون الفن المصرى.. ليس لأنهم لصوص (مع أنهم كذلك) ولكن لأنهم عراة..!

نقطة بداية نرصدها بعد هزيمة 67.. أما مسرح السرقة فكان شبه جزيرة سيناء.. حيث أرسلت إسرائيل بعثتين إلى سيناء بعد النكسة بشهور لجمع الأغانى والرقصات الموسيقى الشعبية فى هذه المناطق.. كانت البعثتان تحت إشراف مركز البحوث الموسيقية بالجامعة العبرية وأرشيف الصوت القومى (هيئة علمية إسرائيلية)..

البعثة الأولى كانت بقيادة برفيسور إسرائيلى يدعى "عمنون شلبوه" ومعه من الأخصائيين " جزرون كيوى" (وهر تزوج وهو فاف) وفنى تسجيلات يدعى "فاينبرج" أما البعثة الثانية فقد قادها البروفيسور (دوف نوى) مؤسس أرشيف إسرائيل وكانت تضم خبراء إسرائيليين بالإضافة إلى طاقم التسجيلات فى

أرشيف الصوت القومى, وقامت البعثتان بتسجيل عشرين ساعة من الفلكلور الشعبى لبدو سيناء.. تم بيعها إلى إحدى المؤسسات الأمريكية التى طبعتها على إسطوانات حديثة وطرحتها فى الأسواق.

وعلاقة اليهود بسرقة الموسيقى المصرية ومحاولة الاستيلاء عليها لم ترتبط بقيام إسرائيل.. بل إن محاولات السطو.. سبقت .. بسنوات عديدة , ففى عام 1929 جاء إلى مصر بروفيسور ألمانى يهودى يدعى "كورت زاكس" وكورت هذا كان أستاذاً لمحمود الحفنى الذى قدمه فى حفل افتتاح المعهد الملكى الموسيقى واقترح كورت على الملك فؤاد عقد مؤتمر للموسيقى العربية يدعو إليه عدداً من الأساتذة الغربيين المهتمين بالموسيقى العربية .. وبعد المقابلة بسنة وجه معهد الملك فؤاد الأول للموسيقى الدعوة للدكتور "زاكس" الذى قدم للمعهد تقريراً شاملاً أكد فى نهايته.. على أهمية عقد المؤتمر , وفى عام 31 عاد إلى مصر تلميذه محمود الحفنى بعد أن حصل على الدكتوراة فى الموسيقى المقارنة وعين مراقباً فنياً لمعهد الموسيقى.. وبدأ فى الإعداد للمؤتمر وفى نفس العام حضر إلى مصر البارون الألمانى "دى أرلنجر" وقضى فى مصر عشرين يوماً لمناقشة عقد المؤتمر, وفى عام 32 أصدر الملك فؤاد الأول أمراً ملكياً بتشكيل لجنة تنظيم المؤتمر وعين الدكتور الحفنى سكرتيراً عاماً للجنة .. وضمت لجنة تسجيل الألحان عدداً من الأساتذة اليهود المتخصصين فى علم موسيقى الشعوب.. مثل " بول هند منت" المؤلف الألمانى والأستاذ بمدرسة الموسيقى العليا ببرلين والدكتور " هارتييز" الأستاذ بجامعة برلين والدكتور"كورت زاكس" مدير متحف الآلات الموسيقية ببرلين..

بالإضافة للدكتورة "بريجيت شفر" عميدة معهد المعلمات للموسيقى بمصر .. والتى كان قد سبق لها القيام بدراسة لموسيقى الصحراء الغربية وواحة سيوة فى مصر بالاشتراك مع "د.هاتز هيكمان" رئيس قسم الموسيقى بدار الآثار

المصرية الذى تولى من خلال اللجنة جمع الموسيقى القبطية وموسيقى الصعيد الأعلى بالإضافة إلى السودان وأثيوبيا كمناطق تماس وتأثير مع مصر.

وقد قامت هذه اللجنة بتسجيل 178 إسطوانة شمعية لمختلف ألوان الموسيقى الشعبية فى الوطن العربى.. وهى 10 اسطوانات من الألحان والطقاطق الشائعة و 3 اسطوانات من ألحان سيد درويش من و 10 إسطوانات بصوت داود حسنى و 4 اسطوانات بصوت الشيخ درويش الحريري واسطوانتان من أغانى العوالم بالإضافة إلى 3 اسطوانات من الأغانى الشعبية بالقاهرة والإسكندرية , وأسطوانة لحفل " زار " مصرى.. وأخرى لحفل سودانى بالإضافة إلى 9 أسطوانات من ترانيم وألحان الكنيسة القبطية فى مصر..

بالإضافة إلى عشرات الاسطوانات التى سجلت الموسيقى الشعبية فى الدول العربية التى شاركت فى المؤتمر وهى :

فرق المغرب والجزائر وتونس وسوريا والعراق, والطريف أن كل هذه الإسطوانات تم تسليمها لباحث يهودى ألمانى سافر بها إلى ألمانيا على أن يعيدها إلى مصر بعد طبعها على اسطوانات بلاستيكية وصرفت له وزارة المعارف المصرية 500 جنيه مصرى مقابل إرسال الإسطوانات بعد طبعها, لكنه فضل أن يستغل المبلغ الذى صرفته له وزارة المعارف فى إرسال الإسطوانات إلى (أرض الميعاد) حيث هاجر عام 35 إلى فلسطين وأسس قسماً للموسيقى الشرقية فى الجامعة العبرية بالقدس, أما النكتة الحقيقية فيرصدها الدكتور أحمد الغازى فى كتابه " الحركة الوطنية والتخطيط الفنى" حيث وجه الدكتور محمود الحفنى "تلميذ لايخمان" التهنئة له على إنشاء قسم الموسيقى الشرقية.

النهاية البوليسية التى وضعها "دوبرت لايخمان" للاسطوانات التى تم تسجيلها دفعت البعض إلى التفكير بطريقة أكثر بوليسية حيث ساد اعتقاد بأن عقد المؤتمر كان خطوة ضمن خطة مرسومة لجمع التراث الموسيقى المصرى

والعربى ثم الاستقرار فى إسرائيل. وإذا طبقنا القاعدة التى تقول : إن المقدمات ترتبط بالنتائج, وإذا لاحظنا الفارق الزمنى الضئيل بين عقد المؤتمر (32) واستقرار الاسطوانات فى إسرائيل, نجد أنفسنا أقرب إلى تصديق هذا الاعتقاد.

والطريف أن تسجيلات "لايخمان" شملت كل أنحاء مصر ماعدا شبه جزيرة سيناء.. وبالطبع فقد تم إكمال هذه التسجيلات بعد النكسة.. بينما لا تملك أكاديمية الفنون الآن إلا أسطوانة واحدة مسجل عليها قداس قبطى فى إحدى كنائس قنا فى حين تملك الجامعة العبرية تسعة تسجيلات لكافة أنواع "الأقدسة" الموجودة بأديرة وكنائس مصر وهى نفس التسجيلات التى تحتفظ مكتبة الكونجرس بنسخ منها.

ولم يقتصر الاحتكاك الإسرائيلية بالتراث الفنى المصرى على السرقة فقط لكنه تجاوزها إلى محاولات الاختراق .. ففي عام 87 اكتشف المسئولون في أكاديمية الفنون باحثاً يوغوسلافيا اسمه "سفانى بوربيتان" قضى فى مركز الفنون الشعبية ثلاثة أشهر قام خلالها بإجراء عدة بحوث لصالح الجامعة العبرية فى القدس.

وفى عام 93 تراجعت دار الأوبرا المصرية عن عرض أوبرا شمشون ودليلة لفرقة أوبرا برجن البلجيكية بعد أن شن المثقفون حملة ضد عرض الأوبرا فى القاهرة .. حيث كتب فرج العنترى – باحث موسيقى وأستاذ فى أكاديمية الفنون – مقالاً يكشف فيه أن (سان هانص) مؤلف أوبرا شمشون ودليلة يهودى صهيونى كان صديقاً للأمير محمد على توفيق الذى شغل منصب الرئيس الأعظم للحركة الماسونية العالمية (بالإضافة إلى أن القصة نفسها مستوحاة من التراث العبرى) وأوضح العنترى أن الأوبرا تهدف إلى التركيز على أن العبرانيين هم أصحاب الأرض الحقيقيون .

والسرقة ليست هى أهم ما يميز سلوك الإسرائيليين تجاه الفن المصرى والعربى .. حيث ترتبط السرقة بالادعاء وقلب الحقائق .. ففي عام 82 أذاع راديو تل أبيب حديثاً لمؤلف أغانى إسرائيلى مولود فى القاهرة قال فيه : إن بعض

الملحنين المصريين اقتبسوا مقاطع كاملة من لحن الموسيقار اليهودى (المصرى) داود حسنى (قولوا لعين الشمس) دون أن يشيروا إلى مصدر الاقتباس .. الطريق أن الكاتب أنيس منصور قد تبنى هذه القصة وأضاف إليها أن الإسرائيليين كانوا يسخرون من المصريين بإذاعة هذا اللحن الذى وضعه اليهودى المصرى داود حسنى فى مكبرات الصوت عبر قناة السويس بعد النكسة .. وأن هذا كان سبباً فى عدم إذاعة الإذاعة المصرية لهذا اللحن كثيراً حتى لا تثير أوجاع المصريين .. وهو ما دفع الباحث فرج العنترى إلى الرد على الإذاعة الإسرائيلية قائلاً : إن لحن (قولوا لعين الشمس) نغم فلكلورى وأن داود حسنى قد استوحاه من التراث الشعبى حيث أثبت أن اللحن كان شائعاً على السفن التى تعمل فيما بين تونس والإسكندرية وكانت كلماته تقول (يالاجريحى يا سايق الغليون يا الأجريحى) وأن هذا اللحن قد استخدم بذات أنغامه بعد ذلك فى القاهرة على نص آخر يقول (وجننتينى يا بنت يا بيضة وجننتينى) .. أما الاستخدام الأكثر شيوعاً للحن .. فهو الذى وضعته الجماهير لتحية (الوردانى) الذى اغتال رئيس الوزراء بطرس باشا غالى.. كانت الكلمات تقول (قولوا لعين الشمس ما تحماشى أحسن غزال البر صابح ماشى) .

أما د. فؤاد عباس فيرصد فى كتابه "مدخل إلى الفلكلور الفلسطينى" الحملة التى شنها اللوبى الصهيونى فى بريطانيا على مدير المتحف البريطانى فى لندن حتى يقوم بتغيير اللافتة التى وضعت على معرض خاص بآثار مدينة (لقش) الكنعانية .. حيث كانت اللافتة تشير إلى آثار فلسطين القديمة .. وتم تغيير الكلمة إلى إسرائيل القديمة .

يشير تقرير المجالس القومية المتخصصة إلى خطورة عدم وجود أرشيف عام لجمع الفلكلور المصرى.

أما منظمة اليونسكو فقد اكتفت بإصدار تقرير عام 1978 ترصد فيه النهب المنظم الذى تقوم به إسرائيل للتراث العربى .

ومن سرقة الموسيقى والأغانى إلى سرقة التاريخ نفسه .. حيث يفسر سعد الدين وهبة رئيس اتحاد الفنانين العرب محاولات إسرائيل لصناعة تاريخ مزيف بالرغبة فى البحث عن جذور وهمية .. لثقافة إسرائيلية لم تكن موجودة فى هذه المنطقة فى يوم من الأيام .والمشكلة ليست فقط فيما تقوم به إسرائيل بل أيضاً فيما تقوم به نحن .. فوزارة الثقافة على امتداد تاريخها .. لم تقم سوى بمحاولة وحيدة للرد على الدعاوى الإسرائيلية عندما أصدر الدكتور ثروت عكاشة قراراً بإنتاج فيلم تسجيلى يتحدث عن الأصول التاريخية للشعب الفلسطينى.. وهو الفيلم الذى أخرجه أحمد فؤاد بعنوان وجوه من فلسطين ، وقدم فيه مجموعة أعمال لفنانين تشكيليين فلسطينيين تناقش هوية الشعب الفلسطينى وارتباطه بأرضه وتراثه منذ كنعان وعشتار .. وهو الفيلم الوحيد الذى كان عبد الناصر يحتفظ به فى مكتبته السينمائية .. بعد أن أصدر قراراً بطبع 400 نسخة من الفيلم وإهداء نصفها لمنظمة التحرير الفلسطينية والنصف الآخر لجامعة الدول العربية .

(روز اليوسف 1995/3/27)

خطابات إسرائيل للفنانين المصريين

كما نعرفها ، وكما نتوقع منها ، لا تيأس إسرائيل أبداً من محاولة اختراق السينما المصرية .. مرات بطريقة التسلل إليها فى الداخل ، ومرات بإغراءات جذب فنانينا إلى هناك .وأحدث المحاولات تلك التى يكشف عنها هنا كاتبنا وحيد حامد ، وهى خطابات وصلت للمنتجين المصريين من شركة استديوهات إسرائيلية تعرض خدماتها فى الترجمة والتصوير، ومن جانبنا فى " روزاليوسف " حققنا وتابعنا رد فعل المحاولة الإسرائيلية فى الوسط السينمائى فاكتشفنا أنها ليست الوحيدة التى تتم فى نفس الوقت ، فهناك – أيضاً – منحتان إسرائيليتان فى مؤثرات الفيديو والأدب !! .

و.. إليكم التفاصيل .

إنذار غير مبكر قبل أن تقع الكارثة : سينما مصرية صُنعت فى إسرائيل

وحيد حامد

العقلاء كانوا يعرفون أن ذلك سوف يحدث .. وها هى إسرائيل تزحف نحونا .. وهى كالأفعى السامة ما تعجز عن ابتلاعه فى جوفها تقتله بسمها .. وهى تكمن للفريسة أحياناً .. وتهجم عليها أحياناً .. وهى تقتل بقذف السم من بُعد .. كلنا يعرف ذلك .. ومع هذا لن يوقفها أحد .. بل ستجد من يرحب بها .. ويلبى دعوتها ..

إسرائيل أيها السادة تزحف نحو العقل المصرى من خلال الثقافة والإعلام وأيضاً الإعلان.. وهذه السطور القليلة أتوجه بها إلى رجال الفكر والثقافة وصناع الفن وجموع الفنانين حتى يدركوا حقيقة الخطر القادم .

الوقت مناسب تماماً لابتلاع الفريسة فهى منهكة للغاية .. السينما المصرية تعانى من الهزال والهوان معاً ، وكل ما نفعله عقد مؤتمرات الكلام وندوات المهاترات والتشنجات ، ثم الخروج بتوصيات لا يلتفت إليها أحد ، ولأن السينما ذبحت بسكين الحكومة أولاً .. من خلال الإهمال المتعمد وغياب الفهم الحقيقى لرسالة السينما كان له تأثيره الجماهيرى على كافة المستويات.. والحكومة هى صاحبة القوانين المعطلة لعجلة الإنتاج وأيضاً القوانين المقيدة لحرية الإبداع والحكومة هى التى فرضت على السينما كل أنواع الضرائب الثقيلة التى تجهض الحامل .. ولسوء الحظ أن أغلب أعضاء الحكومة ولسنوات طويلة تعاملوا مع السينما على اعتبار أنها من المنكرات المباحة قانوناً شأنها شأن الخمر تماماً .

وفى موت السينما المصرية مصالح سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية يسعى إلى تحقيقها الأعداء من مختلف الجنسيات ودون الدخول فى تفاصيل .. فقد تحركت إسرائيل وأرسلت الخطابات والدعوات للعمل داخل الاستديوهات الإسرائيلية ولتكن البداية بالترجمة والطباعة والتوزيع .. وتنفيذ الإعلانات وطبقاً لسياسة إسرائيل التوسعية يتم إنتاج البرامج ثم الأفلام والمسلسلات وغيرها .

والحق أقول : إن العمل هناك سيكون أفضل من هنا عشرات المرات وسوف يتم توفير كل سُبل الهناء والراحة وستكون الجودة عالية والتكلفة قليلة ويرتاح صناع السينما فى مصر من المعدات المستهلكة ومن البيروقراطية المتأصلة فى نفوس السادة الأكابر .. كل شىء سيكون سهلاً وعلى الطريقة الإسرائيلية .. وستكون النتيجة أن تتحول الاستديوهات عندنا إلى خرابات ومأوى للزواحف والقوارض أكثر مما هى عليه الآن .. ويتشرد المئات من العاملين فى الحقل السينمائى .. أما الكارثة الكبرى فإن الثقافة المصرية والفن المصرى سيتم صنعهما فى إسرائيل وعندما تصنع إسرائيل فإنها تصنع على هواها ولخدمة مصالحها وأهدافها وفرض سيطرتها على العقول .

وإذا كانت المعدة المصرية قد هضمت الدجاج الإسرائيلى والبيض فإن العقل المصرى لو هضم واستوعب الفن المصنوع عندهم فستكون نهاية كل شىء بالنسبة لنا .. ستكون أول خطوة فعالة فى تدمير الشخصية المصرية والقضاء على التركيبة الشعبية التى تحمى أبناء الوطن على مر الأزمان وإذا كانت الدعوة الإسرائيلية جادة وصارمة والعبارات شديدة الوضوح والجرأة وكأنها تقرر واقعاً لابد منه حيث يقول نص العبارة الأخيرة فى خطابهم: "يسرنا أن نقيم علاقات عمل وتعاون معكم .. والرجاء عدم التردد فى التوجه إلينا لطرح أية أفكار عملية .. مع الشكر والتمنيات بعمل مثمر " .

وبالطبع .. هو عمل مثمر بالنسبة لإسرائيل وليس لنا ولن يكون لنا فى يوم من الأيام ؟! .

وفى ظل سياسة الدولة الحالية تجاه السينما وغيرها من الفنون .. فلا أستبعد أنا أو غيرى أن يتم شراء الاستديوهات المصرية لحساب إسرائيل وتحت أى غطاء أو ستار وساعتها لن نجد سوى التصريحات الحكومية والندوات النقابية والثورة الصحفية وكل الحناجر سوف تنطلق ويكون حالنا كحال عشة الفراخ عندما يدخلها ثعلب .. صياح لا نهاية له .. ولكن النتيجة الحتمية هى الدمار .

(روز اليوسف 1995/4/10)

****

بعد أن أعلنوا عن استعدادهم للحرب مع أى مصرى

دعاة التطبيع يعلنون عن وجودهم رسمياً فى القاهرة

ويا كراهية الذات مارسى دورتك حتى آخرها .

لا احتللنا بلاد أحد .. ولا استوطنَّا ولا أقمنا مجازر ولا خزنا النووي ، واتضح فى نهاية المطاف بعد خراب المدن وصوت الوليد أننا نحن المخطئون والعدوانيون والناقصون .. مركباً غير موجود فى كراتنا الدموية لا يعرفه سوى 30 عبقرياً فى مصر اسمه (!!) ثقافة السلام .

صبيحة يوم الأربعاء 98/7/22 تمام الساعة الثانية عشرة اهتزت الأشواك السوداء فوق قبر " تيودور هرتزل " مؤسس مشروع مجرمى صهيون مؤشراً على أن المدعو استراح فى رقدته .لم يكن السبب فيما تم مجزرة صهيونية جديدة أو شحنة نووى أو اجتماع حاخامات يهود فى تل أبيب .. بل كان السبب اجتماع حاخامات سياسة الراية البيضاء المصرية فى 12 شارع المرعشلى فى حى الزمالك بالقاهرة ، تلاه اجتماع فى نادى العاصمة فى جمعية رسمية مشهرة !! اسمها جمعية القاهرة للسلام .منذ أيام مسلسل "جمعة الشوان " وفيلم " الصعود إلى الهاوية " لم يعد المصريون "يهوشوا" أو ينخدعوا بقصة " منظمة السلام " .

إذ يعلم المصريون من أحداث المسلسل والفيلم المشتقة من الواقع .. إن هذا الاسم "منظمة السلام " ليس سوى الاسم الحركى " جمعية القاهرة للسلام " المشهرة تحت رقم 98/392 ضمت المجموعة إياها دعاة فتح بوابات الوطن على آخرها .. للتفاعل مع جنرالات صهيون.

وبينما كان الكلام يدور همساً .. أصبح الآن " للعشق الصهيونى " مستوطنة فى قلب القاهرة ولدعاة التطبيع منبر .. وصوت الجمعية ترأسها .. السفير

صلاح بسيونى وضمت معظم فريق كوبنهاجن بالإضافة لآخرين : على حسين ، الشلقانى ، ناجى قمحة وابنه ولطفى الخولى وعبد المنعم سعيد وعلى سالم وسعد الدين إبراهيم وأسامة الغزالى حرب ومحمد رضا محرم ورمسيس مرزوق وطارق حسن ومحمد عبد المنعم عبد الرحمن ، وعادل عباس ومدحت التونى ومنى أبو سنة ورضا هلال وطه المجدوب .

وقالت : إن أهدافها تتلخص فى ثلاث نقاط :

- إنشاء ثقافة السلام بمفهومها الكامل .
- تبادل الزيارات مع الجمعيات المماثلة .
- إنشاء مكتبة متخصصة تضم جميع المراجع المتعلقة بمفهوم السلام .

لا يحتاج طفل فى أى مدرسة ابتدائية فى أى قرية مصرية إلى أن يدرك الألغام داخل هذه الأهداف أو كما يقول إخواننا اللبنانيون : إنها أفكار مفخخة .. فالهدف الأول " ثقافة السلام" مقصود بها إدانة موقف الرفض لعدوانية المشروع الصهيونى وإدانة الشهداء فى مقابرهم .. على أساس أننا المخطئون إذ لم نستقبل الدبابات الإسرائيلية بالورد .. وعلينا أن نصلح الحال. الهدف الثانى : تبادل الزيارات مع الجمعيات المماثلة .. يعنى - بلا تزويق - أن نأتى بالصهاينة إلى قرانا .

الهدف الثالث : مكتبة السلام ، يعنى : ضخ الثقافة العبرية فى دماء شبابنا وأطفالنا .. علاوة على هذا لم تنطق جمعية القاهرة للسلام بكلمة أخرى واحدة .لكن هذا يكفى فإذا قارنا بين هذه الجمعية ومنظمات السلام التى كان يتضح أنها منظمات تجسس والتى كانت طائرات الأعداء تأتى لتقصف المواقع بعد لقاءات أعضائها المصريين لاتضح أن الأولى أقل ذكاء .

ربما هذا ما دفع الجمعية إلى أن تتاجر بمأزق التسوية الحالى وتعلن أنها ستعقد مؤتمراً لإنقاذ السلام من أعداء السلام !! سحقاً للأكليشيهات حين تملك سحر التمييع .

يستوقف المتابع أن الجمعية .. وهى جمعية سياسية حصلت ولأول مرة على تصريح من وزارة الشئون الاجتماعية فى مخالفة صريحة ولا تقبل الشك لقانون الجمعيات الأهلية ، وهو أمر يبعث المصريين على الجنون ويعيد إلى الذاكرة الطريقة التآمرية فى التفكير فى الأيام التى اخترق بها اليهود .. أعلى مراكز السلطة بوسائل سجلتها الكتب .

جمعية لضخ التأثير الصهيونى فى الحياة الفكرية والسياسية المصرية .. يصرح بها ، بينما يمكن أن ترفض وزارة الشئون التصريح لجمعية دفن موتى مؤشر مخيف لا يحزننا على ما فات بل يرعبنا مما هو آت .

إذ يهيئنا – لا قدر الله – لانتظار يوم يصبح فيه الكلام عن اللوبى اليهودى فى مصر كالكلام عن اللوبى اليهودى فى أمريكا .لكن الأمر .. ليس أسود إلى هذا الحد فقد بدأت حركة التصدى " للجمعية المشبوهة " فى القاهرة فى أكثر من مستوى الصحف ، نقابة الصحفيين ، لجنة مكافحة الصهيونية ، لجان أخرى .كما بدأ الرفض الشعبى يظهر على كل لسان ، والمتابع الموضوعى المحايد .. الواثق بقدرة هذا الشعب على الرفض فى صمت يعترف أنها لن تمر .الجمعية فتحت أبوابها .. لشبكات العضوية ونشرت عنوانها وتليفونها .ونحن خرقاً لكل الأعراف .. نسارع قبل الجمعية فننشر إعلاناً مجانياً لرقم تليفون الجمعية لكى يسمع " أمثال هؤلاء " صراحة رأى الشعب المصرى فيهم ، ولأننا واثقون بأنها لن تمر وأن رفض المصرى البسيط الآمن " الذى زرع السلام من 7 آلاف عام ولا يحتاج من يعلمونه " للمحاولة اليائسة فى إغراقه صهيونياً .فإننا سنعيد نشره مرات .. ومرات. ويا عزيزى القارىء .. ارفع سماعة التليفون وأعلن لا لكوبنهاجن .. رأيك فى عصابة الدم التى تحكم فى تل أبيب .. فى مجازرهم .. فى تاريخهم .. فى أهدافهم ولنحاصر .. سيل الشر من أوله وقبل فوات الأوان .

(الأسبوع 1998/4/27)

❋❋❋❋

نكسة جديدة للمؤتمر .. واستمرار احتجاجات معارضى التطبيع

السلطة الفلسطينية تقاطع اجتماع " جماعة كوبنهاجن "

افتتح مساء أمس فى القاهرة مؤتمر التحالف الدولى من أجل السلام (جماعة كوبنهاجن) الذى قاطعته السلطة الفلسطينية ، وتغيب عنه وزير الخارجية المصرى عمرو موسى ، فيما قللت الحكومة الإسرائيلية المنصرفة من شأنه، وأوفدت الناطق باسم السفارة الإسرائيلية لدى مصر إيليت يهياف لتمثيلها بصفة مراقب .

وفى المقابل ، احتشد نحو 600 من معارضى التطبيع فى قاعة أحد الفنادق الكبرى فى القاهرة للتنديد بالمؤتمر ، وأعلن المشاركون فى البيان الختامى العزم على عقد مؤتمر عربى شعبى قبل نهاية العام الحالى لمقاومة التطبيع مع إسرائيل ، كما قرروا تأسيس جمعية مصرية لحماية الثوابت الوطنية والقومية .وأعلن فى غزة أمس أن الرئيس ياسر عرفات رفض الدعوة للمؤتمر ؛ لأنه لا يرغب بالتغيب فى وقت يعمل فيه رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد إيهود باراك على تسمية وزراء حكومته العمالية ، ومن المتوقع أن يجرى عرفات اليوم فى القاهرة محادثات مع الرئيس حسنى مبارك تسبق لقاءه المرتقب مع باراك .

أما مسئول ملف القدس فى السلطة الفلسطينية السيد فيصل الحسينى فقال لـ " الحياة " : إن التطبيع يأتى نتيجة للسلام الشامل وليس قبل تحقيقه ، وكان الحسينى وصل إلى القاهرة أول من أمس فى سياق وصول الوفود المشاركة فى مؤتمر " جماعة كوبنهاجن " لكنه أعلن بصورة مفاجئة أنه لن يشارك فى المؤتمر وأن السلطة الفلسطينية لم تكلفه بحضوره .

وجاء إعلان الحسينى ضربة جديدة لمنظمى المؤتمر الذين كانوا يأملون فى رعاية رسمية من الأطراف المعنية ، وفى مقدمها مصر وفلسطين ، للدور الذى يقومون به لجهة ما أطلقوا عليه تعميق ثقافة السلام بين شعوب المنطقة.

وعلمت " الحياة " من مصادر موثوقة أن غياب الحسينى عن المؤتمر جاء بعد التأكد من عدم المشاركة الرسمية للحكومة المصرية سواء فى الجلسة الافتتاحية أو فعاليات المؤتمر .

وقال الحسينى : إن مؤسسات فلسطينية غير حكومية ستشارك فى المؤتمر ، مشيراً إلى أن السلطة الوطنية ومنظمة التحرير تنشطان فى كل الفعاليات التى تناقش قضية الوطن ، وتنظر إلى المؤتمر الحالى على أنه مؤتمر للحوار ، ولا نتحدث عن كونه عملية تطبيع ، ومواقفنا واضحة ، فلا تطبيع قبل تحقيق السلام الشامل والعادل .

وكان الحسينى التقى صباح أمس رئيس جماعة القاهرة للسلام السيد صلاح بسيونى وأبلغه قرار مقاطعة المؤتمر ، وقال : أكدت لبسيونى أن موقفنا ليس معادياً للمؤتمر أو مضاداً له ، وإنما أملته تطورات متلاحقة .

وعلى الجانب الإسرائيلى قال مسئولون : إن باراك كان سيوفد لتمثيله فى القاهرة رئيس الحكومة السابق شمعون بيريز ، وبحسب الصحافة الإسرائيلية فإن وزير الخارجية المنصرف آرييل شارون رغب فى مقاطعة هذا المؤتمر بسبب المواضيع المطروحة للبحث فيه والتى تتناول الرغبة فى وضع حد لثلاث سنوات من توقف عملية السلام .ومن المقرر أن يشارك فى المؤتمر الذى يستمر 3 أيام ، المبعوث الأمريكى للشرق الأوسط دنيس روس ، كما ينتظر أن يصل المبعوث الأوروبى ميغل موراتينوس وبيريز اليوم .

وفى المقابل عقد العشرات من مناهضى التطبيع مؤتمراً فى أحد فنادق القاهرة احتجاجاً على مؤتمر جماعة كوبنهاجن .

وازدانت قاعة المؤتمر بلافتات كتب عليها : "القوى الوطنية المصرية تقف موحدة فى مواجهة الاستسلام ، والمثقفون يرفضون جماعة كوبنهاجن ومؤتمرها المشبوه والتطبيع مع الصهاينة عار .

(الحياة 1999/7/6)

1 – نماذج ووقائع تطبيعة من الألفية 2001 - 2009 :

**** نشرت صحيفة " الحياة " فى 2000/2/18 مقالاً للكاتب السورى "موفق نيربيـه** " بعنوان " لا للعنصرية ومسألة التطبيع خطان متوازيان " حيث سأل سؤالاً عن حقيقة انتماء مقاومة التطبيع فى نشوتها وممارستها إلى فعل يتقاطع مع العنصرية والتمييز ، حيث نظَّر تاريخياً للعنصرية من نظرة البريطانيين لها ثم النازية ثم الفاشية الموسولونية ثم الفصل العنصرى بجنوب أفريقيا وهو الأكثر شناعة وهمجية ، ولما كان استيلاء إسرائيل على فلسطين يعتبر اغتصاباً واحتلالاً عسكرياً للأرض العربية ، كانت حركة مقاومة التطبيع مع هذا العدو مبررة وموضوعية ؛ لأن الأطروحات المطروحة للحل ليست موضوعية ولا تنهى الظلم الواقع على العرب أو الفلسطينيين .

***

**** فى ندوة بعنوان " فلسطين والعالم العربى فى القرن الحادى والعشرين " التى عقدت فى** الفترة من 13 – 14 مارس 2000 قدم أحمد بهاء الدين – الناشط السياسى – ورقة عمل بعنوان"نحو منهاج عمل لحركة مقاومة التطبيع الثقافى فى مصر والوطن العربى" وجاء فيها :

– بداية قدم الكاتب تعريفاً بكل من :

– العدو الصهيونى وكيف أن الحركة الصهيونية هى القاطرة للحركة الاستيطانية الاستعمارية الصهيونية ليست فلسطين سوى محطة أولى وارتكاز ليتمدد بها المشروع الصهيونى من النيل للفرات .

– التطبيع عملية قسرية ، اصطناعية ، تلفيقية تتم بإغراءات أمريكية هدفه الأساس اختراق العقل والوعى العربى والإسلامى ، للقبول فى النهاية بما تمليه الرغبة الصهيونية .

– **الثقافة :** ونقصد بها المفهوم الشامل للثقافة باعتبارها الإطار الحافظ لمكنون تراث الأمة ومعتقداته الدينية والفكرية وغير مقبول من أى مثقف عربى أن

تكون لـه أية علاقة بأى مثقف صـهيونى يقبل بشرعية احتلال دولته للأراضـى العربية .

– **مخـاطر التطبيـع الثقـافى** : تتمثل فـى تشـويهها للبنيـة الفكريـة العربيـة وذلك بهدف إحلال نسق فكرى مغاير يمهد للدور الإسرائيلى الجديد فى المنطقة وذلك لكى تكون عضواً فاعلاً بين دول المنطقة سياسياً واقتصادياً وكان إنشاء المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة .

– أبرز مظاهر هذا الخطر أنه أسس لعمليات اختراق للعقل الجمعى للمصريين لتغيير قناعاتهم وأفكارهم بالتدريج تجاه العدو الصـهيونى ، لكن الأخطر هو لعب بعض المثقفين المصريين والعرب دور حصـان طروادة للثقافة الصـهيونية لإحداث مزيد من الاختراق للعقل والثقافة المصرية والعربية ، وذلك عبر جمعية للقاهرة للسلام أحد أجنحة جماعة كوبنهاجن وأبرز رموزها لطفى الخولى وعلى سالم وغيرهم ممن تورطوا فى التطبيع الثقافى مع العدو الصهيونى .

– رغم كل المحاولات التى تبذلها الجماعة الوطنية المصرية للتصدى لمحاولات الاختراق الصـهيونى للجبهـة الفكريـة والثقافيـة المصـرية إلا أن هذه الجهود فـى حاجة للتعاظم نظراً لضخامة الحملة ومنهجيتها واستخدامها لأدوات كثيرة تتوافر لها الغطاء المالى اللامحدود .

– فـالملاحظ أن حركـات مقاومـة التطبيـع مازالـت حركتهـا عشوائية وهـى أقرب لردود الأفعال التى تخضع لمقتضيات اللحظة ومازالت فى إطار النخبة المثقفة وتقتصر المناطق الشعبية على الموقف الفطرى العاطفى الرافض للتطبيع ، لذا ينبغى توحيد الجهود من هذه الحركات ليس فى مصر فقط بل فى العالم العربى أيضاً ؛ لأن الهدف والعدو واحد .

– قدم الكاتب والباحث والناشط أحمد بهاء الدين شعبان أطروحة لتطوير آليات وأنشطة جماعات مناهضة التطبيع وهى :

– الجانب النظرى : التأكيد على الموقف الرافض للطبيعة العنصرية للكيان الصهيونى وكذلك الرافض للهيمنة الأمريكية على المنطقة .

– التأكيد على الخطر الكبير للتطبيع مع العدو وأن نجاح حركة مقاومة التطبيع مرهون بتحقيق استقلالها المطلق عن المؤسسات البيروقراطية والأجهزة الرسمية باعتبار هذا العمل عملاً شعبياً فى المقام الأول .

– التأكيد على رفض مسلسل مفاوضات التسوية المهنية للأمة العربية مع التأكيد على حق الشعوب العربية فى النضال والكفاح ضد كل أشكال الاستعمار وأن الهدف الاستراتيجى للجماهير العربية هى إلحاق الهزيمة بالمشروع الاستعمارى الصهيوأمريكى بالمنطقة .

– التأكيد على الوحدة الوطنية داخل كل بلد عربى ؛ لأنه الصخرة الأساسية التى ستتحطم عليها كل المحاولات الاستعمارية لاختراق الجبهة الداخلية للدول العربية .

– مع إصدار مجلة فصلية عربية تتولى الإعلام عن مخاطر التطبيع مع إنشاء سكرتارية لكل حركات مقاومة التطبيع فى كل البلاد العربية مع التنسيق الكامل بينها .

– فضح أشكال الاختراق الصهيونى للثقافة العربية فى مجالات التعليم والفنون والآداب والفكر مع فضح كل المتعاونين مع المشروع الصهيونى مع عزلهم شعبياً .

– تنظيم ندوات مستمرة ونشرة إلكترونية ومخاطبة النقابات المهنية والعمالية وإعداد أفلام وثائقية تؤكد منطلقات حركات مقاومة التطبيع والعمل لرفع درجة الوعى لدى الشعوب العربية التى أصبحت فى جزء منها أسيرة للتغلغل الثقافى الصهيونى أمريكى مما يستلزم تمتين هذه الجبهة بمساعدة كل المخلصين لهذا الوطن العربى الكبير .

**** نشرت جريدة الوفد فى 2001/7/14 مقالاً مهماً للكاتب الراحل أسامة أنور عكاشة** بعنوان "ثقافة سلام .. أم لغو الكلام " تساءل فيه بداية " كيف يمكننا أن نخلق مناخاً سلمياً فى جو مسمم بتيارات الغضب التى أثارها شعب الله المختار وهو يستبيح كل ساعة حرمات الأرض والعرض والدم ؟ .

إن " ثقافة السلام ليست تلك المجموعة من المقالات المليئة بالمغالطات التى يكتبها أعضاء جمعية القاهرة للسلام ولا تلك العرائض من مثقفى الصالونات ومدعى الليبرالية الفكرية .. ساكنى الشقوق والأوكار فى خرائب التعالى الزائف والادعاء الجاهل .

وشبه الكاتب ما يسوقه تجار التطبيع الزائف بتلك البضاعة المضروبة التى باتت تملأ الشوارع وأرصفتها وهى قادمة من تايوان والصين ولبنان وإسرائيل ، وهى تقليد زائف لماركات عالمية محترمة .

وقارن الكاتب بين نوعين من السلام :

1 – السلام الزائف وهو ما يكون بين طرف منتصر قوى وطرف مهزوم ضعيف ، فهذا لا يمكن أن يخلق سلاماً حقيقياً وذلك بما حدث عندما وقعت أوروبا اتفاقيات عدة بعد الحرب العالمية الأولى قيل وقتها : إنها حققت السلام فى أوروبا وإذا بها تكون سبباً جوهرياً فى اندلاع الحرب العالمية الثانية ؛ لأنها بكل بساطة لم تكن اتفاقيات متكافئة بل كانت بين طرف قوى منتصر وآخر مهزوم ضعيف .

2 – السلام الحقيقى وهو ببساطة شديدة يكون بين قوى متكافئة فى كل أنواع القوى وهو السلام الذى دعت إليه كل الأديان السماوية وحتى الوضعية منها.

من ناحية أخرى وصف الكاتب الكبير جماعات السلام المصرية بأنها تمثل قمة الضآلة الفكرية أمام الآخر ، وهم أى : من يروجون لهذا التطبيع والتواصل مع الآخر لا شأن لهم ولا وزن حتى فى مجال أعمالهم نجدهم دائماً الأقل مع قرنائهم وأترابهم ، وأشار الكاتب إلى محاولة هؤلاء المطبعين بالتدليس على

الكاتب الكبير نجيب محفوظ وانتزاع إدانة منه لاتحاد الكتاب بعد شطبه لكبير دعاة التطبيع على سالم وهم يعلمون جيداً أن الرجل لا يقرأ، بل يُقرأ له وقد أخبروه أن على سالم تم شطبه دون التحقيق معه وسماع دفاعه ولم يبلغوه أن الاتحاد طالب الرجل السماع لدفوعه والتحقيق معه بشفافية ولكنه – أى على سالم – هو من هرب ولم يذهب.

وطالب عكاشة شلة المنتفعين والذين يفرضون وصاية على الكاتب الكبير نجيب محفوظ بالتوقف عن هذه اللعبة السخيفة المشبوهة ؛ لأن الرجل فى عنفوانه الأدبى لم يحاول أن يستغل هذا ويدعو للتطبيع أو السلام الزائف مع العدو الصهيونى .

**** فى مقال بعنوان " رطانة المثقف ومسألة التطبيع " للدكتور مصطفى عبد الغنى ونشرته** الأهرام فى 2001/7/9،تحدث الكاتب عن الرطانة بمعناها اللغوى ثم دلالاتها السياسية والثقافية موضحاً أن ما قام به المثقفون الذين استخدموا "الرطانة" الكلامية إزاء ما قام به اتحاد الكتاب بفصل على سالم من عضويته ومحاولة البعض توريط نجيب محفوظ بزعم اعتراضه على هذا القرار رغم أن الرجل يعيش على هامش الحياة ، فهو لا يقرأ صحفاً، فضلاً عن حيثيات قضية مثل قضية على سالم.وضرب الكاتب مثلاً آخر بالرطانة الثقافية ممثلاً فى الشاعر أدونيس ؛ لأن هذا الشاعر جاء بمقارنات تاريخية مغلوطة بدءاً من فجر التاريخ الإسلامى بزعم أن الإسلام إذا كان قد حارب اليهودية إلا أنه لم ينقطع مع الثقافة والفكر اليهودى وضرب مثلاً ببريطانيا فنحن مثلاً إذا كنا فى حرب مع بريطانيا ولكننا بالتأكيد مع شكسبير.

ورد الكاتب عليه بأن قياسه خاطىء تماماً لأن الحاضر يقول لنا : أيها السادة إن التطبيع مع الفكر أو الثقافة اليهودية اليوم إنما يظل سلوكاً خاطئاً وضرباً من الأمثلة التى لا تتماشى مع الحاضر لا نعرف منه غير صهاينة مهجنين وآتين بالثقافة والجنس مع عناصر الغرب الإمبريالى الأوروبى أو الأمريكى.

إن التطبيع الثقافى اليوم هو ضرب من التعامل الخاطىء مع عدو شرس ؛ لأن الدولة اليهودية تمثل شذوذاً بنيوياً – على حد د. المسيرى السمة الأساسية له أنها تجمع استيطانى إحلالى يوظف الديباجات اليهودية وأن نقطة انطلاقه هى الصبغة اليهودية الشاملة المهودة التى تذهب فى الأخير وفى التحليل الأخير أنه لا ينتمى للغرب فلابد من إحلاله محل سكان أرض أجداده ولهذا كانت العبارة : " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " .

***

** كتب المفكر القومى " أحمد عز الدين " فى جريدة الأسبوع فى 23 يوليو 2001 تقريراً مهماً عن مجلة روزاليوسف التى تروج لأفكار الصهيونية الجديدة فى مصر وتروج المجلة لكتابين هما " الحائط الحديدى " للإسرائيلى إيفى شليم والثانى هو " حرب فلسطين إعادة كتابة 1948 " للإسرائيلى إيفى شمايل .

وهذان الكتابان يروجان لما يمكن تسميته إعادة تشكيل الذاكرة العربية ، بحيث رويداً رويداً يتم تغيير الذاكرة الجمعية للشعوب العربية ، بحيث يتم تقديم السفاحين المجرمين الإسرائيليين وكأنهم دعاة للسلام ومن أشد المدافعين عنه .

وقد ذكرت المجلة أن حركة المؤرخين الإسرائيليين الجدد يجاهرون بعدائهم للاستفزازات والعنصرية الإسرائيلية وهذا مخالف للحقيقة .

كذلك تذكر المجلة أن هذه الحركة تكشف كثيراً من الزيف الإسرائيلى وهذا هو الزيف بعينه ، لأنه توجد حركة إسرائيلية لا تعمل فى الإطار الكلى لإسرائيل والعملية ما هى إلا توزيع للأدوار ليس إلا .

كذلك سقطت المجلة سقطات لا تغتفر مثل ترديدها ما يقوله قادة هذه الحركة وقادة الفكر فى إسرائيل من أن الجيش المصرى فى 1948 لم يكن قواده مؤهلين لأنهم كانوا حديثى السن وليس عندهم خبرة عسكرية على الإطلاق .

كذلك رددت المجلة ما تقوله هذه الحركة الإسرائيلية من إشاعات ومحاولتها دق أسافين الخصومة بين مصر والدول العربية وبين مصر والفلسطينيين وبين

مصر ونفسها أيضاً فى ظل تحليل حركة المترجمين العربية لما حصل وحدث فى حرب 1948 فى فلسطين ومحاولتها لي الحقائق وانجرار روزاليوسف بكل صلف فى إبراز وجهة النظر الإسرائيلية هذه .

*وفى ذات الفترة حذرت العديد من الصحف المصرية مراراً من الشبهات المحيطة بالشركات الأجنبية المشرفة على تنفيذ مشروع مركز مراقبة شبكة الاتصالات المصرية ، بعد أن حصلت على وثائق رسمية تؤكد أن شركة جنرال ديناميكس استشارى مركز نوك هى من أبرز شركات التصنيع العسكرى وأنها تتولى تصنيع أنظمة المراقبة والتشويش العسكرى لوزارة الدفاع الأمريكية وللعديد من الدول الحليفة لها ، فضلاً عن ارتباطها باتفاق تعاون وشراكة مع وزارة الدفاع الإسرائيلية .

وفى بيان صحفى للشركة التى تتولى المهام الاستشارية للمشروع المصرى مؤرخ 21 يناير 2001 تكشف الشركة تفاصيل أحدث اتفاق تم توقيعه بينها وبين هيئة " رافال " أبرز مؤسسات التصنيع العسكرى الصهيونى والتى تتخذ من " حيفا " مقراً لها . ينص الاتفاق الذى وصفه بيان الشركة بأنه " استراتيجى " على أحقية الطرف الصهيونى فى الإطلاع على كافة البيانات والمعلومات التكنولوجية التى تملكها الشركة .. التى التزمت أيضاً بتصنيع 44 وحدة مدرعة فى مصانعها بإسرائيل ، من بين 88 وحدة تعاقدت حكومة العدو عليها مع واشنطن على أن يتم تسليمها على دفعات تنتهى فى 30 أبريل 2002 مقابل 112 مليون دولار .

بيان الشركة قال : إنه سبق لها تنفيذ عدد من المشاريع الهامة مع الجانب الصهيونى منها بناء وحدات برمائية هجومية ذات تكنولوجيا عالية تعرف ب" AAAV"بالتعاون مع شركة كندية .

كما كشفت وثائق الشركة عن اتفاقها مع إسرائيل على توريد 307 دبابات "أبرامز " فى الثانى من أبريل الجارى مقابل 741 مليون دولار على أن يبدأ

التسليم فى أغسطس القادم وينتهى فى ديسمبر 2004 والمعروف أن مكونات "أبرامز" تصنع فى عدة دول بالشرق الأوسط وفى الولايات المتحدة ثم تجمع فى دول أخرى وتساهم شركات صهيونية فى تصنيعها.

ذات الوثائق أشارت إلى تصنيع الشركة – لحساب البنتاجون – صواريخ هيدرا " 70 " التى قالت مصادر فلسطينية : إن قوات العدو استخدمتها فى ضرب أهلنا فى الأراضى المحتلة وهى صواريخ لا تزود بها واشنطن سوى الدول الحليفة .

جنرال ديناميكس تعمل فى تصنيع السفن والقوارب البحرية ، وقررت إدارة البنتاجون عام 1952 ضمها للشركة التى تخضع لإشرافها بعد نجاحها فى إنتاج قوارب كهربائية عسكرية ومستلزمات الطائرات الحربية وكان لها شرف إنتاج أول غواصة تعمل بالطاقة النووية عام 1982 .

**** وفى العام 2002 نشرت الصحف عن بداية استعداد الهيئة المصرية العامة للوثائق القومية** لاتخاذ خطوات عملية من أجل استعادة الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر وبخاصة الوثائق النادرة التى تعد مرجعاً هاماً لدراسة تاريخنا القومى من كافة زواياه العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

وفى هذا الإطار تردد فى الوسط الثقافى والإعلامى سؤال هام عن مصير وثائق "الجنيزا" اليهودية بالقاهرة وهى من الوثائق التاريخية النادرة التى تدحض إفتراءات اليهود المعاصرين ومزاعمهم ضد المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً وتفضح كذب إدعائهم بالاضطهاد وتبين أن الحكام المسلمين فى مصر منذ الدولة الفاطمية تعاملوا مع اليهود باعتبارهم أهل ذمة – لهم ما لنا وعليهم ما علينا – يشاطرون المسلمين فى حياتهم وتطبق عليهم نفس القوانين التى تطبق على باقى أفراد الشعب.

و"الجنيزا" عبارة عن غرفة كبيرة مغلقة من جميع الاتجاهات ويوجد فى أعلاها نافذة يتم الصعود إليها بسلم ويستخدمها اليهود لدفن وتخريب كل ما يخصهم

من أوراق سواء أكانت كتباً أو عقوداً أو وثائق رسمية أو خطابات شخصية أى كل الأوراق التى تعكس حياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وجنيزا القاهرة هى أشهر وأهم جنيزا تخص اليهود فى العالم لما تحتويه عليه من وثائق نادرة وهى موجودة فى معبد ابن عزرا اليهودى فى مصر القديمة، وهى تضم أوراق اليهود المصريين وغيرهم من اليهود بل ووثائق مصرية خالصة على مدار 900 عام أى : منذ القرن العاشر , وهو تاريخ اكتشافها .

ومن المعروف أن المعابد اليهودية فى مصر أصبحت تحت إدارة هيئة الآثار المصرية باعتبارها مبانى مضى عليها أكثر من مائة عام , إلا أن مكتبات المعابد تحت الإشراف والإدارة المباشرة للسفارة الإسرائيلية وبالتحديد المركز الأكاديمى الإسرائيلى وهو وضع غريب إذ يعطى للدولة الصهيونية حق الهيمنة على هذه المعابد وبخاصة معبد ابن عزرا الذى توجد فيه وثائق الجنيزا ، وفى منتصف التسعينات تقدم الدكتور إبراهيم البحراوى – أستاذ الأدب العبرى – بمشروع دراسة وثائق الجنيزا والتنقيب عن الوثائق الأخرى الموجودة فى مقابر اليهود ومحاولة استرداد الوثائق التى تم سرقتها من مصر وتوزعت على مراكز أبحاث عديدة فى العالم , وما إن علمت إسرائيل بالمشروع حتى أقامت الدنيا ولم تقعدها وتدخلت السفارة الإسرائيلية فى القاهرة وطلبت تدخل علماء أمريكيين يهود لفحص هذه الوثائق كما هدد المركز الأكاديمى الإسرائيلى بأنه سيحسم هذه المسألة بطريقته الخاصة ، ويقول أحمد فؤاد (باحث عبرى) : إن واقع الحال يؤكد أن عدد وثائق جينزا القاهرة الموجودة فى إسرائيل ولندن أصبح أكثر من عددها الموجود فى القاهرة وهذا معناه أن إسرائيل تقوم بالفعل بعمل تهريب لهذه الوثائق بحكم إشرافها الشاذ على مكتبات المعابد اليهودية الأمر الذى يحتاج – كما قال المتخصصون عام 2002 – أن تتخذ هيئة الوثائق المصرية خطوات فعلية لضم وثائق الجنيزة إليها وإعادة الوثائق التى تم نهبها .

** **فى حوار نشرته العربى الناصرى فى 2002/6/9** نفى زاهى حواس رئيس هيئة الآثار المصرية أن كثيراً من الآثار المصرية التى سرقتها إسرائيل تمت أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء وكان الضالع فيها موشى ديان وأوضح أن وزارة الثقافة وهيئة الآثار لا تتعامل مع إسرائيل وقد منعت مشاركة إسرائيلية حضرت مؤتمراً عن المصريات بصفتها أمريكية ورددنا لها اشتراكها وهناك تنبيه شديد اللهجة بمنع دخول أو مشاركة أى إسرائيل بأى شكل من الأشكال فى أعمال الترميم أو الحفائر أو المشاركة فى المعارض أو المؤتمرات .
وقد قمت بفضحهم فى زعمهم أن الأهرامات بناها اليهود وقد أخرست ألسنتهم فى العالم كله. أما قضية سرقة الآثار المصرية وتهريبها للخارج فللأسف هناك أسماء مشهورة ومعروفة متورطة فى هذه القضية وسيتم الكشف عنها قريباً .

** **نشرت صحيفة " الأسبوع " فى 2002/7/19** دراسة للكاتب أحمد بهاء الدين شعبان بعنوان " الجماعة الثقافية الوطنية وجهود مقاومة الصهيونية فى مصر " وقال الباحث : إن المثقفين المصريين شكلوا 11 جمعية لمقاومة التطبيع ومساندة المقاومة فى لبنان وفلسطين إلا أن اللافت هو عدم وجود التنسيق الكافى بين هذه اللجان سواء الحزبية والنقابية أو المستقلة. واعتبر أحمد بهاء الدين شعبان أن الشعب الفلسطينى أولى بعشرات الآلاف من الدولارات التى تنفق على مؤتمرات يحضرها نشطاء دعم الانتفاضة وأن التنافس بين لجان التضامن مع الشعب الفلسطينى يشتت الجهود ويحول الحركة إلى فورات عاطفية وانفعالية .

** **وفى الفترة ذاتها** عقدت لجنة فلسطين باتحاد الأطباء العرب ورشة نقاشية موسعة حول دور الإعلام العربى فى دعم الصمود الفلسطينى ومدى نجاحه أو فشله فى ذلك . (حضرها نقيب الأطباء د. حمدى السيد وصلاح عبدالمقصود رئيس لجنة الشئون العربية بنقابة الصحفيين – د. رفعت سيد أحمد – مصطفى بكرى – مجدى حسين وآخرون) .

** **وفـى العـام نفسـه (2002)** حفلت أنشطة الأسبوع الثانى لمعرض القاهرة الدولى للكتاب بالعديد من الندوات الساخنة ومنها الندوة التى أقيمت لمناقشة كتاب " إسرائيل فى قفص الاتهام " من تأليف الكاتب الصحفى مرسى عطاالله والتى شارك فيها المفكر الفلسطينى عبد القادر ياسين وأدارها د. خلف عبد العظيم ، وجرى فيها جدل حول التطبيع ، رفض فيه الجمهور وأغلب المتحدثين السلام المشروط مع إسرائيل ؛ لأنها دولة عدوانية.

** **وفى أبريل 2002 قرر عدد كبير من** أدباء وفنانين ومثقفين وسياسيين أن يعبروا عن سأم المصريين من استنشاق نفس الهواء الذى يتنفسه السفير الإسرائيلى ، فبدأوا إضراباً عن الطعام حتى الموت فى نقابة المحامين ، ما لم تستجب الحكومة لمطلبهم الأساس ، وهو طرد السفير الإسرائيلى وإغلاق السفارة ، وقطع العلاقات مع العدو الصهيونى ، ومن هؤلاء المثقفين القاص والناقد إبراهيم منصور " 70 عاماً" والناقد أحمد الخميسى ، والناشر محمد هاشم ، والتشكيلى أحمد رمضان، ، والشاعر عزت عامر ، والقاصة عفاف السيد ، والباحث حسنى عبد الرحيم ، وفؤاد كامل "65 عاماً" وهشام إبراهيم .. وتضامن معهم بالاعتصام الفنانون محسنة توفيق وفاروق الفيشاوى وإلهام شاهين ومنال سلامة وهشام عبد الحميد وسامح الصريطى ، وتوفيق صالح وعلى بدرخان والسيد راضى وعدد كبير من الفنانين والمثقفين ، ووجه المضربون والمعتصمون الدعوة إلى نجيب محفوظ ومحمد حسنين هيكل لزيارة مقر الاعتصام فى حديقة نقابة المحامين ، ودعوا الشعراء أحمد عبد المعطى حجازى ومحمد عفيفى مطر وفؤاد قاعود وسيد حجاب لإحياء أمسيات شعرية ، وانتهى اليوم الأول بتحرير محضر بالإضراب فى قسم شرطة قصر النيل يحمل الرقم 2489 ، ويسجل مطالب المضربين .

* **وفى السياق ذاته** وفى توقيت مريب لتواكبه مع مهرجان القاهرة السينمائى الدولى شنت تل أبيب حملة شعواء ضد عدد من الفنانين المصريين وأعمالهم

رغم أن بعضها لم يعرض بعد .. فقد ذكرت الصحيفة أن إيرادات فيلم مافيا وصلت للمركز الثانى على مستوى أفلام الصيف كلها لكونه يدور حول فكرة الأشرار اليهود الذين يدبرون مؤامرة لاغتيال بابا الفاتيكان .

التقرير الإسرائيلى شبه أحمد السقا بـ " توم كروز " ثم استعرضت سيناريو الفيلم بأدق تفاصيله ، الصحيفة فى الوقت نفسه زعمت أن ناقداً عربياً كتب يعترض على ما وصفه بسرقة أموال المشاهدين ومعاداة السامية (!) ونسبت للناقد نفسه قوله : إن مصر لا تحتاج لأفلام حركة أمريكية لكى تكرر رسائل بدائية يرددها التلاميذ فى المدارس .

الصحيفة نفسها استرسلت تقول : فيلم " مافيا " لم يظهر على السطح فجأة لكنه فى الواقع امتداد طبيعى لسلسلة أفلام ومسلسلات ومسرحيات تم إنتاجها خلال السنوات العشر الماضية تهاجم اليهود وإسرائيل وأبرزها " رأفت الهجان " و" السقوط فى بئر سبع " .

السينما المصرية حسب التقرير أيضاً ساهمت فى الحملة ضد إسرائيل ومن الأمثلة على ذلك فيلم " فتاة من إسرائيل " الذى يروى قصة إحباط مؤامرة ضد مصر خطط لها عميل للموساد وابنته من خلال استقطاب شاب مصرى للتجسس ضد بلده مقابل إغراء مادى كبير وتوفير فرصة عمل له فى أمريكا.

فيلم " صعيدى فى الجامعة الأمريكية " تم فيه إحراق علم إسرائيل .. سيناريو الفيلم كتبه مدحت العدل الذى كتب أيضاً فيلم " مافيا " و" أصحاب ولا بيزنس" الذى يحرض على العمليات الاستشهادية .

الأعمال التى تهاجم إسرائيل – والكلام لايزال للتقرير – تعبر عن موقف سياسى وفى الوقت نفسه تحقق إيرادات عالية لذلك من المتوقع أن تتحول المسرحية الغنائية " لن تسقط القدس " لنور الشريف والتى جابت عواصم الدول العربية لمسلسل تليفزيونى ، فهى تتحدث عن أحوال السكان العرب فى القدس

خلال القرن الثانى عشر عندما حاصرها الصليبيون للتعبير بشكل رمزى عن أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلى .

**** وفى مقابل مقاومة التطبيع ، جاء المطبعون مرة أخرى وفى نفس العام وفى ديسمبر 2002** وعلى مدار 4 أيام داخل مكتبة الاسكندرية عقدت الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير ما يسمى بالمؤتمر الدولى الخامس تحت عنوان " الثقافات وصورة العدو " برعاية وزارة الثقافة وبالتعاون مع المكتبة والمركز الثقافى الأمريكى ومعهد جوته ، المؤتمر عقد برئاسة الدكتور مراد وهبة رئيس الجمعية وكانت د. منى أبو سنة سكرتير عام المؤتمر وهى نفسها أمين عام الجمعية ، وكانت أول القصيدة كفراً حين ندد مراد وهبة فى أول أيام المؤتمر بالنظرة التاريخية والسياسية لقضية الصراع العربى – الإسرائيلى وأكد أنه يعد خلطاً خاطئاً ولابد من تجاوز هذه النظرة والتأكيد على المسار الحضارى ودلل على ذلك بمطالبته مراراً بعقد ما يسمى "حوار متوسطى" ، وفوجيء بالمعارضة الشديدة لدعوة إسرائيل وأكد مراد وهبة أن إسرائيل ضمن حضارة المتوسط ولابد من الحوار حتى نكون ديمقراطيين!!.

ثم تحدث فى المؤتمر بعد ذلك وفى أيامه التالية دعاة التطبيع فى مصر وفى مقدمتهم د. عبد المنعم سعيد.

**** بالمقابل وفى سياق محاضرات** ضد التطبيع ، نظم " الملتقى العربى لمواجهة الصهيونية " وهو إحدى لجان مقاومة التطبيع فى مصر خلال تلك الفترة (2002) محاضرة فى مقر حزب مصر الفتاة وسط القاهرة حملت عنوان " السامية وإسرائيل " وألقاها د. محمد جلاء إدريس رئيس قسم الدراسات العبرية فى كلية آداب جامعة طنطا .

قدم المحاضر مسئول الثقافة والإعلام فى الملتقى "فاروق العشرى " ، بدأ إدريس محاضرته بالقول : إن الصهاينة حولوا " العداء للسامية " إلى تجارة رائجة . غاص المحاضر عميقاً فى التاريخ ، مستعيناً بسفر التكوين فى "

التوراة " حتى وصل إلى نجاة أبناء نوح الثلاثة " سام – حام – ويافث " ، وحين بانت عورة نوح سترها سام ، لكن حام تأملها ، فدعا نوح إلى حام أن يستعيد أبناؤه لسام وأبنائه .. وأخذت ذاتية سام تتضخم منذئذ ، وليس صدفة أن يتم عزل إسماعيل بن إبراهيم عن مسرح الأحداث ، الذى يخلو لاسحق ابن إبراهيم الذى ينجب يعقوب " إسرائيل " وعيسو وتم التركيز على يعقوب دون عيسو وأصبح المقصود بالسامية أولاد يعقوب بينما العرب أقدم وجوداً .

أما " معاداة السامية " فاختراع لعالم ألمانى 1879 وسرعان ما أصبح كل عداء لليهود فى التاريخ لتلك المعاداة ! بل غدت مقياساً لدى اليهود فيما أجمع مؤرخوهم على تسامح الأقطار العربية مع اليهود .

يرى المحاضر الخبير فى الشئون الإسرائيلية أن مصطلح " معاداة السامية " ينطوى على مغالطات :

– قصر الساميين على اليهود وحدهم .

– أخرج العرب من دائرة هذا المصطلح .

– يمكن إخراج اليهود الأوروبيين من عداد الساميين " إذا سلمنا بنقاء الأجناس " لأسباب عدة : "جغرافى – مناخى" والمصاهرة بين اليهود والأوروبيين منذ 70م والعامل الثقافى بفعل عدم الاستقرار .

أضاف إدريس بأننا لو سلمنا جدلاً بما يسمى السامية فما هى أسباب كراهية الآخرين لليهود ؟ يعيد اليهود هذه الكراهية إلى تصرف لا عقلانى مرضى ، لا علاقة له بتصرفات اليهود أو سلوكهم بسبب تفاعل مجموعة من المصالح، وأن العالم يكره اليهود من باب الحسد والغيرة . اليوم ، من هو " المعادى للسامية " ؟! .

يجيب المحاضر : يحصرهم اليهود فى كل من يدين أعمال دولة إسرائيل أو ينكر الهولوكست أو يعادى الصهيونية بمن فى ذلك الفلسطينيون الذين يطالبون بتحرير وطنهم .

** **وفى يناير عام 2003** بدأت المحاولات الإسرائيلية لاستخدام الإذاعة المصرية للبث باللغة العبرية حين أرسل الجانب الإسرائيلى برقية إلى صفوت الشريف وزير الإعلام تضمنت تهنئة خاصة لافتتاح مرحلة البث باللغة العبرية ، وعلى طريقة دس السم فى العسل تطرقت البرقية إلى إمكانية إمداد الجانب الإسرائيلى بجميع الخبرات إلى العاملين بالقناة العبرية المصرية سواء دورات اللغة العبرية وتدريب الفنيين فيها بالإضافة إلى إمداد القناة العبرية بالمواد الفيلمية عن إسرائيل من الداخل .

وتضمنت البرقية أيضاً خطة عمل مشتركة بين إسرائيل ومصر منها استضافة فريق من المذيعين والعاملين والمصريين فى إسرائيل والإقامة فى فندق الملك داود ؛ لإقامة دورات لهم تحت إشراف وزارة الإعلام الإسرائيلية.

وأرفق الجانب الإسرائيلى برنامجاً مفصلاً عن الزيارة والتى تشمل زيارة مجمع لاستديوهات التليفزيون فى مدينة هرتسليا وكذلك زيارة الجامعة العبرية بالقدس المحتلة وجامعة تل أبيب للعلوم الأكاديمية مع عقد مؤتمرات وندوات ومناظرات علمية على أن تستمر الزيارة خمسة أيام .

ويبدو أن الجانب المصرى ظل لفترة طويلة يفكر فى المشروع خاصة وأن الدكتور حسن على رئيس البث العبرى اعترض على الفكرة الإسرائيلية واعتبرها وسيلة لاختراق إسرائيل للإعلام المصرى وبالفعل وبعد مداولات استمرت ثمانية شهور رفضت مصر.

** **ومن أساليب الدعاية الإسرائيلية فى مصر إعلانهم فى عام 2003 أن جبل الطور فى إسرائيل وليس فى مصر .**

** **نشرت الأهرام فى 2004/2/23** وعبر صفحة " غذاء العقول " وبقلم ماجدة الجندى مقالاً عن تهويد تاريخ مصر حيث جاء فيه : إن مشروع إيمانويل فليكوفسكى ومعه بعض الكتاب والمترجمين لتهويد تاريخ وأرض وحضارة مصر

لشيء خطير ينبغى التصدى بمشروع موازٍ ومضاد له ينفض التراب والغبار على تاريخ أمتنا المشرق الذى أزعم أننا لا نعرفه ولا ندرك قيمته حتى الآن .

– عصور فى فوضى – هى خمسة مجلدات ضخمة قام بتعريبها وتحريرها ونشرها مجموعة من الوطنيين الشرفاء ، منهم الأساتذة أحمد عمر شاهين ومحمد جلال عباس ورضا الطويل ورفعت السيد على وفاروق فريد ومحمود الطويل وغيرهم فقد انكبوا لعشرين عاماً على أخطر محاولة لنخر ونحر تاريخ مصر عبر هذا المدعى إيمانويل فليكوفسكى الذى كانت دراسة " موسى والتوحيد " لفرويد هى نقطة التحول فى حياته فقد ترك الطب النفسى وكتب كتاب " أوديب وإخناتون " بهدف هدم شخصية إخناتون وأنه ما كان إلا معادياً لوالده ومرتبطاً بوالدته فهو المنبع الأصيل لشخصية أوديب فهو فى نظره مجرم خسيس قتل أباه ليزنى بأمه وانتهى من كتابه هذا فى 1940 وهو يقيم بأمريكا وأجل نشره عشرين عاماً ليصدره فى 1960 ووصلت أنباء وأخبار وأصداء غير مؤثرة من هذا الكتاب للساحة الثقافية فى مصر وأبرز ما كتب عن هذا الكتاب ثروت عكاشة وعلى سالم ولكنه تأرجح بين قبول ورفض ما طرحه فليكوفسكى حول أن إخناتون هو الأصل التاريخى لأدويب .

وأجل الكاتب نشر هذا الكتاب عشرين عاماً ، لأنه فى هذه السنوات العشرين نشر ثلاثة كتب هى : من الخروج إلى الملك اخناتون وعوالم تتصادم والأرض فى اضطراب ، ثم جاء بعدها "شعوب البحر" و"رمسيس الثانى وعصره " وتعتبر هذه الإصدارات محاولة لإعادة ترتيب مفاصل التاريخ المصرى القديم بما يقحم اليهود فيه إقحاماً مع لي عنق الحقيقة لياً ومحاولة لصق ولزق التاريخ الإسرائيلى وإدخاله متسرباً فى مفاصل التاريخ المصرى القديم .

ويرى فليكوفسكى أن الشرق مدين بحريته لليهود لأن ملكهم شاؤول الأول هو من طرد الهكسوس وليس أحمس الأول الملك المصرى كما تثبته كتب التاريخ الموثقة ، ثم ادعى أن حتشبسوت هى ملكة سبأ وهى من كانت معاصرة للملك

سليمان بن داود ، ثم اتهم المصريين بسرقة كنوز مملكة اليهود بعد حكم سليمان .
ثم يحاول هذا الكاتب توظيف كل الأحداث التاريخية بعدم إلصاق اليهودى للتاريخ المصرى القديم حتى العلوم الطبيعية يحاول أن يفسرها لصالح اليهود وأنهم أصحاب الحضارة الأصليين وبناتها الحقيقيون وليس المصريون القدماء.
**** وفى العام 2005 ينشر الكاتب المعروف أحمد رأفت بهجت** دراسة مهمة حلل فيها بالوثائق والأسماء دور اليهود فى السينما المصرية وتأثرهم وتأثيرهم فى هذه السينما .

***

وفى تقارير ومقالات مهمة عن التطبيع على مواقع الانترنت رصدنا فى عام 2009 مقالاً مهماً كتبه د. إبراهيم علوش بتاريخ 2009/7/22 عن دور مراكز الأبحاث السياسية وهل هى فعلاً مراكز للأبحاث أم هى قنوات للتطبيع والغزو الثقافى وقد أخذ مركز "إسرائيل " – فلسطين للبحوث والمعلومات – نموذجاً .
وقد أشار الكاتب إلى أن تراجع دور الدولة فى الرعاية الاجتماعية ومع اشتداد هجمة العولمة ولكى توازى جمعيات المجتمع المدنى غير الحكومية تقدمت بسرعة مراكز الأبحاث والدراسات الممولة ونجاحها فى استيعاب عدد كبير من " الناشطين السياسيين " سابقاً ، وكذلك عدد كبير من المثقفين والأكاديميين ؛ لتوظيفهم فى سياق لا يقل براءة عن دور منظمات المجتمع المدنى الممولة أجنبياً ، فى الأهداف والأدوات والأجندات والارتباطات الخارجية .
وفى فلسطين بالذات تلعب المنظمات غير الحكومية دوراً مزدوجاً متضادين يتمثلان فى : أولاً: ملء الفراغ القانونى الذى خلقه تخلى الاحتلال الإسرائيلى عنه .
ثانياً:هذا العمل يأتى للمفارقة من الغرب الداعم الأول للاحتلال الإسرائيلى مما يخلق طائفة محلية من المتمولين أجنبياً ، يصبح هدفه الأساس تبييض صفحة

الغرب عبر التهليل له لمساعدته فى حل المشاكل اليومية التى يعانيها المواطن الفلسطينى ، فيما يقتصر دور ناقديها على إطلاق الشعارات أما مراكز الأبحاث فدورها أخطر ؛ لأنها تسوق للتطبيع والغزو الثقافى .

وركز الكاتب على مركز " إسرائيل " – فلسطين للبحوث والمعلومات ودوره فى الترويج للتطبيع والتعايش السلمى وإشاعة ثقافة السلام وقد أشار الكاتب لعدد من مراكز الأبحاث الممولة غربياً والتى تحمل نفس أجندة هذا المركز ومنها : مركز بيجين – السادات للاستراتيجية – معهد هارى ترومان لبحوث تطوير السلام – مركز جافى للدراسات الاستراتيجية – مركز موشى ديان لدراسات الشرق الأوسط وإفريقيا – المركز العربى اليهودى فى جامعة حيفا – مركز البحوث والمعلومات الإسرائيلى الفلسطينى – مركز بيريز للسلام – برنامج بذور السلام .فهذه مشاريع واضحة وضوح الشمس للتطبيع وإشاعة ثقافة السلام لكسر حاجز العداء مع العدو الإسرائيلى .

**** نشرت الشروق مقالاً مهماً للكاتب فهمى هويدى بتاريخ 2010/3/8**

بعنوان "تميمة إسرائيلية عن مصر" تناول فيه حوار السفير الإسرائيلى السابق شالوم كوهين لجريدة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية وأبرز ما جاء فى المقال حسب زعم السفير السابق هى :

– أنه عاش فى عزلة اجتماعية نسبية لرفضه شعبياً ونقابياً ، فالمثقفون ينظرون إليه باشمئزاز والقليل الذين تواصل معهم لا يجرؤ على إعلان أسمائهم خشية عقابهم من المجتمع .

– يفخر بأنه يوجد تنسيق وتعاون أمنى وسياسى غير مسبوق بين البلدين .

– مبارك رجل " حبيب وحميم وحكيم " له آراء إيجابية فى إسرائيل ستكون صادقة لو علمها رجل الشارع .

– كبار الوزراء خاصة الحربية والاستخبارات والاقتصاد والزراعة لهم علاقات ممتازة مع الجانب الإسرائيلى وينظرون بإيجابية لتطوير العلاقات بين البلدين .

- مبارك شجع رجال الأعمال المصريين للتعاون والعمل مع الجانب الإسرائيلى .

- علاقة مبارك مع شارون ثم أولمرت ثم نتنياهو ممتازة ويثق مبارك وكبار رجال نظامه بنتنياهو جداً .

- فى بعض المرات تجاوز مبارك ونتنياهو السفير الأمريكى فلم يكن يعلم السفير بزيارة نتنياهو للقاهرة إلا من الرئاسة المصرية .

- مبارك سيخوض الانتخابات القادمة ولكنه سيترك الحكم بعد فترة لصالح ترشيح نجله وهناك تفاهمات فى هذا الشأن .

- رفض عدة قطاعات فى الشعب المصرى لجمال مبارك تقلقنا كما تقلق العالم.

***

الباب الرابع

التطبيع الثقافي (1979-2011)

(المؤسسات – الأحداث)

الفصل الأول :

التطبيع الثقافى .. عن المفهوم والوقائع

مدخل :

كـان التطبيـع الثقـافى بـين إسـرائيل والحكومـة المصـرية وبعـض شخصـيات ومؤسسات النخبة فى مصر ، أحد أبرز ركائز العلاقات المصرية – الإسرائيلية ومن أهمها على الإطلاق ، لما يرتبه من نتائج على طبيعة العلاقات ومسارها ، وفى مجال التطبيع الثقافى لم تكتفِ إسرائيل باللقاءات العابرة أو العميقة مع نفر من النخبة الثقافية (أمثال : عبد العظيم رمضان – عبدالمنعم سعيد – لطفى الخولى – هالة مصطفى – أنيس منصور – محمد شعلان وغيرهم) أو المؤتمرات النفسية أو الثقافية أو الزيارات المتبادلة ، ولكنها سبقت كل ذلك بإنشاء مؤسسات ثقافية تمثل ركائز دائمة لاختراق النخبة وتطويعها ولعل أبرزها وأشهرها (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) و(تحالف كوبنهاجن) و(جمعية القاهرة للسلام) ، وسوف نتناول لاحقاً هذه المؤسسات بالتفصيل فى فصلين كاملين ، أما الآن فسنتحدث عن وقائع التطبيع زمانياً فى المحاور التالية :

أولاً : التطبيـع فـى الثمانينـات : بداية يحدثنا التاريخ أن النوايا الإسرائيلية فى مسألة التطبيع بدأت تأخذ شكلاً رسمياً منذ سبتمبر 1978 ، أى منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد ، ثم المعاهدة المصرية – الإسرائيلية مارس 1979 ، تلك الاتفاقات التى دشنت الاختراق الثقافى الإسرائيلى لمصر ، وأعطته أبعاده الرسمية ، ففي الوثيقة الأولى لمؤتمر كامب ديفيد جاء فى الديباجة :

" إن السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية ويلاحظ أن ذكر العلاقات الطبيعية جاء على نحو عام مجمل " .

وفى متن معاهدة السلام الموقعة فى مارس 1979 يرد النص التالى : " يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقوم بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية " ، وهنا يؤكد النص إلزام الطرف المصرى باعتبار العلاقات الطبيعية ويضعه على مستوى العلاقات الدبلوماسية .

وفى الملحق رقم 3 من المعاهدة يرد فى البند الرابع النص التالى : ويعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر ، وهنا تنتقل الطلبات الإسرائيلية إلى التحديد الدقيق فالمطلب الأول " تشجيع تغيير مفاهيم الناس فى مصر ، فى عبارة " التفاهم المتبادل والتسامح " والمطلب الثانى هو منع عمليات التحصين الفكرى لمفاهيم المجتمع فى عبارة " يمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية "[1] .

وفى الاتفاقية الثقافية المعقودة فى 1980/5/8 يرد فى البند الثانى (يسعى الطرفان إلى فهم أفضل لحضارة وثقافة كل طرف من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية وتبادل المنتجات التكتيكية والأثرية وتبادل الأعمال الفنية وتشجيع إقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض الفنون البصرية)[2] ، وهكذا ينكشف المطلوب الإسرائيلى من مصر كاملاً فى هذا النص سواء من حيث تحديد الغايات والأهداف وهى (تبديل مفاهيم المصريين ليتحولوا إلى ما يسميه النص " فهم أفضل" لحضارة وثقافة الإسرائيليين) أو فيما يتعلق بتحديد الوسائل العلمية والثقافية الواردة فى النص وهى (شاملة لمعظم وسائل الحياة التربوية والفكرية فى مصر).

وتتابعت بعد توقيع الاتفاقات ، أشكال التطبيع العقلى والثقافى ، وما يهمنا هنا هو ذلك الجانب المتصل بالتطبيع الثقافى والاختراق العقلى للمجتمع المصرى كنموذج ، مصغر لما ينتظر العقل العربى ، وهنا نلحظ تداخل الأدوار ، والوظائف التى قام بها بعض الباحثين من الإسرائيليين والأمريكيين فى مصر (وبين العديد من الهيئات والمنظمات اليهودية المشبوهة) ، وإن جاء التداخل بهدف واحد هو الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات التفصيلية عن كافة نواحى الحياة والمجتمع فى مصر وتصديرها إلى تل أبيب وواشنطن لخلق بدائل للحركة وللعمل السياسى الموجه ، ولقد أشرنا إلى نماذج من تلك

الهيئات والشخصيات من أمثال (ليونارد بايندر – ستيفن كوهين – أرن ليفى سويمخ – وغيرهم) {انظر : الفصل التمهيدى} .
ولقد استمرت عمليات الاختراق والتطبيع الثقافى تلك بوتيرة متصاعدة خلال حكم مبارك (1981–2011) وكنموذج لها غير ما ذكرناه فى الفصول السابقة – ما نقلته مجلة المواجهة العدد الثانى /فبراير 1983 أن أبرز أحداث التطبيع خلال عام واحد هو عام 1983 وكانت مصر لاتزال فى سنوات التطبيع الأولى – فكانت ما يلى :

<u>ندوتان " للنساء المقدسيات"</u>

شاركت سيدات مصريات من بينهن السيدة آمال شكرى فى ندوة النساء المقدسيات التى عقدت فى إسرائيل فى بداية شهر فبراير 1983 كما شاركت 7 سيدات إسرائيليات فى الدورة التالية لنفس الندوة التى عقدت فى القاهرة فى نهاية نفس الشهر .
ومنظمة النساء المقدسيات منظمة نسائية تأسست عام 1976 فى ظروف اتفاقية كامب ديفيد بترتيب من جمعية أمريكية تحمل نفس الاسم بهدف توثيق السلام بين مصر وإسرائيل من خلال الحوار الثقافى بين المسيحيين واليهود والمسلمين فى الدولتين وممثلي هذه الأديان فى أمريكا الشمالية , كما استهدف توطيد أواصر الصداقة بين سيدات مصر وإسرائيل ومناقشة قضايا المرأة وبحث القضايا الاجتماعية والتربوية فى كل من مصر وإسرائيل .
وقد عقدت منظمة النساء المقدسيات حتى الآن سبع ندوات ، منهما اثنتان فى القاهرة استضافت أولاهما السيدة جيهان السادات فى فندق هاوس عام 1981, وعقدت الثانية فى فندق ماريوت فى يوليو 1983 وحضرتها السيدة سوزان مبارك (!!) .
شاركت فى الندوة الأخيرة خمسون سيدة من مصر وإسرائيل وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ومن جانب المصرى الدكتورة فرخندة حسن عضو مجلس

الشورى والسيدة آمال شكرى وافتتحت الندوة الدكتورة آمال عثمان وزيرة الشئون الاجتماعية , وبعد انتهاء المؤتمر قامت المشتركات بزيارة خاصة للسيدة جيهان السادات[3] .

ومن نماذج المطبعين فى سنوات التطبيع الأولى المدعوة الفنانة التشكيلية " آمال شكرى " التى قامت بزيارات لإسرائيل لإجراء ما أسمته بـ حوار ودى غير رسمى بين مصر وإسرائيل " وقد ذكرت آمال شكرى فى حديثها للجيروزاليم بوست الإسرائيلية التى نشرت لها حديثاً مسهباً فى 1983/8/5 أنها أجرت خلال زيارتها لإسرائيل لقاءات مع الفنانين والمثقفين الإسرائيليين وتحدثت عن بدء "حوار معهم" ورأت "كم هم متحمسون" ، وذكرت أنها تأمل فى ترتيب لقاء وتبادل شخصى غير رسمى بين الفنانين المصريين والإسرائيليين , وأضافت أن العديد من المصريين ذوى الخلفيات المهنية الأخرى قد فاتحوها فى رغبتهم فى تنظيم رحلات واتصالات مع إسرائيل .

والطريف أن آمال شكرى نفسها قد قامت من خلال صحيفة الشعب عام 1985 برواية نشاطها مع الإسرائيليين وبإعلان ندمها التاريخى على هذا "التعاون" الذى كان مجرد تجسس إسرائيلي واضح يهدف إلى التغلغل فى الفن والثقافة فى مصر .

وعلى نفس المنحى قام الدكتور / عبد العزيز سليمان الرئيس الأسبق لجامعة عين شمس بكشف تفاصيل التعاون العلمى بين الباحثين الإسرائيليين ونظرائهم من المصريين منذ عام 1977 وكيف أن الأمريكيين كانوا وسيطاً فى هذه الأبحاث وأن (د. لى شفوار ود.جوادز المسئول بمعهد الصحة بأمريكا) كانوا الوسطاء فى هذه الأبحاث ولقد أكد د. عبد العزيز سليمان فيما بعد[4] أنه قد قدم استقالته من هذه الأبحاث العلمية والطبية عام 1980 عندما علم بوجود صهاينة فيها .

وفى ذات الفترة شارك وفد إسرائيلي فى مؤتمر شهير كان عنوانه (السلام من خلال القانون) الذى عقد فى القاهرة من 26-30 سبتمبر 1983 وحضره المئات من القانونيين من أنحاء متفرقة من العالم بتنظيم من مركز السلام العالمى من خلال القانون , وهو مركز مقره واشنطن انبثق عن اتحاد المحاميين الأمريكيين عام 1957 فى صورة لجنة متفرعة عن الاتحاد ثم استقل عام 1963 وتحول إلى مؤسسة ذات طابع عالمى .

وتذكر مجلة المواجهة / عدد فبراير 1983 – سالف الذكر – أنه على الرغم من أن المركز – المذكور – يعلن فى وثائقه بعده عن السياسة وأن أعضاءه لا يتحدثون إلا بصفتهم الشخصية إلا أن لجنة حقوق الإنسان – هى من أهم لجان المؤتمر – كان لابد لها من أن تتعرض للحالات التى وقع فيها انتهاك لحقوق الإنسان ويأتى فى مقدمتها بالضرورة انتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى والعربى فى الأراضى المحتلة .

وعندما ألقى الدكتور عصمت عبد المجيد كلمته أمام اللجنة أخذ يعدد مظاهر غياب الحماية الدولية لحقوق الإنسان , كما تناول حق تقرير المصير للشعوب وسياسة التفرقة العنصرية والتسليح المبالغ فيه . وانتهى إلى اقتراحات معينة عن كيفية تحقيق الحماية الدولية لحقوق الإنسان , وفجأة قام رئيس الوفد الإسرائيلى الذى كان يحضر الندوة معترضاً على حديث الدكتور عصمت عبد المجيد واعتبر ذلك ماسا لاسم إسرائيل , وادعى أن ذلك يعتبر مخالفا للائحة المركز التى تمنع الإشارة لأى دولة باسمها .

ثم تبعه عضو آخر فى الوفد الإسرائيلى وتحدث عما تعرض له الإسرائيليون فى المعسكرات النازية , وقد عقب الدكتور عصمت عبد المجيد بأن ما تعرض له الإسرائيليون فى المعسكر النازى مخالف للقوانين الدولية وأننا ضده , وأضاف : كنتم تطالبون باستنكار ذلك فرجاء أن ينسحب ذلك على الشعب الفلسطينى الذى يعانى الأمرّين وأن يكون له الحق فى تقرير المصير.

وجدير بالذكر أن اتحاد المحامين العرب ومجلس نقابة المحامين العرب وحزبي التجمع الوطنى والعمل الاشتراكى ولجنة أعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية نادوا بمقاطعة هذا المؤتمر ونبهوا إلى المخاطر المترتبة على عقد مثل هذه المؤتمرات .

وقد وجدت هذه الدعوة استجابة واسعة حتى أن ذلك كان محل تقدير المشاركين فى المؤتمر .

وطبقاً للمستشار سعد علام الذى شارك فى المؤتمر وكتب بملاحظاته للأهرام الاقتصادي : "أما الحضور المصرى فقد كان مع الأسف هزيلاً للغاية .. لقد أعلنت عدة أسماء لفقهاء ومستشارين مصريين أجلاء .. وتغيبوا رغم إعلان أسمائهم كأعضاء أساسيين فى اللجان .

المؤتمر الدولى للجيولوجيا :

وفى مجال آخر من مجالات الاختراق الثقافى مشاركة الإسرائيليين فى " المؤتمر الدولى الخامس للجيولوجيا " الذى عقده فى الفترة من 15-1983/10/18 فى معهد التنمية والتكنولوجيا بجامعة القاهرة , وهو مؤتمر دولى تنظمه هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية وإدارة الفضاء الأمريكية والاتحاد الدولى للعلوم التكنولوجية , ويعقد سنوياً وعقد فى ذلك العام لأول مرة فى مصر .

وكانت سكرتيرة المؤتمر بجامعة القاهرة قد خاطبت وزارة الخارجية المصرية لإبداء الرأى بشأن مشاركة الإسرائيليين فى إلقاء المحاضرات , ووافقت وزارة الخارجية على مشاركتهم شريطة ألا يلقوا محاضرات تخص سيناء (!!) .

ورغم موافقة وزارة الخارجية المصرية المشروطة ورغم أن العرف العلمى السائد يحظر إلغاء محاضرات عن دولة دون موافقتها جهات الاختصاص فيها وهى فى هذه الحالة هيئة المساحة الجيولوجية المصرية – فقد ألقى المحاضرون الإسرائيليون محاضرة عن سيناء تناولت " نظام التشقق والفوالق فى شبه جزيرة

سيناء ، ألقاها الجيولوجى الإسرائيلى أريه شيمارون فى 1983/10/17 فى قاعة شبه خالية من المصريين حيث قاطعها معظم الجيولوجيين المصريين .

***

وفى سنوات التطبيع الأولى أيضاً اشترك مصدرون مصريون فى توفير الكتب لمعرض الكتاب فى الأسبوع العربى السابع الذى افتتح فى مدينة حيفا فى 1983/10/16 وكان ينظم هذا الأسبوع الثقافى , المركز العربى اليهودى – للنشاطات الثقافية والاجتماعية فى بيت الكرمة فى حيفا . وهو مركز تدعمه الحكومة الإسرائيلية مادياً وأدبياً , .

وكان موضوع اللقاء هذه السنة " دور الأديب المحلى على ضوء الواقع الجديد " .

وتذكر الوثائق التاريخية لتلك الفترة أن السفارة المصرية قد شاركت فى افتتاح – الأسبوع الثقافى والتقى القائم بالأعمال المصرى رئيس إسرائيل حاييم هيرتوزج الذى افتتح الأسبوع الثقافى .

وفى أوائل عام 1985 قاطعت نقابة الصيادلة المصريين جلسات المؤتمر الدولى لاتحادات طلاب كلية الصيدلة بالإسكندرية احتجاجاً على اشتراك الوفدين الأمريكى والإسرائيلى فى المؤتمر , وفى نفس العام 1985 والأعوام التى سبقته والتى تلته كانت المقاومة المصرية الفردية أحياناً والجماعية أحياناً أخرى والتى قام بها المثقفون والطلاب وجماهير الشعب المصرى ضد اشتراك إسرائيل فى " معرض الكتاب الدولى بمدينة نصر بالقاهرة " كنموذج آخر للتطبيع العقلى , ولمقاومة هذا التطبيع أيضاً .

***

وتتوالى أحداث التطبيع الثقافى والعلمى فى السنوات الأولى للتطبيع ، وتفاصيله إلى أن تذكر (الجيروزاليم بوست) الإسرائيلية فى سبتمبر 1987 تقريراً تحت

عنوان (مصر وإسرائيل تنفذان سوياً ودون ضجيج برنامجاً من أجل الصحة) جاء فيه :

" فى مجال البحوث الطبية يجرى الآن تعاون مصرى إسرائيلي هذا التعاون كان قد بدأ منذ خمس سنوات مضت حيث فى يوم ما أصدر مجلس نقابة الأطباء بياناً نشرته الصحف القومية فى باب الاجتماعيات بعد أن دفعت النقابة ثمن نشره !! أعلن البيان عن إجراءات سوف تتخذها النقابة فى مواجهة الأطباء الذين يتعاملون مع إسرائيل .. تبدأ هذه الاجراءات بالتحقيق ولفت النظر إلى سحب المؤهل .

كذلك سجلت النقابة عدم اعترافها بأية شهادة علمية عن طريق جامعات إسرائيل ومعاهدها العلمية ، وإنها لن تصرح لحاملها بمزاولة المهنة " .

بالرغم من ذلك تقول الصحيفة : إن ثمة بحوثاً مشتركة فى مجال الصحة العامة أجريت بين الإسرائيليين والمصريين حققت نجاحاً كبيراً وأدت إلى تقليل الإصابة بالأمراض الاستوائية المعدية المنتشرة فى منطقة الشرق الأوسط ومن ثم فقد قررت الدولتان المضى فى هذه المشروعات البحثية لخمسة أعوام أخرى.

وزعمت الصحيفة .. أن العلماء الإسرائيليين فى مركز سانفورد كوفين ونظراءهم فى جامعة عين شمس قد صرحوا للصحيفة بأنهم أصبحوا منذ بداية هذا المشروع " أخوة فى الدم" وقالت : إن هذا المشروع هو الأول من نوعه فى الشرق الأوسط .

وادعت الصحيفة أن المصريين أبدوا شغفهم للاشتراك فى هذا البرنامج بعد أن اجتاحت الحمى بلادهم عام 1979 فقتلت بضعة آلاف منهم وصرعت أعداداً من الماشية والدواجن والدواب تقدر بالملايين .

وقد كان العمل فى البرنامج مركزاً على الأمراض التى ينقلها البعوض والذباب وقد أثمرت " والكلام مازال لجيروزاليم بوست" أثمرت الجهود المشتركة للعلماء

المصـريين والإسـرائيليين وتمكنـوا مـن نشـر 33 بحثـاً عـن هـذه الأمـراض فـى المجلات العلمية .

وفى هذا الإطار .. توجه الدكتور " لى شولر لزيارة القاهرة كأستاذ زائر بجامعة عين شمس كما اشترك الدكتور كوفين العالم الإسرائيلى فى عدة مؤتمرات فى العاصمة المصرية وفى إسرائيل أيضاً .

ومن ناحية أخرى قام مركز كوفين بتطوير طريقة للكشف عن الملاريا التى تستخدمها مصر.

وقد صرح كوفين:" أن تبادل الآراء مع جامعة عين شمس المصرية جعل منها مركزاً متميزاً فى هذا المجال مما أدى إلى تقليل الإصابة بهذه الأمراض، كما أدى إلى زيادة التعاون بين علماء البلدين ، وأن القرار الخاص بالاستمرار فى التعاون لخمسة أعوام أخرى سيمكن العلماء من المضى فى أبحاثهم حول بعض الأمراض الأخرى المنتشرة فى المنطقة ، وأضاف "كوفين" أن العلاقة التى تربط علماء البلدين هى أشبه ما تكون بالعلاقة الأسرية !! وأن المصريين يتميزون بالذكاء والعلم وأن العمل معهم كان بعيداً تماماً عن مجال السياسة وأنه كان بمثابة نافذة أطل منها علماء مصر على إسرائيل وأخرى أطل منها علماء إسرائيل على مصر[5] .

الاختراق الثقافى والعلمى

وواصلت إسرائيل أيضاً عمليات وصف مصر بالعبرى ، على مستوى الصحة النفسية (كما سبق وأشرنا فى الفصل التمهيدى) ، حين قامت بالحضور إلى مؤتمر الصحة النفسية الذى عقد فى نوفمبر 1987 بالقاهرة ، والطريف هنا قول الدكتور جمال أبو العزايم رئيس الاتحاد الدولى للصحة النفسية آنذاك أنه لم يمنع الإسرائيليين من حضور مؤتمر الصحة النفسية الذى عقد فى نوفمبر 1983 ؛ لأنهم أعضاء فى الاتحاد الدولى وفى مجلس إدارته وأضاف : وأنهم

يملؤون القاهرة فلماذا نمنعهم من الحضور والمشاركة فى مؤتمر للصحة النفسية .

وقال د. أبو العزائم لجريدة (الأهالى) : لقد خسرنا من قبل عقد مؤتمرين فى مصر لإصرارنا على مقاطعة الإسرائيليين ، وهذا المرة كنا سنخسر وجود الاتحاد هنا لو قاطعناهم(6).

ولقد قرر المؤتمر وقف جمعيات الطب النفسى فى جنوب أفريقيا احتجاجاً على ممارساتها العنصرية ، ود. أبو العزايم قال : إننا لم نتخذ قراراً مماثلاً إزاء العنصرية الصهيونية لأننا نقصد بالعنصرية التمييز اللونى فقط ؟ .

وكانت نقابة الأطباء قد حذرت د. أبو العزايم من إشراك الإسرائيليين وأعلنت إحالة المسئولين إلى التحقيق لمخالفتهم لقرار الجمعية العمومية للنقابة، وحتى الآن لم تتخذ إجراءات فانسحب عدد من الأطباء من المؤتمر بعد مفاجآتهم باشتراك الإسرائيليين وهم د. اعتدال عثمان ود.هناء سليمان ود. عصام اللباد وانسحب أيضاً د. أحمد عكاشة – بعد علمه بمشاركة إسرائيل – كما لم يحضر د. قدرى حفنى وقاطعت المؤتمر معظم الدول العربية ، وشركة "أمريكان اكسبريس " قامت بتغطية نفقات المؤتمر كما شاركت فيه الجمعية الإسلامية العالمية للصحة النفسية .

***

ولأنه ليس للاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى حدود ، فإنه امتد إلى الآثار خاصة بعدما قال بيجين للسادات عام 1979 قولته الشهيرة : (إن أجدادى هم الذين بنوا هذه الأهرامات) وكان يقف ساعتها أمام أهرامات الجيزة إحدى عجائب الدنيا السبع ، ووقتها لم يرد السادات واكتفى بابتسامته الباهتة المعروفة !! .

وبعد سنوات يأتى الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار الأسبق ، ليعلن بعد قيام وزير الثقافة، ورئيس الوزراء بإقالته من هيئة الآثار ، يأتى د. قدرى ليعلن

أن جزءاً من أزمته الأخيرة يرجع إلى رفضه المستمر للتعاون مع البعثات الإسرائيلية الأثرية التى طلبت المجىء إلى مصر وكشفه لأعمال النهب التى قامت بها إسرائيل للآثار المصرية فى سيناء مشيراً إلى أنه قاوم ضغوطاً إسرائيلية عديدة حاولت عرقلة الحفائر الأثرية التى قامت بها جامعة عين شمس بالمقابر اليهودية .

وأكد الدكتور قدرى فى الندوة التى نظمتها له اللجنة الثقافية بنقابة الصحفيين فى مارس 1988 أن إسرائيل هى العدو الأساس لمصر وللعرب ، وهى تعمل جاهدة على تفريغ الفكر والوجدان المصرى من هويته الثقافية والتراثية موضحاً أنه لم يزر إسرائيل ولن يزورها.

وتمتد عمليات التطبيع العقلى لتصل إلى قسم الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، فبعد عدة جولات بحثية لهذا القسم من الإسرائيليين خلال حقبة الثمانينات ، تأتى جولة أخرى من البحوث المشتركة حين قام فى يناير 1988 البروفيسور الإسرائيلى هارى ليبكين وزوجته التى تعمل بمعهد وايزمان الوثيق الصلة بالموساد وبعمليات وبحوث مفاعل ديمونة وصناعة الأسلحة النووية الإسرائيلية بزيارة للقسم واشتمل برنامج الزيارة على عقد ندوة علمية لأعضاء هيئة التدريس فى قسم الفيزياء النووية بجامعة القاهرة ، حول التطور العلمى الإسرائيلى ، وأجرى الباحث الإسرائيلى خلالها مناقشات عديدة حول امكانات التعاون بين مصر وإسرائيل ، ووجه الدعوة لعدد من أساتذة الجامعة المصرية لزيارة إسرائيل وأحاطت الجهات المسئولة الزيارة بسرية تامة ، ولجأت لعدم كشف جنسية الضيف الأجنبى خوفاً من رد الفعل العدائى ، إلا أن ما صرح به هارى ليبكين ، بعد عودته لإسرائيل فى الصحف هناك وكشف عن خفايا الزيارة وهدفه من ورائها ، فضلاً عن تعمده التحقير من قدر علماء مصر والاستخفاف بهم واتهامه لشباب العلماء من المصريين بالانشغال بالسعى خلف جمع الأموال من دول الخليج وتخلفهم العلمى ، ويقول الإسرائيلى : هارى ليبكين فى

مقال لـه نشـرته "الجيـروزاليم بوسـت" عـن زيارتـه لجامعـة القـاهرة : رافقنـى المسئولون فى الجامعة وحرصت على دعوة كل من قابلتهم لزيارة إسرائيل" .
ويضيف الصـهيونى " هارى ليبكين " : حذرنى أصدقائى المصريون بالابتعاد عن أماكن معينة، وتوقعت مواجهة مظاهرات طلابية معادية لإسرائيل وقابلت العديد من السياح الإسرائيليين ، الذين جاءوا برغم تحذيرهم بسبب الجو العدائى السائد فى مصر الآن ، وقابلنا مجموعات من الإسرائيليين من أصل مغربى كانوا فى زيارة سنوية لضريح " أبى حصيرة".
ويسرد الباحث الإسرائيلى قصة أستاذ مصرى طلب منه توفير دعوة لزيارة إسرائيل وعندما سأله : هل أنت قادر بالفعل على المجىء ؟ أجابه ذلك الأستاذ المجهول : فقط سأحتاج لإبلاغ الخارجية المصرية ، وسيوضع اسمى فى قوائم المقاطعة ، وأحرم من زيارة الدول العربية لكن لا يهمنى هذا !!.
الغريب أن " هارى ليبكين "كتب تعليقاً عليه : لم أخذ كلامه بجدية ، فلا أتوقع من العلماء المصريين أخذ أمر المقاطعة العربية ببساطة ، وليس بسبب انتمائهم العربى ، بل يرى ذلك الصهيونى وباستخفاف بالمشاعر الوطنية أن الأمر يرجع " للعائد المالى " حيث تتضاعف مرتباتهم هناك أكثر من 15 مرة !! ، وحيث يمكنهم شراء سيارة[7].

***

ويحدثنا تاريخ التطبيع الثقافى فى نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات حدثت عدة تطورات هامة على صعيد العلاقات الثقافية بين مصر وإسرائيل ولعل من أبرز الأحداث الثقافية هو زيادة عدد الباحثين والصحفيين الإسرائيليين القادمين لمصر ، وإقامتهم شبه الدائمة بالقاهرة وتحت المظلة الأمريكية والغطاء الذى توفره لهم السفارة الأمريكية والمراكز البحثية الأمريكية فضلاً عن السفارة الإسرائيلية والملحق الثقافى الإسرائيلى وهو أحد رجال الاستخبارات الإسرائيلية القدامى ، أمكنهم عن طريق هؤلاء جميعاً التغلغل داخل مصر إلى درجة سرقة

الأدب المصرى ذاته وتصديره إلى تل أبيب ، وعلى سبيل المثال فوجىء الكاتب الروائى يوسف القعيد بترجمة عبرية لروايته "الحرب فى بر مصر" صادرة عن إحدى المؤسسات الثقافية فى إسرائيل ، دون إذن مسبق منه ، وهو ما يفسر الاتجاه الأخير الذى ينتهجه الكيان الصهيونى فى لي ذراع المثقفين المصريين للسير على خطى التطبيع الثقافى رغم أنوفهم .. ومن قبل روجت أفلام المخرج يوسف شاهين على أشرطة فيديو تم طبعها فى إسرائيل واتهمه البعض إثر ذلك بالتطبيع مع العدو الصهيونى ، رغم أنه لم يعلم شيئاً مما حدث كما هو الحال الآن مع يوسف القعيد الأمر الذى دعا لجنة الدفاع عن الثقافة القومية واتحاد الكتاب ووزارة الثقافة لمحاولة التدخل فى هذا الأمر وقطعاً لم يأت تدخلهم بنتيجة إيجابية[8] واتصالاً بما سبق فإن المظلة الأمريكية العلمية والمالية سمحت بالتغلغل الثقافى الإسرائيلى أن يتزايد وأن يصل إلى أخطر الأماكن وأكثرها حساسية وهى المدارس الابتدائية والإعدادية وللمعاهد الأزهرية فى كافة أنحاء مصر ، والأمثلة عديدة سبق الإشارة لبعضها فى الفصول السابقة وكمثال آخر لها أنه عندما تلقت وزارة التعليم فى مصر منحة مالية أمريكية تصل قيمتها إلى 166 مليون جنيه وتضمنت عدة آلاف من الخرائط المرسومة للشرق الأوسط وقد استبدل فيها اسم (فلسطين) باسم "إسرائيل" وتؤكد الحقائق المتاحة أن هناك روايتان لهذا التغلغل الثقافى الإسرائيلى للمدارس المصرية[9] .

<u>**الأولى :**</u> مختصرة يرويها المسئولون فى المركز القومى للبحوث التربوية التابع لوزارة التعليم عندما يقولون : منذ خمس سنوات ومع بداية إنشاء التعليم الأساسى فى المدارس تلقت وزارة التعليم منحة أمريكية تحتوى على بعض الأجهزة والأدوات الخاصة بالتعليم الأساسى وكان من بينها خرائط تحمل اسم إسرائيل بدلاً من (فلسطين) وهذه المنحة تأتى ضمن برنامج المعونة الأمريكية المتعددة المراحل للتعليم الأساسى والذى تصل قيمته 166 مليون جنيه ، وتم

إرسال هذه الخرائط إلى إدارة التصميمات والإدارة العامة للرسائل العلمية بمنشية البكرى بالقاهرة والتى شكلت لجنة برئاسة جرجس أسعد مدير إدارة التصميمات فى ذلك الوقت لبحث مدى إمكانية قبول هذه الخرائط ، وبالفعل قررت اللجنة فى نهاية بحثها قبول الخريطة وتم توزيعها على حوالى 4 آلاف مدرسة من مدارس الجمهورية .

أما الثانية : تفصيلية ، يرويها محمود عبده مدير مكتب (محمد فريد للوسائل التعليمية) , وهو المكتب الذى أخذ حق طبع وتوزيع الخريطة كوكيل وحيد لشركة دينو جيبرت صاحبة الخريطة فقال فى البداية : عرضت شركة دينو جيبرت التى رست عليها مناقصة توريد هذه الأجهزة أنواعاً من الخرائط التى تحمل اسم فلسطين المحتلة وتقوم بتوريدها للسعودية ورفضها المسئولون محتجين بأن مصر معترفة بإسرائيل ، فعرضت الشركة خريطة إسرائيل هذه ووافقت عليها وزارة التعليم ونظراً للحساسية الكبيرة لهذه الخطوة لم تكتف بتلك الموافقة وطلبت الحصول على موافقة وزارة الدفاع ووزارة الخارجية والموافقة موجودة لديها لكل من يريد الاطلاع عليها ، وعندئذ بدأنا فى طبع وتوزيع الخريطة على مدارس التربية والتعليم إضافة إلى بيعها للمدارس الخاصة وكذلك لإدارة المعاهد الأزهرية التى تطلب كل عام شراء هذه الخريطة .

* واتصالاً بذات عملية الاختراق التعليمى الإسرائيلى المصرى ، تروى بعض الصحف عدداً من الروايات الخطيرة حول تداول الأطفال الصغار فى مصر كتباً لكيفية تعلم اللغة العبرية[10].

والأمر – كما هو واضح – يتجاوز صيحة تحذير نطلقها ضد الاختراق الصهيونى للعقل العربى ، إلى اتهام واضح محدد ، ينبغى على ضوئه محاسبة المسئول عن فتح كل هذه الثغرات فى جسد الوطن ، خاصة الأمر يتعلق بالأجيال التى ستصنع المستقبل وحين يتم هذا التخريب فى المدارس نفسها ، فإنه جريمة ! .

***

ولقد حاول العلماء الوطنيون فى مصر أن يقفوا ضد هذا الاختراق التعليمى عندما جددوا فى مؤتمرهم العام الثالث والأربعين لنوادى هيئة تدريس الجامعات المصرية الذى عقد بالاسكندرية يوم الجمعة 1989/3/17 التحية لأساتذة الجامعات الذين شاركوا فى هيئة الدفاع عن طابا وللدبلوماسية المصرية .

كما وجهوا التهنئة للشعب المصرى بمناسبة عودة طابا إلى السيادة المصرية وأكد أعضاء المؤتمر على قرارهم السابق برفض التطبيع مع إسرائيل إلى أن يعود الشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة لإقامة وطنه .

وطالب الأعضاء بوقف إجراءات إضافة بند السلوك إلى شهادات التخرج ووجهوا نداء إلى رئيس الجمهورية بسرعة التدخل لحسم الخلاف حول أرض نادى هيئة تدريس جامعة القاهرة وعلى نفس المستوى طالب د. أشرف البيومى الأستاذ بكلية العلوم جامعة الاسكندرية الجهات المسئولة بسرعة التحقيق فى واقعة قيام رئيس جامعة حيفا الإسرائيلى بزيارة جامعتى الاسكندرية وطنطا لمدة ثلاثة أيام فى إطار اجتماعات رؤساء جامعات البحر المتوسط . وقال د.أشرف : إن الواقعة تعد خرقاً لقرار المؤتمر السابع لنوادى هيئات التدريس بمقاطعة الجامعات الإسرائيلية ، كما أنها تأتى فى سياق تزايد الأعمال الإرهابية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة مما يشكل استفزازاً للمشاعر الوطنية .

وفى محاولة الإيقاف هذا الاختراق تحت المظلة الأمريكية وتحت وجود معارضة من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية أكد الدكتور أحمد فتحى سرور وزير التعليم وقتها أنه طلب من الدكتور محمود الشريف محافظ الشرقية[11] سحب الكتب التعليمية التى تتضمن خرائط تحمل اسم " دولة إسرائيل " .

جاء ذلك رداً على سؤال من أعضاء نادى هيئة التدريس بجامعة القاهرة خلال اللقاء الذى عقده معهم يوم الخميس 1988/12/22 حول توزيع كتب تعليمية بالشرقية تحمل خرائط منطقة الشرق الأوسط وعليها اسم " دولة إسرائيل " .

وقال وزير التعليم : إنه سيتم استبدال هذه الكتب فوراً .. وتوزيع كتب أخرى تحتوى على خرائط تحمل اسم دولة فلسطين ، من ناحية أخرى أكد الوزير رفضه التام لإرسال طلاب مصريين للإقامة مع أسر أوروبية وقال : إنه لو كان الأمر بيده لألغى هذا النظام على الفور[12]

* وفى يناير من كل عام يتجدد الحديث عن اشتراك إسرائيل فى معرض القاهرة الدولى للكتاب ، ولقد حاولت إسرائيل مجدداً أن تشارك فى المعرض الدولى الحادى والعشرين بالقاهرة إلا أن الحكومة المصرية وتحت إصرار المعارضة الثقافية للتطبيع رفضت اشتراك إسرائيل فى هذا المعرض الذى عقد فى يناير 1989 وعلى العكس من ذلك شاركت مصر فى معرض القدس الدولى للكتاب عام 1989 فلقد افتتح فى شهر مارس 1989 بالقدس المحتلة ، معرض القدس الدولى للكتاب الذى تشارك فيه 43 دولة من بينها مصر وأكد موشى بن أهارون مدير مكتب اسحق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلى وقتها ، اشتراك عدة دول بالمعرض لأول مرة ومنها الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وسيرلانكا ، ونيبال وفيجى ، ووصف اشتراك هذه الدول بمدى تطور العلاقات الإيجابية مع إسرائيل .

***

وكما سبق القول فإن السياحة [والتى سيتم تفصيل أحداثها فى فصل مستقل فى الباب الخامس] تمثل أحد أوجه السياسة وتستخدم كأحد مستويات الثقافة فى مجال جمع المعلومات ، وفى هذا الاطار تذكر المعلومات الصحفية المتاحة أنه فى نهاية الثمانينات ومن خلال منفذ رفح – قبل أن يرحل الاحتلال الإسرائيلى عن غزة – يدخل حوالى خمسمائة شخص إلى مصر يومياً نصفهم

من الإسرائيليين ، والنصف الآخر من السياح الأجانب والفلسطينيين وحسب المصادر الرسمية ، ويوازى هذا ارتفاع معدل تدفق السياحة فى إسرائيل إلى مصر معدلات كبيرة ، وكانت – ولاتزال – الحكومة الإسرائيلية تشجع على هذه السياحة،وهو ما كان يقلق – نسبياً– أجهزة الأمن المصرية وقتها التى تؤكد أن معظم السياح يقومون بجمع المعلومات عن مصر ، وتصب فى مركز إسرائيلي للمعلومات كما تستغل إسرائيل ثراء مصر بالآثار لحسابها الخاص– وتنظم برامج سياحية للأجانب يزورون فيها إسرائيل أولاً – ليصرفوا معظم نقودهم داخلها ثم تنظم لهم رحلة قصيرة إلى مصر وأصدرت الحكومة الإسرائيلية قراراً بإلغاء رسوم المغادرة من إسرائيل وقيمتها 250 دولار على كل من يسافر إلى مصر ، ويؤدى ذلك إلى إضرار السائح الأجنبى الذى يرغب فى زيارة كل من مصر وإسرائيل على الذهاب إلى إسرائيل أولاً ولهذا تحاول أجهزة وزارة السياحة فى مصر الحد من هذه البرامج [13] .

وحول هذا الاستغلال السياحى / الثقافى وفى نوفمبر 1988 عكف الدكتور فاروق إبراهيم عميد كلية الفنون الجميلة مع الدكتور صلاح عبد الكريم صلاح نقيب التشكيليين على دراسة الاقتراح المقدم من أساتذة النحت بكلية الفنون الجميلة بإقامة ملتقى ثقافى فنى دولى بعد عودة طابا وهذا نص الاقتراح :

" بعد عودة طابا إلى الأم مصر وبعد هذا النصر العزيز يرى الفنانون والنحاتون المصريون أنها مناسبة غالية لإعادة هذا التقليد المصرى العريق وتسجيل الانتماء والوجود المصرى فى هذه المنطقة الحيوية حيث يظل هذا العمل الفنى الكبير شاهداً على حضارة وازدهار مصر الحديثة " .

فالاقتراح بإقامة ملتقى ثقافى فنى دولى يشتمل على صرح فنى يمكن أن يكون فى مساحة جبل طابا العزيز يحتوى على بعض المنحنيات البارزة أو المنفصلة وبالفعل قامت إسرائيل باستغلال هذه المقترحات واقترحت بالمقابل تقديم الدعم

المادى لهذا الملتقى وتغطية نفقاته مقابل حضورها الثقافى ، ولايزال المشروع قيد البحث .

وضمن مخطط تطبيع العلاقات بين العدو الصهيونى والحكومة المصرية قامت لجنة صهيونية أمريكية فى زيارة محافظة الغربية تفقدت خلالها مديرية الثقافة ودار الكتب بطنطا .

صرح مصدر مسئول أن اللجنة قامت بتصوير العديد من الأوراق من بينها 66 مخطوطة من المخطوطات النادرة ، كما قامت نفس اللجنة بزيارة عدد من الأماكن الأثرية والتاريخية التى تضمها المحافظة .

كما اشتركت شركة كيميدار السياحية التى يملكها عضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى كمال أبو الخير[14] مع شركة زيم الإسرائيلية للسياحة فى تنظيم مهرجان زفاف العرائس العالمى الذى أقيم بقرية بشبيش بالمحلة الكبرى فى 8 أغسطس 1986 ، وفى إطار التعاون المشترك بين الشركتين أعلنت شركة كيميدار فتح الباب رسمياً لاستقبال وفود السياح الإسرائيليين ، لزيارة المعالم السياحية بمصر وقضاء الأجازات على شواطئها .

ولتأمين سلامة الوفود السياحية الإسرائيلية التى استقبلتها كيميدار تم إخلاء إحدى القرى السياحية من المصريين وبعض الجنسيات الأخرى حتى رحل الإسرائيليون من القرية[15].

وعلى نفس المنوال وسط مظاهرة صاخبة من الرقص والغناء من جانب الحاخامات اليهود افتتح نائب محافظ القاهرة والسفير الإسرائيلى شيمون شامير ورئس المركز الأكاديمى الصهيونى بالقاهرة أوشير عوفاديا فى يناير 1989 مكتبة التراث اليهودى التى أقيمت بداخل المعبد اليهودى بشارع عدلى بوسط القاهرة .

وقال البيان الذى أصدره المركز الأكاديمى الإسرائيلى ، وجرى توزيعه على الحاضرين : إن المشروع الذى تم بموافقة هيئة الآثار كان يهدف إلى جمع 60

ألف كتاب لكنه لم يتمكن إلا من الحصول على 9 آلاف كتاب تعبر عن التراث الدينى اليهودى .

كشف البيان عن الاستيلاء على وثائق " الجنيزا " اليهودية القديمة والتى تعتبر جزءاً من التراث المصرى .

وقد استنكر بعض علماء التاريخ والآثار المصريين منح المركز الأكاديمى الإسرائيلى[16] حق جمع جزء من التراث التاريخى لمصر ، وتأكيد الزعم الصهيونى بأن إسرائيل هى ممثلة لجميع يهود العالم حديثاً وقديماً[17] .

ويرتبط بالتطبيع الثقافى قيام إسرائيل بطلب المسئولين المصريين ضرورة استرداد – على حد قولها – مزامير النبى داود واستعادتها باعتبارها تخص اليهود وحدهم .

وكانت هذه المزامير وهى مخطوطة نادرة من العهد القديم قد عثر عليها منذ عامين فى محافظة بنى سويف وعكف العلماء على ترميمها ودراستها طوال هذه المدة إلى أن أعلن د.جودت جبره فى التليفزيون المصرى ، أن هذه المزامير هى أقدم وأكمل نسخة عثر عليها حتى الآن ، مما يضفى عليها أهمية تاريخية خاصة[18] .

واتصالاً أيضاً بالتطبيع الثقافى يأتى التطبيع الفنى والمسرحى (والذى خصصنا له فصلاً مستقلاً داخل هذا الباب هو الفصل الثالث) فلقد تناقلت الصحف أن أعضاء باليه القاهرة الذين عادوا من باريس بعد اشتراكهم فى مهرجان الفولكلور الذى أقيم طوال شهر يوليو 1988 فى العاصمة الفرنسية قد رفضوا التطبيع مع الفرق الإسرائيلية المشتركة فى المهرجان وحاول المسئولون عن الفرق الإسرائيلية إحراج الفرق المصرية عن طريق توجيه الدعوات الرسمية لهم بالعشاء ولكن الوفد المصرى أصر على موقفه ، وإزاء هذا الموقف حاول أعضاء الباليه الإسرائيلى التحرش بهم وافتعال المشاجرات معهم ومع ذلك تمسك الوفد المصرى بموقفه الوطنى .. شارك فى هذا المهرجان أكثر من 15

دولة من بينها مصر التى حصل فريقها على شهادات تقدير ، ونال استحسان جميع الذين شاهدوه سواء فى المسارح المعلقة أو فى العروض الجماهيرية التى أقاموها فى باريس .

***

وفى نقابة الصحفيين المصريين – **وفى اطار تداخل التطبيع الاعلامى السابق تفصيله فى الباب الثالث،بالتطبيع الثقافى الذى نخصص له هذا الباب** – استمر عدد من أعضائها ممن يحسبون على فئة المثقفين فى مخالفة قرارات الجمعية العمومية للصحفيين التى صدرت عام 1981 برفض أى تطبيع للعلاقات مع الكيان الصهيونى ويأتى فى مقدمة هؤلاء عبدالمنعم سعيد ولطفى الخولى قيادات تحالف كوبنهاجن وكذلك الكاتب الراحل أنيس منصور الذى صارت زياراته وكتاباته عن الكيان الصهيونى من الكثرة بحيث يصعب حصرها وعلى سبيل المثال فقط نجده يستثمر المساحة اليومية المخصصة له فى صحيفة الأهرام تحت عنوان (مواقف) فى الترويج لأوهام السلام مع إسرائيل على الرغم من قناعة الجميع باستحالة مثل هذا السلام منذ زيارة الرئيس السابق / أنور السادات للقدس وفى صحبته أنيس منصور الذى يقول عام 1989 ما نصه على سبيل المثال لما يردده دون كلل منذ فترة .

" إن مسئولاً إسرائيلياً بالتليفزيون قال له : إن لديهم مشروعاً بتقوية الإرسال ليتمكن المصريون من متابعة أخبار إسرائيل ورؤية الحياة على حقيقتها ، فإسرائيل تعرض فيلماً مصرياً كل أسبوع ، والمواطن الإسرائيلى يعرف جميع نجوم السينما والمسرح والغناء فى مصر ، ويتابع أخبارهم ويطلب من الصحف والمجلات المزيد .. إن الشعب الإسرائيلى يجب أن يعرف ، لأن النقد الذى يوجهونه لأنفسهم هو أنهم مازالوا يعيشون فى الشرق الأوسط بعقلية شرق أوروبا كأنهم أوروبيون جاءوا ليعيشوا بين العرب بعض الوقت وهذه غلطة فظيعة لابد

أن يزرعوا أنفسهم نهائياً فى الشرق العربى – يجب أن يعرفوا كل شىء – عن عالمهم الجديد ،وأن تكون اللغة العربية لغة أساسية".

ويقول : " ومن الواجب إزالة الفوارق النفسية والعلمية والثقافية ومساعدة الأجيال القادمة على أن ترى أوضح وتفهم أسهل ، وتحكم أعدل .. فكل ذلك يحقق السلام والرخاء لشعوب المستقبل " . ويقول أنيس منصور فى يوميات أخرى وحول ذات الهدف من الترويج للتطبيع [بدعوة من (واشنطن) : ألقيت بحثاً عن (مصاعب الإعلام والسلام) فلايزال السلام صعباً ، لأنه ليس سلاماً مع مصر وإسرائيل وإنما هو سلام مع إسرائيل ومصر وكل الدول العربية والشعب الفلسطينى فى الداخل والخارج ، ولأن الدول العربية لم تتفق على هدف واحد أو طريق واحد ولا على أسلوب واحد فى السير فى هذا الطريق وكذلك الدول الأوروبية ولا الدولتان العظميان : أمريكا وروسيا] .

* وعلى العكس من موقف أنيس منصور ظل إبراهيم سعده الصحفى الذى كان محسوباً على النظام السياسى الحاكم فى مصر منذ 1979 والذى ظل رئيساً لتحرير صحيفة أخبار اليوم لأكثر من ربع قرن ، ظل يردد رفضه للتطبيع الثقافى والصحفى مع إسرائيل تحت أية مظلة كانت أمريكية أو غير أمريكية ، بل ويرد على من يتهمه بالتطبيع بحدة شديدة رافضاً مثل هذا الاتهام ، وفى مجالات الأدب والسياسة يرفض البعض ذات الفكرة المتصلة بالاتهام بالتطبيع ، على هذا المعنى رفض الراحل د. فرج فوده هذا الاتهام رغم تسليمه بأهمية التطبيع لمصر وبقبوله لإسرائيل وللعلاقات معها (ولا ندرى كيف نحل هذا التناقض الفريد للدكتور فرج فوده) وكذلك رفض د.صبرى حافظ هذا الاتهام الذى وجهه إليه البروفيسور اليهودى سوميخ فى الثمانينات ، وفى مارس عام 1989 تكرر الجمعية العمومية لنقابتى الصحفيين والمهندسين مرة أخرى رفضها أى تطبيع ثقافى أو سياسى مع الكيان الصهيونى تحت أية مظلة وخاصة المظلة الأمريكية .

وفـى أبريـل عـام 1989 تحتفل لجنـة الـدفاع عن الثقافـة القوميـة – وهـى لجنـة شعبية وثقافية مصرية معادية للتطبيع بمرور عشر سنوات على إنشائها وتكرر مـرة أخـرى رفض كافـة أشـكال التطبيـع الثقـافى مـع الكيـان الصـهيونى وتـدعو لمواجهته عملياً .

***

ثانياً : التطبيع فى التسعينات وما بعدها :

*** فى التسعينات استمر التطبيع عبر آليات ووسائل أخرى من أبرزها :**

قيـام المركـز الأكـاديمي الإسـرائيلي فـي القـاهرة الـذى أنشـئ عـام 1982م والـذى سنفصـل دوره فـى فصـل مسـتقل (الفصـل الثـانى فـى هـذا البـاب) ، ليكـون مركـزا لنشـر الثقافـة الصـهيونية فـي مصـر، وملتقـى للأكـاديميين والمثقفـين الإسـرائيليين بنظـرائهم المصـريين ، ومصـدرا للحصـول علـى الكتـب والـدوريات العبريـة لطلبـة أقسـام اللغـة العبريـة بالجامعـات المصـرية ، ومكانـا لإلقـاء المحاضـرات ، وعقـد النـدوات المفتوحـة للجمهـور المصـري ، والتـي تسـتهدف فـي المقـام الأول بـث الفكـر الصـهيوني فـي عقـول المصـريين ، وتسـريب الأفكـار الصـهيونية لنفوسـهم ، وإزالـة حـاجز الكراهيـة والعـداء نحـو الدولـة الصـهيونية .

بالإضـافة لمـا سـبق ، فـإن مـن مهـام المركـز الأساسـية "تجنيـد " بعـض المثقفـين المصـريين ، ودعـوتهم لزيـارة الكيـان الصـهيوني ، ودفعهـم للكتابـة عنـه مـروجين للتطبيع ، وداعين لقبول ذلك الكيان ، والتعامل معه بروح الصداقة والمسالمة !! (كما سنفصل فى الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى) .

ومـن الوسـائل الأخـرى السـعي الإسـرائيلي الـدائم للمشـاركة فـي المـؤتمرات والمعارض والمهرجانات الدولية للسينما والكتاب[19] ، والتي تعقدها مصر سنويا ، وقد نجح الإسرائيليون في المشاركة في معرض القاهرة الدولي للكتاب سنة 1981 م ، ولـم يفعلوهـا ثانيـة إلا بشـكل محاصـر ومتقطـع ، بعـد فشـل الجنـاح المخصص لهم ، مع مقاطعة الجمهور له ، واندلاع المظاهرات الرافضة للوجود

الإسرائيلي في المعرض ، ونجاح الشباب والمثقفين في اختراق الحصار الأمني للجناح الإسرائيلي ، وإنزال العلم الإسرائيلي وإحراقه ، ورغم ذلك فما زال الإسرائيليون يتقدمون بطلبات الاشتراك في المعرض ، عاما بعد عام ، وهي الطلبات التي تُرفض لدواع أمنية !!

واستمر الفنانون المصريون القائمون على المهرجانات السينمائية والفنية الدولية التي تعقد بمصر خلال الفترة التي ندرسها (1979-2011) ، يرفضون مشاركة الإسرائيليين في تلك المهرجانات ، رغم الإلحاح الإسرائيلي .

- تقديم المنح الدراسية الجامعية والتخصصية للشباب المصري من جامعات الكيان الصهيوني ومعاهده ، وقام المركز الأكاديمي بدور كبير في ذلك ، فبدءا من سنة 1993 ، استطاع المركز أن يرتب زيارات عديدة للدولة الصهيونية ، لوفود ضمت أساتذة من القسم العبري واللغات الشرقية بجامعتي القاهرة ، وعين شمس ، وقد بحثت الوفود المصرية مع أساتذة أقسام الدراسات العبرية والشرقية بجامعتي حيفا وتل أبيب ، وسائل التعاون وتبادل الخبرات ، حسبما نُشر !!

- تشجيع الرحلات السياحية ، والمؤتمرات المشتركة بين الشباب المصري والإسرائيلي ، لمسح عقول الناشئة المصريين ، وتعويدهم على التعامل مع الصهاينة ، وعقد علاقات إنسانية معهم .

- دعم بعض الكتاب المطبعين ، ماليا ، وإغراؤهم بالجوائز الدولية ، وطباعة كتبهم وتوزيعها وترجمتها إلى عدة لغات .

- تمويل مؤسسات إعلامية (صحف ، وقنوات تليفزيونية ، ومحطات إذاعية، مواقع الكترونية...إلخ) ، تروج للتطبيع والمطبعين ، أو على الأقل تتخذ موقفا محايدا من الكيان الصهيوني ، وتبرز وجهات النظر التي تدافع عنه !!

- استخدام الخبراء الأمريكان ، الذين تستعين بهم مصر في تطوير المناهج التعليمية ، استخدامهم في إدخال تعديلات جذرية على المناهج التعليمية ، التى تروج لمصطلحات مثل : السلام ، والتعاون الدولي ، وقبول الآخر ، وتقوم

بحذف كل ما يشير لثوابت الصراع مع العدو الصهيوني ، حتى وصل الأمر لحذف الآيات القرآنية التي تشير لحقد اليهود وعدائهم للمسلمين ، وتدعو لجهادهم والغلظة عليهم ، والغريب أن تتسلل تلك الأيدي للمناهج الأزهرية لتشوه مفهوم الجهاد ، وتقدم إسلاما متسامحا مسالما للجميع ، حتى الغاصب والمحتل ، إسلاما منزوع الجهاد ، والمقاومة ، التي صار اسمها الرسمي والإعلامي "إرهابا " !

– استقطاب أنصاف الموهوبين ، وذوي النفوس الضعيفة من المثقفين والفنانين ، وإغواؤهم بالمزايا المادية والمعنوية ، ليكونوا أبواقا للتطبيع ، وسفراء فوق العادة للكيان الصهيوني بين المصريين ، والعرب ، وليقوموا بدورهم باستقطاب وتشجيع من هم على شاكلتهم من المثقفين على الوقوع في مستنقع التطبيع ، وهوى الصهيونية !!

***

رغم الرفض الواضح والقاطع الذي واجه بها المثقفون المصريون ، الدعوة للاعتراف بالكيان الصهيوني وتطبيع العلاقات معه ، منذ أن وطأت قدما السادات القدس في نوفمبر سنة 1977 م ، ورغم القرارات التي اتخذتها المؤسسات الشعبية والنقابية لتأكيد ذلك الرفض ، وتقنينه في لوائحها الداخلية، والتعامل بحزم مع من يتعامل مع الإسرائيليين من أعضائها ، فقد نجحت الدعاية للتطبيع في أمر شديد الخطورة لا ينتبه له كثيرون ، وهو بث فكرة " التطبيع المؤجل " في النفوس .

فبعد أن كان رفض التطبيع يقوم على أساس رفض وجود إسرائيل ذاتها ، لاغتصابها فلسطين ، ومن ثم فإنه لا يمكن الاعتراف بإسرائيل من الأساس ، أو إقامة علاقات معها من أي نوع ، وعلى المثقف والوطني الحر الشريف المؤمن بعروبته وإسلامه أن يقاطع ذلك الكيان ، حتى تأتي اللحظة التي يتغير فيها الحال العربي الضعيف المستسلم ، ويُقضي على إسرائيل والصهيونية ،

وتعود فلسطين للأمة كما كانت طوال تاريخها ، فبعد أن كان ذلك هو المنطلق والأساس المبدئي لموقف الرافضين للتطبيع ، نجحت الدعاية والإلحاح ، مع مرور الزمن (وهو العنصر الذي تعتمد عليه إسرائيل في ترسيخ وجودها) في إيقاع كثير من المثقفين ، والفنانين خاصة ، في فخ التطبيع المؤجل ، فهم لن ينهوا مقاطعتهم ورفضهم للتطبيع إلا حين تحقيق " السلام العادل "[20] ، وقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة !!.

أي أنهم تحولوا من رفض قيام إسرائيل من المبدأ إلى تأجيل الاعتراف بها وقبولها لحين تكرمها وتفضلها على الفلسطينيين بإعطائهم 22% من أراضيهم ، أي أنهم يتبنون نفس سياسة السادات بالاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها ، ولكنهم يشترطون أن يدفع الصهاينة الثمن جزءا من فلسطين ، ومقدما ، قبل الاعتراف والتطبيع ، (دولة فلسطينية في حدود 1967 مقابل الاعتراف والتطبيع الكامل) ، وهي السياسة التي تبلورت على المستوى الرسمي العربي فيما عُرف بالمبادرة العربية ، التي قدمتها المملكة السعودية في القمة العربية سنة 2002 م ، وتبنتها القمة حينها ، لتصير من يومها عرضا عربيا دائما ينتظر موافقة الدولة الصهيونية !!

وبهذا فإن أصحاب هذا الخطاب لم يبتعدوا عن معسكر التطبيع ، وافقوا أصحاب ذلك المعسكر على التطبيع واختلفوا معه في التوقيت ، فبينما قدم المطبعون " التطبيع العاجل " ، قدم أصحاب هذا الخطاب "التطبيع الآجل " ، ولكن المحصلة واحدة ، فكلاهما لا مانع لديه في بقاء إسرائيل، والاعتراف بها ، وعقد الصداقة معها ، وهنيئا للفلسطينيين ، والدماء العربية التي سالت في الصراع مع الكيان الصهيوني ، بقطاع غزة والضفة ، وهنيئا لسوريا بالجولان أو جزء منها ، ولتبق نجمة داود ترفرف في قلب بلاد العرب ، ولا عزاء للاجئين ولا الشهداء ، فقد حاربوا في 1948 م ، و1967 م ، وانتفضوا ، وقاتلوا ، من

أجل وهم وسراب تبخر على أيدي "المعتدلين " الواقعيين المطالبين بالسلام العادل !!

والأخطر أن هذا الخطاب يتسرب للوعي الثقافي العربي يوما بعد يوم ، ويقع فيه أناس لا نشكك في عروبتهم ، ووطنيتهم وتبنيهم للقضية الفلسطينية ، ربما لشعورهم بالعجز مع طول الصراع ، أو تأثرا بالإلحاح الإعلامي ، أو وقوعا في فخ المرحلية ، ومنطق : البداية بدولة في غزة والضفة ثم تحرير باقي الأرض ، ويتبناه آخرون من منطق السلامة ، فهم لا يخالفون الحكام بدعوتهم للتطبيع المشروط ، ويرضون الشعوب بمقاطعتهم للصهاينة ، وعدم التعامل معهم[21].

***

وفى هذا الفصل لن نحصر كل الأسماء التي وقعت في مستنقع التطبيع ، فمنهم التافه الشأن الذي لا تأثير له فيمن حوله وقد اتخذ التطبيع وسيلة للشهرة وجلب الاهتمام ، ومنهم المطبع المنزوي في الظل أسكتته الجرائم الصهيونية المستمرة في فلسطين ولبنان ، ومنهم الضحل عديم الثقافة والذي لا خوف منه بسبب جهله وضعف ملكاته ، وعموما ظل المطبعون خلال الفترة (1979-2011) قلة شاذة تمثل الاستثناء من القاعدة الجماهيرية العريضة الرافضة للتطبيع ، وسنكتفي بتقديم أبرز وأشهر المثقفين والفنانين المطبعين .

<u>- فاروق حسني :</u>

رغم أن وزير الثقافة الأسبق والأطول عمراً فى الوزارة فاروق حسني قد عُرف بموقفه الرافض للتطبيع ، فقد فتح باب وزارته أمام التطبيع ، فى نهاية فترة البحث (1979-2011) ، بعد أن طغى بريق المنصب الدولي على ما عداه في رأس الوزير ، فقرر أن يحول موقفه من التطبيع ، ليكسب التأييد الإسرائيلي في ترشحه لمنصب مدير اليونسكو والتى فشل فيها !!.

ففي يونيو 2008 م أدلى حسني بتصريحات لجريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية ، قال فيها إنه لا يكره إسرائيل ولا يمانع في التطبيع معها ، وقد

حاول الوزير الفنان – كما كان يشيع عن نفسه – أن يغلف تصريحه هذا بغلاف لا يثير عليه مقاومي التطبيع ، فقال : إن عرضه هذا مشروط بتوصل الإسرائيليين إلى اتفاق نهائي مع العرب بشأن القضية الفلسطينية ، وتحولت تصريحات أخرى للرجل وللمقربين منه كشف نواياه الحقيقية في المسألة ، فقد صرح حسني ، في رسالة طمأنة للإسرائيليين ، أن موقفه من التطبيع كوزير ثقافة مصري ، سيختلف عن موقفه وهو مدير لليونسكو ، بما يعني أنه سيتعامل مع إسرائيل كأي دولة "طبيعية" في المنظمة ، ولن يستمر في مقاطعتها كما يفعل حاليا على النحو الرسمي المعلن !!

وجاء التأكيد القوي لنية حسني تجاه التطبيع الفوري مع الإسرائيليين ، في أثناء العدوان على غزة في يناير (2009م) ، إذ أدلى مستشاره الإعلامي بتصريح لجريدة " اليوم السابع" القاهرية ، قال فيه : إن الوزير " يرغب فى التطبيع مع إسرائيل ، لكنه يخشى المثقفين المصريين " !

ثم جاءت دعوة حسني للموسيقار الإسرائيلي (دانيال بارنبيوم) للعزف في دار الأوبرا المصرية ، في أبريل (2009 م) ، خطوة تالية في طريق التطبيع ، ودفعة جديدة من الثمن الذي قرر الوزير دفعه في سبيل الوصول لكرسي اليونسكو !! وللتغطية على تلك الخطوة التطبيعية المكشوفة انبرى حسني في الدفاع عن بارنبيوم باعتباره من أنصار السلام ، والمدافعين عن الحق الفلسطيني ، ولم يفسر لنا الرجل كيف يكون المرء إسرائيليا ، مهاجرا إليها من وطنه الأصلي ، ويكون مناصرا للحق الفلسطيني ؟! الحق الفلسطيني يقضي بأن يعود أولئك المهاجرون المحتلون إلى حيث أتوا ، لا أن يدعو لاقتسام الأرض التي احتلوها بينهم وبين الفلسطينيين ، على أن يسامح الفلسطينيون في الجزء المنهوب منهم بالسلاح والنار ، وعفا الله عما سلف ، بعد أن أصبح اللص وصاحب الحق صديقين حميمين !!

وفي يونيو التالي كُشف عن خطوة جديدة لتأكيد تغيير موقف فاروق حسني من إسرائيل ، فقد وافق على السماح للمركز القومى للترجمة ، التابع لوزارته ، بالبدء فى ترجمة كتب وأعمال أدبية إسرائيلية إلى اللغة العربية ، وتم هذا من خلال إعطاء الضوء الأخضر لترجمة كتابين إسرائيليين للكاتبين: عاموس عوز ، ودفيد جروسمان . وقد تولى جابر عصفور ، رئيس المركز الدفاع هذه الخطوة التطبيعية ، ونفى أنها تأتي كخطوة لاسترضاء الإسرائيليين ، والدليل – حسبما قال عصفور : إن المشروع القومي للترجمة قد ترجم كتبا عبرية قبل ترشيح حسني لليونسكو ، وقبل إنشاء المركز القومي للترجمة في سنة 2006 م ، وكأنه يقول : إن تلك الخطوة التي تلامس التطبيع ، وتقدم الفكر الصهيوني للقارئ العربي في ثوب أدبي ، هي خطوة قديمة ، وإن وزيره كان كاذبا حين وقف في مجلس الشعب (مايو 2008 م) ، نافيا وجود أي كتب إسرائيلية في المكتبات المصرية ، وقائلا : إنه على استعداد لحرق هذه الكتب إن وجدت !! (ملحوظة اعتذر فاروق حسني عن كلامه هذا في مقال نشره في جريدة اللوموند الفرنسية في مايو 2010 ، أي بعدها بعام !) .

في الشهر نفسه أثيرت في بعض الصحف القاهرية (كانت البداية في صحيفة الشروق) مسألة اشتراك إسرائيل في مهرجان فنون البحر الأحمر المقرر انعقاده من 18 إلى 24 أكتوبر/تشرين الأول التالي في محافظة السويس ، وكيف أن وزير الثقافة حاول الضغط على إدارة المهرجان للسماح لإسرائيل بالاشتراك في المهرجان ، باعتبارها احدى الدول المطلة على البحر الأحمر، وتردد أن تلك الضغوط جاءت بعد الزيارة السرية التي قام بها الملحق الثقافي الإسرائيلي لمكتب فاروق حسني ، طالبا السماح لدولته بالمشاركة في المهرجان ، وقد سارع أحمد مجاهد ، رئيس هيئة قصور الثقافة المقرب من الوزير بعقد مؤتمر صحفي نفي فيه ما نشر عن وزيره في هذا الموضوع !

وفـي الشـهر نفسـه ، أيضـا ، جـاءت تصـريحات حسـني لصـحيفة التليجـراف البريطانية من أنه لا يمانع في زيارة إسرائيل في حال فوزه بمنصب اليونسكو ، جاءت كدليل واضح وقاطع على عزم الرجل على التطبيع مع إسرائيل ، وأن تباهيه برفضه التطبيع طوال السنوات الماضية كان من باب إرضاء المثقفين المصريين ، ومجاراة الرأي العام .

وفي السياق نفسه ، وفي العشرين من أغسطس (2009 م) ، جاءت تصريحات زاهى حواس ، الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار ، التى أعلن فيها بدء أعمال الترميم والإصلاحات الكبرى فى معبد موسى بن ميمون بالقاهرة ، بجانب رصد ملايين الدولارات لترميم باقى الآثار اليهودية الموجودة بمصر ، وهـي الخطوة التـي اعتبرتها جريدة معاريف الإسرائيلية (2009/8/25) هدية يقدمها فاروق حسني للإسرائيليين "من تحت الطاولة " ، حسب تعبير الجريدة !!

وفـي أوائـل سـبتمبر 2009 عـرض حسـني علـى الإسـرائيليين صـفقة واضـحة وصريحة، حين قال في مقابلة مع وكالة الأنباء الفرنسية: إنه يعتقد أنه كمدير عام لليونسكو "سيكون من الأسهل له أن يخلق نوعا من العلاقة الثقافية" بين الإسرائيليين والعرب، وأنه لن تكون هناك مشكلة في أن يزور إسرائيل.

بقـي أن نشـير إلـى تأييـد رجـال الـوزير المقـربين لـه (وقتهـا) فـي معركـة اليونسكو/التطبيع ، جابر عصفور (الذى أصبح وزيراً بعد الثورة لعدة أيام) ، وزاهي حواس ، وأحمد مجاهد رئيس هيئة قصور الثقافة ، وسمير غريب رئيس جهـاز التنسـيق الحضـاري (وغيـرهم ممـن أيـدوا فـاروق حسـنى ولـم يعارضـوا التطبيع بجدية كافية) !! .

***

هذا ويرتبط بالتطبيع الثقافى ، ما اتصل بالتطبيع العلمى الذى سبق وأشرنا إلى نماذج منه – هنا نؤكد أيضاً أن تاريخنا القريب عرف علماء مصريين وعربا ، اغتالهم الموساد الإسرائيلي لحرمان وطنهم وأمتهم من جهودهم ، وليظل للدولة

الصهيونية تفوقها العلمي والتكنولوجي على العرب ، خاصة في المجالات المرتبطة بالأسلحة غير التقليدية ، وفي هذا الإطار ، تبرز أسماء مثل يحيى المشد[22]، وسميرة موسى[23] .. ولكننا لم نعرف علماء عرب يزورون إسرائيل ، ويساعدون في تطوير قوتها العلمية والعسكرية مثلما فعل الدكتور أحمد زويل ..

أحمد زويل

بعيدا عن الهالة الإعلامية المتعمدة التي يُغلف بها العالم المصري الأصل ، الأمريكي الجنسية ، أحمد زويل نفسه ، دعونا نتناول موقف الرجل من الصراع العربي الصهيوني ، باعتباره عربي المولد والتربية والجذور ، وباعتبار الشعبية التي نالها في مصر والدول العربية بعد حصوله على جائزة نوبل ، وما حققه من إنجازات علمية لوطنه ، الولايات المتحدة الأمريكية !

قام أحمد زويل بالتعبير عن موقفه من الصراع العربي الصهيوني بشكل عملي ، وانطلاقا من كونه مواطنا أمريكيا ، لا يجد حرجا في زيارة إسرائيل، وإلقاء كلمة أمام الكنيست الإسرائيلي مرتين ، مرة بمناسبة تكريم الكنيست له ومنحه جائزة إسرائيلية ، والمرة الأخرى بمناسبة تكريمه خلال رحلة عمل قام بها للدولة الصهيونية ، لمساعدة الجيش الصهيوني في تطوير منظومة صواريخ تعمل بالليزر أرض أرض ، وأرض جو ، ليتم التعامل خلالها مع صواريخ حزب الله في الجنوب اللبناني ، وبالفعل مكث زويل في معهد وايزمان بحيفا ستة أشهر للقيام بالمهمة الموكلة إليه ، باعتباره عالما أمريكيا استعارته إسرائيل من شقيقتها الكبرى الولايات المتحدة !!

ولأن زويل يدرك أنه مواطن أمريكي صالح ، تحتم عليه وطنيته أن يحب إسرائيل ويفخر بعلاقته بها ، فلم يتردد في الاعتراف بتلك العلاقة حينما سئل عنها أمام شاشات التليفزيون ، وفي الندوات العلمية التي حضرها في القاهرة،

وأجاب إجابة عجيبة غريبة تبيح الخيانة الوطنية لكل عالم !! قال : ليس للعلم وطن أو جنسية !!

***

بالإضافة لما سبق نشرت الدوريات المتخصصة أن إسرائيل لجأت فى السنوات الأخيرة إلى خطة جديدة لاختراق الأمن القومى المصرى، عن طريق استغلال الشباب المصري ؛ للتعرف على معلومات مهمة عن المصريين، حيث كثف جهاز المخابرات الإسرائيلية «الموساد» جهوده للوصول إلى طلاب أقسام «العبرى» فى جامعات مصر ، فى محاولة للوصول لقواعد البيانات الخاصة بالأقسام العبرية فى الجامعات المصرية.

ويؤكد خبراء معنيون بالشأن الإسرائيلى أن «الموساد» قام باختراق 15جامعة مصرية، وهى الجامعات التى تقوم بتدريس اللغة العبرية، وتواصل مع عدد من الطلاب بها بالفعل، محذرين من خطورة المركز الأكاديمى الإسرائيلى التابع لجامعة تل أبيب على الأمن القومى المصرى. (والذى خصصنا له فصلاً مستقلاً فى هذه الموسوعة هو الفصل الثانى من هذا الباب) .

وبحسب دارسين للغة العبرية فإن أساتذة الجامعات يوجهون الطلاب إلى «المركز» لإتمام أبحاث فى مجال تخصصهم، وذلك لافتقار المكتبات المصرية للمراجع العبرية، وهو ما يجعل طلاب الجامعات صيدًا سهلاً للمركز الإسرائيلى.

ويوجد فى مصر أكثر من قسم لتعليم اللغة العبرية التى تقع تحت بند أقسام اللغات الشرقية أو القسم الخاص باللغة العبرية أو أقسام اللغات والترجمة – كالموجود بجامعة الأزهر، والذى يكون معظمها داخل كليات الآداب، حيث توجد هذه الأقسام فى جامعات «القاهرة، عين شمس، الأزهر الشريف، حلوان، المنصورة، سوهاج، المنيا، الإسكندرية، الزقازيق، دار العلوم، المنوفية، أسيوط،

جنوب الوادى» والذى تم حصرها فى 15 جامعة . حسب قول خبراء وأساتذة الشئون الإسرائيلية.

ويرجع الخبراء السبب الرئيس فى استقطاب الشباب المصرى من قبل إسرائيل وجهاز مخابراتها (الموساد) إلى افتقار مكتبات الجامعات الكبرى وخاصة «مركز الدراسات الشرقية» الموجود بجامعة القاهرة إلى المراجع الإسرائيلية والعبرية، مشيرا إلى أن أحدث المراجع الموجودة بهذه المكتبات يعود إلى التسعينيات ولا يرقى لما بعد الثورة ، وأنه فى حالة رغبة طلاب أقسام العبرى فى القيام بعمل بحث علمى عن إسرائيل ؛ فإنهم لا يجدون المراجع الحديثة التى تمكنهم من تنفيذ البحث، وهو ما يجعلهم يقعون فريسة فى يد «الموساد» الإسرائيلى، حيث إنهم لإتمام البحث عليهم التوجه إلى المركز الأكاديمى الإسرائيلى الموجود فى مصر، أو البحث على مواقع الإنترنت العبرية ومواقع التواصل الاجتماعى لمعرفة كل ما هو جديد فى مجال البحث المطلوب منهم، وهى العملية التى يتم خلالها استقطاب وتجنيد الطلاب المصريين، والحصول منهم على بيانات خطيرة قد يراها الطالب المصرى غير مهمة.

وكشف الخبراء عن إنشاء المخابرات العسكرية الإسرائيلية قسمًا لرصد الشباب المصرى عبر موقعى التواصل الاجتماعى (فيس بوك، وتويتر)، مؤكدا أن مسؤولى المخابرات يقومون بدخول مواقع التواصل الاجتماعى بأسماء عربية ومصرية للتعارف على الشباب المصرى الذين يجيدون اللغة العربية بهدف تجنيدهم– حسب قوله.

وأن طلاب أقسام اللغة العبرية فى مصر يلجؤون إلى المركز الأكاديمى الإسرائيلى والحصول على صور لأحدث المراجع والكتب والأبحاث الإسرائيلية تحت ضغط رؤساء الأقسام الذين يطالبونهم بإنجاز الأبحاث.

وأكد أن مكتبات الجامعات المصرية لا تحتوى على كتب عبرية حديثة، وأن كل ما تحتويه هى موسوعات أدبية إسرائيلية و«قاموس قوجمان» للغة العبرية،

وهى كتب لا يستطيع طالب اللغة العبرية الاطلاع عليها ، لأنها تفوق مستواه الدراسى.

كشفت مصادر مطلعة عن اختراق جهاز الموساد الإسرائيلى للجامعات المصرية مستعينين بأحدث الأجهزة التكنولوجية، بالإضافة إلى التعاون بين الباحثين الإسرائيليين وأساتذة أقسام العبرى فى الجامعات المصرية، من خلال مواقع التواصل الاجتماعى، الأمر الذى دفع الباحث الإسرائيلى «جبرائيل روزنباوم» بكتابة قاموس عن المصطلحات الشبابية للمصريين مثل الكلمات (فكك، قشطة، فاكِس)، بعد أن قام بالتواصل مع الكثير من رؤساء أقسام العبرى فى مصر لمساعدته فى إتمام عمله، من خلال إطلاعه على أحاديث طلاب الجامعة.

وبحسب المصدر فإن الكثيرين من أساتذة الجامعات التى تضم أقسام عبرى وافقوا على التعاون مع «روزنباوم» الذى كان يترأس إدارة المركز الأكاديمى الإسرائيلى وشرع فى عمل هذا القاموس منذ عام 2009.

* هذا وتؤكد المعلومات المتاحة أن السلطات الإسرائيلية استغلت الرحلات الترفيهية التى تقوم بها أقسام العبرى فى الجامعات المصرية إلى سيناء ونويبع، عن طريق نشر العديد من الشباب الإسرائيلى المدرب على استقطاب الشباب المصرى، خاصة المتعلمين للغة العبرية، واعتبر خبراء فى الشأن الإسرائيلى أن هذه الرحلات هى أولى مراحل استقطاب وجمع المعلومات عن الشعب المصرى.

وأوضحت المصادر أن عملية الاختراق التى ينفذها «الموساد» تعتمد بشكل كبير على طلاب أقسام العبرى– الذين بدأوا فى تعلم مبادئ اللغة العبرية، ولا يجيدون التحدث بها وفهم ما حولهم من أحداث، حيث ينبهرون بتعلم اللغة والتعرف على الناطقين باللغة العبرية عند لقائهم بهم فى هذه الرحلات، وهو ما

يشعرهم بالفرحة، لأنهم يتحدثون باللغة العبرية مع الناطقين بها، رغم أنهم يكونون ضحية للموساد، ويقدمون معلومات له على طبق من ذهب عن مصر.
الطريقة الثانية التى يتبعها «الموساد» الإسرائيلى ويساهم فيها بشكل كبير أساتذة الجامعات المصرية، تتم عن طريق المركز الأكاديمى الإسرائيلى التابع لجامعة «تل أبيب»، حيث يتم إجبار طلاب الفرقة الرابعة والدراسات العليا الدارسين للغة العبرية بطريقة غير مباشرة على الذهاب إلى المركز لإتمام أبحاث وتقارير علمية وبحثية، الأمر الذى يجعلهم «صيدا سهلا» عن طريق الحصول على بياناتهم، وإجراء مقابلات معهم من قبل أساتذة وباحثين إسرائيليين بطريقة تبدو للوهلة الأولى «مصادفة». وهذا ما يفصله الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى .
* هذا ويذكر أن الإدارة المصرية – إبان عصر حسنى مبارك – حاولت تقديم خدمة لتعليم وبث الأخبار بالعبرية من خلال خدمة قناة النيل العبرية بعد الانتفاضة الفلسطينية ولكنها سرعان ما تم غلقها ؛ لأنها توجه رسالة سيئة عن المصريين الناطقين باللغة العبرية، وتروج للتطبيع «المصرى – الإسرائيلى».
بخلاف قناة النيل العبرية قام الدكتور منصور عبدالوهاب، رئيس قسم اللغات السامية بكلية الألسن جامعة عين شمس، بالاشتراك مع الأستاذ إبراهيم نافع، بالحصول على ما يقرب من 100مليون جنيه، من دولة الكويت لعمل ما سموه «المنظمة العربية لمناهضة التمييز» لرصد كل ما يتم نشره بالإعلام والصحف الإسرائيلية، ثم انتهت بعد ذلك بلا جدوى بعد أن نفدت تلك الأموال المحددة للمشروع – على حد قول خبير فى الشئون الإسرائيلية.
وألغت شركة مايكروسوفت مشروع خدمة كول سنتر باللغة العبرية والذى أنشأته فى عام 2003 بشركة «أكسيد» بالقرية الذكية فى مصر، بهدف التواصل مع باحثين إسرائيليين للتعرف على ماذا يريدون، وذلك بسبب ارتفاع التكلفة الكبرى داخل اسرائيل.

وأرجعت الشركة أسباب إلغاء المشروع إلى عدم وجود المصريين المتحمسين للتطبيع مع إسرائيل من خلال اللغة العبرية .

* الملاحظ أن مجالات الاختراق والتطبيع إذن كانت عديدة وخطيرة ، واللغة العبرية كانت إحداها !! .

***

* وفى فترة التسعينات وحتى العام 2011 وداخل كلية الاقتصاد جامعة القاهرة وجدنا أن مادة العلاقات السياسية الدولية التى تدرس باللغة الإنجليزية فى قسم العلوم السياسية السنة الثانية يتم فيها تدريس كتاب أمريكى مستورد باسم International Relations العلاقات الدولية ليهودية تدعى Joshua Goldsten جشوا جولدشتاين ، يحتوى على مجموعة من الأفكار الخاطئة والمدمرة لعقلية طلابنا ولعقيدتهم الإسلامية وأيضاً لوطنيتهم باعتبار أننا جميعاً إلا الشواذ وغير الوطنيين ندافع عن فلسطين ونعتبرها وطناً محتلاً والمقاومة فيها مقاومة شرعية.

<u>فأولاً :</u> وعلى سبيل المثال وفى صفحة 275 من الكتاب المذكور نشر هذا النص عن الصراع الدينى يقول : " لقد تم تبنى نمطية عن الإسلام فى الخطاب السياسى فى أمريكا الشمالية وأوروبا بعد حظر تصدير البترول لأمريكا وهولندا تحديداً إبان حرب أكتوبر 1973 وبعد قيام الثورة الإيرانية وكذلك حرب الخليج الثانية عام 1991 يقوم على أن الإسلام مثله مثل غيره من الأديان يقوم على فكرة الدعوة للصراع ضد الأديان الأخرى وأن الصراعات الإسلامية – المسيحية تحتدم فى مناطق عديدة وكثير من الصراعات الدولية حول العالم الإسلامى تشمل مسلمين من جهة وغير مسلمين من جهة أخرى ، إلا أنها فى العالم الإسلامى تأتى بفعل ظروف تاريخية وجغرافية من بينها الميراث الاستعمارى والبترول .

إن هذا النص وغيره كثير داخل الكتاب يرسخ فى ذهن الطلاب والطالبات أن الأديان فى ذاتها وعموماً تثير الصراع ومن ثم العداوة فيما بين أصحابها وأتباعها لمجرد أنها أديان وليس لأنها حكاماً وجماعات ومؤسسات دينية معينة شجعت فى القرون الوسطى وفى العصور الحديثة والمعاصرة على الصراع الدينى لمصالح خاصة بها وأهواء متعصبة ومتزمتة ومتطرفة تستغل الدين عموماً لتتاجر باسمه والغريب أن مؤلفة الكتاب تنتمى إلى حفنة قليلة من العنصريين الأمريكيين وليس كل الأمريكيين ، لأن غالبية الكنائس الأمريكية والتى تضم معظم الطوائف المسيحية ترفض التعصب والتطرف الدينى بل إن أكبر كنيسة فى بريطانيا كنيسة كانتر برى أدانت الحرب والعدوان الوحشى لإدارة بوش اليمينية المتطرفة على الشعب العراقى كما رفضت مزاعم اليمين الجمهورى والدينى الصهيونى الحاكم هناك التى حاولت إلصاق تهمة تفجيرات وهجمات 11 سبتمبر بالعرب والمسلمين وأرجعت بالكذب نزعة التعصب والإرهاب إلى الدين الإسلامى فى حد ذاته .

وزعمت المؤلفة أيضاً أن الصراع والحرب الأهلية فى الجزائر هو أحد أنواع الصراع الدينى وكان الصدام يقع أساساً بين مسلمين وكفار وهذا غير صحيح ؛ لأن الصراع انفجر عندما رفض الجيش الجزائرى نتائج الانتخابات الديمقراطية التى تمت فى أواخر 1991 لأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ فازت بأغلبية مقاعد الجولة الأولى من انتخابات البرلمان الجزائرى .

وثانياً : تحاول المؤلفة أن تغطى عن عمد على جوهر وأسباب الصراع فى العالم الإسلامى والعالم العربى بالرغم أنه يدور حول البترول والميراث الاستعمارى وإذا كان الدور الاستعمارى صحيحاً فإن مؤلفة الكتاب اليهودية الأصل أغفلت عن عمد دور الحكومات الأمريكية وبعض الجماعات التبشيرية المتطرفة ودور الكيان الصهيونى والحركة الصهيونية العالمية فى إثارة وتأجيج

الصراع والعداوة الدينية كما هو الحال الآن فى فلسطين والعراق والسودان وأندونيسيا وكشمير والهند وباكستان .

ثم ثالثاً : نأتى إلى الجانب الأكثر خطورة ومأساوية وهو ما يزعمه الكتاب من أن الانتفاضة الفلسطينية هى تعبير واضح عن الإرهاب الأعمى الذى لا يفرق بين المدنيين والعسكريين الصهاينة ويستهدف بث الرعب والفزع فى قلوب الأبرياء من الإسرائيليين الآمنين وبشكل عشوائى يتجاوز خطره العدد القليل من القتلى والجرحى الذين يسقطون ضحايا لهذا الإرهاب وفى الكتاب فى صفحة 237 صورة تحتوى على قتلى وجرحى صهاينة يسرع أحد الصهاينة لإنقاذهم حتى يستدر الكتاب عطف ودموع وشفقة الطلاب الذين يدرسون الكتاب ، والمأساة أنه يقرر ويدرس على طلابنا وأبنائنا فى بلد عربى اسمه مصر وفى جامعة مصرية ووطنية وملك للشعب المصرى وكلية مرموقة خرجت كثيراً من أفضل وألمع القيادات والعقول .

أسفل الصورة يقول الكتاب : هذا الانفجار فى تل أبيب قامت به حركة حماس الفلسطينية هو واحد من سلسلة مستمرة كان أحد أسبابها مجىء اليمين فى الانتخابات الإسرائيلية عام 1996 مما أدى إلى تجميد مفاوضات السلام الفلسطينية – الإسرائيلية كما كانت تنشد حماس وكان مقتل اسحاق رابين عام 1995 الذى أنجز السلام مع الفلسطينيين على يد متطرف يمينى يهودى أدى لأن يستخدم أعداء السلام من الجانبين العنف ويوقفوا عملية السلام على الأقل مؤقتاً وفى نفس الصفحة تزعم المؤلفة " أن الإرهابيين الفلسطينيين ليست لهم قضية يدافعون عنها " .

وهكذا يستمر الكتاب وفى أكثر من موضع يساوى بين المناضلين الفلسطينيين الذين يعتدى عليهم يومياً وهم فى حالة دفاع شرعى عن النفس وبين الإسرائيليين المحتلين لهذه الأرض العربية .

إنه أحد نماذج التطبيع الأكاديمى والثقافى وأحد أشكال الاختراق للعقل الجامعى المصرى إبان عصر حسنى مبارك .

***

ثالثاً : معاداة السامية التهمة الجاهزة ضد رافضى التطبيع :

سنقدم هنا نموذجاً للاتهامات الأمريكية والإسرائيلية ضد مناهضى التطبيع فى مصر والتى ظلت مشهرة فى وجوههم طيلة الفترة من (1979–2011) سنقدم نموذجاً لما جرى مع مؤلف هذه الموسوعة (د. رفعت سيد أحمد) حين جرى اتهامه بمعاداة السامية عام 2004 لمواقفه العامة ضد التطبيع وأيضاً بحجة كتابة مقالين يشكك فيهما فى قضية (المحرقة) أو (الهولوكست) فماذا عن القضية : قام عدد من المؤسسات اليهودية الأمريكية وفى مقدمتهم مركز شمعون فيزنتال بلوس انجلوس بتقديم رسائل احتجاج للكونجرس الأمريكى وللسفير المصرى فى واشنطن ولوزارة الخارجية المصرية ضد دراسة علمية وثائقية منشورة لنا فى صحيفة " اللواء الاسلامى" الأسبوعية الرسمية والتى تصدر عن (مؤسسة أخبار اليوم) المصرية نشرت فى 6/26و2004/7/1 على جزءين ضمن مقالنا الأسبوعى الذى كان ينشر آنذاك فى هذه الصحيفة مطالبين الحكومة المصرية بالاعتذار عنه وبنشر تكذيب له ، لأنه يحمل عداء للسامية على حد وصفهم ، وقامت هذه المؤسسات بترجمة وتوزيع المقال على نطاق رسمى أمريكى واسع 0

ثم قام موقع منظمة ميمرى (مؤسسة الشرق الأوسط للبحوث الإعلامية The Middle East Media Research Institute (MEMRI) وهى أحد أكبر المؤسسات اليهودية المعادية للاسلام وللعرب والمدافعة بشراسة وبدون وجه حق عن اسرائيل والأوهام القائمة عليها مثل (المحرقة) و(أرض الميعاد) وهذه المؤسسة المشبوهة مقرها (واشنطن) بترجمة ونشر المقال على موقعها عبر الانترنت وهو (**www.memri.org**) المقال كان يحمل عنوان **(حقيقة الهولوكست : الأدلة على أكذوبة إحراق اليهود فى أفران النازى)** ، استند فيه الكاتب إلى 20 مصدراً أوروبياً متخصصاً لتفنيد هذه الأكذوبة فضلاً عن عشرات الوثائق الدامغة ومؤكداً فى الوقت ذاته على أن الهولوكست الحقيقى

هو الذى يتم الآن للفلسطينيين والعراقيين فى كل من فلسطين والعراق من قبل أمريكا واسرائيل ؛ من جهة اخرى قامت عدة مكاتب لوكالات أنباء عالمية بتغطية واسعة للقضية وفى مقدمتها وكالة أنباء رويترز ووكالة الأنباء الفرنسية والايطالية ثم قام مكتب وكالة أنباء (أسوشيتد برس) عن طريق الزميلة الصحفية نادية أبو المجد بعمل تقرير إخبارى شامل حول هذه القضية سألت فيها كاتب الموضوع والمسئولين المصريين ورئيس تحرير اللواء الاسلامى ، الذين أكدوا فى ردهم على أن مصر بها حرية رأى ولا تخضع للضغوط أو للابتزاز اليهودى الأمريكى كما هو حال العديد من دول العالم ، وأن ما قدمه الكاتب فى مقاله يعد بحثاً تاريخياً منصفاً وأن الكاتب ليس ضد اليهودية أو اليهود ولكن ضد الصهيونية والنازية معاً والتى كان نتاجها احتلال أرض لشعب آخر دفع ثمن العنصرية الغربية واجرامها 0

* من ناحية آخرى وعلى مستوى ردود الفعل قام وفد سياسى وصحفى اسرائيلى بالتنسيق مع مسئولى السفارة الأمريكية بالقاهرة وفى مقدمتهم السيدة آن مارى المستشارة الإعلامية للسفارة ومساعدها المصرى / على درويش بزيارة المسئولين المصريين ، ومنهم صحيفة " اللواء الاسلامى " ومارسوا عليهم ضغوطاً شديدة ، الأمر الذى دفع محمد الزرقانى رئيس التحرير إلى تقديم استقالته يوم الأربعاء 2004/8/4 منعاً لإحراج الحكومة ومنعاً لإحراج مؤسسة أخبار اليوم! ومن ناحية أخرى قامت صحيفة " معاريف " الاسرائيلية يوم الخميس 2004/8/5 ويوم 2004/8/15 بتغطية واسعة للموضوع من القاهرة وعنون مراسلها فى القاهرة جاكى حوجى تغطيته بـ (صحيفة مصرية تعتذر عن مقال ضد السامية) أشار فيه بفرح للضغوط الأمريكية على مصر بسبب هذا المقال 0 هذا وقامت العديد من الفضائيات العربية وكذلك الصحف المصرية والعربية بنشر أخبار وتغطيات واستنكارات واسعة عن هذا الموضوع 0

وبعد أن قامت الصحافة المصرية والعربية المحترمة بكشف الضغوط الأمريكية المشبوهة ضد مصر وصحافتها فى قضية اتهامنا بمعاداة السامية ، قام وفد من السفارة الأمريكية بقيادة السيدة آن مارى يرافقه الصحفى الاسرائيلى – الذى يعمل فى مجال الأمن أيضاً بالسفارة الإسرائيلية – جاكى حوجى وهو مراسل معاريف بالقاهرة ؛ بزيارة أمانة الاعلام بالحزب الوطنى ولجنة السياسات بالحزب وطالبوا الحكومة بأن تنفذ تعهداتها بشأن قيام صحيفة اللواء الاسلامى بالاعتذار العلنى ، ولم يكتفوا بالتوضيح الذى نشرته الصحيفة فى صدر صفحتها الأولى يوم 2004/8/5 بل طالبوا بالإقالة الرسمية لرئيس تحريرها محمد الزرقانى ، واستبداله بآخر أقل لطفاً وأكثر محاباة لإسرائيل وأن يبدأ ذلك مع العدد الجديد الذى كان سيصدر يوم 2004/8/12 من الصحيفة مع منع المقال الأسبوعى للدكتور رفعت سيد أحمد وقد تم لهم ذلك كله فتم حجب مقال (مدارات اسلامية) للدكتور رفعت سيد أحمد وتم رفع اسم محمد الزرقانى من على ترويسة الصحيفة ووضع اسم د0 عبد الله النجار الأستاذ بالأزهر وعضو لجنة السياسات وهو بالمناسبة ليس صحفياً (ورغم ذلك لم يعترض المجلس الأعلى للصحافة أو نقابة الصحفيين والتى كان يرأسها آنذاك إبراهيم نافع المحسوب على نظام حسنى مبارك) ، وبدأ عبدالله النجار عمله بحذف كل ما له علاقة بالصهيونية أو يشتم منه عداء لها 0

* هذا وقد قام المؤلف بتقديم بلاغ رسمى للمجلس القومى لحقوق الانسان تسلمه مسئول لجنة الشكاوى حافظ أبو سعدة ووعدوا بتحرك جدى لإيقاف حملة الابتزاز الأمريكى / الإسرائيلى ضده وضد الصحافة المصرية وقدم شكوى رسمية أيضاً لكل من المنظمة العربية لمناهضة التمييز والى صلاح الدين حافظ الأمين العام لاتحاد الصحفيين العرب وقامت لجنة الحريات بنقابة الصحفيين بإصدار بيان مساندة لنا مع إدانة دور السفارة الأمريكية الذى يعمل فى خدمة إسرائيل فى هذه القضية وليس دفاعاً عن (الهولوكست) والتى

استخدمت كشماعة لتعليق كل هذه الممارسات عليها ولإرهاب المعارضين لإسرائيل وللتطبيع ومنهم كاتب المقال ، وفى يوم 2004/8/25 فاجأ وزير الاعلام المصرى الرأى العام بكتابة مقال فى الصفحة الأولى من (اللواء الاسلامى) يعتذر فيه عما نشرته الصحيفة ، وعما كتبه د0 رفعت سيد أحمد قائلاً : (إنه لا يعبر عن رؤية الانسان المصرى أو عن فكر وسياسات الحزب الحاكم ، ذلك الفكر التى يحترم إسرائيل ويرفض التطاول على تاريخها !!) ، الأمر الذى أثار ردود فعل غاضبة وسط الصحافيين والصحافة مصرياً وعربياً وانهالت على الوزير الانتقادات فمن صحيفة (الشرق الأوسط) إلى (صوت الأمة) إلى (الأسبوع) إلى (الميدان) التى وصفت مقال الوزير بـ (المقال الفضيحة) وعندما شعر الوزير بأنه يغرق وسط طوفان الهجوم المضاد عليه استعان بمنظمة ابراهيم نافع المسماة بالمنظمة العربية لمناهضة التمييز ، فأصدرت بياناً هزيلاً فى الأهرام يوم 2004/9/4 ينتقد فيه ما كتبه د0 رفعت سيد أحمد عن الهولوكست ، الأمر الذى أثار ردود فعل مضادة واصفة هذا البيان أنه لا يعبر عن (ضمير الأمة) ويساوى بين الضحية والجلاد ، وأنه لم يتطرق الى التدخل السافر للسفارة الأمريكية فى شئون مصر وصحافتها 0 وأن الحملة فى مجملها كانت لإرهاب المعارضين للتطبيع .

وقد قمنا – وقتها – بإعداد ملف شامل حول هذه القضية وتجميع أوراقها باللغتين العربية والانجليزية وقدمناه الى بعض المنظمات الاسلامية والعربية بواشنطن لعمل حملة مضادة لحملة اللوبى اليهودى ضد الصحافة المصرية وصدر كتاب مهم حول هذه القضية للمؤلف حمل عنوان (سيف السامية : قصتى مع أكذوبة الهولوكست – مكتبة مدبولى 2004) وطبع من الكتاب عدة طبعات .

* الخلاصة بالنسبة لهذه القضية وردود الفعل عليها هى أنها كانت عام (2004) ، تمثل نموذجاً للحملات الأمريكية – الإسرائيلية المؤيّدة من نظام

حسنى مبارك ضد مناهضى التطبيع فى مصر على المستوى الثقافى ،وإن تسمت باسماء مختلفة مثل العداء للسامية وكراهية اليهود أو إنكار الهلوكست وغيرها من العناوين الزائفة.

***

<u>الخاتمة :</u>"التطبيع " مفهوم عام ، والتطبيع الثقافي فرع من فروعه ، وشكل من أشكاله . لغوياً يدور معنى "التطبيع" حول جعل ما هو غير طبيعي وشاذ، طبيعيا ومألوفا مما يسهل على النفس قبوله . واصطلاحا يقصد به : إقامة علاقات طبيعية ، وعادية ، بين الدول العربية والكيان الصهيوني في فلسطين . وهو بذلك يقوم على ركنين : الاعتراف ، والقبول ، اعتراف العرب (ومن ورائهم عامة المسلمين) بالدولة الصهيونية ، كدولة تتمتع بالشرعية والسيادة والعضوية في المجتمع الدولي ، وقبولهم بها في نسيج ديار العروبة والإسلام ، كدولة لها ما لدول المنطقة من حق الجوار وحسن المعاملة ، إن لم يكن أكثر من ذلك!(*).

إذن ، فالتطبيع هو ثمرة ونتيجة لاعتراف العرب بإسرائيل وقبولهم إياها ، يتحقق يوم يتحقق ذلك القبول ، وقد ظل حلما يراود الصهاينة ، وهدفا بعيد المنال ، مع المقاومة التي أبداها المشروع القومي العربي للمشروع الصهيوني في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ، ولكن مع تغير الحال في السبعينيات ، بالانقلاب الذي قاده السادات على الموقف العربي الموحد من إسرائيل ، صار التطبيع المستحيل ممكنا ، بل واجبا على مصر بحكم القانون الدولي ، فقد حرص الصهاينة على إدراج كل أحلامهم في الاتفاقية التي عقدها معهم السادات سنة 1979 م ، وطالبوا بالتطبيع الشامل صراحة ، فحسب المادة الثالثة من الاتفاقية : " يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي

---

* انظر فى الفصل (الخامس) من هذا الباب تعريف دقيق ومهم للتطبيع فى دراسة د. إبراهيم علوش.

ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل ، والعلاقات الدبلوماسية ، والاقتصادية ، والثقافية ..." .ومع النص على "التطبيع " بشكل عام ، فقد ذكر التطبيع الثقافي تحديدا ، نظرا لخطورته ودوره المحوري في الاختراق الصهيوني للمنظومة العربية .ولأن الاعتراف بإسرائيل ، والقبول بها ، جاء من النظام المصري وحده ، دون ركيزة شعبية حقيقية ، ولأن الشعب المصري قد قاوم ذلك التطبيع بقوة ، ولأن اتفاقا صامتا عُقد بين النظام المصري ، وبين المثقفين وقادة الرأي ، بأن يبقى التطبيع مقصورا على الجهات الرسمية في الدولة ، وفي أضيق الحدود ، فقد ظهرت الإشكالية: فالاعتراف الرسمي المصري لم يؤد للتطبيع المنشود ، وقد نجحت المؤسسات المهنية والثقافية ، كالنقابات المهنية ، في حظر التطبيع على أعضائها ، ومقاطعة الكيان الصهيوني على كافة الأصعدة ، هنا انقلبت المعادلة الصهيونية ، وتحولت جهود التطبيع لوسيلة للاتصال بالمصريين وإقناعهم بالاعتراف بإسرائيل وقبولها .صار الاعتراف والتطبيع أحدهما وسيلة لتحقيق الآخر ، ونتيجة له في الوقت نفسه ، وأصبح التطبيع الثقافي الوسيلة الأهم والأخطر في تلك العملية المزدوجة .

في ظل التناقض في الموقف المصري من العدو الصهيوني ، بين الاعتراف والصداقة الرسمية ، والعداء والمقاطعة الشعبية المتزايدة ، صار للتطبيع الثقافي مستويان : المستوى النظري والأساسي ، الذي يعني تعهد كلا الطرفين : الصهيوني ، والمصري ، بحسب الاتفاقية الموقعة بينهما ، بإقامة علاقات ثقافية طبيعية ، كما يحدث بين أي دولتين متجاورتين في حالة سلام ، بما يعني إزالة الحواجز الثقافية غير الطبيعية بين الدولتين ، لتتم عملية التبادل الثقافي ، وانتقال المؤثرات الثقافية بين البلدين ، بشكل طبيعي وتلقائي مفترض بين دولتي جوار ، يفترض تقاربهما في الثقافة والتاريخ والظروف الاجتماعية ، على الأقل .ولكن لأن الطرفين يعلمان جيدا أن تلك العملية التلقائية لن تتحقق ، لأن الدولة الصهيونية دولة غير طبيعية ، مفتعلة ، مدسوسة على المنطقة بعملية جراحية استعمارية ،

ولأنها دولة لا تملك الثقافة الشرقية الأصيلة التي تميز بلاد العروبة والإسلام ، فضلا عن أنها لا تملك الثقافة المتجانسة من الأساس ، لتعدد الأعراق والأجناس والخلفيات الثقافية لأفراد الكيان الصهيوني القادمين من شتى بلاد العالم ، نظرا لذلك كله فقد كان على التطبيع الثقافي أن يجري على مستوى الاعتراف بالدولة الصهيونية ، والترويج لها كدولة ذات تاريخ ، وثقافة ، ومصالح مباشرة مع العرب ، ما يعني في الوقت ذاته مسح فلسطين من الذاكرة العربية ، وحصرها في الذهن العربي في قطاع غزة والضفة على الأكثر ، وربطها بالمسجد الأقصى كحد أقصى للطموحات العربية والفلسطينية .وكان المطلوب من النظام الرسمي المصري أن يفتح الباب لمحاولات الاختراق الثقافي ، وأن يعمل على إزالة الحواجز بين الإسرائيليين والمثقفين المصريين ، حسبما نصت الاتفاقية ، وقد حاول السادات الالتفاف حول تلك النقطة ، حين روج هو ومن شاركه صلحه مع الصهاينة بأنه خطة طويلة المدى لتذويبهم في المنطقة ، فبضعة ملايين من اليهود لن يكون صعبا استيعابهم في مئات الملايين من العرب على المدى البعيد ، وانطلاقا من ذلك فإن المفترض مع الوقت أن تذوب الثقافة الصهيونية في الثقافة العربية ، باعتبارها الأقوى كما وكيفا ، ووفقا لهذا فقد كان السادات على استعداد لتقديم أكبر قدر ممكن من التنازلات ، التي لا تهدد احتفاظه بالسلطة ، كي يثبت صحة استراتيجيته تلك ، وجاء نظام ما بعد السادات ليكون أكثر حذرا في هذه القضية ، بعد أن رأى أنها كانت من الأسباب المباشرة للنهاية المأساوية للسادات ، وأنها كادت تودي بالنظام القائم كله ، وبعد أن وجد خلفاء السادات إمكانية للوصول لصيغة أكثر توسطا ، وهدوءا ، بتفعيل التطبيع في بعض المجالات ، كالزراعة ، والسياحة ، وتجميده في مجالات أخرى تمس استقرار النظام وبقاءه ، مع ثقة كبيرة من النظام بأن الحليف الأمريكي والصديق الإسرائيلي سيتفهمان ظروفه الداخلية ، والرفض الشعبي الذي يمنع من الوصول للتطبيق الكامل للاتفاقية ، وسيقتنعان أن التطبيع الجزئي خير من المجازفة بالاصطدام

بالشعب ، وقواه السياسية ، بما يهدد بقاء النظام ، وبقاء الاتفاقية من ثم .وإذا كان النظام لا يمكنه القيام بدور الراعي للتطبيع الشعبي ، فإنه على الأقل ينبغي ألا يغلق الساحة أمام من يرغب من المصريين في التعامل مع الإسرائيليين وخدمتهم في مهمة التطبيع ، ومن هنا يمكن تفهم موقف النظام من أفراد ، وجمعيات ، ومؤسسات ، تقوم بالتطبيع مع الكيان الصهيوني ، وتروج لذلك التطبيع في الساحات الإعلامية والثقافية ، وتقوم بزيارة الكيان ، وتجاهر بذلك ، وتفخر به أحيانا ، وتسوق لذلك مختلف المبررات ، فمثل هؤلاء هم الدليل القاطع على أن النظام لا يعارض التطبيع لمن أراده من النخبة ، أو عموم الشعب ، ما دام ذلك لا يهدد الأمن القومي بشكل مباشر ، أو على المدى القصير !! وتكون الرسالة أوضح ، حين نجد من رموز التطبيع من يتولون مناصب ثقافية وإعلامية ذات ثقل ، مثل عبد المنعم سعيد رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام،ومكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين بل لا بأس أن يغير وزير مثل فاروق حسني موقفه المعلن من التطبيع بعد أن وجد الذريعة لذلك ، وهي رغبته في الوصول لمنصب مدير اليونسكو !!

وفي الوقت ذاته يُترك دعاة المقاطعة ، وأعداء التطبيع يمارسون نشاطهم ، ما داموا يعبرون عن موقف الأغلبية الصامتة من الشعب ، وما دام قطار التطبيع يسير في طريقه دون معوق حقيقي ، أو تهديد جدي .

أدرك الإسرائيليون قواعد اللعبة ، وأنهم ينبغي أن يعتمدوا على أنفسهم في الوصول لقطاعات المصريين ، والتواجد في الساحة الثقافية المصرية ، وبين تلافيف العقل المصري ، ويكفي النظام المصري أن يسمح لهم بسفارة ، ومركز أكاديمي ، وأن يسمح لهم بحرية الحركة والاتصال بالمصريين ، وأن يعقد معهم الاتفاقيات الاقتصادية التي تسمح بالتعامل المباشر بين المصريين والإسرائيليين، مثل الكويز ، وتصدير الغاز والكهرباء ، وأن يسمح للجامعات المصرية بالتعامل مع نظيراتها الإسرائيلية ، وأن يُوفَد الطلبة والأكاديميين والباحثين المصريين لتلقي

دورات تدريبية في الكيان الصهيوني ، في مجالات معرفية مختلفة ، وأن يُسمح لآلاف الشباب بالسفر للدولة الصهيونية بحثا عن فرص عمل ، فبعد كل هذه التسهيلات أصبحت الكرة في الملعب الإسرائيلي ، وصار الباقي يتوقف على مهاراتهم وإمكانياتهم ، دون أن يحاولوا الخروج على قواعد اللعبة ، باختراق المؤسسات الأمنية ، أو تجنيد الجواسيس ، ساعتها لا يتردد النظام في العقاب الصارم انطلاقا من غريزة البقاء ، وخوفا من العبث بأمنه ومقدراته . وليس بأمن البلد أو مستقبلها .

في تلك اللعبة المعقدة ، تصبح جهود التطبيع وسيلة للاتصال بالمصريين وانتزاع اعترافهم وقبولهم للدولة الصهيونية ، واستغلال المطبعين المعترفين بإسرائيل في استدراج مزيد من المطبعين ، وشق الصف الوطني ، الذي كان في فترة سابقة مجمعا على تحريم الاتصال بالعدو ، والتعاون معه ، تحريما لا يقل عن الكفر والخيانة الوطنية .وتستمر العلاقة الجدلية بين الاعتراف والتطبيع ..هذا عن مفهوم التطبيع الثقافي كمصطلح ، وكسياسات وخطط تنفذ في الواقع ، ومن هذا المفهوم تتضح خطورة التطبيع ، عموما ، والثقافي خصوصا ، فمعنى أن تتحول إسرائيل من دولة احتلال استيطاني توسعي لدولة طبيعية ، وأن تقوم علاقات طبيعية بينها وبين العرب والمسلمين ، معناه أن إحلال إسرائيل محل فلسطين صار واقعا طبيعيا ، وهذا ما يهدد جوهر الأمن القومى العربى والمصرى فى قلبه ، وهو ما جرى خلال الاثنين والثلاثين عاماً فترة البحث (1979-2011) .

هوامش الفصل (بالإضافة للمراجع التى وردت فى متن الفصل وبين سطوره – نضيف ما يلى من مصادر أخرى للبحث) :

1 – انظر : نص اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية فى الباب الأول (التطبيع السياسى) .

2 – انظر : النص الكامل للاتفاقية الثقافية داخل معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية .

3 – مجلة المواجهة – العدد الثانى – فبراير 1983 – تصدر عن لجنة الدفاع عن الثقافة القومية .

4 – انظر : تفاصيل ذلك فى صحيفة صوت العرب 1987/11/22 .

5 – انظر : تفاصيل ذلك فى صحيفة صوت العرب 1987./10/18

6 – انظر : تفاصيل ذلك فى صحيفة الأهالى 1987/11/28.

7 – انظر : تفاصيل ذلك فى صحيفة صوت العرب 1988/3/13 .

8 – انظر تغطية كتابنا : وصف مصر بالعبرى : تفاصيل الاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى القاهرة ، دار سينا للنشر 1989 وكذلك وكر الجواسيس فى مصر : ملف المركز الأكاديمى الإسرائيلى – مكتبة مدبولى – 1992 – القاهرة ، كذلك دراستنا : التجسس الإسرائيلى على العقل العربى ، (مجلة شئون فلسطين العدد 174 – 175 سبتمبر / أكتوبر 1987) ص ص 67-74 وكذلك دراستنا : العلاقات المصرية الإسرائيلية 1988/87 (مجلة شئون فلسطينية العدد 189 ديسمبر 1988) ص ص 34 – 50 .

9 – صحيفة الأهالى بتاريخ 1989/5/17 ص3 .

10 – سوف نقصر هذه الدراسة على أبرز وأحدث نماذج التغلغل خلال عامى 1988 – 1989 نظراً لأننا قد سبق وقمنا بالتغطية شبه الكاملة لعمليات الاختراق الثقافى الإسرائيلى لمصر خلال الفترة السابقة على هذين العامين أى الفترة (1977 – 1987) وذلك فى كتابنا: وصف مصر بالعبرى، مصدر سابق

وفى دراستنا بمجلة شئون فلسطينية السابق الإشارة إليهما ، هذا فضلاً على أن مجرد الإتيان بتفاصيل الاختراق خلال عامى 1988 – 1989 سوف يعطينا مؤشرات وافية عن باقى جوانب القضية وتاريخيتها ومدى العلاقة العضوية بين الدورين الأمريكى والإسرائيلى فى مصر على صعيد العلاقات الثقافية وذلك لأهمية هذين العامين وكثافة أحداثهما .

11 – محسن عوض : الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية – مركز دراسات الوحدة العربية ، 1988 ، ص42 .

12 – محسن عوض ، المصدر السابق ، ص46 – 47 .

13 – صحيفة شباب الوفد (صحيفة شهرية تصدر عن حزب الوفد الجديد بالقاهرة) بتاريخ 1988/12/15 ص1 .

14 – صحيفة الشعب (صحيفة أسبوعية تصدر عن حزب العمل الاشتراكى بالقاهرة) بتاريخ 1989/1/24 ص5 .

15 – صحيفة الشعب بتاريخ 1989/1/28 ص5 .

16 – مجلة أكتوبر (مجلة أسبوعية تصدر عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة) بتاريخ 1989/4/9 ص5 .

17 – صحيفة الأهرام (صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة) بتاريخ 1989/4/9 ص4 .

18 – صحيفة الاتحاد – صحيفة يومية تصدر فى أبو ظبى بتاريخ 1989/1/18 ص1 .

19 – من الكتب المهمة التي تناولت ذلك الموضوع بتفصيل جيد : سمير أحمد ، غزو بلا سلاح ..التطبيع المستحيل ، بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، ط1 ، 2001 م .

20 – اعتبار السلام مع الإسرائيليين مقابل جزء من فلسطين هو "السلام العادل" ، معناه أن المطالبة بباقي فلسطين المحتلة هو الظلم بعينه ، أي أن

بقاء إسرائيل والاعتراف بها شريطة قيام دويلة فلسطينية هو العدل وهذا فى تقديرنا قمة الظلم المجافى للواقع وللتاريخ .

21 – ممن استخدموا مصطلح "السلام العادل" في الفترة الأخيرة ، الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي .

22 – عالم مصري تخصص في هندسة المفاعلات النووية ، اغتيل في يونيو 1980 بباريس ، لحرمان العراق من جهوده في بناء المشروع النووي العراقي في تلك الفترة التي أعقبت صلح السادات مع إسرائيل ، وقيادة العراق الرفض العربي لهذا الصلح ، وقد اعترف الإسرائيليون بمسئوليتهم عن الاغتيال في فيلم وثائقي أنتجته قناة ديسكفري الأمريكية بالتعاون مع الجيش الإسرائيلي ، وبثته في ديسمبر 2008 ، حيث جاء فيه أن اغتيال المشد كان ضروريا لضمان القضاء الكامل على البرنامج النووي العراقي .

23 – أول عالمة مصرية في مجال الذرة ، اغتيلت في حادث غامض بالولايات المتحدة في أغسطس سنة 1952 ، بعد أن رفضت الاقامة في الولايات المتحدة وقررت العودة لمصر لنقل العلوم النووية إليها ، وقد ترددت أقاويل عن دور الممثلة اليهودية (راشيل ليفي) ، المعروفة باسم راقية إبراهيم في القضاء على سميرة موسى .

الفصل الثانى

المركز الأكاديمى الإسرائيلى

الأدوار والغايات

* انتهجت إسرائيل فى مجال فرض التطبيع واختراق العمل والمجتمع المصرى ، على وسائل عدة – كما سبق وأشرنا – من بينها إنشاء مؤسسات ثقافية ذات دور سياسى (أحياناً تجسسى) ولعل أبرزها وأقدمها كان (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) والذى مثّل منذ إنشائه عام (1982) وحتى اليوم (2014) أداة ثقافية وسياسية متقدمة لاختراق النخب الثقافية والصحافية ، وفى هذا الفصل نبحث فى نشأة المركز ورؤسائه المتتالين ونشاطه فى اختراق العقل المصرى فماذا عنه ؟ .

***

أنشئ المركز الأكاديمى وفقاً لبروتوكول تنظيمى فى 1982/5/1 وفقاً لاتفاقية التعاون العلمى بين الحكومة المصرية وإسرائيل الموقعة فى 1980/5/8.

* بعد بدء تنفيذ هذه الاتفاقية تحول المركز الأكاديمى الإسرائيلى من (وسيلة) لجمع المعلومات عن المجتمع المصرى فى شتى فروع المعرفة عند بداياتها عام 1982 إلى (مؤسسة) لإنتاج التطبيع وتطويره وتسويقه ، و(مؤسسة) لاختراق المجتمع المصرى وإعادة تشكيل العقل لخدمة المخططات الصهيونية على اختلافها .

* المركز اتخذ من الشقة رقم 33 العمارة رقم 192 شارع النيل بالجيزة مقراً له فى الشقة التى تعلو شقة الكاتب المصرى المعروف محمد حسنين هيكل ، ولقد توالى على رئاسته 12 من رجال المخابرات الإسرائيلية من ذوى الاهتمام العلمى المعروف ، الأول هو شيمون شامير والذى أصبح سفيراً لبلاده فى مصر بعد أدواره المهمة فى اختراق النخبة ، وهو ولد فى رومانيا عام 1933 وهاجر إلى فلسطين وهو فى السابعة من عمره والتحق بالجامعة العبرية عام 1958 حصل منها على ليسانس فى تاريخ الشرق الأوسط فى اللغة العربية وآدابها وحصل منها على درجة الدكتوراه فى الدراسات الشرقية وعمل بعد ذلك فى تدريس التاريخ المصرى بالجامعة العبرية وشارك فى حربى 1956 و1967

، و1973 كجندى مقاتل .. بل وهو الذى رشحه ليصبح عضواً نشطاً فى دائرة تحليل المعلومات بجهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية المعروف باسم "أمان" قبل أن يكافأ بنقله إلى جهاز "الموساد" ليصبح أحد عناصره النشطة فى بعض دول أوروبا الغربية لفترة من الوقت ثم ليتولى – اعتباراً من عام 1981 – إعداد دراسات أمنية عديدة عن كيفية التعامل مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ومحاولة إجهاض مخططاتهم السياسية وهى الدراسات التى قدمها لقيادة (الموساد) وذلك قبل أن يزحف شمعون ويستقر فى مصر رئيساً للمركز الأكاديمى الإسرائيلى ثم سفيراً .

* والثانى هو سفير إسرائيل السبق فى مصر حيرائيل واربورغ وهو على علاقة وطيدة بالموساد ، واستطاع واربورج طوال السنوات التى عمل فيها بالمركز أن يفتح أبواب المركز الأكاديمى لفئات الطلبة المصريين والعديد من الباحثين والمتخصصين الإسرائيليين والأجانب الذين يرتادون المركز يومياً ، تولى عمله فى أكتوبر 1984 وأنهى عمله فى أوائل نيسان / أبريل عام 1987 ورحل إلى إسرائيل ليكتب مذكراته عن مصر ، وكذلك التقارير التى طلبت منه عن تلك الفترة التى اشتهرت باستقبال أعداداً كبيرة من الباحثين الإسرائيليين القادمين إلى القاهرة لإعداد البحوث الخاصة بالمخابرات الإسرائيلية .

أما المدير الثالث أشير عوفاديا فلقد زار مصر أكثر من 15 مرة قبل توليه منصبه في المركز الأكاديمي عام 1987، وتعرف خلالها على جميع المحافظات المصرية، كما أنه كان شديد الاهتمام بالفن المعماري الفرعوني والإغريقي، فضلاً عن أنه يركز بصفة رئيسة على الفن المعماري الإسلامي والمسيحي، وكان من المتوقع أن ركّز المركز الأكاديمي تحت رئاسته على طبقة المعماريين والفنانين التشكيليين المصريين، وهو ما حدث بالفعل ، وكان له أيضاً علاقات وطيدة بالخارجية وجهاز المخابرات الإسرائيلي وقد أعد لهم العديد من الدراسات حول التيارات الإسلامية في مصر، وحول مشاعر

المصريين تجاه إسرائيل بعد عشر سنوات من توقيع اتفاقات كامب ديفيد، واستمر في المركز من 1987 – 1989م.

أما المدير الرابع يوسف جينات 1989/8/22 – 1992/10/1 فقد كان واحداً من أخطر رؤساء للمركز (كما سنرى عند متابعة نشاطه الثقافي والعلمي)، واستطاع أن يستقطب حوله العديد من الرموز الثقافية المصرية وقد ساعده في ذلك أنه من أبرز المتخصصين اليهود في الأدب العربي، واستمر عمله في عمله من 1989 – 1992.

أما المدير الخامس عمانوئيل ماركس ، فقد تخصص فى دراسة منطقة صحراء النقب وهو عمل منذ 1992/10/1.

أما المدير السادس فهو (ساسون سوميخ) – والسابع (يوسى أميتاى) المحاضر السابق فى جامعة بئر سبق ورجل الموساد ، والثامن ديفيد كوشنر والتاسع سارائيل شاليف ، والعاشر جالى روزينلوم .

* هؤلاء هم رجال المخابرات والسياسة الإسرائيلية (من شريحة الأكاديميين) الذين أداروا المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر منذ 1982 وحتى اليوم، ولقد ساندهم فى حركاتهم وبتنسيق سياسى ومالى ومخابراتى كل من (إلياهو بن اليسار – موشيه ساسون – شمعون شامير – ديفيد بن سلطان – جبرائيل واربورج – تسفي مزئيل – جدعون بن عامي – إيلي شاكيد – شالوم كوهين – اسحق ليفانون – ياكوف عميتاي) على التوالى سفراء إسرائيل فى مصر منذ 1979 وحتى اليوم ، وساهمت مؤسسات بحثية أمريكية وغربية (بل ومصرية) كغطاء شرعى لأنشطة هذا المركز الذى اكتشفت بداخله شبكات تجسس معروفة .

* أما إذا قمنا بدراسة وتأمل أبرز الأبحاث التى قام بها المركز فإننا سنكتشف ما هو أبعد من التجسس الفكرى والثقافى ، لقد كنا خلال الفترة 1982–2011

– فترة البحث – أمام اختراق سياسى منظم للمجتمع المصرى وهذا المركز كان أحد أخطر أدواتها ، فماذا عن أبحاثه وأنشطته ؟.

***

(1) تهويد مصر :

من الأمور الخفية لأنشطة (المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة) والتى مثلت واحدة من أبرز استراتيجياته فى مجال التطبيع الثقافى واختراق العقل العربى بدءاً من العقل المصرى تأتى استراتيجية (تهويد التاريخ المصرى) .

* هذه الاستراتيجية تقوم على نسب كل الإنجازات الفكرية والسياسية والاجتماعية فى مصر المعاصرة للأقلية اليهودية التى قُدر لها أن تعيش فى مصر آنذاك وأن تعمل ضمن النسيج الحضارى الإسلامى والعربى وأن تسهم بقدر ضئيل فى تلك الإنجازات وأحياناً كان لها إسهام ولكن بالمعنى السلبى المعادى لمصالح مصر .

* رغم وضوح ذلك تاريخياً ورغم تأكيد المؤرخين المعاصرين عليه إلا أن للمركز الأكاديمى الإسرائيلى وجهة نظر أخرى تتعمد إغفال الحقيقة وتضخيم الزيف وإعادة تركيبه لكى يصير بالإلحاح الإعلامى والسياسى واقعاً علينا أن نصدقه وأن نتعاطاه فى إذعان وطاعة .

* ولنتأمل نماذج ممن كان يحاول أن يقدمه المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة من تزييف للتاريخ وتضخيم لما لا يستحق من وقائعه .

***

* فى عام 1988 وتحت إشراف (أشير عوفاديا) مدير المركز أجرى المركز ستة أبحاث موسعة حاول فيها تأكيد وتنفيذ الاستراتيجية السابقة وهذه الأبحاث هى (بعض المدارس الدينية اليهودية فى القاهرة) إعداد " دافيد كاستو " الحياة اليومية ليهود مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد . إعداد يوناس غرينغلد – الحياة اليهودية فى أواخر العصور الوسطى إعداد " إبراهام دافيد " – اليهود فى

مصـر العثمانيـة إعـداد " يعقـوب لنـداو " – اليهـود فـى مصـر مجتمـع شـرق أوسطى فى العصر الحاضر إعداد " شمعون شامير " – شخصيات يهودية فى عالم الفكر والاقتصاد أنجبتها مصر فى القرن العشرين إعدد " موريس شماس " .

* وفـى سـبيلنا لتفصـيل محتـوى هـذه الأبحـاث نبـدأ بالبحـث الأخيـر لمـوريس شماس ، وهو كاتـب وصـحفى إسرائيلى مـن مواليـد القـاهرة ويعيش فـى القدس ونشر لـه مجموعة قصصية فى إسرائيل تحمل عنوان (الشيخ شبتاى وحكايات من حارة اليهود) وقام بتأليف وإخراج العديد من المسرحيات والتمثيليات الإذاعية باللغة العربية وهو يقدم فى بحثه (شخصيات يهودية فى عالم الفكر والاقتصاد أنجبتها مصر فى القرن العشرين) نماذج للشخصيات والعائلات اليهودية التى يزعم أنها أثرت فى الاقتصاد المصرى ويقدم نماذج منها ، عائلات (قطاوى) و(منشـه) و(سـوارس) و(سرسـته) ، ويقـول باسـتعلاء : (ممـا لاشـك فيـه أننـا نستطيع أن نضـيف إلـى هـذه الأسـماء عشـرات مـن العـائلات اليهوديـة البـارزة كعائلة " سموحه " التى ساهمت فى كثير من المشروعات العمرانية فى مدينة الإسكندرية وعائلة (موصيرى) التى استعان بها طلعت حرب باشا فى إنشاء " بنـك مصـر " والمسـيو " ليئـون ليفـى " مؤسـس " سـوق الأوراق الماليـة " فـى الإسكندرية و" رينيه قطاوى " الذى قام بإنشاء أول مصنع للسكر فى مدينة " كوم أمبو " بالصعيد ، كما لا يفوتنا أن ننوه هنا بالدور الذى قام به يوسف قطاوى باشا الذى تولى وزارة المالية فى عهد (الملك فؤاد) فكان أول من وضع أسساً جديدة للتعامل مع البنوك والشركات الأجنبية بحيث تحقق أكبر قدر من الفائدة للخزانة المصرية) هذا هو كلام شماس وينبغى أن نلاحظ هنا أن هؤلاء اليهـود قـدموا كـل هـذه الأعمـال مـن أجـل خدمـة الاقتصـاد المصـرى لانجلتـرا وفرنسا وأنهم كانوا يخدمون المحتل أكثر مما كانوا يخدمون مصر .

* ثم ينتقل شماس فى بحثه إلى موضوع آخر يقول فيه : (على أن الباحث فى تاريخ يهود مصر فى القرن العشرين لابد وأن يقف عند ظاهرة تحتاج إلى شيء من الإيضاح والتفسير فإلى جوار هذه الأسماء اليهودية التى برزت وأسهمت بنصيب كبير فى عالم المال والاقتصاد فى مصر فإن حلبة " الفن والأدب " تبدو وقد خلت من الأسماء اليهودية إلا فيما ندر ففى حقل السينما مثلاً لمع اسم المنتج السينمائى " توجو مزراحى " كواحد من رواد صناعة السينما فى مصر فى الثلاثينات والأربعينات .

* وفى عالم الغناء بزغ نجم المطرب " زكى مراد " والد نجمة الشاشة المعروفة المطربة "ليلى مراد" التى أشهرت إسلامها وهى فى ذروة عطائها الفنى ، كما يطالعنا أيضاً اسم ممثلة المسرح والسينما " إستر شطاح " والفنان الكوميدى " إلياس مؤدب " الذى عاجلته المنية قبل أن يحقق طموحه الفنى ، إلا أنه يقول فى موضع آخر : هذه بعض الأسماء التى لا تملأ فراغاً يذكر فى الحياة الفنية المصرية ولا تمثل الطاقة الحقيقية الكامنة فى أبناء الطائفة اليهودية فى مصر – والقول لشماس – تلك الطائفة التى أنجبت قبل أكثر من مائة عام فناناً مسرحياً نابغاً هو الصحفى المعروف " يعقوب صنوع " الشهير بـ " أبو نضارة " والذى يعتبره النقاد واضع أسس المسرح فى مصر وأحد رواد فن " الكاريكاتير " السياسى فى الصحافة المصرية .

* إذن أين اختفت هذه الطاقة الفنية ؟ يجيب شماس بخبث ودهاء يهودى مشهور عنهم : إن الباحث المدقق سيكتشف أن كثيراً من الشخصيات اليهودية قد ساهمت فى ميادين الأدب والفن تحت أسماء فنية لا تنم عن يهوديتها أو أن أسماءها الحقيقية لا تكشف عن أصلها من قريب أو بعيد فليس كل اسم يهودى يحمل بالضرورة لقب " كوهين " أو " ليفى " أو " ديان " هناك مثلاً نجمة الشاشة المعروفة " راقية إبراهيم " اسمها الحقيقى " راشيل إبراهيم ليفى " ولقد لعبت أدوار البطولة فى الأربعينات والخمسينات أمام نخبة من أشهر نجوم

الشاشة المصرية فى عدد كبير من الأفلام العاطفية وعندما نُقلب صفحات الذاكرة يطالعنا وجه الممثلة القديرة " نجمة إبراهيم " أو " سرينا إبراهيم يوسف " التى برعت فى أدوار " المرأة الشريرة " بملامحها الصارمة ونظراتها التى تثير الرعب وصوتها القاطع كحد السيف مما جعلها تصل إلى قمة الأداء الفنى فى فيلمى " اليتيمتان " و"ريا وسكينة ".

* وعلى خشبة المسرح الكوميدى نجمة أخرى ولدت فى " مسرح نجيب الريحانى " وامتد نشاطها إلى كثير من الفرق المسرحية اسمها الحقيقى " نينات سلام " واسمها على المسرح "نجوى سالم" ويضيف شماس لهم داود حسنى ومراد فرج المحامى وبعد سرده لهذه الأسماء اليهودية لم يكلف " شماس " نفسه عناء الإجابة على سؤال مركزى نراه يقلب تحليله رأساً على عقب وهو لماذا لجأ هؤلاء الفنانون والمثقفون إلى تغيير أسمائهم اليهودية وهويتهم اليهودية ولماذا استخدموا أسماء مصرية ؟ . إن الإجابة لا تخرج عن أنهم وجدوا فى يهوديتهم ما يشينهم وبالتالى تخلوا عنها ومصروا أنفسهم وفنهم لعلمهم أن الشعب المصرى سيلفظهم إن هم استمروا على فجاجتهم الأولى " اليهودية الصهيونية " . إن هذا وحده كاف لقلب تحليل "شماس" رأساً على عقب إن كان للمنطق العلمى والتاريخى نصيب عنده .

ونضيف أيضاً أنهم حين مثلوا أو شاركوا فى العمل الاجتماعى والسياسى فلقد شاركوا باعتبارهم (مصريين) وليسوا يهوداً ، لقد كانت الجنسية لديهم أهم من الديانة ، لذلك نجحوا ، ومن هنا فإن محاولة التعامل معهم كأبناء (أقلية يهودية) لا يستقيم علمياً وتاريخياً ، فلقد كان داود حسنى وراقية إبراهيم وغيرهم مصريون بالأساس قبل أن يكونوا يهوداً كما أراد الباحث الإسرائيلى شماس ! .

<u>* اليهود قبل الميلاد :</u>

وفى بحث آخر بعنوان (الحياة اليومية بين اليهود فى مصر إبان القرن الخامس قبل الميلاد) إعداد " أوناس جرينفيلد " وهو أستاذ اللغات السامية القديمة فى

جامعـة القـدس العبريـة ، والتـى تمتـد اهتماماتـه إلـى اللغـات والأدب والتـاريخ والثقافة الخاصـة بالشعوب السامية العربية ، نشر كتباً وألقى محاضرات حول البحر الميت ، وهو رئيس تحرير مجلة " إسرائيل إكسبلوريشين " ومساعد رئيس تحريـر نشـرة المـدارس الأمريكيـة فـى البحـوث الشـرقية نجد فـى بحثـه محاولـة لاختلاق وجود يهودى فـى مصـر القديمـة،إلا أن مضمون كـلام الباحث والذى ألقى فيما بعد كمحاضرة داخل المركز الأكاديمى تكشف بنفسها زيف الباحث وزيـف محاولتـه حيث التـاريخ يؤكـد علـى احتـواء الثقافـة المصـرية والمجتمـع المصـرى لليهود فـى حين قـاتلهم الأجنبـى المحتـل ولنتأمـل كلمـات بحثـه والتـى تقول : (كانـت مصـر فـى الخمسمائة عـام الأولـى من الألـف عـام الأولـى قبـل المسـيح بمثابـة ملجـأ ومـلاذاً لأولئـك الفـارين مـن بلـدانهم الأصـلية إلـى الشـمال لأسباب تتعلق بالظروف السياسية أو الاقتصـادية، ويحمل الكتاب المقدس بين طياته الشهادة على ذلك. كما كانت أرضاً لغرض الكسب للتجار الذين ينشدون أسواقاً لتصريف بضائعهم وسلعهم وكذا موطناً للمرتزقة الذين يسعون إلى العمل فى الجيش المصرى .

وحكـم الأشـوريون حـوالى عشـرة أعـوام " 673 – 663 ق.م" وكـان الجنـود القادمون من آرام وفينيقيا ويهوذا سواء بسواء يتمتعون بالمساواة داخل الجيش الآشورى وربما مكثوا مقيمين فى مصر بعد رحيل المحتلين ، وإلى جانب هؤلاء كان الفينيقيون والآراميون والإغريق وأبناء قبيلة يهوذا يخدمون أيضاً فى قوات بسماتيك الأول " 665– 609ق.م" وبسماتيك الثانى "594–588ق.م" .

وتؤكـد الاكتشـافات الأولـى لأوراق البـردى الآراميـة بأسـوان أثنـاء السـنوات "1893–1908م" وقام بذلك أولاً الفلاحون الذين كانوا يحرثون الأرض ثم بعد ذلك الألمان فى البعثة الأثرية الألمانية ، وتم نشر معظم هذه النصوص بعد ذلك فى عام 1923 على أيدى العديد من العلماء واحتوت على وثائق قانونية – قرارات محكمة وقوانين مبيعات ، نقل ملكية ، زواج ، عقود، ميراث .. إلخ ،

وهى كما نرى تعطينا بصورة واضحة عن الحياة العادية لليهود الذين كانوا يعيشون فى منطقة فيلة بأسوان .

كان هناك أيضاً خطابات ورسائل تتناول الشؤون المجتمعية والطائفية ورسائل من الحاكم الفارسى " أرشام " الذى حكم مصر فى أواخر الربع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد وكلها وجدت بين الأوراق فى الأرشيف) ، ويقول الباحث بخبثه اليهودى فى موضع آخر من بحثه : (بوسعنا أن نجزم بأن معظم يهود " فيلة " كانوا يخدمون فى الجيش الفارسى كجزء من القوة اليهودية المنسوبة إلى بنى يهوذا ، وكانوا مقسمين إلى وحدات صغرى تتألف كل منها من ألف رجل ، أما الضباط فكانوا جميعهم من غير اليهود وتزاوج اليهود والجنود واعتبرت عائلاتهم وأفراد أسرهم أعضاء فى تلك الوحدات) وهذا حقيقى حيث كان اليهود جواسيس للفرس ورغم ذلك يكابر الباحث قائلاً : (ولم يذكر المصريون كأعضاء فى تلك الوحدات العسكرية إلا أنهم ورد ذكرهم فى النصوص باعتبارهم بناة ونجارين ورجال شحن وبحارة وبعضهم تلقى تدريباً ليصبح رباناً وقبطاناً للسفن وقيادتها أثناء العواصف العالية والأمواج المهلكة) .

* ويزعم الباحث فى دراسته مجموعة أكاذيب تدور كلها حول دور اليهود فى مصر القديمة فيقول : (كان يهود أسوان يملكون الأراضى والعقارات وكان لهم حق بيعها للآخرين ونقل ملكيتها من شخص لآخر أو نقلها بالميراث ، وكان هذا يصدق على الرجال والنساء على الرغم من أن حقوق النساء ربما كانت محددة بعض الشيء إذا قيست بالرجال ، ولقد تعرفنا على الكثير من الحياة الدينية اليهودية فى " فيلة " عن طريق سلسلة الوثائق التى هى جزء من الأرشيف الطائفى المجتمعى .

فالمعبد الذى كان مركزاً للحياة الدينية تعرض للدمار من جانب الكهنة المصريين فى عام 411 قبل الميلاد ، وفى عام 408 طلب اليهود تحت زعامة أحد كبرائهم إعادة بناء المعبد حيث كتبوا إلى " باجوهى " الحاكم المحلى

يطلبون السماح لهم ببناء وتشييد المعبد ، ومن خلال سياق الالتماس، نعلم أن المعبد كان قد تم بناؤه أثناء الحكم المصرى للمصريين وقبل فتح قمبيز لمصر واحتلالها .

كما عرفنا من تلك الأوراق أن الأضحيات كانت تقدم وكذلك الطعام ، وكانت البخور تحرق فى أروقة المعبد ، وأن اليهود كانوا يلبسون ملابس معينة ويصومون ويعتكفون فى المعبد ويعزفون عن زوجاتهم ويمتنعون عن شرب الخمور ولا يدهنون أجسادهم بالزيت) ، وفى نهاية محاضرته وبحثه يؤكد " أوناس جرينفلد " على حقيقة كان واجباً عليه أن يذكرها فى ثنايا بحثه وهى " أن مصر لم تشهد عبر تاريخها القديم أى اضطهاد لليهود على مستوى العبادة وحقوق المواطنة أو كملاذ وملجأ من الاضطهاد الذى عانوه فى البلاد الأخرى " وأن مصر ظلت دائماً على هويتها الخاصة لم تتأثر بهؤلاء اليهود ولم يؤثر فيها خيانات الكثير منهم فى العمل كجواسيس لدى الفرس !!

اليهود فى العصور الوسطى :

فى بحث آخر بعنوان (الحياة اليهودية فى مصر فى أواخر العصور الوسطى) إعداد "إبراهام ديفيد " وهو باحث أول فى معهد المخطوطات العبرانية قسم الميكروفيلم التابع للمكتبة القومية اليهودية ومكتبة جامعة القدس العبرية ، ويعد مجال اهتماماته هو تاريخ اليهود فى الشرق الأدنى إبان العصور الوسطى وحاول فى بحثه هذا أن ينسب لليهود أدواراً متميزة ومواقع غير صحيحة بالكامل فنجده يقول : تم اكتشاف معبد بن عزرا بمحتوياته فى القاهرة منذ حوالى مائة عام مضت ولقد كشفت محتويات ذلك المعبد عن الكثير من أسرار ونواحى الثقافة اليهودية ومنذ أن تم كشف تلك المحتويات وقد تركزت البحوث على أبعادها الكلاسيكية ولم تختص بحوث كثيرة عن النواحى الحياتية والثقافية لليهود فى المراحل الوسطى والحديثة . ولقد كانت لغة اليهود المصريين حتى نهاية القرن الخامس عشر هى اللغة العربية ، وبعد طرد اليهود من شبه جزيرة

إميريا فى آخر عقد من القرن الخامس عشر ، اكتشف اليهود الأسبان سبيلهم وطريقهم صوب المشرق ، واستقر الكثير منهم فى مصر . ومنذ بداية القرن السادس عشر كان لهم بسبب زعامتهم للجاليات والمجتمعات اليهودية فى مصر ، كان لهم نفوذ هام على المملكة الروحية والاجتماعية ويحاول الباحث التقليل من الانتماء العربى والإسلامى فيقول مستطرداً : (وبالتالى صارت اللغة العبرية واللاتينية " الأسبانية " سائدة على نحو تدريجى للخطابة والحديث والرسائل والكتابة وصارت اللغة العربية أقل شيوعاً . ولقد برزت وظهرت صورة مفصلة عن الحياة اليهودية والاستيطان اليهودى فى مصر من خلال محتويات المعبد المذكور آنفاً ، ولقد عاش اليهود إلى جانب القاهرة فى مدن أخرى على سواحل البحر المتوسط وعلى طول نهر النيل وفروعه حيث عاشت فى مجتمعات يهودية مثل "الإسكندرية ودمياط وبلبيس والمحلة الكبرى وغيرها".

ويؤكد الباحث فى موضع آخر من بحثه محاولاً نسبة أدوار هامة لليهود وهو أمر غير صحيح فيقول : (يهود القرن السادس عشر كانوا قد أقاموا وأسسوا مجتمعات جديدة فى الدلتا مثل أبى قير وبولاق " بالقرب من القاهرة " والمنزلة والمنصورة ورشيد ، وكانت الأخيرة بمثابة مركز تجارى جذب العديد والكثير من اليهود وصارت سريعاً جالية يهودية كبرى ، أما الحياة الاجتماعية فقد شهدت صراعات طائفية ومواجهات بين التجمعات العرقية والفرق المختلفة من حين لآخر ، وعن الحياة الاقتصادية نجد أن يهود مصر شاركوا مع المسلمين فى النواحى التجارية والمالية " كالبنوك والجمارك وإدارة دار سك العملة " ولقد كان لليهود دور كبير فى التجارة الدولية مع أوروبا وبخاصة البندقية بإيطاليا والمشرق مثل الأرض المقدسة واليمن والهند ، وكان اليهود يتاجرون فى القمح والخضراوات والفواكه والتوابل والمنسوجات.. إلخ).

---

* اليهود فى مصر العثمانية :

وفى بحث آخر بعنوان (اليهود فى مصر العثمانية) إعداد " يعقوب لاندو " وهو أستاذ للعلوم السياسية فى جامعة القدس العبرية وهو متخصص فى الشرق الأوسط ويعد واحداً من أكثر باحثى الكيان الصهيونى إنتاجاً وتختص كتاباته بتاريخ الشرق الأوسط السياسى والاجتماعى والثقافى أثناء القرنين التاسع عشر والعشرين مع اهتمام خاص بمصر والإمبراطورية العثمانية وتركيا ولقد ألقى البحث كمحاضرة فى المركز عام 1988 ، وركزت المحاضرة على الدور اليهودى فى اقتصاد مصر العثمانية وجاء فيه : (كان التحسن الشامل الذى طرأ على اقتصاد مصر والذى صنعه العثمانيون فى أعقاب فتحهم لمصر عام 1517 كان واضحاً جلياً على نحو بارز فى ميدان التجارة عموماً التى كانت أقل خضوعاً للسيطرة عن سائر الوظائف والمجالات الاقتصادية ولقد شجعت الأحوال الآمنة فى البحر المتوسط التجارة الدولية واليهود ويزعم الباحث أن صلاتهم الدولية أفادت من هذا الموقف كثيراً إذ كانوا نشيطين فى كافة أفرع التجارة الدولية للفلفل والقهوة فيما بعد ، كما أن جهودهم واهتماماتهم فى كل مناحى التجارة جعلتهم مطلوبين وبخاصة فى القرن السادس عشر أثناء حكم " سليمان " وأيضاً إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر) ، وطبعاً من المهم إدراك أن الفلفل والقهوة ليسا بتجارة هامة تستدعى تضخيم دور اليهود فى تجارة تلك القرون.

<u>* يهود العصور الحديثة :</u>وفى بحث بعنوان (يهود مصر – مجتمع شرق متوسطى فى العصر الحاضر) إعداد "شيمون شامير " وهو مؤسس المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة وكان أول مدير له "1982–1984" وهذا البحث عبارة عن ملخص لكتاب أصدره شيمون شامير بالإنجليزية وبتمويل خاص من المركز الأكاديمى الإسرائيلى وكنتيجة لجهود مشتركة قام بها علماء من إسرائيل وأربع دول أوروبية الذين عقدوا مؤتمراً فى يونيه 1984 بجامعة تل أبيب ، وتركزت أبحاث المؤتمر على يهود مصر فى العصور الحديثة وشارك

فى المؤتمر رواد الدراسات فى هذا الحفل بصفة عامة مثل " يعقوب لاندو " و" جـودرون كراميـر " و" جـاك جيسـون " بالإضـافة إلـى علمـاء تشـمل ميـادين اهتماماتهم نواحى محددة عن الموضوع ويؤكد المؤلف الباحث فى بحثه على أن تركيبة مصر المكانية فى إطار الهياكل الأساسية لعالم دول البحر المتوسط وكذلك الظروف السياسية والاقتصادية السائدة فى مصر كلها مكنت الجالية أو المجتمع اليهودى من الازدهار فى تلك الأرض ، ولقد حافظ يهود مصر على شبكة واسـعة مـن العلاقـات مـع المجتمعـات اليهوديـة فـى سـائر بلـدان البحـر المتوسـط ، وكانـت تلـك هـى الأحـوال السـائدة أيضـاً إبـان العهـد أو العصـر البطليموسى حينما نمت وازدهرت المجتمعات اليهودية ومعظمها فى الإسكندرية فى إطار الحضارة الهيلينية وفى موضع آخر يرى شامير أن نفس الشيء كان معهوداً إبان الدولة والعصر الفاطمى حينما تركز الشعب اليهودى فى مجمله العـام فـى الفسطاط والقاهرة وقامت حياة مزدهرة وإبداعية، تم وصفها وصفاً عجيباً فى الدراسة الأثرية للعالم "جويشين" عن وثائق ومحتويات معبد بن عزرا وكانـت بعنـوان " مجتمـع البحـر المتوسـط " ويـذهب شـامير أيضـاً إلـى أن هـذا الوصف ينطبق بدرجة كبرى أيضاً على العصر الحديث فى تاريخ المجتمع اليهودى الذى تركز فى تلك الآونة فى كل من القاهرة والإسكندرية حيث إن نجاح ونمو هذا المجتمع فى تلك الفترة امتد من الربع الأخير للقرن التاسع عشـر وحتـى منتصـف وأواسـط القـرن العشـرين وسـهل مـن ذلـك التحـديث الـديناميكى المتحـرك للدولـة وتكاملهـا فـى النظـام المـالى والتجـارى العـالمى والانفتاح الذى شجع عليه مظاهر النفوذ الأجنبى الفاعلة فى البلاد وسيطرة النظام المعيارى والسياسى المصرى فى ذلك الحين وهو ما وصف بأنه "العهد أو العصر الليبرالى الحر" وكلها عوامل تمخض عنها ظهور مجتمع يهودى مصرى وصلت أصوله الاقتصادية وتطويره المؤسسى وإنجازاته التعليمية الذروة والمستوى المؤثر. تلك هى رؤية شامير والتى عليها ملاحظة أساسية تتمثل فى

إبرازه وتضخيمه غير المنطقى لدور اليهود فى تاريخ مصر الحديث . إن أحداً لم ينكر أن مصر بل ومعظم البلاد العربية قد عاش بها يهود ليس فقط فى العصر الحديث بل وعبر تاريخنا قبل وبعد ظهور الإسلام وكان تقبل المجتمع لهم بقدر تفاعلهم مع هذا المجتمع ومصالحه ورسالته وثقافته ولم يظهر التناقض إلا بظهور خياناتهم وعمالتهم للأجنبى .

* لم ينكر أحد ذلك إلا أن محاولة تضخيم هذا الدور أو توظيفه للخروج بنتيجة تقول : بـ"يهودية مصر" وجذورها التاريخية فهذا مناف للحقيقة وللتاريخ ذاته إذ أن حجم اليهود وحجم تأثيرهم كان محدوداً للغاية وغير فعال اللهم إلا فى مجالات البنوك وخدمة الديون الخارجية على مصر لمصلحة الدول الغربية الدائنة وقتها أو تجارة الفلفل والقهوة !! .

* تلك مجرد عينة مما حاول " المركز الأكاديمى الإسرائيلى " أن يروجه ويشيعه فى مصر عبر أبحاثه ودراساته ومحاضراته عن (يهودية مصر) والتى يسمعها ويقرأها نفر من شباب مصر ومسئوليها من الذين دأبوا على التعامل بصفة يومية مع هذا المركز وعلى حضور ندواته المشبوهة تلك ، ومحاولة الخروج بها من حيز المكان الذى هو كائن فيه على شاطئ النيل ، إلى حيث "مصر المحروسة " ككل ومنها إلى باقى بلدان العالم العربى والإسلامى .

أشير عوفاديا واستراتيجية التهويد فى التاريخ المصرى :

فى افتتاحية العدد رقم 11 من النشرة الداخلية السرية للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ، والصادر فى يناير 1989 ، باللغة الإنجليزية ، يضع مدير المركز وقتها " أشير عوفاديا " خطة جديدة لهذا المركز قائلاً بشأنها : (إننا نهدف إلى التوسع فى أنشطة المركز لتأكيد الهوية اليهودية ، وعلاقات الثقافات الأخرى بها وتأثرها بها ، والنشرة الداخلية انعكاس أمين للأنشطة الموسعة والممتدة للمركز التى تصب فى هذا الاتجاه ، وأيضاً لتخلق مشاركة * الهدف إذن هو اختراق المجتمعات العربية واستثمار هذا المركز لتأكيد يهودية

إسرائيل وهو الهدف الذى تريد تل أبيب اليوم (2014) تأكيده دولياً ، ومن ثم عملت عليه عبر مراكز أبحاثها الإقليمية والعالمية ومنها هذا المركز.

* إننا نتذكر هنا كلمة هامة قالها لنا العلامة اللبنانى السيد / محمد حسين فضل الله فى حوار معه " صيف 1993 " : (كيف أتفاوض مع من يحتل بيتى إنهم يطلبون منا التفاوض فى أمور تتصل بالقدس والأقصى وفلسطين كلها وتلك بلاد إسلامية بالأساس .. حتى لو دخل اليهود فى الإسلام سنقول لهم : اخرجوا من فلسطين أولاً ؛ لأنه لا حق لمسلم أن يتصرف فى مال المسلم إلا بإذنه) .

* ذلك هو جوهر المسألة عندهم وعندنا .

* والمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة يقوم بتنفيذ هذا البعد من الصراع على أحسن وجه، فدراساته تنحو باتجاه تحييد العقل العربى "والمصرى بخاصة" تجاه الصراع كخطوة أولى،ثم تحاول خلق مناخ عام من "الأبحاث الزائفة" بهدف تقبل العقل العربى للثقافة الصهيونية (التى يطلقون عليها كذباً اليهودية) وذلك من خلال التفتيش فى ثنايا الماضى والتاريخ العربى للبحث عن دور للأفراد أو للأقلية اليهودية والتى بالمناسبة لا علاقة لها عرقياً أو ثقافياً بالذين يستوطنون فلسطين اليوم ويمكن الرجوع فى ذلك إلى د.كمال الصليبى فى أبحاثه ودراساته عنهم .

* وفى الثمانينات والتسعينات حاول المركز تنفيذ ذلك بأساليب بحثية وموضوعات دراسية ومحاضرات سرية مشبوهة عقدت على ضفاف النيل ، وإلى النماذج الدالة على ذلك .

* الحكمة التوراتية والحكمة المصرية

* فى عام 1989 عرض المركز بحثاً بعنوان " دراسة مقارنة بين الحكمة التوراتية والحكمة المصرية القديمة " أعدتها نيلى شوباك والتى درست للحصول على الدكتوراه من جامعة القدس العبرية ومعهد المصريات التابع لجامعة توبنجين ، وتعمل محاضرة فى أقسام الدراسات التوراتية وتاريخ إسرائيل فى

جامعة حيفا كانت وقتها بصدد الإعداد لنشر المجموعة الكاملة لنصوص الحكمة المصرية باللغة العبرية ، تبدأ الباحثة بحثها بادعاء خاطئ علمياً ومشبوه تقول فيه : علم الآثار المصرية هو العلم الذى يتناول بالبحث مصر القديمة ، وهو علم حديث نسبياً لو قورن بالبحوث التوراتية ، فقد بدأ منذ 180 عاماً خلت حينما أرسى شامبليون " أبو علماء المصريات " الأساس لتلك العلوم عن طريق فك شفرة ورموز اللغة المصرية ، ولم يتم حتى الآن فى الواقع استكشاف العناصر والقواعد النحوية للغة المصرية. فليس من المدهش والحالة هذه أنه فى إطار الدراسة المقارنة للتوراة وحتى العقود الأخيرة القليلة ، كان التركيز منصباً على الصلات التى ترتبط بالأراضى الواقعة شمال بلاد بين النهرين وفينيقيا وما جاورها بينما الصلات مع مصر أُهمِلَتْ .

وجاء التغير عام 1924 ، مع نشر نص الحكمة المصرى " تعليمات أمينيوب " واكتشاف علاقتها وصلتها بكتاب الأمثال اليهودية ، ومنذ ذلك الحين ، تم العكوف على دراسة الخلفية المصرية للكتابات التوراتية وقام بذلك مجموعة من العلماء من بينهم : " و.ى. أوستيرلى ، همبرت ، دى فوكس ، ب مونيت، م جورج ، رج. ويليام ، وترمبر ، وف ، كوروير وآخرون " ، وتذهب الباحثة فى دراستها إلى نتيجة هامة وهى : (ولاتزال البحوث التوراتية تتطلب أولاً وقبل كل شيء المعرفة باللغة العبرية ، التى تنتمى إلى عائلة اللغات السامية والتخصص فى بحث الفرع اللغوى يتطلب الكفاءة والاختصاص والتخصص فى اللغة المصرية القديمة ، وهى إحدى اللغات التى تنتمى إلى مجموعة اللغات المستقلة) وهى رغم محاولات التشويه العديدة التى واكبت بحثها تسقط حججها فجأة لتقول : (هناك نصوص توراتية غير قليلة تكشف عن مظاهر النفوذ المصرى وتأثيراتها وآثارها ، ويمكن تقسيم هذه النصوص إلى مجموعتين مختلفتين من حيث طبيعة اتصالها بالثقافة المصرية والأدب المصرى) وتفصلهما نيلى شوباك فى الآتى:

أ – الفقرات التوراتية المذكورة والواردة فى إطار الخلفية الجغرافية التاريخية المصرية أو التى تعكس علاقة بالثقافة حيث يقوم المحرر التوراتى بذكر النفوذ أو التأثير الأجنبى بوضوح. ومن بين هؤلاء يمكن إدراج قصص البطاركة الذين قصدوا وهبطوا مصر فى أوقات القحط والمجاعات " إبراهام – يعقوب " ، وقصة يوسف ومولد موسى واستضعاف واستعباد بنى إسرائيل فى مصر ، والبلاد والكروب التى حلت بمصر ، الخروج (خروج بنى إسرائيل من مصر) وزواج الملك سليمان من ابنة الفرعون ، ومقارنة حكمة سليمان بحكمة المصريين ، والنبوءات التى تعلقت بما سيحل بمصر (إسحق 119-15 ، عزرا 29 : 30 : 1-9 ، 20-26 ، 31-32) .

ب – الفقرات التى تظهر وتبين توازنات المفاهيم والمحتويات وأحياناً الصلات والعلاقات الاصطلاحية والأسلوبية بأدب مصر القديمة إلا أن هذه التوازنات لم تكن دائماً واضحة ، ذلك أن المادة الأجنبية المستعارة تم تكوينها واستيعابها فى الإطار العبرانى إلى المدى الذى صار معه تحديد هوية منابعها وأصولها الوافدة الأجنبية أمراً صعباً ، وطالما أن الحالة هكذا ، فالمسألة تتطلب المزيد من البحوث والبحث طبقة بعد طبقة من أجل إزالة الغموض ويمكن عندها ظهور العناصر الأجنبية نهائياً ، وعن " الحكمة المصرية " تضع لنا الباحثة السم فى العسل حين تقلل من قيمة الحكمة المصرية القديمة وترفع فى المقابل حكمة اليهود ولكن بعد وضعها فى قالب دينى يتصل بالنبى " سليمان " الذى كان يعرف الحكمة المصرية أو على ألفة بها ، فهى عبارة عن الأمثال والأقوال المأثورة فى العالم القديم : (ولقد برزت وفاقت حكمة سليمان حكمة سائر شعوب المشرق قاطبة وحكمة المصريين القدماء" ونحن نستمد ذلك فحسب من التوراة والعهدين القديم والجديد ونصوصها فحسب ، بل إننا نستمدها أيضاً وبدرجة أساسية من " المنكشفات الأثرية ").

ثم تركز الباحثة على نصيحة وحكمة واحد فقط من المصريين القدماء اليهود وجعلتها نموذجاً وتتناوله بالدراسة المستفيضة ألا وهو " أمينوب " وتلك الحكمة تم نظمها على ما يحتمل فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ووصلت إلينا عن طريق نسخة مكتوبة على ورقة بردى فى تاريخ لاحق فى إطار الألف سنة الأولى قبل الميلاد ، وهذه التعليمات تساير وتكافئ الأعمال المصرية الأخرى عن الحكمة وتدعو الباحثة بعد استعراضها لكل ذلك إلى ضرورة تمازج الحكمة التوراتية بالحكمة المصرية القديمة ؛ لأن فى ذلك تأكيداً لدور البحث العلمى التاريخى فى خدمة التطبيع بين الشعوب !! وهذا فى الواقع كان الهدف الأخطر من بحثها الذى موله المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة .

***

<u>* يهود مصر فى الفترة الرومانية :</u>

نعرض هنا بتفصيل لبحث آخر من الأبحاث السرية المشبوهة التى حاول بها المركز الأكاديمى الإسرائيلى أن يغرس من خلالها وجوداً لليهود فى عمق التاريخ المصرى ، وأن يضخم هذا الوجود ، ويمحور من حوله الأحداث بل والتاريخ كله ، وأن مصر لم تعرف عبر تاريخها الطويل سوى اليهود ، ولم تعاشر غيرهم .

* المركز يسعى – كما قلنا فى بداية هذا الفصل إلى التأكيد على هذه الغاية الاستراتيجية (تهويد تاريخ مصر) وإعادة تركيب التاريخ بما يخدم قبول الكيان الصهيونى المتمسح فى الديانة اليهودية والمكون أغلبه من يهود قادمين من خارج العالم العربى الذى أتت منه "اليهودية" قديماً ، وغالب يهود إسرائيل اليوم منبتو الصلة عن (التوراة) ، وما لديهم من كتب هى ترهات محرفة ، كما أثبت العلماء ، وبخاصة بعد اكتشاف " وثائق البحر الميت " والتى أثبتت الكثير ، رغم عدم كشف جميع أوراقها .

* ولنعد إلى الأبحاث السرية للمركز ، ولنقرأ بعد المقدمة السابقة خلاصة أحد أبحاثهم التى تضخم دورهم فى العصور القديمة ، داخل مصر نقدمه دون تعليق ولنترك للقارئ اكتشاف حجم الزيف التاريخى الذى يقدمه اليهود المعاصرون للتاريخ فى بحث معنون بـ " يهود مصر فى الفترة الهيلينية والرومانية " وهو من إعداد " روفائيل بنكلفيتش " وهو باحث يهودى تلقى تعليمه فى التاريخ اليهودى فى جماعة " بار – إيلان " وتابع دراسته بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى علم الآثار الكلاسيكى القديم فى جامعة تل أبيب ، وهو الآن محاضر أول فى قسم التاريخ اليهودى بجامعة " بار – إيلان " ، يقول فى بحثه : (إن المجتمعات العرقية التى تشكل تعداد سكان مصر منذ بدء العصر البطليموسى اشتملت على مجموعة كبرى من اليهود الذين وصلوا إلى مصر من يهوذا فى أعقاب تدمير المعبد الأول ، ولقد شجعت وسعت فتوحات الإسكندر الأكبر هذه الهجرة) .

خلق التواجد الكبير اليهودى فى مصر – كما يدعى الباحث اليهودى – مجتمعاً نشيطاً اتسم بخصائصه الخاصة الفريدة وبطبيعة الحال ، أثرت العمليات السياسية والثقافية السائدة فى مصر فى ذلك الحين بدرجة عظمى على التطور والتنمية الاجتماعية – حيث إن الصورة الذاتية الروحية لليهودية قد حددت ملامحها إلى حد بعيد الشخصية الهيلينية للمناطق المحيطة) ثم يستطرد فى ترهاته قائلاً: (لقد كان اليهود فى مصر نشطين فى شتى المجالات ، وتصف المصادر المجموعة المتنوعة الشاملة للمهن التى امتهنوها واتخذوها عملاً وحرفة لهم الزراعة وتربية الحيوانات العمل العسكرى والشرطى والتجارة ، أما شعب مصر اليهود وبخاصة فى الإسكندرية فقد خلق ثقافة محلية أصلية أيضاً إلى جانب إنتاج روائع وبدائع الأعمال الفنية ذات الجودة العالية كان أكثرها شهرة أعمال " فيلو السكندرى") ثم ينتقل الباحث اليهودى إلى الحديث عن جوانب أخرى .

(ولقد بدأ الاستيطان اليهودى فى مصر ، على ما يبدو فى بداية القرن السادس قبل الميلاد . كما يمكن استكشاف الدلائل والقرائن على التواجد اليهودى فى مصر فى الكتاب المقدس الذى يشير إلى اليهود الذين استقرا فى مصر الدنيا " دلتا النيل " وكذلك فى الصعيد وفى منف . كما هناك إشارات لليهود الذين عملوا فى جيش الملك بسماتيك الثانى " 594 – 589 ق.م" وأولئك الذين حاربوا فى أثيوبيا أو غيرها .

كان ذلك فى العصر الواقع قبل فتح يهوذا عن طريق " نبوخذ نصر " فضلاً عن ذلك تخبرنا السجلات عن اليهود الذين وصلوا مع الفرس " وربما صاحبوا قمبيز أثناء فتحه لمصر" والمصدر المهم عن التواجد اليهودى فى مصر نجده فى أوراق برديات فيلة " أسوان " . وهى التى تنبئنا بتأسيس وإقامة واستيطان يهودى فى مصر على جنوب حدود مصر قبيل الغزو الفارسى " 525 " قبل الميلاد ، وفى الواقع ، أقسام عديدة من البرديات تم اكتشافها فى منف تنتمى إلى القرن الخامس قبل الميلاد وتحتوى على أسماء يهودية مثل : يوحنان ، وبهورام ، وفانيا " وهل هذا معيار للقياس العلمى ؟! والسؤال من وضعنا موجهاً للباحث !! " .

وفى أثناء العصر الهيلينى ، وفقاً لرواية الباحث اليهودى ، قويت عملية الهجرة اليهودية إلى مصر بسبب حقيقة أن مجتمع يهود الشتات المتوطن بمصر ساعد على جذب المزيد من الهجرات ، ولاتزال السجلات عن الهجرة اليهودية إلى مصر متواجدة منذ بدء العصر الهيلينى).

(ومنذ أيام بطليموس الثانى " 283 – 246 قبل الميلاد " والسجلات التاريخية عن وصول اليهود إلى مصر صارت موثقة ، وعند هذه النقطة نجد أن المصادر المكتبية بالإضافة إلى أوراق البردى والنقوشات والكتابات المحفورة ، على سبيل المثال ، النقوش باللغات الآرامية والإغريقية على المقابر القديمة

خارج الإسكندرية تشهد وتدل على وجود مجتمع يهودى سكندرى فى بداية حكم البطالمة) .

(كما أن أرشيفات " زينو " الشهيرة والتى ترجع إلى العصر البطليموسى الثانى ، تشير إلى وجود مجتمع يهودى فى الفيوم ، وفى أثناء حكم بطليموس الثانى تم قبول اليهود فى صفوف الجيش ، وفى داخل الإدارة الحكومية ، وكجالية تتمتع بقدر معين من الحكم الذاتى) .

ثم يذهب الباحث اليهودى إلى عدة ادعاءات دحضها المؤرخون المصريون وفى مقدمتهم العلامة / سليم حسن فى كتاباته الموسوعية ، على أية حال يقول الباحث اليهودى: يستطيع المرء القول بصفة عامة : إن الأحوال الاقتصادية والثقافية للشعب اليهودى المصرى وصلت إلى ذروتها إبان العصر الهيلينى ، وعاش اليهود وعملوا فى إطار مجتمع موحد ومؤثر اشتمل على المؤسسات والمنشآت العامة ، وقد شكلوا جزءاً من البيروقراطية الحكومية واحتلوا المناصب فى الجيش .

وأنتجوا الأدب الخصب باللغة الإغريقية ، وانخرطوا حتى الصميم فى الحياة الثقافية التى سيطرت على البلاد ، ويقول " فيلو " : " إن المجتمع اليهودى فى مصر فى ذلك الحين بلغ تعداده حوالى المليون نسمة ، وكان ثمة ثلاثة أحياء لليهود فى الإسكندرية وحتى لو كان الرقم الذى اقتبسه " فيلو " ينطوى على المبالغة ، إلا أنه كان من الواضح أن السكان اليهود كان ذوى عدد محترم ومارسوا نفوذاً كبيراً ،وبمرور الوقت،كان نفوذ اليهود فى مصر يتزايد مضطرداً.

ويقول فى موضع آخر : (وكانت هناك دلائل على وجود روابط وثيقة بين اليهود الذين يعيشون فى أرض إسرائيل ويهود مصر إبان ذلك الزمان برمته، وربما استطاع المرء افتراض أن موجات الهجرة من أرض إسرائيل إلى مصر استمرت منذ نهاية القرن الثانى قبل الميلاد حتى عصر كلوريوس ، على الرغم من أنه لم يتبق أية دلائل مكتوبة عن ذلك) .

(ومن المهم أن نذكر أن الهجرة إلى مصر اشتملت أيضاً على يهود من سوريا هم الذين وفدوا لأسباب شتى ، وهم أيضاً الذين خلفوا لمساتهم الخاصة على التاريخ ، وعلى الرغم من أن المستوطنات اليهودية وحدت واكتشفت بطول مصر ، ومن المستحيل معرفة كثافة التعداد السكانى اليهودى فى المناطق المتفردة كل على حدة ، إلا أنه لاشك فى أن الإسكندرية كانت المركز ذا الشأن والأهمية الكبرى).

وبحلول عام 30 قبل الميلاد فقد البطالمة – وفقاً للباحث اليهودى – قبضتهم على مصر وتحولت الدولة إلى إقليم رومانى ، وبدأ موقف اليهود فى التغير والتحول إلى الأسوأ (وربما كان من بين الأسباب الأخرى كنتيجة حقيقية أنهم لم يعودوا يخدمون فى الجيش ، وتم تسديد الضربات ضد اليهود ووقع ذلك إبان عصر الإمبراطور كاليجولا وفيما بعد ذلك أثناء عصر كلوريوس " 41 – 54 " بعد الميلاد) .

(أما يهود الإسكندرية فقد استبعدوا عن المشاركة فى الحياة المدنية وبلغت الحرب ذروتها بتدمير المعبد فى القدس عام 70 بعد الميلاد ، وصاحب ذلك الأعمال العنيفة ضد اليهود فى الإسكندرية ، وهى التى بلا ريب أثرت على اليهود الذين كانوا يعيشون طوال مصر وفى كافة أجزائها وفاقمت من انحطاطهم المادى والروحى).

(وفى أعقاب الثورة اليهودية ضد الإمبراطور " وتراجان " 115–117 بعد الميلاد ، وحد اليهود من صفوفهم ومن شتاتهم ومارسوا تأثير أقل على الحياة الثقافية فى مصر ، وكان من الواضح أن هجرة اليهود إلى مصر استمرت حتى نهاية العصر البيزنطى ، على أية حال ، لم يعد المجتمع اليهودى أبداً إلى سالف وضعه ومركزه ونفوذه وقوته – والقول للباحث اليهودى).

وفيما يتعلق بالتنظيم المجتمعى لليهود فى مصر يذهب الباحث اليهودى إلى أنه يمكن تقسيم المستوطنات اليهودية بمصر إلى ثلاثة أنواع : (أولئك الذين

عاشوا فى المناطق الحضرية المركزية ، وأولئك الذين عاشوا فى المناطق الزراعية والقرى ، وأولئك الذين شكلوا وكونوا المعسكرات العسكرية وقرى الرجال العسكريين وعائلاتهم) .

وينهى الباحث بحثه ، الذى ألقى كمحاضرة فيما بعد داخل المركز الأكاديمى، بذكر حقيقة تاريخية نأمل أن يستوعبها يهود اليوم وهى : (لقد اعترفت بهم المؤسسة السياسية على حالتهم هذه وأباحت لهم درجة معينة من الحكم الذاتى وهو ما تبدو فى المصادر التاريخية التى أشارت إلى أن اليهود إنما كانوا قد منحوا حقوقاً كثيرة جعلت من اليسير عليهم أن يصونوا حياتهم وفق أسلوبها الخاص المميز لها) .

***

* الإسلام واليهودية

ولأن المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة يفكر ويخطط برؤية استراتيجية بعيدة المدى لاختراق الثقافة العربية والإسلامية وليس فقط التاريخ المصرى القريب، لذلك اتجهت أبحاثه إلى محاولة إيجاد صيغ للتعايش بين الثقافة الإسلامية والعربية وبين الثقافة الصهيونية المعاصرة بعد تلبيسها ثوب الديانة اليهودية القديمة " البريئة – مؤكداً – من ادعاءاتهم " على هذا المعنى يأتى أحد أبحاث المركز الصادرة عام 1989 والمعنون بـ"تأثير الفلسفة الإسلامية على الفلسفة اليهودية " والذى ألقى كمحاضرة للدكتور / أفيعيزر رفيتسكى والباحث يعمل أستاذاً للفلسفة اليهودية فى قسم الفكر اليهودى بجامعة القدس العبرية ، ورئيس قسم الدراسات اليهودية بكلية " بللين " للمعلمين ولنتأمل ما جاء فى بحثه حرفياً : (التقى الرئيس الراحل محمد أنور السادات منذ سنوات خلت مع هيلموت شميت المستشار السابق لألمانيا الغربية ، وانخرط كلاهما فى المناقشات المطولة حول الشئون الثقافية والفكرية ، وتركزت محادثاتهما بصفة أساسية حول مسألة المصادر التاريخية الشائعة فى كل من الديانة المسيحية والإسلام

واليهودية ، وكذلك حول إمكانية تحويل هذه المصادر إلى مثير ودافع للسلام بين شتى الأمم وبخاصة من أجل السلام فى الشرق الأوسط) .

ولقد خلقت هذه المحادثات انطباعاً لا يمحى لدى السيد شميت ، وفى أعقاب مقتل السادات قرر أن يكتب كتاباً كرسه لهذه الموضوعات ، وأثناء زيارته للقدس من أجل هذه الفرصة ، عقد مناقشة مستفيضة مع عدد من أساتذة الجامعة العبرية فى اليهودية والإسلام ، ولقد وجه إليهم المستر شميت السؤال التالى : كيف يمكن تفسير حقيقة أنه على الرغم من وحدة الأصل الروحى هناك شقاق ، وعلى الرغم من التجاور والتقارب النسبى فى المعتقدات والآراء الخاصة بالديانات السماوية والتوحيدية الثلاث ، نجد أن تاريخ شعوبها مترع بالصراعات والاضطهادات ، وأن تراث أبناء إبراهيم لم يصبح عاملاً للتوحيد والألفة ؟ وكانت إجابة الباحث اليهودى على ذلك غريبة نسبياً حين قال : (إنه نظراً للمصادر الأجنبية التى تعد خارجية بالنسبة إلى العقائد السماوية الثلاث ، مثل الكتابات الفلسفية لأرسطو وكتاب " غالين " ، نجد أنها خدمت كخلفية للمواجهة الأدبية والثقافية المثمرة بين أعضاء الديانات الثلاث ، فالمسلمون والمسيحيون واليهود كان بمقدورهم اللقاء والاجتماع ونقل المعرفة كل منهما للآخر عبر العصور الوسطى وبخاصة فى مجال المشروعات الفلسفية والعلمية التى لم تنم على الأرضية الدينية المشتركة ولكن كان لها جذورها فى التربة البعيدة لبلاد الإغريق القديمة).

ثم استطرد قائلاً : ومن جهة أخرى ، فإن المشاركة فى المصادر والمنابع الدينية وتلك المعتقدات والذكريات التاريخية التى تشكل أساس جميع الديانات الثلاث ، وتنأى بهم عن الثقافات الأخرى ، قد كانت عموماً بمثابة الواقع للتوتر والمناظرات ، والحروب والاضطهاد ، ثم يزعم أن المسلمين كانوا السبب دائماً فى هذه الحروب ، وأن لهم وللمسيحيين الشرقيين بخاصة أن يتقربوا منا نحن الأصل : اليهود !! ، هل هناك تجنٍ على التاريخ والفلسفة والواقع أكثر

من ذلك ؟ خاصة وأن تاريخ الإسلام فى زمن النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) وفى عصر الخلفاء الراشدين يؤكد أن يهود خيبر وبنى قينقاع كانت تبدأ بهم وبخياناتهم للمسلمين ولم تكن أبداً تبدأ من المسلمين آنئذ.

***

* وفى محاضرة أخرى تحمل عنوان (الحضارة اليهودية فى العصور الوسطى والإسلام) ألقيت عام 1989 للباحث اليهودى حنائيل ماك – وهو يقوم بتدريس التلمود بالجامعة العبرية بالقدس منذ عام 1985 .

يقدم الباحث رؤية مخالفة لرؤية سابقة " د. أفيعيزر رفيتسكى " حيث يقول حرفياً مشيداً بالإسلام وموقفه من اليهود : (لقد بدأ الاتصال بين المسلمين واليهود مع ظهور الإسلام فى القرن السابع فى الحجاز بشبه الجزيرة العربية وبلاد العرب ، وفى إبان تلك الفترة المبكرة والأولية ، كان الإسلام مؤثراً إلى أبعد الحدود على الديانة اليهودية على وجه الخصوص ، إلا أن هذا يتجاوز حدود ونطاق تلك المحاضرة) .

ثم نراه يقول فى موضع آخر من بحثه الذى ألقى كمحاضرة أيضاً فى المركز الأكاديمى : (وبعد ذلك حينما فتح العرب بابل وبلاد العراق وفارس صارت الروابط بين اليهود والمسلمين أقوى وأشد ، وبصفة عامة ، كان اتجاه الخلفاء الأوائل إزاء اليهود هو المحاباة ، وكان القوم ينظرون لليهود على أنهم " أهل الكتاب " شأنهم فى ذلك شأن المسيحيين والنصارى سواء بسواء ، وتمتعوا بمكانة تفضيلية ذات مميزات لم يتمتع بها الوثنيون) ويذهب الباحث إلى أنه (وعلى الرغم من ظهور العقائد المعادية لليهودية على اختلافها وتباينها فى بلاد العراق وبلاد الفرس ، استمرت الصلات الثقافية بين العرب واليهود قائمة ومتبادلة ، ولقد زادت على وجه خاص من الزعامة اليهودية فى العالم الإسلامى فى أعقاب عام 762م ، وهو العام الذى اتخذت فيه الدولة العباسية والعباسيون من بغداد عاصمة للخلافة الإسلامية) ويختتم الباحث محاضرته

وبحثه بالقول : (وخلال ما أعقب ذلك من قرون تالية ، قاد الزعامة اليهودية فى بلاد بابل المفكرون والفلاسفة اليهود المبرزون منذ عهد " المشنا " والتلمود إبان القرون الخمسة الأولى ، أى منذ القرن الأول حتى الخامس ، وهيأوا أنفسهم وأعدوها لتلائم وتتعايش مع الحقيقة والواقع الثقافى لزعامتهم وعهودهم التاريخية) .

* وهكذا يتناقض الباحثون اليهود المعاصرون ، أحدهم يزعم أن حضارتنا الإسلامية والعربية كانت سبباً فى الفتن والحروب والاضطهاد ضد اليهود ، والثانى يقول بالعكس تماماً وبأنها كانت واحة للتسامح مع اليهود وأن هذا سمح لهم بالإبداع والزعامة الفكرية ؟ فأى الروايتين نصدق ؟ ولماذا التناقض، اللهم إلا إذا كان توزيعاً ذكياً – يهودياً – للأدوار ، وهو توزيع على المستوى البحثى يتوازى مع التوزيع على المستوى السياسى الداخلى والعالمى ليسهل الاختراق للعقل والثقافة فى مصر والبلاد العربية.

***

(2) لغة الأمثال : التطبيع فى الثقافة الشعبية

ولأن المركز الأكاديمى الإسرائيلى يقدم نفسه كرأس حربة فى معاركه ضد الوجود العربى ، لذلك تقوم استراتيجياته البحثية على التنوع والتعدد فى إطار هدف أساسى مستقبلى وهو تفتيت الجسد العربى من داخله ، بعد فهم نواحى ضعفه ومصادر قوته للتعامل الجيد معها ، ومن بين وسائل المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة للوصول إلى هذا الهدف ، هو محاولة الغوص فى الفلكلور الشعبى المصرى والعربى ، لفهمه ، وتشويهه ثم ضربه من داخله باعتباره مصدراً رئيساً لقوة الشعب المصرى والعربى ، ومصدراً يستعصى على الهزيمة السريعة ؛ ولأنه حصن دافئ تاريخي ممتد ، لذلك حاول هذا المركز بخبث يهودى اعتدناه ، أن يقترب منه ويضربه من داخله ، وعلى مراحل ، المرحلة الأولى هى فهمه ، أما الثانية فهى تصويره على أن ثمة علاقات تشابكية بينه

وبين التراث الشعبى اليهودى " المزعوم " ، تمهيداً لتقبل هذا التراث وأصحابه المعاصـرين " الصـهاينة " ، وتقبـل وجـودهم فـى بيتنـا الفلسـطينى المحتـل والمصرى المخترق بعد معاهدة السلام 1979، وتلك هى المرحلة الثالثة ، وهى المرحلة التى نعرض لها من خلال بحث عام قام المركز الأكاديمى الإسرائيلى بإجرائه ويحمل عنوان **(موقع المثل فى الحضارتين العربيـة والعبريـة : إعداد / دافيـد سـغيف وهو باحـث فـى معهـد ترومـان للأبحـاث وخدمـة السـلام التـابع للجامعة العبرية بالقدس)** ، والذى بعد أن يستعرض فى بحثه أهمية المثل فى الثقافة الشعبية المصرية ، والحضارة العربية و" العبرية " ، يقدم لنا نماذج من الأمثلـة المتشـابهة بين الثقافة الشعبية المصرية ، والثقافة العربية وما يسمى " بالثقافة العبرية " ، ونعرض هنا لهذه القائمة مكتفين بالمقدمة التى سقناها حول مخاطر اهتمام الصهاينة بأمثالنا الشعبية ، وفى هذا التوقيت القاتل من صراعنا معهم ، وإلـى الأمثلـة التـى نكتفـى بـذكر نصـها العربـى والمصرى منها دون "العبرى" الذى كتب فى البحث وذلك لصعوبة كتابته هنا ونكتفى بنصها مترجماً إلى العربية :

1 – وأحـب أخـاك كنفسك . والحديث النبـوى يقـول : " لا يـؤمن أحـدكم حتـى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

2 – الكلمة فى وقتها ما أحسنها ، وفى فرائد الأدب : لكل مقام مقال ، وفى الزمخشرى " البس لكل حال لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها .

3 – خفف عن نفسك فهم يحملون منك ، وفى القرآن الكريم (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (سورة البقرة : 286) .

4 – فقراء بلدتك أم فقراء بلدة أخرى – فقراء بلدتك أولى أو أسبق .وفى القرآن الكريم : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى من بعض).

وفى كتاب شعلان : الأقربون أولى بالمعروف (يقصد كتابه الخاص بالأمثال الشعبية المصرية).وفى كتاب تيمور : فقير الساحة أفضل من فقير السواحة (يقصد كتابه الأشهر عن الأمثال الشعبية المصرية).

5 – لأن الغنى ليس بدائم وهو بمعنى : ما كل مرة تسلم الجرة ، وفى تيمور: موش كل الوقعات زلابية ، أو وما كل روضة غدير.

6 – يوجد من يفرق فيزداد أيضاً ، أحسن وأنت معان (الميدانى) .

7 – ليسرح (فى المرعى) حتى يسقط (فيتشوه) ، وفى أمثال تيمور خليه على هواه لما يجى ديله على قفاه.

8 – الأفضل أن تتعلم التوراة مع مهنة أو مع أخلاق فاضلة ، والحديث النبوى الشريف يقول: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " أو " إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً " . وفى المعنى الآخر: علم بلا عمل وسيلة بلا غاية.

9 – الذى يزيد علماً يزيد حزناً ، وفى فرائد الأدب : من علت همته طال همه ، أو استراح من لا عقل له .

10 – طالما كنت رحيماً فإن الرحمن أى الله تعالى سيرحمك .وفى الحديث النبوى الشريف : " إنما يرحم الله من عباده الرحماء " أو " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " أو " أن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله " .

11 – ليمدحك الغريب لا فمك ، ويقول المثل : مادح نفسه كذاب ، وفى الميدانى : ليس لمختال فى حسن الثناء نصيب .

12 – من أكثر فى كلامه أخطأ وفى فرائد الأدب : من أكثر أهجر ، أو المكثار كحاطب ليل.

13 – على الكذاب أن يكون طويل الذاكرة ، وفى فرائد الأدب : إن كنت كذوباً فكن ذكوراً. وعند تيمور : إن كنت كذاب افتكر .

14 – من تلقى أخاه ببشاشة ، حتى إن لم يعطه شيئاً فكأنه أعطاه كل الهدايا الطيبات فى الدنيا. وفى الحديث النبوى الشريف : " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " . أو " الكلمة الطيبة صدقة " .

وفى تيمور : بشاشة الوجه عطية ثانية ، أو لا قينى ولا تغدينى ، أو بلاش توكلنى فرخة سمينة وتبيتنى حزينة ، أو وش بشوش ولا جوهر بملو الكف.

15 – بعرق جبينك تأكل خبزاً ، وفى حديث نبوى شريف : " ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده " .

وفى تيمور : الإيد التعبانة شبعانة ، وفى شعلان : اللى بياكل من إيده الله بيزيده .

هذا ويختم الباحث سرد هذا بقوله الخبيث التالى : (وهكذا نجد المئات أو الآلاف من الأمثال المتقاربة بين اللغتين أو الحضارتين وما أوردنا ما هو إلا غيض من فيض كما يقول المثل ، وليس التقارب بين الشعبين يعود كالتقارب بين الحضارتين).

وهو لم يقدم لنا أمثلة تحض على كراهية الصهاينة أو أحاديث نبوية تؤكد العداء التاريخى لليهود ضد الإسلام ولنذكره نحن بحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أن الساعة لن تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود ، حتى الشجر والحجر يدخلان المعركة ضدهم فينادى : (يا مسلم يا عبد الله تعال خلفى يهودى فاقتله) ، ولنذكره بالمثل المصرى العربى الشهير الذى رفعه المجاهدون المسلمون إبان صلح السادات مع اليهود ، ولايزال يرفعه المجاهدون فى فلسطين (خيبر خيبر يا يهود ، جند محمد سوف يعود) ، أو الآية القرآنية التى تقول (ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) صدق الله العظيم ، فقط أمثلة للتذكرة وللمفارقة !! .

***

<u>(3) تشويه أدباء مصر :</u>

لقد دأب (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) على الاحتفاء بالأديب المصرى المعروف نجيب محفوظ ودأب على إدعاء الصداقة الحميمة التى تربط محفوظ بالإسرائيليين وبخاصة من ترجموا أدبه للعبرية ، وعلاقته بمؤسس هذا المركز د. شمعون شامير ، وفى عام 1989 كتب باحث وأديب جامعى إسرائيلى ، يدعى " شمعون بلاص " يحمل درجة الدكتوراه فى الأدب العربى من السوربون مقالاً هاماً فى النشرة الداخلية السرية للمركز عام 1989 يحمل عنوان (نجيب محفوظ رسول الأدب العربى إلى العالم) جاء فيه ادعاءات على " محفوظ " بشأن الصراع العربى الصهيونى كان ينبغى عليه قبل وفاته (رحمة الله عليه) أن يدفعها ويبرئ نفسه منها إذا لم تكن صحيحة تاريخياً ، ونظن أنه حاول ذلك ولكن ليس بالقدر الكافى الذى يدفع هذه الادعاءات الصهيونية ضده ، وإليكم نص ادعاءات شمعون بلاص :

" نجيب محفوظ كاتب دائم التجديد ، فهو لا يتوقف عند عمل كبير أنجزه ولا يكرره بعد أن ثبت نجاحه ، وإنما يسعى دائماً لتجاوزه ، مدفوعاً بغريزة المبدع نحو اكتشافات جديدة ، فبعد الثلاثية نراه يتوجه إلى كتابة روايات قصيرة تدور حبكتها حول شخصيات محبطة ، لا تجد سبيلاً لتحقيق ذاتها فتجنح إلى الهروب من المسئولية أو إلى سلوك طريق العمل الفردى الذى يؤدى بها لا محالة إلى الكارثة ، فى هذه الأعمال لم تعد الحارة مسرحاً للأحداث ولم يعد أفراد الأسرة أبطالاً لها ، وإنما انتقل مركز الثقل إلى الفرد الواحد الذى يلاحقه الشعور بالهزيمة وانقطاع سبل الخلاص ، لقد كان هذا التوجه فى رصد الشخصيات المحبطة نتيجة للتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى بعد ثورة 1952 ، حيث أصبح الفرد فى حالة تفرض عليه اتخاذ موقف من الأحداث ، فهو من جهة يرفض تقبلها والانخراط فيها، لأن فى ذلك فقداناً لذاتيته وذوباناً فى المجموع ، وهو من جهة أخرى لا يقدر على مجابهتها والجهر برأيه فيها ، ولذلك نراه ينحو منحى الانغلاق والانفصال عن المجتمع .

ويقول بلاص : ولكن قبل صدور الروايات كان نجيب محفوظ قد كتب رواية " أولاد حارتنا " تلك الرواية التى تقدم لنا فى شخصية (عرفه) بالذات النموذج للبطل المحفوظى الذى يسلك سبيل العمل الفردى لتحقيق مطامحه ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن نجيب محفوظ فى جميع مراحل إنتاجه كان ومازال يركز اهتمامه على الفرد وليس فقط كجزء من مجموع وإنما كإنسان يتحرك حسب سجاياه وتطلعاته ، وفى حالات كثيرة فى مواجهة المجموع والقيم المتعارف عليها ، وبعبارة أخرى ، البطل المحفوظى إنسان منفصل ، ذاتى النزعة ، مستقل فى تفكيره، ولذلك فهو المسئول الوحيد عن تصرفاته وقد توضحت معالم هذا البطل على المستوى الرمزى فى مجموعات القصص التى نشرها محفوظ بعد حرب 1967،حيث اتخذ الأسلوب التعبيرى أداة لإبراز الشخصية القلقة،وربما تكون شخصية البطل فى مسرحية "يميت ويحيي " خير مثال لها .

ثم نفاجأ بهذا الإدعاء الخطير الذى يشوه موقف نجيب محفوظ من الصراع مع العدو الإسرائيلى ، وإن بصورة ملتوية يتقنها هذا الباحث الإسرائيلى الذى يقول : (ولا يفوتنا فى هذه العجالة أن نشيد بموقف نجيب محفوظ الجرىء بعد حرب يونيو 1967 ، إذ كان أول من صرح بأن النزاع العربى – الإسرائيلى ذو طابع حضارى ، ولذلك كل عمل غايته تغيير الواقع ورفع مستوى الفرد يخدم الجانب العربى ، ومن هذا المنطلق نادى بحل النزاع بطرق سلمية قبل رحلة أنور السادات إلى القدس ، ثم انبرى لتأييد سياسة السلام دون هوادة ، ونتيجة لذلك كان هذا الكاتب الكبير ، مثله مثل توفيق الحكيم وحسين فوزى ، هدفاً لتهجمات جائرة من أطراف عربية متخلفة ومتحجرة دينياً وخلقياً وقومياً ، عقليات قال لنا نجيب محفوظ : إنه يكرهها ويكره عقائدها الجامدة وكان ذلك فى حوار خاص معه) .

وبعد لنتأمل هذا الادعاء ولنتأمل أكثر قوله : (قال لنا) وكأن ثمة حوارات دائمة ممتدة بين الباحث الإسرائيلى وبين محفوظ منذ سنوات ونحسب ذلك ادعاء أو

مبالغة منه يراد بها تشويه محفوظ عمداً ؛ لأن رجالات الكيان الصهيونى لا يهزلون ويدركون جيداً مغزى أن تخترق ثقافة مجتمعات تناصبك العداء ، والمكامن الصحيحة لهذا الاختراق ، لذا كان " المركز الأكاديمى " فى قلب القاهرة وكانت أنشطته المتنوعة ، والخطيرة والتى حولته إلى مركز فعلى للجواسيس النشطاء وللمرتزقة من الحاملين – آسفاً – للهوية المصرية ؟ وكانت أيضاً على نفس الأرضية النوعية الخاصة لأبحاثه السياسية والثقافية بل والأدبية وها هو يدرك أهمية التركيز على مفاصل الوطن المصرى ، ومفاتيحه الإبداعية فيذهب إلى نجيب محفوظ والحكيم وحسين فوزى ، وغيرهم لا ليقرأهم أو ليترجم عنهم ، بل " ليُعّبرنهم " أى : ليحولهم إلى ثقافة أخرى معادية لنا ، ولكى يعيدوا تصديرهم لنا ، باعتبارهم رموزاً تدعو إلى التطبيع الثقافى وتؤمن به ، ومن ثم احتفاؤهم " أى الصهاينة " بهم ، أما من يقاوم فلا حفاوة به بل عداء وتشويه ، ولنتأمل وبتفصيل ماذا فعلوا مع " نجيب محفوظ " ففى بحث موسع للبروفيسور الإسرائيلى / ساسون سوميخ ، يحمل عنوان (أدب نجيب محفوظ : ترجمته ودراسته فى إسرائيل) . يروى فيه تاريخ الاهتمام الإسرائيلى بالأدب المصرى كاشفاً حقائق هامة عن عمق الاهتمام اليهودى بالأدب العربى ، وبخاصة المصرى منه ، والذى يحتل فيه نجيب محفوظ مكانة هامة ونتابع مع " سوميخ " رصده لهذا التاريخ فنجده يقول : (فى إسرائيل قراؤها ونقادها ، على حد سواء لم يكونوا بحاجة إلى لجنة الجائزة السويدية لتعريفهم على الأستاذ نجيب محفوظ وأدبه ، فشهرته فى هذه البلاد تكاد تضاهى شهرة الكتاب الإسرائيليين أنفسهم وشخصيته ومواقفه الإنسانية والسياسية المشرفة معروفة للجماهير العريضة من خلال المقابلات التليفزيونية والصحفية التى كانت منذ حلول السلام بين مصر وإسرائيل وربما قبل ذلك أيضاً ، ولكن شهرة نجيب محفوظ فى أوساط القراء الإسرائيليين تنبع فى المقام الأول من ترجمة الكثير من رواياته وأقاصيصه إلى العبرية فى السنوات التى سبقت منح جائزة نوبل

وتتبع أيضاً من اهتمام الباحثين والنقاد بإنتاجه الأدبى بأصله العربى أو بترجمته العبرية .

ويمتد تاريخ الاهتمام بإنتاج الأدب المصرى أربعة عقود تقريباً إذ نجد إحدى أقاصيصه وعنوانها " فتوة العطوف " مترجمة إلى العبرية ضمن مجموعة من القصص المصرية اختارها وقدم لها الدكتور إسحق شمشون المحاضر فى الجامعة العبرية آنذاك وترجمها باروخ موران ، وقد صدرت هذه المجموعة وعنوانها (" كفيفا مصريت " أى " سلة مصرية " فى تل أبيب عام 1954 عن دار النشر " نيومان " أى : قبل صدور ثلاثية " بين القصرين " التى نشرت فى مصر عام 1956 والتى احتل نجيب محفوظ حال صدورها مكانته المرموقة كأهم روائى عربى) – والباحث فى المجلات والصحف الأدبية العبرية بعد هذا التاريخ يجد عدداً لا يستهان به من الأقاصيص والمقاطع الروائية لكتابنا ، ولكن البداية الحقيقية لاهتمام القراء الإسرائيليين بإبداع الروائى المصرى حصلت فى أواخر الستينات عندما نشرت دار " عام عوفيد " ضمن سلسلة " كتب الشعب " الجماهيرية ترجمة لرواية " زقاق المدق " قام بها اسحق شرايبر ، وقد أعيد طبع هذه الترجمة مراراً ، ورغم أن الرواية تمثل إنتاج نجيب محفوظ فى أطواره الأولى فقد فتن الألوف من قراء العبرية بشخصياتهم الشعبية الصميمة من أمثال حميدة وعباس الحلو والشيخ درويش ، كما أعجبوا باللوحات الحياتية النابضة وبالتفاعل الديناميكى بين قاطنى الزقاق البسطاء من ناحية والأحداث المصيرية التى كانت تحدث فى مصر إبان الحرب العالمية الثانية.

ثم يستطرد قائلاً : وفى العام التالى أى سنة 1970 صدر عن دار " سفريات بوعليم " مكتبة العمال " كتاب يتضمن ترجمة لرواية " " اللص والكلاب " قام بها مناحم كابليوك وهو من أنشط الكتاب الذين اهتموا بترجمة الأدب العربى الحديث إلى العبرية وكان فى الماضى قد ترجم كتاب " الأيام " للدكتور طه حسين و" يوميات نائب فى الأرياف " لتوفيق الحكيم وغيرهما من النتاج الأدبى

والفكرى وأرفق كابليوك بالرواية المذكورة ترجمة لخمس قصص قصيرة للمؤلف اختارها من مجموعتى " دنيا الله " و" بيت سيئ السمعة " ، والمعروف أن رواية " اللص والكلاب " التى صدرت عن مصر عام 1961 ، بشرت بالتحول الهام الذى طرأ على أدب نجيب محفوظ من الواقعية الاجتماعية إلى طرائق الرواية الحديثة إذ أخذ يستخدم التكنيك المعاصر بما فى ذلك أسلوب تيار الوعى والمونتاج ورواية الأدراج .. إلخ. والكتاب يقدم إلى ذلك نموذجاً ممتازاً للعناصر الصوفية التى بدأ محفوظ يوظفها ثيماتيكيا ومبنويا عن طراز جديد،ويتجلى ذلك بشكل خاص فى قصة "زعبلاوى" التى تضمنتها مجموعة كابليوك .والظاهر أن الروايات القصيرة التى تلت " اللص والكلاب " قد لقيت استحساناً ملحوظاً من جانب المترجمين والقراء فى إسرائيل إذ ترجم منها ما يلى :

الرواية	المترجم	الناشر	تاريخ نشر الترجمة
الشحاذ (1965)	حانيتا براند	بابيروس	1978
ثرثرة فوق النيل (1966)	ميخال سيلع	كيتر	1982
ميرامار (1967)	اسحق شنيباوم	تموز	1983

ولا يسعنا فى هذه العجالة استعراض ما ترجم من نتائج الروائى المصرى من قصص وروايات ومقاطع لذا نكتفى بالإشارة إلى رواية "الحب تحت المطر" وقصة " شهر العسل " وقد قام بالترجمتين يؤاف جفعانى، وإلى رواية " أولاد حارتنا " التى ترجمها دافيد سجيف ونشرتها دار " عام عوفيد " مؤخراً .

وفى موضع آخر يقول سوميخ : (وقبل الانتقال من المترجمين إلى النقاد والباحثين يتوجب علينا أن ننوه بأهم الترجمات وأوسعها تأثيراً فى أوساط القراء الإسرائيليين ، ألا وهى ترجمة ثلاثية نجيب محفوظ وهى رواية الأجيال التى يعتبرها النقاد أروع ما أنتجه الأديب بل أهم أثر روائى فى الأدب العربى

الحديث لقد ترجمت هذه الرواية بكامل نصها قبل فوز كاتبها بالجائزة بسنوات ، على النحو التالى :

الجزء	سنة الصدور	العنوان العربى	العنوان العبرى	سنة صدور الترجمة
الأول	1956	بين القصرين	بيت فى القاهرة	1982
الثانى	1957	قصر الشوق	كمال	1984
الثالث	1957	السكرية	الجيل الثالث	1986

ومترجم الثلاثية هو الروائى الإسرائيلى المعروف سامى ميخائيل الذى كرس لها سنوات عديدة ويبلغ حجم الترجمة 950 صفحة من القطع الكبير وقد صدرت ضمن سلسلة "روائع الأدب العالمى" واستقبل صدور كل جزء من أجزائها بعدد كبير من التعليقات والدراسات النقدية فى أغلب الصحف والمجلات الأدبية ، حلل فيها النقاد من متخصصين بالأدب العربى وغيرهم شخصيات الرواية وخلفياتها الاجتماعية والفكرية وعناصر الفن الروائى واللغوى فيها).

ثم يؤكد سوميخ فى بحثه على عدة أمور هامة وهى وفقاً لقوله : (أما باحثو الأدب العربى فى الجامعات الإسرائيلية فيبدون اهتماماً فائقاً بدراسة أدب نجيب محفوظ وتدريسه فى معاهدهم بل إنك تجد أكثر من جيل واحد من باحثى أدب نجيب محفوظ فى هذه المعاهد ، وقد كتب أول دكتوراه خصصت لدراسة أدب نجيب محفوظ باحث إسرائيلى قدمها إلى جامعة أكسفورد عام 1968 وكذلك يقول سوميخ : صدر كتابان كاملان لباحثين من جامعة تل أبيب تناولا جوانب مختلفة من أدب الكاتب بالإنجليزية وهما حتى يومنا هذا الكتابان الوحيدان فى هذا الموضوع باللغات الأوروبية : أولهما كتاب " الإيقاع المتغير دراسة لروايات نجيب محفوظ " نشرته دار "بريل" الهولندية عام 1973 لكاتب هذه السطور سوميخ ، والثانى كتاب " لى دين " مؤلفات نجيب محفوظ الأدبية للدكتور ماتتيا

هوبيليد ، نشرته دار " ترانساكشن " فى الولايات المتحدة عام 1980 وممن يجدر ذكرهم من الباحثين الأستاذ مناحم ميلسون " الجامعة العبرية " وقد نشر العديد من المباحث فى المجلات الإسرائيلية والأجنبية منذ أواسط الستينات والدكتور محمود غنايم " جامعة تل أبيب " وقد أفرد لنجيب محفوظ جزءاً كبيراً من أطروحته حول تطور أسلوب تيار الشعور فى الأدب العربى الحديث ، وسينشر هذا البحث قريباً .

* وبعد ذلك يكشف البحث عن حقائق هامة فى نهايته ، وهى أن الدارسين الإسرائيليين قد انتهجوا مناهج شتى فى أبحاثهم هذه ، فمنهم من اتجه إلى مسح أدب كاتبنا واستقراء أهم التطورات التى طرأت عليه خلال مساراته الأدبية ، ومنهم من اهتم بمضامينه الروحية والاجتماعية والسياسية ، ومنهم من حاول إلقاء الأضواء على تكنيكه الأدبى وأسلوبه ولغته ، ولكن جميعهم ركز على أهمية إبراز الولاء السياسى لفكرة السلام مع إسرائيل وموافقته الكاملة على بقاء الكيان الصهيونى فى الأرض الفلسطينية المقدسة وعدم جدوى الحرب مع أبناء العم من اليهود !! هكذا يفهم الصهاينة وعلماء المركز الأكاديمى نجيب محفوظ وهكذا يتعاملون معه ومعنا !! .

* نجيب محفوظ .. فى عيد ميلاده الثمانين

ولم تنس النشرة الداخلية السرية للمركز الأكاديمى ، أن تحيى الرجل الذى تحبه وتقول : إنه يؤازرها فى السياسة من خلال الأدب الذى يكتبه ، وهو " نجيب محفوظ " ، وذلك فى ذكرى عيد ميلاده الثمانين ، وكانت التحية من المدعو ساسون سوميخ – أيضاً – وجاء فيها : بخبث وادعاء عاطفى ما يلى: صادف يوم 11 ديسمبر 1991 عيد الميلاد الثمانين للروائى المصرى العظيم نجيب محفوظ ، وكان نجيب محفوظ قد تلقى منذ ثلاثة أعوام جائزة نوبل العالمية للآداب . وقد كانت جائزة عادلة لموهبة أدبية كبرى ، لقد كانت موهبة نجيب محفوظ موهبة صقلت على مدار خمسين عاماً من العمل الدائب والبحث

المستمر عن الأشكال الجديدة والأساليب المبتكرة والتقنيات التى تحمل بإتقان رسالته الأدبية الفريدة .

ويعكس محفوظ الحياة فى القاهرة ، مدينته المحبوبة المفضلة بلغة روائية قصصية هى فى الأساس لغة محلية رصينة صميمة قصد بها مخاطبة المصريين المحليين إلا أنها لصدقها تحولت فصارت لغة عالمية ذات تعبير واسع النطاق .

فلا غرو أن كانت طموحات وآمال وخلجات أنفس المصريين فى عالم قاهرة اليوم قد وصفت على أحسن ما يكون وأبرع ما يمكن فى روايته الرائعة " بين القصرين " والتى هى عبارة عن ثلاثة نشرت أول ما نشرت فى الفترة الواقعة بين عامى 1956 – 1957 .

وفى نفس الوقت ، نجد أن الإنتاج الأدبى العظيم للمؤلف نجيب محفوظ وهو حوالى 35 رواية و14 مجموعة قصصية تعبر عن ركوب النفس وآلامها ومتاعبها الروحية والنفسية مثل تلك التى أصابت بطل روايته " الزعبلاوى " والتى نشرت عام 1961 و" الشحاذ " المنشورة عام 1965 .

إن مصر لها مطلق الحق والحرية فى أن تفخر كل الفخر والزهو والخيلاء بمؤلفها الروائى الحديث نجيب محفوظ ، الذى استطاع أن يصل عن طريق تواضعه وإخلاصه وتكريسه للعمل وحب الإنتاج والفن إلى المرتبة الكبرى والمنزلة العظمى والمكانة الرفيعة بين رجال الأدب المعاصر فى العالم قاطبة . إنه داعية السلام والمقاومة للعقليات الدينية والقومية الضيقة الأفق) توقيع : ساسون سوميخ .

ولا يخفى فى كل هذا الكلام (لسوميخ) محاولة تشويه نجيب محفوظ من خلال ادعاء محبته وتقديره ، خاصة عندما يأتى من قتلة ومحتلين لأراضى وحقوق الغير وممارسين عليهم أبشع قيم الكراهية تلك التى نبذها(محفوظ) فى كل

رواياتـه وأعمالـه العظيمة..إنـه تشـويه متعمـد مـن عـدو لئـيم يعلـم قيمـة الرجـل ومنزلته لدى شعبه وبلده!!{وسوف نفصل فى البند رقم 6 من هذا الفصل} .

***

(4) المركز وعلاقاته بالمثقفين

* فـى عـام 1989 وتحديـداً فـى صـيف ذلـك العـام ، زار المركـز الأكـاديمى الإسـرائيلى عـدد مـن رجـال الموسـاد الإسـرائيلى ، وجلسـوا لمـدة ثلاثـة أسـابيع يتدارسـون تجربـة المركـز ، وكيفيـة تطويرهـا باتجـاه خدمـة قضـايا التطبيـع مـع المجتمـع المصـرى ومحاولـة تسـويق نمـوذج التطبيـع معـه ، إلـى بـاقى البلـدان العربيـة ، وتمخضـت هذه الجلسة عن العديد من الأمور كان أبرزها تولى أحد رجـالاتهم مـن المتخصصـين فـى البحث العلمـى مسئولية إدارة المركـز ، والـذى نجح إلى حد بعيد فى تنفيذ ما وضعوه من خطط وسياسات ، إنـه البروفيسـور/ يوسـف جينـات ، فقـد تـولى الإدارة فـى سـبتمبر 1989 ، وتمكـن مـن خـلال تسـهيلات وعلاقـات السـفارة الإسـرائيلية والمستشـارية الثقافيـة بهـا ، وكـذلك مـن خلال الجالية اليهودية بمصر واتصالاتهم جميعاً ببعض كبار المسؤولين وعلـى رأسهم يوسف والى وزير الزراعة المصرى ، استطاع " يوسف جينات" أن يجند العملاء والأصدقاء من الأكاديميين ودارسـى اللغة العبريـة والمترجمين من هيئة الرقابة على المطبوعات فى مصر ومن مكتب صفوت الشريف وزير الإعلام ، وكـان من أبـرز أصدقاء "جينات" والذين كانوا يتزاورون معه فـى مكتبه ومنزلـه الدكتور / عبدالعظيم رمضان (الذى كان يطلق على نفسه لفظ المؤرخ ولا ندرى السـبب فـى ذلـك رغـم محدوديـة إنتاجـه العلمـى فـى التـاريخ) والـدكتور/ محمـد شـعلان (الأكثـر شـهرة فـى مجـال الحـب للصـهاينة أكثـر مـن الطـب النفسـى المفترض أنـه يعمل بـه) وأيضـاً مستشار فى نيابة أمن الدولـة العليا عرف عنـه الهجوم علـى " الإسلام السياسـى " والتعاون المشبوه مـع جامعـات غربيـة وعربيـة معادية للإسلام وبعض مراكز البحوث السياسية بجامعة القاهرة والراحل لطفى

الخولى الصحفى بالأهرام اليسارى سابقاً وعبد الستار الطويلة ،وغيرهم ممن سيرد ذكرهم فى الفصول القادمة .

***

<u>* مكتبة لاستبطان العقل اليهودى</u>

يقول مدير المركز السابق (أشرعوفاديا) فى افتتاحية العدد رقم (12) " يوليو 1989 " من النشرة السرية الداخلية للمركز ، راوياً أحد الأدوار الخفية للمركز فى مصر ، وهو دور إنشاء مكتبة موسعة لجمع التراث اليهودى فى مصر بما يخدم رسالة الدولة العبرية الثقافية القائمة على قبولها داخل النسيج العربى – الإسلامى يقول " أشرعوفاديا " : (أقام المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة بالتعاون مع الجالية اليهودية عام 1982 وبموافقة الهيئة المصرية العامة للآثار مكتبة التراث اليهودى فى مصر ،وتم افتتاح المكتبة رسمياً فى 24 يناير 1989.

وقد بدأ البروفيسور شيمون شامير إدارة المشروع كأول مدير له فى نهاية 1982 ، كان يشغل وقتها منصب سفير إسرائيل فى مصر ، أتم تنفيذ المشروع البروفيسور جابرييل واربورغ ، الأستاذ بجامعة حيفا ، ويعد ثانى مدير للمشروع) .

وحينما توليت منصبى كثالث مدير للمركز فى مصر سنة 1987 واصلت العمل فى مشروع مكتبة التراث اليهودى فى مصر ، وهو المشروع الذى نفذ بالتعاون الوثيق مع يوسف دانا ، زعيم الجالية اليهودية فى القاهرة من 1982 إلى 1988.

ثم يقول فى موضع آخر : (لقد كان مثيراً لى أن أستمر فى تنفيذ هذا المشروع الذى يعتبر مشروعاً عظيماً وأن أراه وهو يكتمل أمام عينى ، ولكن لم يسعدنى الحظ أن أرى نهايته ، وستشكل هذه المكتبة الأساس لمشروع واسع النطاق من حيث التأثير والذى بدأ بهدف تخليد ماضى وعظمة المجتمع اليهودى فى

مصر) وفى موضع ثان يقول عوفاديا : (وقد كان هدف المشروع هو جمع حوالى 25000 كتاب من معابد اليهود فى القاهرة ، والذى كان معظمها فى حالة رديئة من الحفظ وبذلت مجهودات غير عادية لإنقاذها ، وحتى هذه الساعة تم تصنيف مجموعة تضم حوالى 9000 مجلد ، وتم عمل قوائم لها ورتبت طبقاً للموضوعات ، وتم تحويل قاعتها فى صالة ملحقة بمعبد " شعرهشامايم " بشارع عدلى فى القاهرة الذى يعتبر مقراً دائماً للمكتبة) . ويستطرد مدير المركز قائلاً : (ومن المقرر أن تشكل المكتبة أساساً قوياً وصلباً للبحث فى الديانة اليهودية وتراث الأدب الدينى عند اليهود، كما ستعتبر حجر الأساس الضرورى لتوثيق وحفظ التراث اليهودى فى مصر لخدمة رسالة دولتنا فى المنطقة العربية لمزيد من تعميمها ونشرها) ، وينتقل عوفاديا فى نواياه الخطيرة خطوة أخرى يقول فيها : (وتعد المكتبة ليس فحسب إضافة إلى التراث الروحى ليهود مصر ، ولكن أيضاً وهو ما نأمله أن تصبح بمثابة المنشأة نشيطة العمل التى تقدم خدماتها للعلماء والطلاب من أقسام اللغة العبرية والأدب العبرى فى الجامعات المصرية وأولئك الذين ينتمون إلى كافة أرجاء العالم من أجل دولتنا ورسالتها المقدسة). هكذا يفكر الصهاينة فى مصر .. وفى دورهم فيها ، ودور مركزهم الأكاديمى المشبوه .. وهو دور لا يحتاج إلى تعليق !!.

***

(5) نماذج من الأبحاث السرية للمركز

سنورد هنا نماذج من الأبحاث السرية للمركز خلال عام 1990/1989 والتى ألقيت بعد ذلك كمحاضرات داخل المركز سنورد نماذج لها هنا لإظهار حجم ونوعية الأدوار والأنشطة التى يلعبها هذا المركز المشبوه فى مصر ننشرها ملخصة تاركين التعليق للقارىء الفطن :

إيزيس المصرية

عنوان البحث (حول أهمية الآلهة إيزيس فى العالمين المصرى واليونانى الرومانى – وهو إعداد " أموراى ستارك " ويتناول هذا البحث شخصية الآلهة إيزيس ، ويتركز على مراحل تطورها من العصر الفرعونى واليونانى الرومانى من خلال استعراض المصادر الأدبية الرئيسة وذكر أساليب وصفها الفنية الأساسية ، وقد فصلّت فى سياق المقال مميزات شخصية الآلهة ومجالات مسئوليتها ، مع التركيز على ناحيتى المرونة والانفتاح فيها .

كما يقدم النموذج وصفاً مفصلاً للتطورات التوفيقية التى مرت على إيزيس فى العصر الفرعونى وخصوصاً فى العصر اليونانى – الرومانى والتى مهدت الطريق لجعلها الآلهة المصرية الأكثر أهمية فى العالم اليونانى الرومانى).

المسيح فى مصر

عنوان البحث (الموقع الذى مكثت فيه عائلة المسيح لدى لجوئها لمصر) وهو إعداد أشير عوفاديا وكارلا عوميز وسونيا موتسنيك " .

يقول البحث : (تأسست كنيسة دير العذراء فى مصر الوسطى كما هو معروف سنة 328م بأمر من الإمبراطورة هيلينا ، وفى الموقع الذى يعتقد أن عائلة السيد المسيح عاشت فيه خلال فترة لجوئها إلى مصر .

حفر القسم الأسفل من الكنيسة فى الصخر بما فى ذلك جزء من الأعمدة والمدخل المزين بالتماثيل وزينت كنيسة دير العذراء بالنقوش التى لا تعرف بوضوح مكانها الأصلى فقد أعيد توزيع هذه النقوش من جديد على ما يبدو خلال عمليات الترميم والتى أجريت فى سنة 1938 كما وضعت معظم النقوش البارزة فوق المدخل بشكل متناسق وبترتيب خاص ، ووضعت باقى النقوش على الأعمدة الكنسية وفى الطابق الثانى .

أغلب هذه النقوشات هى نباتات أو صور هندسية ، ولكنها تشتمل أيضاً على بعض الحيوانات "منها ما يحمل رمزاً دينياً نصرانياً مثل السمكة والطاووس".

من الجائز اعتبار الشخصيات السبع الموجودة على أحد الأفاريز أنها لقديسين أو رسل. وعلى إفريز آخر نرى شخصين يقطفان العنب وهذا موضوع له مكانته الرمزية فى الديانة المسيحية

طريقة الحفر المسطح تمكنا من تحديد تاريخ هذه النقوشات بين القرن الرابع والقرن السادس للميلاد .

السفارديم

عنوان البحث (التطورات التى مرت على طائفة السفارديم) وهو إعداد إبراهيم حاييم . ويقول ملخص البحث : تعامل الحكم العثمانى فى الديار المقدسة مع طائفة يهودية واحدة فقط هى طائفة السفارديم ، وحتى بعد انخفاض عدد أفراد هذه الطائفة منذ سنة 1870 استمرت الحالة على ما كانت عليه حتى الاحتلال البريطانى .

منذ بداية القرن العشرين نلاحظ تراجعاً فى مكانة طائفة السفارديم فى حياة السكان اليهود . فقد انخفض عدد أفرادها فى مقابل زيادة عدد أفراد الطائفة الإشكنازية التى ازدادت قوتها من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية أيضاً ، وقد ضعف الإطار التنظيمى لطائفة السفارديم وتكونت فيها إطارات مصنفة حسب الدول التى هاجر منها أبناء هذه الطائفة وأقامت هذه الإطارات مؤسسات مستقلة وأرادت الانفلات من نطاق طائفة السفارديم ، كما ضعفت قيادة هذه الطائفة ، وقد أدى التشدد على القيم العالمية فى البلاد إلى وضع المهام الوطنية والقومية فى المكانة الأولى ، وبذلك أصبحت الثقافة السائدة والعوامل المشتركة غربية ، واكتسب المجتمع الاستيطانى فى البلاد الطابع الدنيوى بينما انخفضت القوة النسبية للسفارديم واليهود الشرقيين فى هذا المجتمع ، وهكذا تحولوا إلى قوة هامشية فى النظام السياسى فى البلاد ، ولكنهم كجمهور ناخبين شكلوا مجمع أصوات لأولئك الذين أرادوا الوصول للحكم ، هكذا قوى اعتمادهم على إحسان المنظمات الحزبية) .

وثائق الجنيزة

عنوان البحث : (وثائق الجنيزة القاهرية فى مكتبة جامعة كمبريدج) وهو من إعداد : اسطفان رايف .

يقول ملخصه العام : تراكمت فى العصور الوسطى ، نتيجة لظروف خاصة مجموعة من الوثائق فى الجنيزة (وهى غرفة الخزن – فى الكنيس اليهودى خصصت لجمع الكتب الدينية التى تلفت لسبب ما وكذلك وثائق دينية أخرى) التابعة لكنيس ابن عزرا فى القاهرة . وهى الآن محفوظة حيث تجرى دراستها والبحث فيها .

نتيجة للجهود المشتركة للسيدتين أجنيس لويس ومارغريت غبسون من اسكتلندا ، اللتين لفتتا الانتباه لوجود هذه المجموعة ، وللدكتور شارل تايلور مدير كلية سانت جونز وللدكتور سولومون شختر الباحث فى التلمود تم ترتيب زيارة قام بها الدكتور شختر للقاهرة سنة 1897 (وفى أعقاب ذلك قدم حاخام القاهرة والطائفة اليهودية فيها لجامعة كمبريدج حوالى 140000 وثيقة ، فى السنوات الأولى درس أقل من ثلث هذه الوثائق ولكن خلال العقود الثلاثة الأخيرة بدأت دراسة منظمة لهذه الوثائق ، التى كتبت معظمها باللغة العبرية الآرامية وكان لها أثر كبير على كل نواحى الدراسات العبرية فى العصور الوسطى وعلى الدراسات اليهودية فى مواضيع متشعبة مثل الجدل الدينى وتفسير التوراة والطقوس الدينية والنصوص القانونية والرسائل والمواد الطبية والموسيقى والفنون) .

توفيق الحكيم

عنوان البحث (توفيق الحكيم والثقافة الغربية) وهو من إعداد دافيد صميح ، يحاول المؤلف فى بحثه أن يستعرض آراء توفيق الحكيم تجاه الثقافة الغربية فى الماضى والحاضر ، وبعد أن يقوم بتحليل هذه الآراء ودراستها عن كثب يقول : (إنها قد تبدو لأول وهلة وكأنها مليئة بالتناقضات التى تدل على موقف

للحكيم يسوده التردد وعدم التبلور ولكنها فى حقيقة الأمر تعكس موقفاً إيجابياً فـى أساسـه تجـاه ثقافـة الغـرب ، ولقد كـان الحكـيم ذا إيمـان راسـخ بـأن الشـرق العربـى ، بمـا فيـه مصـر ، مـن حقـه أن يتمسك بهويتـه المتميـزة ويحـرص علـى ثقافته العريقة ، ولكنه فى الوقت ذاته لا يمكن أن يقيم حولـه سياجاً يحـول دون الانفتاح إزاء الثقافة الغربية السائدة والانتفاع بما تتيحه من انجازات لابد منها فى الحياة العصرية ، وما تنطوى عليه من قيم معنوية من شأنها أن تزود أدب العرب وثقافتها بعناصر لا يمكن الاستغناء عنها ويكشف البحث عن علاقات الحكيم بالباحثين الإسرائيليين ودوره فى دعم التطبيع الثقافى .

القصة المصرية

عنوان البحث (الأدب القصصـى فـى مصـر) وهو من إعداد : الـدكتور عـامى العاد ، يتناول هذا البحث الأدب القصصـى فـى مصـر منذ أواخر القرن التاسع عشر حتـى يومنـا هذا ، ويرى الباحث أن تطـور الأدب القصصـى فـى مصـر يعتبر تطوراً لـلأدب القصصـى العربـى وأن البحث حول الأدب القصصـى يدور حول نوعين رئيسين هنا : القصة والرواية .

ويقول الدكتور العاد : (إن الأدب القصصـى فـى مصـر قد مر بخمس مراحل منذ عام 1870 وحتى الآن ، ولعل المرحلة الثالثة أهم هذه المراحل التى كانت فى الستينيات إذ يتضح فيها تطور هام فى مواضيع الكتابة " التيمات " فيميزها تحول اهتمام الكاتب من السلطة أو من المجتمع إلى الإنسان نفسه الذى يصبح محور الكتابات القصصية ، أما الأساليب ومبنى النص فنرى أن بعض الكتاب المصريين يجهرون بأسلوب الواقعيـة الاشـتراكية خاصـة ، فـى حين يسـتعملون أنواعـاً مختلفـة مـن أسـاليب الكتابـة مثـل : السـريالية والسـيكولوجية والمونتـاج وكذلك يزداد استعمال " تيار الوعى ").

سرقة الفلكلور

بإشارة موجزة إلى أبحاث المركز فى نهايات عام 1990 بعدما تولى "يوسف جينات " رئاسة المركز نكتشف جوانب الرسالة التى حاول المركز أن يقوم بها خلال تلك المرحلة المهمة من تاريخه وهى رسالة التطبيع الثقافى على أوسع نطاق ففى بحث للبروفيسور/ عليزة شنهار وهى أستاذ بالجامعة الإسرائيلية بعنوان : (فولكلور يهودى فى مصر) تقول : (فى أرشيف القصص الشعبى فى إسرائيل أكثر من سبعة عشر ألف قصة شعبية منها مائتان وإحدى وسبعين قصة رواها فى إسرائيل يهود قدموا من مصر) .

وكنموذج لقصص يهود مصر تناولت قصة تسير على نمط قصص " الفتاة مقطوعة اليدين " هذه القصة العالمية التى تغيرت ، كما يبدو ، بتأثير الشرق وتقاليد ألف ليلة وليلة ، تختلف عندما تروى فى مجتمع يهودى .

يتناول البحث الطرق الفنية لبلورة القصة المصرية – اليهودية والتغييرات التى حصلت فى هذا النوع الأدبى ، فنحن لا نجد حادثة سحرية ، بل قصة لها إطار دينى تعليمى ، فى مركزها حدث إيجابى أو سلبى حسب المعايير الاجتماعية المألوفة ، ينتج عنه عقاب أو ثواب من السماء "النبى إيليا" ، ويؤكد البحث على أهمية التطبيع فى مجال الفلكلور خدمة لإسرائيل.

يهود مصر وإسرائيل بعد الطرد

وفى بحث بعنوان (عن الجوانب الاقتصادية للعلاقات بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل بعد الطرد من أسبانيا) إعداد ديافراهام دافيين ، من جامعة القدس يقول بحثه : (تعكس المصادر اليهودية بطرق مختلفة ، العلاقات التى كانت قائمة بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل فقد كان القطران واقعين لفترة طويلة تحت حكم سياسى واحد ، وفى فترة حكم المماليك ازداد ارتباط أرض إسرائيل السياسى والاقتصادى بمصر ، نتيجة لوجود الحكم المركزى فيها .

يتضح من المصادر اليهودية المختلفة التى عثر عليها فى الجنيزة أن علاقات تجارية واسعة كانت تربط بين البلدين ، براً وبحراً ، فقد مرت التجارة البرية عبر غزة ، لذلك كان طبيعياً أن يسكنها التجار اليهود ، أما التجارة البحرية فقد مرت عبر ميناء حيفا أو ميناء عكا .

لم تتأثر هذه العلاقات بعد احتلال العثمانيين لمصر سنة 1516م وانتقال مركز الحكم منها إلى دمشق فقد كان لمصر موقع خاص فى التجارة العالمية بين أوروبا والشرق ، وموقع مهم فى تجارة الشرق الداخلية ، لذا نجد أن سكان صفد اليهود حافظوا على علاقاتهم مع يهود مصر التجارية منها بشكل خاص .

نقل التجار اليهود إلى مصر المنسوجات والتوابل والأعشاب التى أنتجت فى صفد لأغراض التداوى ، والصابون الذى صنع فى القدس ونابلس وجلبوا من هناك الأرز والحبوب والمواد الغذائية المختلفة .

وقد طلب يهود أرض إسرائيل من يهود مصر مساعدتهم تنظيماً ومادياً ، وتشير الوثائق المختلفة إلى اضطلاع يهود مصر بهذه المسؤولية وخاصة تقديم مساعدات عاجلة ليهود البلاد فى أوقات الشدة ، وتقديم مساعدات كبيرة للمحتاجين ، وقد فرض يهود مصر على التجار القادمين إلى بلادهم دفع ضريبة معينة من أجل فقراء القدس) .

ويختم الباحث قوله : (ويستطيع كل من يطلع على المجموعة الكبيرة من الرسائل الخاصة والعامة التى تبودلت بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر معرفة مدى العلاقة التى كانت قائمة بين الطائفتين ، والكثير عن واقع الحياة اليهودية فى البلدين) .

نقابات العمال اليهود

وتركزت أبحاث المركز على " العمال " ونقاباتهم وحاولت أن تسوق للعرب وللمصريين نماذج غير صحيحة عن النشاط النقابى اليهودى فى فلسطين..

وعليه جاء هذا البحث ، المعنون بـ (نقابات العمال اليهود فى فلسطين أصولها ومميزاتها) ، إعداد دكتور / يعقوب جولدشتاين الأستاذ بالجامعة العبرية الذى يقول فى بحثه : (يتناول البحث فى تاريخ الحركة العمالية اليهودية فى فلسطين، جذورها الفكرية وما يميزها عن الحركات العمالية الأخرى فى أوروبا حيث عاش مؤسسها قبل هجرتهم .

كان على الشعب اليهودى – فى خلال حياته فى المهجر – أن يترك العمل اليدوى عامة ، وفلاحة الأرض بشكل خاص ، لذا تحول يهود أوروبا إلى أحد مركبات الطبقة الوسطى فى المدن . فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وبتأثير حركة " الاستنارة " الأوروبية ، روجته حركة " الثقافة " اليهودية للفكرة القائلة بأن على اليهود أن يتحولوا من صناعات الطبقة الوسطى والتجارة إلى العمل اليدوى عامة والزراعة خاصة وقد انتقلت هذه الفكرة إلى حركة "الاستنارة فى أوروبا الشرقية " ومنها إلى حركة " محبى صهيون " والصهيونية) .

ويزعم المؤلف أنه قد تبنت الحركة العمالية اليهودية فى فلسطين ، والتى تأسست فى أثناء الهجرة الثانية (1904 – 1914) هذه المثل وحولتها إلى مفاهيم عقائدية – تربوية .

العمارة الإسلامية

واستطاع " يوسف جينات " تجنيد عدد من الباحثين المصريين للعمل فى المركز ولتقديم المعلومات المجانية عن عمارتنا وتراثنا الإسلامى ، ومنهم باحث يدعى " منير محمود " علمنا فيما بعد أنه يعمل فى إطار السياحة ومعد برامج بالإذاعة المصرية ، وباحث آخر يدعى "محمد إسماعيل المصرى" وثالث يدعى " النبوى جبرا سراج " من هيئة الآثار المصرية وهى أسماء نكرة لباحثين قليلى الخبرة والقيمة والاحترام لوطنهم ولتراثه الذى يبيعونه ببضعة دولارات " أو شيكلات " بمعنى أصح ، لهذا المركز المشبوه ، وعندما يحاول البعض تنبيههم سيقولون حتماً : (نحن نريد أن ننشر حضارتنا عند خصومنا !!) نعم : (إذ لم

تستح فاصنع ما شئت) ولنتأمل بحثاً لأحدهم ألقاه كمحاضرة عام 1990 ونشر فـى النشـرة الداخليـة للمركـز ويحمـل عنـوان (مـن عمارتنـا الإسـلامية ، مسـجد الرفـاعى بميدان القلعـة) وهو للمدعو / منير محمود ، والذى تطوع فيه بذكر بيانات هامة لليهود عن حضارتنا وتطوع فى التطبيع الفردى مع يوسف جينات – رجـل الموسـاد الشـهير ، لنتأمـل مـا قالـه الباحـث المصـرى : (يعتبـر مسـجد الرفـاعى قلعـة إسـلامية تطـاول مدرسـة السـلطان حسـن ويقـع أمامهـا ، وهمـا يناهضان القلعة سمواً وارتفاعاً وكلاهما يظهر عظمة البناء والعمارة الإسلامية .

كان بموقع المسجد قبل إنشائه مسجد فاخر ، عرف بمسجد الذخيرة الذى أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى سنة 516 هجريـة ، وكـان هنـاك أيضـاً زاويـة عرفـت بالزاويـة البيضـاء وزاويـة الرفـاعى اشتملت على قبور الشيخ على بن أبى شباك والشيخ يحيى الأنصارى وغيرهما .

وفـى سـنة 1286 هجريـة – 1869م ، أمـرت المرحومـة خيوشـار هـانم والـدة الخديوى إسماعيل بتجديد زاوية الرفاعى فاشترت الأماكن المجاورة لها وهدمتها وعهدت إلى المرحوم حسين باشا فهمى وكيل الأوقاف ببناء مسجد كبير تلحق بـه مـدافن لهـا ولأسـرتها وقبتـان للشـيخ علـى بـن أبـى شـباك والشـيخ يحيـى الأنصارى ، واستمر العمل فى بنائه حتى ارتفع عن وجه الأرض نحو مترين ، وفى نفس الوقت كان العمل سائراً فى أعمال النجارة والأبسطة اللازمة للمسجد. وفى حوالى سنة 1298 هجرية – 1880 أوقفت العمارة ثم توفيت المنشئة سنة 1303هـ – 1880 ، وظـل العمـل موقوفـاً حتـى سـنة 1905 حيـث اسـتؤنفت العمـارة وكملت بمباشـرة هرتس باشـا باشـمهندس الآثـار العربيـة وقتئذ ، فـانتفع بالـذهب الـذى كـان مستورداً مـن أسـتانبول ، وبالنجـارة التـى عملـت وبالكتابـات التـى أعدها الخطـاط المشـهور عبدالله زهدى ، وقد أتم باقيها الشيخ مصطفى

الحيرى الخطاط) ، وقام الباحث بشرح تاريخى وتفصيلى لمسجد الرفاعى بالقلعة ثم قدم لهم صوراً نادرة عن العمارة الإسلامية نشر بعضها فى النشرة الداخلية للمركز المشبوه ، الذى ننبه باحثينا وبخاصة الصغار منهم أو الضعاف معنوياً ، من الذهاب إليه أو التعامل معه تحت أى مسمى لأن هذا المركز مقدمة أكاديمية ورأس حربة لأجهزة الموساد الإسرائيلى الذين هم أعداء الوطن ، وللإسلام ، عمارة ، وبشراً ، وعقيدة !! .

وامتداداً لرسالة المركز المشبوه ألقيت محاضرة بأحد سيمناراته عن " كوميديا مسرحية " ألقاها البروفيسور " يعقوب . م . لاندو " وهو أستاذ العلوم السياسية فى جامعة القدس العبرية وصديق لبعض أساتذة العلوم السياسية فى جامعة القاهرة ، ومن أعز أصدقاء مدير أحد مراكز البحوث السياسية ولبعض الصحفيين المصريين قال فيها : (تعتبر الكوميديا الأسلوب الرئيس للعروض المسرحية فى مصر أثناء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويبدو هذا حقيقة واضحة للمسرحيات التى كتبت وقدمت بواسطة المصريين وربما كان هذا واحداً من الطرق القليلة لإبراز الضغوط الاقتصادية للحياة اليومية . ومثال لهؤلاء الكتاب المسرحيين اليهودى يعقوب صنوع الذى امتاز بشخصيته السياسية) وركز الباحث الإسرائيلى على إنتاج اليهود ونشاطهم المسرحى متجاهلاً غيرهم الذى لم يشر إليهم إلا إشارات عامة مثل " أحمد الفار " وغيره قاصداً بهذا ، التقليل من قيمة الإبداع المسرحى المصرى والتضخيم من الأدب اليهودى المسرحى .

العلاقات العربية – اليهودية فى المستقبل

ومن بين أنشطة المركز والتى تضمنتها أبحاثه السرية (العلاقات العربية اليهودية فى إسرائيل وتعليم جيل قادم) وتحت العنوان السابق جاء بحث سرعان ما ألقى كمحاضرة مغلقة داخل المركز وهو من إعداد الباحث اليهودى " إلوف هارايفين " وهو من مواليد حيفا 1929 وتخرج من مدرسة لندن للاقتصاد

1948 وخدم فى أجهزة إسرائيلية كثيرة فى وزارة الخارجية الإسرائيلية من 1948 إلى 1975 وكان مديراً لمركز شيلوه لدراسات الشرق الأوسط فى جامعة تل أبيب من سنة 1976 إلى سنة 1977 .

وحصل على الزمالة من معهد " فان لير " بالقدس منذ سنة 1977 وهو مؤلف لكتب عديدة وجاء فى بحثه ومحاضراته راصداً لقضية العلاقات هذه من خلال المؤسسات التى سعت إليها على النحو التالى : يعد معهد " فان لير " فى القدس مؤسسة مستقلة وغير سياسية ومخصصة لتخفيض التوترات بين الطوائف المختلفة فى المجتمع اليهودى .

تتطلب أكثر هذه التطورات حرجاً وجود علاقات بين العرب والمواطنين اليهود فى إسرائيل وكذلك علاقات بين إسرائيل وجيرانها العرب ويعد هذا بالنسبة لليهود الإسرائيليين توتراً فى الحياة بين الحرب والسلام ، بين إدراك العرب كأعداء وبين إدراكهم كمواطنين وجيران مسالمين .

ويعد هذا بالنسبة للعرب الإسرائيليين توتراً بين الهوية الإسرائيلية وشخصيتهم العربية ويقول فى موضع آخر : وقد اشتمل معهد " فان لير " بالقدس على إصدارات تتعامل بصفة رئيسة مع مستوى أكاديمى وعقد المؤتمرات والسيمنارات وإصدار كتب عديدة وكذلك مسح للرأى العام فى العلاقات اليهودية ، وكنتائج لهذه النشاطات قرر معهد " فان لير " بالقدس أن يتحرك داخل حقل البحث العلمى ليساعد فى تطوير برنامج تعليمى واسع النطاق فى هذا الميدان . ويستطرد الباحث اليهودى رصده قائلاً : (ولأكثر من ثلاثين عاماً لم يوجد تقريباً برامج تعليمية تتعامل مع العلاقات اليهودية العربية وقد خاطب معهد فان لير بالقدس كبار المسئولين فى وزارة التعليم بهذا السؤال ، هل يحمل غياب مثل هذه البرامج رسالة ضمنية إلى المدرسين والتلاميذ بأن الموضوع غير مهم ؟ أو أنه ينبغى أن يحدث شيء ما ليخفف من غلواء الموقف ؟ ويواصل رصده قائلاً عن أهداف التعليم فى مجال العلاقات العربية اليهودية : إنه يخفف العداء

العربـى لليهـود وكـذلك أسـس وزيـر التعلـيم بعـد ذلـك لجنـة لدراسـة الموضـوع بالمشـاركة مـع " معهـد فـان ليـر " بالقدس حيـث كـان غرضـها وضـع خطـوط رئيسـة لسياسـة تعليميـة فـى هـذا الموضـوع الحـرج ، وقـد تبنـى هـذا الموضـوع المـدير العـام للـوزارة الـذى نشـر فـى النشـرة الإسـرائيلية " تعليمـات " فـى فبرايـر 1984 وكان وزير التعليم فى هذا الوقت هو زوفلن هامر وخرج من كل ذلك بأهمية (أن نعلم أبناءنا كراهية الأعداء الذين لا يحبون لنا البقاء هنا فى أرضنا) ، هكذا يسعى اليهود الصهاينة فى مجالات تثقيف جيل جديد يخترق العرب ويدرك طبيعة العلاقة معهم ومستقبلها ، فهل أعد العرب أيضاً أنفسهم لهذا المستقبل ؟! .

* القدس عاصمة أبدية لإسرائيل

* ومـن جملـة اهتمامـات (المركـز الأكـاديمى الإسـرائيلى) الكـائن علـى شـاطئ النيل فى مصر المحروسة البحث والمحاضرة العلنية وبفجاجة عن مدينة القدس والتأكيـد علـى يهوديتهـا وبقائهـا عاصـمة أبديـة لإسـرائيل ، ففـى بحـث ألقـى كمحاضرة فيما بعد بعنوان (القدس مدينـة أمام الهاويـة) للباحث اليهودى حاييم بعيـر والـذى ولـد فـى القـدس عـام 1945 وسـبق أن نشـر ديـوان شـعر عنوانـه "مباهج كل يوم" وروايتين عنوانهما " الريش وزمان القص " ، وهو يساهم أيضاً بكتابة عمود حول الثقافة والمجتمع للملحق الأسبوعى الخاص بصحيفة " دافار " اليومية التى تصدر من تل أبيب باللغة العبرية ، وجاء فى محاضرته الخبيثة ما يلى : (فى لقائى معكم هنا فى القاهرة فى قلب مصر التى تقع نفسها فى أعماق الوعى عند اليهود والعبرانيين ، أحب أن أقول لكم شيئاً عن المدينة التى ولـدت فيهـا ، تلـك المدينـة التـى فتحـت عينـى أول مـا فتحتهـا علـى عظمتهـا وشموخها ، ذلك العالم الجليل الذى عشته والذى صار بعد ذلك موضعاً لمعظم ما كتبت من أعمال أدبية تناولت بين طياتها وعيناتها مشاهد ومواقع ومآثر عن قـاهرة مصـر ، ثـم نجـده يقـول بـدهاء يهـودى مكشـوف: إلا أن مدينـة القـدس تختلـف عـن سـائر مـدن المعمـورة مـن حيـث أوجـه عديـدة بعضـها سـأحاول أن

أعالجـه باختطـاف وإيجـاز تمامـاً كمـا يفعـل الطـائر الـذى يهـبط سـطح المـاء ليغـوص فيهـا مقتنصـاً السـمكة ثـم سـرعان مـا يعـاود طيرانـه ثانيـة فـى أجـواء الفضاء لتمضى حياته بعد ذلك مراحل تلو مراحل على مرور الأيام والزمان . إن القدس مدينة معقدة مليئة بالتوترات والإرادات والتناقضات والكفاح والصراع ، ففى وقت مبكر تجد العمال الفلسطينيين متوجهين من المدينـة القديمـة صـوب المدينـة الجديـدة ينشـدون العمـل ثـم يعـودون لبيـوتهم مـع غـروب شـمس النهـار وكذلك تجد اليهـود الـدينيين الأصـوليين الـذين ينتقلـون مـن بيـوتهم فـى المدينـة اليهوديـة شـرقاً إلـى الحـائط الغربـى مسـلحين ، وبـين أولئـك وهـؤلاء يخـيم علـى المدينـة سماوات عديـدة تحتضـن تناقضـات كثيـرة تكمـن فـى صـدور سـاكنيها،إن القدس مدينـة أسطورة بكل المقاييس ، ولكنهـا ستبقى يهوديـة خالصـة وعاصـمة أبدية لإسرائيل لا يحق لأحد التنازل عنها إلا بالموت).

* العمارة الإسلامية والتحنيط الفرعونى

* وكمـا سـبق وأشـرنا اسـتعان المركـز المشـبوه هـذا بـبعض الفقـراء مـن البـاحثين المصـريين "فقـراء مـالاً.. وربمـا قيمـاً ووطنيـة " ليقـدموا لهـم معلومـات مصـحوبة بالصـور النـادرة عـن آثارنـا الإسـلامية والفرعونيـة لكـى يقرأهـا لـيس " العـرب أو المصـريون كمـا هـو مفتـرض " بـل الإسـرائيليون وبخاصـة الخبـراء فـى التجسـس من خلال فهم تاريخ الخصم وتراثه ومن هؤلاء الباحثين يأتى أحدهم ويدعى " منيـر محمـود " ليقـدم للمركـز المشـبوه بحثـين الأول معنـون بــ: (مـن عمارتنـا الإسلامية) مدرسة السلطان حسن ، ملئ بالأرقام والبيانات والصور وجاء فيه: السلطان حسن هو الملك الناصر حسن بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولد فى سنة 735هـ – 1334م وكان اسمه قحارى ولما ولى الملك غيره إلى اسم حسن ولى الملك فى 14 رمضان سنة 748هـ – ديسمبر 1347م. وعمره ثلاث عشرة سنة وأقصى عن الملك سنة 752هـ – 1351م وفى شهر شوال سنة 755 هـ – 1954 فى أكتوبر . ويقصى عن الملك سنة 752 – 1351م

، وفى شهر شوال سنة 755 – 1354م " فى أكتوبر " أعياد الناصر حسن إلى ملك مصر .

وفى سنة 762هـ – 1361م قبض عليه وكان هذا آخر العهد به ولم يعرف له قبر . وكان محل المدرسة قبل إنشائها قصران للأمير الطنبغا الماردانى والأمير يلبغا اليحياوى فأمر بهدمهما وأنشأ المسجد وقد بدأ البناء سنة 757هـ – 1356م.

وتعتبر مدرسة السلطان حسن درة العمارة الإسلامية ليس فى مصر فقط بل فى العالم الإسلامى بأسره وهذا ليس تقديراً شخصياً ولكنه تقدير مؤرخى وعلماء العمارة الإسلامية والفن الإسلامى إذ قال السلطان حسن بنفسه : إنه لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه) ويفصل الباحث المجهول "الفقير" بعد ذلك تراثنا المعمارى ويحلله ويرصده أمام علماء المركز المشبوه هذا ، والبحث الثانى معنون (من حضارتنا المصرية – عملية التحنيط عند المصريين القدماء وما يلازمها من طقوس دينية) ولاحظ هنا " نون الملكية والنسب " وكأن " الحضارة الإسلامية " و" الحضارة المصرية" هى حضارة المركز الأكاديمى الإسرائيلى وحضارة اليهود المعاصرين وأذنابهم من الباحثين المصريين وجاء فى البحث المذكور ما يلى: (لقد برع المصريون القدماء فى كثير من الفنون والآداب والعلوم المختلفة وذلك خلال أزهى فترات الحضارة المصرية القديمة وهى فترة الفراعنة أو فترة حكم الأسرات الفرعونية التى تبدأ من 3200 ق.م تقريباً وحتى عام 334 ق.م عند مجئ الإسكندر الأكبر إلى مصر لينهى بذلك فترة حكم الفراعنة من المصريين ويبدأ عصر آخر هو ما عرف فيما بعد بالفترة البطلمية وبعدها الفترة الرومانية).

(وترتبط أغلب العلوم التى نبغ فيها المصريون القدماء بالمعتقدات الدينية القوية لدى المصريين وخاصة فيما يتعلق بالحياة الأخرى أو الحياة الأبدية إذ كان

المصرى القديم مهتماً إلى درجة كبيرة بعملية الخلود ، ومن تلك العلوم التى كانت تخدم معتقدات المصريين الدينية علم الهندسة بالطبع وارتباطه بعلوم الحساب والفلك والطب والتشريح بالإضافة إلى علم الفن المعمارى المرتبط بفنون النحت والنقش وصناعة التماثيل والرسم وصناعة الألوان كل هذه العلوم التى نبغ فيها المصريون القدماء منذ آلاف السنين كانت تخدم معتقداتهم الدينية أما أهم وأكثر العلوم التى برع فيها المصريون وتفوقوا فيها على أنفسهم فيما يتعلق بمسألة الخلود فعملية التحنيط التى مازال جزء هام منها لغزاً لم يتم حله بعد وهو ما يتعلق بالنسب الخاصة بتركيبة المادة الحافظة للمومياء ، وقد تم التوصل إلى المواد المكونة لهذه التركيبة ، ولكن لم يتم الكشف بعد عن نسبة كل مادة إلى المواد الأخرى فى هذه التركيبة البارعة للمادة الحافظة) ويفصل الباحث بعد ذلك وعلى مدار عدة صفحات من النشرة السرية للمركز المشبوه تاريخ فن التحنيط المصرى وطقوسه ونسأل لماذا يهتم الصهاينة بذلك ؟ والإجابة التى لا إجابة سواها هى أنهم يريدون معرفتنا كعرب ومصريين جيداً ، والتاريخ هو أداة المعرفة الأولى وبعد المعرفة يأتى الاختراق والسيطرة : وكانت تلك هى مهمة المركز الأكاديمى الإسرائيلى خلال الفترة التالية لعام إنشائه 1982 حتى 2011 ؟!.

***

(6) اللغة كمدخل الاختراق

ويدرك الصهاينة أهمية اللغة كأداة للاختراق وكوعاء لذاكرة الشعوب ينبغى فهمه ، واستيعاباً لذلك اتجهت أبحاثهم إلى اللغويات وبخاصة اللغة العربية وحول أهمية اللغة جاء بحث معنون بـ(اللغة والتحول فى مفهوم الألفاظ) من إعداد شولاميت هارايفين وهى مؤلفة لـ12 كتاباً ، ترجم معظمها إلى تسع لغات وفى الفترة من 1989 – 1990 مؤلفة مقيمة فى جامعة القدس العبرية ، ولشولاميت هارايفين كثير من الأصدقاء فى مصر ، وهى زائرة مواظبة للمركز تبدأ بحثها

بالقول : إن كلمة " مدراش " وهى كلمة عبرية تدل على حدوث تغيير فى الإدراك ، حينما تنبع الحاجة إلى خلق " مدراش " جديد أى: إدراك فإن الحقيقة فى حد ذاتها تعنى فهماً وإدراكاً مختلفاً ، وكل لغة – عملاً بهذا المعيار – عبارة عن مدراش متجدد بذاته وباستمرار وليس فحسب فى اتجاه خلق معانى كلمات جديدة ولكن أيضاً فى كل ما يتعلق بالمعانى المتباينة المختلفة المنسوبة إلى الكلمات القائمة عن طريق إضافات الأجيال المتلاحقة.

إن اللغة لهى أكثر السجلات حساسية للتغيير فى الوجود إذ إن أبسط وأخف تغيير فى الإدراك يبدو من فوره ظاهراً فى الاستخدام اللغوى ، والمدخل الفلسفى للغة العبرية من الممكن أن يفيد حينئذ فى تفهم التحولات فى المعايير عن طريق تداول وتراكم الأجيال العديدة ، ثم تقول الباحثة : (أما فى الاستخدام العبرى الحديث ، فثمة كلمات عديدة عن الموت كل منها مستخدم استخداماً مختلفاً يفترق عن الآخر فى الصحافة من أجل الدلالة على أسلوب الممات ، فهناك الموت فى الحادثة والموت فى حلبة الموت أى الحروب والموت – نتيجة لوقوع مأساة أو كارثة طبيعية كالزلازل ، أو الموت موتاً طبيعياً .. إلخ .ولم يكن مثل هذا الفرق والتباين موجوداً فى العصور السالفة والأزمنة البائدة ويوضح تواجدها معياً "سوسيولوجيا / سيكولوجيا " أى : اجتماعياً نفسياً فى عالم إسرائيل هذه الأيام حيث يريد الشعب معرفة ما حدث بسرعة .

وهناك رموز حديثة أخرى متواجدة فى لغة الخطاب والحديث السياسى فكلمة " محرقة " أصلاً فى اللغة العبرية تعنى كمدراش فى حد ذاتها : " كارثة أنزلها الله بيديه وليس عملاً من أعمال البشر ينزلها أقوام بأقوام آخرين " وهكذا تشرح الباحثة مدلولات الألفاظ وأهمية اللغة فى العبرية فتخلص إلى " أهمية تطوير وتنمية علوم اللغة فى الكيان الصهيونى من أجل الإعداد الجيد للتعامل مع الأطراف الإسلامية والعربية المحيطة سواء سلماً أو حرباً **!!)** .

* <u>المعاجم وخطورتها</u>

واستكمالاً لدور اللغة وأهميتها اتجه المركز الأكاديمى إلى خطوة جديدة جريئة وهامة وهى تمويل إعادة إصدار قاموس عبرى – عربى إعداد / دافيد سجيف والذى قدم لهذا العمل الخطير الهادف إلى تعميق التطبيع الثقافى وتكريسه أكثر بين أوسع نطاق من الباحثين والمثقفين العرب ثم لزيادة الربط بين اللغتين والثقافتين "العربية والعبرية" ، بما يعنيه هذا الربط من خطورة على العقل العربى إذا اعتبرنا اللغة وعاء للذاكرة والقيم والحضارة ، ولنتأمل كلمات دافيد سجيف عن هذا العمل الخطير الذى أعده بالتمويل والتعاون مع المركز الأكاديمى وهى كلمات تولت نشرة المركز السرية الإشارة إليها فى عددها رقم 15 الصادر فى سبتمبر 1991 :

يتوجب على كل قاموس عبرى – عربى حديث وشامل أن يتضمن غزارة المفردات الحديثة والمستحدثة لهاتين اللغتين بالإضافة إلى المفردات القائمة من أجل الاستجابة إلى طلب المنتفعين به وهذا ما حاولت عمله فى " القاموس العبرى – العربى للغة العبرية المعاصرة " إلا أن بدايته كانت فى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات عندما كنت محرر أخبار شابا فى صوت إسرائيل باللغة العربية " دار الإذاعة الإسرائيلية فى ذلك الحين " كانت حتى تلك الفترة قواميس قليلة جداً تمتاز بالدقة والشمول باستثناء القاموس العربى – العبرى لمؤلفيه البروفيسور دافيد إيلون والبروفيسور بيساح شنعار إلا أن هذا القاموس جرى ترتيبه بصورة معكوسة أى عربى – عبرى وكان على محررى الأخبار الذين تلقوا الأخبار فى هيئة التحرير أن يقوموا بإعداد وتحرير وترجمة هذه الأخبار التى جاءتهم بالعبرية على وجه الخصوص فى ذلك الوقت فاضطروا إلى الاستعانة بقواميس قديمة عفا عليها الزمن مثل قاموس إبراهام المالح أو قاموس نسيم ملول " كان القاموس الثانى أكثر دقة ولكنه مختصر جداً " ، وكان الوضع من العسر بمكان بحيث أخذ محررو الأخبار زمام المبادرة وفتحوا كراساً لتسجيل كلمات ومصطلحات وتراكيب لغوية للاستعانة بها عند اقتضاء

الحاجة ولم يكن بمقدور هذا الكراس أن يضم أكثر من 300 – 400 كلمة أو تركيب لغوى ، فى نفس الوقت ظهرت "قائمة كلمات عبرية – عربية " تم انتقاؤها من قاموس إيلون – شعار بمبادرة تلاميذ البروفيسور موشى بيامنتا من قسم اللغة والأدب العربى تحت إشراف البروفيسور بيامنتا نفسه بإصدار مكتب المستشار للشؤون العربية فى ديوان رئيس الوزراء " 1960 " وبموافقة مؤلفى القاموس اللذين كتبا مقدمة قصيرة لهذه القائمة ، فى هذا الوضع الحرج أخذت زمام المبادرة وشرعت بإعداد بطاقات لكلمات جديدة وعلى غرار محاولة المرحوم إبراهام بن شوشان فى بداية طريقه ، عزمت بإذن الله على إصدار قاموس عبرى – عربى مختصر عام ويسير الاستعمال ، يشمل عدة آلاف من المفردات لمنفعة رجال الإعلام الذين يمارسون عملهم على وجه الخصوص بهاتين اللغتين إلا أن مجموعة البطاقات أخذت بالازدياد كلما ازداد تطور التقارير الصحفية فى وسائل الإعلام وبعد حرب الأيام الستة فى يونيو 1967 وفتح الحدود بين إسرائيل والمناطق : كانت قد تجمعت على مكتبى فى المنزل كمية كبيرة من بطاقات المفردات وكان البروفيسور بيامنتا على علم بذلك ؛ لأنه كان أستاذى فى الجامعة العبرية فضلاً عن صداقتى له ويبدو أنه كان هناك شعور لدى المسؤولين فى الجماعة العبرية فى القدس بضرورة إصدار قاموس عبرى – عربى بعد الانفتاح المفاجئ على عرب المناطق فاقترح البروفيسور بيامنتا على المرحوم البروفيسور جبرائيل بيرفحص إمكانية الاستعانة بمجموعة بطاقات الكلمات التى جمعتها ، فقامت لجنة من الخبراء برئاسة البروفيسور بير باستجوابى واختبار عملى المعجمى وطلب منى إعداد نموذج للقاموس يضم جميع الكليات الآتية المنشورة فى الوثائق تحت حرف K العبرى ، فاستجيب للطلب وتم توزيع نسخ على مدرسى اللغة العربية فى الجامعة فى ذلك الحين ، وخلال عدة أسابيع تقرر أن يقوم مشروع الترجمة الذى كان على ارتباط بالجامعة العبرية فى ذلك الحين بإصدار القاموس كاملاً

وتم تعيين البروفيسور ساسون سوميخ محرراً علمياً له فقام باختباره وأبدى ملاحظاته حول كافة الكلمات الآتية تحت حرف K ، غير أنه بعد مرور سنة عدل مشروع الترجمة عن إصدار قاموسى بالرغم من استمرار البروفيسور سوميخ فى عمله وذلك على ما يبدو بسبب صدور قاموس آخر أصغر حجماً من القاموس الذى أعددته إلا أننى ثابرت على العمل المعجمى ، وتوسيعه بتأن وتدقيقه مع إضافة كمية كبيرة من التعابير اللغوية ومستحدثات المجامع اللغوية والأمثال وكان منهج عملى جمع مواد القاموس من خلال قراءة نصوص بالعبرية والعربية ، ولم أشأ إدخال أى كلمة قاموسية دون أن يكون لها سند موثق أو دون مقارنتها مع أجود القواميس العبرية – عبرية والعربية– عربية والقواميس الثنائية اللغة مثل قاموس فيراولين ، وقد تم تسجيل وحفظ هذه المستندات الموثقة فى مجموعة هائلة من البطاقات ، وهكذا تم تعريف القاموس حسب التخطيط الجديد كقاموس عبرى – عربى شامل ولكننى لم أشأ الإشارة إلى كلمة " شامل " بالرغم من الضغط الذى مارسته دار النشر الجديدة التى تأسست فى الثمانينات والتى أخذت على عاتقها إصداره وبتمويل من المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة وبمؤازرة من قسم الأبحاث بوزارة الخارجية الإسرائيلية) ، انتهى كلام (دافيد سجيف) وعلينا أن نتأمله ولنقف فقط عند عباراته الأخيرة والتى أشار فيها إلى تمويل المركز الأكاديمى الإسرائيلى وإلى قسم الأبحاث فى وزارة الخارجية وهو قسم يتبع الموساد الإسرائيلى ويمده بالدراسات والأبحاث فهل ثمة خطورة أكثر من ذلك لمثل هذه القواميس والمعاجم !! .

<u>* تطور أصوات الكلام العبرى بالمقارنة مع اللغة العربية القديمة المنطوقة "اللغة الصوتية":</u>

* واستكمالاً لذات الدور المشبوه فى التركيز على اللغة فى مجال نشاط المركز المشبوه نقرأ فى بحث معنون بـ(تطور اللفظ بالأصوات العبرية المحلية مقارنة

مع العربية الكلاسيكية والمحلية) وهو من إعداد البروفيسور/ يعقوب منصور ، والذى ولد فى بغداد وهاجر هو وأسرته إلى فلسطين وقد ناهز عمره الرابعة واستقروا فى القدس – درس فى جامعة القدس العبرية حيث تلقى درجة الماجستير والدكتوراه فى علم اللغة العبرية ، ثم قام بعد ذلك بتدريس اللغة العبرية فى جامعة القدس العبرية واللغة العربية فى جامعة " بار – إيلان " وشغل لسنوات عديدة منصب رئيس اللغة العربية فى تلك الجامعة وهو الآن أستاذ فى جامعة حيفا بقسم اللغة العبرية وجاء فى بحثه قوله الخبيث التالى : (إن اللغتين العربية والعبرية لهما لغتان شقيقتان تنتميان إلى أسرة لغات واحدة هى المعروفة باسم مجموعة أو أسرة اللغات السامية وتشمل إلى جانب العربية والعبرية اللغتين الفارسية والتركية والآرامية . إن مجموعة اللغات السامية متشابهة متآلفة لدرجة عظمى تجعلنا نجزم بأن أصولها هى لغة واحدة قديمة انمحت الآن إلا أن مظاهره لاتزال ماثلة فى بناتها من اللغات الحية المنطوقة الآن فى بلدان الشرق الأوسط ومنها بطبيعة الحال اللغتان العربية والعبرية .

وفى وقت من الأوقات كان القوم يعتقدون أن اللغة العبرية هى أقدم اللغات القديمة والمصدر القديم لكافة أفرع أسرة اللغات السامية ، وفى وقت آخر وعهد آخر ، كان أهل العلم يعتقدون بأن اللغة العربية إنما هى المصدر الأساس والقديم للغات السامية ثم جاءت من بعد ذلك اللغة الكلدانية.. إلخ) ، ثم فى موضع آخر يقول : (واليوم نحن نعلم أن كافة هذه اللغات تعرضت للتغيرات والتطورات كل منها حسب طريقتها وتراكيبها الخاصة ، وليس ممكناً لأحد منها أن يطلق عليه اللغة الأم).

(على أية حال احتفظت كل لغة من اللغات السامية ببعض أشكالها القديمة فى حقول وميادين معينة وهناك من العلماء من يحاولون عن طريق استخدام شتى التقنيات اللغوية أن ينشئوا ويعيدوا بناء الأشكال الأصلية المستمدة من اللغة

الأم السامية من واقع ظهورها فى لغات الأسرة " الأبناء" ويفترضون أن تلك الأشكال كانت متواجدة أصلاً فى اللغة الأم السامية).

ويستطرد د. يعقوب فى موضع آخر من بحثه الذى ألقى أيضاً كمحاضرة بالمركز المشبوه قائلاً : (وفيما يتعلق بأصوات الكلام التى هى موضوع هذا البحث يبدو يقيناً أن اللغة العربية القديمة قد احتفظت بمعظم أصوات الكلمات الخاصة بالمتشابهات مع أصول اللغة السامية الأم. إن مصطلح اللغة العربية القديمة " الكلاسيكية " يشير إلى اللغة الأدبية أو لغة الأدب المكتوب والمدون على نقيض شتى اللهجات المنطوقة .

وثمة أصوات ساكنة وجدت فى اللغة العربية القديمة ولكنها لم توجد فى العبرية فالعبرية وفقاً لأبجديتها ونطق التوراة " لها 23 حرفاً ساكناً بينما تحظى اللغة العربية القديمة بـ28 حرفاً . ولو افترضنا أن جميع الـ28 حرفاً هذه متواجدة فى أصول اللغة السامية ، إذن لتعين علينا محاولة اكتشاف ما الذى حدث لتلك الحروف التى لم توجد فى اللغة العبرية) ومن وجهة نظر يعقوب منصور أن مصادر التشابهات بين اللغتين العبرية والعربية متعددة بسبب تشابه جذورهما المشتركة كما أسلفنا إلا أن اللغة العربية تمتاز على العبرية بوجود أصوات لحروف لم تكن أبداً لتتواجد فى أية لغة أخرى فى العالم أجمع مثلا حرفاً أو صوتاً " الضاد والظاء" فهما مما يميزان اللغة العربية حتى صارت يطلق عليها اسم " لغة الضاد " ، كما يصح أيضاً فى رأى علماء اللغة العرب أن يطلق على اللغة العربية اسم " لغة الظاء " سواء بسواء ، ثم يقدم الباحث نماذج من المتشابهات فى اللغتين قائلاً: (ومن بين الكلمات المتشابهة نطقاً وحروفاً بين اللغتين كلمة " أخ وكلمة عالم أى : عولام بالعبرية . وحرف الهاء هو من بين الحروف الصوامت الأكثر شهرة وتواجداً بين اللغتين حتى أن هناك كلمات بعينها حرفاً ومعنى مستعملة فى العربية والعبرية ككلمة " طحن " ، وغيرها من

الجذور التى تبرز فيها حروف الصوامت "السواكن" وتشغل المساحة الكبرى بين أحرف الكلمات) .

* وبعد .. إن المقصود من التركيز على اللغة ودلالاتها وعلاقاتها والتى يحاول المركز من خلال باحثيه وعلمائه التركيز عليها هو إعطاء الانطباع بالتقارب والتواصل بين اللغتين متناسياً عن عمد ، أن اللغة ، سلاح متقدم للجهاد ضد العدو ، فهى وعاء الذاكرة والقيم وهى من ثم روح الأمة وثقافتها ولا يمكن التنازل عنها أو خلف التقارب بينها وبين لغة أعدائنا حتى ولو وجد تشابه فى بعض المجالات والمنطوقات الصوتية.

***

(7) محاضرات الجواسيس

* بالإضافة لما سبق استطعنا الحصول على القائمة السرية الكاملة لنشاط وندوات المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة والتى وصلت فى عام واحد هو "1991/1990" إلى 17 محاضرة سرية مشبوهة ألقيت باللغة العبرية وكل عام تقريباً حتى 2014 يعقد ذات العدد من الندوات وتلقى المحاضرات، ولنموذج لعقد التسعينات ها هى نماذج لها نقدمها بالتواريخ والأرقام على النحو التالى نسجلها دون تعليق لنكتشف أحد جوانب وليس كل جوانب النشاط السرى للمركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر والمحاضرات هى :

1 – اسم المحاضر : الكاتب دافيد جروسمان

موضوع المحاضرة " أسباب كتابتى " .

ميعاد المحاضرة : يوم الاثنين 24 سبتمبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر .

2 – اسم المحاضر : الكاتبة واللغوية / شولاميت هار – ايفن

موضوع المحاضرة : " اللغة كدراسة " (والكلمة يمكن تفسيرها بمعان أخرى) .

ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 16 أكتوبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر .

3 – اسم المحاضر : السيد نبوى سراج مدير الآثار اليهودية بهيئة الآثار المصرية

موضوع المحاضرة " المعابد اليهودية فى مصر "

لغة المحاضرة : العربية والعبرية معاً .

ميعاد المحاضرة : يوم الأحد 21 أكتوبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر.

4 – اسم المحاضر : ممثل المسرح شلومو بار – شفيط

موضوع المحاضرة " تأثير مسرح البيما على إحياء اللغة العبرية "

ميعاد المحاضرة : يوم الأحد 28 أكتوبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر.

5 – اسم المحاضر : د. يافا بيرلوفيتش – جامعة بار إيلان

موضوع المحاضرة " أدب النساء فى الهجرة الأولى "

ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 14 نوفمبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر.

6 – اسم المحاضر : د. يورام بيلو – الجامعة العبرية

موضوع المحاضرة " تجديد عبادة أولياء الله الصالحين فى إسرائيل فى وسط يهود شمال أفريقيا بالمقارنة بضريح أبي حصيرة فى دمنهور "

ميعاد المحاضرة : يوم الأربعاء 12 ديسمبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر.

7 – اسم المحاضر : السيدة هداساه بولمن – محررة البرامج الأدبية فى صوت إسرائيل

موضوع المحاضرة " سنوات الثمانينات كخطوة جديدة فى الأدب العبرى من خلال النظر فى ثلاث كتب ظهرت فى العشر سنوات الحالية "

ميعاد المحاضرة : يوم الاثنين 17 ديسمبر 1990 الساعة 5 بعد الظهر.

8 – اسم المحاضر : البروفيسور جبرائيل واربورج – جامعة حيفا ، والمدير الثانى للمركز الأكاديمى الإسرائيلى

موضوع المحاضرة " النيل فى علاقات مصر وجيرانها "

ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 8 يناير 1991 الساعة 5 بعد الظهر.

9 – اسم المحاضر : الكاتب أ.ب. يهوشع
موضوع المحاضرة " الكاتب الإسرائيلى أمام التغيرات الاجتماعية "
ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 22 أكتوبر 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
10 – اسم المحاضر : د. عامى العاد – الجامعة العربية
موضوع المحاضرة " ترجمات من الأدب العربى إلى الأدب العبرى "
ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 29 يناير 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
11 – اسم المحاضر : البروفيسور حافا لاتساروس يافيه – الجامعة العبرية
موضوع المحاضرة " علاقة المسلمين بالعهد القديم فى العصور الوسطى "
ميعاد المحاضرة : يوم الأحد 3 فبراير 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
12 – اسم المحاضر : الكاتب أمنون شاموس
موضوع المحاضرة " التعرف على إنتاج الكاتب الأدبى باتجاهاته المختلفة "
ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 19 فبراير 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
13 – اسم المحاضر : البروفيسور يعقوب لانداو – الجامعة العبرية
موضوع المحاضرة " مخطوط نادر لخمس مسرحيات باللهجة المصرية من عام 1909 "
ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 5 مارس 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
14 – اسم المحاضر : السيد جابى روزنباوم – من جامعة تل أبيب (جدير بالذكر أن هذا المحاضر هو الآن فى عام 2014 مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى) .
موضوع المحاضرة " ترجمة أدبية من العربية للعبرية : يوسف إدريس "
ميعاد المحاضرة : يوم الثلاثاء 10 مارس 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
15 – اسم المحاضر : الكاتب س. أزهار
موضوع المحاضرة " طرق تعليم الشعر المعاصر "
ميعاد المحاضرة : يوم الجمعة 22 مارس 1991 الساعة 10 صباحا.

ملحوظة : المحاضرة ستنتهى قبل صلاة الجمعة .
16 – اسم المحاضر : السيد رافى فايرز – مدير قسم المخطوطات والأرشيف بدار الكتب القومية بالجامعة العبرية
موضوع المحاضرة " وجهة نظر العالم للكاتب عجنون "
ميعاد المحاضرة : يوم الأحد 21 أبريل 1991 الساعة 5 بعد الظهر.
17 – اسم المحاضر : د. رونيت ميرور – من الجامعة العبرية
موضوع المحاضرة " القبالاه عند الآرى ومقارنتها بظواهر متشابهة فى الإسلام "
ميعاد المحاضرة : يوم الأحد 28 أبريل 1991 الساعة 5 بعد الظهر.

***

(8)" المركز " وتراث مصر السياسى والحضارى

* انطلاقاً من المنهج الذى اختطه المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة نحو اختراق النخبة المثقفة فى مصر ، وتطويعها لخدمة استراتيجيات التطبيع بين الكيان الصهيونى ومصر ، قام المركز بتلميع ، وتضخيم أسماء معينة ، ونشر أعمالها وترجمتها على أوسع نطاق كما حدث مع " نجيب محفوظ " من قبل وأنيس منصور ، وكما عملوا مع الدكتور / حسين فوزى فيما بعد وكما سنرى الآن ، إذ قام المركز عام 1992 بعمل بحث موسع للباحث اليهودى المعروف البروفيسور / ساسون سوميخ – الذى تخصص فى الأدب العربى – قدمه فيما بعد كمحاضرة ثم كدراسة منشورة فى النشرة السرية للمركز الإسرائيلى فى العدد رقم 16 بتاريخ مايو 1992 وكانت تحت عنوان : " فى ذكرى الدكتور حسين فوزى المفكر والعالم المصرى " قال فيه : (كان الدكتور حسين فوزى الذى توفى فى مسقط رأسه فى القاهرة سنة 1988 عن عمر طويل حافل بالإبداع ، شخصية فذة فى الحياة الثقافية والعملية فى مصر المعاصرة دون شك . كان الرائد فى مجالات شتى من البحث والكتابة ، فترك بعده نتاجاً غنياً من

المؤلفات الرائعة . وفى هذا العدد من " النشرة " ، بمناسبة مرور عشر سنوات على إقامة المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة ، لابد من ذكر هذا الرجل الواسع الإلمام الذى عمل بجد وشجاعة مبشراً بفكرة السلام بين بلاده وجارتها إسرائيل ، وفى سبيل خلق حوار حقيقى بين الأدباء والمفكرين من كلا البلدين،فقد كان الدكتور فوزى أبرز مفكر مصرى يقوم بزيارة إسرائيل بعد فتح الحدود بين البلدين مباشرة،كما قام بلقاءات هامة مع الأدباء والمفكرين فى إسرائيل وألقى المحاضرات فى الجامعات والمعاهد المختلفة فى البلاد التى كانت حتى الأمس القريب عدوه).

ثم تحدث الباحث اليهودى عن مشاركته فى حملة جون مورى الشهيرة فى المحيط الهندى على ظهر سفينة الأبحاث المصرية " مباحث " عام 1933 ثم عمل فى الأربعينات ، حين أنشئت جامعة الملك فاروق (فيما بعد جامعة الإسكندرية) أستاذاً لعلم الحيوان ورئيساً لقيم الأوقيانوغرافيا ، كما كان أول عميد لكلية العلوم فى تلك الجامعة ويقول سوميخ :

تجاربه فى المحيط لم تعد بالفائدة على أبحاثه العملية فحسب ، بل ألهبت ميوله الأدبية أيضاً ، فدفعته إلى إصدار كتابه الأول – سندباد المصرى ، جولات فى المحيط الهندى ، يضم هذا الكتاب ، الذى صدر فى سنة 1938 ، تقريراً شديد الذاتية عن أثر تجاربه البحرية على حياته وفكره ، وكذلك مشاهد الحياة والحضارات فى شبه القارة الهندية وآراء المؤلف فيها وفى تفصيل دقيق لفكر حسين فوزى يقول سوميخ : إن التوجه العام والأسلوب فى هذا الكتاب بيان على ما نجده فى أعماله المتعددة اللاحقة (تحمل جميعها تقريباً اسم " السندباد " ، مغامر البحار الأسطورى القديم ، فى عناوينها) ، فى هذه المؤلفات درس مختلف الحضارات الشرق والغرب ، الماضى والحاضر (مثل المغرب وأمريكا ، ديانات الهند وطقوسها ، أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، الرينساس) ، إلى درجة يمكننا معها اعتبار جوهر مشروعه الأدبى كله محاولة لإدراك مفهوم

الحضارة : معناها ومظاهرها المختلفة على مر التاريخ ، أما الكتاب الثانى المدين لتجربة البحار ذاتها فهو " حديث السندباد " القيم الصادر سنة 1943 ، لاشك فى أن هذا الكتاب من أعظم إنجازات المؤلف الأدبية ، بل من أمتع الكتب فى الأدب العربى الحديث فعلاً ، يوظف فوزى فى هذا الكتاب معلوماته الإقيانوغرافية الواسعة لإلقاء ضوء جديد على أدب البحار العربى فى القرون الوسطى ، فالقسم الأول ، من 180 صفحة ن هو دراسة منهجية للكتابات العربية القروسطية فى الجغرافيا والأسفار البحرية ، يبذل المؤلف قصارى جهده على طول هذا الفصل للتمييز بين الحقيقة والخيال فى هذه الكتابات ، وتمحيص المصادر الحقيقية للأساطير عن الأماكن النائية والظواهر البحرية الغربية ، بعد إنشاء المعايير للفصل بين العناصر الحقيقية والخيالية فى أدب البحار العربى ، ينتقل الدكتور فوزى فى القسم الثانى من الكتاب إلى دراسة لبعض قصص البحار المتمثلة فى ألف ليلة وليلة ، وهو يقدم ، قبل كل شيء ، تحليلاً للرحلات السبع التى قام بها السندباد البحرى ، وهى دراسة تفصيلية بعيدة النظر ، تنفرد بتأليفها المبدع بين مناهج البحث الأدبية والنفسية والأوقيانوغرافية . ومن المؤلف أن هذا الكتاب الرائع لم يترجم قط إلى أى من اللغات الأجنبية كما لم يترجم أيضاً أى كتاب من أعمال المؤلف الكبيرة الأخرى .

وفى موضع آخر من بحثه يقول : ولعل أشهر كتب الدكتور فوزى هو "سندباد مصرى: جولات فى رحاب التاريخ " ، إنه عرض بأسلوب شخصى لتاريخ الأمة المصرية " خلال 7000 سنة من التجارب والمحن " ، فهذا الكتاب هو ، إلى حد ما ، صدى متأخر للاتجاه " الفرعونى " الذى شاع بين المفكرين المصريين " هيكل والحكيم وغيرهما " فى العقود الأولى من هذا القرن ، ولكنه تراجع تدريجياً أمام التيار العربى ، يؤكد هذا الاتجاه أنه لا يحق لمصر تجاهل حضارتها فيما قبل الإسلام ، إن تاريخ مصر القديمة ، كما يرى فوزى يجب أن

يشكل مقوماً مركزياً فى التربية الوطنية وفى الكيان الوطنى فى الحاضر والمستقبل على حد سواء . من الجدير بالذكر هنا أن " سندباد مصرى " كتب ونشر فى السنوات ذاتها التى غيرت فيها مصر اسمها ليغدو " الجمهورية العربية المتحدة : الإقليم الجنوبى " فى عهد الوحدة مع سوريا .

ثم ينتقل سوميخ إلى تقييم عام عن حسين فوزى فيقول فى موضع آخر : إن الملاحظات المقتضية أعلاه بصدد ما نشر من أعمال فى حياة الدكتور فوزى، لا تضم نتاجه كله بأى شكل من الأشكال ، فقد نشر 11 كتاباً على الأقل ، وفى أيامه الأخيرة كان يعمل جاداً فى مراجعة وإعداد كتب عديدة للنشر من مؤلفاته المبعثرة ، بما فى ذلك تلك التى كتبها فى شبابه المبكر ، كما يجدر بالذكر أيضاً أنه فى السنوات 1955 – 1960 شغل منصب " الوكيل الدائم لوزارة الثقافة " ، كما كان لسنوات طويلة رئيس التحرير للمجلة الأدبية المصرية "المجلة" التى لاقت شهرة كبيرة ، ثم إنه كان عضواً نشطاً فى المجمع العلمى المصرى، وتولى رئاسته فى السنوات 1968 – 1974 .

وعن مواقفه التى أعجبت اليهود ومغتصبى أرض فلسطين يقول سوميخ : (أصدقاؤه الكثيرون فى مصر وفى العالم أجمع سوف يفتقدون بأسف هذا الرجل الدمث والإنسانى المناضل . ويذكر كثيرون من أصدقائه فى إسرائيل باعتزاز مواقفه الإنسانية المعتدلة ودعمه دون تردد لمسيرة السلام ، حوالى سنة 1944 رافق فوزى صديقه طه حسين فى زيارة إلى القدس ، حيث حلا ضيفين على الجامعة العبرية ، وبين عامى 1979و1984 قام الدكتور فوزى بثلاث زيارات إلى إسرائيل ، وقد منحته جامعة تل أبيب سنة 1980 دكتوراه فخرية اعترافاً بدوره فى الحياة الثقافية والأكاديمية لمصر الحديثة ، كما جرى التنويه فى تلك المناسبة بالتزامه بقضية السلام أيضاً!!) (ونحن بدورنا نرى فيما اعتبره سوميخ عن حسن فوزى ، فخراً تراه الحركة الوطنية المصرية عاراً كبيراً!!) .

ثم نراه يعزى نفسه قائلاً عن حسين فوزى وتاريخه وفكره ، (شخصياً أشعر بالاعتزاز الشديد لتعرفى على الدكتور فوزى عن كثب خلال فترة تزيد عن عشر سنوات ، فقد التقيت به خلال زيارة قام بها إلى جامعة برينستون سنة 1975 حينما كنت هناك فى سنة تفرغ والواقع أنى كنت عرفت اسمه وكتاباته وأنا بعد فتى فى مدينة بغداد حيث ولدت ، فقد طالعت هناك بحماس شديد كتابه الرائع " حديث السندباد القديم " ، ولكننى لم أحلم يوماً بلقائه وجهاً لوجه . بعد لقائنا شبه العرضى فى الولايات المتحدة نشأت بيننا صداقة عميقة ، ومنذ ذلك الحين اعتدت الالتقاء به كل سنة صيفاً فى باريس حيث كانت له ولزوجته شقة صغيرة قرب البانتون، ثم فى القاهرة وتل أبيب فيما بعد ، اعتاد فى كل مرة إطلاعى على خططه الكتابية. وكنت أتابع باستمتاع بالغ كتبه ومقالاته الجديدة حال الانتهاء من تأليفها ، فقد كنت مثلاً شاهد عيان على تأليف أجزاء من كتابه الأخير " تأملات فى عصر الرينسانس " الذى صدر فى القاهرة قبل وفاته بثلاث سنوات ، كما تابعت عن كثب عمله الدؤوب فى جمع وإعداد مئات من مقالاته التى نشرت من خلال ما يقارب الخمسين سنة فى الصحف والمجلات المختلفة ، إلا أنها لم تجمع فى كتاب من قبل ، على هذا النحو أعد ثلاثة مجلدات حافلة ودفع بها إلى المطبعة ، إلا أن هذه الكتب القيمة لم تصل إلى الأسواق حتى اليوم ، إن قراءه الكثيرين سوف يستمتعون بقراءة هذه الكتب عندما تنتهى دور النشر من طباعتها).

* إن حسين فوزى ومن شابهه من علماء مصر الذين اندفعوا فى اتجاه التطبيع والتعامل مع الأعداء دون خجل أو حياء ، للأسف لم يتبق منهم وعنهم غير " كلام الأعداء " وما أتفهه من كلام ، خاصة إذا كان المتحدث به له غرض ، وهوى لا يخفى على أحد !! .

***

" إن مهمة المركز الأكاديمى المعلنة هى " العمل على رعاية ومساعدة الباحثين الإسرائيليين الزائرين فى مجالات البحث المختلفة وتمكينهم من زيارة المعاهد والجامعات والمكتبات والمتاحف والأرشيفات المصرية بغرض المساهمة فى خلق جيل من الأكاديميين المصريين المتعاونين مع العقل الإسرائيلى بلا تلك الغضاضة التى يزرعها بعض المتعصبين فضلاً عن تمويل الباحثين المصريين وحثهم على القيام بالدراسات والأبحاث التى تخدم نفس الهدف ! " .

هذا هو ما قاله شمعون شامير نفسه عن " مهمة " المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى النشرة الإعلامية التى يصدرها المركز ؟! ولو أن أحداً ممن يتفننون فى إلهائنا عن خطر هذا "المركز" بالتهجم على العرب أو على الفلسطينيين أو على عبد الناصر لو أن أحداً منهم "يخجل " من نفسه .. لاكتشف ببساطة أن هذا "المركز" باعتراف مديره كما نرى هو فى الحقيقة ، وحدة اختراق واستطلاع متقدمة فى قلب المجتمع المصرى .

فهو – بقراءة ما بين السطور – يرشد الباحثين الصهاينة الذين يرتبط معظمهم بنشاط أجهزة المخابرات الإسرائيلية إلى الأشخاص العلميين المصريين المستعدين للتعاون معهم فى تقديم ما يشاءونه من معلومات بدعوى المساهمة فى خلق جيل من الأكاديميين المصريين المتعاونين مع العقل الإسرائيلى بلا تلك الغضاضة التى يزرعها المتعصبون !! " .

وهو أيضاً : يعمل على فتح القنوات والمؤسسات العلمية والشعبية ليمر منها كل جواسيس وعناصر " الموساد " المتسترين تحت عباءات العلم والعلماء ، ليتمكنوا من جمع كل ما يقعون عليه من معلومات فى محاولة لإجراء مسح كامل وشامل للمجتمع المصرى واكتشاف خريطة الاتجاهات الفكرية والسياسية والدينية فيه مع التقاط صورة حية ودقيقة للأوضاع السكانية والسياسية والاقتصادية فى مصر ، والدليل هو هذه " العينة " التى شهدتها القاهرة خلال أربعة شهور فقط من عام واحد .

فى مارس 1987 جاء إلى مصر للمرة الثالثة " العنصر " الإسرائيلى " رامى جينات " بدعوى أنه طالب دراسات عليا يحضر لرسالة الماجستير فى قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب كلنا يعلم مدى سهولة أن تمد المخابرات الإسرائيلية بالمستندات المزورة التى تسحب عليه هذه الصفات وتمكنه من جمع ما يشاء من معلومات بدعوى أنه يقوم بجمع مادة علمية لبحث عنوانه " فترة الناصرية فى مصر – دراسة اجتماعية وسياسية " ، وواضح من اسم الدراسة أنها تستهدف الاطمئنان عما إذا كان عبد الناصر لايزال يحيا داخل المصريين أم أن "رجالهم" فى القاهرة نجحوا فى انتزاعه من قلوب المحبين .

وفى أبريل 1987 زحف على القاهرة أيضاً للمرة السادسة العنصر الإسرائيلى ميثال يورام بدعوى أنه يجمع معلومات لبحث عنوانه " سنوات حكم السادات – دراسة اجتماعية وسياسية" وهى تهدف إلى – كما هو واضح – الاطمئنان أيضاً على اتجاهات المصريين ورؤيتهم تجاه صديقهم السادات والقيم التى سادت فى عصره .

* وفى يناير 1987 زحف على القاهرة أيضاً للمرة السادسة العنصر الإسرائيلى دكتور بامينى أفرام متستراً تحت عباءة أنه أستاذ الديانة الإسلامية فى جامعة بارايلان وأنه يقوم بجمع معلومات لبحث عنوانه "اتجاهات الجماعات الإسلامية فى مصر تجاه القضايا الخارجية" . وكانت الإسرائيلية " هافا لازاروس يافه " قد سبقت كل هؤلاء فى عام 1983 وظلت تتردد على القاهرة بدعوى إجراء بحث عنوانه " اليهودية والإسلام – العلاقة بين التوراة والشريعة الإسلامية" ، وذلك بهدف البحث فى الأصول العرقية للمجتمع المصرى ، وكيفية غرس وإنماء بذور الفتنة الطائفية فيه ، بدليل أنها فى إحدى محاضراتها التى ألقتها فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة – تحت هذا الزعم – راحت تنفث سمومها فى مسامع المصريين الحاضرين ، وتزعم بأن " اليهودية والإسلام

ديانتـان شـديدتا التشـابه وأن الارتبـاط والتماثـل بينهمـا أكثـر ممـا بينهمـا وبـين المسيحية " ، وهـى – كما نـرى – محاولـة مفضـوحة لبث روح الفرقـة والتباعد بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، فضـلاً عن التنقيب عن نقاط الضـعف ومكامن الاختراق فى المجتمع المصرى، وإلا فلماذا يقوم هذا المركز ومديره ، بالعديد من الدراسات ، والبحوث ، حول مشاكل الزراعة والبطالة ، والإسكان ، وتوزيع الدخل، وحياة البدو ، وسكان الريف، وأبناء الصعيد ، والعقائد السياسية والدينية ، والعرقية فى مصر ؟! .

* الفن المصرى القديم :

أيضـاً لـم تخلُ منشورات المركـز الأكـاديمى الإسـرائيلى السـرية ، مـن الاهتمـام المتوالى بالمعابد اليهودية فى مصر والتى طفحت بها نشراتهم الداخلية وأبحاثهم ، وأيضـاً الفن الفرعونى القديم ولقد استخدموا لـذلك أيضـاً أحد البـاحثين غيـر المعروفين ويدعى منير محمود ، وكان عنوان بحثه المنشور : " من حضـارتنا المصرية : الحركة فى الفن المصرى القديم " وجاء فيه : لقد خلفت لنا الحضارة المصرية القديمة الكثير من العلوم والفنون فى نواحى المعرفة المختلفة حيث بـرع المصـريون القـدماء فـى علـوم الطـب والتشـريح والفلـك والهندسـة والعمـارة والتحنيط وغيرها ، كما برعوا فى الفنون بمختلف أنواعها مثل النحت والرسم والتشكيل وصناعة التماثيل والموسيقى والرقص وغيرها ، ويعتبر الفن المصرى مـن أروع مـا خلفتـه لنـا الحضـارة المصـرية القديمـة مـن آلاف السـنين ، والفن نوعان : إما فن صامت مثل النحت والرسم والتشكيل وغيرها أو فن متحرك مثل الرقص والموسيقى والتمثيل إلخ .. وسوف نتناول فى هذا المقال الفن المصرى الصامت وخاصة فن صناعة التماثيل وفن النقش بأنواعه " البارز أو المستوى أو الغائر " حيث يقول البعض : إن الفن المصرى فن جامد ليست فيه حركة أو روح وأن تماثيل المصريين القدماء تبدو وكأنها وضع واحد يتكرر مع كل الملوك ، ونقول لهؤلاء : إن الفن المصرى الرائع لم يكن جامداً بأى حال من

الأحوال حيث اتبع الفنان المصرى قواعد ثابتة فى الفن بأنواعه كالنحت والنقش والتصوير والعمارة ومن هذه القواعد العامة مثلاً :

1 – أنه كان يرسم الأشياء من واقع مخيلته هو وذلك سببه ارتباطه القوى بمعتقدات دينية وعقائدية تحركه .

2 – تصوير الأشخاص فى أحجام طبقاً لمراكزها كظهور الملك أكبر من رعاياه .

3 – الحرص على إظهار الآلهة والملوك بشارات أو صولجانات الحكم مثل مفتاح الحياة الأبدية والمنديل الملكى والذقن المستعار والرداء الملكى وغيرها من شارات الحكم المعروفة.

4 – نقش الأشياء فى صفوف وغالباً ما يحدث ذلك فى الصور الكبيرة حيث كان يرسم اللوحة على الحائط بعد تقسيمها إلى ثلاثة صفوف .

***

(9) المصريون والإسرائيليون قبل 1948 فى أبحاث المركز

دائماً يحاول الإسرائيليون غرس جذور لهم – غير موجودة أصلاً – فى أرضنا العربية وبخاصة مصر ، قبل إنشاء كيانها عام 1948 ، وبعده ، وكان المركز الأكاديمى أداة لتحقيق هذا الهدف ، ونعرض هنا لواحد من أهم وأخطر أبحاثهم السرية والذى أجراه / شمعون شامير– مؤسس المركز ، وسفير إسرائيل الأسبق ، وكان بحثه بعنوان : (العلاقات بين المجتمع المصرى و" إلييشوف " اليهودى فى فلسطين عام 1948 – شهادة التوثيق الفوتوغرافى – وجاءت به صور ووثائق ومعلومات تحاول أن تثبت وجود علاقات تاريخية بين اليهود الصهاينة فى فلسطين والتيارات الإعلامية والسياسية المصرية " أمثال النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا وسيد مرعى وطه حسين وغيرهم " ، وهو الأمر الذى نؤكد منذ البداية أنه مبالغ فيه وأنها لم تصل إلى المستوى الذى ادعاه شمعون شامير وبالغ فيه لكى يعطى انطباعاً بأن ثمة علاقات يهودية مصرية قبل 1948 ؛

ليؤسس لأهداف مستقبلية جديدة ، تخدم التطبيع الذى أنشأته كامب ديفيد ، ولنتأمل كلمات الباحث اليهودى والتى تبدأ بالقول :

إن عقد السلام بين مصر وإسرائيل أوحى للكثير من المؤرخين الإسرائيليين بالبحث والاستقصاء عن تطور العلاقات بين البلدين خلال التاريخ وعبر أعماق الزمن . وهذا الأمر ينطوى على ميل المؤرخين ونزوعهم فى شتى البلدان وفى جميع الأزمنة إلى إجراء مقارنات وقياسات بين الماضى والواقع الذى يعيشونه والقيام ببحوث عن الجذور التاريخية للأوضاع الآخذة فى النشوء والتطور فى الحاضر ، وبالرغم من أنه من البديهى أنه لا توجد ظاهرتان متطابقتان فى التاريخ تمام التطابق ، فإن المقارنة بحد ذاتها تثير التفكير ومن شأنها تلقين العبر ، وكان المؤرخ المصرى العظيم عبد الرحمن الجبرتى قد رتب عن كثب على هذه الحقيقة حيث كتب فى مقدمة كتابه " عجاب الآثار فى التراجم والأخبار " هذه الكلمات : "يكون علم التاريخ علماً شريفاً فيه العظة والاعتبار ، وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله فى هذه الدار " ، وطبقاً لهذه الأقوال نشر المؤرخان أمنون كوهين والمرحوم جبرائيل بير مجموعة واسعة النطاق من الأبحاث فى هذا المجال بالإنجليزية تحت عنوان Egypt and Palestine شملت دراسات عن هذه العلاقات ولاسيما فى عهد المماليك والعهد العثمانى ، وعلى مستوى أكثر شعبية نشر الباحثان زائيف فيلئى ويهودا روت عدة كتب حول هذا الموضوع باللغة العبرية ، غير أنهما ، على نقيض الكتاب الأول ، حصرا دراساتهما بصورة خاصة على العصر الفرعونى) .

ثم يقول فى موضع آخر من بحثه : (إن مجموعة الصور الفوتوغرافية التى عرضت فى المركز الأكاديمى ما هى إلا نتيجة فرعية لدراسة من هذا النوع أجريتها خلال السنوات الأخيرة من خلال مزاولتى لأعمالى الأخرى ، ولقد أثار تطور العلاقات بين المجتمع المصرى والمجتمع الإسرائيلى والتى كان لى شرف متابعتها عن كثب فى خطواتها الأولى ، وكذلك إشتراكى الفعلى فيها ، أثار

لدىّ حب الاستطلاع حول السؤال : هل كانت هناك خلال هذا القرن الذى نعيشه روابط من التعاون بين المجتمعين قبل بدء النزاع المسلح بينهما فى عام 1948 وإن كان الرد إيجابياً فما هو مداها ومميزاتها ؟ ولهذه الغاية قصدت الأرشيف ، ودور الحفظ لشتى المؤسسات السياسية ، والجامعة العبرية والجمعيات الرياضية والشركات التجارية والمؤسسات الثقافية والفنية، لقد بحثت واستقصيت ووجدت الرد على سؤالى ، واتضح لى أنه كانت بالفعل ، على الرغم من الصعوبات التى اكتشفتها ، كانت هناك علاقات متشعبة ومتعددة الضروب والأشكال وبصورة لم تخطر على بال .

ثم يقول شامير مفاخراً : لقد اتضح قبل كل شيء أن جميع زعماء المجتمع اليهودى فى فلسطين تلك الفترة التى كانت معظمها فترة الانتداب البريطانى قد قاموا بزيارات لمصر (وهل الزيارات تؤسس لعلاقات سياسية كما يحاول أن يوهمنا شامير) ، ثم يفسر شامير ذلك بالقول: إذ كانت مصر بالنسبة لهذا المجتمع الذى نطلق عليه بموجب المصطلح الإسرائيلى المتعارف عليه اسم "اليشوف " عبر مصر فى طريقهم إلى دول الغرب وفى طريق عودتهم منها، وبهذه المناسبات قاموا بزيارات وجولات فى مصر ، وكانت بالطبع الزيارات الخاصة لمصر ذات أهمية أكثر ، والغاية من هذه الزيارات كانت ، على وجه العموم ، مقابلة زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة والإسكندرية ، ومقابلة سياسيين مصريين وممثلى السلطات البريطانية ، وكان هناك من وفدوا إلى مصر لقضاء إجازاتهم للاستجمام والتمتع بمشاهدة المواقع الأثرية الخلابة والاستشفاء فى المدن ذات المصحات ، وهكذا نجد ، على سبيل المثال ، فى مجموعة الصور فى المعرض أحد الزعماء البارزين " للإليشوف " ألا وهو الدكتور ارثو روبين ، قرب معبد الأقصر فى نطاق جولة قام بها لمصر عام 1925 ، كما نجد زعيم حركة العمل بيرل كنسلسون فى زورق بالقرب من القناطر الخيرية لدى قضائه فترة نقاهة فى حلوان عام 1937 ، كذلك وفد

زعمـاء مصـريون إلـى الـديار المقدسـة لزيارتهـا وبهـذه المناسـبات قـابلوا أبنـاء المجتمـع اليهـودى ، وبإمكاننـا أن نشـير علـى سـبيل المثـال إلـى السـيدين " مصطفى النحاس وسيد مرعى " .

ويحلل شامير جوانب أخرى فى بحثه الخطير مدعياً امتلاكه وثائق لكى يزيد مـن تشـويه التـاريخ ويؤسـس للتطبيـع فيقـول : ومـن الناحيـة التاريخيـة تمـت الاتصـالات السياسـية السـرية التـى جـرت بـين ممثلـى الييشـوف وسياسـيين مصريين على جانب كبير من الأهمية واستهدفت إيجاد حلول وسط للنزاع بين اليهود والفلسطينيين من شأنها الحيلولة دون وقوع أو نشوب المواجهة المسلحة بينهما ، وحول هذا الموضوع نجد الآن مستندات ووثائق جمة فى دور الحفظ فى القدس ولندن ، ويتضح أن من بين السياسيين المصريين الذين اشتركوا فى نشاطات من هذا القبيل برز وزراء مصريون مثل " محمد على علويه . ورئيسا حكومتين هما إسماعيل صدقى وعلى ماهر ، ورئيس مجلس الشيوخ محمد حسين هيكل وحتى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام " . أما فى الجانـب اليهـودى فقد بـرز بشكل خـاص إليـاس ساسـون " والـد سـفير إسـرائيل السابق فى القاهرة " ، وأبا إيبان " الذى كان وقتها الميجر أوبرى إيبان " ، وتم البحـث بـين الجـانبين فـى مختلـف إمكانـات الحـل مثـل التقسـيم أو الاتحـاد الكونفدرالى ، وباستطاعتنا أن نعرب عن الأسف على أن هذه المحادثات لم تؤد إلـى نتـائج عمليـة ملموسـة وعلـى أن هـؤلاء السياسـيين لـم يتمكنـوا مـن منـع الأحداث التراجيدية التى حدثت فيما بعد فى الأراضى المقدسة).

* ويـذهب شـامير فـى بحثـه وفـى مواضـع مختلفـة عدة مذاهب مختلفة وأفكـار خطيرة تؤسس للتطبيع ويسقط فيها جرائم ومذابح إسرائيل التى حالت بالأساس دون قبول الكيان الصهيونى نورد هنا بعضها :

إن السـنوات التـى كانـت فيهـا العلاقـات بـين أبنـاء " الييشـوف " اليهـودى والمصريين أكثر متانة ووثوقاً هى تلك التى كانت خلال الحربين العالميتين ،

وفى العالمية الأولى طردت السلطات العثمانية من تل أبيب ومن أماكن أخرى فى البلاد مواطنى دول الحلف ، فوجد أكثر من أحد عشر ألف مواطن منهم ملجأً فى مصر وحظوا بمساعدة وعون من جانب يهود القاهرة والإسكندرية ومن السلطات المصرية ، وكان لنشاطهم فى مصر نتائج ذات أهمية فى المجالات الثقافية والاقتصادية ، أما فى الحرب العالمية الثانية فقد تطوّع حوالى ستة وعشرين ألفاً من أبناء " اليشوف " فى الحرب ضد النازيين فى نطاق مختلف وحدات الجيش البريطانى ومر معظمهم عبر مصر أو استقروا فيها خلال فترات طويلة ، وأسفرت هذه الحقيقة عن حركة نشيطة بين البلدين وازداد الزوار إلى مصر وخاصة من بين الشخصيات البارزة ومن بين الفنانين ، كذلك ازداد النشاط التجارى بين البلدين ذلك لأن ظروف الحرب زادت كثيراً من الطلب فى مصر على مختلف السلع الاستهلاكية التى كان فى مقدور الصناعة والزراعة لدى " اليشوف " تجهيزها بها) .

فى خلال وجود أبناء " اليشوف " اليهودى فى مصر كانت لهم تعابير أدبية من شأنها أن تثير اهتمام طلبة اللغة العبرية وآدابها فى مصر ، ويذكر شامير وقائع تاريخية خطيرة عن الأسماء الفكرية المصرية التى تعلمت على يد اليهود أو تعاونت معهم فى القدس نذكرها كالتالى :

وفى عام 1944/1943 ، استضاف رئيس الجامعة العبرية البروفيسور " ماغنس عدداً من الأدباء المصريين ، يجدر ذكر اثنين منهم بشكل خاص ألا وهما : حسين فوزى وطه حسين . وقد درس الدكتور / حسن ظاظا اللغة والآداب العبرية فى الجامعة العبرية ، ليصبح فيما بعد من رواد تطوير هذا الحقل التعليمى فى الجامعات المصرية .

هذا وقد زار مصر فى مناسبات مختلفة عدد من الباحثين العاملين بالجامعة العبرية ، خاصة من الذين اختصوا فى دراسة الحضارتين الفرعونية والإسلامية

والعصر الهيلينى فى مصر ، ومن أساتذة معهد العلوم الشرقية ، الذى كان فى طليعة هذه الفروع الجامعية والذى ضم عدداً من أهم المستشرقين فى العالم .

اشترك هؤلاء الباحثون فى الكتابة لمجلات مختلفة صدرت فى مصر آنذاك ، وخاصة من قبل الجالية اليهودية المحلية فمثلاً أصدر المعهد الفرنسى لعلوم الآثار فى الشرق والجمعية لبحث تاريخ اليهود فى مصر عام 1947 ، مجموعة أبحاث اشترك فيها أهم الباحثين العاملين بالجامعة العبرية .

هذا وكان العديد من الدارسين الإسرائيليين ، يتلقون الدعوات للاشتراك فى مؤتمرات وجمعيات علمية فى مصر ، وعلى سبيل المثال ، السيد إبراهام يرافر ، عميد الجغرافيين الإسرائيليين الذى تلقى عدة دعوات فى العشرينات والثلاثينات من قبل الجمعية الجغرافية المصرية ، والذى استضاف فى بيته العديد من علماء الجغرافيا المصريين .

وكان البروفيسور يسرائيل وولفنسون قد أدى دوراً خاصاً فى تطوير هذه العلاقات (له صورة فى المعرض وهو يستضيف مثقفين من القدس) فقد عمل (أستاذاً للغات السامية بدار العلوم فى القاهرة ونشر أبحاثاً هامة فى اللغة العربية أيضاً ، من بينها " اليهود فى جزيرة العرب " وترجمة لحياة " موسى ابن ميمون " التى قدم لها الشيخ مصطفى عبد الرازق ، كان يسرائيل وولفنسون أوائل عام 1935 أحد المبادرين لتنظيم الاحتفالات الخاصة التى عقدت فى ذكرى الـ800 عام على ولادة ابن ميمون وقد وجدت فى أرشيفه الشخصى مراسلة شيقة حول هذا الموضوع مع شيخ الأزهر ووزارة المعارف المصرية الذين رحبا وأبديا اهتماماً جماً بهذا النشاط الثقافى ، ومما يجدر ذكره وجود الأمير عمر طوسون وحسين سرى باشا بين أعضاء اللجنة التنظيمية .

لقد أثار هذا النشاط اهتماماً زائداً فى " البيشوف " مما جعل بعض المثقفين يزورون مصر خصيصاً من أجل الاشتراك فيه .

بعد ذلك يتحدث الباحث عن العلاقات الرياضية بين اليهود فى فلسطين والمصريين قبل 1948 ويفصل فيها كثيراً ، وينتهى بحثه إلى أن العلاقات الطيبة القائمة على القبول بالوجود اليهودى فى فلسطين كانت هى السائدة مع مصر ولذلك ينبغى أن تسود فى المستقبل !! .

طبعاً لما يحاول الباحث أن يبحث عن الأسباب الحقيقية للقطيعة مع الكيان الصهيونى ، وهو عدوانية هؤلاء اليهود الذين ذكرهم فى بحثه وانحيازهم لمشروع دولتهم القائم على طرد الفلسطينيين من أرضهم واغتصابها وخوض (6 حروب) ضد العرب من حول فلسطين ، والعمل كرأس حربة لصالح الغرب ضد ثروات ومصالح وحقوق المنطقة ، كل ذلك يجعل من أفكار وأبحاث شامير التاريخية تلك بلا قيمة أو مردود مستقبلى فى مجال التطبيع لأنها لاتزال مستمرة وقائمة ، تلك الروح العدوانية وذلك الاحتلال العدوانى .

***

(10) الرؤية الإسرائيلية لعلاقة مصر بالسودان تاريخياً

من الأبحاث المهمة التى قام بها المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة بحث مطول عن العلاقات التاريخية بين مصر والسودان وقد أعده " جابرئيل واربورج " وهو أستاذ تاريخ الشرق الأوسط فى جامعة حيفا ، وكان زميلاً لكلية سانت أنتونى ، جامعة أكسفورد إبان 1991/1990 ، وكان وقتها يعمل فى معهد الدراسات المتقدمة فى برلين ونشر العديد من المقالات وبخاصة حول مصر والسودان وعمل قبل ذلك مديراً للمركز الأكاديمى .

يقول فى بحثه : كان فتح السودان الذى وقع عام 1820 – 1821 على أيدى جيش مصر متوقعاً ومتنبأ به وثارت أقوال تقضى بأن تلك المغامرة السياسية والعسكرية ذات الشأن كانت منتظرة من جانب الوالى العثمانى على مصر وهو "محمد على باشا" منذ عام 1805–1848.

ولقد أدت الحملات الأخرى إلى توسيع رقعة حكم الباشا على جدة " السعودية " أولاً ثم بعد ذلك إلى سوريا ، ومع كل ذلك كانت فكرة توحيد وادى النيل فكرة حية ماثلة فى الأذهان من المنظور التاريخى إلا أن حكم مصر فى سوريا أو سيادتها على بلاد العرب " شبه الجزيرة العربية " فقد بقى بمثابة حلقة تاريخية ذات أهمية قليلة ، واكبتها مظاهر قليلة من العواقب والآثار .

ويمكن التماس سبب ذلك فى التاريخ والظواهر الثقافية والروابط الاقتصادية التى ربطت بين شطرى وادى النيل ، وأنا كمؤرخ أرى أهمية أن يتم فصم السودان عن مصر خدمة لمصالح قوى عديدة فى المنطقة وبالتالى ما قام محمد على ومن تلاه كان خطأ تاريخياً أساء لمصر وقد يسئ لمستقبلها القادم، ولنتأمل دلالات هذه الكلمات للمؤرخ اليهودى ، والتى تنم عن نوايا يهودية قديمة فى فضل وتمزيق وحدة وادى النيل ، وهو ما يتم الآن وبقوة من خلال الوجود الإسرائيلى فى جنوب السودان مع تآمر واضح مع الولايات المتحدة .

***

(11) اختراق النخبة : نموذج لحفل داخل المركز فى ذكرى تأسيسه :

* بعد الجولة المعمقة والتفصيلية السابقة داخل الأبحاث السرية والمحاضرات العلنية والنشرات الداخلية للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ، نحاول الآن تقديم نموذج لاختراقاته للنخبة المصرية إبان عصر مبارك (1982–2011) وكيف كان حين يحتفل بذكرى إنشاء دولة إسرائيل أو بذكرى تأسيس المركز فى مصر كان يستغلها لاختراق أكبر عدد من الصحفيين والسياسيين والكتاب وفى نشر قيم وثقافة التطبيع ، وكنموذج لذلك نقدم احتفال المركز يوم 1992/5/2 بالذكرى العاشرة لتأسيسه ، أقيم الحفل فى فندق النيل هيلتون وحضره (400 مدعو من النخبة المصرية) – للأسف – ولنتأمل بعض الكلمات للإسرائيليين

والمصريين المطبعين لنعرف حجم ونوع الاختراق الذى مارسه هذا المركز فى مصر .

***

بداية يقول مدير المركز آنئذ د. يوسف جينات فى افتتاحية النشرة الداخلية للمركز فى العدد 17 يناير 1993 ما يلى : فى 2 مايو 1992 ، احتفلنا بالذكرى السنوية العاشرة لإقامة المركز ، وكان من بين ما يزيد عن 400 ضيف حضروا المناسبة فى فندق النيل هيلتون ، ليس فحسب العلماء والطلاب الذين ينتمون إلى الجامعات بالقاهرة الذين يزورون المركز دورياً ويترددون عليه من حين لآخر ، أقول كان من بين هؤلاء أصدقاء من الإسكندرية وطنطا ومدن أخرى من صعيد مصر كأسيوط والأقصر ! .

كما أننا ابتهجنا وسررنا لتحية سفير الولايات المتحدة فى مصر بين الضيوف وزوجته "المستر والمدام روبيرت بيليترو " وأعضاء آخرين من شتى السفارات والمراكز الثقافية فى مصر ، أما الدكتور بطرس غالى الذى كان يشغل منصب وزير الدولة للشئون الخارجية حينما تم افتتاح المركز فى عام 1982 ، وعلى مدار سنوات حياته فقد كان معيناً حميمياً للتبادل الأكاديمى والعلمى بين مصر وإسرائيل .

" **يوسف جينات** "

<u>* ماذا جرى فى الحفل</u>

تقول وقائع الحفل أنه يوم 1992/5/2 ونظراً لأن عام 1992 قد شهد مرور عشر سنوات على إنشاء المركز فقد أقام الدكتور يوسف جينات مدير المركز احتفالاً بهذه المناسبة بقاعة ألف ليلة وليلة بفندق النيل هيلتون .

وقد حضر هذا الاحتفال سفراء الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا وبلغاريا والنمسا وألمجر ولفيف من أعضاء السلك الدبلوماسى من سفارات دول آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وكذلك مندوبون من مراكز الثقافة الأجنبية الأخرى الموجودة

فى مصر ، وحضر من الشخصيات المصرية السفير تحسين بشير والسفير أحمد المسيرى والدكتور عبد العظيم رمضان والدكتور محمد شعلان واللواء متقاعد عبد الرحيم عجاج والعميد الدكتور محمد أنور عبد السلام وكيل وزارة التعليم العالى وبعض الأساتذة والمدرسين والطلبة والمحامين والصحفيين .. وبلغ عدد الحاضرين أكثر من 400 شخص .

وكان أول المتحدثين الدكتور يوسف جينات المدير الحالى للمركز فقدم التحية للحاضرين باللغات العربية والإنجليزية والعبرية وتقدم بالشكر للحكومة المصرية لمساعدتها فى نشاط المركز خصوصاً منذ تولى الرئيس مبارك مهام منصبه كرئيس لجمهورية مصر العربية (وهو شخصية بارزة تلعب دوراً هاماً فى أحداث الشرق الأوسط) كما شكر وزارة الخارجية ووزارة التعليم العالى والدكتور بطرس غالى السكرتير العام للأمم المتحدة الذى ساهم فى إنعاش نشاط المركز على مر السنين وشكر الأستاذ المرحوم حسن عبد المنعم الذى توفى منذ شهور ثم دعا ابنه لاستلام تقدير باسم المرحوم والده وطلب من الحاضرين الوقوف دقيقة حداد على وفاته ، كما شكر الدارسين والطلبة الذين يأتون للمركز من مختلف محافظات مصر .

ثم أعطيت الكلمة للدكتور شمعون شامير مؤسس المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر وأول مدير له والسفير الإسرائيلى السابق بمصر ، فقال:

لقد كان لى عظيم الشرف منذ أكثر من خمسة عشر عاماً عندما التقيت بالرئيس الراحل محمد أنور السادات خلال زيارته التاريخية لإسرائيل وقد انتهزت الفرصة لأقول له : يا سيادة الرئيس إن مبادرتك هذه قد حركت عملية السلام وإنى على ثقة أن الزعماء السياسيين سيصلون للسلام ولكن هذا غير كاف ولتتويج السلام ليكون واقعاً يجب أن يشترك الأكاديميون أيضاً فيه فلماذا لا تنشئ مركزاً أكاديمياً فى مصر لتحقيق هذا الهدف ؟ .. ووافق الرئيس الراحل فوراً على ذلك وقال : أنه كان يفكر فى ذلك ولكن هذا المشروع يصعب

تطبيقه طالما يوجد جندى إسرائيلى واحد فى سيناء .. وفى 1982/4/25 احتفلت مصر بتحرير سيناء بالكامل ونحن نحتفل أيضاً لأن المركز الأكاديمى الإسرائيلى أنشئ فى نفس اليوم سواء بالمصادفة أم بغيرها وإسرائيل تحتفل بذلك اليوم منذ ذلك الحين،وبَيَّن الدكتور شمعون شامير أن المركز وإن كان يركز على النشاطات العلمية إلا أنه أيضاً يساهم فى تعميق الجذور الثقافية والتاريخية والعلمية لعملية السلام وأوضح أن المركز لا يسعى لاختراق العقل المصرى ولا للغزو الثقافى ولا للاعتداء على الثقافة المصرية أو العربية أو الإسلامية" ، لأن الشخصية المصرية أو العربية والإسلامية ثابتة ولا يمكن التأثير عليها من خلال مشروع متواضع كالمركز الأكاديمى الإسرائيلى (ما شاء الله!!) بل إن المركز يخدم الأساتذة والطلبة فى مصر وإسرائيل ويساعد على تفهم المسائل العامة التى تدعم السلام ، وأنهى حديثه بشكر زوجته التى ساعدته ووقفت إلى جانبه تشد أزره عندما جاء منذ عشر سنوات إلى مصر وهى بلد لم يكن قد زارها من قبل ولا يعرفها .

ثم تحدث السفير الراحل تحسين بشير فقال : إنه قد فقد أخاه فى حرب 1948ولذلك فالوصول إلى السلام لم يأت بسهولة بل بعد تضحيات وبعد حوار طويل ومناقشات مستفيضة ومفاوضات شاقة ومع ذلك فقد تم الوصول إلى السلام رغم كل الصعوبات..وهذا السلام يعتبر شمعة مضيئة مملوءة بالأمل،والآن فى المفاوضات الحالية يمكن أن نحاول ونحاول لنجد نقطة هنا ونقطة هناك وذلك من أجل الالتقاء بين الإسرائيليين والعرب ولابد من وجود السلام حيث من خلاله لا توجد المعاناة من أى حرب وخصوصاً بالنسبة للفلسطينيين،وعندما نعمل أكثر سنحقق الكثير .

ثم تحدث السفير إفرايم دويك سفير إسرائيل بالقاهرة وقتها ، وهو مصرى الأصل فقال : إن السلام هنا يجب أن يبقى هنا .. ولمدة عشر سنوات بقى

المركز الأكاديمى الإسرائيلى مركزاً بسيطاً لهذا السلام .. ولخص السفير أمنياته فى ثلاث هى :

1 – أن يكون هناك مركز أكاديمى مصرى فى إسرائيل وسيتم الترحيب به كما سيتم تقديم كل عون له .

2 – أن يكون المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة أكثر قرباً فى اتصالاته مع المراكز الأكاديمية فى الجامعات المصرية والأساتذة .

3 – أن تكون هناك مراكز أكاديمية إسرائيلية فى الدول المجاورة وكذلك سفارات إسرائيلية .

ثم تحدث السفير أحمد المسيرى مدير إدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية المصرية فقال: إن الثقافة هى اللغة التى يستخدمها مجتمع معين وهى الطريق التى يعرف بها مجتمع معين الطريق وهى وسيلة فعالة للتقريب بين الشعوب ، والعديد من الدوائر الحكومية والأكاديمية فى إسرائيل تهتم باللغة العربية حين كانت أعداد كبيرة من اليهود تعيش فى الدول العربية ، وقد بدأت منذ الأربعينيات ردود أفعال للمؤلفات العربية وأنشئت فى إسرائيل أقسام متخصصة لدراستها فى الجامعات الإسرائيلية ، وبدأ جيل كامل من الأكاديميين والمعنيين بدراسة أدباء مشهورين فى مصر ولاشك أن الجهود الثقافية تؤدى إلى تقريب الأفكار فى كلا البلدين .

ثم تحدث الدكتور ساسون سوميخ ، وهو أستاذ بجامعة تل أبيب ، عن نجيب محفوظ من وجهة نظر الباحث الإسرائيلى وسمى أعماله الأدبية المحفظة أو المحفوظية نسبة إلى نجيب محفوظ ، وقال : إنه لا ينظر لأعمال نجيب محفوظ من وجهة النظر الفنية ، وإنما أيضاً إلى نقده لبعض الأوضاع وقد أحب نجيب محفوظ منذ الصغر ومنذ أن كان فى العراق وقد جلس قريباً منه خلال العشر سنوات الأخيرة وقد تم تدريس أدب نجيب محفوظ فى العقود الثلاثة الأخيرة ويحظى نجيب محفوظ بشعبية فى إسرائيل وقد ترجمت رواياته

وقصصه ومعظم قصصه القصيرة حيث ساهم فى إثراء وتوازن دراسة التراث العربى فى أقسام الدراسة بالجامعة العبرية حيث لم يكن متوافراً إلا الأدب فى العصور الوسطى .

وقال : إنه قد تم نشر ترجمة أعمال أدباء آخرين مثل يوسف إدريس وطه حسين وتوفيق الحكيم ولكن نجيب محفوظ كان له نصيب الأسد والسبب فى ذلك أنه أغزرهم إنتاجاً وأكثرهم إبرازاً لديناميكية وحركية التطور فى الحدث العربى وهو الأكثر تصويراً له !! .

ثم تحدث الكاتب " نعيم تكلا " فأبدى فرحته بتواجد المركز الأكاديمى الإسرائيلى وقال : إنه كأديب مصرى قد عايش وعرف بعمق معنى الحرب والسلام وقد كان الصراع الإسرائيلى العربى ذا تأثير نفسى عليه وعلى أدبه وكتاباته وبعد انتهاء الحرب كان الجانب الإسرائيلى مهتماً بالجانب الثقافى المصرى فأجرى دراسات عديدة له .. وقال : إن تبادل الثقافات الإسرائيلية والمصرية قد جعله يستمتع بالثقافة الإسرائيلية وطبعاً لم يكن تبادل الثقافات سهلاً إلا بعد التسويات السياسية ودعا إلى مؤتمر دولى يقوم كل طرف فيه بتحميل الطرف الآخر المسئولية كأدباء لتحقيق التفاهم بين الشعوب ولمقاومة كل أنواع التفرقة والتمييز ، وقال : إن الأدب سابق للسياسة ومروض لها وهو حلم ولكن الأحلام خطوة أولى لتحقيق الانجازات .

وقال : إن تواجد المركز الأكاديمى الإسرائيلى قد أتاح له الفرصة لمعايشة ومصادقة الكثير من الأدباء الإسرائيليين ومنهم الباحثون فى الأدب العربى .

ثم جاءت فقرة الترفيه بالفن فجاءت المغنية الإسرائيلية شوهام عيناف وقد غنت بالعديد من اللغات منها : العربية والإنجليزية والعبرية ، وكانت قبل كل أغنية تقوم بالتقديم لها وشرح الجو النفسى والمناظر الطبيعية التى تتخيل أنها تعيشها ثم تغنى ببطء ثم تزيد سرعتها فجأة فتنفعل مع الجماهير الحاضرة وتنفعل معها الجماهير والجميع يصفق لها لا فرق بين (سفير وأستاذ وطالب أو رجل أو

امرأة) وقد شاركها الغناء فنان الأوبرا المصرى أحمد البلتاجى !! وقد توقفت عن الغناء بين بعض الأغنيات وقالت سوف أتكلم بصفة رسمية . (لن تستطيع أن تقتلنى بالخنجر ولكن يمكن أن تقتلنى بالحب !!) .

* الأديب المغمور يقدس المركز

ونظراً لخطورة ما قاله الأديب المغمور / نعيم تكلا الذى ترجم له اليهود بعض الأعمال الأدبية التافهة ونشروها فى تل أبيب ، ونظراً لأنه يعبر عن فئة ضالة من أدبائنا وباحثينا المصريين والعرب ، فإننا رأينا أن نورد كلمته كما قيلت فى الحفل المذكور والتى جاء فيها ما يلى :

كم يسعدنى ويشرفنى أن أتحدث فى هذه المناسبة الكريمة ، إنه عيد من أعياد الفكر ، وهل أسمى من الفكر فى حياة الإنسان إلا الروح ؟ بل أليس الفكر جانباً من الروح ؟ وما جمعنا هنا الآن ، أليس هو روح المحبة التى تصنع المعجزات وتحيل العداوة والبغض سلاماً وتفاهماً وتآزراً وتعاوناً من أجل الغد الأفضل للجميع ؟ .

أنا هنا لا أمثل إلا نفسى كأديب مصرى من جيل الوسط ، الجيل الذى عرف وكابد وعانى بعمق معنى الحرب والسلام ، ولكننى أعى أننى بتمثيلى لنفسى إنما أعبر عن وجدان مصرى لدى الملايين .

إن " المؤتمر الأدبى " الذى أدعو إليه يهدف بالأساس إلى أن يحمل كل طرف الطرف الآخر مسئوليته تجاه مستقبل السلام فى المنطقة ، المطلوب هو المصارحة مهما كانت قاسية ، والأدباء الذين يتقابلون هنا لا يمثلون حكوماتهم ، وإنما يمثلون ضميرهم الحر ويناقشون كأدباء سلاحهم القلم ، مسئوليتهم تجاه تحقيق التفاهم بين الشعوب ومقاومة كل صور التفرقة والتميز والعنف والتعصب ، وتمهيد الطريق إلى سلام شامل عادل ينعم به الجميع .

الأدب سابق للسياسة ومروض لها ، وما أطرحه هنا يكاد أن يكون مجرد حلم لا أعرف كيفية تحقيقه ، ولكن الأحلام دائماً خطوة أولى على طريق الانجازات العظيمة .

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أشير إلى أفضال المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة فى تعريفى على آفاق الثقافة العبرية القديمة والحديثة ، وفى إتاحة الفرصة لى لألتقى وأصادق شخصيات رائعة من صفوة الأكاديميين والأدباء الإسرائيليين هم من أفضل مكاسب حياتى . قبل تأسيس المركز الأكاديمى التقيت بالصديق العزيز بروفسور / ساسون سوميخ ، ذلك الباحث الكبير فى الأدب العربى والإنسان الفاضل الذى أحس كأنه من أهلى ومن قريتى الواقعة فى صعيد مصر ، ولقد كان للمركز بعد فضل إتاحة الفرصة لألتقى به مراراً.

ومنذ تأسيس المركز عرفت الصديق البروفسور / شمعون شامير والسيدة زوجته ، وذلك الثنائى الجميل الذى أسس صرحاً رفيعاً فى القاهرة والذى واءم بين العلم والثقافة الرفيعة والسياسة الراقية فى هارومونية نادرة ، ومن خلال المركز اكتسبت معرفة وصداقة هذه الكوكبة الرائعة : الكاتب عاموس عوز ، ذلك الأديب العظيم المناضل من أجل السلام وسامى ميخائيل وإسحاق بارموشيه ، ودافيد سجيف والسيدة مارسيل زوجته ودكتور محمود عباسى ودكتور جابى فاربورغ والسيدة زوجته ودكتور أشير عوفاديا والسيدة زوجته، وأخيراً وليس آخراً الصديق العزيز الفاضل دكتور يوسف جينات والسيدة زوجته داليا ، ذلك الثنائى النشط الذى اكتسب محبة كل من عرفهم من المصريين والذى اعتاد منذ عام ونصف أن يدعو إلى المركز فى القاهرة أهم الشخصيات الأكاديمية والأدبية فى إسرائيل .

تحية تقدير للمركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة بمناسبة عيده العاشر وإلى المزيد من أعياد الفكر والثقافة فى مصر وإسرائيل ، وفى كل دول المنطقة – هكذا تحدث الأديب المغمور – ولا تعليق عليه سوى أن الملايين الذين ادعى

أنه يمثلهم ، غير صحيح بالمرة ، لأن هؤلاء الملايين دُفن لهم شهداء وضحايا وأصيب لهم جرحى ، ورمُلت لهم نساء بسبب أولئك الذين يحييهم ويحبهم هذا الأديب المغمور من الصهاينة .. إنهم يلعنون تلك اللحظة التى تحدث فيها هذا الأديب باسمهم ولم يباركوها كما يدعى كذباً !! .

* بطرس غالى تُبرق

ومن الولايات المتحدة الأمريكية أرسل صديق إسرائيل الأول فى مصر – قديماً– د.بطرس غالى (بالمناسبة يتردد أن زوجته يهودية وأنها من قريبات مناحم بيجن) برقية إلى مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة يقول فيها:

السيد الدكتور يوسف جينات

مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة

تحية طيبة وبعد ،،

فلقد تلقيت بمزيد من الشك خطابكم ودعوتكم لحضور الاحتفال الذى سيقام بالقاهرة يوم 2 مايو الجارى بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء المركز الأكاديمى بالقاهرة .

وأود أن انتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن تقديرى لما تبذلونه من جهد من أجل التقريب بين الثقافتين العربية والعبرية من خلال الأبحاث والدراسات المتنوعة والمتعددة بهدف ترسيخ التفاهم والتعايش السلمى بما من شأنه أن يدفع عملية السلام العادل والشامل فى منطقة الشرق الأوسط ، مع أطيب التمنيات لكم ولأنشطة المركز بالنجاح والتوفيق .

د. بطرس بطرس غالى

* هل بعد ذلك نسأل لماذا صمت بطرس غالى أو انحاز وقتها ضد قضايانا العربية والإسلامية سواء فى فلسطين أو بغداد أو فى لبنان أو فى الصومال أو فى البوسنة والهرسك!! .

* المركز يتبنى المواهب المغمورة

وفي نفس فترة احتفال المركز بمرور عشر سنوات ، قامت نشرته الداخلية السرية بتبني بعض المواهب الأدبية المصرية المغمورة ، وادعت أنهم من كبار الشعراء العرب المعاصرين ولنتأمل نماذج مما نشرته وروجت له الدعاية الصهيونية بالمركز : فتحت عنوان :

(الموسيقى : لغة عالمية) – يقول شاعر مجهول من مدينة الإسكندرية يدعى / مصطفى حسن نصار ما يلي بالعامية المصرية :

دوري مـــــي فاصـــــول لاســـــي لغـــــة بيفهمهـــــا الجميـــــع
روســـــي .. يابـــاني .. فرنســـي بيفهمـــــوا اللحـــــن البـــــديع

دوري مي فاصول لاسي

دوري مـــــي يـــا دنيـــا غنـــي واجعـــــل الفاصـــــول تهنـــــي
كـــــل واحـــــد فـــــي آلاتـــــه شـــرقي .. غربـــي .. راح يغنـــي

دوري مي فاصول لاسي

الطيـــــور بتغنـــــي ســـــي ودوري ومـــــــي وســـــي
لحـــــن دايـــــم للزهـــــور عمـــــره يـــــوم مـــــا بتنســـــي

دوري مي فاصول لاسي

زقـــزق العصـــفور ســـي ســـيكي قـــــول ولا أجـــــدع موســـــيقى
ســـمعته فـــي القـــدس المـــواطن فقـــال يـــا دنيـــا اللحـــن فيـــك

دوري مي فاصول لاسي

ســـــمعه واحـــــد أمريكـــــاني وســـمعه غيـــره .. وكـــان يابـــاني
ســـــمعوا دا العصـــــفور يغنـــــي قـــالوا .. مـــا أحـــل الأغـــاني

دوري مي فاصول لاسي

الموســـــيقى ربـــــاط جمعنـــــا نفهموهـــــا احنـــــا جميعنـــــا
لمـــــــا نتبـــــادل لغاهـــــا الملايكـــــة تيجـــــى معنـــــا

دورى مى فاصول لاسى
اقـــــرأ التـــــوراة بمغنـــــى وأنشـــــد الإنجيـــــل بمغنـــــى
وأنـــــت يـــــا مســـــلم تعـــــالى نرتـــــل القـــــرآن جميعنـــــا

دورى مى فاصول لاسى
ثم قدموا شعراء مغمورين ومغيبى الوعى والإحساس الوطنى ومنهم / فاروق زكى أحمد عمار – أحمد مرسى يونس – رزق حسن .

المركز ووثائقه المهمة(*)

بالرغم من الحملات الصحفية الناجحة التى قامت بها الصحف المصرية والعربية المعارضة ضد المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ودوره التجسسى المتزايد ، إلا أن هذا " المركز " ظل على مبدئه فى التجسس وظل يكابر ويعاند الجماعة الوطنية فى مصر ، بل والنظام الحاكم ذاته ، مخترقاً هذا النظام ، ومتعدياً شروط وقرارات إنشائه بالقاهرة والموقعة يوم 1982/2/25 .

وكانت أحدث فضائح التجسس داخل هذا المركز المشبوه قبل ثورة يناير 2011 ، هو قيامه بالتجسس ومحاولة الاختراق للنشطاء السياسيين وللجماعات الإسلامية فى مصر ، بالتنسيق مع " السفارة الإسرائيلية " وأجهزة الموساد ، هذا فضلاً عن قيامه بتجنيد الشباب المصرى للتجسس لصالح إسرائيل تحت غطاء (المنح الدراسية) فى معهد (أوليان عقيبا) بالقدس، وهو معهد علمى تابع للموساد .

* ولنبدأ القصة من أولها :

* انظر صور ضوئية من هذه الوثائق فى نهاية الموسوعة (قسم الوثائق).

* لقد استطعنا الحصول على عدد من الرسائل السرية المرسلة من المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة إلى بعض الباحثين والجواسيس من الجنسين ، تحتوى هذه الرسائل على صيغة مشتركة خطيرة للغاية تقول بالنص ما يلى : (القاهرة فى 1994/2/4 – السيد / .... شكراً على حسن تعاونكم معنا ومع مركزنا الموقر ونتمنى لك تعاوناً أفضل فى مجال الأبحاث عن الجماعات الإسلامية المتطرفة بمحافظتك مرفق طيه مبلغ خمسة آلاف جنيه ، وأحياناً ثلاثة أو اثنان) مقابل مجهودك العالمى الجودة ، نرجو إرسال أسماء باقى أعضاء آخر جماعة كتبت لنا عنها .. شكراً . بروفيسور دكتور عمانويل ماركس – مدير المركز الأكاديمى–نسخة لمكتب المسئول بالسفارة ختم السفارة السرى وختم المركز) .

* هذه الرسالة الخطيرة لدينا منها أكثر من عشر رسائل موزعة على محافظات مصر بالإجمال ، وقبل أن نشير إلى دلالات وخطورة هذه الرسائل، نقدم نموذجاً آخر لها موجهاً إلى إحدى السيدات هذه المرة – تقول الرسالة : (السيدة ..... شكراً على حسن تعاونك معنا ومع مركزنا الموقر ونرجو لك الاستمرار معنا دائماً مرفق طيه مبلغ ألفى جنيه مقابل مجهودك السريع معنا ونرجو إرسال باقى أسماء السيدات فى جماعتك وبسرعة .. شكراً بروفيسور دكتور عمانويل ماركس – مدير المركز الأكاديمى– نسخة لمكتب المسئول بالسفارة والختم الرسمى ، والخطاب مؤرخ أيضاً فى 4 فبراير 1994) .

ولخطورة هذه الوثائق ننشر صوراً لها (فى قسم الوثائق فى نهاية الموسوعة والذى يعد أكبر أجزاء الوثائق نظراً لطبيعة عمل المركز الثقافية وخطورته الكبيرة على مصر قبل ثورة 25 يناير 2011) ، ونسجل هنا أيضاً أمام المسئولين الغيورين على أمن هذا الوطن وأمام الرأى العام المصرى والعربى هذه الدلالات الخطيرة ، لهذه القضية التجسسية التاريخية لهذا المركز.

***

دلالات الوثائق

* <u>الدلالة الأولى :</u> لأول مرة تقع فى أيدى القيادة العربية الوطنية صور حية من النشاط التجسسى لهذا المركز فيما يخص (الجماعات الإسلامية) فالكثير مما نشر من قبل كان على سبيل التخمين والتوقع والقياس على تاريخ وأنشطة هذا المركز ورجاله من عناصر الموساد القذرة أما ما بين أيدينا ، فهى وثائق حية بالأختام الرسمية ، مما يشكل جريمة تاريخية متكاملة الأركان ، تؤكد ما سبق وأشرنا إليه فى هذا الفصل عن خطورة (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) ودوره التطبيعى المؤثر والذى يحتاج بعد ثورتى يناير 2011 ويونيو 2013 إلى إعادة النظر فى وجوده من الأساس .

<u>الدلالـــة الثانيـــة :</u> الوثـائق التـى بـين أيـدينا تحمـل أسـماء نتصـورها وهميـة لشخصيات معروفة أو لنقل إنها " أسماء حركية " فالأسماء من قبيل (السيدة جميلة سمير – السيدة نادية فوزى – الدكتور حسن – السيد محمود سعيد – السيدة منار فهمى – السيد عصام رفعت – السيد على سليم – السيد سامر رمزى – عبد الواحد الزمر .. إلخ) مما يعنى أن هذه الأسماء تقوم بدور خطير يستدعى إخفاء معالمها الحقيقية عن الأنظار ومن هنا أتت أسماؤهم بهذا الغموض المقصود .

<u>الدلالة الثالثة :</u> الوثائق (الرسائل) تبدأ بالشكر والامتنان على مجهودات سابقة ، وترفق طيه مبالغ نقدية كبيرة (قياساً بأوضاع الباحثين المقيمين فى مصر وفى غيرها ، وتنتهى بطلب محدد وهو الاستمرار فى كتابة التقارير عن الجماعة وبهذا الترتيب يأتى أسلوب عمل المركز ، فهو بعد أن يجند الشباب والفتيات تحت دعوى التعاون العلمى البريء – تماماً كما تفعل مراكز البحوث الأمريكية والأوروبية الحقوقية والسياسية – فى مصر مع مراكزنا البحثية السياسية والاستراتيجية ومع باحثينا الوطنيين) يبدأ فى تحديد مطالبه وزيادة المقابل لتصبح الحلقة أكثر إحكاماً والخناق أشد وطأة والرابط أقوى من أن ينفك

بسهولة ، ثم أن القضية التى يتناولها هؤلاء الباحثون فى تقاريرهم وأبحاثهم تتصل بأخطر قضايا مجتمعنا المصرى ، الأمر الذى لا يجد حياله هؤلاء أى فكاك من التبعية لجهاز الموساد عبر هذا المركز ، وإلا لوقعوا فى أيدى الطرف الآخر وهو هنا أجهزة الأمن المصرية أو الجماعات الإسلامية وساعتها لن يرحمهم أحد .

الدلالة الرابعة : المركز بهذا الدور الجديد – القديم أيضاً – فى جمع المعلومات عن قضايا الوطن الأمنية والاجتماعية ، وتجنيد الجواسيس يخالف بروتوكول إنشائه جملة وتفصيلاً وبالتالى يجوز (ولن نقول يجب حتى لا يعاند البعض من المسئولين) إغلاقه وإنهاء وجوده فوراً فى مصر ، فالمخالفة تقع حين نطالع بروتوكول المركز الموقع فى 1982/2/25 وبخاصة المواد (2–3–5) ففى هذه المواد ينص البروتوكول على أن هذا المركز (منظمة خاصة منشأة طبقاً للقوانين والنظم المصرية وخاصعة لها ، مادة 2) فهل فعلاً المركز يعمل وفقاً للقوانين والنظم المصرية ، ويخضع لها؟ وهل جمع المعلومات وتجنيد الجواسيس واختراق الجماعات الإسلامية بهدف تخريبها وتخريب الوطن من الداخل .. ما يمكن أن يوصف بأنه خضوع للقانون المصرى ؟ .

ثم إن البروتوكول فى مادته الثانية يقول : (يعتبر المركز قناة للاتصال بين المؤسسات التعليمية والعلمية المصرية والإسرائيلية طبقاً للقوانين والنظم المصرية) فهل ما تم فى هذه الرسائل والأبحاث والاختراقات الجاسوسية يتفق وهذه المادة ؟ ثم إن المادة ذاتها تقول : (وسيخطر الجانب المصرى الجانب الإسرائيلى بقنوات الاتصال المصرية الملائمة فى هذا الصدد) فهل هذه هى (القنوات) التى أبلغ الجانب المصرى الجانب الإسرائيلى عن ضرورة اتباعها ، ومنذ متى كان الأفراد والباحثون أصحاب الأسماء السابقة من القنوات الرسمية ؟ وهل من شروط عمل هذه القنوات الحصول على أجر مجز بهذا الشكل اللافت للأنظار ؟! .

الدلالـة الخامسـة : فتظهر أكثر فـى المـادة الرابعـة والخامسـة من البروتوكـول وتتحـدد بهـا أكثـر وقـائع الفضـيحة ، فـالمركز وفقـاً لهـذه المـواد يتبـع مباشـرة (الجمعيـة الشـرقية الإسـرائيلية والأكاديميـة الإسـرائيلية للعلـوم الإنسـانية) وهمـا مسئولان عن نشاطه وعن دعمه مالياً .. ولم يذكر (البروتوكول) أية صلة بين السفارة الإسرائيلية بالقاهرة ، والمركز الأكاديمى ، بل حرص البروتوكول على تكرار الابتعـاد السياسـى للمركـز عـن كافـة المجـالات العلميـة ، وبخاصـة عـن نشاط السفارة الإسرائيلية ، إذا كـان الحـال كذلك ، فلماذا ترسل نسخة من هذه الرسائل السرية إلى (مسئول السفارة) – كمـا هو مبين فـى الصـورة المنشورة فـى قسم الوثـائق فـى نهايـة الموسـوعة ولمـاذا تختم الرسـائل بختم السـفارة السـرى ؟ لـيس سـوى إجابـة واحدة هـى أن هذا المركـز يمـارس التجسـس السياسـى البيَّن بالتنسيق مـع السفارة الإسرائيلية ، وهو قد تجاوز بل وضرب بنود البروتوكول المنشأ به يوم 1982/2/25 والخطير أنه يقوم بهذا الدور منذ بدء نشاطه على أيـدى الصـهيونى المعـروف د. شـيمون شـامير .. ولـيس مصـادفة أن يصـبح (شيمون شامير) سفيراً للكيان الصهيونى بالقاهرة فيما بعد ، ليواصل ذات الدور بـل ويؤكـد روابـط العلاقـة المخابراتيـة بـين هـذا المركـز المشـبوه وبـين السـفارة الإسرائيلية بالقاهرة !! .

وتبقى دلالة سادسة وأخيرة : تتصل بنوعية هذه الأبحاث التى يجريها المركز الأكـاديمى الإسـرائيلى بالقـاهرة ، وبنوعيـة بعـض الجـرائم الخطيـرة التـى كانـت الجماعات الإسلامية تنفى أنها قد قامت بها ، وكان الجانب الرسمى السياسى والإعلامى فى عهد حسنى مبارك يصر على إلصاقها دائماً بها (سواء الجهاد أو الجماعـة الإسـلامية) ، من هذه الوثـائق يتضـح أن ثمـة أدواراً أخرى لأجهزة الموساد الإسرائيلى من المحتمل جداً أن تكون خلف تلك الجرائم ، وأن "القرائن" صارت موجودة دون مبالغة أو تهويل وهذه الوثائق (الرسائل) هى أدلة الاتهام والقـرائن التـى تـدفع الموسـاد ورجالـه سـواء داخـل المركـز أو داخـل السـفارة

باحتمالية القيام بمثل هذه الجرائم غير المبررة وبخاصة تلك التى يروح فيها ضحايا لا ذنب لهم .

إن هذه الرسائل ، وتلك الأبحاث والوثائق تكشف وتؤكد أن ثمة طرفاً ثالثاً ، قبل ثورة يناير 2011 وبعدها كان يلعب فى الأمن القومى المصرى ويخلق الفوضى ويرسخ التطبيع والاختراق ، وهو الطرف الثالث كان إسرائيلياً بامتياز .

***

معهد أوليان

عقيبا .. والتجسس

من أخطر أنشطة المركز الأكاديمى الإسرائيلى والتى ترتبط بقضية الرسائل السابقة ، وقع بين أيدينا أيضاً خطاب رسمى صادر من وزارة الخارجية الإسرائيلية وبتوقيع (مردخاى أرتسيالى) وموجه إلى البروفيسور أشير عوفاديا – مدير المركز الأسبق – يقول نصه – بعد ترجمته من العبرية إلى اللغة العربية : (شكراً جزيلاً على خطابك السابق ، لقد أعلن معهد أوليان عقيبا عن استقبال الأربعة للكورس الذى يبدأ فى 1987/7/20 ، مثلما أرسل إليك طبقاً للخطاب المرسل من مدير القسم ديفيد جرانيت إلى ديفيد ساجيفا فى 1987/7/13 ، نأمل ألا تكون هناك مصاعب بالنسبة لخروجهم وعلى أية حال ضعنا فى الصورة ، مهم جداً أن يعمل قبل فوات الأوان الكورس القادم فى سبتمبر ، وطبعاً ستضعنى فى الصورة عن طريق ديفيد ساجيفا مع تحياتى لك ولزوجتك وإلى اللقاء .

نسخة للأستاذ / ديفيد ساجيفا سفارة إسرائيل بالقاهرة) مردخاى أرتسيالى .

وهذه الرسالة (الوثيقة) تؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن هذا المركز وكر حقيقى للجواسيس وليس مركزاً علمياً محترماً ، فالمركز يحاول تجنيد الطلاب المصريين والباحثين (بل وبعض الصحفيين المعروفين) ويرسلهم إلى معهد (أوليان عقيبا وتل أبيب) وهو معهد تابع للموساد الإسرائيلى ، كما تؤكد الإدارة

الإسرائيلية نفسها ، وتحت ستار تعلم وإتقان اللغة العبرية (تم خلال فترة التطبيع 1979–2011) تجنيد هؤلاء العملاء الصغار والمركز يخرق بهذا النشاط المؤثم قرار إنشائه والذى سبق وأشرنا إلى جوانب منه فالمفروض أن تعامل المركز يكون مع (الجمعية الشرقية الإسرائيلية والأكاديمية الإسرائيلية للعلوم الإنسانية) وليس وزارة الخارجية الإسرائيلية أو السفارة الإسرائيلية بالقاهرة ، ولنتأمل اسمين فى هذه الرسالة كشفا هذا الدور الخفى للخارجية الإسرائيلية والتى يعمل بداخلها أساساً رجال الموساد الإسرائيلى ، الاسم الأول هو محرر الخطاب (مردخاى أرتسيالى وهو مدير المراسم بالخارجية الإسرائيلية وقتها) ، والاسم الثانى هو ديفيد ساجيفا (الملحق المخابراتى المسئول بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة نهاية الثمانينات) ثم لنتأمل شعار وختم وزارة الخارجية الإسرائيلية على نفس الخطاب .

فمنذ متى ووزارة الخارجية الإسرائيلية معنية بأمور تدريس اللغة العبرية للطلاب والباحثين المصريين فى معهد (أوليان عقيبا) ؟ وهل يعنى هذا أن الوزارة قد تخلت عن أدوارها الأخرى لتتفرغ لهذه المهمة !! أم أن المهمة بالفعل غير ذلك وتستحق اهتمام ومتابعة وزارة الخارجية الإسرائيلية والسفارة الإسرائيلية ، وكانت تتطلب أيضاً حتى اهتمام الخارجية المصرية التى لم تتحرك جدياً للرد على هذه الاختراقات طيلة فترة التطبيع قبل ثورة يناير 2011 .

***

التعامل مع المسئولين فى مصر بوجهين

* ومن أغرب أنشطة وسلوكيات هذا المركز المشبوه قيامه بإرسال نوعين من التقارير نصف السنوية إلى وزارة الخارجية والتعليم العالى والثقافة فى مصر وإلى المسئولين الإسرائيليين ومن المفروض أن يكون التقريران متشابهين ، لأنهما – وفقاً للبروتوكول – يتصلان بأنشطته العلمية ، ومن هنا لا ضرر من ذكرها سواء كتبت باللغة العربية ، أو بالعبرية (مادة 6 من البروتوكول) ولكننا

نفاجأ بعدة مفاجآت دفعة واحدة ، أول مفاجأة هى أن وزارتى التعليم العالى والثقافة فى مصر لم تتلقيا أية تقارير أو أبحاث عن أنشطته منذ إنشائه عام 1982 وحتى نهاية فترة البحث (2011) ، ووزارة الخارجية المصرية هى الوحيدة التى تتلقى فقط تقريراً باللغة العربية– نصف سنوى – لا يتعدى كلاماً عاماً جداً عن أنشطة المركز الخطير فى الأمر .

وهنا المفاجأة الثانية – أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تتلقى التقرير العبرى السرى الخطير بالفعل والبعيد كل البعد عن النشاط العلمى كما ينص البروتوكول (مادة 6) ، ولنتأمل أحد التقارير (عام 1988) ولنقارنه بنظيره المكتوب باللغة العربية والمرسل إلى الخارجية المصرية لنلاحظ الاختلاف الكامل والخطير ، فالمرسل إلى الخارجية المصرية يتحدث عن "المساعدة للباحثين الإسرائيليين وللباحثين المصريين وعن قائمة الندوات الشهرية العلنية (وليست السرية) وعن نشاط المكتبة والدراسات الموجودة بها ثم خُتم التقرير " بختم " مختلف تماماً عن المرسل إلى الخارجية الإسرائيلية والذى يقول فى أول سطوره : (الحالة الأمنية فى مصر متدهورة ، حدثت عدة محاولات لاغتيال مسئولين كبار كان آخرها محاولة اغتيال اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية المصرى (الأسبق) ثم يتحدث عن الشخصيات التى تم تجنيدها ومنها (مستشار) وأنه كانت له مشكلة مالية مع المؤتمر اليهودى المنعقد فى سويسرا عام 1988 حين ادعى ضياع 30 ألف دولار منه ومطلوب توفير هذا المبلغ له حتى لا نخسره كمصدر مهم وكصديق له وزنه) ويتحدث التقرير عن النشاط التجسسى للمركز فى اختراق الجماعات الوطنية والبحثية المصرية ، وأساليبه فى ذلك ويطلب النصيحة بشأن تطوير هذه الأساليب ، مع زيادة الدعم المادى والمعنوى للمتعاونين معهم .. إلخ) والتقرير (العبرى) حافل بالخطير من الوقائع والمعلومات وهو تقرير لا علاقة له مطلقاً بـ(التقرير المكتوب باللغة العربية) الذى لا يسلم إلا للسيد عمرو موسى (وزير الخارجية وقتها) شخصياً الذى

بدوره يلقى به جانباً باعتباره صديقاً للمركز ولقادة الكيان الصهيونى ، ويثق فيهم ويثقوا فيه إلى حد عدم التحرى والبحث فى الأنشطة المشبوهة والتقارير الكاذبة لهذا المركز، أما وزارتا التعليم العالى والثقافة فلم يصلهما شيء ولم تسعيا للحصول على هذه التقارير ، رغم أن هذا حقها ولكنها لم تسع إليه ولم يحركها وقت الرئيس المخلوع (حسنى مبارك) أى نوازع وطنية صادقة !! مثلها مثل رئيسها ولاشك !! .

<u>الشخصيات المصرية التى يحرص المركز على دعوتها فى ندواته :</u>

ونذكر فقط منها (عبد الستار الطويلة – أنيس منصور – د. محمد شعلان – د. عبد العظيم رمضان – المستشار سعيد العشماوى – وسلوى جمجوم روزاليوسف – تحسين بشير – بهيرة مختار بالأهرام – صفوت عبد الحليم بدار الهلال – د. نعمت أبو بكر مدير المتحف الإسلامى – آيات عبد النبى – بعض صحفيى مجلة أكتوبر – مدير المتحف المصرى – د. جمال عبدالسميع جامعة القاهرة – د. عبد الرحمن عوف كلية دار العلوم – د. محمد الهوارى جامعة عين شمس – د. محمد السبعاوى – جامعة الأزهر – وغيرهم) والقائمة تحتوى على 67 اسماً من ألمع الأسماء العلمية والصحفية فى مصر !! .

* ولم يكتف المركز بذلك .. بل قام بتقسيم القاهرة إلى مناطق وأحياء من حيث الأصدقاء والمؤسسات التى يتعامل معها ، فعلى سبيل المثال (منطقة جاردن سيتى ويتعامل فيها مع مركز البحوث الأمريكى ومؤسسة فورد فونديشن – وسفارات كل من بلجيكا – المكسيك – كندا – اليونان – النمسا – اليابان – أمريكا – إيطاليا .. إلخ) ومنطقة حى الزمالك يتم التعامل فيها مع (المعهد الإيطالى – د. صلاح النبوى – أ. سعيد العشماوى – المركز الهولندى – جريدة التايمز ولوس أنجلوس والفاينشيال تايمز وسفارات أيرلندا – السويد – هولندا – ألمجر – ألمانيا .. إلخ) .وكذلك الوضع بالنسبة لمناطق (المهندسين

– الدقى – العباسية – المنيرة – وسط البلد – كورنيش النيل – مصر القديمة .. إلخ) .

وتقسيم المناطق ، أسلوب عتيق ، معروف عن أجهزة الموساد الإسرائيلى وهو أسلوب يسهل الاتصال ويدفع به إلى الأمام ، ويساعد على اكتشاف الجواسيس جيداً وجمع المعلومات بطريقة علمية دقيقة !! .

والغريب أن الأجهزة المصرية المسئولة لم تتابع جيداً هذه المخططات ولم تهتم بشبكة الأصدقاء أو العملاء طيلة الفترة (1979–2011) لذلك كان التطبيع مؤثراً ومخرباً !! .

***

موظفو المركز يبيعون وثائقه

ولأن الطيور على أشكالها تقع ، فها هو أحد الموظفين المصريين بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى نهاية الثمانينات ، يقوم ببيع ما تحت يديه من وثائق المركز إلى المراسلين الصحفيين العرب والأجانب مقابل مبالغ نقدية ، الطريف فى الأمر أن هذه الوثائق اتضح أنها بيعت ونشرت من قبل وخاصة عندما قام آخر بيعت له الوثائق بتقديم شكوى ضد هذا الموظف وقدم إقراراً على نفسه باستلام الأموال ، وتقديم الوثائق (المضروبة) واتضح أثناء التحقيقات أن مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى كان له ضلع فى تسريب هذه الوثائق لنشرها فى صحف الخليج العربية بهدف التمهيد لإنشاء مراكز إسرائيلية بها بعد تنفيذ مخططات ما يسمى بالسوق الشرق أوسطية ، ومهزلة اتفاق غزة – أريحا أولاً ، وبالتالى لم تتم التضحية بالموظف المصرى وقتها واستمر فى عمله .

***

الدور مستمر

سبق أن كشفنا فى العديد من الدراسات والأبحاث والمقالات المنشورة فى الصحف المصرية والعربية عن الدور السياسى الذى يلعبه المركز الأكاديمى

الإسرائيلى بالقاهرة منذ إنشائه عام 1982 وحتى اليوم وكيف أنه قد خرج عن نصوص بروتوكول إنشائه المؤرخ فى 25 فبراير 1982 (ومرفق صورة منه) والمتضمن شروطاً بعدم ممارسة أدوار سياسية وأن دوره ينحصر فى الأمور الثقافية ليس إلا .بالإضافة للوثائق السابقة ثمة أوراق ووثائق أخرى تثبت الدور السياسى للمركز (والمفترض وفقاً للبروتوكول أن يكون ثقافياً وتعليمياً فقط وفى أضيق نطاق – انظر : بروتوكول الإنشاء) تقول إحدى هذه الوثائق والمؤرخة فى 1994/5/30 والمرسلة من مدير المركز د. عمانويل ماركس إلى شخص (غالباً الاسم حركى) يدعى السيد م. سلام وتقول : (شكراً على أخبارك الجريئة وإن كان هناك بعض لم نتأكد منه للآن نطلب منك بحثاً عن الصراع الحزبى لديكم فى الفترة الحالية نظراً لوجود بروفيسور شهير لدينا يعكف على كتابة موضوع عن نفس الأمر ويهمه معرفة كل جديد وغير منشور عن القصة ، مرفق طيه مبلغ ألفى جنيه مصرى لا غير نظير البحث علك تنتهى منه بسرعة وشكراً ، مدير المركز الأكاديمى بالقاهرة أ.د.عمانويل ماركس (ثم ختم المركز) ، وبالمناسبة يقوم المركز باستخدام عدة أختام مما يدعو إلى الريبة ، والختم الموقع على هذه الوثيقة مكتوب عليه (سرى) ثم أرقام هواتف المركز بالقاهرة .. لماذا ؟ .

ثم وثيقة أخرى تنبئ عن مسائل خاصة ببيع الآثار المصرية وأن ثمة خلافاً على أسعارها : تقول الوثيقة (السيد / كمال عزام ، تسلمت مجموعتك كاملة والحقيقة أنها المطلوبة فعلاً وقد تأكدنا من أنها غير مدرجة بقائمة المتحف ، كما قلت ، ولكن الفارق الذى طلبته كزيادة عما دفع فلا فأعتقد مبالغ فيه جداً ومرفق طيه شيك بالمبلغ الذى رأينا أنه مناسب كفارق سعر ونرجو أن لا تكون هذه هى آخر تعاملاتنا ، شكراً جزيلاً ، مدير المركز الأكاديمى بالقاهرة أ.د.عمانويل ماركس ، ثم الختم .

ومن الوثائق الخطيرة (وما أندرها) والتى وقعت بين أيدينا عن نشاط المركز تلك العلاقات الخاصة التى تربطه بالطائفة الإسرائيلية بالقاهرة ، وكيف أنها تتصل ببيع الكتب اليهودية ، وإثارة قضية المقابر اليهودية فضلاً عن مسألة المعونة الخارجية للمركز ، وتقول إحدى هذه الوثائق وهى عبارة عن رسالة من رئيس الطائفة إلى مدير المركز (القاهرة فى 1991/3/4 :السيد / يوسف جينات مدير المركز الأكاديمى بالقاهرة ، سلام ، الموضوع : إخراج الكتب المتفق عليها إلى متاحف القدس نعلمكم بأن المجموعة الخطية التى طلبتم إخراجها مع مستندات المرسومات الملكية القديمة قد سافرت فعلاً بواسطة الشخص الذى أرسلتموه إلينا منذ قليل وربما يكون قد علمتم بذلك لكننا فضلنا التأكيد على الأمر شكراً ، رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة اميل روسو ثم ختم الطائفة وتليفوناتها بالقاهرة) .

أما الوثيقة الثانية وهى رسالة أيضاً مرسلة من إميل روسو رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة – وقتها – إلى مدير المركز السابق (يوسف جينات) وتدور حول محاولة الطائفة استخدام المركز للبحث عن وثائق تثبت ملكيتها للمقابر اليهودية المصرية وللاستيلاء عليها مما يمثل خطراً كما نعلم على استقلالية الآثار المصرية (شاملة اليهودية منها) تقول سطور الوثيقة (القاهرة 1992/12/30 : السيد / يوسف جينات مدير المركز الأكاديمى بالقاهرة ، سلام ، الموضوع : مقابر الطائفة الإسرائيلية ، لقد رأى بعض الخبراء الأصدقاء أن مشكلة توثيق مستندات ملكية مقابر اليهود المملوكة للطائفة الإسرائيلية بالقاهرة ليست بالمشكلة أبداً ويمكن بمساعدة مركزكم الواسع الخبرة التوصل إلى اكتشاف مرسوم ملكي أو بعض المستندات التى تبدو قديمة بداخل المكتبة المهملة فى معبد الظاهر بحيث يتم العثور على المستندات بوجود أحد ممثلى هيئة الآثار المصرية لكى تثبت فى محضر رسمى وعند ذلك ستتحول طبقاً للروتين إلى مستندات أصل رسمية من النوع الذى نحتاج إليه جداً فى

الفترة القضائية التالية شكراً على تفهمكم للموضوع، رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة إميل روسو ثم ختم الطائفة).

أما الوثيقة الأخيرة بزيادة الدعم المادى الممنوح له من إسرائيل هو (والمركز) الذى لا يكفى (وفقاً للوثيقة هذا الدعم = مليون شيكل) .

وعلينا أن نلاحظ هنا حجم الخطر المتمثل فى الدعم المادى الخارجى لطائفة المفترض أنها تعيش فى مصر ولا تعمل بالسياسة بالمعنى المخالف للأمن الوطنى المصرى ، وإلا فيما سيصرف (المليون شيكل) بهذا الشكل الدرامى وتقول سطور الوثيقة : القاهرة 1992/5/2 : السيد / يوسف جينات مدير المركز الأكاديمى بالقاهرة ، سلام ، الموضوع : مبالغ المعونة الخارجية نحيطكم علماً بأن مبلغ المليون شيكل سنوياً لا تغطى طلبات مركزكم الدائمة بجانب مشروعاتنا نحن ، مما يجعلنا فى مشاكل دائمة مع المتعاملين معنا ، ولهذا نرجو سرعة الحصول على موافقة الوزارة الأم بزيادة الدفعة النصف سنوية التالية فى يونيو القادم لمصلحة سير العمل ، شكراً مقدماً ، رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة اميل روسو ، ثم ختم الطائفة) .

وبعد : هذه نماذج فقط من وثائق نادرة استطعنا الحصول عليها من قلب المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ، وهى تؤكد دون مبالغة الدور السياسى التطبيعى الذى يقوم به هذا المركز ، خارجاً بهذا عن نصوص بروتوكول إنشائه وتؤكد أيضاً خطورة هذا المركز قبل ثورة يناير 2011 وبعدها . ومن ثم هو يحتاج إلى وقفة قانونية وسياسية تستهدف إلغاء وجوده أو على الأقل تحييد دوره ووضعه تحت الرقابة السياسية للدولة والثورة .

ملحق الفصل الثانى

وثيقة النص الكامل لبروتوكول إنشاء المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة

جمهورية مصر العربية

وزارة الخارجية

تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل

المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة

القاهرة – وقع فى 1982/2/25 وصدر رسمياً عام 1983 فضلاً عن الاتفاق الثقافى الموقع بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل فى 8 مايو 1980،فقد اتفقت الحكومتان على ما يلى :

مادة (1)

اتفق الطرفان ، على أساس مبدأ المعاملة بالمثل ، على إنشاء مركز أكاديمى إسرائيلى فى القاهرة (مشار إليها فيما بعد بالمركز) أفاد الجانب الإسرائيلى أن الجمعية الشرقية الإسرائيلية ستقوم بإنشاء هذا المركز نيابة عن الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والعلوم الإنسانية .

مادة (2)

المركز منظمة خاصة منشأة طبقاً للقوانين والنظم المصرية وخاضعة لها

مادة (3)

يعتبر المركز قناة للاتصالات بين المؤسسات التعليمية والعلمية المصرية والإسرائيلية طبقاً للقوانين والنظم المصرية ، وسيخطر الجانب المصرى الجانب الإسرائيلى بقنوات الاتصال المصرية الملائمة فى هذا الصدد .

مادة (4)

أفاد الجانب الإسرائيلى أن الجمعية الشرقية الإسرائيلية نيابة عن الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والعلوم الإنسانية فى إسرائيل هى الجهة المسئولة عن جميع المتطلبات المالية الخاصة بالمركز .

سيكون لهذا المركز مدير عام إسرائيلى يساعده جهاز لا يزيد عن خمسة أعضاء إسرائيليين وكذلك جهاز من الرعايا المصريين طبقاً لمتطلبات المركز ، وللمركز استئجار مبنى مناسب فى القاهرة ، وذلك طبقاً للقوانين والنظم المصرية .

مادة (5)

هدف المركز هو تنمية الدراسة والبحث فى المجالات التعليمية والعلمية والثقافية والتكتيكية والأثرية والتاريخية ، ومن أجل تنفيذ هذه الأهداف سيباشر المركز الأنشطة التالية طبقاً للقوانين والنظم المصرية :

أ – استضافة ومساعدة المواطنين الإسرائيليين الدارسين والزائرين ، الذين يقيمون فى مصر بهدف الدراسة أو البحث ، على أن لا يزيد عدد الطلبة المقيمين بالمركز عن خمسة عشر طالباً فى أى وقت .

ب – يقدم المعلومات والمساعدات فى المجال الأكاديمى للمواطنين المصريين الذين يرغبون فى الذهب إلى إسرائيل لهدف الدراسة أو البحث .

ج – عقد الترتيبات الضرورية من خلال السلطات المصرية المختصة للدارسين والباحثين الزائرين لمباشرة الدراسة والبحث فى المؤسسات البحثية والأكاديمية ، والأرشيف ، والمكتبات والمتاحف .. إلخ ، طبقاً للقوانين والنظم المصرية .

د – طبقاً للقوانين والنظم المصرية يعقد الندوات للدارسين والباحثين الزائرين ويتيح الفرصة لهم لمقابلة الدارسين والباحثين المصريين والتعاون معهم .

هـ – إنشاء مكتبة للمراجع لخدمة الدارسين وللأساتذة والباحثين لكلا البلدين كما تقدم تسهيلات لدراسة المواضيع العلمية .

مادة (6)

يمكن للمركز أن يقدم برنامج زمالة يتكون من دارسين إسرائيليين مرشحين كباحثين لإجراء بحث فى المكتبات والأرشيف والمتاحف والمؤسسات التعليمية والعلمية والتكتيكية والثقافية فى مصر ، طبقاً للقوانين والنظم المصرية .

يكون المركز والدارسون تحت إشراف وزارتى التعليم العالى والثقافة ويمتثل للمتطلبات الموضوعية ، لذلك يقدم المركز قائمة بأسماء الدارسين أو الباحثين المرشحين للعمل فى مصر لمدد طويلة لوزارة الخارجية قبل موعد قدومهم بشهر على الأقل وكذلك موضوع البحث ويمكن للوزارة – إذا رغبت – الاعتراض على مواضيع البحث لهؤلاء الباحثين .

يقدم المركز لوزارة التعليم العالى نسختين من البحوث التى قام بها الباحثون فى مصر والتى سبق الموافقة عليها .

يقدم المركز تقريراً كل ستة أشهر عن أنشطته العلمية إلى وزارتى التعليم العالى والثقافة .

مادة (7)

يدخل هذا البروتوكول حيز التنفيذ من تاريخ التوقيع عليه ، ويظل معمولاً به لمدة ثلاثة أعوام ويستمر سارى المفعول ما لم يخطر أحد الطرفين المتعاقدين الطرف الآخر كتابة بإنهائه مقدماً بستة أشهر على الأقل ، وإشهاداً لما تقدم وقع هذا البروتوكول الموقعان أدناه المفوضان عن حكومتيهما . حرر فى القاهرة فى 25 فبراير 1982 .

من مصادر الفصل الخاص بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى :

1 – عالجنا جوانب من عملية الاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى فى كتبنا التالية : اختراق العقل المصرى – الفنونى للنشر – القاهرة 1986 .

– وصف مصر بالعبرى : دار سينا للنشر – القاهرة 1988 – علماء وجواسيس – دار رياض الريس للكتب والنشر – لندن 1990 .

2 – جميع الأبحاث والمعلومات المشار إليها فى هذه الدراسة استطاع الباحث الحصول عليها من خلال النشرة الداخلية للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة والمعنونة بـ (Bulletin) خلال الفترة 1988 – 1993 وهى نشرة تصدر باللغة الإنجليزية وعدد من هذه الأبحاث كان مكتوباً باللغة العربية والعبرية فى الصفحات الأخيرة من النشرة ، وجميع ما سيرد من أبحاث يعد مجرد عينة لما قام به المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ولما ألقى فيه من محاضرات وهى بالأساس تلخيص لها .

3 – Maurice shammas : Egyptian – born jewish personalities in the fields of Ecanamy and Art in twentieth – century Egypt , Bulletin of the Israeli academic center in cairo no – 10 , July – 1988 , p. 34.

4 – Shiman Shamir : THE JEWS OF Egypt A Mediterranean society in modern times Bullein , no 10 , p. 22.

5 – Asher ovadiah , Editorial , Bullein , , no 11 january 1989 , p. 3.

6 – Nill, shupak , comporative Aspects of Billical and Ancient Egyptian wisdom , Bulletin , , no 11 , p. 4.

7 – Refael Yankeievitch , Egyptian jewry , during the Hellenstic Raman periody , Bulletin , , no 11 , p. 12.

8 – Aviezer , Ravitrky , Influence of Muslim Philosophy of Jewish philosophy , bulletin , no 11 , p. 18.

9 – Hananel mack , Muslim Influences on jewish culture during the middle a ges , Bulletin , no 11 , p. 21.

10 – 11 – دافيد سغيف : موقع المثل فى الحضارتين العربية والعبرية – بحث باللغة العربية والعبرية منشور فى العدد 11 يناير 1989 من نشرة المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة .

12 – شمعون بلاص : نجيب محفوظ رسول الأدب العربى إلى العالم – بحث باللغة العربية منشور فى العدد 11 يناير 1989 من نشرة المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة .

13 – ساسون سوميخ : أدب نجيب محفوظ رسول الأدب العربى إلى العالم – بحث باللغة العربية منشور فى العدد فى النشرة الداخلية للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة العدد 14 – يناير 1991.

Sasson Somekh : Husayn Fawzy , an Egyptian Intellectual – 14
, Bulletin of the israeil academie center in cairo , no 1988– 1900
21. p. 1992my , 16

Asher ovadiah , the library of the jewish Heritage in Egypt , – 15
3. p. 1989july 12Bulletin , no

14Shulamith Hareven , Language as Midrash, Bulletin , no – 16
8,p. 1991january ,

15Hayim Be`er , Jerusalem , city on the Edge , Bulletin no – 17
19, p. 1991, September ,

16Abraham Haim , Jewish Roots in Spain , Bulletin , no – 18
37, p. 1992may

Gabriel R.Warburg , Egyptian Historical weitings on the – 21
. 14. p. 16torca Egyptian sudan , Bulletin , no

22 – جميع مصادر المركز الأكاديمى الإسرائيلى وتفاصيل اللقاءات والصور والكلمات والرسائل الخاص به تضمنها أعداد النشرة الداخلية للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة – ونشرت باللغتين العربية والإنجليزية خلال فترة البحث وخاصة بعد بدء عمل المركز فى القاهرة عام 1980 .

الفصل الثالث

التطبيع الثقافى فى مجالات الفن

مقدمة :

ليس مصادفة أن يكون المجال الثقافى هو الأكثر حصانة بين المجالات الأخرى فى حدوث تطبيع مع الكيان الصهيونى وبالرغم من الازدواجية التى تتعامل بها الدولة حيث إنها مطالبة بالتطبيع وفقاً لاتفاقياتها مع العدو الصهيونى إلا أن كل تعاملاتها تحاول إضفاء نوع من الكتمان والغموض عليها نظراً لاستنكارها شعبياً مما يوقع النظام فى حرج بالغ هو أقل ما يستحقه نظام أبرم اتفاقيات بمعزل عن شعبه وضد تاريخ ومصلحة وطن ، لازالت دماء شهدائه تخضب الأرض جراء الإجرام الصهيونى فى الحرب ولازال شهداء (السلام) يتساقطون جراء الاختراق الصهيونى الذى قدم إليهم على طبق من فضة بالخروج الطوعى من الصراع وتسليم النفس والأرواح للصهاينة بدعوى السلام وليس بخاف ما تسبب فيه هذا السلام المزعوم وما حدث بسببه من اختراق صهيونى للمجتمع فى مجالات حساسة سرطنت الأخضر واليابس وضربت اللجام على أفواه ثورة الشعب الذى كان ثائراً مقاوماً لهذا الكيان وزرعت فيه السلبية وإدمان الذل والهوان ، أما المجال الثقافى بشكل عام فهو محط أنظار الكيان الصهيونى ، لأنه يريد تأسيس العقل العربى والمصرى تحديداً على الاستسلام والاعتراف بهذا الكيان والمدخل الفنى تحديداً هو أهم المداخل التى يسعى الصهاينة للدخول منها إلى عالم الوجدان وإلى أكثر الوسائل الثقافية متابعة وانتشاراً على المستوى الشعبى ولولا وقفة المثقفين الحقيقيين والشرفاء الوطنيين فى جميع النقابات الفنية والثقافية وقفة حازمة لكانت الأمور لتصل إلى مهزلة حقيقية نتيجة الإصرار الصهيونى والتخاذل الرسمى والذى يحتمى عند توجيه الضغوط إليه بحائط الرفض الشعبى وهذه الدراسة تركز على الإختراقات التى حدثت فى مجال المقاطعة الفنية ومادار حولها من جدل وما اتخذ دونها من إجراءات ومحاولة لاستشراف مدى تماسك الجبهة الرافضة فى ظل التطورات السياسية الحادثة مع التطرق لبعض

الاختراقات الثقافية الأخرى بشكل سريع ولكن التركيز الرئيس لهذا الفصل على مجال الفنون وذلك فى المحاور التالية :

أولاً : ماذا نعنى بالتطبيع الفنى : بجانب الفنون التقليدية ، مثل : الغناء ، والرسم ، والخط العربي ، والنحت ، عرفت مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر فنوناً جديدة ، قدمت إليها من أوربا والغرب ، أبرزها : التمثيل المسرحي والسينمائي (والتليفزيوني فيما بعد) . ومع مرور الزمن تحول الممثلون والمطربون وأصحاب المهن التي ترتبط بهم ، من "مِشَخَصَاتية" و"عَوالِم"، ينظر لهم المجتمع نظرة دونية ، كنظرته إلى أي جماعة وظيفية تقوم ببعض الوظائف التي لا يحترمها المجتمع، تحولوا إلى "رموز" يحصلون على جوائز الدولة وأوسمتها ، وتتصدر صورهم أغلفة المجلات وصفحات الجرائد ، ويُقدَّمون في البرامج التليفزيونية بكل احترام وتبجيل ، وصار كثير منهم قدوة للشباب المصري (والعربي) في المظهر والسلوك ، وصارت ثقافتنا اليومية "تمثيلية"، فبعد أن كان المألوف أن يستشهد أحدنا في حديثه بقول مأثور أو بيت شعر أو مثل شعبي ، صار مألوفاً أن يكون الاستشهاد بمشهد من فيلم أو مسلسل تليفزيوني، أو مقولة وردت في إحدى المسرحيات!!

والحقيقة أن نظامي الحكم اللذين تعاقبا على مصر بعد انتهاء الملكية وإعلان الجمهورية (نظام جمال عبد الناصر، ونظام أنور السادات وخليفته) ، قد ساهما في صنع الوضع الاجتماعي الجديد لفئتي الممثلين والمطربين ، وما يتصل بهما من مهن . ويبدو أن الرؤساء المصريين الثلاثة كان بهم ميل شخصي للتمثيل وأهله ، فيُحكى عن الرئيس جمال عبد الناصر كيف كان يحب مشاهدة أفلام السينما في منزله ، وكيف كان يحرص على حضور حفلات المطربة أم كلثوم . ويُروى عن خلفه أنور السادات ولعه بالتمثيل ، وكيف كان يقلد الممثلين في شبابه !! أما الرئيس (حسني مبارك) ، فقد شارك بالتمثيل في أحد الأفلام السينمائية المنتجة في خمسينيات القرن الماضي ، في دور ضابط في

سلاح الطيران المصري !! ونحن نشهد بأعيننا على مدى العقود الثلاثة الماضية اهتمام نظامه بأهل الفن (خصوصاً أهل التمثيل والطرب) ، اهتماماً لا يدانيه إلا الاهتمام بلاعبي كرة القدم !!.

إن التطبيع الفني يستمد خطورته من خطورة الدور الذي يقوم به أهل الفن – وعلى رأسهم الممثلون والمطربون – في عالم اليوم ، في الشرق والغرب ، وفي مصر خصوصاً ، فمع التأثير الكبير للفن والفنانين في الجماهير المصرية ، المثقفة والبسيطة ، ومع دخول وسائط الإعلام والاتصال لأغلبية بيوت المصريين ، حاملة معها أولئك الفنانين وأعمالهم ، صار اختراق المجتمع المصري من جهة فنانيه ، هدفاً صهيونياً دائماً ، وباباً من أبواب التطبيع التي لا يكل الإسرائيليون من طرقها ، آملين أن يكون الفن هو حصان طروادة الذي يلج منه التطبيع إلى الجماهير المصرية.

ومع الشعبية والانتشار الذي يحظى به الفن المصري على امتداد العالم العربي ، فإن أثر تورط الفنانين المصريين في مستنقع التطبيع يمتد ، لا جدال ، إلى الجماهير العربية من المحيط للخليج ، وفي حال تحقق ذلك – لا قدر الله – فإن المكاسب الصهيونية تتضاعف ، ويكسب التطبيع أرضاً عربية واسعة بامتداد تأثير أولئك الفنانين، دعك من البلبلة والاضطراب الذي يحدث مع كل حادثة تطبيعية جديدة ..هكذا يحلم الصهاينة ، ولهذا يعملون.

* هذا وقد يستمد " التطبيع الفني" مفهومه من المفهوم العام للتطبيع ، فإذا كان التطبيع يقوم مفهومه على الاعتراف بالدولة الصهيونية وإقامة علاقات التعاون معها في مختلف المجالات ، فإن التطبيع الفني يُقصد به : الاعتراف بالدولة الصهيونية وإقامة العلاقات معها في المجال الفني، ومن صور ذلك :

– اعتراف الفنانين المصريين بالكيان الصهيوني ، وزيارتهم ذلك الكيان ، ومصادقتهم الإسرائيليين ومشاركتهم في الأعمال الفنية والاجتماعية .

– عرض الأعمال الفنية المصرية في الدولة الصهيونية ، ومشاركة الفنانين المصريين في المهرجانات والفعاليات الفنية التي تُعقد في الكيان الصهيوني .
– التعامل الرسمي أو الشعبي المصري مع الفنانين الصهاينة والإسرائيليين ، وعرض الأعمال الفنية الإسرائيلية في مصر ، واشتراك الإسرائيليين في المهرجانات والاحتفالات الفنية التي تقام في مصر .
– إنهاء مقاطعة الفنانين المصريين للأعمال الفنية الإسرائيلية والفنانين الصهاينة في المهرجانات والمحافل الدولية .

ثانياً : موقف الوزارة الرسمى : فى حديثه مع وكالة الأنباء الإيطالية " آكى " أكد وزير الثقافة المصرى فاروق حسنى (أنه يؤيد ويحث على ترجمة الكتب العبرية إلى العربية وتوزيعها فى مصر إلا أنه اعتبر أن التطبيع مع إسرائيل لا يتم إلا بعد أن يتوصل الفلسطينيون والإسرائيليون إلى معاهدة سلام) ، كما نقلت صحيفة " الخليج " الإماراتية عن " فاروق حسنى" تأكيده (أن المنافسة على منصب اليونسكو شرسه وهذا يتطلب التحضير الكامل من خلال التعريف بالمرشح المصرى وطرح اسمه على المجتمع الدولى من خلال الإعلام الدولى واللقاءات مع وزراء الخارجية فى العالم) وجاء هذا التصريح عقب اتهامات صريحة وجهت إلى الوزير بالتطبيع الثقافى مع إسرائيل من أجل الفوز بمنصب المدير العام لليونسكو خلال الانتخابات التى تجرى العام القادم 2009 ، وذلك عقب إجراء الوزير حواراً صحفياً مع إحدى الصحف الإسرائيلية وإعلانه عن استعداده لزيارة إسرائيل ، ووفقاً لشبكة الإعلام "محيط" فإن الوزير رفض التعليق على سؤال يتضمن هذا الاتهام .

ونقلت قناة المنار الفضائية وفى موقعها على الشبكة الدولية للمعلومات تصريحات للوزير فى تقريرها المعنون بـ " وزير الثقافة المصرى يحلم بتطبيع ثقافى مع إسرائيل " حيث يقول التقرير وهو بتاريخ 2008/5/28 : (أكد وزير الثقافة المصرى فاروق حسنى الثلاثاء (2008/5/27) فى سياق توضيحه

لتصريح له يتعلق بتل أبيب أنه يحلم بتطبيع ثقافى مع إسرائيل بمجرد أن توقع اتفاق سلام مع الفلسطينيين ، وكان حسنى المرشح لرئاسة منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) قد قال " إذا وجدت كتاباً واحداً (إسرائيلياً) فسأقوم بإحراقه وذلك فى رده على النائب الإخوانى " محسن راضى " الذى قدم استجواباً بشأن وجود كتب إسرائيلية بالمكتبات .

وفى فقرة لاحقة من نفس التقرير : ورأى حسنى الذى تولى وزارة الثقافة لأكثر من 22 عاماً أن معارضيه أخرجوا تصريحاته من سياقها وقال " كنت منفعلاً من إلحاحه (أى النائب) وهذا التعبير يعنى بالعربية عدم وجود أى شيء واعتبر أنه من الخطأ الكبير عدم ترجمة كتب إسرائيلية مؤكداً أنه طلب رسمياً القيام بذلك مضيفاً أن لن يهتم إذا احتج البعض على هذا الأمر ، غير أن الوزير أكد بالمقابل معارضته للتطبيع الثقافى مع إسرائيل والذى لم يتحقق بعد رغم مرور ثلاثين عاماً على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية قبل توقيع اتفاق سلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، وقال : لا ينبغى إضاعة ذلك واصفاً التطبيع الثقافى مع إسرائيل بأنه "حلم لكن علينا انتظار اللحظة المناسبة التى ستأتى عندما توقع إسرائيل السلام مع الفلسطينيين وإذا حدث ذلك غداً فإننى سأكون بعد غد فى الصف الأول من أجل هذا التطبيع " وتعهد حسنى العمل على إقامة جوار ثقافات إذا اختير لخلافة " كيوشيرو ماتسورا " مديراً عاماً لليونسكو وقال : " إنه مكسب لإسرائيل أن أعين فى هذا المنصب، لأننى سأعمل على المصالحة مؤكداً أنه بذل كل ما بوسعه للمحافظة على التراث اليهودى فى مصر وترميم المعاهد اليهودية] .

ويمكننا تلخيص موقف الوزير فاروق حسنى آنئذ من تصريحاته أنه لا يوجد لديه أدنى مشكلة مع إسرائيل من الناحية السياسية أو من جهة ترجمة كتبها وأنه كان يحلم بالتطبيع معها بشرط عقد إتفاقية سلام مع الفلسطينيين وأن هذا موقفه المعلن بغض النظر عن ترشيحه لليونسكو والهجوم الذى حدث عليه من

المنظمات الصهيونية بعد تصريحاته بحرق الكتب التى أدلى بها أمام استجوابات نواب الإخوان .

<u>ثالثاً : موقف النقابات الفنية :</u> النقابات الفنية لها موقف ثابت منذ عام 1981 ، وقد أكد الفنان "سيد راضى " رئيس اتحاد النقابات الفنية (أن قرارات الراحل سعد الدين وهبه ومجلس النقابات الفنية الثلاث – التمثيلية والسينمائية والموسيقية – عام 1981 هو ذاته قرار المجلس الحالى والمقبل وهى ثوابت لن تتغير مادامت إسرائيل تنتهك حقوق الفلسطينيين وتستمر فى إعلانها أن دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات).

وفى موضوع ذى صلة وعقب زيارة فنان الكاريكاتير " جورج بهجورى " لإسرائيل أصدر الصحفيون بياناً يؤكد على احترام قرارات النقابة حيث جاء فى فقرة منه (فى الوقت الذى تؤكد فيه قرارات الجمعية العمومية للصحفيين على حظر كافة أشكال التطبيع المهنى والشخصى والنقابى ومنع إقامة أية علاقات مع المؤسسات الإعلامية والجهات والأشخاص الإسرائيليين حتى يتم تحرير جميع الأراضى العربية المحتلة وتطلب الجمعية العمومية من أعضائها جميعاً الإلتزام الدقيق بقرارات عدم التطبيع وتكلف المجلس بوضع أسس المحاسبة والتأديب لمن يخالف القرار فوجئنا بالسيد " مكرم محمد أحمد " – نقيب الصحفيين – ينشر فى عموده اليومى بالأهرام رسالة بعث بها إليه الزميل " جورج بهجورى " عضو نقابة الصحفيين يؤكد فيها سفره إلى إسرائيل ورام الله ويرد النقيب : " وضعتنى رسالة بهجورى بين نارين ، باعتبارى صحفياً لا يرى أية ضرورات تحظر على الصحفيين السفر إلى أى مكان حتى وإن كان إسرائيل..لكن صفتى كنقيب للصحفيين تلزمنى أن أقول: إن سفرك إلى إسرائيل حتى ولو من نافذة باص يحمل شعار هيئة الأمم المتحدة أمر يتعارض مع الأسف مع قرارات سابقة للجمعية العمومية لنقابة الصحفيين التى تعتبر ذلك تطبيعاً للعلاقات مع إسرائيل دون مسوغ حقيقى .

رابعاً : محاولـة تحليليـة : يبدو من سياق الحوادث أن موقف المقاطعة على المستوى الرسمى موقف غير مبدئى بمعنى أنه لولا الأصوات الرافضة من أعضاء النقابات وجمعياتها العمومية ولولا الموقف الشعبى الرافض للتطبيع لربما وكان هناك تطبيع ثقافى وفنى لأنه بحكم الاتفاقية المشؤومة فى كامب ديفيد فإن من الواجب قيام هذا التطبيع ونظراً لأن المجال الصحفى والفنى والثقافى بشكل عام هو الأشهر والأكثر التصاقاً بالقاعدة الشعبية وهو مما لا يمكن إخفاء أحداثه أو تسترها فإن التطبيع غير قائم فى هذا المجال بشكل رسمى ويخضع للعقاب من يخترق هذا القرار ولو أن هناك اختراقات متعددة إلا أنها لا تخلو أن تكون فردية وقاعدة الرفض هى السائدة والتى تمتلك زمام الأمور وتتعامل الجهات الرسمية بازدواجية فى هذا المضمار فهى تغازل الكيان الصهيونى وتبلغه فى المناسبات المختلفة برغبتها فى التطبيع ولكنها ممنوعة بفضل هذا الضغط والرفض الشعبيين وعدم عقد اتفاقية سلام تسوغ لها هذا التطبيع وتبرره وتتعامل فى الداخل بنفى النية حول اتخاذ أى إجراءات تطبيعية من قبيل تصريح الوزير بأنه لو علم بوجود أى كتاب إسرائيلى سيحرقه على الرغم من إبدائه رغبته فى ترجمة العديد من الكتب العبرية واستعداده لزيارة إسرائيل وذلك فى خطابه الخارجى إثر حملة الهجوم التى شنها عليه الصهاينة وعلى ترشيحه لليونسكو ومن هنا فإن الموقف الرسمى عائم ولولا الضغوطات الشعبية المتمثلة فى النقابات الفنية والمهنية وكذلك شرفاء الفنانين والمثقفين لكان الاختراق الصهيونى قام بسرطنة الوسط الثقافى مثلما حدث مع التطبيع الزراعى .

خامساً : من تاريخ التطبيع الفنى بعد زيارة السادات للقدس 1977 وحتى 2011 :

بدأ التطبيع الفني فعلياً مع بداية العلاقات الرسمية بين مصر والكيان الصهيوني ، التي افتتحها الرئيس المصري السابق أنور السادات بزيارته للقدس في نوفمبر 1977م ، فقانوناً لم يعد الاتصال بالإسرائيليين "جريمة" تمس الأمن القومي المصري والعربي ، وصار بإمكان من ليس لديه مواقف قومية صلبة من الفنانين المصريين أن يقوموا بالاتصال بالإسرائيليين والتطبيع معهم ، خاصة أن مثل ذلك التطبيع حظي – وما زال يحظى – بمباركة النظام الساداتي الممتد لليوم.

وفي هذا الإطار يمكن أن نذكر أسماء لفنانين اعترفوا بعلاقتهم بالكيان الصهيوني ، وربما افتخروا بها !! أمثال عمر الشريف ، والممثل الراحل إيهاب نافع ، الذي كان في فترة من الفترات قائداً لطائرة الرئيس جمال عبد الناصر !! وقبل أن نتناول التفاصيل المتعلقة بهذين الممثلين ، وغيرهما، نلقي الضوء على بعض مظاهر التطبيع التي أمكن رصدها منذ زيارة السادات للقدس عام 1977 وحتى 2011 – فترة البحث– :

(1) في ديسمبر 1977م ، أي بعد أيام من زيارة الرئيس السادات للقدس ، أقام الفنان التشكيلي المصري (عبد الفتاح مرسي) معرضاً للوحاته في القدس. ويبدو أنه كان متلهفاً على التطبيع مع إسرائيل ، إذ لم تكن معاهدة الصلح بين مصر والكيان الصهيوني قد عُقدت بعد ، ولم يكن التطبيع الرسمي قد بدأ بعد .

(2) أثناء توقيع معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية في واشنطن في مارس 1979م ، شارك العازف المصري عمر خورشيد في احتفالات التوقيع بالبيت الأبيض ، بالعزف على جيتاره ، ليكون من أوائل الفنانين المصريين الذين استخدمهم النظام في ترويج الصلح والتطبيع .

(3) من القصص التي تروج لها الصحف العبرية ، أن شيمون بيريز اتصل هاتفياً في أعقاب توقيع اتفاقية الصلح المصرية الإسرائيلية في مارس 1979م ، بالمطربة المصرية الشهيرة (ليلى مراد) ، ليعرض عليها الجنسية الإسرائيلية ، ومزايا أخرى ، باعتبار أن المطربة الشهيرة ولدت لأسرة يهودية ، سافر بعض أفرادها للكيان الصهيوني عقب إعلان قيامه . وقد أراد بيريز أن يستفيد من شهرة (ليلى) ومكانتها لدى المصريين في الترويج لاتفاقية الصلح والتطبيع ، ولكن (ليلى) ، التي كانت قد اعتزلت الغناء وأسلمت ، رفضت أن ترد على مكالمة بيريز ، وظلت حتى وفاتها في سنة 1995م رافضة بحزم كل المحاولات الإسرائيلية للاتصال بها ، وإغرائها للتعامل مع العدو الصهيوني .

(4) في سنة 1979م ، اشترك الممثل المصري عمر الشريف في الفيلم الأمريكي "أشانتي" الذي صور في فلسطين المحتلة ، واشترك فيه بعض الممثلين الإسرائيليين .

(5) في مذكراته التي صدرت في بدايات سنة 2005م ، ذكر الممثل المصري الراحل إيهاب نافع كيف كان من الذين ساعدوا الرئيس السابق أنور السادات في إتمام الصلح مع إسرائيل[1]، كما أكد الرجل في حوار صحفي عقب نشره المذكرات أنه من مؤيدي الصلح والتطبيع مع العدو الصهيوني[2].

(6) في سنة 1980م ، قام الممثل المصري – غير المعروف وقتها – محمود قابيل بزيارة الكيان الصهيوني ، وفي سنة 2002م (في ذروة انتفاضة الأقصى) يعود الرجل فيكتب مقالاً في مجلة "روز اليوسف" القاهرية يدافع فيه عن صداقة تربطه بإسرائيلي، وحين ينسحب ممثلون أمثال حسين فهمي وجمال سليمان من مناصبهم الفخرية بالأمم المتحدة احتجاجاً على العدوان الصهيوني على لبنان في صيف 2006م ، لا يكتفي محمود قابيل بالاستمرار في عمله كسفير للنوايا الحسنة في الأمم المتحدة بل يستهزئ بزملائه هؤلاء ويسخر من موقفهم!!

(7) في يونيو 1981م ، أقام المستشار الثقافي المصري في باريس ، عبد الأحد جمال الدين معرضاً تشكيلياً ، عُرض فيه بجانب الأعمال الفنية المصرية أعمال تشكيلية إسرائيلية ، وأفلام دعائية للكيان الصهيوني !! وذلك للدلالة على التطبيع الثقافي بين الدولتين !!

(8) في العام نفسه ، قامت إدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية المصرية بتنظيم معرض للوحات الرسام المصري (محمود سعيد) في إسرائيل ، وأوفدت الإدارة بعض أفراد فرقة الموسيقى العربية والفرقة القومية للفنون الشعبية ، لإحياء حفلات هناك !! .

(9) في سنة 1982م ، وفي القاهرة ، أقام المجلس الأعلى للثقافة حفلاً موسيقياً لعازف إسرائيلي شاب اسمه (رامي باريف) ، وذلك بالتعاون مع السفارة الإسرائيلية بالقاهرة .

(10) في سنة 1984م ، شهدت سينما قصر النيل بالقاهرة عرضاً لفيلم (الروح والجسد) الذي أنتجه المنتج والمخرج الإسرائيلي (مناحيم جولان)، وقد تم العرض لحساب شركة المنتج (فاروق صبري) .

(11) في فبراير 1992م أعلنت السلطات الأمنية المصرية عن القبض على الإسرائيلية فائقة مصراتي ، ووالدها فارس صبحي مصراتي بتهمة التجسس، وقد اتضح من التحقيقات أن الفتاة الإسرائيلية قد أقامت علاقات صداقة مع عدد من الممثلات المصريات ، وكانت الممثلة شريهان وزميلتها نادية الجندي من الممثلات اللاتي ذكرت أسماؤهن بهذا الخصوص .

(12) في 1994م زار المؤلف المسرحي على سالم الكيان الصهيوني ، وسجل رحلته هذه في كتاب سماه "رحلة إلى إسرائيل" ،ومن يومها صار الرجل من أشهر دعاة التطبيع في مصر !!

(13) في سنة 1996م التقى المخرج المصري الراحل (حسام الدين مصطفى) أثناء وجوده بمدينة لندن بأحد الصحفيين الإسرائيليين ، وأجرى معه حواراً نُشر

فـي إحـدى الصـحف الإسـرائيلية ، وحـين واجهتـه الصـحف المصـرية بهـذا "التطبيع" ، أصر الرجل على ما فعل بل دعا في إحدى الندوات العامة للتعاون للفنانين الإسرائيليين ، وقام بزيارة الكيان الصهيوني بالفعل ، وهي الزيارة التي أدت لفصله من نقابة السينمائيين !!

(14) في الفترة نفسها – أي في أواخر عقد التسعينيات من القرن الماضي – زار المطرب المصري مدحت صالح الكيان الصهيوني ، وقام بالغناء في مدن فلسطينية محتلة في العام 1948م ، وحين ووجه بالاستنكار لتلك الزيارة، دافع عن نفسه بأنه غنى وسط عرب 1948م ، وأنه رفض أن يختم جواز سفره بالخاتم الإسرائيلي !! رغم أن المعروف أن الخاتم الإسرائيلي لا يوضع على جواز السفر وإنما على ورقة منفصلة!! .

(15) في دورة مهرجان كان 2000م صافح المخرج المصري الراحل يوسف شاهين المخرج الإسرائيلي " عاموس غيتاي" ، وسط مئات من المخرجين والممثلين والنقاد العرب !! وبرر شاهين ذلك بأنه صافحه بدافع إنساني ، إذ لا يستطيع أن يرفض يداً مُدت لمصافحته ، فضلا عن تعاطف المخرج الإسرائيلي مع القضايا العربية !!

(16) في صيف 2005م ، عُرض بالقاهرة الفيلم السينمائي " السفارة في العمارة" ، بطولة عادل إمام ، وانقسم الرأى العام والمقاومون للتطبيع بشأنه فالبعض اعتبره فيلماً مقاوماً للتطبيع فى حين رأوه آخرون بأنه فيلم تطبيعى بامتياز .

(17) على هامش دورة منتدى دافوس ، الذي استضافته مدينة شرم الشيخ في شهر مايو 2006م ، أصدرت الممثلة يسرا تصريحات داعية للتطبيع مع العدو الصهيوني ، ومما قالته:" نحن مجبرون على التعامل مع الإسرائيليين حتى لا نضحك على أنفسنا" ، وقد اضطرت الممثلة للتنصل من تصريحاتها هذه بعد أن قوبلت باستهجان وإنكار .

(18) في أكتوبر 2007م كسر مطرب الأوبرا المصري العالمي د. جابر البلتاجي قرار حظر التطبيع ، بمشاركته بالغناء في الحفل الذي أقامته الطائفة اليهودية القاهرة ، بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء المعبد اليهودي في القاهرة. وقد أدى البلتاجي واحدة من أغاني الشاعر صلاح جاهين (بحب السلام)، في حضور السفير الإسرائيلي ، وبسبع لغات ، منها العبرية التي يجيدها البلتاجي بطلاقة!! وقال الرجل في تصريحات لاحقة بجريدة الرأي العام الكويتية : إنه يتمنى أداء الأغنية نفسها في القدس ، وتل أبيب ، وأريحا، وغزة ، ورام الله ، بحجة أنه يريد دعوة الإسرائيليين إلى السلام !!

(19) في إبريل 2008م ، وزارة الثقافة المصرية تدعو الموسيقار الإسرائيلي (دانيال بارنبيوم) للعزف في دار الأوبرا المصرية !! وللتغطية على تلك الخطوة التطبيعية المكشوفة، انبرى وزير الثقافة فاروق حسني في الدفاع عن بارنبيوم باعتباره ممن يُسمون "أنصار السلام" ، ومن المدافعين عن الحق الفلسطيني ، ولم يفسر لنا الوزير كيف يكون المرء "إسرائيلياً " ، مهاجراً إلى فلسطين المحتلة من وطنه الأصلي ، ويكون مناصراً للحق الفلسطيني في الوقت نفسه ؟! .

(20) كسرت شركة "عالم الفن" المصرية ، قرار النقابات المصرية الفنية التي تحظر التعامل مع إسرائيل ، لتعلن في أغسطس 2008م عن بيع ألبوم المغنية اللبنانية هيفاء وهبي (حبيبي أنا) لشركة هواتف إسرائيلية . وقد حاول محسن جابر ، مالك الشركة ، نفي تهمة التطبيع ، قائلاً : إنه يحاول حماية حقوق الشركة من السرقة ، إذ تقوم شركات إسرائيلية بسرقة أغاني الشركة واستغلالها ، دون أن تؤدي حقوق الملكية الفكرية لـ "عالم الفن" ، لذا فإنه كلف أفراداً في الدولة الصهيونية بالاتصال بتلك الشركات ، وإعادة الحقوق لشركته !! .

(21) في يونيو 2009م ، شارك الفنان التشكيلي المصري المقيم بباريس ، جورج البهجوري في مشروع " كاريكاتير من أجل السلام " ، والذي سافر ضمنه للدولة الصهيونية ، وقضى فيها أربع ليال ، بدأت بعشاء في اليوم الأول في "

مستعمرة " إسرائيلية بالقدس ، وانتهت بمناقشات مع الإسرائيليين في متحف الكاريكاتير ببلدة حالون القريبة من تل أبيب.!!

ولما نُشرت أخبار الزيارة ، ووجه البهجوري بغضب زملائه في نقابتي : الصحفيين ، والفنانين التشكيليين بالقاهرة ، برر الرجل ما فعله بأنه رسام عالمي يحق له السفر لأي مكان !! وأنه زار الدولة الصهيونية كعضو في جماعة رسم عالمية أسسها الفنان الفرنسي العالمي «بلانتو» ، أهم رسامي صحيفة «لوموند» الفرنسية ، الذي أنشأ جماعة ترسم الكاريكاتير للسخرية من القمع والظلم والإرهاب حول العالم ، وعنوانها " من أجل السلام " ، وقد ذهبت الجماعة لتعرض أعمالها بروما وبروكسل وجنيف وأخيراً رام الله ، وأنه . أي البهجوري . المصري الوحيد بالجماعة ، وأنه لا يستطيع التخلف عن المشاركة في المشروع ، وكل علاقته بإسرائيل أنه قابل رسامين إسرائيليين ، وقام بالحوار معهم !!

(22) في مايو 2010م ، عُرض في مهرجان كان الفرنسي الفيلم الأمريكي "اللعبة العادلة" ، الذي شارك فيه الممثل المصري خالد النبوي مع الممثلة الإسرائيلية ليزار شاهي .

***

سادساً : نماذج أخرى من الاختراقات وردود الأفعال حولها :

– هذا المحور من الدراسة هو سرد للعديد من الاختراقات التى حدثت خروجاً عن الإجماع الشعبى وحتى القرارات الرسمية وملابسات الاختراقات وما دار حولها من جدل وذلك تركيزاً على المجال الفنى موضوع الدراسة :

– شاعر إسرائيلى يحاضر فى القاهرة : نقلت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 29 مايو 2005 خبراً من القاهرة بعنوان " شاعر إسرائيلى يحاضر فى القاهرة " ، ونص الخبر : [برغم رفض التطبيع الثقافى مع إسرائيل الذى أصبح أحد الثوابت الأساسية لجماعة المثقفين المصريين ، وجه المركز الأكاديمى

الإسرائيلى بالقاهرة الدعوة إلى عدد من المثقفين والكتاب والمراكز الصحافية والإعلامية لحضور ندوة أدبية يستضيف فيها المركز يوم 7 يونيه الشاعر الإسرائيلى " أهارون شابتاى " حيث يلقى محاضرة بعنوان " هل يوجد شعر سياسى فى إسرائيل ؟ " ويناقش الشاعر الإسرائيلى خلال الندوة دور الشعر السياسى فى المجتمع الإسرائيلى الحديث ، إعتماداً على خبرته الخاصة فى كتابة الشعر السياسى طيلة أربعين عاماً ، كما يكشف من خلال نماذج لشعراء إسرائيليين آخرين ردود فعل الشعراء والشعر الإسرائيلى الحديث فى مواجهة الأزمات السياسية والاجتماعية والأخلاقية التى تعصف حالياً بالمجتمع الإسرائيلى ويذكر أن " أهارون شابتاى " شاعر إسرائيلى يعيش فى تل أبيب وله أكثر من "14" ديواناً شعرياً يغلب عليها الطابع السياسى] .

- <u>عرض فيلم إسرائيلى بمهرجان الإسماعيلية :</u> فى سبتمبر 2005 وبعد افتتاح مهرجان الإسماعيلية الدولى للأفلام التسجيلية والروائية القصيرة وسط سخط على مسؤولى الثقافة إثر حريق مسرح " بنى سويف " ومصرع أكثر من ثلاثين مسرحياً منهم رموز فى النقد والإخراج.

حدث حادث آخر فى المهرجان أغضب النقاد والحضور حيث نقل " شريف المهدى " الصحفى الذى غطى المؤتمراً خبراً نصه : [أثار عرض الفيلم الإسرائيلى " اللعبة الحمراء " من إنتاج المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة " اليونسكو " فى فعاليات الدورة التاسعة لمهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والروائية القصيرة غضب نقاد السينما العرب والمصريين إلا أن إدارة المهرجان الذى يرأسه الناقد " على أبو شادى " سارعت إلى الاعتذار ببيان رسمى أشارت فيه إلى أن الخطأ وقع " لسبب فنى " وهو أن برنامج اليونسكو يتضمن أربعة أفلام أحدها فيلم هندى بعنوان " بداية جديدة " اختير للمشاركة فى المسابقة الرسمية وكان الترتيب الموضوع على الفيلم خاطئاً فعرض الفيلم الإسرائيلى عن طريق الخطأ وأكد أبو شادى فى تصريح لوكالة " فرانس برس " أن مهرجان

الإسماعيلية " لم ولن يسمح لأى فيلم إسرائيلى بغض النظر عن جهة إنتاجه من المشاركة فى فعاليات مهرجان الإسماعيلية، لأن ذلك يتعارض مع مبدأ رفض التطبيع الثقافى مع إسرائيل التى مازالت تحتل الأراضى العربية وتقمع أبناء الشعب العربى الفلسطينى ولا تمكنه من تحقيق أحلامه ببناء دولته المستقلة على تراب أرضه ، واستطاع البيان أن يسحب الغضب من إدارة المهرجان بعدما تأكد أن المهرجان يحافظ على مواقفه فى رفض المشاركة الإسرائيلية فيه] .

– **<u>فيلم تسجيلى مصرى يصور فى إسرائيل :</u>** نقلت جريدة الجمهورية بتاريخ 25 أكتوبر 2007 تقريراً إخبارياً بعنوان " إتهام جديد لمخرجة مصرية " يتناول التقرير الفيلم التسجيلى " سلاطة بلدى " والذى يحكى عن عائلة مصرية لأم يهودية تذهب لزيارة تل أبيب ويقول التقرير الذى أعده الصحفى " حسام حافظ " : [فجأة عاد الحديث مرة أخرى عن التطبيع الثقافى مع إسرائيل والسبب عرض الفيلم التسجيلى " سلاطة بلدى " للمخرجة المصرية "نادية كامل" فى مهرجان الشرق الأوسط السينمائى بأبى ظبى] .

وفى فقرة أخرى [ثار بعض النقاد العرب ضد " سلاطة بلدى " فى المهرجان وكتبوا يتهمون المخرجة نادية كامل بالتطبيع ، فإلى متى يظل السينمائيون المصريون مهتمين بالتطبيع مع إسرائيل ؟ .

الناقد السينمائى أحمد صالح رصد رفض بعض النقاد العرب لفيلم المخرجة المصرية "نادية كامل" ويقول : " شاهدت الفيلم وأعتقد أنه سيثير جدلاً واسعاً حول مسألة التطبيع فهو أول فيلم مصرى يصور فى تل أبيب " ، إنه فيلم تسجيلى طويل مدته " 105 " دقائق يحمل عنوان "سلاطة بلدى" للمخرجة التى تحكى عن عائلتها والتى تشبهها بالسلاطة البلدى لأنهم خليط من جنسيات وأصول مختلفة فأمها " مارى " من مواليد " القاهرة " لأب يهودى وأم إيطالية كاثوليكية لكنها اعتنقت " الإسلام " بعد زواجها من والد المخرجة الصحفى

المعروف " سعد كامل " والفيلم يحكى للطفل " نبيل " ابن " دنيا " شقيقة المخرجة] .

– إحالة الفنان " عمرو واكد " للتحقيق لمشاركته مع إسرائيلى فى فيلم :

الفنان المصرى الشاب عمرو واكد أحيل للتحقيق فى أغسطس 2007 على أثر مشاركته فى فيلم حول الرئيس العراقى الراحل " صدام حسين " وذلك لأن بطل الفيلم كان ممثلاً إسرائيلياً ولتفاصيل الخبر يمكن ذكر تقرير مجلة دنيا الوطن التى تابعت الموضوع وذلك بتاريخ 2007/8/26 حيث يقول التقرير : [أحال نقيب المهن التمثيلية المصرية " أشرف زكى " الفنان " عمرو واكد" للتحقيق لمشاركته فى تمثيل فيلم عن الرئيس العراقى " صدام حسين " أمام فنان إسرائيلى وهو ما اعتبرته النقابة خرقاً لقرارها بعدم التطبيع مع إسرائيل ، وقال " زكى " : إن موقف نقابة المهن التمثيلية واضح فى معارضته للتطبيع ما يعنى التزام الأعضاء بهذا الموقف لكن الفنان "عمرو واكد" الذى يؤدى دور زوج إحدى بنات " صدام " قام بالتمثيل أمام فنان إسرائيلى اختير لدور الرئيس العراقى الراحل وأضاف أنه رغم التحاق " عمرو " حديثاً بالنقابة لن يكون هناك تهاون وسيتم تحويله إلى التحقيق فور عودته إلى القاهرة ، لكنه ذكر أن " عمرو واكد" أوضح أنه لم يكن يعلم بمشاركة فنان إسرائيلى فى الفيلم قبل توقيعه عقد العمل حيث كان الحديث يدور عن قيام فنان أمريكى أو بريطانى للقيام بدور صدام فى الفيلم الذى تنتجه هيئة الإذاعة البريطانية " BBC "] وقد صدر حكم البراءة على الفنان لعدم كفاية الأدلة حيث ورد فى شبكة الإعلام العربية " محيط " تقريراً بذلك يقول : [أصدرت نقابة المهن التمثيلية المصرية قراراً بحفظ التحقيق مع الممثل الشاب " عمرو واكد " الذى اتهم مؤخراً بالتطبيع مع إسرائيل لمشاركته فى الفيلم البريطانى الجديد " بين نهرين " مع ممثل إسرائيلى ، هذا وقد تسبب هذا القرار فى غضب معظم الصحفيين والإعلاميين الذين حضروا المؤتمر الصحفى الذى عقد مؤخراً لإعلان نتيجة

التحقيقات حيث طالبوا بشطب " واكد " من جداول النقابة خاصة أنه أصر على استكمال العمل بالفيلم رغم الضجة التى أثارها فى مصر] .

– نائب إخوانى وثلاث روايات إسرائيلية فى مكتبة الإسكندرية : أوردت جريدة المصرى اليوم بتاريخ 5 مايو 2008 خبراً حول اتهام النائب الإخوانى " محسن راضى " لوزير الثقافة بتحمل مسؤولية دخول 3 روايات إسرائيلية لمكتبة الاسكندرية وهذا نص الخبر : [اتهم النائب الإخوانى محسن راضى وزير الثقافة فاروق حسنى بالتطبيع مع إسرائيل وحمله مسؤولية دخول " 3 " روايات إسرائيلية مكتبة الإسكندرية وطالب " راضى " فى اجتماع لجنة الثقافة بمجلس الشعب أمس الذى شهد تأييد ترشيح الوزير لمنصب مدير عام اليونسكو بحظر التطبيع الثقافى مع " إسرائيل " ، ورد " حسنى " قائلاً : " هات الروايات دى لو موجودة وأنا أحرقها قدامك ، فأنا لست ضد اليهود ولست ضد التطبيع بشرط أن يتحقق السلام الحقيقى والشامل، وأضاف : " أنا واقف ضد التطبيع منذ 20 عاماً ، ووجه حديثه لراضى ضاحكاً " وأنت لا تستطيع أن تقف أمامهم سنة واحدة " فرد النائب الإخوانى " نحن ضد التطبيع نهائياً مع إسرائيل حتى لو تم عقد اتفاق سلام شامل " .

– نائب رئيس تحرير مجلة " أكتوبر " يزور إسرائيل 20 مرة ويترجم رواية عبرية : نقل موقع لجنة المقاطعة بالإسكندرية (قاطع دوت كوم) خبراً عن ترجمة رواية إسرائيلية بعنوان "ياسمين العبرية" – سبق الإشارة إليها – بواسطة محرر الشئون الإسرائيلية ونائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر الصحفى "حسين سراج" والذى كرمته الجمعية الدولية للمترجمين العرب فى يناير سنة 2007 فى احتفال السفارة الإسرائيلية بفندق الفورسيزونس احتفالاً بصدور الترجمة العربية للرواية الإسرائيلية ويقول التقرير بالموقع : [أثارت رواية " ياسمين العبرية " للكاتب الإسرائيلى "إيلى عمير" العديد من الانتقادات والتحفظات فى الوسط الصحفى بعدما ترجمها الكاتب الصحفى "حسين سراج" محرر الشؤون

الإسرائيلية ونائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر ووزعتها وكالتا الأهرام والجمهورية للصحافة حيث اعتبر عمله تطبيعاً مرفوضاً فى ظل الاحتلال والإنتهاكات الإسرائيلية المستمرة وهو ما نفاه " حسين سراج " فى حواره للراية الأسبوعية مؤكداً أن ترجمته للرواية ليست تطبيعاً إنما هو تبادل ثقافى يدخل ضمن عمله المهنى مضيفاً أن الترجمة هى السبيل الوحيد للتعرف والتعايش مع الآخر بسلام ومشدداً أنه كصحفى له مطلق الحرية فى الترجمة العبرية والسفر إلى إسرائيل ولن يمنعه قرار نقابة الصحفيين بعدم التطبيع مع إسرائيل عن مواصلة مشروعه] .

– **التطبيع بالرقص الشرقى :** نشرت جريدة " يديعوت أحرونوت " الصهيونية فى يناير 2007 أن تل أبيب ستعقد فى الفترة من 18–20 يناير 2007 .. المهرجان السنوى للرقص الشرقى بمشاركة راقصات من مصر و(إسرائيل) وتسع دول أخرى ونقلاً عن مدونة إليكترونية أوردت الخبر فإن [المهرجان يقام للسنة الثالثة على التوالى ويعقد ورشات عمل ويقدم عروض راقصته وندوات لتقييم أداء الرقصات ويترأس المهرجان راقصتان إسرائيليتان وهما " أوريت مفتسير " و" ياعيل موآب " ويشارك فيه " 500 " راقصة من مختلف دول العالم وتعتبره تل أبيب فرصة ذهبية لتنشيط السياحة وبالفعل قامت وزارة السياحة بالترويج للمهرجان فى خطتها الدعائية وجاء فى دعوة المهرجان أنه سيتضمن إقامة سوق سياحى شرقى يسمى " خان الخليلى " على اسم سوق البازارات الشهير بحى الحسين وتباع فيه الحلى والمجوهرات وبدلات الرقص وأغانى أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش] ادعت صحيفة " معاريف " فى تقرير لها أن الرقص الشرقى " فن يهودى " وأن اهتمام اليهوديات فى الفترة الأخيرة بالرقص الشرقى ليس حديثاً وأنه تراث مشترك بين اليهود والمصريين من شأنه أن يبنى جسور السلام بين مصر و(إسرائيل) من خلال إقامة مسابقات الرقص الشرقى بين القاهرة وتل أبيب.

وفى فقرة لاحقة [والمثير للدهشة أن منظمة المهرجان وتدعى " أوريت مفتسير " خصصت موقعاً باسمها على شبكة الانترنت باللغات العربية والعبرية تصدح منه أغانى " أم كلثوم " و"ليلى مراد" ويضم صوراً ومقالات ومقاطع فيديو لعروض أدتها وفى تعريفها بنفسها على الموقع تقول : إنها تزور القاهرة من أجل ممارسة الحضارة العربية لكى تحسها وتتعمق فى معرفتها وفهمها وتتعلم أصول الموسيقى العربية والرقص الشرقى واجتمعت فى نطاق زياراتها المختلفة للقاهرة بأكبر راقصات فى مصر وأشهرها وقابلت " فيفى عبده " و"دينا" و"لوسى" .. ويكشف موقع المهرجان أن راقصات (إسرائيليات) شاركن العام الماضى (2006) فى مهرجان الرقص الشرقى الذى أقيم بأحد فنادق القاهرة ويضم صوراً لهن مع راقصات مصريات والراقص المصرى الشهير " محمود رضا " (نقلاً عن صاحب المدونة "يوسف المصرى" .

<u>– عرض فيلم إسرائيلى بفندق الفورسيزونز :</u> ذكرت جريدة " البديل " بتاريخ 2008/7/11 ، موضوعاً بعنوان " فنانو مصر يرفضون تطبيع الفورسيزونس وقائمة سوداء بالمطبعين ويقول الموضوع : [يبدو أن الرهان الإسرائيلى على التطبيع مع مصر مازال قائماً فبالرغم من حملة البديل بسبب عرض الفيلم الإسرائيلى " زيارة الفرقة " بفندق " الفورسيزونس " بدعوة من السفارة الإسرائيلية لعدد من الشخصيات السياسية والإعلامية] .

ونقلاً عن شبكة " محيط " بتاريخ 19 يوليو 2008 نقلت أيضاً الخبر وذكرت فيه أن (مهرجان القاهرة السينمائى الدولى قد رفض عرضاً يعتبر تحدياً معلناً لقرارات المقاطعة الفنية والثقافية للدولة العبرية) .

وفى فقرة أخرى من تقرير " محيط " يقول التقرير [وقد عبر شالوم كوهين سفير إسرائيل فى القاهرة عن سعادته بعرض فيلم إسرائيلى فى القاهرة معتبراً أن المجال الثقافى يشكل أحد أهم الوسائل للتقريب بين الشعوب وقالت " شتى كوبير" المتحدثة الرسمية باسم السفارة الإسرائيلية فى القاهرة : إن عرض الفيلم

يأتى فى إطار النشاطات الثقافية الجارية التى تحييها السفارة الإسرائيلية والتى وضعت نصب عينيها هدف التقريب ليس بين الحكومات فحسب بل بين الشعبين المصرى والإسرائيلى أيضاً] .

***

<u>وبتفصيل بعض أدوار الفنانين والكتاب المسرحيين ممن طبعوا مع إسرائيل نورد التفاصيل التالية والتى سبق إيرادها مختصرة :</u>

<u>– حسام الدين مصطفى :</u> المخرج الراحل حسام الدين مصطفى – كما سبق وأشرنا – كان من أوائل الفنانين الذين اخترقوا الحظر الفنى للتطبيع وسافر إلى إسرائيل وتذكر التقارير أنه كان له أصدقاء بها (جريدة الرياض) كما ورد تصريح له لإحدى وسائل الإعلام الإسرائيلية عندما سئل سؤالاً يقول : لماذا يكره الشعب العربى إسرائيل ؟ وكان جوابه : (مين قال ؟ الشعب العربى يحب حسام الدين مصطفى وحسام الدين مصطفى يحب إسرائيل ، يبقى الشعب العربى يحب إسرائيل) هذا وقد قامت النقابة بشطب اسمه إثر الزيارة .

<u>– على سالم :</u> الكاتب المسرحى على سالم – كما سبق وأشرنا – من أكثر الشخصيات المدافعة عن التطبيع بين مصر وإسرائيل وقد تم فصله من اتحاد الكتاب إثر زياراته المتكررة لإسرائيل وقد صرح لجريدة الشرق الأوسط (أن السلام مع إسرائيل هو الفطرة الصحيحة بين العرب وإسرائيل وأن على المثقف أن يدافع عن ذلك ولا تثنيه أية مواقف خطأ والحقيقة ليست ملك الجماهير لكن الفرد هو الذى يصل إليها ويكافح من أجلها حتى تثبت صحتها وعلى الإسرائيليين والفلسطينيين أن يرغموا من أجل تحقيق السلام ولابد من الإنسحاب إلى حدود 67 وإخلاء المستوطنات وإقامة دولة فلسطينية) .

وهذا الحوار كان على خلفية تقديم مسرحية للكاتب فى تل أبيب وذلك فى مارس عام 2002م حيث تم الإعلان عن عرض مسرحية " كاتب فى شهر العسل " من تأليفه وعندما تم سؤاله عن توقيت عرض المسرحية فى ذروة

الانتفاضة الثانية قال : [كل التوقيتات فى الشرق الأوسط سيئة فهل إذا عرضت المسرحية أيام رابين هل التوقيت يعتبر مناسباً ؟ وعموماً فإن المثقف لا ينشغل بالتوقيت ولكن هو معنى بصحة الفكرة ومن يعارض السلام فسوف يعارض أى توقيت يكون فيه عمل من أجل السلام وموافقتى على المسرحية كانت منذ عام (2001) وليست لها علاقة بالظروف الحالية] .

وقد سافر على سالم إلى إسرائيل للمرة الأولى عام 2001 ، وتم فصله على أثر هذه الزيارة من اتحاد الكتاب وكان رئيسه وقتها " فاروق خورشيد " كما شارك فى أواخر عام 2004 فى مؤتمر لوسائل الإعلام الحديثة فى " بئر سبع " وقد تم حصوله على جائزة إسرائيلية ولايزال مشاركاً حتى الآن فى فعاليات مختلفة أحدثها حضوره لعرض الفيلم الإسرائيلى " اللقاء الأخير" فى قاعة عرض بفندق " الفورسيزونس " وسط القاهرة والذى حضره بمعية " أنيس منصور" ولفيف من رجال الأعمال والخارجية المصرية .

– مدحت صالح : الذى سبق الإشارة إلى زيارته لإسرائيل بنشر هنا ما كتبته تفصيلاً عنه صحيفة الجزيرة السعودية الإلكترونية فى 25 يناير 2001 خبراً بعنوان " بسبب الغناء فى إسرائيل : تجميد عضوية مدحت صالح وحكيم فى اتحاد النقابات الفنية " ويقول نص الخبر : [يجرى اتحاد النقابات الفنية بمصر تحقيقات مع كل من المطرب مدحت صالح والمطرب حكيم بسبب سفرهما للغناء بإسرائيل بتأشيرات إسرائيلية وقرر الاتحاد تجميد عضويتهما لحين الانتهاء من التحقيقات وتجرى هذه التحقيقات استناداً إلى القرار السابق الذى أصدره اتحاد النقابات الفنية برفض التطبيع ومنع أعضائه من التعامل مع أى جهة إسرائيلية رسمية أو غير رسمية] .

– البهجورى فى معرض كاريكاتير فى إسرائيل : والذى سبق الإشارة إليه ، نورد هنا تفصيلاً ما كتبته مجلة الأهرام العربى بتاريخ 2008/7/26 عن سفر رسام الكاريكاتير الشهير "جورج بهجورى " إلى إسرائيل ومشاركته بمعرض بها

وجـاء فـى التحقيـق الـذى أعدتـه جيهـان محمـود أنـه : [سـافر رسـام الكاريكـاتير والفنان العـالمى " جورج بهجورى " إلـى إسرائيل وشـارك فـى معرض تم تنظيمه فـى شـهر يونيـو الماضـى 2008 تحـت عنـوان " رسـوم كاريكاتوريـة مـن أجـل السلام " والذى كان دعا إليه الرسام الفرنسـى " بلانتو " وطـاف عدداً من بلدان أوروبا بهدف تحقيق السلام عبر الرسومات الكاريكاتورية برعاية الأمم المتحدة ومعاونـة القنصلية العامـة لفرنسا فـى القدس وسفارة فرنسا فـى تل أبيب ومركز شـيمون بيريـز بالقـدس ورام الله وبيـت لحـم وشـارك فيـه بهجـورى عـن مصـر والإسرائيلى ميشـال كيشكا والفلسطينيان بهاء نجارى وخليل أبو عرفة وآخرون مـن أمريكـا واليابـان وتركيـا وسويسـرا والجزائـر ، واسـتمرت رحلـة بهجـورى لمصـاحبة المعـرض أربعـة أيـام] وفـى فقرة لاحقـة [لـم ينكـر البهجورى زيارتـه لإسرائيل ودافع عن نفسه بأنه فنان حر يدافع برسوماته عن الحقوق الفلسطينية ، فى الوقت الذى أرسلت فيه دعوة لنقيب التشكيليين الفنان ورسام الكاريكاتير " مصطفى حسين " فاعتذر منذ بدء الفكرة فـى دول أوروبا فيما وافق بهجورى وقبل الدعوة لأنه فنان عالمى – كما يكررها دائماً – لا يستطيع أن يرفض أى دعوة من أى دولة مادام لا يتنازل ويقدم أعماله كما هى وكما يراها] .

<u>– لينـين الرملـى يـدعو الملحـق الثقـافى الإسـرائيلى لمسـرحيته :</u> فاجأ الكاتب المسـرحى "لينـين الرملـى" الوسـط المسـرحى والثقـافى بدفاعـه المفـاجىء عـن التطبيع ودعوته للملحق الثقافى الإسرائيلى لحضور عرض مسرحى بعد أن كان مـن المعلنـين لرفضـه التطبيـع بشـدة ، وقـد نشـرت لـه جريـدة الحيـاة فـى العـام الماضـى تصريحات نارية ضد العدو الصـهيونى يتهمهم فيها بأنهم سرقوا نص مسرحيته (سعدون المجنون) وأنهم قوم يخلون من الإبداع ويعيشون علـى إبداع العرب ، وفـى نفس الوقت رفض مقاضـاتهم بحجـة أنـه لـن يحصـل منهم علـى شىء . أما فى بدايات هذا العام فقد فاجأ الجميع بدعوته هذه وفى تقرير عن الواقعة منشور بجريدة الأهرام العربى يقول كاتبه فـى جزء منـه : [بدأت القصة

عندما قرأت خبراً بالصحف والمجلات يفيد بأن المؤلف لينين الرملى يتحدث عن مسرحيته " اخلعوا الأقنعة " التى تعرض على مسرح الزمالك ويقول : إنه دعا الملحق الثقافى الإسرائيلى لمشاهدة العرض وبأنه ينادى بالتطبيع بيننا وبين إسرائيل باعتبارها دولة متقدمة فنياً وعلينا أن نستفيد من هذا التقدم] .

وفى فقرة لاحقة [ثم فوجئت بالمؤلف " لينين الرملى " يتحدث فى أحد البرامج التليفزيونية ويعترف بالواقعة ويزيد على ذلك أنه يتباهى بالعلاقة القوية التى تربط بينه وبين الملحق الثقافى الإسرائيلى وينادى الفنانين والمثقفين المصريين بالتطبيع] .

هذا وقد قررت لجنة تحكيم المهرجان القومى للمسرح برئاسة الفنان عزت العلايلى تنحية لينين من لجنة التحكيم على إثر هذه الواقعة .

– " البلتاجى " يغنى فى المعبد اليهودى : بالإضافة لما سبق وذكرناه فإن موقع شبكة " نداء القدس " قام بتغطية للمحاولات الصهيونية لتأسيس متحف يضم الآثار الصهيونية وذلك فى العاصمة المصرية القاهرة وهذه المحاولات تدعمها عناصر من اللوبى الصهيونى بأمريكا وتعرض تكفلها بتمويل تأسيس المتحف .

وفى التغطية تناول للاحتفال الذى أقامته السفارة الصهيونية فى مصر بمناسبة ترميم المعبد اليهودى ومشاركة مطرب الأوبرا المصرى العالمى فيه حيث تقول الفقرة التى تتناول ذلك : [ولعل مشاركة مطرب الأوبرا المصرى العالمى د. جابر البلتاجى بالغناء فى الاحتفال الذى أقامته السفارة الصهيونية والطائفة الصهيونية المصرية مؤخراً بمناسبة مرور 100 عام على إنشاء المعبد الصهيونى فى القاهرة وبمناسبة ترميمه قد تسبب فى صدمة كبيرة فى الوسط الثقافى مما يمثل مخالفة صريحة للقرار الذى تلتزم به المؤسسة الثقافية والمثقفون منذ ما يقارب عقدين من الزمان بمقاومة التطبيع فقد اتفقوا على أنه لا تطبيع ثقافياً أو فنياً مع إسرائيل مادامت تحتل القدس وبقية الأراضى

الفلسطينية والعربية ، وقد قام " البلتاجى " بغناء أغنيته " بحب السلام " للشاعر الراحل " صلاح جاهين " كان قد ألفها عام 1958 ، وغنتها المطربة " فايدة كامل " والأكثر إثارة أن البلتاجى قدم الأغنية بـ " 7 " لغات أجنبية منها اللغة العبرية التى يتحدثها بطلاقة شديدة فى الحفل الذى حضره السفير الإسرائيلى بالقاهرة "شالوم كوهين" و" 80" شخصاً آخرين من بينهم السفيران الأمريكى والبريطانى فى القاهرة] .

***

خاتمة

حاول هذا الفصل التركيز على الاختراقات فى المجال الفنى كجزء من الاختراقات فى المجال الثقافى بشكل عام وبالرغم من أنها اختراقات فردية إلا أن تسارعها كان ينذر بالخطورة فى زمن التطبيع (1979–2011) كما أن دخول بعض الشخصيات التى اشتهرت برفض التطبيع إلى مجال التطبيع تحت دعاوى زائفة ، مثل إشارة مهمة عن تغول التطبيع الثقافى والفنى فى مصر إبان عصر حسنى مبارك ولولا ثورة 25 يناير 2011 لاستمر الحال وتدهور أكثر فى مجال التطبيع الفنى .

***

من مصادر الفصل :

1 – من مذكرات الفنان إيهاب نافع : لعبة الفن والمخابرات – إعداد أيمن الصياد ، القاهرة ، دار الوجاهة ، ط1 ، 2005م.

2 – حوار إيهاب نافع مع جريدة "صوت الأمة" القاهرية ، بتاريخ 2005/6/27م.

3 – " مجلة العرب " – جريدة أسبوعية الكترونية – موضوع بعنوان " ضد التطبيع " – 29 سبتمبر 2008 .

4 – " فاروق حسنى " يرفض اتهامه بالتطبيع – "شبكة محيط " – 2008/9/9 .

5 – وزير الثقافة المصرى يحلم بتطبيع ثقافى مع إسرائيل – قناة المنار – الموقع الالكترونى.

6 – مصر : مسألة التطبيع مع إسرائيل تتجدد من باب المسرح والرقص " – موضوع بجريدة الحياة بتاريخ 26 يناير 2008 – نقلاً عن موقع مرمريتا .

7 – " الصحفيون المصريون يطالبون بمحاسبة المطبعين " – شبكة العلمانيين العرب بتاريخ 21 أغسطس 2008 .

8 – حوار مع على سالم – جريدة الشرق الأوسط 28 فبراير 2002 .

9 – إسرائيل تخترق مقاطعة المصريين بفيلم ساخن جنسياً " – محيط – تقرير عادل عبدالرحيم – بتاريخ 19 يوليو 2008 .

10 – موقع عرب 48 وموضوع بعنوان " مثقفو مصر يتجادلون فى زيارة على سالم لإسرائيل – 2005/1/4 .

11 – جريدة الجزيرة السعودية الإليكترونية وخبر " تجميد عضوية مدحت صالح وحكيم بسبب الغناء فى إسرائيل " بتاريخ 25 يناير 2001 .

12 – شاعر إسرائيلى يحاضر فى القاهرة – جريدة الشرق الأوسط – 29 مايو 2005 .

13 – تقرير عن مهرجان الإسماعيلية الدولى للأفلام التسجيلية سنة 2005 – موقع إيجى فيلم.

14 – " جريدة الجمهورية " بتاريخ 25 أكتوبر 2007 – موضوع بعنوان " اتهام جديد لمخرجة مصرية (سلاطة بلدى) هل يدعو للتطبيع مع إسرائيل للصحفى حسام حافظ .

15 – إحالة الفنان المصرى عمرو واكد للتحقيق لمشاركته بفيلم مع إسرائيلى حول صدام حسين – موضوع بمجلة دنيا الوطن بتاريخ 2007/8/26 .

16 – براءة عمرو واكد من تهمة التطبيع – شبكة الإعلام العربية (محيط) بتاريخ 2007/12/11 – موقع الشبكة على الانترنت .

17 – نائب إخوانى يحمل وزير الثقافة مسؤولية دخول 3 روايات إسرائيلية مكتبة الإسكندرية جريدة المصرى اليوم بتاريخ 5 مايو 2008 .

18 – موقع لجنة المقاطعة بالاسكندرية – قاطع دوت كوم بتاريخ يناير 2007 وحوار مع مترجم رواية الياسمين العبرية " حسين سراج " محرر الشؤون الإسرائبلية بمجلة أكتوبر ونائب رئيس تحريرها .

19 – جريدة يديعوت أحرونوت الصهيونية – يناير 2008 نقلاً عن مدونة " وبلدنا ع الترعة تغسل شعرها " الالكترونية موضوع بعنوان " التطبيع بالرقص الشرقى " – صاحب المدونة يوسف المصرى .

20 – جريدة البديل 2008/7/11 موضوع بعنوان " فنانو مصر يرفضون تطبيع " الفورسيزونز.

21 – ثورة رسامى الكاريكاتير ضد " جورج البهجورى " – تحقيق للكاتبة جيهان محمود – جريدة الأهرام العربى بتاريخ 2008/7/26 .

22 – بعد اتهامه بالتطبيع مع إسرائيل : لينين الرملى : لن أرد على هذه المهاترات – موضوع بجريدة الأهرام العربى بتاريخ 2008/1/26 .

23 – شبكة " نداء القدس " بتاريخ 2007/12/3 ، وموضوع حول المحاولات الصهيونية لتأسيس متحف للآثار الصهيونية فى مصر – موقع الشبكة على الانترنت .
24 – هل ستكون هيفاء وهبى بوابة التطبيع الفنى بين مصر وإسرائيل – تقرير إخبارى للكاتب محمد المصرى – موقع دنيا الرأى بتاريخ 2008/8/14 .

الفصل الرابع

التطبيع المؤسسى

من تحالف كوبنهاجن إلى جمعية القاهرة للسلام

استخدمت إسرائيل فى فرض تطبيعها الثقافى واختراق النخبة المصرية ، العديد من الوسائل، كان من أبرزها إنشاء مؤسسات (كما هو الحال مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى) أو المشاركة فى إنشاء تحالفات دولية (كما هو الحال فى التحالف الدولى للسلام 1997/1/30) المشهور إعلامياً باسم تحالف كوبنهاجن فى الدانمارك (نسبة إلى المدينة التى شهدت أولى اجتماعاته التأسيسية) ، أو الدفع بعناصر متعاونة معها تاريخياً وذات اتصال بأجهزة مخابرات وخارجية بلادها لإنشاء جمعيات للسلام مثل (جمعية القاهرة للسلام – 1998) . هذه المؤسسات لعبت دوراً فى الاختراق والتطبيع خلال الفترة موضوع الدراسة (1979–2011) ولكنها سرعان ما تلاشت ، وفقدت تأثيرها سواء على الرأى العام أو النخبة ، لأسباب عدة ، لعل فقدانها للمصداقية الكافية ، وسيادة روح الانتهازية لدى القائمين عليها خاصة من الجانب المصرى ، بالإضافة لممارسات إسرائيل العدائية المستمرة ضد البلاد العربية (خاصة لبنان – غزة) وحروبها الدائمة التى نفت عنها وعن نخبتها رغبتهم الصادقة فى السلام ، كل ذلك أوصل صانعى تلك المؤسسات من الإسرائيليين والمصريين إلى الفشل . رغم ذلك سنحاول هنا تناول أبرز ما فعلته تلك المؤسسات التطبيعية وأبرز ما وجه إليها من انتقادات ، وسمعة سيئة صاحبتها من أول إنشائها فى الحياة السياسية والثقافية المصرية .

* فى 1997/1/30 تشكلت النواة الأولى لما يسمى بتحالف كوبنهاجن للتطبيع مع إسرائيل بقيادة كل من لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد ونفر من رجال السياسة والموساد الإسرائيلى السابقين وقامت فى مصر حملات واسعة ضد هذا التحالف ، ثم تلت عملية إنشاء هذا التحالف إنشاء (جمعية القاهرة للسلام فى العام 1998) وضمت حوالى 30 مثقفاً وسياسياً مصرياً (انظر فى نهاية الموسوعة قائمة بهم) ، حول هاتين المؤسستين التطبيعيتين دارت ردود فعل وكتابات ومواجهات عديدة نبرزها فى المحاور التالية :

أولاً : رؤى ومواقف النخبة المصرية للرد على إنشاء تحالف كوبنهاجن :

تنوعت ردود الفعل الثقافية والسياسية للنخبة المصرية على إنشاء (تحالف كوبنهاجن) وجاءت فى أغلبها لتدين هذا العمل وتصمه بأنه أداة لاختراق العقل والمجتمع المصرى ، وبأنه يخدم العدو الصهيونى ولا يقدم أية خدمة لمصر والأمة العربية ، ومن بين الدراسات والرؤى التى انتقدته جاءت هذه الدراسات والبيانات المهمة التى تضمنها كتاب (تحالف كوبنهاجن) الصادر عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة 1999 ، والتى نوجزها فى الآتى :

1 – فى بحثه المعنون بـ " قراءة فى خطاب التطبيع " يرى أمين اسكندر (منسق عام الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل – لجنة مصرية مستقلة أنشئت فى التسعينات لمواجهة التطبيع) أن الاستسلام هو تبنى نظرية الخصم فى الصراع ، وهو التنازل طواعية والقبول بغرض وهدف الخصم من الصراع ، وهو الاعتراف بالأمر الواقع دون مقاومة ، ومن أجل أن يكون ذلك مبرراً ،لابد من استخدام ترسانة من الذرائع والمبررات ، من أجل إعادة التشكيل الأيديولوجى لقضايا الخلاف والصراع ، حتى يتسنى تهيئة العقل لقبول الواقع المستهدف والغرض الجديد .

والمتابع " لعملية السلام " سوف يتبين القاموس الذى يحاول العدو فرضه على الأمة العربية مثل : العولمة .. النزاع .. السلام .. ثقافة السلام والتنمية .. التوظيف المتبادل .. المعرفة .. الآخر .. الشرق أوسطية .. الإرهاب .. التطبيع .. اليمين واليسار الإسرائيلى .. إلخ .

ولا يكتفى العدو بالعمل على فرض ذلك القاموس ، إنما يعمل على أن تواكبه خطة اختراق شاملة كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مثل : التعاون الاقتصادى – نزع السلاح – التعاون السياحى – تأسيس المؤسسات المشتركة – تنقية مناهج التعليم – توجيه الإسلام – الاتفاقات الأمنية – إدخال طرف ثالث فى الاتفاقات وهكذا .

لكن العدو يعطى أهمية قصوى فى هذه المرحلة (يقصد مرحلة إنشاء تحالف كوبنهاجن عام 1997) لاختراق العقل العربى وبالذات بعد أن تبين له من خلال تجربة التطبيع مع مصر وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً (والقول هنا عن عام 1997) سلبية الحصاد – ومن أجل تحقيق غرض الاختراق فهناك تركيز وتكثيف موجه لجبهة المثقفين .

لذا لم يكن غريباً – يقول أمين اسكندر : أن يبدأ السفير الإسرائيلى الأول عمله فى القاهرة ، بتسليم الكاتب الراحل توفيق الحكيم الحقوق المادية العائدة إليه ، من ترجمة كتبه وتسويقها فى دولة الكيان الصهيونى ، وكان ذلك بغرض تقديم الوجه الحضارى لإسرائيل ، بعدما عايش الشعب العربى القتل والتدمير والطرد والاحتلال والاستيطان من جانبهم .

وقد كان ذلك واضحاً فى مقال دانيال بلوخ فى جريدة " دافار " فى 1977/11/10 – عندما علق على زيارة السادات إلى إسرائيل قائلاً : " أما من ناحيتنا فإن السادات يعطى إسرائيل بزيارته أقصى حد ممكن ، وهو ليس الاعتراف بحق وجود إسرائيل ، بل بعدالة وجودها . لا بل اعترافاً بالأيديولوجية الصهيونية التى أدت إلى قيام إسرائيل " .

وقد اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بالعمل على ربط الدول العربية بإسرائيل عبر شبكة من المشاريع الاقتصادية وعبر صناديق التمويل الدولية، وعبر الأبحاث المشتركة والتدريب المشترك وعقد سلسلة من الندوات الجامعة بين العرب والإسرائيليين فى مجالات متعددة ، وقد عبرت وثيقة رسمية صادرة عن وكالة التنمية الأمريكية المشرفة على أموال المعونة الأمريكية فى بلدان العالم الثالث – شارك فى إعدادها ثمانى وزارات وهيئات حكومية أمريكية وعشر مؤسسات ومراكز خاصة للبحث العلمى ، وقد تناولت تلك الوثيقة أهمية المثقفين فى تمهيد المنطقة للسلام ، وامتلاكهم القدرة على تقديم أسانيد للمرحلة

الجديدة من التعاون والسلام "يجب أن يلعب المفكرون ورجال الثقافة دوراً هاماً فى العمل على تعميق الروابط والعلاقات بين الدول " .

وقد تعددت المداخل التى تم الترويج لها من قبل المؤسسات الرسمية الأمريكية والإسرائيلية وبعض المؤسسات فى البلدان العربية والتى راح ضحيتها بعض المثقفين العرب المرتبطين ببعض الأنظمة العربية أو الواقعين فى حلقة التغريب ، أو الواهمين فى سلام دون سند من ميزان قوى ، أو الواقعين فى تثبيت لحظات الصراع المعاشة فى تلك المرحلة دون النظر والإدراك لمفاعيل جديدة تحدث كل يوم ، تجعل من الصراع ، حالة حركة دائمة .

وقد بذل الإسرائيليون كل الجهود من أجل اختراق جبهة المثقفين المصريين– وفقاً لأمين اسكندر – بداية من فرض أنفسهم على بعض منتديات المثقفين ، مروراً بالمحاولات الدؤوبة لاختراق المهرجان السنوى للسينما ومعرض الكتاب إلى محاولاتهم فى إنتاج مشترك فى السينما وتوجيه الدعوات لبعض الكتاب والأدباء لزيارتهم .

وقد كشف الدكتور الراحل رشاد رشدى فى 23 يناير 1980 ، وفى اجتماع شعبة الفنون التابعة للمجلس القومى للثقافة – التابع لرئاسة الجمهورية آنذاك – عن تلك المحاولات قائلاً فى محضر رسمى : " إن الإسرائيليين رصدوا مبالغ ضخمة من المال لإنتاج مشترك بين مصر وإسرائيل عن رسالة السلام، وقد عرضوا 12 مليون جنيه مبدئياً لهذا الإنتاج ، وإذا احتاج الأمر أكثر من ذلك ، فلا مانع لأنهم يريدون توصيل رسالة السيد الرئيس السادات ومبادرته عن السلام إلى جميع أنحاء العالم " .

" إن الممولين الإسرائيليين طلباتهم لا حصر لها – وفقاً لرشاد رشدى – وعن التبادل الثقافى يريدون أن يتبادلوا معنا المعارض والمسرح .. إلى آخره ولديهم كتاب سيناريو ممتازون ، ولقد قال لى أحد المصورين الإسرائيليين إنه يريد تصوير مصر لأول مرة ، وقال : إنه عندما زار مصر وجدها غير ما تصور ،

وأنه رأى مظاهر الحضارة والتقدم وانبهر ، وطلب إعطاءه فرصة لكى يصور مصر بواقعها ، ولا مانع أن تصور بجانبها إسرائيل ويعرض ذلك على العالم ، والإسرائيليون سوف يقومون بهذا ، وهم يرجوننا فى ذلك ، ولكن نحن نؤجل إلى حين تطبيع العلاقات ، إن تطبيع العلاقات لا يأتى إلا عن طريق الفن والثقافة ، وفى يونيو 1980 كتب أنيس منصور فى مجلة أكتوبر يشتكى من بطء التطبيع ، فلا تبادل بين أساتذة الجامعات ولا الأدباء ولا الأطباء ، فمفكر مصرى واحد هو د. حسين فوزى هو الذى سافر وحاضر فى إسرائيل ومنحوه الدكتوراه الفخرية .. إلخ " .

كان ذلك هو الوضع بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد .. لكن بعد توقيع الاتفاق الفلسطينى – قبلوا بالسلام ولن نكون نحن ملكيين أكثر منهم ، وكثفت آلة الدعاية الغربية والإسرائيلية الحديث عن السلام والرخاء وسلطة الحكم الفلسطينى وتضافرت معها آلة إعلام بعض الأنظمة العربية حتى تتمكن من إعطاء شرعية لتصرفاتهم الوقوعية .

وهكذا وجدنا أنفسنا – يقول أمين اسكندر – أمام بعض الإصدارات من كتب ودراسات ، جاءت تعبيراً عن ذلك التواصل بتعدد ذرائعه .

ولعل أخطر تلك الإصدارات كان إصدار الكاتب على سالم " رحلة إلى إسرائيل " ، فهو نموذج جلى لعملية غسيل المخ (إعادة التشكيل الأيديولوجى، وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة بواسطة الصحفى الأمريكى إدوارد هنتر) التى وقع فريسة لها ، والتى يستهدف بكتابه هذا إيقاع آخرين فيها ، حيث يقدم نفسه مناضلاً من أجل السلام والحرية الفردية وفيلسوف الأخوة الإنسانية ، وهكذا ينطلق على سالم من غرض عقائدى مغاير للسائد ، حيث لا يقدم رحلته إلى إسرائيل كما قدم أقرانه من الذاهبين إلى هناك تحت مزاعم المعرفة (معرفة الجار أو معرفة العدو أو معرفة الآخر) لكن الجميع (على سالم – محمد مصطفى – أحمد فؤاد – عزت الأمير) قد استخدموا نفس المبررات والذرائع

والمقارنات التى تدلل على الصورة الإيجابية للعدو ، والتى تستهدف ترسيخ فكرة القبول بذلك المحتل وتقديمه فى صورة إنسانية رحبة قابلة للتفاعل المبدع والخلاق .

ويخلص أمين اسكندر إلى القول : إنه [ومن خلال قراءة نقدية لبعض تلك الإصدارات ينكشف لنا هذا النسيج الصناعى من المفاهيم التى يتم ترويجها بغرض اختراق عقل النخبة وعقل الجماعة الشعبية فى نفس الوقت] .

***

وفى جزء آخر من بحثه المتميز يشير أمين اسكندر إلى أن جوهر دعوة (تحالف كوبنهاجن) تقوم على أن عدم القبول بالسلام الذى تقدمه إسرائيل يعنى مباشرة (الحرب) وهى مسألة تؤدى للخراب ، وفى هذا الصدد يفيد (اسكندر) هذه المقولة بقوله : [معنى الانتقاد الموجه لمسار التسوية وما يطلق عليه السلام ، إننا نبتغى الحرب والقتال ، وإنما يعنى عدم توفر الشروط المناسبة للتسوية أو السلام المبتغى ، حيث اختلال ميزان القوى لصالح إسرائيل ، وعدم توفر بيئة دولية مناسبة للأطراف العربية ، ولا بيئة إقليمية ولا حتى بيئة محلية – حيث تعانى معظم الأنظمة العربية من فقدان للشرعية ، هذا بالإضافة إلى عدم وضوح سياق تلك التسوية الواقعة أو ذلك السلام المزعوم – هل هى تسوية دائمة أو سلام دائم يستند إلى قاعدة من العدل والرضا المتبادل وميزان قوى متبادل متكافئ ؟ أم غير ذلك ؟ .

ويقول : أما الجانب الآخر الذى يردده المطبعون فى مسألة السلام والحرب – هو الحديث عن السلام كأنه حل سحرى لكل مشاكلنا ، بل والنظر إلى السلام كأنه ثابت مركزى فى تاريخ البشرية والحروب كانت استثناء .

والحقيقة أن محاولة الفصل بين الحرب والسلام هى محاولة من قبيل الترويج لأيديولوجيا الهزيمة والاستسلام لمشروع العولمة والدمج الإقليمى والخصخصة ، حيث من المعروف والشائع أن الحروب تنشب من أجل السلام ، وإن الحروب

هـى الفترات الأطـول فـى تـاريخ البشـرية ، فيكفـى أن نـذكر أن الحـروب التـى نشبت فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فلن نجد مشقة فى رصد : الحرب الكوريـة (1952 – 1953) وحرب فيتنـام (19757–1973) والحـروب العربية الإسرائيلية (67 ، 70 ، 1973 ، 1982) وحرب الخليج الأولى والثانية وحرب أفغانستان والبوسنة والهرسك .. إلخ ، فهناك ما لا يقل عن 150 حرباً وصـداماً مـدنياً دارت فـى أنحـاء العـالم منذ قيـام السـلام عـام 1945 ، وهنـاك حوالى 200.000 جندى قتلوا فى تلك الأحداث وهذا هو رقم الموتى فقط ولا يشمل الجرحى والمعـاقين ولا يشمل المـدنيين ، وبنـى علـى ذلـك أن هنـاك حرباً عالمية ثالثة قد تمت منذ 1945 حتى الآن وإن حجم الخسائر الناتجة عن تلك الحروب كان يعادل – تقريباً – حجم خسائر الحرب العالمية الثانية وإذا أضيف عدد القتلى المدنيين فإن العدد الإجمالى سوف يصل إلى ما يقرب من 35 إلى 40 مليون نسمة وأنه خلال 2340 أسبوعاً ما بين عامى 1945 حتى 1990 ، وكانـت هنـاك ثلاثـة أسـابيع فقط دون حـرب – حسـب قـول هايـدى والفيـن تـوفلر فى كتاب " الحرب وضد الحرب " من ذلك تبين لنا أننا قد لا نرغب فى الحرب ولكن الحـرب هـى التـى ترغب فينـا – حسـب قـول تورتسكـى ، فـلا الحـرب دون شروط ومقدمات وبيئة ولا السلام دون شروط ومقدمات وبيئة . وسوف تنـاضـل من أجل السلام وتحقيقه وسوف يحلم الأفراد بالسلام ، لكن ماذا لو انفصل حلم الفرد عن الأمة والشعب – كما عبر عن ذلك الكاتب على سالم عندما فكر فـى كتابـه " رحلـة إلـى إسـرائيل " (يـا عبـد الله ، لا داعـى للحـديث عـن الحقـوق التاريخية ، لا داعى لأن يقول أحدنا للآخر كنا هنا من آلاف السنين ، فهذه مقولة لا توصل لشيء ، يجب أن نقول : أنا هنا الآن وأنت هنا الآن ، وعلينا أن نبحث عن الطريقة التى نعيش بها معاً فى سلام) .

الحقـوق التاريخيـة عنـد علـى سـالم لا تعنـى شـيئاً ، مهمـا كانـت الجهـود والتضـحيات المبذولـة فـى مسـاراتها مـن الأجيـال الماضـية ، ويتصـور أيضـاً أن

الواقع المعاش ملك للمقيمين عليه فى الظرف الراهن ، لكن الحقيقة غير ذلك فالأرض ملك للأجيال الماضية والراهنة واللاحقة ومن هنا فلا يحق لأحد أن يتنازل عن سنتيمتر منها وتاريخ فعل البشر على تلك الأرض ليس ملكاً للفرد مهما علت وتضخمت حريته الذاتية ولا ملكاً لجيل مهما كانت مكانته ، ولا ملكاً لماض رحل ولا لمستقبل آت ، أنه كل ذلك معاً .

لكن ماذا لو انفصل الفرد عن الجماعة وناضل من أجل أن يحقق السلام لنفسه ليحقق الحرية أيضاً لنفسه ؟ .

من المؤكد أنه سوف ينسلخ عن أمته وبلده ووطنه ، بل وعائلته وأسرته فكيف يتوهم الفرد سلاماً غير مؤسس على عودة الحق لأصحابه ولا على الشروط الموضوعية الحاكمة للسلام والحاضنة له ، ثم يصل اسكندر فى تحليله إلى القول : [أنا هنا أطرح على كل الذين يتحدثون عن أهمية وضرورة السلام دون مراعاة للشروط الموضوعية من عدل وتوازن قوى . السؤال الآتى :

ماذا لو تنازلنا عن كل فلسطين لإسرائيل ؟ هل سوف يتركنا العدو (الغرب الاستعمارى والكيان الصهيونى) ندير مشروعنا التنموى التحررى الوحدوى – حلمنا فى بناء المستقبل ؟ . هل من الممكن فصل التسوية عن العولمة والخصخصة والتطبيع ؟ الإجابة واضحة بالطبع لا. لماذا ؟ لأننا أمام مشروع متكامل من قبل الغرب الرأسمالى الاستعمارى والكيان الصهيونى للهيمنة على أمتنا وعلى كل الجنوب ، نحن أمام عولمة استعمارية تستهدف تنميط البشر بحضارة السوق والسلعة ، لذلك فهى تعمل على نفى الهوية وتمزيق وتشويه التنمية] .

***

ثم يفند أمين اسكندر ركيزة أخرى من ركائز دعوة (تحالف كوبنهاجن) وهى ربط التنمية بالسلام ويرى (اسكندر) فى هذا المقام أنه ليس هناك ربط شرطى بين السلام والتنمية بدليل أن ألمانيا بين الحربين الأولى والثانية كانت محققة لأعلى

نسب فى التنمية ، والاتحاد السوفيتى فى عصر ستالين كان محققاً لنسبة عالية من التنمية ومصر فى عصر عبدالناصر وفى ظل حروب عديدة (حرب 56 ، 67 ، 1970 وحرب اليمن ودعم حركات التحرر فى العالم الثالث) كانت محققة لأعلى نسب تنموية ، بل إسرائيل نفسها وفى ظل الهاجس الدائم بالحرب تحقق أعلى نسب تنموية وهناك تجارب أخرى كثيرة تؤكد ذلك ، لماذا إذن الربط الشرطى بين السلام والتنمية ؟ بالطبع هو جزء من الربط الكلى بين عناصر مشروع الاستسلام والتنمية والهيمنة والتطبيع ، إنه من شروط المشروع المهيمن المنتصر . وعن أى تنمية نتحدث ، عن تنمية الوطن مصحوبة بالعدل الاجتماعى أم عن تنمية مصحوبة بالظلم الاجتماعى ، عن تنمية تحدث تطوراً فى أصول البلد أم عن تنمية تبيع أصول البلد بيع القطاع العام وخصخصة عن تنمية زراعية وصناعية أم عن تنمية سياحية واستهلاكية ، عن تنمية تعتمد على ثروات البلد وخبراته وإشباع حاجاته أم عن تنمية تعتمد على القروض والمصادر الخارجية والربط مع الشركات المتعددة الجنسيات ، فيكفى أن نشير إلى بعض الإحصاءات والأرقام الدالة على نموذج التنمية السائد فى معرض تبين مغزاه ومفهومه ولماذا هو مرتبط بالسلام ؟ .

هناك 8% من مجمل سكان مصر تحصل على ثلثى الدخل القومى ، 86% من جملة السكان تعيش على ربع الدخل القومى وداخل شريحة الـ8% هناك 2% يحصلون على حوالى 40% من مجمل الدخل القومى ، أما غالبية السكان 86% التى تعيش على ربع الدخل فعلينا أن نتصور دخل الأسرة ومستوى التعليم والرعاية الصحية والمسكن المناسب ونسبة المواطن فى مياه نظيفة ، التنمية الذين يتحدثون عنها تنمية تستهدف إغناء الغنى وإفقار الفقير ، تستهدف تركيز الثروة وتوسيع قاعدة الفقر والتخلف بعد أن كانت محاولات التنمية فى عصر جمال عبدالناصر ، قد زادت من الناتج القومى خلال من 1956 إلى 1966 بمتوسط سنوى قدره 6.7% بل نجحت الدولة المصرية فى

تحقيق معدل نمو فى الفترة من 1967 حتى 1973 بلغ 4% فى المتوسط وقد ارتفع معدل الاستثمار من 12.5% من الناتج المحلى الإجمالى إلى 17.8% خلال (60/59 إلى 1965/64) ، وارتفع مستوى الدخل الحقيقى للفرد بأكثر من 3% سنوياً ، بعد ركود فى متوسط الدخل استمر أكثر من أربعين عاماً ، وقد حظيت الصناعة والكهرباء بأكبر نصيب فى الاستثمارات – نحو الثلث – فنما الناتج الصناعى بنسبة 8.5% سنوياً ، والكهرباء بمعدل 19% وزاد متوسط الأجر الحقيقى فى الزراعة والصناعة بنسبة 34%و12% على التوالى فى نفس الفترة من 1958 حتى 1965 – كما يقدر د. جلال أمين فى كتابه " قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم " ورغم الصعوبات التى واجهت الاقتصاد المصرى فى أعقاب 1967 من جراء الهزيمة فى 1967 والانخفاض الشديد فى الموارد الذاتية من العملات الأجنبية ، وفقد مصر لآبار البترول فى سيناء وضرب معامل تكرير البترول فى السويس وإغلاق قناة السويس وانخفاض دخل السياحة فضلاً عن الإنفاق الذى فرضه تهجير نحو مليون شخص من سكان مدن قناة السويس – إلى أن إجمال ديون مصر المدنية (بما فى ذلك الديون طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل) فى 31 ديسمبر 1971 ، أى بعد نحو سنة من وفاة عبد الناصر ، كانت لا تزيد على 1300 مليون دولار – كما يقدر خالد إكرام فى بحثه عن الاقتصاد المصرى – أما عن الديون من 1970 إلى 1981 فقد بلغ إجمالى مديونية مصر الخارجية ، بمختلف أنواعها المدنى والعسكرى والعام والخاص وذات الأجل الطويل والمتوسط والقصير ، زاد من نحو 5 بلايين دولار فى 1970 إلى نحو 30 بليوناً من الدولارات فى 1981 وكان هذا المبلغ يمثل نحو 141% من الناتج المحلى الإجمالى فى 1981 بالمقارنة بنسبة 43% عند بداية تولى السادات الحكم ومن منتصف 1981 حتى منتصف 1986 زاد إجمالى الديون المدنية والعسكرية إلى ما يقرب من 45 بليون دولار مع مراعاة أن هذا الرقم لا يشمل

تسهيلات الموردين التى قدرتها بعض المصادر بنحو 8 بلايين دولار فى منتصف 1986 بعد ذلك نستطيع أن نتناول عوامل عديدة قد أدت إلى خفض تلك المديونية مثل حرب الخليج وإسقاط جزء من الديون وتسوية الديون مع موسكو.. إلخ ، لكن من المؤكد أن نموذج التنمية السائد ، كان سبباً فى وصول الديون إلى مرحلة الخطورة بالإضافة إلى عدم وجود تطور حقيقى على مستوى أنماط الإنتاج المختلفة فى المجتمع ، مع زيادة عدد الفقراء والمهمشين على حساب زيادة الثروات البلونية عند بعض الأفراد وزيادة مساحات الفساد والثراء غير المشروع ، وكان ذلك نموذجاً للتنمية السلامية التى تروج له الشركات المتعدية الجنسيات ومؤسسات التمويل الخاضعة للغرب الرأسمالى الاستعمارى تحت ما يطلق عليه فى خطاب التطبيع العولمة التى لا مفر منها " .

***

ويرد اسكندر على حجة أخرى من حجج دعاة تحالف كوبنهاجن وهى ضرورة التحلى بالواقعية عند النظر للصراع العربى الإسرائيلى ، وهنا يستشهد (اسكندر) بقول أحد مؤسسى تحالف كوبنهاجن (أحمد فؤاد) فى كتابه " إسرائيل ذلك المجهول " والذى يطالبنا بالواقعية والاعتراف بالدولة والوجود الصهيونى ؛ " حيث لم يعد وارداً عدم الاعتراف بعدما اعترف العالم كله " ، وهنا يرى اسكندر أنه ينبغى أولاً أن نتوقف لكى نتفهم سوياً معنى الواقعية ، ثم بعد ذلك نتناول مفهوم الاعتراف والوجود والواقعية عند أهل التطبيع تعنى التسليم بما هو قائم ، فإسرائيل لا يمكن أن تهزم وفلسطين لا يمكن أن تعود ، والحقيقة أن ذلك يعنى عدم أحقية ومشروعية أى شعب فى مقاومة المحتل ، حيث يمتلك قوة أكثر ويعبر دائماً عن حالة اقتصادية وسياسية وعسكرية أفضل ، وبالتالى فلا كان يحق لديجول أن يقاوم ولا شعب فيتنام ولا روسيا فى الحرب الثانية .. إلخ .

فتلك هى الهزيمة من الداخل التى تؤدى إلى الوقوعية كما سماها كلوفيس مقصود ، لكن الغريب أيضاً أن هؤلاء الواقعين لم يسألوا أنفسهم لماذا لا تكون إسرائيل واقعية هى أيضاً . وكيف لم يتساءلوا لكى يتفهموا تلك الحالة المؤسسة على مجموعة من أساطير قبل الميلاد تأتى لكى تسكن قلب أحداث القرن العشرين ، أين الواقعية فى ذلك ؟ .

ثم نأتى بعد ذلك للحديث عن الاعتراف بالدولة وبالوجود ، وهنا لابد أن نعترف جميعاً أن العالم قد اعترف بإسرائيل لكن هناك فرق بين الاعتراف بدولة إسرائيل وبين الاعتراف بوجود إسرائيل حيث الاعتراف بوجود إسرائيل هو أمر واقع ، لكن الاعتراف بدولة إسرائيل يعنى الاعتراف بالإقليم المعين والشعب المعين وسلطة سيادة الشعب على الإقليم – حسب القانون الدولى – يعنى اعتراف من جانبنا نحن العرب بمشروعية دولة إسرائيل (الأرض – الشعب – السيادة) وبالتالى بمشروعية المشروع الصهيونى واحتلاله لفلسطين .

***

ثم يفند اسكندر فى بحثه فكرة مؤسسي تحالف كوبنهاجن بأن زيارتهم لإسرائيل تأتى بهدف (معرفة الخصم من الداخل) وترد هذه الحجة فى كل الكتب الصادرة عنهم ، وهنا يقول اسكندر : فى البدء لا أحد يستطيع أن ينفى حقاً لمعرفة أولاً ، ولا أهمية المعرفة ثانياً ، ولابد أيضاً أن نعترف بأن هناك تقصيراً فى معرفة العدو منذ أن بدأ الصراع وبالذات فى مرحلة التسوية تلك بعد أن اعتقد البعض أن المعرفة غير ضرورية طالما نتحدث عن سلام ، وفى الحقيقة إن هؤلاء لم يعرفوا العدو لا فى الحرب ولا فى السلام المزعوم! .

ولابد أن نعطى الحق لأصحابه ، فقد تأسست مجموعة من مراكز الأبحاث مثل (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – مؤسسة الأرض – دار الجليل – مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية – مركز الفالوجا للدراسات والنشر .. إلخ) وقد ساهمت تلك

المراكز والمؤسسات فى معرفة علمية – رغم أن بعضها أغلق أبوابه وبعضها يعانى أشد المعاناة – ذلك بالإضافة إلى أن هناك بعض الباحثين الذين وهبوا حياتهم لمعرفة العدو مثل (د. حسن ظاظا – د. عبد الوهاب المسيرى – د. أنيس صايغ– د. بيان نويهض – د. محمد عبد الرؤوف سليم – محمود سعيد عبد الظاهر – إبراهيم أبراش .. إلخ) مما جعل اللواء احتياط يهو سفاط هركابى يقول : إن " المستوى الثقافى للبحوث العربية حول الصراع يتفوق على ما لدينا إلى حد كبير ، إننى أرى نشراتهم – وكتاباتهم ، والمجهود الذى يبذلونه من أجل فهم هذا الموضوع بطريقتهم هم طبعاً ، إننا دون مستواهم كثيراً " .

وقد انطلقت تلك المؤسسات وهؤلاء الأفراد من أهمية معرفة العدو ، معرفة علمية رصينة وجادة دون الاتصال بالعدو ودون الذهاب إليه ، حيث إن الحصول على المعرفة لها مصادر متعددة ومختلفة وليس شرطاً الاتصال بالعدو والانتقال إليه من أجل الحصول على المعرفة ، رغم أن ذلك وظيفة أجهزة الاستخبارات أو بالأحرى إحدى وظائفها ، لكن على المثقف دائماً أن لا يخلط بين وظيفة جهاز الاستخبارات ووظيفة المثقف ، بالإضافة إلى إننا نعبر الآن عصر المعلومات وأدوات الاتصال التكنولوجى الموجودة لدى كافة المؤسسات البحثية وعند بعض الأفراد أيضاً وعن طريق ذلك من الممكن الحصول على المعرفة ، وعلى مدار التاريخ البشرى وبالذات على جانب المعرفة ، كان من الطبيعى أن يتم تناول أحداثه الكبرى والصغرى عبر وسائط متعددة لمعرفة المعلومة ولنقل المعرفة دون الاحتكاك المباشر ، فكيف يتسنى لباحث أن يكتب عن الحرب الصليبية أو الحرب الأولى والثانية أو عن حرب فيتنام أو حرب 1948 .. إلخ .

من المؤكد أنه لن ينتقل لكى يعيش فى تلك المعارك التى رحلت – المقصود أنه ليس شرطاً للمعرفة أن نذهب لكى نعايش عدونا وبالذات عندما تكون الأمة مجمعة على رفض التطبيع والعلاقات الطبيعية مع العدو ، لكن ما حدث بعد

أوسلو 1 ، 2 تجرأ البعض وتعدى على المحرمات تحت زعم تقديم المعرفة من قرب ، وجاء لنا بالدعاية والترويج والإعلان عن إسرائيل والفتيات الجميلات ونظافة ونظام الشوارع ، وقدم لنا الصهاينة فى صورهم النبيلة ، وكأن غيرهم هو الذى احتل الأرض وطرد الأهل وحقن الأطفال بالإيدز (حسبما ذكرت جريدة يديعوت أحرونوت) " .

وأخيراً ينتهى أمين اسكندر فى بحثه الجاد إلى نتائج محددة يرد بها على دعاة تحالف كوبنهاجن ومن لف لفهم [حيث يطل من وجهة نظره جوهر قضايا الصراع العربى الإسرائيلى هى :

1 – احتلال الأرض العربية .

2 – أيديولوجيا الصهيونية العنصرية .

3 – العلاقة العضوية بين الصهيونية فى إسرائيل والاستعمار العالمى .

4 – التناقص الجذرى بين مشروع التحرر والتنمية والوحدة العربية وبين المشروع الاستعمارى الاستيطانى الصهيونى .

***

(2) فى بحث لمؤلف هذه الموسوعة يحمل عنوان " رشوة المستقبل " جاء ضمن الأوراق البحثية فى كتاب (تحالف كوبنهاجن) – وهو مصدر سابق – جاء فيه أن كاتب هذه السطور يقف على غير العادة ، حائراً أمام تلك الشريحة – الضئيلة لحسن الحظ – من مثقفينا المصريين والعرب التى تدعو للحوار مع العدو والحيرة تأتى من أننا مثل كل أبناء جيلى الذى تعارف على أن نسميه (جيل الوسط) لم أكن أتخيل أن قضية مثل قضية الصراع العربى الصهيونى ، تحتمل اللبس ، أو تحتاج أصولها وفروعها إلى إيضاح بعد كثرة ما أريق من أحبار ودماء عبر مسيرتها الممتدة لقرن كامل .

* وفى بحثنا الذى نشارك فيه القطاع الأوسع من النخبة الوطنية المصرية للرد على مؤسسى تحالف كوبنهاجن قلنا : إن دعوتهم متهافتة منطلقاً وواقعاً، وأن

ثمة تساؤلات رئيسة نطرحها على دعاة هذا الخيار (خيار التسوية) تكفى الإجابة عليها فى إظهار تهافت منطق دعوتهم للتسوية والتساؤلات هى:

أ – هل حدث تحول ما حقيقى داخل الكيان الصهيونى وتجاه طبيعة العدوانية الغالبة عليه ترجح كفة الحوار مع مثقفى هذا الكيان وتتطلبه ؟ .

ب – هل بذلنا – كمثقفين عرب – الجهد اللازم فى الحوار مع فلسطينى الداخل بنفس درجة الإلحاح فى الحوار مع المثقفين الصهاينة ؟ .

ج– هل من بديل حقيقى لكل هذا التخبط .. هل من بديل مستقبلى جاد ومضمون وعادل؟

* فى تقديرنا أن هذه الأسئلة ، ينبغى أن تسبق أى حوار مزعوم ، مع إسرائيليين سواء التحفوا عباءة الثقافة أو السياسة أو مزقوها ، وظهروا بوجههم الحقيقى الذى نعرفه جيداً .

* وفى إجابة متواضعة على تلك الأسئلة ، (قلنا فى بحثنا سالف الذكر وبأرقام العام 1997) :

أ – السؤال الأول أن خريطة الواقع السياسى والثقافى الصهيونى داخل فلسطين تؤكد أننا أمام أبلغ وأعظم لحظات اكتمال المشروع الإسرائيلى فى فلسطين ، وأن ليس هناك أى تحولات حقيقية تتطلب التلاعب بها أو الحوار معها لكى تنفذ إلى هذا الكيان فنحقق مطالبنا بدلاً من الجلوس على الرصيف (وفقاً لأحدث الابتكارات اللفظية للسيد لطفى الخولى الذى قاد تحالف كوبنهاجن إلى أن سقط) .

وهذه هى حقيقة الواقع الصهيونى بأرقام باردة :

1 – حجم ميزانية وزارة الدفاع عن عام 1997 هى 8.9 مليار دولار بنصيب 16.5% من الميزانية العامة مع ملاحظة أن هذه الميزانية للدفاع عن سكان لا يزيد على 5 ملايين ومع جبهات عربية كلها تقريباً صامتة أما وفق اتفاقات رسمية أو بفعل القوة المفروضة .

2 – إسرائيل تحتل المرتبة الخامسة بين دول العالم فى تصدير أسلحة الدمار الشامل (والقول لصحيفة جورنادو جنيف الدولية يوم 1997/10/19) .

3 – حصلت إسرائيل منذ 1948 على 84 بليون دولار من الولايات المتحدة الأمريكية فقط.

4 – فى السجون الإسرائيلية قرابة الـ25 ألف معتقل فلسطينى ويتعرضون لعمليات تعذيب جسدى ونفسى بشع (منظمة العفو الدولية 97) .

5 – اليمين الإسرائيلى يحوز على 76 نائباً من 120 نائباً هم أعضاء الكنيست وما يسمى باليسار الداعى للحوار المزعوم لا يمثل سوى 4 مقاعد!.

6 – برنامج دعاة السلام والحوار الصهاينة يستبعد القدس ، و80% من الضفة والجولان ومياه جنوب لبنان من أى مفاوضات سياسية قادمة أما برنامج تكتل " الليكود " فحدث ولا حرج حيث لا يقبل سوى 7% يردها من الضفة لعرفات ويردها متفرقة ووفق تغلغل استيطانى عسكرى بين القرى والمدن (يعنى : تركها يكون أفضل من إعطائها) والمحصلة من هذا جميعه سقوط اتفاق " أوسلو وتوابعه " (فعلى أى أساس يكون الحوار الثقافى أو السياسى حتى بين المؤمنين بهذا الأوسلو) .

7 – عدد الفلسطينيين فى الداخل 3.2 مليون ، وعددهم خارج فلسطين 5 ملايين وملف اللاجئين من الملفات المرفوض الحوار حولها حتى مع دعاة السلام (حزب العمل وحركة السلام الآن وغيرها) فإلى أين سيذهب هؤلاء ؟ وعلى أى أساس سيتم الحوار إلا إذا كان هؤلاء أحد ملفاته !! .

8 – عدد المستوطنات الإسرائيلية يصل إلى 245 مستوطنة داخل الضفة وغزة وهى تزداد توسعاً وهى مبينة وفق تصور هندسى وعسكرى عدوانى دقيق !! .

9 – أعلن مثقفو حزب العمل الإسرائيلى وهم من أصدقاء لطفى الخولى وكافة دعاة الحوار الوهمى عام 1996 برنامج حزبهم الاستراتيجى حتى عام 2000 والذى ورد فيه ما يلى :

أ – القدس الموحدة عاصمة إسرائيل وتحت سيادة إسرائيل . القدس الكبرى ثلث الضفة .
ب – نهر الأردن هو الحدود الأمنية الشرقية لإسرائيل – إن إجراءات الفصل بين إسرائيل وتجمعات العرب تتم استجابة لاحتياجات الأمن الإسرائيلى والحفاظ على الهوية اليهودية .
ج – السيادة على خور الأردن وشمال غرب البحر الميت والمنطقة الممتدة بين بيت لحم والخليل ومناطق أخرى حيوية لأمن لإسرائيل .
د – الإبقاء على كل المستوطنات القائمة تحت السيطرة الإسرائيلية .
فعلى أى أساس إذن سيتم " الحوار " ومع من إذا كان دعاته الفعليون والحركيون والذين ذهبوا إلى (كوبنهاجن) والقاهرة وتل أبيب هم أصحاب الرؤية السابقة ؟ وهل سيتبجح علينا البعض مرة أخرى ليدعو أننا أمام حمامة سلام ، وأن هذا (كلام جرايد) !! . إذن إليكم المزيد .
10 – تقول أحداث التقارير الاستراتيجية الدولية (تقرير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية – لندن) عن بيانات القوة العسكرية لإسرائيل عام 1997 أن بيانها المرعب كالتالى :

1 – قوات عاملة	175 ألف جندى
2 – قوات احتياطية	430 ألف جندى
3 – حجم القوات عند التعبئة	605 آلاف جندى
4 – القوات البرية	134 ألف جندى
5 – دبابات القتال الرئيسى	4300 دبابة
6 – العربات المدرعة – ناقلات الجنود	9880 عربة
7 – قطع المدفعية وراجمات الصواريخ	4500 قطعة

8 – الطائرات المقاتلة والقاذفات	699 طائرة
9 – الهليكوبتر المسلحة	126 طائرة
10 – الغواصات	2 غواصة
11 – الصواريخ أرض / جو	100 صاروخ يحمل رؤوساً نووية

أما أسلحة التدمير الشامل فيقدرها البعض بمائة قنبلة نووية وقدرات كيماوية غير محدودة .

* بعد هذه الاحصائية سألنا أعضاء تحالف كوبنهاجن : هذه هى حمامة السلام الوديعة الرقيقة ؟ والتى تحولت إلى ثكنة عسكرية وليس دولة ، فعلى أى أساس سيتم الحوار ومع من ؟ .

* ثم توجهنا بالسؤال الثانى لأعضاء تحالف كوبنهاجن : هل بذل أصحاب فكرة الحوار مع الصهاينة ، وكذلك نحن الرافضون للحوار مع الصهاينة – الجهد اللازم للحوار مع فلسطينى الداخل بنفس درجة الإلحاح فى الحوار مع المثقفين الإسرائيليين ! .

– والإجابة قطعاً ، لا ..

لم نبذل جميعاً ، الجهد ، الذى يسمح لنا بأن يقف البعض متبجحاً – مثلما يفعل أصحاب كوبنهاجن– بالضرورة التاريخية للحوار مع الإسرائيليين ؟! .

إن عشرات الشعراء ، والكتاب وأساتذة الجامعة والمؤسسات الثقافية والعلمية والاجتماعية على امتداد فلسطين (ما قبل 1948) وما بعدها ؛ بأمس الحاجة إلى حوارنا ومساعدتنا؛ بأمس الحاجة إلى جسور مودة حقيقية تمدهم بزاد روحى ومادى يساعدهم على الصمود وسط تلك الثكنة العسكرية شديدة الكراهية للإنسانية ذاتها .

* إننى هنا أؤكد على أن الذنب مشترك ، والخطأ مشترك بين كل المثقفين العرب (من يحاور الصهاينة ومن يرفض الحوار معهم) تجاه الموقف من قوى المجتمع الفلسطينى الثقافى والسياسى والعلمى الحقيقى .

أما السؤال الثالث : الذى توجهنا به إلى تحالف كوبنهاجن وغيرهم من دعاة الحوار مع الإسرائيليين ، ويدور حول البديل الحقيقى لهذه التحالفات هل يوجد هذا البديل ؟ قلنا فى الإجابة على هذا التساؤل : البديل المستقل الحقيقى، ينطلق من دلالة الآية القرآنية الرائعة ، شديدة الروعة – والتى يقول سبحانه وتعالى فيها : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أى : أن الإيمان بالجهاد (أو النضال والكفاح فى لغة أخرى) هو المفتاح السحرى – إذا جاز الوصف – لكل البدائل ، على كافة الأصعدة ؛ ثقافياً – سياسياً – اقتصادياً – عسكرياً بالنسبة لأمتنا ، ولأقطارنا مجتمعة أو متفرقة .

* وما لنا نخجل حين نقول : إن " الجهاد " هو اللغة والبديل الوحيد ، تجاه هذه القضية تحديداً . ورغم أن معطيات الواقع العسكرى والاستيطانى وتركيبة النظام الحاكم فى الكيان الصهيونى ودور رجال الفكر والسياسة والدين ، جميعها تؤكد – دون عناء – فذلكة أهل الحوار المشبوه فى التأكيد على أن تغييرها لن يتم إلا بالجهاد ، والجهاد الذى نقصده هو الجهاد (بالكلمة وبالسلاح معاً) وهما مكملان لبعضهما البعض وفق نسق معرفى وفهم موضوعى لأبجديات الصراع وعناصره وتاريخه .

و" الجهاد " يعنى حين يترجم إلى سياسات وثقافات ، وحوارات ؛ حواراً مع الآخر العربى والآخر الإسلامى أولاً ، حوار مع الذات ومع التاريخ حوار مع إشكالات الفكر وآفاق الاجتهاد، حوار مع مسيحيى العرب وأهل الشرق ، ومع حضارات الشرق البازغة الواعدة ، حوار مع فلسطينيى الداخل وفق برنامج ورؤية وصدق وبلا مزايدة أو ادعاء أو تأجيل ، حوار مع تجارب المقاومة فى الجنوب اللبنانى ، ومع مثقفيها ، حوار المقاومين المجاهدين فى فلسطين من

كافة الفصائل والاتجاهات الذين هم المشروع الإنسانى الوحيد فى فلسطين الذى نفهمه ونقبله .

* وإذا أمكننا أن نقبض وفقاً للنقاط السابقة وبقوة على مكونات البديل العربى الثقافى الوحيد الذى نملكه والمطروح فى تضاد مع بديل (أهل كوبنهاجن ومن سايرهم ولايزال) فإننا سنسترد وبقوة المستقبل ولن يقدر أحد على رشوته ، ومصادرته مثلما يفعل أصحاب فكرة الحوار مع الصهاينة ، والتى ستكون نتيجتها الوحيدة هى " رشوة المستقبل العربى " لكى يقبل طيعاً ، راضياً ، بذبح فلسطين على مائدة اللئام " .

***

<u>(3) وفى بحثه المعنون بـ (ثقافة الهزيمة) للمفكر د. رفيق حبيب</u> ويخلص فيه إلى أن الكيان الإسرائيلى ، لن يتخلص من عنصريته واستعماريته من أجل الديمقراطية ؛ لأن العنصرية الاستعمارية هى حدوده ووجوده ، ولأنه فى النهاية الوجه الأكثر صراحة للمنظومة الغربية ، ولأن الديمقراطية هى جزء لا يتجزأ من العنصرية والاستعمارية .

وعندما نتصور ببساطة ، أننا نضع حلم الديمقراطية مع شعوب العالم الحر ، فإننا فى الواقع قبلنا أن نستعمر بدون جيوش ولا سلاح ورضينا الاستعمار مصيراً لنا ، وباختيارنا ، أو على وجه الدقة ، باختيار وكلاء الغرب فى أوطاننا ، فالنخبة المعزولة ، التى تمارس دور الوكيل الغربى الذى يسوق لأفكار الهيمنة ، ليس لها جماهير ، ولن يكون ، وستبقى وكيلاً للخارج لا يجد الدعم ولا المساندة إلا من الخارج الغربى ، وأخشى ما أخشاه ، أن تكون النخبة فى عزلتها وستتجه إلى الكيان الاستعمارى الإسرائيلى ملاذاً أخيراً لها، حتى تنتصر على شعوبها التى ترفضها ، وتفرض عليها الاستعمار والذل الديمقراطية .

إن كل الدعاوى تذهب بنا إلى تلك الكونية المزعومة ، فهل ستتحالف قوى الديمقراطية من أجل إقامة الأممية الليبرالية الجديدة ؟ . إن ثقافة الهزيمة ،

دفعت النخب المثقفة إلى تبنى شعار الهيمنة الغربية ومحاولة فرضه على الشعوب ، وفى نفس الوقت ، فإن الكونية نفسها تلقى حتفها فى الغرب ، قبل أن تولد، بسبب القبلية والعرقية ، فتجاوز الحدود القومى ، كحلم غربى تعارض مع أصل المنظومة الغربية ؛ لأنها قومية حدودية ، ذات توجه عنصرى واضح . فهل بعد ذلك ننساق وراء محاولة تنميط حياتنا ، على النمط الغربى ، حتى نصبح سوقاً مقلداً ممسوخاً غربياً ، نقتل قيمنا وتقاليدنا وتاريخنا ؟ وهل يمكن أن يكون ذلك طريقاً للسلام أو هو نهاية طريق ثقافة الهزيمة ، وإذا كانت دعوة الحوار والتفاوض والسلام ، هى فى جوهرها حول الصراع العربى الإسرائيلى ، فأتصور أن الصراع موضوعه الحرب ، وإن لم يكن ، فالصمود ، وهذا أضعف الإيمان] .

***

وعلى ذات المعنى ذهب الباحث القومى (حسين معلوم) فى بحثه المعنون بـ " إلى من نتجه؟! ومع من نتحاور ؟! .. جيل .. " الاستعلاء النووى الإسرائيلى " .

***

<u>**(4) وتحت عنوان " الرد على الدعوة لحوار عربى – إسرائيلى .. غير رسمى " للمهندس أبوالعلا ماضى رئيس حزب الوسط المصرى وأحد أعضاء حركة مقاومة التطبيع**</u> فى تلك الفترة التى ظهر فيها تحالف كوبنهاجن (1997) حدد رده على تحالف كوبنهاجن بأنه لابد من تحديد مفهوم السلام أولاً وهنا يقول أبوالعلا : من الواجب الاتفاق أولاً حول مفهوم السلام ، لكى يتسنى بعد ذلك تحديد من هم أنصار السلام الذين يجب الحوار معهم ، ومن هم أعداؤه الواجب عزلهم ومقاومتهم ، فإذا احتكمنا إلى الإطار المنصوص عليه فى قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم عام 1947 ، واعتمدناه معياراً للتصنيف والفرز بين أنصار السلام وأعدائه ، فسوف نلاحظ على الفور أن العرب

جميعهم باستثناءات قليلة هم " أنصار السلام " ، وأن الإسرائيليين جميعهم باستثناءات قليلة هم أعداء السلام ، بل إن العرب ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك وقبلوا حدود 1967 كحدود نهائية بينهم وبين الإسرائيليين ، وأصبح الطرف العربى يقبل رسمياً من الناحية السياسية بوجود إسرائيل بينما لاتزال إسرائيل بما فيها أنصار السلام وأعداؤه على حد سواء يرفضون وجود دولة فلسطينية فالأغلبية الساحقة من الإسرائيليين بما فيهم معسكر العمل يرفضون الانسحاب من القدس الشرقية ، وعودة جميع اللاجئين الفلسطينيين .

لذلك عندما يزعم البعض – كما قال أبو العلا : إن الصراع أصبح بين أنصار السلام وأعدائه ، ولم يعد صراعاً بين العرب والإسرائيليين ، هو قول مراوغ ومحاولة مكشوفة لتبرئة الإسرائيليين من مسئوليتهم الجماعية فى تعثر عملية التسوية وهى مسئولية يتحمل وزرها تحالف العمل كما يتحمله تحالف الليكود ، إن أنصار عملية السلام وخصومها أطراف فى عملية الصراع العربى الإسرائيلى ولكن يتفاوت مواقعها ونفوذها من السياسات الرسمية ، فماذا فعل أنصار السلام فى إسرائيل من أجل تحقيق السلام العادل القائم على إرجاع الحقوق إلى أصحابها .

وأين هو معسكر السلام الإسرائيلى الذى يؤمن بالسلام العادل بمفهومه الذى تحدثنا عنه ، وإذا كان موجوداً فماذا فعل للوقوف أمام طوفان التشدد والتطرف فى إسرائيل ؟.

وماذا فعل أنصار السلام من أجل فك الحصار على أبناء الشعب الفلسطينى الذى يعانى من أزمة اقتصادية خانقة ، والمذابح التى ترتكب كل يوم فى الأراضى المحتلة ، رغم أنه من المفروض أننا نتحدث عن أن ذلك المعسكر يمثل الآن نصف المجتمع الإسرائيل وله كتلة برلمانية قوية وقادرة ، بل أكثر من ذلك أنه كان موجوداً فى السلطة ولكنه تبنى نفس السياسات القائمة وإن كان بصورة أقل حدة وإثارة عما هى عليه الآن .

وبناء على ذلك نطرح ذلك التساؤل – يقول أبوالعلا ماضى – عن حقيقة عملية السلام الجارية منذ مدريد ، وهل هى تمثل سلاماً عادلاً : إن من الواضح أن ما يجرى بشأنه التفاوض أو ما توقف – بالأحرى – التفاوض بشأنه منذ مدريد لا يعدو أن يكون إنهاء لحالة الحرب فى أفضل الأحوال ، وهدنة ليس أكثر فى أسوئها ، فالفلسطينيون تحت سلطة الحكم الذاتى يعانون من اليأس والإحباط ، وأربعة ملايين فلسطينى خارج العملية التفاوضية وعملية السلام لم تمنع إسرائيل من شن حرب على لبنان وارتكاب مذبحة قانا فى ظل وجود معسكر السلام فى الحكم.

إن الأزمة تكمن فى العقل الإسرائيلى الذى تسيطر عليه الأوهام والأساطير ، وتحكمه ثوابت ثقافية وتاريخية لا يتنازل عنها .

ثم يؤكد أبوالعلا ماضى أن عقيدة إسرائيل الاستراتيجية وممارساتها منذ إنشائها تناقضت جذرياً مع مقتضيات السلام عبر كل الحكومات المتتالية.وقد أدت المنطلقات والمسلمات الصهيونية والإسرائيلية منذ البداية إلى ظهور الصراع العربى الإسرائيلى،وتجلياته فى الحروب التى شنتها إسرائيل على العرب بدعوى الوقاية من عدوان العرب تارة،وبدعوى الأمن تارة أخرى،ثم التهديد والإعداد حالياً لحرب أخرى فى المنطقة تصطف خلفها جميع القوى فى إسرائيل بما فيها أنصار عملية السلام ، إن أكثر العناصر الإسرائيلية دعوة للحوار هى العناصر المتعصبة والمتشبثة بثوابت المشروع الصهيونى والاستيطانى التسلطى العدوانى وهدفها الأصيل هو الالتفاف حول هذه الثوابت وإقحام الطرف الآخر فى متاهات جانبية تأكيداً للاستسلام لهذه الثوابت إن لم يكن قبولها والتعايش معها " .

* ثم يقول أبو العلا : " إن الدعوة للحوار مع أنصار السلام وحماية السلام من أعدائه تحوى فى داخلها افتراضات مضمرة تتمثل فى تحميل العرب مسئولية العدوان والحروب التى شهدتها المنطقة من خلال القول بمسئولية المثقفين

المصريين ومشاركتها فى التعبئة ضد إسرائيل والحض على كراهيتها والضلوع فى توجيه سياسات المرحلة السابقة ضد إسرائيل ، وذلك بتبرئة إسرائيل من مسئوليتها عن عدم الاستقرار فى المنطقة وهى المسئولية التى تقع فى إطار أحكام القانون الدولى العام ، ويمكن للعرب – وفى إطار عملية السلام – المطالبة بتحميل إسرائيل البادئ بالعدوان " .

* كما أن انخراط المثقفين والأكاديميين المصريين فى حوارات مع نظرائهم الإسرائيليين يحملهم على الانخراط فى عملية " مكافأة " لإسرائيل رغم استمرارها فى وقف عملية السلام ورفض الانسحاب من الأراضى المحتلة .

وتهدف تلك الدعوات فيما تهدف إليه جعل مصر تقوم بدور الوسيط وكجسر ميسر بين العرب والإسرائيليين ، وهذا يعنى تخلى مصر عن موقعها كطرف عربى والوقوف فى منتصف الطريق كمجرد وسيط وهو ما أعلنت مصر ومثقفوها رفضه مراراً وتكراراً ، هذه رغبة إسرائيلية دفينة فى تحييد مصر وإخراجها من معادلة الصراع ليس فقط على الصعيد العسكرى ، ولكن على الصعيد السياسى والثقافى .

ولكن مصر كانت ومازالت الطرف الرئيس فى معادلة الصراع العربى – الإسرائيلى ، وسوف تظل كذلك فى حالة اشتباك مع إسرائيل .

إن مضمون الدعوة للحوار بين أنصار السلام يعنى أيضاً عزل حركات المقاومة والنضال فى فلسطين وخارجها ، وليصبحوا أعداء السلام الذين يجب مقاومتهم والتحالف ضدهم .

إن الإسرائيليين يبحثون عن " سماسرة " أو " وكلاء تجاريين " من خلال إقناع المصريين بعملية التطبيع " .

***

(5) وفى بحث متميز يحمل عنوان " قضية الحوار مع المثقفين الإسرائيليين ومحاولة اختراق جبهة المثقفين المصريين " للباحث د. عمرو كمال حمودة ،

فند الباحث الأسس التى قام عليها تحالف كوبنهاجن وغيره من المؤسسات والأفراد الداعين للحوار بين المثقفين المصريين والإسرائيليين وبدأ بحثه بسؤال مهم : لماذا الحوار مع المثقفين فى إسرائيل ؟ وهل هناك نتائج من خلاله لها طابع إيجابى لتحقيق الأمانى الوطنية والقومية ؟ ولماذا هذا التوقيت فى هذه الأيام للتركيز على هذه الدعوة ومن منافذ متعددة ومن أطراف متنوعين ؟ .

الهدف الرئيس هو التطبيع الثقافى واختراق جبهة المثقفين المصريين ، لأن التطبيع الاقتصادى لم يتعد حفنة من الصفقات والتوكيلات التجارية والسياحية، وفى إطار دائرة محدودة من العلاقات .. ومازالت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ترى أن معاهدة السلام مع مصر قد تحولت إلى نوع من السلام البارد والهدنة التى لم تتغير معها أفكار ووجدان الشعب المصرى تجاه المشروع الصهيونى ، وقد لعب المثقفون فى مصر (ما عدا مجموعة معينة) دوراً هاماً فى المقاومة والدفاع عن الثوابت وتشكيل " حائط صد " بناء على إلتزامهم الوطنى ، على الرغم من تمايزاتهم الفكرية وألوانهم السياسية .

والتطبيع الثقافى له هدفان : **الأول** : ضرب وتكسير المرتكزات الفكرية التى شكلها العقل العربى والوجدان العربى خلال مسيرة الصراع الطويل مع الكيان الصهيونى ، **والهدف الثانى** : إنشاء روابط وإنتاج رؤى فكرية مشتركة– عربية وإسرائيلية – تقضى بالتدريج على المفاهيم والمرتكزات التى تشكلت لدى العرب .

ثم يشرع الباحث د. عمرو كمال حمودة فى البحث فى تاريخ التطبيع ويقول: " وهكذا بدأت محاولات التطبيع الثقافى فى صورة محاولات متعددة ومرسومة أسماها البعض "بالهجمات التطبيعية" والتى أخذت شكل موجات منظمة متتابعة منذ زيارة الرئيس أنور السادات للقدس فى نوفمبر 1977 ، فقد سرى وقتها فى الدوائر السياسية المصرية أن مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك قد تقدم للرئيس السادات بقائمة تحمل عشرين اسماً لمثقفين وأكاديميين بارزين فى

حقل الأبحاث والدراسات الخاصة بالصراع العربى – الإسرائيلى ، من أجل إبعادهم عن مواقعهم المؤثرة فى معاداة المشروع الصهيونى .

فهل كان من قبيل الصدفة فى ذلك التوقيت أن يُخرج مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بمؤسسة الأهرام من عضويته الدكتور عبد الوهاب المسيرى والأستاذ حاتم صادق والأستاذ جميل مطر وغيرهم ؟ .

ثم عقب توقيع معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية عام 1979 ، إذا بكيان مؤسسى يظهر من واشنطن وينمو مع الأيام ليصبح مركز ثقل له وزنه فى التطبيع الثقافى ، هذا الكيان أطلق عليه " مجلس سلام الشرق الأوسط " ومنبثق عن لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكى ، ويهدف رسمياً إلى تقريب وجهات نظر شعوب منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لموضوع التسوية السلمية ، من المنظور الأمريكى بالطبع ! وبينما هدفه الحقيقى عمل مظلة واسعة للحوار الإسرائيلى العربى ودمج إسرائيل فى إطار شرق أوسطى واسع يضم الدول العربية كلها وأيضاً تركيا وإيران وتطبيع العلاقات فيما بينهما .

ويرأس هذا المجلس مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة السابق والذى عمل كسفير لبلاده فى القاهرة إبان رحلة السادات للقدس وحتى توقيع معاهدة السلام ، ويضم المجلس فى عضويته أكاديميين وسفراء سابقين ورجال أعمال وصحفيين .. وتتولى سكرتارية العمل فيه وتنسيق أنشطته السيدة / بربارة إبراهيم زوجة الدكتور سعد الدين إبراهيم عالم الاجتماع بالجامعة الأمريكية فى القاهرة ، ورئيس مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية والذى تشاركه فى ملكيته السيدة بربارة أيضاً .

ومن أهم الشخصيات فى عضوية المجلس ، البروفيسور اليهودى الأمريكى " ستيفن كوهين " ونظراً لثقله فى دوائر صناعة القرار فى الولايات المتحدة ، فإن الرئيس السادات قد اقترح اسمه على ياسر عرفات عندما طلب الأخير النصيحة لفتح قناة اتصال خلفية بالأمريكيين من أجل التوصل لتسوية سياسية

.. فقال لـه الـرئيس الـسادات : إن كـوهين هـو الـشـخص المناسـب فهـو يمثـل المؤسسة TJEESTABLISHMENT " .

وللمجلس أنشطة كثيرة من ندوات ولقاءات مع مفكرين وساسة فى كل دول المنطقة ، وحوارات من أجل تحقيق ما استهدفه من عملية اختراق لجبهة المثقفين وتليين مواقفهم وتهيئة المناخ باستمرار للحوارات بين إسرائيليين وعرب " .

ثم ينتقل د. عمرو كمال حمودة إلى تطور آخر فى مسار التطبيع فيقول : [لقد ظل التطبيع الثقافى على استحياء نتيجة الحصار الذى فرضه المثقفون المصريون حول دعاته ، إلى أن جاءت رياح الخريف سنة 1993 تحمل معها اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة حزب العمل فى إسرائيل ، وإذا بموجة تطبيعية جديدة تبدأ من إسرائيل موجهة إلى المثقفين فى مصر .

فنشط الجنرال السابق متتياهو بيليد فى إجراء اتصالات بمجموعة من اليساريين المصريين وصحفيين فى مؤسسات متعددة وبعض أساتذة الجامعات، معلناً أنه يمثل جماعة أنصار السلام فى إسرائيل ، وكتب مع زميله الأكاديمى " يوسى بن أميتاى " بعض المقالات فى صفحة " الحوار القومى " الذى يشرف عليها الأستاذ لطفى الخولى بجريدة الأهرام القاهرية . وتضمنت هذه المقالات موافقة من جانبهم على إقامة دولة للفلسطينيين ، فى ظل ضمانات أمنية متعسفة ومنها عدم التخلص من الترسانة النووية الإسرائيلية أو النص على عودة اللاجئين .. ووصل التبجح والصلف بيوسى بن أميتاى أن استهزأ بموقف المثقفين المصريين وعلى الأخص أهل اليسار منهم لرفضهم مسألة التحاور مع اليساريين فى إسرائيل .. بل وصف موقفهم بعدم الفهم لحقائق العصر وتمسكهم بأوهام مثل القومية والوطنية رغم عصر الكونية والشركات متعددة القومية ! .

وفى الوقت نفسه اتصل مركز جافى للدراسات الاستراتيجية فى إسرائيل بالدكتور سعد JAFFE CENTER FOR STRATEG ICSTUDIES

الدين إبراهيم[*] طالباً إجراء حوارات مع مثقفين مصريين بمركز ابن خلدون .. توسيعاً لدائرة التطبيع الثقافى فى ظل مناخ الارتباك الذى ساد أجواء العالم العربى عقب إذاعة الأخبار عن اتفاق أوسلو .

ورحب مركز ابن خلدون بما طرحه مركز جافى الإسرائيلى (علماً بأن المركز تابع لجامعة تل أبيب ووثيق الصلة بجهاز المخابرات الإسرائيلى – الموساد – وقد ترأس المركز فى بداية عهده مستشار رئيسة الوزراء جولدا مائير لشئون الاستخبارات) ، وقد بدأ مركز ابن خلدون سلسلة من هذه اللقاءات داخل حلقات ضيقة وغير معلن عنها ، شارك فيها الكاتب المسرحى المصرى " على سالم " الذى ذهب بنفسه لزيارة إسرائيل وعاد ليكتب كتاباً عن المجتمع الإسرائيلى ومدى تمدنه مما دفع على سالم للمطالبة بالتطبيع مع إسرائيل سريعاً وبكل قوة وفى جميع المجالات ! .

كذلك ظهر فى رواق ابن خلدون شخص يدعى " أمين المهدى " كان يعمل بجريدة أخبار اليوم وبعد ذلك أنشأ داراً للنشر تعثرت كثيراً ، ثم تحسنت أحوالها كثيراً نتيجة حصولها على عقود نشر لكتاب إسرائيليين بعد زيارات متعددة للأستاذ أمين المهدى لإسرائيل .. وقد علمنا من مصادر متعددة أن السيد مهدى قد حصل على ورق لطباعة الكتب بأسعار رخيصة نسبياً ساهمت فى تحسين أحوال دار النشر .

ثم ينتقل د. عمرو فى بحثه إلى أحد أبرز عرابى التطبيع فى مصر ، فيقول : " يتحير المرء فى الدور الذى يلعبه الدكتور سعد الدين إبراهيم ، لأنه شديد الانتشار والتوسع فى أنشطته بشكل مثير للعجب والدهشة خاصة فى مجال تشجيعه للتطبيع الثقافى مع إسرائيل سواء فى مقالاته التى ينشرها أو لقاءاته التى يعقدها ، وكان الأستاذ محمد حسنين هيكل قد كتب فى مؤلفه عن حرب

* تصريح للدكتور سعد الدين إبراهيم أثناء رده على الدكتور شريف حتاتة فى ندوة رواق ابن خلدون يوم 1997/1/21 جلسة " فن إدارة الصراع العربى – الإسرائيلى "

أكتوبر أنـه فـى حقبـة السبعينات ظهـرت مجموعـة أطلـق عليهـا " نخبـة القـوة والنفوذ " من ضمنها الدكتور سعد .. ضمت تجار سلاح ورجال أعمال ورجال مخابرات ورجال بترول وأكاديميين .. كان لهم تأثير كبير على القادة وصناعة القرار فـى العـالم العربـى. وهنـاك الخـط الـذى يتبنـاه الأسـتاذ محمـد سيد أحمـد الكاتب بجريدة الأهرام الذى يشجع الحوار مع اليسار الإسرائيلى وأنصار السلام هناك .. مفترضاً أن ذلك سيؤدى لترحيل التناقضات فى صفوف الإسرائيليين ، وهـو لديـه كـل الثقـة بـالنفس فـى إدارة الحـوار لمـا يمتلكـه مـن كفـاءة وشـرف ونضالية ستساعده فى التحاور واكتشاف نقاط الضعف فى الخصم ، وتوظيف ذلك لصالح المصلحة العربية " .

* ثـم جـاءت حكومـة الليكـود فـى الحكـم بعـد الانتخابـات الأخيـرة – يقصـد د. عمرو انتخابات 1996– وواجه رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو العالم العربى بغطرسـة شـديدة ورفـض لتنفيـذ مواعيـد الانسـحاب المقـررة فـى اتفاقيـات أوسـلو المنقوصة ، وأنه سيمضى قدماً فى بناء المستوطنات ، وغير ذلك من مفاهيم وسياسات عنصرية .. أربكت دعاة التطبيع فى مصر الذين شعروا أن الأرضية التـى وقفوا عليها قد بدأت تهتز بشدة ، لأن موقفهم أصبح يمثل لدى الكافة " خيانة حتى للحد الأدنى للأمانى العربية " ولكن فيما يبدو أن مرض " التوحيد مع المعتدى "كان قد تمكن منهم .. فأصبحوا ملكيين أكثر من الملك .

ثم يقول د. عمرو كمال فى موضع آخر من بحثه : " بدأت الموجة التطبيعية الجديدة مع رفض الحكومة الإسرائيلية تنفيذ موعد الانسحاب أو بـالأحرى إعادة الانتشار من مدينة الخليل وتهيأت الأجواء لانهيار عملية السلام فإذا بإسرائيل تلجأ لاستراتيجية الاقتراب غير المباشر ، فالليكود يتشدد ويرفض بينما حزب العمل المعارض بخبث يتحاور ويتصل من الأبواب الخلفية لتلطيف المناخ بين المثقفين المصريين حتى لا تتسع جبهة التشدد وتزداد تمسكاً وصلابة .. خاصة وأن المثقفين فى مصر نجحوا فى إنشاء كيانات تقف عشرة أيام دعاة أمام دعاة

التطبيع مثل لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ، والحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل . واللجنة المصرية لمقاومة التطبيع ، واتحاد الفنانين ورابطة المثقفين المصريين وأدباء الأقاليم وهو ما أزعج الإسرائيليين بشدة ، وكانت له تجلياته فى الصحافة الإسرائيلية وفى سيل الاحتجاجات التى تقدمها سفارة إسرائيل لوزارة الخارجية المصرية.

وعلى صعيد رواق ابن خلدون الثقافى ثمة محاولة من قبل الكاتب على سالم والسيد أمين المهدى لإعلان لجنة مصرية – إسرائيلية لدعم الحوار والسلام ، تعلن فى القاهرة وذكرت الشائعات أن إعلان هذه اللجنة كان مقرراً له يوم 1997/1/21 أثناء ندوة عقدت بالرواق ولكن جوبهت بجو ومناخ شديد الاعتراق والصد فأحبطت الفكرة رغم بعض القوائم التى وزعت ثم سحبت تشمل أسماء مثقفين وباحثين وشخصيات مصرية وطنية أطلق عليها فى القائمة لقب " أعداء السلام " !.

وخلال أسبوع واحد بدأ يوم 1997/1/28 حاضر فى رواق ابن خلدون الباحث يوسى بن أميتاى وأعقبه " يوسى ساريد " الإسرائيليان من حزب العمل " .

وبالتوازى نشط مجلس الشرق الأوسط – وفقاً للدكتور عمرو كمال حمودة – وعقد اجتماعاً بالقاهرة فى نوفمبر 1996 خرج بعده البروفيسور ستيفن كوهين ليدلى بتصريح للمحرر رضا هلال بجريدة الأهرام القاهرية[1] مدشناً الاستراتيجية الجديدة بقوله " ثبت أن التطبيع الاقتصادى لم يؤت مفعوله وأن السلام سيتحقق من خلال التطبيع الثقافى – وذلك فإنه سيدعو لعقد مؤتمر للمثقفين فى كل دول الشرق الأوسط وبرعاية دولية على غرار فكرة المنتدى الاقتصادى العالمى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا المعروف باسم " دافوس " وبالتالى يمكن حشد مثقفين عرب وإسرائيليين تحت مظلة وآلية دولية تستمر وتنعقد كل عام فى إحدى دول المنطقة لتشكل رؤية القادة المثقفين من المحيط إلى الخليج ! .

وبالتوازى .. يفتح الأستاذ لطفى الخولى صفحة الحوار القومى مرة أخرى لمقال طويل لكاتب إسرائيلى هو " إيلى ماعوز " مدير مركز جافى الإسرائيلى للدراسات الاستراتيجية يشدد فيه على أهمية التطبيع الثقافى والحوار المفتوح بين المثقفين فى مصر وإسرائيل .

وبالتوازى دعا الأستاذ محمد سيد أحمد للحوار مع اليسار الإسرائيلى على صفحات جريدة الأهرام ولكنه للحق قال : إنه يدعو إلى الفكرة ولكنه لن ينفذها إلا بعد حصوله على موافقة الجماعة الثقافية فى مصر بصفتها ضمير الأمة .

وبالتوازى ظهر عن دار الثقافة الجديدة اليسارية ، ترجمة كتاب " العلم الأحمر .. هل كان يرفرف؟ هناك السياسات الماركسية والنزاع العربى الإسرائيلى للمؤرخ الأمريكى جويل بنين والكتاب يتحدث عن الاتصالات بين الشيوعيين المصريين أساساً والشيوعيين الإسرائيليين ، ولكن اللافت للنظر أن الكتاب صدر عام 1990 ثم يظهر هذه الأيام مترجماً فى مصر . وبالتوازى يبدأ شمعون بيريز حملة لإنشاء معهد شرق أوسطى للسلام برئاسته ويبدأ جولة أوروبية للحصول على دعم وتمويل لهذا الكيان الذى يهدف إلى عقد ندوات وأبحاث وبرامج مشتركة بين أكاديميين ومثقفين من كل دول المنطقة لكسر الجمود فى عملية التطبيع الثقافى.

* ثم أخيراً – يقول د. عمرو كمال حمودة – يظهر إعلان كوبنهاجن الذى ينص على إنشاء " تحالف عربى / إسرائيلى " بين المثقفين من أجل السلام ، وهو جهاز تطبيعى له آلية ودولاب عمل لعقد لقاءات وندوات وحوارات ويمارس دور " اللوبى الضاغط " على الأفراد والهيئات والحكومات من أجل التطبيع الثقافى الكامل وبعيداً عن أى بنود تتعارض مع الأمانى العربية المشروعة ، فإن أخطر ما فيه حسب ما جاء فى النسخة الإنجليزية للإعلان– أنه ينص على ممارسة التصدى بكل قوة لكل من يقف ضد السلام يستوى فى ذلك المقاومة الإسلامية المتمثلة فى حماس والجهاد أو حزب الله فى لبنان أو أى

كاتب أو صحفى أو أكاديمى أو صاحب رأى معارض لما تفعله إسرائيل أو هرولة حكومية أو غير حكومية تجاه إسرائيل ومشروعها الشرق الأوسطى الجديد ! " .

وينتهى د. عمرو كمال حمودة فى بحثه الاستقصائى المتميز إلى نتيجة مفادها : " والحاصل .. أن المحاولات لا تنتهى من أجل التطبيع الثقافى بأى ثمن .. وأى وسيلة لتوظيف المثقفين المصريين فى إطار عملية التسوية القائمة بكل سلبياتها وهذا يساعد الكيان الصهيونى على اختراق جبهة المثقفين حتى يصبح عقل الأمة تائهاً.. وقيادتها الفكرية مبعثرة " .

***

(6) وفى بحثه المعنون بـ " تهافت الخطاب التطبيعى " يذهب المناضل اليسارى المعروف أحمد بهاء الدين شعبان إلى أن الخطاب التطبيعى الذى يقدمه تحالف كوبنهاجن يشكل فى منظوره العام نموذجاً مبتذلاً لفكر انهزامى معزول ومعاد ، منقلب على الذات ، واستعلائى ، يحتمى بادعاءات هزلية وهزيلة لا تستند إلى الواقع عن وكالة مختلفة تتيح له التحرك باسم الشعب ونيابة مفتعلة تؤهله للتحدث باسم الجماهير التى لم تفوضه أبداً فى التحدث باسمها بالرغم من أنه – فى قرارة نفسه – يحتقر هذه الجماهير ، ويعلن على رؤوس الأشهاد براءته منها ومن جهلها ، كما سيأتى فيما بعد ! .

وهو يعكس – من ناحية أخرى – سلوكاً انتهازياً ، مراوغاً ، هلامياً ، غامضاً ، سريع التحول من مواقع شديدة المبدأئية بل والتطرف ، فى مواجهة الفكر الصهيونى ، والعدو التاريخى للأمة والدولة المزعومة إلى مواقف شديدة الممالأة والانحياز والرياء ، مغطاة بمسحة سلامية خادعة فى ظل نزوع تبسيطى ، تسطيحى ، يتجاهل أسس الصراع ، ويقفز من المقدمات التى لابد وان تقود إلى نتائج موضوعية ، وصولاً لتصورات ذهنية ، يهيئ لنفسه من خلالها دوراً ريادياً

، ويمنح نفسه عبرها أهمية رفيعة المقام !! . ثم يذهب شعبان إلى تقسيم التطبيعيين فى مصر إلى :

الأول : القطاع الأكبر ، وهو الذى تحكمه "تهويمات" إنسانية عامة ، وتؤثر فيه خدع التكنولوجيا الإعلامية المعاصرة ، فيظن أن السلام قد استتب ، منطلقاً من فكرة أن "الصلح خير" ، وهو يأمل – كما وعدوه – فى أن حلول السلام سيكون مدخلاً مؤكداً للرخاء والتقدم وهذا هو – على الأرجح – موقف القطاع الأعرض ، غير المسيس ، المتأثر بتوجيهات أجهزة الإعلام ومواقف الدولة الرسمية وسدنة النظام .

والثانى : وهو موقف القطاع الذى ينتمى بصورة أو بأخرى لأجهزة الدولة أو للحكومة – فهو تطبيعى حينما يضاء الضوء الأخضر للتطبيع ، وشديد العداء للعلاقة مع إسرائيل ، حينما تدفع تكتيكات السلطة لموقف مناقض ، وهو على اتساع قاعدته النسبية موقف لا قيمة له وغير ثابت ؛ لأنه يؤدى دوره بروتينية لا روح فيها ولا حياة ولا إبداع ، وإن كان موقفه مؤثراً فى تشكيل وجهات نظر " الجماهير " لأنه – فى الأغلب – يسيطر على الصحف وأجهزة الإعلام والمؤسسات الصحفية الرسمية ، وأخطرها التليفزيون ، والصحف المسماة بـ " القومية " .

والثالث : ذلك الجناح الذى يقوده تحرره الفكرى ، وتطلعاته الاستراتيجية لتخوم التطبيع – حتى وإن كان فى أعماقه رافضاً لنتائجها ، مدركاً لمخاطرها ، وهو حين يدعو للحوار مع الإسرائيليين يحيط دعوته بعشرات من التحفظات التى تصادر عليها وتنفيها فى جوهرها ، وبعض من عناصر هذا القسم يربط بين ديكتاتوريات القائمة فى العالم العربى وما قادت إليه من هزائم وانهيارات وتخلف ، وبين بقاء قضية الصراع العربى – الإسرائيلى معلقة على امتداد نصف القرن الماضى ، ويظن (وبعض الظن إثم !) أن حل هذه الإشكالية المزمنة ، سيكون

المدخل لتوسيع قاعدة الحريات الديمقراطية وبناء مجتمع جديد متقدم ومتحرر !
.

الرابع : وهو الأخطر ، ذلك الذى يدعو للتطبيع عن وعى وإدراك نابع من مصالح استراتيجية تربطه بالعدو الإسرائيلى ، وتضعه مع الإسرائيليين فى علاقة ذات أبعاد عميقة ، تدفعه لأن يقوم بعملية تزييف واسعة ، تستهدف تجميل وجه العدو والدفاع عن ممارساته ، والتماس المبررات له انطلاقاً من إدراك عميق بأنه إذ يدافع عن العلاقات مع إسرائيل ، تحت شتى الذرائع ، إنما يدافع عن مصالحه ذاتها ! .

وبهذا المعنى يذهب شعبان إلى القول : يخطئ من يظن أن أية مناشدات أخلاقية لـ " عصبة كوبنهاجن " سوف تؤدى إلى ارتدادهم عما اعتزموه أو تراجعهم عما خططوا له : ولا يعود هذا إلى موقف ذاتى من هذا الفرد أو ذاك من الأفراد المشاركين ، وإنما يستند رأينا هذا إلى فهم موضوعى أعمق لواقع ما تم ، وحقيقة ما قطعوه من مسار ، ويعكس إدراكنا لعمق التحولات الطبقية فى المجتمع " ، ويؤكد فى بحثه أن دعاة كوبنهاجن هؤلاء هم المستفيدين من التطبيع اقتصادياً وسياسياً لذلك لا أمل فى تراجعهم عن أفكارهم ودعاويهم !! .

* وينتهى أحمد بهاء الدين شعبان فى بحثه إلى أن إلحاح " جماعة كوبنهاجن " الآن بالذات على تعليمنا – نحن معارضى الاستسلام للعدو الصهيونى – باسم التطبيع، دروس " المتغيرات الإقليمية والدولية " ، و" آداب السلوك فى حضرة الملوك " وتجريعنا كأس تسوية الإذعان الأمريكية الإسرائيلية المفروضة على أوطاننا باسم السلام المزعوم ، يبدو أمراً شديد الغرابة ويثير الريبة والشكوك ، ويطرح العديد من علامات الاستفهام فيما يخص التوقيت الذى طرحت فيه والكيفية التى أديرت بها العملية برمتها ، ويكفى أن نقارن مقالات لطفى الخولى ومجموعته فى جريدة الأهرام حول موضوع كوبنهاجن بمقولات بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى حول إعادة تثقيف المثقفين العرب

(والمصريين أساساً) ، لكى ندرك منع ومسار عملية كوبنهاجن من البداية حتى النهاية. فنتنياهو يرى أن موقف المثقفين الوطنيين العرب والمصريين المقاوم لمشاريع الهيمنة الصهيونية هو العقبة الرئيسة فى وجه مخططات الليكود الإرهابية ، حيث يقول نتنياهو "إن مصير العلاقات بين العرب واليهود سيتحدد فى المدارس والجامعات وفى قاعات تحرير الصحف وفى المساجد فى الشرق الأوسط .. وللآن وبعد عشرين سنة تقريباً من عقد أول معاهدة سلام عربية إسرائيلية ، فإنه لا يوجد قبول لإسرائيل فى هذه البوتقات للتعليم والتثقيف للعرب ، فلا خريطة عليها اسم إسرائيل ، ولا كتاب مقرر فى المدارس يشير لاسم إسرائيل كدولة لها الحق فى الوجود ، ولا طفل يتعلم أن إسرائيل هى جارة دائماً ، ولا صحيفة تتجنب أكثر أنواع التحريض المشحونة بالسموم ضد إسرائيل واليهود ، ولا أى قيادة دينية فى العالم العربى تبشر بالتسامح تجاه الدولة اليهودية ، ولن يحدث هذا التغيير إذا لم يقم المثقفون والقيادات الروحية فى العالم العربى بالانضمام إلى الدعوة للقبول بإسرائيل[2].

وهو ما وصفه صحفى أمريكى بأن نتنياهو " يطالب بعملية غسيل مخ كاملة للعرب لا يستثنى منها طفل فى مدرسة أو واعظ فى مسجد أو مثقف أو حتى صحفى ، وهى عملية لم يسبق أن حدثت بين أى أعداء سابقين حتى بعد مرور قرون ، وليس عشرات السنين ، وبعد زوال جميع أسباب العداء ، كما حدث بين فرنسا وبريطانيا أو فرنسا وألمانيا ، كما هو حادث الآن بين العرب والإسرائيليين ، حيث مازالت أسباب العداء قابعة على الأرض فى حالة استفزاز مستمرة، وقد أدلى نتنياهو بهذه التصريحات ذات الدلالات الواضحة أثناء زيارته أخيراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية (فبراير 1997)، وفى هذه الزيارة قدم رئيس الوزراء الصهيونى إلى الإدارة الأمريكية خريطة جديدة لإسرائيل أسماها " خريطة الخطوط الحمراء " وهذه الخريطة توضح بجلاء إسرائيل التى ستتضمنها التسوية الليكودية المقترحة ، حتى بعد عقد كافة معاهدات واتفاقات

السلام ، حيث ستشمل 50% من أراضى الضفة الغربية ، " بالتمام والكمال " .[3]

وإذا كانت عملية "غسيل المخ" المطلوبة ، قد فشلت فى السنوات العشرين السابقة – باعتراف قادة إسرائيل أنفسهم – فالمطلوب الآن أن يجتهد دعاة كوبنهاجن لتحقيق ما فشلت فيه آلة الإعلام الأمريكية – الغربية – الإسرائيلية – الرسمية العربية ،طوال السنين الماضية ، وتحت دعاوى مزيفة عن تجاوز " التطريب الأيديولوجى " والانتقال من الوقوف على الرصيف إلى الفعل المؤثر .. إلخ إلخ ، تمارس " عصبة كوبنهاجن " كافة أشكال الابتزاز السياسى والثقافى والأيديولوجى أيضاً ، من أجل إكراهنا على مغادرة مواقعنا الوطنية ، والتخلى عن قناعاتنا الفكرية ، والعزف معهم على نوتة الليكود الموسيقية ، بالضبط مثلما كتبها "بنيامين نتنياهو" وأركانه ، ومن قبل " شمعون بيريز " عرّاب " الشرق الأوسط الجديد " وبطانته ، وهو ما يتبدى واضحاً فى كتابات لطفى الخولى وعلى سالم ومحمد رضا محرم ومن لف لفهم ! .
ويقودنا هذا التصور – يقول شعبان – إلى إدراك أن المعركة مع تحالف كوبنهاجن ، وغيره من مسارات التطبيع والتطويع ، لم تعد معركة بسيطة ولا هى جولة سريعة ستحسم بالضربة القاضية ، وإنما – على الأرجح – ستكون معركة طويلة المدى ، ستُكسب بالنقاط ، يجب أن يُشن خلالها عشرات من الهجمات المتنوعة التأثير ، والتى تستهدف العديد من فئات المجتمع وقطاعاته لحصار التأثيرات الضارة لحلف كوبنهاجن ، الذى هو – فى الأساس – امتداد لحلف "كامب ديفيد" بما يعنيه من مؤسسات وعلاقات ومصالح متشابكة ، تراكمت على مدى عقدين كاملين منذ زيارة السادات للقدس فى نوفمبر 1977 وحتى هذه اللحظات " .

وهذا هو التحدى الرئيس الذى يواجه القوى الوطنية والديمقراطية فى مصر والعالم العربى الآن ، ويتوجب على المثقفين الوطنيين أن يرسموا لعملهم المقاوم

استراتيجية طويلة المدى ، تأخذ فى اعتبارها كافة عناصر الصراع ومدخلاته ، وتضع فى حسبانها استنهاض كل القوى الفاعلة فى الأمة ، وترتيب صفوف المثقفين الوطنيين ، والبدء فى حملة وطنية مضادة ، تفضح مخططات التطبيع الثقافى – وحلف كوبنهاجن كمحطة فى هذا الطريق لا أكثر – وتعرى الأهداف الخطيرة الكامنة وراءها ووراءه ".

***

* هذا وقد تعددت المواقف والكتابات الرافضة لتحالف كوبنهاجن والكاشفة عن أسراره ومنها كتابات (جمال فهمى : آخر جرائم حزب التطبيع ،اليوم فى كوبنهاجن وإعلان تأسيس التحالف العربى الإسرائيلى – جريدة الدستور 1997/1/29) و(جمال الغيطانى – جريدة الأسبوع 1997/2/24) و(تزييف ذاكرتنا لجمال الغيطانى : الأسبوع 1997/3/31) و(مافيا التطبيع – عبدالحليم قنديل – العربى1997/3/17) و(علاقة تحالف لطفى الخولى بالمخابرات الإسرائيلية–منى أنيس–الدستور 1997) و(أفكار مفتى ضلالى– عبدالقادر ياسين–الأسبوع 1997/3/31) و(إلا التعليم يا كوبنهاجن – د.حامد عمار– الأهالى 1997/4/23)و(الطريق إلى القدس لا يمر بكوبنهاجن– د.أحمد يوسف أحمد– الأهرام 1997/3/19) .

* هذا ولقد قوبل تحالف كوبنهاجن برفض واسع من المثقفين العرب ، لعل فى البيان الجماعى الموقع من مئات منهم ما يكفى لإظهار حجم الرفض الذى أدى تدريجياً إلى موت هذا التحالف وسقوط مؤسسيه وضياع أهدافه بعد عدة شهور من تأسيسه ، وإلى **بيان المثقفين العرب** :

[التقت فى العاصمة الدنماركية ، فى آخر أيام يناير 1997 ، مجموعة من المثقفين ورجال الأعمال الإسرائيليين والعرب ووقعوا بياناً أعلنوا فيه إنشاء تحالف دولى إسرائيلى عربى من أجل السلام ، وعزمهم على توحيد الصفوف من أجل بداية عصر جديد فى الشرق الأوسط . والغريب أن عدداً من

المشاركين فى هذا اللقاء اعتبر نفسه مفوضاً من قبل المثقفين العرب وممثلاً لهم ، بل واعتبر هذا اللقاء تحالفاً شعبياً يعبر عن إرادة الأمة العربية، وفى هذا الإدعاء خرق لأبسط قواعد الديمقراطية فلا هم استشاروا غيرهم من مثقفين الأمة ولا استطلعوا الأمر مع أية تجمعات ثقافية أو شعبية بل قاموا – على غير طريقة المثقفين – بالعمل المتكتم عليه فى الظلام حتى انتهوا من إعداد الوثيقة .

إن ما تم فى كوبنهاجن هو لقاء دبره ورأسه هربرت بونديك الإسرائيلى الذى يعيش حالياً فى الدنمارك ، وهذا اللقاء خطوة فى عملية متصلة ومتصاعدة تخطط بدأب ودهاء لكسر إجماع المثقفين العرب على رفض المشروع الصهيونى ورفض كافة أشكال التطبيع مع الإسرائيليين ويتسق هذا اللقاء تماماً مع الجهود الرسمية برعاية الولايات المتحدة لترسيخ وجود إسرائيل فى المنطقة منذ اتفاقيات كامب ديفيد إلى مؤتمر شرم الشيخ مروراً بمؤتمر مدريد واتفاقيات أوسلو ؛ وكلها تشكل الإطار المرجعى للقاء ، ولذا فليس مصادفة أن يتجاهل البيان الصادر عنه أية إشارة إلى حق العودة الفلسطينى وأى حديث عن عدوانية الدولة الصهيونية ، أو التدفق المستمر للهجرة اليهودية إلى فلسطين .

ومن الملفت أن بعض الذين شاركوا فى اجتماع كوبنهاجن يشغلون مواقع بحثية وثقافية وعلمية وصحفية جديرة بأن ينطلقوا منها لخدمة التقدم العربى والتحالفات الشعبية الصحيحة فإذا بهم يبحثون فى مشاريع لأرض مشتركة مع أنصار المشروع الصهيونى الأمريكى .

إن وثيقة كوبنهاجن تطالب المثقف العربى بدور المفاوض السياسى ، والإذعان لعلاقات القوى الراهنة بقبول تنازلات تخلّ بدوره والتزاماته الوطنية . إن المثقف ، هذا ما تعلمناه وما نريد مواصلة الوفاء به ، يدافع عن القيم الإنسانية الثابتة وهو ضمير أمته والحارث اليقظ لذاكرتها يعى حقوقها التاريخية ويصونها، ويحمل لها إنتاجه المعرفى للتمثل واقعها وتستشرق به .

واتخذت موقفاً حيايداً وأحياناً مؤيداً للموقف الإسرائيلى من كافة القضايا الجوهرية فى الصراع العربى الإسرائيلى كقضية القدس والجولان والجنوب اللبنانى ، وأسقطت أية إشارة إلى الحق التاريخى للفلسطينيين فى أرضهم ، ومن هنا شكّل البيان تنازلاً واضحاً عن الموقف الشعبى العربى الذى يزعمون تمثيله بل قبل بصياغات أدنى حتى من قرارات الشرعية الدولية . وبدلاً من أن يؤكد المجتمعون على الحق فى مقاومة الاحتلال بشتى الصور والأشكال، وهو ما يكلفه القانون الدولى ، ومن ثم الدعوة إلى الإنهاء الفورى وغير المشروط للاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية واللبنانية والسورية ، تبنت الوثيقة الموقف الأمريكى الإسرائيلى فى المساواة التامة بين أشكال المقاومة المشروعة والإرهاب ، وبين الغاصب وصاحب الأرض كذلك اكتفى البيان بالحديث عن ضرورة العمل على إعادة بناء منطقة الشرق الأوسط وإغفال النص الصريح على تنقية المنطقة من السلاح النووى الذى تسلطه إسرائيل على مصائر الشعوب العربية ، ولذا يبدو ما دوره فى البيان عن ضمان الحد الأقصى لأمن الأطراف حديثاً خاصاً بتأمين سيادة إسرائيل فى المنطقة .

وإذ يستنكر الموقعون أدناه لقاء كوبنهاجن ، والبيان الصادر عنه ، وكل نشاط يترتب عليه فإنهم يهيبون بعموم المثقفين والكتاب والفنانون العرب ، والنقابات والأحزاب والروابط والهيئات ، أن تعلن موقفها الواضح والحاسم حتى لا يدّعى أفراد معدودون حق تمثيل الإرادة الشعبية والتعبير عنها ، وأن يصونوا حقهم فى العمل المشترك كمثقفين وطنيين تتراص صفوفهم فى جبهة صمدة تعبر عن تحالف أصيل فى مواجهة العدوان على مصالح الأمة العربية ومستقبلها .

قائمة أولى بأسماء الموقعين :

من مصر : القاص إبراهيم أصلان – القاص إبراهيم عبد المجيد – الكاتب د. إبراهيم سعد الدين – الناقد إبراهيم فتحى – الكاتب إبراهيم منصور – النقابى أبوالعز الحريرى – الصحفى أحمد الجمال– الباحث د. أحمد عبد الله – الباحث

أحمد النجار– الباحث د. أحمد يوسف – د. أحمد يوسف أحمد (أستاذ جامعى) – د. أحمد الصاوى (أستاذ جامعى) – الكاتب أسامة أنور عكاشة– د. أسماء محمود غانم (أستاذة جامعة) – الكاتب السيد ياسين – د. أشرف بيومى (أستاذ جامعى) – الكاتب أمين اسكندر – القاصة اعتدال عثمان – د. ألفت الروبى (أستاذة جامعية) – د. أمينة رشيد (كاتبة وأستاذة جامعية) – الصحفية أمينة النقاش – المخرجة إنعام محمد على – الباحث أيمن السيد عبد الوهاب – الروائى بهاء طاهر – الكاتب بهاء الدين شعبان – د. جابر عصفور (أمين المجلس الأعلى للثقافة) – د. جلال أمين (كاتب وأستاذ جامعى) – الصحفى جلال عارف – القاص جمال الغيطانى – القاص جميل عطية إبراهيم – الكاتب جميل مطر – د. حسام عيسى (أستاذ جامعى) – د. حامد عمار (أستاذ جامعى وخبير تربوى) – الصحفى حامد محمود – الباحث د. حسن أبو طالب – د. حسن حسين البلوى (عميد كلية تربية بنها) – د. حسن حنفى (كتب وأستاذ جامعى) – د. حسن نافعة (كاتب وأستاذ جامعى) – حسناء بكداش (ناشرة) – حسين عبد الرازق (صحفى وكاتب) – حلمى شعراوى (باحث وكاتب) – الكاتب حمدين صباحى – د. حيدر إبراهيم – الباحث خالد السرجانى – رجاء الميرغنى – المخرج رضوان الكاشف – د. رضوى عاشور (كاتبة وأستاذة جامعية) – رفعت توما – سعد الدين وهبة (رئيس اتحاد الفنانين العرب) – القاص سعيد الكفراوى – القاص سليمان فياض – القاصة سلوى بكر – الفنانة سميحة أيوب – د.سمير أمين (باحث ومفكر) – الباحثة د. سهير عبد الظاهر – د. سهير مرسى (باحثة وأستاذة جامعية) – د. البحراوى (كاتب وأستاذ جامعى) – د. سيد القمنى (باحث وكاتب) – د.شبل بدران (أستاذ جامعى) – الكاتب د. شريف حتاتة – د. شكرى عياد (كاتب وأستاذ جامعى) – شاهنده مقلد – الباحثة شهيرة الباز – صلاح عبد المقصود – صلاح عيسى (كاتب وصحفى) – صافى ناز كاظم (كاتبة وصحفية) – الباحث ضياء الدين

رشوان – اللواء طلعت مسلم – د. عبد الباسط عبد المعطى (كاتب وأستاذ جامعى) – الباحث عبد الحميد حواس – د.عبدالعظيم أنيس (كاتب وأستاذ جامعى) – عبد العال الباقورى – عبد العظيم مناف (صحفى وكاتب) – الباحث د. عبد العليم محمد – الكاتب عبد الغفار شكر – عبد الغنى وشاحى (فنان تشكيلى) – الباحث عبد الفتاح الجبالى – د. عبد المنعم تليمة (كاتب وأستاذ جامعى) – د.عبداللطيف محمود محمد (أستاذ جامعى) – عريان نصيف – د. على الراعى (كاتب وأستاذ جامعى)– د. عواطف عبد الرحمن (كاتبة وأستاذة جامعية) – عطيات الأبنودى – عزة عبدالمنعم فهيم – فريدة النقاش (صحفية وكاتبة) – د. فاروق أبو عيسى (أمين اتحاد المحامين العرب) – الناقد فاروق عبد القادر – الكاتبة فتحية العسال – د. فريال غزول (كاتبة وأستاذة جامعية) – د. فوزى منصور (كاتب وأستاذ جامعى) – فهمى هويدى (صحفى وكاتب) – فتحى فرج – الشاعر فريد أبو سعدة – فريد زهران – كامل زهيرى (صحفى وكاتب) – كمال زاخر (خبير تربوى) – د. كمال نجيب (عميد كلية رياض الأطفال جامعة الاسكندرية) – د.ليلى الشربينى (أستاذة جامعية) – القاص محمد إبراهيم مبروك – د. محمد أبوزيد (عميد كلية التربية النوعية ببنها) – د. محمد السكران (أستاذ جامعى) – الكاتب محسن عوض – الفنانة محسنة توفيق – الكاتب محمد سليم العوا – الشاعر محمد صالح – د. محمد عبد الخالق (أستاذ جامعى) – د. محمد عبد الظاهر الطيب (عميد كلية تربية طنطا) – محمد عبد القدوس (صحفى) – الكاتب د. محمد عمارة – الكاتب محمد عودة – محمد فايق (رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان) – القاص محمد البساطى – الكاتب محمود أمين العالم – محمود حيدر – د. محمود ضاهر – د. محمود عبد الفضيل (كاتب وأستاذ جامعى) – القاص محمود الوردانى – الباحث مجدى صبحى – د. مدحت مصطفى (أستاذ جامعى) – د. مصطفى رشدى شيحة (العميد الأسبق لكلية حقوق الإسكندرية) – الباحثة منى

أحمد صادق سعد – د.منى سعفان (أستاذة جامعية) – النائب السابق د. ميلاد حنا – الباحث نبيل عبد الفتاح – د.نوال السعداوى (كاتبة) – السفير وفاء حجازى – هانى شكر الله – الصحفى وائل عبدالفتاح– يحيى قلاش – القاص يوسف أبورية – المخرج يوسف شاهين – د. إبراهيم العيسوى (مستشار بمعهد التخطيط) – إحسان بكر (نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام) – المخرج أحمد إسماعيل – فنان الكاريكاتير أحمد حجازى – الصحفى أحمد حسن – د. أحمد حسن – الشاعر أحمد فؤاد نجم – القاص أحمد غريب – الباحث أحمد ناجى قمحة – أنور عبد الملك (كاتب ومفكر) – الكاتب أيمن عبد الرسول – فنان الكاريكاتير بهجت عثمان – د. ثريا عبد الجواد (أستاذة جامعية) – الشاعر جمال عبد الغنى عبد الجواد – د. حسام مندور (مستشار بمعهد التخطيط) – الباحث حسين عبد الغنى – الفنان حمدى أحمد – الصحفية رجاء إبراهيم – د.زينب حسن (أستاذة جامعية) – د. سامى بدراوى (أستاذ جامعى) – د. سعيد إسماعيل على (كاتب وأستاذ جامعى) – د. سعيد المصرى – د. سهام هاشم – د. سوزان فياض (طبيبة) – الإذاعى شفيع شلبى – الشاعر شعبان يوسف – د. عاصم الدسوقى (عميد كلية آداب حلوان) – د. عايدة سيف الدولة (أستاذة جامعية) – عبد الرحمن إبراهيم هاشم (محامى) – الشاعر عبدالرحمن الأبنودى – د. عبد الغفار مكاوى (كاتب وأستاذ جامعى) – الصحفية والكاتبة عبلة الروينى – الباحث عماد جاد – الكاتب عبدالسلام زكى مبارك – الباحثة عرب لطفى – عزة خليل – الصحفى عصام زكريا – علاء الديب (صحفى) – الشاعر على منصور – الشاعرة علية الجعار – فنان الكاريكاتير عمر سليم – الشاعر فتحى عبد الله – فريدة مرعى (ناقدة سينمائية) – المخرج كرم النجار – الشاعر كريم عبد السلام – ماجدة رفاعة (ناشرة) – الباحثة ماجدة عدلى – الكاتب محفوظ عبد الرحمن – الشاعر محمد سليمان – د. محمد عونى عبد الرؤوف (أستاذ جامعى) – الشاعر محمد عيد إبراهيم – الصحفى محمد هانى

– الباحث محمد هشام ربيع – د. محمود منصور (أستاذ جامعى) – الشاعر محمود نسيم – د. محيا زيتون (أستاذة جامعية) – د. مدحت الجيار (أستاذ جامعى) – الشاعرة ملك عبد العزيز – منى أنيس (كاتبة وصحفية) – مصطفى بكرى (رئيس تحرير الأسبوع) – الشاعر مهدى مصطفى – الباحث يسرى مصطفى – القاصة نادين شمس – المخرج ناصر كامل – ناهد سعد (أستاذة جامعية) – المخرجة نبيهة لطفى – الفنان نور الشريف – الفنانة ياسمين الخيام– وداد مترى .

<u>من فلسطين والأردن :</u>إبراهيم العبسى (رئيس رابطة الكتاب الأردنيين) – الشاعر إبراهيم الخطيب – الشاعر إبراهيم نصر الله – الكاتب إسماعيل أبو البندورة – د. أحمد أبو مطر – أسامة الرتيسى (رئيس تحرير جريدة الأهالى) – آمال نفاع (رئيس تحرير جريدة الجماهير) – إميلى نفاع (رئيس رابطة المرأة العربية) – الكاتب باسم طلوزى – بهجت أبو غربية – المحامى جواد يونس – حسين مجلى (نقيب المحامين الأردنيين) – الصحفية حياة الحويك عطية – الصحفى خالد الشبول – القاص خليل الواحزى – فريق متقاعد خليل الطراونة – النائب خليل حدادين – القاص رشاد أبو شاور – رشيد شقير – راضى زيادات – الكاتبة روضة الهدهد – الشاعر زهر أبو شايب– المحامى سليم صويص – د. سمير صبحى – د. سلطان القسوس – د. مساعدة خليل – د. سعيد أبو ميزر (نقيب أطباء الأسنان فى الأردن) – الصحفى سليم المعالى – د. صلاح جرار – طلال أبو ريالة – عماد غانم – عاكف داود – عبد الرحمن القطارنة – الكاتب عبدالقادر ياسين – الشاعر عمر أبو الهيجاء – الصحفى عمر النادى (رئيس تحرير جريدة عبدربه) – الصحفى عبدالله حمودة – الشاعر عمر شبانة – الكاتب المسرحى عبد الجبار أبوغربية – المحامى غانم زريقات – فخرى قعوار (أمين عام اتحاد الأدباء العرب) – الصحفى فهد الريماوى (رئيس تحرير جريدة المجد) – الصحفى فؤاد حسين – المهندس ليث شبيلات

(نقيب المهندسين ورئيس جمعية مناهضة الصهيونية) – الكاتب مفيد فلة – محمد أبو ميزر – الشاعر محمد ضمرة – ماجدة المصرى – الشيخ مريد البرغوثى – الكاتب موسى برهومة – الشاعرة مى الصايغ – الروائى مؤنس الزاز – النائب محمد عويضة – النائب السابق منصور مراد – الكاتب موفق محادين – الكاتب نزيه أبونضال – الكاتب ناجى علوش (الأمين الأسبق لاتحاد كتاب فلسطين) – الكاتب ناهض حنز – الصحفى نواف الزرو – والمحامى هانى الدجلة – د. هشام غصيب – الشاعر وليد سيف – د. وليد مرقة – د. يعقوب زيادين (أمين عام الحزب الشيوعى الأردنى) – الكاتب يوسف غيشان – الدكتورة هدى فاخورى – معتصم حمادة (رئيس تحرير الحرية – لسان الجبهة الديمقراطية) – د. ناصر محمد (مدير التحرير) – عز الدين إبراهيم وزياد خوله ولؤى خروبى (سكرتارية التحرير).

<u>من لبنان</u> :إبراهيم بيضون (مؤرخ وأستاذ جامعى) – أديب نعمة (باحث وكاتب) – إلياس أبو رزق (رئيس الاتحاد العمالى العام) – الروائية إميلى نصر الله – الشاعر جوزيف حرب – جورج سعد (كاتب وأستاذ جامعى) – جورج منصف (كاتب وصحفى) – الصحفى جوزيف سماحة – حبيب صادق (رئيس المجلس الثقافى للبنان الجنوبى) – الفنان سامى حواط – د. سماح إدريس (رئيس تحرير مجلة الآداب) – د. سناء أبو شقرا (باحث وأستاذ جامعى) – سهيل إدريس (صاحب مجلة الآداب) – شفيق العربى (كاتب وأستاذ جامعى) – الشاعر شوقى بزيع – الكاتبة عائدة مطرجى إدريس – د. عبدالله رزق (كاتب وأستاذ جامعى) – فهمية شرف الدين (باحثة وأستاذة جامعية) – كريم مروة (مفكر وقائد حزبى) – الروائية ليلى عسيران – محسن إبراهيم (مفكر وقائد حزبى) – السيد محمد حسن الأمين (مفكر وعالم دينى) – الكاتب محمد حسين شمس الدين – محمد دكروب (رئيس تحرير الطريق) – د. محمد على مقلد (كاتب وأستاذ جامعى) – محمود حيدر (باحث وصحفى) – الكاتب محمود سويد –

مسعود ضاهر (كاتب وأستاذ جامعى) – د. مفيد قطيش (كاتب وأستاذ جامعى) – الشاعر مصطفى سبهتى – د. مينسال جحا (كاتب وأستاذ جامعى) – د. وطفاء حمادى (باحث وأستاذ جامعى) – يعقوب الشبراوى (مسرحى) – د. يمنى العيد (كاتبة واستاذة جامعية) .

ومن سوريا :

د. أحمد البرقاوى (كاتب وأستاذ جامعى) – بوعلى ياسين (كاتب) – د. حامد خليل (أستاذ جامعى) – حسين العويدات – الباحث خضر زكريا – الشاعر شوقى بغدادى – الروائى عبدالرحمن منيف – الناقد عبد الرازق عيد – الكاتب فخرى كريم – د. فيصل دراج – صادق جلال العظم (كاتب وأستاذ جامعى) – الكاتب الطيب تزينى – الناقد محمد جمال باروت – المخرج محمد ملص – الشاعر ممدوح عدوان – الروائى نبيل سليمان – الفنان نذير تبعة – المخرج هيثم حقى .

ثانياً : رد وتحليل للبيان اللقاء الأول بين حركة السلام الإسرائيلية وجمعية القاهرة للسلام الصادر فى **1998/6/8**: قراءة نقدية(*):

* عندما خطت قدما الجنرال الإسرائيلى المتقاعد / موردخاى بار أون ؛ 1998/6/8 ، أعتاب القصر الجمهورى فى ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة ، واستقبله الرئيس مبارك مع فريق حركتى " السلام " المصرية – بقيادة الكاتب الراحل لطفى الخولى – والإسرائيلية ؛ عند هذا اللقاء ، وما ترتب عليه ، تقررت أشياء عدة ، وحسمت قضايا خلافية سابقة بين (القلة) من المثقفين والسياسيين الداعين إلى الحوار والتطبيع مع الكيان الصهيونى ، و(الأكثرية) الرافضة لهذا الحوار أو التطبيع على اختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية .

---

* انظر : نص هذا البيان المشترك فى نهاية هذا الفصل

* ولعل أبرز قضية خلافية بين الطرفين ، تم حسمها ؛ هى فى طبيعة الدور الذى تضطلع به (حركة السلام المصرية) واستمرار وصف المعارضين لها بأنها مجرد أداة صغيرة – فى الواقع صغيرة جداً – من أدوات التلاعب السياسى وإدارة التفاوض / الصراع بين الحكومة المصرية والكيان الصهيونى ؛ وأن فى الاستقبال الحافل من قبل الرئيس المصرى (المخلوع بإرادة شعبية فى ثورة يناير 2011) حسنى مبارك – لهذا الفريق ، وفى حرص أعضائه على تقديم (كشف حساب) بالإنجازات والبيانات التى توصلوا إليها له ، وحرصهم الشديد على إبراز وقائع ذلك اللقاء فى وسائل الإعلام المرئية والمقروءة (وبخاصة صحيفة الأهرام الرسمية) ؛ والتقاط الصور التذكارية مع الرئيس وأحياناً التصريح بما لم يقله وإعلانه على الملأ.

* فى هذا السياق ، تم حسم قضية خلافية ، كانت عقبة أمام المراقبين والمتابعين لهذه الهوجة السلامية غير المنسجمة مع المناخ العام الذى تعيشه قصة الصراع العربى الصهيونى منذ قدوم نتنياهو إلى السلطة ، إنها قضية ، أن هذه المجموعة (30 فرداً فى أحسن تقدير إحصائى) ليست (حركة) وليست (شعبية) وأنها مجرد أداة طيعة وقناة ثقافية إعلامية ، خلفية ، للنظام السياسى المصرى يريد بها فتح حوار مع قوى يتصورها صاحبة ثقل أو دور أو وجود داخل إسرائيل ؛ (قوى السلام الآن) .

هذا الحسم تم بفضل استقبال الرئيس لهذا الفريق ، وما استتبعه من تصريحات وردود أفعال ، كشفت ما حرص أعضاء هذا الفريق طوال عام كامل (وهو العام الذى تلى توقيع ما يسمى بتحالف كوبنهاجن فى 1997/1/30) .. على إخفائه أو تعمد التعمية عليه وتصوير (حركتهم) على أنها حركة شعبية لا علاقة لها بصناع القرار ومعاملهم وأجهزتهم وخططهم ، فكان لقاء مبارك بهم ، نقطة الفصل والحسم فى هذا الشأن ، وفى تقديرى أن هذه هى القراءة الصحيحة

لدلالة استقبال (رئيس دولة) لممثلى حركة تزعم انطلاقها الشعبى ، وبعدها عن التوجيهات الرسمية للأجهزة .

* والطريف هنا أنه قبل هذا الاستقبال الحافل من قبل الرئيس لهذا الفريق ، لم يتمكن حوالى 200 مفكر وسياسى عربى هم ، أعضاء (المؤتمر القومى العربى) الذى انعقد قبل شهر واحد للقاء جمعيتى السلام المصرية والإسرائيلية وانعقد فى قلب القاهرة ، لم يتمكن هؤلاء المفكرون والقادة من اللقاء بالرئيس مبارك ، أو حتى أحد وزرائه ، وبعيداً عن النقد الموجه لهذا الخطأ حتى على مستوى (أصول الضيافة) ناهيك عن (الذكاء السياسى) ؛ إلا أن الدلالة الأهم فى هذا السياق ، أن مجموعة هزيلة لا قيمة ولا وزن لها داخل الكيان الصهيونى تلقى الترحاب والقبول ، فى حين لا يلقى هؤلاء المفكرون والقادة العرب نفس الدرجة من الترحيب ، هل سأل أحد لماذا ؟ وما هى دلالة ذلك ؟ وهل سأل – من باب أولى – أصحاب كوبنهاجن وجمعية القاهرة للسلام (!!) أنفسهم لماذا ؟ وهل يعود ذلك إلى خطورتهم وعظيم شأنهم أم هى رسالة ودور ؟ .

* والمتأمل للبيان الصادر عن لقاءات القاهرة التى تمت فى ذكرى هزيمة يونيو 1967 (تحديداً خلال الفترة من 1998/6/5) يشده أول ما يشده ذلك البؤس الفكرى الواضح فى صياغة ومنهج البيان ، فالقاريء المتفحص لا يلحظ كلمة (فلسطين) أو (الوطن العربى) ويلحظ شيوع تعبيرات بائسة تنم عن وهن وضعف الطرف العربى الذى صاغ البيان (وكأن على رأسه بطحة) – كما يقولون – فهو بدلاً من (الشعب أو الشعوب العربية) يقول: (شعوب الشرق الأوسط) طوال البيان ، وهو بدلاً من (الوطن العربى) سيجد (العالم العربى) بكل دلالتها ، والقدس والأمن والسلام ، كلمات صيغت فى سياقات من العبارات المطاطة التى لا يمكنك أن تضبطها وفق أصول مفهومة ومحددة ، إنه بؤس الفكر ، الذى يؤكده أكثر ملاحظاتنا التالية :

(1) يقول البيان البائس : [إن شعوب الشرق الأوسط المثخنة بالجراح أصبحت مرهقة من الحروب الدورية : فبعد خمس حروب رئيسة وكثرة مما هو أصغر منها ، والصدامات الدموية التى خلفت وراءها الآلاف من الضحايا فإن الشرق الأوسط عند نهاية الألفية الثانية ، أصبح بالنسبة للغالبية العظمى من الرجال والنساء (نسى البيان أن يذكر الأطفال) هو العاطفة الأقوى ، والأمل الأعظم الذى ينتظر من القيادات السياسية إنجازه] .

* لم يتوقف البيان ولو بفقرة صغيرة أمام حقيقة ودوافع وجذور تلك الحروب التى "راح ضحيتها الآلاف" ولم يسأل صائغو البيان أنفسهم من المجرم لكى يحاسب أو على الأقل لكى نبدأ بداية صحيحة لهذا السلام ولتلك العاطفة (لاحظ الشاعرية الزائفة التى صيغت بها العبارة) هل كان الطرف العربى هو السبب فى هذه الحروب وفى وجود هؤلاء الضحايا ؛ إن صياغة البيان البائس ، تقول ذلك وتلقى على الأقل بنصف الجريمة (جريمة الحروب) على العرب وكل حقائق التاريخ بما فيها الحقائق التى كتبها اليهود أنفسهم تقول : إن كل بدايات الحروب بل كل شرور هذه المنطقة طوال الخمسين عاماً الماضية كانت منطلقة من داخل الكيان الصهيونى فلماذا ؟ .

من المفترض أنه – أى البيان – سيكون (أساس واقعى للعمل) كما يقول نحات الكلمات المصرى الأستاذ / لطفى الخولى : ألم يكن من الأدق ، والأكثر احتراماً للحقائق التاريخية أن يبدأ (البيان التاريخى) بعبارات غير ملتبسة لا يشم منها وهن وضعف الطرف العربى الذى شارك فى صياغة البيان وهو طرف كان ضحية على طول الخط لحروب لم يشعلها !! .

(2) بيد أن هذه البداية الملتبسة للبيان لم تأت عبثاً وكانت منطقية ، خاصة عندما نتوغل قليلاً فنقرأ [للأسف .. منذ تولى رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو للحكومة منذ عامين فإن عملية السلام باتت متوقفة تقريباً ، وشكلت

مدركاته الأيديولوجية التى فات أوانها ورؤاه السياسية غير السليمة عقبة كؤود على طريق السلام] .

***

* إن البيان يريد أن يقول لنا : إن المشكلة كلها ليست فى مجمل أفكار وسياسات الكيان الصهيونى العدوانية (ماضياً وحاضراً) بل هى فقط فى أفكار وسياسات بنيامين نتنياهو ؟! وهنا ينقشع الضباب والالتباس الذى أحاط (الفقرة الأولى) فى البيان ، حيث أصحاب كوبنهاجن وجمعيات السلام لا يرون فى الصراع وفى سبيل حله ، وفى طبيعته سوى (مشكلة السيد بنيامين نتنياهو) فإذا حلت هذه المشكلة ، وتم تشكيل لوبى ضاغط عليه لكى يصبح مثل أسلافه : (بيجين – رابين – شامير على حد وصف البيان) فإن كل مشاكل الصراع ستحل ؟! هل هناك سذاجة أو سطحية فى النظر فى طبيعة التشكيل الصهيونى فى فلسطين وأدواره ومطامعه .. أكثر من هذا ؟! .

ولكن هل هى فعلاً سذاجة وسطحية أم هو تعمد وقصد للتسطيح وإعادة خلط الأوراق أمام الرأى العام العربى ، المغلوب على أمره ، ليقتنع بأن المشكلة والفشل المزمن لخط السياسات العربية المهادن منذ 1967 وحتى اليوم تجاه قضية لا تصلح فيها المهادنة أو لغة التزييف القائمة ، كامن فى الطرف الآخر الحاكم .

* إن أبسط متابعة لقصة الصراع العربى وأحداثه فى فترة حكم (حزب العمل) الإسرائيلى تلك الفترة الذهبية لدى أصحاب كوبنهاجن وجمعيات السلام لتؤكد ببساطة أنها كانت الأشرس والأكثر دموية وعنفاً عبر سنى الصراع الماضية ، ولنتأمل فقط سلسلة الاعتداءات خلال عقد التسعينات على لبنان (وآخرها مذبحة قانا 1996) وسلسلة المواجهات الدامية مع رجال ونساء وأطفال الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987 – 1993) ومن الذى كان يصدر قرارات تكسير العظام والحقن بالعقم للفتيات الفلسطينيات " ألم يكن إسحق رابين ذلك

الشهيد العظيم فى نظر لطفى الخولى وشركاه " ولنتأمل عمليات التعذيب شبه اليومى التى تمت لأكثر من عشرة آلاف معتقل فلسطينى إبان حكم حزب العمل وكيف كانت تعد الزنزانة على شكل قبر (انظر : صحيفة الحياة 1998/6/19 والتى ذكرت أن السجين أحمد شكرى الفلسطينى اعتقله رابين وبيريز ولايزال فى زنزانة تحت الأرض منذ 4 سنوات ومعه 63 أسيراً آخر من أصل 2800 موجودين منذ حكم بيريز) فهل فعل نتنياهو ذلك ولم نره ؟! .

ومن بنى المستوطنات التى يُتنازع عليها الآن ؟ ومن أحاط القدس بسلسلة من الوحدات السكنية الخرسانية التى أذهبت معالمها العربية ؟ ومن قتل الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى والشهيد يحيى عياش ؟ هل هو نتنياهو ؟ .

* إن هذا الخلط المقصود ، صار من تهافت منطقه بحيث لا يصلح أساساً للنقاش ، ولكن عندما يريد نظام سياسى أن يستخدم أدواته ورجاله فهذا الخلط صار شائعاً وصار مثلاً ، فالحديث عن التبعية يساوى الدخول إلى " العولمة والتقدم " و" القبول بالذل " صار رديفاً لأحاديث "السلام الوردية" هذا الخلط من شيم رجال السياسة ، عادة ، فما بال مثقفينا ورجال حركات السلام ، يتبنونه ويصدقون أنفسهم ؟ اللهم إلا إذا كانوا هم أيضاً من رجال السياسة وإن فى القنوات الخلفية ؟! .

***

(3) يقول فكر البيان البائس فى مجال تحديد الأسس التى ستشكل موجهاً عملياً لعمل حركتى السلام المصرية والإسرائيلية : (إن حدود ما قبل الخامس من يونيو 1967 سوف تكون الأساس فى تقرير الحدود الدائمة بين دولة إسرائيل والدولة الفلسطينية وسيأخذ الجانبان كلاهما فى الاعتبار الحقائق التى جرت على أرض الواقع) .

* ترى ما هى الحقائق التى جرت على أرض الواقع ، لكى يتم أخذها فى الاعتبار .. معروف أنه فلسطينياً (أقصد قطاع غزة / أريحا) ليس هناك شىء

على أرض الواقع ذا شأن يذكر ، سلطة عاجزة ، تنمية متوقفة ، سجون مفتوحة ، فساد مالى وإدارى واسع النطاق فى رجال السلطة (الوطنية) ، تنازع صباحى ومسائى على خلافة السيد ياسر عرفات – إدارة ناقصة وحدود غير مسيطر عليها !! .

ما الجديد فى هذا الجانب لكى يؤخذ (من قبل الجانب الإسرائيلى) بعين الاعتبار .

* المقصود طبعاً هو الجانب الآخر .. ولكنها الصياغة الملتبسة والمقصودة والبائسة لأصحاب كوبنهاجن ، بهدف تمرير المآسى وابتلاعها ، فالذى تم من حقائق على الأرض تم بأيدى الإسرائيليين ، حين نشروا 303 مستوطنات فى أدق وأخطر خطوط وطرق المواصلات داخل الضفة الغربية وقطاع غزة (حتى ذلك التاريخ 1998) ، وحين تم تسليح المستوطنين للدفاع عن أنفسهم ضد عدو متصور غير موجود أساساً إلا فى (الجهاد الإسلامى) و(حماس) والاثنان يتم ضربهما بانتظام من قبل سلطة الحكم الذاتى ، وكأن هذه هى مهمتها الوحيدة المتقنة تجاه شعبها وقتذاك !! .

* ماذا تم من حقائق .. لنكشف الغطاء قليلاً ونرفع الالتباس الذى يلف عبارات هذا (البيان التاريخى) لحركتى السلام المصرية والإسرائيلية .

يقول الواقع : إن مساحة قطاع غزة هى 360 كم2 ، ومساحة الضفة هى 5633كم2 ومساحة الأراضى المحتلة قبل 1967 (والمسماة إسرائيل) هى 20770كم2 ومجمل مساحة فلسطين هى 26.863كم2 ، مساحة الضفة وغزة منها تصل إلى 23% وبعد أن تنازل عرفات وفق اتفاق أوسلو عن 40% من مساحتها لصالح 5 آلاف مستوطن صار ما تبقى على أرض الواقع = 0.8% من مساحات فلسطين ، حتى هذه النسبة يرفض (نتنياهو) تقديمها لعرفات !!.

ويقول الواقع أن 80% من مياه الضفة وغزة بأيدى المستوطنين .

ويقول الواقع : إن ما تبقى من " القدس " هو شارع أو شارعين يتحدثان العربية ومحاصرين تماماً مثل الآثار والمقدسات الإسلامية والمسيحية وأن سلطة الحكم الذاتى لا تملك – فضلاً عن أنها لا تقدر – أن تحمى معابرها من الخارج !! .

* فأى واقع بائس هذا ؟! .

* وأى حقائق تلك المراد أخذها بعين الاعتبار ؟ بالتأكيد سيسعد الإسرائيليون كثيراً إن اعترف فريق من العرب (ولو كان هزيلاً ومستعملاً من قبل الأنظمة) بتلك الحقائق بل إن نتنياهو يرجع سبب تشدده إلى أن ثمة (حقائق على الأرض) لا يمكن تجاهلها ، وهى حقائق استيلاء بالقوة على أرض ووطن ليس لهم ، ولكن أهل كوبنهاجن تكرموا وبادروا بإعطاء اعتراف مجانى بهذه (الحقائق) فهل هذا منطق ؟ وأى بؤس هذا الذى يلفه ؟ .

***

(4) عندما جاء البيان إلى مدينة القدس قدمها لنا بفقرة مائعة وغير حاسمة ، وكأن المقصود هنا هو إرضاء الطرف الآخر دون أية اعتبار للعوامل التاريخية والدينية الخاصة التى يكنها العرب والمسلمون والمسيحيون تجاه القدس ، ولنتأمل ، يقول البيان : (تظل القدس مدينة موحدة بصورة دائمة ، ويعاد تحديد مساحة المدينة .. وستوجد عاصمتان داخل هذه المنطقة البلدية : عاصمة إسرائيل فى المنطقة اليهودية وعاصمة فلسطين فى المنطقة العربية، وسيتم تحديد وضع ترتيبات الأماكن المقدسة من خلال المفاوضات استناداً للحفاظ على الحقوق الدينية وحرية العبادة) .

* إن هذا هو عين ما تريده " إسرائيل " فهى تريد (القدس الموحدة) وهى تريدها عاصمة لها أما الشارع أو الشارعان والـ 160 ألف عربى ، فلا بأس من إعطائهم حرية العبادة والتنقل بل والإدارة الذاتية سمها (الحكم الذاتى أو العاصمة) المهم هنا أن الجانب الأكبر من المدينة ، الجانب التاريخى منها، الرمزية (التى ربما يستعصى فهمها على أصحاب كوبنهاجن) هذه كلها أمور

سوف تكون فى (العاصمة الموحدة) تلك اللفظة الذكية التى صاغها الطرف الإسرائيلى فى حركات السلام وورط الطرف العربى ، فيها عن قصد .

بل والخطير هنا أن الجزء الأساس من قضية (القدس) أى : كونها قضية رمز ومقدسات) لم يرد أصحاب البيان إجهاد أنفسهم فيه برغم كل هذه التنازلات وأرجأوا الحديث بشأنه إلى المفاوضات ، وهى كما نرى مفاوضات متوقفة وربما لن تبدأ أبداً ، واكتفى أصحاب كوبنهاجن بأسهل المطالب ، المطالب السياسية الخاصة بالإدارة والعاصمة وغيرهما من التفاصيل غير ذات القيمة بالنسبة لهذه القضية تحديداً ؛ قضية القدس .

(5) ويأتى البيان إلى مشكلة اللاجئين ليفجر فى وجهنا قنابل دخان سرعان ما تنقشع ويظهر من تحتها الوجه البائس والخطير فى أن لهذا الفكر الذى يكمن خلف (حركات السلام الرسمية تلك) : يقول البيان التأسيسى : (تتضمن التسوية الدائمة حلاً شاملاً لمشكلة اللاجئين من 1948 والسكان الذين اجتثوا من جذورهم 1967) إلى هنا والكلام جميل ، ولكن ما هو الحل هل يعودون إلى أرضهم ، وفقاً لأبسط وأعدل قواعد المنطق .. البيان يصدمنا فيقول : (يكون للدولة الفلسطينية – أى تلك التى ستتشكل من 0.8% من مساحة فلسطين) الحق فى استيعاب اللاجئين داخل حدودها وفق الاعتبارات التى تراها ، أى : استيعاب هذا العدد الذى يصل إلى 5 ملايين فلسطينى خارج فلسطين ؟ وهل تتحمل جغرافية الـ 0.8% أو حتى 50% من مساحة فلسطين لهذا العدد ؟ وهل من العدل ذلك ؟ الخطير أن البيان لم يكتف بذلك بل قدم تعهداً مجانياً للإسرائيليين بعدم أحقية الفلسطينيين مستقبلاً فى (أى ادعاءات لاحقة حول اللاجئين أو استعادة حقوق الملكية) هل هناك عطية مجانية لإسرائيل تجاه هذا الملف الملغوم (ملف اللاجئين) أجمل من ذلك ؟ اعتراف صريح وكامل وموثق ومؤمن عليه من بعض رؤساء الدول العربية ؛ أن ملف اللاجئين يغلق بمجرد استيعابهم فى دولة لم تقم ولن تقم !! .

***

(6) ويختم البيان البائس نفسه بعبارات مموهة ، غير محددة .. فيقول : [إن كل القوى فى الشرق الأوسط (هل تدخل أثيوبيا وإريتريا هنا) عليها أن تتكاتف من أجل إعادة بناء المنطقة لكى تكون متحررة من التهديدات بالحرب وسباق التسلح والتوتر والفقر .. إن السلام الشامل يجب أن يهدف إلى بناء إقليم متحرر من أسلحة الدمار الشامل .. إن الحركتين تتوجهان بالنداء إلى كل القوى المحبة للسلام .. لكى تضغط بقوة على الحكومات المعنية (!!) لكى تصل إلى اتفاق على أساسها .. فبعد خمسين عاماً من الحروب والمعاناة، فإن شعوب الشرق الأوسط تستحق أن تعيش فى سلام ، وهذا وحده سوف يضمن لهم ولأجيالهم القادمة مستقبلاً أفضل] .

* إن البيان فى ختامه ، لم يذكر ولو بالتلميح كما نرى آنفاً أن أسلحة الدمار الشامل فى منطقة الشرق الأوسط غير موجودة إلا فى دولة واحدة هى هنا (إسرائيل) فلماذا عجز عن ذكرها صراحة فى بيان تاريخى يؤسس لعلاقة كبرى بين حركات شعبية كبرى (على حد وصف لطفى الخولى) أليست الصراحة واجبة فى هذا المقام ، ومنذ البداية ؟ إذن لماذا الخوف أو الخجل ؟ أيضاً كان ينبغى أن تكون الأمانة والموضوعية هى نبراس الداعين إلى "السلام" ودافعهم إلى تحديد أكثر لمعسكر الأعداء ؛ فهل من اللائق أخلاقياً أن توصف حركات تحرر وطنى مثل (حماس) و(الجهاد الإسلامى) و(حزب الله) بأنهم متعصبون ويمارسون العنف ضد الأبرياء من المدنيين (انظر : الفقرة الثالثة من أصل البيان) فى حين أن ختام البيان يدعو للضغط على الحكومات المعنية من أجل السلام فكيف يكون سلاماً ذلك الذى يوصف عمليات التحرير الوطنى وتحرير الأرض المحتلة بأنها (إرهاب) وهل أوصلت الضغوط غير العسكرية إلى مفاوضات صحيحة وجادة مع إسرائيل؟ بل هل يحمل المستقبل أى أمل آخر

فى (سلام) دون قدر من التضحيات العادلة لاسترداد حقوق ، لم يعد يصلح إنشاء حركات للسلام أو توظيفها سياسياً ، لاستعادتها .

***

* إن المشكلة الأساسية التى نخلص بها مما سبق بشأن البيان المشترك سالف الذكر ، هى أنه بمتابعة جمعيات السلام تلك وفكر أصحابها ، ومتابعة ما يكتبون ، ويسلكون خلال السنوات التى تلت اتفاق مدريد وأوسلو فى عقد التسعينات ، أنهم كانوا يتعاملون مع قضية الصراع العربى الإسرائيلى بمنطق بعيد عن واقع وجوهر الصراع ذاته ، بل بعيد عن المنطق الذى يدركه ويتعامل بشأنه أعتى دعاة السلام فى إسرائيل وهو أنه صراع قائم على القوة ؛ ومائدة التفاوض والحوار ، والسلام ، لا تستقيم ، وضعاً وبقاء دون امتلاك لعناصر القوة على الأرض ، بدون هذه القوة لا قيمة لهذه الحركات أو لغيرها ، وبدون هذه القوة (البازغة نماذج لها وقتذاك فى الجنوب اللبنانى وفى فلسطين) لن تعود لا فلسطين ولا الضفة الغربية ، ولا حتى غزة .. فهذا صراع قائم على الوجود والهوية وليس على شطر فى شارع أو بئر مياه هنا أو إدارة حكم ذاتى هناك .

* المشكلة أن أهل كوبنهاجن وحركات السلام تلك يرون ، هذا الكلام " كلاسيكياً " وفات أوانه، فى حين أن السيد بنيامين نتنياهو الذى كان يتولى رئاسة وزراء إسرائيل وقتها ، يصفعهم به صباح مساء وهو الشخص المولود فى الخمسين الأولى للصراع ، ومن خلفه 90% من شعبه والعشرة فى المائة الأخيرة أكثر جذرية منه وأغلبهم مولود فى الربع الأخير من الصراع .

* فأى فكر بائس هذا ، وأى دور أكثر بؤساً ، ذلك الذى لا يرى صاحبه إلا ما يريده له هواه أن يراه ، رغم أن الحقائق كثيرة ، والوقائع أكثر قسوة مما مضى !! ومن أحق بأن يوصف بالسلفية والكلاسيكية والجمود .. من يصر على موقفه وفكره والتوظيف السياسى – البائس– له رغم تحولات الواقع من حوله ؛

أم من يرفض ذلك ويقرأ الواقع ويطور أدواته فى مواجهته مستنداً إلى أمته وحضارته وحقه ؟ .

***

استمراراً فى الرد على بيان المشترك :

وتواصلاً مع ما سبق فى الرد على البيان المشترك بين جمعية القاهرة للسلام وحركة السلام الإسرائيلية أتت ردود فعل ثقافية محملة بحجج دامغة على عبث وفشل مثل هذه اللقاءات والبيانات ، ننتقى منها الأهم ، **(1) الأول** أتى من نقابة الصحفيين المصريين ممثلة فى وكيلها العام (آنئذ) يحيى قلاش الذى قال فى بيان موسع وقعت عليه النقابة والعديد من المثقفين المصريين :

عقد فى القاهرة يوم الاثنين 8 يونيو 1998 لقاء بين أعضاء جمعية القاهرة للسلام ووفد من جماعة " السلام الآن " الإسرائيلية ، وكان المسئولون عن تنظيم اللقاء قد صرحوا بأنهم يعبرون عن وجهة نظر المثقفين وزعموا أن الوثيقة المشتركة الصادرة عن لقائهم تطرح الرؤية الشعبية لمفهوم السلام ووسائل العمل المشترك بين مثقفى البلدين .

ويهمنا أن نوضح التالى :

1 – ليس من الأمانة ادعاء تمثيل وجهة النظر الشعبية والمثقفين ، إذ إن أحداً لم يفوض هذه الجمعية بأفرادها المعدودين فى التعبير عنه ، لقد عبر المثقفون المصريون ، أفراداً وجماعات، عن موقفهم من إسرائيل عبر كتاباتهم ونقاباتهم المهنية ومختلف المؤسسات والهيئات والجمعيات العلمية والثقافية التى ينتمون إليها . إن نقابات الصحفيين والمحامين والأطباء والصيادلة والمهندسين والمهن التمثيلية ، والجامعات ونوادى أعضاء هيئة التدريس. واتحاد كتاب مصر ، والمجلس الأعلى للثقافة ، وجمعيات حقوق الإنسان وغيرها من الهيئات أجمعت على مقاطعة إسرائيل مادام الحق العربى مغتصباً والأراضى محتلة ، وفى ضوء هذا الإجماع يصبح إدعاء جمعية القاهرة للسلام تزويراً للإرادة الشعبية .

2 – إن أعضاء جمعية القاهرة للسلام الذين بدأوا نشاطهم فى الكتمان ثم فى العلن فى كوبنهاجن ، باسم " التحالف الدولى من أجل السلام يستخدمون كلمة السلام استخداماً مضللاً إذ لا علاقة بين الدلالة الأصلية للكلمة ودلالتها فى قاموسهم حيث تعنى التسليم بالأمر الواقع وعدم مقاومته ، وقبول التعايش مع دولة تنتهك الحقوق ، وتخرق المواثيق والقرارات الدولية وتتمسك بطبيعتها العنصرية والتوسعية .

3 – إن لحركة السلام الآن الإسرائيلية بعض الجهود فى معارضة الأشكال الأكثر عنفاً للحكومة الإسرائيلية ، ولكن علينا ألا نغفل أن هذه الحركة تنطلق من الثوابت الصهيونية وتتشبث بها ، وتطلب سلاماً لا يعطى للعرب سوى بعض الفتات من حقوقهم وتحتفظ لنفسها بالنصيب الأكبر من غنائم إسرائيل الاستعمارية .

4 – إن الوثيقة المشتركة لجمعية القاهرة للسلام وحركة السلام الآن لا تعبر عن المصالح العربية ولا نغالى إن قلنا : إنها تعبر عن المصالح الإسرائيلية . إن أربع فقرات من الفقرات السبع الخاصة بالقضية الفلسطينية منقولة حرفياً ودون أدنى تغيير من وثيقة لحركة السلام الآن وقد صاغها دانييل بارتل – أستاذ علم الاجتماع فى جامعة تل أبيب وقد اعتمدتها الهيئة التنفيذية للحركة قبل أكثر من عام ، ولقد نشرت ترجمة عربية لهذه الوثيقة فى صفحة الحوار القومى بجريدة الأهرام فى 1997/4/23 .

أ – تتصف الوثيقة المصرية الإسرائيلية بفقراتها المنقولة والمستجدة بقدر صادم من المغالطات التاريخية والأكاذيب والتنازلات الصريحة أحياناً ، والمغلفة بالتعبير الملتوى فى أحيان أخرى وهى تساوى بدءاً من فقرتها الأولى بين المعتدى والمعتدى عليه ، وتغفل عناصر الصراع بالحديث عن شعوب الشرق الأوسط المثخنة بالجراح ، المرهقة من الحروب الدورية ، كأن هذه الحروب كانت نزوة مجنونة أو كارثة طبيعية ولم تكن عدواناً واغتصاباً وانتهاكاً ، وكسراً

لإرادتنا الوطنية ، وتعويقاً لأحلامنا فى التحرر والنهضة ، واستنزافاً لمواردنا وطاقاتنا طوال نصف قرن من الزمان .

ب – تشير الوثيقة إلى أن مبادرة السادات – بيجين ، واتفاقيات أوسلو ، والمعاهدات بين إسرائيل والأردن فتحت الباب للتعايش التاريخى بين العرب وإسرائيل ، وتغفل أن هذه الاتفاقيات فتحت علينا أبواب الجحيم : غزو لبنان، واحتلال بيروت ، ومذابح صيدا وصبرا وشاتيلا ، وقانا ، وكسر العظام وإطلاق النار على الأطفال والقصف اليومى على جنوب لبنان واستمرار الاحتلال .

ج – تُرجع الوثيقة تعثر عملية السلام إلى تعنت نتنياهو وإلى التشبث بمدركات أيديولوجية فات أوانها وإلى الإرهاب من الجانبين فتطلب منا أن نكذب ذاكرتنا القريبة ونتنكر لمعرفتنا بجرائم حزب العمل ، فالحكومة الإسرائيلية بقيادة حزب العمل أنشأت مئات المستوطنات ، وواجهت الانتفاضة بالقمع الشرس ، ونسفت البيوت ، ومارست العقاب الجماعى واستخدمت كافة وسائل العنف فى قمع الانتفاضة والمعتقلين السياسيين ، وألقت بالمئات من أبناء الشعب الفلسطينى إلى العراء فى مرج الزهور ، وكان آخر ما سجلته فى سجل جرائمها الحرب التى شنتها على لبنان باسم " عناقيد الغضب " ومذبحة قانا على مسمع ومرأة من مراقبى الأمم المتحدة ، كانت حكومة حزب العمل تنفذ مشاريعها بصخب أقل ، وتصون وبكل الحرص المشروع الاستعمارى الصهيونى .

د – تتنازل الوثيقة عن قرارات الأمم المتحدة : قرار 242 الذى يقضى بانسحاب القوات الإسرائيلية انسحاباً كاملاً من الأراضى التى احتلتها عام 1967 ، وقرار التقسيم الذى يتيح للعرب الاحتفاظ بعكا والناصرة وطبريا ، والقرار 194 الذى يقضى بحق الفلسطينيين الذين هجروا من أراضيهم عامى 1947و 1948 فى العودة إلى مدنهم وقراهم والتعويض عن الخسائر التى لحقت بهم ، ورغم أن الأمم المتحدة لم تنصف العرب سوى إنصاف جزئى جاءت هذه الوثيقة التى تدعى التعبير عن وجهة النظر الشعبية لتتنازل عن هذه القرارات

الدولية فتعتبر حدود ما قبل يونيو 1967 مجرد مرشد لرسم الحدود الدائمة بين الدولة الفلسطينية المأمولة ودولة إسرائيل ، وتسقط حق العودة وتستبدل به حق الدولة الفلسطينية فى استيعاب هؤلاء اللاجئين ، أى: السماح لها بحشر أكثر من 7 ملايين فلسطينى فى أقل من 3% من أرض فلسطين التاريخية وتتكرم الوثيقة عليهم باقتراح تعويضات من الهيئات الدولية فى مقابل التنازل النهائى عن حقوقهم فى مدنهم وقراهم .

و – تفرد الوثيقة لقضية القدس فقرة غامضة وملتبسة (ربما يضيف إلى غموضها ترجمة ركيكة عن العبرية فهذه الفقرة من الفقرات المنقولة حرفياً من الوثيقة لحركة السلام الآن) . تقول هذه الفقرة : تظل القدس مدينة موحدة بصورة دائمة ويعاد تحديد مساحتها ويكون مقبولاً أن يعيش مواطنون من الدولتين فى المدينة وتمكن كل طائفة من إدارة شئونها الداخلية ، وستوجد عاصمتان داخل هذه المنطقة البلدية : عاصمة إسرائيل فى المنطقة اليهودية ، وعاصمة فلسطين فى المنطقة العربية ، وكأن المدينة بحدودها التاريخية ليست حقيقة جغرافية ثابتة منذ مئات السنين ، ولا نفهم كيف تكون القدس موحدة وعاصمة لدولتين ، وما الضرورة لإعادة تحديد مساحة المدينة ، وما الداعى إن كان هناك عاصمتان لدولتين ، إلى ربطهما بمظلة بلدية واحدة؟ ولا تتضح أبعاد هذه الفقرة إلا بعد أسبوعين من نشرها عندما أعلنت الحكومة الإسرائيلية عن مشروعها فى توسيع مساحة القدس وخلق مظلة للشئون البلدية تشمل المدينة الحالية والضواحى والقرى والمستوطنات المحيطة بها (والتى تعنى ضم المزيد من الأراضى المحتلة عام 1967) وتخصيص ميزانيات كبيرة لمشاريع جديدة تستجلب إلى المدينة أعداداً غفيرة من اليهود وصولاً إلى تحويل سكانها العرب .

ويختم البيان بالقول : [إننا ، نحن الموقعين أدناه ، ممثلين للهيئات التى ننتمى إليها أو لأشخاصنا نرفض مبادرة جماعة كوبنهاجن وجمعية القاهرة للسلام

وندين كل من شارك فى أنشطتهم لادعائهم تمثيل المثقفين المصريين وتزويرهم الإرادة الشعبية فى مجال الموقف من إسرائيل وقضية التطبيع ونرى ضرورة فضح ما فى وثيقتهم من أكاذيب وتفريط فى الحقوق الوطنية.

إننا نطالب الحكومة المصرية وكافة الحكومات العربية التى أنشأت علاقات مع إسرائيل أن تقطع علاقاتها بها استجابة للموقف الشعبى الذى رفض التطبيع ويواصل تشبثه بالحقوق العربية المشروعة].

***

(2) الرد الثانى : ومن ردود الفعل الفكرية المهمة ما صدر عن تيار الإسلام السياسى ممثلاً فى مقال مهم للكاتب الإسلامى المعروف / فهمى هويدى (يونيو 1998) جاء فيه :

وقفتنا مع الإعلان الذى صدر قبل أيام مشتركاً بين المجموعة المصرية التى أطلقت على نفسها اسم حركة السلام ، وبين ممثلى حركة " السلام الآن " الإسرائيليين ، وقبل أن أسجل ما لدى من ملاحظات على البيان ، استأذن فى تسجيل هامش مختصر حول الحركة الإسرائيلية المذكورة .

ذلك أن حركة " السلام الآن " ظهرت إلى الوجود بعد عام 1977 ، حين اهتز الرأى العام الإسرائيلى نتيجة وقوع حدثين مهمين هما : وصول الليكود إلى الحكم بقيادة مناحم بيجين وزيارة الرئيس السادات للقدس ، وهذا الحدث الأخير دفع 350 من ضباط الاحتياط بالجيش إلى توجيه رسالة إلى بيجين فى عام 78 دعت إلى التمسك بالسلام ، والامتناع عن اتخاذ خطوات جديدة يمكن أن تصبح مصدر هدم للأجيال الإسرائيلية القادمة ، لم يكن هؤلاء معنيين بالقضية الفلسطينية ولا بنبذ العنف ، وإنما كانوا ولايزالون على ولاء تام للمشروع الصهيونى ومن رأيهم أن الدولة الإسرائيلية قامت وبسطت سلطاتها على أرض إسرائيل وما حققته حتى الآن فيه الكفاية ومن ثم فمن المهم – فى رأيهم – استثمار مبادرة الرئيس السادات لطى صفحة الحرب ، والدخول فى طور

السلام ، وبهذا المفهوم رفض بعض العسكريين الالتحاق بوحداتهم حين غزت إسرائيل لبنان فى عام 1982 ، وشكلوا مؤسسة لهم حملت اسم " هناك حد " للاغتصاب ! .

حركة السلام الآن قامت على أكتاف اليهود الأشكيناز (الغربيين) وترفض عضوية العرب الإسرائيليين ، وفى خطاب مفتوح قال أحد أبرز الأعضاء الناشطين فى الحركة (ياكوف تالون) : إن حقوق العرب مسألة لا تخصنى ، وليست لدى معلومات أو اهتمام عميق بشأنهم ، ولكن اهتمامى يتركز فقط فى إسرائيل وأمنها وهو حين يعارض ضم الأراضى فإنه ينطلق فى ذلك من أن هذا المسلح لن يجلب لنا الأمن وسوف يستنفد قوانا فى الدفاع عن أنفسنا فى مواجهة عداء جيراننا – ناشط بارز آخر بالحركة هو الكاتب عاموز أوز كتب يقول : إن حركة السلام الآن ليست مؤيدة للفلسطينيين ، وإنما هى تضم مجموعة من الأشخاص الذين يؤمنون بأن الحل الوحيد لنزاع إسرائيل مع الشعب الفلسطينى يكمن فى الفصل بينهما بهدوء وعدالة وروية .

يلفت النظر فى هذا السياق ما كتبته السيدة هيلينا كوبان الباحثة البريطانية المتخصصة فى شئون الشرق الأوسط عن الجنرال السابق موردخاى بار أون ، الذى كان على رأس وفد حركة السلام الآن التى زارت القاهرة أخيراً ووقعت على الإعلان الذى نحن بصدده .. ومقالها هذا أشرت إليه من قبل ونشرته صحيفة الحياة اللندنية فى 97/2/6 ، وكان مخصصاً أصلاً للحديث عن كتاب للجنرال أون عن تاريخ حركة السلام الإسرائيلية ، لفتت السيدة كوبان النظر إلى أن الجنرال المذكور انضم إلى حركة السلام فى عام 78 ، بعد خدمة طويلة فى قلب المؤسسة الإسرائيلية ، حيث كان مديراً لمكتب موشى ديان القائد الإسرائيلى ووزير الدفاع الأسبق ، ورئيساً للدائرة التربوية فى الجيش ، ورئيساً لقسم الشباب فى المنظمة اليهودية العالمية ، حتى صار عضواً بالكنيست فى الثمانينيات ، وأشارت فى ختام استعراض رحلته إلى كون الرجل قادماً من

عمق المؤسسة الصهيونية ، وأن انضمامه لحركة السلام لم يؤثر على فرصه المهنية ومستقبله السياسى .

وهى تتحدث عن الجنرال موردخاى قالت : إنه عاجز عن التعامل مع النتائج المترتبة على انتمائه إلى مجتمع استيطانى ، أقيم فوق أرض اغتصبت بالقوة من سكانها السابقين ، أضافت أنه وأمثاله من النخبة الإسرائيلية المنحازة إلى السلام ، لم تبلغ بهم الشجاعة ما بلغه بعض المثقفين البيض الذين عارضوا الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا ، حين راعتهم فظاعة التجربة العنصرية وانحازوا إلى الموقف الأخلاقى والمبدئى الذى دفعهم إلى الجهر بنقد التجربة حتى تمنى بعضهم التخلص من بياض بشرتهم للتخلص من الشعور بالقذارة والذنب !.

<u>* الأوطان لا تعوض :</u>

تفيدنا هذه الخلفية فى قراءة الإعلان المشترك الذى لنا عليه ملاحظات عدة فى مقدمتها ما يلى:

* إنه يوجه كل نقده لسياسة رئيس الوزراء الحالى بنيامين نتنياهو ، بينما يمتدح رئيس الوزراء السابق اسحاق رابين وخلفه شمعون بيريز وإذ يبدو الإعلان وكأنه نوع من تسويق حزب العمل والانتصار له فى مواجهة الليكود، فالأهم من ذلك إنه لا يوجه أى نقد للسياسة الإسرائيلية القائمة على التوسع والاستيطان ، التى كان حزب العمل رائداً فيها .

* إشارة الإعلان إلى حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم أصبحت من قبيل تحصيل الحاصل لكن الإضافة الباعثة على القلق تتمثل فى نص الإعلان على أن تكون حدود ما قبل 5 يونيو 67 هى الأساس فى تقرير الحدود الدائمة بين الدولتين الإسرائيلية والفلسطينية ، ثم إضافة فقرة تقول : وسيأخذ الجانبان كلاهما فى الاعتبار الحقائق التى جرت على أرض الواقع بحيث يتم إجراء تعديلات متبادلة .. بغية تلبية احتياجات الشعبين ولأن الحقائق التى جرت على

الأرض أقامها الإسرائيليون ، وتحتل مساحة تعادل 40% من الضفة الغربية ، فمعنى التعديلات المتبادلة أن الفلسطينيين هم الذين سيعطون والإسرائيليون سيأخذون .

* الفقرة الخاصة بالقدس ملتبسة وملغومة ، فهى تقرر أنها ستكون موحدة بصورة دائمة ، دون إشارة إلى الدولة صاحبة السيادة عليها ، الأمر الذى يعطى انطباعاً بأن الوضع الراهن والسيادة الإسرائيلية سوف يستمران : ثم تشير إلى إمكانية أن يعيش مواطنون من الدولتين فى تشير إلى إمكانية أن يعيش مواطنون من الدولتين فى المدينة بحيث يتم وضع الأطر "البلدية" لتمكن كل طائفة من إدارة شئونها الداخلية (لاحظ أن الحديث منصب على مجرد شئون بلدية لترتيب الأنشطة الداخلية ، وهى مسألة منفصلة عن مسألة السيادة المحسومة سلفاً) وداخل المنطقة البلدية ستكون هناك عاصمتان للدولتين ، إحداهما : فى المنطقة اليهودية والأخرى فى المنطقة العربية .

لتفسير هذه " الفزورة " ينبغى ألا ننسى أن مشروع حزب العمل الأصلى كان يقضى بضم ثلاث قرى مجاورة للقدس إلى المدينة (هى العيزرية وأبو ديس وسلوان) على أن تدخل فى حدود المنطقة البلدية الخاصة بها ، ويطلق على هذه القرى الثلاث اسم القدس وتكون عاصمة للدولة الفلسطينية على أن تبقى القدس الحقيقية عاصمة لإسرائيل وتسمى "أورشليم" وإزاء الغموض الذى شاب النص فى هذه النقطة فإن صيغة حزب العمل الذى امتدح البيان زعماءه تبدو أقرب إلى المقصود فيها .

يذكر فى هذا الصدد أن لمجلس الأمن والأمم المتحدة قرارات عدة فى شأن القدس أشهرها القرار رقم 252 الذى يدعو إلى الانسحاب الكامل لإسرائيل من القدس الشرقية ويقرر بطلان أى تغيير جغرافى تجريه سلطة الاحتلال على الأرض وهو ما يدعونا إلى التساؤل عن السبب أو الحكمة فى أن يقبل بعض المثقفين المصريين بحل للمسألة أدنى بكثير مما قررته المنظمة الدولية! .

* فى مسألة اللاجئين إلغاء يصدمنا لحق فلسطينيى 48 فى العودة وهؤلاء عددهم الآن أربعة ملايين ونصف مليون ، وقد نص الإعلان على أن للدولة الفلسطينية الحق فى استيعاب اللاجئين داخل حدودها وفق الاعتبارات التى تراها (فى المناقشات السابقة على البيان ذكر أن الدولة المفترضة يمكن أن تستوعب مليوناً أو أكثر قليلاً ، وإذا تحقق ذلك فمعناه أنه سيحكم على أكثر من ثلاثة ملايين فلسطينى بالنفى الأبدى) .

فى الإعلان أيضاً أن اللاجئين الآخرين سيتم تعويضهم بدعم دولى ، أى : أن إسرائيل طردتهم ونهبت أملاكهم ، ثم العالم هو الذى يطالب بتعويضهم .

وهذا الذى نص عليه الإعلان بدوره أقل بكثير من قرارات الأمم المتحدة وفى مقدمتها القرار 194 الذى ينص على حق لاجئى 48 فى العودة والتعويض عما أصابهم من خسائر وليس العودة أو التعويض .

غير أن أغرب ما فى النص أن الإعلان بعد أن وضع تلك المواصفات المجحفة ، نص على أنه بعد الوصول إلى اتفاق فى المسألة ، فإن الطرفين يتنازلان بصورة غير مشروطة عن أى ادعاءات لاحقة حول اللاجئين أو الملكية .

وبهذا أرسى الإعلان – لأول مرة فى تاريخ الوثائق السياسية – مبدأ حرمان أصحاب الأرض المغتصبة من العودة إليها ، والتعويض عن الوطن ! .

ليس ذلك وحده العبثى فى المشهد ولكن العبث يتكرر ويزداد نطاقه اتساعاً إذا انتبهنا إلى هذا التفريط المذهل فى التعامل مع مختلف عناصر القضية الفلسطينية تم بموجب مشاورات فى غرف مغلقة بين مجموعتين من الإسرائيليين والمصريين ، يمثلون أنفسهم بالكاد ، ولم يكن الفلسطينيون طرفاً فيه .. ترى أى أنواع " الخيار " هذا ؟! .

***

ثالثاً : أوهام جمعية القاهرة للسلام :

وفى مجال نقد أداء جمعية القاهرة للسلام ، نؤكد فى مجال الرد على انشطتها، أنها بعد عدة أعوام على إنشائها فى التسعينات لم تفعل شيئاً ورغم أن بيانها التأسيسى يقول نصاً : [السلام لا يقتصر على السلام العربى الإسرائيلى وإنما يشمل مواجهة قضايا التوازن العسكرى والأوضاع الاقتصادية واستتباب الأمن والسلام فى الخليج والسودان والصحراء الغربية ومواجهة سياسات الحصار والعقوبات ضد الشعوب العربية فى العراق والسودان وليبيا..من البيان التأسيسى لجمعية القاهرة للسلام .

هذا " البرنامج " وتلك " الاستراتيجية " لم تنجز منذ مارس 1998 " تاريخ تأسيس الجمعية المذكورة " فعلاً جماهيرياً أو سياسياً أو حتى فكرياً واحداً من أجل تلك الأهداف الكبيرة التى أعلنوا تصديهم لها سواء فى البيان التأسيسى ، أو فى أثناء اجتماعهم مع الرئيس مبارك " يونيو 1998 " أو بعد هذا الاجتماع مباشرة ، والمثير للشفقة تجاه مؤسسى هذه الجمعية ، أنهم كانوا يتخيلون أشياء لا يمكنها أن تحدث أصلاً ، ويرسمون خططاً على الورق أو فى مكاتبهم، على سبيل المثال أعلن قادة هذه الجمعية " وبالمناسبة كل أعضائها لا يتعدون 30 فرداً بعضهم موظفون لدى تلك القيادات " أن هذا العام (يقصد عام 1998) سيشهد مؤتمراً جماهيرياً كبيراً عن " السلام " يعقد فى القاهرة وفى القدس لقوى وحركات السلام فى المنطقة ، وأن الدعوة لهذا المؤتمر الذى سيؤسس لآليات عمل جديدة ، واستراتيجية تحرك مبدعة ، سوف ينعقد لواؤها " لجمعية القاهرة للسلام " .

* انصرم عام 1998 ، ولم نسمع أو نشاهد هذا المؤتمر المزعوم ، فلماذا ؟.

* لقد صرح السيد لطفى الخولى الناطق الرسمى لهذه الجمعية لمجلة " روزاليوسف" المصرية يوم 1998/4/27 بأن " جمعية القاهرة للسلام " هى الجناح الفكرى لتحالف كوبنهاجن وأنها ستجرى الدراسات والبحوث المعمقة

وصولاً إلى تقديم الرؤى المتكاملة والموضوعية للسلام العادل المتكافيء ، نحن – ببراءة شديدة – نسأل : ترى أين أصدرتها هذه الجمعية طيلة عام 1998 وما تلاه ؟ هل قرأ أحد لها شيئاً ، سوى تلك التصريحات الرنانة التى أطلقها السيد لطفى الخولى وشريكه الدكتور عبد المنعم سعيد ، بعد لقائهما بالرئيس مبارك للإيحاء بأنهما يستندان إلى " الدولة " ويستقويان بها رغم أن هذا هو مقتل فكرة جمعيتهم التى تقول : إنها بعيدة عن الأجهزة وتستمد قوتها وشرعيتها من الجماهير التى تنشد السلام .

* أين الإنتاج الفكرى والعلمى الذى وعدتنا به " الجمعية " ومنانا به " تحالف كوبنهاجن " يوم تأسيسه 1997/1/30 .

* إذا كان لنا أن نجيب فإنه يمكننا أن نوجز ما نراه من أسباب تتصل بحقبة التسعينات (حقبة تأسيس هذه الجمعية) فى الآتى :

(1) هذه الجمعية ودعوتها ليست بخارجة عن سياق مثيلاتها من دعوات ومؤسسات سابقة – منذ مبادرة القدس للرئيس المصرى السابق أنور السادات – حاولت أن تخترق النسيج الثقافى المصرى " الشعبى " المعادي بفطرته وتنشئته وخبرته ، للتطبيع مع الكيان الصهيونى ، فجميع هذه الدعوات سقطت وتلاشت بمجرد أن رفع الحاكم ، أو أحد أجهزته يده عنها ، إنها إذن لعبة توزيع أدوار ووظائف واستخدام لمجموعة من " الموظفين " وإن تسموا – بل من المستحب أن يتسموا – بالمثقفين أو السياسيين والحاصل أن الدور الذى كان مطلوباً من هذه الجمعية ومن قبل من تحالف كوبنهاجن ، قد انتهى رسمياً لدى الأجهزة والأنظمة بمجرد صعود نجم نتنياهو كحالة شعبية تعبر بصدق عن المزاج الرسمى والشعبى الإسرائيلى فى مجمله بلا رتوش !! ولأن الدور المطلوب قد انتهى من أعلى فليس على الذيل إلا الطاعة .

(2) قصة هذا الصراع وحقائقه ومآسيه المتجددة ، لا يمكنها أن تساعد على نجاح مثل هذه الجمعيات أو تُبقى لها دوراً – إن حسنت فيه النوايا وافترضناه

دوراً نابعاً من خوالج النفس وإرادتها المستقلة ، فالأراضى العربية التى تصادر يومياً من أجل بناء المستوطنات والبيوت الفلسطينية التى تهدم " هدم حتى نوفمبر 1998 فى القدس 106 منازل فلسطينية منذ قدوم نتنياهو للحكم أى فى قرابة العامين فقط وهدم ثلاثة أضعاف هذا العدد فى عهد رابين وبيريز دعاة السلام وأصدقاء جماعة كوبنهاجن والقاهرة للسلام ، والسلطة الفلسطينية عاجزة عن فعل أى شىء حتى داخل الـ13% التى وعدت بها فى واى بلانتيشين ، وأهل فلسطين – الذين هم الأحق بالحوار والتطبيع مع الإسرائيليين قتلة الأسرى المصريين والعرب – يرفضون مثل هذه الجمعيات ويرفضون استقبال أصحابها " انظر : اعتراف على سالم فى الحياة يوم 1998/10/16 بعد زيارة جديدة لإسرائيل " واليهود العاديون فى فلسطين بالمقابل ينظرون إليهم ككائنات غريبة لا لزوم لها أقرب شبهاً بالقرود فى حديقة الحيوانات " انظر الرواية : لمأساة الكاتب رؤوف مسعد الذى لحق هو الآخر بأصدقائه فى تحالف كوبنهاجن وروى فى مرارة ما حدث معه فى إسرائيل " جريدة الحياة 1و1998/11/8 " .

إذن المناخ بإجماله وطبيعة هذا الصراع القديمة الجديدة لا تفهم تلك " الدعوة " ولا تلك "اللغة" ولا تقيم لها اعتباراً ، وتنظر إليها بريبة أحياناً وبازدراء فى أغلب الأحيان ولذا كان لابد لجمعية القاهرة للسلام ولدعاويها فى سلام لن يأتى أن تسكت ! ونظن أنه كان من الشجاعة وقتها أن تعلن الجمعية والتحالف عن حل نفسيهما ، وأن يعلنا أنهما أخطأ خطأ جسيماً بالحوار مع الصهاينة مثلما أعلن الكاتب والسياسى الفلسطينى فيصل حورانى فى صفحة الحوار القومى بصحيفة الأهرام يوم 1998/9/9 وهى صفحة يشرف عليها " وياللمفارقة " السيد لطفى الخولى " : إن التطبيع والحوار مع الإسرائيليين عبث ولا معنى ولا قيمة له .

ولقد ثبت فى العام 2000 (عام انتصار لبنان على إسرائيل مايو 2000) والانتفاضة الفلسطينية الثانية (سبتمبر 2000) ثم العدوان على لبنان (2006) وعلى غزة (2009) أن هذه (الجمعية) وذلك التحالف كان جملة اعتراضية

فاشلة فى سياق صراع مصيرى فرضته العدوانية الإسرائيلية المستمرة الرافضة أصلاً لأى حوار أو " تطبيع " تُحترم فيه إرادة وحقوق الأطراف كافة ، لقد أثبتت الأيام وحقائق الصراع فشل هذه " الأوهام " ورغم ذلك استمر أصحابها فى ترويجها !! .

***

رابعاً : مؤتمرات مشتركة جديدة :

* ويحدثنا تاريخ التطبيع المؤسسى أنه قد عقد يوم 1999/7/5 ، مؤتمراً لدعاة ما يسمى بـ التحالف الدولى المسمى (تحالف كوبنهاجن) للدفع فى اتجاه (سلام دائم) مع الإسرائيليين وحضره (شيمون بيريز – دنيس روس – جيمس بيكر – ميغيل موراتينوس – فيكتور بوسافاليك) والحركات الإسرائيلية (ميريتس – شينوى – غيشر – إسرائيل بعاليا – شاس – السلام الآن – حزب العمل الإسرائيلى) فضلاً عمن تبقى من (جمعية القاهرة للسلام) وبعض الشخصيات الأردنية والفلسطينية وافتتحه عمرو موسى وزير الخارجية المصرى (وأحد البارزين فى العمل العام بعد ثورة 25 يناير 2011 رغم تاريخه الطويل فى التعاون والتطبيع الرسمى مع إسرائيل) واستمر المؤتمر لمدة يومين .

* بقى أن نقرأ دلالة عقد هذا المؤتمر فى (فندق ماريوت) الذى أثار ضجة كبيرة وعقد ضده مؤتمراً آخر للقوى الوطنية فى فندق شبرد على الجهة المقابلة لفندق ماريوت من نهر النيل:

(1) عكس التشكيل العام لهذا المؤتمر الصبغة الرسمية والمخابراتية له ، أكثر مما يعكس الصبغة الشعبية ، التى يزعمها أو التى سبق وحاول الراحل لطفى الخولى أن يروجها لهذا التحالف عند إنشائه ، أو عندما تفرخت منه ، " جمعية القاهرة للسلام " والتى لم تزد عن ثلاثين عضواً ، أغلبهم من الرسميين ومن المتعاملين مع الأجهزة ، ولا وجود شعبى لهم !! .

وبالنظر إلى خريطة المشاركين فى هذا المؤتمر المزمع ، وفقاً لما صدر عن منظميه ، فإنها لا تعدو ، أجهزة وزارة الخارجية المصرية ، وممثل الاتحاد الأوروبى فى عملية التسوية (ميغيل موراتينوس) – ومسئول مجموعة العمل الأمريكى فى عملية السلام (دنيس روس) ومسئول ملف المفاوضات نائب وزير الخارجية الروسى (فيكتور بوسوفاليك) والسيد ياسر عرفات ، فضلاً عن وزير خارجية بريطانيا ورئيس الوزراء المجرى السابق ورئيس وزراء إسرائيل السابق وصاحب مذبحة قانا الشهيرة (شيمون بيريز) ورجل الموساد الأشهر (ديفيد كيمحى) [طبعاً بعضهم خاف من المشاركة ولم يحضر !!] .

وإذا أضفنا لهذه التشكيلة الرسمية ، ما ذكره ممثل من تبقى من (جمعية القاهرة للسلام) صلاح بسيونى (للحياة 1999/6/24) من أن هذا المؤتمر يموله ويرعاه مالياً (الاتحاد الأوروبى – حكومة الدانمارك) فضلاً بالطبع عن (الخارجية المصرية) وأجهزة أخرى سيادية فإن صفة " الشعبية " ، وهوية الانتماء إلى (مؤسسات المجتمع المدنى) التى تضغط على الحكومات لتحقيق السلام (كما يزعم أصحاب هذا التحالف) تنتفى مباشرة عن هذا المؤتمر ، تماماً مثلما هى منتفية من غالب أنشطة هذا التحالف وتلك الجمعية (فى القاهرة) منذ إنشائها قبل عامين مضيا ، والإدعاء بغير ذلك ، يمثل مزايدة فى غير محلها أو أوانها ، أو هى طرفة ثقيلة لم يعد تضحك أحداً للأسف !!.

(2) إذا كان هذا المؤتمر كما هو واضح من تشكيله وبرنامجه يمثل قناة خلفية لبعض الحكومات والدول ، من أجل الضغط لمواصلة مسيرة التسوية ، رغم عدم إعلان منظميه ذلك صراحة ، فهل بالفعل مؤتمر مثل هذا كان قادراً على انتشال (جثة السلام) وقتها من رقدتها وبث الروح فيها مرة أخرى؟ .

إن الحقائق المتوفرة على الأرض – وقتها – تقول بغير ذلك ، ولنبدأ من أحدثها – عام 1999 – وهو المتصل بتشكيلة الحكومة الإسرائيلية الجديدة والتى استمر إيهود باراك فى إعدادها خمسة أسابيع لكى يصل إلى شكلها

الجديد ، والذى رغم غلبة التناقض ، وعدم الانسجام الداخلى بين أركانها إلا أنهم اتفقوا جميعاً على لاءات (باراك الأربعة) الشهيرة التى أعلنها عشية فوزه فى الانتخابات الإسرائيلية ، وهى لمن نسيها (وفى الغالب من نسيها هو الداعى لهذا المؤتمر) [لا لدولة فلسطينية مستقلة – لا للقدس عاصمة لهذه الدولة – لا لتفكيك المستوطنات – لا لجيش فلسطينى مستقل] وإذا أضفنا إلى ذلك ، ما أعلنه باراك ، من لاءات جديدة تتصل بملف (العائدين أو اللاجئين الفلسطينيين (5 ملايين) – أو بملف الانسحاب غير المشروط من الجولان والجنوب اللبنانى) ، فإن السؤال البديهى ساعتها الذى يصدمنا ، إذن ما الهدف من هذا المؤتمر ؟ إذا كان باراك الذى استمر خمسة أسابيع فى مفاوضات مع حكومة بهذا التشدد تجاه (السلام أو التسوية) ؛ بهذا الوضوح فى الملفات الأساسية لتلك التسوية فعلى أى أساس سيتم توصيل رسالة هذا المؤتمر إليه ليبدأ المفاوضات والتى قياساً بالأسابيع الخمسة السابقة (مع رفاقه من اليهود) قد تصل مع العرب إلى (خمس سنوات بلا فائدة أو نتيجة حقيقية) خاصة إذا كانت هذه اللاءات تظللها بكثافة ووضوح ، نستغرب أن الداعين لهذا المؤتمر لم يلاحظوها ، أو بمعنى أدق لم يستحضروها حتى فى برنامج عملهم المزمع ! .

إن الحقائق الجديدة – أيضاً – تقول : إن شارون (الإرهابى السابق واللاحق) – والذى مات فى نهاية عام 2013 بعد غيبوبة استمرت قرابة العشر سنوات – والذى كان مسئولاً وقتها عن (تكتل الليكود) ، قد انتزع من باراك تعهداً خلال مفاوضات تشكيل الحكومة الحالية مفاده أن جميع قرارات البناء فى المستوطنات والقدس التى اتخذتها حكومة نتنياهو وبأن برنامج تنفيذها سيستمر دون تعديل ، بل ونزيد لذاكرة الداعين لهذا المؤتمر ، أن اتفاقاً علنياً قد تم بين أركان الحكومة الجديدة مفاده أنه لا انسحاب فعلى من الجولان ، أو الجنوب

اللبنـانى ، بـل وأن أى اتفـاق مـع الفلسـطينيين علـى (المرحلـة الأخيـرة) سـوف يعرض على الإسرائيليين فى استفتاء عام لقبوله أو رفضه !! .

مما يعنـى ببسـاطة .. الدوران فـى حلقة مفرغـة من الوعود ، والأوهـام والسراب الذى قد يعجب البعض أو يعوضه نفسياً عن حالة العجز التى يعيشها ، ولكنه لا يلغى أبداً حقيقة كونه : سراباً لا رجاء منه !! .

(3) لعل أبلـغ دلالـة ، نستقيها من الدعوة لعقد مثل هذا المؤتمر فى القاهرة ، رغـم علـم مـن دعـا إليـه ، أو مـن يرعـاه ، أو مـن حـاول توظيفـه ، أنـه مجـرد (سراب) أو (أوهام) أو مضيعة للجهد وبذله فى غير محله أو زمانه ؛ هى فى تلك (الذهنيـة العربيـة الرسمية) التـى لا تتعلم أبداً، رغم تـوالى الكوارث والمحن عليها وعلى شعوبها ، إن هذه الذهنية التى تحـاول أن توظف نفر من المثقفين والسياسـيين ؛ القـابلين للقيـام بالوظيفـة دائمـاً بحكـم التنشـئة والإغـراء المـادى والأدبـى ، لـم تتعلم أبداً أنـه رغم عشرات المؤتمرات التـى مولتها وراعتها منذ توقيع اتفاق كامب ديفيد (1978) حتى يوم عقد المؤتمر (1999) والهادفة إلى استقطاب واختـراق مـا يسـمى بـالرأى العـام الإسـرائيلى ؛ قد ذهبت كلهـا أدراج الريـاح ، وبقـى هذا الرأى العام الإسرائيلى أكثر ميلاً إلـى التشدد وإلـى المعاداة بالسليقة للعرب داخل فلسطين وخارجها.

إنه رأى عام إسرائيلى معاد إذن بالسليقة والتنشئة وبالحقائق المادية ، قد يكون هناك نفر من المثقفين ، متعاطف ، مع بعض الحقوق العربيـة ، ولكنـه هزيـل ومندثر وبلا فاعلية حقيقية.

إن الـرئيس المصـرى الراحـل أنـور السـادات بـدأ بعـد توقيـع اتفـاق كامـب ديفيد (1978) وإقامـة العلاقـات مـع إسـرائيل عـام (1979) سلسـلة مـن المـؤتمرات الشـبيهة وكـان أغلبهـا يركـز علـى (الجوانـب النفسـية والتعلـيم واختـراق التجمـع الصـهيونى من الداخل) وكان فرسان هذا المجال (د. عبد العظيم رمضـان – د. محمود محفوظ – د. محمد شعلان – أنيس منصـور وغيرهم ممن سيرد ذكرهم

فى هذه الموسوعة) وتوالت منذ ذلك الحين اللقاءات والمؤتمرات الدولية والتى كانت ترعاها دائماً أجهزة المخابرات على الطرفين ، وبالتنسيق مع الأجهزة الدولية (الصديقة) – كما حصل مع مؤتمر ماريوت المذكور 1999 – إلا أن المحصلة دائماً كانت صفراً كبيراً ، وكانت حركات السلام الوهمية فى إسرائيل ، ومعها الرأى العام الإسرائيلى تدفع دائماً إلى صدور قرارات أكثر تشدداً من الحكومات التى يتصور أنها معتدلة (لعل فى مؤتمر شرم الشيخ مارس 1996 لإنقاذ شيمون بيريز بعد العمليات الاستشهادية لحماس والجهاد الإسلامى وما تلاه من مذبحة قانا بأيدى بيريز داعية السلام نفسه – والذى دعا لحضور مؤتمر ماريوت المذكور – مما يؤكد ذلك رغم الفارق فى حجم ونوعية المؤتمر.
خلاصة القول ، بشأن هذه الدلالة ، أن ما يتصوره رعاة هذا المؤتمر الذى عقد فى القاهرة (1999/7/5) ، من أنهم بعقد مثل هذا المؤتمر ، سوف يحيون عملية السلام المتوقفة ، وأنهم سيستقطبون من خلال مؤتمرهم هذا ، قوى جديدة (سلامية) داخل التجمع الإسرائيلى تضغط بقوة على (الحكومة الجديدة) ، لكى تواصل عملية التسوية وتصل بها إلى نتائج إيجابية ، كل ذلك ثبت أنه مجرد أوهام ، وثبت عدم جدواها تاريخياً ولقد أحصينا 33 مؤتمراً شبيهاً عقد بين مصريين وإسرائيليين وعرب ووظف فيه مثقفين وإعلاميين خلال الفترة من (1979) إلى (1999) ولم نجد فى نتائجها على خريطة التجمع الإسرائيلى الداخلى أى ملامح إيجابية ولم نلحظ لها آثاراً مباشرة ذات قيمة إلا فى نطاق خلق البلبلة والتطاحن الثقافى والإعلامى العربى بين فريقى: المطبعين (وهم الأقلية) والرافضين للتطبيع (وهم الأكثرية) ، وهذا بالضبط ما تريده إسرائيل .
(4) يتبقى أن نشير إلى أن عقد مثل هذا المؤتمر من وجهة نظرنا ، بديهى يضر ولا يفيد فى المدى الاستراتيجى لهذا الصراع المتواصل منذ قرن من الزمان ، وضرره فى تقديرنا ، لن يطال فحسب مصالح الأمة فى فلسطين المحررة بالكامل ؛ وهى مصالح ينكرها أصلاً فريق كوبنهاجن وجماعة

الموظفين التابعين له فى (القاهرة وعمان وغزة) ؛ ولكن ضرره يصل حتى إلى تلك الأنظمة التى تتعامل مع الكيان الإسرائيلى وبينها وبين علاقات أو تلك الراغبة فى إقامة علاقات من خلال التفاوض ، إذ إنها بعقد مثل هذه المؤتمرات التى تخصص ميزانيتها الكبيرة (يتردد أن هذا المؤتمر قد خُصص له 3 ملايين دولار) فى تثبيت (ثقافة السلام) فى مقابل (ثقافة العنف) (وبالمناسبة هذا محور رئيس من محاور أبحاث هذا المؤتمر وفقاً لما هو معلن صحافياً) ، بقطع الطريق العربى تماماً إلى المستقبل ، وإلى امتلاك أوراق قوة حتى فى المفاوضات ، فالمؤكد لدى المتحكمين فى تحالف كوبنهاجن والراعين لهذا المؤتمر مادياً (ونقصد بهم الاتحاد الأوروبى وحكومة الدانمارك وشيمون بيريز) أن (ثقافة العنف) هى تلك القادمة من قوى (حزب الله وحماس والجهاد الإسلامى) وليس من قبل أصحاب فريق أوسلو ، والتى هى وفق الأعراف والقوانين الدولية وحتى بالمعنى الغربى المباشر والمعادى (حركات تحرر وطنى لأرض محتلة) ، هذه القوى التى من المفترض أنها (أوراق رابحة) وفقاً للمفهوم الانتهازى الرسمى العربى ، فى أيدى المفاوض العربى ، وحكومات التسوية الراهنة ، مطلوب فى هذا المؤتمر إدانتها ، واستبدالها بأوراق وثقافة سرابية اسمها " ثقافة السلام " ، وهو أمر أشبه بمقولة مدام (رولان الفرنسية) عندما ساقوها إلى المقصلة قبل قرنين من الزمان ، فصرخت (كم من الجرائم – أيتها الحرية – ترتكب باسمك) وبالتطبيق العربى الجديد (كم من الجرائم – أيها السلام – يرتكب باسمك) .

إن هذا المؤتمر ، بجدول أعماله المعلن ، وبتركيبة ممولیه ، ومشاركيه أثر وقتها سلباً ، حتى على تلك الحكومات التى تحاول استثماره لمصلحتها ، فالذى يمول ، ويوظف صغار الموظفين من أعضاء جمعية القاهرة للسلام التى حاولت وحدها منذ فترة تعريب هذا التحالف وتقديمه شعبياً رغم فشلها المتواصل ، له أهداف محددة – هو الآخر – أبرزها " تكثير " أوراق الضغط فى أيدى

(الحكومة الإسرائيلية الجديدة) فى مواجهة ليس اليمين المتطرف داخل إسرائيل فهذا خطأ فى الفهم والقراءة للواقع الإسرائيلى الجديد / القديم ؛ ولكن فى مواجهة الأعداء الحقيقيين لهذا المشروع الإسرائيلى العدوانى ، وهم حتى لحظة انعقاد هذا المؤتمر عام 1999 وبالأساس (سوريا – حزب الله – حماس – الجهاد الإسلامى) فهل يعقد هذا المؤتمر لخدمتهم أو لتطويقهم ؟ وإذا كان لخدمتهم فكيف وأجندة المؤتمر وأبحاثه تشى بغير ذلك ، وإذا كان لتطويقهم ، فكيف قبلت الأجهزة الرسمية العربية المشاركة أن تخنق مصادر قوتها بأيديها وعلى أرضها .. فى القاهرة !! .

***

لقد كان مؤتمر القاهرة (عام 1999) لهو أسوأ دعاية لتحالف كوبنهاجن الذى حاول أصحابه أن يسوقوه ، باعتباره (حالة شعبية) تستهدف إحلال السلام فى منطقة (الشرق الأوسط) ؛ فلا التوقيت كان ملائماً ولا الموضوع أو أجندة موضوعاته تتسق وطبيعة الأحداث والحقائق الجديدة ، ولا المشاركون على صفاء نية كامل تجاه قضايانا ، وكل ما فى الأمر أن بعض الأجهزة الرسمية، وبتفكير قاصر ، أرادت أن تمارس منهجها القديم (الذى ثبت فشله) فى التلاعب بمتغيرات الداخل الإسرائيلى ، من خلال أدوار يؤديها بعض الموظفين الملفوظين من الجماعة الثقافية الوطنية والذين يحتفظون بهم فى ثلاجات رسمية خاصة لهذه المناسبات فحسب ، فأتت النتائج مخيبة لهم.

* هذا ولقد أثار المؤتمر المذكور ردود فعل مهمة تمثلت فى رفض واسع من المثقفين المصريين له ، وعقدهم لمؤتمر مضاد لمؤتمر تحالف كوبنهاجن ، عقد فى فندق شبرد ، وقبل انعقاده جاءت آراء وردود فعل النخبة المثقفة ، حيث قال الكاتب القومى أحمد عز الدين : إن لقاء جماعة كوبنهاجن هو فى الحقيقة مؤتمر للحرب باسم السلام ، وأن هذا المؤتمر يهدف أولاً وأخيراً لتخفيف الضغط عن حكومة ايهود باراك وإلقاء الكرة فى ملعب العرب .

وقد تساءل الكاتب : كيف نثق بجماعة كوبنهاجن وأبرز نشطائها سواء كان لطفى الخولى أو على سالم مرشحين لنيل جائزة بن جوريون ، وتساءل أحمد عز الدين أيضاً عن دور وزارة الخارجية المصرية وأنها إذا كانت فعلاً لم تدعو لهذا المؤتمر وليست لها صلة به فمن أعطى جماعة كوبنهاجن حق المبادرة والدعوة والترتيب لهذا المؤتمر الفاضح .

واستعرضت الصحف المصرية المستقلة المشاركين فى مؤتمر التطبيع وذكرت أن فيهم شيمون بيريز المجرم الصهيونى وأبو القنبلة النووية الإسرائيلية وسفاح قانا والذى اشترك فى ذبح الأسرى المصريين ، كما نجد ديفيد كيمحى مدير الموساد الأسبق والذى شارك فى إشعال الحرب الأهلية اللبنانية كما قاد الفريق الذى اغتال العالم النووى المصرى يحيى المشد فى باريس ورسام الكاريكاتير الفلسطينى ناجى العلى فضلاً عن مشاركته مع ايهود باراك فى اغتيال المناضلين الفلسطينيين كمال عدوان وكمال ناصر وغسان كنفانى .

وفى سياق متصل أبرزت الصحف أن جمعية القاهرة للسلام – وهى الفرع المصرى من جماعة كوبنهاجن للسلام – تخالف القانون ؛ لأنها تتلقى تمويلاً خارجياً فضلاً عن اختراقها للأمن القومى المصرى لذا طالبت الصحيفة بحلها كونه واجباً وطنياً .

واستغربت الصحف موقف الحكومة المصرية التى رحبت بعقد مؤتمر جماعة كوبنهاجن التطبيعى فى الوقت الذى رفضت فيه إقامة ندوة عن تحديات المشروع الصهيونى الذى كان مقرراً عقده فى مركز البحوث العربية فى شهر مايو 1999 .

** وفى سياق متصل بمناهضة ومكافحة التطبيع نقلت الصحف مقترحاً من وفد المهندسين الأردنيين الذى شارك فى مؤتمر القاهرة الرافض للتطبيع ؛ ويتضمن تنظيم ورش عمل مصغرة لمناهضة التطبيع ولأن إقامة هذه الورش لا يتكلف كثيراً فإننا نستطيع أن نجعلها فى حالة انعقاد دائم مما يسهم فى توعية

المشاركة بمخاطر التطبيع باستمرار مع تخصيص نسبة من ميزانية النقابات لتمويل أنشطة مقاومة التطبيع مع إصدار مطبوعة لفضح المطبعين والوقوف فى وجه تغيير المناهج لصالح إسرائيل .

* وفى سياق متصل بهذه التغطية الخاصة ألقت الصحف المصرية المستقلة الضوء على المؤتمر الذى عقده نخبة من المثقفين والباحثين والفنانين المصريين فى فندق شبرد بدعوة من جريدة الأسبوع المستقلة ، والذى حضره جمع من رموز العمل الوطنى مثل يحيى الجمل ورفعت سيد أحمد وعبد العال الحمامصى وأيمن نور ورجب هلال حميدة ومصطفى بكرى . وقد استنكر الحاضرون عقد مؤتمر للتطبيع على أرض مصر ووصفوه بأنه أحد حلقات الخيانة والاستسلام واغتيال الكرامة الوطنية بعد أن سمح للصهاينة المجرمين بتدنيس أرض مصر الطاهرة .وأبرز المشاركون خطورة عقد مثل هذه المؤتمرات التطبيعية ؛ لأنها تمهد الأرض لاختراق العقل العربى عامة والمصرى خاصة بالأوهام التى يروجها المطبعون وأسيادهم فى تل أبيب حول السلام المزعوم والرخاء الاقتصادى الذى سيعم المنطقة .

وشدد المشاركون على ضرورة تفعيل ودعم لجان مقاومة التطبيع مع التنسيق مع الهيئات الشعبية المماثلة فى أرجاء الوطن العربى مع ضرورة توحيد هذه الجهود فى كيان واحد حتى يتسنى مواجهة هذه الهجمة الشرسة من دعاة التطبيع وأزلامهم .

كما عرضت "الأسبوع" عرضاً موجزاً لكتاب "تحالف كوبنهاجن" الصادر عن مركز يافا للدراسات والأبحاث والذى يرأسه د.رفعت سيد أحمد.

وفى سياق متصل لمخاطر التطبيع أشارت الصحيفة لعرض أفلام بالقاهرة تسئ لصورة العرب والمسلمين وتظهرهم كإرهابيين ومصاصى دماء مثل فيلم " فوق القمة " للمخرج الصهيونى مناحم جولان ، كما أشارت الصحيفة إلى أن قرارات العقاب الموقعة على بعض الفنانين الذين تورطوا فى التطبيع مثل حسام الدين

مصطفى وعلى سالم ومدحت صالح وغيرهم كلها حبر على ورق ، وليست هناك جدية فى توقيع أى عقوبات عليهم ربما بسبب ضغوط جهات غير معروفة .

– وقد رصدت جريدة " الأسبوع " فى ذلك الوقت بعض الفتاوى الدينية التى تصف المطبعين بالخيانة والنفاق وأحياناً بالكفر مثل فتاوى الشيخ جاد الحق وسيد طنطاوى والشيخ الدكتور يوسف القرضاوى وغيرهم وقد دعت لجنة مقاومة الصهيونية الرئيس مبارك للتدخل من أجل إلغاء أى مؤتمر للتطبيع مستقبلاً نظراً لما يمثله من خطورة على الأمن القومى لمصر ومدى استهانة منظميه بمشاعر المصريين . وألقت الصحيفة الضوء على بعض الفنانين العرب مثل أم كلثوم وفريد الأطرش وسعد الدين وهبة الذين رفضوا التطبيع أو التعامل مع الصهاينة فسرق اليهود أعمالهم دون أى مقابل مادى نظير حقوقهم الفكرية .

***

* تلك كانت بعض أدوات التطبيع على المستوى الثقافى ، فمن (المركز الأكاديمى) و(تحالف كوبنهاجن) إلى (جمعية القاهرة للسلام) و(جمعية الصداقة المصرية – الإسرائيلية) وكلها أدوات ثبت فشلها فى الاختراق الثقافى رغم جهودها المضنية لتحقيق ذلك والتى استمرت طيلة حكم الرئيس (المخلوع) حسنى مبارك واستمرت بعده ، ربما لأن المجتمع والعقل المصرى أكثر صلابة ورفضاً للتطبيع مما تصور صانعو هذا التطبيع أو ربما لدور النخبة المصرية الثقافية والأكاديمية والسياسيين المعادى فى مجمله لهذا الاختراق ، وقيادتها الناجحة لحركة الشارع ضده ، وربما لأسباب أخرى أظهرها الصراع العربى الإسرائيلى وأكدها . إن النتيجة على أية حال هى الرفض الشعبى والنخبوى للتطبيع وهو ما سنرى أمثلة له فى الفصول التالية.

***

ملحق الفصل الرابع

إعلان مشترك من حركة السلام المصرية و" حركة السلام الآن " الإسرائيلية

1998/6/8

إن شعوب الشرق الأوسط المثخنة بالجراح ، أصبحت مرهفة من الحروب الدورية ، فبعد خمس حروب رئيسة ، وكثرة مما هو أصغر منها ، والصدامات الدموية التى خلفت وراءها الآلاف من الضحايا ، فإن الشوق للسلام عند نهاية الألفية الثانية أصبح بالنسبة للغالبية العظمى من الرجال والنساء على جانبى الصراع العربى – الإسرائيلى هو العاطفة الأقوى والأمل الأعظم الذى ينتظر من القيادات السياسية إنجازه .

إن المبادرة الشجاعة للرئيس الراحل أنور السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجن ، والتى جاءت منذ عشرين عاماً وتوصلت إلى اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ، فتحت الباب للتعايش التاريخى بين العالم العربى وإسرائيل .

وجاءت اتفاقيات أوسلو ومعاهدة السلام بين إسرائيل والأردن كخطوات هامة على نفس الاتجاه الإيجابى . إن بعد النظر لدى رئيس الوزراء الراحل رابين والسيد شيمون بيريز والرئيس عرفات فى اتباع طريق السلام ، وضع الأساس للثقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

وللأسف ، فمنذ تولى رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو للحكومة منذ عامين ، فإن عملية السلام باتت متوقفة تقريباً ، وشكلت مدركاته الأيديولوجية التى فات أوانها ورؤاه السياسية غير السليمة عقبة كئود على طريق السلام ، ومع الانزعاج العام للتدهور الخطير فى عملية السلام ، والفشل فى مبادرات الوساطة فى العامين الماضيين ، وتصاعد العنف ضد المدنيين الأبرياء ، واستمرار أعمال الإرهاب من المتعصبين على الجانبين ، والتوسع فى المستوطنات الإسرائيلية ، وفشل حكومة نتنياهو فى تطبيق التزاماتها طبقاً

لاتفاقيات أوسلو والتجميد الشامل للمفاوضات بين إسرائيل وكل من سوريا ولبنان ، فإن أعضاء تحالف إعلان كوبنهاجن ومشاركين من حركة السلام المصرية وأكبر حركات السلام فى إسرائيل " السلام الآن " قرروا أن يضعوا أيديهم معاً للبحث فى السبل التى تعظم وتدفع بعملية السلام.

إننا نعتقد اعتقاداً عميقاً أن اليهود والعرب فى المنطقة ، كما تشير استطلاعات الرأى العام ، يرغبون بشدة فى السلام ، ونحن مقتنعون أن السلام ليس فقط مرغوباً فيه ، وإنما أيضاً يمكن تحقيقه ، ولهذا فإننا قررنا العمل معاً لتعبئة الشعبين العربى والإسرائيلى لكى توجد ضغوطاً فاعلة ومتجددة على القيادات السياسية فى الشرق الأوسط لكى تسرع بالمفاوضات وتصل إلى اتفاقيات عادلة توصل إلى سلام شامل وعادل ومتوازن .

إننا نعتقد أنه من خلال عملنا فإننا نشجع قوى السلام فى المنطقة كلها ، والعالم ونبين أنه يوجد – بالحتم – بديل للطريق المسدود الحالى يتمثل فى خيار السلام الجاد والحقيقى .

إن حركتى السلام فى مصر وإسرائيل اتفقتا على المبادىء التالية لكى تشكل موجهاً لعملها : المسار الفلسطينى – الإسرائيلى :

1 – إن الشعب الفلسطينى له حق تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى إقامة دولته بجانب إسرائيل ، إن اعتراف إسرائيل بهذا المبدأ ، سوف يؤدى إلى دفع التقدم فى المفاوضات مع الفلسطينيين .

2 – إن حدود ما قبل الخامس من يونيو 1967 سوف تكون الأساس فى تقرير الحدود الدائمة بين دولة إسرائيل والدولة الفلسطينية ، وسيأخذ الجانبان كلاهما فى الاعتبار الحقائق التى جرت على أرض الواقع بحيث يتم إجراء تعديلات متبادلة ومتفق عليها فى الحدود بغية تلبية احتياجات الشعبين ، بحيث يتم ضمان الاتصال والاستمرار الجغرافى بين الأراضى فى الضفة الغربية وغزة ،

وكفالة المرور الحر والمباشر بين هاتين المنطقتين بغية تمكين الفلسطينيين من التمتع بالأوضاع اللازمة للتنمية السكانية والاقتصادية.

وسيكون بمقدور المستوطنين الإسرائيليين الذين يقيمون فى مواقع تقع بعد تحديد الحدود الدائمة ، داخل الدولة الفلسطينية ، العودة لإسرائيل والحصول على تعويض مناسب من حكومة إسرائيل ، وسيتفق الطرفان على المستوطنات التى يتمكن المستوطنون الإسرائيليون من البقاء فيها ، أما المستوطنات الأخرى فسيتم إجلاؤها وستتم مطالبة المستوطنون الذين يبقون بالاعتراف بالسيادة الفلسطينية والامتثال لها ، ومن أجل أن تتحقق تسوية دائمة وعادلة لن يمكن تفادى إجلاء مستوطنات .

3 – إن حكومة إسرائيل والسلطة الوطنية عليها تطبيق الالتزامات الواقعة عليهما فى إطار الاتفاقيات الانتقالية ، وأن تبدأ بعد ذلك فوراً المفاوضات حول قضايا الوضع النهائى ، وأن تمتنع كل منهما عن اتخاذ خطوات من جانب واحد ، تؤثر سلباً على هذه المفاوضات بما فى ذلك مصادرة الأراضى العامة أو الخاصة وبناء أو توسيع المستوطنات .

4 – لا يجب على أى من الطرفين القبول أو تشجيع العنف والإرهاب ضد المدنيين بأى شكل أو من أى اتجاه .

5 – تظل القدس مدينة موحدة بصورة دائمة ، ويعاد تحديد مساحة المدينة ويكون مقبولاً أن يعيش مواطنون من الدولتين فى المدينة ، وأن يحظى كل منهما بالحقوق الوطنية والدينية ، ويتم وضع الأطر البلدية المتفق عليها والمنسقة داخل حدود المدينة ، بغية تمكين كل طائفة من إدارة شئونها الداخلية ، وستوجد عاصمتان داخل هذه المنطقة البلدية : عاصمة إسرائيل فى المنطقة اليهودية ، وعاصمة فلسطين فى المنطقة العربية ، ويتم تحديد وضع وترتيبات الأماكن المقدسة من خلال المفاوضات استناداً للحفاظ على الحقوق الدينية وحرية العبادة لكل الأديان .

6 – تتضمن التسوية الدائمة حلاً شاملاً لمشكلة اللاجئين (من 1948) والسكان الذين اجتثوا من جذورهم (1967) ويكون للدولة الفلسطينية الحق فى استيعاب اللاجئين داخل حدودها وفق الاعتبارات التى تراها ويتم الاتفاق على ترتيبات لتعويض اللاجئين الآخرين بدعم دولى وبعد الوصول لهذا الاتفاق ، فإن الطرفين يتنازلان بصورة غير مشروطة عن أى ادعاءات لاحقة حول اللاجئين ، واستعادة حقوق الملكية أو حق الاستيطان فى أراضى الدولة الأخرى .

7 – إن الطرفين عليهما التوصل إلى اتفاق عادل على كل قضايا الوضع النهائى (اللاجئون والمستوطنات والحدود والأمن والمياه) بأسرع وقت ممكن وبالتأكيد ليس بعد 5 مايو 1999 كما هو محدد فى اتفاقيات أوسلو .

المسار الإسرائيلى – السورى – اللبنانى :

إن السلام الإسرائيلى السورى والإسرائيلى اللبنانى ، يجب أن يقوم على قرارات مجلس الأمن 242و 338و 425 واستناداً إلى قاعدة الأرض مقابل السلام التى تتضمن الانسحاب الكامل والسلام الكامل ، مع الحد الأقصى من الأمن المتبادل للجميع .

الإطار الإقليمى

إن كل القوى فى الشرق الأوسط عليها أن تتكاتف من أجل إعادة بناء المنطقة لكى تكون متحررة من التهديد بالحرب وسباق التسلح والتوتر والفقر.

إن السلام الشامل يجب أن يهدف إلى بناء إقليم متحرر من أسلحة الدمار الشامل ، ووسائل توصيلها بحيث يكون قادراً على تعبئة إمكانياته الاقتصادية من أجل رخاء جميع سكانه .

إن خطوات فعالة على هذا الطريق يجب البدء باتخاذها من أجل تحقيق هذه الأهداف ، ولأننا مقتنعون بأن هذه المبادىء تقدم العناصر الأساسية والضرورية لتحقيق السلام الشامل فى المنطقة ، فإن الحركتين تتوجهان بالنداء

إلى كل القوى المحبة للسلام فى الشعب الإسرائيلى وفى العالم العربى وفى كل العالم لكى تؤيد هذه المبادىء وتضغط بقوة متصاعدة على الحكومات المعنية لكى تصل إلى اتفاق على أساسها فبعد خمسين عاماً من الحروب والمعاناة والآلام ، فإن شعوب الشرق الأوسط تستحق أن تعيش فى سلام وهذا وحده سوف يضمن لهم ولأجيالهم القادمة مستقبلاً أفضل .

عن حركة السلام الآن الإسرائيلية :

1 – موردخاى بار أون (جنرال متقاعد) .

2 – د. آرى أرنون (أستاذ فى العلوم الاقتصادية بجامعة بن جوريون) .

3 – د. دان جاكبسون (أستاذ السلوك التنظيمى بجامعة تل أبيب) .

4 – موتى أوربوش (كاتب مسرحى) .

5 – مسز يهوديت هاريل (المستشار التنظيمى لحركة السلام الآن الإسرائيلية) .

6 – شين راتز (المدير العام التنظيمى لحركة السلام الآن) .

عن حركة السلام المصرية :

1 – لطفى الخولى (كاتب) .

2 – على الشلقانى (محام) .

3 – صلاح بسيونى (محام – سفير سابق) .

4 – د. عبد المنعم سعيد (مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام) .

5 – د. خالد عبد الوهاب البرلسى (أستاذ بكلية طب قصر العينى) .

6 – ناجى قمحة (مدير تحرير جريدة الجمهورية) .

7 – د. مراد وهبة (أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس) .

8 – سعد الدين كامل (كاتب صحفى جريدة الأخبار) .

9 – د. حسن الحيوان (أستاذ الإدارة بجامعة عين شمس) .

10 – عبد الفتاح عساكر (مفكر وكاتب إسلامى) .

***

هوامش الفصل :

1 – وهو الصحفى الذى اختفى بعد ذلك وقيل إنه قتل .

2 – محمد وهبى ، نتنياهو : إعادة تثقيف العرب ضرورة من ضرورات السلام ، مجلة المصور ، العدد 3777 ، 1997/2/28.

3 – المصدر نفسه ، عن مقال للكاتب الأمريكى إيه. إم. روزنتال فى " النيويورك تايمز " .

الفصل الخامس

كتب فى معركة التطبيع

نماذج وقراءات تحليلية

مقدمة

نظراً لأهمية رصد أهم الكتب والدراسات فى مجال مقاومة التطبيع فسوف يتناول هذا الفصل نماذج من الكتب المقاومة للتطبيع التى سبق للمؤلف أن كتبها خلال " الثلاثين عاماً من التطبيع" ، موضوع هذه الموسوعة ، وسوف نقدم هنا قراءة كتاب ومفكرين معروفين لهذه الكتب والتى نختار منها ثلاثة فقط الأول هو (اختراق العقل المصرى) وصدر فى 1986 بالقاهرة ، والثانى [علماء وجواسيس وصدر فى لندن عن دار رياض الريس للنشر عام 1991] ولقد قام بالمراجعات لهذين الكتابين اسمين بارزين من المفكرين الكبار هو د. محسن خضر والثانى هو د. صبرى حافظ ، أما الكتاب الثالث فهو (وصف مصر بالعبرى) الصادر عام 1989 عن دار سينا للنشر بالقاهرة .

*** هذا وسوف نورد أيضاً فى هذا الفصل نماذج من الكتب والأعمال الأخرى ذات الصلة بقضية التطبيع ومنها نقدهم لكتابي السفيرين الإسرائيليين السابقين فى مصر (موشيه ساسون – وديفيد بن سلطان) فماذا عن هذه الأعمال جميعاً .**

***

(1) اختراق العقل المصرى

دراسة ووثائق

تأليف : رفعت سيد أحمد

تقديم : فتحى رضوان

الناشر / القاهرة : دار التونى للطباعة والنشر – يناير 1986

منذ أكثر من مائتى عام وعالمنا العربى يتعرض لهجوم منظم من الغرب عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وأخيراً ثقافياً ، ولقد اختلف الأداء الاستعمارى للغرب مع تغير الحقب الزمنية والأطر الجغرافية ، وإن ظل المضمون الاستعمارى واحداً دائماً ، ومع بداية حقبة السبعينات عرف الوطن العربى ،

أشكالاً ووسائل متطورة للغزو والاحتلال ، كان أكثرها ذكاء وخبثاً هو ما أتى تحت مفاهيم الغزو الثقافى والتى أبرزها ما تعارف عليه (بالبحوث المشتركة والممولة) وأيضاً ما قامت به مؤسسات الغرب الأوروبى والأمريكى – مثل الجامعة الأمريكية ذات الدور التعليمى والسياسى الهام .

وفى محاولة لكشف أبعاد هذا التطور الذى حدث فى مجال الغزو الثقافى للعقل العربى والمصرى على وجه التحديد وهى محاولة تعد الأولى من نوعها ، أتى كتاب (اختراق العقل المصرى ، دراسة ووثائق) وهو من تأليف الباحث المصرى / رفعت سيد أحمد ، ولقد صدرت طبعته الأولى فى أكتوبر 1985 ، ونفذت فأصدر طبعته الثانية فى يناير 1986 ، والمؤلف باحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة وله دراسات وكتب منشورة .

<u>البناء العام للكتاب</u>

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول ، وقسم كامل يحتوى على ثمانى وثائق هامة..
الفصل الأول : ويتناول ملامح الاستراتيجية الثقافية للولايات المتحدة الأمريكية فى مصر والدور السياسى للجامعة الأمريكية بالقاهرة والتى يثبت المؤلف بالوثائق دورها التجسسى فى مصر ؛ أما الفصل الثانى : فيتناول بالأرقام والوثائق المترجمة رؤية أبناء الجامعة الأمريكية فى مصر ومستقبل هذه الرؤية فى حكم مصر ومن خلال دراسة تطبيقية هامة للبروفيسور ريموند هنيبوش الأستاذ الزائر للجامعة الأمريكية ، استمر فى القيام بها أربع سنوات ، أما الفصل الثالث والأخير : فيتناول فيه المؤلف ظاهرة البحوث المشتركة فى مصر السبعينات والثمانينات ويذكر بالأسماء والوثائق أيضاً المتورطين فى هذه الظاهرة ويحدد مواقع عملهم ودورهم فى خدمة المؤسسات الأمريكية والمخابرات الغربية .

<u>مضمون الكتاب</u>

يبدأ المؤلف الفصل الأول من كتابه بتحديد دقيق لأهداف وأدوات الاستراتيجية الأمريكية فى مصر ، لكى يصل من خلال ذلك إلى الإطار العام الذى تسبح فيه الجامعة الأمريكية والبحوث المشتركة فى مصر فيحدد المؤلف أربعة أهداف للاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر هى :

<u>أولاً :</u> أصبحت المنطقة التى تحتوى إسرائيل بداخلها امتداداً استراتيجياً لأمن أمريكا القومى، فلم يعد الأمن القومى الأمريكى هو ذلك الذى يتوقف عند (حدود الدولة الأمريكية) أو حتى القارة الأمريكية .. أو الأوروبية ، بل هو يمتد ليشمل من وجهة النظر الأمريكية الحديثة العالم أجمع ليصبح بهذا (أمناً كونياً) ، وعليه كان لابد أن تكون لهذه المنطقة نصيب داخل الإطار الأمنى الأمريكى ولكنه متميز قياساً بأركان الكون الأخرى .

وتطور المفهوم – مفهوم الأمن القومى الأمريكى – لا ليوفر حماية أمن إسرائيل من الجسد العربى المحيط بها ، بل لضمان سيطرتها وتفوقها العسكرى على هذا المحيط ، وإمكانية تأديب من يحاول أن يخرج برأسه عن حدود الهدف الأمريكى العام ، وفى هذا الإطار أصبح لمصر موقع هام هنا،وهو (ضرورة جعلها جاراً مأمون الجانب محدود القدرة والإمكانية ومقلم الأظافر)،وعليه تم تحييد سيناء عسكرياً ودخول مصر تحت مظلة كامب ديفيد السياسية .

إن (مصر) بهذا صارت جزءاً هاماً ينبغى استمالته وضمان تبعيته لتأكيد وحماية الأمن القومى الإسرائيلى كامتداد حيوى للأمن القومى الأمريكى وهذا هو الهدف الأول .

<u>أما الهدف الثانى :</u> للاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر ، فهو إيصال مصر إلى أن تصبح ركناً فاعلاً فيما يسمى (بالإجماع الاستراتيجى) لدول المنطقة تجاه (الخطر السوفيتى) على مصالحها الاقتصادية والسياسية فى هذا الجزء من العالم فهذا الإجماع لدول القلب العربى يمكنه أن يساهم فى الدفع بعدم

إكمال الكماشة الاستراتيجية السوفيتية التى تمتد حول المنطقة بين أفغانستان وأثيوبيا ، وهذا الإجماع يتطلب دوراً محورياً (لمصر) داخله ، وتناغم حقيقى بين أهداف وطموحات دوله ، ومرافق اقتصادية وعسكرية متماسكة ومشتركة ، تجاه ما تتصوره الاستراتيجية الأمريكية عدوها الأول دولياً : الاتحاد السوفيتى .
الهدف الثالث : يأتى ليتمثل فى تفريغ مصر من (القيادات التاريخية) ومفاهيم (الإرادة – المستقلة) – فهذا الهدف سوف يؤدى إلى خلق كيان هش ، ضعيف لا يستطيع أن يلملم أطرافه الذاتية ، فما بالك بأطرافه العربية ، أمريكا تريد بهذا أن تسقط عن مصر أهم ما يميزها تاريخياً واستراتيجياً ، وهو دور (الدولة القائد) من خلال إفراغها ممن يمكنهم أن يحققوا فى مصر ،هذا الدور فعلياً؛وعندما تصل مصر إلى دور (الدولة التابع)،فهنا يمكن لاستراتيجية (الإجماع) أن تتحقق حيث تصبح التوجهات العامة للمجتمع المصرى أمريكية تماماً مثل باقى منطقة القلب العربى،وهو ما لم يكن ممكناً لو أن عبد الناصر حى..على سبيل المثال فقط !! .

إن إفراغ المنطقة العربية ، وتحديداً مصر من الزعامات الوطنية التاريخية وإبدالها ، بالزعامات الهشة ، لن يخدم فقط مصالح العداء الأمريكية تجاه السوفيت ، بل وأيضاً سوف يخدم المصالح الأمنية والاستراتيجية للكيان الصهيونى وحيث إمكانية الحركة والتجول فى منطقة المحيط العربى : يستوى فى هذا دول المشرق ، ودول المغرب القريبة ، ولعل ما حدث فى العراق فى يوليو 1981 من ضرب المفاعل النووى العراقى ، وما حدث فى تونس من ضرب مقر منظمة التحرير ومن قبل إعلان خضوع الجولان للقانون الإسرائيلى ومن بعد احتلال لبنان والابتلاع الفعلى لثلث أراضيه ، ولعل فى هذا ما يقوم كدليل حى على أن هدف إفراغ المنطقة وتحديداً مصر من القيادات التاريخية والإرادات الحرة المستقلة،يمثل هدفاً أصيلاً وفاعلاً للاستراتيجية الأمريكية

والإسرائيلية..ولن نفهم ذلك جيداً إلا إذا أعدنا "تصور" وتخيل أوضاع المنطقة برمتها لو أن عبد الناصر لايزال بيننا؟ مجرد تخيل كما يقول المؤلف.

أما الهدف الرابع والأخير : فيأتى ليكمل حلقة الأهداف الكبرى للاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر وهو هنا هدف خلق التبعية وفرض الهيمنة المعنوية والحضارية على المجتمع المصرى بعبارة أكثر تحديداً : فلسفة الاستعمار الجديد فى أعلى صورها فالأمن القومى والإجماع الاستراتيجى وإفراغ المنطقة من الزعامات التاريخية جميعها تأتى لتكون الأصول العامة لاستراتيجية الولايات المتحدة تجاه مصر ، لكن هذه الأصول لا يقدر لها الإيناع والإتيان بثمارها الفعلية دونما الإطار الثقافى والحضارى العام الذى يسمح لها بالتحرك داخله ، والفاعلية من خلاله ، وهو هنا "الاستعمار الجديد"، "الهيمنة" و"التبعية المعنوية" ، وذلك لأنه فى الأهداف الثلاثة الأولى قد تستطيع مصر أن تتمرد وتثور أو تُخرج لها – وهى بالفعل قادرة – قيادات وزعامات تاريخية ، ولكنها لن تستطيع الفكاك عندما يحكم حولها الهدف الأخير حيث من خلاله سوف يمكن شل عناصر الفعل والثورة وإسكات ينابيع التمرد المتدفقة فى قلب هذا المجتمع،وهنا مكمن الخطر الحقيقى..فما نخسره تحت هذا الهدف لا يسهل استرجاعه أو تعويضه وما تكسبه الاستراتيجية الأمريكية منه يدعم – وإلى مدى بعيد– من بقائها وفاعليتها داخل الجسد المصرى ومحيطه العربى ،وهذا هو الهدف الأخير والأخطر.

هذا على مستوى أهداف الاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر .. وكما نعلم أنه كما لكل استراتيجية أهداف .. فلهذه الأهداف وسائل تحققها .. فما هى وسائل تحقيق أهداف الاستراتيجية الأمريكية فى مصر ؟ كما يتصورها المؤلف .

وسائل الاستراتيجية الأمريكية فى مصر : لكى تصل الاستراتيجية الأمريكية إلى تحقيق أهدافها السابقة تجاه مصر استخدمت عدة وسائل توزعت على

النحو التالى : " وسائل اقتصادية / وسائل سياسية / وسائل عسكرية / وأخيراً وسائل ثقافية " .

والملاحظ أن أياً من هذه الوسائل لم يستخدم بمعزل عن سواه ، أو فى فترة زمنية منقطعة عن غيرها ، ولكن " الذكاء الأمريكى " والذى بدأ تحديداً مع هنرى كيسنجر عام 1974 كان متنوعاً فى استخدامه الوسائل السابقة ومنسقاً إلى حد بعيد فى التناغم وتوزيع الأدوار بشأنها ، وإن كان التحليل يتطلب منا التفرقة الهادئة بينها ، والتمثل الواقعى لها .

فالوسائل الاقتصادية : يمثلها دهاليز الاقتصاد والمجتمع المصرى سياسات ما سمى بالانفتاح الاقتصادى ، والأدوار المشبوهة والخطيرة التى تؤديها هيئة المعونة الأمريكية داخل الاقتصاد والمجتمع من خلال أغلب الوزارات والهيئات الحكومية وأيضاً " القروض " طويلة وقصيرة الأجل التى تقدمها الولايات المتحدة لدعم عجزنا الاقتصادى والمالى ، بل والمنح الاقتصادية التى لا ترد .. وجميعها وسائل لربط عجلة الاقتصاد المصرى بعجلة الاقتصاد الغربى وتحديداً الأمريكى ، وللسيطرة المباشرة – من خلال اللوبى الانفتاحى الجديد – على صناعة القرار الاقتصادى المصرى .. والتحكم فى مصر من خلال الشركات متعددة الجنسية ، التى تدار غالباً من واشنطن .. وهو ما يحدث الآن فعلاً .

أما الوسائل السياسية : فغنى عن البيان ، ما يحدث من الإدارة – السياسية الأمريكية تجاه صانع القرار السياسى المصرى ، سواء على المستوى المحلى لمصر من خلال زعزعة مفهوم الولاء الوطنى أو الوحدة الوطنية ، وتدعيم الولاء الطائفى بالمقابل ، أو من خلال الضغوط الدولية أو لدى الأصدقاء الأوروبيين لغرض الأهداف الأمريكية سالفة الذكر ، ناهيك عن ترابط الوسائل السياسية بالوسائل الاقتصادية فى عملية معقدة ومتصاعدة لا تخدم سوى صانع القرار الأمريكى ولا تضر سوى هذا المجتمع : مصر !! .

ونأتى إلى الوسائل العسكرية : ولعل فى سياسة واشنطن العسكرية تجاه مصر ، ما يكفى : فأردأ أنواع الأسلحة وأقلها فاعلية تصدر إلى مصر ، والعكس تماماً يذهب إلى تل أبيب ولكن مسألة الأسلحة الرديئة ليست فقط الوسيلة العسكرية الوحيدة لواشنطن تجاه مصر ، إذ تأتى قضية إعطاء التسهيلات أو القواعد العسكرية ، والتى تخلقت جذورها الأولى على عهد الرئيس السابق (السادات) وتعقبها المناورات المشتركة والتى نعيشها يومياً .

أما الوسائل الأخيرة للاستراتيجية الأمريكية : تجاه مصر فهى كانت وستظل عديدة ومتنوعة، فهى تمتد لتشمل الإعلام بأنواعه وتقسيماته المختلفة ، والتبادل الثقافى الرسمى وشبه الرسمى، والمشروعات العلمية والثقافية المشتركة .

وبعد استعراض دقيق للوسائل الثقافية استخلص المؤلف وسيلتين محددتين ، هما : الجامعة الأمريكية كخندق أول للاختراق الثقافى والعلمى وثانيهما "سياسة البحوث المشتركة والممولة".

ونحن هنا نحاول أن نضع بعضاً من النقاط على الحروف وأسفلها، وأن نمسك بمفاتيح اللعبة.. ونحذر من خطر الأبواب الأمريكية الموصدة..فى أشكال مختلفة وهذه الجامعة تعد أهمها وأخطرها .

فماذا عن محاور فهم الدور السياسى للجامعة الأمريكية فى مصر ؟؟ بعبارة أخرى ، كيف نفهم .. وفى أى إطار نفهم الدور السياسى لهذه الجامعة ؟؟ .

محاور فهم الدور السياسى للجامعة الأمريكية : يؤكد المؤلف هنا على أنه الآن فقط أصبح علينا جميعاً أن نضع الأمور فى إطارها الصحيح ، فلقد اختلطت الأشياء ، واهتزت المسلمات وتاهت الخطى عن الطريق الصحيح خاصة خلال السبعينات حيث إن الحديث عن "الدور –السياسى" الذى قامت به ومازالت تؤديه الجامعة الأمريكية فى مصر ، حديث يفرض نفسه على كل الوطنيين فى المنطقة العربية باختلاف انتماءاتهم ، ويضعهم جميعاً أمام تحد واضح وخطير

ليس من سبيل لمواجهته غير تقديم البديل وكشف الأخطاء وفتح الملفات القديمة .

إن الجامعة الأمريكية فى مصر والتى عرفناها منذ عشرينات هذه القرون تلعب دوراً تعليمياً ثقافياً هاماً بالنسبة لإحدى الشرائح الاجتماعية فى مصر ، ويوازى هذا الدور ويختلط به عدة أدوار سياسية هامة تزايدت فى أهميتها مع قدوم السادات للسلطة عام 1970 ومازالت تتزايد وتثير العديد من علامات الاستفهام ، والحديث عن الجامعة الأمريكية فى مصر ، والدور السياسى الذى تلعبه يمكننا اكتشافه من خلال عدة محاور ، يطرحها المؤلف للمناقشة ثم يستطلع من خلال التحقيق والحوار أهم الآراء وأكثر موضوعية، من داخل ومن خارج هذه المؤسسة الأجنبية ، توطئة لوضع المخرج والحل الحضارى لهذه القضية .

المحور الأول : ويدور حول الوضع التعليمى داخل الجامعة ، وتحديداً " المناهج " و" الطلاب" و"الأساتذة" ، حيث يلاحظ على المناهج التى تدرس داخل الجامعة وبصفة خاصة المناهج ذات الطبيعة الإنسانية ، الابتعاد الكامل عن القضايا والحقائق المصرية والعربية وانفصالها شبه الكامل عن قضايانا، بل وأغلب هذه المناهج يتم وفقاً للنمط الأمريكى فى التعليم ، مما يساهم بالتبعية فى خلق " أجيال من الطلاب الأمريكيين " لغة وثقافة وقيمياً وسلوكاً على الرغم من أنهم يحملون جنسيات عربية (!!) ويزيد الطين بلة أن أغلب هؤلاء الطلاب – إن لم يكن كلهم– يأتون من طبقات اجتماعية أعلى دائماً ويلاحظ هنا أن المصروفات الرسمية للطالب تصل إلى ألفى دولار سنوياً ! ويأتى التعليم على الطريقة الاستهلاكية الأمريكية ليكرس فيهم هذه الطبقية والتى توظف فيما بعد لخدمة الأهداف السياسية الأمريكية بعيدة المدى وبأساليب ووسائل مختلفة .

ويأتى " الأساتذة " ليكملوا الحلقة ، حيث يتضاءل عدد الأساتذة المصريين بالنسبة للأمريكان وحيث يزداد مزدوجو الجنسية (أمريكى مصرى) وحيث – وهذا هو الأهم – يتزايد مرتب الأستاذ المصرى الذى يعمل بالجامعة ليصل إلى

3 آلاف دولار فى الشهر بينما مرتب الأستاذ فى الجامعة المصرية لا يتعدى 200 جنيه فى الشهر .

ولنتأمل المردودات السياسية والثقافية والاجتماعية المختلفة التى تترتب على هذا الوضع ، وعلى الوضع التعليمى السياسى داخل الجامعة والذى لابد وأن يفضى بالضرورة إلى تبعية محكمة للعقل المصرى داخلها : طالباً ، أو أستاذاً ، ولأنها جزء من التعليم الأجنبى فى مصر، فإنها ، إذاً ، نموذج غريب ذو أبعاد ثقافية وحضارية تتنافى والأصول العامة التى يقدمها النموذج العربى والإسلامى فى مصر .

المحور الثانى : ويدور حول حقيقة البحوث التى تقوم بها الجامعة الأمريكية عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المصرية وهنا تثار العديد من التساؤلات ولن نقول الشبهات والقول للمؤلف ، والتى تتزايد أكثر حين نعلم بصلتها بالإسرائيليين ، ويذكر المؤلف على سبيل المثال فى 23 ديسمبر 82 قام أحد أساتذة الجامعة المصريين وبتصريح علنى من رئيسها الأمريكى باستقدام فريق من الأساتذة الصهاينة لإلقاء عدة محاضرات وندوات عن الصراع العربى/ الصهيونى وإيران ولنتخيل ولنتأمل دلالة هذه الواقعة وأن ما خفى كان أعظم وما خفى يتعلق بمجموعة الأبحاث التى تنم عن مصر وتهب ولا تعلم مصر عنها شيئاً وأقرب الأبحاث إلى هذا ما قام به دكتور "ليونارد بايندر" أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو والمستشار السياسى لجولدا مائير سابقاً وزميل مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأمريكية من بحث حول "الجماعات الإسلامية فى مصر" وأبحاث أخرى عن الاقتصاد المصرى وقام بالاتصال بعدد من المثقفين المصريين وهرب بأبحاثه منذ فترة إلى أمريكا ولا نعلم ولن نعلم عما فعله فى مصر شيئاً والجدير بالذكر أن هذا البروفيسور :يهودى حارب العرب فى 1948 ومتعصب،بالإضافة لأسماء أخرى أوردها المؤلف بكتابه وفى الوثائق المرفقة.

المحور الثالث : ويدور حول صلة الجامعة الأمريكية بالعديد من القوى الوطنية المصرية ، وتحديداً بالمثقفين اليساريين المصريين وبرجال الجيش المصرى .. وهنا مكمن الخطورة الأكبر ، كما يقول المؤلف ، لأن الجامعة الأمريكية تحيط نفسها بستار حديدى من الانغلاق ذى المستويات المتعددة ؛ بدءاً بالأسوار المحيطة بها ومروراً بوظائفها وانتهاء بأهدافها بعيدة المدى ، فإن دورها فى الجيش المصرى ، لايزال صعب الحديث عنه إلا فى إطار المعلومات المتاحة ، والتى تدور حول ما يقوم به قسم " الإدارة العليا " بالجامعة من إعطاء دورات تدريبية للضباط المصريين – رتبة عميد ولواء – وما يقدم لهم أيضاً من دراسات مجانية فى اللغات ، وأيضاً الدرجات العلمية التى تمنح لبعضهم وفى موضوعات إدارية واجتماعية وعسكرية هامة ، ولقد كان لهذا الدور نتائجه السلبية على قطاعات عديدة فى الجيش المصرى خاصة تلك التى تتخصص فى العلوم العسكرية مثل " أكاديمية ناصر العسكرية العليا " ويذكر المؤلف واقعة هامة وهى أن أحد مديرى هذه الأكاديمية قد قام بتطبيق النموذج الأمريكى فى الإدارة والذى حصل على رسالة ماجستير فيه من داخل الجامعة الأمريكية قام بتطبيقه فى أكاديمية ناصر باسم " حسابات القوى الشاملة للدولة " مما أدى إلى خلق جيل من العسكريين يفكر وفق النمط الأمريكى ، وهو الأمر الذى كان له مردودات خطيرة على المستوى السياسى والأمنى والمصالح القومية لمصر .

ويذكر رفعت سيد أحمد أيضاً واقعة أخرى وهى أن أحد المديرين " بكلية الدفاع الوطنى " قد قام عامى 1982/81 بتدريس ما أخذه فى الجامعة الأمريكية على مدار سبع سنوات ، دخل فى هذه الكلية (كلية الدفاع الوطنى) وهى تابعة للجيش المصرى حوالى 380 ضابطاً مصرياً (عقيد فما فوق) ويحذر المؤلف من حجم النتائج التى حدثت ، خاصة وعقلنا العسكرى يتشكل وتتحدد البدائل والخيارات وطرق الإدارة أمامه وفق الطريقة الأمريكية والمصالح الأمريكية!.

المحور الرابع : ويؤكد المؤلف فيه على أن الجامعة الأمريكية ، تقدم نفسها ، كنموذج ثقافى غربى ، له بريقه وله طابعه الخاص ، وله أهدافه بعيدة المدى، ولا يمكن فهم دور هذه المؤسسة الأجنبية فهماً صحيحاً دونما وضعها فى إطارها الصحيح : إطار الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة التى ينبئنا التاريخ ، كما ينبئنا الحاضر بأنها تتناقض جذرياً مع أهداف وأمانى الأمة العربية ، والشواهد عديدة ، مازلنا نعيشها بطول الساحة العربية بدءاً بالعراق ولبنان ومروراً بمصر وانتهاء بليبيا وتشاد ، ولن يحدث التقاء حقيقى بين أهداف الأمة العربية وبين أهداف الولايات المتحدة وهى الحقيقة التى علينا أن نسلم بها ، والتى فى إطارها تأتى الجامعة الأمريكية ، كأداة ثقافية وسياسية تحاول بها الاستراتيجية الأمريكية تحقيق أهدافها ، فى خلق هذا التقارب المفقود .

هذا ولقد قام المؤلف بعمل سلسلة من اللقاءات والحوارات الفكرية مع بعض الأساتذة داخل الجامعة الأمريكية ومن خارجها وكانت أهم هذه الأسماء (من الداخل والخارج) : د. سعد الدين إبراهيم ، د. على الدين هلال ، د. صلاح قنصوه ، أحمد ثابت ، محمد شومان ، د.حامد ربيع وعادل حسين ، نعمة جنينة ، نبيل عبد الفتاح ، د. على ليله ، جمال زهران ، جمال الدين حسين ، عادل هلال ، د. على فهمى ، حسن أبو طالب ، عادل حسين ، موسى جندى. وفى الفصل الثانى من الكتاب يطبق المؤلف الأفكار السابقة رقمياً على أبناء الجامعة الأمريكية مؤكداً على حقيقة أساسية وهى غربتهم عن وطنهم وقضاياه وهمومه ! .

ظاهرة البحوث المشتركة مع الغرب : وعلى امتداد الفصل الثالث يدرس المؤلف أهم الظواهر الاجتماعية والثقافية التى أصابت الحقل العلمي المصرى خلال حقبتى السبعينات والثمانينات، تلك التى أطلق عليها البحوث المشتركة والممولة مع المؤسسات البحثية العربية (الأمريكية منها على وجه الخصوص

والإسرائيلية) وخاصة فى مجال العلوم الاجتماعية وقد قسم الفصل إلى الجزئيات التالية :

أولاً : الفرق بين الاحتكاك الثقافى وبين الاختراق العلمي (مدخل نظرى).

ثانياً : ظاهرة البحوث الأمريكية والأوروبية ونماذج لها .

ثالثاً : سيناريو البحوث المشتركة مع الإسرائيليين .

وفى مجال تحديد الفرق بين الاحتكاك الثقافى وبين الاختراق العلمي : يرى المؤلف أنه إذا جاز لنا استخدام المنهج التاريخى النقدى لمناقشة ما حدث لواقعنا الحضارى العربى خلال المائتى عام الأخيرة من تطوره ، فإن ثمة نتيجة هامة يمكن الانتهاء إليها ، وهى أن عملية الصدام مع الغرب – الثقافى والعسكرى – تكمن خلفها وبانتظام الأسباب الرئيسة لتخلفنا وتشرذمنا السياسى والثقافى ، خاصة عندما تفتقد الأمة إلى الإرادة السياسية المستقلة وإلى القيادات الحاكمة القوية بسياستها ومؤسساتها الاجتماعية ، عندئذ يكون التخلف والتشرذم فقدان القدوة على التحدى أو المواجهة نتيجة ملازمة لأية صدام مع الغرب .

ولنا فى نموذجى محمد على وعبد الناصر ، ونموذجى الخديوى إسماعيل وأنور السادات دلالات موحية ، ففى النماذج الأربعة وفقاً لرأى المؤلف كان التحدى الغربى – الثقافى والعسكرى – وارداً إلا أن الاستجابة له اختلفت من نموذج إلى آخر ، ففى النموذجين الأولين– محمد على وعبد الناصر– كانت المنطقة العربية قوية بمؤسساتها الجديدة وعمليات النهضة والتنمية المستقلة ومن خلال الإدارك الواعى للقيادة بالوظيفة الحضارية التى تقع عليها ، من هنا كانت استجابتهما للتحدى الغربى – مع الفارق التاريخى بالطبع – متشابهة فى صلابتها وقوتها وعدم الرضوخ له وتشكيله للعلاقات مع هذا التحدى وفق المعايير الوطنية والمصالح القومية ، دون تفريط أو افتئات ومن ثم رأى الغرب ضرورة أن يصفى المنطقة من هذه القيادات ، فكانت النهاية الدرامية لمحمد

على فى اتفاقية لندن عام 1840 والنهاية المشابهة لعبد الناصر مع هزيمة 1967 .

والذى حدث كما يقول المؤلف فى نموذجى الخديوى إسماعيل ، وأنور السادات من استقدام الغرب – اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً : يقدم نفسه أيضاً كدليل حى على أنه فى حال غياب القيادة الحضارية الواعية والسياسات والمؤسسات الوطنية المستقلة ، فإن استقدام الغرب يمثل تطوراً طبيعياً فى شكل العلاقات الدولية بين المجتمعات التابعة وتلك المتبوعة ، فالغرب إذن كان دائماً مستعداً ، للصدام معنا ، فقط استعداد التربة السياسية والاجتماعية ، والإطار الحضارى الذى يستقبله ولم يقل أحد من المهاجرين للغرب بأنه ، كان إجمالاً عدوانياً وتوسعياً كما يزعم البعض من الذين تربوا فى مؤسسات الغرب الثقافية فدافعوا عنه بالحق وبالباطل معاً ، وبلا امتلاك لنظرة انتقادية تفرق بين الإنسانى فى السياق الحضارى الغربى اجمالاً وبين " الوافد الغربى " عندما اصطدم بحضارات الشرق فى تطورها الأخير فافترسها ولم يتفاعل معها ، ومارس أسوأ ما فى الغرب تاريخياً عليها ، فتقديرنا للحضارة الغربية فى إضافاتها إلى التطور الإنسانى شيء ، ونقد ممارسات هذه الحضارة مع غيرها ومع الحضارة الغربية على وجه الخصوص ، شيء مختلف تماماً .

من هذا التمهيد يصل للمؤلف إلى نتيجة مؤداها أن انكسار مشاريعنا القومية والاجتماعية ونشوء أنساق جديدة من القيم السياسية والاجتماعية وتدهور عمليات النهوض والتنمية ، ارتبط دائماً بالاحتكاك الغربى ؛ ولعل فى نموذج الانفتاح بشكل مبرمج وبنوايا مسبقة لهزيمة العقل العربى واحتلاله تمهيداً لاحتلال الوطن ما يقوم كدليل حى على ما يقوله الكتاب .

وهنا يثار السؤال : أليس هناك فارق بين الغربى وبين إسرائيل والولايات المتحدة ، حيث يذكر أنه فى دراسة هامة لكلون نورمان منشورة فى مجلة " ساينس الأمريكية بالعدد 325 فى 5 فبراير 1982 ص639 " ، كشف بالأرقام الدور

التاريخى الذى تلعبه وكالة التنمية الأمريكية منذ بداية التطبيع بين مصر وإسرائيل فى مجال الربط والدعم المادى بين علماء مصر وإسرائيل وأنها فى عامين فقط دعمت المشاريع المشتركة بين علماء مصر وإسرائيل فى مجال الزراعة والبحث العلمي بـ 15 مليون دولار من خلال ثلاثة مشاريع كبرى .

هذا بالإضافة إلى الدور الهام كما يذكر المؤلف الذى تقوم به الجامعة الأمريكية فى بيروت والقاهرة ومؤسسات فورد فونديشن الأمريكية ، وراندا، وهيئة المعونة الأمريكية ومعهد الـ"إم أى تى الأمريكى" ، والمركز الثقافى بالقاهرة ومراكز البحوث الأمريكية فى بلدان المشرق العربى وأيضاً ما تقوم به المؤسسات الأوروبية الكبرى مثل فريدرش إيبرت – وفريدرش نومن الألمانيتين من ربط بين العلماء اليهود والعلماء العرب تحت دعوى التعاون العلمي والبحوث المشتركة والممولة ، من هنا فإن العلاقة وطيدة بين الاحتكاك العلمي الغربى بالمنطقة العربية وبين الدور الصهيونى واليهودى بداخلها خاصة فى تلك المجتمعات التى تغيب فيها رقابة الدولة القطرية على سياسات البحوث المشتركة وتترك للعشوائية الفردية والتى ازدهرت فى السبعينات ، ولعل فى دراسة " النموذج المصرى " فى الاختراق العلمي ، ما قد يفيد سواء فى إظهار حجم الخطر القادم ، أو فى التدليل عليه ، وعلى الدور المشبوه الذى تلعبه المؤسسات البحثية التى ازدهرت فى زمن الانفتاح الاستهلاكى على الغرب فى عهد الرئيس أنور السادات على وجه التحديد – ما يقوم كدليل قوى على ما يقول المؤلف .

ومن هنا أيضاً كان إدراك الغرب لأهمية فهم المجتمعات التى يقاتلها أو يتعامل معها ، وحتى لا تطول فترات التمهيد للاستغلال الاقتصادى العسكرى والسياسى ولعله ليس من قبيل الصدفة " والرأى للمؤلف" أن يسبق افتراس مصر من قبل الاحتلال البريطانى عام 1882 ، قيام الحملة الفرنسية فى بداية القرن التاسع عشر بوضع مؤلف " وصف مصر " الذى مثل الأداة المرجعية

لكل عمليات النهب الاقتصادى والاجتماعى الذى عاشته مصر طيلة الفترة السابقة على ثورة 1952، وعليه عرفنا طوال المائتى عام الأخيرة من تطور الأمة العربية ، أنه يسبق الاحتلال العسكرى الغربى دائماً محاولات فهم واختراق لعقل الأمة من خلال نشاط العلماء والمؤسسات العلمية العربية ، أى أن "احتلال الوطن" كان يسبقه بانتظام – وكأنه قانون ثابت لتطور مجتمعنا العربى خلال تلك الفترة – احتلال " العقل العربى " .

ومن ثم يصل المؤلف إلى نتيجة هامة تتفق معه وهى (إن ما يسمى الاحتكاك العلمي بالغرب اليوم مع مؤسسات وهيئات البحث العلمي فى الوطن العربى، يخفى أغراضاً سياسية مبرمجة تهدف إلى احتلال العقل العربى أولاً تمهيداً لاحتلال الوطن ثانياً) ، ليس معنى هذا أن هذه النتيجة تنسحب على كل أشكال الاحتكاك العلمي مع الغربى ، إن هذا يكون فى تصورنا حكماً منافياً للواقع ، لأن ما يتم وفق خطط قومية وبرامج وسياسات مدروسة داخل بعض الأقطار العربية ، لا مؤاخذة عليه طالما أدرك خطط ووعى حجم وأبعاد هذا الاحتكاك ، إلا أن ما ندينه وننبه إليه هو ذلك "النوع العشوائى" من الاحتكاك العلمي مع الغرب ، والذى يخفى خلفه سياسات متضاربة ومصالح ضيقة لدى بعض الأفراد أو الهيئات ، والتى يستثمرها بوعى الغرب وتحديداً (الولايات المتحدة ، ومن ثم إسرائيل) خير استثمار ، فيتغلغل فى صمت ويتقدم وهو الأمر غير المستغرب كما يقول الكتاب فى ظل سيطرة المخابرات الأمريكية والغربية على نشاط الجامعات والأساتذة والفكر بداخل أوطانهم ، وفى ظل العلاقات الخاصة بين هذه المخابرات ، والمخابرات الإسرائيلية " الموساد " أى أننا أمام " شبكة متسقة الأدوار" واعية بما تفعل ، ومدركة لمصالحها وأولويات معاركها مع منطقتنا وهى الحقيقة الغائبة حتى الآن عند الذين يعملون بإخلاص مع الهيئات البحثية الغربية سالفة الذكر ، ولايزالون يسوقون حججاً

ساذجة تقول بالتعاون والاحتكاك واكتساب الخبرة وغير ذلك من المقولات التى تثبت خطأها بل وخطرها .

خريطة جديدة لمناطق الاختراق : ويقدم المؤلف كشفاً تفصيلاً وهاماً عن أهم المؤسسات الأجنبية التى تعمل فى مصر والجهات المصرية التى تتعاون معها وتفاصيل هذه الأنشطة والأبحاث والتى تدور فى مجملها حول أحشاء المجتمع المصرى سياسياً وثقافياً واجتماعياً ويحدد نماذج لهذه الهيئات فى الفروع الثلاثة التالية :

أولاً : المؤسسات الأمريكية التى تمثل ستاراً للنشاط الصهيونى (داخل مصر وفى المنطقة العربية):

1 – الجامعة الأمريكية بالقاهرة وبيروت .

2 – مؤسسة راندا الأمريكية .

3 – المركز الثقافى الأمريكى .

4 – مركز البحوث الأمريكى بشارع قصر الدوبارة – القاهرة .

5 – مؤسسة فورد فونديشن .

6 – هيئة المعونة الأمريكية .

7 – معهد ماساشوستس وفرعه بالقاهرة – معهد الـ أم – أى – ت (بمبنى جامعة القاهرة).

8 – مؤسسة روكفلر للأبحاث .

9 – مؤسسة كارينجى .

10 – معهد دراسات الشرق الأدنى الأمريكى .

11 – معهد التربية الدولية والمتخصص فى منح السلام .

12 – معهد بروكنجز .

13 – معهد المشروع الأمريكى .

14 – الأكاديمية الدولية لبحوث السلام .

15 – مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة (جورج تاون) .

ثانياً : المؤسسات الإسرائيلية (الوجه المباشر فى مصر) :

1 – السفارة الإسرائيلية فى مصر .

2 – المركز الأكاديمى الإسرائيلى .

3 – زيارات الأساتذة من اليهود الأمريكان إلى جامعات مصر والوطن العربى كنموذج لهذا (ليونارد بايندر).

ثالثاً : المؤسسات المصرية التى تتعامل مع الجهات الغربية :

1 – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، والذى يتعامل مباشرة مع (فورد فونديشن) معهد برونكنجز – معهد المشروع الأمريكى – جورج تاون – الأكاديمية الدولية لبحوث السلام بالإضافة للمؤسسات الألمانية مثل (فريدرتش إيبرت – فريدرش نومن) ، وهناك مراكز أبحاث أخرى ولكنها محدودة النشاط ، وغالباً ما يتم نشاطها من خلال خطة قومية للدولة .

2 – بعض الأساتذة بكليات الإعلام – والعلوم السياسية – العلوم – والصيدلة – الآداب – بجامعة القاهرة وجامعات الزقازيق وعين شمس – والاسكندرية والمنصورة والأزهر .

3 – بعض المؤسسات الصحفية العريقة كالأخبار والأهرام بالإضافة لمعهد التخطيط القومى.

4 – وحدة العلاقات الخارجية بالمجلس الأعلى للجامعات المصرية والذى أسس منذ خمس سنوات مشروعاً ضخماً بعنوان (مشروع ترابط الجامعات المصرية والأمريكية ويشرف عليه الدكتور / مصطفى كامل الأستاذ بجامعة القاهرة – كلية العلوم) .

ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك للحديث التفصيلى عن سيناريو البحوث المشتركة مع العلماء الإسرائيليين مؤكداً أن أغلبهم قد تربى فى مؤسسات " الموساد "

الإسرائيلية وكنموذج لنشاطهم يذكر المؤلف عن المركز الأكاديمى الإسرائيلى ما يلى :

أنشىء هذا المركز عام 1982 ، تطبيقاً لبنود اتفاقات كامب ديفيد ولقد مارس عملية مسح منظمة للمجتمع المصرى اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ، ولعب مديره السابق / شيمون شامير ومديره الحالى جبرائيل واربورج دوراً هاماً فى إختراق مصر .

ولم يكن غريباً أن يتم اكتشاف شبكة تجسس من الأمريكيين والإسرائيليين وبعض المصريين ممن يعملون داخل المركز وينطلقون فى تجسسهم من خلاله وذلك فى أوائل أغسطس 1985 ونظرة سريعة على الأبحاث السياسية والثقافية والاجتماعية التى قام بها المركز منذ إنشائه حتى اليوم تبرز لنا وبوضوح عمق الخطر الذى يمثله كأداة متقدمة للمخابرات الإسرائيلية "الموساد" وكيف أن ما يقوم به هذا المركز من تصدير علمى واختراق منظم للعقل المصرى ما هو إلا مثال مصغر لما ينتظر العقل العربى فى حالة غياب وحدة العمل العربى المشترك تجاه التغلغل الإسرائيلى ، فالمركز مثلاً يبحث فى الأصول العرقية للمجتمع المصرى وفى كيفية تفتيت مصر طائفياً، وفى الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام ، وفى الشعر العربى الحديث وقضايا التعليم والزراعة والميكنة الزراعية واستصلاح الأراضى وفى توزيع الدخل وحياة البدو والبربر ، وكيفية السيطرة عليها وفى تأثير السلام على العقل العربى وغيرها من الأبحاث الهامة التى أرفق المؤلف فى نهاية كتابه قائمة تفصيلية بها .

ويذكر المؤلف فى هذا الفصل أيضاً بالأسماء والتواريخ أحداث التطبيع الثقافى مع إسرائيل ودور أسماء بارزة مثل : أنيس منصور ود. مصطفى خليل ود. عبد العظيم رمضان ود.محمود محفوظ ومحمد شعلان وغيرهم ، فى هذه الجريمة ، ثم ينهى كتابه الهام باقتراح بحل قومى لمواجهة هذا الاختراق يمر عبر ثلاث مراحل :

المرحلــة الأولــى : أن يفـتح حـوار واسـع بأشـكال مختلفـة بـين كـل المثقفـين الوطنيين فوق الصفحات وفى الندوات واللقاءات الفكرية والسياسية المختلفة ، حول أبعاد وتطورات وأساليب مواجهة هذه الظاهرة ، معنى هذا أن يستمر هذا الملف مفتوحاً لكل الوطنيين على كل صفحات جرائدنا وأن تقاطع المؤسسات والأفراد الذين ثبت تورطهم – عن قصد – فى هذه البحوث .

المرحلـة الثانيـة : أن تشكل لجنة قومية واسعة ، تضم كبار خبراء مصر فى مجال البحوث العلمية ورجال القانون والقضاء والجامعة وشخصيات ممثلة للأحزاب المصرية على اختلافها بما فى ذلك الحزب الوطنى ، هدفها تقصى الحقائق والبحث عن مواجهة حقيقية حول أخطر قضايا مجتمعنا العلمية والسياسية ، وأن تنشر نتائجها على الرأى العام المصرى والعربى بهدف خلق رأى عام عربى قادر على مواجهة المنحرفين وطنياً والقادرين على الخيانة فى أى وقت .

أما المرحلـة الثالثـة : فهى أن تتحرك أجهزة الدولة المختلفة وبالأخص وزارات البحث العلمي والخارجية والجهاز المركزى للمحاسبات والتعليم وأكاديمية البحث العلمي ومجلس الشعب المصرى لمواجهة هذه الظاهرة مواجهة عملية ، وتقنين الضوابط ووضع الحدود والقيود على نشاط الهيئات الأجنبية ، وبهدف تحجيم أضرار الظاهرة ، ظاهرة البحوث المشتركة والممولة ، بالإضافة لتنشيط دور مراكز البحوث القومية " الوطنية " التى لم تلوث بعد .

هذا ويعد الكتاب على الرغم من إيجازه الشديد مدخلاً طيباً لمناقشة ومواجهة واحدة من أهم قضايا استقلالنا الحضارى والسياسى ، نأمل أن يستتبعه أعمال أخرى .

نشر فى (مجلة المنار – باريس – عدد أبريل 1986)

(2) فى دائرة الضوء

كتاب (اختراق العقل المصرى بين المنهج والضرورة)

تأليف : رفعت سيد أحمد

عرض وتعليق : محسن خضر(*)

يثير هذا الكتاب أكثر من قضية ، فلقد حاول مؤلفه الجاد أن يلقى الضوء على جانب هام من القضايا الملحة التى تمس الحياة الثقافية المصرية فى واحدة من أخطر المراحل الزمنية للمجتمع المصرى ، وهى مرحلة ما بعد كامب ديفيد .. ومنذ كتاب محسن عوض (خمس سنوات من التطبيع) ومروراً بعشرات المؤتمرات والندوات والإصدارات التى شكلت مراكز للمقاومة ضد الاختراق الصهيونى للثقافة المصرية بعد توقيع الصلح مع إسرائيل ، ووصولاً إلى كتاب عادل حسين الأخير (التطبيع) نستطيع أن نحدد موضع كتاب (اختراق العقل المصرى – الجامعة الأمريكية والبحوث المشتركة بمصر ، دراسة ووثائق) والصادر مؤخراً فى 1100 صفحة من القطع المتوسط ، وإن لم نستطع أن نستدل على جهة الإصدار من فوق صفحات الكتاب !! يهدى المؤلف كتابه إلى (الذين لم يسقطوا بعد من مثقفى مصر وباحثيها) وهو ما يعكس التوجه الوطنى للكاتب ، وخاصة وهو يتصدى لموضوع ملىء بالأشواك ويتصل بحقيقة الاتهام بالتبعية ، والغزو الثقافى الغربى لمصر من خلال ظاهرة البحوث المشتركة أو الممولة ، وظاهرة التواجد الأمريكى المؤسس (الجامعة الأمريكية كنموذج) .

وينقسم الكتاب إلى الفصول الآتية :

– مصر فى الاستراتيجية الأمريكية .

– الاتجاهات السياسية لأبناء الصفوة فى مصر (دراسة ميدانية على طلاب الجامعة الأمريكية).

* قسم أصول التربية – تربية عين شمس

– البحوث المشتركة فى مصر .

ويذيل هذه الفصول بعدة وثائق ، تعتبر أهم أقسام الكتاب من وجهة نظرنا .. فالوثيقة الأولى عن المؤسسات الأمريكية التى تمثل ستاراً للنشاط الصهيونى داخل مصر وفى المنطقة العربية، والوثيقة الثانية نماذج من الأبحاث السرية التى أجراها مركز البحوث الأمريكى الموجود فى قصر الدوبارة ، والوثيقة الثالثة والوثيقة الرابعة عن مشروع ترابط الجامعات المصرية والأمريكية ، والوثيقة الخامسة مقال لصلاح جلال نقيب الصحفيين ورد المؤلف عليه . والوثيقة السادسة نتيجة بحث عن الهوية القومية لطلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة . والوثيقة السابعة عن بعض الأسماء التى تتعاون مع الجامعة الأمريكية واليهود ، والوثيقة الثامنة قائمة بالأبحاث التى أجراها المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى مصر بين عامى (82–1985).

* الفصل الأول : عن موقع مصر فى الاستراتيجية الأمريكية من خلال دور الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، يلاحظ أنه كتب على عجل ، ففي خلال عشرين صفحة يتعرض المؤلف للاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر من منظور تاريخى ولكنه منظور مبتور .. وهو يحدد أهداف الاستراتيجية الأمريكية تجاه مصر فى الأهداف الآتية :

– ضرورة استمالة مصر وضمان تبعيتها لحماية الأمن القومى الإسرائيلى والأمريكى .

– إيصال مصر إلى أن تصبح ركناً فاعلاً فى (الإجماع الاستراتيجى) لدول المنطقة تجاه (الخطر السوفيتى) .

– إسقاط وتفريغ دور (الدولة القائد) عن مصر فى المنطقة لتصبح (الدولة التابع) .

– خلق التبعية وفرض الهيمنة المعنوية والحضارية على المجتمع المصرى .

هذا عن أهداف الاستراتيجية الأمريكية ، أما عن الوسائل فتتلخص فى الآتى:

– الوسائل الاقتصادية : من خلال سياسات الانفتاح الاقتصادى ، والمعونة الأمريكية ، والقروض طويلة وقصيرة الأمد ، والمنح التى لا ترد .
– الوسائل السياسية : من خلال زعزعة مفهوم الولاء الوطنى أو الوحدة الوطنية ، وتدعيم الولاء الطائفى بالمقابل ، أو من خلال الضغوط الدولية أو لدى الأصدقاء الأوروبيين .
– الوسائل العسكرية : من خلال توريد الأسلحة الأمريكية المتخلفة لمصر ، ومن خلال إعطاء الأمريكية تسهيلات وقواعد عسكرية فى مصر .
– الوسائل الثقافية : وتشمل الإعلام والتبادل الثقافى والبرامج العلمية وفى حين يتعرض المؤلف لتطور النشاط الثقافى الأمريكي فى المنطقة (صفحة 22 – صفحة 26) إلا أنه تجاهل الحقبة الناصرية ، فحين ركز على مرحلة ما قبل ثورة 23 يوليه وما بعد رحيل عبد الناصر، فإنه يتناول ذلك النشاط فى الخمسينيات والستينيات ، وخاصة أن هذا الدور لم يخفت تماماً بدليل تنامى نشاط مؤسسة فرانكلين والتى قدمت الفكر البرجماتى وعملت على نشره بمساعدة بعض الأكاديميين ، والغريب أن ذلك النشاط واكب فترة التحول الاشتراكى فى مصر ! .

وفى هذا الفصل الذى يشكل الإطار النظرى للدراسة يتعرض المؤلف للوضع التعليمى داخل الجامعة الأمريكية .. وتكوين أعضاء هيئة التدريس للجامعة ، وعلى البحوث التى تقوم بها الجامعة فى المجتمع المصرى ، وحول صلة الجامعة الأمريكية بالعديد من القوى الوطنية المصرية وخاصة المثقفين اليساريين ورجال الجيش المصرى ، ولكنه أسقط من التحليل مدى خدمة المناهج لتلك الأهداف ، ولم يكلف نفسه عناء تحليل ودراسة تلك المناهج لكى نبين إلى أى حد صحة الحكم الذى أطلقه على مناهج الجامعة ، والتى تتميز بالابتعاد الكامل عن القضايا والحقائق المصرية والعربية وانفصالها الكامل عن قضايانا) ص28 .. وهو خلل ملحوظ فى الدراسة ، اعتمد الكاتب – فى

الأساس – فى تحليله لدور الجامعة الأمريكية على عدة مقابلات كان قد أجراها على صفحات جريدة (الشعب) مع بعض المثقفين المصريين ومنهم : سعد الدين إبراهيم ، وعادل حسين ، وعلى الدين هلال ، وحامد ربيع ، وعلى فهمى، وصلاح قنصوه وغيرهم .. إلا أنه فى الدراسة لم يأت إلا بالمقابلة التى أجراها مع الكاتب الاقتصادى المعروف عادل حسين .. وإذا كانت المقابلة من أدوات المنهج الوصفى العلمي إلا أن اقتصاره على رؤية مفكر واحد يقلل من فاعلية هذه الأداة المستخدمة .. وكان بالأحرى أن يتعرض لأكثر من مقابلة ويعمل على تحليلها .

* وفى الفصل الثانى : (الاتجاهات السياسية لأبناء الصفوة فى مصر ، دراسة ميدانية على طلاب الجامعة الأمريكية) استعان الباحث بدراسة منشورة فى مجلة (ميدل إيست جورنال) عن (أبناء الصفوة ، الاتجاهات السياسية لأبناء الصفوة المغتربة فى مصر المعاصرة) والتى أعدها البروفيسور ريموند هينبش أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة والأستاذ الحالى بجامعة مينستا الأمريكية .. وقبل أن نورد بعض نتائج البحث ، والذى يكشف إلى حد كبير عن طبيعة تفكير وانتماءات الجامعة فى مصر ، يجب أن نشير إلى تقاعس المؤلف عن تحليل نتائج تلك الدراسة ، وربطها بمنهجه النظرى من ناحية ، وبالتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مصر بعد مرحلة الانفتاح .. وهو ما كان يجب أن يتنبه إليه الباحث رفعت سيد أحمد والحاصل على الماجستير فى الاقتصاد والعلوم السياسية عن (الدين فى الفكر الناصرى) .

ومن المفيد أن نورد بعض نتائج دراسة (الميدل إيست جورنال) لنتبين بعض اتجاهات طلاب الجامعة الأمريكية باعتبارهم من أبناء الصفوة فى مصر المعاصرة .. وخاصة أنهم ينتمون إلى طبقات الحكم والنشاط الاقتصادى.

وهـى تكشـف – إلـى حـد بعيد – عـن مـدى الاغتـراب الـذى وصـل إليـه هـؤلاء الطـلاب وابتعـادهم عـن قـيم وواقـع المجتمـع المصـرى ، وعـن اهتـزاز انتمـائهم للمجتمع .. فكيف يفكر أبناء النخبة البرجوازية المصرية ؟ .

– فعن الهوية السياسية للمجتمع كانت النتيجة : (مصرى 70%،عربى 11%، مسلم 10%).

– وعـن البلـد الـذى يختـار جنسـيته لـو أعطيـت لـه الحريـة ، كانـت النتيجـة : (مصر 74%، أمريكا 35% ، العالم العربى 6%).

– وبسؤالهم هل مصر تنتمى إلى العالم العربى أجاب بالرفض 29% منهم .

– وعـن العمـل بعـد التخـرج رفض 66% العمـل داخـل مصـر ، وفضـلوا العمـل خارجها والذين قبلوا العمل داخلها 13% فقط وبشروط معينة .

– ووافق63%من أفراد العينة على زيارة السادات للقدس ووصفوها بأنها رائعة .

– وعن رأيهم فى أن تساعد مصر الفلسطينيين دبلوماسياً فقط وافق 55% .

– ويرى 24% علـى أن مصـر يجـب أن تسـتغنى عـن العـرب ، وعـارض 33% ، والذين كانت إجاباتهم خليطاً من الموقفين 37% .

– وعـن الموقـف مـن القـوى العظمـى ، أيـد 1% العلاقـات القويـة مـع الـروس ، وأيد 50% العلاقات القوية مع أمريكا ، و42% أيدوا عدم الانحياز .

– ويرى 8% من العينة أن عبد الناصر زعيم عربى حقق لمصر والعالم العربى الكرامة القوية ، فى حين اعتبره 38% أنه قد خرب مصر تماماً .

– وعـن الأحـزاب ، أيـد حـزب العمـل 1% ، والحـزب الـوطنى 30% ، والوفـد 14% ، والشيوعيين 2% والناصريين 4% ، واليمين 43% ووافق 35% علـى أن تقوية الإسلام ستحل مشاكل مصر ، وعارض 57% .

– النظـام الاقتصـادى ، أيـد 13% تقويـة القطـاع العـام والقضـاء علـى الانفتـاح وأيـد 49% سياسـة الانفتـاح الاقتصـادى والحـد مـن دور القطـاع العـام ،

والمطالبون بالمزيد من الرأسمالية 56% والمزيد من الانفتاح 50% والاشتراكية 8% .

– وعن ترتيبهم لزعماء مصر التاريخيين جاء سعد زغلول ومصطفى كامل وأنور السادات فى المقدمة وأتى عبد الناصر ومصطفى النحاس وحسن البنا فى المؤخرة .

* أما الفصل الثالث فعن البحوث المشتركة فى مصر ، وفرق فيه الباحث بين الاحتكاك الثقافى والاختراق العلمي .. ويرى الباحث أن انكسار مشاريعنا القومية والاجتماعية ونشوء أنساق جديدة من القيم السياسية والاجتماعية وتدهور عمليات النهوض والتنمية ، ارتبط دائماً بالاحتكاك الغربى كما فى نموذج الانفتاح الاستهلاكى على الغرب فى عهد السادات (ص 52) كما يعى الكاتب للعلاقة الوطيدة بين الاحتكاك العلمي الغربى بالمنطقة العربية وبين الدور الصهيونى واليهودى بداخله ، وهو ما كنا نود أن يلقى المزيد من الضوء عليه ، وإن كان قد ركز الاهتمام على دور المؤسسات الأمريكية فى الاختراق العلمي لحياتنا الثقافية ، ومن أخطر مؤسسات التجسس العلمي الأمريكى – كما يكشف المؤلف – مؤسسة (فورد فونديشن) ص59 .. وإلى جانبها مؤسسات M.I.T و(ألميسا) و(اليوسيكا) وهيئة المعونة الأمريكية ، ومعهد التربية الدولى ، وفيلق السلام ، (راجع أسماء المؤسسات الأمريكية التى تمثل ستاراً للنشاط الصهيونى داخل مصر فى الوثيقة الأولى من ملاحق الكتاب ص83 ، 84) ومعهد ماساشوستس للتكنولوجيا والذى يقع مركزه داخل جامعة القاهرة كما يكشف الكاتب عن بعض أنشطة (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) بالقاهرة وبعض بحوثه التى أجراها فى مصر، (راجع قائمة بأسماء تلك البحوث فى ملاحق الكتاب ص105–110) ويكشف الكاتب عن أسماء بعض العاملين من الخارج مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومنهم ليونارد بايندر ، وسامى زبيدة

، ومالكوم كير ، وأريه ليفى ، وريتشارد ميشيل ، وشارل عيسى (ولهم اتصالات مشبوهة وصلات بالموساد والمخابرات الأمريكية) .

* ولقد حاول الباحث رفعت سيد أحمد أن يقدم عملاً فكرياً وطنياً يحسب له فى التصدى لمحاولات اختراق الثقافة المصرية ، والكشف عن جوانب هذه العملية ، وفضح أدوار البعض، والتحذير من عمليات ومشروعات وأسماء تكالبت على المجتمع المصرى ، وعلى ثقافته، ومثقفيه ، وعقله فى فترة مظلمة من تاريخ مصر ، وحاول أن يلقى الضوء على بعض خيوط شبكة معقدة تمثل هجمة شرسة لتحييد وتفريغ الدور المصرى القائد وعزله عن دوره الطبيعى والتاريخى فى الوطن العربى ، وتحاول التشكيك فى عروبة مصر وانتمائها القومى ، وتركز على ربط مصر سياسياً وثقافياً بالكيان الصهيونى .. وبرغم ضرورة هذا الكتاب ، وأهميته ، إلا أن الباحث وقع فى أخطاء منهجية ، تعرضنا لبعضها ، وأغفلنا البعض الآخر ، أوصلت الكتاب فى بعض أجزائه إلى مجرد التجميع والأسلوب الصحفى ، إذا ما حللناه من منظور بحثى خالص ، ومع ذلك تبقى للكتاب قيمته فى تعريف جمهور القراء بهذا الجانب الخطير من ثقافتنا المعاصرة ، والذى يستهدف إخضاعها واختراقها بالتعاون بين الأصابع الصهيونية والأمريكية ، وهو ما يحسب للباحث من فضل قبل كل شىء ، وعندما يتم فرز هذا الخلط فى مواقف القوى الوطنية المناضلة من أجل استقلال مصر وحريتها سوف يكون لهذا الكتاب مكانة مضيئة بينها تناسب دوافعه الوطنية وجهده العلمي .

نشر فى (مجلة التربية المعاصرة / العدد الثالث / 1986)

(3) احتلال العقل

بقلم / صبرى حافظ

علماء وجواسيس

دراسة : رفعت سيد أحمد

رياض الريس للكتب والنشر – لندن **1991**

لابد أن المواجهة التى تدور الآن عند البوابة الشرقية للأمة العربية ، ستترك آثارها الكبيرة على الواقع العربى فى السنوات القادمة ، وستحث الثقافة العربية على مراجعة الكثير من الأفكار والقناعات الشائهة التى ترسخت فى واقعنا العربى ، منذ عقد السبعينات الكئيب ، وتفتح الأبواب على مصاريعها، لإعادة نظر جذرية فى الكثير من المسلمات الفكرية والسياسية التى تسللت إلى التفكير العربى ،فى غيبة الوعى بطبيعة المعركة التى دارت على هذه المنطقة منذ اكتمال هزيمة 1967 بعد عشر سنوات من وقوعها بزيارة السادات المشؤومة للقدس . وما جرى بعدها مما عرف خطأ بمرحلة السلام مع العدو الصهيونى ، والذى تكشف لنا وقائع الجولة الراهنة فى الحرب بين الأمة العربية وكل أعدائها التقليديين بزعامة الولايات المتحدة عن أنها لم تكن مرحلة سلام ولا حتى هدنة ، وإنما مرحلة إعداد محموم لجولة الإجهاز على الحلم العربى والرؤية العربية ، ولكن بعد أن استبدلت شكل المواجهة السافرة بأشكال وصياغات متعددة من المواجهات المستترة ، وبعد أن استعدت لعملية تعريب النزاع بين الأمة العربية وأعدائها ، وذلك بالتسلل برؤى العدو إلى داخل الذات واحتلال عقلها والتمترس فى عقر تصوراتها وقناعاتها ، فلولا هذا لما أمكن أن يصل التردى إلى ما وصل إليه من تدهور نجد معه أن قطاعات عريضة من الذات العربية لا تقف فحسب فى خندق أعدائها ، وإنما تحارب كذلك فى صفوفه ، وضد أبناء أمتها وقد أعماها تغلغل سموم العدو فى بؤر العقل المغيب السليب عن رؤية ما تقترفه فى حق ذاتها وفى حق مستقبلها من جرائم .

لهذا يكتسب كتاب الدكتور رفعت سيد أحمد (علماء وجواسيس : التغلغل الأمريكى / الإسرائيلى فى مصر) أهمية بالغة ؛ لأنه يكشف لنا بشكل تفصيلى عملية احتلال أعداء الأمة العربية لعقلها ، وتغلغلهم فى رؤى ذاتها والاستيلاء على هذه الرؤية من الداخل بغية إخضاعها وتشويهها ، وينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول أولها : هو التغلغل الثقافى الأمريكى فى مصر : الاستراتيجية والوسائل ، وثانيها عن الجامعة الأمريكية فى مصر : جواسيس فى ثياب علماء ، والثالث بعنوان " تحت الغطاء الأمريكى : إسرائيل تتغلغل رويداً" ومن البداية نلاحظ أن هذا التقسيم ذاته للموضوع ينطوى على فهم ناضج لحقيقة العلاقة بين أمريكا والعدو الصهيونى ، وللترابط العضوى بينهما بحيث يبدو أحدهما امتداداً للآخر ، وتجلياً من تجلياته الحربائية المتعددة ، وفى هذا الفهم يحتل الأصل ، وهو الولايات المتحدة ، ضعف حيز الاهتمام الموجه للفرع ، وهو دولة الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، وهذا أمر طبيعى بل ومطلوب ، فالولايات المتحدة ، كما كشف لنا تاريخها الطويل فى حماية عدونا الصهيونى ، وتمويله وتسليحه وتشجيعه على الغطرسة وازدرائه الدائم للحق العربى ، وكما برهنت تصرفاتها البربرية فى حربها العدوانية البشعة ضد العراق وشعبه العربى ، هى العدو الأول لمطامح أمتنا فى التطور ، وهى التى قادت عملية تحطيم مشروع مصر عبد الناصر ، بعد أن تكفلت بريطانيا بتدمير مشروع مصر محمد على ثم مشروع مصر إسماعيل . وهى أيضاً التى قادت عملية اعتراف نظام السادات الخائن بالكيان الصهيونى وتوطئة مصر له ولها من قبله ومن بعده .

ولن أعرض هنا لفصول هذا الكتاب الثلاثة الرئيسة ، فالكتاب متاح لمن يريد أن يقرأه ، ولابد أن يقرأه كل من يريد معرفة التفاصيل والمعلومات الصانعة لعملية الاحتلال الأمريكى البغيض للعقل المصرى والعربى من ورائه ، ولكنى سأتناول بعض القضايا التى ينطوى عليها أو يثيرها ، وعدداً آخر من القضايا

التى يتكامل بها موضوع الكتاب ويزداد تأثيراً فى الواقع الذى يتوجه إليه ويطمح إلى الفاعلية بين قرائه ، وقد كان من الطبيعى أن يتناول الكتاب استراتيجيات التغلغل الثقافى الأمريكى فى مصر ووسائله ، فبرغم أن الكتاب ينحصر فى حالة مصر ، فإنه يطمح إلى أن ينطبق على الأمة العربية برمتها، ليس فقط لأن مصر هى قاطرة الأمة العربية ، التى تشد وراءها حيثما توجهت وبحكم ثقلها السكانى والتاريخى الكثير من الدول المحيطة بها ، حتى ولو عارضتها ، ولكن أيضاً لأن الكتاب كأية دراسة جيدة لحالة ، يخرج بنتائج قابلة للتطبيق على حالات كثيرة مماثلة ، فتعريب نموذج التغلغل الأمريكى البشع من خلال تطبيقاته فى مصر ، لا يؤثر فحسب على المناطق العربية الأخرى بسبب تداخل المصائر وترابطها ، ولكنه يساهم فى تمرير المشروع المشبوه برمته ، لأن المنطق يقول : إنه إذا ما استساغته مصر بحجمها وتاريخها ومكانتها ، فإن من العسير على الأقطار الأصغر مقاومته ، وإن كانت التواريخ المعاصرة تؤكد لنا أن الأقطار الأصغر تستطيع بالوعى أن تمنح مقاومات أشد . لكن هذه قضية أخرى كما يقولون ، علينا تجنبها للتعرف على أهداف التغلغل ووسائله ، وأهداف التغلغل الأمريكى يمكن تلخيصها فى تلك الغاية القديمة الجديدة التى قال بها نابليون قبل أكثر من مئتى عام وهى : إن من يريد أن يسيطر على العالم لابد وأن يسيطر على مصر ، فمصر هى أهم بلد فى العالم ، هذا ما قاله نابليون ، وما وضعه كرومر من بعده فى صدر كتابه عن مصر ، وما تسعى أمريكا لتحقيقه منذ ورثت صولجان السيطرة الاستعمارية على العالم من بريطانيا .

هذه الغاية التاريخية لكل من يستهدفون المنطقة يقسمها الكتاب إلى أربعة أهداف هى : تقليم أظافر مصر حماية لأمن الكيان الصهيونى ، ودمج مصر فى عملية الإجماع الاستراتيجى على أن الخطر الداهم على المنطقة ليس لأمريكا ، ولا حتى الكيان الصهيونى الذى احتل فلسطين ودأب على اقتطاع

أجزاء من الأرض العربية بانتظام ، وإنما هو الاتحاد السوفيتى الذى يشكل خطراً على المصالح الأمريكية بالمنطقة ، وثالثها وأخطرها جميعاً هو تفريغ مصر من القيادات المستقلة ، ومن فكرة الإرادة المستقلة ذاتها ، ولتحقيق هذا الهدف يجىء الهدف الرابع ، وهو فى الواقع بُعد من أبعاد هذا الهدف الثالث أو نتيجة من نتائجه ، وهو خلق التبعية وفرص الهيمنة ، لأنه ما إن تفرغ عقل أمة من مفاهيم الإرادة المستقلة حتى تتحول تلقائياً إلى العمالة والخضوع والتبعية ، وهذه الأهداف الأربعة هى فى الواقع أربعة تجليات من التجليات العديدة لتلك الغاية الأساسية القديمة الجديدة التى كانت تتحقق فى الماضى باحتلال مصر عسكرياً ، فبات من الضرورى تحقيقها الآن بوسائل جديدة اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية ، ويتناول الكتاب هذه الوسائل المختلفة برغم تشابكها وتكاملها فى أقسام مستقلة من هذا الفصل ، وقد كان من الضرورى الاهتمام بتداخل الأهداف وتراكبها قدر اهتمامه بتوافق الوسائل وتفاعلها ، فكل أهداف التغلغل الأمريكى ، أو التجليات المختلفة لتلك الغاية الاستعمارية القديمة ، ترمى إلى السيطرة الكاملة على مصر وإخضاعها للعمل بفاعلية ضمن إطار شبكة المصالح والتصورات الأمريكية للعالم ولدور المنطقة فيهما : أى فى العالم وفى التصورات الأمريكية معاً .

وإخضاع الذات القومية لتصورات الآخر ومصالحه هو هدف كل مشروع استعمارى ، ولهذا كان من الطبيعى أن يزعم الاستعمار القديم أن مهمته هى تمدين الشعوب التى يستعمرها . وهو أمر كثيراً ما قوبل بـ الاستخفاف ؛ لأنه يلغى حضارات تلك الشعوب ، ولكن لو فهم الأمر على حقيقته بعيداً عن هذا الاستخفاف بحضارات الآخر التى ربما كانت أكثر إنسانية من الحضارة الغازية ، سنجد أن به قدراً كبيراً من الصحة ، فإخضاع المستعمر (بفتح الميم) لتصورات الغزاة يمتد من اعتناقه لديانتهم حتى تقليده لآداب مائدتهم ، أى تبنى تصورهم الكامل للعالم من الدين وحتى تفاصيل السلوك اليومى ، بما فى ذلك

مصالحه ، وكان هذا الهدف لا يتحقق فى الماضى إلا بالوسائل العسكرية ، فأصبح من الممكن تحقيقه الآن بوسائل عديدة أخرى ، لا تستبعد منها الوسائل العسكرية بالطبع ، ولكن معاركها وصيغ المواجهة فيها تأخذ أشكالاً جديدة ومراوغة ، ويكشف لنا الكتاب فى بقية أجزاء هذا الفصل عن بُعدين أساسيين فى عملية إخضاع الذات لتصورات غزاتها ، أولهما : هو أن هذه العملية تخلق مناخاً ملائماً لاستشراء الفساد ، فبدون الفساد والعفن لا يمكن لهذه الرؤى القائمة على الذل والمهانة والخضوع أن تحظى بالقبول ، ناهيك عن أن تنتشر ، صحيح أن الفساد ليس هو الموضوع الأساس للكتاب ، وأن متابعة ما جرى فى شتى مناحى المجتمع المصرى نتيجة لتغلغل النفوذ الأمريكى عبر مؤسساته بالقروض تارة وبالمعونات أخرى ، لكن الذى يهتم بالجوهر دون العرض يدرك أن غاية التغلغل الأمريكى هى بالدرجة الأولى المناخ الملائم الذى تصبح فيه الخيانة مجرد وجهة نظر ، قد يستهجنها البعض ولكن يقر بفوائدها الكثيرون من المتعاملين بوعى أو بدون وعى مع المستعمرين الجدد ، فبدون استشراء الفساد بشكل رهيب لا يتسامح الواقع مع الخونة ، ناهيك عن تسليم زمام الأمور لهم .

أما البعد الثانى : فهو طمس الرؤية بعد تغلغل السموم فى أردان الجسد الوطنى إلى حد السقم والعجز عن التمييز ؛ ناهيك عن القدرة على المقاومة ، فبدون هذا الطمس الذى يبلغ أحياناً مرتبة العمى لا يستطيع الغزاة الجدد احتلال العقل العربى ، وإقناعه بالتخلى عن مصالحه وتبنى مصالح أعدائه ، فكما كان من الضرورى خلق مناخ يتحول فيه المجتمع برمته إلى عباءة من الفساد لتمرير الخيانة والعمالة والخضوع ، فإن من الضرورى طمس الرؤى لكى ينجح الاستعمار الجديد فى قطع الطريق على التاريخ ، وفى إجهاض المستقبل كلما وعد بشىء من التغيير الذى لا يتوافق مع مصالحه ، وقطع الطريق على التاريخ من أعقد آليات السيطرة الاستعمارية الجديدة ومن أكثرها مراوغة ، إذ

يعتمد على أحدث إنجازات العلوم الإنسانية واستقصاءات علوم المستقبل ، ولا يمكن تحقيقه دون العمل على طمس رؤى الذات للعالم ، وقيادتها عبر مسارب التضليل إلى أن تضع الخنجر فى ظهر مصالحها ، وتُجهز بيدها على مستقبلها ، ومن يدرس التخبط البادى فى الواقع العربى يكتشف أنه ليس تخبط فوضى ، ولكنه تجليات لآليات قطع الطريق على المستقبل ، لكن قُطاع طرق المرحلة الجديدة لا يحققون أهدافهم بالأسلحة التقليدية ، وإنما بمجموعة من الأسلحة الجديدة التى تنهض على تزييف الوعى وتشويه التاريخ ، والتى ينوب فيها العملاء الجدد عن سادتهم ويوفرون عليهم عمليات سفك الدماء بإراقة ماء وجه الأمة وتمريغ كرامتها فى الوحل على أيدى أبنائها أنفسهم.

وأهمية هذا الكتاب تأتى من أنه يكشف للقارئ عن أن مصر الآن قد أصبحت بلا شك مستعمرة أمريكية ، لا تخضع المؤسسة الحاكمة فيها للسيطرة الأمريكية على إرادتها وقرارها السياسى ، ولا تتبنى كل التصورات الأمريكية لمختلف القضايا السياسية فى العالم فحسب ، ولكنها تخضع كذلك لتصورات الكيان الصهيونى رأس حربة الهيمنة الأمريكية على المنطقة ، فليس لمصر إرادتها المستقلة بعد أن كبلت هذه الإرادة بالحصار الثقافى والاقتصادى وحتى العسكرى ، ومن لديه أى شك فى أن هذا الشكل الجديد من الاستعمار أخطر ألف مرة من الصيغة التقليدية القديمة ما عليه إلا أن يراجع تفاصيل ما جرى فى عملية الحرب الغاشمة ضد العراق ، وكيف أن احتلال بعض قطاعات العقل العربى ، كان أكثر فاعلية من الاحتلال العسكرى لتلك البلدان ، فلو كانت هذه البلدان محتلة عسكرياً لا عقلياً لما أمكن لها المشاركة بجنودها وأجهزتها الإعلامية فى معركة العدو الأمريكى ، بل والمزايدة عليه فى بعض الأحيان، لفرض إرادته على المنطقة وسيطرته عليها وتحقيق مصالحه فيها وبها ، وهى مصالح تتعارض فى المدى القصير والطويل معاً مع مصالح الأمة العربية ومطامحها ، ومن يتأمل ما جرى أثناء الحرب التى سميت بحرب تحرير

الكويت يكتشف كيف كانت تصدر الأوامر من واشنطن لا بشأن العمليات العسكرية وحدها ، وإنما بشأن كل الاستجابات السياسية لمتغيرات الموقف ، وكيف انعدمت الإرادة المصرية المستقلة تماماً وخضعت كلية لإرادة أمريكا ، وكيف كان النظام المصرى يهتم بتوجيهات واشنطن أكثر من اهتمامه بمشاعر مواطنيه ، ومن سيتابع ما سيحدث بعدها لابد وأنه سيكتشف أن ما سيقدم لمصر بعد هذا كله ليس إلا الفتات ، فليس لمن فقدوا إرادتهم الوطنية المستقلة أمل فى شىء سواه .

واعترافى بأهمية هذا الكتاب وبجدارة موضوعة بالعناية وبصواب كشوفه وقيمة ما قدمه من معلومات لا يتم هنا من خلال إهالة المديح عليه ، حتى تختفى تحت ركام المديح عيوبه ، ولكن من خلال الكشف عن بعض هذه العيوب حتى يتجنبها الباحث فى أعماله القادمة . وإذا كانت المناهج الجديدة فى العلوم الإنسانية تحذر من خطورة الفصل بين الذات والموضوع فى دراسة أية ظاهرة ، فإننى سأهتم هنا بتتبع بعض آثار الذات على الموضوع فى هذا الكتاب المهم ، وقد كشف لنا فرانز فانون قبل أكثر من ربع قرن من الزمان عن كيفية تأثير الوضع الاستعمارى الكريه على تصور الذات القومية لنفسها ، وتسلل عصاب هذا التأثير إلى داخلها. ومن أهم آثار الذات على الموضوع فى هذا الكتاب هى أن البحث نفسه يعانى من فهم الباحث لطبيعة آليات عملية السيطرة الجديدة ، فالبحث الذى يتم فى مناخ يتسم بطمس الرؤى الوطنية وتشويهها وتحجيم قدرة الذات الوطنية على الوعى والمعرفة ، بل والحيلولة بينها وبين الكثير من المادة الأساسية لمعرفة واقعها ، ناهيك عما يدور فى العالم من حولها ، لا ينجو من آثار هذه العملية ، وأهم ما أصابه منها يتعلق فى رأيى بغياب التغييرات الأساسية التى انتابت مناهج البحث الحديثة عن أفق هذه الدراسة ، وبتطبيق بعض المفاهيم القديمة عن دور الأبحاث وآليات عمليات السيطرة ، وقد أدى هذا إلى أن مركز التركيز فى البحث قد انصب على المادة أكثر منه على

عملية توظيف هذه المادة فى الكشف عن حركية احتلال العقل وأثرها على رؤية الأمة لذاتها ولمصالحها وللعالم من حولها .

ويعانى الكتاب فى هذا المجال أيضاً من فهم تقليدى للتجسس ولتوظيف البحوث والدراسات الجامعية ، وهو أمر أنقذه من الوقوع فى بعض مهاويه بحوث الباحث الصادقة بالنسبة للكثير من الجزئيات التى تناولها فى هذا المجال ، فحينما يتناول دور وكالة المخابرات المركزية فى الرقابة على الكتب يتصور أنها تفعل ذلك وحتى تتأكد من أن الكتاب لم يتضمن أية معلومات سرية (ص 60) وهو تعليل يكشف الفهم التقليدى للتجسس ، فلم تعد عملية جمع المعلومات تهدف إلى الإحاطة بسريتها ، وإنما إلى توظيفها والتلاعب بها ، واستخدامها فى فرض الهيمنة وتكريس الرؤية المعتمدة للعالم، ومراجعة المخابرات الأمريكية للكتب يستهدف التأكد من دورها فى تكريس تلك الرؤية المعتمدة التى تساهم فى تسيير مهمة الهيمنة ، وتمرير المعلومات أو تحريف التفاصيل بالطريقة التى تكفل تحقيق ذلك ، فنظام المعلومات الجديد أصبح هو أخطر أدوات الحضارة الحديثة ، وهناك فى هذا المجال كذلك معلومة صغيرة أود تصحيحها فى الكتاب ، وهى إشارته إلى " الشيخ كمال أدهم رئيس شركة مقاولى المبانى العامة " (ص 97) وقد يكون بحق رئيساً لهذه الشركة ، لكن ما رشحه لأن يكون أحد أعضاء مجلس أمناء مؤسسة على هذه الدرجة من الخطورة كالجامعة الأمريكية فى القاهرة ، ليس بأى حال من الأحوال رئاسته لهذه الشركة ، ولا حتى أنه كان مستشاراً لملك السعودية ، ولكن كونه الممثل الأكبر لوكالة المخابرات المركزية فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد نشرت صحيفة "الهيرالد تريبيون" الأمريكية ضمن ما نشرته من وثائق الوكالة إبان فضيحة "ووتر جيت" أنه كان السيد الدافع pay Master لعدد من الملوك والشخصيات العربية الهامة الذين كانوا يحصلون على رواتب من الوكالة ، وأنه كان همزة الوصل العربية بينهم وبينها ، وكان على رأسهم أنور السادات والملك

حسين ، وأذكر أن الملك حسين نفى هذا النبأ وقتها وكذَّبه. أما السادات الذى ذكرت الوثائق أنه كان على قوائم دفع الوكالة منذ عام 1958 فلم يفعل ذلك.

أما بالنسبة للأبحاث فإن الأمر يتصل بنفس الموضوع ، وإن كانت حدوس الباحث دفعته للتخوف من كثرة تلك الأبحاث التى تقوم بها المؤسسات الأجنبية وجمعها للمعلومات عن المجتمع المصرى ، وهو تخوف مشروع ، بل ومطلوب ، ولكن المطلوب أكثر هو ما بعد التخوف من إجراءات ، أى: الكشف عن طبيعة العلاقة بين تلك الأبحاث واستراتيجيات قطع الطريق على المستقبل ، وآليات التأثير على مسار التاريخ ومسيرته ، فلاشك فى أنه كلما تتقدم الدولة كلما يتزايد إدراكها لأهمية الدراسات والبحوث الجامعية ، ويتسارع معدل استفادتها من نتائجها ، فبعد أن مرت أكثر من مئتى سنة بين اكتشاف تأثير الضوء على نترات الفضة ، واستخدام هذه الحقيقة العلمية فى اختراع آلة التصوير ، ضاقت الفجوة بين اكتشاف المعلومة واستخداماتها العلمية حتى انعدمت فى العصر الحديث ، بل وتحول الأمر إلى قيام الصناعة باستثمارات كبيرة فى مجالات البحث العلمى لتوجيه البحث وجهة تساهم فى حل ما يقابلها من مشاكل ، وهذا أيضاً هو ما يحدث فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية التى تستخدمها الدول المتقدمة فى التخطيط الاستراتيجى الذى يستهدف تهيئة الواقع للمستقبل، والتأثير على بعض تياراته ونتائجه ، وحماية مجتمعاتها مما تسفر عنه بعض تلك المتغيرات والاستعداد لمواجهتها ، أما بالنسبة لمؤسسات الاستخبارات ، وخاصة فى الدول ذات النزعة الاستعمارية ، فقد أصبحت غايتها هى قطع الطريق على التاريخ والترصد للمستقبل فى الدول التى تبغى السيطرة عليها والتحكم فى مقدراتها ، وليس أدل على غياب الوعى وتحلل إرادة الاستقلال من أن الدول الخاضعة لا تستفيد من تلك الأبحاث ، بل وتستباح حرماتها من خلالها.

وأخيراً وبعد هذا التناول السريع لبعض القضايا التى يطرحها هذا الكتاب القيم كنت أود لو غير الباحث عنوانه الجانبى واستبدل فيه بكلمة " الإسرائيلى " كلمة "

الصـهيونى " التـى استنكف عـن كتابتهـا ، ثـم سـار علـى الـنهج فـى مـتن الكتـاب وعنـاوين فصـوله ، لأنـه لاشـك يـدرك أهميـة اللغـة الأيديولوجيـة ، وأن الاعتـراف بالعدو فى اللغة ، وتبنى مفرداته عن نفسه فيها هو الخطورة الأولى نحو الاعتراف بواقعـه المغلـوط ورؤاه والتسـليم بمفرداتـه ، فاسـتبعاد هـذه الكلمـة مـن قاموسـنا هـو المقدمة الأولى والضرورية لاستبعاد كل ما تمثله من واقعنا ، والتخلص من آثار العدو المدمرة علينا ، فلابد من تشجيع كُتَّابنا الرافضين لسياسات التغلغل الأمريكى الصـهيونى فـى العقـل العربـى واختـراق الـذات العربيـة لاسـتخدام مصـطلح الكيـان الصـهيونى ، حتـى يظـل مجـرد كيـان غريـب علـى الأمـة وأن عليهـا الـوعى الـدائم باستهدافه لرؤاها وعدائه المحموم لمطامحها المشروعة فى مستقبل أفضل .ولم يعد هم الحكومـات مـثلاً إرضـاء السـادة الجـدد بأيـة وسـيلة مـن الوسـائل ، وإنمـا بطـرق يقبلهـا النظـام الإعلامـى الجديـد ، ولـذلك كـان طبيعيـاً أن تخـاف الحكومـة المصـرية أثنـاء الحـرب الوحشـية ضـد العـراق لا مـن مظـاهرات الطـلاب ضـدها ، أو معارضـة الجمـاهير لسياسـات التبعيـة التـى تنتهجهـا ، وإنمـا مـن أن تبلـغ المظـاهرات والمعارضـة أسـماع مراسـلى وكـالات الأنبـاء الغربيـة . فقـد أصـبح هـؤلاء المراسـلون الأجانب المندوبين الساميين الجدد للنظام العالمى الجديد . فاللعب بالمعلومات لا يقل أهمية فى المرحلة الحالية عن اللعب بالحقائق نفسها .

(**4**) وصف مصر بالعبرى
(تفاصيل الاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى)
تأليف : د. رفعت سيد أحمد
الناشر : دار سينا للنشر – القاهرة **1989**

يمثل هذا الكتاب الذى نعرض لـه اليوم واحداً من الأعمال الهامة على صعيد المواجهة الثقافية للتغلغل الإسرائيلى والأمريكى فى مصر بعد العام 1977.
والكتـاب يـأتى فـى إطـار سلسـلة مـن الأعمـال الفكريـة والسياسـية التـى حاولـت مواجهة الاختراق الثقافى الإسرائيلى وكشفه , وفى هذه السلسلة نذكر كتابات د

. حامد ربيع (عن احتواء العقل المصرى) ودراسات عادل حسين, ومحسن عوض وحازم هاشم عن الاختراق الثقافى والاقتصادى الإسرائيلى لمصر بعد عام 1977 وكان للمؤلف "د. رفعت سيد أحمد" نفسه محاولات سابقة فى هذا الشأن صدر بعضها ضمن كتابه (اختراق العقل المصري – التونى للنشر– القاهرة 1986) .

واليوم يأتى هذا العمل ليكمل الدائرة, وليشحذ الهمم الثقافية تجاه كافة صدر التغلغل الإسرائيلى والعمل يتكون من خمسة فصول رئيسة على النحو التالى:

فصل أول : ويتناول ظاهرة إحتلال العقول كإطار عام لعمليات اختراق الثقافى الأمريكى الإسرائيلى .

فصل ثانٍ : اليهود المصريون : الدور والاتجاهات فى إطار الاستراتيجية الاختراق الإسرائيلى .

فصل ثالث : التطبيع وأزمة الهوية العربية فى مصر "الدور والنتائج" .

فصل رابع : سيناريو الاختراق : تفاصيل الاختراق الثقافى الإسرائيلى لمصر (1979–1988) .

فصل خامس: "شهيد" وصف مصر بالعبرى , سليمان خاطر وجميل عبد القادر ياسين.

ومن هذه الأجزاء.. وحولها تدور واحدة من معاركنا السياسية والحضارية الهامة – معركتنا مع الكيان الصهيونى فوق أرض مصر .. من الغزو والاحتلال العقلى ..وسوف نقوم هنا بالتركيز على أبرز ما احتواه الكتاب من قضايا ومعلومات هامة .

جذور الاهتمام الثقافى الأمريكى الإسرائيلى بمصر والمنطقة العربية :

يرى الكتاب أن التاريخ ينبئنا أن أول اهتمام أمريكى بالمنطقة كان مع بداية القرن التاسع عشر وتحديداً عام 1815 وكان اهتماماً تبشيرياً حين عين المجلس الأمريكى الخاص والبعثة الأجنبية ممثلين له فى القدس وعهد إليهم

بمهمة تكوين بعثة تبشيرية فى المدينة المقدسة , وكان طبيعياً أن يواجه الممثلون عقبات سياسية ودينية وقانونية ضخمة إذ كان القانون العثمانى – السائد – فى هذا الوقت يحرم أى نشاط تبشيرى للمسيحيين الغربيين , خاصة فى الأنحاء الإسلامية التى تمثل رموزاً دينية كالقدس . ونتيجة لهذه العقبات حولت الاستراتيجية الأمريكية اهتمامها الثقافى ناحية التعليم , وكانت البداية بمدارس الأحد فافتتح المبشرون أول مدرسة رسمية لهم فى بيروت عام 1824, وتدريجياً أخذت مدارس المبشرين ترتفع إلى الكليات ثم إلى الكليات ثم إلى المستوى الجامعى وفيما بين (1860–1901) افتتحت العديد من الكليات الشهيرة , والتى من أهمها كلية روبرت (1863) وكانت فى اسطنبول بتركيا والكلية البروتستينية السورية فى بيروت (1866) وهى التى عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية والجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 1919م .

وإحصائيا كان التغلغل الثقافى الأمريكى فى منطقة الشرق الأوسط مع بداية القرن العشرين قد تزايد . ففي تركيا كان هناك 36 مدرسة أمريكية ثانوية , و398 مدرسة أولية , و4 مدارس لا هوتية , وفى إيران : 108 مدارس وفى سوريا 95 مدرسة , وفى مصر 200 مدرسة .

وفور إعلان قيام إسرائيل فى مايو 1948 , اعتبرت الولايات المتحدة رسمياً بها , وفى ذات الوقت قامت الجاهلية اليهودية بالدعم المادى للدولة الجديدة واستكملته بالدعم الثقافى بين الدولتين الأمريكية والإسرائيلية إلى الحد الذى جعل البعض يذهب إلى أن الدولتين مرتبطتان ثقافياً أكثر من ارتباطهما سياسياً .

وكان للفترة التالية للحرب العالمية الثانية طابعها الخاص بالنسبة للاستراتيجية الثقافية الأمريكية تجاه بلدان المنطقة , فظهرت عدة برامج تعليمية موجهة ,وخطيرة ويأتى فى مقدمتها "اتفاقيات فولبرايت للتبادل التعليمى " التى عقدت مع تركيا وإيران فى عام 1949 ولم تمضى فترة طويلة حتى كانت معظم دول

الشرق الأوسط تشترك فى هذا البرنامج ، فبين عامى 1941 و1966 كانت 12.4% من جميع المنح الأمريكية موجهة نحو الشرق وجنوب آسيا وعلى سبيل المثال كان هناك 251 أمريكياً يتلقون منحاً للقيام بأعمال للبحث والتدريس فى مصر , بينما قدم 761 مصرياً إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنفس الغرض , وبالنسبة لإسرائيل فقد أرسل 133 أمريكياً إليها مقابل 208 إسرائيليين إلى واشنطن , وفيما يتعلق بإيران فقد بعثت أمريكا 158 أمريكياً إليها مقابل 483 إيرانياً , أما تركيا فقد كان هناك 239 أمريكياً للدراسة والبحث مقابل 655 تركياً .

وفى جزء آخر من الكتاب نجده يقرر أن الاهتمام الثقافى الغربى بالمنطقة قد تطور وتطورت الأنشطة خلال حقبتى "الستينات والسبعينات" إلى أن حدثت مبادرة القدس عام 1977 ويليها اتفاقات كامب ديفيد فى مارس 1979 والتى دشنت الاهتمام الثقافى الإسرائيلى بمصر , وأعطته الصفة الرسمية , ففى الوثيقة الأولى لمؤتمر كامب ديفيد جاء فى الديباجة :

" إن السلام يتعزز بعلاقة السلم بتعاون مع الدول التى تتمتع بعلاقات طيبة ويلاحظ أن ذكر العلاقات الطبيعية جاء على نحو مجمل .

وفى متن معاهدة السلام الموقعة فى مارس 1979 يرد النص التالى :

" يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقوم بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية , وهنا يؤكد النص إلزام الطرف المصرى باعتبار العلاقات الطبيعية على مستوى العلاقات الدبلوماسية .

وفى الملحق رقم 3 من المعاهدة يرد فى البند الرابع النص التالى :

ويعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف على الدعاية المعادية للطرف الآخر , وهنا تنتقل الطلبات الإسرائيلية إلى التحديد الدقيق ، فالمطلوب الأول تشجيع تغيير مفاهيم الناس فى مصر فى عبارة

"التفاهم والتسامح المتبادل" والمطلوب الثانى هو منح عمليات التحصين الفكرى لمفاهيم المجتمع فى عبارة " يمتنع كل طرف عن الدعاية – المعادية".

وفـى الاتفاقيـة المعقـودة فـى الاتفاقيـة المعقـودة فـى 1980/5/8 يـرد فـى البنـد الثانى : (يسعى الطرفان إلى فهم أفضل لحضارة وثقافة كل طرف من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية وتبادل المنتجات التكتيكية والأثرية وتبادل الأعمال الفنية وتشجيع إقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض عن الفنون البصرية " وهكذا ينكشف المطلوب الإسرائيلى من مصر كاملاً فى هـذا الـنص سـواء مـن حيـث تحديـد الغايـات والأهـداف وهـى تبـديل مفـاهيم المصـريين ؛ ليتحولـوا إلـى مـا يسـميه الـنص (فهـم أفضـل لحضـارة وثقافـة الإسرائيليين) أو فيما يتعلق بتحديد الوسائل العلمية والثقافية الواردة فى النص وهى شاملة لمعظم وسائل الحياة التربوية والفكرية فى مصر .

وتتابعت بعد توقيع الاتفاقات , أشكال التطبيع العقلى والثقافى , وما يهمنا هو ذلك الجانب المتصل بالاختراق العقلى للمجتمع المصرى كنموذج . مصغر لما ينتظر العقل العربى :

وهنا نلحظ تداخل الأدوار والوظائف التى قام بها بعض الباحثين الإسرائيليين والأمريكيين فى مصر وبين العديد من الهيئات والمنظمات الصهيونية المعروفة , وتنوعت أيضا عمليات التطبيع – الأخرى فى مجالات السياحة والاقتصاد والطب النفسى ولعب المركز الأكاديمى الإسرائيلى دوراً بارزاً فى هذه الأنماط من التطبيع من خلال شبكة أبحاثه ورجال المخابرات الإسرائيلية الذين يحتلون مواقع قيادته بداخله منذ إنشائه عام 1982 .

<u>المظلة الأمريكية للاختراق الثقافى الإسرائيلى داخل مصر بعد كامب ديفيد :</u>

ذكر المؤلف الدكتور رفعت سيد أحمد فى جزء آخر من كتابه وصف مصر بـالعبرى أن (للولايـات المتحـدة الأمريكيـة ركـائز عديـدة للاختـراق الثقـافى داخـل مصر والمنطقة العربية وهى ركائز تمارس وظيفتين :

الأولى : الاختراق الثقافى المنظم ومحاولة فهم المجتمع المصرى وتفاصيل عملياته السياسية والاجتماعية وتصديرها إلى واشنطن حيث وكالة المخابرات المركزية الأمريكية , بهدف إعادة برمجتها وفق أساليب ونظم علمية متطورة تمهيداً للتحكم فى العقل وفى المجتمع ككل .

والوظيفة الثانية : خدمة الاستراتيجية الإسرائيلية من خلال ممارسة دور "قناة الربط" بين الجهات المصرية الثقافية والعلمية وبين الجهات الإسرائيلية المعروفة والتى يخشى البعض التعامل معها علانية , إما خوفاً من المعارضة المصرية أو خشية من (المقاطعة العربية النفطية) لهم إن هم كشفوا أو بانت عوراتهم السياسية , وأحياناً تمتد هذه الوظيفة إلى حيث العملاء الجدد " لخدمة الاستراتيجية الإسرائيلية فى مصر والعالم العربى فيتم تجنيدهم على مراحل ووفق وسائل متدرجة , ويأتى التعامل مع الجهات الأمريكية وجيوش الباحثين الأمريكيين فى مقدمتها , فإذا ما اطمأن (العميل الجديد) لها تم ربطه عبر (قنوات الربط المعروفة) بالجهات الإسرائيلية التى تصب بدورها فى جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد".

ولأن الجهات الأمريكية التى تمثل بؤراً صديدية فى جسد المجتمع المصرى , جهات عديدة ولا حصر لها , فإننا سوف نقدم هنا خريطة أكثر هذه الأسماء شهرة وأكثرها خطراً وهى :

1- الجامعة الأمريكية بمصر وبيروت .

2- مؤسسة راندا الأمريكية .

3- المركز الثقافى الأمريكى .

4- مركز البحوث الأمريكى بشارع قصر الدوبارة بالقاهرة .

5- مؤسسة فورد فونديشن .

6- هيئة المعونة الأمريكية .

7- معهد ماسا شوستس وفروعه بالقاهرة - معهد الـ إم - أى- ت " بمبنى جامعة القاهرة "

8- مؤسسة روكفلر للأبحاث .

9- مؤسسة كارينجى .

10- معهد دراسات الشرق الأوسط الأمريكى .

11- معهد التربية الدولية والمختص فى منح السلام .

12- معهد بروكنجر .

13- معهد المشروع الأمريكى .

14- الأكاديمية الدولية لبحوث السلام .

15- مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة " جورج تاون" .

16- مشروع ترابط الجامعات المصرية الأمريكية ومقره المجلس الأعلى للجامعات بالقاهرة , وميزانيته السنوية 27 مليون دولار تقدمها المخابرات الأمريكية وأجهزتها المعروفة .

شبكة مترابطة

والجهات السابقة تترابط من خلال أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية بالمراكز البحثية الإسرائيلية التالية وفقا لكتاب وصف مصر بالعبرى ؛ لتكون مجتمعة شبكة منسقة الأدوار ، وخطيرة الأهداف :

1- معهد موريس فولك للبحوث الاقتصادية :

أنشيء عام 1954 , ثم أصبح منذ عام 1964 خاضعاً لإشراف الجامعة العبرية ومؤسسة فولك فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية , وتنصب أبحاثه على قضايا المجتمع والاقتصاد فى إسرائيل , وبعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد - عام 1976 بدأ يهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية بالدول المجاورة " مصر كنموذج" .

2- مؤسسة يوزناسكى للاستثمار :

ونشأت هذه المؤسسة عام 1972 واهتمت بدعم نشاط المؤسسات البحثية الإسرائيلية ماليا , خاصة فى الجانب المتعلق بالبحوث التى تجرى حول الشعب الفلسطينى , ويعد معهد ترومان من أكثر المؤسسات اعتماداً على أموال هذه المؤسسة.

3 – معهد هارى سى – ترومان للبحوث من أجل تقدم السلام :

ويعد هذا المعهد من أهم مراكز البحوث فى إسرائيل , ولقد أنشئ عام 1966 وتهدف أبحاثه إلى دراسة الجوانب الاجتماعية والتاريخية لدول العالم الثالث, ويعتمد هذا المعهد مالياً على دعم عدد الهيئات مثل مؤسسة يوزناسكى سالفة الذكر ومؤسسة روث جيلتر – صندوق هنرى لوينتال .

ويضم معهد ترومان ثلاث وحدات أساسية هى :

(أ) وحدة بحوث أفريقيا وأشهر أبحاثها " الثقافة السياسية فى مالى – الاقتصاد السياسى فى الدول المتخلفة فى شرق أفريقيا – الإسلام فى السياسات الأفريقية الماضى والحاضر – الأدب الشعبى فى غانا وكينيا) .

(ب) وحدة الشرق الأوسط وأهم أبحاثها(الاتجاهات الأيديولوجية والفكرية للعراق تحت حكم البعث – تاريخ العلاقات بين العرب واليهود فى فلسطين منذ بداية الاستيطان – الصهيونى – الشيوعيون والشيعة – الدروز فى إسرائيل – تعليم النساء فى الدول العربية – ظهور الإسلام كعنصر من عناصر الصراع العربى الإسرائيلى– صورة إسرائيل فى وسائل الإعلام المصرية قبل وبعد مبادرة السلام– الفكر السياسى لأنور السادات – الشخصية القومية المصرية – المشاكل الاجتماعية فى مصر المعاصرة) .

(ج) وحدة بحوث آسيا : وتدور دراسات الوحدة حول الواقع الاجتماعى والسياسى ببلدان آسيا مثل الصين واليابان .

4– مركز شيلواح :

ويتبع هذا المركز جامعة تل أبيب وهو واسع النشاط ومن أبرز أبحاثه تلك التى تتصرف إلى حركات المقاومة الفلسطينية , والحركات الإسلامية المعاصرة , ومن نماذج تلك الأبحاث :

(النساء فى المجتمعات الإسلامية – الثقافة فى التاريخ الإسلامى– إيران – الإخوان المسلمون والاتجاهات الراديكالية فى مواقفهم الحالية – انتعاش الحركة الإسلامية وظهور الاتجاه العربى قبل ثورة يوليو 1952 – تحول الاقتصاد المصرى إلى الليبرالية – مؤسسة التعليم العالى فى مصر – تطور النظام التعليمى فى مصر – النقابات – مصر فى ظل السادات– هبوط الناصرية – ظهور الاتجاه القومى العربى فى مصر – تاريخ مصر وإسرائيل – تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل – الشرق الأوسط بين (1967–1973) وموقف السودان فى عملية السلام – الصراع الداخلى فى الحركة الفلسطينية – سياسة منظمة التحرير تجاه أمريكا .

<u>5– مؤسسة فان لير بالقدس:</u>

تم إنشاؤها لدعم الخدمات الأكاديمية للمجتمع الصهيونى الصاعدة وقتئذ , ومن أبرز أعمال هذه المؤسسة البحوث التالية :

(المثقفون والتقاليد فى الوطن العربى – المجتمع والبناء السياسي فى العالم العربى – ديناميكا الصراع بوجه عام والصراع العربى : الإسرائيلى بوجه خاص – إذا ما أتى السلام– وهذا البحث تم عام 1978 لدراسة مستقبل العلاقات بين مصر والكيان الصهيونى بعد مبادرة القدس عام 1977 .

<u>قنوات الربط :</u>

والجهات السابقة كما يقول د. رفعت سيد أحمد مؤلف كتاب " وصف مصر بالعبرى" تتعاون مع العديد من مراكز الأبحاث السياسية والاقتصادية والاجتماعية – والعديد من الجامعات المصرية , وخاصة (كليات الآداب – الزراعة – التجارة– الحقوق– الاقتصاد – الإعلام) فى أغلب جامعات مصر ,

والطريف أن تلك الجهات , وخاصة مؤسسة " فورد فونديشن " استطاعت (تجنيد أقسام بالكامل) داخل كليات معينة بجامعة القاهرة لحسابها ولحساب مشروعاتها البحثية , لدرجة صرفت اهتمام تلك الكليات عن وظيفتها الأصلية وهى التعليم والبحث العلمى لخدمة المجتمع , وأصبح شغلها الشاغل هو البحث عن البحوث المشتركة والممولة من مؤسسات مثل "الفورد فونديشن " .

وظهرت وظيفة (مقاول الأبحاث) داخل جامعة القاهرة عام 1987 فيقوم الأستاذ المقاول باقتطاع الجزء الأكبر من مبلغ 650 ألف دولار من التمويل لنفسه ، ويوزع المتبقى على فريق البحث الذى يتكون عادة من المعيدين والمدرسين المساعدين والباحثين الصغار .

وهكذا يتم إفساد الجامعة من رأسها كما يقول المؤلف ولم تكتف الجهات الأمريكية السابقة بالجامعات المصرية الرئيسة ، بل امتد نشاطها إلى الجامعات الإقليمية وخاصة (أسيوط) والزقازيق ، فعلى سبيل المثال قامت كلية الآداب جامعة الزقازيق فى 1985/11/30 وحتى 1987/11/30 بالاشتراك مع جامعة جورج تاون الأمريكية بإجراء مسح شامل لاثنتى عشرة قرية بمحافظة الشرقية وذلك للتعرف على مقومات التنمية والوقوف على مدى تأثير الهجرة والبطالة والموارد المادية والبشرية على المشروعات الإنتاجية بالقرى تلك فقط بعد نماذج ما أسميناه (بالمظلة الأمريكية للتجسس) وهى مظلة لها فروعها ولها مستوياتها ووظائفها كما رأينا ، ونضيف هنا أيضاً أن هذه المظلة لها فروع أخرى خطيرة مثل المعونات الأجنبية ومثل فرع (المستشارين الأجانب) وما يسمى ببيوت الخبرة الأجنبية وبالبيوت الاستشارية وهى فروع وبيوت ليس لها من هدف سوى استنزاف الأموال المصرية فضلاً عن محاولتها أثناء هذا الاستنزاف تصدير الوطن إلى خارجه ، إلى واشنطن وتل أبيب سواء من خلال عمليات التجسس التى تقوم بها،أو من خلال الاستشارات الوهمية المشبوهة وغير المتسقة وطبيعة المجتمع .

إن (الاستشارات الأجنبية) تعد وسيلة خطيرة أخرى للتغلغل تستخدمها الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية ، ولأنها وسيلة هامة ، فإن الإشارة إليها – أيضاً – تعد هامة ، ويكفى الإشارة هنا نقلاً عن كتاب وصف مصر بالعبرى إلى أن مناقشات اتحاد المقاولين العرب – والذى يمثل مختلف البلدان البلدان العربية – كشفت فى فبراير عام 1988 عن أن عقود المستشارين الذين تعاملوا مع مصر خلال سبع سنوات من الانفتاح وتنحصر بين عامى (1976و1983) قد بلغت قيمتها 703 ملايين دولار .. وتوقع الخبراء أن تكون قيمة العقود قد تجاوزت المليار دولار حتى العام الماضى 1987 .

وتشير الأرقام التى تداولها مؤتمر المقاولين الذى انعقد فى القاهرة فى فبراير الماضى إلى أن هذه الاحصاءات للعقود المعروفة والتى أمكن حصرها فقط ، وأن أكبر قطاع تعامل مع الخارج هو قطاع المرافق – كالصرف الصحى والمياه – وقد تعاقد مع المكاتب الاستشارية الأجنبية نظير أتعاب بلغت قيمتها (287) مليون دولار فى سبع سنوات .

وفى نفس الوقت بلغت التعاقدات الاستشارية لقطاع الصحة والتعليم والخدمات (117.6) مليون دولار .. والتعاقدات الاستشارية لقطاع الزراعة والرى (83) مليون دولار .. والصناعة (70) مليوناً والسياحة (53) مليوناً.

هذا وقد بلغت قيمة عقود التوريدات والمقاولات والاستشارات التى أمكن حصرها عن السنوات السبع المشار إليها : (13.3) مليار دولار وهو ما يفوق رقم القروض المدينة التى حصلت عليها مصر خلال نفس الفترة .

والمعروف أن الإدارة الاقتصادية خلال السنوات العشر الأخيرة قد تولاها عدد من الشخصيات أبرزهم : د. عبد المنعم القيسونى ، ود. عبد الرازق عبد المجيد ود. كمال الجنزورى .

تلك فقط بعض الإشارات لجذور الاهتمام الأمريكى والإسرائيلى بالمنطقة ، وللمظلة الأمريكية المساندة للاختراق الثقافى الإسرائيلى وما يهمنا هنا هو

التنبيه على الدور الخطير الذى تلعبه هذه المؤسسات فى الربط بين الباحثين اليهود والإسرائيليين وبين الباحثين المصريين ، وذلك من خلال الندوات والبحوث المشتركة الممولة ، وهى محاولات ربط قديمة نسبياً ، فضلاً عن المحاولات الأخرى التى يذكرها د. رفعت سيد أحمد فى كتابه العام (وصف مصر بالعبرى).

نماذج لعمليات التطبيع الثقافى بين عامى 1977 – 1988 :

تعددت عمليات التطبيع الثقافى بين إسرائيل ومصر خلال عامى 1977 – 1988 ونقدم هنا نماذج فقط لتلك العمليات على اعتبار كونها مؤشرات لحجم ونوعية تطور العلاقات المصرية الإسرائيلية خلال تلك الفترة ، بداية فإن المتتبع لمجريات أمور التطبيع بين إسرائيل والحكومة المصرية يلحظ أنها اتسعت لتشمل مجالات الحياة كافة ، من التجارة والنقل إلى الثقافة والسياحة وفتح الحدود والأسواق وما يهمنا هنا ، هو ذلك الجانب المتعلق بالاختراق الموجه إلى العقل المصرى كنموذج مصغر لما ينتظر العقل العربى ، وهنا نلحظ تداخل الأدوار والوظائف التى قام بها بعض الباحثين الإسرائيليين والأمريكيين فى مصر وبين العديد من الهيئات والمنظمات اليهودية المشبوهة، وإن جاء التداخل بهدف واحد هو الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات التفصيلية عن نواحى الحياة والمجتمع كافة فى مصر ، وتصديرها إلى تل أبيب وواشنطن لخلق بدائل للحركة أو للعمل السياسى الموجه ، من هنا ، يأتى الدور الخطير الذى قام به ، ولايزال اليهودى الأمريكى ليونارد بايندر الذى عمل مستشاراً لجولدا مائير إبان حرب العام 1973 ، وشارك فى حرب العام 1948 مقاتلاً ضد العرب ، هو أستاذ زائر فى الجامعة الأمريكية فى مصر وأستاذ العلوم السياسية فى جامعة شيكاجو ، وتمثل دوره فى قيامه بدراسة التيارات الإسلامية فى مصر والتغيرات الاجتماعية والسياسية ، وقامت المخابرات الإسرائيلية بتمويل عدد من أبحاثه الأخيرة التى قام بها خلال الفترة

1984 – 1986 من خلال المركز الأمريكى فى القاهرة ، وهى أبحاث دارت حول " احتمالات الثورة الإسلامية فى مصر ، وتأثير ذلك فى مجريات الصراع العربى الإسرائيلى .

وفى أوائل العام 1985 قاطعت نقابة الصيادلة المصريين جلسات المؤتمر الدولى لاتحادات طلاب كلية الصيدلة فى الاسكندرية ، احتجاجاً على اشتراك الوفدين الأمريكى والإسرائيلى فى المؤتمر ، وفى العام ذاته ، والأعوام التى سبقته والتى تلته ، كانت المقاومة المصرية ، الفردية أحياناً والجماعية أحياناً أخرى ، والتى قام بها المثقفون والطلاب وجماهير الشعب المصرى ضد اشتراك إسرائيل فى معرض الكتاب الدولى فى مدينة نصر فى القاهرة ، كنموذج آخر للتطبيع العقلى ، ولمقاومة هذا التطبيع أيضاً .

وتتابعت سيناريوهات التجسس الإسرائيلى على العقل المصرى منذ آذار (مارس) 1980 فمنذ ذلك التاريخ وحتى 1981/9/9 قام البروفيسور الإسرائيلى ستيفن كوهين ، بعقد صفقات بحثية هامة مع بعض أساتذة علم النفس المصريين وكان أشهر هذه الأبحاث هو بحث "رؤى الصراع " والذى يهتم بالجوانب الاجتماعية والنفسية للصراع ومولته هيئة المعونة الأمريكية وجامعة نيويورك وبالمركز الأكاديمى الإسرائيل ومثل الجانب المصرى فيه كل من د. قدرى حفنى ود. محمد شعلان وعدد آخر من السياسيين الكبار ، وفى مقدمتهم د. مصطفى خليل رئيس الوزراء المصرى السابق .

واستمراراً فى عملية " توصيف مصر " إسرائيلياً عقد أول مؤتمر لعلماء الطب النفسى الصهيونى والمصريين ، فى فندق وترغيت فى واشنطن فى الفترة من 20 إلى 80/1/25 وكان تحت عنوان " المعوقات النفسية فى المفاوضات الدولية تطبيقاً على الصراع المصرى الإسرائيلى " وقد مثل الجانب المصرى فى هذا المؤتمر د. محمود محفوظ وزير الصحة المصرى السابق د. عاصم جلال مستشار وزارة الصحة ورئيس الجمعية المصرية للغدد الصماء ود. محمد

شعلان رئيس قسم الطب النفسى فى جامعة الأزهر ود. عادل صادق أستاذ الطب النفسى المساعد فى جامعة عين شمس ود.عبدالعظيم رمضان أستاذ التاريخ فى جامعة المنوفية والكاتب الدائم فى مجلة "أكتوبر " وتحسين بشير ، الموظف السابق فى جامعة الدول العربية وبالطبع لم ينشر شىء عن هذا المؤتمر فى حينه ، بل ضرب حوله ستار متعمد من السرية ، وبعد عامين ونصف ومن د. عبد العظيم رمضان نفسه ، فى مجلة " أكتوبر " (1982/6/6) علمنا بأن هذا المؤتمر قد تناول أربعة موضوعات ، هى : المدخل النفسى للنزاع الدولى ، والعوامل النفسية للمفاوضات بين مصر وإسرائيل ، والعلاقات المصرية – الإسرائيلية ، ثم مفهوم الأمن فى المفاوضات الدولية ، ولقد مثل إسرائيل عدد لا بأس به من الباحثين والعسكريين وفى طليعتهم هارون باريف الجنرال المعروف .

وبعد شهور عقدت الجولة الثانية من جولات مؤتمرات الحوار النفسى ، وتم ذلك فى لوزان فى سويسرا وكان موضوع المؤتمر " الاعتداء على الإنسان والقسوة عليه والصلح ، كيف يكون فى النهاية ؟ " ولقد مثل الجانب المصرى ثلاثة ، هم تحسين بشير ود. محمد شعلان ود.عادل صادق واعتذر عن الحضور د. إبراهيم البحراوى ود. محمود محفوظ ومن الجانب الأمريكى حضر سبعة من علماء الطب النفسى ومن إسرائيل ستة من العلماء النفسيين المشتغلين فى الموساد .

وفى العام ذاته وفقاً لكتاب وصف مصر بالعبرى ، عقدت بالإسكندرية الجولة الثالثة من مؤتمرات علم النفس ويعد هذا المؤتمر من أخطر المؤتمرات ، حيث ضم الجانب الإسرائيلى خمسة أعضاء يتقدمهم شلومو غازيت الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية ورئيس جامعة بن جوريون فيما بعد ، ود.رفائيل موريس ، ود. غبرائيل كوهين أستاذ التاريخ فى جامعة تل أبيب أما الجانب المصرى ، فقد ضم د. محمد شعلان ود. عبد العظيم رمضان ود. لطفى فطيم ود. صلاح

العقاد ود. عادل صادق وكانت القضايا المطروحة : الانسحاب الإسرائيلى من مستعمرتى ياميت وأوفيرا ، وما ارتبط به من مواقف رسمية للحكومة الإسرائيلية فى مشاكل الحدود فى طابا ومستقبل قضية فلسطين واستمراراً للحوار أيضاً كان للكاتب أنيس منصور دور هام فى سيناريوهاته فلقد قام منصور باستقبال د. حاييم جوردون فى فندق الكونتنتال فى القاهرة ، واتفق معه على إجراء لقاءات مباشرة بين الشباب المصرى والإسرائيلى وفتح المناقشات المباشرة بينهم دون شرط أو قيود أو حدود مسبقة ، ثم متابعة سلوكهم إزاء بعضهم البعض . واستمرت الندوة أربع جلسات متواصلة ، أخرجها بعد ذلك الكاتب الإسرائيلى غازيت فى كتاب له بالإنجليزية تحت عنوان " البحث عن مسئولية التعليم من أجل السلام " .

ومن النشاط المشترك الأمريكى / الإسرائيلى ما قام به الصحفى الإسرائيلى آرييه ليفى من زيارات شخصية لأحد أساتذة علم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية ، وهو أستاذ مصرى مزدوج الجنسية من المهتمين بقضايا الوحدة العربية ، وعقد معه صفقات بحثية حول الصراع العربى – الإسرائيلى وما يرتبط به من قضايا وإشكالات وترتب على هذه الصفقات زيارات عديدة قام بها هذا الصحفى للأستاذ المصرى فى القاهرة .

وللولايات المتحدة فى شارع قصر الدوبارة مركز للبحوث الاجتماعية يلعب دوراً خطيراً مشاركاً فى هذا الجامعة الأمريكية التى لا يقف تعاونها الغريب مع الإسرائيليين واليهود الأمريكيين ، عند حدود – ولا تقف علاقات إسرائيل البحثية عند هذا النطاق إذ إنها تحضر المؤتمرات العلمية المختلفة التى يقيمها بعض جامعاتنا الوطنية ، مثل مؤتمر العلوم والطاقة النووية الشهير ، الذى عقد فى الاسكندرية عام 1986 ، ومؤتمر القانون الدولى الذى عقد فى جامعة القاهرة ، وكانت إسرائيل ممثلة بوجود على درجة عالية من الثقافة والتى يقول عنها بن جوريون فى كتابه " إسرائيل تاريخ شخصى " إنه يندر أن تجد أكاديمياً أو

سياسياً إسرائيلياً لم يثقف على أيدى الموساد ، ومن خلال منظمات الإرهاب الصهيونى فى الأربعينات .

واستثمار للسيناريو السابق استطاع عدد من كبار اليهود المصريين الرأسماليين كما يقول المؤلف فى كتابه الهام استغلال حالة الانفتاح الاقتصادى والثقافى بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية ، فى خلق سوق اقتصادى مصرى تابع للسوق الاقتصادى الإسرائيلى ولعبت فيه البحوث الاقتصادية (المكاتب الاستشارية اليهودية) دوراً بارزاً وقامت الإدارة الأمريكية من خلال وكالة التنمية الدولية الأمريكية ، بتذليل العقبات أمام هذه التبعية الجديدة ، ووفق تقرير بروتون بروكنجز : أمكن إزالة هذه العقبات من طريق مشاريع مشتركة بين أثرياء الدولتين ومن خلال نسج شبكة واسعة من الاتصالات والعلاقات بفئات اجتماعية متنوعة ومؤثرة ومن هذه الأسماء (كامل الكفراوى ، عصمت السادات ، محسن التونسى ، صلاح نبهان) الوكيل التجارى العام للشركات الإسرائيلية فى مصر ، عثمان البكل ، ومهندسا الرى حسن مجدى عبد الوهاب ومحمد حامد محمود ، ومن الجانب الإسرائيلى كان يقف دائماً المليونير المعروف نسيم غاؤون) .

هذا هو السيناريو فى صورته العامة التى أعقبت توقيع اتفاقيتى " كامب ديفيد " والذى مورس بنشاط صهيونى منظم ، ولم تكن فى مواجهته قوى منظمة ، على الرغم من البطولات التى أبداها العديد من القوى الوطنية فى مصر ، وقد يعود ذلك إلى حالة عدم التوقع التاريخى التى صاحبت هذا السيناريو لدى المثقفين والهيئات المصرية فى حين أن الصهيونيين كانوا قد أعدوا أنفسهم لها ، وبشكل جيد وعليه ، كان طبيعياً أن يتصاعد دورهم من مجرد اللقاءات الفردية والبحوث الممولة إلى بناء أطر مؤسسية للتجسس وكان أبرزها وأكثرها وضوحاً المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة .

التجسس المؤسسى (المركز الأكاديمى الإسرائيلى) :

بعد توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد وتحديداً فى العام 1982 وبإيعاز وإلحاح من مناحيم بيجن ، أنشىء المركز الأكاديمى الإسرائيلى ؛ ليمثل أخطر مظاهر الاختراق الصهيونى للعقل المصرى فى المرحلة التالية لمبادرة القدس 1977 إذ إنه يقدم نفسه كإطار مؤسسى للتجسس ، متجاوزاً بهذا الجهود الفردية ، والبحوث المشتركة التى كانت تجرى بشكل غير منتظم ووفق أمزجة الهيئات والباحثين فى إسرائيل ومصر . إن المركز الأكاديمى بهذا أضحى أرقى صور التغلغل ولم يكن غريباً ، والأمر كذلك أن تكتشف فى داخله خلال عامى 1985و 1986 ثلاث شبكات للتجسس مكونة من عدد من الأمريكيين والإسرائيليين واليهود المصريين ، بل يؤكد هذا الدور التجسسى الجديد مجرد إلقاء نظرة متأنية على الأبحاث السياسية والثقافية والاجتماعية التى قام بها المركز منذ إنشائه وهى الأبحاث التى تبرز لنا وبوضوح عمق الخطر الذى يمثله هذا المركز كأداة متقدمة للمخابرات الإسرائيلية ، فالمركز قام مثلاً ببحث الأصول العرقية للمجتمع المصرى ، وبحث : أيضاً فى كيفية تفتيت مصر طائفياً ، وفى الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام ، وفى الشعر العربى الحديث والشعراء العرب المعروفين (صلاح عبد الصبور كنموذج) وقضايا التعليم والزراعة والميكنة الزراعية واستصلاح الأراضى ودراسة أحوال بدو ومحافظة سيناء ومطروح المصرية ، ودراسة توزيع الدخل فى مصر ، وحياة البدو والبربر على حدود مصر الجنوبية ، والشرقية وكيفية السيطرة عليها ، وأخيراً دراسة كيفية تأثير السلام على العقل العربى، وغيرها من الأبحاث الهامة .

إن نظرة متأنية على هذه الأبحاث كما يقول مؤلف كتاب " وصف مصر بالعبرى " والذى أوردها تفصيلاً ضمن وثائق أخرى هامة فى نهاية الكتاب تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك مدى الخطر المؤسسى الذى يقوم به هذا المركز ويعد نفسه لتصديره عربياً بعد نجاح النموذج فى مصر ولمزيد من إبراز الخطورة

الحقيقية التى يمثلها هذا المركز الأكاديمى ، يحسن بنا أن نرصد ببعض التفصيل مراحل تطوره من خلال تتابع تاريخ وأعمال ثلاثة من مديريه هم : شمعون شامير وغبرئيل فاربورج وأشير عوفاديا ، فماذا عنهم؟ وعن تاريخهم ؟ وأعمالهم الخطرة بل والمتوقعة ؟ .

(أ) شمعون شامير : يعد البروفيسور شامير أول رئيس ومدير للمركز الأكاديمى الإسرائيلى وقد عمل فى المركز لمدة ثلاث سنوات ، وأنهى عمله فى أكتوبر 1984 وهو يعد من كبار المتخصصين فى الدراسات الشرقية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة ، وطوال فترة إدارته عمل على إعداد الدراسات وجمع المعلومات من خلال وسائل الإعلام المصرى وخاصة من الصحف والمجلات المصرية ، واتسمت فترة رئاسته بالهدوء وهو الآن سفير إسرائيل بالقاهرة.

(ب) غبرئيل واربورج : تولى رئاسة المركز الأكاديمي في تشرين الأول – أكتوبر 1984، وهو يعد من أبرز الخبراء الإسرائيليين في مجالات شؤون الشرق الأوسط وبالتحديد مصر والسودان، وأدى تعيين واربورج في هذا المنصب إلى زيادة صيحات الاستنكار لتاريخه المعروف في مجال جمع المعلومات لجهاز المخابرات الإسرائيلية، وكان واربورج نشيطاً للغاية، وقام فور توليه رئاسة المركز باستقبال أعداد كبيرة من الباحثين الإسرائيليين القادمين إلى القاهرة لإعداد البحوث والدراسات التى يبدو بعضها بريئاً ، لكن هذا المظهر هو إحدى الوسائل التى تلجأ إليها المخابرات الإسرائيلية للحصول على المعلومات غير العسكرية وبدأت هذه الوفود فور وصولها إلى مصر فى جمع المعلومات من مصادر مختلفة ، ومن أشخاص على اتصال وثيق بمصادر المعلومات السياسية والاقتصادية ومن بين هؤلاء الإسرائيليين بعض العاملين فى أجهزة جمع المعلومات مثل قسم الأبحاث فى المخابرات العسكرية وفى الموساد ووزارة الخارجية الإسرائيلية ، كما قام المركز بتكليف بعض المصريين

بإعداد دراسات عن مصر ، بعضها يتصل بالتعليم والجوانب الاجتماعية والثقافية للتيارات السياسية والفكرية فى مصر خاصة التيار الدينى ، كما أقام واربورج أيضاً بالعمل على كسب أصدقاء للمركز عن طريق توجيه الدعوة إليهم لزيارة إسرائيل وبهذه الطريقة يمكن التعرف على عناصر من بين هؤلاء يسهل تجنيدها ، بعد إخضاعها للملاحظة والدراسة للعمل لصالح الإسرائيليين وذلك بعد توريطها واستخدام الإغراءات المادية وكان ورابورج قد ولد فى العام 1927 فى برلين عاصمة ألمانيا القيصرية فى ذلك الوقت ، ورحل مع أسرته فى سن السادسة إلى فلسطين ، وعمل أبحاثاً بتكليف من رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق اسحق رابين عن كيفية تعطيل الدور المصرى فى الصراع وإخراج مصر من ساحة الصراع، عن طريق التجاوب مع بعض المبادرات السلمية وتقديم التنازلات الإقليمية كما ساعد فى إعداد الدراسة أيضاً البروفيسور شمعون شامير رئيس معهد شيلواح للدراسات الأفريقية والشرق الأوسط وقتذاك .

واستطاع واربورج طوال السنوات الثلاث التى عمل فيها فى المركز أن يفتح أبواب المركز الأكاديمى لمئات الطلبة المصريين والعديد من الباحثين والمتخصصين الإسرائيليين والأجانب الذين يرتادون المركز يومياً ، وأنهى عمله فى أوائل نيسان (أبريل 1987) ورحل إلى إسرائيل ، ليكتب مذكراته عن مصر ، وكذلك التقارير التى طلبت منه عن تلك الفترة .

(ج) أشير عوفاديا ، وهو المدير الحالى ، ويعد من نوعية جديدة ومختلفة تماماً عن كل من شمعون شامير وغبرئيل فاربورغ اللذين كانا متخصصين فى الدراسات الشرقية , بصفة عامة ومصر بصفة خاصة , فقد عمل عوفاديا مدرسا بجامعة تل أبيب وفى فن العمارة المحدود بفترة القرون الوسطى , ويبلغ من العمر 55 عاماً تقريباً وهو يونانى الأصل والشكل أيضاً ولد من أبوين يونانيين فى إحدى المقاطعات بين أثينا وسالونيك وأمضى فترة طفولته فى اليونان ورحل إلى تل أبيب فى العام 1949 متزوج وله ابنة واحدة , زار

عوفاديا مصر أكثر من 15 مرة قبل توليه منصبه فى المركز الأكاديمى وتعرف خلالها على كل المحافظات المصرية ، كما أنه شديد الاهتمام بالفن المعمارى الفرعونى والاغريقى , ويركز بصفة أساسية على الفن المعمارى الإسلامى والمسيحى , ويتسم عوفاديا بالهدوء والتركيز الشديدين كما أنه على وعى وعلم كاملين بالحضارات المصرية ابتداء من الفرعونية فالإغريقية والرومانية والإسلام وخاصة الطرز المعمارية , ولديه ملكات فنية ويستطيع أن يجتذب المهتمين بالفنون ويتحدث الإنجليزية والقليل من العربية .

ومن المتوقع أن يركز المركز الأكاديمى فى دورته الحالية أى فى فترة عوفاديا على طبقة المعماريين والفنانين التشكيليين المصريين ، ويبدو أن الخطة الإسرائيلية المقبلة – حسبما أوردته الصحف المصرية التى تابعت هذا الأمر تستهدف غزو واستقطاب نوعية جديدة من الفنانين التشكيليين والمعماريين .

هذا باستعراض تطور العلاقات المصرية – الإسرائيلية خلال الفترة التالية لعام 1977 وخاصة السنوات القريبة من عامنا (1989) يقدم كتاب وصف مصر بالعبرى العديد من المعلومات الهامة عن تلك العلاقات نذكر منها :

(1) التطبيع فى مجال البحوث الفنية والصحية :

تذكر صحيفة "الجيروزاليم بوست" الإسرائيلية فى سبتمبر 1987 تقريراً تحت عنوان " مصر وإسرائيل تنفذان سويا ودون ضجيج برنامجاً من أجل الصحة " جاء فيه :

" فى مجال البحوث الطبية يجرى الآن تعاون مصرى إسرائيلي , هذا التعاون كان قد بدأ منذ خمس سنوات مضت ، حيث فى يوم ما أصدر مجلس نقابة الأطباء المصريين بياناً نشرته الصحف القومية فى باب الاجتماعيات بعد أن دفعت النقابة ثمن نشره وقد أعلن البيان عن إجراءات سوف تتخذها النقابة فى مواجهة الأطباء الذين يتعاملون مع إسرائيل.. تبدأ هذه الإجراءات بالتحقيق ولفت النظر إلى سحب المؤهل .

كذلك سجلت النقابة عدم اعترافها بأى شهادة علمية تمنح عن طريق جامعات إسرائيل ومعاهدها العلمية وأنها لن تصرح لحاملها بمزاولة المهنة .

بالرغم من ذلك تقول الصحيفة " أجريت "بحوث مشتركة" فى مجال الصحة العامة حقق نجاحاً كبيراً وأدت إلى التقليل من الإصابة بالأمراض الاستوائية المعدية المنتشرة فى الشرق الأوسط ومن ثم فقد قررت الدولتان المضى فى هذه المشروعات البحثية لخمسة أعوام أخرى .

وزعمت الصحيفة.. أن العلماء الإسرائيليين فى مركز "سانفورد كوفين" ونظراءهم فى جامعة عين شمس قد صرحوا للصحيفة بأنهم أصبحوا منذ بداية هذا المشروع المشترك " أخوة فى الدم وقالت : إن هذا المشروع هو الأول من نوعه فى منطقة الشرق الأوسط .

وادعت الصحيفة أن المصريين أبدوا شغفهم للاشتراك فى هذا البرنامج بعد أن اجتاحت الحمى بلادهم عام 1979 فقتلت بضعة آلاف منهم , وصرعت أعداداً من الماشية والدواجن والدواب تقدر بالملايين .

وقد كان العمل فى البرنامج مركزاً على الأمراض التى ينقلها البعوض ، مرض خطير آخر ينقله الذباب وقد أثمرت " والكلام مازال للجيروزاليم بوست" أثمرت الجهود المشتركة للعلماء المصريين الإسرائيليين وتمكنوا من نشر 33 بحثاً عن هذه الأمراض فى المجلات العلمية .

وفى هذا الإطار ... توجه الدكتور شغوار لزيارة القاهرة عدة مرات كأستاذ زائر بجامعة عين شمس كما اشترك الدكتور كوفين – العالم الإسرائيلى – فى عدة مؤتمرات فى الجامعة المصرية وفى إسرائيل أيضاً .

ومن ناحية أخرى قام مركز "كوفين" بتصوير طريقة الكشف عن الملاريا التى تستخدمها مصر , وقد صرح "كوفين" أن تبادل الآراء مع جامعة عين شمس المصرية جعل منها مركزا متميزاً للدراسات فى هذا المجال مما أدى إلى تقليل الإصابة بهذه الأمراض ، كما أدى إلى زيادة التعاون بين البلدين , وأن القرار

الخاص باستمرار فى التعاون لخمسة أعوام أخرى سيمكن العلماء من المضى فى أبحاثهم حول بعض الأمراض الأخرى المنتشرة فى المنطقة ، وأضاف كوفين أن العلاقة التى تربط علماء البلدين هى أشبه ما تكون بالعلاقة الأسرية . وأن– المصريين تميزون بالذكاء والعلم وأن العمل معهم كان بعيداً تماماً عن مجال السياسة وأنه كان بمثابة أطل نافذة منها علماء مصر على إسرائيل .. وأخرى أطل منها علماء إسرائيل على مصر .

وواصلت إسرائيل أيضاً عمليات التطبيع على مستوى الصحة النفسية , حين سجلت حضورها فى مؤتمر الصحة النفسية الذى عقد فى نوفمبر 1987 , والطريف هنا قول الدكتور جمال أبو العزائم ، لقد خسرنا من قبل عقد مؤتمرين فى مصر لإصرارنا على مقاطعة الإسرائيليين وهذه المرة كنا سنخسر وجود الاتحاد هنا لو قاطعناهم .

وكانت نقابة الأطباء المصريين , قد حذرت د. أبو العزائم من إشراك الإسرائيليين وأعلن إحالة المسئولين إلى التحقيق لمخالفتهم لقرار الجمعية العمومية للنقابة ولكن لم ينفذ ذلك مما أدى إلى انسحاب عدد من الأطباء من المؤتمر بعد مفاجأتهم باشتراك وهم د. اعتدال عثمان , ود.هناء سليمان ود.عصام اللباد وانسحب أيضاً د. أحمد عكاشة – بعد علمه بمشاركة إسرائيل – كما لم يحضر د.قدرى حفنى وقاطعت المؤتمر معظم الدول العربية وقامت شركة "أمريكان أكسبريس" بتغطية نفقات المؤتمر , كما شاركت فيه الجمعية الإسلامية العالمية للصحة النفسية .

(2) محاولات للتطبيع فى مجال الآثار :

يذكر المؤلف د. رفعت سيد أحمد هنا أنه نظراً لأنه ليس للاختراق الإسرائيلى للعقل المصرى حدود فإنه امتد إلى الآثار خاصة بعد ما قاله بيجن للسادات عام 1979 قولته الشهيرة " إن أجدادى هم الذين بنوا هذه الأهرامات" وكان

يقف ساعتها أمام أهرامات الجيزة ووقتها لم يرد السادات واكتفى بابتسامته الباهتة المعروفة !!

وبعد سنوات يأتى الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار السابق ليعلن بعد قيام وزير الثقافة ورئيس الوزراء بإقالته من هيئة الآثار يأتى د.قدرى ليعلن أن : " جزءاً من أزمته الأخيرة يرجع إلى رفضه المستمر للتعاون مع البعثات الإسرائيلية التى طلبت المجيء إلى مصر وكشفه لأعمال النهب التى قامت بها إسرائيل للآثار المصرية فى سيناء مشيراً إلى أنه قاوم ضغوطاً إسرائيلية عديدة حاولت عرقلة الحفائر الأثرية التى قامت بها جامعة عين شمس بالمقابر اليهودية .

وأكد د. قدرى فى الندوة التى نظمتها له اللجنة الثقافية بنقابة الصحفيين فى مارس 1988أن إسرائيل هى العدو الأساس لمصر والعالم وللعرب,وهى تعمل جاهدة على تفريغ الفكر والوجدان المصرى من هويته الثقافية والتراثية موضحاً أنه لم يزر إسرائيل ولن يزروها.

<u>(3) التطبيع فى مجالات الفيزياء:</u>

ويرى المؤلف هنا أن عمليات التطبيع العقلى قد امتدت لتصل إلى قسم الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة , فبعد عدة جولات بحثية لهذا القسم مع الإسرائيليين خلال الأعوام من 1983 وحتى 1987 , تأتى جولة أخرى من البحوث المشتركة حين قام فى يناير 1988 البروفيسور الإسرائيلى/ هارى ليبيكن وزوجته التى تعمل بمعهد وايزمان الوثيق الصلة بالموساد وبعمليات وبحوث مفاعل ديمونة وصناعة الأسلحة النووية الإسرائيلية بزيارة القسم واشتمل برنامج الزيارة على عقد ندوة علمية لأعضاء هيئة التدريس بقسم الفيزياء النووية جامعة القاهرة حول التطور العلمى الإسرائيلى , وأجرى الباحث الإسرائيلى خلالها مناقشات عديدة حول إمكانات التعاون بين مصر وإسرائيل ووجه الدعوة لعدد من أساتذة الجامعات المصرية لزيارة إسرائيل وأحاطت الجهات المسئولة الزيارة

بسرية تامة , ولجأت لعدم كشف جنسية الضيف الأجنبى خوفا من رد الفعل العدائى , إلا أن ما صرح به " هارى ليبكين" بعد عودته لإسرائيل فى الصحف هناك كشف عن خفايا الزيارة وهدفه من ورائها فضلاً عن تعمده التحقير من قدر علماء مصر والاستخفاف بهم واتهامه لشباب العلماء من المصريين بالانشغال بالسعى خلف جميع الأموال من دول الخليج وتخلفهم العلمى واستطاع بالفعل خلق شبكة من العلاقات وتوقيع عدد من الاتفاقات البحثية بين كلية العلوم بجامعة القاهرة وبين معهد وايزمان ,كما ذكرت ذلك صحيفة الجيروزاليم بوست.

(4) محاولات التطبيع السينمائى :

يذكر المؤلف د.رفعت سيد أحمد فى كتابه وصف مصر بالعبرى أنه وإلى جوار أساليب التطبيع الثقافى المعتادة , برزت السينما كأداة هامة فى نطاق عمليات التطبيع الثقافى واتخذت هذه الأداة عدة طرق كان أبرزها سوق الفيديو , والأفلام المعروضة مباشرة فى دور العرض وكانت معظمها من إنتاج وإخراج صهيونى ، فعلى سبيل المثال فى سوق الفيديو فى مصر اشتهرت شركتان (أعوام 1986-1987-1988) وأصبحتا تتعاملان مع شركة التوزيع الصهيونى وعلى رأسها شركة كانون لأصحابها جولان وجلوباس بشكل سافر , هاتان الشركتان هما " شافعى فيديو فيلم وتوب فيديو فيلم" فالأولى عرضت فى الأسواق كنموذج فيلم (غزو أميركا) من إنتاج الشركة الصهيونية وبطولة شاك نوريس والثانية عرضت "قانون نورفى" لتشارلز بروفسون.

جدير بالذكر أن صاحب الشركة الأولى وهو إيهاب شافعى الشقيق الأصغر لمنيب شافعى رئيس غرفة صناعة السينما !!

هذا ولقد تردد فى الأوساط السينمائية المصرية فى أواخر عام 1987 أن مناحم جولان المخرج والمنتج الصهيونى المعروف وشركة "كانون" للإنتاج السينمائى , يحاول شراء دار سينما "كريم1" والموجودة بوسط القاهرة وتناقلت الأوساط

السينمائية تصريحاً لصاحب السينما المذكورة "حسين القلة" عن اتصالات أجراها مع بعض مسئولى كانون .,

ويذكر أيضاً أن شركة كانون تتعرض حالياً لمخاطر الانهيار وقد تلاشت أحلام المنتجين الإسرائيليين مناحم جولان وابن خالته "يورام جليوس" فى السيطرة على السينما الإيطالية عبر شركة كانون- إيطاليا وبلغت الخسائر ما يقرب من نصف مليار دولار هذا والمعروف أن الشركة قد أسسها إسرائيليان، أحدهما طيار صهيونى سابق وهو مناحم جولان مخرج فيلم "فوق القمة" والثانى بيوران غلويس منذ عدة سنوات .

هذا , وقد قامت شركة كانون الإسرائيلية بإغراق السوق المصرى بالعديد من الأفلام التى ترتكز على تمجيد المستعمر الغربى وتبرير سياسته العدوانية مثل فيلم "فوق القمة" والملفت للنظر هنا هو أن "غرفة صناعة السينما" لم تصدر قرارا واحداً لمصادرة هذه الأفلام أو عدم استيرادها , بعودة إلى قائمة هذه الأفلام نذكر ما يلى على سبيل المثال فقط :

(أ) لقاء الجبابرة : أخراج مناحم جولان 1981 تمثيل فرانكونيرو وسوزان جورج "عرض فى سينما أوديون عام 1987 , كما يعرض فيديو شافعى فيلم.

(ب) لعنة الماس : إخراج مناحم جولان 1975 تمثيل روبرت شو – شيالى ونترز (عرض فيديو فقط) كلر فيديو فيلم .

(ج) انتقام العملاق الأسود:إخراج سام فاير ستنبرج 1983 تمثيل شكوكو سوجى(فيديو فيلم) .

(د) انتقام النينجا : إخراج سام فاير ستنبرج 1985 تمثيل هويتشى كوك (فيديو) وهب فيديو فيلم ، وغيرها من الأفلام التى وصلت إلى عشرين فيلماً عرضت عامى 1987 – 1988 ، جميعها من إنتاج الشركات الصهيونية سالفة الذكر .

وارتباطاً بمحاولات التطبيع العلمى والسينمائى والمسرحى كان التطبيع الصحفى ونماذجه عديدة لا تحصى ، ولعل من أشهر فرسان التطبيع الثقافى والصحفى

فى مصر والذين يحتفظون (بتاريخ حافل) من العلاقات مع اليهود، الصحفى المصرى : أنيس منصور والذى يعد نموذجاً فريداً للإنسان القادر على التحول من الضد إلى الضد فى زمن قياسى ، وهو الأمر الذى يؤكد قدوة هذا الصحفى على المراوغة ، ولعل زيارات أنيس للكيان الإسرائيلى وكتاباته عنها أصبحت من الكثرة والتفاهة بحيث يصعب حصرها ، فقط نشير إلى إحدى الطرائف المرتبطة بتلك الزيارات والتى تؤكد أنه قد نشبت أزمة كبيرة بين أنيس منصور وصلاح منتصر (رئيس تحرير أكتوبر والذى خلف أنيس فى منصبه) فى يناير 1988 عندما ارتفعت قيمة فاتورة التليفون الدولى الخاص بأنيس إلى 4500 جنيه والتى كانت موجهة فى مجملها إلى أصدقائه من قادة إسرائيل .

<u>5 – محاولات التطبيع مع الشباب المصرى</u> : وهنا يذكر المؤلف فى كتابه "وصف مصر بالعبرى" أن التطبيع لم تتوقف محاولاته على جيش الباحثين والفنانين والصحفيين من اليهود والمؤسسات الأمريكية والإسرائيلية المشبوهة بل تعداه إلى محاولات إغراء الشباب المصرى للذهاب إلى إسرائيل والحصول على شهادات علمية من مدارسها وجامعاتها ، بالرغم من قرار أغلب النقابات المهنية المصرية برفض الاعتراف بتلك الشهادات بيد أن الإغراء الإسرائيلى أتى ببعض الثمار وإن كانت ثماراً جافة غير ذات قيمة ، إذ تروى صحيفة (صوت العرب) هذه الواقعة لطالب مصرى ذهب للدراسة فى تل أبيب نقلاً عن مجلة أمريكية قائلة : (محمود فوزى شاب مصرى 28 سنة) من ريف الجيزة خرج حاملاً شهادته بيده ، لكن رأسه كان مملوءاً بأوهام الصلح مع العدو ، فقرر الذهاب للدراسة فى إسرائيل وكانت البداية فى عام 1984 وعن تجربة السنوات الثلاث التى قضاها فى إسرائيل، بعض الإهانات التى تجرعها لمجرد كونه عربياً ومصرياً يدرس فى إسرائيل ، فلقد حصل فى يوليو 1987 على دبلوم مدرسة فايدرج بمعهد وايزمان للعلوم ، وهو فى طريقه لاستكمال دراساته العليا فى ألمانيا الغربية ، يروى محمود فوزى الطالب الضحية معاناته قائلاً : عندما

كنت أخرج وأتجول فى الشوارع كان الإسرائيليون ينظرون إلىّ باعتبارى عربياً ويظهرون اشمئزازهم ، ولم تتوقف عنصرية الإسرائيليين عند هذا الحد ، إذ يقول محمود فوزى : ذات مرة أوقفتنى شرطة الحدود فى القدس القديمة وطلبت إبراز تحقيق شخصيتى ، لم يصدق رجل البوليس أننى مصرى ورمى البطاقة على الأرض ، والثمن الذى دفعه الطالب الضحية مقابل حصوله على الدبلوم من المعهد الإسرائيلى بحسب رواية المجلة اليهودية هو حصوله على شهادة غير معترف بها علمياً.

(5) تلخيص كتاب " مقاومة التطبيع والعدوان الأمريكى الصهيونى "

صدر عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة كتاب بعنوان " مقاومة التطبيع والعدوان الأمريكى الصهيونى لمجموعة من الباحثين " ، وقد جاء فى ستة بحوث ، حيث تناول البحث الأول للدكتور رفعت سيد أحمد قضية اختراق العقل العربى التى يقوم بها الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة وربيبتها فى المنطقة إسرائيل .

– مفكرو الغرب يُجمعون أن الصراع المستقبلى سيكون صراع حضارات وأفكار وثقافات بالأساس ومن ثم كانت أهمية الغزو الثقافى والفكرى للعقل العربى من أجل ترسيخ وإحلال مفاهيم جديدة فى العقل الجمعى العربى مما يحدث تبعية ثقافية وفكرية للغرب ، يأتى هذا متزامناً مع توظيف العلم فى الغرب لخدمة الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى محاولة جادة منهم لاحتلال العقول متشابكة مع الغزو الفكرى والثقافى لتحقيق الأهداف التوسعية والاستعمارية القديمة والحديثة والتى تمثلها الشركات المتعددة الجنسيات ، ويصبح البحث العلمى والعلم والمشتغلون به مجرد أدوات طيعة للسيطرة داخل تلك الأوطان وخارجها .

ثم أشار الكاتب لطرق الاختراق وأدواته وتاريخه وأن الأجهزة الاستخبارية وما تضعه من خطط قصيرة وطويلة المدى هى أساس هذا الاختراق وأهم أدواته : الإعلام والتبادل الثقافى والمشروعات العلمية والبحثية المشتركة والمدارس والجامعات الغربية المنتشرة فى ربوع العالم العربى منذ فترة طويلة ، ثم كانت اتفاقية كامب ديفيد والتى دشنت الاهتمام الثقافى الإسرائيلى بمصر وأعطته أبعاده الرسمية حيث جاءت صريحة فى بنود الاتفاقية ثم فى الاتفاقية المعقودة فى 1980/5/8 تم إنشاء المركز الأكاديمى الإسرائيلى 1982 وتولى رئاسته رجال من الموساد الإسرائيلى ؛ ليكون قاعدة متقدمة لتحقيق الاختراق للعقل

المصرى بمد خطط ممنهجة بالتعاون مع المؤسسات الغربية العاملة فى مصر .

ثم استعرض الكاتب تاريخ السفراء الإسرائيليين بالقاهرة من إلياهو بن اليسار حتى جدعون بن عامى مروراً بموشيه ساسون وشيمون شامير وإفرايم دوبك وإبراهيم واربورج وديفيد بن سلطان وتسيفى مازئيل وجدعون بن عامى .

ثم يدلف لدور المركز الأكاديمى الإسرائيلى باعتباره الذراع الثقافى للسفراء ثم دور القنصليتين الإسرائيليتين بالقاهرة والإسكندرية باعتبارهما الذراع التجارى للسفراء .

ثم يذكر المؤلف أهم وكلاء العدو الصهيونى بالقاهرة ومن أهمها : شركة دلتا تكستايل ومجمع ميدور لتكرير البترول وغيرها من الشركات سواء فى المجال الزراعى أو مجال الالكترونيات والتجارى أو المجال الصناعى والملاحى .

أما البحث الثانى والذى أعدته أمانة الإعلام باللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين ، فتناول كيفية الاستفادة من التجربة اللبنانية فى دعم الانتفاضة فى مصر ، حيث كان للانتصار اللبنانى على العدو الصهيونى وانسحاب الأخير من جنوب لبنان فى 2000/5/24 آثاره الكبرى على الصعيدين العربى والدولى وكان له مردوده النفسى على قوى مقاومة التطبيع ومساندة المقاومة وبالأخص فى مصر .

وقد تناول البحث واقع الانتفاضة الراهن سواء : فلسطينياً أو عربياً أو دولياً ثم تناول الواقع المصرى المقاوم شعبياً ، العاجز رسمياً ، ثم تناول المقترحات العملية لمقاومة عملية التطبيع فى مصر ومساندة القوى المقاومة فى فلسطين من واقع الخبرة اللبنانية والفلسطينية والتى من أهمها نبذ الخلافات الداخلية والتوحد خلف هدف واحد وعدم السماح بوجود انقسام داخلى مهما كان صغره أو تفاهته .

أما البحث الثالث للأستاذ فاروق العشرى فتناول آفاق الانتفاضة فى عامها الثانى ، حيث أوضح فى بداية البحث أن العام الأول من الانتفاضة نتج عنه ألف شهيد و 2000 مصاب وأكثر من 30 ألف معتقل ، وقد اعتمد الفلسطينيون على مجهوداتهم الذاتية حتى وصلت للعمليات الاستشهادية دون أدنى مساعدة من دول الجوار ، بل على العكس فقد اتخذت بعض دول الجوار موقفاً معادياً للانتفاضة واتخذت وسائل عدة لعرقلة وصول المساعدات للداخل الفلسطينى ، وقد تناول الباحث الموقف الراهن وخيار الحرب والسلام ثم الدوافع المحركة لاندلاع الانتفاضة واستمرار المقاومة ثم انعكاسات الانتفاضة أو الثورة على أرض الواقع ثم الانتفاضة ومسيرها على خطى الحرب الشعبية للتحرير ثم تناول التحديات التى تواجه استمرار الانتفاضة بنفس زخمها وقوتها وآفاق المستقبل أمامها من حيث التحديات وسبل استمرارها مع التأكيد أن الشعب الفلسطينى استطاع رغم كل هذه المعوقات والتحديات والتضحيات الباهظة أن يحطم حلم آرييل شارون فى تحقيق الأمن للإسرائيليين ، وأن يكبد الاقتصاد خسائر فادحة قدرت بعشرات المليارات .

أما البحث الرابع لوحيد الأقصرى فتناول قضية الأسرى المصريين وعنصرية الكيان الصهيونى ، وقد أوضح الكاتب الغرض من فتح هذا الملف المنسى بفعل فاعل وهو الثأر لأرواح حوالى 65 ألف أسير مصرى وفضح الانتهاكات الصهيونية وكشف الوجه القبيح للكيان الصهيونى وتوعية الرأى العام المصرى لحتمية الثأر لهؤلاء الشهداء مع إجبار الحكومة المصرية لاتخاذ الإجراءات اللازمة ضد الكيان الصهيونى من مجرمى الحرب ومحاكمتهم جنائياً وتعويض الضحايا مع ضرورة كشف مقابر الأسرى ونقل رفات الشهداء . ثم أشار الباحث للجرائم الصهيونية التى ارتكبت فى حق شهدائنا وأسرانا سواء بالمتاجرة فى أعضائهم البشرية أو إجبارهم على حفر قبورهم بأيديهم ومنع الطعام والماء

عنهم حتى قضوا جوعاً وعطشاً وغيرها من الجرائم الوحشية اللاإنسانية التى ارتكبها العدو الصهيونى فى حق أسرانا.

ثم أورد الباحث جانباً من اعترافات مجرمى الحرب الصهاينة أنفسهم عما جرى للشهداء والأسرى المصريين مثل شهادات العميد احتياط آرييه بيرو قائد الكتيبة 890 مظلات عام 1956 واعترافات المقدم احتياط عاموس نثمان أحد منفذى مجزرة شرم الشيخ وأحد أفراد الكتيبة 890 مظلات عام 1956 .

– قيام بنيامين اليعازر بقتل 300 جندى مصرى وفلسطينى فى العريش 1967 وغيرها من الاعترافات الفردية التى تؤكد قتل الأسرى المصريين بعد وقوعهم فى الأسر ، ثم أورد الباحث شهادات بعض المصريين الذين نجوا من القتل مثل د. أحمد شوقى الفنجرى والجندى فهمى محمد العراقى ، والجندى شعبان عبد الستار جابر المسيلى وغيرهم من الجنود الذين كتب الله النجاة من الوحشية الصهيونية .

وقد ذكر الباحث أن هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم حتى فى كل القوانين الدولية ومنها المصرى حتى القانون الإسرائيلى الذى صدر فى 1950 برقم 5710 بجعل هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم وهو المبدأ الذى حاكموا به رموز النازية فى العالم بزعم اضطهادهم لليهود فى ألمانيا كما حدث لأدولف ايخمان فى الأرجنتين وقلاوس باربى بفرنسا .

أما البحث الخامس للمهندس الزراعى محسن هاشم فتناول الاختراق الزراعى لمصر وهو موضوع من أخطر ما يمكن ؛ لأن خطره لمسه كل مواطن مصرى خاصة العاملين بالقطاع الزراعى ، فقد لعب يوسف والى وعصابته فى وزارة الزراعة دوراً تآمرياً مع الكيان الصهيونى للقضاء على المحاصيل الاستراتيجية المصرية مثل القطن والبطاطس والقمح والأرز وقصب السكر والفواكه فتم تخريب محصول القطن المصرى وطردت مصر من البورصة العالمية للقطن وحلت محلها إسرائيل وتوقف تصدير البطاطس المصرية للأسواق الأوروبية

بعد إصابتها بمرض العفن البني بعد استيراد بذور وشتلات من إسرائيل وأصيب الموز المصرى بالإيدز بعد وصول شتلات و(تقاوي) ومبيدات إسرائيلية للسوق المصرى الذى فتح على مصراعيه بفضل سياسة التآمر المتبعة من يوسف والى وعصابته فى وزارة الزراعة ثم ذكر الباحث أهم الشركات الزراعية الإسرائيلية العاملة فى السوق المصرى ومنها شركة كارمل ومكتب شركة أجرولاند ومجموعة المغربى الزراعية وشركة تكنوجرين وسيف أجريت ومجموعة شركات هريزا ، حيفا ، كلال وشركة بيكو فضلاً من التأثيرات الخطيرة للمبيدات الإسرائيلية والتى منها الفشل الكلوى الكبدى والتسمم الغذائى والسرطان والتخلف العقلى والعقم وعدم التحكم فى البول.

ثم أورد الباحث قائمة بأهم المطبعين مع إسرائيل فى مجال الزراعة منهم فؤاد أبو هدب وممدوح رياض تادرس ويوسف عبد الرحمن وعلى أبو جازية وأيمن أبو حديد وسامى الفيلالى (عم الجاسوس الفيلالى) .

ثم تناول الباحث مخططات إسرائيل للسيطرة على المياه سواء فى الأرض المحتلة أو سحبها من مخزون سيناء الجوفى أو التأثير على حصة مصر والسودان فى دول المنبع لمنع مصر من إحداث نهضة زراعية شاملة .

أما البحث السادس للدكتور عبد الرحمن الكريمى فتناول التسوية السياسية مع إسرائيل بين الممكن والمستحيل وفى البداية يتساءل الباحث هل من الممكن إيجاد تسوية مع إسرائيل وهل هى ممكنة أم مستحيلة ؟ .

ويفرق الباحث بين السياسة كونها فن الممكن أو فن المستحيل والصعب والمستحيل هو الممكن الوحيد لحالتنا العربية ثم يستعرض الباحث الموقف الإسرائيلى من عملية التسوية السلمية ويشير لموقف إسرائيل الرافض لنتائج أوسلو رغم كل التنازلات الفلسطينية أثناء مباحثات أوسلو السرية ثم محاولة فرض تسوية تبعاً للمزاج الإسرائيلى فى ذروة الانتفاضة وموافقة أطراف عربية على ذلك هو خطأ استراتيجى قاتل للسياسة العربية ، فقرار وقف إطلاق النار

يؤدى حتماً لوقف الانتفاضة ، والقضاء على مظاهرها والتفاوض على 12% من أراضٍ منفصلة مهلهلة بدلاً من 22% والعودة إلى حدود 1967 التى نص عليها قرار 242 ولقد انقضت المرحلة الانتقالية فى اتفاقات أوسلو مخلفة وراءها 34 قضية لم يلتزم الإسرائيليون بتنفيذها .

ويشير الباحث إلى أننا أمام مخرجين مختلفين للأزمة : مخرج شعبى ومخرج رسمى بيروقراطى وترجيح كفة أحد السياستين على الأخرى ، إنما يعتمد على مدى نجاح حشد عوامل القوة لأى منهما وهو الحشد الذى تلعب فيه الانتفاضة الفلسطينية الدور الأكبر حتى الآن والرهان على أن المخرج الشعبى هو من سينتصر فى النهاية . ومن ثم نشأت ثلاث استراتيجيات وهى:

- دعاة الحل السلمى ويتمسكون بحجج الشرعية الدولية وقراراتها وهم أصحاب فكرة الصلح مع إسرائيل وهؤلاء يمثلون السلطة بشكل أساس وكذلك قوى الانفتاح والخصخصة والقوى الليبرالية وكذا فى صفوف القوميين واليساريين الديمقراطيين وبعضهم فى صفوف الشيوعيين وهى استراتيجية تجعل الصراع الفلسطينى الإسرائيلى مستقلاً عن الصراع المصرى الإسرائيلى ولا يعتبرنهما كلاً واحداً .

ثم إن هناك استراتيجية ثانية وهم دعاة الحرب النظامية بهدف تحريك القضية سياسياً بهدف استدعاء القوى العالمية للضغط على إسرائيل ولكنهم يخوضون الحرب على نفس الأسس ومباديء الحل السلمى ، واستراتيجية ثالثة وهى تعتبر الصراع الرئيس فى مصر ودول الطوق هو الصراع الوطنى وعلاقته الجدلية بالديمقراطية ، وتعتبر أن العدو الرئيس فى الصراع الوطنى هو الاحتكار الأمريكى الصهيونى العالمى والعدو المباشر هو الصهيونية والعنصرية الإسرائيلية وأن الطريق لإنجاح مهام هذه المرحلة هى الجبهة الوطنية الديمقراطية ولكن هذه الاستراتيجية مازالت لا تجد طريقها للجماهير العريضة .

ثم يشير الباحث إلى أن أسلوب المفاوضات الذى ظل مستمراً منذ أن انتهت حرب أكتوبر 1973 حتى اليوم والذى يدور على أساس من القرار 242و338 كشفت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة مدى هشاشته وهزلية نتائجه فى الواقع العملى فبعد سنوات من المفاوضات فى مدريد وأوسلو وشرم الشيخ وأريحا اقتحمت القوات الإسرائيلية الأراضى الفلسطينية المحررة بفعل أوسلو بحرية كاملة ودون حرج .

ويخلص الباحث إلى أن أزمة العقل العربى تكمن فى تلك النظرة الذاتية العاجزة والمعوقة عن دراسة الواقع دراسة علمية موضوعية وهذا ما يمنع هذا العقل من إنتاج استراتيجية حقيقية تتعامل مع معطيات العدوان الإسرائيلى المستمر وتحصر سلوكه فى مجموعة من ردود الأفعال الذاتية العاطفية السابحة فى الخيال والمتوهمة لحلول لا تمت للواقع بصلة .

ثم أشار الباحث إلى نتائج حرب أكتوبر وعلاقتها بالتسوية السياسية للصراع الوطنى فى المنطقة ثم استعرض مراحل الصراع العربى الصهيونى ابتداءً من 1948 وقرار التقسيم وتنتهى بحرب 1956 واتفاق فبراير 1957 والمرحلة الثانية تبدأ مما انتهت إليه اتفاقات 1957 إلى حرب 1967 أو قبول مصر بمبادرة روجرز الثانية فى 31 يوليو 1970 وتنتهى بمعاهدة كامب ديفيد فى يونيو 1979 مروراً بالقطع بحرب أكتوبر 1973 .

والجزء الأخير من الكتاب شمل بعض الملاحق والوثائق الصادرة عن اللجنة العامة لمتابعة حركة مقاومة التطبيع ومواجهة المشروع الأمريكى الصهيونى وتتضمن عدداً من البيانات والحلقات النقاشية التى أصدرت ونظمتها اللجنة مثل الحلقة النقاشية المعنونة بأن الإرهاب صناعة أمريكية والمقاومة مشروع استنهاض الأمة والتى عقدت فى 2001/10/16 ثم المؤتمر الشعبى الحاشد المنعقد فى 2001/9/29 لوضع برنامج عملى لمقاومة المشروع الأمريكى الصهيونى فى المنطقة ثم قيام اللجنة بإصدار عدد من البيانات المنادية بإنقاذ

فلسطين واستنهاض همة الأمة وتوعيتها لإدراك ما يحيط بالأمة من مخاطر تهدد وجودها .

(عرض وتلخيص- محمود سامى – كاتب صحفى- مركز يافا للدراسات والابحاث بالقاهرة)

(6) قراءة نقدية فى كتاب" 7 سنوات فى بلاد المصريين " للسفير الإسرائيلى الأسبق فى القاهرة (موشيه ساسون)

– اليوم فى مصر وبعد ثورة يناير 2011 ، نعود مجدداً للملفات الغامضة لتفتح ، ولتفضح ما كان يجرى فى زمن مبارك ، والذى كان يعد خاصة فى مجال العلاقة مع إسرائيل ، بمثابة تفريط كامل فى السيادة الوطنية وفى ثوابت الأمن القومى المصرى والعربى ، وهذه الحال لاتزل كما هى للأسف بعد ثورة كان أحد ركائزها الدعوة لاسترداد الكرامة الوطنية ، ولعل العودة إلى وثائق ذلك الزمن مهمة ومن أبرز هذه الوثائق مذكرات ثانى وأخطر سفير إسرائيلى فى مصر " موشيه ساسون " ، الذى يوصف بأنه المهندس الحقيقى لعلاقات مصر مع العدو الصهيونى بعد كامب ديفيد 1978 ، والمذكرات تحمل عنوان (سبع سنوات فى بلاد المصريين) وخطورتها تأتى مما احتوته من أسرار وحقائق جديدة ، لم يكشف عنه رسمياً فى مصر وفى عالمنا العربى حتى يومنا هذا . والقليل جداً هو الذى تسلل إلينا وعرفناه ، أما الأهم والأخطر فلم نعرفه ، عن قصد وعن عمد قبل النظام السابق الغارق فى تبعيته لواشنطن وتل أبيب، وجاء السفير الإسرائيلى فى مصر (موشيه ساسون) فى زمن السادات ومبارك ، زمن الفساد والتبعية ، ليقدم لنا ما خفى عنا ، وباعتبارى واحداً ممن اهتموا بقضايا التطبيع بين مصر وإسرائيل وصدر لنا عدة أعمال فى هذا الصدد فلقد استفدت كثيراً من الإشراف والمتابعة على الترجمة العربية الكاملة لمذكرات هذا السفير الإسرائيلى " موشيه ساسون " فى مصر والذى امتد عمله فيها من (1981حتى 1988) حيث كانت هذه المذكرات لهذا الصهيونى تعد كنزاً سياسياً معلوماتياً مهماً لدارسى العلاقات مع العدو الصهيونى وللمقاومين للتطبيع أيضاً ، وأصدرت دار الكتاب العربى فى القاهرة ودمشق ، عدة طبعات من تلك الترجمة المتميزة فى بداية التسعينات ، ترى ماذا يقول لنا ساسون وكيف نقرأه

بعيون ما بعد زمن التبعية والذل والاستبداد والممتد من 1977 (عندما زار السادات القدس) وحتى 2011/2/11 عندما تنحى مبارك عن حكم البلاد ؟! كيف نستعيد قراءته بعيون ثورة يناير 2011 ؟ .

وبداية يهمنا الإشارة إلى أن هذه المذكرات صدرت خلال عام 1992 فى القدس تحت اسم (سبع سنوات فى بلاد المصريين) واحتوت على ثمانية فصول رئيسة والعديد من العناوين الجانبية ، فضلاً عن مقدمة بقلم الصهيونى العتيد / أبا إبيان ويمكن تلخيص أبرز حقائق وموضوعات الكتاب فيما يلى :

1) الحوارات السرية الكاملة بين السادات وموشيه ساسون .

2) الحوارات السرية بين السفير الإسرائيلى – أركان الحكم المصرى : حسنى مبارك – كمال حسن على – يوسف والى – ماهر أباظة – عبد الهادى قنديل – عصمت عبد المجيد – صفوت الشريف – وغيرهم .

3) الاتفاقات السرية بين الحكومة المصرية وإسرائيل ودور السفارة الإسرائيلية الهام فى هذا الصدد .

4) النشاطات الخفية والعلاقات الخاصة التى أقامها السفير الإسرائيلى فى مصر خلال الفترة (1981–1988) .

5) عملية اغتيال السادات كما عاشها السفير الإسرائيلى لحظة بلحظة وهو يجلس خلف السادات فى المنصة .

6) تفاصيل الاختراق الإسرائيلى للزراعة والصناعة والثقافة المصرية ودور السفارة الإسرائيلية فى ذلك .

7) رؤية السفير الإسرائيلى لعمليات مقاومة التطبيع المسلحة (سليمان خاطر – تنظيم ثورة مصر) وللعزلة التى عاشها فى مصر من قِبَل نقابات الصحفيين والمحامين والأطباء وغيرها.

تلك هى أبرز موضوعات هذه المذكرات ، مع تفاصيل أخرى دقيقة وهامة ، حول هذه المذكرات كان لنا ملاحظات أساسية وقت نشرها فى زمن المخلوع

حسنى مبارك ، ونحسب أنها لاتزال قائمة فى زمن الثورات التى اختطفتها والتيارات المحبة لأمريكا والتى ربما عقدت معها صفقات غامضة لتولى حكم مصر وسوريا وليبيا وتونس مقابل التطبيع المستمر مع الكيان الصهيونى ، يعنى إعادة إنتاج حسنى مبارك الصهيونى ولكن بلحية ، وقشرة إسلامية للأسف الشديد ، أما ملاحظاتنا الجديدة فنسجلها فى الآتى :

التجسس على السادات

(1) إدعاء السفير الإسرائيلى بالتحلى بالقيم فى مسألة عدم التنصت على كابينة السادات فى الطائرة (الفصل الأول) إدعاء ذكى وخبيث ولكن تاريخ ساسون ودولته (إسرائيل) يؤكد على مثل هذه (القيم) فالتصنت والتجسس سمة لازمة لهم ، ونعتقد أن مسألة الكابينة هذه مفتعلة . وأنه بالفعل كان يتجسس على السادات وعلى نظام حكمه برمته بل ومصر ذاتها ، هكذا كشفت وثائق المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة خلال الثمانينات والتى أصدرناها فى كتاب لنا يحمل عنوان (وكر الجواسيس فى مصر المحروسة – الملفات الكاملة للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة – مكتبة مدبولى – القاهرة – 1993) ، وكذلك ما كشفته أجهزة الأمن المصرية من عمليات تجسس وشبكات تجسس معروفة ونشر عنها فى صحف المعارضة المصرية الكبرى (الأهالى) – (الشعب) – (الوفد) قبل عام 2000 ثم الصحف والإعلام الخاص والمستقل بعد هذا التاريخ !! .

أكاذيب وحقائق

(2) إن أخطر ما كشف عنه ساسون فى تقديرنا فى الفصل الأول هو هذه الامتيازات الخطيرة التى حصل عليه هو وقومه من جراء اتفاقية كامب ديفيد، ولعل أخطرها ذلك التحييد الكامل لأكبر قوة عربية وإسلامية وإيقاف نشاطها المعادى الذى نراه نحن العرب نشاطاً طبيعياً ومتسقاً مع هوية مصر ومصالحها القومية المباشرة ويكفى للتدليل على المكسب الهائل الذى حصلت

عليه إسرائيل هو أن السفير الإسرائيلى صار بإمكانه أن يتجول فى القاهرة ويعبر المسافة من حى المعادى حيث يقطن (وحيث لايزال يقطن سلفه الحالى أميتاى) إلى القدس وهو آمن على نفسه ، بل هو قادر على التبجح على التاريخ وإدعاء الانتساب المزور لإبراهيم وموسى (هناك أدلة ودراسات تاريخية موثقة تؤكد أن اليهود الموجودين بفلسطين الآن ليسوا هم أحفاد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، انظر : دراسات د. كمال الصليبى) { إنها ذات الادعاءات بعد ثورات الربيع العربى التى ركبتها – للأسف – تل أبيب وواشنطن !! } .

(3) من أهم ما كشفت عنه مذكرات السفير الإسرائيلى (موشيه ساسون) فى الفصل الأول تلك الاتصالات السرية التى كانت تجرى بين رجال الملك فاروق وإلياس ساسون بهدف إقناع الملك بتوقيع سلام مع إسرائيل عام 1948 ، والخطر فى هذا الأمر هو أن هذا العام كان عام الحرب الشرسة التى راح ضحيتها عشرات الآلاف من العرب والمصريين على أرض فلسطين ، ويحتل فيه 70% من فلسطين ويرتكب الصهاينة آباء السفير ساسون حوالى 400 مذبحة ضد الشعب الفلسطينى أشهرها دير ياسين ، فى وقت الجرائم هذا ؛ كان بعض الحكام (نموذج فاروق) يجرون الاتصالات الخفية مع الكيان الصهيونى ، ثم يأتى اليوم من يدافع عن ذلك العهد ، فأى ابتذال هذا للتاريخ ولأرواح الشهداء ؟ .

(4) إن اللقاءات السرية للشباب المصرى ، ولأنيس منصور – تحديداً – مع الشباب الإسرائيلى ومع السفير الإسرائيلى كما وردت فى الفصل الأول من الكتاب ، نعتقد جازمين أنها لم تأت بنتيجة طيبة ومرضية لإسرائيل ؛ لأن العداء تزايد (نموذج تنظيم ثورة مصر الذى نشأ وتطور فى نفس الفترة التى عمل فيها ساسون بالقاهرة – ونموذج " الشاب " المصرى سليمان خاطر وغيره) فضلاً عن اقتحام ذات الشباب المولود فى أغلبه بعد كامب ديفيد لسفارة العدو عام 2011–2012 وإحراقها ، بل مع المقاطعة المنظمة والدائمة حتى اليوم

(2013) للنقابات المهنية المصرية وبخطة نقابة الصحفيين التى ينتسب إليها (أنيس منصور ولطفى الخولى وعبد المنعم سعيد وغيرهم من المطبعين) لأية علاقات تطبيعية مع إسرائيل . بل وقام بثورة (يناير) التى أطاحت بمبارك – الكنز الاستراتيجى لإسرائيل – وفقاً لتعبيراتهم ، من هنا لا تتصور أن هذه اللقاءات قد أتت بنتيجة إيجابية لصالح إسرائيل وهى فى المحصلة مواقف فردية عديمة النفع ، عديمة الأثر ، أما أنيس منصور " وموقفه " فإن الحديث عنه له موضع آخر يتفق وقيمة ما قدمه هو وغيره من أصدقاء إسرائيل ، فأستحقوا رفض الضمير الوطنى لهم وأن يكتب فى سجلهم التاريخى " كانوا يحبون إسرائيل فى الوقت الذى تقتل فيه أبناءنا " .

<u>اختلاق تاريخ صهيونى فى مصر</u>

(5) وبالنسبة للفصل الثانى من المذكرات خصصه المؤلف الصهيونى لخلق تاريخ صهيونى له فى مصر ، فإن كان من كلمة تقال بشأن هذا الجزء من مذكرات (ساسون) فهى أن اليهود يحاولون نسبة التاريخ إليهم ، أى تاريخ ، يحاولون إيجاد امتداد لهم رغم حدوث انقطاعات رأسية وأفقية عديدة ، وهم لذلك لا يألون جهداً فى تزوير الوقائع والآثار والوثائق ، بيد أن الحقيقة تظل دائماً أقوى وأخلد ، ومصر التى جابها (موشيه ساسون) طولاً وعرضاً – كما يقول فى هذا الفصل – ولم يجد فيها من آثار يهودية مزعومة سوى (حجر) و70 رجلاً وامرأة وبضعة معابد تحرسها نساء مسلمات ، مصر هذه لم تعرف الوجود اليهودى بالمعنى الذى يقصده (ساسون) إلا كجواسيس على المواطنين فى مصر القديمة (انظر : كتابات العالم الأثرى المصرى القدير الدكتور إبراهيم صالح) ، أما موسى عليه السلام ، ومن اهتدى بهديه ، فهو تاريخاً وواقعاً ينتسب إلى الإسلام وإلى أرض مصر ، أما الذين انشقوا وعادوه وكذبوه فهم – حتى بفرض صحة رواية ساسون ومن شابهه من علماء إسرائيل – هم أجداد

السفير الإسرائيلى ، وكتب العلماء (ووثائق البحر الميت) التى كشف عنها النقاب أخيراً تؤكد هذه الحقائق .

* إذن .... يهود اليوم يعتبرون يهوداً مزيفين ، منقطعى التاريخ أساساً وأى ادعاء غير ذلك عار عن الصحة وبلا سند .

ومع ذلك أخطر ما نستشفه من رواية موشيه ساسون فى الفصل الثانى هو أن مصر كانت ولاتزال مفتوحة أمام رجالات السفارة الإسرائيلية وبخاصة فى أواخر عهد أنور السادات الذى يتعبد اليوم البعض من مزورى التاريخ فى محرابه ، رغم تفريطه فى قضايا وأمن الوطن من خلال معاهدة العار مع العدو الصهيونى ، هذا (الانفتاح والاختراق الصهيونى لمصر) غير المنضبط مع التراكم المستمر للتزييف والتزوير للآثار والتاريخ ، يحدث تشويهاً ، وبلبلة أمام الأجيال الجديدة من الشباب العربى والمسلم فى مصر. ومن ثم ينبغى ضبط حركة هؤلاء (الحاخامات) الذين يرتدون زى السفراء فى قلب القاهرة ، ونعتقد أن أجهزة الأمن المصرية خاصة بعد ثورة يناير 2011 ، وبعد أن تعود لها هيبتها وكرامتها التى أفقدها إياها النظام السابق ، قادرة على ذلك وهى حريصة بالفعل على مقاومة الاختراق الإسرائيلى لمصر والشواهد الأخيرة تؤكد ذلك .

***

<u>ساسون والسلام</u>

(6) وفى الفصل الثالث من مذكرات (موشيه ساسون) والمعنون بـ " نظرة على الحياة اليومية " ، يهمنا أن نسجل النقاط التالية :

أ – لابد بداية من تحرير كلمة (السلام) التى تتردد كثيراً على لسان ساسون وفى أكثر من موقف وتجاه أكثر من شخص ، فالسلام الذى يقصده ساسون وكما يدركه ، غير السلام الذى يفهمه العربى المسلم ويجنح إليه وفقاً للمقصد القرآنى الصحيح ، إن السلام الذى يقصده ساسون هو سلام المعتدى على الحق ، والأرض والعقيدة وهو سلام لا يستنكف ، ولا يخجل أصحابه من شن

الحرب المسلحة على مخازن الصواريخ للجيش السورى قبل أيام وبالتنسيق مع جماعة النصرة وما يسمى بالجيش السورى الحر والذى هو (جيش عبد) يعمل لمصلحة واشنطن وتل أبيب وأنقرة والدوحة ولهدف واحد مع الصهاينة هو تفكيك سوريا ، نقول : هذا العدوان الأخير سبقه تاريخ طويل من العدوان على الفلسطينيين وعلى جنوب لبنان وبيروت ، بل وفى زمن (ساسون) نفسه ضُرب المفاعل النووى السلمى للعراق فى نفس الوقت الذى كان يتشدق فيه سفيرهم بالقاهرة – ساسون – بمقولات الحب والتسامح والسلام ، وهو (السلام) الذى دفع عاملة التليفون المصرية وقتها – وفقاً لمذكرات هذا السفير – إلى الدهشة والتهجم على (ساسون) عبر أسلاك التليفون ، قائلة له وبشجاعة وفطرة مصرية : (أليست هناك اتفاقية سلام معكم فلماذا ترتكبون هذه الجرائم)، إن هذه العاملة تفهم السلام بمعنى مغاير تماماً لما يفهمه ساسون) ، و(سلامها) غير (سلامه) ، إنه سلام المسلمة المؤمنة بأن أعداءنا (إن جنحوا للسلم فاجنح لها) ، أما ان اعتدوا (فالعين بالعين والبادى أظلم) ، (ولكم فى القصاص حياة) من هنا وجب تحرير كلمة (السلام) وإعادة الاحترام لها ؛ لأنها تلوثت كثيراً من عبث السيد / ساسون بها عبر مذكراته ومن عبث كيانه الصهيونى عبر تاريخه كله .

***

ب – ما لم يفهمه السفير الإسرائيلى الأسبق / ساسون هو أن مصر ليست أولئك الذين التقاهم فى بعض الشوارع وفى حراسة الأمن ، وليست الوزير يوسف والى أو الوزير كمال حسن على أو المدعو صلاح حسن وبدر همام ، ممن ورد ذكرهم فى مذكراته ، مصر هى الشعب الذى تعداده يوم تواجده فى مصر 56 مليوناً وهى المائة ألف شهيد الذين ماتوا دفاعاً عن العقيدة وعن المصلحة القومية لمصر أولاً (وليس لفلسطين كما كان ولايزال يتشدق البعض) مصر هى النقابات والجماعات والجيش الوطنى ورجال الشرطة الوطنيون وليست هى النماذج التى قدمها ساسون ، ومصر أخيراً هى (زينب) الخادمة

المصرية فى بيت ساسون ، والتى استشهد زوجها على أيد جنرالات دولة ساسون الذى تخدمه زينب بحثاً عن لقمة خبز لأبنائها!! ومصر هى عاملة التليفون التى هاجمته ، وهى الآلاف من أبناء الحركات اليسارية والناصرية والإسلامية الذين يضعون تناقضهم مع ساسون وقومه فى مقدمة إدراكهم السياسى ، (وليس كما زعم على لسان متطرف إسلامى يدعو للسلام فى مذكراته ولم نعرف له اسماً ولا رسماً بين ثنايا المذكرات ومن ثم نتصور أنه ليس حقيقة وإن كان حقيقة فهو شخص غير متطرف وإلا لما جلس وتباحث مع موشيه ساسون الذى ساهم من قبل فى وضع خرائط مزعومة يؤكد فيها أن حائط المبكى يوجد تحت جدران (المسجد الأقصى) ، ومن ثم لابد من هدمه حتى يعاد بناء الهيكل ، فكيف يستقيم ذلك : (متطرف دينى مسلم) يتحاور مع من يريد هدم أولى القبلتين وثالث الحرمين !! .

* على أية حال .. مصر بالتأكيد ليست هؤلاء ، وبالتأكيد ساسون يعلم ذلك؛ دُعى لأنه ذكى ولا يعتقد أنه من الغباء بحيث لا يرصد تلك العزلة التى عاش فيها طيلة سنواته السبع التى قضاها بالقاهرة والتى لم نسمع أنه قد دعا فيها إلى مائدة أحد قادة مصر الحقيقيين وليس المزيفين من رجال المخلوع حسنى مبارك ، أو أحد السياسيين الشعبيين ، أو حتى أحد السفراء العرب .. فقط أهل الحكم من التابعين لواشنطن وتابعى التابعين بغير إحسان !! هم الذين كانوا يجلسون معه ، وعلى استحياء وكأنهم يرتكبون فعلاً فاضحاً !! .

شعب يرفض التطبيع

(7) أما بالنسبة للفصل الرابع والمعنون بـ (فى مواجهة الواقع) فإن كان لنا من تعليق عليه فهو أن ساسون اعترف وبنفسه أن الشعب المصرى الحقيقى (ممثلاً فى نقاباته المهنية الرائدة: المحامين – الصحفيين – الأطباء ثم الفنانين (رغم بعض الهفوات) كانت معارضة لتطبيع العلاقات معه .

إنها رسالة بليغة حقاً تلك التى اعترف بها ساسون عبر ثنايا مذكراته وهى أبلغ من أى تعليق يذكر !! .

أما (سليمان خاطر) والذى وصفه هذا السفير العدو بعبارات قبيحة مؤلمة ، فإن سليمان خاطر أشرف من هذا السفير ودولته ، هكذا سجل التاريخ بعد زوال عصر مبارك الذى قتله فى زنزانته ، وما قام به (سليمان) يعد عملاً بطولياً ووطنياً خالداً وكل شعب مصر اليوم (بعد ثورة يناير 2011) يحتسبه عند الله شهيداً أياً كانت حملات الهجوم عليه ، وقبل أن يصفه السفير الإسرائيلى الأسبق ساسون بصفات سيئة ؛ لأنه قتل كما يزعم أبرياء إسرائيليين !! وهم فى الواقع كانوا جواسيس ، عليه أن يقارن ما فعله ، بما تقوم به إسرائيل يومياً تجاه أطفال ورجال الانتفاضة فى الأرض العربية المحتلة وكل ما يحدث لهم داخل السجون وفى المؤسسات الرسمية اليهودية .. يكفى للتدليل على أن ما فعله سليمان خاطر كان فعلاً وطنياً بامتياز ، بل هو فعل نحسبه سيستمر وسيكبر بعد ثورة يناير 2011 أكثر من سليمان خاطر ضد الصهاينة فى مصر سواء رضى الإخوان أو السلفيون أو من يحكم مصر أم لم يرض !! .

***

جريمة التطبيع

(8) أما بالنسبة للفصلين الخامس والسادس فإنه يمكن حصر رأينا بشأن ما ذكره ساسون فيما يلى :

أ – أثبتت الأيام – على عكس ما ذكر ساسون فى مذكراته – خطأ توقع الأديب الكبير/ نجيب محفوظ بشأن حاجة إسرائيل إلى السلام ولعل مفاوضات السلام بعد مؤتمر مدريد (1991/10/20) وما جرى بداخلها ، والتطويل الذى تم بشأنها حتى اليوم (عام 2013) يؤكد هذه الحقيقة ، وفى الواقع أن أديباً كبيراً مثل نجيب محفوظ ، مثل غيره من الأدباء الكبار ، كنا نفضل لهم دائماً ألا يتعاطوا أمور السياسة ، بكل تفصيلاتها المباشرة وغير الواضحة فالأمر

بلاشك له رجاله وله مناهجه وأساليبه التحليلية التى يعجز العديد من الأدباء عن إدراكها أو حتى احترامها ، ومن بين هذه الأمور تأتى مسألة الصلح أو " السلام " مع إسرائيل بكل تعقيداتها وميراثها الطويل ، ومستقبلها الغامض ؛ إن الأدب ، أسمى كثيراً من تحولات السياسة ، أكثر خلوداً من (الآراء السياسية) الطائشة وغير الواعية !! ، خاصة أن أمثال ساسون و(سوميخ) تاجروا كثيراً بمواقف نجيب محفوظ المؤيدة للسلام مع إسرائيل للأسف!!.

ب- أخطر ما ذكره ساسون فى هذين الفصلين هو أن مصر قد وقعت مع إسرائيل فى فترة لا تتجاوز شهراً واحداً 57 اتفاقية للتعاون المشترك فى مختلف المجالات : وهو رقم لو ثبتت صحته لكان مثيراً للدهشة والرعب فى آن واحد ، فالمعروف أن هذه الاتفاقيات تؤكد وقائع وتحدد (مستقبل) ومن الواجب أن يكون قد تم دراستها جيداً وإقرارها من مجلس الشعب المصرى بعد مداولات ومناقشات واسعة ومتخصصة فهل تم ذلك فعلاً ؟ الواضح أنه لم يتم وهنا تكمن الخطورة وإذا كان هذا العدد الهائل من الاتفاقات قد تم خلال شهر فى عام 1981؟ ترى ماذا تم خلال الفترة من 1979 حتى عام 2011 فى زمن المخلوع مبارك ، زمن التطبيع المجانى من أجل التوريث ، زمن التبعية المهينة لمصر ؟! . أسئلة نعتقد أنها مشروعة وملحة والإجابة عنها لا تهم فقط الذين يحيون اليوم فى مصر والعالم العربى بل تتصل بأولئك الذين سيأتون غداً ، وقد تحد هذه الاتفاقات من حرية حركتهم ومن مستقبلهم ككل .. المطلوب إذن إعادة فتح ملف هذه الاتفاقات السرية حرصاً على المستقبل ذاته . فهل يفعل ثوار يناير وحكام ما بعد الثورة أم سيستمرون على خطى مبارك ؟! .

***

<u>أسرار اغتيال السادات</u>

جـ- بعد التفاصيل المثيرة التى ساقها (ساسون) عن عملية اغتيال السادات والتى لم أوردها فى الكتاب يهمنا أن نسجل ما يلى :

أولاً : لم يكن من اللائق بالسيد / ساسون ورجال سفارته أن يقيموا احتفالاً صاخباً بعيد الغفران كما يسمونه – ودم (صديقهم) الرئيس السادات لم يجف بعد .. إن هذه قضية أخلاقية بكل معنى الكلمة وهى تؤكد فى جوهرها الحقيقى نوعية هؤلاء البشر " اليهود " لأنهم لا يفهمون سوى لغة المصالح الخاصة ولا يقيمون وزناً لمشاعر الآخرين بل يتعمدون إهانتها وإن أظهروا غير ذلك .

ثانياً : أما السادات نفسه وتفاصيل واقعة اغتياله ، فإن أهم دلالتها أنها تؤكد فى معناها الأخير خطورة الانفراد بالرأى من قبل الحاكم ، وخطورة الاستهانة بالقضايا القومية لبلاده ، تلك أبرز المعانى المستقاة ، بعيداً عن التفاصيل المثيرة لرواية السفير الإسرائيلى ، والتى يفهم منها أن إسرائيل كانت على علم بالاغتيال وأنها تمتلك معلومات مهمة عن دوافع وأبعاد هذا العمل داخلياً ودولياً ولم تكشف عنها بعد !! .

ثالثاً : أما مناحم بيجن فلقد كشفت برقيته المتعجلة إلى الرئيس السادات متصوراً أنه أصيب ولم يقتل ، ارتهان السلام لدى الإسرائيليين بشخص الرئيس " السادات " غير المتصور رحيله أو قتله ولذلك كانت صدمة (بيجين) فيه قوية للغاية ، ليست حباً (بدليل احتفالهم بعيد الغفران ثانى يوم اغتياله أمام السفارة المصرية فى تل أبيب ، وكذلك فى القاهرة داخل المعبد اليهودى بشارع عدلى) ولكن خوفاً ممن سيأتى بعده !! .

***

التطبيع الزراعى وتدمير مصر

(9) وبالنسبة للفصل السابع من مذكرات ساسون والمعنون بـ (سلام وتنمية زراعية) ، من المهم أن نشير إلى عدة ملاحظات :

أ – يعمد كل محتل قدم إلى مصر عبر تاريخها المعاصر إلى أن يتوجه بداية إلى (الزراعة) لكى يضربها ؛ لأنه يدرك أهمية وخطورة أن يأكل الشعب من كد يده ، ولأن الزراعة ، تعد أصعب المجالات فى عملية الاحتلال ، ودائماً تأتى

بعد احتلال المصانع والمؤسسات المدنية ومؤسسات الحكم وصناعة القرار ، والتجارة ، وغيرها .. (الزراعة) لأهميتها ولصعوبتها فى مصر – تحديداً – كانت تأتى دائماً بعد خطط ودراسات وبرامج طويلة : وهو ما أدركته بذكاء إسرائيل ورجال سفارتها وخبراؤها الزراعيون ، ومن ثم جاء تخطيطها بعيد المدى واستراتيجياً وما ظهر فى أوراق ومذكرات السفير ساسون يعد (قمة جبل الثلج) كما يقول – الذى يخفى جبلاً حقيقياً لم يعلن بعد – حتى بعد ثورة يناير 2011 – عن تفاصيل حجمه والتى لاشك أنها ستظهر يوماً وتحدث نتائجها المدمرة للبنية الزراعية المصرية ويكفى أن نعلم أن محاصيل الأرز ، القطن وغيرها فى مصر قد تم تدميرها إلى النصف تقريباً – بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد – نتيجة الاستماع إلى نصائح الخبراء اليهود ، ونتيجة الاستعانة ببذور لهذه المحاصيل أتت من إسرائيل ، والنماذج عديدة فى عهد يوسف والى الذى استمر وزيراً للزراعة لأكثر من عشرين عاماً خلال حكم المخلوع (مبارك) فدمر الزراعة تدميراً منظماً وعندما حوكم ودخل السجن بعد الثورة دخل فى قضايا هامشية لا علاقة لها بجرائمه مع العدو الصهيونى ضد الزراعة وتدمير الزراعة إسرائيلياً أيضاً ، وتم ولايزال عن طريق عدد من رجال الأعمال وأحدهم يصدر صحيفة يومية خاصة ويعمل لديه حوالى 150 خبيراً إسرائيلياً أحدهم اسمه الحركى (صخر) وصاحب هذه الصحيفة يدعى وصلاً بالوطنية وهى منه براء !!.

ب – علينا ألا ننسى أن أخطر المشاريع الزراعية التى أحبطتها المعارضة المصرية ، ولم يأت السفير الإسرائيلى ساسون بإشارة لها فى مذكراته (كان مشروع توصيل مياه النيل إلى إسرائيل) وآثاره المدمرة للاقتصاد الزراعى المصرى فيما لو تم ، وكان ذلك نهاية عصر السادات، وغيرها من المشاريع والاتفاقات السرية التى وصلت كما تذكر بعد المصادر المحايدة إلى مائة

وسبعين اتفاقية فى مجال الزراعة خلال فترة الثمانينيات – فترة تولى ساسون لملف العلاقات المصرية الإسرائيلية .

***

حصاد التطبيع الحرام فى زمن ساسون

* نخلص اليوم وبعد سنوات من نشر هذه المذكرات المهمة لساسون ، والتى تأتى أهمية قراءتها ثانية اليوم (2013) لكى نبنى بلداً جديداً مبرئاً من التبعية والتطبيع ، نقول : أنه وبوجه عام بالنسبة للكتاب ككل يهمنا أن نؤكد على أنه وبالفعل كان ساسون هو (مهندس عملية التطبيع) بين مصر وإسرائيل والتى لاتزال العلاقات تسير على هدى من نصائحه ومن الأسس التى بناها عليها .

إلا أن أبرز ما نخرج به من هذه المذكرات الخطيرة اليوم وبعد الثورة وحتى لا يتكرر الاختراق والتطبيع كما حدث فى عهد موشيه ساسون ما يلى :

أ – أغلب جماعات المثقفين والقطاعات العادية من الشعب المصرى لم تتجاوب بجدية مع عملية التطبيع مع إسرائيل ، هكذا يؤكد السفير موشيه ساسون فى مذكراته (سبع سنوات فى بلاد المصريين) بل ويعلن مرارته من ذلك ومن الشعور الدفين بالعزلة الذى ظل يلاحقه طيلة هذه الفترة (كنت أعيش فى فقاعة صناعية : ساسون) واليوم (2013) نريد لخلفه (أميتاى) أن يستمر فى ذات الفقعة بل وأن نطرده من بلادنا بعد ثورة عظيمة لايزال يدنسها وجوده فوق أرضها.

ب – أكدت مذكرات السفير الصهيونى أن مهام السفارة الإسرائيلية فى القاهرة تتجاوز الأمور السياسية والتعاملات السياسية بين الحكومتين (المصرية والإسرائيلية) إلى أمور أخرى خطيرة مثلاً : بعث الوجود اليهودى المصرى من جديد رغم اندثاره (70 يهودياً مصرياً فقط يعيشون فى مصر وفقاً لأقوال ساسون) – القيام بأعمال الصلاة وترميم المعابد وإنشاء مراكز الأبحاث التى تقوم بالتجسس العلمى والسياسى (نموذج لذلك المركز الأكاديمى الإسرائيلى)

واختراق المؤسسات الزراعية والصناعية والتعليمية والثقافية والاتصال بأئمة المساجد وبقطاعات من المهنيين المصريين (نموذج الحلاقين والحرفيين وغيرهم ممن ذكرهم السفير الإسرائيلى فى مذكراته) وهى أوضاع لاتزال قائمة والمطلوب من ثوار يناير 2011 أن يلتفتوا إليها ويواجهونها بشجاعة وإلا فإن ثورتهم لم تكتمل بعد !! .

جـ – كانت القيادة السياسية المصرية – إبان زمن المخلوع مبارك – فى مجملها تتعامل مع عملية التطبيع التى يقودها ساسون وسفارته ؛ بانفتاح نسبى باستثناء أربعة من الوزراء المصريين كانوا يتعاملون بانفتاح أكبر وهم: وزراء (السياحة – الزراعة – المخابرات – الخارجية) ، فهل لاتزال نفس الأدوار قائمة بعد الثورة ولماذا ؟ ألا يمثل ذلك ضرراً على أمن مصر وكرامتها ؟! .

د– تظل هذه المذكرات بكل ما فيها وما أخذناه عليها ، تظل هامة ومفيدة لصناع القرار العرب ، وللمثقفين العرب ، وللشعب العربى بإجمال ، خاصة فى هذه الأيام ، أيام ما بعد ثورات الربيع العربى التى ركبتها أمريكا وإسرائيل ، تلك الأيام التى اختلط فيها الحق بالباطل فى قضايا الثورة والمقاومة ، وفى مقدمتها قضية قضايا العرب ؛ فلسطين .

* إن مذكرات موشيه ساسون رغم أنها كتبت فى زمن الثمانينات وتحكى عن عصر حسنى مبارك ، إلا أنها تفيد جداً فى كشف ما خفى ، وفى التنبيه مما هو قادم وأخطاره . إنها مذكرات للمستقبل الذى يراد فيه أن يتكرر (النموذج المصرى) فى مناطق عربية أخرى ، وأنها ليست مذكرات للماضى، لقد تلتها كتابات صهيونية عديدة لسفراء صهاينة فى مصر وفى بلاد الخليج العربى المحتل (9 قواعد عسكرية أمريكية) ولكنها تظل مذكرات مهمة وخطيرة وتستمد خطرها من كونها (مذكرات مؤسسة) يحاول قادة الكيان الصهيونى اليوم وبعد

ثورات الربيع العربى تعميم قيمها وأفكارها على باقى بلادنا العربية لزرع التطبيع وإكراه أهل (الثورات) عليه ، ومن هنا يأتى التحذير وضرورة الانتباه !! .

(عرض وتلخيص:اسامة عبدالحق- كاتب صحفى- مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة)

(7) تلخيص كتاب " الصهاينة فى مصر من الكوليرا إلى المطبعين "

صدر عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة كتاب " الصهاينة فى مصر من الكوليرا إلى المطبعين" لمجموعة من الباحثين ، وقد قدم للكتاب الكاتب الفلسطينى عبد القادر ياسين حيث أوضح أنه مع إقدام السادات على توقيع معاهدة كامب ديفيد اقتحمت حياتنا مصطلحات جديدة مثل التطبيع .

- الأعداء ركزوا دائماً على مصر ؛ لأنها تمثل القوة الكبرى ذات الحجم السكانى المؤثر بمواردها الضخمة التى لو استغلت خير استغلال لكان لها وللعالم العربى شأن آخر ، لذلك كان تركيز العدو على ضرورة أن تكون مصر أول دولة توقع الهدنة فى فبراير عام 1949 ثم تكون أول دولة عربية توقع معها اتفاقاً للسلام وبعد خروج مصر من المواجهة العربية فكان التطبيع والمطبعون ضمن أهم هذا الإخراج .

- الفصل الأول جاء بعنوان : الصهاينة فى مصر حتى ثورة يوليو ، للباحث سيد عبد المنعم عبدالرحمن ، حيث قام تأريخاً للوجود الصهيونى فى مصر وكيف أن القوى الوطنية لم تلتفت للقضية الفلسطينية إلا بعد ثورة 1936 فى فلسطين ولم تصبح محوراً أساسياً إلا بعد الحرب العالمية الثانية 1945 مما دفع المصريين إلى إدراك أن القومية المصرية لا تكفل الأمن لمصر بل لابد من الانتماء لجماعة قومية أشمل وأعم إلا أن هذا الاهتمام بدأ بالانحسار بعد حرب 1973 وبدأ إحياء المفهوم الضيق للأمة المصرية .

- الأجانب واليهود فى مصر : سيطر الأعيان وكبار الملاك على الحياة السياسية والاقتصادية فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين .

- سيطر رأس المال الأجنبى على الاقتصاد المصرى بفضل الامتيازات الأجنبية للأجانب فى مصر فى مختلف المناحى .وقد تركز الأجانب فى القاهرة والإسكندرية بنسبة 80% تقريباً ، وقد تواجدت أسر يهودية من الأثرياء

من أصحاب البنوك والأعمال التجارية الكبرى وملاك الأراضى كان أبرزها : قطاوى وسوارس ولودوى منشه وموصيرى وشيكوريل وغيرها .

– النشاط الصهيونى فى مصر : شهدت هذه الفترة نشاطاً ملحوظاً للحركات الصهيونية فى محاولة لجذب أثرياء اليهود إليها وقد آمن قادة الحركة بأن مصر يمكن أن تكون قاعدة لنشر الحركة ؛ لأن مصر كانت محطة مهمة للقادم أو الذاهب لأوروبا .

– تم تكوين روابط وحركات صهيونية كثيرة فى مصر كان من أهمها : رابطة بركوخنا وجمعية أمل صهيون وجمعية الأدب العبرى وجمعية أحباء صهيون وأبناء صهيون وشبان صهيون جمعية زئير صهيون وأبناء صهيون للأمام واتحاد أطفال صهيون وكلها تأسست بين 1904 – 1912 .

الاتحاد الصهيونى : تم تشكيله لضم كل الروابط والحركات اليهودية فى مصر وتأسس عام 1913 ثم تشكلت كتيبة عسكرية من المستوطنين والمتطوعين اليهود لمساعدة الإنجليز فى الحرب العالمية الأولى ، وتم افتتاح مكتب لتجنيد اليهود فى القاهرة والإسكندرية وبالفعل تكونت الكتيبة " 40" من المتطوعين اليهود من مصر وفلسطين .

– إن زعماء وقادة الحركة الصهيونية فى مصر كانوا من الشخصيات اليهودية ذات النفوذ الاقتصادى القوى ولذلك كانت علاقة النخب السياسية بالقادة اليهود علاقة تبادل مصالح فكان تغاضى النخب السياسية عن النشاط الصهيونى جزءاً من الصفقة بل وصل الأمر لمباركة هذه النشاطات بل والمشاركة فيها مثال زيوار باشا وإسماعيل صدقى وغيرهم .

– كان عدم تبلور الهوية العربية لمصر فى وعى النخب السياسية عاملاً مؤثراً فى تقربهم من القيادات اليهودية ظناً منهم أنه يمكنهم التأثير على الحكومة البريطانية حيث كانت تطلعات هذه النخب – سياسياً واقتصادياً – مرتبطة بالأغلب بالحكومة البريطانية .

لم تتبلور قضية فلسطين وتداعياتها فى وعى النخب السياسية إلا فى موقف الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة فقد رأوا أن الصراع فى فلسطين بين مسلمين ويهود ومن ثم انعكس موقفهم على معاداة يهود الداخل بينما انشغل البعض الآخر بالهوية المصرية والاستقلال السياسى لمصر دون اهتمام يذكر بالقضايا الإقليمية وعلى رأسها القضية الفلسطينية .

وفى ظل فشل البرجوازية المصرية فى تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر وقع القطاع الأكبر فى شراك التبعية للرأسمالية الأجنبية وبالتالى التبعية السياسية لبريطانيا ومن ثم عجز عن اتخاذ موقف معادي للنشاط الصهيونى نظراً لعلاقته الحميمة مع بريطانيا بل وصل الأمر لأصحاب بعض التوكيلات التجارية للتعاون مع الكيان الصهيونى بعد قيامه 1948 تعاوناً اقتصادياً ؛ لتحقيق مصالح ذاتية بعيداً عن مصالح مصر أو الأمة العربية ، وإذا أسقطنا الماضى على الحاضر لفهم ظاهرة التطبيع حيث توجد ثمة فئات ذات مصالح فى التعامل مع إسرائيل ومن ثم تروج مقولات من قبيل الفلسطينى باع أرضه والإسرائيلى هو المالك الجديد فلا مانع لدينا من التعامل معه ولكن على مستوى آخر تطور وعى المصريين خلال نصف القرن المنصرم بحقيقة انتماء مصر العربى وأهمية مواجهة الكيان الصهيونى بشكل أصبح فيه المطبعون يتحرجون من إظهار حقيقة تعاملهم مع الكيان الصهيونى خوفاً من ردة الفعل الشعبى .

وفى الفصل الثانى استعرض الكاتب عبد القادر ياسين محاولات إسرائيل للتعامل مع ثورة يوليو حيث بدأ بهزيمة الجيش المصرى فى فلسطين 1948، ثم تكوين الضباط الأحرار واشتعال الأعمال الفدائية فى منطقة القناة بعد إلغاء معاهدة 1936 فى 1951 وعاشت مصر فترة من العجز السياسى بعد إقالة حكومة النحاس .

– تنظيم الضباط الأحرار كان يشكل ائتلافاً لمختلف الأيديولوجيات السياسية فقد ضم الشيوعى والاشتراكى والإسلامى .

– كانت السفارة الأمريكية بالقاهرة هى السفارة الوحيدة التى أُبلغت بتحرك الجيش ضد الملكية بل نصحت أمريكا بريطانيا بعدم تحريك قواتها ضد حركة الجيش المصرى .

– بعد نجاح حركة الجيش تخلص عبد الناصر من كل العناصر الشيوعية وعين ضابط اتصال بالسفارة الأمريكية هو عبد المنعم أمين ؛ ليكون حلقة اتصال كما أن السفير الأمريكى جيفرى كافرى كان هو السفير الأجنبى الوحيد فى وداع الملك فاروق قبل ذهابه لمنفاه الأوروبى . كما وقفت حركة الجيش موقفاً عدائياً من طبقة العمال وأعدمت مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى لمجرد قيادتهما لاحتجاج مطلبى فى مصنع النسيج بكفر الدوار.

– وأعلن عبد الناصر أكثر من مرة تطلعه لبناء مصر على غرار النموذج التركى بمساعدة الولايات المتحدة ، وهنا أحست إسرائيل بالقلق لخشيتها من نقل أمريكا لمركز اعتمادها من إسرائيل إلى مصر فتفقد المبرر الأول لوجودها ، فضلاً عن ضغوط أمريكية على بريطانيا لسحب قواتها من مصر ما يتيح للأخيرة التفرغ لإسرائيل ، رغم الرسائل التى أرسلها عبدالناصر لإسرائيل عبر وسطاء أوروبيين أنه لا ينوى التصدى لإسرائيل ، بل التفرغ لبناء مصر واكتفت بريطانيا وأمريكا بالوعود الشفوية من قادة الجيش بعدم الصراع مع إسرائيل بل والدخول فى أحلاف عسكرية مع الغرب ولكن بعد جلاء القوات البريطانية عن مصر .

– تبنى موشيه شاريت توقيع صلح مع مصر بل وإجراء تعديلات على الحدود يتيح لمصر التواصل مع قطار الشرق السريع ولكن بعد نشر النيويورك تايمز أخبار هذه الاتصالات توقفت فجأة .

– زاد انزعاج إسرائيل بعد انسحاب بريطانيا من القناة فقامت بعدة اعتداءات لتسخين وتوتير الأوضاع على الأرض ، ودبرت المخابرات الإسرائيلية عدة

تفجيرات بمصالح أمريكية فى القاهرة والإسكندرية وتم اكتشاف هذه المؤامرات بالصدفة .

– بعد عدوان إسرائيل على غزة 1955 ومع هزال الموقف المصرى من العدوان اندلعت انتفاضة فى القطاع بعد أن بات يسيطر عليه الإخوان المسلمون والشيوعيون ، وانتهت الانتفاضة بتشكل فرق من الفدائيين ألحقوا بإسرائيل خسائر فادحة فى خلال أسابيع معدودة. وبعد رفض أمريكا تسليح مصر ، اتجه عبد الناصر للمعسكر الشرقي فكانت صفقة الأسلحة التشيكية 1955م .

وأمم عبد الناصر قناة السويس بعد رفض أمريكا والبنك الدولى تمويل السد العالى ، فكان العدوان الثلاثى على مصر 1956 ثم الإنذار السوفيتى لدول العدوان .

لعل هذه التطورات أعطت يقيناً لا يقبل الشك أنه لا تعايش مع الصهيونية مطلقاً . كما فتحت العدوانية الإسرائيلية عيون قادة ثورة 23 يوليو المصرية وخاصة عبد الناصر على الخطر الإسرائيلى كما ظهر التحيز الأمريكى لإسرائيل ما دشن انتقال عبد الناصر من المرحلة الوطنية القُطرية (1952 – 1955) إلى المرحلة القومية التقدمية (1955 – 1961) ومنها إلى المرحلة الاشتراكية (1961–1970) .

أما فى الفصل الثالث فكتب محمد سيف الدولة عن مصر والمشروع الصهيونى من 1973 إلى 1981 ، حيث تناول التغيرات التى حدثت فى موقف مصر الرسمية من الصراع العربى الإسرائيلى بعد حرب 1973 فبعد صمود مصر بعد عدوانى 1956 ، 1967 صمد بالتالى الموقف الفلسطينى والعربى بشكل عام لذا كان لابد من البدء بمصر ؛ لأن تركيع واستسلام مصر وتغير موقفها يتتبعه بالضرورة تغيير باقى المواقف العربية بما فيها الفلسطينية نفسها. وبعد استعراض تاريخى أورده الكاتب لتاريخ الصراع بدءاً من الحملات الصليبية ثم موقف مصر من الصراع العربى الصهيونى من 1947 حتى 1973 ورفض

قرار التقسيم والإجماع العربى على رفض الصلح المنفرد مع إسرائيل ثم العدوان على غزة 1955 ومحاولة إيجاد تمويل للسد العالى ورفض أمريكا والبنك الدولى ثم تأميم قناة السويس ثم العدوان الثلاثى واندحار العدوان بعد الموقف الدولى والانذار السوفيتى لدول العدوان ثم وقوف مصر ضد إسرائيل وضد حلف بغداد وضد مبدأ أيزنهاور الذى كان يعطى قوة أكبر لإسرائيل مقابل العرب ، ثم عدوان 1967 وما وقع قبلها من استفزازات أمريكية وإسرائيلية تحضيراً للعدوان ثم يدلف الكاتب لموقف الدول العربية (مؤتمر الخرطوم واللاءات الثلاث) ، ثم قبول القرار 242 الصادر من مجلس الأمن ثم استعرض حرب 1973 ثم انقلاب موقف السادات التام عما كان ينادى به من قبل وقوله : إن 99% من أوراق اللعبة فى يد أمريكا واستسلامه التام لهنرى كيسنجر والإدارة الأمريكية ثم إعلانه السقوط التام بتوقيع معاهدة كامب ديفيد التى أخرجت مصر من معادلة الصراع العربى الإسرائيل مع موافقة السادات على وجود بنود سرية فى المعاهدة تقيد الإرادة المصرية مقابل إعطاء كل التسهيلات للجانب الإسرائيل ليفعل ما يشاء وقتما يشاء .

وفى الفصل الرابع : يستعرض أكرم خميس مسيرة التطبيع العربى – الإسرائيلى والذى بدأ على مستوى رجال الأعمال منذ 1994 بوفد قابل شيمون بيريز وتوالت الوفود الاقتصادية من رجال الأعمال ولقاءاتهم مع قادة إسرائيل مثل عيزرا فايتسمان وشيمون بيريز وزير الخارجية وشيمون شتريت وزير الاقتصاد ، ثم مشاركة رجال الأعمال المصريين فى مؤتمرات اقتصادية فى إسرائيل مثل مؤتمر القدس الاقتصادى الثالث حول السوق الشرق أوسطى الذى حضره حوالى 2000 من رجال الأعمال من مختلف دول العالم .

وقد خلص رجال الأعمال فى تقاريرهم التى رفعوها للحكومة المصرية بضرورة التعاون الاقتصادى مع إسرائيل ؛ لأن ذلك سينتج آفاقاً واسعة أمام مصر ، كما زعموا فى هذه التقارير. ثم استعرض الكاتب التطبيع فى المجال الزراعى الذى

كان يرعاه يوسف والى شخصياً . ثم دلف إلى جمعية القاهرة للسلام وجماعة كوبنهاجن كقاطرة للتطبيع الثقافى ثم استعرض استقبال شيخ الأزهر سيد طنطاوى لوفد من الحاخامات اليهود فى الأزهر الشريف وإعلانه أنه لا يتعارض مع الإسلام ، ثم زيارة بعض الصحفيين المصريين والأردنيين لإسرائيل وموقف نقابتى الصحفيين فى البلدين الحاسم إزاء هؤلاء المطبعين .

ثم يستعرض بدء أعمال الندوة العربية لمقاومة التطبيع الذى نظمتها لجنة مقاومة التطبيع النقابية التابعة لمجلس النقباء للنقابات المهنية بالأردن .

– شيخ الأزهر يدعو لزيارة الأقصى دعماً للانتفاضة والدكتور القرضاوى يؤكد حرمة هذه الزيارة مادام الأقصى تحت الاحتلال الصهيوني .

– اتحاد الكتاب المصريين يفصل على سالم من عضويته وفاروق خورشيد رئيس اتحاد الكتاب المصريين يهدد باتخاذ الإجراء المناسبة ضد نجيب محفوظ إذا ثبت قيامه بتوقيع عقود مع دور نشر إسرائيلية لنشر أعماله .

– بدء أعمال المؤتمر الشعبى الثانى لمقاومة التطبيع مع إسرائيل بالكويت 2006 بعد عقد المؤتمر الأول بدبى 2002 ثم احتجاج نقابة الممرضين والممرضات الأردنية بسبب استقبال وزير الصحة الأردنى لنظيره الإسرائيلى دانى نافيه فى الأردن ثم قيام وفد فلسطينى إسرائيلى بزيارة للقطب الجنوبى فى محاولة لكسر الجمود ومحاولة إثبات أن هناك فرصة للتعايش .

– وفى الفصل الرابع : تستعرض إيمان بسيونى ذرائع المطبعين فى زمن العولمة حيث اعتبر على سالم مثلاً رحلته لإسرائيل بسيارته بمجرد عقد اتفاق أوسلو لرغبته فى كشف أغوار إسرائيل من الداخل ، كذلك ما فعله لطفى الخولى وجماعته من المطبعين ، بأن الفلسطينيين فى الداخل يتحاورون مع إسرائيل فلماذا لا نفعل نحن كذلك ؟ .

– كذلك يرددون أن قطاعاً كبيراً من الشعب لإسرائيل يناصرون السلام وهذه فرية وكذبة كبرى يراد بها خداع البسطاء من الشعب العربى وإيهامهم أن ثمة

فرصة لإقامة السلام والتعايش بين العرب وإسرائيل مع أن الحقائق على الأرض تنفى ذلك وتكذبه ، وكل القوى الحزبية فى إسرائيل سواء : كاديما أو الليكود أو العمل ، تتفق على قدسية الحدود الإسرائيلية وما تم الاستيلاء عليه من أراضى عربية غير قابلة للتفاوض ثم ذريعة أن الإسرائيليين جيران لنا وينبغى التعايش معهم وعدم إنكار وجودهم فهذه الذريعة تنسى أن العرب لم يحتلوا أراضى غيرهم ، بل الإسرائيليون هم من احتلوا أرضنا وشردوا شعبنا واعتداءاتهم علينا لا تنتهى فكيف نرضى بجوار المعتدى علينا بل ونتعايش معه ؟ أو أن جوهر الصراع نفسى وينبغى اجتياز هذه الحواجز النفسية والفكرية بيننا وبين الصهاينة .

وكذلك إن قوى التطرف العربى هى من تقوم باستفزاز إسرائيل وإثارة مخاوف شعبها وتشكيكه فى جدية مساعى العرب السلمية ، وأن العرب أحوج من إسرائيل للسلام ويجب الكف عن ترديد أكذوبة الأمن القومى العربى وألا نلغى الآخر ويجب فهم إسرائيل من الداخل حتى ننقل التناقضات إلى الداخل الإسرائيلى نفسه مع توظيف هذه التناقضات للصالح العربى كل هذه ذرائع واهية يحاول المطبعون أن يدلسوا بها على ضعاف العقول من العرب ثم يختتموها بمقولة " فإن جنحوا للسلم فاجنح لها " وكأن الإسرائيليين هم من ينادون بالسلام ونحن من نرفض وكأننا الطرف المعتدى وليس المحتل أرضه المشرد شعبه .

ثم تنتقل عبير عطية فى الفصل السادس للمواجهة الشعبية لتلك الدعوات الساقطة للتطبيع والتعايش مع المعتدى الصهيونى مروراً بإدانة زيارة بلفور لفلسطين 1924 ثم مشاركة مصريين فى افتتاح الجامعة العبرية إلى التضامن مع ثورة1936–1939الفلسطينية ثم وصول الدعم المصرى ذروته مع قرار تقسيم فلسطين ثم المرحلة الناصرية ثم السادات الذى جاء بأشياء جديدة من بينها مبادرته للسلام 1977 قبل عقد كامب ديفيد 1978 التى أثارت موجة

غضب عارم ضد السادات وضد الاتفاقية وسياسته التى أدت لانعزال مصر عن العالم العربى

– تأسيس لجنة الدفاع عن الثقافة القومية عام 1978 .

– بعد تكوين تجمع كوبنهاجن للترويج للتطبيع مع إسرائيل وعقده مؤتمر بفندق ماريوت 1999 ثم عقدت القوى الوطنية مؤتمراً لمقاومة التطبيع عقد فى فندق شبرد ، ضم كافة أطياف العمل السياسى فى مصر بعدد حضور جاوز 600 شخصية وطنية ونتج عن هذا المؤتمر وما شهده من حراك شعبى فاعل ضد التطبيع .

– تم تأسيس اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين ومقررها د. رفعت سيد أحمد ، وكذلك الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل ، بالإضافة إلى اللجنة المصرية لمواجهة الصهيونية ومقاومة التطبيع وأيضاً اللجنة الشعبية المصرية للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى ، واللجنة المصرية العامة لمقاطعة السلع والشركات الصهيونية والأمريكية واللجنة الشبابية للتضامن مع الشعب الفلسطينى وتجمع المهندسين المصريين لنصرة فلسطين والعراق ، فضلاً عن عشرات التجمعات المناهضة للتطبيع والتى كونتها النقابات المهنية المختلفة مثل تحالف القوى الوطنية المصرية ومستثمرى 6 أكتوبر التى تكفلت بمصاريف الطلاب الفلسطينيين بالقاهرة .

ثم استعرضت الكاتبة لمحاولات الاختراق الصهيونى للداخل المصرى ثم مشكلة زواج المصريين من إسرائيليات وخطرها على أمن مصر القومى ثم تتساءل الكاتبة : هل نجحت محاولات الاختراق الإسرائيلى لمصر ؟ الإجابة بلا ، لأن الاختراق استجاب له أفراد فقط أما الضمير الجمعى المصرى والعربى مازال ضد التطبيع بكافة مكوناته .

(عرض وتلخيص :د-على ابو الخير-باحث وخبير سياسى –مركز يافا للدراسات بالقاهرة)

(8) فى مفهوم التطبيع

د. إبراهيم علوش (*)

محاضرة ألقيت في مجمع النقابات المهنية في عمان في 2012/3/7 بدعوة من نقابة أطباء الأسنان الأردنيين تحت عنوان "التطبيع والحراك الشعبي العربي"، بالاشتراك مع د. حياة عطية.

***

في تعريف التطبيع: سبق أن عرفنا التطبيع في مادة تتناول ذلك الشأن بأنه جعل العلاقات طبيعية بين طرفين ليست العلاقات بينهما طبيعية حالياً، سواءٌ كانت طبيعية سابقاً أم لا، وبأنه عملية وصيرورة دائبة وصولاً لتحقيق غاية، لا خطوة واحدة عابرة سريعة أو غير سريعة. وقلنا : إن التطبيع، بالنسبة لصراع الأمة العربية مع العدو الصهيوني، هو نهج وأداء وعقلية جوهرها كسر حاجز العداء مع العدو الصهيوني بأشكال مختلفة، سواء كانت ثقافية أو إعلامية أو سياسية أو اقتصادية أو سياحية أو دينية أو أمنية أو استراتيجية أو غيرها. لكن بغض النظر عن شكله، فإن فحوى التطبيع مع العدو الصهيوني يبقى واحداً وهو جعل الوجود اليهودي في فلسطين أمراً طبيعياً، وبالتالي فإن أي عمل أو قول أو صمت أو تقاعس يؤدي إلى التعامل مع الوجود اليهودي في فلسطين كأمر طبيعي يحمل في طياته معنىً تطبيعياً.

حول ابتعاد "الربيع العربي" عن التناقض مع الإمبريالية والصهيونية: وقد لاحظنا مبكراً في أكثر من مادة أن ثورات ما يسمى ب"الربيع العربي" قد ركزت على قضية الديموقراطية بالمعنى الغربي، بمعنى الانتخابات والتعددية وتداول

* نظراً للأهمية البالغة والقيمة الأكاديمية والسياسية لهذه المحاضرة (الدراسة) التى أعدها المفكر والمناضل القومى د.إبراهيم علوش رأينا ضرورة تضمينها فى هذه الموسوعة لأهميتها للقارئ ولهذا العمل . (المؤلف)

السلطة وما شابه، وأنها أهملت منذ البداية التناقض المركزي مع الإمبريالية والصهيونية، وقلنا منذ بداية ربيع عام 2011 ما مفاده على هذا الصعيد:

فإذا بدأنا من فرضية أن الأساس هو الحريات الفردية، وأن كل من يعيق الحريات الفردية هو العدو، وكل من يسهل نيلها هو الصديق، يصبح من السهل عندها أن نتعامل مع الولايات المتحدة وحلف الناتو والدول العربية التابعة لهما، لا على أساس مشاريعها في المنطقة، والاصطفاف القائم على الأساس القومي، بل على أساس الشعارات السياسية التي يرفعونها لتمرير مشاريعهم السياسية. وقد رأينا ما جرى في العراق، على سبيل المثال لا الحصر، ونعرف بالتالي أن المشروع الأمريكي في المنطقة هو مشروع: 1) هيمنة، و2) تفكيك، 3) بغلاف "ديموقراطي".

أما إذا بدأنا من أولوية التناقض الرئيس مع الإمبريالية والصهيونية، وهو التناقض الذي لاحظنا تغييبه إلى حدٍ بعيد في الانتفاضات الشعبية الأخيرة، فإن الاصطفاف يصبح مختلفاً بالضرورة، وعندها تصبح الدول والقوى التي تشكل عائقاً أمام المشاريع الإمبريالية والصهيونية قوى صديقة بالضرورة، حتى لو كانت لنا ملاحظات كبيرة عليها، ولو كان تناقضها مع الإمبريالية والصهيونية نابعاً ببساطة من مخطط قوى العولمة في تكسير الدول المركزية، مثل يوغوسلافيا السابقة أو كوريا الشمالية، المعيقة لمخططاتها. في تلك الحالة، لا نسقط مطلب الإصلاح والتغيير طبعاً، ولا نسقط مطلب الحقوق الفردية، ولكننا نشترط بالحد الأدنى ما يلي:

1) أن يكون صاحب ذلك المطلب غير مرتبط بأجندة خارجية أو بعلاقة مع الخارج الاستعماري المعادي،

2) أن لا يكون جزءاً من مشروع تفكيك الوطن باسم تغيير النظام.

وقلنا في أكثر من مادة : إن ثمة عوامل موضوعية متشابهة للحراك الشعبي العربي عندما بدأ في مصر وتونس، ومنها: 1 – ذلك المزيج المتفجر من

بطالة الشباب وارتفاع مستواهم التعليمي في آنٍ معاً، 2 – إفقار الشعب بالترابط مع استشراء الفساد وتمتعه بالحماية السياسية على أعلى المستويات، 3 – التفريط بالثروات العامة وإخضاع البلاد لنهج اقتصادي ليبرالي متطرف لا يطبق حتى في الولايات المتحدة نفسها، 4 – التبعية للخارج ورهن القرار السيادي بقوى الهيمنة الخارجية وممارسة التطبيع مع العدو الصهيوني، 5 – مصادرة القرار السياسي للمواطن وحقه في تقرير شؤونه العامة إما بشكل قمعي مباشر أو من خلال واجهات شكلية مثل مجلس نواب لا يغني ولا يسمن وتم تفصيله على مقاسات الأجهزة الأمنية والسلطة التنفيذية...

لذلك، وهذه موجهة لمن يتصيدون الكلام فقط، لم نقل : إن الحراك مفتعل إمبريالياً، بل إنه اخترق إمبرياليا، وأن ثمة قوى انتهازية لم تطلقه ركبت موجته، وأن الحراك المفتقد للبرنامج الثوري والقيادة الثورية يصبح فريسة سهلة للاختراق والانحراف، وأنه يصبح قابلاً للتوظيف لمصلحة الإمبريالية والصهيونية، خاصة في الدول ذات النزعة المستقلة، إذا فقد بوصلة العداء للإمبريالية والصهيونية، ويصبح عرضة للانخراط في التطبيع.

وقلنا بعد اتضاح الصورة إلى حد الغثيان في نهاية عام 2011: الديموقراطية في الغرب نشأت في الدول المركزية القومية المستقرة، بعد تكريس مفهوم المواطنة، على حساب الطوائف والأقاليم، وبعد الثورة الصناعية وعصري النهضة والتنوير. أما الانتخابات والتعددية التي تكرس الانقسامات الطائفية والعرقية والعشائرية والمناطقية فهي وصفة للدمار، ولتفكيك الدول والمجتمعات. المشروع الديموقراطي الحقيقي بالتالي هو المشروع الوطني والقومي، مشروع التنمية المستقلة، ومشروع التحرر عن الإمبريالية ؛ لأنه يحقق الشروط الموضوعية للمجتمع الديموقراطي، أما "الديموقراطية" في ظل الانقسام فتمهد للحروب الأهلية والدمار.

إذن قلنا : إن التحرر القومي والسيادة هما شرطان ضروريان، غير كافيين، للديموقراطية في الوطن العربي، وبالتالي فإن أي مشروع ديموقراطي حقيقي، كنقيض للديموقراطية الليبرالية، لا بد أن يبدأ بأولوية الصراع مع الإمبريالية والصهيونية.

لكن ما حدث كان عكس ذلك بالضبط. فبعد تسرب تقارير روسية وغير روسية عن اختراق الحراك الشعبي العربي من قبل الإمبريالية، بدأت تظهر قسمات مشؤومة على وجه ما سمي بـ"الربيع العربي"، سبق أن تطرقنا إليها في ورقة تحت عنوان "تداعيات التدخل الأجنبي في الوطن العربي"، ومنها:

1) دور الإمبريالية والصهيونية الواضح في مشروع إسقاط النظام في ليبيا وسوريا، من خلال دور الصهيوني هنري برنار ليفي مثلاً، واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة (انظر : ورقة أليوت إبرامز التي تطرح مشروع إسقاط النظام في سوريا)، أو من خلال المواقف المعلنة في وسائل الإعلام، أو من خلال مجلس الأمن الدولي، أو من خلال أقرب حلفاء الإمبريالية والصهيونية في المنطقة (مثلاً موقف قوى 14 آذار في لبنان)،

2) انكشاف علاقات التنسيق والشراكة الإستراتيجية بين "ثوار" ليبيا وسوريا، من جهة، وبين الإمبريالية والصهيونية من جهة أخرى، ومن ذلك العلاقة مع الصهيوني هنري برنار ليفي مثلاً،

3) ابتعاد "ثوار" ما يسمى بـ"الربيع العربي" عن طرح أي تناقض مع الطرف الأمريكي-الصهيوني، والتركيز على موضوعة "الإصلاح الدستوري والانتخابي"، دون المساس ببنى التبعية والعلاقات مع العدو الصهيوني، ومن ذلك تصريحات راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة الإخوانية، في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى الصهيوني، بعد لقاء للغنوشي في 2011/11/30 في ذلك المعهد قال فيه: إن "النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي" لا يعنيه، لأنه شأن الفلسطينيين و"الإسرائيليين"، وأنه جاء للتحدث عن تونس

ومصلحته الخاصة (هكذا!)، وأضاف بأن حزبه لم يضع في برنامجه الانتخابي شيئاً يمنع إمكانية نشوء علاقة مع "إسرائيل"، وأكد على التنسيق مع الناتو الذي لن ينقطع...

4) انكشاف حجم الاختراق عبر منظمات التمويل الأجنبي وشبكات "الديموقراطية" و"حقوق الإنسان"، وهو ما وثق له أكثر من كاتب في روسيا والصين، ناهيك عما كتبه بعض الكتاب المصريين،

5) انكشاف التحالف الذي عقدته بعض قوى الإسلام السياسي في المنطقة مع الإمبريالية الأمريكية، ومن ذلك ما صرح به جيفري فلتمان، مساعد وزير الخارجية الأمريكية، لصحيفة يديعوت أحرونوت، والتي ترجمت منها صحيفة العرب اليوم مقتطفات في 2011/12/9، قال فيها : إن ثمة تفاهماً مع حركة الإخوان المسلمين في مصر، وتنسيقاً وشراكة استراتيجية مع السلفيين!

من هنا، لم تعد القصة قصة انحراف عن جادة الصواب وخلط للأولويات، بل تعدتها إلى ممارسة التطبيع مع العدو الصهيوني مباشرة، وليس فقط التنسيق الأمني والعسكري والسياسي مع حلف الناتو، الذراع العسكرية للإمبريالية، حاضنة العدو الصهيوني وراعيته. ولعل أبرز مثال على ذلك إعلان الإخوان والسلفيين في مصر احترام معاهدة كامب ديفيد، وكانت وسائل إعلام شتى قد نقلت في 2011/2/18 عن الدكتور سعد الكتاتني، الناطق الإعلامي باسم جماعة "الإخوان المسلمون" في مصر، في تصريحات له على قناة "سي إن إن" الأمريكية: "الجماعة عارضت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، حينما كانت تناقَش، ولكن عندما تم توقيعها وأُقرت، أصبحت واقعاً ومعاهدة يجب احترامها"، مشدداً على أن "الجماعة تحترم جميع المعاهدات الدولية التى وقعتها مصر".

وقد تكررت مثل تلك التصريحات مراراً، ومنها ما نقلته هآرتس في 2011/11/28 عن تطمينات قدمتها جماعة "الإخوان المسلمين" في مصر

لحكومة الولايات المتحدة حول عدم إلغاء معاهدة كامب ديفيد، وما نشره موقع العربية نت في 2012/1/12 عن د. رفيق حبيب، نائب رئيس حزب الحرية والعدالة الإخواني، بعد لقائه مع مساعد وزير الخارجية الأمريكية وليام بيرنز في مقر الحزب، من أن "أن الدولة المصرية عليها التزامات وأن حصول أي حزب على أغلبية برلمانية فيهدم هذه الالتزامات والاتفاقيات غير وارد". الخ... وكذلك يسير سلفيو حزب النور على نفس المنوال كما كتبت وكالة الصحافة الفرنسية في تقرير لها في 2011/12/21: أجرى يسري حماد المتحدث باسم "حزب النور" السلفي المصري مقابلة غير مسبوقة عبر الهاتف من القاهرة مع إذاعة الجيش الإسرائيلي اليوم الأربعاء قال فيها إن حزبه "يحترم جميع المعاهدات" التي وقعتها مصر بما فيها اتفاقية السلام الموقعة مع إسرائيل عام 1979.

ويشار أن جماعة "الإخوان المسلمون" وقفوا ضد اقتحام السفارة الصهيونية في القاهرة في 2011/9/9 بالقول والعمل، وأنهم أعلنوا والسلفيون عدم المشاركة في جمعة "تصحيح المسار" وقتها، كما حاولوا منع المتظاهرين من اقتحام السفارة تحت عنوان الأمن والنظام في الوقت الذي انتقدوا فيه أي استغلال للأحداث للضغط على الحريات أو تأجيل الانتخابات همهم الرئيسي...

وقد كان صدر الدين البيانوني، المراقب العام السابق لجماعة "الإخوان المسلمون" في سوريا قد أعلن منذ عام 2006 "انه اذا تولت الجماعة السلطة في دمشق فستكون مستعدة لإجراء محادثات سلام مع اسرائيل"، وقد أعادت القناة الثانية "الإسرائيلية" في بداية شهر حزيران 2011 بث تلك المقابلة مع التلفزيون الإسباني، على حد قول الجماعة نفسها، (بعد المقابلة مع حليفه عبد الحليم خدام التي قال فيها أن ثمن سقوط النظام السوري هو الاعتراف بحق الكيان الصهيوني بالوجود) والتي قال فيها: إن "إسرائيل موجودة، وهناك قرارات

الشرعية الدولية التي تطالبها بالعودة إلى حدود العام 1967 ونعتقد أنه إذا نفذت هذه القرارات يمكننا أن تعيش بسلام".

ويذكر أن واشنطن بدأت تمول المعارضة السورية منذ عام 2006، على حسب برقيات ويكيليكس التي سربتها الواشنطن بوست الأمريكية.

ولا ننسى طبعاً الفيديو الذي ظهرت فيه بسمة القضماني، الناطق باسم "المجلس الوطني السوري" على التلفزيون الفرنسي مع ثلة من المثقفين "الإسرائيليين" عشية الذكرى الستين لتأسيس الكيان الصهيوني، وكما ذكرت شبكة الوحدة الإخبارية في 2012/2/21 عن ذلك الفيديو: "واستضافت الحلقة الحوارية على إحدى القنوات الفرنسية، عددًا من الكتاب الإسرائيليين واليهود وكانت قضماني الضيف العربي الوحيد غير اليهودي في الحلقة. ولم تخفِ القضماني إعجابها بإسرائيل والإسرائيليين، بحسب المشاهد، حيث قالت القضماني : إن العرب بأمس الحاجة لوجود دولة إسرائيل بجانبهم، وأضافت أن حديث طفلها مع زميله اليهودي عن السلام كان لحظة عاطفية. وقالت القضماني : إنها تهتم وترتاح أكثر عندما تتحدث مع شخص إسرائيلي. ويذكر أن القضماني عضو في المجلس السوري المقيم في باريس، والمطالب بضرورة التدخل العسكري لإسقاط النظام السوري".

ومن الواضح أن قضية التطبيع بدأت عند جماعة "الثورة السورية" قبل أمدٍ طويل من بدء تلك الثورة كما نرى مثلاً من مثال مشاركة النائب السابق مأمون الحمصي في مؤتمر للأمن مع الناشطة "الإسرائيلية" فيانا نيرينستين في براغ عام 2007، وبمشاركة الوزير الصهيوني السابق ناتان شارنسكي وآخرين.

لكن مؤتمر باريس الذي عقده الصهيوني الليكودي المهووس هنري برنار ليفي لمساندة المعارضة السورية في أوائل شهر تموز 2011، والذي أثارت المشاركة فيه خلافاً في صفوف تلك المعارضة نفسها، تم بمشاركة عدد من رموز مؤتمر أنطاليا وممثل جماعة "الإخوان المسلمين" في سوريا ملهم الدروبي. ومن

المعروف أن ليفي نفسه كان قد لعب دوراً مركزياً فيما يسمى "الثورة الليبية". وبالإضافة للعلاقة الوطيدة بين حلف الناتو والثورات العربية، فإن شخصية ليفي نفسها، بكل ما تحمله من شحنة تطبيعية غير قابلة للجدل، ربما تكون التعبير الأمثل عن حقيقة ما يسمى "الربيع العربي"، خاصة دوره في نقل رسالة الطمأنة التي تناقلت أخبارها وسائل الإعلام في 2011/6/4 من متمردي الناتو في ليبيا إلى بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني بعد لقاء الأخير مع ليفي لمدة ساعة ونصف في القدس العربية المحتلة...

ولعل كل ما نقلناه ليس إلا رأس جبل الجليد، لكن ذلك لا يهم، فالتطبيع تطبيع، وليس هنالك شيء اسمه نصف قذارة أو ثلث دعارة أو ربع تطبيع، وما رأيناه على الملأ يكفي لنطلق حكماً قاطعاً بالتطبيع مع العدو الصهيوني على المشروع السياسي لما يسمى "الربيع العربي"، حتى دون أن ندخل في تحليل مستنقع تحولات حركة حماس في السياق الإقليمي والفلسطيني الداخلي.

(9) لقطات من كتاب محمد إبراهيم كامل عن (السلام الضائع فى كامب ديفيد)

بدأ الكتاب بمقدمة مهمة للسياسى وللمناضل الراحل فتحى رضوان : إن هذا الكتاب يعد من المؤلفات الوثائقية المهمة والمبكرة التى صدرت ضد التطبيع بين العدو الإسرائيلى والنظام الساداتى جاء كتاب " السلام الضائع فى كامب ديفيد " لمحمد إبراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق والذى صدرت منه عدة طبعات ومنها طبعة كتاب الأهالى – يناير 1987 . وسوف نأخذ منه هنا المقدمة الرائعة التى كتبها أستاذنا الراحل المناضل الكبير فتحى رضوان ومعها مقدمة محمد إبراهيم كامل نفسه مع خاتمة الكتاب لما فيها من تلخيص واف للمفاوضات التى جرت بين السادات وبيجين وكارتر فى كامب ديفيد فى الولايات المتحدة التى تمخضت عنها الاتفاقية الشهيرة (1978) ، والتى بسببها استقال محمد إبراهيم كامل من الوزارة بعد التنازلات الكثيرة والمؤلمة التى قدمها السادات لإسرائيل ، ماذا قال فتحى رضوان من هذا الكتاب وتلك الاتفاقية وماذا قال محمد إبراهيم كامل تحت عنوان " أهوال الاستسلام " بقلم فتحى رضوان : يفتتح المناضل القديم والكبير الكتاب بكلمة مهمة جاء فيها : حينما وضع الوزير السابق محمد إبراهيم كامل ، مخطوط كتابه الذى أنا بسبيل تقديمه لقراء مصر ، اهتزت نفسى اهتزازاً شديداً ، ولكنى تجلدت وتجملت برباطة جأش ، وثبات مفتعلين حتى لا أبدو أمام المؤلف فى انفعالى الحقيقى والكامل ، فلما انصرف بعد أن تبادلنا حديثاً طويلاً أكثره عن الكتاب (السلام الضائع) ، وبعض عن ذكريات الأيام التى سجل أحداثها فى هذا الكتاب وبعض عن ذكريات الحياة التى جمعت بيننا منذ ثلاثين سنة مضت قبل تأليف الكتاب ، وسماع الناس به ، وحديثهم عنه ، ولعل هذه الذكريات التى تداعت أمامى ، هى ما هزنى من الأعماق ، فقد اختار الشاب الصغير محمد إبراهيم كامل أن ينضم إلى اللجنة العليا للحزب الوطنى ، التى

أصبحت بعد قليل الحزب الوطنى الجديد ، وكان أقرب إلى الصبا ، كان طالباً فى كلية الحقوق ، مكان الحزب الوطنى الجديد الذى كنت أتشرف برئاسته ، أحدث الأحزاب ، وأصغرها ، فلم يكن له سند من مال ولا جاه ، وبالتالى كان المستقبل الذى ينتظره بمعايير السياسة تلك الأيام ، أن يبقى حزباً ضئيل الأثر ، قليل الحظ فى البروز والظهور . ولذلك فإن اختيار محمد إبراهيم كامل ، هذا الحزب ، الذى اختار بدوره ، طريقاً شاقاً محفوفاً من الجانبين بالمصاعب والعقبات ، يدل على أن خلقه منذ البداية ، خلق مجاهد عنيد ، لا تخيفه ، الشدائد ولا تثنى عزمه العوائق ، ولعلى قادر أن أصور للقارئ الجانب الخلقى من شخصية محمد إبراهيم كامل هو أن أروى مشهداً رأيته بنفسى خلال فترة انتخابات عامة رشحت نفسى فيها عن دائرة مصر الجديدة ، وقد شاء الحظ أن يكون منافسى وزيراً فى القائمة ، وأن يكون هذا الوزير من حزب أغضب الأغلبية فى مصر إذ خرج على زعيم الأغلبية واتهمه بما لم يتهمه به زعيم من قبله ، ولذلك حشدت له الحكومة كل صنوف التأييد لكيلا يسقط ، وكانت السراى والإنجليز فى الحكومة فى هذا الموقف فكأنما كنا ننطح برؤوسنا الصخر ، ولم يكن أشعر بشيء من الناس ولا الخوف من هذه النتيجة المحتومة ، فقد كان معى وحولى شبان مثل محمد إبراهيم كامل ، شبان أكثرهم ينتظره مستقبل باهر إذ اجتمع فيهم الذكاء والعائلة التى تملك النفوذ والمال .

ولكن محمد إبراهيم كامل وإخوانه آثروا أن يؤيدونى فى معركتى الانتخابية ، وأنا زعيم حزب صغير السن ، قليل المال ، لا جاه يسنده ، ولا نفوذ يؤيده ، ولكنهم مضوا معى ، يقدمون لمواطنيهم معركة بلغت الغاية من التجرد والشجاعة ، وفى ذات يوم دخلت قسم مصر الجديدة فوجدت محمد إبراهيم كامل ، محتقن الوجه ، يسيل من صدره دم ، إثر ضربات بالسياط مزقت ملابسه ، وكشفت عن هذا الصدر القوى ، وعن شيء آخر عن صلابة هذا الشباب الذى نذر نفسه لجهاد يكاد يكون دامياً ، كانت إحدى وقائعه ، مقتل

أمين عثمان الوزير المصرى الذى تبرع للإنجليز ، بما لم يسمعه تاريخ الاستعمار وعملائه ، فقد سيق إلى السجن ، وسلط فوق رأسه سيف الموت ، فلما قضى له بالبراءة ، كانت ، هذه المحنة ، مزيداً من الصقل ، وإسقاطاً لرهبة السجن ، واستغراباً لشرف التضحية ، وتحملاً لآلام الحرمان .
وشاء القدر أن يكون زميل محمد إبراهيم كامل فى الاتهام والسجن وشريكه فى الإفراج والعودة إلى الحياة الطليقة ، بعد شهور مضنية من الاعتقال والقيد ، لم يكن شاباً كسائر الشبان، يبحث عن الوظيفة ، ويفكر فى المستقبل بل كان جندياً شاكى السلاح ، ينتظر المعركة التى يخوض غمارها ، فكانت هذه المعركة الباهرة ، معركة السلام الضائع فى كامب ديفيد . وأتصور – أحياناً – أن القدر لم يجمع بين محمد إبراهيم كامل ومحمد أنور السادات فى الجماعة التى نذرت نفسها لتطهر الوطن من الإنجليز وصنائعهم ، إلا ليجتمعوا فى السجن الطويل ، ثم ليجتمعا فى سجن غريب غاية الغرابة ، لا نظير له فى التاريخ ، ولا شبيه له فى طرائف وغرائب السياسة ، سجن يبلغ فيه الترف غايته ، وتنفق أكبر دول الأرض مالاً وفيراً ليكون منتجعاً للراحة، وجنة من جنات الأرض ، للمتعة والاستجمام ، ولكن الاستعمار عرف كيف يحول هذا النعيم إلى جحيم ، إذ زج فيه عدداً من السادة والحكام المصريين مع طراز من البشر يكاد يأكلون لحوم الناس أحياء ، ويشربون دماءهم كئوساً وأكواباً وهم يتلذذون ويمسحون شفاههم بأطراف ألسنتهم ، وكأنهم لا يفعلون إلا الحلال الذى أباحه لهم ويجتنبون المذبحة بحديث طويل ثقيل ، عن المبادئ وحقهم فى أرض من أرض العرب ، أوقفها عليهم إلههم الذى اتفق معهم حسب الثابت فى ثوراتهم المتداولة على أن يعلموا له بيوت المصريين ليأتى ليلاً فيقتلهم فرداً فرداً ، فكان فوق كونه سفاك دماء ، إلهاً أعمى يحتاج إلى من يأخذ بيده. ذهب محمد كامل إلى مخيم داود الذى نعرفه باسمه الأوروبى كامب ديفيد ، وقضى هناك أياماً ،

كانت وقائعها قوام القصة المخيفة المذهلة ، التى تضمنها هذا الكتاب – الغد الغادر – السلام الضائع! .

ولما دعيت لأكتب هذه المقدمة ، ساءلت نفسى كيف أصنف وأصف كتاب هذا السلام المسكين الذى تمزق ، وتناثرت أشلاؤه ، وسقط على الأرض العربية أشلاء يمضغها ويبلعها أكلة الجيف ، وفى الحيوانات آكلة جيف ، تضم الذئاب فى الأرض والنسور فى السماء ، وأعجب أن يجتمع على الجيفة هذا الحيوان الغادر ، وذلك الطير الكاسر ، ولكن ليس كل ما يبدو محلقاً متسامياً ، مخبره كمظهره ، ومظهره كجوهره .

قلت لنفسى : أهذا الكتاب الفذ ، قصة الأيام التى كابد أهوالها ، منذ اختاره السادات رئيس جمهورية مصر وزيراً للخارجية ، فهى قصة ، أم تكون مذكرات لهذا الوزير الشاب الذى فجرت المحنة موهبة التعبير والتصوير بالقلم من مكامن نفسه ، والمطوى من مواهبه . أم تكون رواية لأمور مستحيلة لا تجتمع إلا فى كابوس .. ووقفت أمام لفظ كابوس طويلاً :

فإن ما عاناه محمد إبراهيم كامل منذ 24 ديسمبر 1977 عقب عودته مباشرة من ألمانيا التى كان يعمل فيها سفيراً لمصر فى عاصمتها بون لمدة سنوات ، لقد عاد يوماً إلى بيت عديله وصهره أحمد خيرت سعيد نائب وزير الخارجية السابق ، فرأى أهله فى انفعال غير مفهوم . فلما سألهم ما الخبر ؟ عرف منهم أن الإذاعة المسموعة والمرئية أعلنت ، أنه أصبح وزيراً للخارجية . عينه رئيس الجمهورية ، بدون مجرد الإخطار ، وهو لم يعد لمصر ، إلا لأن رئيس جمهورية ألمانيا هلموت شميت كان على وشك زيارة رسمية لمصر ، فكان الواجب أن يحضر الزيارة كالعادة المتبعة .

كانت هذه فاتحة رواية القصة التى لعب محمد إبراهيم كامل دور البطولة فيها ، على الرغم منه ، وبلا استئذانه ، ومضت الأحداث والوقائع كلها ، فى سياق

أشبه بالجنون ، فكان الأبطال جميعاً – إلا محمداً – قد أصابتهم لوثة عنيفة لسبب غير مفهوم .

وقد عبر مؤلف كتاب السلام الضائع عن صدمته لهذا النبأ فقال فى الفصل الرابع من الكتاب: " تلقيت فى البداية هذا النبأ بدهشة لم تلبث أن حل محلها شعور بالغضب بسبب إهمال السادات لأخذ رأيى فى تولى هذا المنصب خاصة فى الظروف الدقيقة وغير العادية التى خلقتها مبادرة (السادات) وزادنى غضباً أننى شعرت بأننى وقعت فى فخ لا فرار منه ، إذ كان المستحيل على بعد أن أذيع النبأ على العالم كله أن أرفض المنصب أو استقيل منه حتى قبل أن أتولاه لاعتبارات تتعلق بعلاقتى الشخصية بالسادات والتى ترجع إلى أكثر من ثلاثين عاماً ولاعتبارات وطنية من الناحية التالية ، إذ إن رفضى للمنصب وبعد إعلان تعيينى سيظهر كحلقة جديدة فى سلسلة الاستقالات التى بدأها إسماعيل فهمى وتبعه محمد رياض وتوجد انطباعاً سيئاً ويشكل لطمة للسادات تمس اعتباره الأدنى " .

كان من المضحك المبكى بلاشك أن يعين وزير للخارجية فى أى دولة بالصورة التى عين بها محمد كامل وزيراً ، فى هذه الفترة الحرجة من حياة مصر السياسية ، فلا أقل من أن يكون الوزير المختار قد مارس العمل الدبلوماسى فى فترة سابقة فى المنطقة التى تعتبر أهم المناطق بالنسبة للوزير الجديد ، فمحمد كامل كان أكثر عمله فى أوروبا ، على أن الوزير لا يفاجأ بتعيينه إلى حد سماع نبأ هذا التعيين من الإذاعات المحلية والعالمية ، ولولا أن محمد كامل لم يكن يتصور العالم الغريب الذى سيدخل فيه بدخوله الوزارة والغرائب والمدهشات ، بل الفظائع والأهوال التى سيلقاها فى هذا المنصب ، لأنه لو اطلع على الغيب ، وعرف أنه لم يختر لمنصب وزير ، وإنما اختير للمشاركة فى مؤامرة ضد وطنه وأهله وقومه ، وأنه لن يصبر على شيء منها ، إلا إذا فقد إحساسه بالشرف ، وفهمه للواجب .

ولما عرف ذلك كله ، لم يبق أمامه إلا أن يستقيل ، ولكن قبل هذه الاستقالة بعد حبسه فى منتجع كامب ديفيد ذى الأسوار العالية ، وإحاطته بيهود من طراز الشياطين ؛ لأنهم غلاة الصهاينة الذين عاشوا حياتهم يفتلون حبال المشنقة للأمة العربية ، والذين إذا تكلموا كان كلامهم فحيح الأفاعى ، وإذا تحركوا انسابوا على الأرض لا يسمع لأقدامهم وقع الثعابين ، وإذا نظروا تطاير من عيونهم شرر الحقد والكراهية والضغينة :

كتب محمد إبراهيم كامل مناجاة لنفسه بعد أن وصل إلى قاع الوكر الذى وقع فيه : "وتمضى ساعات الليل ويأبى النوم أن ينشلنى وتطوف فى ذهنى سلسلة مختلطة من الهواجس والمخاوف والمغريات فها آنذا على بعد آلاف الأميال من وطنى وحيداً أعزل فى معسكر تحيط به الأسوار بين قوم بعضهم لا يروق له ما أقول ، والبعض الآخر لا يطيقه ويرفضه . وتهاجمنى كوابيس بشعة وأرى صوراً ومشاهد مما قرأت وسمعت عمَّا تفعله المخابرات الأمريكية ومنظمة الموساد الإسرائيلية ، ماذا لو قتلوا الكل بشكل أو بآخر تحت ستار حادث عارض أو مرض مزعوم مفاجئ " .

بالضبط هذا ما أريده : الكوابيس التى اجتمعت على مؤلف كتاب " السلام الضائع " ، فأنت عندما تقرأ كتاب السلام الضائع تحس على الرغم من بساطة عبارة المؤلف وزهده الشديد فى الأسلوب ذى الذخائر ، وعلى الرغم من اقتصاده الشديد فى الألفاظ ، وهو يروى الوقائع ، ويصف الأحداث ، ويرسم صوراً لشخصيات معروفة وغير معروفة ، تحس أن الكاتب يستدرجك بأسلوبه الجميل الأخاذ ، وصدق قوله ، وأمانته فى الرواية للتنقل إلى قاع هوة تتراقص على أرضها الشياطين والأبالسة وتلهوا فى ساحتها العفاريت والغيلان ، وتحس بأن هناك مؤامرة شديدة القبح ، ضد كل الشرفاء والأمناء الذين جاءوا إلى منتجع كامب ديفيد ليفاوضوا مناحم بيجين وموشى ديان ، إن الأمر أمر مفاوضة فعلاً ، وإن هناك حرية فى الأخذ والعطاء ، وقرع الحجة بالحجة ،

والدليل بالدليل ، إلا أن الواقع أن هذا المكان مقر عصابة لا تدعو إليه إلا لجريمة تدبر وتنفذ وأن الذين يذهبون إليها على أقدامهم ، أشبه شيء بالضحية التي تقوم ، لتلفظ أنفاسها ، وتفقد حياتها وهى لا تدرى ولا تعرف .

ظن محمد إبراهيم كامل أن أنور السادات ذهب فعلاً إلى هذا المكان واختاره مستشاراً وناصحاً وصديقاً ، فإذا به يرى السادات قد تهيأ لكل ما يُطالب به من تنازلات وأنه يتنازل ويقبل ويوقع ، راضياً غير مضطر ، سعيداً ، غير رافض .

تكشفت الحقيقة الرهيبة فى هذه القضية الغربية ، فأحس أنه كاد يختنق وجلس يحاسب نفسه ، وتمضى الساعات ، وهو لا يعرف سبيلاً إلى النوم ، ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟ هل من سبيل إلى النجاة ؟ .

وانتهى كلام محمد إبراهيم كامل إلى ما كتبه فى الفصل الخامس والأربعين أنقل نصه : "غداً أكلم الرئيس بهدوء وأمانة وقوة ، عسى أن يفيق ويهتدى ، وإلا فليقبل استقالتى ، وقد أبرأت ذمتى وأرضيت ضميرى " .

انظر إلى هذا اللفظ البسيط الذى يتضمن هذا القرار الخطير ، ونقف بصفة خاصة أمام عبارة: غداً أكلم الرئيس بهدوء وأمانة وقوة .

انظر إلى هذه الكلمات بهدوء أولاً ، ثم بأمانة ثم بقوة ، نعم بهدوء ؛ لأن الرجل الذى يضطرب ولا ينام ، ولا يعرف ماذا يفعل لفرط الصعاب التى تمت فى طريق القرار ، ثم يهتدى إلى السبيل السوى ، يشعر بهدوء عميق وطمأنينة سابقة ، وسكينة شاملة ، ويمضى إلى مصيره . لا تطرف له عين ، ولا يضطرب له عصب ، إنه يقول لنفسه : سأفعل كذا .. وليكن ما يكون. سأقول كلمة الحق ، ولتنطبق السماء على الأرض ، وسأخاطب الطاغية كأنما أحدثه حديثاً لا خطر فيه ، ولا دفع إلى ما يشبه الموت المحقق .

وفى هذه المناسبات يشعر الطغاة بأن محدثهم أكبر منهم وأعظم ، وأنهم على الرغم من الصولجان والسلطان ، فهم أقزام ، ومحدثهم الذى يصفع وجوههم بالحقيقة عملاق لا يطولونه، ولا يبلغون طوله .

أما الأمانة فهى جوهر القصة ، ومقطع الفصل فى الحكاية . إن الأمانة هى الرسالة ، وهى النبوة ، وهى الدعوة إلى الحق .

الأمانة تضئ ويسطع نورها خاطفاً للأبصار ، مبدداً للظلمات ، أما القوة فهى حصيلة الهدوء والأمانة ، فالقوة لا تكون إلا بالأمانة وبالهدوء لا صخب ولا ضجيج بل قول رصين فى صوت عميق .

ولما عقد محمد إبراهيم كامل العزم على أن يخاطب السادات بكلمة الحق قال له : " لقد اطلعت على المشروع الذى قدمه لك أمس الرئيس كارتر بإطار السلام الشامل الذى نستهدفه والذى حددت معالمه بحق ووضوح فى خطابك فى الكنيست الإسرائيلى عند زيارتك القدس . فالمشرع الأمريكى رسم الطريق إلى سلام كامل بين مصر وإسرائيل مستقلاً تماماً عما يجرى فى الضفة الغربية وغزة ، فلا رابطة بينهما تضمن التزامن بين حل مشكلة سيناء وحل المشكلة الفلسطينية وهى الأصل وستكون النتيجة أن ينتهى الأمر إلى معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل فيما تبقى الضفة الغربية وغزة تحت قبضة إسرائيل تمارس فيها تخطيطها لضم هذه الأراضى فى النهاية " .

لقد كنت منذ صباى استرجع دائماً فى المواقف البالغة الخطورة النداء الذى وجهه قسطنطين بارنكومير اليونانى أباه ميشيل بارنكومير بطل البلقان إذ هو يخون وطنه من أجل التاج . وهو النداء الذى صاغه الكاتب الفرنسى فرانسوا كوبير فى مسرحية (فى سبيل التاج) ، وقد ذكرته ومحمد إبراهيم كامل يتوسل إلى السادات لكيلا يوقع البيان الذى أعده كارتر بالمبادئ التى يلتزمها الأطراف .

" إنك إذا وقعت على اتفاقية على أساس المشروع الأمريكى فسيكون حلاً منفرداً ، بكل المعايير ولن ننجح فى خداع أحد بغير ذلك .

وبطل المسرحية تماماً قال السادات : " أنا أعلم ما فعله ، وسأمضى فى مبادرتى إلى النهاية . فقال له محمد ، إذن فأرجوك أن تقبل استقالتى ،

وكالمسرحية تماماً قتل الابن بيده أباه ميشيل بالانكومير حتى لا يتورط الأب فى خيانة وطنه بعد أن حارب فى سبيله وأبلى بلاء حسناً . وكانت استقالة محمد إبراهيم كامل ، فقد كان زميلاً للسادات فى السجن ، هى الطريق إلى ما حدث فى المنصة يوم 6 أكتوبر ، يوم قتل السادات .

*****

أما محمد إبراهيم كامل مؤلف الكتاب فقد كتب مقدمة موجزة لكتابه حملت عنوان " قصة الأشهر العشرة " وجاء فيها : فى يوم 9 نوفمبر (تشرين الثانى) عام 1977 وقف الرئيس الراحل أنور السادات تحت قبة مجلس الشعب المصرى ليقول فى خطاب رسمى : إنه مستعد للذهاب إلى أى مكان سعياً وراء السلام ، وحقناً لدماء أى جندى ، ولو كان الكنيست الإسرائيلى .

ولم يمر أسبوع حتى وجه مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل دعوة رسمية للسادات لزيارة إسرائيل ، وقبل الرئيس السادات الدعوة التى تحدد لها يوم 19 نوفمبر (تشرين الثانى) 1977.

وفى اليوم المحدد للزيارة أعلن وزير الخارجية المصرى إسماعيل فهمى استقالته ، وتبعه بعد ساعات قليلة محمد رياض وزير الدولة للشئون الخارجية ، وقد سافر السادات إلى إسرائيل فى نفس اليوم بعد أن عين بطرس غالى مكان محمد رياض ، بينما ظل منصب وزير الخارجية شاغراً، ووقف السادات ليلقى خطابه فى الكنيست يوم 20 نوفمبر (تشرين الثانى) 1977.

تم تعيينى وزيراً للخارجية يوم 24 ديسمبر (كانون الأول) 1977 ، وسافرت فى اليوم التالى للاشتراك فى مباحثات الإسماعيلية بين مصر وإسرائيل ، وفى 5 سبتمبر (أيلول) 1978 . سافرت مع الرئيس السادات إلى الولايات المتحدة لحضور مباحثات كامب ديفيد بين السادات والرئيس الأمريكى كارتر، ومناحم بيجين .

وفـى يـوم 16 سـبتمبر (أيلـول) قـدمت اسـتقالتى للـرئيس السـادات بعـد حـديث استمر نصـف سـاعة وقبلها ، لكنـه طلـب منـى عدم إعلانهـا حتـى نعـود إلـى القاهرة .

فى مساء الأحد 17 سبتمبر (أيلول) غادرت الوفود الثلاثة (المصرى والأمريكى ، والإسـرائيلى) كامب ديفيد بطـائرات الهليكـوبتر إلـى البيت الأبـيض حيث تـم التوقيع على ما عرف باتفاقيات كامب ديفيد ، وتوالت الزلازل بعدها على العالم العربى ، وبدأ – ومازال – أكبر موضوع جدلى فى القرن العشرين على مستوى العالم أجمع ..

****

<u>ثم ختم محمد إبراهيم كامل مؤلفة الوثائقى الكبير الذى تجاوزه عدد صفحاته الـ 600 صفحة بفصل ختامى يحمل عنوان (التوقيـع) هذا نصـه كـاملاً ننشـره باعتباره وثيقة دامغة على حجم الجرم الذى ارتكبه السادات فى كامب ديفيد :</u>

فى اليوم الثالث عشر من بدء مؤتمر كامب ديفيد الموافق الأحد 17 سبتمبر (أيلول) 1978 كنت خارجاً من المطعم بعد أن تناولت إفطارى عندما شعرت بحركـة غيـر عاديـة تجرى فـى صـالة الاحتفـالات المتصـلة بـالمطعم ، فـدخلتها بدافع الفضول لأرى ما يحدث فوجدتها قد تغير شكلها تماماً فأخليت من الأثاث المـريح الـذى كـان بهـا وفـى آخرهـا نصـبت منصـة وعليهـا منضـدة مسـتطيلة ، خلفها ثلاثة مقاعد وعلى الحائط علقت ثلاثة أعلام كبيرة هى العلم المصرى ثم العلم الأمريكى فالعلم الإسرائيلى ، وأمام المائدة كانت مجموعة من الرجال تقوم بترتيب وضع مقاعد فى صفوف متراصة .

وتـذكرت علـى الفـور أن اليـوم هـو موعـد التوقيـع علـى الاتفاقيـات الـذى حـدده الرئيس كارتر وأنهم يعدون القاعة لتجرى فيها مراسم التوقيع وأن ذلك قد يحدث فى أى ساعة من ساعات النهار وتملكنـى الذعر فقد أحسست فجأة أنـى أواجـه مشكلة لم أفكر فيها من قبل وهى أنـى وعدت السادات بعدم إذاعة استقالتى

ولكن لم يدر بخلدى على الإطلاق أن أشترك فى الاحتفال بالتوقيع على اتفاقيات كنت أعارضها مائة فى المائة وكنت عازماً على ألا أشارك فى هذه المراسم ، ولكن كيف يمكن تبرير غياب وزير خارجية مصر عن حضور هذه المناسبة ؟ ولو كنا خارج هذا المعسكر اللعين لاستطعت التحايل والهرب بشكل ما ولكن فى هذه المصيدة أين المفر ؟ .

وعدت إلى استراحتى مهموماً منشغل البال وبعدها ببرهة دخل السفير الأمريكى هيرمان أيلتس ليخبرنا بأنه تقرر أن تتم مراسم التوقيع على الاتفاقيات بعد ظهر اليوم فى صالة الاحتفالات ، وعند مغادرته الاستراحة ناديت عليه فجأة فوقف وخرجت معه إلى الخارج وقلت له : لدى مشكلة ، فقال ما هى ؟ قلت : لقد استقلت فقال أيلتس : يا إلهى . ماذا حدث ؟ قلت : أنت تعلم ماذا حدث ، لقد أخبرتك من شهور أنى سأفعل ذلك ما لم نتوصل إلى اتفاق مقبول ، فقال : هذا حقيقى وإنى أتفهم موقفك ، فقلت : إن المشكلة ليست أنى استقلت ولكنى وعدت السادات بألا أعلن ذلك فى الوقت الحالى وأنا مصمم على عدم حضورى مراسم التوقيع ولا أدرى ماذا أفعل ؟ .

فقال أيلتس : دعنى أفكر فى الأمر فقلت له وهو ينصرف:هرمان أرجو أن يبقى هذا الموضوع سراً بيننا فقال : لا تقلق ومشى ، وبعدها بساعة اتصل بى أيلتس تليفونياً وقال : لدى أنباء طيبة نسبياً فقلت:ماذا؟ قال:لقد تقرر أن تجرى مراسم التوقيع فى واشنطن بدلاً من كامب ديفيد .

خرجت للمشى مع أحمد ماهر ورويت له تفصيلاً الحديث الذى تم بينى وبين السادات أمس وأنهيت حديثى قائلاً : أنا لا أستطيع أن أفهم هذا الرجل ، هل هو ساذج أحمق أم هو خائن لنفسه قبل أن يخون قضيته ؟ وقال ماهر : هذا سؤال محير ، ولكن يخيل إلىّ أن الرئيس كارتر قد خذله وغرر به فقد بنى كل آماله عليه ووثق فى وعوده المعسولة أكثر مما يجب . وعند عودتنا أبلغت بأن الرئيس السادات قد سأل علىّ فذهبت إلى استراحته وكان يجلس فى التراس مع

حسن التهامى وحسن كامل وبطرس غالى وأشرف غربال وأسامة الباز ، وعندما وصلت نهض واقفاً واستقبلنى بترحاب حار وكأنه لم يرنى منذ مدة ودعانى إلى الجلوس بجانبه ، وخيل لى أن الجو المخيم على الجلسة جو كئيب وكأننا فى مأتم فقد كان الحديث مفتعلاً تشوبه فترات طويلة من السكوت ، ولا يتعرض إلى موضوع الاتفاقية بشكل مباشر ، وإلى قرب التوقيع عليها ، وأحسست أن الحاضرين بمن فيهم السادات يشعرون بأنهم مقدمون على مصيبة أو على الأقل على شيء لا يبعث على البهجة أو الارتياح ، أما أنا فقد التزمت السكوت التام فقد كنت أشعر بانقباض شديد ولا أذكر من الذى قال من الحاضرين إن الشيء الذى سيثير معارضة الفلسطينيين هو أن عبارة تقرير المصير فى الاتفاقية قد وضعت بشكل غامض غير مباشر ، فقال الرئيس السادات : لم يمكن إلا ذلك ، فقد قال لى الرئيس كارتر : إن هذه العبارة ستفقده كرسى الرئاسة IT WORLD COST ME MY CHAIR ولم أستطع أن أكبح جماح لسانى وانفجرت قائلاً بصوت عال منفعل " أهذا هو رئيس أقوى دولة فى العالم "؟ أهذا هو القديس الذى كان يدعى أن الدفاع عن حقوق الإنسان والمبادئ والقيم هو محور سياسته ؟ إنه ابن كذا وابن كذا .. أمن أجل أن يظل رئيساً لأمريكا ثمانى سنوات بدلاً من أربع يضحى بمصير شعب بأكمله ؟ يا له من تافه حقير " .

وساد سكون مطبق والجميع يترقب رد السادات وكنت أشعر أنه لو كان أمامه سكين فى تلك اللحظة لأغمده فى صدرى ، فقد أحس أن ما فعلته غير موجه إلى كارتر وإنما موجه إليه أيضاً. ولكن يبدو أن ما أنقذنى أنه كان حريصاً على أن يبقى موضوع استقالتى سراً حتى ينتهى المهرجان .

وبعد فترة قهقه السادات بصوت عميق درامى هه ، هه .. هه .. وقال وهو يضع يده على كتفى : أصلك أنت يا محمد مش سياسى ، وقلت : إذا كانت

هـذه هـى السياسـة فإنـه يشـرفنى ألا أكـون سياسـياً .. ونـهـض السـادات واقفـاً وانفض الجمع .

مذبحة التنازلات :

ولم يقنع مناحم بيجن بكل ما حصل عليه من تنازلات وهيهات أن يشبع نـهمه من أكل حقوق الغير أو يرتوى ظمؤه وغليلـه من شرب دمائهم وامتصاصـها ، فلم يكل ولم يمل فى تلك الساعات الأخيرة السابقة على التوقيع وظل يحاصر الرئيس كارتر بالإلحاح والاستجداء والوعد والوعيد ، يبتز منه تنازلاً وراء تنازل فلا يجد كارتر ، وقد بات فريسة التلهف على توقيع الاتفاقية بأى شكل وبأى ثمن خلال هذا اليوم – مناصاً من أن يعود إلى السادات ويقتطع من لحمه تلك التنازلات .. وهل يضير الشاة أكلها بعد ذبحها ؟ .

وكانت الأنباء تتوالى كل ساعة بما يجد فى مذبحة التنازلات هذه ، فقد أصر بيجن على حذف الإشارة إلى عبارة عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة وقال لكارتر : تقطع يدى ولا أوقع عليها . وكانت النتيجة أن حذفت الإشارة إلى هذا المبدأ الدولى الذى كان يتصدر ديباجة القرار 242. وبصعوبة بالغة استطاع أسامة الباز أن يضيف عند الإشارة إلى القرار 242 عبارة بكل أجزائه من باب التعويض النسبى .

وفى مقابل كلمة الكامل التى أضافها كارتر إلى عبارة الحكم الذاتى أصر بيجن على النص على عبارة مجلس إدارى بين قوسين أمام عبارة سلطة الحكم المحلى حتى يتقلص اختصاص هذه السلطة ويقتصر على المسائل الإدارية ويجردها من الاختصاص التشريعى والقضائى . وحذفت من المادة المتعلقة بالاتفاق بين مصر وإسرائيل على الإجراءات المنظمة لحل مشكلة اللاجئين ، الفقرة التى كانت تنص على أخذ قرارات الأمم المتحدة بعين الاعتبار عند بحث هذا الموضوع ، وهى القرارات التى كانت تنص صراحة على حق اللاجئين فى العودة والتعويض .

ولم يترك بيجين فقرة أو نصاً أو كلمة يشتم منها حق أو شبه حق للشعب الفلسطينى إلا ودمغها بطابعه ما بين تشويهها أو إضفاء اللبس والغموض عليها .

ولست فى صدد حصر كل ما فرضته إسرائيل من تعديلات فى اللحظات الأخيرة ولكن الجريمة التى لا تغتفر للرئيس كارتر هى خضوعه للضغوط الإسرائيلية التى أدت إلى حذف النص على تجميد المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية وغزة خلال مدة السنوات الخمس الانتقالية ، وهى مادة أساسية كان يتمسك بها الجانبان المصرى والأمريكى بإصرار على السواء ، فقد كان حكم هذا النص بعد أخذ أمريكا بوجهة النظر الإسرائيلية فيما يتعلق بمشاركة إسرائيل فى الإشراف على سلطة الحكم الذاتى والإبقاء على قواتها المحتلة فى الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية – بل وبعدها – بالإضافة إلى أخذها بما ألحت عليه إسرائيل من تعليق السيادة على الضفة الغربية وغزة إلى ما بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، كان حكم تجميد المستوطنات خلال تلك الفترة هو الضمان الوحيد الذى يكفل وقف تدهور الأحوال فى الضفة وغزة بعدم إقامة مستوطنات جديدة أو التوسع فى المستوطنات القائمة بالفعل . فقد كان هذا الاستعمار الاستيطانى هو أداة إسرائيل فى التهام تلك الأراضى قطعة وراء قطعة وزرعها بالمتعصبين المهووسين الدينيين من جماعات جوش أمونيم وأمثالها ، مما يخلق أوضاعاً يستحيل علاجها ويؤثر على الطابع العربى لتلك الأراضى وعلى كثافتها السكانية العربية ، أما بالنسبة لإطار السلام بين مصر وإسرائيل فقد تضمن بدوره تعديلات كثيرة ، لا يعنينى فيها إلا أنها كرست القطيعة بين مصر وبين القضية الفلسطينية ، فقد قضت على أى فكرة للارتباط بين الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وتسوية القضية الفلسطينية ، بل بلغت الوقاحة حداً أنها لم تعلق قيام السلام الكامل بين مصر وإسرائيل على اتمام الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء نفسها بل أضيف إليه حكم بأنه بعد

الانسحاب الإسرائيلى إلى خط العريش – رأس محمد الذى يتم بعد توقيع معاهدة السلام فى مدة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر تقوم علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تشمل الاعتراف الكامل بما فى ذلك إقامة العلاقات الدبلوماسية وعلاقات اقتصادية وثقافية وإنهاء الحصار الاقتصادى .. إلخ ، أى يتم كل ذلك وجزء من سيناء مازال تحت الاحتلال يرفرف عليه علم إسرائيل وقواتها قائمة عليه بسلاحها ومطاراتها تضج بالحركة ، والمستوطنون الإسرائيليون يعمرون ويبنون فى ياميت وفى مستعمرات رفح وغيرها ، ويقضون عطلتهم على رمال شاطئ شرم الشيخ يمرحون ويلهون.

خيول الملاهى الخشبية :

كانت عودة القدس العربية بطبيعة الحال من أولويات اهتماماتنا وقد قدم الجانب المصرى عدة صياغات بشأنها ، القاسم المشترك بينها جميعاً عودة القدس العربية وفقاً لمبدأ عدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة وكانت الصياغات المصرية تنص أيضاً على عدم تقسيم المدينة وكفالة حرية المرور بالنسبة للجميع إلى الأماكن المقدسة بدون تمييز إلا أن إسرائيل رفضت كل صياغاتنا بطبيعة الحال .

أما الجانب الأمريكى فقد تضمنت مشاريعه بشأن القدس صياغات عائمة مائعة تركز على حرية الانتقال وحرية العبادة وأن تكون الأماكن المقدسة بالنسبة لكل ديانة خاضعة لإدارة ممثلى هذه الديانة ، إلا أنها لم تتعرض إلى السيادة على القدس أو مصيرها النهائى ولهذا كنا نرفضها بدورنا .

وفى النهاية تم الاتفاق بين الرئيسين كارتر والسادات على إسقاط الإشارة إلى القدس فى الاتفاقية نهائياً ، وأن يعالج موضوع القدس عن طريق خطابات متبادلة تلحق بالاتفاقية بين الرئيس السادات والرئيس كارتر من جهة وبين الرئيس كارتر ورئيس الوزراء بيجن من جهة أخرى ، يحدد فيها كل موقفه من موضوع القدس ، فكتب الرئيس السادات خطاباً مضمونه أن القدس العربية جزء

لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب أن تخضع للسيادة العربية ورد عليه الرئيس كارتر بأنه تلقى خطابه وأنه سيبعث بصورة منه إلى رئيس الوزراء بيجن ليعلمه . وأن الموقف الأمريكى من القدس هو كما عبر عنه السفير جولدبرج فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 14 يوليه (تموز) 1967 والسفير بوست فى مجلس الأمن فى 1 يوليه (تموز) 1959 ، (والموقف الأمريكى لا يعترف بضم إسرائيل للقدس العربية ولكن بيجن رفض قطعياً أن يحدد الموقف بهذا الوضوح ، ووافق على النص الأمريكى غير المباشر سالف الذكر لتمييع الموضوع) .

وكتب مناحم بيجن إلى الرئيس كارتر خطاباً مضمونه أن الكنيست الإسرائيلى قد أصدر فى 28 يوليه (تموز) 1967 قانوناً يخول الحكومة الإسرائيلية سلطات التشريع والإدارة على أى جزء من أراضى " إسرائيل – فلسطين " وأنه وفقاً لهذا القانون فقد قررت حكومة إسرائيل فى يوليه (تموز) 1967 أن مدينة القدس موحدة ولا يمكن تقسيمها ، وأنها عاصمة دولة إسرائيل ورد عليه الرئيس كارتر بأنه سيرسل صورة من خطابه إلى الرئيس السادات ، وأن الموقف الأمريكى بشأن القدس هو ما سبق ذكره .

ولست فى حاجة إلى التعليق على قيمة هذه الخطابات التى تدور وراء بعضها مثل الخيول الخشبية المثبتة على مراجيح الملاهى ، كل حصان يسير وراء الحصان الذى أمامه دون أن يلحق به أبداً ، ويكفى أن أشير إلى ما ذكره موشى ديان فى كتابه بشأن هذه الخطابات من أنه طالما أن الخطابين الأمريكى والمصرى (حول القدس) ليس لهما طبيعة تنفيذية ، فإنهما لا يلزمان إسرائيل بالانسحاب من تلك الأراضى ، وبالتالى فلم تكترث إسرائيل بهذه الخطابات ولم تعارض فى تبادلها ولم يكن لدى علم بما يجرى بين كارتر والسادات وبيجين فى تلك الساعات الأخيرة ، وقد حضر إلى السفير نبيل العربى مدير الإدارة القانونية عندما علم بأمر هذه الخطابات المتبادلة حول

القدس وكان منزعجاً ورجانى بإلحاح أن أذهب فوراً للرئيس السادات لأبلغه بأن هذه الخطابات ليست لها أية قيمة قانونية أو عملية ، وأنها لن تحل الموضوع ، ولم أستطع أن أخبره أنى استقلت ، فقلت له : بل اذهب أنت وأشرح ذلك للرئيس من الناحية القانونية فأنت أقدر على ذلك فقال : بل نذهب معاً وسأتولى أنا شرح الجانب القانونى فقلت : إنى متعب ورجوته أن يقوم بذلك وحده .

وقد عاد إلىّ بعد حوالى نصف ساعة وكان وجهه شاحباً ويبدو عليه الانفعال وقص علىّ القصة التالية : إنه عندما ذهب إلى استراحة الرئيس السادات وجد أن بيجين يزوره ليهنئه بالتوصل إلى اتفاق السلام ، فانتظر حتى انصرافه ودخل إلى الرئيس فسأله عما يريد فقال : إنه يريد أن يعرض عليه الرأى القانونى فيما يتعلق بالخطابات المتبادلة حول القدس فقال له السادات : تفضل بالشرح وعندما انتهى العربى من ذلك قال له الرئيس بصوت هادئ مهذب : هل لديك شئ آخر تريد أن تعرضه علىّ ، فقال : لا يا سيادة الرئيس ، فقال السادات : إذن اسمع ما سأقوله لك ، لقد استمعت إليك كما رأيت دون مقاطعة من أجل ألا يقول أحد : إنى لا استمع ولا أقرأ كما يشيعون عنى ، ولكن اعلم أن كل ما قلته لى قد دخل من أذنى اليمنى وخرج من أذنى اليسرى ، إنكم فى وزارة الخارجية تظنون أنكم تفهمون فى السياسة ولكنكم لا تفهمون شيئاً على الإطلاق ولن أعير كلامكم أو مذكراتكم أى التفات بعد ذلك ، إنى رجل أعمل وفقاً لاستراتيجية عليا لا تستطيعون إدراكها أو فهمها ولست فى حاجة إلى تقاريركم السفسطائية الهائفة .

ووزيركم محمد كامل يسب اليوم أمامى الرئيس كارتر ألا يفهم أن الرئيس كارتر هو الكارت الرئيسى الذى أحوزه لإقامة السلام الشامل ؟ .

وسكت الرئيس برهة ثم أضاف : ثم ألا تعلم أن قريبك محمد حسنين هيكل يهاجمنى فى كل مكان وأنه يتآمر علىَّ لقلب نظام الحكم وأنا لا أبالى بما ينشره

من أكاذيب وسخافات بدافع الحقد الأسود ، ولكنى لن أسكت عليه فى النهاية وسأقطع رقبته ، تفضل الآن بالانصراف ولا تعودوا لتتعبوا رأسى وتضيعوا وقتى بأسانيدكم القانونية الفارغة .

وكان الكلام يندفع بسرعة من فم نبيل العربى وهو يقص ما جرى بجدية وكانت أعصابه مازالت مضطربة من هول ما قاله له رئيس الجمهورية ، وعندما انتهى من كلامه انتابتنى نوبة طويلة من الضحك ، وشر البلية ما يضحك ونظر إلى العربى بدهشة ثم لم يلبث أن انضم إلى وشاركنى فى الضحك .

هبوب العاصفة :

فى حوالى الساعة السادسة هبت فجأة على معسكر كامب ديفيد عاصفة مفاجئة فدوى الرعد ولمع البرق وهطلت الأمطار غزيرة مستمرة وقلت لزملائى فى الاستراحة : إن السماء غير راضية عما سيحدث اليوم ، وكنت أعد حقيبتى للسفر إلى واشنطن عندما طلبنى السفير أيلتس وقال لى : إن وزير الخارجية فانس سيطلبنى بعد قليل فى التليفون ؛ لأنه يرغب فى لقائى فقلت له : أشكرك ، ولم أفهم ما يدعوه ليكلمنى ليخبرنى أن فانس سيكلمنى ، عندما قال : محمد إنه لم يعرف وفهمت أنه يقصد الاستقالة ، فقلت : لقد وعدتنى بأنك لن تخبر أحداً ، فقال : إنى لم أخبره ، فسألته بدهشة : إذن من فعل ، فقال : لا أستطيع أن أخبرك فى التليفون ، وظللت حائراً فى الأمر وبعدها بدقائق طلبنى فانس ، وقال : لماذا لا تحضر لأقدم لك مشروباً ونتحدث بعض الشيء ، فقلت بكل سرور ولكن العاصفة على أشدها فأجاب أنها ستنتهى بسرعة وسأكون فى انتظارك ، وفعلاً هدأت العاصفة بعدها بقليل وإن استمر نزول الأمطار خفيفة متقطعة ، فأخذت شمسية وخرجت وصحبنى أحمد ماهر حتى باب استراحة فانس وانصرف ، وعندما دخلت استقبلنى فانس بابتسامته الصافية ودعانى إلى الجلوس ، وبعدها بدقيقة خرج مونديل – الذى كان يشاركه الاستراحة – من إحدى الغرف حاملاً حقيبة وسلم علينا ، وقال : إنه فى طريق عودته إلى

واشنطن على الفور للإشراف على إعداد الترتيبات اللازمة للتوقيع على الاتفاقيات فى البيت الأبيض قبل وصول الوفود وبعد انصرافه سألنى فانس عما أحب أن أشربه ثم قام وأعد مشروبين وعاد يحملهما ثم قال : لقد أخبرنى الرئيس السادات بعد ظهر اليوم باستقالتك ولقد أسفت لذلك جداً ولكنى أقدر موقفك وأتفهمه ، فنحن كما تعلم بلد ديمقراطى يقدس حرية الرأى وقد أسف الرئيس كارتر بدوره فهو يكن لك احتراماً كبيراً ، وقد امتدحك الرئيس السادات كثيراً وحدثنا عن علاقاتكما القديمة ، ومن ناحيتى أحب أن أؤكد لك إنى سأذكر دائماً بالخير تعاملنا معاً فلقد كنت دائماً شريفاً جاداً واضحاً وأرجو أن نظل أصدقاء ، وشكرت فانس على ما قاله وعبرت له بدورى عن تقديرى له ، وسألنى فانس عما اعترض عليه فى الاتفاقية بوجه خاص ، فقلت : إنى أعترض عليها من أساسها ، فهى لا تعدو أن تكون نسخة منقحة ومزخرفة من مشروع بيجن للحكم الذاتى، وقلت : لقد أصبت بخيبة أمل كبيرة فى الولايات المتحدة التى كنا ننظر لها بإعجاب ، ونحفظ مبادئ الرئيس ويلسون ، وبخيبة أمل أكثر فى الرئيس كارتر الذى كان ينادى بحقوق الإنسان ، وقلت : إنكم تخليتم عن مواقفكم المعلنة الثابتة بشأن النزاع العربى الإسرائيلى وعن كل المبادئ الدولية ، وأعددتم مشروعاتكم من منطلق ما يتقبله بيجن وما يرفضه ، ومارستم كل الضغوط على السادات وحده وفى النهاية توصلتم إلى هذا الاتفاق الذى سيزيد مشكلة الشرق الأوسط تعقيداً ولن يحقق سلاماً بل سيكرس الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار فيها وستندمون على هذا الاتفاق الذى سيضعف السادات وقد يؤدى إلى الإطاحة به ، وسيهز الدول العربية المعتدلة التى تصادقكم وستحل عليكم نقمة كل الشعوب العربية ، وأما مصر فستنتهى إلى العزلة فى المنطقة ، ولن تقبل أية دولة عربية هذا الاتفاق الذى لن ينفذ ، وكل ما هناك أنه سيطلق يد بيجن فى الضفة الغربية وغزة لضمها ولن يحقق هذا حلاً للنزاع بل سيزيده اشتعالاً .

وقال فانس : لقد اتصل الرئيس كارتر اليوم تليفونياً بالملك حسين ودعاه لزيارته وكلف سفيرنا فى جدة بتقديم الدعوة إلى الأمير فهد لزيارته ، فقلت : إنهما لن يحضرا وقد سبق أن قلت هذا للرئيس كارتر .

وقال فانس : وما هو رأيك فيما تستطيع أن تفعله لمساعدة الرئيس السادات الآن ؟ قلت : لقد فات الأوان وأضعتم الفرصة بالاستسلام لضغوط بيجن ، وهذا الاتفاق سيظل وصمة فى جبينكم وفى جبين السادات ، قال : إنى اعترف بأن الاتفاق ليس منصفاً تماماً ولكنه خطوة إلى الأمام وسيعمل الرئيس كارتر على تكملة أوجه النقص فيه من خلال مفاوضات الحكم الذاتى وهو يشعر بالتزام قوى نحو عمل شئ للشعب الفلسطينى وسيكون فى مركز يسمح له بتحقيق ذلك عند إعادة انتخابه ، وعاد يسأل ما الذى يستطيعون عمله لمساعدة مصر ، فقلت له : ليس أمامكم إلا مساعدتها مالياً واقتصادياً فقال : لقد تكلمت مع وزير الزراعة اليوم بالفعل لزيادة كميات القمح والذرة التى نقدمها لكم ، فقلت : إن المسألة ليست مسألة دقيق وذرة ، إن مصر تحتاج إلى بلايين الدولارات حتى تعيد بناء مرافقها المنهارة والوقوف على قدميها ولكن هل ستسمح لكم إسرائيل بأن تفعلوا ذلك ؟ .

وكانت الساعة قد قاربت الثامنة والنصف فصافحت فانس وخرجت وكانت العاصفة قد هدأت تماماً ، وعندما وصلت الاستراحة كانت الحقائب كلها معدة لنقلها واطلعت على صورة من البرنامج وكان يشمل ساعة ودقيقة إقلاع كل طائرة هليكوبتر وأسماء ركابها – من أعضاء الوفود – وكان من المقرر أن يركب الرؤساء الثلاثة طائرة واحدة معاً تقلع فى النهاية ، وهنا هبت فى وجهى مرة ثانية مشكلة عدم حضور مراسم التوقيع ، فقد كان البرنامج يحدد موقع نزول الطائرات الهليكوبتر داخل حديقة البيت الأبيض نفسه ثم الانتقال بالسيارات نحو مائتى متر إلى مدخل القاعة الشرقية حيث يجرى الاحتفال ،

وأحسست أنى وقعت فى الفخ من جديد وتعلقت آمالى بهرمان أيلتس الذى كان اسمه بين قائمة الركاب فى الطائرة التى سأركبها .

وكانت طائرتى تقلع فى التاسعة والربع تماماً ودعيت مجموعة ركابها للتوجه إلى مكان الإقلاع وكان يسير إلى جانبى حسن كامل فرأيت أن أخبره باستقالتى ، حيث شعرت أنها ستعرف فى خلال ساعة فأصابه الذهول وقال: هذا غير معقول وقلت : لم يكن أمامى من سبيل آخر ، وبعد إقلاع الطائرة أثرت مع أيلتس مشكلتى من جديد فسألنى : هل أنت متأكد من أنك لا تريد حضور مراسم التوقيع ؟ قلت : قطعياً ، فقال : سأرى ما يمكن عمله .

وعندما هبطت الطائرة فى مهبط البيت الأبيض كانت السيارات المخصصة لركابها فى الانتظار وكان مكانى فى السيارة رقم واحد ومعى حسن كامل والتهامى وعمرو حمدى الضابط المرافق لى واتجهنا إليها ، إلا أننى توقفت متجمداً أمام بابها المفتوح ، لا أريد أن أركب فقد ضاع منى أيلتس فى الزحام إلا أنى لم ألبث أن رأيته قادماً نحوى على عجل ، وركب معنا السيارة ويبدو أنه كان يخطر سائق سيارته بأنه لن يركب معه ، وكان حسن التهامى يثرثر بشيء حول موضوع القدس ، أما أنا فقد ظللت ساكناً وقلبى يدق بقوة ولم تلبث السيارة أن وقفت أمام مدخل القاعة الشرقية وقد وقف أمامها مجموعة من الجنود الأمريكيين والنور ينبعث من النجف المعلق فى مدخل القاعة ونزل حسن التهامى وحسن كامل وقال الأخير وباب السيارة مفتوح : هيا بنا يا محمد ، فقلت : لا لن أحضر وصاح التهامى : كيف ماذا حصل ؟ وكانت السيارات التى تتبعنا قد بدأت فى الوصول وسيارتنا تشغل المكان المواجه للمدخل ، وقال التهامى : هل من المعقول أن وزير الخارجية لا يحضر حفل التوقيع ؟ وقلت: إنى لم أحضر وأرجوكم لا داعى للإلحاح وإضاعة الوقت ، فأغلق حسن كامل باب السيارة . أما هرمان أيلتس فقد نزل من السيارة وفتح الباب الذى من ناحيتى وصافحنى قائلاً : أتمنى لك حظاً سعيداً يا محمد ، ثم أصدر تعليماته

لقائد السيارة بتوصيل وزير الخارجية إلى فندق ماديسون ، وانطلقت السيارة إلا أنها لم تلبث أن توقفت أمام إحدى البوابات الحديدية ، وعاودنى القلق إلا أن حارس البوابة قام بفتحها وأدى لى التحية العسكرية ومضت السيارة فى شوارع واشنطن مارة بكابتول هيل وبالمسلة المصرية المقامة فى أحد الميادين حتى وصلت إلى الفندق وصعدت إلى الجناح المخصص لى .

أهرامات أجدادنا :

كان أول ما فعلته أن أخذت دشاً ساخناً ثم ارتديت بيجامتى وطلبت من عمرو حمدى أن يطلب لنا العشاء فى الغرفة ، وأدرت التليفزيون وكان يذيع وقتها وصول الرؤساء الثلاثة للقاعة الشرقية وتوجههم إلى المنصة التى وضعت فوقها المنضدة التى سيتم عليها التوقيع وخلفها العلم المصرى والعلم الإسرائيلى ويتوسطهما العلم الأمريكى ، ودوى التصفيق عند وقوف الرؤساء الثلاثة على المنصة ، وكان المدعوون لحضور الحفل يضمون أعضاء الوفود الثلاثة فى كامب ديفيد ومجموعة من رجال الكونجرس والشخصيات العامة ، ودارت عدسة التليفزيون نحو المدعوين وتوقفت لحظة على مقعد خال فى الصف الأول كان من المفروض أن أشغله ثم عادت إلى الرؤساء الثلاثة ، حيث بدأ الحفل بكلمة من الرئيس كارتر أشاد فيها بالرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن اللذين كان الفضل لهما فى نجاح مؤتمر كامب ديفيد ، بسبب نواياهما الخالصة وعزمهما على تحقيق السلام ، ثم عرض مضمون الاتفاقية الخاصة بإطار السلام فى الشرق الأوسط ، وبعدها اتفاقية إطار السلام بين مصر وإسرائيل اللتين سيتم توقيعهما الليلة .

وتكلم بعده الرئيس السادات فتوجه بالشكر والعرفان للرئيس كارتر على كل ما خصصه من وقت ، وقام به من جهد شجاع فى سبيل تحقيق السلام وقال: لقد التزمت بأن تكون شريكاً كاملاً فى مسيرة السلام ، وإنه ليسعدنى أن أقول: إنك قد وفيت بهذا الالتزام بشرف ، ودعاه إلى مواصلة جهوده حتى يتم التوصل إلى

استكمال مسيرة السلام بما يؤكد إيمان الشعب الفلسطينى فى حقيقة السلام المستهدف .

وتكلم بعد ذلك بيجن وقال : إن مؤتمر كامب ديفيد يجب أن تعاد تسميته إلى مؤتمر جيمى كارتر الذى بذل جهوداً شجاعة وجبارة لإنجاح هذا المؤتمر ، وعمل بجهد واجتهاد يفوق – حسب تجربتى التاريخية – العمل والجهد الشاق الذى بذله أجدادنا عندما بنوا الأهرامات فى مصر ، ودوى ضحك وتصفيق .

وعسى أن يصدقنى القارئ عندما أقول – من واقع تجربتى البيجينية : أنه لم يقل هذه العبارة اعتباطاً ، وإنما عن عمد وسبق إصرار لعلها تكون تكئة للبناء عليها بالقدر الذى يسمح لإسرائيل فى يوم ما بالمطالبة بأهرامات الجيزة كنقطة بداية لتحقيق مطامع أوسع ولم لا ؟ .

ومضى بيجن يتحدث عن مسار المفاوضات فى كامب ديفيد واللحظات الصعبة التى كانت تواجهها ، ولم ينس أن يلدغ السادات بوقاحة عندما قال : إن من بين هذه اللحظات مثلاً أن يلمح شخص ما بأنه سيعد حقائبه ويغادر المؤتمر ويعود إلى بيته ، ودوى الضحك من جديد وشعرت بالإشفاق على السادات .

ووجه بيجن الشكر فى خطابه لمعاونى الرئيس كارتر وعلى رأسهم سيروس فانس ، ثم وجه الشكر لمعاونيه هو وعددهم بالاسم وكذا الشكر لأعضاء الوفد المصرى الذى عملوا بجد لتحقيق ما نحتفل به فى هذه اللحظة وعلى رأسهم نائب رئيس الوزراء التهامى .

وعادت عدسة التليفزيون من جديد تركز على المقعد الخالى ، ثم أعلن الرئيس كارتر أنه قد حانت لحظة التوقيع ، وانتهت التوقيعات ثم قام الرؤساء الثلاثة يتعانقون ويهنئون بعضهم بعضاً ، ورأيت الرئيس السادات يعانق بحرارة وشغف وإقبال مناحم بيجن ، وتعجبت كيف يستطيع أن يفعل ذلك مع شخص قال لى عنه منذ أيام قليلة : إنه " أحط وأخس عدو " .

وفى اللحظة التى انتهت فيها مراسم التوقيع دق جرس التليفون فى غرفتى ورد عمرو حمدى وقال لى : إنه مراسل وكالة رويترز ، فقلت : إنى غير موجود وما إن وضع السماعة حتى رن التليفون من جديد وكان المتحدث مراسل وكالة أنباء أخرى واستمر رنين التليفون ، لا يكاد عمرو يغلق السماعة حتى يبدأ من جديد وأدركت أن غياب وزير الخارجية المصرى عن حضور حفل التوقيع قد أثار الانتباه ، وفى النهاية اتصلت باستقبال الفندق وطلبت منه عدم تحويل أية مكالمات تليفونية لغرفتى .

وزارنى عدد كبير من أعضاء سفارتنا فى واشنطن ووفدنا فى نيويورك ، وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل إلى غرفتى حسن كامل وبطرس غالى والتهامى وأشرف غربال والفريق محمد الماحى كبير ياوران الرئيس الذى كان يقيم فى واشنطن أثناء مؤتمر كامب ديفيد ، وقد عبروا لى جميعاً عن مشاعرهم الطيبة نحوى ، وقال لى أشرف غربال : إنه بعد انتهاء حفل التوقيع على اتفاقيتى كامب ديفيد أمس ذهب الرئيس السادات إلى السفارة المصرية حيث تقرر أن يقيم بها خلال مدة وجوده فى واشنطن لاعتبارات أمنية ، وأنه اجتمع مع رؤساء تحرير الصحف المصرية ليشرح لهم ما تم التوصل إليه فى كامب ديفيد ، والخط الإعلامى الذى يسيرون عليه وبعد أن انتهى من ذلك ، سأله رؤساء التحرير عن السبب فى عدم حضورى حفل التوقيع ، وقالوا : إن هناك شائعات تدور حول استقالتى من منصبى كوزير للخارجية ، ورد عليهم السادات بأن هذا صحيح وطلب منهم عدم نشر الخبر إلا عندما يأذن لهم فى ذلك ، وأضاف أن استقالتى ترجع إلى خلاف فى الرأى بينى وبينه وأنى صديقه وبمثابة ابنه ، ولذا فهو يسترعى نظرهم بألا يمسنى أحدهم بسوء فيما قد يكتبه . وقد ارتحت نفسياً عندما علمت أن خبر الاستقالة قد انتشر وبقيت أمامى مشكلة واحدة تقلقنى وهى كيف أعود إلى مصر دون أن ارتبط بالرئيس السادات

وبرنامج سفره عند رجوعه إلى مصر وقررت أن أذهب وأقابله وأتحدث معه فى الأمر .

وتوجهت فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى إلى السفارة وكان السادات مجتمعاً مع صديقه هنرى كيسنجر ، وعندما خرج كيسنجر دخلت إليه فى صالون السفارة وقد دهش لرؤيتى وقال : فيه حاجة يا محمد ؟ فقلت: نعم لقد طلب فانس مقابلتى أمس قبل مغادرتنا لكامب ديفيد وأبلغنى أنك أخبرته باستقالتى رغم أنك طلبت منى الاحتفاظ بها سراً ، وعلمت أنك اجتمعت أمس برؤساء تحرير الصحف المصرية وأنك أكدت لهم نبأ الاستقالة وطلبت عدم نشره ، كما علمت أنك حددت موعداً لمذيعة التليفزيون بربارا ولترز سيحل بعد نصف ساعة من الآن وسوف تسألك قطعاً عن موضوع استقالتى فماذا ستقول لها ؟ .

وسكت قليلاً ثم قال : سأقول لها : إننا بلد ديمقراطى وأن من حقك أن تبدى رأيك وتستقبل دون أن أضعك فى معسكر اعتقال .

وقلت : شكراً ، وكنت أهم بمفاتحته فى موضوع عودتى إلى مصر وحدى بعد هذه المقدمة عندما سألنى : وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟ .

قلت : لا شيء سأذهب وأعيش مع عائلتى وولدى اللذين لم أقم معهما منذ عشر سنوات بسبب وجودى فى الخارج أثناء دراستهما فى مصر ، وقد كبرا وأريد أن أستمتع بالمعيشة معهما قبل أن يأخذ كل منهما طريقه فى الحياة ويستقل .

قال : اختر لك أى سفارة تريدها .

قلت : ليس لى رغبة فى العمل سفيراً ، فقد شبعت من ذلك .

قال : وتظل عاطلاً بدون عمل – اختر أى سفارة الآن .

قلت : كيف تتصور أن أعين سفيراً لأنفذ سياسة أنا غير موافق عليها ، لا أستطيع أن أفعل ذلك بحال .

قال فى غضب : ليس من الضرورى أن تعمل شيئاً ، استرح وامض وقتك فى النزهة والسياحة .

قلت : لا .. كما أخبرتك إنى أريد أن أبقى مع أولادي .

فقال بانفعال : طيب ابق مع أولادك حتى تشبع منهم ، وسأعينك سفيراً فى وزارة الخارجية . على أى حال وعندما تغير رأيك سأعينك سفيراً فى المكان الذى تحدده .

قلت : افعل ما شئت ، أما أنا فسأعيش فى مصر .

ولم يرد علىّ وتركنى وخرج من الصالون ، وبقيت دون أن أحل مشكلتى المتبقية وهى أن أغادر واشنطن وأعود وحدى إلى مصر .

ربطت حزام النجاة :

وعاودت المحاولة فى اليوم التالى الثلاثاء 19 سبتمبر (أيلول) فكلفت عمرو حمدى بالاستعلام عن مواعيد الرئيس ، وعلم أنه سيجتمع فى الصباح بأعضاء لجنتى الشئون الخارجية فى الكونجرس ثم يزور الرئيس كارتر فى البيت الأبيض ويعود إلى الغذاء فى السفارة ، وتابع عمرو تحركات الرئيس عن طريق اتصاله بضباط الرئاسة تليفونياً ، ثم أخبرنى أنه غادر الكابتول هيل بعد انتهاء اجتماعه فى الكونجرس وأنه فى طريقه لزيارة الرئيس كارتر فنزلت وتوجهت إلى السفارة وانتظرته هناك ، وبعد حوالى ثلث ساعة وصل الرئيس ، وعندما دخل من باب السفارة كنت فى انتظاره فصافحنى وقال : فيه إيه يا محمد ، إنى متعب وأريد أن أستريح ؟ قلت له : لن أعطلك إلا دقائق، ووقف المصعد فى الدور الثانى واتجه السادات إلى غرفة نومه ، ودخلت وراءه فقال : ماذا تريد ؟ قلت : أريد أن أستأذنك فى السفر إلى مصر . قال : ألم نتفق على أن تصحبنى فى رحلة العودة ؟ وسنقضى يومين فى المغرب للراحة وستكون مسروراً ، وكان حرصه على أن أصحبه مقصوداً منه إظهار أن الخلاف بيننا يرجع إلى مسائل غير جوهرية ، بدليل أن علاقتنا مستمرة وأنى أصحبه فى

رحلته فى كل مكان ، قلت له : هذا قبل أن يعرف أحد نبأ الاستقالة ، أما الآن فقد أذاعت كل الصحف النبأ كما أذاع التليفزيون مقابلتك لبربارا ولترز التى أكدت لها فيها استقالتى ، فبأى صفة أذهب معك إلى المغرب ؟ .

فتردد بعض الشيء وقال : إذا أردت رأيى أنصحك بالسفر معى ، قلت : لا .. أفضل العودة الآن ، فلابد أن عائلتى قلقة علىّ من جراء خبر الاستقالة فقال : أنت حر إذا أردت العودة ، متى تسافر ؟ فقلت سأحاول السفر اليوم نفسه فقال : مع السلامة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف بعد الظهر فهرعت إلى مكتب محمد شاكر فى مبنى المكتب المجاور للسفارة ، وطلبت منه أن يقوم بترتيبات سفرى اليوم ، فقال : سيكون ذلك صعباً ولكن سأحاول ، ونجح فى حجز ثلاثة مقاعد على طائرة شركة الخطوط الجوية العالمية T.W.A المتجهة إلى باريس والتى كان موعد إقلاعها من مطار نيويورك الدولى فى السابعة مساء، وكانت التذاكر لى ولأحمد ماهر وعمرو حمدى وبقيت مشكلة الوصول إلى المطار قبل موعد قيام الطائرة .

وأخيراً وجدنا طائرة تغادر واشنطن إلى نيويورك وتصلها قبل موعد قيام الطائرة المسافرة إلى باريس بثلث ساعة ولكنها كانت ستهبط فى مطار نيويورك الداخلى وليس الدولى والمسافة بينهما حوالى نصف ساعة على الأقل فاتصل محمد شاكر بوزارة الخارجية الأمريكية التى وعدت بإعداد ترتيبات خاصة للحاق بالطائرة قبل إقلاعها .وبالفعل عندما هبطت بنا الطائرة فى مطار نيويورك الداخلى وجدنا سيارة بوليس فى انتظارنا على باب الطائرة وأمامها موتوسيكل يركبه ضابط وما إن دخلنا السيارة حتى انطلقت مسرعة يسبقها الموتوسيكل وكلاهما يطلق صفاراته المزعجة دون انقطاع ولا يبالى بإشارة مرور أو غيرها .. وذكرنى ذلك بما كنا نشاهده فى الأفلام الأمريكية فى مطاردات البوليس الأمريكى ، والفرق أننا كنا نحن – الذين داخل السيارة

والناس هم الذين يشاهدوننا – ووقفت بنا السيارة أمام باب الطائرة فى الساعة السابعة وخمس دقائق وكانت محركاتها دائرة بالفعل وتنتظر وصولنا وفقاً لتعليمات وزارة الخارجية الأمريكية .

وصعدنا إلى الطائرة فقادتنا المضيفة إلى مقاعدنا ورجتنا أن نربط أحزمة النجاة وبعدها بدقيقة تحركت الطائرة ثم صعدت على الهواء ، وتنفست الصعداء وقلت لنفسى : حمداً لله ألف حمد ونم مستريحاً يا أبى .

*****

انتهت شهادة محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق والذى لم يتحمل ضميره حجم التنازلات الكبير والخطير الذى قدمه السادات للإسرائيليين فى كامب ديفيد ، فاستقال ، وبعد الاستقالة كتب محمد إبراهيم كامل شهادته الموثقة والتى اقتصرنا هنا على إيراد الفصل الأخير منها كدليل وثائقى على حجم الجرم الذى ارتكبه السادات فى حق مصر.

الباب الخامس

التطبيع الاجتماعى

(2011-1979)

لم تتوقف إسرائيل عن استخدام الوسائل والآليات الاجتماعية فى فرض التطبيع والاختراق للمجتمع المصرى طيلة الفترة الممتدة من (1979–2011) ، إيماناً منها أن هذه الوسائل هى الأبقى والأكثر تأثيراً – جنباً إلى جنب مع الآليات الثقافية والإعلامية – وانطلقت فى هذا الفهم من دراسات استراتيجية عديدة ، قامت بها مراكز بحثية ومؤسسات مخابراتية داخل الكيان الصهيونى طيلة الفترة السابقة على توقيع اتفاقات كامب ديفيد (1978) واللاحقة عليها ، وقامت خلال فترة الاثنين وثلاثين عاماً (1979–2011) بتنفيذها تدريجياً ، وكان من أبرز هذه الوسائل (التطبيع الرياضى) والتطبيع من خلال (زواج المصريين بإسرائيليات) و(التطبيع السياحى) والتطبيع عبر آليات (التجسس الأكاديمى والتجسس السياسى) . وفى هذا الباب نحاول الاقتراب من تلك الوسائل بأكبر قدر من المعلوماتية والأمانة العلمية .

***

الفصل الأول

التطبيع الرياضى

حاولت إسرائيل أن تستخدم الرياضة والألعاب الشعبية كوسيلة للاقتراب من الشعب المصرى طيلة الـ32 عاماً من التطبيع ، ولكنها فشلت ، وفى هذا السياق نتذكر أنه فى عام 2010 وبعد فوز مصر بكأس الأمم الافريقية لكرة القدم ، قامت إسرائيل بدعوة اتحاد الكرة المصري لإقامة مباراة ودية بين المنتخب المصري والمنتخب الإسرائيلي في إسرائيل[1]، أعقبتها دعوة في مواقع الكترونية وقنوات تليفزيونية إسرائيلية للتعاقد مع مدرب المنتخب المصري (حسن شحاتة) ؛ ليتولى تدريب المنتخب الإسرائيلي[2]، ورغم أن الرفض الصارم من الاتحاد المصري وشحاتة[3]كان متوقعا ، فإن الإسرائيليين لم ينقطع أملهم في اختراق "جدار الرفض الشعبى لها" ، وتحويل ميادين الرياضة ، وصالات الألعاب والمسابقات ، إلى ساحات للتطبيع والاعتراف بإسرائيل .

حول التطبيع الرياضى وآثاره السياسية نقسم الفصل إلى المحاور التالية :

أولا . حول مفهوم التطبيع الرياضي ومخاطره :

يمكن أن نُعرف "التطبيع الرياضي" ، كمصطلح متعلق بالصراع العربي الصهيوني ، بأنه : إقامة علاقات طبيعية بين الدول العربية والكيان الصهيوني في مجال الرياضة ، سواء على مستوى المسابقات الدولية والإقليمية الرسمية ، أو على المستوى الودي التدريبي ، أو بتبادل اللاعبين والمدربين والعاملين في حقول الرياضة ، وصولا إلى انتهاء كافة صور المقاطعة الرياضية العربية للدولة الصهيونية ، وأن تنتهي معها مواقف الاتحادات الرياضية الآسيوية والإفريقية المتضامنة مع أعضائها العرب في تلك المقاطعة .

وتطبيقا على الحالة المصرية ، التي نحن بصددها ، فيمكن تعريف "التطبيع الرياضي" بأنه : إقامة علاقات طبيعية بين مصر والكيان الصهيوني في مجال الرياضة ، سواء على مستوى المسابقات الدولية والإقليمية الرسمية ، أو على المستوى الودي التدريبي ، أو بتبادل اللاعبين والمدربين والعاملين في حقول

الرياضـة ، بمـا يعنـي انتهـاء كافـة صـور المقاطعـة مـن الاتحـادات الرياضـية المصرية لنظائرها في إسرائيل .

أي : أن تصبح علاقة الاتحادات الرياضية المصرية بنظيراتها الإسرائيلية ، في الحد الأدنى ، مثل علاقات تلك الاتحادات بسائر الاتحادات الرياضية الدولية ، بـل يطمـح الصـهاينة ، بحكـم معاهـدة الصـلح ، والجـوار ، إلـى علاقـات دافئـة وحميمة ، تيسر عليهم اختراق الشعب المصري عن طريق الرياضة ، واستغلال الامكانيات الرياضية المصرية لمصلحة إسرائيل .

ومن الطبيعي أن تكون اتحادات اللعبات الأكثر شعبية ، مثل كرة القدم ، وكرة اليد ، والكرة الطـائرة ، وكرة السلة ،علـى رأس الاتحـادات المطلـوب اختراقهـا ، والتطبيع معها ، إسرائيليا ، وأن تشـهد السنوات (1979–2011) محـاولات عدة للتطبيـع فـي تلـك الألعـاب ، وأن يحلـم الصـهاينة بـاحتراف اللاعبـين والمـدربين المصـريين لـديهم ، وبـاحتراف لاعبـيهم فـي مصـر ، وبـأن تكـون مصـر بوابـة إسرائيل للحصول على العضوية في الاتحادات العربية والإقليمية والدولية التـي تقـاطع إسـرائيل ، وبوابـة مشـاركة المنتخبـات والفـرق الإسـرائيلية فـي المحافـل الرياضـية العربيـة ، أو فـي المحافل الاقليميـة والدوليـة التـي يشـارك فيهـا العـرب والمصريون ، دون رفض عربي لتلك المشاركة أو انسحاب ، كما يحدث حاليا . وهـو مـا يجعـل تلـك المحـاولات للتطبيـع الرياضـي لا تقـل فـي خطورتهـا عـن محاولات التطبيع السياسي أو الاقتصادي أو الديني.

***

<u>ثانيا . خطورة التطبيع الرياضي :</u>

أما عن مخاطر التطبيع الرياضى كما تبدت خلال فترة البحث(1979–2011) فهـى بالأسـاس فـي اتصـاله بالجمـاهير والفئـات الشـعبية البسيطـة والكثيفـة التـي تتـابع اللعبـات الرياضـية الشـعبية ، مثـل كـرة القـدم ، وتجـد فيهـا المتـنفس ، والانتمـاء ، والقضـية ، والحريـة الكاملـة فـي التنـافس الحـر الشـريف ، مـع انسـداد

الشرايين السياسية والمصارف الاجتماعية ، بفعل الاستبداد والاحتكار السياسي والاقتصادي في عموم الدول العربية ، وفي مصر خاصة. والأدهى أن الأنظمة العربية استغلت تعلق شعوبها برياضات مثل كرة القدم ، في توجيه طاقات شعبها نحوها ، وإلهائهم بها عن مشاكلهم وقضاياهم الملحة.

إذا انتبهنا لتلك المعطيات ، ووضعنا في الحسبان أن الرفض المصري لإسرائيل ، والتطبيع معها ، جاء في مجمله شعبيا جماهيريا من الفئات والطبقات الشعبية المختلفة ، التي اجتمعت على كراهية الدولة الصهيونية ورفضها ، واجتمعت في أغلبيتها كذلك على حب كرة القدم ، فإن سعي الدولة الصهيونية للوصول لتلك الفئات والطبقات ، عن طريق رياضاتهم المحببة ، لنيل اعترافهم وقبولهم ، يصبح من أخطر المساعي لاختراق المجتمع المصري ، واقتحام "الجدار الشعبي الفولاذي" المقاوم للمشروع الصهيوني في مصر ، ومن ورائها سائر الشعوب العربية .

يستهدف الإسرائيليون إذن عبر محاولات التطبيع الرياضي كأحد آليات التطبيع الاجتماعى، الجماهير المصرية ، التي هي ظهير المثقفين في مقاطعتهم للكيان الصهيوني ، ورفضهم للتطبيع ، بغية استمالة تلك الجماهير، وتحويلها من نقطة القوة في مقاومة المشروع الصهيوني ، إلى نقطة الاختراق ، لينقلب سلاح المقاومة إلى سلاح للاعتراف والتطبيع ، وينجح الإسرائيليون في ميادين الرياضة ، فيما فشلوا فيه على مدار عقود ، في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة والدبلوماسية . وليس ضروريا أن يكون الاختراق سريعا أو مباشرا ، أو أن تكون النتائج عاجلة ، بل لا مانع أن تكون البدايات بسيطة ، ما دامت ثابتة وتوصل للغرض في الطريق ، مهما طال .

في هذا الإطار يمكن فهم الترحيب الشديد للصحف الإسرائيلية لمجرد احتمال تعاقد لاعب منتخب كرة القدم المصري (عمرو زكي) مع أحد الأندية البريطانية (بورتسموث) التي يقوم على تدريبها أحد المدربين الإسرائيليين (أفراهام جرانت

) ، وأن ترسم تلك الصحف سيناريوهات للتعاون بين اللاعب المصري ومدربه الإسرائيلي ، وإمكانيات استغلال تلك العلاقة في التطبيع الرياضي مع المصريين والعرب عموما ![4]

ويمكن فهم مغزى الدعوة الإسرائيلية للمنتخب المصري الأول لكرة القدم ، للعب مباراة ودية مع المنتخب الإسرائيلي في فلسطين المحتلة ، كما أشرنا في البداية ، ويمكن فهم الجدل الدائر حول المباراة الودية في الثلاثين من مارس (2010) بين المنتخبين الأوليمبيين : المصري والفلسطيني ، في رام الله ، وتخوف التيار الوطني المصري الرافض للتطبيع من أن تكون المباراة مقدمة لمباريات أخرى على الأرض الفلسطينية مع فرق إسرائيلية ، أو على الأقل أن تكون التأشيرات الإسرائيلية في جوازات سفر اللاعبين المصريين ، وإقامة المباراة تحت الحماية الإسرائيلية ، نوعا من التطبيع غير المباشر.

كما يمكن فهم الحرص الإسرائيلى على متابعة الأحداث الرياضية العربية والمصرية الكبرى ، والتعليق الإعلامي الصهيوني الموجه عليها،ومحاولة الاستفادة منها في التطبيع وخدمة الوجود الإسرائيلى في فلسطين.وإن كانت الرياضات الشعبية تحظى بالاهتمام الإسرائيلى الأكبر في مجال التطبيع كأحد الآليات الاجتماعية له،فإنهم لا يهملون باقي المجالات الرياضية البدنية والذهنية،ولا يفوتون فرصة في الالتقاء بالمصريين،والعرب عموما، والاحتكاك بهم في المناسبات الدولية،وهو ما سيتضح من النماذج التي سنوردها .

ثالثاً : أمثلة ونماذج من التطبيع الرياضى :

يحدثنا التاريخ أن المقاطعة العربية الرياضية لإسرائيل بدأت من قبل أن تظهر تلك الدولة رسميا ، وكانت البداية عام 1944، عندما قرر الاتحاد الفلسطيني إبعاد اللاعبين والأندية اليهودية عن عضويته ، في إطار الرد على فتح باب هجرة اليهود إلى فلسطين منذ الثلاثينيات ، وقبلها بعام كان النادي الأهلي المصري يلعب خمس مباريات في الأراضي الفلسطينية لمؤازرة الشعب

الفلسطيني ضد العصابات الصهيونية ، ومع قيام إسرائيل فإن الاتحادات العربية قاطعت الاتحادات الرياضية الإسرائيلية ، حتى أجبرتها على الانسحاب من كافة الاتحادات الآسيوية والانضمام للاتحادات الأوربية – بعد حرب أكتوبر 1973 ، وبداية من التسعينيات ، وقعت بعض حوادث التطبيع الرياضي من اتحادات ولاعبي بعض الدول العربية ، كان أبرزها مشاركة المنتخب الإسرائيلى لكرة اليد في كأس العالم للشباب بقطر ، ولعبه مع الفريق التونسي في مباراة هتفت فيها الجماهير العربية في المدرجات بموت الفريق الإسرائيلي ، وسماح الاتحاد الإماراتى للتنس بمشاركة اللاعب الإسرائيلي آندي رام في بطولة دبي المفتوحة للتنس في فبراير 2009[5]، بعد أيام قليلة من توقف العدوان الإسرائيلي الوحشي على قطاع غزة ، ثم السماح للاعبة الإسرائيلية شاهار بير بالمشاركة في البطولة نفسها في فبراير 2010[6].

أما على الساحة المصرية ، فعبر اثنين وثلاثين عاما من العلاقات والتطبيع (1979–2011) ، يمكن رصد أبرز وأهم محاولات التطبيع الرياضي مرتبة زمنيا من قبل اتفاقية كامب ديفيد على النحو التالي :

<u>سنة 1958 م :</u>

– مصر تعتذر عن عدم خوض التصفيات المؤهلة لكأس العالم لكرة القدم بالسويد التي عقدت في ذلك العام ، بسبب قرار الفيفا أن يلعب المنتخب المصري مباراتين مع المنتخب الإسرائيلي ، يتأهل الفائز فيهما لمونديال السويد .

مايو 1974 :

- الدول العربية ، ممثلة في الكويت والعراق ، تشارك لأول مرة في بطولة الألعاب الآسيوية ، والتي استضافتها مدينة طهران في ذلك العام ، وكانت إيران كلها تحت حكم الشاه الموالى لأمريكا وإسرائيل ، والدولة الصهيونية تشترك في البطولة ، ويلعب منتخبها لكرة القدم مباراة مع المنتخب الإيراني لتحديد الفائز بالمركز الثالث والميدالية البرونزية في مسابقة كرة القدم(7).

* فى فترة التطبيع موضع الدراسة كانت التسعينات هى الأكثر تطبيعاً رياضياً وفيما يلى نماذج لذلك ، **ففى سنة1991 م :** قام منتخب كرة اليد المصري بمواجهة المنتخب الإسرائيلي في نهائيات كأس العالم ، في مباراة اتسمت بالعنف والتوتر ، وللرد على نزول أحد أفراد الجماهير الإسرائيلية أرضية الملعب قبيل انتهاء المباراة ، حاملا العلم الإسرائيلي ، يلقي حارس مرمى المنتخب المصري (أيمن صلاح) بالعلم الإسرائيلي على أرضية الملعب ويدهسه(8).

وفى عام 1991 م : قام فريق كرة القدم بنادي " نجمة سيناء" ، التابع لمحافظة شمال سيناء ، بزيارة لفلسطين المحتلة ، في تدعيم لسلطة الحكم الذاتي ، حيث لعب ثلاث مباريات مع ثلاث فرق فلسطينية ، طوال أسبوع كامل ، وزار لاعبوه مدينة القدس ، وصلوا في المسجد الأقصى ، وذلك حسبما يروي ناصر العزازي ، حارس مرمى الفريق في تلك الفترة .

ولا يخفي ما في ذلك من احتكاك للاعبين بالسلطات الإسرائيلية ، والخضوع لإجراءاتها الأمنية والإدارية ، وحمل التأشيرة الإسرائيلية لزيارة القدس .

** **كشفت صحيفة " مصر الفتاة " فى 1991/1/21** النقاب عن اشتراك لاعب تنس إسرائيلى فى بطولة مصر الدولية للتنس ويدعى " بلوم " وقد تستر اتحاد التنس المصرى على اللاعب الإسرائيلى وادعى أنه لاعب كندى ، وفى

نفس الإطار سيلتقى الفريق القومى المصرى لكرة اليد مع الفريق الإسرائيلى فى بطولة العالم لكرة اليد التى ستقام فى النمسا .

** **وفى السياق ذاته تردد** خبر عن سفر حسن مصطفى رئيس الاتحاد الدولى لكرة اليد لتسليم كأس كرة اليد للفريق الفائز بالدورى الإسرائيلى بمناسبة مرور 50 عاماً على إنشاء اتحاد كرة اليد فى إسرائيل .

***

* وفى تلك الفترة من التسعينات وتحت عنوان " **الصهاينة فى الملاعب المصرية** " **نشرت صحيفة** " **مصر الفتاة** " **تقريراً مهماً جاء فيه :** بعد اختراقه أكثر من موقع جاء الدور على الرياضة فالإخطبوط الصهيونى يقوم بلف أذرعه الشيطانية حول الرياضة المصرية بعد أن تغلغل كثيراً فى الاقتصاد والزراعة والثقافة ومارس كل أنواع الفساد داخل مصر عن طريق ترويج المخدرات وتزوير العملات الصعبة ونشر الإيدز بين الشباب عبر شبكة محكمة .. وهذه الأيام يحاول جاهداً الوصول إلى الشباب المصرى والخطورة أن الجميع نيام ولا يدركون ما يحدث.

فمنذ فترة (والحديث ينسحب على فترة التسعينات) وصل إلى مدينة الإسماعيلية فريق إسرائيلى لكرة القدم ، وأقام فى فندق ايتاب وطلب اللعب مع نادى أهل الفجيرة الإماراتي الذى كان يقيم معسكراً فى المدينة .. إلا أن مدرب الفريق ولاعب الزمالك السابق أحمد رفعت رفض العرض بطريقة قاطعة وطلب تغيير مواعيد تدريب الفريق حتى لا يشاهدوا وجوه الصهاينة .. ولم ييأس الفريق الإسرائيلى فتقدم بعروض للعب مع معظم الأندية المصرية خاصة فرق بورتوفيق وبورفؤاد والقناة فرفضوا جميعاً إلا فريق جامعة قناة السويس الذى خالف الإجماع الوطنى ولقى هزيمة من الفريق الإسرائيلي بنصف دستة أهداف ! .

فإسرائيل خاصة بعد نتائج حرب الخليج والعروض العربية السخية بإسقاط المقاطعة واستعداد إمارات الخليج للتطبيع معها دون شروط وقبل التوصل إلى حل عادل للقضية الفلسطينية وعودة الأراضى العربية المحتلة .. وفى ظل التراجع العربى المستمر قررت اسرائيل أن تطرق الأبواب الأخرى المهمة ومنها الرياضية ، ومن أبرز ما جرى خلال التسعينات تلقى الاتحاد المصرى للتنس طلباً إسرائيلياً بدمج بطولتى مصر الدولية للتنس وإسرائيل الدولية فى بطولة واحدة.. حتى ترتفع قيمة جوائز البطولة الموحدة ويتسنى لها جذب أكبر عدد من اللاعبين المحترفين ويتم إدراجها فى مرتبة أعلى بسجل البطولات الدولية .. إلا أن د. حسين نصر سكرتير عام الاتحاد المصرى للتنس رفض العرض الإسرائيلى ولم يقبل مجرد التفكير فى إشراكهم فى بطولة مصر .

وبمجرد إثارة الموضوع مع ربيع ياسين لاعب الأهلى ومنتخب مصر فى التسعينات قال بغضب شديد كيف نلعب مع إسرائيل والمسجد الأقصى لا زال أسيراً تحت أيديهم وأضاف بحدة : إن الصراع بيننا وبينهم لم ينته فكيف يقتلون أبناءنا فى الأراضى المحتلة ونأتى نحن فنمنحهم هذه الفرصة ونلعب معهم ونبادلهم الزيارات والاحتفالات.

أما أحمد شوبير حارس مرمى الأهلى والفريق القومى فى التسعينات فيقول: بالرغم من أن لى وجهة نظر خاصة فى أن الرياضة ليس لها علاقة بالسياسة لكن الأمر مع إسرائيل يتجاوز ذلك فالكل يعلم من هى إسرائيل ويضيف : إن الرياضة بصفة عامة يجب أن تتم فى مناخ ودى وروح رياضية عالية فكيف يتوافر ذلك مع لاعبين نعلم تماما أنهم عدونا الأول.

فى الاتحاد المصرى للكرة الطائرة فى التسعينات عُلم أن الاتحاد أبدى عدم رفضه لإمكانية استضافة أى فريق صهيونى .. وهو ما يؤكد رئيس الاتحاد والكاتب المعروف ناصف سليم والذى يشغل فى نفس الوقت رئيس الاتحاد الأفريقى للطائرة .. كتب يقول : إنه يرحب باستضافة أى صحفى إسرائيلي

يرغب فى الحضور وتغطية الدورة الإفريقية بالقاهرة .. إلا أنه عندما اتصلت بـ (ناصف سليم) أكد أن اللعب فكرة مرفوضة تماما رغم أنهم أرسلوا للاتحاد 15 دعوة تم رفضها جميعاً ويضيف أنه هناك بعض الأعضاء اليهود فى الاتحاد الدولى للكرة الطائرة اجتمعوا مع الوفد المصرى أثناء اجتماع دولى فى أوائل التسعينات وطلبوا استضافة الفريق المصرى تحت 20 سنة ولكنى رفضت بشكل قاطع وقلت لهم : إننى سأكون أول اتحاد يلعب فى فلسطين بعد عودة الأراضى المحتلة لأصحابها وسيكون ذلك فى القدس العربية .

وفى ذات السياق رفض صلاح سرور مدير اتحاد كرة اليد فى التسعينات أنه لا يمكن قبول هذه الدعوات فلا الاتحاد ولا اللاعبون ولا الجمهور يقبلون ذلك ويضيف أن الأمر لا يمكن قبوله على أنه مجرد رياضة بل أعتقد أن إسرائيل تسعى إلى شيء أبعد من ذلك , فيجب عند التعامل معها تحاشى الوقوف عند ظواهر الأشياء فهم أخبث خلق الله.

ويضيف عاصم السعدنى مدرب منتخب كرة اليد المصرى أنه لا يمكن أن نوافق على اللعب أمام الصهاينة تحت أى ظروف ويقول : هذه أمنية لن نتيح لهم فرصة تحقيقها مهما كانت نتائج ذلك ويضيف ساخراً فليمحو من ذاكرتنا تاريخهم الأسود وبعدها نفكر فى اللعاب معهم أولاً .

أما إبراهيم يوسف لاعب الزمالك ومصر الأسبق فيلخص رأيه فى عبارتين فقط قائلاً :(لا لإسرائيل فى كل المجالات .. فإما نحن أو هم..)

* ويعلق المؤرخ الرياضى ونائب رئيس تحرير الجمهورية عبد الرحمن فهمى على ذلك بأن قضية اللعب مع إسرائيل لا تخضع لمعايير الرياضية فقط فإذا نظرنا إليها بشكل رياضى فقط فسنطبق المبدأ الأوليمبى الشهير (إن الرياضة للشعوب والسياسة للحكومات) ومن هنا فإن تدخل السياسة فى الرياضة خطأ أوليمبى ولكن الأمر هنا لا يتعلق بالحكومات السياسية بل يتحكم فيه عنصر أساسى من عناصر اللعبة الرياضية وهو الجمهور وأعتقد أنه لا يمكن لجمهورنا

أن يتقبل ذلك حتى فى ظل سياسة التطبيع فالقضية لها عمق دينى وعاطفى وقومى أكبر من القوانين الأوليمبية .

ويضيف عبد الرحمن فهمى : إنه لا يخفى على أحد الدور الذى يمكن أن تقوم به الألعاب الرياضية فى تحسين علاقات الشعوب وهذا ما تريده إسرائيل بالفعل لتحقيق مكاسب دعائية وسياسية وليس مجرد رياضة فقط ..

لذلك أن ضد تطبيع الرياضة إلا بعد عودة الحقوق العربية أولاً .

* وحتى نعرف خطورة أى تطبيع رياضى مع العدو نعود إلى إحدى الدراسات حول الألعاب الرياضية والعلاقات الدولية للدكتور محمد السيد سليم- الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة الذى يؤكد أن الألعاب الرياضية أصبحت أداة للسياسة الخارجية واكتساب المكانة الدولية كما أنها تستخدم اختبار النوايا وتحسين العلاقات بين الدول وفى الدعاية السياسية والدولية واستطاع فريق تنس الطاولة أن يقوم بعملية اختبار لنوايا الشعبين الأمريكى والصينى حول قرار الولايات المتحدة بالاعترتف بالصين عام 1972 وكان سبباً فى عودة العلاقات بين البلدين , وكما أم الألعاب الرياضية تستخدم كوسيلة للدعاية السياسية , فقد وظف هتلر دورة برلين عام 1936 للدعاية للنظام النازى , كذلك استغلت جنوب إفريقيا العنصرية الألعاب الرياضية للخروج من عزلتها وكسر سياسة طوق المقاطعة الدولية حولها بينما لجأت الدول الإفريقية والآسيوية إلى استعمال الأداة ذاتها لإنكار شرعيتها السياسية وإجبارها على إلغاء نظام الفصل العنصرى .

ويضيف دكتور سليم أن إسرائيل حرصت على الانضمام إلى اللجنة الأوليمبية الدولية كجزء من سعيها لاكتساب الشرعية الدولية وقد حاربتها الدول العربية فى ذلك لفترة طويلة وهددت بالانسحاب من هذه الاتحادات فى حالة قبول إسرائيل بها كما يؤكد أن الألعاب الرياضية يستخدم لاختبار النوايا واكتساب مكانة رمزية لدى الشعوب .

ورغم أن الدراسة أكدت أن إسرائيل حرصت مع بداية العلاقات مع مصر ألا تقتحم مجال التطبيع الرياضى لخوفها من الصدام المباشر مع الشعب المصرى الذى كان يرفض التطبيع بكل صوره إلا أن فتح إسرائيل لهذا الملف الآن يلقى بكثير من الأسئلة حول سر هذا التوقيت ورغبتها الأكيدة فى اقتحام الرياضة المصرية !

** **ثم فى ذات الفترة جاءت مواجهة منتخب سلاح الشيش المصرى للفريق الإسرائيلى فى بطولة العالم** بإيطاليا لتفتح ملف التطبيع الرياضى مع إسرائيل . خاصة أنها لم تكن المرة الأولى التى يتقابل فيها الرياضيون المصريون مع رياضيين إسرائيليين ، فقد لعب فريق الشطرنج المصرى مع نظيره الإسرائيلى ، ولعب فريق كرة اليد المصرى مع إسرائيل فى بطولة العالم فى 1992 وانتهى اللقاء بدهس أيمن صلاح حارس المرمى المصرى للعلم الإسرائيلى على الأرض ، ولعبا مرة ثانية فى 1996 فى بطولة ودية بهولندا، فقد طلبت إسرائيل اللعب ودياً مع منتخب مصر بعد فوزه ببطولة أفريقيا ثلاث مرات متوالية ورفضت مصر ، وانسحب فريق السلة المصرى من بطولة أسبانيا بعد مشاركة إسرائيل فيها .

– الغريب أن إسرائيل تقول دائماً : إنها واجهت مصر عام 1934 وليس فلسطين فى تصفيات كأس العالم التى أقيمت فى إيطاليا ، وهذا يدل على أن حرص إسرائيل على مواجهة مصر رياضياً غرضه سياسي وليس رياضياً .

ويرى نادر السيد حارس مرمى منتخب مصر السابق أن السياسة المصرية التى اعترفت بإسرائيل هى التى تحاول توريط الرياضة لنفس مستنقع التطبيع مع العدو الإسرائيلى .

** **وتحت عنوان " تمت جريمة التطبيع الرياضى مع إسرائيل بأوامر عليا " كتبت " الشعب " فى 1992/3/24 تقريراً جاء فيه** : إن القيادة السياسية هى التى أعطت الضوء الأخضر للخارجية المصرية للموافقة على اشتراك منتخب

مصر لكرة اليد فى بطولة كأس العالم – ب – المقامة حالياً بالنمسا ، وبالتالى اللعب مع العدو الصهيونى فى محاولة لفرض التطبيع الرياضى مع إسرائيل!!
.
وكانت الخارجية قد تلقت خطاباً من اتحاد كرة اليد والمجلس الأعلى للبت فى الاشتراك من عدمه ، إلا أن القيادة السياسية طلبت التعتيم على هذه الكارثة مع إعطاء الخارجية الموافقة ، وفى الخارجية أكد المسئولون للدكتور حسن مصطفى رئيس الاتحاد الموافقة على الاشتراك ولقاء العدو الصهيونى ، وطلبوا منه عدم الإعلان عن هذا إلا قبل البطولة بأيام قليلة خوفاً من إثارة المشاعر لدى الجماهير المصرية .
وفى الوقت نفسه علم عبد المنعم عمارة بهذه الموافقة وباركها ، مؤكداً لكل من حوله أن المسئولية تقع على عاتق الخارجية وأن المجلس الأعلى للشباب والرياضة لا علاقة له بها . وقد سبقت محاولات متكررة من جانب إسرائيل لجذب الفرق المصرية فى لقاءات ودية إلا أنها جميعاً رفضت بشدة وأيد هذا الاتجاه المجلس الأعلى السابق للشباب والرياضة .
ومن المعروف أن جميع الهيئات والنقابات ترفض التعامل مع إسرائيل ومنها هيئات حكومية مثل هيئة الكتاب وهيئة المعارض وغيرهما .
* **وفى 1992/5/19 وبعد أن كشفت الصحف** قصة سفر الشباب المصرى – والرياضى منهم بخاصة – إلى إسرائيل التى نفذها الحزب الوطنى ووزارة الزراعة ، تم تأجيل سفر وفد شباب من النوبارية والحسينية إلى إسرائيل ، وعلم أنه تقرر إلغاء رحلة وفد شبابى آخر كان من المقرر سفره فى يونيو القادم.
* **وفى 1994 م : و**في محاولة لتوريط مصر ، وإحراج الاتحاد المصري للكرة الطائرة أمام الاتحاد الدولي للعبة ، وجه الجانب الإسرائيلي دعوة لكل من الاتحادين الأوروبي والإفريقي لإقامة دورة أفريقية أوروبية في الكرة الطائرة ،

على أن تضم منتخبات : مصر ، والمغرب ، واليونان ، وتركيا ، وقبرص ، وطلب الصهاينة أن يلعبوا مع مصر في القاهرة ، ثم في تل أبيب، قبل بدء الدورة ، ولكن الاتحاد المصري رفض العرض .

أغسطس 1994 :وبعد أشهر ستة من مجزرة الحرم الإبراهيمي (فبراير 1994) التي استشهد فيها ما يقرب من 90 فلسطينيا ، وجُرح أضعافهم ، يقبل عبد المنعم شيحة ، رئيس نادي "جمهورية شبين " ، دعوة للعب ناديه في الدولة الصهيونية ، ويصطدم بمدرب الفريق (كابتن أنور سلامة) ولاعبي الفريق الذين رفضوا السفر ، وتفشل الدعوة بفضل صلابة المدرب وتضامن اللاعبين معه والملاحظ هنا أن الاختيار لم يقع على نادي "جمهورية شبين " لشعبية واسعة يحوزها النادي ، وإنما للبعد الرمزي في المسألة ، فالنادي يمثل منطقة ولد فيها الرئيس السادات ، ومغزى الرسالة أن "بلديات "السادات يزورون الدولة الصهيونية ، ويؤيدونه فيما اقترفه من "صلح " مع الصهاينة.والملاحظ أيضا أن قبول عبد المنعم شيحة للدعوة الإسرائيلية ، جاءت عقب زيارته للدولة الصهيونية، وأن الرجل ما زال رئيسا لنادي "جمهورية شبين " حتى كتابة هذه السطور (مارس 2010 م) .

وفي عام 1995 م :الإسرائيليون يوجهون دعوة لنادي "المصري" البورسعيدي لكرة القدم ، للعب وديا في العاصمة الصهيونية (تل أبيب) ، مقابل 100 ألف دولار يحصل عليها "المصري" ، وهو المبلغ الذي أغرى بعض مسئولي النادي بقبول الدعوة ، ولكن الرفض كان هو قرار الأغلبية.الملاحظ هنا أن اختيار فريق إقليميا تقتصر شعبيته على محافظة بورسعيد ، وهو "المصري " البورسعيدي ، حمل دلالة رمزية واضحة ، فبورسعيد هي رمز المقاومة المصرية للعدوان الثلاثي في أواخر سنة 1956م ، كما مثلت مع غيرها من مدن القناة خطا للمواجهة مع العدو الصهيوني منذ هزيمة يونيو 1967 ،

ومعروف مدى حب أهالي المدينة وتعصبهم لناديهم ، ومن ثم فالنجاح في اختراق ذلك الرمز المقاوم يمثل نصرا عظيما لمخطط التطبيع

نوفمبر 1996م : المنتخب المصري لكرة اليد يتوجه للمشاركة في بطولة ودية في هولندا ، فتفاجأ البعثة المصرية بالخدعة الهولندية ، بإشراك المنتخب الإسرائيلي في البطولة بديلا للمنتخب البرازيلي الذي اعتذر ، وإخفاء ذلك الأمر حتى وصول المنتخب المصري ، لوضعه أمام الأمر الواقع ، وبتعليمات من الخارجية المصرية وجهات أمنية ، وبذريعة عدم خلق مشكلة دبلوماسية مع الدولة الصهيونية ، يشارك المنتخب المصري في البطولة ، ويلعب مع المنتخب الإسرائيلي مباراة لم تكتمل بسبب إصابة خمسة من اللاعبين الإسرائيليين ، بعد أن تحولت المباراة لـ" موقعة حربية" ، حسب وصف جريدة معاريف الإسرائيلية . والملاحظ أن الاتحاد المصري لكرة اليد حاول التعتيم الإعلامي على المباراة ، وأصدر تعليمات للاعبين بعدم الحديث عنها لوسائل الإعلام ، لولا أن نشرت "معاريف " صور اللاعبي المصابين ، وتقريرا عن المباراة ، وعنها نشرت وسائل إعلام مصرية الصور وتناولت المباراة .

***

*** وفى 1996/8/5 نشرت جريدة العربى الناصرية تحت عنوان " برعاية المحافظ : صهاينة فى بطولة تنس طنطا " تقريراً جاء فيه :** أحدث اشتراك ثلاثة من اللاعبين الإسرائيليين فى بطولة " الستالايت" الدولية للتنس التى تقام حالياً بطنطا حالة من الاستنفار الأمنى والسخط والغضب بين أوساط الشعبية بمحافظة الغربية, البطولة مقامة تحت رعاية المستشار ماهر الجندى محافظ الغربية , ويشارك فيها 55 لاعباً , وهذه هى المرة الثالثة التى يشارك فيها لاعبون من دولة الصهاينة فى البطولة تحت رعاية المستشار الجندى!

اللاعبون الثلاثة الصهاينة هم رافيف ويدنفلد وميمون إيزاك وميشيل كوجان, وقد فرضت إجراءات أمنية مشددة لحمايتهم , ويأتى اشتراكهم فى بطولة الستالايت كمحاولة لضرب الحصار المفروض على محاولات التطبيع مع الصهاينة فى المجال الرياضى .

وقد أدانت لجنة الحزب الناصرى بمحافظة الغربية اشتراك الصهاينة الثلاثة فى بطولة على أرض المحافظة , فى الوقت الذى يفرض فيه الصهاينة حصاراً على الشعب العربى فى فلسطين ولبنان .

أيضاً أصدرت اللجنة العامة للشباب الوفد بالغربية بياناً نددت فيه باشتراك الصهاينة فى بطولة تنس تقام على أرض مصر وطالبت بإقالة مجلس إدارة اتحاد التنس .

وفى 1996/12/11 نشرت العربى أيضاً تقريراً مهماً تحت عنوان " **معركة حربية بين مصر وإسرائيل فى استاد كرة بهولندا** " **جاء فيه :** فى الوقت الذى يفرض فيه المسئولون بالخارجية المصرية واتحاد الكرة اليد حصاراً من السرية على أحداث مباراة مصر وإسرائيل التى جرت مؤخراً ضمن لقاءات دورة هولندا الودية . وكادت تنتهى بأزمة دبلوماسية .. نشرت الدستور التفاصيل الكاملة للمباراة التى وصفها شهود العيان بأنها كانت أقرب لمعركة حربية وأن اللاعبين المصريين قاتلوا ليس من أجل الفوز ولكن لتلقين الإسرائيليين علقة ساخنة .

وإذا كانت نتيجة مباراة كرة اليد قد انتهت بفوز إسرائيل بفارق هدفين فإن النتيجة الفعلية التى لعب عليها المصريون انتهت بخمسة مصابين من الفريق الإسرائيلى الذى لم يكن يعلم اتحاد كرة اليد أنه سيشارك فى الدورة حيث فوجئ المسئولون المصريون باشتراك إسرائيل بدلاً من البرازيل وبينما كانت النية تتجه لعودة الفريق إلى القاهرة أبلغت السفارة المصرية المسئولين عن البعثة بضرورة الاشتراك وحذرت من إثارة أزمة دبلوماسية ..

ولأن اشتراك إسرائيل كان مقصوداً بل يمكن التأكيد على حدوث حيلة يهودية تورط فيها الهولنديون مع سبق الإصرار والترصد.. فقد تعرضت البعثة المصرية لاستفزازات كثيرة من جانب الأمن والمخابرات الهولندية التى تفرغ رجالها طوال الدورة لتفتيش غرف اللاعبين والمسئولين المصريين فى حين كان يخضع أتوبيس الفريق لرقابة تفتيشية دقيقة خوفاً من وجود متفجرات معهم .. فى الوقت نفسه مارس الصحفيون الإسرائيليون ضغوطاً نفسية على اللاعبين المصريين حيث أحاطوا بهم طوال الوقت وطاردوهم بأسئلة من قبيل : ما هو شعوركم تجاه الشعب الإسرائيلى؟ وهل تقبلون التطبيع الرياضى؟ وهل استأذنتم الخارجية قبل أن تشتركوا فى الدورة ؟ وقد وصلت الاستفزازات إلى ذروتها فى الصالة المغطاة التى أقيمت بها المباراة عندما اكتشف اللاعبون أن الجمهور الكبير الذى حرص على الحضور يشجع ويؤازر المنتخب الإسرائيلى بحرارة وهو ما ألهب حماسهم الوطنى , فكان أداؤهم قتالياً شرساً .

وحسب وصف أحد الشهود العيان المصريين : " لقد كان من السهل علينا أن نفوز ولكن اللاعبين لم يركزوا فى الكرة بل فى تشويه وجوه لاعبى الفريق الإسرائيلى " .

وفى المعركة كما أدعت الصحافة الإسرائيلية أظهر أحمد العطار الذى وصفوه بأنه لاعب ضخم بطولة فائقة فكان يمسك الكرة بيد وبالأخرى تأخذ طريقها لوجه الخصم صائحاً " الله أكبر" مع سقوط كل لاعب إسرائيلي على الأرض.

* **وفى أغسطس 1997**:رئيس اتحاد الكرة الإسرائيلى يصرح لصحيفة معاريف الإسرائيلية (عدد 1997/8/17) ، بحلمه أن يزور فريقا الأهلي والزمالك الدولة الصهيونية ، وأن يلعبا مباريات ودية مع الفرق الإسرائيلية ومعروف ما قد تمثله هذه الخطوة من طفرة في التطبيع الشعبي في مصر ، بالنظر لحيازة الفريقين للأغلبية العظمى من مشجعي كرة القدم في مصر.

* **وفى أغسطس 1998 م:** إسرائيل تشارك في بطولة دولية للمصارعة بالقاهرة ، واللافت هو مشاركة الفريق الإيراني في البطولة نفسها في محاولة لتحسين العلاقات بين مصر وإيران.

***

وتحت عنوان " الصهاينة اخترقوا المونديال " نشرت جريدة العربى فى 1997/9/22 تقريراً جاء فيه : نجحت إحدى الشركات التى تمثل العدو الصهيونى واسمها " سويفيت " فى اختراق مونديال الناشئين تحت 17 سنة.. عن طريق الفوز بصفقة نقل إعلانات الفيفا الخاصة بالشركات الراعية للمونديال من مقر الفيفا بزيورخ إلى القاهرة بعد تكاسل لجان البطولة – رغم كثرتها– فى إرسال عرض يضمن عدم المشاركة الصهيونية وتفرغ السادة رؤساء اللجان للمعارك الخاصة .

* وفى يوم 1997/8/25 نشرت الصحف تقريراً تحت عنوان " **طرد وفد رياضى صهيونى من الإسماعيلية ورفض مشاركة إسرائيل فى مهرجان الفنون الشعبية " جاء فيه :** أصرت اللجنة المنظمة للبطولة العربية الثامنة لأبطال الكئوس والتى تختتم اليوم بالإسماعيلية على طرد وفد رياضى إسرائيلي كان يقيم بمقر البعثات العربية الرسمية بأحد الفنادق الكبرى بالمدينة لاتخاذها كمعسكر للتدريب حسب المزاعم الصهيونية .

وفشلت كل محاولات أعضاء الوفد الإسرائيلى فى البقاء بدعوى وجود حجز لهم حتى يضعوا إدارة الفندق فى مأزق حرج ، ولكن إصرار اللجنة المنظمة كان أشد ووصل لدرجة التهديد بإلغاء البطولة أو البحث عن مكان آخر لإقامة البعثات العربية .

كانت بعض الوفود .. وعلى رأسها الوفدان الفلسطينى والجزائرى قد اكتشفوا وجود مجموعة من الشباب ترتدى " تى شيرتات " عليها كلمات بالعبرية فى بهو الفندق ويحاولون التقاط الصور مع اللاعبين العرب الذين وصلوا قبل بدء الدورة

.. وعلى الفور تحرك الأمين العام للاتحاد العربى وطلب من إدارة الفندق إخراج هذه المجموعة ، كما تقدم مسئول الاتحاد العربى بنفس الطلب لرئيس النادى الإسماعيلى .. ودارت المفاوضات التى بدأت برفض المجموعة الإسرائيلية ترك الفندق بل وزعموا أنهم حضروا إلى الإسماعيلية لمشاهدة لقاءات الدورة وحضور مهرجان الفنون الشعبية الدولى والذى يقام خلال الأيام القليلة القادمة .. واستمرت المفاوضات قرابة ثلاث ساعات علمت خلالها بقية الوفود بهذا الوجود الصهيونى فما كان من باقى البعثات خاصة ليبيا والسعودية والكويت إلا إعلان موقفها الرافض من البقاء فى الفندق فى حالة استمرار " مجموعة الصهاينة " وحدث هرج ومرج ببهو الفندق وكاد الأمر يتطور إلى ما لا يحمد عقباه وظهر واضحاً أن كل أعضاء الوفود العربية فى حالة تذمر .. خشى كل أعضاء الوفد الصهيونى من التمسك بالبقاء فى الفندق .

وخلال المداولات التى سبقت عملية الترحيل سرت شائعات كثيرة بعضها طريف ويقول : إن الصهاينة حضروا لمراقبة فريق بلاطة الفلسطينى المشارك فى البطولة .

<u>وفى أغسطس 1999م:</u> شارك الفريق المصري لكرة اليد ، في كأس العالم لكرة اليد للشباب التي استضافتها العاصمة القطرية الدوحة ، رغم انسحاب فرق : السعودية ، والكويت ، والبحرين ، بسبب مشاركة المنتخب الإسرائيلي في البطولة،وكانت مواجهة الفريق الإسرائيلي من نصيب الفريق التونسي(17).

***

وفى 1999/10/4 نشرت صحيفة " الأسبوع " تقريراً مهماً يحمل عنوان " **هذه نتائج التطبيع.. بطل مصرى فى الكاراتيه يجمع قاذورات الصهاينة من شاطئ تل أبيب!!** " **جاء فيه:** اسمه .. عادل الجنيدى محجوب . من مواليد المنصورة عام 1969 حصل على الميدالية الذهبية فى بطولة الجيش المصرى العسكرية للكاراتيه حينما كان مجنداً فى عام 1990 وحصل على بطولة مصر

الدولية للكاراتيه .. سافر للعب فى دول كثيرة وفى عام 1995 أرسله رئيس اتحاد الكاراتيه المصرى للتدريب فى إسرائيل !! وقابل رئيس اتحاد الكاراتيه الصهيونى ويدعى "آفى بلاير" الذى كان قد تعرف عليه فى أثناء انعقاد بطولة العالم للكاراتيه فى القاهرة .

كان من الممكن أن تنتهى القصة عند هذا الحد .. إلا أنه فى يوليو 1999 سافر "فجأة" إلى إسرائيل ومعه 2000دولار , سافر كما روى قصته لصحيفة "بديعوت أحرونوت" الصهيونية للعمل وجمع المال..

لكنه يدارى فضيحته فيقول : جئت لمواصلة التدريب فى الكاراتيه ., تقول الصحيفة :

" فى يوليو 2000 سافر محجوب (30عاماً) إلى إسرائيل ليطرق باب صديقه خميس أبو العافية الذى يعمل مراسلاً للتليفزيون المصرى فى إسرائيل واستضافه أبو العافية عدة أيام فى بيته ثم انتقل بعد ذلك للإقامة مع أربعة مصريين فى شقة بتل أبيب وبعد مشقة حصل على عمل بمطعم "الفالوجا" فى يافا مقابل 80 شيكل تقريباً (الشيكل يساوى جنيهاً تقريباً) كمساعد طباخ لكن احتقار الصهاينة له دفعه إلى ترك المطعم " .وفى النهاية حصل على عمل بأحد المطاعم المنتشرة على شاطئ تل أبيب كعامل نظافة .. المهمة المسندة إليه هى جمع مخلفات الصهاينة وقاذوراتهم من الشاطئ نهاراً , وجمع المقاعد والأسرة الخاصة بالمطعم من الشاطئ وحملها إلى المخزن ليلاً..كان يحصل على 60 شيكلاً فى اليوم وفى يوم الجمعة 150 شيكلاً .

وفى الحوار الذى أجرته معه الصحيفة قال : إنه فى مصر يحظى بالشهرة والاحترام .. وأنه تربى على كراهية إسرائيل إلا أن رأيه تغير بعد زيارته لها حيث فوجئ بأن الإسرائيليين جميعاً يريدون السلام!

وأضاف أن إسرائيل – بالمقارنة بمصر – تتطور بسرعة الصاروخ فى جميع النواحى.. وأوضح عادل الجنيدى أنه جاء إلى إسرائيل لجمع المال وأن زوجته

التى أقترن بها منذ أربعة أشهر وجميع أفراد أسرته بالمنصورة يعرفون أنه فى ألمانيا وأنه يتصل بهم أسبوعياً .. وقال : إنه لم يخبرهم بوجوده فى إسرائيل لكراهيتهم لها ولأنه من الصعب إقناعهم برأيه فى إسرائيل.

وأضاف: إن الكثير من العرب يعيشون فى إسرائيل ويتحدثون العربية مما أعطاه الإحساس بأنه يعيش فى بلده !! وقال : إن الإسرائيليين يعاملونه معاملة حسنة جداً وعندما يعرفون أنه مصرى يعاملونه بشكل أفضل وعندما يكتشفون أنه بطل فى الكاراتيه يحترمونه جداَ !!.. وأضاف أنه يشعر بشيء من خيبة الأمل بسبب العمل لكنه لا يحب أن يتنازل بسهولة وينتظر أن تتحسن الأمور وأن يكسب 3 آلاف شيكل فى الشهر .. أخيراً يقول : إنه يتدرب أسبوعياً فى جامعة تل أبيب وأن هناك من يسعى لضمه للمنتخب الإسرائيلى فى الكاراتيه .

<u>وفى عام 2000</u> وجه الاتحاد المصري لرفع الأثقال الدعوة للاتحاد الإسرائيلي للمشاركة في بطولة العالم التي استضافتها مصر في ذلك العام ، ومسئولو الاتحاد المصري يتعللون بخشيتهم من فرض عقوبات على اتحادهم، إن رفضوا مشاركة الفريق الإسرائيلي الذي تأهل للبطولة

<u>وفى عام 2001</u> لعب فريق كرة القدم بنادي الزمالك المصري مباراة ودية مع المنتخب الفلسطيني ، في زيارة قام بها الزمالك لقطاع غزة لدعم الكرة الفلسطينية ، وذلك في ذروة اندلاع انتفاضة الأقصى ، وقد شارك في تلك المباراة نجوم الفريق والمنتخب المصري ، أمثال : حسام حسن ، وحازم إمام(

<u>وفى إبريل 2002</u> أصدر رياضيون مصريون بيانا (2002/4/17) يطالبون فيه بمقاطعة كاملة للدولة الصهيونية على المستوى الرياضي ، تضامنا مع انتفاضة الأقصى التي كانت في عامها الثاني

<u>وفى يونيو 2002</u> وأثناء انتفاضة الأقصى ، انسحب اتحاد كرة السلة المصري من بطولة أسبانيا الدولية بسبب مشاركة المنتخب الإسرائيلي .

وفى نوفمبر 2002 انعقدت بطولة البحر المتوسط لكرة الماء في إسرائيل ، دون مشاركة من الفريق المصري الذي اعتذر عن عدم المشاركة ، وقد كثف الصهاينة من اتصالاتهم لاقناع الاتحاد المصري بالعدول عن قراره ، ولكن ظروف انتفاضة الأقصى ، عضدت من الموقف المصري.

وفى سنة 2003 قدمت دعوة إسرائيلية للنادي الأهلى المصري للعب مباراة ودية في إسرائيل مع أحد الأندية الإسرائيلية ومسئولو الأهلي رفضوا الدعوة.

وفى مايو 2007 ارتفع العلم الإسرائيلي في الصالة المغطاة باستاد القاهرة ، بعد حصول المنتخب الإسرائيلي على المركز الثالث في بطولة الجائزة الكبرى لسلاح (الشيش) ، التي استضافتها القاهرة ، وفي رده أمام لجنة الشباب بمجلس الشعب المصري (يونيو 2007 م) ، كشف محمد عبد الله ، رئيس الاتحاد المصري لسلاح الشيش ، أن تلك المشاركة هي الخامسة للمنتخب الإسرئايلي في البطولة ، وأنه لم تحدث أي أزمة في المرات السابقة لعدم حصول ذلك المنتخب على أية مراكز متقدمة.

وفى أكتوبر 2007 تقدم النائب صابر أبو الفتوح ، عضو الكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين بسؤال عاجل إلى كل من : رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية ، ووزير السياحة ، بشان مشاركة 6 من الصهاينة (يمثلون 3 فرق) في "رالي الفراعنة" الذي انطلق من سفح الهرم يوم 2007/9/30.

وفى يناير 2008 طالب النائب هشام القاضي ، عضو الكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين وعضو لجنة الشباب والرياضة بالمجلس ، في سؤال عاجل لرئيس الوزراء ورئيس المجلس القومي للرياضة ، بإجراء تحقيق عاجل فيما تردد عن مشاركة إسرائيليين في إحدى البطولات التي ينظمها نادي السيارات بمصر ، وفي السؤال نفسه تحدث النائب عن مشاركة إسرائيليين في بطولة الشرق الأوسط للكاراتيه ، المزمع عقدها في مارس التالي(وهنا ملاحظتان : أولاهما ان النائب ذكر أن اللاعبين الإسرائيليين الذين سيشاركون في بطولة

الكاراتيه المذكورة ، سيلعبون من باب التمويه تحت اسم دولة فلسطين ، والملحوظة الأخرى هي أن المستشار زكريا عبد العزيز (رئيس نادي قضاة مصر آنذاك) ، قد بعث برسالة إلى رئيس نادي السيارات ، المستشار مقبل شاكر ، يطلب فيها امتناع نادي السيارات عن المشاركة في بطولة الكاراتيه المشار إليها ، وذلك لمشاركة اللاعبين الإسرائيليين[26] وقد جاءت تلك المناشدة من عبد العزيز انطلاقا من دوره الوطني ، وليس بصفته المهنية أو موقعه في نادي القضاة .

وفي مايو 2008 قام تسعة متسابقين من الدولة الصهيونية يشاركون في مسابقة "رالي الفراعنة" بمصر ، برفع أعلام إسرائيل ، حسبما جاء في السؤال البرلماني الذي وجهه بعض أعضاء الكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين في مجلس الشعب المصري ، لرئيس المجلس القومي للرياضة (حسن صقر) ، مؤكدين أن الأعلام الإسرائيلية التسعة جابت معظم الأراضي المصرية ، من خلال تسعة سيارات ودراجات بخارية ، انطلاقا من سفح الأهرام . وكان رد (صقر) هو التنصل من مسئولية مجلسه عن تنظيم تلك المسابقة ، وإلقاء المسئولية على وزارة السياحة ونادي السيارات ، وذلك في خطاب وجهه صقر للجنة الشباب والرياضة بمجلس الشعب (بتاريخ 17/مايو 2008) ، ورد السادة النواب بأن ذلك السباق قد افتُتح تحت رعاية وزارة الشباب المصرية في عهد وزير الشباب السابق د.علي الدين هلال (1999-2004) ، وانتقلت الولاية عليه إلى المجلس القومي للرياضة الذي ورث وزارة الشباب في مسئولياتها الرياضية (ديسمبر 2005 م) .

ومن الأمور المهمة التي أشار إليها النواب في سؤالهم بخصوص المسابقة ، أنها مسابقة ودية ، يمكن لمصر اختيار من يشارك فيها ، دون الخشية من عقوبات دولية على الاتحاد المصري ، حسب الحجة التي يبررون بها مشاركة

المصريين في البطولات التي يشارك فيها الصهاينة ، وهي ملحوظة خطيرة ، بحق .

وفي مايو 2008 قامت محافظة بورسعيد ، ذات التاريخ المعروف في المقاومة للاحتلال ، باستضافة فريق إسرائيلي ضمن مسابقة اليخوت الدولية ، والفريق يرفع العلم الإسرائيلي في المدينة!

وفي مايو 2008 أيضاً التقى المصارع المصري أحمد عبد الصادق ، مصارعا إسرائيليا ، في الدور الأول لبطولة صربيا الدولية للمصارعة الرومانية ، المؤهلة لأوليمبياد بكين ، وخسر المصارع المصري بالانسحاب من الجولة الثالثة للمباراة ، بسبب تعرضه إصابة خطيرة في ركبته ، أدت لنقله إلى إحدى المستشفيات الصربية.

والملاحظ هنا أن الاتحاد المصري كان بإمكانه الانسحاب من البطولة ، خاصة وقد اعترف مسئولو الاتحاد بأن اللاعب المصري لا يسمح مستواه (حينها) بالتأهل لأوليمبياد بكين ، وبأنه إن حدث ذلك الاحتمال المستبعد ، فإن احتمالات حصوله على أحد المراكز الشرفية في الأوليمبياد هي احتمالات واهية ، ورغم ذلك لعب عبد الصادق مع المصارع الإسرائيلي ، الذي لعب بعنف شديد ، أدى للإصابة الخطيرة للاعب المصري

وحسب جريدة الدستور ، فإن تعلل الاتحاد المصري بإشراك اللاعب المصري خشية توقيع الاتحاد الدولي عقوبات على الاتحاد المصري ، هو تعلل واه ، كما كشف مصدر مطلع بالاتحاد ، والدليل انسحاب المنتخب المصري من المشاركة من أكثر من وزن من البطولة ذاتها ، دون أي عقوبات.

وفي مايو 2008 احتجت إسرائيل رسميا لدى الحكومة المصرية ، على الرفض المصري لمشاركة فرق اليخوت الإسرائيلية في سباق دولي لليخوت، وهو الرفض الذي عللته مصر بأسباب أمنية متعلقة بالتجهيز لمؤتمر دولي.

وفـى نـوفمبر 2008 تلقـى الفريـق المصـري للشـطرنج هزيمـة مـن الفريـق الإسرائيلي فـي منافسـات أوليمبيـاد الشـطرنج الـذي استضـافته ألمانيـا وذلـك فـي ثاني لقاء بين الفريقين وكان اللقاء الأول قد انتهى بفوز الفريق المصري قبل 27 عاما كما ذكرت الصحف الإسرائيلية

وفى شهرى مايو /يونيو 2009 حاول جيروك شامبين ، مساعد رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم ، الجمع بين سمير زاهر رئيس الاتحاد المصري لكرة القدم ، ورئيس الاتحاد الإسرائيلي ، لمناقشة عقد مباراة ودية بين منتخبي الاتحادين ، وذلك على هامش الاجتماعات التحضيرية للفيفا التي عقدت في جزر البهاما في مايو 2009 ، وتفشل المحاولة.

- وفي 25 يونيو التالي أرسل الاتحاد الإسرائيلي طلبا رسميا للاتحاد المصري ، بشأن المباراة الودية المذكورة ، ولكن الاتحاد المصري تجاهل الطلب.

والملاحظ هنا أن شامبين ، مساعد بلاتر ، متزوج بإسرائيلية ، ومعروف بحبه للدولة الصهيونية ، أي صهيونيته ، وقد نحي من موقعه في الاتحاد الدولي في يناير (2010) بضغوط من الاتحادين الآسيوي والإفريقي.

وفـى نـوفمبر 2009 اعتبـرت صـحف ومواقـع إلكترونيـة إسـرائيلية أن شـائعات انتقال لاعب المنتخب المصري لكرة القدم ، عمرو زكي ، إلى نادي بورتسموث الإنجليزي ، يعد تدشينا للتطبيع الرياضـي بين الدولـة الصـهيونية ومصـر ، مـع وجود الإسرائيلي أفراهام جرانت على رأس الجهاز الفني للفريق الإنجليزي . وزاد من حجم الشائعة أن جرانت عاد لتدريب النادي بعد عامين من تركه إياه (يوليو 2007)،وجاءت العودة بناء على رغبة المالك الجديد للنادي: الثري السعودي (علـى الفـرج) عقـب شـرائه 90% مـن أسـهم النـادي فـي الأسـبوع الأول مـن نوفمبر (2009) ما أوحى بضلوع (الفرج) في عملية تطبيع تستهدف اللاعبين العرب الذين ينضمون للفريق[37].وقد حسم (زكـي) الشائعات حين أعلن عدم رغبتـه فـي الانضمام للنـادي الإنجليزي بسبب مدربـه الإسرائيلي جرانت وبسبب

وجود اللاعب الإسرائيلي تال بن حاييم في الفريق وانتهت الشائعات تماما مع إعارة اللاعب لنادي (هال سيتي) الإنجليزي 2010

وفى ديسمبر 2009 م أعلن فريق "بيتار القدس" الإسرائيلي عن رغبته في ضم مهاجم المنتخب المصري (عمرو زكي) ، وقد أشار موقع "جوول " العالمي الذي نشر الخبر في نسخته الإيطالية إلى أن اللاعب قد بلغه العرض عن طريق وكيل أعماله ، وأن الاتحاد المصري حين علم بالعرض هدد اللاعب بالاستبعاد من صفوف المنتخب المصري.

وفى ينـاير 2010 قام لاعبا الشطرنج المصريان : محمد عزت ، وخالد عبد الرازق بمقابلة الإسرائيليَّين إميل ستوتوبسكي ويبجني بوستاني في منافسات بطولة العالم للشطرنج التي استضافتها تركيا ، وحسين نفادي (رئيس اتحاد الشطرنج المصري) ، يبرر المشاركة بالخشية من تعرض الاتحاد المصري لعقوبات قاسية من الاتحاد الدولي

وفى ينـاير 2010 أيضاً انطلق 12 متسابقا إسرائيليا بدراجاتهم من القاهرة إلى سيناء ، عبر نفق الشهيد أحمد حمدي ، وسط حراسة من قوات الأمن المصرية، وفي سرية كسرها وقوع حادث لأحد المتسابقين (أرون تراسمنت 53) في وسط سيناء ، إذ اصطدمت دراجته بعائق طبيعي عند قرية "التمد" في الطريق لطابا وقد نُقل الرجل إلى الدولة الصهيونية للعلاج.

وفى فبراير 2010 وجه الاتحاد الإسرائيلي لكرة القدم دعوة للاتحاد المصري لكرة القدم ، ليلعب المنتخب المصري الفائز بكأس الأمم الإفريقية (أنجولا 2010 م) مباراة ودية مع المنتخب الإسرائيلي ، والاتحاد المصري يتجاهل الرد على الدعوة.

وفى ذات الشـهر رفض حسن شحاتة ، المدير الفني للمنتخب المصري لكرة القدم ، بحزم ترشيحات بعض القنوات التليفزيونية والمواقع الإلكترونية

الإسرائيلية إياه لتدريب المنتخب الإسرائيلي ، ويؤكد : " الموت جوعا أشرف من تدريب منتخب إسرائيل.

***

باستقراء الحالات التي أوردناها لمحاولات التطبيع الرياضي بين مصر وإسرائيل كأحد آليات التطبيع الاجتماعى ، يمكن أن نلاحظ ما يلي :

1- المحاولات الإسرائيلية للتطبيع الرياضي تتركز على الألعاب والفرق ذات الشعبية العالية ، أو ذات الرمزية في الوجدان المصري ، خاصة عقب الانتصارات التي تحققها الفرق المصرية ، وذلك لاستغلال تلك الانتصارات في الترويج للتطبيع .

2- تزداد مقاومة الاتحادات المصرية للتطبيع ، في الفترات التي تزداد فيها المقاومة الفلسطينية والعربية للاحتلال الصهيوني ، أو تزداد فيها الجرائم الإسرائيلية بحق العرب ، وقد تجلى ذلك في الأعوام 2001 ، و2002 ، في ذروة انتفاضة الأقصى الثانية ، وعلى العكس حين تُقطع بعض الخطوات على طريق "المفاوضات" ، فإن أصوات المهادنة والاستسلام تعلو داعية للتطبيع ، ولعل هذا ما تبدى عقب توقيع اتفاقيتي أوسلو بين الدولة الصهيونية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية (1993 م) ، واتفاقية وادي عربة (1994) ، بين الدولة الصهيونية والنظام الأردني .

3- نجح الإسرائيليون في اختراق اتحادات : الشطرنج ، وسلاح الشيش ، والكاراتيه ، ونادي السيارات ، واستطاعوا رفع العلم الإسرائيلي أكثر من مرة في القاهرة خلال السنوات القليلة الماضية ، من خلال مشاركتهم في بطولات تلك الاتحادات ، ما يدل على خطأ "وطني" في تكوين تلك الاتحادات ، وتوجهات القائمين عليها .

4- قام نادي السيارات بالتطبيع الرياضى عدة مرات مع إسرائيل ، ويمكن ربط ذلك بالعلاقات القوية بين قادة هذا النادى إبان عصر مبارك بالنظام ذاته الذى كان راعياً للتطبيع وبقوة .

5- خشية إثارة الجماهير المصرية ، فإن اتحادات رياضية مصرية ، مثل اتحاد كرة اليد ، حاولت التعتيم الإعلامي على لقاءات فرقها بالفرق الإسرائيلية ، خاصة التي تجري في البطولات الودية .

6- تتولى بعض الجهات الرسمية المصرية المعروفة بتطبيعها تنظيم بعض البطولات الرياضية الودية في مصر ، وتدعو إليها الإسرائيليين ، وذلك في محاولة لرفع الحرج عن المجلس القومي للرياضة أمام المعارضة الشعبية للتطبيع ، ومثال ذلك هو إشراف وزارة السياحة على "رالي الفراعنة" الذي تحول لمناسبة تطبيعية سنوية .

***

أما بالنسبة لذرائع وحجج المطبعين فى مجال الرياضة فيمكن الرد عليها فى الآتى :

<u>1 - الخوف من العقوبات الرياضية الدولية</u> إذا ما رفضت الفرق الرياضية اللعب مع الإسرائيليين ، حجة تبدو في ظاهرها تبدو مقنعة ، ولكن حين نُخضعها للتحليل يختلف الأمر كثيرا ، فأولا لو كانت المسألة مسألة اضطرار ، لما وجدنا الدعوات توجه لإسرائيل للمشاركة في بطولات ودية تعقد في مصر ، ليست مصر مضطرة ، وفقا لهذا المنطق ، لدعوة الصهاينة للمشاركة فيها ، مثل مسابقة "رالي الفراعنة" ، الودية ، التي من حق القائمين عليها أن يختاروا المشاركين فيها دون أي اعتراض من الصهاينة ، ولكن الواضح أن هذه المسابقة تحديدا تُستغل للتطبيع مع تكرار المشاركة الصهيونية فيها .

وهناك بطولات أخرى من النماذج التي ذكرناها كان من الممكن أن تنسحب الفرق المصرية منها دون أضرار ، ولكنها آثرت المشاركة ، مع ضعف مستوى

لاعبيها ، وضعف الرجاء في نتائج مشاركتهم ، وهو ما يستحق المراجعة مع الاتحادات الرياضية المسئولة عن ذلك .

أما عن الخشية من العقوبات ، فالمقاطعة المصرية والعربية للصهاينة رياضيا ، استمرت لأكثر من ستة عقود ، وقد اتخذت الاتحادات المصرية والعربية قرارات الانسحاب والمقاطعة لبطولات دولية كثيرة بسبب وجود الصهاينة ، ولا نعتقد أننا عانينا بسبب ذلك ، وحتى لو وقعت العقوبات فعليا وكانت مؤثرة ، فإن خطرها لا يساوي شيئا أمام خطر التطبيع مع العدو الصهيوني على القضية الفلسطنية ، والمستقبل العربي كله ، كما أن جوهر الرياضة وروحها تقوم على النبل والأخلاق الحميدة ، لا مجرد الحصول على الجوائز والبطولات ، ومقاطعة العدو الصهيوني هي من موجبات تلك الأخلاق ، وإن خسر رياضيونا الألقاب والجوائز وكسبوا أنفسهم وقضيتهم ، فالمكسب أكبر وأعظم .وكما يستخدم الصهاينة التطبيع الرياضي كوسيلة لخدمة مشروعهم الصهيوني ، فإن المقاطعة الرياضية ، كإحدى صور المقاطعة للكيان الصهيوني ، هي من وسائل توعية الأجيال الجديدة ، وترسيخ العداء الشعبي للعدو الصهيوني ومشروعه الاستيطاني التوسعي ، ومع تضامن اتحادات 22 دولة عربية مع شقيقاتها الإسلامية في مقاطعة الصهاينة ، فإن مسألة فرض العقوبات تصبح أشق على الاتحادات الدولية .

2 – المقاطعة تحرم مصر مكاسب كثيرة :وهذه هي الذريعة التي دافع بها وكيل مجلس الشعب المصري الأسبق عبد العزيز مصطفى ، عن اشتراك الإسرائيليين في بطولة سلاح الشيش بالقاهرة في مايو 2007 ، فقد قال الرجل : إن رفض مصر لتنظيم بطولات يشترك فيها الإسرائيليون يحرم مصر من ميزة " التسويق لمصر " ، وإن المقاطعة قد أصابت مصر بخسائر، ورغم أن الرجل لم يورد دليلا على "الخسائر المزعومة " ، فلأن تخسر مصر في مجال الرياضة ، خير لها من أن تخسر نفسها وأمنها ومستقبلها بالتطبيع مع

العدو الصهيوني ، وإن كانت تصريحات الرجل ظاهرها الحرص على مصلحة مصر ، فإن الأيام كثيرا ما تثبت أن مثل هذه التصريحات تخفي "مصالح " شخصية لقائليها ، بعدما نجح التطبيع في اصطناع فئة من المصريين ترتبط مصالحهم الاقتصادية والسياسية ببقاء التطبيع ونموه .

3 . عدم إقحام الرياضة في السياسة : وهذه ذريعة أخرى تفترض انفصال السياسة عن المنافسات والعلاقات الرياضية بين الدول ، وتفترض أن العرب في صراعهم مع الإسرائيليين لن يضاروا من ملاقاة الإسرائيليين في البطولات الرياضية ، فلا الإسرائيليون سيحاولون استثمار تلك المشاركات في التطبيع مع الشعوب العربية !! ولا الرفض الشعبي العربي سيتأثر بتلك المشاركات !! والأهم أن اللاعبين العرب سينسون وهم يقابلون الصهاينة في الملاعب غضبهم من الجرائم الصهيونية في فلسطين ولبنان وسورية !! وسينسون أن اللاعبين الإسرائيليين الذين يواجهونهم ، رجالا ونساء ، هم مجندون في الجيش الصهيوني ، بحكم قانون التجنيد الإسرائيلي ، وأن أحدهم ربما قتل فلسطينيا ، أو هدم بيتا فلسطينيا ، قبل أن يأتي للمشاركة في البطولة!!

وفى الرد نرى أن من يقول بفصل الرياضة عن السياسة والعلاقات بين الدول والكيانات فإنه لا يعلم جيداً الحقائق الاستراتيجية هنا ، فكم من مرة استُخدمت المنافسات الرياضية للتقريب بين الدول والشعوب ، وكم من مباريات رياضية أوجدت الكراهية والتنابذ بين الشعوب ، ولدينا نموذج هو الأزمة المصرية الجزائرية أواخر العام (2009م) ، واستخدام مباريات التأهل لكأس العالم لكرة القدم (جنوب إفريقيا 2010م) في تحقيق مصالح سياسية وشخصية لنظامي الحكم في البلدين، وقد رأينا في مصر كيف تواصل شحن الجماهير بالأغاني الوطنية من أجل المباراة ، وكأنهم مقبلون على حرب حقيقية ، ووجدنا إسرائيل تدخل على الخط وتحاول الاستفادة السياسية من الأزمة بين الدولتين العربيتين .

ولو كانت المسألة مسألة رياضة وحسب ، لما وجدنا الرئيس الأسبق للاتحاد الدولي لكرة القدم (جواو هافيلانج) يعرب في نهاية رياسته للاتحاد (1998)، عن أمله في عقد مباراة ودية بين المنتخبين الفلسطيني والإسرائيلي في نيويورك ، فالرجل أراد المشاركة في خدمة الكيان الصهيوني ، والدول الغربية الراعية له ، بطريقته الخاصة ، مدركا دور الرياضة في التقريب بين الشعوب .

<u>4 . إدعاء دعم الفلسطينيين :</u> وهذه ذريعة مناقضة لما سبق ، فأصحابها يرون في زيارة المنتخبات العربية للأراضي الفلسطينية المحتلة ، واللعب مع الفرق الفلسطينية ، يرون في ذلك دعما سياسيا ومعنويا للشعب الفلسطيني ، وبغض النظر عن قيمة هذه المباريات ، فإن ملاحظتين هامتين تؤخذان على هذه المباريات :

الأولى ، هي أن الفرق العربية تدخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بتأشيرة إسرائيلية ، وتؤدي مبارياتها تحت الحماية الإسرائيلية ، ويحتك اللاعبون ومسئولو الفرق بالإسرائيليين وإجراءتهم الأمنية والإدارية ، وفي هذا اعتراف بالقوانين والإجراءات الإسرائيلية ، واقتراب غير آمن من هاوية التطبيع .

والملحوظة الثانية ، هي أن هذه المباريات تم خلال فترة البحث (1979-2011) توظيفها فى الخلاف الفلسطينى – الفلسطينى وفى تقوية معسكر التطبيع والتسوية بقيادة فريق أوسلو .

* ختاماً إن (التطبيع الرياضى) رغم المحاولات الحثيثة لفرضه كأحد آليات التطبيع الاجتماعى خلال الفترة (1979-2011) إلا أنه ظل فى حده الأدنى ولم يتحول إلى (وباء) تطبيعى كما فى محاولات أخرى سياسية واقتصادية وهذا يعود فى جزء منه إلى المناعة الذاتية للشعب المصرى ضد التطبيع .

***

من مصادر الفصل :

1 – إبراهيم أحمد ، اتحاد الكرة الإسرائيلي يجدد طلب مباراة ودية مع المنتخب المصري ، موقع العربية نت الالكتروني ، 2010/2/2 .

2 – محمد عبود ، حسن شحاتة: الموت أشرف لى من تدريب المنتخب الإسرائيلى ، جريدة المصري اليوم ، القاهرة ، 2010/2/9 .

4 – علاء أبو العينين ، التطبيع يسجل هدفا في الملاعب الانجليزية ، الموقع الالكتروني اسلام اونلاين ، 2009/10/12 . وانظر : محمد المهدي ، هل يرفع عمرو زكي العلم الإسرائيلي في إنجلترا ، جريدة الأسبوع ، القاهرة ، 2009/10/15 . وانظر : الكرة بين التطبيع والتحريش ، موقع مفكرة الإسلام ، 2009/10/14 .

5 – الإمارات تسمح للاعب إسرائيلي بالمشاركة في بطولة دبي ، الموقع الالكتروني : CNN بالعربية ، 2009/3/21 .

6 – انظر : الإسرائيلية شاهار بيري تشارك في دورة دبي للتنس ، الموقع الالكتروني لـ BBC العربية ، 2010/2/13 .

7 – محمد خيري ، الرياضة نافذة مغلقة أمام التطبيع طيلة 3 عقود ، موقع إسلام اونلاين ، 23 /2009/3 م .

8– رأفت الشيخ ، النادي المصري البورسعيدي في تل أبيب ، دراسة منشورة على الموقع الالكتروني : بورسعيد أون لاين ، 2009/9/11 .

9– محمد عبد الهادي ، مباراة مصر والجزائر لن تكون نهاية المطاف ..لعبة السياسة.. الوجه الأسوأ للرياضة ، جريدة الأهرام ، القاهرة ، 13

10– محمد السيسي ، رئيس اتحاد سلاح الشيش كشف عن مشاركتها خمس مرات ، موقع "المصريون" الالكتروني ، 2007/6/19 .

11– أحمد علي ، انتقاد برلماني لمشاركة صهاينة في رالي الفراعنة ، الموقع الإلكتروني : إخوان أون لاين ، 2007/10/4 م .

12- إيهاب الخولي ، القاضي يحذر من التطبيع مع الكيان الصهيوني عن طريق بوابة نادي السيارات ، الموقع الالكتروني : إخوان أون لاين ، 2008/1/12 .

13- أحمد صالح ، مجلس الشعب يناقش فضيحة التطبيع مع الصهاينة ، الموقع الالكتروني إخوان أون لاين ، 2008/5/18 .

14-بورسعيد تستضيف فريق اليخوت الصهيوني ، الموقع الالكتروني : إخوان أون لاين ، 2008/5/14 .

15-إصابة وهزيمة مصارع مصري على يد مصارع إسرائيلي في بطولة صربيا الدولية ، جريدة الدستور ، القاهرة ، 2008/5/27 .

16- محمد عطية ، إسرائيل تهزم مصر في أولمبياد الشطرنج بألمانيا وتثأر لخسارتها قبل 27 عامًا الموقع الالكتروني "المصريون" بتاريخ 2008/11/17

17- "معاريف": منتخب مصر تجاهل طلبا بلعب مباراة ودية مع نظيره الإسرائيلي ، الموقع الالكتروني : شبكة الإعلام العربية (محيط) ، 2010/2/3

18-علاء أبو العينين ،مصدر سبق ذكره .وانظر : محمد المهدي ، مصدر سبق ذكره.وانظر : الكرة بين التطبيع والتحريش ، مصدر سبق ذكره .

19- بليغ أبو عايد ، عمرو زكي يكذب معاريف ، جريدة المصري اليوم ، القاهرة ، 2009/12/10 .

20- فريق إسرائيلي يطلب زكي واتحاد مصر "العنصري" يرفض ، الموقع الالكتروني : شبكة الإعلام العربية (محيط) ، 2009/12/10 .

21-محمد عطية وأسامة دعبس ، إسرائيل تهزم مصر 1/3 في بطولة العالم للشطرنج ، جريدة الدستور ، القاهرة ، 2010/1/6 م .

22-عبد الحليم العقيلي ، استياء بسيناء بسبب مشاركة إسرائيليين في سباق **للدراجات ، الموقع الالكتروني : الإسلام اليوم ، 2009/11/15 م .**

الفصل الثانى

التطبيع السياحى

المسارات والوقائع

* يعد التطبيع السياحى أحد أبرز آليات الاختراق الإسرائيلى للمجتمع المصرى منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (1979) ، ومثل واحدة من الوسائل المهمة سواء لربط الاقتصاد والمجتمع الإسرائيلى بالاقتصاد والمجتمع المصرى ، أو للتجسس وجمع المعلومات عن المجتمع المصرى ولم تكن مصادفة ضبط عشرات الحالات من قضايا التجسس تحت ستار السياحة (كما سنرى لاحقاً) ، وكانت السياحة وسيلة لدخول آلاف الإسرائيليين إلى مصر (يقدر البعض إجمالى من دخل مصر من الإسرائيليين خلال فترة البحث 1979–2011 بحوالى 3 ملايين إسرائيلى ، أو ثلاثة ارباع سكان الكيان الصهيونى فى دراسات اخرى) والمساهمة فى نشر العديد من المشكلات (وأحياناً الأمراض) بين شعبنا ، وليس بهدف الترفيه فحسب كما يشاع ، ولا بهدف رفع معدلات النمو لقطاع السياحة خاصة أن السائح الإسرائيلى هو الأفقر والأكثر بخلاً بين السياح الذين يردون إلى مصر من أنحاء العالم .

* وفى هذا الفصل نرصد أبرز مسارات ووقائع التطبيع السياحى خلال الحقب الثلاث موضوع فترة البحث .

أولاً : حقبة الثمانينات :

نظراً لأن السياحة فن دعائى وثقافى بالأساس ، ورابطة اقتصادية مؤثرة فى مجرى العلاقات بين الدول بوجه عام ، فإن الأمر يزداد تأثيراً عندما ينسحب على دولتين كانا بينهما عداء تاريخى متجذر ، وهذا هو الحال تحديداً بين الكيان الصهيونى وباقى الدول العربية المواجهة له ، وتحديداً مصر التى تحتل المرتبة الأولى فى سلم العداء مع الكيان الصهيونى رغم التطورات المختلفة التى شهدتها قضية التطبيع بينها منذ عام 1977 .

* من هنا فإن التركيز على أحداث التطبيع السياحى ، يعد بالأساس تركيزاً على أحداث التطبيع الثقافى والاختراق العقلى لمصر ، لأن الأول – التطبيع السياحى – يخدم ويساند الثانى – الاختراق الثقافى – ويقدم له المادة الأساسية

لاقتحام معاقل المجتمع التى كانت موصدة دونه طيلة العقود السابقة على توقيع اتفاقات كامب ديفيد عام 1979 .

* وبنظرة إلى سيناريو أحداث التطبيع السياحى بين مصر وإسرائيل خلال الثمانينات نجد أنها قد شهدت نمواً مطرداً وإن كان بأداء أقل من الأعوام السابقة نظراً لأحداث الانتفاضة الفلسطينية التى اشتعلت فى الأراضى العربية المحتلة ابتداء من يوم 1987/12/9 ، ولقد حاولت إسرائيل أن تنوع من أساليب التطبيع السياحى مع مصر خاصة بعد الحكم الدولى بعودة طابا إلى السيادة المصرية ، واستغلت إسرائيل فى هذا المجال كل الحيل والطرق واستثمرت على سبيل المثال حاجة البعض من الشركات السياحية المصرية إلى المال والتربح السريع ، فأنشأت معها علاقات سياحية ، ومن بين أساليب وأحداث التطبيع السياحى نأخذ بعض النماذج الواضحة فعلى سبيل المثال ، فى النصف الأول من عام 1988 وفى سرية تامة قامت شركة سفاجا للسياحة بتنظيم أول رحلة سياحية إلى إسرائيل دون أن تقوم بالإعلان عن هذه الرحلات التى تبعتها مجموعة أخرى من الأفواج .. وقد صرح بعض العاملين بهذه الشركات بأن هذه الرحلات جاءت بناء على طلب وزير السياحة بأن تحاط بالسرية التامة ، ما جعلها مقصورة على أقارب ومعارف العاملين بشركات السياحة ، وذلك بعد زيارة الملحق السياحى الإسرائيلى لمصر ، وطلبه من الشركات السياحية ضرورة تنشيط السياحة بين البلدين.

* وقبل ذلك وفى عام 1987 نشرت صحيفة " الشعب " فى 1987/11/8 تقريراً عن التطبيع فى الأراضى المحتلة فبينما تسعى إسرائيل لفتح كل الطرق والسبل أمام التطبيع مع كل الدول العربية وأهمها مصر نجدها على النقيض تماماً تسعى لعزل العرب تماماً والحد من توجه الشباب العربى للتعليم الجامعى ومحاولة فرض القيود على الأحزاب العربية التى تميل لحركات التحرير الفلسطينية. وكذلك أورد التقرير أن الإسرائيليين يشعرون بالخوف من وصول

عدد السكان العرب فى عام 2000 إلى ثلث سكان الكيان الصهيونى مما سيعنى أن كل ثلاثة من سكان إسرائيل سيكون أحدهم عربياً .

* وفى 1987/11/8 لاحظت سلطات الأمن فى مصر تكرار بلاغات السياح الإسرائيليين عن مفقودات معينة كآلات التصوير .. والمسجلات .. وآلات التصوير السينمائى .

كما لاحظت إصرارهم الشديد على كتابة محاضر رسمية فى أقسام الشرطة وأخذ صور منها. وبالبحث تبين أنهم يتعمدون التأمين على هذه الأشياء فى شركات التأمين الإسرائيلية .. وفى القاهرة يتم بيعها سراً ثم الإبلاغ عن فقدها وبمقتضى هذه المحاضر يتم صرف التعويض . بهذه الطريقة يتمكن السياح الإسرائيليون من الحصول على مبلغ من المال لتغطية تكاليف الرحلة فضلاً عن الإساءة إلى سمعة مصر .

* وفى 1988/1/27 استقبل أحمد خيرى الأمين العام المساعد للحزب الوطنى بالأسكندرية وفداً سياسياً إسرائيلياً ، وقام بإعداد جولة للوفد لزيارة مدن القناة ، كما تمت لقاءات بين الوفد وبين قيادات الحزب الوطنى لمناقشة سبل تطوير السياحة بين مصر وإسرائيل، وتلبية لدعوة من شركة زيم السياحية سافر أحمد خيرى إلى إسرائيل بهدف التعاون السياحى .

* فى 1988/2/7 فوجىء أهالى حلوان بوفد إسرائيلى يتجول فى الحديقة اليابانية .. كان رئيس الحى قد أغلق الجزء الأكبر من الحديقة ومنع المواطنين من الدخول إلا أن اللواء يوسف صبرى أبو طالب كان قد فتحها فى سبتمبر 1987 بناء على شكاوى الجماهير غير أن رئيس الحى أعاد إغلاقها للمرة الثانية عقب انتهاء زيارة المحافظ وظلت مغلقة إلى أن فتحت أبوابها بناء على أوامر رئيس الحى ترحيباً بالإسرائيليين .

** **وفى العام 1988** تمكنت مباحث شرطة السياحة والآثار بالاشتراك مع مباحث بورسعيد من القبض على سائح إسرائيلى يزور الأوراق المالية فئة المائة

دولار ويقوم بتبديلها من البنوك بعملات مصرية . أحيل المتهم للنيابة فتولت التحقيق .

وكانت المعلومات التى وردت للواء أحمد حلمى مساعد الوزير للإدارة العامة لشرطة السياحة والآثار آنذاك تفيد قيام إسرائيلى يحمل جواز سفر صادر من عكا بتزوير الأوراق المالية فئة المائة دولار وتبديلها من البنوك بالعملات المصرية .

دلت تحريات العقيدين مجدى حسين ومحمد المساح تحت إشراف العميد كمال خليفة مدير إدارة البحث الجنائى على أن المتهم قدم إلى بورسعيد ضمن وفد سياحى واتخذ منها مقراً لمزاولة نشاطه فى تزوير النقد الأجنبى .

وعلى نفس المنوال فى المجال السياحى كان طبيعياً أن يتم ضبط شبكات للتجسس السياسى من بين السائحين الإسرائيليين ففي يناير 1989 ، وتحديداً فى فندق بميدان الحجاز بمصر الجديدة بالقاهرة اشتهر بكثرة مريديه من الصهاينة .. رصدت الأجهزة الأمنية تردد أشخاص منهم على فترات متعاقبة مع وفود السياح الصهاينة عليه ورجحت انتماءهم للموساد الإسرائيلى وأشارت معلومات الأجهزة أن هؤلاء الأشخاص نجحوا فى إقامة شبكة علاقات مع مواطنين مصريين من العاملين بالفندق ومعارفهم امتدت إلى زيارة الصهاينة لمنازلهم وتوجيه الدعوة للشباب لزيارة إسرائيل والعمل بها .

وتدعيماً للاتجاه السياحى صدرت أوامر عليا فى مصر إلى أحد القضاة لكى يحكم بتعويض لقتلى عملية رأس بركة التى قتل فيها سليمان خاطر سبعة إسرائيليين جاءوا للتجسس السياسى ، فلقد قضت محكمة الجيزة فى يناير 1989 بإلزام الداخلية المصرية بدفع مبلغ 22300 لصالح عائلة " افيراجو " ومبلغ مليون جنيه لورثة عائلة " شلح " وكلهم ورثة القتلى والمصابين الذين أطلق عليهم الشهيد سليمان خاطر النار فى رأس بركة .

والمحامون المصريون الذين استطاعوا أن يحققوا هذا الإنجاز للأسف .. أحدهم أحد أقرباء نائب رئيس الوزراء.

وفى نفس الوقت الذى يحرز فيه الإسرائيليون هذا التقدم نجدهم فى شوارع القاهرة وأحياءها الشعبية للتجسس بحجة السياحة ، وفى منتصف أبريل 1989 شوهدت مجموعة من السياح الإسرائيليين يتكلمون العربية بلهجة شامية يصورون سهرات رمضان فى الحسين وتجولت كاميراتهم بين المقاهى والمطاعم والباعة الجائلين والمناطق الأثرية .

والمعروف أن المركز الأكاديمى الإسرائيلى الوثيق الصلة بالموساد –كما سبق وبينا فى الفصل الخاص بهذا المركز– يمكن السياح الإسرائيليين من تصوير الاحتفالات الشعبية لضمها لأرشيف المخابرات الإسرائيلية لتحليل السلوك الاجتماعى للشعب المصرى وما يطرأ عليه من متغيرات ، وقد سبق للمركز أن صور احتفالات مولد السيدة زينب كما صور كثيراً من الاحتفالات الشعبية فى مناطق مختلفة بمحافظة قنا وسيوه وسيناء خلال تلك الفترة .

وفى الأسبوع الأول من أبريل 1989 ضبطت السلطات المصرية أربعة من السائحين الإسرائيليين ومعهم كميات كبيرة من الدولارات فئة 100 دولار ، مزيفة ، وفى الأسبوع الأول من أبريل أيضاً ذكر راديو إسرائيل أن السلطات المصرية أفرجت عن قارب إسرائيل يحمل 4 إسرائيليين وكان القارب قد دخل إلى المياه الإقليمية المصرية بدون تصريح فى خليج العقبة بالقرب من ميناء إيلات ، وقال الراديو : إن خفر السواحل المصرية اقتادوا القارب الإسرائيلى إلى " جزيرة فرعون " حيث تم التحقيق معهم ثم الإفراج عنهم ، وأوضح الراديو أن هؤلاء الإسرائيليين الأربعة – وهم سيدتان ورجلان أجرت الشرطة الإسرائيلية تحقيقاً معهم حول سبب دخولهم المياه المصرية بدون تصريح .

وفـى ينـاير 1989 أكدت بعض الصـحف المصـرية أن القـاهرة رفضـت مجدداً عرضاً إسرائيلياً بتنسيق التعاون بين الطرفين لتنشيط الرحلات والوفود السياحية القادمة إلى كل من مصر وإسرائيل.

وفـى إحصـائية رسـمية صـدرت فـى ينـاير 1989 وردت معلومـات مؤكـدة عـن انخفاض عدد السـائحين الإسـرائيليين بنسـبة 13.3% خـلال عـام 1988 حيث أكـدت هـذه المعلومـات أن عـدد السـائحين القـادمين مـن إسـرائيل قـد بلـغ خـلال الفترة من يناير وحتى نوفمبر 1988 (51 ألفاً و898 سائحاً) بانخفاض وصلت نسـبته إلـى 13.3% عـن نفـس الفتـرة مـن عـام 1987 ، وقـد قضـى السـياح الإسرائيليون 426 ألفاً و571 ليلة سياحية بينما كانت عدد الليالى خلال نفس الفترة من عام 1987 / 526 ألفاً و925 ليلة وتركزت الأفواج السياحية القادمة لزيـارة مصـر فـى منطقـة بورسـعيد وجنـوب سـيناء والقـاهرة بالإضـافة إلـى زيـارة الإسكندرية والأقصر وأسوان.

ومما يذكر فى مجال العلاقات السياحية بين مصر وإسرائيل أنه فى خلال عام 1988 ، فقط وصل عدد الجرائم التى ارتكبها الإسرائيليون 90 حالـة من واقع 338 حالـة وقعت بسبب الأجانـب فـى مصـر ، وأن الـ 90 حالـة هـذه موزعـة كالتالى 80 مخالفة و17 جنحـة و3 جنايات وفـى مقدمتها القبض علـى تـاجر مخدرات إسرائيلي كان يحمل شحنة هيروين تقدر بنحو 3 ملايين جنيه مصرى. وذكرت مصـادر رسمية فـى مصـر أن السـائح الإسرائيلى يعد أفقر سائح يـزور مصر وهو لا يضيف إلى الاقتصـاد المصرى شيئاً وأنهم – أى الإسرائيليون – وفقاً لقول (مرسى الجابرى رئيس غرفة السياحة المصرية) يقومون بوضـع لافتـة " دعاية " فى شركاتهم السياحية فى الدول الأوروبية تقول : (زوروا مصر) وأن برنـامج الرحلـة يتضمن 3 أيام فقط لمصر و7 أيام لإسرائيل أى أنهم يستغلون اسم ومكانة مصر من أجل الترويج لبلادهم سياحياً .

ويذكر مرسى الجابرى أيضاً أن الإسرائيليين مع كل موسم سياحى يرسلون لنا 300 فوج سياحى ليملؤوا الفنادق بسياحهم الذين لا يستفاد منهم وبهذا يتم إغلاق بلدنا أمام السائح الأوروبى والأمريكى .

وتحت أوهام السياحة قامت قوات الأمن المصرية فى شهر مارس 1989 بإلقاء القبض على شاب مصرى عند عودته من إسرائيل على حدود طابا .. روى الشاب قصة غريبة حيث ذكر أن سيدة إسرائيلية أوهمته بقصة حب بمنطقة الهرم وأنه سافر معها إلى إسرائيل حيث تمكن من الخروج دون جواز سفر .

وكما هو معتاد سنوياً قامت إسرائيل باستغلال ما يسمى بضريح (أبو حصيرة) والذى ارتاده فقط خلال شهر الاحتفال به (ديسمبر) من كل عام ، 5 آلاف يهودى خلال موسم 1988 فقط.

وضريح أبو حصيرة–كما سنبين فى أجزاء أخرى من هذا البحث– غريب الأطوار ويختلف كل الاختلاف عن أضرحة أولياء الله الصالحين وهو عبارة عن غرفة كبيرة مساحتها حوالى ستين متراً مبنية على هضبة عالية عن الأراضى المحيطة بها ، ويحيط بهذه الغرفة وفوق هذه الهضبة مجموعة من القبور الصغيرة ، ويحيط بالهضبة نفسها نبات الحلفا من كل جانب وبجانبها أراض زراعية لأهالى القرية ومجموعة من المنازل الصغيرة (وذلك بقرية ديميتوه بدمنهور قرب الاسكندرية) .

ويقال : إنه عندما علم اليهود أن هذا الرجل مدفون فى هذا المكان بدأوا يأتون لزيارته من آن لآخر ، وظل القبر مهملاً خاصة فى فترة عبد الناصر حيث قام العديد من اليهود بالخروج من مصر والذهاب إلى الكيان الصهيونى ، وفى تلك الفترة فكر أحد أفراد القرية بهدم الضريح اليهودى وتسويته وبناء مدرسة أو مسجد مكانه ينتفع به أهل القرية ولكنه – كما يقول أهل القرية – كان ضابطاً فى الجيش ومات قبل أن يحقق هدفه .

وقد ظل الوضع كما هو عليه بالنسبة لهذا الضريح إلى أن قام الرئيس السادات بزيارة القدس وعقدت مصر اتفاقية السلام مع إسرائيل وهنا ظهر الاهتمام الشديد من قبل اليهود بهذا الضريح الغريب ، ويقال : إن اليهود أوصوا السادات بهذا الضريح خيراً .

ومنذ هذا التاريخ بدأ اهتمام مصر بهذا الضريح اليهودى فقامت بإنشاء نقطة شرطة بجانبه تسمى " نقطة شرطة أبو حصيرة " وتم وضع حراسة مشددة عليه من جنود الأمن المركزى ليلاً ونهاراً ومنع الأهالى من الاقتراب منه ، هذا إلى جانب إنشاء استراحة بجانبه ليستريح فيها القادمون لزيارته من اليهود الصهاينة ، وهذا المولد يبدأ الاستعداد له مع بداية شهر ديسمبر كل عام وفى يومى 26 و27 ديسمبر من كل عام يأتى اليهود إلى الضريح فى وفود تحملها الأتوبيسات السياحية من الفنادق المقيمين بها فى الاسكندرية ودمنهور والقاهرة وغيرها من مدن مصر .

وقد قدم عام 1988 حوالى 5 آلاف يهودى من دول متعددة وفى الغالب يأتون بكل فئاتهم من أطفال وشباب وشيوخ ونساء ويقيمون سرادقاً كبيراً بجانب غرفة الضريح وتضاء الأنوار والزينات ويقوم اليهود بشراء الذبائح المتعددة من أهالى القرية بواسطة متعهد أو تاجر من أهل القرية وذلك بالاتفاق مع قوات الأمن ويقومون فى يوم 27 ديسمبر بذبح ذبائحهم وإعداد مطبخ لهم بجانب الضريح ولا يستعينون بمن يعد لهم طعامهم من أهالى القرية ولكن يعتمدون على أنفسهم فى الطعام ، وبعد أن يأكلوا يقومون بتناول الخمور وممارسة بعض التقاليد الخاصة بهم ، والطواف حول ضريح أبو حصيرة ويقضون اليوم كله بجانبه حيث تأتى الوفود إليه دفعات مختلفة طوال اليوم وفى الثامنة مساء يبدأون فى الانصراف مستقلين الأتوبيسات السياحية التى جاءوا بها .

***

* وعلى نفس المنهج فى افتعال المعارك السياحية والسياسية تأتى قضية " مقابر اليهود فى مصر" والتى تفجرت خلال شهر فبراير 1989 حين نظرت محكمة القضاء الإدارى بالقاهرة برئاسة المستشار منصور أسعد منصور نائب رئيس مجلس الدولة ، وعضوية المستشارين عبد الله أبو العز وممدوح راضى وأمانة سر محمد إبراهيم .. الدعوى التى أقامتها الطائفة اليهودية بالقاهرة بالتضامن مع بعض المؤسسات الإسرائيلية والمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ضد المهندس حسب الله الكفراوى وزير الاسكان والتعمير وقتذاك ورئيس الجهاز المركزى للتعمير ، ومدير عام هيئة الآثار المصرية والتى تطالب فيها بوقف قرار وزير التعمير بنقل بعض مقابر اليهود فى منطقة البساتين والتى تتعارض مع مسار الطريق الدائرى حول القاهرة إلى منطقة مجاورة من المكان ولا تبعد عنه سوى 30 متراً ، واعتراض الطائفة الإسرائيلية ينصب على أن عملية نقل " موتاهم " إلى منطقة أخرى مستحيلة من وجهة نظر الشريعة اليهودية وقام المستشار محمد ياسين نائب رئيس هيئة قضايا الدولة بإعداد مذكرة قانونية بدفوع الحكومة لتقديمها إلى المحكمة وكانت دفوع الحكومة تنصب على رفض نظر الدعوى؛ لأن مقابر اليهود وعددها 300 مقبرة لا تدخل كلها فى عداد الآثار إلا ما أقرته هيئة الآثار وضمته إليها ، وأن الأرض التى قام عليها اليهود مقابرهم ليست ملكاً لهم ولكنها هبة من الدولة لهم لإقامة مقابر عليها ، ولا يجوز لهم التحكم فيها بالإضافة إلى أن المنطقة المتنازع عليها والتى لا تتجاوز فداناً واحداً مليئة بالقمامة والزبالة ، وقد أعدت هيئة التعمير مكاناً مناسباً لنقل المقابر الموجودة فى المنطقة التى تعترض الطريق الدائرى إليها ، وأنها لا تبعد عنها أكثر من ثلاثين متراً .

ولقد بدأت قصة النزاع بين هيئة التعمير والطائفة اليهودية فى القاهرة عقب الخطاب الذى أرسلته الهيئة إلى الطائفة فى 19 سبتمبر 1988 فى 13 ش سبيل بالخازندار بميدان الجيش بالقاهرة والتى تطالبها فيه بضرورة الحضور

لنقل بعض المقابر التى تقع فى مسار الطريق الدائرى بالبساتين والمسماه (قطعة باتشه) وأن هيئة التعمير تقوم بحصر جميع المقابر الواقعة فى هذه المنطقة لنزع ملكيتها ، طبقاً للقرار الوزارى والمنشور بمجلة الوقائع الرسمية بتاريخ 29 أكتوبر 1986 .

إلا أن الطائفة رفضت مضمون هذا الخطاب وأكدت لهيئة التعمير أنه من المستحيل نقل هذه المقابر وجرت مفاوضات بين الهيئة والطائفة اشترك فيها يوسف دانا رئيس الطائفة السابق وكارمن ونشتين مسئول العلاقات العامة بالطائفة إلى أن وصلت هذه المفاوضات إلى طريق مسدود بعد أن قامت الطائفة بتكليف محاميها حسن محرم " وهو محام مصرى " برفع دعوى أمام محكمة القضاء الإدارى ضد وزير التعمير وضد جهاز التعمير وهيئة الآثار.

***

* هذا ولقد قوبلت عمليات الاختراق السياحى الإسرائيلى بمقاومة شعبية متعددة الأشكال كان أبرزها رفع الدعاوى القضائية مثل تلك التى تم رفعها فى محافظة البحيرة لإزالة الضريح المسمى أبو حصيرة والتى أقامها المحامى المصرى عطيه شعلان القيادى بحزب العمل المصرى وتوالت بعدها القضايا حتى تمكنت ثورة 25 يناير 2011 من إيقاف هذا الاحتفال .

* وعلى نفس المنوال نظرت محكمة شمال سيناء الكلية برئاسة المستشار فاروق حلبى يوم 1989/4/26 ، الدعوى المقامة من المواطن اسماعيل خطابى ضد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزراء الدفاع والداخلية والخارجية ، ومحافظ شمال سيناء لإزالة نصب تذكارى أقامه الصهاينة ، فى ذكرى قتلاهم من سلاح الطيران بأرض مملوكة للمواطن بالشيخ زويد.

كانت محاولات المواطن – الحاصل على نوط الامتياز من الدرجة الأولى – قد بدأت أثناء الاحتلال لإزالة النصب ، واتصل بهيئة الصليب الأحمر بسويسرا

والأمم المتحدة ومازالت محاولاته مستمرة ، بعد أن تحول النصب إلى مزار سياحى .

وأيضاً نظرت محكمة السيدة زينب فى مارس 1989 الدعوى القضائية التى أقامها موريس صادق المحامى بصفته قبطياً مصرياً ضد رئيس الوزراء ووزير الخارجية يطالب فيها بحق التعويض المدنى لتقصيرهم فى استعادة دير السلطان الذى تغتصبه إسرائيل وذلك لعدم تمكن اتفاق طابا حل تلك المشكلة رغم وجود اتفاقية بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية على حماية الأماكن المقدسة .

أكدت الدعوى أن المادة 156 من الدستور تلزم الحكومة حماية حقوق المواطنين ومنها بطبيعة الحال دير السلطان .. مما يعطى الحق لكل قبطى مصرى مطالبة رئيس الحكومة ووزير خارجيته بتعويض مدنى لتحقيق المسئولية التقصيرية فى حقهم .

***

** ويرتبط بالسياحة قضية سرقة الآثارالمصرية ، والتى شهدت سرقات إسرائيلية عدة ، ولقد نشرت الأحرار فى 1989/1/23 خبراً عن وجود 64 قطعة أثرية قام بتهريبها استيفان هتلر وهو ألمانى غربى يعمل مع الإسرائيليين ، وقد طالبت مصر باسترجاع هذه الآثار وهو ما تم بالفعل حيث قامت لجنة من هيئة الآثار باستلامها وهى آثار تضم وثائق العملات الذهبية والفضية والبرونزية ومجموعة رائعة من التماثيل والقطع الأثرية التى ترجع لعصور مختلفة بدءاً من العصر الفرعونى حتى العصر الإسلامى .

وفى سياق متصل تم ضبط تاجر أردنى يعمل بالقدس وبحوزته تمثال برونزى يرجع للعصر البيزنطى اشتراه من إسرائيلى ويعرضه للبيع فى الإسماعيلية .

** وفى عام 1988 نشرت الصحف تقريراً عن الإجرام الإسرائيلى فى مصر بعد معاهدة كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيونى ، وقد أكدت أجهزة الأمن

المصرية أن 76% من جرائم التهريب وتزوير العملات فى مصر تتم بأيد إسرائيلية مروراً بشبكات التجسس والدعارة لنقل الإيدز إلى مصر لداخل مصر فضلاً من ضبط حاخامات يهود أثناء محاولة تهريبهم قطعاً أثرية خارج البلاد وكذلك ضبط كولونيل فى جهاز " الشين بيت " يهرب الدولارات المزيفة فضلاً عن تهريب الهيروين عن طريق موظفين بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى فى معجون الأسنان .

** وفى 1989/1/9 قام مواطن يفترض أنه مصرى ، حاصل على الدكتوراه من معهد وايزمان الصهيونى ، بالأرض المحتلة ، قام بتأسيس شركة سياحية ، واتخذ مقراً لها بإحدى المناطق الراقية بالزمالك ، وخصص كل أعماله السياحية لخدمة الصهاينة والموساد ، المهم آخر محاولاته أنه أراد فتح مكاتب لشركته فى إحدى الدول الخليجية إلا أن مكاتب مقاطعة الصهيونية فى الدول العربية منعت التعامل معه ، وفشلت محاولاته فى فتح المكتب السياحى.

** **وفى ذات السياق تم فى التليفزيون المصرى** عرض فيلم صهيونى للمخرج " تسى تروفا " والمصور " ديفيد جورفنجل" عن قصة "ميرى" وجميعهم صهاينة ، الفيلم أنتج بتعاون صهيونى كندى وصور فى تل أبيب 1982 ، وجميع الأسماء التى ظهرت فى الفيلم على " شاشة التليفزيون " صهيونية حتى اللوحة التى تحمل رقم السيارات ، وظهر فى الفيلم أيضاً صورة بيت الثقافة ومقهى " أحزوفو " ومطار بن جوريون .

** وفى 1989/7/26 طالب وزير الداخلية الإسرائيلى – الذى زار مصر فى هذا التوقيت – بوقف قرار هدم مقابر اليهود بضاحية البساتين ، وإحاطتها بالأسوار وتحويل طريق الأتوستراد بعيداً عنها ، وبدعوى أن المقابر اليهودية منطقة أثرية وأن الديانة اليهودية تحرم نقل المقابر .

رفضت الحكومة المصرية الطلب الإسرائيلى وأوضحت أن إسرائيل سبق أن نقلت رفات بعض الإسرائيليين وهو دليل على عدم جدية تحريم نقل المقابر ،

كما أن المقبرة الوحيدة التى لها قيمة أثرية بعيدة عن طريق الأتوستراد وسيتم الحفاظ عليها . كانت الدوائر اليهودية قد نظمت حملة دعائية ضد قرار نقل المقابر اليهودية .

** وفى 1989/10/1 أكد الدكتور حلمى مراد فى مقال له بجريدة الشعب أنه وفق الإحصاءات العالمية تعتبر مصر ثانى دولة مستهلكة للمخدرات فى العالم كله !! وأن الإدمان على المخدرات يكلفنا 4 مليارات دولار سنوياً ، كما اتضح من بعض الدراسات أن نسبة تعاطى المخدرات وصلت فى المدارس إلى 7% وأن متوسط حالات الإدمان بين طلاب وطالبات الجامعة 21% ، وهى مؤشرات رهيبة تثير الفزع والانزعاج. وقد اتهم الدكتور حلمى مراد الإسرائيليين بأنهم وراء هذا البلاء ، خاصة وأنهم يستغلون التسهيلات الممنوحة من مصر للسياح اليهود لدخول البلاد ، فى نشر المخدرات وترويجها والجدير بالذكر أن هذه التسهيلات ممنوحة بمقتضى اتفاقية طابا ، وقد أجازت لأى سائح سواء كان يهودياً أو غيره ، دخول طابا وجنوب سيناء ، دون حاجة إلى تأشيرة دخول على جواز سفره ، ودون أن توضع عليه أختام !! وطالب الدكتور حلمى بإلغاء هذه التسهيلات لخطورتها الشديدة .

*فى 1989/1/23 أعلن عن أن الحكومة المصرية تبذل مساعيها مع الحكومة الإسرائيلية لإعادة 64 قطعة أثرية ترجع لعصور رومانية وقبطية وإسلامية وفرعونية كان قد قام بتهريبها من مصر استيفان هتلر وهو ألمانى غربى (سبق الإشارة إليه) .

طالبت الحكومة المصرية السفير الإسرائيلى بإعادة الآثار وتولت السفارة المصرية بتل أبيب الأمر وبذلت مساعيها للإفراج عنها قبل صدور الحكم من وزارة الخارجية الإسرائيلية .

تبين من التحقيقات أن هذه الآثار خرجت بطريق غير مشروع ومخالف لأحكام القانون رقم 117 لسنة 1983 لحماية الآثار وأن المتهم يحمل جواز سفر رقم

9231162 ووصل لمصر فى 88/11/30 عن طريق طابا ومعه سيارة ماركة " بى إم دبليو " رقم 227 جمرك طابا بيضاء اللون كما يحمل جوازاً آخر برقم 1962668 – وغادر البلاد عن طريق طابا عائداً لإسرائيل فى 89/1/20 واعتقل فور وصوله طابا حيث عثر بسيارته على القطع الأثرية ومبلغ 100 ألف دولار وعملات أخرى .

** وفى تقرير وثائقى مهم نشرته جريدة " الشعب " (1989/9/26) عن السياحة والآثار المسروقة وحمل عنوان "**أكبر جريمة سرقة آثار فى التاريخ ترتكبها إسرائيل ضد مصر** " **للكاتب المعروف على القماش جاء فيه** : إن مصر استطاعت بالفعل تحديد ما يقرب من 57 موقعاً اثرياً نهبتها إسرائيل بواسطة البعثات التى رأستها جامعة "بن جوريون" (قامت وحدها بعمل 213 مجسة فى جميع سيناء) ومعها معاهد آثار جامعة تل أبيب والجامعة العبرية ومتاحف "هاآرتس" وتل أبيب والقدس وروكفلر والجامعة العبرية وأكاديمية العلوم إضافة لبعثات غير إسرائيلية من متحف سيد طه وجامعة ألينوى الأمريكية وغيرها والمثير فى الأمر .. أنهم بعد أن أتموا ارتكاب جريمتهم السافرة فى حق تاريخ مصر , تأكد لهم كذب ما يحاولون تلفيقه حيث يزعمون أن قبائل النبط العربية من أصل يهودى .. بينما الحقيقة التاريخية التى أكدتها الحفائر أنهم عرب شمال الجزيرة العربية الذين وفدوا إلى سيناء وأن موسى عليه السلام سلك الطريق الجنوبى وترك الشمالى السهل لأنه كان به بعض الحصون التى كان عليه أن يتفاداها .

ومما يزيد من ضخامة الكارثة .. ويزيد من غموض الجريمة وتعقيدها أن معظم الآثار المنهوبة غير مسجلة ولا توجد لدينا صور لها .. وإن كان بعضها مسجل فى ذاكرة عدد من عشاق الآثار بمصر .

ولو كان فى يدى الأمر لأقمنا عليهم حراسة خوفاً من اغتيال إسرائيل لهم إذا علمنا بما يعرفونه عن كنوزنا .. فقد قتلوا علماء الذرة وآخرهم د. المشد ثم

اتهامهم فى قتل د. سعيد بدر .. هؤلاء العلماء ومنهم عاشق الآثار د.أحمد قدرى ، ود. محمد عبد المقصود أستاذ الآثار بجامعة ليل بفرنسا وسعيد الصاوى وعبد الكريم أبو شنب ود. على الخولى ود. صباحى ود ود. سيد توفيق , وعشرات من مفتشى الآثار بسيناء وغيرهم من عشاق آثار وتراب مصر .

وقد تمكنا عن طريقهم الحصول على بعض الآثار المسجلة فى ذاكرتهم والتى لم تكن مسجلة فى سجلاتنا ومنها :

- لوحة أثرية من عصر الدولة القديمة منهوبة من معبد سرابيتا الخادم .
- ستة توابيت نادرة من منطقة البردويل .. وحفائر لم تحدد التقارير عددها أو صورها (معظمها بمتحف هاآرتس بإسرائيل).
- حفائر إسلامية من قلعة نخل وحصن إسلامى .
- آثار نادرة منهوبة من منطقة وادى النصب ووادى فريج .
- آثار من العصر البتوليتى منهوبة من منطقة سانت كاترين .
- 11 قطعة أثرية فرعونية "موجودة بمتحف سيدنى باستراليا" .
- تمثال نادر للسيدة فاتن حتحور (غير موجود ضمن الآثار المطلوب إرجاعها) .
- 3 تماثيل للإله توت منهوبة من منطقة تل الفضة وهى بمتحف هاآرتس بإسرائيل .
- آثار منقوشة من حصن الطيخة الإسلامى .

امتدت الحفريات الإسرائيلية من الشمال إلى الجنوب وامتد معها النهب بالطول والعرض أما عن المناطق التى تعرضت للنهب فهى :

- قلعة الفارما "بلوزيوم" ومساحتها نحو 50 فداناً .. فموقعها عند مصب النيل القديم منذ آلاف السنين أثرى الحياة وبقيت الآثار ، وقد قام الإسرائيليون بنهب

الآثار وتحويل المنطقة إلى محجر لرصف الطرق ومعسكر للجيش .. ومازالت قطع الفخار وبقايا كسور الأعمدة المتناثرة شاهدة على النهب .

- جميع متعلقات كنيسة "بازيليكا بمنطقة الفلوسيات .. فلم يتركوا اللوحات الرخامية التى تغطى سقوفها والبلاط المنقوش بالأرضية وتم نقل الأوانى الفخارية والمسارج والعجلات ولوحة يونانية .

- مقبرة جماعية تضم عشرات التوابيت من العصرين اليونانى والرومانى بمنطقة تل الكنائس ومنا ست توابيت تتداول فى محل العاديات بإسرائيل !!

- 104 قطع أثرية فرعونية نادرة وموجودة الآن بمتحف سيدنى باستراليا .

- رؤوس سهام وقاعدة تمثال جرانيت وعملات وتمائم عين حورس وفناجين وأوانى ولوحات من منطقة أثار الجير موجودة بجامعة بن جوريون .

- أوان وعملات وآثار من منطقتى الشيخ عواد والنواميس .

- حفائر رومانية وقطع برونزية وجعارين ولوحة بالهيروغليفية من مناطق قصرويت وتل آثار وبئر العبد وبحيرة البردويل والخروبة .

- 3 تماثيل أثرية للإله توت من منطقة تل الفضة موجودة الآن بمتحف هاآرتس برقم 752/1 .

- حفائر وعملات وقطع فخارية ولوحة إسلامية بالخط العربى من قلعة نخل.

- نهب آثار منطقة تل أبو صسفى وتل حابو وتل الجير ثم دمروا المنطقة وحولوها إلى ثكنات عسكرية ومنها 3 تماثيل للإله توت موجودة بمتحف هاآرتس تحت رقمى 16,15 .

أما فى الجنوب فقد حاولت البعثات الصهيونية إثبات مرور النبى موسى عليه السلام بهذه المنطقة والآثار ليبحثوا لهم هوية وتاريخ .

- تم عمل حفائر لـ12 موقعاً أثرياً ونقل أثار حجرية إلى إسرائيل .

- من وادى طبوق قامت الجامعة العبرية بتحويل قطع أثرية وعظام من ستة مواقع للمعامل .

– فى وادى زعزة تم نقل حفائر باسم مشروع روتبرج ونقل قطع حجرية به من قبل التاريخ .

– من واحة فيزان تم نقل قطع خاصة من الموقع رقم 1150 .

– من وادى خربج تم نقل نصب تذكارى يحمل نقشاً باسم الملك "سيزوستريس " خيركارع" وهو بطول متر ونصف من الآثار الفريدة لظهور نقش الملك لأول مرة بالمنطقة .

– من وادى الدير وبير الفجاجة وجبل المغارة والشيخ عواد ووادى أسلاف غانم وآثار من العصر الرومانى وتوابيت وجعارين من الدولة الحديثة ورؤوس سهام وقطع فخارية إسلامية .

– جزء من جدار منقوش بالهيروغليفية و9 قطع من القماش منهم القطعتان رقما 15742,15755 بمتحف سيدنى باستراليا .

** وفى 1989/10/1 انتحر سائح إسرائيلى بأحد فنادق الهرم بأن شنق نفسه بستارة غرفته ، وكان العميد ممدوح الجوهرى مدير المباحث قد تلقى بلاغاً من المسئولين بأحد فنادق شارع الهرم بانتحار سائح إسرائيلى داخل غرفته وانتقل العقيد عزمى بدوى مفتش المباحث ، حيث تبين أن السائح قام بربط رقبته بستارة غرفته ثم صعد فوق الثلاجة وترك نفسه حتى فارق الحياة .

** وفى العام 1989 نشرت وسائل الإعلام أن د. بورتون يهودى ، أمريكى– إسرائيلى الجنسية يعيش فى فلسطين المحتلة ويرطن بالعبرية وأنه ومعه مساعدته الإسرائيلية عملاً لأكثر من شهر فى معمل الترميم المعروف باسم "الجلسة" داخل المتحف المصرى .

والإسرائيلى ومساعدته الإسرائيلية أيضاً يوقعان يومياً فى دفتر أحوال المتحف الخاص بالشرطة والذى يوقع عليه أيضاً كل أعضاء المتحف يومياً عند القيام بأى عمليات فتح أو غلق مخازن أو معامل أو فترينات .

* وفى 1989/11/18 ووسط حراسة مشددة وإجراءات أمن غير عادية شهد مطار القاهرة تسليم متهم إسرائيلى إلى مندوبين من المباحث الفيدرالية الأمريكية لترحيله إلى الولايات المتحدة لمحاكمته هناك بتهمة قتل ضابط شرطة أمريكى . كان الإسرائيلى ويدعى " ليفى " يتزعم عصابة دولية لجلب وترويج المخدرات بين عدد من دول العالم .

حدثت مواجهة مسلحة بينه وبين الشرطة الأمريكية عندما اكتشفت محاولته إدخال شحنة من المخدرات وأثناءها أطلق ليفى الرصاص على ضابط من المباحث الفيدرالية ليلقى مصرعه ويتمكن هو من الهرب إلى مصر وأقام بها منذ عدة أشهر بمساعدة السفارة الإسرائيلية فى القاهرة التى قدمت له المساعدات مستغلة عدم وجود اتفاقية بين مصر وأمريكا لتسليم المجرمين فى الوقت الذى وزع فيه (الانتربول) نشرة بأوصافه للقبض عليه . ووصلت معلومات إلى ضباط المباحث بوزارة الداخلية عن وجود ليفى فى المعادى بالقرب من السفارة الإسرائيلية وأمكن القبض عليه ، وبمجرد علم السلطات الأمريكية طلبت تسليمه إليها لمحاكمته ولكن إسرائيل أسرعت بنفس الطلب على أساس أنه مواطن إسرائيلى .

قررت مصر تسليم الإسرائيلى إلى الولايات المتحدة لإثبات حسن النوايا وإقرار مبدأ المعاملة بالمثل لتسليم المجرمين للاستفادة من ذلك فى تسليم عدد من المتهمين المصريين الهاربين إلى الولايات المتحدة خاصة المتهمين بالاستيلاء على مبالغ كبيرة من المواطنين أو من البنوك وهربوا إلى هناك للاستفادة من عدم وجود اتفاقية تسليم مجرمين بين البلدين .

اتخذت إجراءات الأمن المشددة أثناء ترحيل " ليفى " خوفاً من قيام الموساد باختطافه فتم الترحيل فى الثالثة فجراً .

* وفى 1989/11/25 وداخل أحد الفنادق الكبرى شاهد ضابط السياحة سائحة أجنبية تستعطف رواد الفندق بطريقة لافتة فاقترب منها وكانت المفاجأة أنها

سائحة إسرائيلية تحترف التسول وضبط معها مبالغ كبيرة ودفتر شيكات على أحد البنوك الإسرائيلية ، وقد تم إحالتها لمحاكمة عاجلة .

***

ثانياً : حقبة التسعينات :

عاش التطبيع السياحى خلال حقبة التسعينات سنوات ازدهار بسبب دعم النظام له فى كافة المجالات مع تقديم عشرات التسهيلات والتنازلات ، ولعل أبرزها دخول سيناء وأغلب مناطقها السياحية من غير تأشيرة ، وفيما يلى رصد بأبرز وقائع التطبيع السياحى بين إسرائيل ومصر خلال فترة التسعينات .

* فى الأسبوع الأول من شهر يناير 1990 بدأت المفاوضات المصرية – الإسرائيلية لاستعادة القطع الأثرية التى استولت عليها إسرائيل من أراضى سيناء خلال فترة الاحتلال .وتم تشكيل لجنة للتفاوض من هيئة الآثار برئاسة المستشار محمد زكى موسى المستشار القانونى للهيئة وذلك بالتنسيق مع وزارة الخارجية ويقدر عدد القطع الأثرية بحوالى ألف قطعة .

وقال د. سيد توفيق رئيس هيئة الآثار : إن اللجنة قامت ببحث ودراسة الأوضاع القانونية لاستعادة القطع الأثرية الموجودة لدى السلطات الإسرائيلية وفى متاحفها والآثار التى استخرجت بمعرفتها من الأرض المصرية خلال فترة الاحتلال ، كما ستتولى اللجنة فحص واستلام الآثار .

وكانت مصر قد بحثت موضوع استعادة الآثار المصرية مع إسرائيل أثناء مباحثات طابا عام 1986 ، وأبدى الجانب الإسرائيلى استعداده لتسليم 500 قطعة .

القطع الأثرية الهامة التى عثر عليها تعرض حالياً بالمتاحف الإسرائيلية وبعضها نقل لمتاحف خاصة والبعض الآخر بيع لدول أوروبا وأمريكا ، كما استولى عدد من الشخصيات على بعض القطع مثل موشى ديان والذى كان يملك متحفاً خاصاً أوصى به لابنته بعد وفاته.

** فى 1990/1/21 أخلت نيابة نويبع سبيل إسرائيلى بكفالة 100 جنيه لدخوله البلاد بدون تأشيرة ، وكانت شرطة منفذ طابا قد اكتشفت أثناء خروج دويكار أران 28 سنة إسرائيلى الجنسية عن عدم تسجيل حصوله على تأشيرة دخول البلاد على جواز سفره ، فتم تحرير محضر بالواقعة وإحالته إلى نيابة نويبع .. وقرر الإسرائيلى أنه حضر إلى الأراضى المصرية بحراً مع مجموعة من زملائه فى قارب بخارى وتوجهوا ناحية منطقة دهب للبحث عن زميل لهم غرق هناك وأنهم كانوا قد حصلوا على تصريح من القنصلية المصرية بإيلات بدخول البلاد بالقارب إلا أنه ترك زملاءه بدهب وحاول المغادرة إلى إسرائيل براً لظروف خاصة به .

** وفى 1990/2/26 نشرت جريدة الشعب نقلاً عن مصادر مطلعة بهيئة الطاقة الذرية أن الباحثين بالهيئة اكتشفوا بداية ظهور تلوث إشعاعى لشواطئنا المصرية مما سيؤثر سلباً على السياحة وعلى صحة المصريين ، وهو ناتج عن المفاعل النووى الإسرائيلى ديمونة بصحراء النقب , وقد سجلت أجهزة الهيئة فى مجال الأمن النووى عدة إشعاعات ذرية لم يلاحظها الباحثون من قبل وتزيد عن المعدل الطبيعى , جاء ذلك بعد تحليل عينات من المياه والأسماك,وبعد مسح شامل للمنطقة على الحدود المصرية الإسرائيلية .

ومن ناحية أخرى طالب د. إبراهيم العسيرى رئيس هيئة الطاقة النووية بضرورة دخول مصر فى مجال الطاقة النووية لمجابهة خطر المفاعل النووى الإسرائيلى .

* فى شهر فبراير 1990 وقعت عملية فدائية استهدفت أتوبيساً سياحياً إسرائيلياً على طريق القاهرة – الإسماعيلية الصحراوى وقد قتل فيها أحد عشر إسرائيلياً وجرح أكثر من 20 آخرين ، وقد تناولت صحف " الشعب والأهالى والوفد " هذا الحادث من زوايا مختلفة فقد ركزت " الشعب " على ردود الأفعال

الإسرائيلية بعد الحادث مباشرة وتركيز شارون أن مصر قد خلقت جواً من الكراهية تجاه كل ما هو إسرائيلى .
وأشارت إلى رد فعل الصحفيين المصريين الذين يعملون فى الصحف الرسمية أمثال سمير رجب وإبراهيم سعده وغيرهم ، فقد صبّ هؤلاء هجماتهم على الفلسطينيين وعلى ياسر عرفات بصفة خاصة ، ونعتوا الفلسطينيين بالإرهاب وبكافة الأوصاف السلبية ، ونسوا أو تناسوا أن للمحتلة أرضه كامل الحق فى الدفاع والمقاومة ولو على سطح القمر وتساءلت الصحيفة أين كان هؤلاء الكتاب يوم تهجم شارون على مصر ورئيسها .
وذكرت الصحيفة أنه تم استدعاء سعيد كمال – السفير الفلسطينى بالقاهرة – للاستعلام والتباحث حول هذا الحادث ومن يقف وراءه .
وذكرت " الشعب " أن الحادث ربما يقف وراءه جهات إسرائيلية تهدف لإحراج مصر وأن إسرائيل قد استأجرت مرتزقة أو عملاء من داخل فلسطين المحتلة وتحديداً يقف مكتب آربيل شارون وراء هذا الحادث حسب معلومات توفرت للجهات والأجهزة الأمنية الإسرائيلية .
أما جريدة " الأهالى " فقد أوردت آراء بعض المثقفين المصريين حول الحادث فأشار د.محمد حسن الزيات إلى هذا الحادث لا يخدم القطبية الفلسطينية ؛ لأنه يثير تعاطف الغرب مع إسرائيل باعتبارها ضحية عمل يصفونه بالإرهابى .
أما أمين هويدى مدير المخابرات الأسبق فقال : إن اسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلى هو المسئول عن الحادث بسبب سياساته العدوانية ضد الشعب الفلسطينى ولكل فعل رد فعل.
أما المستشار مأمون الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين فقال : نريد صحوة إسلامية عربية شاملة لتحرير الأرض المحتلة وليس مجرد تفجير أوتوبس سياحى رغم أنه خطوة على الطريق ولكنها خطوة لا تكفى ، نريد

إجـراءات فعليـة علـى الأرض لبـدء الاسـتعداد الفعلـى لتحريـر الأرض – كـل الأرض العربية المحتلة وتحرير المسجد الأقصى المبارك .

وفـى سياق متصل قد يكون هذا الحـادث كـان للتمويه والتغطية عليه ، بدأت أولـى خطـوات ترحيل وتهجير اليهود السوفيت للكيـان الصـهيونى فقد رصـدت جريـدة الوفـد وصـول فـوج مـن يهـود السـوفيت للقـاهرة ، واسـتخدامه أتوبيسـات سياحية للسفر إلى تل أبيب .

وقـد دعـت الصـحيفة وزيـر السـياحة بضـرورة التـدخل السـريع لوقـف تـأجير أتوبيسات من الشركات السياحية للسفارة الإسرائيلية التى تستخدمها لنقل اليهود السوفيت لتل أبيب عبر الحدود المصرية الإسرائيلية .

** وفــى 1990/3/28 اكتشـفت الحكومــة كارثــة أثريــة جديــدة ، تبــين قيــام عصابات تهريب دولية بسرقة 90% من وثائق " الجنيزا " الخاصـة باليهود فى مصر ، وتهريبها لحساب إسرائيل خلال الفترة من عامى 79 إلى 1982، تلقى جهاز أمنى مهم معلومات تؤكد وجود معظم الوثائق بمتحف التاريخ والحضـارة فى تل أبيب ومتحف " الارتيـاج " فى روسيا ، وأكدت المعلومـات سرقة معظم الوثائق من حوش " البوصيرى " بمقابر اليهود فى البسـاتين عقب توقيـع اتفاقيـة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل دون علم هيئة الآثار ، كما أكدت المعلومـات صـدور تعليمـات سياسية عليا فى عام 1980 لبعثـة أثريـة مصـرية من جامعـة عين شمس ، بوقف الحفريات التى تقوم بها بمنطقة المقابر لاستخراج الوثائق اسـتجابة لضــغوط إسـرائيلية وأمريكيــة .ووصــفت مصــادر دبلوماسـية الطلــب الإسـرائيلى الأخيـر بالسـماح لهـا بالبحـث عـن الوثـائق بأنــه محاولــة إسـرائيلية لتغطيـة سرقتها للوثـائق فـى فترة سـابقة،وكانت "الوفـد" قد انفردت بالكشـف عن الطلب الذى تقدمت به إسرائيل إلى وزارة الخارجية يوم الجمعة الماضـى للتنقيب عن وثائق الجنيزا .

** نشرت بعض صحف المعارضة فى عام 1990 عدة أخبار وتقارير عن حرب نشر الإيدز عن طريق أمريكيين وإسرائيليين بين الشباب المصرى فبعد القبض على المتهم الأمريكى الشاذ وليم تشارلز الذى نقل العدو لمئات الأطفال المصريين بعد أن مارس معهم الشذوذ الجنسى وقد اتضح أن صديقته سارة ليست إنجليزية كما يدعى وإنما هى إسرائيلية وهى هاربة ويجرى البحث عنها وقد تم إثبات علاقة المتهم بالموساد الإسرائيلى . وقد تم التحفظ على 12 طفلاً من ضحايا الأمريكى بمحافظة بنى سويف .

وفى خطوة صادمة للرأى العام تم ترحيل الأمريكى الشاذ إلى الولايات المتحدة دون أى إجراء قانونى مما يمثل إهداراً للكرامة والسيادة الوطنية .

وفى ذات السياق حكمت محكمة جنح العجوزة بالسجن عاماً على بريطانى يدعى بول ديفيد ساتيون لقيامه بأعمال جنسية شاذة مع أطفال مصريين مع تصويرهم فى أوضاع مخلة وكأنه هجوم ممنهج ضد شعب وشباب مصر لنشر الإيدز بين أبنائه.

أما فى الجانب النسائى فتأتى الفتيات الإسرائيليات فى الصدارة حيث تم احتجاز 25 فتاة إسرائيلية بمستشفى حميات العباسية مصابات بالإيدز خلال عامين فقط كان شغلهن الشاغل نشر الإيدز بين أكبر عدد من الشباب المصرى.

وفى واقعة أخرى تم تهريب ثلاث فتيات إسرائيليات مصابات بالإيدز من مستشفى العباسية فى ظروف غامضة .

** وفى 1990/4/4 أرسل فؤاد سلطان – وزير السياحة – مذكرة عاجلة لعمدة " إيلات " بإسرائيل تتضمن احتجاجاً على تصرفات إسرائيل بالمنطقة الواقعة بين طابا وإيلات وتوسعها فى استخدام التسهيلات السياحية الممنوحة للجانب الإسرائيلى طبقاً لاتفاق طابا وإساءة استخدامها لبنود الاتفاق السياحى بين وزير السياحة المصري والإسرائيلى .

وكانت إسرائيل قد قامت ببناء 13 منشأة سياحية على مسافة 12 كيلو متراً بين إيلات وطابا. بمواصفات مخالفة لبنود الاتفاقية من حيث الارتفاعات كما نظمت رحلات بحرية من إيلات لجزيرة فرعون مقابل رسم دخول خمسة دولارات بينما حصلت إسرائيل على 100 دولار على الفرد .

** وفى 1990/5/29 أعلن فؤاد سلطان وزير السياحة أن الحكومة لا تستطيع منع الأجانب ولو كانوا إسرائيليين من شراء وحدات القطاع العام المعروضة للبيع ! .

وقال فى الندوة التى نظمتها نقابة الصحفيين : إن القوانين السارية حالياً فى مصر وأهمها قوانين استثمار رأس المال العربى والأجنبى تشجع الاستثمار الأجنبى فى مصر وتدعو إلى المزيد منه فكيف تقف الحكومة أمام الأجانب؟.

** وفى 1990/5/22 أحبطت شركة مطار القاهرة محاولة لهجرة يهودى أفريقى من دولة " ليسوتو " إلى إسرائيل ماراً بالقاهرة .. عبر خطوط شركة العال الإسرائيلية القادمة من لاجوس .

** وفى 1990/12/22 استعادت مصر بعضاً من كنوزها الأثرية المهربة إلى إسرائيل .. الكنوز كان قد هربها سائح ألمانى فى سيارته عام 1989 عبر منفذ طابا ، وهى تضم مئات من العملات الذهبية والفضية والبرونزية ومجموعة رائعة من التماثيل والقطع الأثرية التى ترجع إلى مختلف العصور المصرية منذ العصر الفرعونى وحتى العصور الإسلامية .

** وفى شهر ديسمبر 1991 أكدت مصادر مسئولة بمطار القاهرة الجوى أن شركة " عمانويل " الصهيونية نظمت 8 رحلات جديدة لتهجير اليهود الأفارقة عبر مطار القاهرة الجوى إلى تل أبيب ، أثبتت تأشيرات الجوازات بالمطار أنه قد تم إقلاع "4" رحلات عبر شركة إير سينا المصرية و"4" رحلات أخرى عبر خطوط العال الإسرائيلية على مدى أسبوعين متتاليين تحت حجة سفر الحجاج النيجيريين الكاثوليك للقدس.

وأكدت وسائل الإعلام أنه بتاريخ 1991/12/1 تم هجرة نحو 40 يهودياً إفريقياً من ضمنهم 30 نيجيرياً وفى يوم 12/4 تم هجرة 35 يهودياً إفريقياً من بينهم 24 حاجاً نيجيرياً , ويوم 12/6 "30" يهودياً ضمن30 حاجاً نيجيرياً ويوم 12/8 تم تهجير 40 يهودياً من ضمنهم 30 حاجاً نيجيرياً.

وكشفت المصادر أن ما قامت به شركة عمانويل الصهيونية لتهجير يهود إفريقيا كان يعد بداية لتهجير عدة آلاف من اليهود من جنوب إفريقيا.

**وفى 1991/9/3 ضبطت مباحث الآثار بالإسماعيلية تمثالاً برونزياً يرجع للعصر البيزنطى المتأخر بحوزة تاجر أردنى اشتراه من إسرائيل وعرضه للبيع بالإسماعيلية .

وفى نهاية عام 1991 كثرت شكاوى تجار رفح المصريون من التدفق الهائل للسلع الإسرائيلية رخيصة الثمن على المدينة والمدن المجاورة وصولاً إلى العريش والتى تدخلها من دون رسوم جمركية عبر شنط وأمتعة المسافرين ، إذ إنها تنعكس عليهم حالاً من الركود الشديد ، فضلاً عن أنها خفضت الأسعار إلى نسب لا يستطيعون معها الاستمرار فى هذه المنطقة الحدودية .

** فى 1992/3/23 أرسل ديفيد بارون مدير الإحصاء بوزارة السياحة الإسرائيلية بمذكرة إلى وزارة السياحة المصرية تتضمن احتجاج الكيان الصهيونى على معاملة نقاط التفتيش فى رفح وشرم الشيخ ودير سانت كاترين للسائحين الصهاينة خلال عام 1992 وعدم تحرك وزارة فؤاد سلطان لإدانة هذا الموقف عبر وسائل الإعلام .

من ناحية أخرى أشارت آخر الإحصاءات إلى انخفاض أعداد السائحين الصهاينة من 24.3 ألف سائح خلال 1990 إلى 4آلاف فى فبراير 1992 .

* وفى 1992/7/9 كشفت تحقيقات نيابة الطور بجنوب سيناء عن أن اليخت الإسرائيلى الذى كان يتجول بحجة السياحة قام بسرقة ثروات مائية ونشرت الصحف نقلاً عن مصادر جهات التحقيق أن الباحثين الإسرائيليين استولوا

علـى الكائنـات المائيـة والشـعب المرجانيـة النـادرة لإجـراء الأبحـاث والدراسـات عليها من استخلاص المواد الكيماوية والمبيدات النباتية التى تؤدى إلى تدميرها والقضاء عليها .

وجهت النيابة إلى المتهمين الإسرائيليين تهم الاتلاف العمد ونقل أحياء مائية وشعب مرجانية بدون تصريح .

من جانب آخر أكد اللواء السيد النبوى مدير أمن جنوب سيناء للصحف : أن الأحياء المائية والشعب المرجانية التى استولى عليها الإسرائيليون من الأنواع النادرة جداً .

** وفـى 1992/7/9 ذكـرت مصـادر أمنيـة رفيعـة المسـتوى للصـحف أن السلطات الإسرائيلية نجحت فى إنجاز عملية تهجير جديدة لنقل نحو 3000 يهودى أثيوبى من يهود الفلاشا إلى إسرائيل عبر المجال الجوى المصرى خلال شهر واحد .

كشفت المصادر أن السلطات الإسرائيلية استخدمت 8 طائرات جامبو حمولة 460 راكباً تابعة لخطوط الطيران الأثيوبية والقبرصية مروراً بالمجال الجوى المصرى .

** فى 1992/8/4 نشرت صحف المعارضة تفاصيل أخطر مشروع لتوثيق العلاقات مع الإسرائيليين ، ويهدف المشروع لإنشاء لجنة عليا برئاسة رئيسي وزراء مصر وإسرائيل لتفعيل التكامل السياسى والسياحى والصناعى والزراعى وذلك بالعمل لإزالة الحواجز النفسية التى خلفتها الحروب الماضية بين مصر وإسرائيل ودفع الدول الخليجية للمشاركة مع مصر وإسرائيل فى مشاريع اقتصادية عدة .والعمل على إنشاء لجان فرعية.

– اللجنة السياحية لتنشيط السياحة بين مصر وإسرائيل وفى الصناعة يتم العمل لإنشاء مشاريع اقتصادية وصناعية للصناعات المشتركة وغيرها من

المجالات التى تهدف لأن تكون إسرائيل الشريك الاقتصادى والسياسى الأول لمصر .

** **فى مغامرة صحفية تنكر خلالها الصحفى ياسر زارع** كمساعد مرشد سياحى نشرت "جريدة مصر الفتاة فى 1994/2/15 تحقيقاً صحفياً بعنوان " جواسيس فى حماية الشرطة " حيث وصف الصحفى تفاصيل رحلة سياحية لفوج إسرائيلى منذ وصوله حتى رحيله فقال التقرير :

- حرص أعضاء الفوج على حمل كاميرات فيديو لتسجيل الرحلة أولاً بأول!.

- دخل الفوج عن طريق طابا البرى إلى سيناء ثم إلى بورسعيد لشراء المنتجات رخيصة الثمن خاصة التونا وفى اليوم الثانى رفضوا التحرك إلا بعد وصول سيارة الشرطة لتأمين تحركاتهم وعندما وصلوا إلى الأهرامات قال أحدهم : أجدادنا هم من بنوا الأهرام بالقهر والذل فرد عليه المرشد السياحى بكل حزم وكذَّب ادعاءاته .

- يذكر الصحفى فى تقريره وقوع عدة مشاجرات بين أعضاء الفوج السياحى لأسباب مالية بحتة .

- ذكر التقرير حرص السياح الإسرائيليين على زيارة قبر السادات ، عندما ذهبوا لزيارة مدافن اليهود بالبساتين ذكر أحدهم أن الحكومة الصهيونية ضغطت على المصريين لتعديل مسار كوبرى كان مزمعاً إنشاؤه حتى يتم الحفاظ على مقابر اليهود .

- حرص السياح على شراء منتجات وطنية مصرية من محلات بنزايون وصيدناوى لرخص ثمنها .

- رفض صاحب أحد المحلات البيع لهم عندما عرف أنهم يهود. بعد ثلاثة أيام ذهب الفوج للإسكندرية بالطريق الزراعى لكى يمروا على قبر أبو حصيرة فى إحدى القرى بالبحيرة . بعد عودتهم للأرض المحتلة يذهب أعضاء الفوج السياحى لمقر الموساد لتفريغ أشرطة الفيديو لضباط الموساد.

** وفـى 1994/12/13 نشـرت جريـدة الشـعب تقريـراً عـن الزيـارات السـياحية الدينية لأقباط مصر للأراضـى العربية المحتلـة رغم قرار شنودة الثالث بطريرك الإسكندرية بمنع زيارة الأماكن المسيحية المقدسة فى الأراضى المحتلة إلا تحت الحكم الفلسطينى بحسب ما تعهد به لياسر عرفات، ولكن ما يحدث علـى أرض الواقع كان مخالفاً لهذا تماماً ؛ فإعلانات السفر للأراضـى المحتلـة أكثر من أن تحصى عبر شركات سياحية معينة وذلك فى جريدة وطنى القبطية .

فضـلاً علـى أن مطـران القدس كـان يـرفض اسـتقبال أى مصـرى يسـافر للقـدس التزاماً بقرار شنودة إلا أنـه استقبل مؤخراً وفد رجال الأعمال المصـريين برئاسـة سعيد الطويل وضم رجال أعمال وأقباطاً .

ولا يمكن لمطران الأنبا إبراهام أن يستقبل هذا الوفد إلا بموافقة شنودة الثالث، فهل كـان شـنودة فعـلاً ضـد التطبيـع وضـد سـفر المسـيحيين للأراضـى العربيـة المحتلة ؟! .

** فى 1995/3/27 أكدت المصادر الرسمية أن عدد من السياح الإسرائيليين جاء فى المركز الخامس فى ترتيب الدول التى سجل مواطنوها زيادة فى عدد الليالى السياحية بمصـر خـلال شـهر ينـاير 1995 فقط بزيادة قدرها 171.9% من السائحين الإسرائيليين .. حيث بلـغ عدد السائحين الذين زاروا مصـر خـلال ينـاير 1995 ، 196 ألـف سـائح بزيـادة 15 ألـف سـائح عـن نفس الشـهر مـن العـام الماضـى ، وقـد احتـل السـائحون الألمـان المركـز الأول وتلاهـم الـروس فالأمريكان (من تقرير لوزارة السياحة) .

** فـى 1996/5/13 نشـرت مجلـة " روزاليوسـف " تحقيقـاً عـن العـلاج فـى إسـرائيل وعـن الدعايـة الكبيـرة والضـخمة للمستشـفيات والأطبـاء الإسـرائيليين خاصة بعد سفر شخصيات مصرية معروفة مثل ابن مصطفى خليل –مهندس التطبيـع – مـع إسـرائيل ورئـيس الـوزراء الأسـبق، كـذلك عـلاج محمـد بسـيونى السفير المصـرى فـى تـل أبيـب بعد تعرضـه لأزمـة قلبيـة ، وعلـى سـالم الكاتـب

المسرحى وأحد دعاة التطبيع مع إسرائيل برر سفره عدة مرات لتل أبيب تحت زعم إجراء فحوصات طبية ، وإسرائيل لا تتفوق على مصر على الإطلاق فى المجال الطبى ولكنهم استغلوا وجود طبيب أمريكى يهودى أقام مستشفى استثمارياً بتل أبيب وضخموا الدعاية على أنهم متفوقون طبياً وهذا غير صحيح .

وكشف التحقيق أن هناك سيدة أعمال يهودية تدير شبكة لاجتذاب المرضى المصريين خاصة من طبقة رجال الأعمال للعلاج فى إسرائيل ، وهذه السيدة تدعى " ميرى " هاجرت لإسرائيل بعد 1967 عرضت على بليغ حمدى العلاج فى إسرائيل ولكنه رفض .

وطالب د. على عبد الفتاح وزير الصحة الأسبق ود. حمدى السيد نقيب الأطباء وقتها بسن قانون يجرم السفر لإسرائيل للعلاج .

**** وفى إطار الرصد والتحليل عن التطبيع السياحى بين مصر وإسرائيل فى العام 1996 يلاحظ وفقاً للمصادر الإعلامية ارتفاع** أعداد السياح الإسرائيليين القادمين إلى مصر فى الآونة الأخيرة ، رغم زيادة التوتر السياسى فى المنطقة عقب تعثر مسيرة السلام .وكشفت الإحصاءات الصادرة عن " الجهاز المركزى المصرى للتعبئة والإحصاء" زيادة عدد السياح الإسرائيليين بنسبة 11 فى المئة فى الفترة من (يناير) إلى (أكتوبر) من السنة الجارية وبلغ عددهم 284.7 ألف سائح مقارنة بالفترة نفسها مقابل 256.4 ألف العام 1995 ، وتظهر الإحصاءات تصدر إسرائيل المركز الثالث بالنسبة إلى عدد السياح القادمين إلى مصر بعد ألمانيا وإيطاليا .

وأكدت الاحصاءات زيادة عدد الليالى السياحية التى أمضاها الإسرائيليون فى مصر فى الفترة من كانون الثانى (يناير) إلى (أكتوبر) 1996 ، إذ بلغ عددها 2.254 مليون ليلة سياحية فى حين بلغ عددها فى العام 1995 ، 698 ألف ليلة سياحية .

تجدر الإشارة أن إحصاءات الحركة السياحية الإسرائيلية الوافدة إلى مصر فى عام 92/1991 بلغت 130 ألف سائحة بمعدل زيادة قدره 81.1 فى المئة مقارنة بعام 91/90 .

كما انخفض عددهم عام 93/1992 فوصل إلى 109 آلاف سائح نتيجة أحداث العنف فى ذلك الوقت ، وتشير الإحصاءات التى تصدر إسرائيل المرتبة الثانية بين الدول العشر المصدرة للسياح إلى مصر خلال الربع الأول من عام 1994 إذ بلغ عددهم 190 ألف سائح بزيادة 3.8 فى المائة عن الفترة نفسها من عام 1993 ، وبلغ عددهم عام 1994 نحو 213 ألفاً بينما بلغ عدد الليالى السياحية 717.8 ألف ليلة سياحية .وفى عام 1995 بلغ عدد السياح الإسرائيليين 295.9 ألف سائح وعدد الليالي 796.7 ألف ليلة سياحية .وأكدت المعقومات الصحفية أن الزيادة تعود إلى عوامل اقتصادية عدة ممثلة فى وجود علاقات عمل واستيراد وتصدير يقوم بها القطاع الخاص بالإضافة إلى قصر الوقت الذى تستغرقه الرحلة من إسرائيل إلى مصر وسيناء على وجه الخصوص .

ووافق صاحب شركة سياحة مصرية تحدثت إليه جريدة " الحياة " فى 1997/4/7 على هذا الرأى وقال : إن نسبة السياح الإسرائيليين الذين يصلون إلى مصر عن طريق البر بلغت 91.7 فى المئة ، وأن السائح الإسرائيلى لا يأتى إلى مصر بغرض السياحة ، ولكن للتجارة وهو ما يفسر أن أغلب الزوار الإسرائيليين تتركز إقامته فى سيناء ولا يذهب إلى القاهرة أو الأقصر أو أسوان .

وأشار إلى أن نسبة السياح الذين يصلون جواً بلغت 4.8 فى المائة ، بينما الرحلات السريعة لا تمثل سوى ثلاثة فى المئة من مجموع الزوار الإسرائيليين لمصر ، وقال : إن انخفاض أسعار الإقامة والمأكولات فى الفنادق المصرية مقارنة بأسعار الفنادق فى منطقة إيلات ساهم فى زيادة عدد السياح

الإسرائيليين حيث تبلغ كلفة الإقامة لمدة أسبوع فى مدينة شرم الشيخ 300 دولار أمريكى تمثل سعر ليلتين يقضيهما السائح فى منطقة إيلات .

** وفى مقابل هذه الحقائق ادعت إسرائيل أن مصر قامت مؤخراً بخفض عدد المصريين الذين يسافرون إلى إسرائيل للسياحة .

ذكرت صحيفة معاريف أن إسرائيل قالت : إن مصر وضعت قيوداً مشددة على السفر إلى إسرائيل بشكل علنى ، مما جعل عدد السياح يقل إلى 13 ألف سائح مصرى فى عام 1996 بعد أن كان قد وصل إلى 30 ألف سائح فى عام 1995 .

كما ذكرت الصحيفة الإسرائيلية أن السفارة الإسرائيلية فى القاهرة أرسلت تقريراً إلى خارجيتها ذكرت فيه أن عدد المصريين المتقدمين لاستخراج تأشيرات السفر قد قل بشكل لم يحدث من قبل حتى أن العدد أصبح فى عداد المئات .

وفى 1997/5/14 نشرت صحيفة الدستور المصرية المستقلة تقريراً مهماً تحت عنوان "**أسماء عشر شركات تقف وراء سفر المصريين لإسرائيل** " **جاء فيه :**

أثار قرار إلغاء رحلات الحج الخاصة بالمصريين الأقباط إلى القدس جدلاً واسعاً داخل شركات ووكالات السياحة فى مصر خاصة من الشركات المستفيدة من التطبيع السياحى , وكشف فى نفس الوقت الستار عن صراع تلك الشركات والوكالات على سوق السياحة الإسرائيلية !!

أشارت الصحيفة إلى حركة السياحة المصرية إلى إسرائيل فى عام 1996 فقد قاربت الـ25 ألفق سائح مصرى سافر ما يقرب من 80% منهم بغرض السياحة الدينية .

وأشار العاملون فى الوسط السياحى المصرى إلى 10 شركات كبرى هى المسئولة عن التعامل السياحى مع إسرائيل , وهى " بنو" للسياحة , "نبتون" , " هيبتون" , " هولى لاند" , "استمر" , "حابى" , "لاكى" , "ترافكو" , "5 قارات" , "ماجى تورز" .

أما الشركات التى أوقفت تعاملها فهى "إمكو ترافيل" , "الفراعنة" , "إيزيس" , "جاز" للسياحة" .

** وتعليقاً على تزايد التطبيع السياحى أعلن إلهامى الزيات رئيس غرفة شركات السياحة وأحد المتعاملين الأوائل مع سوق السياحة الإسرائيلية منذ عام 1980 بجرأة غريبة وكأنه يتحدث عن شيء يدعو للفخر :

" نعم كنت أول المتعاملين مع هذه السوق لجلب مجموعات سياحية إسرائيلية إلى مصر ، أما الآن فلم أعد أعمل فيها لتدنى الأسعار وهامش الربح على السائح الواحد الذى هبط إلى دولار واحد .. فكثير من الشركات المصرية دخلت هذه السوق وتتنافس عليها بشكل كبير.

** نشرت صحيفة " العربى " فى 1997/10/26 أنه أثناء الاحتفال بشهداء معركة العلمين فوجئ الحاضرون بوجود السفير الإسرائيلى ومدير الأمن بالسفارة الإسرائيلية وزوجتيهما مما تسبب فى إثارة مشاعر الحاضرين وتجنب السفراء الأجانب الحديث معهم لعدم إثارة غضب المصريين .

** نقلت الحياة عن مصادر صحفية ودبلوماسية عن ارتياحهما الشديد بعد نقل المستشار الصحفى للسفارة الإسرائيلية فى القاهرة بسبب أسلوبه المستفز مما أدى لعزله فى مكتبه بالسفارة .

** وفى سياق متصل أبدت أمريكا غضبها بسبب الحملة الصحفية المصرية ضد رئيس مجلس النواب الأمريكى نيوت جيبرجيتش الموالى لإسرائيل بسبب تصريحاته العدائية ضد العرب والفلسطينيين .

** وفى عام 1997 واصلت أجهزة الأمن البحث عنة سيدة أعمال إسرائيلية تدعى فيفا جيفنى "55 سنة" – نجحت فى النصب على أكثر من 12 شركة سياحة مصرية واستولت على أكثر من مليون دولار وهربت إلى إسرائيل .

** وفى أغسطس 1997 كشفت التقارير الإحصائية الأخيرة لحركة السياحة إلـى مصـر أن انخفـاض معـدلات السـياحة الإسـرائيلية لمصـر بنسـبة 18% وانخفضت عدد الليالى السياحية بنسبة 23.5%.

** وفـى نـوفمبر 1997 قالـت صـحيفة " يـديعوت أحرونـوت " فـى عـددها الأسبوعى : إن القائمة السوداء للإسرائيليين فى مصر تضم 1500 شخص وأن 30% من الذين يتقدمون بطلبات للسفارة المصرية فى تل أبيب يتم رفض طلباتهم ، والتقرير المهم الذى نشرته "يديعوت أحرونوت " يمتلىء بالعديد من الافتراءات ضد المصريين حيث تزعم الصحيفة أن غالبية الموجودين على القائمة السوداء أبرياء وأن التصنيف المصرى عشوائى لكنها على حياء تقول : إن بعض الإسرائيليين أدخلوا مخدرات لمصر !! لكن الأهم فى كل الأحوال هو إجماع الإسرائيليين على كراهية المصريين لهم وأن غالبية من تبقى من رجال أعمال فى القاهرة يفكرون فى العودة لتل أبيب.. ولأهمية ما نشرته "يديعوت أحرونوت" فإننا ننشر جزءاً من النص كما جاء فيها " فى شهر يوليو 1997 عندما صعدت "ديفورا جنانى " على سلم الطائرة مع رئيس حزب العمل إيهود باراك الذى كان يزور القاهرة كانت متأكدة من أن تلك هى المرة الأخيرة لها فى مصر وأنها لن تخطو مرة أخرى لهذا البلد على الأقل لفترة طويلة ، وكان هذا الموقف بالنسبة " لجنانى " عبارة عن طرد متسرع وأيضاً مخجل وبالنسبة للمصريين كانت الطريقة السليمة كى يتم التوضيح لإسرائيل أن العلاقات بين الطرفين ليست على ما يرام ، ومنذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد اكتشف آلاف المواطنين الإسرائيليين أنهم يدفعون ثمن السلام البارد فلقد وضعتهم الحكومة المصرية فى القائمة السوداء وتم منعهم بصورة مبالغ فيها للحضور لمصر مرة أخرى ووقفت السفارة الإسرائيلية ووزارة الخارجية الإسرائيلية عاجزة عن فعل شىء أمام توجهات الحكومة المصرية .

وفى حادثة " جنانى " الطريدة الشهيرة كانت هناك بعض العلامات تفيد بحدوث وتدبير مؤامرة فمنذ حوالى أربع سنوات عندما جاءت إلى مصر لتكسر الحاجز السياسى البارد ولإقامة العديد من المشروعات كانت تبدو فى مصر كرمز للتطبيع وكان لها سجل حافل حيث كانت متحدثة وزارة الصحة والقضاء والسياحة ، وأيضاً كانت مستشارة لوزير المالية ومستشارة لزوجة الرئيس السابق اسحق نافون ولقد بدأت فور وصولها إلى القاهرة محاولات إنشاء شركات إسرائيلية وأمريكية فى مصر بدأت تؤتى ثمارها .. ولكنها منذ عامين أصبحت تعرف باسم " العميلة " بعد الكتاب الذى نشر عنها فى مصر بعنوان " عملية ديفورا " والذى قال : إنها خدمت من قبل فى الموساد وإنه قد جاء على لسانها أن إعطاء الرشاوى للمسئولين هو الطريق الوحيد للحصول على موافقة إقامة مشروعات من مستثمرين أجانب فى مصر .

["**ملحوظة**" مؤلف الكتاب هو عادل السنهورى المحرر بجريدة " العربى " التى انفردت وقتها بنشر هذه المعلومات وفى اللحظة التى انتشر فيها هذا الكلام عن طريق الصحف المصرية زادت الأصوات المنادية بضرورة ترحيلها على الفور] .

وكانت العديد من الصحف المصرية مثل " الأهالى " و" الدستور " و" العالم اليوم " قد نشرت أخباراً متفرقة عن تجاوزاتها الأمنية قبل ترحيلها بأيام وربما كان هذا على سبيل التحذير ، لكن جنانى تجاهلت هذه الأخبار رغم أن هذا الأسلوب معروف لدى رجال الأعمال الإسرائيليين فى مصر .. فإحدى الإسرائيليات تم اتهامها بعلاقات رومانسية وقصص حب وتم الإشارة لها بعدم العودة مرة أخرى وهناك رجل أعمال آخر تم الكتابة عنه باستفاضة شديدة ولقد فوجىء عندما قام بطلب تجديد تأشيرة الدخول لمصر أن طلبه قد قوبل بالرفض وأن الموظفين فى المطار قالوا له : إنه من الآن فى القائمة السوداء .

وفـى 15 يوليـو 1997 وبعد قضـاء فترة قصـيرة فـى إسـرائيل كإجـازة هبطـت " جنـانى " إلـى مصـر وفـور هبوطهـا مـن الطـائرة تـم القبض عليهـا فـى المطـار بتهمـة تجـاوزات أمنيـة وتـم التحقيـق معهـا لعدة سـاعات وفـى نهايـة التحقيـق تـم نقلها إلى حجرة خاصة وهناك بقيت تحت حراسة مكثفة بدون طعام أو شراب ، ولقد وافق المصريون على إخلاء سبيلها فقط بعد تدخل زعيم المعارضـة إيهود باراك ولقائـه بـالرئيس حسنى مبارك ووزير الخارجيـة عمرو موسـى وفـى النهايـة تم طردها من مصر دون إبداء أسباب وقيل لها : لن يمكنك العودة مرة أخرى" .

** **فى 1998/1/26 نشرت صحيفة " العربـى** " وثيقة إسرائيلية جاءت ضمن كتـاب "معجـم أرض إسـرائيل" البـاحثين الإسـرائيليين فـى علـم الجغرافيـا ، وقـد اعترفا بأن إيلات هى نفسها قرية أم الرشراش المصرية وأن منطقة إيلة تبعد من المثلث الحدودى المصرى بحوالى تسعة كيلو مترات وهـى أيضـاً قريـة نجمـة الصبح العربية .

وقـد أكـد اللـواء محمـد نبيـل أن أم الرشـراش وطابـا امتـداد طبيعـى للأراضـى المصـرية ، ودعـا د.سيد عليوة الأسـتاذ بكليـة سياسـة واقتصـاد بجامعـة القـاهرة بضرورة ملف الحدود مع تحقيق كامل السيادة المصرية على أراضينا .

وطبقاً للوثيقـة التـى نشـرت فـى هذا الكتـاب أثبـت الباحثـان الإسـرائيليان أفـرايم ومنـاحم تـالمى بعد أن حصـلا علـى نسـخة مـن هـذه الخريطـة أن أم الرشـراش المصرية هى ما يطلق عليه إيلات حالياً وأن منطقة إيلـة التـى جاء ذكرها فـى التوراة هى قرية نجمة الصبح العربية .

** فــى 1998/3/2 نشــرت صــحيفة " الدســتور " تقريــراً عــن وجــود بعثــة صـهيونية فـى الإسماعيلية والشرقية بحثـاً عن رفـات جنـود صـهاينة فقدوا أثنـاء العمليـات العسـكرية أثنـاء حـرب 1973 ، ومعظـم هـؤلاء الجنـود مـن السـلاح

الجوى الإسرائيلى وقد عثرت البعثة على رفات جنديين صهيونيين مفقودين منذ 1973 بمنطقة أبوكبير بالإسماعيلية .

** نشرت " روزاليوسف " فى 1998/3/23 تقريراً عن نشاط الإسرائيليين المتزايد فى تجارة المخدرات وكذلك نشر العقائد الدينية الفاسدة ومنها عبادة الشيطان فى سيناء .

وأورد التقرير الحالات التى ضبط فيها إسرائيليون متلبسين بحيازة مخدرات ومنها أوديت روتمان المتهم أيضاً بترويج عبادة الشيطان بين نزلاء الفنادق والأهالى من ساكنى سيناء . ثم كانت قضية شيمون داهان المتهم بترويج المخدرات أيضاً فى سيناء .

** وفى سياق غير بعيد نشرت بعض الصحف أن إسرائيل تساوم مصر لمبادلة الجاسوس عزام عزام بالصيادين المصريين السبعة المعتقلين فى إسرائيل وأن المحامى الإسرائيلى مائير زيف يتولى إنهاء الصفقة .

وفى مارس 1998 أصدرت محكمة جنايات جنوب سيناء حكماً مشدداً بالأشغال الشاقة المؤبدة على الإسرائيلى أوديت روثمان فى القضية – رقم 869 لسنة 1997 جنايات دهب – لإتجاره فى الحشيش والبانجو والأفيون وترويجها فى القرى السياحية بسيناء بعد جلبها من إسرائيل .

هذا هو الخبر .. أما القصة فتفاصيلها مثيرة .. وهى ليست فصلاً عادياً فى مسلسل جرائم الإسرائيليين فى مصر .

فقد حظيت قضية أوديت روثمان باهتمام أكبر فى الدوائر الدبلوماسية والقضائية فى مصر وإسرائيل ، على اعتبار أن هذا هو الحكم القضائى الثالث الذى تصدره محكمة واحدة ضد إسرائيليين أدينوا فى قضايا مخدرات مختلفة فى أقل من سبعة أشهر .

ففى أغسطس عام 1997 أصدرت نفس المحكمة – محكمة جنايات جنوب سيناء – حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة (25 عاماً) على الإسرائيلى شيمون

داهان فى القضية رقم 167 لسنة 1996 كلى جنوب سيناء لإتجاره فى المخدرات .. وقبلها صدر حكم آخر بالحبس لمدة سنة وغرامة عشرة آلاف جنيه على الإسرائيلى بوشيا الحايك بعد أن تحولت قضيته من إتجار إلى تعاط .

وزاد القصة إثارة أنه قبل القبض على الإسرائيلى روثمان متلبساً فى قضية المخدرات كانت قد أثيرت ضده اتهامات بين نزلاء القرى السياحية فى دهب وشرم الشيخ والعاملين المصريين فيها بالترويج لطقوس ومعتقدات عبادة الشيطان كما هو متعارف عليها داخل إسرائيل .

وفى 1998/5/11 سئل مردخاى ليفى الإسرائيلى الذى اخترق الحدود المصرية عند طابا: أين بطاقتك الشخصية فقال : إن عقيدته تمنع التصوير أو حمل المستندات .وقال : إنه جاء هارباً من الأوضاع فى إسرائيل ، فى الوقت الذى سارع فيه ممثل السفارة الإسرائيلية بتسديد الغرامة عنه وبينما زعمت إسرائيل أنه مضطرب نفسياً ، أكد المحققون المصريون أنه فى كامل قواه العقلية .وعاد مردخاى إلى إسرائيل بعد أن صافح الحراس المصريين وشكرهم على حسن المعاملة وساندويتش الطعمية الذى قدموه له ، ولم يجب أحد عن السؤال : لماذا جاء .. ولماذا رحلوه؟.

** وفى عام 1998 نشرت صحف عربية عدة منها (الحياة اللندنية) معلومات عن عمليات تهريب كبرى لـ " بضائع بشرية " عبر الحدود مع إسرائيل ، تنقل خلالها الأيدى العاملة من روسيا وجمهوريات الكومنولث إلى إسرائيل عبر الأراضى المصرية ، على رغم الإجراءات الأمنية الشديدة التى تتخذها القاهرة على المنافذ الحدودية فى سيناء .

وتشير المعلومات إلى أن شركات سياحية تتولى تسهيل مرور عمال من مولدافيا إلى إسرائيل عبر الأراضى المصرية التى يصلون إليها تحت غطاء القيام برحلات سياحية إلى منتجعات شرم الشيخ والغردقة .

وقال خبير سياحى عربى فى موسكو على صلة مباشرة بعمليات " الترانسفير" : إن عدداً من الشركات المولدافية التى لها ارتباطات داخل إسرائيل ، ترسل الراغبين فى الحصول على عمل إلى موسكو حيث يحصلون على رحلات سياحية من شركات مسجلة فى روسيا ويملكها مواطنون عرب .

وفى مصر يستقبل مندوبو الشركات السياحية الزبائن ويوزعونهم على فنادق الدرجة الثالثة الرخيصة ، لكن هؤلاء السياح لا يلبثون أن يختفوا بعد أيام قليلة على وصولهم .

**** وفى اطار العلاقات السياحية – السياسية ففى الأول من شهر يوليو 1999 كتب مؤلف هذه الموسوعة مقالاً فى جريدة الشعب المصرية يحمل عنوان** " **شباب للسلام أم شباب للتجسس** " وكان يتحدث عن مؤتمر إسرائيلى مصرى شبابى يرعاه أحد أقرباء د. يوسف والى وزير الزراعة ورجل إسرائيل الأهم فى مصر (*) ولأهمية المقال وموضوعه نعيد نشره نصاً: وقع فى أيدينا بالأمس فقط [وثيقة خطيرة] ، سوف تصبح بعد أيام (حقيقة مُرة) إذا لم يتداركها المسئولون فى مصر ؛ الوثيقة عنوانها [مؤتمر شباب السلام وآفاق التنمية الاقتصادية] وتتضمن البرنامج التفصيلى لموضوعات ، ومواعيد وشخصيات هذا المؤتمر المشبوه الذى سيرافق كما تقول الوثيقة انعقاد مؤتمر كوبنهاجن للسلام المزمع عقده فى مصر صباح يوم 1999/7/5 (أى : الاثنين القادم) ، والذى أشرنا فى دراسة أخرى لنا لمخاطره وكونه مجرد لقاء بين " قتلة وسماسرة " ، " قتلة " من الموساد الإسرائيلى والمخابرات الأمريكية والأجهزة العربية المشبوعة ، و" سماسرة " من بعض الإعلاميين والسياسيين المصريين والعرب .

الآن ..

---

* انظر صورة وثائقية لبرنامج المؤتمر فى قسم الوثائق المصورة فى نهاية الموسوعة.

فى أيدينا برنامج مواز ومكمل ، لهذا اللقاء القادم ، وهو يكشف عن حقائق خطيرة ، ومعلومات مهمة نوجزها فيما يلى :

أولاً : الداعى لمؤتمر الشباب هذا والمنسق المصرى له هو المهندس / محمد إبراهيم والى وهو قريب الدكتور يوسف والى وزير الزراعة ونائب رئيس الوزراء المصرى وأمين عام الحزب الوطنى الحاكم ، ورجل التطبيع الأول فى مصر ، الذى شهدت الزراعة المصرية ، والشباب المصرى على يديه انتكاسات خطيرة هى الآن موضوع محاكمة للزملاء فى جريدة "الشعب" ، وهى حديث الوسط السياسى المصرى والعربى ، والسؤال : أليس فى تولى المهندس محمد إبراهيم والى دور المنسق لهذا المؤتمر ، ما يؤكد طبيعة العلاقة الخاصة والمتجاوزة – فى الغالب – الأطر الحكومية التقليدية التى تربط هذه الأسرة (أسرة والى) بالجانب الإسرائيلى وبقضية التطبيع ؟ .

ثانياً : يتضمن البرنامج (الذى آمل أن تنشره صحيفتنا كاملاً) أن مراسم الافتتاح والتعارف والمناقشة والتى ستبدأ صباح يوم 1999/7/5 ستتضمن مناقشة مسيرة السلام فى الشرق الأوسط وأن المنسق الإسرائيلى (مستر موطى أفربوح) سيتولى ذلك وأنه مع الظهر سينقسم الشباب إلى مجموعات عمل تناقش ما يلى : 1 – المستوطنات والعنف . 2 – تنفيذ الاتفاقات . 3 – التعاون الإقليمى . 4 – ثقافة السلام) ، ثم تقدم تقارير عن حواراتها ، وهذه الموضوعات كما هو واضح ومعلن سوف تكون المحاور الرئيسة للمؤتمر الآخر المشبوه / مؤتمر كوبنهاجن ، والمطلوب أولاً اختراق وتدريب هذا الشباب المسكين على اللقاء مع (الشباب الإسرائيلى) القادم على جثث ودماء أهلنا فى الخليل ، ويافا ، والقدس ، وعلى اعتبارهم أصدقاء بل وأخوة لنا يستحقون أن نجلس معهم ونأكل معهم ؛ فهل هناك أخطر من ذلك على عقلية شبابنا وهويته ومستقبله الوطنى ؟ ثم إن الموضوعات المطروحة للنقاش ، وفقاً لوثائق المؤتمر تتضمن دفاعاً إسرائيلياً كاملاً عنها ، وتبنياً من المنسق المصرى لها

(للأسف) ؛ مما يعنى أن شبابنا الذين سيقدر لهم حضور هذه الجلسات ، سوف يكونون أقرب إلى المتلقين منهم إلى المشاركين بفاعلية؛ وهذه جريمة لا نفهم كيف وافق عليها رئيس الدولة ورئيس الوزراء وكبار المسئولين فى مصر ، خاصة وأن المنسق المصرى قد اختار حوالى مائة شاب بالفعل ومن محافظات مختلفة .. فلماذا الصمت ؟ .

ثالثاً : يتضمن البرنامج بعد ذلك محاضرة مشتركة بين كل من د. جمال عبد الجواد (وهذا باحث يعمل فى مركز دراسات الأهرام بالقاهرة وشريك فى جمعية ما يسمى بالقاهرة للسلام المشبوهة) ، والبروفيسور أربيه أرنون (وهو صهيونى عمل مع الشين بيت والموساد الإسرائيلى خلال الفترة من 1975 حتى 1995 فى مجال التحليل السياسى والمعلوماتى) ويتحدثان عن (الشرق الأوسط عام 2020) ثم يبدأ بعد ذلك السيد / عمرو موسى وزير الخارجية المصرى فى إلقاء كلمته وكذلك كلمة الرئيس المصرى (التى سيلقيها شخص ما لم يحدد بعد).

ونسأل لماذا يتورط السيد عمرو موسى فى هذا المؤتمر (هذا إذا كان فعلاً قد تورط ولم تكن مشاركته هذه (بمزاجه) وموافقته الكاملة !! ولماذا يتورط (الأهرام : الصحيفة والمؤسسة والقادم منها النقيب الجديد / إبراهيم نافع الذى أعلن صراحة فى برنامجه الانتخابى أنه ضد التطبيع المهنى والشخصى وسوف يمارس دوره فى هذا المجال وسيطبق قرارات الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين المصريين الصادرة عام (1981) ثم (1985) والمطالبة بتوقيع عقوبة مباشرة على أى صحفى مصرى يطبع : لماذا لا يبدأ النقيب فترته الجديدة بقرار شجاع ينفذ فيه برنامجه الانتخابى على الأبناء العاقين فى مؤسسته العريقة ونخص أولئك الذين شاركوا رجل الموساد السابق فى اختراق عقول شبابنا المصرى المساكين فعلاً – والمبتلين بأمثالهم من المثقفين وبأمثال يوسف والى وأسرته !! .

رابعاً : يتضمن البرنامج بعد ذلك سلسلة عمليات ترفيه ولقاءات تبدأ بفندق ماريوت ومينا بالاس وأنديانا (وهى فنادق مصرية شهيرة) وتنتهى فى مزرعة المهندس (محمد والى) بالفيوم، ثم بمقابلة وسهرة فى قاعة الملوك !! ونسأل هل هذه هى (ثقافة السلام) المراد غرسها فى عقول شبابنا الذى أتانا أحدهم يسألنا النصيحة ، ماذا يفعل ؟ هل يشارك فى هذه المهزلة وهو يرى أهلنا فى لبنان يقتلون وأهلنا فى فلسطين يعتقلون ويذبحون يومياً ، وهؤلاء المجرمون من " الجواسيس المصريين " والصهاينة يعقدون مثل هذه اللقاءات التى تتضمن قدراً لا بأس به من الإباحية والترفيه مصاحباً للاختراق وخلق شباب نواة للتجسس ؟ .

* قلنا له : لا تذهب ، فالمشاركة فى هذا (المؤتمر الشبابى) وفى (المؤتمر الآخر الموسادى) ، خيانة وطنية ودينية ، ووفقاً للأزهر الشريف ولفتاويه فإن ذلك معصية لله ومخالفة صريحة للقرآن وللإسلام ، ناهيك عن كونه مخالفة لقيم العروبة والشرف والكرامة الوطنية ، فالذين يدعونكم للجلوس معهم قتلة ، ذبحوا من الأسرى المصريين (وفقاً لتقرير رسمى لوزارة الخارجية المصرية 65 ألف أسير مصرى فى حربى 1956 / 1967) ودماء الأسرى لا تسقط بالتقادم !! .

* إننا من هذه الصحيفة نطالب شبابنا الذى غُرر به ألا يحضر هذه اللقاءات / الحرام شرعاً ومصلحة ، ونطالب كبار المسئولين المصريين أن يوقفوا هذه الجريمة قبل أن تحدث ؛ لأنها ستنعكس ضرراً ليس على (يوسف والى الذى أدمن وأسرته مثل هذه التصرفات) بل عليهم أنفسهم .. اللهم قد بلغت اللهم فاشهد].

كان هذا هو ما كتبناه عام 1999 ضد هذا المؤتمر الشبابى التطبيعى ، واليوم ونحن نعيد قراءة الماضى بتجاربه وأحداثه ، نؤكد أن هذا المؤتمر كان مؤتمراً تطبيعياً بامتياز ، جاء فى إطار تعاون سياحى شبابى بغطاء سياسى

وحصيلته كانت –كما هى حصيلة مجمل عمليات التطبيع ،الإضرار بالأمن القومى المصرى ضرراً بليغاً مثله مثل باقى فعاليات التطبيع التى جرت إبان عهد حسنى مبارك وكان من رموزها عمرو موسى والذى – ياللدهشة – يقدم اليوم نفسه باعتباره من أبناء ثورتى 2011/1/25 و2013/6/30 فى تزوير فاضح للتاريخ وللحقائق على الرأى العام – ومن رموزه أيضاً يوسف والى وأحد أقربائه المدعو مهندس / محمد إبراهيم والى وآخرون ممن ابتليت بهم مصر فى زمن التطبيع المجانى مع الكيان الصهيونى برعاية حسنى مبارك) .

***

واتصالاً بالتطبيع السياحى تأتى (سرقة الآثار) – كما سبق وأشرنا لنماذج لها– وتأتى عملية تزوير التاريخ فعلى أحد مواقع الإنترنت نشر مجموعة من اليهود المصريين وثيقة فى غاية الأهمية عبارة عن خطاب حرر باللغة العربية موجهاً إلى الرئيس حسنى مبارك بتوقيع جاك دويك رئيس الجمعية التاريخية ليهود مصر ، وديزرى ساكال سكرتير الجمعية حرر الخطاب بتاريخ 3 نوفمبر 1999 جاء فيه :

السيد الرئيس مبارك

حفظه الله

تتقدم الجمعية التاريخية ليهود مصر بتهانيها العظيمة لإعادة انتخاب سيادتكم رئيساً لجمهورية مصر ونود أن نذكر سيادتكم ، بأن يهود مصر الذين عاشوا فى بلاد مصر لمدة طويلة من الزمن " قبل الأيام العصيبة " وتمتعوا بالحرية والسلام والرخاء ، مازالوا يحفظون فى قلوبهم الحب الخالص لشعب مصر ، ويعتقدون أن قيادة سيادتكم لحملة السلام الدائم سوف تتحقق بالنجاح بفضل الله تعالى .. وننتهز نحن أبناء مصر فى المهجر هذه الفرصة لنأمل أن تتكرموا سيادتكم بإجابة طلبنا الإنسانى البسيط ، وهو موافقتكم على إصدار أمر للسلطات الإدارية المحلية فى مصر على منحنا الحق فى إعادة السجلات

الدينية والمدنية للأحوال الشخصية – التى مازالت فى مصر – وهى تمثل تراثنا التاريخى للطائفة اليهودية فى مصر ، ونحن الآن فى حاجة ضرورية إليها ، كذلك الممتلكات الدينية الشخصية الصغيرة التى اشتريت بأموال أفراد الطائفة لممارسة الطقوس الدينية مثل المخطوطات الدينية ومخطوطات التوراة المحفوظة فى صناديق مزخرفة وتسمى السفاريم – معناها مخطوطات كتب التوراة المقدسة ، وحتى يصلنا رد سيادتكم بالموافقة على مطلبنا الإنسانى نتمنى من الله لكم كل التوفيق .

وحتى اليوم مازال هذا الخطاب منشوراً على الموقع ضمن العديد من الوثائق والبيانات والحملات التى يتبناها مجموعة من اليهود المصريين فى إسرائيل وأمريكا وبلجيكا – حسب ما هو مدون بالموقع – اجتمعوا وأسسوا جمعية وأطلقوا عليها الجمعية التاريخية ليهود مصر، الهدف الأساسى لهذه الجمعية هو إعادة الأوراق والمخطوطات والسجلات والممتلكات ، وجميع ما يخص يهود مصر لنقلها إلى الأرشيف الإسرائيلى أو إلى الأرشيف الأمريكى ضمن القسم الخاص باليهود ، واتضح من خلال مئات الصفحات المنشورة بالموقع أن هذا الخطاب ليس الأول ولا الأخير وأن هذه المجموعة ، أرسلت العديد من الرسائل بل المئات إلى الرئيس حسنى مبارك وإلى سفير مصر فى واشنطن وإلى الرئيس جورج بوش .

البداية

وقصة هذه المراسلات بدأت عام 1999 وفيما يبدو أن رئاسة الجمهورية تجاهلت الخطاب ولم تلتفت للرد عليه ، حرر القائمون على الجمعية عدة خطابات أخرى وتم إرسالها للرئيس مبارك كما تم تحرير خطاب فى 22 مارس 2000 وقع عليه الحاخام اليهود وأعضاء الجمعية وتم إرساله بالبريد إلى سفير مصر فى الولايات المتحدة بهدف تسليمه إلى الرئيس مبارك ، طالبوا فيه

بتسليمهم الوثائق والمخطوطات والسجلات ، وقالوا : إنهم يريدون إنقاذ تراثهم وتسليمه إلى أطفالكم لكى يتعرفوا على تاريخ الآباء والأجداد فى مصر .

فى 26 يونيو من نفس العام رد السفير نبيل فهمى عليهم بخطاب محرر على أوراق السفارة أكد فيه رفض الحكومة المصرية لهذا المطلب وأشار فى الخطاب إلى أن القانون المصرى يعتبر هذه الوثائق ملكاً للشعب المصرى ، والطائفة اليهودية فيه وأنها ضمن التراث القومى للبلاد وهى مسجلة فى أرشيف هيئة الآثار المصرية ، ولذلك لا يمكن تسليمها لكم وهذا الكلام بالطبع لم يقنع يهود مصر فى إسرائيل وأمريكا .

فقاموا بالرد عليه فى خطاب فى 21 فبراير 2001 من خلال رئيسهم الشرفى الحاخام شيمون هالى أنوف جاء فيه :

" ما ذكرته عن أن هذه الوثائق والسجلات والمخطوطات تخص المجتمع اليهودى فى مصر وأن بعضها فى المعابد اليهودية ، نوضح أن هذه المعابد مغلقة فى مصر باستثناء واحد أو اثنين ، وهما فى حالة رديئة وما يحتويان عليه غير متاح للاستخدام ولا يوجد عنه قوائم وقد حاولنا الاتصال مرات عديدة برئيس المجتمع اليهودى فى مصر المدام استر وينشتاين ، وابنتها الآنسة كارمن وينشتاين ولم نتلق إجابة ونحن نعلم أنهما لا يستطيعان التصرف فيما تحت أيديهما كما أنهما يمتلكان شهادات الزواج وعقود التملك وغيرها مما يخصنا .

وبالنسبة لما ذكرته أن هذه الوقائق سجلت فى هيئة الآثار ودخلت ضمن التراث القومى المصرى وتخضع لحماية القانون فنحن نرفض هذا المفهوم فلا يجب أن تعد كتبنا الدينية ووثائقنا كأثر من الآثار مثل الأهرامات وأبو الهول ، لأنها مخصصة للعبادة والصلاة ، ويجب ألا توظف فى غير هذا الفرض ، ونتنهز هذه الفرصة ونطلب منك أن تفيدنا بصورة من قائمة الوثائق والمخطوطات المسجلة للمعابد اليهودية ولليهود المصريين فى مصر كما نطالبك بتسليمنا

رقوق التوراة التى تم مصادرتها مؤخراً فى مطار القاهرة ونحن لا نريد أن نذكرك بأننا قد تركنا مصر بغير إرادتنا وأن نظام جمال عبد الناصر شن حملة إرهابية ضدنا ، وصادر أملاكنا وأجبرنا على ترك بلادنا ، كما أنه زج بنا فى المعتقلات ، كما نؤكد لكم أن الحكومة المصرية قامت بسرقة ميراث اليهود والذى يساوى بلايين الدولارات وكان علينا أن نهجر بلادنا إلى بلاد أخرى ونبدأ من الصفر فيها وبعد خمسين سنة من هذا مازالت مصر تصر على عدم إعادة هذه الأصول إلى اليهود ، كما أنها للآن لم تعتذر عما فعلته بيهودها كما فعلت حكومات دول العالم الحر ، بل وتصر على سرقة تراثهم ، وإنه لم يعد بالإمكان السكوت على قيام الحكومة المصرية بوضع تراثنا فى حجرات مغبرة بجوار المومياوات المصرية ، لهذا نقترح نقل تراثنا هذا إلى إحدى المؤسسات الأمريكية ليتمكن من مشاهدتها ملايين الناس ويكون دعاية لمصر يعود عليها بفتح باب السياحة .

تدخل سياسى

قبل هذا الخطاب قام يهود مصر فى إسرائيل وأمريكا بإرسال خطاب إلى الرئيس جورج دبليو بوش – 18 مارس 2001 – طالبوا فيه أن ينقل للرئيس مبارك قلق يهود مصر فى المهجر على تراثهم والتمسوا منه أن يساعدهم على استرداد هذا التراث إلى مؤسسة أكاديمية أمريكية وأشاروا فى الخطاب إلى المراسلات المتبادلة بينهم وبين الرئيس مبارك والسفير المصرى فى واشنطن وأكدوا فيه أنهم لا يقبلون أن تتعامل كتبهم الدينية مثل معاملة أبو الهول والأهرامات ، كما أشاروا فى الخطاب إلى الاضطهاد الذى لا قوة من اعتقالات ومصادرة أملاك وإجبار على الهجرة من بلادهم مصر ، لكونهم فقط يهوداً وأكدوا لجورج بوش أن تراثهم هذا يساوى بلايين الدولارات وطالبوا بأن يحث الحكومة المصرية على إعادة هذا التراث والاعتذار رسمياً عن اضطهادهم

لليهود خاصة أن أمريكا تمنح مصر 3 بلايين دولار كمنحة ، كما طالبوا بأن يناقش هذا الأمر مع الرئيس مبارك خلال زيارته القادمة .

فى 23 مايو من نفس العام تلقت الجمعية رداً من وزارة الخارجية الأمريكية من مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط "ريتشارد.أ.روث" قال فيه:

" بخصوص خطابكم للرئيس بوش أؤكد لكم أن السفارة الأمريكية فى القاهرة مدركة تماماًَ لهذه القضية وأهميتها وقد تحدثت فيه مع مسئولين بالحكومة المصرية ومع أعضاء ورؤساء الطائفة اليهودية فى مصر وأن دنيال كرترز سفيرنا فى مصر على اتصال دائم بمدام كارمن وينشتاين رئيسة الطائفة اليهودية فى مصر ونتصل دائماً بالمسئولين المصريين ، وأشار إلى وجود مائة رق من نصوص التوراة تم حفظها فى ظروف مثالية , ومن المحتمل إرسال بعض هذه الرقوق لتحفظ بشكل مثالى فى الأرشيف الأمريكى , لكن الطائفة اليهودية فى مصر تفضل الاحتفاظ بها " !!

وفى 26 أغسطس 2002 حرر أعضاء الجمعية مذكرة وافية شرحوا فيها القضية وأشاروا إلى المراسلات المتبادلة بين الحكومة المصرية وبينهم وأرسلوها إلى أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الكونجرس الأمريكى وطالبوا فيها الأعضاء بالوقوف بجانبهم ومساعدتهم على إعادة تراثهم الذى تصر الحكومة المصرية على سرقته ، كما طالبوهم بإجبار الحكومة المصرية على الاعتذار ليهود مصر الذين أجبرتهم على ترك بلادهم وسرقة ممتلكاتهم .

كما قاموا بصياغة بيان يخاطب سائر يهود العالم وغير اليهود طالبوا فيه الرئيس مبارك بالعمل على إعادة تراثهم ونقله إلى إحدى الجامعات الأمريكية وأشاروا فى البيان إلى أن إعادة هذا الميراث سوف يفتح بابا للعلاقات بين يهود العالم ومصر وهو ما سيعود بالسلام على منطقة الشرق الأوسط . وقع البيان أعضاء الجمعية يتقدمهم الحاخام شيمون هاى ألوف وتم نشره على الموقع

وخصصت له مساحة لمساندة اليهود وغيرهم وإرساله عبر الإنترنت إلى موقع رئاسة الجمهورية .

* وصفحات موقع الجمعية لا تشير إلى تسلمها هذه الوثائق والمخطوطات من عدمه ولم تشر حتى إلى تتسلمها بعض رقائق التوراة التى أكد السفير الأمريكى فى مصر إمكانية إرسالها.

والسؤال الآن : بعد أن قامت مكتبة الإسكندرية برفع كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) من العرض والاعتذار عن عرضه وترديد ما يؤكده اليهود بأنه مزيف هل قامت الحكومة المصرية بتسليم هذه الوثائق والمخطوطات والسجلات تحت ضغوط أمريكية إلى إسرائيل أو إلى الحكومة الأمريكية ؟! وهل خضعت وزارة الثقافة التى تحتفظ بآلاف الوثائق وعشرات المخطوطات لضغوط أمريكية وصهيونية وسلمت السفارة الأمريكية أو الإسرائيلية بعضاً منها؟ الإجابة لاتزال غامضة حتى اليوم 2014 ؟ .

****

ثالثاً : حقبة الألفية (2000-2011) :

* فى الفترة الممتدة من عام 2000 حتى 2011 ، تفاوتت وتيرة التطبيع السياحى حين كان يهبط معدلها أثناء الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت عام 2000 ، وكانت أيضاً أحداث العنف والتفجيرات فى (دهب) – (طابا) و(شرم الشيخ) تؤثر على حركة السياحة من إسرائيل إلى مصر والعكس ، ورغم ذلك استمر التطبيع السياحى ، واستمرت محاولات استغلاله من أجل توسيع وتقوية العلاقات بين الكيان الصهيونى والنظام الحاكم . حول هذه الفترة نسجل ما يلى :

* فى شهر فبراير عام 2000 انعقدت جلسة محادثات غير رسمية بين عدد من أصحاب شركات السياحة والفنادق المصريين والإسرائيليين فى القاهرة .

المحادثات الودية التى جرت بعيداً عن أروقة وزارة السياحة المصرية – وإن كان بعلمها – تركزت على المشاكل التى تواجه سياح البلدين فى كل من مصر وإسرائيل ، علماً بأن النصيب الأكبر منها كان للسياح الإسرائيليين القادمين إلى مصر .

قال رئيس – شركة " إمكو للسياحة " رئيس جمعية وكلاء السفر – إلهامى الزيات، الذى شارك فى المحادثات : إن عدداً كبيراً من الإسرائيليين ، ومنهم عرب إسرائيليون ، يفدون من إيلات إلى طابا ، وأغلب أولئك لا يمضى سوى يوم واحد فى سيناء ، وفى حال وجود الفنادق المناسبة والبنية الأساسية اللازمة ، فإنه يمكن استقطاب هؤلاء السياح لإمضاء يومين أو أكثر ، ما يعنى زيادة الدخل السياحى المتوقع .

وقلل الزيات من حجم التوتر الذى يشيع فى المجتمع المصرى بتطرق الحديث إلى السياح وبالتالى زيادة العائد المادى أم لا ؟ إذا كانت الإجابة بنعم، علينا أن نتعامل مع أى سائح كأنه بلا طعم أو لون أو رائحة ، طالما هذا السائح يمضى وقتاً ممتعاً ولا يخل بتقاليد الدولة وقوانينها .

لكن ماذا عما قال عن أن السياح الإسرائيليين يأتون بتصرفات غير لائقة وتخرج على تقاليد المجتمع المصرى ؟ يرد الزيات بسؤال : ولماذا لا نقول هذا عن السائح الفرنسى أو الألمانى مثلاً ؟ هذا كلام غير مطابق للواقع .

ووفقاً لما نشرته صحيفة الحياة اللندنية فى 2000/2/7 مضى (الزيات) فى الدفاع عن المطالبة بتسهيل إجراءات قدوم السياح من إسرائيل بقوله : "تستقبل إسرائيل أعداداً غفيرة من السياح ، لاسيما اليهود من سكان الغرب ، فلماذا لا نستقطب أولئك لقضاء يومين أو يزيد فى مصر ؟ " .

ويلخص مطلب الجانب الإسرائيلى بأنه يتعلق بتسهيل عملية دخول السائح القادم من إسرائيل لاسيما فى أوقات الذروة ، وهى الأعياد العبرية ويبلغ مجموعها 70 يوماً .

يـذكر أن الحكومـة المصـرية تسـمح للسـائح الإسـرائيلى بـدخول طابـا مـن دون تأشيرة ، إلا أن إجراءات السماح هذه قد تستغرق أربع أو خمس ساعات أيام الذروة .

أما عن السياح المصريين المسافرين إلى إسرائيل فيقول الزيات : إنه ليس لدى إسرائيل ما يغرى السائح المصرى من الطبقة المتوسطة لزيارتها ، فقضاء أجازة لمدة أسبوع فى تركيا أو قبرص يتكلف نحو 900 جنيه مصرى ، وترتفع القيمة إلى ألف جنيه لقضاء الأجازة فى منتجع مصرى لكنها تتضاعف إلى ألفى جنيه لقضائها فى إسرائيل .

ويتطرق إلى السياحة الدينية المسيحية المصرية بالقول : " المصرى المسيحى قد يمضى عمره كله فى ادخار مبلغ ليقدس فى إسرائيل ، هذه نوعية من السياح ، وعلى رغم ذلك فإن البابا شنودة منع زيارة المسيحيين المصريين لإسرائيل إلى حين تحقيق السلام الشامل والعادل وأيضاً عودة دير السلطان إلى الكنيسة المصرية " .

وعلى الصعيد التنموى يقول الزيات : إن مشروع الريفيرا الذى يحوى كلاً من مصر وإسرائيل والأردن مستمر ولم يتوقف ، وكل دولة تعمل على تنميته فى إطار حدودها ، فى حين تحكم المنطقة الدولية منه اتفاقات دولية .

ويؤكد الزيات على أن كل الاستثمارات فى سيناء ومن ثم الريفيرا ، مصرية مئة فى المئة ، ولا يسمح فيها بالاستثمار الأجنبى ولا حتى العربى .

وبالطبع فإن أقوال مثل هذه تنم عن غياب للحس الوطنى وحضور فقط للمكب الاقتصادى أن يفيدنا عن أى آثار سلبية على الأمن القومى والمصالح العليا والمشاعر الوطنية للشعب، يذكر أن هذه المحادثات السياحية غير الرسمية تزامنت – وإن كان على غير قصد – مع سفر وفد من حركة السلام المصرية إلى إسرائيل لعقد اجتماعات تتعلق بتنظيم مؤتمر دولى للسلام ينظمه التحالف الدولى (إعلان كوبنهاجن) .

****

* وفى 2000/2/17 علمت صحيفة الأهالى أن رحلات الطيران المصرية إلى إسرائيل لم تتوقف .

***

* وفى إطار التطبيع السياحى ومحاولة الإسرائيليين سرقة التاريخ المصرى ونسبته إليها ، نشرت جريدة الأهرام فى 2001/3/24 مناظرة حول نظريتين متضادتين ، يتبنى الأولى فريق من الباحثين اليهود الإسرائيليين والأوروبيين ومفادها أن الأهرامات شيدها العبيد العبرانيون (الإسرائيليون) تحت قهر سياط المصريين القدماء مثل ما جاء فى تقرير لدار النشر العبرية (القدس المحتلة 1997) كذلك جاء فى موقع Members.Aol وكذلك موقع AFGEN.COM/AFROVEMT

وهذه المواقع الإسرائيلية الأوروبية تروج لهذه الادعاءات بهدف سلب الشعب المصرى عظمة أجداده القدماء .

وفى المقابل كتب أحمد إبراهيم حلمى – مهندس معمارى مصرى – أن الأهرامات المصرية لم تبن فقط كمبان معمارية ولكنها بنيت فى الأساس على أساس دينى يرتبط بما كان يعتقده المصريون القدماء وليس للعبرانيين القدماء ولا غيرهم أية صلة ببناء هذه الأهرامات العظيمة.

وغاص المؤلف فى فلسفة بناء هذه الأهرامات واحتوائها على مقابر ملوكهم الفراعين وتلك الدقة المذهلة فى ميل زواياه التى يعجز عن تحقيق معدلها أقوى هندسات بناء القرن الواحد والعشرين .

هذه المعجزة الخالدة ستبقى شاهداً على عظمة هذا الشعب – قديمه وحديثه ومستقبله – ضد شائعات وإشاعات مغرضة هدفها الوحيد سلب هذه الأمة شرف ماضيها وعز مستقبلها .

* وفى 2001/9/3 وتحت عنوان " العار .. لحوم إسرائيلية فى فندق هيلتون النيل ؟؟ المستندات تؤكد قيام خمسة أفراد بالفندق يقودهم الشيف اليهودى

بارتكاب "الجريمة" عبر "هيلتون طابا" " نشرت صحيفة الأسبوع تقريراً عن استيراد الفندق للحوم إسرائيلية بشكل ثابت خلال العام 2001 والتى وصلت إلى حوالى 7 مليون دولار .

* وفى 2002/4/20 طلبت الحكومة الإسرائيلية من جميع الإسرائيليين الموجودين فى شبه جزيرة سيناء بمصر مغادرتها فوراً والعودة إلى إسرائيل فى أسرع وقت ، دون أن تكشف عن طبيعة التهديدات المحتملة التى دفعتها إلى إصدار هذا الإنذار .

وأشارت الإذاعة الإسرائيلية إلى أن " هيئة مكافحة الإرهاب " التابعة لديوان رئاسة الوزراء أصدرت بياناً خاصاً حثت فيه الإسرائيليين على مغادرة سيناء فوراً ، كما أوصت كل من ينوى السفر إلى سيناء ، التى تضم مجموعة من المنتجعات السياحية ، بالامتناع عن ذلك .وفيما لم تفصح الهيئة الإسرائيلية عن الأسباب التى دفعتها إلى اتخاذ هذا الإجراء ، أو المدى الزمنى لبقائه قيد التنفيذ ، فقد طلبت من بعض العائلات الإسرائيلية الاتصال بأقربائهم الموجودين فى سيناء وإبلاغهم بهذا الإنذار بصورة فورية .

* وفى 2002/8/2 كشف التقرير الإحصائى السنوى الذى أصدرته هيئة ميناء القاهرة الجوى مؤخراً عن ارتفاع حركة السياحة بين مصر وإسرائيل . بلغت حركة الركاب 50 ألفاً و66 راكباً وعدد الرحلات 506 رحلات بمتوسط 99 راكباً فى كل رحلة أى ما يعادل زيادة فى حركة الركاب بنسبة 15.1% وتأتى سوريا فى المرتبة الثانية بعد إسرائيل بنسبة زيادة 13.9% .

** وفى السياق ذاته تمكنت سلطات الأمن فى مطار القاهرة من فض مشاجرة بين 7 من رجال الأمن الإسرائيليين بطيران شركة العال الإسرائيلية و20 راكباً من عرب إسرائيل .

* وفى 2002/12/8 أثار موظفو الأمن فى شركة طيران " العال " الإسرائيلية ضجة فى مطار القاهرة بعدما اشتبهوا فى وجود قنبلة فى حوزة راكبة أمريكية

الجنسية تبين بعدها أنها مجرد شريط فيديو من نوع " بيتا كام " غير المتداول وشكله مختلف عن الأشرطة العادية .

** **نشرت صحيفة " آفاق عربية " فى 2003/1/22** تقريراً عن بحث أثرى صهيونى اشترك فيه للأسف أثرى مصرى يحاولون إثبات أن سيناء تابعة لإسرائيل ولا تتبع مصر فى شيء .

وكانت بعثة أثرية من جامعة ترينتى الأمريكية برئاسة اليهودى جيمس هوفماير وقد حاول إثبات أن سيناء جزء من أرض إسرائيل وأن النيل كان يصب فى البحر المتوسط عند منطقة بئر العبد مع زعمهم اكتشاف قناة أخرى تربط بين بحيرتى التمساح والمنزلة وحاول هؤلاء الأثريون إثبات أن هذه القناة كانت تمثل آخر حدود مصر ، وأن سيناء خارج الحدود المصرية متجاهلين طريق حورس الحربى والذى كان يربط بين مصر وفلسطين عبر سيناء والذى جاء ذكره فى معبد الكرنك ، وبعد عدة زيارات وبعد افتضاح أمره منعت السلطات المصرية هوفماير من دخول البلاد بعد نشره لخزعبلاته المزعومة .

* وفى أكتوبر 2002 بعد زيارة غير رسمية للقاهرة قام بها دانى نافيه وزير الشئون البرلمانية الإسرائيلى التقى خلالها مع مواطنه الجاسوس الإسرائيلى الدرزى عزام عزام ، أطلقت السلطات الإسرائيلية بعدها البحارة المصريين الثمانية الذين أوقفتهم فى يناير 2002 على متن السفينة كارين إيه .

وترددت أنباء عن إتمام صفقة مبادلة عزام بالبحارة المصريين الثمانية .

** وفى حملات صحفية وطنية خلال نفس الفترة ثم تفنيد مزاعم إسرائيل من أن جبل الطور يقع فى إسرائيل وليس فى سيناء وقد قال عالم الآثار الإسرائيلى " عامونيل عنتاى " : إن الجبل الذى كلم الله عليه موسى لا ينطبق على جبل سانت كاترين بل هو جبل " كركوم " الذى يقع فى نطاق الأراضى العربية المحتلة .

- كشفت نقابة منظمى السياحة الإسرائيلية أن الانتفاضة الفلسطينية التى استمرت من 2000-2005 كبدت السياحة الإسرائيلية 10 مليارات دولار خسائر محققة بسبب فقد إسرائيل لثمانية ملايين سائح بسبب الانتفاضة .

** وفى 2004/9/24 نشرت الصحف تقاريراً حول سجن ستة طلاب مصريين منذ أغسطس 2004 بزعم أنهم **كانوا يخططون لخطف وقتل جنود إسرائيليين والإستيلاء على دبابة وسرقة بنك لتمويل عملياتهم ، وزعمت** "**هاآرتس**" **أنهم كانوا يعتزمون شراء قطعة أرض بالعريش لإنشاء قاعدة لتدريب الفدائيين!**

وفى التفاصيل أشارت الأنباء الإسرائيلية أيضاً إلى أنه تم القبض على الطلبة الستة فى أغسطس 2004 بمنطقة صحراوية فى النقب الإسرائيلية تبعد حوالى ثلاثة كيلو مترات عن المنطقة الحدودية بين مصر وإسرائيل.رغم أن هناك صحفاً تتحدث عن القبض عليهم بعد أن اتضح لقوة حرس الحدود الإسرائيلية أنهم يتحركون فى المنطقة الحدودية نحو إسرائيل. ولم تجزم بأنهم دخلوا العمق الإسرائيلى بالفعل.

ولذلك يثار تساؤل هنا حول, إذا كان الإسرائيليون استدرجوا أو خطفوا هؤلاء الطلبة من على الحدود لاختلاق أزمة تعرقل الجهود المصرية كما يؤكد بعض المحللين.. وتضيف الأنباء المزعومة وفقاً للرؤية الإسرائيلية للأحداث أن الشبان الستة وقعوا بعد مطاردة طويلة نسبياً قام بها حرس الحدود الإسرائيليون, خاصة أن الأجواء مكشوفة عند منطقة اسمها "نيشنا" خلال محاولتهم تجاوز الحدود , ولقد شكك فى هويتهم الجامعية وتصوروا أنهم عناصر من المخابرات المصرية متنكرين للتسلل داحل إسرائيل فى إطار عملية خاصة. لكن ما لبث أن اتضح لهم فى النهاية أنهم بالفعل مجموعة من الطلبة الجامعيين المصريين يريدون المشاركة فى الكفاح الفسطينى.

وتفيد التحقيقات الإسرائيلية التى أجريت معهم فى أحد المراكز الأمنية "بئر سبع" أن الستة خططوا لخطف جنود إسرائيليين وخطف عدد آخر والسيطرة على دبابة إسرائيلية وسرقة بنك لتمويل عملياتهم الأخرى داخل إسرائيل والقيام بعملية مساومة لتحرير بعض الأسرى الفسطنيين , رغم أنه لم يتم العثور على أسلحة نارية حيث لم ينجحوا فى الحصول على أحدها, لكنهم عثروا معهم على عدة سكاكين, ومسدس صوت وخرائط ووسائل للرؤية الليلية , وفق الإدعاءات الإسرائيلية , بالإضافة إلى نقل الجنود الذين خططوا لخطفهم إلى مصر لإتمام عملية المساومة حتى النهاية!

وتشير صحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية التى نشرت صور الطلبة الستة إلى أن أسماءهم:

محمد أبو دهب25 عاماً , ومصطفى أبو ضيف, ومحمود عزت, ومصطفى حمدى, وسالم محمد, وعماد تهامى وجميعهم يتجاوزون الـ21 عاماً , ويبدو عليهم من خلال بعض الصور بعض الإعياء وملامح الضيق, وتضيف الصحيفة أن "الشاباك" عثر معهم على ملابس سوداء للتنكر وأجهزة اتصال وخرائط لإسرائيل موضح عليها أماكن المستوطنات والمعابر, وكانت عمليتهم الأولى فور التسلل حسبما تفيد تحقيقات الوحدة المركزية لشرطة المنطقة الجنوبية هى السيطرة على إحدى دوريات حرس الحدود بعد مهاجمتها وقتل أعضائها وسرقة سيارتهم تحسباً لاستخدامها فى الدخول للمناطق المأهولة فى أقرب مدينة متنكرين فى الزى العسكرى للجنود الذين كانوا ينوون قتلهم.

وكانت خطوتهم التالية وفقاً لخطتهم التى يدبرون لها منذ ثلاثة أعوام هى السيطرة على دبابة إسرائيلية بعد قتل جنودها والاحتفاظ بسائقها كرهينة , لاستخدامها فى الوصول نحو منطقة "متسارامون" لقصف أحد فروع البنوك الكبرى هناك ونهبه.,

ولكن لهذه الصحيفة رؤية خاصة فيما يتعلق بالمرحلة التالية لخطتهم تكشف عن أن الأمر كله مجرد فبركة إسرائيلية , ففى الوقت الذى ادعت فيه كل الصحف والمواقع الإلكترونية الإسرائيلية أن الطلبة المتهمين كانوا يخططون لسرقة بنك للإنفاق على عملياتهم التالية, زعمت هاآرتس" أن الطلبة الستة كانوا يتطلعون لسرقة البنك والعودة إلى مصر بأمواله لشراء قطعة أرض فى منطقة العريش, لإقامة قاعدة بها لتدريب الفدائيين الذين يتجهون فيما بعد إلى إسرائيل لتنفيذ عملياتهم هناك!

وأشارت صحيفة "هاآرتس" إلى أن المحامى "زائيف لامب" من الأدعاء العام بالمنطقة الجنوبية قدم ضد الطلبة المصريين وثيقة اتهام مطولة فور إنهاء التحقيقات معهم التى استمرت وقتاً طويلاً.,

صدَّرها بعبارة غريبة ومؤداها أنه يدور الحديث عن "تنظيم محلى" ليست له علاقة بتنظيم إرهابى معروف, ولم ينسق مع أية منظمات "إرهابية" أخرى من تلك المنظمات العاملة داخل الأراضى المحتلة , وأضاف أن المتهمين حاولوا عدة مرات قبل القبض عليهم أن يدخلوا إسرائيل عن طريق الحدود المشتركة مع مصر, ولكن لم ينجحوا فى المرات السابقة.

وفيما يتعلق بالتهم الموجهة إليهم أكد محامى الإدعاء العام أنها كثيرة ، منها التورط فى التخطيط لتنفيذ عمليات إرهابية وإجرامية والتسلل لإسرائيل ودخولها بصورة غير قانونية وإحراز حوالى 14 سلاحاً أبيض "سكاكين" وقدمت هذه الوثيقة منذ أيام إلى المحكمة الجزئية ببئر سبع التى تنظر فى القضية حالياً.

ولم تشر أية وسيلة إعلام إلى أية معلومات تفصيلية كانت أو سطحية عن الطلبة الستة أو حتى المكان المحتجزين ، وأخيراً وبعد فترة تم الإفراج عنهم مقابل الإفراج عن الجاسوس عزام متعب عزام .

****

** نشرت مجلة الموقف العربى فى 2004/12/21 خبراً عن أن مصادر كشفت النقاب عن أن العشرات من الفنادق السياحية فى العديد من دول العالم ترفض استقبال السياح الإسرائيليين وأن العديد من الرحلات السياحية الإسرائيلية إلى الخارج ألغيت بسبب رفض عدة فنادق سياحية استقبال السياح الإسرائيليين ، وقالت : إن أصحاب الفنادق فى تركيا وقبرص وتايلاند وعدة دول أوروبية وآسيوية يرفضون استقبال السياح الإسرائيليين بسبب قيام هؤلاء السياح بسرقة أغراض كثيرة من الفنادق بعضها زهيد الثمن مثل قطع الصابون والمناشف والأرواب والملاعق والسكاكين .

وفى خبر ثان قالت المجلة : فوجىء قراء صحيفة " القدس " الفلسطينية بإعلان فى صفحتها الرابعة يعلن معلنوه وهم أصحاب المطاعم الأمريكية عن رغبتهم فى تصفية محلاتهم ، وأرجع مواطنون سبب هذا الإعلان إلى المقاطعة الفلسطينية خاصة فى مدينة رام الله للبضائع والمأكولات الأمريكية التى زادت حدة فى الآونة الأخيرة بعد وضوح التحيز الأمريكى للجانب الإسرائيلى وتزويده بالأسلحة والاشتراك معه فى صناعة أسلحة لقتل الفلسطينيين ، وأكد أحد المواطنين أن الفلسطينيين باتوا يشمئزون من المطاعم الأمريكية ولا يثقون بها رغم أن الذين يديرونها هم عمال عرب .

وفى خبر متصل قالت المجلة : نجحت الدول العربية فى إلزام 450 شركة أجنبية من مختلف الجنسيات على إعلان مقاطعتها للكيان الصهيونى وإنهاء كافة التعاملات معها ، وقامت تلك الشركات بإبلاغها رسمياً مكتب المقاطعة الرئيسى فى دمشق ، وجاءت مقاطعة الشركات الأجنبية حسب تقرير مكتب المقاطعة الرئيس فى إطار رغبة هذه الشركات تفضيل التعامل مع الأسواق العربية فقط دون الكيان الصهيونى .

فى الوقت نفسه أشار التقرير إلى أن هناك شبكة بشرية مزودة بأحدث الوسائل التقنية فى المنافذ العربية فى مختلف الدول العربية الجوية والبحرية والبرية

لقطـع الطريـق وإجهـاض محـاولات بعـض الشـركات الأجنبيـة التحايـل علـى المقاطعـة العربيـة للشركات المتعاملـة مـع الكيـان الصـهيونى لتهريـب البضـائع الصهيونية إلى بعض الأسواق العربية عبر فروع لها فى الخارج للتغلب على الرفض العربى التعامل مع الشركات الأجنبيـة المتعاملـة مـع تل أبيب أو مـع المنتجات الصهيونية الصنع .

***

*** وفـى 2005/7/5 جـاء فـى صـحيفة " صـوت الشـعب " وتحـت عنـوان "بالاتفاق مع وزيرى السياحة والاتصالات .. موسم التطبيع بـ" المحمول" بين مصر وإسرائيل " ما يلى :** القضية الأهم التى كانت تشغل المجتمع الإسرائيلى دائماً هى تحويل السلام البارد مع مصر إلى سلام دافئ وتطبيع العلاقات بين البلدين لكى تجنى إسرائيل ثمار السلام مع مصر .. ورغم وجود الكثير من المعارضـين لأى تطبيـع وبـالرغم مـن الـرفض الشـعبى العـام لـه، إلا أن بعـض المحـاولات الخاصـة والحكوميـة نجحـت فـى كسـر هـذا الحـاجز وكـان آخرهـا وأعنفهـا اتفاقيـة الكـويز والتـى لـن تكـون نهايـة المطـاف فقد أعلنـت صـحيفة "بـديعوت أحرونـوت" أن وزيـرة الاتصـالات الإسـرائيلية بحثـت مـع المسـئولين المصـريين إمكانيـة عقـد اتفاقيـة تجـوال بـين شـركات المحمـول المصـرية والإسرائيلية من أجل رفع المعاناة عن السياح الإسرائيليين الذين يزورون سيناء وأضـافت الصـحيفة أن عـدداً كبيـراً مـن السـياح الإسـرائيليين اشـتكوا لـوزيرة الاتصالات الإسرائيلية "داليا أيتسك" من عدم تمكنهم من الحديث فى هواتفهم المحمولـة أثنـاء وجودهم فـى سيناء وقالـت الـوزيرة الإسـرائيلية : إن مصـر هـى الدولـة الوحيـدة التـى يعـانى فيهـا السـياح الإسـرائيليون مـن عـدم تمكـنهم مـن استخدام المحمول.

وأضافت الوزيرة أن هذه الاتفاقية ستكون فى مصلحة الشركات المصرية ، كما ستزيد مـن أعداد السياح الإسرائيليين إلـى مصـر وأكدت الـوزيرة أن المسئولين

المصريين وعدوها ببحث هذه المشكلة وبحث هذه الاتفاقية مع وزير الاتصالات المصرى.

وفى هذا السياق ذكر موقع القناة السابعة الإسرائيلية أن شيمون بيريز أبلغ رئيس المجلس المحلى لمدينة النقب بأنه ناقش مع مسئولين مصريين إمكانية تطوير منطقة مشتركة على الحدود المصرية الإسرائيلية لإقامة مشروع سياحى بها.

* فى 2005/7/26 نشرت صحيفة " صوت الشعب " تقريراً مهماً يحمل عنوان " اتفاقية تجعل مصر منطقة سياحية واحدة.. خطة صهيونية للسيطرة على السياحة المصرية " جاء فيه: المخطط الإسرائيلى يستهدف دمج مصر فى شبكة السياحة العالمية وجعل مصر وإسرائيل منطقة سياحية واحدة على خريطة العالم السياحية – ربما – ينفذ رؤية شيمون بيريز – التى ذكرها فى كتابه " الشرق الأوسط الجديد " عندما قال : إن السياحة ستجلب الرخاء العظيم لبلدان المنطقة ومن أجل ذلك يجب فتح الحدود بلا ضوابط ويطالب بيريز بتنظيم إقليمى لحركة السياحة .. يجلب السياح ويحدد حصص كل دولة وبالطبع ستحتفظ إسرائيل بالنصيب الأكبر .. حيث يزعم أن إسرائيل لديها الأموال والخبرات اللازمة لتحقيق ذلك ! .وتسعى إسرائيل إلى تنفيذ مخططها عبر زيادة سائحيها إلى مصر خاصة بعد إقامة المعبر السياحى الجديد على الحدود بين البلدين ، وتشير إحصائيات وزارة السياحة الإسرائيلية والمكتب المركزى للإحصاء التى نشرتها صحيفة يديعوت أحرونوت مؤخراً إلى تدفق السياحة الإسرائيلية على مصر بأعداد كبيرة خلال العام ففي شهر مايو الماضى زار مصر 26ألف سائح إسرائيلى وخلال شهر يونيو زار مصر 15 ألف سائح إسرائيلى كما تشير الإحصائيات الرسمية الإسرائيلية أن عدد السياح الإسرائيليين الذين زاروا سيناء فى2004 بلغ397 ألف سائح بزيادة 24% عن 2003

وفـى المقابـل تسـعى إسـرائيل إلـى جـذب السـائح المصـرى إليهـا بمنحـه مزايـا وتسـهيلات عديـدة وخاصـة زيـارات رجـال الأعمـال والزيـارات الدينيـة للأمـاكن المقدسـة كمـا تشـير إحصـائيات وزارة السـياحة الإسـرائيلية فـإن عـدد السـياح المصـريين الـذين زاروا إسـرائيل خـلال عـام 2003 بلـغ 2800 سـائح بانخفـاض 11% عـن عـام 2002 وعـدد السـائحين المصـريين الـذين زاروا إسـرائيل خـلال الفترة من ينـاير حتـى مـارس 2004 بلـغ 731 سـائحاً ومـع تحسـن العلاقـات بـين مصـر وإسـرائيل زاد عـدد السـياح المصـريين الـذين زاروا إسـرائيل ليصـل خـلال الأربعة أشهر الأولى من عام 2005 إلى 1484 سائحاً بزيادة 43% عن العام 2004 .

* وفى 2006 وفق تقدير دقيق نشرت فى صحيفة (الكرامة) ، ذكر أن السياحة الإسرائيلية فى سيناء فقيرة ، وعلى الرغم من أنها تصل حسب تصريحات وزير السياحة المصرى الحالى إلى 300 ألف سائح سنوياً ، إلا أنها لا تساهم بجزء كبير فى الدخل.

وقال وزير السياحة السابق أحمد المغربى : إن اختفاء السائح الإسرائيلى من سيناء لن يؤثر على موارد مصر المالية ، وإذا خسرت مصر هذه السياحة فلن يؤثر ذلك إلا على 2% من دخلنا من السياحة العالمية التى تدر قرابة الـ 4 مليارات دولار سنوياً ! .

والسر فى ذلك أنها سياحة موسمية ترتبط بالأعياد اليهودية ، مثل عيد الفصح الذى يحتفل فيه اليهود بذكرى خروجهم من مصر ، وعيد الأسابيع وهو عيد زراعى تحول إلى رمز دينى لاحقاً ، وعيد الحانوكا أو التدشين ، ويحتفلون فيه بذكرى انتصارهم على الرومان ، وجميعها أعياد مستوحاة من العهد القديم ، ولذلك يفضل الإسرائيليون الاحتفال بها فى سيناء التى شهدت هبوط الوحى على موسى (عليه السلام) .

ويشهد عيد الفصح بالذات زيادة فى أعداد السياح الإسرائيليين وقد وصلت أعداد المحتفلين بالفصح فى سيناء فى شهر أبريل 2006 إلى 10 آلاف يهودى ، وهو تراجع ملموس فى الأعداد التى كانت تصل قبل انتفاضة الأقصى وتفجيرات طابا وشرم الشيخ إلى 60 ألف شخص ، وساهم فى هذا التراجع التحذيرات التى تصدرها هيئة مكافحة الإرهاب الإسرائيلية ، وهى تحذيرات أثرت بالضرورة على مجمل حركة السياحة العربية لأهم المنتجعات المصرية ، فى الوقت الذى لا تجرؤ فيه هذه الهيئة على إصدار تحذيرات مشابهة تمنع الإسرائيليين من زيارة لندن أو مدريد أو واشنطن التى تشهد عمليات إرهابية أشد ضراوة .

ويذهب بعض المحللين إلى أن كبار رجال الأعمال الإسرائيليين أصحاب المشروعات السياحية الضخمة فى إيلات تضرروا من وضع سيناء على الخريطة السياحية العالمية ، وهو ما دفعهم لتشجيع هذه التحذيرات لإنقاذ المنتجع الإسرائيلى الذى يعانى من نسبة تشغيل منخفضة طوال العام ، واستفادوا جيداً من تفجيرات طابا ونويبع ورأس شيطانى ، وشرم الشيخ لتخويف شركات السياحة والتأمين الأوروبية وإرهابها من سيناء .

وعلى الرغم من العبء الأمنى الذى تشكله السياحة الإسرائيلية فى سيناء إلا أن استمرارها مرتبط بقرار سياسى اتخذه مبارك ، بالحفاظ على علاقاته مع إسرائيل حتى أنه صرح ليديعوت أحرونوت مؤخراً أنه مَعْنىُ برؤية السياح الإسرائيليين ووجه لهم كلمته قائلاً : تعالوا زورونا !! .

* **فى شهر مارس 2006** " رفضت سلطات مطار القاهرة استقبال المرحلة الثانية من الجسر الجوى الذى تنظمه شركة طيران إسرائيلية خاصة لنقل 12 ألفاً من اليهود النيجيريين إلى تل أبيب على متن 26 رحلة تستمر حتى العاشر من أبريل 2006 .وكشفت مصادر مسئولة بمطار القاهرة الجوى لجريدة " روزاليوسف " الخميس الماضى أن الرحلة التى وصلت توجهت إلى مطار

باقوس فى قبرص بعد فشل محاولات الوكيل الملاحى للشركة إقناع المسئولين المصريين بالموافقة على استقبال هذا الجسر الغامض عبر مطار القاهرة .
وأضافت المصادر أن الجسر الجوى " نيجيريا – تل أبيب كانت ستقف طائراته "ترانزيت" بمطار القاهرة مما يؤدى إلى إرباك الرحلات الأخرى حيث تستغرق كل رحلة خمس ساعات فى أرض المهبط علاوة على مشكلات تأمين الركاب .
وكانت سلطات المطار رفضت استقبال رحلة طيران أخرى مقبلة من نيجيريا على متنها مهاجرو " الفلاشا" متوجهين إلى تل أبيب فى إطار سلسلة الرحلات التى تقوم بها شركة إسرائيلية خاصة تستمر حتى أوائل أبريل المقبل .
** هذا وقد نشرت صحيفة " المصريون " فى 2009/12/15 أن صاحب كباريه بشارع الهرم تم استدعاؤه من قبل شرطة السياحة للتحقيق معه فى واقعة طرد سائحين إسرائيليين من محله ، وتبين أن الإسرائيليين كانا فى حالة سكر شديد ورفضا دفع حساب العشاء والخمور التى تناولوها ، كما قاما بالتهجم على رواد المحل ، وهو ما جعله يحاول إخراجهما من الملهى بأى شكل .
** وفى سياق متصل وفى مدينة رفح ، نشرت جريدة صوت الأمة فى 2012/10/15 تقريراً من مدينة رفح وكيف تحولت لمدينة يتحكم بها الموساد الإسرائيلى عبر سيطرته على تجار المخدرات بالمدينة مع غياب تام للسلطة المصرية فكل المبانى الخاصة بالدولة المصرية مهدمة تماماً مثل مكتب البريد والبنك الأهلى وبنك مصر ومبنى جوازات رفح وقسم الشرطة فجميعها مدمرة وبلا شبابيك أو أبواب وعلم مصر لم يعد له وجود فوقها مع وجود انفلات أمنى غير مسبوق فى شتى المجالات والصواريخ الارتجاجية الإسرائيلية ضد الأنفاق تصيب السكان بالخوف والذعر .
** **تواصلاً مع التطبيع عبر الآثار والسياحة وفى 2010/3/18 نشرت صحيفة روزاليوسف** حواراً مع محسن ربيع مدير الآثار اليهودية وأبرز ما جاء فيه أنهم تراجعوا عن تسجيل مقبرة أبو حصيرة كأثر يهودى احتراماً لأحكام

القضـاء ، وأبـرز أن إقامـة متحـف يهـودى فـى مصـر مرهـون بقيـام الدولـة الفلسطينية .

وأشار إلى أن الطائفة اليهودية فى مصر باعت معابدها ولم يتبق منها إلا 15 معبـداً المسـجل منهـا 10 فقـط ، وتقـوم الهيئـة بترميمهـا ولـم تطلـب إسـرائيل المشاركة أو المساهمة فى ترميمها ونحن نتعامل مع الآثار اليهودية على أنها آثار مصرية ؛ لأنها كذلك بالفعل وليست وباءً حتى نتحاشى الكلام عنها .

وأوراق الجنيزا خرجت فى غفلة من المسؤولين ولكن لم تسرق أية آثار يهودية والمعابد اليهودية مؤمنة .

ومؤخراً وافقت إسرائيل على استقبال لجنة أثرية مصرية ووافقت على إعادة 500 قطعة أثرية فقط من بين آلاف القطع التى قامت بنهبها فى أكبر عملية سطو أثرى فى التاريخ المعاصر .

الفصل الثالث

التطبيع الاجتماعى ..

بين عمل المصريين فى إسرائيل والزواج من إسرائيليات

من بين أهم وسائل التطبيع الاجتماعى التى مثلت خطراً على الأمن القومى المصرى خلال الفترة من (1979–2011) ؛ عمل عدة آلاف من المصريين فى داخل إسرائيل فى وظائف مؤقتة أو ثابتة (أغلبها متدنٍ قياساً بطبيعة العمل فى داخل إسرائيل) ومسألة زواج بعضهم من إسرائيليات ، بعضهن من عرب 1948 من الحاصلات على الجنسية الإسرائيلية بحكم الضرورة وبسبب الاحتلال الجاثم على الأرض الفلسطينية منذ العام 1948 ، وبعضهت من اليهوديات .

* ولقد تفاوتت أرقام العمالة المصرية (وأيضاً ما يسمى بالجالية المصرية) داخل إسرائيل ليصل بها البعض إلى 50 ألفاً وينزل بها البعض الآخر إلى 10 آلاف مصرى ، وكذلك الحال بالنسبة للزواج من إسرائيليات ، حيث تفاوتت التقديرات من عدة مئات إلى 30 ألف حالة زواج من يهوديات أو فلسطينيات حاصلات على الجنسية الإسرائيلية .

* على أية حال ، القضيتان مهمتان للغاية (العمالة المصرية فى إسرائيل ، والزواج من إسرائيليات) وسوف نتناولهما فى هذا الفصل من زوايا مختلفة بحثاً عن الحقيقة وتقصياً لأبعاد الخطر الذى مثلتاه خلال الـ32 عاماً من التطبيع (فترة البحث) وسننتناول معهما قضية (اليهود المصريين) بعد الدعوات الباطلة لعودتهم لمصر خاصة دعوة الإخوان المسلمين بعد الثورة من خلال د. عصام العريان ، وذلك عبر ثلاثة محاور :

المحور الأول : ويدور حول العمالة المصرية فى إسرائيل .

المحور الثانى : ويتناول ظاهرة زواج المصريين من إسرائيليات .

المحور الثالث : قضية اليهود المصريين ودعوات عودتهم لمصر .

وبتفصيل ما سبق يستبين ما يلى :

المحور الأول : العمالة المصرية فى إسرائيل :

أثارت محاولات التجسس الإسرائيلية على مصر العديد من علامات الاستفهام حول طبيعة العدو الذى نواجهه ، وخطورة الاطمئنان لاتفاقات سلام وهمية معه ، وخطورة استخدامه (للعمالة المصرية) فى عمليات التجسس التى امتدت منذ العام 1979 وحتى اليوم (2014) وقبل أن نسترسل فى الحديث عن أبعاد هذا الملف (ملف المصريين فى إسرائيل) نسجل أبرز المخاطر فى الآتى :

(1) أدى هذا الوجود خلال فترة البحث(1979-2011) تدريجياً إلى تحول العلاقات الرسمية الجامدة إلى علاقات شعبية تسمح بقبول شعبى لهذا الكيان فى الأوسط الشعبية المصرية التى لاتزال ترفض التطبيع تماماً وتعتبره عاراً أخلاقياً وسياسياً .

(2) المصري الذي يُقدم على السفر للدولة الصهيونية للعمل أو الإقامة ، والزواج من إحدى الإسرائيليات، هو إنسان فقد ولاءه وانتماءه لوطنه ، أو على الأقل لم تعد لديه الدولة الصهيونية عدواً لا يجوز الصلح معه أو الاعتراف بشرعيته، ومثل هذا الشخص يسهل لأجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية أن تجنده في صراعها مع العرب والفلسطينيين ، وضد وطنه مصر بالأساس ، وحتى إن لم يسقط مثل هذا الشخص في حبال تلك الأجهزة، فقد اكتسبت به الدولة الصهيونية صديقاً لها من العرب، لا يمكن له أن يعاديها أو يساهم في مقاومتها !!

(3) يظل المصري الذي يعمل في إسرائيل قدوة ونموذجاً يغوي غيره من المصريين والعرب لتقليده، خاصة أنه، مثله مثل من سقط في الخطيئة، وصار في موضع الاستنكار والإدانة في محيطه الاجتماعي، سيسعده أن يرى من حوله وقد فعلوا ما فعله ، وسيشجع من يمكنه التأثير فيه على اتخاذ الخطوة نفسها غالبا ، كي تخف الضغوط الاجتماعية عليه ، ويجد المبررات النفسية

التي تهون عليه شعوره بالذنب والخطأ (إن كانت لديه بقية من ضمير ودين) أو الحرج بين أهله ومعارفه المصريين.

(4) وفقا لقانون الجنسية الإسرائيلي، تُمنح الجنسية الإسرائيلية لمن كان أحد أبويه يحمل الجنسية الإسرائيلية، وهذا ما يعني أن الأبناء الناتجين من زواج المصريين بإسرائيليات سيحصلون على الجنسية الإسرائيلية، سواء أحصل آباؤهم المصريون على الجنسية الإسرائيلية، أم لم يحصلوا، وسواء ولدوا في الدولة الصهيونية، أو خارجها في أي مكان في العالم، وفي الوقت نفسه فإن القانون المصري يمنح أبناء المصريات من أجنبيات الجنسية المصرية، ولا يستثني الإسرائيليات من هذه الإباحة، وبهذا فنحن بعد سنوات قليلة سنجد جيلاً فريداًـ بالمعنى السلبي للتفرد . في المنطقة، وفي تاريخ الصراع العربي الصهيوني، يحمل الجنسية الإسرائيلية بجانب الجنسية المصرية، ويتمتع بحقوق المواطنة في مصر وإسرائيل معاً!!

جيل يتقن العبرية والعربية، ولا يمكن منعه من الانتقال بين الدولتين بحرية، وربط حياته في إحدى الدولتين بحياته في الأخرى، ونشر ثقافته المزدوجة في المجتمع المصري!! جيل مشوه معقد الانتماء والهوية، تتجاذبه الهوية الإسرائيلية بتركيبتها الدينية والسياسية والنفسية المعقدة، والهوية المصرية العربية المسلمة، ويقف حائراً بين التناقضات الحادة بين ثقافة أعمامه وحضارتهم، وبين المشروع الصهيوني الذي يحمل أخواله جنسيته !! جيل يتعرض لاستقطاب صهيوني حاد، ومحاولات لاستغلال دمه العربي في خدمة المشروع الصهيوني، ويمثل مورداً أساسياً، وكنزاً لا يقدر، لأجهزة الاستخبارات الصهيونية لتجنيد الجواسيس والعملاء وغرسهم في المجتمع المصري، دون معوقات قانونية أو سياسية، ودون أن تستطيع أجهزة الأمن المصرية أن تراقب آلافاً من المصريين حاملي الجنسية الإسرائيلية، وأن تقيد من حركتهم بين القاهرة وتل أبيب!!

وقد انتبه بعض المحامين المصريين لخطورة تلك القضية فرفع دعوى أمام القضاء الإداري يطالب فيها بإسقاط الجنسية من المصريين المتزوجين بإسرائيليات، وقد صدر الحكم النهائي من المحكمة الإدارية العليا في يونيو 2010م،بإلزام وزارة الداخلية أن تقدم لمجلس الوزراء كشوفاً بحالات زواج المصريين بإسرائيليات،على أن يُميَز المجلس بين المصريين الذين تزوجوا من نساء عرب 48 الرازحين تحت الاحتلال الصهيوني،وبين من تزوجوا يهوديات صهيونيات،وأن يُنظر في توافر شروط إسقاط الجنسية لكل حالة على حدة.

(5) ورغم خطورة تلك التفاصيل، فإنها كلها تؤدي لخطر أكبر، هو ترسيخ وجود الدولة الصهيونية على أرض فلسطين، والاعتراف بها من الأجيال القادمة، بما ينذر بانتهاء الصراع لصالح المشروع الصهيوني، بما يعنيه من هيمنة صهيونية على أرض العرب ومقدراتها، وانتهاء العرب كأمة وهوية وكيان حضاري ومستقبل، وربما انتهى الوجود العربي ذاته.

* هذه بعض ملامح الخطر ، خطر عمل المصريين فى داخل الكيان الصهيونى ، وهو خطر لا تعالجه (مبادرة سلام عربية) كان قد وضعها يهودى آخر اسمه توماس فريدمان ، أو اتفاقية سلام اسمها (كامب ديفيد) لم يلتزم الكيان الإسرائيلى بها ، ولم يحترم وقام باختراقها عشرات المرات ، سواء بالعدوان أو بعمليات التجسس على الجميع وفى مقدمتهم مصر ، والتى زادت عمليات تجسسية بداخلها عن 50 عملية تجسس منذ عام 1979 وحتى اليوم . إن الملف خطير ، ويحتاج إلى فضلاً عن الحوار القومى والأمنى والسياسى والإعلامى الموسع إلى معلومات جديدة واقترابات أخيرة .

***

ثانياً : حقائق ووقائع عن العمالة المصرية فى إسرائيل :

يتفاوت عدد المصريين العاملين فى إسرائيل – كما سبق وقلنا – من عدة مئات إلى 30 ألفاً (ونحن أميل إلى أنهم لا يتعدون خمسة آلاف بما فيهم يهود

مصريون يعيشون منذ فترة داخل هذا الكيان) وفى التقارير المتناثرة التى نشرتها الصحف ووسائل الإعلام كشف مصدر أمنى مصرى لصحيفة " المصريون " أن 1500 مصرى التحقوا بمعهد " أورئيل رابخمان " الذى يقع داخل ثكنة عسكرية إسرائيلية وهو معهد متخصص فى القانون الدولى وهو يسمح لكل العاملين بالموساد والمخابرات الحربية بالالتحاق به دون تقديم أى أوراق ، وقد استطاعت السفارة الإسرائيلية استقطاب عدد من الباحثين وطلاب وأساتذة جامعيين للالتحاق بالمعهد .

* وفى 2000/12/18 نشرت صحيفة الأسبوع المصرية المستقلة ، تقريراً مهماً عن المصريين العاملين فى (إسرائيل) جاء فيه : لعل نزوح الآلاف من الشباب المصرى للعمل فى إسرائيل بل والزواج من إسرائيليات هو أحد أهم وأخطر هذه القضايا على الإطلاق .. الاحصاءات المتوفرة عن عدد المصريين العاملين بإسرائيل تؤكد أنهم يتراوح عددهم ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً فى حين أكدت الدكتور ميرفت التلاوى أمين عام المجلس القومى للمرأة أن 14 ألف شاب مصرى تزوجوا من إسرائيليات وأنجبوا منهن أطفالاً يحملون الجنسية الإسرائيلية وفقاً للقوانين الإسرائيلية ويحملون الجنسية المصرية بموجب القانون المصرى .

وتحتل محافظة الدقهلية المركز الأول فى تصدير العمالة لإسرائيل حيث بدأ الأمر بسفر عدد محدود من الشباب ثم سرعان ما تحولت إلى ظاهرة ، هذا بالإضافة إلى محافظات أخرى مثل الشرقية وسيناء .. الغريب فى الأمر أن هؤلاء الشباب يعملون فى مهن يدوية متدنية مثل البناء والنظافة وبالتالى فهم لا يحصلون على رواتب مجزية ولو حتى نسبياً ، بل إنهم يتقاضون رواتب بسيطة لا تتناسب مع المستوى المعيشى المرتفع فى إسرائيل ، الأخطر من ذلك أن هؤلاء الشباب يتم استخدامهم لحل مشكلة اجتماعية داخل إسرائيل وهى أزمة

الزواج وبالتالى يتم إغواؤهم للزواج بإسرائيليات مما يتيح لهم الحصول على الإقامة والعلاج المجانى وتوفير فرص العمل .

إسرائيل فى المقابل ترحب بهذه العمالة المصرية غير الشرعية – فى معظم الأحيان – رغبة منها فى كسر الحاجز النفسى بين الشعبين وإقامة علاقات طبيعية على كل المستويات واستخدامهم كطابور خامس لها فى المجتمع المصرى .

كل هذه الأوضاع دفعتنا للتساؤل – تقول صحيفة الأسبوع : هل يمكن أن تشكل هذه الأعداد من المصريين العاملين بإسرائيل والمتزوجين من إسرائيليات التربة الخصبة لإفراز جواسيس جدد خاصة أنه خلال السنوات الأخيرة فقط تم القبض على تسع شبكات تجسس تعمل لصالح إسرائيل ، وأن شبكات التجسس التى تم ضبطها داخل مصر طيلة الـ 25 عاماً الماضية كانت جميعها تعمل لصالح إسرائيل باستثناء حالة واحدة فقط كانت تعمل لحساب المخابرات الأمريكية .

وجود هذا العدد من المصريين فى إسرائيل يعتبر بلاشك فرصة سانحة أمام الموساد الإسرائيلى لاستخدام البعض منهم فى التجسس داخل مصر ، غير أن هناك عدداً من الظروف الموضوعية التى تحكم هذه المسألة فى رأى الدكتور مصطفى علوى وكيل كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة وهى أولاً قدرة العميل المرشح للتجنيد من جانب أجهزة الاستخبارات على الحصول على المعلومات وشبكة علاقاته ومعارفه التى تتيح له ذلك ومستوى تعليمه وحرية حركته من وإلى داخل مصر ومنها إلى إسرائيل محدداً ، وبالتالى فإن هؤلاء يجب أن يكونوا موضع المراقبة من جانب أجهزة الأمن المصرية أولاً بأول حتى لا يمكن استخدامهم بشكل يضر المصالح المصرية .

ويقول : إن هذا لا يعنى أن كل مصرى مقيم فى إسرائيل هو جاسوس حالى أو محتمل فهذا تعميم غير مستحب ، لكن عدداً من التساؤلات يجب أن تطرح

حول هؤلاء فلماذا السفر إلى إسرائيل بالذات وهناك فرص عمل أخرى بديلة سواء فى أوروبا أو البلدان العربية ولا تعرضهم للشبهات .
ويشير الدكتور علوى إلى وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل لا يترتب عليه بالضرورة علاقات تعاون ، فمصر على سبيل المثال تربطها علاقات مع حوالى 150 دولة على مستوى العالم ، ولكن لا توجد علاقات تعاون على كافة المستويات مع هذه الدول ، إضافة إلى ذلك فإن وجود سلام حقيقى يتطلب أن يكون سلوك الطرفين يشجع على حدوث ذلك ولكن كيف يمكن وجود سلام فى ظل العدوان الإسرائيلى الشامل على الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة .
ولأن الوعى السياسى بخطورة السفر إلى إسرائيل غير موجود لدى هؤلاء الشباب فإن الدكتور علوى يطالب وسائل الإعلام ومؤسسات التنشئة بوجه عام مثل المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية ودور العبادة بأن يكون جزء من وظيفتها رفع درجة الوعى السياسى للشباب ومن ثم تبصيرهم بالمخاطر المحتملة للذهاب إلى إسرائيل للعمل والزواج ، على أن تظل هذه القضية مطروحة بشكل مستمر ومتواصل ولا يحدث فى المناسبات فقط .
*لاشك أن غياب القدوة وقصور دور المدارس والجامعات وحتى الأسرة وغياب دور الوعظ والإرشاد فى تكريس وزرع المباديء الوطنية والدينية لدى النشء كان أهم مسببات خروج جواسيس من داخل المجتمع المصرى يعملون لصالح دولة مثل إسرائيل مازال الصراع بيننا وبينها قائماً .. هكذا يؤكد الخبير الاستراتيجى الدكتور عبد الفتاح محسن بدوى ، ويضيف أن حالات الفساد التى يشهدها المجتمع من تهريب لأموال البنوك والاختلاسات واستغلال النفوذ تنعكس بلاشك بآثار السلبية على الشباب فينمى لديهم القيم المادية على حساب القيم الوطنية والدينية ومن ثم يدفع بهؤلاء الشباب للسفر إلى دولة مثل إسرائيل دون أى وعى بخطورة ذلك بل ويقعون فريسة لجهاز المخابرات الإسرائيلية " الموساد " ويرتكبون جريمة خيانة الوطن .

ويطالب الدكتور بدوى بأن تعود المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام لممارسة دورها فى بث روح الوطنية والانتماء والضرب على هذه الأوتار الحساسة بقوة حتى يستعيد شبابنا الذى تأثر بالغزو الفكرى إيمانه بالوطن على أن نذكرهم دائماً بالحروب التى خاضتها مصر ضد إسرائيل حتى لا تموت الذاكرة ؛ لأن وجود معاهدة سلام لا يعنى أننا أصبحنا أصدقاء فإسرائيل كانت ومازالت عدواً ولا ندرى ماذا تدبر لنا فى الخفاء ومن ثم يجب أن نكون حريصين تماماً ولا نتعامل مع الأمور بهذه البساطة التى تعامل بها هؤلاء الشباب الذين اندفعوا تحت إغراءات عدة للسفر إلى إسرائيل ليصبحوا دون أن يدروا عجينة لينة تشكلهم إسرائيل حسبما تريد .

ويطالب الدكتور بدوى بألا تغالى بعض الأصوات من أنصار التطبيع فى دعواها الهدامة حيث يمهدون الطريق لانسياق الشباب المصرى للانخراط فى المجتمع الإسرائيلى وهو ما يمثل خطراً على المجتمع المصرى .

***

لقد أثبتت الأحداث خلال فترة البحث (1979–2011) أن وجود أعداد من المصريين الذين يعملون فى إسرائيل والمتزوجين من إسرائيليات فتح المجال أمام أجهزة المخابرات الإسرائيلية للبحث بينهم عن ضعاف النفوس الذين امكن استخدامهم من جمع المعلومات عن مصر أو نقل اتجاهات الرأى العام، غير أن إحدى تلك العمليات وهو قضية حادث الجاسوس الذى تم تجنيده خارج مصر يشير – من وجهة نظر الدكتور إبراهيم البحراوى أستاذ الدراسات العبرية بجامعة عين شمس – إلى إدراك أجهزة الأمن الإسرائيلية لصحوة الأمن المصرى حيال هؤلاء العملاء وهو ما يعنى أن إسرائيل تضطر إلى البحث عن عملاء فى مناطق أبعد عن الاشتباه .

وأياً كان الحال – كما يقول الدكتور البحراوى – فنحن أمام ظاهرة ثابتة فى العلاقات المصرية – الإسرائيلية تعبر عن نفسها سواء فى زمن الحرب أو فى

زمن التسوية السياسية وهى ظاهرة العمل المستمر على جمع المعلومات واستخدامها فى مخطط إسرائيلى واضح للعيان وهو محاولة إضعاف الجبهة الداخلية فى مصر واللعب على التناقضات فيها بالإضافة إلى محاولة إضعاف الاقتصاد المصرى وإمكانيات النهضة العلمية .

ويعرف الدكتور البحراوى عن اندهاشه لظاهرة توجه المصريين للعمل فى إسرائيل فى ظروف مازال الصراع العربى الإسرائيلى فيها محتدماً ومازالت بؤرة هذا الصراع وهى القضية الفلسطينية مشتعلة دون حل ويقول : ربما كان الدافع لدى هؤلاء هو وجود ضغوط خارجية متعلقة بقضية البطالة وأيضاً تضاؤل فرص العمل فى الدول النفطية العربية غير أن هذا لا يعنى أن يذهب المصرى بملء إرادته للبحث عن رزقه فى إسرائيل بالذات خاصة أنه يمكن لأيهم أن يكيف قدراته للتوافق مع أوضاع السوق المصرية التى مازالت فى حاجة إلى عمالة مهنية فى مجالات عديدة ، وبالتالى فلابد من النظر للموضوع فى إطار الأزمة وعلينا أن ندرس شرائح هؤلاء ومؤهلاتهم ومهنهم حتى نتمكن من وضع حلول بديلة لهم خاصة أنه فى حدود معلوماتى أن العمل المتاح فى إسرائيل هو من نوع الأعمال اليدوية الشاقة "المنحطة" والتى يقبل عليها الآسيويون غير المدربين مثل أعمال البناء وقطف الثمار من البساتين والنظافة وخلافه .

ويطالب الدكتور البحراوى وزارة القوى العاملة بإعداد دراسة شاملة لهذه الحالة بالتحديد ودراسة دوافعهم وتوفير بدائل لهم فى وطنهم مبنية على معرفة دقيقة لاحتياجاتهم وهذا من شأنه أن يخفف العبء عن أجهزة الأمن المصرية فى تتبع كل هذا العدد ، ويطالب أيضاً بقيام الجهات المسئولة بدراسة هذه الحالات وتقديم إحصاء واضح لأرقام المصريين المتزوجين سواء من يهوديات أو عربيات يحملن الجنسية الإسرائيلية وهو ما سيساعد كثيراً على رسم تصور لمدى خطورة هذه الظاهرة ، حيث يستخدم المصرى هناك كإحدى الوسائل التى تعمل على حل مشكلات المجتمع اليهودى الذى يعانى من أزمة زواج فعلية

لدى الفتيات اليهوديات.. والمسألة برمتها تحتاج إلى إعادة نظر من جميع الأجهزة المختصة لاسترداد أبنائنا وإعادتهم إلى فرص العمل والزواج الطبيعى فى الوطن .

***

ولأن علاقات العمل والزواج تؤدى إلى تغيير مدركات الإنسان بمعنى طريقة فهمه للآخر خاصة إذا كانت هناك حالة عداء سابقة وبالتالى نتوقع أن يصبح الشباب المصريون هم جواسيس المستقبل أو تربة خصبة لإفراز جواسيس ، لأن درجة الولاء والانتماء للوطن تتأثر دون شك بهذه العلاقة العائلية وعلاقات العمل .. هذا ما أكده الدكتور محمد سعد أبو عامود أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان الذى أضاف أنه مع ظهور العلاقات والمصالح يمكن أن تتغير تلك الصورة العدائية ويغير الإنسان نظرته للعلاقة بالطرف الآخر ، وهذا هو جوهر الاهتمام الإسرائيلى الذى يركز على ضرورة تغيير صورتهم لدى المصرى وهو هدف أساس للسياسة الإسرائيلية منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد ولذلك نجد أن أحد بنود هذه الاتفاقية ينص على ضرورة التبادل العلمى والثقافى والسياحى وبالتالى وجود حالة من التفاعل الطبيعى . ويشير إلى أن إسرائيل تحاول بكافة السبل اختراق المجتمع المصرى ولكن الوقفة المشهودة لقوى المجتمع الرافضة لأى شكل من أشكال التفاعل والتطبيع مع إسرائيل جعلتها تركز على منافذ أخرى وهى المنافذ المتعلقة بالعلاقات الإنسانية المباشرة التى تستغل فيها جوانب الضعف الإنسانى والحاجة إلى المال والعمل والزواج ، وهذا الأمر يتطلب التوعية بخطورة هذا الاختراق الإسرائيلى خاصة فى المناطق القريبة من الحدود مع إسرائيل ولابد وأن يوضح رجال الدين حكم الشريعة فى الزواج من يهودية لأن الظاهرة جد خطيرة وتحتاج منا إلى وقفة قوية وهو ما يدعو إلى ضرورة تبنى إحدى المؤسسات الحكومية لمشروع بحثى للوقوف على عمق هذه الظاهرة ومناقشة أسبابها وطرق حلها .

* نشرت الصحف خلال التسعينات ومنها مجلة (روزاليوسف) 1996/6/13، عدة تحقيقات حول علاج المصريين فى إسرائيل ومنهم ابن الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء الأسبق – وأحد عرابى التطبيع السياسى مع إسرائيل – الذى يعتبر أشهر حالة مصرية تم علاجها فى إسرائيل واستغلت إعلامياً عن طريق حوارات أجراها الدكتور خليل وابنه فى وسائل الإعلام الإسرائيلية بعد نجاح العملية الجراحية التى أجريت له.

**وفى 1996/11/11 نشرت روزاليوسف أيضاً تحقيقاً مهماً عن " تعليم المصريين فى إسرائيل " وهو مشروع ضخم بدأت إسرائيل فى تنفيذه بميزانية تبلغ 2 مليار دولار وذلك بعد أن خرجت تقارير من المركز الأكاديمى الإسرائيلى يفيد أن الباحثين والدارسين المصريين بعد أن تعاملوا مع نظرائهم الإسرائيليين فى المركز الأكاديمى غيروا بعض أفكارهم ونظرتهم لإسرائيل وهو ما شجع إسرائيل على تبنى هذا المشروع الذى يهدف لغسل مخ أعداد كبيرة من الشباب المصرى وأعلن المركز الأكاديمى أن النشرات الدعائية بالعربية والإنجليزية ستصل لمصر قريباً وتستهدف إسرائيل الشرائح الآتية :

– الشباب الذين حصلوا على الشهادة الثانوية ويريدون استكمال تعليمهم الجامعى فى إسرائيل .

– الذين حصلوا على الشهادة الجامعية ويريدون استكمال الماجستير والدكتوراه .

الجدير بالذكر أن وزارة التربية والتعليم المصرية رفضت عرضاً إسرائيلياً بتزويد المدارس المصرية بأجهزة كمبيوتر مع بعض المناهج الخاصة بدور الحضانة المصرية ونظام ألعاب وكتب تعليم الأطفال حسب المنهج الإسرائيلى .

– ومن الشرائح المستهدفة للدخول فى المشروع الإسرائيلى طلاب أقسام اللغة العبرية حيث يقدم لهم المشروع منحاً لتعلم اللغة العبرية فى ستة أسابيع حتى 24 أسبوعاً والبرنامج الشامل لهذه المنح الدراسية الإسرائيلية يتكلف حوالى

4000 دولار شاملاً الإقامة والتغذية مع شهادة علمية تقول إسرائيل: إنها شهادة معترف بها عالمياً ونسيت أن هذه الشهادة الإسرائيلية غير معترف بها فى كل الدول العربية حتى فى التى تقيم علاقات حميمة مع إسرائيل .

وفى عام 1996 (ابتداء من شهر سبتمبر) بدأت أجهزة الأمن بالمنافذ المصرية المشتركة مع إسرائيل عدم السماح للمواطنين المصريين بالسفر إلى إسرائيل باستثناء رجال الأعمال والوفود وإصدار قوائم تمنع خروج بعض الفئات من التوجه للعمل أو السياحة فى إسرائيل, وكذلك إعداد قوائم تضم شخصيات إسرائيلية غير مرغوب فى دخولها مصر , خاصة فى ظل التوتر الأخير بسبب رفض مصر التصريحات المعادية التى أدلى بها بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل ضد مصر , بالإضافة إلى رفض مصر للحشود العسكرية الإسرائيلية فى هضبة الجولان.

****

* هذا وفى مقابل العمالة المصرية فى إسرائيل ثمة جهل رسمى كان يميز الحكم المصرى خلال فترة الدراسة (1979–2011) عن العمالة الإسرائيلية فى السوق المصرية ، وفى 2002/4/23 كشفت مستندات القوى العاملة عن عدم وجود حصر لأعداد العمالة الإسرائيلية التى تسربت إلى السوق المصرية بصورة غير رسمية ! اعترفت وزارة القوى العاملة بأن هناك عمالة إسرائيلية فى مصر, ليس لها علاقة بالقوانين المعمول بها فى البلاد كما اعترفت بأن دورها يقتصر على إصدار تراخيص العمل للعمالة الرسمية فقط والتى تظهر الإحصاءات أعداد العمالة الإسرائيلية التى توجد فى مصر وليس لها علاقة بالمعمول بها . أشارت الوزارة إلى أنها أصدرت تسعة تراخيص عمل فقط لخبراء إسرائيليين يعملون فى مجال المهن الزراعية !

وهم " اليكم شالومى مهندس زراعى وصاحب عمل بشركة هازير ا إيجيبت – أورين والشى خبير زراعى فى مجال مشاتل الموالح بمزرعة عبد الحميد

الدمرداش – وبن اناث صموئيل خبير زراعة الموالح بمزرعة عبد الحميد الدمرداش– وشاؤول جوفير خبير زراعة الموز بمزرعة عبد الحميد الدمرداش ودوف لوت خبير فى زراعة الأنسجة الزراعية بمزرعة عبد الحميد الدمرداش وعلى رفيق الرازق خبير زراعة الفراولة بشركة دياب صلاح للإصلاح الزراعى وجرشون رومسن خبير زراعى بشركة دياب صلاح للإصلاح الزراعى وبن آمى بيليج خبير مقاومة الحشرات بشركة النيل للتنمية الزراعية "نادكو" وإبراهام ألفونس بايون خبير زراعى بشركة أجروتك للزراعة , وأكدت وزارة القوى العاملة عدم وجود بيانات أو إحصاءات لديها عن أعداد المصريين العاملين فى إسرائيل كما أكدت أنها لم تتلق طلبات من جهات إسرائيلية تطلب عمالة مصرية للعمل فى إسرائيل!! وتشير المعلومات إلى أن هناك مئات الخبراء الإسرائيليين الذين يعملون بمصر ومعظمهم فى مجال الزراعة والنسيج والملابس الجاهزة .

****

ثالثاً : أسباب سفر المصريين لإسرائيل :

على مدار عقود من الصراع العربي الصهيوني، وعبر الجولات العسكرية المصرية الإسرائيلية على وجه الخصوص، ومع الجرائم الصهيونية التي لا تنقطع في فلسطين ولبنان وسورية، ترسب في وعي المصريين خطر الكيان الصهيوني على الوجود العربي، وعلى الوجود المصري بوجه خاص، لذا فإن ظاهرة وجود المصريين فى إسرائيل، لمدة طويلة أو مؤقتة، هي ظاهرة محدودة . أو ما تزال محدودة . في الحجم والتأثير، وإن كان الزمن كفيلاً بتناميها إن استمرت الأوضاع الاقتصادية والسياسية في مصر كما هي عليه، فرغم أننا لا نرى أن الفقر يبرر أو يوفر العذر لصاحبه في أن يلقي نفسه في أحضان عدوه، فإننا في الوقت نفسه لا نملك أن نتجاهل دور الفقر والاحتياج في دفع المصريين للسفر للكيان الصهيوني، كذلك فإن سياسة التصالح والتطبيع التي

انتهجتها نظام السادات – مبارك مع ذلك الكيان، هي ما صنع تلك الظاهرة وساعد في تناميها.

ويمكن بوجه عام أن نقسم المصريين الذين يسافرون للكيان الصهيوني حسب ظروفهم وسبب وجودهم هناك إلى أكثر من فئة:

(1) هناك المصريون العاملون في السفارة المصرية والمؤسسات المصرية الرسمية الأخرى بالدولة الصهيونية.

منهم من يتعامل مع المسألة بمنطق الواجب الوظيفي، وأنه يعمل في خدمة الحكومة المصرية أينما وجهته، ومنهم من يُقبل على التعامل مع الصهاينة بحماس تحت دعاوى وشعارات السلام والتعايش، وقد كان السفير المصري الثاني في الكيان الصهيوني (محمد بسيوني) نموذجاً لذلك الفريق الأخير !!

(2) وهناك الموفدون من الجامعات والهيئات العامة وشركات القطاع الخاص المصرية، للتدرب في الجامعات ومراكز الأبحاث والشركات الإسرائيلية على التقنيات العلمية في المجالات المختلفة، خاصة في المجال الزراعي، حيث ظلت وزارة الزراعة المصرية هي الأنشط في مجال التطبيع ، منذ بداية عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وحتى اليوم.

(3) وهناك من تقتضي طبيعة أعمالهم دخول إسرائيل على فترات، أمثال: الطيارين والمضيفين الجويين الذين يعملون على خط تل أبيب . القاهرة، وسائقي شركات النقل البري التي تنظم رحلات للكيان الصهيوني، وسائقي الشركات والمصانع التي تورد منتجاتها للكيان الصهيوني، ومندوبي الشركات السياحية المصرية المتعاونة مع شركات وجهات سياحية في الدولة الصهيونية . ومن هؤلاء من يتبع شركات ومؤسسات حكومية مصرية، ومنهم من يعمل بشركات القطاع الخاص .

(4) وهناك المصريون الذين يسافرون لإسرائيل من أجل البحث عن فرص عمل، والملاحظ أن هؤلاء يأتون من مناطق وقرى معينة في الدلتا، كسر أهلها

العرف الاجتماعي الذي يحرم التعامل مع الصهاينة والذهاب لدولتهم، وتجد الشاب منهم يشجع غيره من أهالي قريته على السفر للدولة الصهيونية، ليصبحوا مثله، فلا يشعر بتأنيب الضمير ولا يخشى لوم الناس ونظرتهم إليه، وذلك بمنطق المخطئ الذي بدلاً من الإقلاع عن الخطأ يسعى ليوقع الآخرين في الخطأ نفسه، كي لا يشعر بالنقص أو يتعرض للوم والنبذ الاجتماعي!!

ومن المبررات التي يسوقها هؤلاء أنهم يسافرون للعمل في إسرائيل، كما يسافر غيرهم من المصريين إلى دول الخليج وغيرها من دول العالم، وأنهم لو جدوا فرصة عمل كريمة في الدول العربية المجاورة، لما قصدوا الدولة الصهيونية!!

وتجد منهم من يقول : إنهم يلقون في الكيان الصهيوني معاملة أكثر احتراماً من المعاملة التي يلقاها المصريون في البلاد العربية !!

والحقيقة أنه مهما تعلل به هؤلاء من ذرائع، فإن الأسباب الفعلية لسفرهم للكيان الصهيوني تتراوح بين:

• طمعهم في الأجور العالية التي يحصلون عليها في ذلك الكيان مقارنة بمصر والدول العربية. (متوسط الأجر الشهري في إسرائيل في الأشهر الأخيرة من عام 2010، 1843 دولاراً[1]، وصحيح أن العمال العرب يتلقون أجوراً أقل من العمال اليهود، ولكن يبقى متوسط ما يتقاضاه الجميع أعلى من متوسط الأجور في مصر، ومتوسط أجور المصريين في الدول العربية) .

• قلة تكاليف السفر وتكلفة تأشيرة دخول إسرائيل، مقارنة بالدول العربية والأجنبية.(تكلفة تذكرة السفر البري من مصر إلى إسرائيل حالياً 17 دولاراً، وهو رقم زهيد للغاية يقل عن تكلفة بعض الرحلات الداخلية في مصر).

• الإغراءات الأخرى التي تجتذب عديمي الخلق والعفة، مثل رغبتهم في التمتع بما يسمعون عنه من حرية جنسية في إسرائيل.

• وجود معارف وأقارب مصريين سبقوهم للعمل في ذلك الكيان، وهنا نجد أن معظم المصريين الذين يذهبون للعمل في الدولة الصهيونية يأتون من قرى

ومدن مصرية معينة، لعل أشهرها قريتا "نوسا الغيط" و" ميت الكرما" في محافظة الدقهلية (كما أشرنا سابقاً).

(5) وهناك من يسافرون للكيان الصهيوني من أجل العلاج والسياحة، وهم أقلية تأثرت بما يتردد عن التقدم الطبي والتكنولوجي في إسرائيل .

(6) ومن المصريين من يسافر من أجل زيارة الأماكن الدينية، وهذا الصنف نلحظه أكثر في المسيحيين المصريين، الذين يسافرون للحج في القدس، دون ضجيج أو إعلان، نظراً للموقف المعلن من الكنائس المصرية برفض التطبيع وزيارة الأماكن المقدسة للمسيحيين في فلسطين إلا بعد أن يرد إسرائيل الكنائس والأديرة التي استولى عليها، وبعد أن تؤدي المفاوضات إلى قيام دويلة فلسطينية عاصمتها القدس.

وقد شهدت فترة ما بعد توقيع اتفاقية أوسلو (سبتمبر 1993م) طفرة في أعداد المسيحيين الذين زاروا القدس، مع بلوغ العلاقات المصرية الإسرائيلية ذروة منحناها، ورفع الرئيس مبارك القيود على سفر المصريين للكيان الصهيوني، كما يروي سفير إسرائيل في القاهرة آنذاك.

(7) ولا يقتصر الأمر على المصريين داخل مصر، فثمة مصريون يعيشون في أوربا وأمريكا ويقصدون الكيان الصهيوني لأغراض مختلفة، ربما أشهرهم الدكتور أحمد زويل، العالم الأمريكي مصري الأصل الذي لم يجد حرجا في زيارة الدولة الصهيونية، وإلقاء كلمة أمام الكنيست الإسرائيلي مرتين: مرة بمناسبة تكريم الكنيست له ومنحه جائزة إسرائيلية، والمرة الأخرى بمناسبة تكريمه بعد ستة أشهر قضاها في معهد وايزمان بحيفا، بغرض مساعدة الجيش الصهيوني في تطوير منظومة صواريخ تعمل بالليزر أرض أرض، وأرض جو، ليتم التعامل خلالها مع صواريخ حزب الله في الجنوب اللبناني!!

(8) يبقى فريق من المصريين تعرفوا على فتيات ونساء من عرب 48 قدمن للسياحة في مصر، وتزوجوا بهن، ثم لم يتحملوا الإجراءات الأمنية المعتادة في

مثل تلك الحالات، نظراً لحمل الزوجة للجنسية الإسرائيلية، أو رغبوا في تحسين وضعهم المعيشي، فقرروا السفر للإقامة حيث تعيش أسر زوجاتهم في فلسطين المحتلة عام 1948م.

وهكذا فإن الأغراض الرئيسة لوجود المصريين في الكيان الصهيوني، هي: العمل، والتعلم، والعلاج، والسياحة. وهناك من يذهب بتكليف من جهة عمله، ومن يذهب بإرادته الحرة.

رابعاً : الأعداد الحقيقية للمصريين فى إسرائيل :

لم تتوفر بعد الإحصائيات الدقيقة عن عدد المصريين فى إسرائيل، ولا نملك سوى أرقام متناثرة، صادرة عن تصريحات بعض الوزراء والمسئولين المصريين، أو عن جامعة الدول العربية، أو عن الجانب الصهيوني نفسه، تدور في إطار السنوات العشر الأخيرة من فترة الاثنين والثلاثين عاماً من التطبيع ونقصد بها الفترة من (2000م .2010م)، وسنجد تقديرات مختلفة لعدد المصريين في الكيان الصهيوني على النحو التالي:

- في سنة2000م أعلنت وزيرة الشئون الاجتماعية المصرية، آنذاك (د.أمينة الجندي) في بيان رسمي، وجود 17 ألف مصري يعملون في الكيان الصهيوني.

- وفي سنة 2002م، وفي أحد برامج قناة "الجزيرة" الفضائية (برنامج سرى للغاية) ، صرح تسيفي مزائيل(السفير الإسرائيلي الأسبق في مصر)، أن متوسط تأشيرات المصريين للدولة الصهيونية بلغ 13 ألفاً في الأعوام القليلة السابقة لعام 2000م، قبل أن ينخفض الرقم بنشوب انتفاضة الأقصى في أواخر ذلك العام.

وفي التقرير الصادر عن دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية في أغسطس 2007م، قُدرت العمالة المصرية غير القانونية في الدولة الصهيونية بـ 10% من إجمالي العمالة غير القانونية، والتي تمثل بدورها 23% من العمالة في

الكيان الصهيوني، أي أن العمالة المصرية غير القانونية تمثل 2,3 % من العمالة الأجنبية في الكيان الصهيوني، ويمثل المصريون 13% من العمالة المسلمة في الجيش الصهيوني، وفق التقرير نفسه.
– وفي الخامس من نوفمبر 2009م ، نشر موقع "اليوم السابع " المصري، تقديراً لأحد المصريين المقيمين في إسرائيل منذ 15 عاماً، قال فيه : إن العمالة المصرية القانونية تقترب من 3 آلاف شخص، أما العمالة غير القانونية فتتراوح بين 20 ألفاً و30 ألفاً، وأن 350 مصرياً حصلوا على الجنسية الإسرائيلية . وهو تقدير لا يختلف كثيراً عن التقديرات المتداولة في وسائل الإعلام المصرية .
وهناك تقديرات أخرى لحالات الزواج من إسرائيليات من تلك العمالة، فوفق التقرير الصادر عن دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية في أغسطس 2007م، هناك عشرة آلاف مصري متزوجون بإسرائيليات، يقيمون في مدن: بئر سبع، وحيفا، وتل أبيب. بينما قدرهم شكري الشاذلي (رئيس رابطة المصريين في إسرائيل) في حوار على إحدى القنوات الفضائية المصرية (برنامج الحقيقة) بـ 7500 شخص من إجمالي 22 ألف مصري يعملون في الدولة الصهيونية. وبالطبع فإن الحالات غير المسجلة تجعل العدد الفعلي أكبر من ذلك، هذا في الوقت الذي لا نجد فيه إحصائيات مصرية رسمية حديثة لعدد المصريين المتزوجين بإسرائيليات. وفي آخر الإحصائيات المنشورة عام 2001م نلمح ميلاً واضحاً من الحكومة المصرية للتقليل من الأعداد، ففي ذلك العام أعلنت وزارة العدل المصرية أن عدد حالات الزواج المختلط بين مصر والدولة الصهيونية لا يزيد علي 120 حالة مسجلة في الأوراق الرسمية، منها 50 حالة لفتيات مصريات متزوجات بشباب ينتمون لعرب 48، والفتيات الخمسون وأزواجهن ينتمون لقبيلة العزازمة التي يعيش أبناؤها في مصر والدولة الصهيونية، وكان عامل النسب هنا سبباً في التزاوج بينهم.

هذا ما تقوله الأرقام المتاحة، ومن المؤكد أن زيادة عدد المصريين في إسرائيل يصحبها زيادة في حالات الزواج ونمو في ظاهرة الأسر المصرية الإسرائيلية.

ويرتبط معدل سفر المصريين للكيان الصهيوني بمدى سخونة العلاقات بين النظام المصري والحكومات الإسرائيلية، فكلما ارتفعت وتيرة التطبيع وزادت العلاقات المعلنة بين الطرفين، ارتفع معدل سفر المصريين للكيان الصهيوني، مثلما حدث في أعقاب اتفاقية غزة . أريحا 1993م، حين بلغ دفء المعلن من العلاقات المصرية الإسرائيلية حداً غير مسبوق، دفع الرئيس مبارك لرفع القيود على سفر المصريين للكيان الصهيوني، كما ذكرنا!!

كذلك من المؤكد أن معدل سفر المصريين للكيان الصهيوني ينخفض في فترات الاعتداءات الصهيونية الموسعة على الفلسطينيين واللبنانيين، كما جرى في العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو 2006م، وفي العدوان على غزة في أواخر 2008م، وفي أثناء الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى)التي اندلعت في سبتمبر 2000م، إذ يمثل الغليان الشعبي المصري ضغطاً كبيراً على الراغبين في السفر، كما توقظ المذابح التي يرتكبها الصهاينة ضمائر بعض هؤلاء فيعدلون عن فكرة السفر. وفي الجهة الأخرى، يتعرض المصريون المقيمون في الدولة الصهيونية لاعتداءات ومضايقات من جانب المستوطنين الصهاينة، خاصة مع العمليات الموجعة التي تقوم بها المقاومة، حينها من الممكن أن تصل الاعتداءات لرئيس رابطة المصريين في الدولة الصهيونية نفسه(شكري الشاذلي)، رغم ما يقدمه من خدمات للحكومة والأحزاب الصهيونية، وهذا ما حدث فعلاً في أثناء انتفاضة الأقصى، حين حرق بعض المستوطنين الغاضبين محل الهدايا الذي يملكه الرجل في مدينة الناصرة.

كذلك من الملاحظ أن بعض الشباب في القرى المصرية التي عرف شبابها الطريق لإسرائيل ، حين تُغلق أمامهم الأبواب القانونية للحصول على تأشيرات لإحدى الدول الأوربية التي لا تضيق على العمالة المصرية غير القانونية، مثل

إيطاليا، ويعجزون عن توفير المبالغ الطائلة التي يطلبها سماسرة التأشيرات، فإنهم يسافرون لإسرائيل إما للحصول على التأشيرات من هناك، وإما لادخار المبلغ الذي يطلبه السماسرة، والذي يزيد حالياً عن 80 ألف جنيه مصري . ومن هؤلاء من يمر إلى أوربا بالفعل، ومنهم من يبقى في إسرائيل .

***

خامساً : حياة المصريين داخل الكيان الصهيونى :

يطرح المؤرخون للتطبيع فى شقه الاجتماعى سؤالاً مهماً وهو كيف تعيش العمالة المصرية داخل هذا الكيان ؟ هذا السؤال يتضمن زاويتين: زاوية موقف الحكومة الإسرائيلية من المصريين في الكيان الصهيوني، والزاوية الأخرى هي طرق معيشة المصريين في ذلك الكيان وموقفهم منه، خاصة في حالات العدوان على الفلسطينيين في قطاع غزة أو على جنوب لبنان؟

أما عن الحكومة الإسرائيلية ، فهي نسبياً وليس بشكل مطلق ترحب بالمصريين؛ لأنها ترى فيهم طلائع التطبيع الشعبي الذي يمثل الهدف الاستراتيجي في مسيرة التطبيع، ومرحلتها النهائية.

ويتضح ترحيب إسرائيل النسبى بالمصريين المقيمين بها من خلال تأمل عدة أمور:

1 – تزايد أعداد أولئك المصريين على مدار العقود الماضية، وتزايد أعداد من يتزوجون منهم بحاملات للجنسية الإسرائيلية، وهذا مؤشر على عوامل جذب من ضمنها حسن المعاملة مع العائد المادى المرتفع.

2 – غض الحكومة الإسرائيلية الطرف عن آلاف من المصريين انتهت مدة إقامتهم في الكيان الصهيوني، وعن أضعاف ذلك العدد ممن يعملون دون تصاريح قانونية، وهذا في ذاته عامل جذب للعمالة المصرية، خاصة مع ارتفاع مستوى الدخل هناك قياساً بمصر .

3 – سماح الحكومة الإسرائيلية بتكوين رابطة للمصريين في الكيان الصهيوني، هدفها المعلن الحفاظ على المصالح الاقتصادية والاجتماعية لأعضائها، وتعامل الأحزاب السياسية الإسرائيلية مع تلك الرابطة، وتيسير إجراءات زواج المصريين من حاملات الجنسية الإسرائيلية. ولكنها رابطة للاختراق الناعم للجسد المصرى .

4 – سماح الحكومة الإسرائيلية للمصريين بالعمل في المهمات المدنية بالجيش الصهيوني، مثل نقل البضائع ، وهذا مؤشر خطير يدل على مدى هيمنة إسرائيل على العمالة المصرية لديها!!

* أما عن حياة المصريين في إسرائيل، فهم يتركزون في مدن: بئر سبع، وحيفا، وتل أبيب، ومنهم – كما ذكرنا – نسبة عالية تبقى في ذلك الكيان بعد انتهاء مدة إقامتها القانونية، وتعمل بغير تصاريح رسمية، كذلك هناك نسبة كبيرة من ذوي الإقامات القانونية يعملون بغير تصاريح، وقد ذكرنا منذ قليل أن المصريين يمثلون حوالي 2,3 % من العمالة الأجنبية في الكيان الصهيوني.

أغلب زيجات المصريين تكون من نساء عرب 48 المسلمات العربيات، وهم يرون في ذلك ما قد يخفف عنهم اللوم، أما الزواج من يهوديات فقليل ، قدره بعضهم بأنه لا يتجاوز 25 حالة، وهو أمر مفهوم مع اختلاف الديانة والثقافة، ومع القيود التي وضعت في التعديل الأخير لقانون الجنسية الإسرائيلي، وغالباً ما يكون هدف الفتاة الإسرائيلية من تلك الزيجة أن تُعفى من أداء الخدمة العسكرية، بموجب القانون الذي يعفى الإسرائيليات المتزوجات من عرب من تلك الخدمة، وفي الوقت نفسه يحصل الزوج المصري على الجنسية الإسرائيلية التي تيسر له الاندماج في التجمع الصهيوني!!ورغم زواج المصريين بنساء عرب 1948م، فإن ذوي الحس الوطني والقومي من هؤلاء الفلسطينيين الذين فرض عليهم حمل الجنسية الإسرائيلية، يرفضون وجود أولئك المصريين في الكيان الصهيوني، وينظرون إليهم على أنهم عديمو الولاء لوطنهم وأمتهم،

ويرفضون تشبيه وضع المصريين في إسرائيل بوضع عرب 48، إذ ثمة فارق كبير بين الفلسطيني الذي رفض الخروج من أرضه في عام 1948م، واضطر لحمل الجنسية الإسرائيلية ليبقى في وطنه فلسطين، وبين المصري الذي يهاجر من بلده إلى دولة عدوه طمعاً في المال !! .

وقد ساهم في هذه النظرة ما يراه عرب 48 من نماذج مصرية لم تكتفِ بالسعي وراء المال في دولة العدو، بل سعت لتقديم الخدمات السياسية للأحزاب الإسرائيلية وحكوماتها، مثل قادة "الرابطة" الذين قدموا خدماتهم لـ"حزب كاديما" تحت قيادة إرييل شارون، ولـ"حزب العمل" قبل ذلك، حين وجهوا المصريين المتزوجين من عرب 48 لإقناع عائلات زوجاتهم بالتصويت لمرشحين معينين في انتخابات الكنيست والبلديات، بالإضافة لتوجيه أصوات العدد القليل من المصريين الذين حصلوا على الجنسية الإسرائيلية نحو المرشحين أنفسهم.

ومن الواضح أن للرابطة التي أنشأها المصريون في الدولة الصهيونية دوراً كبيراً في حياتهم. وقد تأسست الرابطة – كما يقول رئيسها وقتذاك – في سنتي 2002–2003م، وهي تحاول أن تكون كياناً يحمى مصالح أعضائها ويتحدث باسمهم للحكومات الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه تسعى للضغط على الحكومة المصرية من أجل تخفيف الضغوط الأمنية على أعضائها حين يعودون لمصر، ورفع القيود عن الانتقال بين مصر والكيان الصهيوني، وقد وصلت ضغوطهم إلى درجة توجيه رسالة إلى رئيس الجمهورية حسني مبارك، يهددونه فيها إن لم يستجب لمطالبهم، بأنهم سيلجؤون للحكومة الأمريكية، وسيطلبون منها الضغط على النظام المصري لتنفيذ مطالبهم تلك.

ومع الترحيب الإسرائيلي بوجود المصريين في إسرائيل، فإنه ليس ترحيباً مطلقاً، فالإسرائيليون يريدون الاستفادة من تلك الظاهرة دون أن يكون لها آثار جانبية، ومن الآثار الجانبية التي يخشونها أن يخل وجود المصريين بالوضع السكاني في الدولة الصهيونية، بأن يحصل عدد منهم على الجنسية الإسرائيلية فيزداد

عدد العرب الحاملين للجنسية الإسرائيلية، لهذا اتخذت الحكومات الصهيونية في السنوات الأخيرة عدداً من الإجراءات التي تقلل من ظاهرة زواج المصريين – وغيرهم من العرب – بنساء عرب 48، فتقرر عدم منح المصري المتزوج من عرب 48 تصريح الإقامة إلا بعد قضاء سنتين مع زوجته خارج الدولة الصهيونية..وبهذا يبقى المصريون في إسرائيل، طليعة للتطبيع الشعبي، وفي الوقت نفسه لا يهددون الوضع الديموجرافي في الكيان الصهيوني.

أما عن موقف عموم المصريين المقيمين في إسرائيل في حال الاعتداء الصهيوني على قطاع غزة، أو لبنان، أو سوريا، فإنهم يكونون في الجانب الصهيوني عملياً، ببقائهم في تلك الدولة وممارستهم حياتهم دون مبالاة، وإن تحركت داخلهم نوازع الأخوة العربية والإسلامية، فلا يمكن لهم وهو يقيمون في الكيان الصهيونى، ومتزوجون بمن يحملن الجنسية الإسرائيلية، أن يتخذوا موقفاً معادياً لـ"إسرائيل"، وحتى إن كانوا خارجها حينها، فقد ارتبطوا بالكيان الصهيوني، وتورطوا معه، وأقصى ما يمكن أن يفعلوه أن يتشبثوا بشعارات السلام والتفاوض مع إسرائيل!!

***

* إن تعامل نظام (السادات – مبارك) مع قضية العمالة المصرية فى إسرائيل كان تعاملاً متهاوناً ، إن لم يكن مشجعاً ، ومن يقرأ مذكرات السفراء الإسرائيليين في القاهرة، أمثال موشيه ساسون، وديفيد بن سلطان، يجد أن الرئيس السادات وخَلَفُه، نظرا للصلح الذي أبرماه مع إسرائيل على أنه صلح نهائي، لا حرب بعده، وأن قبولهما لوجود الدولة العبرية هو قبول لا رجعة فيه، وأنهما حرصا على تأكيد ذلك خاصة في السنوات الأولى للعلاقات الرسمية مع الدولة الصهيونية، حتى وصل الأمر إلى احتفال التليفزيون المصري في تلك السنوات بذكرى إنشاء إسرائيل (التي يسمونها عيد الاستقلال)، كما روى موشيه ساسون في مذكراته !! .

إذن فالنظام المصري، الذي بادر بالصلح مع الكيان الصهيوني، وعقد معه معاهدات الصداقة والتطبيع، هو من فتح الباب، قانونياً وسياسياً، أمام المصريين للسفر للكيان الصهيوني، بعد أن كان ذلك أمراً مستحيلاً في فترة ما قبل زيارة السادات للقدس في نوفمبر 1977م، وبهذا فالنظام المصري هو من صنع تلك الظاهرة، وساهم في نموها وتطورها!! ولعل إدراك المصريين الذين يقيمون في الكيان الصهيوني لتلك الحقيقة، هو ما يجعلهم يتعجبون من القيود الأمنية والإدارية التي يفرضها النظام المصري على انتقالهم بين مصر والكيان الصهيوني، وعلى الإجراءات القانونية المتعلقة بزوجاتهم الإسرائيليات، ويزداد العجب حين يرى هؤلاء الرئيس المصري والوزراء المصريين يستقبلون الإسرائيليين ويتعاملون معهم بحفاوة، ويعقدون معهم الاتفاقيات الاقتصادية والأمنية، ويصدرون لهم البترول والغاز الطبيعي!!

كذلك فإن النظام المصري مسئول عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تقدم الذريعة للشباب المصري للسفر للكيان الصهيوني، ذلك التصرف الذي ينافي الفطرة الوطنية والدينية السليمة .

سياسياً وقانونياً – كما يذهب الخبراء – لا يستطيع النظام المصري، بموجب تعهداته في معاهدة الصلح مع إسرائيل ، أن يمنع سفر المصريين لها، فقد ضمنت المعاهدة وملحقاتها أن يحرص طرفاها على علاقات الود مع الطرف الآخر، ومن شأن منع المصريين من السفر للكيان الصهيوني أن يُفسر بأنه خرق للمعاهدة، لذا فإن النظام المصري يتعامل مع تلك القضية من منطلق أمني وإداري، ويوكل لوزارة الداخلية محاولة التقليل من تلك الظاهرة بإلزام الراغبين في السفر بالتعامل مع وزارة الداخلية، والحصول على تصريح منها، ومراجعتها حين العودة لمصر، هذا بخلاف القيود الإدارية على الزواج بحاملات الجنسية الإسرائيلية، ويضاف لذلك الحكم القضائي الذي صدر في يونيو 2010م بإسقاط الجنسية عن المصريين المتزوجين بإسرائيليات من غير

عرب 48، أو المتزوجين من عرب 48 وتنطبق عليهم شروط إسقاط الجنسية !! إلا أن الحل الأمنى لم يكف ولم يحل دون استمرار الظاهرة وزيادة مخاطرها والتى من أبرزها التجسس والاختراق المنظم للمجتمع المصرى .

المحور الثانى : الزواج من إسرائيليات كأحد آليات التطبيع الاجتماعى :

فجأة طفا على سطح العلاقات المصرية – الإسرائيلية (1979-2011) ، لغم شديد الخطورة قادر على تهديد مرتكزات الأمن القومى القائمة على المناعة الذاتية المعادية للعدو الصهيونى ، ولكل علاقة (طبيعية) معه !! .

* فجأة .. ظهرت قضية الزواج من الاسرائيليات بعدما نشرت بعض الصحف المصرية أن عدد هذه الزيجات وصل الي ما يزيد علي 14 ألف حالة، وهو رقم مخيف . ان صح . بكافة المعايير ، الأمر الذي دفع وزارات الداخلية والشئون الاجتماعية لتكذيب الرقم والتقليل من العدد ليصل في بعض التقديرات الي ألف ومائة حالة، وفي تقديرات (أمنية) أخرى لا يتجاوز (30) حالة، الا أن الجميع . أمني وسياسي . اتفق علي أنها (حالة) موجودة، وان لم تتحول بعد الي (ظاهرة)، واتفقوا أيضاً علي خطورتها.. وهي الخطورة التي ازدادت حدة ووضوحاً بعد أن أصدرت محكمة القضاء الادارية بالاسكندرية قبل فترة حكمها الخطير بقبول اعطاء الجنسية لأبناء المصري المتزوج باسرائيلية والسماح له بالسفر لاسرائيل اذ منعته السلطات الأمنية، صدر الحكم عن هذه المحكمة التي رأسها المستشار عبد القادر النشار وعضوية كل من محمد الأدهم وخيري زويل وحسني السلاموني وأمانة سر طارق عبد الله في الدعوى التي رفعها المواطن المصري (هشام محمد فريد) ضد وزير الداخلية حبيب العادلي متضرراً فيها من قرار الوزير لادراجه علي قوائم الممنوعين من السفر منذ أكثر من عام وذلك لزواجه من اسرائيلية.. والمؤسف أن المواطن لم يخجل من فعلته ولجأ الي القضاء يطالب فيه بالغاء قرار الوزير، مؤكداً أن ذلك يضر بحياته الاجتماعية وترابط أسرته المكونة من زوجته الاسرائيلية والتي حاول دفاعه في عريضة الدعوى أن يؤكد أنها عربية الجنسية مسلمة الديانة من منطقة الناصرة وليس عيباً أنها مقيمة في اسرائيل وتحمل الجنسية الاسرائيلية كغيرها من عرب 1948 وأنه قد تعرف عليها منذ سنوات عندما ذهب للعمل باليومية في المزارع

وتزوج منها طبقاً للقانون هناك فإن الأبناء سوف يحملون جنسية الأم ونظراً لخطورة النتائج فقد حسم وزير الداخلية الأمر ومنعه من السفر، إلا أن الحكم الذي صدر مؤخراً من محكمة القضاء الاداري لصالحه بالغاء قرار الوزير والسماح له بالسفر لاسرائيل أعاد الي النقاش مرة أخرى القضية مما دفع عدداً من رجال القانون المصريين الي المطالبة بضرورة تعديل قانون الجنسية المصرية وسد ما به من ثغرات يلجأ اليها الكثيرون ولا بد من النظر فيه وتعديله لكي يتم اسقاط الجنسية عن كل ما يتزوج باسرائيلية.

* إذن القضية خطيرة كانت – ولاتزال – ، وتحتاج إلى بحث وحوار ومعالجة ليس فقط أمنية ، بل سياسية ، وقانونية ، وإعلامية وهو ما نحاوله فى هذه السطور .

***

أولاً : الزواج من الإسرائيليات : تحرير المفاهيم

بداية لا بد أن نحرر المفاهيم .كما يقول علماء اللغة والأصول .فالزواج الذي يتم بين الشباب المصري و(اسرائيليات) لم يكن في أغلبه (90% منه علي الأقل) مع (اسرائيليات يهوديات) كما قد يظن من الأخبار المنشورة، بل مع فتيات من عرب 1948، يحملن الجنسية الاسرائيلية بحكم الاحتلال والاقامة، ومن ثم إطلاق الصفة عليهن بـ(الاسرائيليات) قد يؤدي الي لبس في الفهم، وسوء الظن وإن كان لا ينفي الخطورة القادمة مع هذا الزواج أيضاً والتي سنفصلها لاحقاً.

الا أننا نود هنا وفي البداية أن نسجل هذه الملاحظات قبل الولوج الي الحديث عن مخاطر هذا الزواج علي الأمن القومي المصري و(العربي) من جراء تحوله (أي) الزواج من الاسرائيليات من (حالة محدودة) الي (ظاهرة عامة).

1 – المعروف أن عرب 1948 الذين اصطلح خطأ بتسميتهم (عرب اسرائيل) يصل تعدادهم الي مليون ونصف المليون، يتواجدون في 90 قرية و5 هي

(عكا – حيفا – يافا – اللد – الرملة) وكان تعدادهم بعد عام 1948 لا يتجاوز 160 ألف عربي، وهذه الكتلة البشرية، شاركت في أحداث الانتفاضة الأولي عام 1987 والانتفاضة الثانية (2000م)، وقدمت في الأخيرة 13 شهيداً في الأيام الأولي للانتفاضة، ومن الخطأ والخلل الجسيم وصم هذه الكتلة كلها بأنها (كتلة اسرائيلية) تسبح في الأهداف والمصالح الاسرائيلية ومن الخطأ أيضاً اعتبار أي تعامل أو تفاعل معها عبر الوسائل المختلفة والتي منها "الزواج" زواجاً خطراً ومكروهاً ؛ لأنه زواج باسرائيليات.

طبعاً هذا خطأ اذا ما أطلقنا الحكم والوصف بطريقة عامة لا تقرأ التفاصيل والتواريخ والحقائق.

* ولكن ..

* لا ينبغي بالمقابل تجاهل ما يحمله التعامل غير المحسوب والمبني علي العاطفة وحدها مع عرب 1948 دون ادراك وتقصٍ دقيق لحجم التغيرات والمؤثرات الاسرائيلية التي مورست عليهم وجذبتهم الي دائرة المصالح والأهداف الاسرائيلية، الي الحد الذي يجدنا بالفعل وليس بالخيال أو التوهم، جواسيس من (عرب 1948) ، نموذج حديث لهم الجاسوس (عزام متعب عزام) المسجون السابق والمتهم بالتجسس والعمل مع جهاز الموساد ومعه ثلاث فتيات من عرب 1948، وهناك ما يقرب من 10 قضايا أخري كشفتها المخابرات المصرية خلال فترة الـ33 عاماً (موضوع دراستنا) فقط كان أبطالها من عرب 1948.

* اذن الخطر قائم، وان كنا مع ادراكه ندعو الي عدم الاستسهال في وصف (عرب فلسطين)، الأبطال الذين صمدوا ولم يرضخوا للضغوط الاسرائيلية، بأنهم (اسرائيليون) وبناتهن (اسرائيليات) و(لا يجوز الزواج بهن لأنهم بالأساس جواسيس)، هذا قول مناف للحقيقة، وفاسد أخلاقياً وسياسياً ولا يجوز أبداً تعميمه.

2 – الشباب العربي (والمصري خاصة) الذي دفعته ظروفه الاقتصادية وقلة وعيه السياسي، للعمل داخل الكيان الصهيوني، ظل وسيظل مجالاً خصباً للاختراق الاسرائيلي الأخلاقي والسياسي، لتدميره من داخله ولاختراق مجتمعه الذي لا يزال يقاوم التطبيع، والزواج بـ(اسرائيلية يهودية) هو قمة الاختراق وأعلى مراحل التطبيع، ولكن الحقائق تقول : إن عدد المصريين الذين تزوجوا بـ(يهوديات اسرائيليات) لا يتجاوز العشرة، وهؤلاء تزوجوا بهن لأسباب اقتصادية بحتة، وبعضهم لأسباب أخلاقية (أي كن بالنسبة اليهم أقرب للعشيقات منهن للزوجات)، وعليه فالتضخيم في هذه الحالة (والوصول بالعدد الي 14 ألفاً) غير منطقي، ويحتاج الي تدقيق وإلي تنبه للخطر القادم، الخطر الذي قد يتحول الي ظاهرة عامة تحت ضغط الحاجة الاقتصادية وقلة الوعي السياسي والديني، ومن ثم يكون مهدداً للأمن القومي بالفعل، وساعتها لن يفيد العلاج، أو أساليب المنع الاجبارية.

بعد هذه الملاحظات يلح علينا سؤال مركزي نود أن نبحث بموضوعية عن اجابة له، سؤال يتعلق بمخاطر الزواج من (اسرائيليات) سواء كن من عرب 1948 أو من (اليهوديات) على الأمن القومي،وهل يمثل هذا الزواج بالفعل خطراً آنياً أو مستقبلياً علي هذا الأمن؟.

إن الاجابة المبنية علي متابعة ميدانية لأرقام وحقائق ظاهرة زواج نفر من الشباب المصري (كنموذج) من اسرائيليات، تنبئنا هذه النتائج:

1 – حماية الأمن القومي لأي بلد من البلاد يرتبط بمواجهة منظومة خبيثة من المهددات الداخلية والخارجية، والتي تمثل نسيجاً تحالفياً مؤثراً، وهو نسيج معقد يشتمل علي عشرات من مصادر الخطر : فمن عدوان خارجي محتمل الي فساد داخلي مقصود، ومن تبعية واستقطاب سياسي خارجي الي استبداد وأزمات سياسية اقتصادية داخلية، وبين هذه المؤسسات يأتي (التجسس) الاقتصادي والسياسي والعسكري كأحد أنجح الأساليب الخارجية لتهديد الأمن القومي لأي بلد في العالم،

وفي حالتنا العربية (والمصرية بخاصة) تظل البلاد مستهدفة ؛ لأن هناك صراعاً مع عدو دخيل علي نسيج المنطقة، عدو لم تصلح معه اتفاقات سلام أو تسوية ولم تحل – هذه الاتفاقات – دون أن يمارس تجسسه بل وبقوة أكثر في هذه الاتفاقات البائسة، وفي مصر وحدها تم خلال حقبة التسعينات ضبط 6 شبكات تجسس بإشراف (الموساد)، كان أبرزها قضية (مصراتي) و(عزام) و(شريف الفيلالي)، وكان الملفت في هذا النمط من التجسس الذي يأتي في ظل (السلام المزعوم)، أن عموده الفقري يرتبط بنساء من اليهود أو عرب 1948، وارتبطن بمصريين فقدوا العزة والكرامة والانتماء الحقيقي لوطنهم ، وبعضهم ربطتهم علاقات عاطفية بتلك النسوة، والبعض الآخر ارتبط معهن بعلاقات اقتصادية بحتة.

* إذن كان للعلاقة غير الصحية مع نفر من (عرب 1948) الدور المباشر في انشاء وانتشار شبكات التجسس، وفي قدرة الموساد على اختراق المجتمعات العربية خلال السنوات العجاف السابقة التي سميت سنوات التطبيع و"السلام" وبالتحديد الأردن ومصر!! وهنا يأتي الخطر فعلاً علي الأمن القومي العربي والمصري بخاصة، فالعدو الصهيوني يدرك أن الاختراق أسهل وأفعل عن طريق عرب يتحدثون لغتنا ويفهمون – ولا شك – أحاسيس قيم ودين ومشاعر العربي أكثر من الاسرائيلي أو الاسرائيلية اليهودية، هذا الاختراق تم ولا يزال يتم عبر وسائل عدة : إحداها ولا شك هو الزواج من الاسرائيليات من عرب 1948 وهو زواج اذا تم برعاية أجهزة الأمن الاسرائيلية وبموافقتها ساعد علي تحقيق الاختراق والتجسس المطلوب ، ومن ثم تحاول هذه الأجهزة الاسرائيلية استخدام (الورقة الرابحة) كسلاح تجسس لتهديد الأمن القومي، وهو سلاح خطير طبعاً ولكنه اذا ما صادف أنظمة وشعوباً ومجتمعاً عربياً يدرك أهمية وقيمة (عرب 1948) وبأن أغلبهم من الشرفاء المناضلين الذين اضطروا الي حمل (الهوية الاسرائيلية)، نقول : إذا صادف هؤلاء فإنه من الممكن جداً أن

يكون سلاحاً في أيدينا نحن ونقطة قوة لأمننا القومي وليس نقطة ضعف، وتصبح (الورقة الرابحة) في أيدي الصهاينة ورقة خاسرة، ولكنه تحتاج الي ضوابط وتنظيم وترتيب يدرك خصوصية الصراع ويدرك أهمية التواصل مع أهلنا من عرب الداخل علي أرض جديدة، تأخذ المخاطر التي تتصل بالأمن القومي العربي (والمصري بخاصة) في حسبانها.

2 – إن قضية الزواج (باسرائيليات) عربيات أو يهوديات تفجر فضلاً عما سبق، قضايا أخرى علينا أن نواجهها بصراحة كافية بدلاً من دفن الرؤوس في الرمال، ومن هذه القضايا/ التساؤلات، لماذا أصلاًَ يهاجر الشباب العربي و(المصري بخاصة) إلى الكيان الصهيوني؟ ان هذه الهجرة أو السفر هي (أصل الداء) والزواج أو ما يستتبعه من محاولات تجنيد الشباب بهدف التجسس هي (النتيجة) والعرض لهذا الداء ، اذن لنواجه أنفسنا محاولين الإجابة عن السؤال بصراحة ومحاولين الوصول إلى تشخيص علمي واقعي لمنابع الخطر، ساعتها لن يكون هناك أصلاً زواج بـ(اسرائيليات) وساعتها يكون الحديث عن الزواج من نساء من عرب 1948 أكثر موضوعية ؛ لأنه يأتي في مناخ صحي وطبيعي وله ضوابطه وشروطه وليس مناخاً ملتهباً سياسياً واقتصادياً كما هو حاصل.

* إن هجرة الشباب المصري أو الأردني أو العربي باجمال وسفره الي الكيان الصهيوني، يأتي في المقام الأول بهدف اقتصادي ، ولم نقرأ أو نتابع أن السفر كان بهدف سياحي كما هو حاصل مع الاسرائيليين الذين يأتون الي مصر مثلاً (حوالي ثلاثة أرباع الكيان الصهيوني زاروا مصر خلال الفترة من 1979 حتي 2011) بهدف السياحة والتجسس بالطبع وبالمقابل لا يزيد عدد المصريين الذين سافروا الي هذا الكيان خلال نفس الفترة (عن 20 ألف مصري في أحسن تقدير).

* إن السفر إلى (الكيان الإسرائيلى) نابع بالأساس من الحاجة الاقتصادية ، وهى حاجة لشدة وطأتها ، قادرة على إلغاء التاريخ والذاكرة والوعى لدى بعض الناس ، من البسطاء الذين يمثلون ملح الأرض فى ريف مصر ومدنها وفى الريف العربى ومدنه أيضاً ؛ ومع ضيق المعايش وقلة الحيلة وانسداد أبواب الرزق بسبب حرب الخليج الأولى والثانية ، وبسبب توجه المال العربى النفطى إلى الأسواق والاستثمارات الخارجية (800 مليار دولار فى أمريكا وأوروبا) وعدم اتجاهه الوجهة الصحيحة العربية (والمصرية بخاصة) اتجه هذا النفر من الشباب المصرى والعربى إلى الهجرة والعمل لدى أعداء الأمس ، والذين صاروا بفضل سياسة غسيل الأدمغة التى يمارسها الإعلام الرسمى وساسة البلاد (أصدقاء) ، اتجه هذا الشباب إلى هناك ليعمل وليخطىء ثم ليتزوج ولا بأس أن يتجسس فيما بعد .

* ومن الملفت هنا الانتباه إلى أن هذا الشباب قد تم غسيل مخه أولاً فى مصر تحت دعوى (السلام) وأن حرب أكتوبر 1973 كانت آخر الحروب وأن التطبيع فعل إيجابى وشرعى فكان طبيعياً أن يقع فريسة لهذه الأوهام ، فذهب يطبقها عملياً ، ولما عاد وهو يحمل معه ثمرة هذا (السلام) ؛ الزواج بإسرائيلية فوجىء بمن يُقرّعِه بل ويهدده بالسجن من الوزراء والمسئولين لأن هذه (الفعلة) تهدد الأمن القومى للبلاد ؟! .

* فأى ثنائية تلك ؟ .

* وأى تناقض هذا الذى يقع فيه (الكبار) ويطلبون من (الصغار) ألا يقعوا فيه !! .

* إن ما نراه الآن هو النتاج المُر الطبيعى لسياسة مصرية عاجزة مفلسة ، أدت إلى مقتل رئيس (السادات) وخلع الثانى (مبارك) وذهاب الشباب إلى تل أبيب ليعمل فى (المستوطنات) ويعود بالمال الحرام وبالإسرائيليات وبالانهيار القيمى لذاكرته ودينه وطبيعة صراعه العقائدى المصيرى مع هذا العدو ؛ هو

ثمرة هذه السياسة خارجياً ، وهو ثمرة الإفقار الاقتصادى الذى تمارسه فى الداخل ، مقروناً بالاستبداد السياسى، والتبعية المقيتة للغرب ومشاريعه ، ولكى نواجه بجدية المخاطر القادمة مع هذه الثمار ، علينا باقتلاع الشجرة السامة من الأصل ، علينا بتغيير السياسة التصالحية مع هذا العدو وباستبدالها بسياسة المقاومة وعلينا بتغيير الخطاب الإعلامى المتهافت ، الذى يلح على السلام رغم عناقيد الشهداء التى تتوالى فوق أرض فلسطين كل صباح ، وعلينا بتغيير اقتصادنا وتحويله إلى اقتصاد تنمية للفقراء بالأساس وليس للسماسرة ونهابى أموال الشعوب ومستثمرى النفط فى صناعات الغرب ورفاهيته .

* إذا قمنا بذلك ، ونتمنى أن يحدث ، فساعتها لن نحتاج إلى تقريع شبابنا على الزواج من إسرائيليات ؛ لأنه أصلاً لن يذهب إلى هناك ، إلا مقاتلاً ، ومحرراً ، وليس أجيراً فى مستوطنة أو زوجاً لدى مُستوطِنة !! .

***

ثانياً : الأزمة: وقائع أخطار :

وفى إطار تفصيل جوانب قضية زواج المصريين من إسرائيليات توالت الأخبار والتقارير الإعلامية حول القضية خلال فترة الدراسة (1979–2011) ومنها ما نشر فى العام 1998 فى تقرير حديث أعدته وزارة الخارجية والتعاون الدولى , ارتفاع معدلات الشباب بين الشباب المصرى وإسرائيليات بواقع ثلاث أو أربع زيجات سنوياً وأشار التقرير الذى تم رفعه إلى مكتب رئيس الوزراء د. الجنزورى إلى أن عدد حالات الزواج غير المرغوب فيها بين مصريين وإسرائيليات بلغ نحو 45 حالة خلال الثمانى سنوات الأول من عقد التسعينات داخل مصر بسبب السياحة الإسرائيلية , وأشار التقرير إلى أن ارتفاع نسبة الزواج بين مصريين وإسرائيليات بسبب اشتراط إدارات التوثيق وجود خطاب عدم ممانعة من السفارة الإسرائيلية بالقاهرة , وهو ما ترفض السفارة منحه للراغبين فى الزواج .

** فى 2001/6/10 نشرت جريدة " العربى " خبرا للصحفى صالح رجب عن تداعيات حكم القضاء الإدارى بإلغاء قرار وزير الداخلية بسحب الجنسية المصرية من الطفلة "ميرا " الابنة الإسرائيلية للمصرى أحمد صالح وقد نبه الخبر إلى الخطورة البالغة من وجود أولاد لأبوين (مصرى وإسرائيلية أو العكس) وهو ما يمكن – بحسب الخبراء – أن يؤدى إلى وجود طابور خامس فى المستقبل المنظور سيكون ولاؤهم لبلد المنشأ وهى هنا إسرائيل وسيعملون بكل جهد لصالح مصالح إسرائيل .

وشدد الخبراء وأعضاء برلمانيون إلى هذه المشكلة وهى زواج مصريين من إسرائيليات ووصفوها بالكارثة على حسب رأى البرلمانى محمد عبد العليم داود ، أما اللواء طه المجدوب فطالب بمحاكمة الخونة الذين حولوا مصر كوطن طارد لأبنائه فارتمى بعض أبنائه فى أحضان الإسرائيليات . وطالب حسن الألفى وزير الداخلية باتخاذ خطوات جادة لوقف هجرة الشباب المصرى لإسرائيل حماية للأمن القومى لمصر .

أما د. عواطف عبد الرحمن فأكدت أن أبناء هذا الزواج يصبحون جواسيس يحملون رخصة مصرية

** نشرت المصرى اليوم والأهرام فى 2010/6/7 خبراً عن القضية التى رفعها المحامى نبيه الوحش لإسقاط الجنسية عن المصريين المتزوجين من إسرائيلية وقد قضت المحكمة الإدارية العليا فى مجلس الدولة حكم المحكمة الإدارية القاضى بإسقاط الجنسية من المصريين المتزوجين من يهوديات إسرائيليات وبين المتزوجين من فلسطينيات من فلسطينيى 48 يحملن الجنسية الإسرائيلية أيضاً .

وفى سياق متصل قال شكرى الشاذلى رئيس الجالية المصرية فى إسرائيل : إن الحكومة المصرية لا تستطيع سحب الجنسية منا وإن حدث هذا سيمكنهم اللجوء لمجلس الأمن وستحدث مشاكل كبيرة لمصر وحكومتها ، مشيراًً فى

الوقت ذاته بالتفرقة بين المتزوجين من فلسطينيات 48 وبين المتزوجين من اليهوديات الإسرائيليات .

** واستكمالاً للحكم الصادر من المحكمة الإدارية العليا بسحب الجنسية المصرية من المصريين المتزوجين من إسرائيليات يهوديات ، نشرت صحيفة الفجر فى 2010/6/14 أن القانون 26 لسنة 1975 لا يسقط الجنسية فقط عمن يتزوج إسرائيلية بل إنه يسقط الجنسية عن أى مسؤول يعترف بإسرائيل ، أى أن هذا القانون يسقط الجنسية المصرية من السادات وحكومته ومبارك وحكومته وكل السياسيين والمثقفين والصحفيين ورجال الأعمال وسماسرة التطبيع وكل ما له صلة بالمصالح الإسرائيلية ، لأنه بالضرورة لابد أن يعترف بها ونص القانون 26 لسنة 1975 يقول بإسقاط الجنسية عن كل هؤلاء ؛ لأنهم بالتأكيد سيعترفون بوجود إسرائيل .

* وفى يوليو 2010 قضت محكمة القضاء الإداري بالإسماعيلية برئاسة المستشار علي زمزم، نائب رئيس المجلس، مؤخرًا بأحقية أبناء الأم المصرية المتزوجة بفلسطيني في اكتساب الجنسية المصرية، طبقًا لنص قانون الجنسية رقم 154 لسنة 2004م الذي لم يستثنِ فئة دون أخرى، وأن الحفاظ على الكيان الفلسطيني لا يعد حجة لمخالفة الدستور.

وأكدت المحكمة أن اعتبارات القومية العربية واتفاقيات الجنسية الموقَّعة بين أعضاء جامعة الدول العربية، لا تشكل قيدًا على نص القانون الذي يمنح الجنسية المصرية وينعم بها أبناء الأم المصرية المتزوجة بأجنبي، وأن امتناع وزارة الداخلية عن منح الجنسية لأبناء الأم المصرية لأب فلسطيني الجنسية لاعتبارات الحفاظ على الكيان الفلسطيني، لا يعد حجة لحرمانهم من الجنسية(1).

---

(1) جريدة الأهرام، "الأحقية في الجنسية المصرية لأبناء المتزوجة بفلسطيني"، 14 من يوليو 2010، ص1

ولتحليل أبعاد وتداعيات الحكم سالف الذكر - مع التسليم بأن الحكم عنوان الحقيقة، يجدر المُقاربة بينه وبين حكم آخر - لارتباطهما بقضية زواج المصريين بإسرائيل - وهو حكم المحكمة الإدارية العليا بمجلس الدولة التي أيدت في جلستها المنعقدة في الخامس من يونيو 2010م، الحكم الصادر عن محكمة القضاء الإداري "أول درجة" القاضي بـ"إسقاط الجنسية المصرية عن المصريين المتزوجين بإسرائيليات".

وألزمت المحكمة وزارة الداخلية بعرض طلب إسقاط الجنسية المصرية في هذا الشأن على مجلس الوزراء للنظر في إسقاط الجنسية من عدمه، شريطة أن يتم عرض كل حالة على مجلس الوزراء على حدة.

إلا أنه قُبَيل النطق بالحكم قال المستشار محمد الحسيني، رئيس المحكمة: "إن الدعوى الأصلية تتعلق بطلب إسقاط الجنسية المصرية عن جميع المتزوجين بإسرائيليات، لكن المحكمة استوضحت اختلاف المركز القانوني بين الإسرائيليات الصهاينة[1] وبين عرب فلسطين الرازحين تحت الاحتلال الصهيوني، غير أن كلا الأمرين يتعلق قانونًا بواجب وزارة الداخلية بعرض هذه الحالات للدراسة على مجلس الوزراء؛ لأنه الجهة الوحيدة المختصة بإقرار إسقاط الجنسية من عدمه".

وأضاف الحسيني "أن وزارة الداخلية محمَّلة بأعباء تنوء بحملها الجبال ولا يسهل عليها اتخاذ قرارات بهذا الشأن مع وجود فارق بين اختصاصات كل وزارة وسلطات مجلس الوزراء الذي يضم جميع الوزارات المعنية بموضوع الجنسية، مما يدخل البت في طلبات إسقاط الجنسية ضمن الاختصاص المعقود لمجلس الوزراء دون أي وزارة منفردة".

---

(1) من المفارقات المباركية ، أن هذه التفرقة سينجم عنها إسقاط الجنسية عن المصرى هشام محمد نسيم – نجل رجل المخابرات المصرية الشهير الذى كان له الفضل فى قضية رأفت الهجان – لزواجه من الإسرائيلية اليهودية فيرد ليبوفيتش ، انظر : المصرى اليوم ، 3 نوفمبر 2009 وحوارها المطول معه ، ص1.

وأشار الحسيني إلى ضرورة امتلاك وزارة الداخلية قاعدة بيانات متكاملة عن المصريين المتزوجين بإسرائيليات وطبيعة تواجدهم في إسرائيل، علمًا بأن وزارة الداخلية امتنعت عن تقديم هذه القاعدة أثناء نظر القضية رغم أن المحكمة طلبتها مرتين.

وشدد الحسيني على أن المحكمة تشارك جميع المواطنين الشعور الوطني والقومي، مؤكدًا أنه لا علاقة بين هذه القضية والقرارات التي صدرت من وزير الداخلية بإسقاط الجنسية المصرية عمن تجنَّسوا بالجنسية الإسرائيلية دون إخطار الحكومة بالمخالفة للمادة 10 من قانون الجنسية المصري. [1]

وكانت محكمة القضاء الإداري (أول درجة) أصدرت في 19 من مايو 2009م حكمًا يلزم وزير الداخلية المصري بعرض أمر المصريين المتزوجين بإسرائيليات وأولادهم، على رئيس الوزراء "لاتخاذ إجراءات إسقاط الجنسية عنهم" غير أن وزارتي الداخلية والخارجية طعنتا في هذا الحكم أمام المحكمة الإدارية العليا استنادًا إلى أن هذا القرار من اختصاص مجلس الشعب وليس القضاء. [2]

ويقول د. حسين حمودة – الخبير الأمنى البارز – فى بحث له حول هذه القضية : إنه **وبالنسبة لحكم محكمة القضاء الإداري بالإسماعيلية**، الذي قضى مؤخرًا بأحقية أبناء الأم المصرية المتزوجة بفلسطيني باكتساب الجنسية المصرية في ضوء عدم استثناء الدستور والقوانين فئة دون أخرى في هذا الشأن، فإن تغليب القضاء مصلحة الدولة العليا على مصالح المواطنين هو الأَوْلى. ويكون الاستثناء من القاعدة العامة هنا "قضائيًّا". فالعدو الإسرائيلي على استعداد بل يرغب في منح فلسطيني العالم الجنسية الأمريكية وجنسيات

---

(2) جريدة نهضة مصر، "الإدارية العليا تلزم الداخلية بعرض طلب إسقاط الجنسية عن المتزوجين بإسرائيليات على مجلس الوزراء"، 6 من يونيو 2010م، ص1.

(3) المرجع السابق.

دول غربية أخرى، بغية تفريغ القضية الفلسطينية من مضمونها فيما يتعلق بحق عودة الفلسطينيين؛ باختلاق واقع جديد يُفتِر من هِمَم الفلسطينيين بالعودة إلى وطنهم الذي تنتهج فيه إسرائيل سياسة الأرض المحروقة.

ولكن في المقابل يجب تيسير شئون حياة تلك العائلات المضارة في مناحي الحياة كافة، بحيث يمنحون حقوق المصريين في التعليم والصحة وغيرها.

ومن جهة أخرى، فإن تفرقة المحكمة الإدارية العليا بشأن إسقاط الجنسية المصرية عن المصريين المتزوجين بإسرائيليين (يهود) واستثناء المتزوجين بـ "فلسطيني أو عرب 48" مقبول قانونًا وشرعًا؛ لمراعاته للمصالح المصرية الوطنية والقومية العربية، وبالرغم من أن الحكم المشار إليه سيترتب عليه - على أقل تقدير- تشجيع للمصريين على الزواج بإسرائيليين، وهو في حد ذاته إضرار بالمصالح الوطنية المصرية والقومية العربية لما نجم وسينجم عنه من مضار تتمثل في خلق جماعة وظيفية جديدة يستخدمها العدو الصهيوني – بلا شك[1] – في الإضرار بالمصالح المصرية. فإن قاعدة توازن الأضرار المُعْتَبَرة (الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأخف) أي : ضرر مساواة الإسرائيلي اليهودي, بالإسرائيلي العربي في الوقت الذي تمر به القضية الفلسطينية بمخاض، يجعلنا نتقبل الحكم المشار إليه، بل ونؤيده.

ويقول د. حسين حمودة والذى عمل سابقاً فى المجال الأمنى المتصل بمقاومة الصهيونية فى مصر أنه في ضوء ما سلف يجب أن نحتاط لتبعات الحُكْمَين المشار إليهما: **الثاني** وهو حكم نهائي ويمكن تقبله وتفهم أسبابه، و**الأول** وهو قابل للطعن وما زالت خطورة تأييده بمعرفة المحكمة الإدارية العليا قائمة – وذلك بإجراء دراسات وإحصاءات عاجلة بمعرفة لجنة وطنية - غير بيروقراطية - يتم تشكيلها - بصفة عاجلة - وتضم ممثلين عن الجهات الآتية:

(1) من المرجح أن الجيل الثانى من نتاج هذه الزيجات قد تدفعهم أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية إلى مصر تحت غطاء جنسيات مصرية أوروبية مزدوجة للقيام بمشروعات استثمائية ، ولتولى مناصب رفيعة.

* أجهـزة الاسـتخبارات المختلفـة - وزارة الداخليـة وبصـفة خاصـة "مصـلحة الجـوازات، ومصـلحة الأحـوال المدنيـة، ومصـلحة أمـن المـواني" - وزارة القـوى العاملة والهجرة- وزارة العدل - وزارة الخارجية، وبصفة خاصة السفارة المصرية في تل أبيب ورام الله - وزارة التضـامن الاجتماعي- وزارة الإسكان وغيرها من الوزارات والأجهزة المعنية.

* كما تضم اللجنـة ممثلين عن الجهات غير الرسمية مثل اتحـادات رجال الأعمال والصناعات ومنظمات المجتمع المدني المعنية، بالإضافة إلى المراكز البحثية السياسية والاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، **وذلك بغية** تهيئة المناخ الملائم لإعاشـة وإدمـاج أبنـاء المصـريين المتزوجين بإسرائيليين فـي المجتمـع واسـتيعابهم وفـق الواقـع الجديـد (أبنـاء يحملـون جنسـية إسرائيلية ويعيشـون فـي مصـر مـع الآبـاء المصـريين والأمهـات الإسـرائيليات) **مــن جهــة**، ولوضـع التصورات المستقبلية والسُّبل المثلى للتعامل مع قضية منح أبناء الأم المصرية المتزوجة بفلسطيني الجنسية المصرية **من جهة أخرى**.

ويختتم د. حمودة بحثه القيم بالقول : وإذا تصور البعض أن من نتاج الحكمين السـابقين، إفراز حالـة تُجَسِّد التنـاقض "الظـاهري" وشبهة الإخـلال بالمسـاواة في المراكـز القانونيـة بـين المـواطنين، وهـي حالـة مفادهـا أن المصـرية المتزوجـة بإسرائيلي (من أصل فلسطيني) يُمنح أبناؤها الجنسية المصـرية، في حين أن المصـرية المتزوجـة بفلسـطيني - لا يحمـل الجنسـية الإسـرائيلية- يظـل أبناؤهـا غير مصريين - أجانب, في حالـة نقض حكم محكمـة القضـاء الإداري المشـار إليه - "**فالرد يكون:** "لن نجازي الفلسطيني الذي أُجبِر على العيش بين ظَهراني العدو، ويمثـل شوكة فـي خاصـرته للحفاظ علـى الأرض والهويـة, بمسـاواته فـي المركز القانوني باليهودي المغتصب للأرض والعرض"، **ولكن فـي الوقت ذاتـه، نقـول للمصـرية المتزوجـة بفلسـطيني:** "لسـتِ مُسـتَهدفة بـالتمييز، وإن حقـوق أبنائـك مكفولـة بالكامـل، ولكـن الحـرص علـى حقـوق الشـعب الفلسـطيني أَوْلـى

بالتغليب، وأن حكم محكمة القضاء الإداري - أول درجة - جاء **بخلاف الأَوْلى**".

****

هذا وتتمثل خطورة زواج المصريين بإسرائيليات فى الوسائل التى تؤدى لزواج المصريين بإسرائيليات وكيف أنها قد تتحول إلى وسائل للاختراق الاجتماعى الاسرائيلى لمصر :

1 – سفر المصريين لإسرائيل :

تحت وطأة الضغوط الاقتصادية ، المخلوطة بحب المغامرة ، وفقدان الذاكرة الوطنية والدينية ، والرغبة فى الشذوذ وتجاوز الثوابت الوطنية والدينية والاجتماعية ، واليأس المقترن بالكفر بالوطن ، وبيع النفس للشيطان ، يتوجه الشاب المصرى للكيان الصهيونى ، منفرداً ، أو بمساعدة معارفه وأصدقائه ممن سبق لهم السفر لإسرائيل ، أو ضمن الوفود والبعثات الاقتصادية والعلمية والتدريبية ، أو من الخارج عن طريق الدول الأوروبية ، أو من المملكة الأردنية ، ولأن من يقبل ذلك يكون قد قطع شوطاً كبيراً فى الاستعداد والتهيئة النفسية للتعامل مع الإسرائيليين ، ولا يجد ما يمنعه من التمادى فى العلاقات الإنسانية معهم لدرجة الزواج ، فإنه من غير المستغرب أن يقابل الفتاة التى تعجبه ، والتى لا تمانع فى إقامة العلاقة الجنسية معه دون زواج ، على العادة الغربية ، وأن تنتهى العلاقة فى النهاية إلى زواج قانونى . خاصة أن الشباب الذى ألجأته الظروف الاقتصادية الصعبة ، أو سياسات المؤسسة التى يدرس أو يعمل بها ، للسفر لإسرائيل ، يجد من الحفاوة والترحاب الإسرائيلى ، ما يخلب مشاعره ، ويشعره بالأسى حين يقارنه بالمعاملة التى يلقاها المواطن " غير المسنود " فى مصر ، ومع دفء الاستقبال تبدأ عمليات غسيل المخ ، وإسقاط الشباب فى مربع التعامل السياسى – وربما التجسسى – مع إسرائيل .

2 – الاختلاط بالمصريين فى سيناء :

تـرك الإسـرائيليون سـيناء رسـمياً فـى 1981 ، ولكـنهم لـم يتركوهـا فعليـاً مـع ارتباطهم الروحى والدينى بها ، واعتبارهم إياها جزءاً من دولتهم الصهيونية، وقد سمحت لهم معاهدة السلام بدخول سيناء والبقاء بها مدة أسبوعين دون تأشيرة ، وكفلـت لهـم القرى السـياحية والمنتجعـات بتكاليفهـا الزهيـدة ، وتسـهيلاتها ، أن يتواجدوا فى سيناء طوال العام ، الأمر الذى يسهل على الإسرائيليات الاختلاط بالمصـريين ، والانـزلاق معهـم إلـى مختلـف العلاقـات مـع تسـهيل الإسـرائيليين لإجراءات دخول المصريين لإسرائيل ، قد يتطور الأمر لسفر الشاب لإسرائيل للعمل ولقاء الإسرائيليات والزواج منها .

3 – الاختلاط بالمصريين خارج مصر :

لم يعد الاختلاط بالإسرائيليين محرماً قانوناً كما كان قبل زيارة السادات للقدس ، وصـار بوسـع ضـعاف الوطنيـة والـدين مـن المصـريين أن يختلطـوا بالإسـرائيليين فى الدول الأجنبية ، وأن يقيموا معهم علاقات الصداقة والود ، وقد يصل الأمر لزيـارة إسـرائيل مـن تلـك الـدول ومـع هـذا الاخـتلاط لـيس مـن المسـتبعد أن تقـع حالات الزواج .

4 – اصطياد المصريين على شبكة الانترنت :

من مواقع الدردشة الدولية ، والمواقع الإسرائيلية ، صار من الممكن أن يتقابل الشاب المصرى مع الفتيات الإسرائيليات على شبكة الانترنت ، وقد تخفى عنه الفتاة حقيقتها فى البداية ، وتتدرج معه حتى يعرف هويتها ، وقد تعرفه بنفسها منذ اللحظة الأولى ، وبهذا فإن الإغراء موجود وقائم على شبكة الانترنت ، ومع الخطاب الرسمى الداعى للسلام مع إسرائيل ، وغياب التوعية النظرية والعملية بأبعاد الصراع العربى الصهيونى ، فإن نجاح الإسرائيليات فى اصطياد الشباب المصرى أمر متوقع وشائع .

5 – الحكم الشرعى للزواج من إسرائيلية :

فى نوفمبر 2007 أصدر الشيخ فرحات سعيد المنجى (وكيل سابق للأزهر) فتوى تحرم الزواج بالإسرائيليات ، كونهن من نساء دار الحرب (نساء العدو) ، اللاتى ذهب الفقهاء إلى تحريم الزواج بهن .

* وفى هذا الجانب نود أن نؤكد أن العبرة فى حل أو حرمة الزواج من المسيحية أو اليهودية التى تحمل جنسية دولة معادية للعرب والمسلمين ، هى وقوع ضرر من ذلك الزواج ، فإن وجد احتمال لا بأس به للضرر ، أو كان الضرر المحتمل جسيماً لا يمكن المخاطرة بوقوعه ولو كانت نسبة وقوعه ضئيلة ، فإن الزواج فى هذه الحالة يصير حراماً (وهو ما ينطبق شرعاً ومصلحة على زواج المصريين خلال الفترة ما بعد 1979 وحتى اليوم) ؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما تقول القاعدة الفقهية ، ولا وزن حينئذ ولا أهمية للمكاسب التى يرجو المسلم تحقيقها من ذلك الزواج ، سواء كانت مكاسب مادية أم معنوية.

هذا فى حالة عدم وجود قانون ، أو تشريع يمنع الزواج بمواطنات الدولة المعادية وحاملات جنسياتها ، فإن وجد القانون ، فإن الشرع يحتم الالتزام بذلك القانون طالما صدر للمصلحة العامة .

كذلك يتوقف الأمر على شخصية المسيحية أو اليهودية التى يرغب المسلم فى الاقتران بها فإن كانت لا تكن العداوة للمسلمين ، أو تقتنع بعدالة قضيتهم فى صراعهم مع وطنها ، أو قبلت أن تأتى لتعيش فى بلاد الإسلام ، أو دولة أخرى ، مبتعدة عن المشاركة فى العداء للمسلمين ، بأى صورة ، فلا مشكلة حينئذ ؛ لأنها أظهرت تبرؤها من العداء للإسلام وللمسلمين ، ولم تعد تتمتع بوصف " الحربية " .

أما إسرائيل وحكم الزواج بالإسرائيليات فهذا شأن آخر ، لابد من التمهيد له بالتفرقة بين اليهودى والصهيونى ، وفى ذلك نؤكد على أن مفهوم " أهل الكتاب " يشمل اليهود والنصارى ، وحسب الأصل فإن اليهود هم من أهل الكتاب الذين تحل نساؤهم وذبائحهم ، فإذا قامت بين يهود العالم حركة تدعو إلى اغتصاب جزء من بلاد الإسلام (فلسطين وما حولها) ، لإقامة دولة صهيونية على أرواح ودماء إخواننا العرب والمسلمين ، فإن كل من يؤيد تلك الحركة الصهيونية ، من اليهود (وغيرهم) ، يصبح محارباً لله ورسوله والمؤمنين ، ويسقط عنه ما ميز الإسلام به المسالمين من أهل الكتاب ، من خصوصيات فى المعاملة ، ومن جواز البر بهم والقسط إليهم .

* نصل لبيت القصيد ، وهو الحكم الشرعى للزواج من الإسرائيليات ، ونقول بداية : إن الجدل الفقهى بشأن حل الزواج من الكتابية الحربية أو عدمه ، لا ينطبق على الحالة الصهيونية ، فالكيان الصهيونى فى ميزان الشرع هو كيان غاصب ، غير طبيعى ، لا ينطبق عليه مفهوم دار الحرب ، بالمعنى الفقهى المعروف لدار الحرب ، ولا توصف نساؤه بالحربيات ، فقد قامت الدولة الصهيونية على جزء من دار الإسلام ، وكل مستوطن صهيونى لفلسطين هو عدو محتل أخذ مكاناً لأصحاب الدار الأصليين ، لا فارق بين رجل وامرأة فى ذلك الكيان الغاصب ، ولا يوجد فى الدولة الصهيونية مدنيون ، ومن ثم فالواجب على كل المسلمين أن يبذلوا جهدهم فى القضاء على ذلك الكيان ،

ويحرم عليهم أن يعترفوا له بشرعية ، أو يسلموا له بالوجود القانونى والشرعى ، مهما طال الزمن ، فتقادم الغصب لا يمنحه الشرعية ، ويظل ما بنى على باطل فهو باطل .وعلى النقيض من ذلك الحكم فإن الزواج من الإسرائيلية فضلاً عن كونه موالاة ومودة للعدو الصهيونى ، وهو ما تحرمه الشريعة ، فإنه يحمل فى طياته الاعتراف بالدولة الصهيونية، وقبول ما فعلته فى فلسطين والفلسطينيين والعرب ، وهذا ما يحرمه الإسلام قطعاً ، ولا قيمة لما قاله الشيخ عاشور عن السلام مع الصهاينة ، فالصلح مع إسرائيل غير جائز بمقتضى الشرع ، وإن كان الحكام قد بادروا للصلح دون مشاورة الأمة ، فصلحهم لا يبيح للمسلمين التطبيع مع إسرائيل ، أو الزواج من نسائه .

وإذا كان خبراء السياسة قد بينوا الأخطار الاستراتيجية والاجتماعية على الأمن القومى المصرى والعربى المترتبة على ظاهرة الزواج من الإسرائيليات ، فإن أهل الفقه ملزمون بإصدار الفتاوى التى تؤيد أهل السياسة، وتحرم على الشباب المصرى الوقوع فى تلك الخطيئة الوطنية والدينية ، ولاشك أن حفظ الأمن القومى للوطن والأمة مقصد من المقاصد الرئيسة للشريعة الإسلامية ، وبالتالى يصبح على علماء الدين ودعاته أن ينبهوا إلى خطر هذه الظاهرة التطبيعية – ظاهرة الزواج بالإسرائيليات – على الدين والوطن .

***

المحور الثالث : التطبيع المجانى : اليهود المصريون ودعوات عودتهم إلى مصر:

استخدمت إسرائيل قضية (اليهود المصريين) والدعوة إلى عودتهم واستردادهم لما أسمتهم بأملاكهم بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد (1979) ومعاهدة السلام (1979) ، وكانت القضية تثار كل حين وينحاز إليها النظام بدرجة أو بأخرى ، إلى أن جاءت دعوة د. عصام العريان أحد أبرز قادة الإخوان المسلمين بعد ثورة 25 يناير 2011 (حين كانوا يحكمون مصر رئيساً وبرلماناً) والتى أعلن

فيها موافقته (ومن ثم موافقة جماعة الإخوان) على عودة اليهود المصريين (الموجودين فى إسرائيل) (والتى يقدر البعض أن عددهم يتراوح بين 5 إلى 50 ألفاً) ضده عشرات من ردود الفعل ، والتى طالبته بأن يطالب أولاً بعودة الفلسطينيين والحقوق العربية ، وبأن القضية كما أثارها ، تعد تبسيطاً مخلاً للصراع وتفريطاً فى قضية فلسطين .

* إلا أنه وبمناسبة تفجير (العريان) للقضية ، دعونا نفتح ملفها الغامض خلال فترة (1979-2011) حتى يتحسب البعض مستقبلاً سواء من الحاكمين أو من النخبة عندما يريد طرح هذه القضية بتلك الخفة أو حتى بنية – بالونة الاختبار كما فعلها العريان وجماعة الإخوان قبل أن ينقلب الشعب والجيش عليهم فى 2013/6/30 .

***

* إن ثمة أسئلة هامة يطرحها موضوع (اليهود المصريين) ، من قبيل : لماذا اختفوا .. وأين هم اليوم ؟ وماذا يفعلون ؟ وإلى أين تتجه أنظارهم؟ إلى " أورشليم " .. أم إلى " شارع عدلى " ؟ أين معابدهم .. وكيف أصبحت .. وكم عددهم ..وما هى أعمالهم .. ونشاطاتهم ؟ وهل الدعوة إلى عودتهم إلى مصر جائزة وفقاً للقانون الدولى أم أنها سقطت وفقاً للدراسات القانونية التى اعتبرتهم مهاجرين بإرادتهم وذهبوا لبلد آخر اغتصبوا أرضه وطردوا شعبه بعد قتل نصفه تقريباً ؟! .. تساؤلات كثيرة كانت كافية للقيام بعملية مسح لشوارع القاهرة ومدن مصر الكبرى وسجلات هيئات جهاز التعبئة والإحصاء والمساحة والتنظيم والإدارة ، والسياحة بحثاً عن الأجوبة التى كونت عناصر هذه الدراسة التى استغرقت منا وقتاً طويلاً بين تنقيب بحثى واستقصاء ميدانى .

<u>كانوا جواسيس أيام الفراعنة !!</u>

منذ سنوات قليلة عثر فى جزيرة " أبو " أو باللغة المعاصرة " جزيرة الفنتينى " فى أسوان ، على عدة وثائق آرامية ، أُرجع أغلبها إلى القرن الخامس قبل

الميلاد ، وذكرت هذه الوثائق التى عكف عليها العلماء اليهود والإسرائيليون – إبان عهد الرئيس المصرى السابق أنور السادات للتنقيب على حقائقها الهامة – أنه بعد خروج موسى بألف عام عاد اليهود إلى مصر ، نازحين من فلسطين فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، بعد المعارك العنيفة إثر انقسام اليهود إلى (يهود إسرائيل) و(يهود يهوذا) ، ثم بينهم جميعاً وبين الآشوريين ، وأن الشعب المصرى آواهم وحماهم من الاضطهاد ، وذكرت الوثائق السابقة حقائق مهمة عن حياتهم ونشاطهم السياسى والاجتماعى .

وتستطرد الوثائق الآرامية السابقة قائلة : إن العلاقات الودية لم تستمر طويلاً، وأنه وكنتيجة لتزايد تواجدهم ، فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، فى معسكرات أسوان على الحدود الجنوبية إبان الاحتلال الفارسى لمصر ، قام " بعضهم بالتعاون مع الاحتلال الفارسى ، فى حين عارض " البعض " الآخر ذلك ، ويروى هيرودوت من ناحية أخرى أن قمبيز أرسل "أكلة السمك من الفينيقيين ، وهم من " اليهود " إلى مصر ، بهدف التجسس عليها " .

وكنتيجة لهذه الطبائع ، فلقد وجد لدى البعض منهم التواطؤ الذى اتضحت صورته أكثر كما يقول عالم الآثار الدكتور عبد العزيز صالح فى كتابه (الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق) فى ثورات الوطنيين المصريين ضد الفرس أعوام (488 ، 487 ، 460 ، 454 ، 450و 410 قبل الميلاد) ، حين انحازت كل فئات الشعب إلى الثورة عدا هذا " الجزء " من اليهود الذين – كما تقول إحدى الوثائق الآرامية – لم يتركوا مراكزهم فى خدمة الفرس ولم توجه إليهم تهمة التمرد ، بل تجاوزوا تجاهلهم لمشاعر المصريين القومية ، إلى تجاهل تقاليدهم الدينية أيضاً ، فتجرؤوا على تقديم الأضاحى من " الكباش " فى معبدهم عوضاً عن " الجداء " وكان الكبش رمزاً مقدساً للمعبود خنوم فى أسوان كلها ، مما دفع السخط تجاههم إلى الذروة فى عام 410 قبل الميلاد ، فقام الوطنيون المصريون بتدمير معبدهم إبان حكم الملك الفارسى دارا الثانى .

وهكذا ، وكما تقول الوثائق القديمة (المصرية – والفارسية – والآرامية) : كان " بعض " اليهود القدامى ، عيوناً على " الشعب " لخدمة المحتل فى حين كان " البعض " الآخر مع هذا الشعب فى كفاحه ، أو على الأقل واقفاً على الحياد ، فهل هذا هو حالهم اليوم ، أو أن أحداث التاريخ فى تلاحقها قد أحدثت تغييرها الشامل فى جوانب حياتهم ، وصفاتهم ، وعلاقتهم (بالوطن المصرى) الذى آواهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد ؟ وما هى حقيقة نشاطهم السياسى والاقتصادى اليوم ؟ .

***

<u>لماذا لا نطالبهم بتعويضات عن الأسرى الذين قتلوا أحياء !!</u>

تؤكد السجلات الرسمية أن تعداد اليهود فى مصر كان فى العام 1920 حوالى مائة ألف يهودى ، أدت الصدامات العربية – الإسرائيلية المتتالية ما بين عامى 1948 – 1956 ، ثم حركة التأميمات الكبرى التى قادها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وأخيراً حرب 1967 واتهام بعضهم فى عدة قضايا تجسس وتخريب منشآت (عملية سوزانا مثلاً) ، أدت هذه العوامل جميعاً إلى نزوحهم إلى (أرض الميعاد الوهمى) ، كما صورتها لهم أجهزة الدعاية الصهيونية المكثفة ، وساعد فى ذلك وطأة الحروب عليهم ، وإحساسهم الداخلى بأن وطنهم الحقيقى هناك ، فى (أورشليم) ، وقبل الثورة – ثورة عبد الناصر – كان اليهود فى مصر يتوزعون على ثلاثة شرائح ، الشريحة الأولى وتتكون من اليهود المصريين والثانية من اليهود الأجانب المتمصرين (أى الذين حصلوا على الجنسية المصرية) والشريحة الثالثة : اليهود الأجانب ممن ظل متمسكاً بجنسيته الأجنبية ، والشرائح الثلاثة بعد هجرتهم الطوعية من مصر وحصول أغلبهم على الجنسية الإسرائيلية وجنسيات أوروبية وأمريكية واغتصابهم لأرض الفلسطينيين فإن حقهم سقط بالكامل فى العودة إلى مصر ، ومن هنا سقطت أى دعاوى أخرى تطالب بعودتهم أو اعتبارهم مصريين حيث وفقاً للقانون

المصرى من يحصل على الجنسية الإسرائيلية تسقط عنه مباشرة الجنسية المصرية !! ثم إن المطالبة الإسرائيلية اليوم بتعويض اليهود المصريين بما قيمته 36 مليار دولار لهو الابتزاز بعينه ورغم عدم أحقيتهم فى أى تعويض لأنهم خرجوا بإرادتهم ، فإننا نطالب بالمقابل بما قيمته 500 مليار دولار تعويضاً لاحتلال سيناء (نهب ثرواتها المتنوعة من 1967 – 1982) وهو رقم إحصائى أعدته معاهد دراسات استراتيجية دولية (سبق أن كتبنا دراسة تفصيلية عنه)، ونطالب بتعويض عن الأسرى المقتولين (30 ألف أسير تقريباً) والذين قتل بعضهم أحياء أثناء حروب 1948 – 1956 – 1967 ومسجلة قصص قتلهم فى تقارير منظمات حقوق الإنسان العربية والدولية !! .

***

<u>اليهود فى مجمع اللغة العربية</u>

ومن الحقائق التاريخية التى ينبغى أن تسجل هنا ، أن الشعب المصرى (من مسلمين ومسيحيين) لم يعامل اليهود –كما حاولت الدعاية الصهيونية أن تصور – إلا بالأساليب الطيبة وكانت علاقاتهم به طبيعية ، ويكفى كدليل واحد فقط على ذلك ، أن أحد العلماء اليهود فى قمة العهد الناصرى ، ويدعى (حاييم ناحوم) كان عضواً بارزاً فى مجمع اللغة العربية حتى عام 1962 حين توفى ودفن فى مقابر اليهود بالبساتين ، واعتلى عدد آخر منهم إبان العهد نفسه ، مناصب تربوية وثقافية مهمة ، ولم يشعروا للحظة أنهم غرباء أو أجانب ، فقد كانوا مواطنين مصريين ، كما تقول كتابات حاييم ناحوم وغيره ، وبعد العام 1973 هاجر عدد كبير من اليهود لينخفض تعدادهم فى العام 1985 إلى ألفى يهودى ، زادوا نسبياً بالتناسل أو إعادة الاستيطانى الخفى عبر السفارة الإسرائيلية فى القاهرة إلى حوالى 5 آلاف يهودى (فى العام 2012) ، يتفرقون على مدن مصر ، كما سنرى ، وكانت الدعاية الصهيونية حول " وهم أرض

الميعاد " هى السبب المباشر لهجرتهم وليس سوء المعاملة كما روج أعداء عبدالناصر وثورة يوليو .

***

ومن أشهر معابد اليهود فى مصر هو المعبد الشهير بشارع عدلى ، وهو يقع مباشرة فى مواجهة أحد أفرع مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية فى القاهرة ، ويوجد لليهود فى القاهرة معابد عدة شهيرة فى حى الظاهر والدَّراسة إضافة إلى مقر هام فى ميدان الجيش فى القاهرة واسمه (الجالية الإسرائيلية فى مصر ، وعندما ذهب كاتب هذه الدراسة – قبل سنوات – إلى هناك بهدف البحث الميدانى والصحفى عنهم ، لم أجد أحداً ، سألت البواب الذى يجلس أمام المبنى عن تاريخ ونشاط هذه الجالية ، فقال لى وكان اسمه (مصطفى متولى عبد العاطى) وعمره يزيد على السبعين عاماً:إننى هنا منذ أربعين عاماً ، وهذا المبنى كان المقر القديم لشئون السفر والهجرة لليهود المصريين، وبعد زيارة السادات إلى إسرائيل (عام 1977) ، حولوا اسمه إلى "الجالية الإسرائيلية فى مصر"،وأجَّروا الدور الثانى والثالث إلى وزارة التربية والتعليم واحتلت الجالية الدور الأرضى فقط ؛ لأن شئون اليهود " دلوقت قلت جداً " . (وسألته عن نشاط هذه الجالية) فأجاب : " اللى عايز يسافر ، واللى عايز يبيع منزله ، واللى عايز يدفن حد من أهله ، وحاجات بالشكل ده " . وعلمت أن بعض القيادات اليهودية الحالية عادت بعد فشل اتفاقات كامب ديفيد ، إلى بيع المعابد اليهودية القديمة مثل معبد حنان فى حى الظاهر والمعبد اليهودى بالدراسة .

*واستكمالاً لمسح الوجود اليهودى فى مصر ، مررنا بحى الموسكى ، أو الجيتو القديم المسمى بـ " حارة اليهود " وحاولنا أن نجد يهودياً واحداً ولكننا فشلنا ، فكل بيوت اليهود تحولت إلى بوتيكات ومخازن للخردة ، ومعارض لأحدث سلع الانفتاح ، وبالقرب من هذه الحارة افتتحت مقبرة لليهودى المصرى القديم موسى بن ميمون والتى حاول الإسرائيليون احتلالها من خلال فاروق

حسنى وزير الثقافة السابق إلا أن المثقفين والإعلام المصرى وقت افتتاحها (2009) وقف لهم بالمرصاد وأفشل خططهم ، وذهبنا إلى مقابرهم فى "البساتين" فوجدنا ثلاث مقابر جماعية موضوعاً على كل منها قفل نحاسى ضخم وإلى جوارها يعيش سكان المقابر حياتهم العادية ، بلا أى ضيق أو خوف ، استوقفت أحدهم وسألته عن الأسماء التى يطلقونها على مقابر اليهود فأجابنى بأن " اسمها مقابر اليهود وبس " ولكن المقبرة الضخمة هذه يسمونها موشى ديان ، وحاولت أن أقول له : إن ديان دفن فى جبل صهيونى بفلسطين المحتلة ، إلا أنه نظر إلىّ يومها باستغراب ودهشة ، وسألت سيدة عجوزاً عن سر تسمية هذه المقبرة باسم (مقبرة موشى ديان) فأجابت بعد صمت طويل (علشان موشى ديان لما جه مصر فى السر عام 1977 زار المقبرة دى وبنى السور اللى محوط عليها ده) ، وأمام مقبرة مكتوب عليها بالفرنسية (عائلة أد أى) ، سألت صاحب محل لبيع الحلوى وسط المقابر قبالة المقبرة سالفة الذكر،عن نسبة الزيارات وعن عدد المرات التى رأى فيها "حالات دفن" لليهود المصريين فأجابنى:"منذ عامين على الأقل لم أر أحداً منهم ولم يدفن أحد،وكانت آخر مرة منذ حوالى عامين ونصف،وكان اليهود الموجودون عشرة أو عشرين وكلهم كبار فى السن" وكان أحد أسوار المقبرة قد تهدم وربطت إليه بعض الأغنام ، ووضعت فوقه أقفاص دجاج خشبية .

***

والوجود اليهودى فى مصر لا يقتصر على مدافن القاهرة فقط ، ففى الاسكندرية توجد أعداد قليلة جداً من المقابر والمعابد ، وفى مدن الصعيد وخصوصاً المنيا هنالك بعض المقابر كما يوجد فى قرية ديمتوه فى البحيرة مقبرة أبو حصيرة الشهير ، والذى يزعم الإسرائيليون أنه رجل دين يهودى قديم ، أتى من المغرب منذ مئات السنين ، والجدير بالذكر أنهم يحتفلون عادة فى شهر (ديسمبر) من كل عام بذكرى وفاته ، وتحوطهم قوات ضخمة من رجال

الأمن المصريين ، ورغم حصول القوى الوطنية قبل الثورة على حكم قضائى بمنع الاحتفال بمولد (أبو حصيرة) إلا أن مبارك ورجال أمنه ومخابراته كانت تسمح بالاحتفال رغم أنف الأهالى ، وبعد الثورة استطاعت القوى الثورية أن تمنع الاحتفال وكان موقفاً محموداً.

والملاحظ أن هذه المعابد والمقابر تحولت بفعل الزمن إلى أماكن مهجورة ، لا يقترب منها أحد ، وإن اقترب فبالهدم ، أو بالبيع،كما حاول أن يفعل البعض من خلال ما يسمى بـ"الجالية الإسرائيلية" بالقاهرة بالتعاون مع السفارة الإسرائيلية والمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة والموجود فى 92 شارع النيل بالجيزة أعلى شقة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل(!!) وهذه الجهات الإسرائيلية جميعاً حاولت أن تسرق تراثنا المصرى فى شقه اليهودى وبخاصة وثائق الجنيزا الشهيرة،وكانت سلطات الرئيس المخلوع تسمح لهم بذلك للأسف الشديد .

***

<u>إسرائيلى يحكى عن اليهود المصريين</u>

فى كتاب مهم – ويعد مرجعاً فى مجاله – للصحفى الإسرائيلى (عاموس إيلون) بعنوان (رحلة إلى مصر) والذى وضعه بعد رحلة استمرت عامين جاب أثناءها ربوع القطر إثر توقيع اتفاقات كامب ديفيد (1978) ، ولم يترك مصر إلا بعد مقتل أنور السادات ، يقول عاموس ايلون الذى امتلأ كتابه بالعديد من الأسرار والمعلومات الهامة : " عندما وصلت إلى شارع عدلى ، وجدت الهدوء يسوده فى هذه الساعة من النهار ، وعلى اليمين ، وفى أحد أدوار مبنى قديم كانت الأنوار لاتزال مضاءة فى المكتب الذى خصص لمنظمة التحرير الفلسطينية فى القاهرة ، وفى مواجهة هذا المكتب مباشرة تقع الواجهة المظلمة للمعبد اليهودى المتبقى فى القاهرة والمتداعى للسقوط ، وداخل هذا المعبد وكان الوقت موعد صلاة السبت المسائية ، يوجد عدد قليل من الرجال المسنين

وصبى صغير يجلسون فى مقاعدهم ، وكان صدى ترانيم الذكور الحزينة وغير المتزامنة تملأ الحجرة الخالية ، وأثناء دخولى التفت الرجال ناحيتى التفاتة قصيرة " .

ثم يستطرد المؤلف فى موضع آخر قائلاً : " وعندما انتهت الصلاة انتحيت جانباً بالرجل المسن ذى اللحية ، الذى كان يقود الصلاة ، فقال لى هامساً : إنه آخر من تبقى من أسرته فى مصر والبعض الآخر هاجر إلى فرنسا وإسرائيل ، ويضيف قائلاً : إنه فيما سبق كان يعيش فى مصر حوالى 100.000 (مائة ألف) يهودى ، وقد تناقص عددهم إلى درجة أنه ربما يصل الآن إلى 300 يهودى فقط (!!) (ونلاحظ أن هذا الرقم الذى ذكره الكاتب الإسرائيلى غير دقيق ، فالعدد الآن وصل إلى قرابة الخمسة آلاف يهودى بعضهم تسلل إلى مصر تحت جنح اتفاقات السلام والسياحة !!) .

ويقول المؤلف فى موضع آخر : " إن الحياة كانت قاسية للغاية بالنسبة إلى اليهود ولاسيما خلال فترة الحروب ، وفترة عبد الناصر ، الذى اعتبر هذه الحرب مقدسة ، وأنها ضد اليهود أعداء الإسلام ، وأن من يضحى بحياته ضدهم يكون شهيداً وجزاؤه الجنة ، ولكن الأحوال تحسنت فى السنوات الأخيرة (يقصد أيام السادات بالطبع !!) ، فقد تم السماح لبيت المسنين فى الاسكندرية بقبول المساعدة من منظمات دولية لغوث اليهود !! " وتم السماح باسترداد بعض ممتلكات اليهود المصريين وعودتهم إلى بلادهم بأمر السادات" ، هذا هو كلام أحد الصهاينة فى كتاب قديم نشر قبل أكثر من ثلاثين عاماً ، ولقد مضى مبارك على خطى السادات فى مغازلة إسرائيل عبر ملف اليهود المصريين فورط مصر فى الكثير من القضايا والتى لم تخدم سوى إسرائيل وهى ذات الخطى التى يحاول أن يسير عليها بعض الساسة بعد ثورة 25 يناير 2011 ، وهو ما يعد خطأ تاريخياً واستراتيجياً سيدفعون ثمنه غالياً !! .

***

أين هم اليهود المصريون اليوم

والآن نأتى إلى أهم نتائج هذه الدراسة ، أين هم اليهود المصريون اليوم ؟ وما هى أنشطتهم وعلاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع الدول الأجنبية وإسرائيل على وجه التحديد ؟ .

الوثائق والأرقام التى حصلنا عليها تؤكد أن عددهم فى داخل إسرائيل – كما أشرنا – يقترب من 50 ألفاً أصبحوا الآن إسرائيليين قلباً وقالباً ولا يجوز أو يحق نعتهم بالمصريين ، بعد مشاركتهم فى جرائم إسرائيل ضد مصر وجيشها وضد الشعب الفلسطينى ، والعدد المتبقى من المائة ألف يهودى الذين كانوا يعيشون فى مصر قبل الثورة أصبحوا مواطنين فى بلاد أوروبية وأمريكية ولا حاجة لهم أو حق قانونى فى العودة ؛ أما يهود مصر الذين بقوا فيها فوفقاً لآخر إحصاء رسمى صادر عن جهاز التعبئة والاحصاء ، فإن تعدادهم اليوم – كما سبق وأشرنا – يقترب من الـ 5 آلاف يهودى ، أغلبهم كبار فى السن ، بلا عمل ويعيشون على عطاءات السفارة الإسرائيلية والمؤسسات اليهودية الدولية ، غير أن بعض كبار رجال الأعمال من اليهود، من متوسطى السن ، يملكون الآن أكثر من 18 شركة استيراد وتصدير وصناعات محلية (ترفيه) ، وأغلب استيرادها من إسرائيل ، ويقدر رأسمال هذه الشركات بأكثر من (500 مليون دولار) !! وبعضهم اتهم فى قضايا تجسس شهيرة (وصل عددها إلى 25 قضية منذ توقيع اتفاقات السلام عام 1979).

هذا ويتوزع اليهود المصريون على محافظات مصر بنسب قليلة ، وأشهر المحافظات الموجودين بها هى (القاهرة – الاسكندرية – الفيوم – بنى سويف – المنيا – قنا) ، والملاحظ أنهم لا يتواجدون فى القرى ولكن فى المدن، وتحديداً فى الأحياء القديمة ، ففى القاهرة مثلاً يضم حى الجمالية أكبر نسبة من اليهود المصريين يليه حى الزيتون ثم حى الظاهر ثم حى الوايلى وقصر النيل ويتوزع

الباقى على أغلب أحياء القاهرة . والملاحظ أن علاقات اليهود المصريين – اليوم – بالسفارة الإسرائيلية علاقات قوية وتثير الشبهة.

***

* الملاحظ أيضاً أنه لا توجد فى مصر أية جهات رسمية لمتابعة مشاكل ومصالح ونشاط اليهود المصريين بالقدر الكافى وهذا واضح إلى حد كبير وقد فوجئت أجهزة الأمن إبان عهد الرئيس المخلوع (حسنى مبارك) أن من بين المتعاونين مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة ومع السفارة الأمريكية ، فى شبكات التجسس التى ضبطت خلال الثلاثين عاماً الماضية عدداً من اليهود المصريين ، الذين غفلت عنهم أعين الأجهزة الرسمية ، وأيضاً لا توجد احصائيات دقيقة عن تعداد اليهود فى مصر وعن معابدهم ومقابرهم ، ونشاطهم ، والتعدادات الموجودة حتى الآن ، تعدادات اجتهادية غير دقيقة ، ولقد ساعد التجاهل الرسمى هذا للوجود اليهودى المصرى ، فى استغلال إسرائيل لهذا الوجود دعائياً فى تفريغ مصر منهم من ناحية ، وفى تجنيد بعضهم – كما حدث بالفعل – لخدمة أهدافها السياسية من ناحية ثانية ، وفى تشويه حقيقة العلاقات التى ربطت تاريخياً بين اليهود المصريين وباقى أبناء الشعب المصرى من ناحية ثالثة ، وفى استخدامهم – رابعاً – كأداة جذب للإسرائيليين من أصول مصرية تحت دعوى استرداد أملاكهم ، فكان هؤلاء اليهود هم الوسطاء فى هذه الجريمة الخطيرة التى ساعد على تحقيقها دعوات ساذجة مثل دعوة (العريان) لعودة اليهود من أصول مصرية إلى مصر وهو مطلب إسرائيلى تاريخى بامتياز . إن القضية أخطر وأعقد مما تناولها البعض ، إنها قضية وطن يراد اختراقه وقضية ثورة يراد تدميرها ، وما ورقة (اليهود المصريين) سوى أداة فى هذا المخطط ، فهل ندرك ذلك أم سنظل تائهين !! .

* ثم دعونا نسأل هل يتحرك أحد وتبدأ رحلة البحث عن " اليهودى التائه " فى حوارى مصر القديمة .. وهل تبدأ حملة الحماية للمقابر وللمعابد وللوثائق

اليهودية المصرية القديمة ، باعتبارها تراثاً مصرياً وليس إسرائيلياً كما تروج إسرائيل ، وبدلاً من سرقة "حاخامات إسرائيل " لها كما حدث إبان حكم الرئيس السابق وكما يحدث اليوم حيث إنها جزء من تراثنا القومى ، وجزء من تاريخنا ولا علاقة لإسرائيل أو لجواسيسها به ؟ مجرد تساؤلات حائرة تبحث عن إجابة تليق بثورة كان أحد أبرز شعاراتها الاستقلال الوطنى والكرامة وليس دعوة من يسموا زيفاً (اليهود المصريين) الملوثة بدماء الفلسطينيين والعرب للعودة إلى وطن لا أظنه يرحب بهم أبداً !! .

***

هوامش الفصل :

1 – صحيفة شباب الوفد (صحيفة شهرية تصدر عن حزب الوفد الجديد بالقاهرة) بتاريخ 1988/12/15 ص1 .

2 – صحيفة الشعب (صحيفة أسبوعية تصدر عن حزب العمل الاشتراكى بالقاهرة) بتاريخ 1989/1/24 ص5 .

3 – صحيفة الشعب بتاريخ 1989/1/28 ص5 .

4 – مجلة أكتوبر (مجلة أسبوعية تصدر عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة) بتاريخ 1989/4/9 ص5 .

5 – صحيفة الأهرام (صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة) بتاريخ 1989/4/9 ص4 .

6 – صحيفة الاتحاد – صحيفة يومية تصدر فى أبو ظبى بتاريخ 1989/1/18 ص1 .

7 – صحيفة الوفد (صحيفة يومية تصدر عن حزب الوفد الجديد بالقاهرة) بتاريخ 1989/1/21 ص1 .

8 – محمد الصديق : نار فى رماد كامب ديفيد ، صحيفة الأسبوع السياسى (صحيفة أسبوعية كانت تصدر مستقلة بالقاهرة ثم توقفت) بتاريخ 3/14/ 1989 ص 21 .

9 – صحيفة الأهالى (صحيفة أسبوعية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى بالقاهرة) بتاريخ 1989/3/1 ص6 .

10 – صحيفة الشعب بتاريخ 1989/3/14 ص5 .

11 – لطفى عبد اللطيف : مشكلة مقابر اليهود فى مصر ، صحيفة الوفد بتاريخ 1989/1/26 ص3 .

12 – صحيفة الأهالى بتاريخ 1989/4/26 ص1 .

13 – انظر : قراءة في الأسباب الاقتصادية لنجاح إسرائيل في الانضمام إلى منظمة التعاون الاقتصادي العالمي OECD، تقرير لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت ، يونيو 2010م.

14 – في حلقة خاصة من برنامج "سري للغاية" عن زواج المصريين من إسرائيليات ، أذيعت بتاريخ 3–10– 2002.

15 – في حلقة من برنامج "الحقيقة " الذي يقدمه الإعلامي المصري وائل الإبراشي على قناة "دريم المصرية" ، أذيعت في اوائل نوفمبر 2007 م .

16 – مذكرات موشيه ساسون تحت اسم: 7 سنوات في بلاد المصريين.. مذكرات أخطر سفير إسرائيلي في القاهرة، القاهرة – دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1994م.

17 – ترجمت مذكرات ديفيد بن سلطان تحت عنوان: سفير إسرائيل الأسبق بالقاهرة ديفيد بن سلطان يكشف أسرار التطبيع بين مصر وإسرائيل، ترجمة عمرو زكريا، المنصورة، مصر، دار بن لقمان، 2009.

18 – جريدة المصري اليوم تفاصيل قصة هشام نسيم ، الذى تزوج من إسرائيلية على الرغم من أنه ابن بطل المخابرات المصرية الأسبق محمد نسيم (قلب الأسد) ، نقلا عن جريدة هآرتس في عدد 2009/11/3 ، ومن وجهة نظر هشام نفسه في حوار أجري معه في الأسبوع التالي في عدد 2009/11/10 .

***

الفصل الرابع

التجسس فى زمن "السلام والتطبيع "

لعل التجسس بمعناه السياسى والاستراتيجى المباشر كان واحدة من أهم الوسائل التـى اسـتخدمتها إسـرائيل فـى اختـراق المجتمـع المصـرى وجمـع المعلومـات وتوظيفها لصـالح الأهداف الإسرائيلية فـى مصـر والمنطقـة ، ولقد ضـبطت – وفقاً للمصـادر المحايدة – ما يقرب من 30 محاولـة للتجسس بمعنـاه المباشر ، خـلال الفتـرة مـن (1979–2011) ولكـن الملفـت والمهـم هنـا هـو محـاولات الاختـراق والتجسـس العلمـى والثقافى التـى بـدأت علـى هيئـة بحـوث مشـتركة ، يـدخل الأمريكـى والأوروبـى طرفـاً فيهـا ثـم تطـورت إلـى دعـم لمراكـز أبحـاث سياسية وحقوقيـة ، وصـولاً إلـى تحـالفات إقليميـة واسـعة علـى المستوى السياسـى والاجتمـاعى ، الأمـر الـذى أفسـد قطاعـاً مـن النخبـة ، تحـول تـدريجياً إلـى أداة (ثقافية / أكاديمية / اجتماعية) للتطبيع مع الكيان الصهيونى.

وحول (ظاهرة التجسس) كأحد أدوات الاختراق والتطبيع السياسى والاجتماعى، تدور دراستنا فى هذا الفصل والتى نمحورها حول :

أولاً : مدخل عام للتجسس والاختراق المعلوماتى لمصر 1979 – 2011 :

ثانياً : أهداف عمليات التجسس لخدمة التطبيع ونماذج لها (1979–2011)

ثالثاً : الاختراق العلمى لخدمة التطبيع : قضية سعد الدين إبراهيم مثالاً .

وبتفصيل ما سبق نستبين الآتى :

أولاً : مدخل عام للتجسس والاختراق المعلوماتى :

* ما الـذى يـدفع دولـة مـا إلـى التمـادى فـى جمـع المعلومـات والاختـراق المـنظم لمفاصـل دولـة أخـرى ، بغيـر الطـرق التقليديـة الشـائعة فـى العلاقـات السياسـية والدبلوماسية الدولية ؟

* ما الذى يدفع (دولـة مـا) من المفترض أنها ترتبط باتفاقات سلام ومعاهدات صـلح ، ولهـا سـفارة وقنصـليتان ، ومركـز أكـاديمى للأبحـاث وشـركات تجاريـة وزراعية ، وحركة سياحة .. إلخ ، لأن تزرع كل حين شبكة للتجسس فـى الدولـة التى تنسج معها تلك العلاقات ؟ .

هل من فقر فى المعرفة ؟ أم لصد مخاطر محتملة تبين فى الأفق فى إقليم تتحول فيه الآن ، المشاعر ، والمصالح ، وحتى الدول ؟ .

* تلك أسئلة تطرح نفسها عند النظر بتأمل للحالة الإسرائيلية فى مصر ؛ لحالة العلاقات السياسية والاجتماعية الممتدة خلال فترة البحث (1979–2011) .

* ولعل سخونة التساؤلات السابقة ، ارتفع مع بدايات أعوام الألفية الثانية (تحديداً عام 2003) ، بعد أن أُعلن فى مصر عن اكتشاف شبكة تجسس جديدة وصل عدد أفرادها إلى 12 فرداً ، وبعد أن قررت غرفة المشورة القضائية بمحكمة شمال القاهرة إحالة ما أسمته بشبكة الموساد الإسرائيلى التى تضم 12 متهماً يحملون الجنسية المصرية بينهم لاعب كرة سابق بناد شهير ، وذلك إلى غرفة المشورة بمحكمة جنح مستأنف العريش للنظر فى تجديد حبسهم بجلسة 17 ديسمبر 2002 مع استمرار حبسهم على ذمة التحقيقات التى تباشرها نيابة أمن الدولة بإشراف المستشار هشام بدوى المحامى العام لنيابات أمن الدولة العليا ، صدر القرار برئاسة عادل الغنام رئيس المحكمة وعضوية القاضيين عمرو صلاح الدين وأكرم عبد المنعم .

وكانت أجهزة الأمن قد كشفت عن هذه الشبكة التى تنقسم إلى تنظيمين تتزعمهم سيدة تدعى (نجلاء.ك) كانت منوطة بالربط بين الشبكة والجهات الأجنبية التى تدير نشاطها أجهزة المخابرات الإسرائيلية (الموساد) حيث تم القبض على المتهمين المتورطين فيها داخل مدينة العريش ، كما أن أعضاء الشبكة كانوا يتولون الاتفاق على عملاء الموساد على تهريب السياح عبر الحدود المصرية الإسرائيلية ، وكانت زعيمة الشبكة – وفقاً لما ذكرته الصحف المصرية – قد تم تجديد حبسها أمام غرفة المشورة بمحكمة جنح مستأنف العريش .

ثم انتقلت القضية إلى محكمة شمال القاهرة حيث قررت غرفة المشورة بها يوم 2003/1/14 تجديد حبس 3 متهمين من بين أعضاء شبكة التجسس المذكورة

وذلك لمدة 45 يوماً على ذمة التحقيقات التى تجريها نيابة أمن الدولة فى القضية ، صدر القرار برئاسة ياسر الزيات رئيس المحكمة ، وكانت نيابة أمن الدولة قد تقدمت بطلب إلى غرفة المشورة بمحكمة شمال القاهرة لتجديد حبس 3 متهمين من بين أعضاء هذه الشركة التى تتزعمها مديرة شركة سياحة وموظفون بشركة السياحة ، وقد ألقت أجهزة الأمن القبض عليهم كما سبق وأشرنا ضمن أعضاء تلك الشبكة التى تقوم بتهريب العديد من السائحين من دول شرق آسيا إلى الكيان الصهيونى عن طريق منطقة العوجة بسيناء مستعينين ببعض البدو ، وكانت عمليات التهريب هذه تتم مقابل ألف جنيه يحصل عليها أعضاء الشبكة مقدماً و3 آلاف عقب الوصول إلى تل أبيب وقد نسبت النيابة للمتهمين الثلاثة المطلوب تجديد حبسهم التخابر لمصلحة إسرائيل والمساعدة فى تهريب وتسلل السياح إليها ، كما نسبت لهم النيابة الانضمام إلى جماعة سرية غير شرعية بهدف تعطيل أحكام الدستور.

* هذا ما تم خلال عام 2003 ممثلاً حلقة من حلقات خفايا العلاقات الرسمية بين النظام المصرى والكيان الصهيونى ، إلا أن ما حدث يدفع إلى تأمل المشهد برؤية مختلفة ، حين يطرح السؤال : لماذا تصر إسرائيل على هذا (السلوك) فى العلاقات مع مصر ، رغم علمها بحساسية هذا الأمر ، ومخاطره المستقبلية على العلاقات الحميمة بين نظام مبارك والكيان الصهيونى .

فى الواقع السؤال يرد عليه من زاويتين :

الزاوية الأولى : أن المستوى العام للعلاقات (بكافة أشكالها) بين (إسرائيل) والنظام المصرى، غير كاف ، أو على الأقل غير مطمئن بالنسبة للإدارة الإسرائيلية ، خاصة مع تصاعد الانتفاضات الفلسطينية كل حين (أثناء الفترة 1979–2011)، وعلو روح المساندة المصرية الشعبية لهذه الانتفاضة بما يتضمنه هذا من تنامى حملات مقاومة التطبيع ومقاطعة السلع الأمريكية والإسرائيلية ، لذا تحاول الإدارة الإسرائيلية الالتفاف حول القناة الرسمية

للعلاقات (وأحياناً تستخدمها) بزرع شبكات التجسس هذه لتحقيق أكثر من هدف واحد ، أحياناً ما يكون سياسى أو عسكرى (كما حدث فى قضية شريف الفيلالى حين اتهم بجمع معلومات عسكرية عن الجيش المصرى) أو اقتصادى أو سياحى (كما حدث فى القضية الأخيرة) أو ثقافى كما حدث ولايزال يحدث داخل المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة المنشأ منذ عام 1982 والذى اكتشف بداخله 8 شبكات تجسس خلال فترة البحث (1979–2011) .

الزاوية الثانية : إن هذه الشبكات وطريقة الإعلان المدوى عنها يكون عادة جزءاً من لعبة سياسة أكبر ، تستهدف توظيفاً سياسياً لأغراض أخرى ، بعضها مثلاً يتصل بمسألة تبادل الجواسيس أو السياسيين ، فإذا علمنا – على سبيل المثال – أنه كان لمصر حوالى 90 أسيراً فى سجون إسرائيل ، بعضهم اعتقل عندما كان يعبر الحدود لمساندة الانتفاضة ، وبعضهم اختطف من الجنوب اللبنانى أثناء الاحتلال الإسرائيلى له ، والبعض الأخير من بدو سيناء ومنهم من يعمل مع أجهزة المخابرات المصرية ، وهؤلاء جميعاً معتقلون فى سجون (بتيح تكفا – عكا – عسقلان – الخيام – النقب وغيرها) إذا علمنا ذلك فإنه يكون من المفهوم إذن أن ورقة التجسس تلك تستخدم من الأجهزة المصرية للضغط وأحياناً تحرز نتائج إيجابية عندما يكون بين الصيد الثمين من العملاء من يحمل جنسية أجنبية (وبخاصة الإسرائيلية) .

فإذا أضفنا إلى هاتين الزاويتين للنظر ، واقع أن سفراء إسرائيل فى مصر يعيشون غربة حقيقية ، ولنتأمل ما كتبه السفير الإسرائيلى (جدعون بن عامى) فى صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية قبل أيام من اكتشاف الشبكة الجاسوسية عام 2003 تحت عنوان (خواطر شخصية للسفير الإسرائيلى فى مصر) حين أشار بألم إلى أن تدهور علاقاتنا مع مصر يمثل معادلة لا حل لها ، وأن عهد السادات كانت ذروة الدراما الإيجابية التى شعرت وقتها بالنشوة إلا أن الواقع الراهن بائس وأقل إثارة، وهو يختم معترفاً بأن ثمة خيبة أمل كبيرة

لدى الإسرائيليين من ثمار السلام مع مصر وأن اتفاقات كامب ديفيد قد فقدت روحها .

هذا الشعور لدى (بن عامى) المبنى على حقائق الواقع فى مصر ، لم يسلم منه فى الواقع السفراء الستة السابقون له (إلياهو بن اليسار – موشيه ساسون – شيمون شامير – إفرايم دوبك – إبراهيم واربورج – ديفيد سلطان – تسفى مازئيل) ، إلا أنه زاد وضوحاً معه ومع من تلاه (5 سفراء تالين له) فى أجواء التهاب الوضع الفلسطينى ، هنا لا يجد (الموساد) بُداً من أن يحرك أصابعه ، للعب فى أحشاء الجسد المصرى ، مستغلاً الأوضاع الاقتصادية المتردية التى يعانيها المجتمع ، وبخاصة من أوقعه حظه العاثر للعمل معه ، ومستغلاً وهناً أصاب عصب الانتماء لدى البعض ، مضافاً لكل هذا أن من يتورط فى لعبة الموساد الجديدة يدافع عن نفسه عادة (كما ذكر العديد من المتورطين فى أثناء التحقيقات الرسمية معهم) أن ثمة لغة رسمية باهتة ظلت تلح إبان عصر مبارك ، صباح مساء على أن (السلام) كان ولايزال هو " الخيار الاستراتيجى " لمصر ، وهى لغة تعنى لهم من بين ما تعنى أن أى (علاقة) فى أجواء هذا (الخيار) ، لم تعد مجرمة ، طالما فعلها (الكبار) منذ سنوات ولم يحاكمهم أحد – فلماذا – يحاكمون هم على حسن طاعتهم لأولى الأمر وتصديقهم لدعاويهم السلامية ؟! سوف يرد عليهم بأن هذه نقرة وتلك نقرة أخرى ، فهنا سياسة دولة وهناك اختراق غير مبرر لأمن الدولة .. فينظر المتورطون إلى المحققين وقد علت وجوههم الدهشة النابعة من عدم الفهم لهذه " الفذلكة " اللغوية الرسمية !! . وهو تحديداً جوهر ما جرى فى كل قضايا الاختراق والتجسس – كما سنرى فى ثنايا هذا الفصل .

***

<u>ثانياً : أهداف عمليات التجسس لخدمة التطبيع ونماذج دالة له خلال الفترة 1979-2011:</u>

بزيارة السادات للقدس عام 1977 ، تغيرت العلاقات الرسمية بين النظام المصري والكيان الصهيوني، فتحول العدو الصهيوني . رسمياً . إلى صديق، وبات مفترضاً، حسب نصوص اتفاقية الصلح، أن يكون "السلام" هو الأساس والخيار الدائم بين الدولتين، وأن يعمل كلا الطرفين على "تطبيع العلاقات" بينهما في كافة المجالات. ونظرياً كان من المفترض أن تتغير الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه مصر، بما يعني انخفاض الأنشطة العدائية الصهيونية تجاه مصر، وعلى رأسها نشاط التجسس، ولكن ما حدث عملياً هو عكس ذلك، فقد اتسعت وامتدت آفاق ومجالات التجسس الصهيوني على مصر من التجسس العسكري والاقتصادي التقليدي، إلى التجسس العلمي والزراعي والصناعي،(وفي زيادة عدد شبكات الجاسوسية المعلن عنها مؤشر على ذلك)، بما يجزم أن الاستراتيجية الصهيونية تجاه مصر لم تتغير، بل تأكدت وزاد الإصرار عليها مع فتح الأراضي المصرية أمام الدبلوماسيين والسياح والخبراء الإسرائيليين.

بالنظر إلى طبيعة الكيان الصهيوني، وإلى طبيعة العمليات التي قامت بها أجهزته الاستخباراتية وأعلن عنها، واستناداً إلى القواعد العامة في مجال الاستخبارات، نجد أن الاستراتيجية الاستخباراتية الإسرائيلية تجاه مصر تقوم على نوعين من المحددات: محددات عامة، وأخرى خاصة .

فبالنسبة للمحددات العامة : وهي محددات وقواعد تنتهجها معظم أجهزة المخابرات في الدول الحديثة تجاه الدول الأخرى، ففي عالم المخابرات تحرص كل دولة على أن تحيط وتحظى بأكبر قدر ممكن من المعلومات (والعملاء) عن باقي دول العالم، وفق قاعدة أنه: لا يوجد صديق دائم ولا عدو دائم، ووفق قاعدة أن: المعرفة قوة في ذاتها. وفي هذا الإطار يتم ترتيب وتصنيف دول العالم في أجهزة المخابرات في مراتب ودرجات على حسب أهميتها وخطورتها على الأمن الوطني، فتعطي أولوية لدول معينة، لأسباب سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، وتتأخر دول أخرى للأسباب نفسها. ووفق هذا المحدد العام فإنه لا

يُستغرب أن تتجسس دولة على دولة أخرى حليفة أو صديقة، فكما قلنا: لا توجد صداقة دائمة أو عداوة دائمة، وإنما هناك مصالح دائمة. كما أن أعمال التجسس لا تعني في ذاتها التعبير عن العداء، بل ربما تُعبر عن رغبة في التدخل في شئون الحليف ودفعه لاتخاذ قرارات معينة، فيكون التجسس بغرض الحصول على المعلومات الكافية لتحقيق ذلك الهدف، ومن أمثلة ذلك جهود المخابرات البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية لدفع الولايات المتحدة لدخول الحرب بجانب الحلفاء.

وفي هذا الإطار أيضاً فإن إسرائيل لم تتردد ولن تتردد في التجسس على مصر، مهما عقد بين الدولتين من معاهدات واتفاقيات صداقة وتطبيع.

أما المحددات الخاصة فهي محددات تتكشف من تحليل ما أُعلن عنه من العمليات الاستخبارية الإسرائيلية الموجهة ضد مصر في فترة ما بعد كامب ديفيد، وتتأكد مع نوعية الجرائم التي يقوم بها عملاء الموساد على أرض مصر، وبتأمل تلك العمليات والجرائم يتضح أن العمل الاستخباري الإسرائيلي في مصر يقوم على :

(1) . جمع المعلومات عن مصر في كافة المجالات: العسكرية، والسياسية، والاقتصادية (بفروعها: الزراعية[*] والصناعية والسياحية)، والعلمية. وفي هذا تستعين المخابرات الإسرائيلية بكل من تستطيع تجنيده من العملاء المصريين والأجانب، بجانب متابعتها الدائمة لوسائل الإعلام المصرية وما يخص مصر في وسائل الإعلام العالمية.

وفي هذا الإطار يولي الإسرائيليون اهتماماً خاصاً للتطورات السياسية في مصر، ويحرصون على متابعة القوى السياسية المصرية، خشية أن تتمكن إحدى القوى الراديكالية المعارضة للصلح مع العدو الصهيوني من الوصول إلى

* سيتم تناول التجسس الزراعي بشكل مفصل في دراسات التطبيع الزراعي .

الحكم (كما جرى مع الإخوان بعد ثورة يناير 2011) ، لذا فإنهم لا يتوانون عن تزويد النظام المصري بما يصلون إليه من معلومات ذات قيمة بهذا الشأن.

(2) . التخريب المتعمد لما يمكنهم الوصول إليه من القطاعات المصرية، وقد تمثل ذلك في أكثر من صورة ونشاط، مثل تورط المخابرات الإسرائيلية في تهريب المخدرات لمصر، وغزو سوق المخدرات بالأصناف الفتاكة التي تدمر الشباب المصري، كما حدث في الثمانينيات من القرن الماضي حين غزا مخدر الهيروين البلاد بكميات كثيفة، وكشفت أجهزة الأمن المصرية عن الدور الإسرائيلي في ذلك.

وفي المجال الزراعي يمكن الإشارة إلى دور المخابرات الإسرائيلية في تهريب وتوريد المبيدات والبذور المسرطنة والسلالات الحيوانية المحقونة بالهرمونات للمزارع المصرية، وذلك عبر علاقات المخابرات الإسرائيلية بالشركات الزراعية في الكيان الصهيوني، وبمراكز الأبحاث التابعة لتلك الشركات.

هذا بخلاف السياح الإسرائيليين وعملاء الموساد الذين يُقبض عليهم، وتكتشف السلطات المصرية أنهم مصابون بمرض الإيدز، وأنهم عملوا على نشره بين الشباب المصري، مثلما حدث في قضية الجاسوسة فائقة مصراتي.

حتى في المجال العقائدي والديني، لم يتورع الإسرائيليون عن إرسال عملائهم لنشر العقائد الدينية والمذاهب الأرضية بين المصريين، لتهديد الاستقرار الاجتماعي المصري، وكانت قضية الشابة الفلسطينية التي قبض عليها وزوجها الإسرائيلي في فبراير 2007م، وهما يروجان لمذهب "السيانتولوجي" الديني نموذجاً لذلك.

(3) . كذلك من أولويات المخابرات الإسرائيلية في مصر، العمل على رصد وتعقب عناصر التنظيمات المصرية والعربية المقاومة للكيان الصهيوني الموجودين على الأراضي المصرية، والتعاون مع المخابرات المصرية في

القبض علي تلك العناصر، ونموذج لذلك ما عرف بـ"خلية حزب الله " في مصر، هو النموذج الأقرب والأشهر لذلك.

(4) . تنشط المخابرات الإسرائيلية وسط الجاليات العربية والمصرية في أوربا والأمريكتين، وتبحث عن الشخصيات الصالحة للتجنيد، وغالباً ما يكون المال أو النساء هما وسيلة الاصطياد والتجنيد، وقد ظهر من بعض قضايا التجسس المعلن عنها ، أن المسيحيين المصريين المهاجرين للأمريكتين(الذين يُطلق عليهم أقباط المهجر) صاروا هدفاً لضباط الموساد، الذين يحاولون استغلال نشاط المعارضة السياسية والدينية للنظام المصري وسط هؤلاء .

يتبدى من المحددات السابقة أن توقيع إسرائيل لاتفاقية الصلح مع النظام المصري في سنة 1979م، لم يُغير من استراتيجيته العدائية نحو مصر، وأنه من السذاجة تصور عكس ذلك، بل إن تلك الاتفاقية قد وفرت الأجواء الملائمة لزيادة النشاط المخابراتي والإجرامي الصهيوني ضد مصر عن مرحلة ما قبل الصلح، إذ لم يعد تعامل المصريين مع الإسرائيليين داخل مصر أو خارجها جريمة قانونية مرتبطة بالتجسس والتخابر، ولم يعد التعاون الاقتصادي مع الإسرائيليين دليلاً على الخيانة وفقد الانتماء من وجهة النظر الأمنية، وصار بوسع الإسرائيليين زيارة مصر للسياحة والعمل، ويكفي أن بنود معاهدة الصلح تعطيهم الحق في دخول سيناء دون جوازات سفر أو تأشيرات لمدة أسبوعين!! كما سبق وأشرنا .

وبات مسموحاً للمصريين أن يسافروا للكيان الصهيوني للأغراض نفسها، وأن يتزوجوا بإسرائيليات، والذين شكلوا أحد أعمدة التجسس والاختراق فى مصر ما بعد 1979 ، ولعل في التصريحات الأخيرة التي نشرتها عدة صحف فلسطينية وعربية على لسان رئيس الاستخبارات الحربية الإسرائيلية السابق (عاموس يادلين)، ما يدل على تلك الإستراتيجية، فقد قال الرجل خلال مراسم تسليمه مهامه لخليفته الجنرال أفيف كوخافي:" مصر هي الملعب الأكبر لنشاطات

جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلي، وإن العمل في مصر تطور حسب الخطط المرسومة منذ عام ١٩٧٩م... لقد أحدثنا الاختراقات السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية في أكثر من موقع، ونجحنا في تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي، لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائماً، ومنقسمة إلى أكثر من شطر في سبيل تعميق حالة الاهتراء داخل البنية والمجتمع والدولة المصرية، لكي يعجز أي نظام يأتي بعد حسنى مبارك في معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتفشي في مصر»[1].

***

<u>* أما نماذج للتجسس الإسرائيلي على مصر خلال الفترة 1979-2011 :</u>

وفقاً لمصادر معلوماتية متعددة فإنه تمَّ خلال الفترة بين سنتي 1990-2000م ضبط 27 شبكةً تجسس صهيونية في مصر، منها 10 شبكات تمَّ ضبطها خلال الفترة فيما بين سنتي 2004-2007م، وبلغ عدد جواسيس الموساد الذين تمَّ تجنيدهم والدفع بهم إلى مصر حوالي 67 جاسوسًا منهم75% من المصريين و25% من الكيان الصهيوني[2].

وهذا عائد كما قلنا سابقاً إلى أن الصراع مع إسرائيل لم ينته ولكنه تحول لأدوات أخرى ومن نماذج قضايا التجسس التي أُعلن عنها في السنوات الاثنين والثلاثين موضوع بحثنا[3]:

(1) في سنة 1979م، وبعد فترة قصيرة من توقيع الرئيس السادات اتفاقية الصلح مع الإسرائيليين، قُبض على المصري فتحي الفار بتهمة التخابر لصالح الكيان الصهيوني، وحُكم عليه بالسجن عشر سنوات، ليكون بذلك صاحب القضية رقم واحد في عهد الصلح والتطبيع .

(2) في العام التالي ألقي القبض على مصري آخر هو هشام عزت سليمان بتهمة التخابر مع إسرائيل، وحكم عليه بالإعدام .

(3) في سنة 1983م حُكم على المصري سيد هاشم بالسجن 5 سنوات بتهمة التجسس على ثلاث دول عربية لصالح المخابرات الإسرائيلية: مصر ، ولبنان، واليمن !!

(4) في عام 1985م أعلنت أجهزة الأمن المصرية نبأ القبض على شبكة تجسس إسرائيلية مكونة من تسعة أفراد ينتمون إلى الموساد الإسرائيلي.وقد دخل أفراد الشبكة مصر على دفعتين: أربعة أفراد دخلوا البلاد ضمن أحد الأفواج السياحية المتجهة لمدينة الإسكندرية، ودخل الخمسة الآخرون البلاد ضمن فوج سياحي يزور منطقة القناة، وقُبض على أفراد هذه الدفعة في مدينة بور فؤاد أثناء تصويرهم ورسمهم الخرائط لأماكن محظور تصويرها، وضبط معهم عدة أفلام قاموا بتصويرها، وتبين من التحقيقات أنهم ضباط بجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد).

(5) في السنة نفسها ألقي القبض على الجاسوس عبد الحميد اللباد .

(6) في أغسطس 1986م ألقت أجهزة الأمن القبض على شبكة تجسس تتكون من بعض العاملين بالمركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة، وسيدة أمريكية من العاملين بهيئة المعونة الأمريكية، وقد تبدت خطورة الشبكة في المضبوطات التي وُجدت مع أعضائها: صور التقطت لوحدات من الجيش المصري ليلاً باستخدام تقنيات الليزر، وأفلام خام ومعمل تحميض، ومحطة إرسال واستقبال.

(7) في أواخر عام 1986م نفسه تم ضبط أربعة جواسيس إسرائيليين في مدينة شرم الشيخ بسيناء.

(8) في سنة 1987م حُكم على عبد الحميد محمد صبح بالأشغال الشاقة المؤبدة، بعد قيام المخابرات الإسرائيلية بتجنيده ونقله عبر الحدود وتدريبه على أعمال الجاسوسية .

(9) في سنة 1990م، تم الحكم على المصري إبراهيم مصباح عوارة بالسجن 15سنة، بتهمة التخابر مع الكيان الصهيوني، وقد كانت محاولته . بالاشتراك مع أحد ضباط الموساد. تجنيد إحدى الفتيات المصريات سبباً في انكشاف أمره، فقد أبلغت عنه الفتاة أجهزة الأمن.

(10) في السنة نفسها رحلت الحكومة المصرية الأجنبي وليم تشارلز بسبب علاقته المريبة بالسفارة الإسرائيلية !!

(11) في 3 فبراير 1992م أعلنت الأجهزة الأمنية المصرية القبض على شبكة جاسوسية تكونت بشكل رئيس من الإسرائيلي فارس صبحي مصراتي(وهو يهودي من أصل عربي) وابنته فائقة، وشقيقها ماجد.

وحسبما كشفت أوراق القضية، فقد دخل الرجل وابنته مصر أكثر من مرة خلال فترة قصيرة بذريعة السياحة، واختارا ضاحية (مصر الجديدة) التي يسكنها الأثرياء وكثير من المسئولين محلاً لإقامتهما في القاهرة، ولم يتورع الأب ذو الأصل الليبي أن يستخدم ابنته ذات الثمانية عشر عاماً في اختراق المجتمع المصري، والتعرف على عدد من المواطنين المصريين والشخصيات العامة، حتى لو كان ذلك عبر العلاقات الجنسية!! وقد لفتت زياراتهما المتقاربة لمصر انتباه الأجهزة الأمنية، وزاد من الريبة في أمرهما أنهما أوهما من حولهما أنهما لبنانيان، وتحركا في الأوساط الاجتماعية على هذا الأساس، فوضعا تحت المراقبة حتى اكتملت أركان القضية.

وفي التحقيقات اعترف مصراتي وابنته بأنهما كُلفا بجمع كافة المعلومات العسكرية والسياسية والثقافية الممكن جمعها عن مصر، ورصد أي تعاون عسكري مصري مع الدول الأخرى (وسورية بوجه خاص) ، ورصد حجم وقوة التيار الديني في مصر، والحصول على معلومات عن بعض الشخصيات العامة ، واعترفا بأنهما حرصا على التعرف على أشخاص يشغلون مراكز مهمة في جهات مصرية حساسة، وعلى أبناء كبار المسئولين المصريين، وأن جسد

الابنة كان وسيلة رئيسة في توطيد العلاقات مع تلك الشخصيات وجذبها لشباك آل مصراتي، وأنها أقامت علاقات متعددة مع شباب مصريين، لم تكن إحداها تستمر أكثر من يومين، وأنها سعت إلى الحصول على تصريح الإقامة في مصر عن طريق الزواج بأحد هؤلاء الشباب، والأخطر أن الجاسوس وابنته اعترفا بأنهما كانا بصدد نقل نشاط الشبكة إلى دولة ليبيا الشقيقة، اعتماداً على الأصول الليبية لفارس مصراتي(الذي تعود جذور عائلته لمدينة مصراتة الليبية)، وقد ألقت سلطات الأمن القبض على الابن ماجد أثناء عودته من ليبيا إلى مصر بعد أسبوع من القبض على الأب والابنة.

وقد وصلت قوة العلاقات التي أقامتها الابنة في المجتمع القاهري إلى ورود أسماء ممثلات مصريات شهيرات في التحقيقات معها، مثل: شريهان، ونادية الجندي!

كما تردد حينها في الصحف الجاسوسة الشابة كانت مصابة بمرض الإيدز، وأنها عملت على نقله للشباب المصري عبر العلاقات المحرمة التي أقامتها معهم ، كما كانت تستخدم المخدرات في تسهيل مهمتها.

وبالإضافة لأعضاء الشبكة الثلاثة: الأب والابنة والابن، فقد توصلت أجهزة الأمن إلى عضو رابع في الشبكة كان يعمل منفصلاً عن باقي أفراد الشبكة أغلب الوقت، هو ضابط الموساد الإسرائيلي ديفيد أوفيتس، الذي دخل إلى مصر تحت ستار أنه رجل أعمال، وتوافقت مواعيد زياراته للقاهرة مع أغلب زيارات فارس مصراتي، والتقيا أكثر من مرة، وكانت مهمة أوفيتس هي اختراق مجتمع رجال الأعمال المصري، وإقامة العلاقات التي تمكنه من جمع المعلومات.

وقد كانت قضية آل مصراتي سبباً في لفت الانتباه إلى دور السفارة الإسرائيلية بالقاهرة في مساعدة جواسيس الصهاينة بمصر، إذ ضُبط مع أفراد الشبكة أجهزة وأدوات لا يمكن تهريبها داخل مصر من المعابر الحدودية أو المطارات،

وبات الأقرب للاحتمال أن السفارة الصهيونية قد استخدمت حقائبها الدبلوماسية . التي لا يجوز تفتيشها قانوناً . في نقل تلك الأجهزة !!

(12) في إبريل 1992م صدر الحكم بالمؤبد على البدوي المصري عامر سليمان أرميلات، بعد أن ثبتت إدانته بالتجسس لصالح المخابرات الإسرائيلية، بجانب ترويج المخدرات وجلبها من الكيان الصهيوني لداخل مصر .

بدأ عامر تعاونه مع إسرائيل مع بدايات صلح نظام السادات مع العدو الصهيوني، فقد كان يحترف السرقة في العريش المحتلة وفي المستوطنات الصهيونية، وقبض عليه الصهاينة في قضية سرقة، وحين أدركوا أنه لا يتورع عن فعل أي شيء من أجل المال، عرضوا عليه العمل معهم مقابل إسقاط عقوبته في الجريمة التي قبضوا عليه بسببها، مع عرض مالي مُغرٍ، ولأنه كان أمياً ويكره التعلم، فقد تلقى تدريباً بسيطاً يعتمد على الملاحظة البصرية، وطُلب منه معلومات عن القوات المصرية في سيناء، وكان الثمن كميات من المخدرات يعطيه إياها الإسرائيليون، للتعاطي الشخصي والاتجار، بعد أن أقنعوه أن تجارة المخدرات هي القناع الأمثل لتغطية تحركاته ونشاطاته في سيناء! ومع نشاطه وحماسه للخيانة فقد وكل لعامر إنشاء شبكة من الجواسيس تحت ستار تجارة المخدرات.

(13) وفي السنة نفسها قبضت السلطات المصرية على الأمريكي دومنيك نتوبي بتهمة جمع معلومات عن القدرات العسكرية المصرية لصالح الموساد الإسرائيلي، وكان قد دخل مصر على أنه مراسل صحفي لإحدى الصحف الأمريكية .

(14) في سنة 1993م ، ألقي القبض على بحار مصري تعاون مع المخابرات الإسرائيلية، وكان مكلفاً بجمع معلومات عن ميناء الإسكندرية وتصوير منشآته .

(15) وفـي يونيـو مـن العـام نفسـه نفذ حكـم الإعدام فـي المصـري علـي عبد السلام شهيد، بعد إدانته بالعمل لحساب الموساد ، وكشفت التحقيقات أن المتهم وقع في شباك الموساد أثناء وجوده بالنمسا سنة 1991م.

(16) في ديسمبر 1995م، تعللت السلطات الإسرائيلية بأنها ترغب في تشديد الرقابة على طائرات شركة العال ، خشية حدوث عمليات إرهابية على طائراتها عقب اغتيال رئيس الوزراء الصهيوني إسحاق رابين، فأرسل جهاز الشاباك[*] سبعة من ضباطه أقاموا في مطار القاهرة، بحجة تفتيش المسافرين إلى الكيان الصهيوني قبل ركوبهم الطائرات وتأمين الطائرات، أي أن الضباط السبعة قد اطلعوا على الإجراءات الأمنية المطبقة بالمطار، وأتيح لهم جمع المعلومات عنه !!.

(17) في مارس 1996م قُبض على (عبد الملك عبد المنعم) الرقيب المتقاعد من القوات البحرية، الذي سافر للكيان الصهيوني في عام 1995 بحثاً عن الثراء كما يفعل كثير من أهل قريته (نَوَسا الغيط) [*] ، المشهورة بسفر أبنائها للعمل في الكيان الصهيوني، وفي إيلات (أم الرشراش المصرية) عَمِل في مجال نقل مواد البناء حتى التقطته أعين خبراء الموساد، الذين رأوا فيه فريسة مناسبة، فنصبوا شباكهم حوله، ونجحوا في تجنيده، وبعد أن حصلوا منه على كل ما يعرفه من معلومات عن القوات البحرية المصرية قبل تقاعده في سنة 1978م، كلفوه بنقل ما يستطيع الوقوع عليه من معلومات عسكرية عن قاعدة (شاوا) العسكرية في مدينة المنصورة القريبة من قريته.

(18) في سبتمبر من العام نفسه ألقت السلطات المصرية القبض على طبيب إسرائيلي بتهمة التجسس.

(19) في أواخر سنة 1996م قُبض في القاهرة على ضابط المخابرات الإسرائيلي الدرزي عزام عزام، وعضو شبكته الشاب المصري عماد إسماعيل. وكشفت تحقيقات النيابة أن التطبيع الاقتصادي كان وراء سقوط الشاب

المصري في هاوية الجاسوسية، وأن قصة عزام وعماد بدأت من الشركة المصرية المسماة "الشركة السويسرية للملابس" التي يملكها رجل الأعمال المصري علاء عرفة، الذي هو اليوم من كبار مستثمري اتفاقية الكويز، فقد قررت الشركة إرسال وفد من العاملين فيها للتدرب في المصانع الإسرائيلية، وكان عماد ضمن الوفد الذي وصل إلى الدولة الصهيونية في فبراير 1996م،وهناك تعرف على عزام باعتباره خبيراً في صيانة ماكينات صنع الملابس، وعبر الإغراء الجنسي(المتمثل في عضوة الشبكة الإسرائيلية زهرة جريس)، والإغراء المالي، استطاع عزام تجنيد عماد إسماعيل ؛ ليقوم بنقل ما يقع عليه من معلومات للمخابرات الصهيونية.

(20) في أغسطس 1997م أُلقي القبض على المصري سمير عثمان عقب عودته من رحلة سباحة وغوص إلى ميناء إيلات(أم الرشراش)، وهي الرحلة التي كشفت عن جاسوس فريد من نوعه، فقد كشفت التحقيقات أن قصة سمير مع الجاسوسية بدأت حين سافر من مصر إلى العراق، حيث عمل في مجال جمع التحريات في الجيش الشعبي العراقي أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وحين وجد العمل لا يرضي طموحه وحبه للمغامرة، سافر إلى تركيا حيث توجه إلى السفارة الصهيونية، وعرض على ضباط استخبارات العدو الصهيوني أن يتعاون معهم في التجسس على مصر!!

رحب الإسرائيليون بالجاسوس الذي جاءهم بقدميه، وبعد التدريبات عاد سمير إلى مصر لينفذ ما كُلف به من مهام ، ولأنه مغامر بطبعه ويجيد السباحة والغوص، فقد ابتكر طريقة لتوصيل المعلومات إلى الإسرائيليين، فكان يذهب كل فترة إلى مدينة طابا بسيناء، ويقيم في أحد فنادقها، وكأحد هواة رياضة الغوص يستأجر ملابس ومعدات الغوص، وما إن يغوص في المياه حتى يبدأ رحلة غوص تنتهي في ميناء إيلات، حيث يسلم للضباط الصهاينة ما حصل عليه من معلومات، ويُبلَّغ بالتكليفات الجديدة، ويعود بنفس الطريقة إلى طابا،

وقد اعترف أنه يمتلك أربعة جوازات سفر مختلفة كان يستخدمها في التنقل بين اليونان والسودان وليبيا وتل أبيب .

(21) فـي سـنة 1999م قبضـت سلطات الأمـن المصـرية علـى عـودة سـليمان ترابين، الابـن البكـر لسـليمان تـرابين، ذلـك البـدوي الـذي تعـاون مـع الاحـتلال الصـهيوني لسـيناء عقـب هزيمـة 1967م، ثـم فـر بأبنائـه للكيـان الصـهيوني وحصل على جنسيته في عام 1990م. وفي صحراء النقب التي استقرت بها الأسرة، قضى الابن (عودة) سنوات تعلم فيها الخيانـة والعمالـة، وقرر أن يكمل مسيرة أبيـه سليمان، فتسلل من صحراء النقب الفلسطينية إلى سيناء، وتحديداً إلـى العريش، وبحوزتـه دولارات مزيفة، حيث حـاول تجنيد زوج شقيقته وبعض أبناء عمومته، من أجل جمع معلومات عن التحركات العسكرية المصرية في سيناء، وحين قُبض عليه اعترف بأنـه كـان ينوي أن يعطـي زوج شقيقته وأبنـاء عمومته تلك الدولارات في حال وافقوا على العمل معه !!

(22) في يونيو 2000م قضت محكمـة أمن الدولـة العليا طوارئ بالإسكندرية بالسـجن عشـر سـنوات علـى المـواطن المصـري (مجـدي أنـور توفيـق) بتهمـة التخابر مع الكيان الصهيوني.

كان المتهم ـ حسبما تقول أوراق القضية ـ قد أرسل رسالة بالفاكس إلى القنصلية الصهيونية في الإسكندرية يعرض على مسئوليها أن يساعدوه في العمل لحساب المخابرات الإسرائيلية، وقام بتزوير أوراق تثبت أنـه يعمل وزيراً مفوضاً بوزارة الخارجية المصرية، ليقنع الصهاينة بأهمية ما يعرفه من معلومات، وقد تسبب الأسلوب الذي اتبعه في الاتصال بالصهاينة في كشف تحركاته وإلقاء القبض عليه قبل أن يبت الصهاينة في مسألة تجنيده .

(23) في مارس 2002م حُكم على المواطن المصري شريف الفيلالي بالسجن 15 عاماً بعد أن أدين بالتخابر مع المخابرات الإسرائيلية، وإمدادها بمعلومات عسكرية واقتصادية وسياحية عن مصر، وكان المتهم قد حوكم في العام السابق

وصدر حكم بتبرئته ، ولكن الرئيس المصري حسني مبارك – بصفته الحاكم العسكري وفقاً لقانون الطوارئ – رفض التصديق على الحكم، فأعيدت المحاكمة وصدر الحكم المذكور.

كشفت التحقيقات أن الشاب شريف سافر لألمانيا في عام 1990 ليكمل دراسته العليا، ولكنه فشل في ذلك، وحاول في الوقت نفسه تعلم اللغة العبرية، ليعمل في إحدى الشركات الألمانية المتعاونة مع شركات إسرائيل، كما حاول الزواج من امرأة ألمانية، ومع فشله المتكرر انتقل إلى أسبانيا في مايو 1996م، حيث تزوج في فبراير من العام التالي عجوزاً إسبانية، عرفته إلى أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد) في أسبانيا، الذي قدمه بدوره لضباط الموساد، الذين نجحوا في تجنيده وتولوا تدريبه على أعمال الجاسوسية.

وقد ارتكب الفيلالي الخطأ الذي أدى لسقوطه، حين أراد التمويه على نشاطه التجسسي، فتوجه إلى السفارة المصرية في أسبانيا وأخبر مسئوليها أن له صديقاً روسياً (هو في الحقيقة ضابط الموساد الذي قام بتجنيده) يتاجر في الأسلحة، طلب منه أن يصحبه في السفر للعراق والإقامة بها، بغرض إتمام عمليات تهريب للأسلحة داخل العراق ، وانه . أي الفيلالي . جاء يستفتي عن مدى قانونية ذلك، ومدى تأثيره على الأمن القومي المصري، وكان طبيعياً مع تلك القصة الخطيرة، التي تمس أكثر من جهاز مخابرات في المنطقة، أن يتم التحري عن الفيلالي ومراقبته، وهو ما أدى في النهاية لكشفه والقبض عليه .

وخلال المحاكمة الثانية اعترف الفيلالي أنه زود الموساد بمعلومات متعلقة بمشروع توشكى، وبحجم الاستثمارات به والشركات العاملة به، وأخرى متعلقة بالمناطق السياحية في مصر، فضلاً عن معلومات عسكرية متعلقة بتسليح الجيش المصري وبعض المناطق العسكرية .

(24) في أكتوبر 2002م أدى البلاغ عن اختفاء 16 سائحاً صينياً في جبال سيناء، إلى الكشف عن شبكة من المصريين مهمتها تهريب الأجانب لإسرائيل

عن طريق الدروب الجبلية بمدينة رفح، وقد كشفت التحقيقات عن اشتراك دبلوماسي مصري يعمل في السفارة المصرية في إسرائيل، في عملية التهريب في مقابل عمولة عن كل فرد يتم تهريبه. وقد تحولت القضية من قضية تهريب أفراد إلى قضية تخابر تمس سمعة البلاد، وتطعن في قدرة الحكومة على ضبط حدود مصر الشرقية، حينما كشفت التحقيقات عن إشراف ضباط من الموساد على نشاط الشبكة، التي تزعمتها مديرة للعلاقات العامة بإحدى شركات السياحة المصرية (وهي لاعبة كرة يد سابقة تدعى نجلاء إبراهيم)، واستطاعت أن تضم إليها ثمانية من العاملين بالشركة، فضلاً عن الدبلوماسي المشار إليه، وبعض بدو سيناء.

(25) في مايو 2005م أطلقت إسرائيل قمر التجسس (أفق5)، الذي قدرت تكلفته بـ 60 مليون دولار، ومهمته الحصول على صور المواقع العربية، ومراقبة المواقع المشتبه في احتوائها على منشآت نووية في العراق وليبيا وإيران وباكستان ، والتكامل مع أقمار التجسس الأمريكي في البلاد العربية وجاراتها، وتصل دقة هذا القمر إلى درجة تصوير جسم لا يزيد طوله عن المتر ، وهذا القمر هو النسخة الثالثة من سلسلة أقمار التجسس الإسرائيلية ، التي اطلق أولها (أفق 3) في سنة 1995م.

(26) في إبريل 2007م صدر الحكم على محمد العطار، الشاب المصري الذي يحمل الجنسية الكندية، بالسجن 15 عاماً بتهمة التخابر مع أجهزة استخبارات إسرائيل بين عامي 2001ـ2007م، وإمدادهم بالمعلومات عن الشباب المصري والعربي في تركيا وكندا، بغرض تجنيدهم للعمل مع تلك الأجهزة.

كشفت تحقيقات النيابة أن محمد طالب السنة الثالثة بكلية العلوم بالأزهر قد سافر لتركيا في عام 2001م، فراراً من حكم سجن صادر بحقه في قضية "خيانة أمانة"، وأنه كان يحمل ميولاً دينية مسيحية، وميولاً جنسية شاذة ، كانت

تشعره بعدم التكيف في مجتمع الدراسة الأزهرية، وفي المجتمع المصري المسلم عموماً. وفي تركيا اتصل الشاب الساخط بالسفارة الإسرائيلية طالباً تأشيرة دخول للعمل في إسرائيل، فالتقطه ضباط المخابرات الإسرائيلية، وقاموا بتجنيده وتدريبه على الاختلاط بالعرب والمصريين المقيمين في تركيا، وتقديم تقارير عن شخصياتهم، ونقاط ضعفهم، لاختيار من يصلح منهم للتجنيد، وفي الوقت نفسه قصد إحدى الكنائس الكاثوليكية بأنقرة التركية، حيث تنصَّر، وغيَّر اسمه إلى جوزيف العطار!!

وبعد نجاحه في مهمته، وإثباته الولاء للموساد، ساعده ضباط الموساد في الهجرة لكندا، ووفروا له وظيفة في أحد مطاعم الوجبات السريعة، ليقوم بالمهمة نفسها وسط الأقباط المصريين، باسمه المسيحي الجديد!!

ومع حماسة جوزيف وإخلاصه في خدمة الإسرائيليين ، قرروا نقله في سنة 2003م إلى مدينة تورنتو الكندية التي تضم نسبة كبيرة من المصريين والعرب، ووفروا له عملاً بأحد البنوك الكبيرة بالمدينة، بغرض أن ينقل لهم المعلومات عن حسابات عملاء البنك من المصريين والعرب، وبياناتهم الشخصية، وما يستطيع الوصول إليه من معلومات بشأنهم. وقد اعترف في التحقيقات أنه شعر أن الموساد قد نجح في تجنيد عدد من عملاء البنك العرب والمصريين، بعد أن لاحظ زيادة حسابات بعض العملاء في فترة وجيزة، وتغير شخصياتهم وطريقة تعاملهم، خاصة من بين الأقباط المهاجرين الذين تركزت عليهم جهود الموساد. وفي نوفمبر 2006م حصل جوزيف على الجنسية الكندية، ووعده الضباط الإسرائيليون أن يكافئوه على حماسته وإخلاصه في خدمتهم بمنحه الجنسية الإسرائيلية، وتوفير فرصة عمل مرموقة له في الكيان الصهيوني، فطلب منهم أن يسمحوا له بإجازة يقضيها في القاهرة، يزور خلالها أقاربه ويسوي فيها بعض أموره، ولم يكن يعلم أنه سيُقبض عليه في مطار القاهرة، ويُقدم للمحاكمة على ما قام به خلال السنوات الست التي قضاها في تركيا وكندا .

(27) في يونيو 2007م صدر الحكم على المهندس المصري محمد سيد صابر بالسجن المؤبد، بعد إدانته بالتخابر مع إسرائيل، والاتفاق مع متهمين آخرين (أيرلندي وياباني) على اختراق أنظمة الحاسب الآلي لهيئة المواد الذرية التابعة لوزارة الكهرباء المصرية.

محمد سيد صابر هو شاب مصري تخرج في كلية الهندسة النووية بجامعة الإسكندرية سنة 1994م، والتحق بعد ثلاث سنوات بهيئة الطاقة الذرية، وفي أجواء الصلح والتطبيع مع الكيان الصهيوني كان مهتماً بالحصول على منحة تعليمية في الكيان الصهيوني، وتردد على السفارة الإسرائيلية والمركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة من عام 1999م لهذا السبب، ما أتاح لأجهزة الاستخبارات الصهيونية التقاطه وتجنيده، وكانت المهام المكلف بها شديدة الخطورة على الأمن القومي المصري، فقد كُلف بالإجابة عن أسئلة من قبيل: حجم الكارثة في حالة ضرب السد العالي بقنبلة نووية؟ ومدي التلوث بالسحب الإشعاعية في تلك الحالة؟ والمناطق التي ستصل إليها الإشعاعات في إسرائيل وسرعتها ومدي إمكانية التحكم فيها؟

كما كان مطلوباً منه أن يتصل بزملائه العاملين في المفاعل النووي المصري بمدينة أنَشاص، وأن يحاول الحصول على معلومات شاملة عن المفاعل: قدراته الفنية، وعدد ساعات تشغيله، والتجارب التي تُجرى فيه، والمشكلات الفنية التي تواجه عمله، ومعلومات عن مدى خضوع المفاعل للتفتيش من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومدى انتظام الزيارات التفتيشية ومعدلاتها.

وقد ظهرت ثمار مرحلة التطبيع في اعترافات الجاسوس وأقواله أمام المحكمة، فقد قال : إنه يفخر بعلاقاته بإسرائيل، واصفاً إياها بالدولة المتحضرة التي تحترم عقول العلماء، وإنه ينبغي على مصر أن تستفيد من خبرات الإسرائيليين في المجال النووي، خاصة أن مصر في حالة تطبيع مع إسرائيل!! .

اللافت للانتباه في هذه القضية أن أكثر المتصلين بهيئة الطاقة النووية المصرية والمفاعل النووي بأنشاص، أبدوا دهشتهم من سعي الاستخبارات الإسرائيلية لتجنيد جاسوس في الهيئة، وتكليفه بجمع معلومات معروفة ومتاحة، خاصة أن مصر ليس لديها ما تخفيه في المجال النووي، وليست لديها في مفاعلها الإمكانيات الفنية التي يمكن أن تخيف الدولة الصهيونية، ولكن الأمر – في تقديري – راجع إلى رغبة الصهاينة في الإحاطة بكل ما يمكن جمعه من معلومات من مصر، بجانب حذرهم الشديد الذي يدفعهم للتيقن من عجز مصر فعلياً عن تطوير مؤسستها النووية في المدى القريب.

(28) . مايو 2010م ، كشف محمد السعدني، رئيس مدينة مبارك للأبحاث العلمية والتطبيقات التكنولوجية السابق، في حوار صحفي[4] عن تشجيع وزير التعليم العالي المصري (د.هاني هلال) لاشتراك الهيئات العلمية بالمدينة في أبحاث علمية تكنولوجية مع جهات علمية إسرائيلية، رغم أن المدينة تتمتع بتفوق علمي واضح يغنيها عن التعاون مع تلك الجهات!! وفي دلالة على النوايا غير العلمية لتلك الجهات الإسرائيلية، قال السعدني : إنها طلبت "أسماء الباحثين الموجودين في المدينة، والتاريخ العلمي والوظيفي والبحثي والتكنولوجي لهم، ومعلومات عن الأجهزة والمشروعات الموجودة، وعدد الأفراد من الباحثين الحاصلين على شهادات دكتوراه ويدرسون في الخارج، ومصادر التمويل الخاصة بالمدينة "، ومن الواضح أن الأمر هنا يتعلق بالتجسس العلمي، أكثر منه بالتعاون البحثي.

***

ثالثاً : التطبيع عبر التجسس : نماذج من حقب مختلفة :

فضلاً عما ذكرناه سابقاً بشكل موجز ، نقدم فيما يلى أمثلة تفصيلية لبعض قضايا التجسس والاختراق الإسرائيلى لمصر خلال الفترة من 1979 – 2011 .

1 – حقبتا الثمانينات والتسعينات :

بعد محاولات عديدة للتجسس الإسرائيلى لاختراق مصر فى فترة الثمانينات ورد الشعب المصرى عليها سياسياً وعسكرياً ، كما جرى فى قضايا (سليمان خاطر – محمود نورالدين– أيمن حسن) كان هناك وقائع أخرى.

***

فى 1989/2/18 طلبت إسرائيل من مصر صوراً من محاضر التحقيقات التى أجرتها النيابة مع 19 إسرائيلياً متهماً أمام المحاكم المصرية .

كانت السلطات المصرية قد قبضت على عدد من السياح الإسرائيليين وهم يروجون دولارات مزيفة فى مصر كما قبضت على الإسرائيلى يوسف زيفى قبطان الباخرة البنمية " نيونا " التى ألقت مخلفات بترولية فى المياه الإقليمية المصرية جنوب سيناء .

** وفى نفس الفترة وضمن ملف " جواسيس التطبيع " جاءت قضية الشقيقين سامى وسمير يوسف واصف وضابط المخابرات الأمريكى نيكولاس إدوارد رينولدس فى إطار المحاولات المستمرة من إسرائيل وأمريكا لاختراق الداخل المصرى من خلال أشخاص يحملون الجنسية المصرية وقد تم الحكم بالسجن 10 سنوات على الجاسوسين المصريين وغرامة 10 آلاف جنيه و5 سنوات وخمسة آلاف لضابط المخابرات الأمريكية وبرأت المحكمة فيفيان ذكى يونان زوجة المتهم الأول وقالت المحكمة فى حيثيات حكمها: إن المتهمين قاموا بنقل معلومات غاية فى الخطورة وتمثل انتهاكاً وخطورة بالغة على الأمن القومى لمصر.

وقد تم نشر تفاصيل هذه القضية فى جريدة الشعب فى 1989/8/22 ، كما جاء فى نفس العدد أن ويليام هاريسون الأمريكى وهو المشرف الإدارى على مجلة القاهرة اليوم Cairo Today والمشرف أيضاً على مركز L.B.A لرجال الأعمال غادر القاهرة فجأة بعد الحملة التى قامت بها جريدة الشعب ضد

تغلغل جهات تجسسية إلى الصحف الناطقة بلغات أجنبية وكذلك خشيته من استدعاء جهات أمنية له لسماع أقواله عن وقائع ترتبط بالجاسوس المصرى الطبيب سامى واصف الذى عمل لفترة فى مجلة " القاهرة اليوم " .

كما جاء فى نفس العدد أن السلطات الأمريكية تحاكم د. عبد القادر حلمى وهو من مواليد قرية الأشمونيين مركز ملوى بمحافظة المنيا بتهمة سعيه لنقل مواد علمية ومحظورة إلى مصر . وقد قامت السلطات الأمريكية بمصادرة جميع أمواله وعرضته وأسرته لأشكال عديدة من التعسف والاضطهاد .يذكر أن د. عبد القادر حصل على الجنسية الأمريكية منذ ثمانى سنوات وهو يعمل فى مجال البحوث العسكرية الأمريكية .

** وفى عام 1992 جاء اكتشاف شبكة الجاسوسية الإسرائيلية بزعامة فارس صبحى مصراتى وابنته فائقة مصراتى وابنه ماجد مصراتى وضابط المخابرات الإسرائيلى ديفيد أوفتيس (وسبق الإشارة تفصيلاً عنه) وقد حاولت بعض الجهات المصرية عدم تضخيم الأمر وكان الأمر لا يعنيها بحسب ما جاء فى جريدة مصر الفتاة فى 92/2/24 حيث حاول وزير الخارجية عصمت عبد المجيد وكذلك وزير الداخلية التقليل من القضية رغم خطورتها على الأمن القومى المصرى .

** ذكرت " الشعب ومصر الفتاة والأهالى " فى إطار تغطيتها لهذه القضية أن السفارة الإسرائيلية كانت هى المحرك والموجه لهذه الشبكة وأن كل المعلومات المستقاة من الشباب المصرى أو العربى كانت تجد طريقها لإسرائيل عبر السفارة الإسرائيلية ومتابعة مباشرة من وزير خارجية إسرائيل.

وفى سياق متصل بهذه القضية التى هزت الرأى العام المصرى وكيف أن إسرائيل استغلت معاهدة السلام ودخول وفود إسرائيلية للزج بعملائهم من ضباط وعملاء الموساد للإفساد فى مصر ونشر الإيدز والرذيلة ، خاصة بين الشباب المصرى .

* وفـى السياق ذاتـه ولكـن فـى أغسطس عـام 1991 نشـرت صـحيفة " مصـر الفتاة " تحت عنوان " الاختراق الثقافى لمصر " قصة الطبيب المصرى صلاح الـدين إبـراهيم عـواد مـن مركـز الحسـينية محافظـة الشـرقية ، هـذا الطبيـب بعـد تخرجـه أراد السـفر لأى بلـد لاسـتكمال تعليمـه فلـم يجـد إلا المركـز الأكـاديمى الإسرائيلى الذى تلقفه مديره " أشير عوفاديا " الذى ذلل له كل الصعاب للذهاب لمستشـفى هداسـا فـى إسـرائيل لاسـتكمال تعليمـه (انظـر : تفاصـيل دور هـذا المركز فى الفصل الخاص به فى الباب الثقافى) .

وبعد عدة رسائل بين الطبيب المصرى مع " شطرن " مدير مستشفى هداسا وعدة أطباء من رؤساء الأقسام بنفس المستشفى ، ذهب الطبيب المصرى فى 1987 لإسرائيل لاستكمال تعليمه هناك ، وبعد قصة هذا الطبيب بدأ المركز الثقافى الإسرائيلى فى محاولاته التى لا تهدأ لاستقطاب الكثير من الشباب المصرى بحجة استكمال التعليم وخاصة طلاب الأقسام العبرية فى الجامعات المصرية .

وذكـرت الجريـدة شـهادات بعـض الطلبـة المصـريين الـذين توجهـوا للمركـز الأكاديمى الإسرائيلى للحصول على كتب ومراجع وأشرطة للغة العبرية ، وكلهم أجمعوا على أن مقابلتهم كانت تتم بصورة ممتازة من قبل مسؤولى المركز الأكاديمى الإسرائيلى ، وقد اعترف بعض الطلاب بأن مسؤولى وموظفى المركز كانوا يسألون عن أسعار المواد الغذائية فى السوق المصرى.

كما أشارت الجريدة أن رجال الموساد هم من يتولون إلقاء المحاضرات فى المركز وأن هؤلاء الأساتذة يبدون كرههم لكل ما هو مصرى علانية .

* وفـى مـايو 1992 نشـرت صـحيفة " الشـعب " وصـحيفة " مصـر الفتـاة " عـدة تقارير عن قرار حسنى مبارك الإفراج عن الجواسيس الإسرائيليين الأربعة: صبحى مصراتى وابنته فائقة مصراتى وماجد مصراتى وضابط الموساد أوفتس حيث نقلوا رأساً إلى تل أبيب وبمجرد وصولهم تل أبيب هاجموا مصر واتهموا

المخابرات المصرية بتعذيبهم والتنكيل بهم وطلبوا اعتذاراً رسمياً من مصر وكان فى استقبالهم رجال الموساد الإسرائيلى . وأكد إسحاق شامير أن الإفراج جاء بعد مكالمة هاتفية بينه وبين حسنى مبارك .

ولم تقدم مصر أى تبرير أو تفسير لعملية الإفراج عن الجواسيس ، وتساءل د.محمد حلمى مراد – الأمين العام لحزب العمل آنذاك – هل يملك مبارك أو من حقه فعلاً الإفراج عن جواسيس ويتدخل فى القضاء بهذه الصورة المؤسفة رغم أن النيابة العامة والمخابرات العامة قدمت ما يدين هؤلاء الجواسيس بالفعل وأظهرت الدلائل على تورطهم فى الإضرار بالأمن القومى المصرى عن عمد وسبق الإصرار .

* وفى 1992/3/2 اعترض مجموعة من أساتذة جامعة القاهرة ومركز البحوث الاجتماعية بسبب سماح وزارة التعليم لمجموعة من الطلاب والباحثين اليهود الأمريكان بعمل دراسات وأبحاث فى الهيئات العلمية ، وكان قد وصل إلى القاهرة مجموعة من الطلاب والباحثين اليهود الأمريكان لعمل الأبحاث والدراسات العلمية لمدة تصل إلى شهر يتوجهون بعدها إلى تل أبيب .

وقد اعترض بعض أساتذة الجامعات على الأسلوب الذى يتبعه رجال البعثة فى الحصول على إحصائيات علمية وإقحام أنفسهم فى طلب أرقام سرية فى مجالات غير تخصصاتهم العلمية . وقد أكد أستاذ بمركز البحوث الاجتماعية أن هؤلاء الباحثين تحوم حولهم الشبهات نتيجة لطبيعة الأسئلة التى يتقدمون بها للأساتذة بالمركز .

* وفى السياق ذاته وفى عام 1994 وصل الي إسرائيل كمال يونان عوض ميخائيل (54 عاما) – قبطي مصري – برفقة ابنه هاني بعد ان وافق رئيس الوزراء الاسرائيلي آرييل شارون شخصيا علي طلبه باللجوء السياسي. وزعم ميخائيل لصحيفة كل العرب الصادرة في الناصرة أنه وصل الي إسرائيل بعد رحلة عذاب طويلة من الملاحقة والاعتقال والتعذيب استمرت منذ عام 1994

إلي أن استطاع الهرب إلي العاصمة الإثيوبية أديس أبابا ومنها إلي إسرائيل.
لكن هذا لم يكن بالأمر السهل فقد رفضت السفارة الإسرائيلية في البداية أن تمنحه تأشيرة دخول وهو ما دفعه إلي أن يبعث برسالة بالعربية إلي مكتب شارون يطلب منه منحه اللجوء السياسي في إسرائيل، ولم يتأخر الرد فقد فتحت السفارة الإسرائيلية أبوابها أمام كمال وابنه، وخلال أيام معدودة من وصول رسالته إلي إسرائيل كان كمال برفقة ابنه علي متن الطائرة من أديس أبابا إلي تل أبيب، حيث وصل الي الدولة العبرية عن طريق مطار بن غوريون الدولي.
انضم كمال في عام 1971 إلي سلاح الجو المصري، وحسب اقواله هناك بدأ الاضطهاد بأفظع معانيه، حيث اتهم بالخيانة لمجرد كونه مسيحيا ، ومنع على حد زعمه، من أداء الصلاة، وقدم للمحكمة العسكرية بتهمة الصلاة في القاعدة العسكرية. وحسب زعمه وصل إلى إسرائيل في العام 1993 بعد أن حصل علي تأشيرة لمعالجة ابنته التي أصيبت بمرض الصرع.
وزعم أيضا أنه اعتقل علي يد جهاز أمن الدولة وتعرض للتعذيب النفسي والجسدي كما يقول واتهم بالعمل لصالح الموساد .
ورفض البابا شنوده مقابلته ومساعدته للسفر الي الدولة العبرية بادعاء أنه أصدر فتوى دينية تمنع الأقباط من السفر إلي إسرائيل. وحسب أقواله فإنه حاول مرارا وتكرارا الهرب من مصر إلى إحدى الدول الاوروبية، إلا أن المخابرات المصرية منعته وأعادته دائماً من المطار الي بيته.
وتمكن بعد ذلك من الوصول إلى أثيوبيا وبمساعدة رئيس الجالية القبطية في أمريكا ورئيس الجالية اليهودية ولجنة الحريات، وبعث كمال برسالة الي رئيس الوزراء الاسرائيلي شارون يعرض عليه قصته ويطلب منه حق اللجوء السياسي.

* وفـي عـام 1995 قضـت محكمـة أمـن الدولـة العليـا فـى الإسـكندرية علـى المصـرى مجـدى أنـور محمـد توفيـق (53 عامـاً) بالأشـغال الشـاقة لمـدة 10 سنوات،لإدانته بتهمة السعى إلى التخابر مع إسرائيل وتزوير أوراق رسمية .

وكانت نيابـة أمن الدولـة ذكرت فى محضـر الاتهام أن توفيق كـان يقدم نفسـه علـى أنـه سـفير فـوق العـادة برتبـة وزيـر فـى وزارة الخارجيـة ويؤكـد اسـتعداده للتعـاون مـع جهـاز الاسـتخبارات الإسـرائيلى (موسـاد) ، وبعـث برسـائل بالفـاكس إلى قنصلية إسرائيل فى الاسكندرية بعد ادعائه أن بحوزتـه معلومـات مهمـة عن النشاط الدبلوماسى والسياسى المصرى .

وصـاح توفيق بعد صدور الحكم ، ويداه مكبلتان وملامحـه تتسم بالتعب : هذا حكم ظالم وليس له أساس ، أنا ما عملتش حاجة ، يتهموننى بأنى أتخـابر مـع إسرائيل ، لكن لـدينا اتفاق دولـى معهـم (الإسـرائيليين) ، فـى إشـارة إلـى معاهـدة السلام المبرمـة مـع إسرائيل فـى 1979 ، مضيفاً : حاولت الاتصـال بهم لأننـى كنت أبحث عن " العمل " وقال : أنـا كنت أريد أن أدلـى بشـهادتى فـى محاكمـة دولية واتصلت بهم لأؤكد على أن من ارتكب (اعتداء) لوكربى والحـادث الآخـر (الاعتـداء علـى طـائرة دى سـى – 10 الفرنسـية فـوق صـحراء النيجـر) هـم مـن الفلسطينيين وليسوا ليبيين .

وكان الدفاع اعتبر أن موكله يعانى مرضاً نفسياً ، لكن رئيس المحكمة قال : " إن المـرض النفسـى لا ينفـى التهمـة فالقـانون يعفـى المجنـون ولـيس المـريض النفسـى خصوصـاً إذا أقر بأفعالـه ، والمتهم اعترف بأنـه سـعى إلـى التخـابر مـع إسرائيل والسعى من شأنه أن يلحق الضرر بالبلاد ولو لم يحدث بالفعل " .

وأعلن القاضـى صفاء النفوس الخطيب فى جلسة لم تستغرق سوى دقائق الحكم وحيثياتـه . وممـا جـاء فـى الحيثيـات أن المـتهم سـار فـى طريـق الخيانـة واسـتباح لنفسـه خيانـة وطنـه مـن أجـل حفنـة مـن الجنيهـات وزيـن لـه الشـيطان الاتصـال بالسـفارة الإسـرائيلية وإرسـال مسـتندات مـزورة إليـهم ، لتأكيـد أنـه يشـغل منصـباً

مهماً فى وزارة الخارجية ، حتى يقوم الموساد بتجنيده للعمل معه ويجد الفرصة لخيانة وطنه وتزويده المعلومات التى تضر بالمصالح السياسية والاقتصادية لوطنه " .

وكانت السلطات المصرية كشفت القضية فى أبريل 1995 ، وبدأ من توقيت الإعلان أن القاهرة تسعى إلى توصيل رسالة إلى إسرائيل ، إذ كشفت العام 1995 قضية اتهم فيها الإسرائيلى عزام عزام والمصرى عماد إسماعيل (سبق الإشارة إليها) ، عقب مؤتمر القاهرة للسكان كما كشفت قضية أخرى اتهم فيها المهندس شريف فوزى الفيلالى الذى حوكم حضورياً والروسى جريجورى جيفيتس بعد ساعات من قرار أصدره الرئيس حسنى مبارك بسحب السفير المصرى من تل أبيب .

* وفى 1996/5/20 نشرت مجلة " روزاليوسف " تقريراً عن أسرار التنسيق بين مخابرات أمريكا وإسرائيل والعرب فى شرم الشيخ ، فمؤتمر شرم الشيخ لصانعى السلام لم يكن هو الأساس أو الهدف ولكن التنسيق الأمني والاستخبارى بين إسرائيل وأمريكا وخمس دول عربية كان الهدف الأول من وراء انعقاده ، فقد اصطحب بوش مدير مخابراته دويتش وهو أول يهودى يرأس C.I.A واصطحب بيريز رؤساء الموساد وأمان وشين بيت وبالطبع كان مسئولو المخابرات العرب فى الموعد ، وذلك لمواجهة الحركات الجهادية الإسلامية سواء حماس أو الجهاد أو حزب الله أو جبهة تحرير البحرين ، والجماعة الإسلامية فى مصر والجزائر وتركيا والجماعات اليسارية وحزب العمل الكردستانى ، وتعمل أمريكا وإسرائيل والعرب المتعاونون معهما على تفعيل التنسيق الأمنى والاستخبارى بين هذه الدول وتبادل المعلومات بهدف خنق والقضاء على الجماعات المناوئة للسلام المزعوم بين إسرائيل والعرب ، وكذلك العمل على مراقبة البنوك والقنوات البنكية وشبكات تبادل ونقل الأموال

خاصة من أوروبا وأمريكا لدول الشرق الأوسط بهدف منع وصول هذه الأموال للجماعات الإسلامية أو المتطرفة .

* وفى 1996/8/12 نشرت روزاليوسف – أيضاً – ترجمة لاعترافات ضابط المخابرات الإسرائيلى فيكتور أستروفسكى والتى نشرها فى كتاب تحت عنوان " الجانب الآخر من الخداع " وقد منع نشره فى إسرائيل واحتل صدارة المبيعات فى أمريكا لمدة أربعة أشهر وفيه يحكى أستروفسكى عن قيام مجموعة متمردة داخل الموساد بفضح الأعمال القذرة للموساد فى الدول المحيطة بإسرائيل فيقول :

– طلب " إفرايم " زعيم المجموعة المتمردة من أستروفسكى الذهاب للسفارة المصرية فى واشنطن وطلب الاتصال بالمخابرات المصرية وشجعه على السفر للقاهرة لإبلاغ معلومات مهمة عن عمليات التخريب التى ستحدث فى مصر وكشف عملاء الموساد والمتطرفين الذين يتعاونون مع الموساد وبعد أن أتم إجراءات السفر مع مسئولى الأمن المصرى بالسفارة وبعد وصوله للقاهرة اصطحبه ضابطان من المخابرات المصرية وتركوه فى إحدى الغرف لمدة أربعة أيام ثم اصطحبوه لمكان آخر يقول : لا يختلف أبداً عن أى غرفة فى الموساد وبعد أن طلبوا منه التعرف على بعض الصور لعملاء يعملون فى الموساد وبعد أن أخبرهم فوجىء بالمصريين يعرضون عليه هذه الصور مرة أخرى مع تعريف بالعربية والإنجليزية لنشاط كل عميل فعرف أستروفسكى أن المخابرات المصرية جادة جداً فى عملها ، وبعد أن عرضوا علىّ تصميماً لمبنى الموساد من الداخل أيقنت أن المصريين اخترقوا الموساد من الداخل وأن لهم عملاء داخل الموساد وبعد أن سألونى عن طرق التدريب المتبعة فى الموساد وأهم النشاطات الاستخباراتية فى أوروبا والدول العربية وتفاصيل الحرب الفجائية التى خططت لها إسرائيل ما بين 1986 – 1987 ولكنها لم تنفذها .

وأشار أستروفسكى لاستغلال الموساد لمعاهدة السلام وافتتاح سفارة لإسرائيل فى القاهرة ، حيث أصبحت الحركة سهلة عن ذى قبل وتم زرع الكثير من العملاء للموساد فى السفارة والمكاتب التابعة لها وبعد انتهاء مهمته أعطته المخابرات المصرية 10 آلاف دولار وخطاب موقع عليه من فيكتور بأنه جاء للقاهرة بملء إرادته وأدلى بمعلومات من الموساد برغبته .

ثم ادعت مصر أن فيكتور أستروفسكى عثر على جثته بالقاهرة وطالبت السفارة الإسرائيلية للتعرف على الجثة ولكنها ردت بأنه لا يوجد إسرائيليون بالقاهرة بهذه المواصفات ونصحت باللجوء للسفارة الكندية ، وقد نشر فيكتور ثلاثة كتب هى : " بالخداع تصنع لنفسك حرباً " ثم " أسد يهودا " ثم " الجانب الآخر من الخداع " .

* وتحت عنوان " **شبكة الجاسوس الإسرائيلى كانت تخطط لعمليات اغتيال وتفجير فى القاهرة!" نشرت الصحف المصرية بتاريخ 1996/11/27 أنه** فى تطور مثير لقضية التجسس المتهم فيها عماد الدين عبد الحميد إسماعيل (المصرى) وعزام عزام (الإسرائيلى) – السابق الإشارة إليه – طلبت الولايات المتحدة عن طريق وزير خارجيتها وارين كريستوفر الإفراج عن المتهم الإسرائيلى وتسليمه للسلطات الإسرائيلية لعدم توافر أدلة مقنعة لاتهامه بالتخابر لصالح الموساد الإسرائيلى ، وقال كريستوفر فى اتصال هاتفى مع عمرو موسى وزير الخارجية : إنه ينبغى على الجانب المصرى أن يضع الحلول المطلوبة والمقنعة لمشكلة الجاسوس الإسرائيلى والعمل على تسليمه إلى إسرائيل ، أو على الأقل إجراء مبادلات بين مصر وإسرائيل فى هذا المجال ! (وقد تم فعلياً الإفراج عنه – كما أشرنا سلفاً – تلبية لمطالب إسرائيل) .

** نشرت صحيفة " الدستور " فى 1997/7/23 خبراً عن الجاسوسة الإسرائيلية ديفورا جنانى وأنها كانت تحت مراقبة أمنية دقيقة إلا أن الظروف السياسية ربما حالت دون القبض عليها وكانت ديفورا قد أسست مكتباً للتمثيل

التجارى ونفذت بسرعة للأوساط الاقتصادية المصرية ويجتمع رجال الأعمال وسبق أن اقترحت نقل سوق خان الخليلى لإسرائيل وبعد أن تم إدراجها على قوائم الممنوعين من دخول مصر بذلت إسرائيل عدة مساعٍ للسماح لديفورا بدخول مصر ولكنها باءت بالفشل .

** وفى سياق متصل بالجاسوسية أقام مواطن يدعى ممدوح زكى زخارى دعوى ضد الرئيس الأمريكى بيل كلينتون ومادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية بسبب تجاهل أمريكا لدفع مكافأة مالية تقدر بـ4 ملايين دولار بعد إبلاغه عن شحنة متفجرات كانت مرسلة للمقاومة الفلسطينية وتم القبض على سلطان الجاولى الذى كان يتولى مع آخرين تهريب المتفجرات للمقاومة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة .

** وفى السياق ذاته نشرت العربى فى 1997/2/28 موضوعاً عن الجندى " أحمد حسن عنانى " وهل هو جاسوس لإسرائيل أم هو مجاهد فى سبيل الله، وقالت الصحيفة : إن الجندى المذكور صدر حكم من محكمة جنايات عسكرية بالإسماعيلية بإعدامه ولكن تم إلغاء الحكم ليعاد محاكمته مرة أخرى. وتساءلت الصحيفة عن حقيقة ما قام به الجندى أحمد حسن عنانى وهل هو فعلاً كان عضواً بحزب العمل وأنه هرب لفلسطين المحتلة ليجاهد ويقاتل ضد اليهود الصهاينة أم ذهب لإسرائيل بمحض إرادته وأفشى معلومات عسكرية صُنفت بالسرية وتمس الأمن القومى المصرى ، وقد استند محامى المتهم بأن موكله مختل وغير متزن عقلياً وقد قررت المحكمة إعادة محاكمة المتهم وإلغاء حكم الإعدام الصادر بحقه .

** نشرت " روزاليوسف " فى 1998/4/7 تقريراً عن تسريب الموساد للتقرير السرى عن الجيش المصرى وأوضح السفير محمد بسيونى أن الهدف هو التشويش على عملية السلام والتى تعطلها إسرائيل عمداً ، وأنه ينبغى على إسرائيل تنفيذ الاتفاقات الموقعة مع الفلسطينيين.

وأشار إلى أن القوات المسلحة وتسليحها هو شأن داخلى وأن مصر ملتزمة بالسلام ولكن لابد لهذا السلام من قوة تحميه وإلا تحول لاستسلام .

** فى سياق متصل نشرت " روزاليوسف " فى 1998/3/16 تقريراً عن الجاسوس الإسرائيلى عزام عزام وأنه يؤكد للجاسوس المصرى عماد إسماعيل أنه سيفرج عنه قريباً بعد تدخل شخصيات عالمية وعربية مثل وليد جنبلاط وملكة هولندا وأنه سيتم مبادلته بمساجين مصريين أعدت إسرائيل ملفاتهم تمهيداً لإتمام عملية التبادل .

** نشرت صحيفة " الدستور " فى 1998/12/24 أن السفير الإسرائيلى بالقاهرة تقدم بطلب لوزارة الخارجية المصرية بتحسين ظروف السجناء الإسرائيليين فى السجون المصرية بعد تعرضهم لتعذيب وسوء معاملة من السجناء المصريين خاصة فى أوقات التوتر السياسى بين البلدين واستشهد ببلاغ من عزام عزام ، لأنه محروم من النوم بسبب إزعاج السجناء المصريين له ، يذكر أن عزام عزام مسجون فى زنزانة محمود نور الدين قائد تنظيم ثوار مصر الذى تم نقله لسجن المزرعة بطرة .

** ونقلاً عن الصحافة الإسرائيلية فى العام 1998 أنه بعد الضربات المتوالية التى تلقاها الموساد الإسرائيلى على يد جهاز المخابرات المصرى حدث ما يمكن تسميته تمرداً من عملاء الموساد فى الدول العربية الكبرى وعلى رأسها مصر بعد حالة الرعب التى تملكت قلوب هؤلاء العملاء والجواسيس بعد القبض على عدة جواسيس للموساد فى مصر وعلى رأسهم عزام عزام والفيلالى وغيرهما مما أوجد حالة تسمى فى عالم المخابرات: فقدان الشهية والرغبة فى العمل .

فقد جاء فى دورية وزارة الدفاع الإسرائيلية فى 10 يناير 1998 تقرير بهذا المعنى وأشارت الدورية للقلق البالغ والمتصاعد فى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية من استفحال هذه المظاهرة . بعد فقدان الثقة فى الموساد فلم يعد من الممكن

إقناع العملاء بأنهم يعملون مع أقوى جهاز مخابرات فى العالم بعد الصفعات المتوالية التى تلقاها الموساد على يد رجال المخابرات المصرية وأشارت الدورية إلى أن رئيس فرع عمليات الموساد قد استقال بعد فشل عمليات الموساد فى مصر وفشل عملية اغتيال خالد مشعل فى الأردن وفشل عمليات الموساد فى سوريا ولبنان وسويسرا كما تقدم دانى ياتوم رئيس الموساد باستقالته أيضاً على خلفية هذا الفشل الذريع وسيكون على رئيس الموساد الجديد توفير حماية فاعلة لعملاء الموساد فى الدول العربية بعد انهيار معنوياتهم بعد القبض على عدد كبير منهم مؤخراً ، وقد نشرت هذا التقرير مجلة روزاليوسف فى 1998/3/9 .

** وفى العام 1999 واستكمالاً لمسلسل تساقط " جواسيس التطبيع " نشرت صحيفة الأسبوع تقريراً عن "نهاد س " والذى أسمته الصحيفة بـ " سمسار إسرائيل" الذى شارك الإسرائيليين لإقامة مشروعات مشبوهة على أراضى سيناء فى إطار خطة صهيونية خبيثة لبناء مستوطنة إسرائيلية بمشروع المشاكل فى طابا .

وبعد علم الجهات الأمنية قامت بإزالة المشروع والتحقيق فى أوراق البنوك التى بنى على أساسها المشروع فى منطقة تبعد عن طابا بـ 3 كيلو مترات فقط ، مما أثار حفيظة " نهاد س" فأقام دعاوى قضائية على كل الأطراف و"الأسبوع" من بينها وأعلن على سبيل الفرقعة تصريحات نارية وقال " إن الهدف هو إقامة مشروعات باسم حوار الأديان" .

وأنه ظل 15 عاماً يبحث عن طرق موسى فى سيناء وأن اليونسكو تبنى مشروعه ، وذكرت الجريدة أن الخرائط التى أقام بموجبها (نهاد) تصوراً لمشروعاته جاء بها من الجيش الإسرائيلى ذلك لإعطاء إسرائيل مشروعية دينية فى سيناء وقدمت الأسبوع لوثيقتين بخطه أرسلهما بالفاكس لإحدى الجهات الإسرائيلية التى يتعامل معها وبها شرح تفصيلى للأبنية التى يعتزم إنشاءها وهى ضمن البنية التحتية لإنشاء مشروع يعطى حقاً دينياً لإسرائيل فى سيناء.

***

<u>(2) التجسس فى حقبة الألفية (2000–2011) :</u>

وردت العديد من الأخبار التفصيلية عن عمليات التجسس الإسرائيلى على مصر خلال الفترة من 2000 إلى 2011 ومن أبرزها ما نشرته صحيفة " الحياة " فى 2001/2/12 تقريراً عن محاكمة الجاسوس شريف الفيلالى والروسى غريغورى جيننس " هارب " حيث توافرت معلومات للأمن المصرى عن نشاط الموساد المتزايد فى أفريقيا وقبرص وقد تم مناقشة الشهود سيف الفيلالى ضابط البحرية السابق وحسين صادق الضابط بالبحرية سابقاً أيضاً كذلك سامى الفيلالى ابن عم المتهم وهو يعمل وكيلاً لوزارة الزراعة وقد حاول المتهم شريف الفيلالى استقاء معلومات عن البحرية المصرية ونظم أسلحتها ، كذلك طلب معلومات عن الزراعة المصرية وأهم مقوماتها من ابن عمه سامى الفيلالى وأنه زوده بمعلومات عن مشروع توشكى لأنه طلب استثمار أمواله فيه.

** نشرت صحيفة " العربى " فى 2002/8/14 تصريحات لزوجة سعد الدين إبراهيم الأمريكية " بربارا " أدانت فيها الحكم الصادر على زوجها سعد الدين إبراهيم مدير مركز ابن خلدون ووصفت يوم الحكم بأنه يوم حزين على مصر . وقد توالت ردود الفعل من الخارجية البريطانية والأمريكية وبعض العواصم الأوروبية فى ظل التسابق لتقديم مستندات تفيد أن ما كان يتلقاه سعد الدين إبراهيم إنما هو مجرد منح وليس تبرعات لمركز ابن خلدون .

وقد ذكرت " بربارا " أن كبار المسؤولين المصريين يعرفون جيداً أن زوجى برىء من هذه التهم واتهمت الحكومة المصرية بالكيد لسعد الدين إبراهيم بسبب آرائه السياسية وانتقاده لحالة الديقراطية وغيابها فى مصر . **<u>(وسنتحدث فى البند – رابعاً – فى هذا الفصل عن قضية سعد الدين إبراهيم تفصيلاً)</u>** .

** نشرت صحيفة " الوفد " فى 2004/2/7 تحقيقاً عن صفقة الجاسوس الإسرائيلى عزام عزام (الذى سبق التفصيل بشأنه من قبل) الذى قالت مصادر إسرائيلية بالإضافة إلى سلفان شالوم وزير الخارجية عن قرب الإفراج عنه ، وقد أشار التحقيق لأشهر حالات التجسس بين مصر وإسرائيل والتى تم مبادلة جواسيس من كلا الطرفين والمعروف أن قواعد لعبة تبادل الجواسيس لا تخضع لأى قوانين أو معاهدات وإنما يحكمها المصلحة العليا لكل طرف .

وتعد " مارسيل نينو " أحد أشهر جواسيس عملية " لافون " عام 1954 من أشهر هذه الحالات حيث تمت مبادلتها عام 1968 مقابل عدد من الجواسيس المصريين فى إسرائيل وتمت الصفقة واشترطت مصر أن تكون سرية فظلت كذلك حتى 1975 حين نشرها صحفى إسرائيلى .

أما الجاسوس المصرى " إيد " الذى زرعته مصر داخل إسرائيل فى عملية معقدة للغاية حتى وصل لصداقة موشى ديان وتمكن من تصوير مستندات خطيرة عن مطارات إسرائيل فى سيناء وتم القبض عليه قبل حرب أكتوبر بأسبوعين ثم أفرج عنه 1974 مقابل عدد من الأسرى الإسرائيليين ويعيش " إيد " مع زوجته الفرنسية فى مصر الجديدة .

أما هبة عبد الرحمن سليم فقد رفض السادات رفضاً قاطعاً الإفراج عنها وتم إعدامها شنقاً كذلك رفضت مصر الإفراج عن إبراهيم شاهين فيما أفرج عن زوجته انشراح وأولادها الثلاثة وسافروا إلى إسرائيل مقابل عدد من الجواسيس المصريين فى إسرائيل .

* فى السياق ذاته وفى أغرب دعوى أقامها سجين .. طلب الإفراج عنه لقضائه أكثر من 20 سنة (ثلاثة أرباع المدة) فى السجن ، الغريب أن صاحب الدعوى فايز المطرى (جاسوس) ومحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة فى قضية تخابر مع إسرائيل .

أوضح المطرى أمام محكمة القضاء الإدارى أنه اتهم بالتخابر مع دولة إسرائيل عام 1976 وفى جلسة 27 أكتوبر 1976 صدر الحكم بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة .. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن مازال سجيناً بليمان طرة !! .

وأضاف أن المادة 52 من قانون السجون رقم 396 لسنة 1956 تنص على أن يجوز الإفراج تحت شرط عن كل محكوم عليه نهائياً بعقوبة مقيدة للحرية، إذا أمضى فى السجن ثلاثة أرباع مدة العقوبة وكان سلوكه أثناء وجوده فى السجن يدعو إلى الثقة بتقويم نفسه وذلك ما لم يكن الإفراج عنه خطراً على الأمن العام ولا يجوز أن تقل المدة التى تقضى فى السجن عن تسعة أشهر وإن كانت العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة فلا يجوز الإفراج إلا إذا قضى المحكوم عليه فى السجن عشرين سنة على الأقل . وأكد أن هذه المادة تنطبق عليه .

* وفى تقرير لصحيفة " الحياة " فى نوفمبر 2002 تحت عنوان " القاهرة تكشف شبكة تجسس تقودها فتاة لحساب إسرائيل " وجاء فيه : فجرّت المعلومات عن تهريب السياح الصينيين من مصر إلى إسرائيل ، قضية تجسس جديدة تحقق فيها السلطات المصرية حالياً وتتهم فيها ستة أشخاص بالتخابر لصالح الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد). وأمرت محكمة أمن الدولة بتمديد توقيف ثلاثة أشخاص بينهم فتاة لمدة 45 يوماً على ذمة التحقيقات التى تجريها النيابة معهم ، وأفادت مصادر مطلعة أن الثلاثة ظلوا خلال الشهور الستة الماضية رهن الحبس الاحتياطى ، وكانت أجهزة الأمن ألقت القبض عليهم قبل ستة شهور ، وتكتمت السلطات المصرية على الأمر .

وأوضحت مصادر مطلعة أن ظروف القضية فرضت السرية الشديدة ، إذ أنها أفضت إلى القبض على متهمين ثلاثة آخرين ، وأشارت إلى أن الرفض المصرى المستمر للطلبات الإسرائيلية ومحاولة استغلال قضية عزام عزام للضغط على مصر من جانب دول أخرى فرضت العمل بسرية تامة فى قضايا التجسس حتى تكتمل الأدلة ضد المتهمين .

ورغم السرية كشفت المصادر عن هوية المتهمة الرئيسة نجلاء إبراهيم عيد، وهى كانت لاعبة معروفة فى كرة اليد وتعمل موظفة فى شركة سياحة ، وكلفت بإجراء اتصالات ولقاءات مع عملاء فى " موساد " وعملت على تجنيد آخرين لنصب شبكة تجسس تعمل داخل مصر .

وأضافت المصادر أن المتهم الثانى اسمه خالد مسعد وهو كان لاعب كرة يد وتلقى تكليفات من نجلاء لنقل أعداد من السياح من تخصصات معينة إلى إسرائيل ، والمتهم الثالث يدعى عصام الحاوى وهو يعمل فى شركة سياحة ، أما المتهمون الثلاثة الآخرون فهم : جمعة ومسعد وياسر الذين لم تعرف باقى أسمائهم بعد .

ونسبت " رويترز " إلى مصدر قضائى مصرى أن واحداً من المتهمين دبلوماسى يعمل فى السفارة المصرية فى تل أبيب ، وأفادت المصادر أن التحقيقات مع 16 سائحاً صينياً كان المتهمون نجحوا فى تهريبهم إلى إسرائيل عبر صحراء النقب ، كشف عن تفاصيل مهمة إذ اعترف المتهمون بمعلومات تفصيلية عن الشبكة التى تتزعمها نجلاء وتتعاطى مع جهات إسرائيلية وعلى رأسها " موساد " فى نقل سياح من دول شرق أوروبا والصين إلى إسرائيل عبر مصر ، شرط أن يكونوا ذوى اختصاصات معينة أو أصحاب مهارات خاصة .

** وفى 2003/1/20 نشرت مجلة " البداية " تقريراً عن إلقاء أجهزة الأمن المصرية على شبكة تجسس إسرائيلية جديدة فى مصر تضم مصريين وإسرائيليين وماليزيين وأفارقة وذلك عن طريق الإعلان فى ماليزيا عن وظائف مربحة فى إسرائيل ، ثم يؤخذ المتقدمون كسياح إلى مصر تم تهريبهم عن طريق البدو ثم توريطهم فى أعمال جاسوسية ومشبوهة وتشترك فى العملية شركات سياحية مصرية بالتعاون مع نظيرتها فى إسرائيل .

وقد نجحت قوات الأمن المصرية منذ توقيع اتفاق السلام مع إسرائيل فى القبض على العديد من شبكات الجاسوسية الإسرائيلية التى ضمت عشرات

الجنسيات المختلفة ويتخذ الإسرائيليون السياحة ستاراً لتزوير العملات والتهريب وتم القبض على الحاخامات فى شارع عدلى وبحوزتهم دولارات مزيفة وتم القبض على موظفين بالسفارة الإسرائيلية بتهمة تهريب 2.5 كجم هيروين ، وغيرها من عشرات الجرائم من جاسوسية وتهريب وتزوير عملات ومخدرات وتصدير جنسى وإيدز لمصر وهذا كله تحت ستار سياحى.

** وفى 6و2004/12/7 نشرت صحيفة " الأهرام " خبرين لا ينفصلان عن بعضهما وهما الإفراج عن الطلاب المصريين الستة الذين تم اعتقالهم على الحدود المصرية الإسرائيلية منذ أكثر من ثلاثة أشهر فى ظروف مازالت حتى الآن غامضة والذى لم تنجح أجهزة أمن وإعلام مبارك أن تضع له تفسيراً يتسق مع المنطق والعقل .

والخبر الثانى هو الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلى الدرزى عزام عزام المتهم فى قضية التجسس الشهيرة حكم عليه فيها بـ15 عاماً سجناً مشدداً.وذهبت تحليلات سياسية إلى الربط بين القصتين وأنها عملية تبادلية أو صفقة بين البلدين .

** وفى تقرير عن " جواسيس إسرائيل فى مصر " نشرت صحيفة " العربى " فى 2002/10/20 وقد استعرض التقرير أخطر الجواسيس فى السنوات الماضية وهم :

– عامر سليمان أرميلات الذى جندته إسرائيل أثناء احتلالها لسيناء ؛ لأنه كان لصاً محترفاً وكل ما يهمه هو المال فقط فتم تجنيده بسهولة وقد سقط بعد أن حاول تكوين خلية تجسس لصالح إسرائيل .

– عائلة مصراتى التى كونت شبكة تجسس عن طريق الدعارة والجنس وورطت فيها شخصيات عامة وأبناءهم عن طريق اصطيادهم من الأماكن الراقية ، وقد أقدمت الحكومة المصرية على ترحيلهما من مصر قبل صدور أحكام عليهما رغم أنهما أهانا المسؤولين المصريين والقضاء المصرى برمته.

ثم يدلف التقرير للجاسوس سمير عثمان أحمد الذى كان يعمل فى جهاز أمنى حساس ثم استقال وكان يستخدم حرفيته العالية فى الغوص تحت الماء لنقل المعلومات للجانب الإسرائيلى وقد سقط بالصدفة بعد أن ضلَّ طريقه أثناء غوصه وتم ضبطه من أجهزة الأمن المصرية ثم كان عزام عزام ضابط المخابرات الإسرائيلى الذى دخل البلاد عن طريق اتفاق الكويز وورط معه الجاسوس عماد عبد الحميد إسماعيل شريكه فى مصنع للنسيج .

* وفى 2005/10/12 نشرت صحيفة " الغد " تقريراً عن الجاسوس بلال سرحان الذى كان مبتهلاً دينياً فى الإذاعة المصرية والذى اختفى فجأة بعد حرب يونيو هو وزوجته نبوية إبراهيم موسى ، وقبل أشهر ألقت مخابرات رام الله القبض على صحفى ومذيع إسرائيلى اسمه يوسف سمير ثم اعترف أن اسمه الحقيقى هو بلال سرحان .

وقد تدخل شارون ثم بواسطة ألمانية لإطلاق سراح الجاسوس الإسرائيلى من أصل مصرى إلا أنه غافل حارسه وهرب مقيد اليدين لأقرب نقطة تفتيش إسرائيلية ، وبلال سرحان هرب من مصر بعد حرب 67 إلى ليبيا ومنها لليونان ثم طلب اللجوء لسفارة إسرائيل ومنها لإسرائيل التى منحته اسماً وجنسية جديدة ثم عمل بالقسم العربى بالإذاعة الصهيونية .

* وفى 2005/10/12 أيضاً نشرت صحيفة " الغد " تقريراً عن أباطرة التطبيع جاء فيه أن المطبعين مع إسرائيل أصيبوا بداء عدم الحياء ؛ لأنهم أصبحوا يجاهرون ويفتخرون بعلاقاتهم الآثمة بإسرائيل وسافر بعضهم لإسرائيل تحت مسمى جماعة كوبنهاجن وغيرها ، وتحدث التقرير عن محاولات السفارة الإسرائيلية المتكررة لاختراق الأحزاب المصرية عبر توجيه دعوات لبعض الساسة لحضور الاحتفالات الإسرائيلية بالقاهرة وكشفت اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع قائمة بأهم الأسماء التى زارت إسرائيل ومنهم يوسف عبد الرحمن – رئيس بنك التنمية والائتمان الزراعى– وسامى الفيلالى ومصطفى

أبو سليم وعلى جازية وجلال معوض وآمال عبد الفتاح وغيرهم من قيادات وزارة الزراعة المصرية (أكبر مطبع مع إسرائيل خلال الفترة 1979–2011) .

** كشفت صحيفة " المصريون " فى 2009/12/28 عن مصدر أمنى مصرى بقيام معهد إسرائيلى تابع للموساد يدعى " أورتيل رانجمان " باستقطاب أكثر من 1500 شاب وباحث مصرى للدراسة به ، وأن هذا المعهد يسمح لرجال الموساد والمخابرات الحربية بالالتحاق به دون تقديم أى أوراق ويدرس القانون الدولى والغربى بالإضافة لأحدث نظم الاتصالات فى العالم وتقوم السفارة الإسرائيلية بدعوة بعض الباحثين للالتحاق بالمعهد وبالفعل نجحت السفارة فى استقطاب أعداد من الطلبة والباحثين والأكاديميين والتحقوا بالمعهد بالفعل .

وكشفت وثيقة صادرة من المركز الأكاديمى الإسرائيلى عن التحاق باحث فى علوم الأرض وطبيب كان يعمل فى مستشفى حكومى مصرى ويعمل حالياً فى مستشفى " هداسا " الإسرائيلى وباحث آخر حاصل على تقدير جيد فى الرياضة البحتة ، ويتم استقطاب هؤلاء المصريين عن طريق الإغراءات الكثيرة التى تقدم لهم واستغلالاً لحالة البطالة المنتشرة فى مصر حالياً .

** وفى عام 2010 نشرت جريدة (المصرى اليوم) لقاء مع هشام نسيم نجل أسطورة المخابرات المصرية "محمد نسيم" أو نديم قلب الأسد الذى قام بعدة عمليات ناجحة ضد المخابرات الإسرائيلية ولكن المفارقة أن ابن هذا البطل الكبير ضرب بسيرة والده ومسيرته الرائعة فى خدمة الوطن عرض الحائط وتزوج سيدة إسرائيلية قبل 18 عاماً وقد أثمر هذا الزواج عن طفلة تدعى ياسمين عمرها 12 عاماً والأدهى أن هذه الفتاة تم تعميدها للدخول رسمياً فى الديانة اليهودية بالرغم من نفى هشام نسيم لهذا الخبر ، وأكد أنه رجل مسلم وابنته مسلمة وحتى زوجته الإسرائيلية أسلمت منذ 15 عاماً من أجله وتحافظ

على فرائض دينها الإسلامى رغم عدم إعلانها لخبر إسلامها ، لأنها مازالت تعيش داخل إسرائيل .

– وقال هشام نسيم : إن تقرير صحيفة (هاآرتس) التى أشارت تفصيلاً إلى قصته مليئة بالحقد عليه لأنه مصرى ، وأشار نسيم إلى أن بعض منافسيه من رجال الأعمال الذين يعملون فى مجال السياحة دائماً ما يثيرون هذه الشائعات والزوابع للنيل من سمعته ولكى ينصرف السياح عن فندقه وقريته السياحية .

– واعترف نسيم بأنه يواجه مشاكل عديدة فى محيط أسرته لرفض بعضهم هذه الزيجة ولأننى مصرى فأنا سأعيش وأموت على هذه الأرض وسأجلب ابنتى وزوجتى الإسرائيلية ليعيشا معى دائماً فى مصر وستلتحق ابنتى بالتعليم الجامعى فى مصر وليس فى إسرائيل ؛ لأنها تنتمى لمصر أكثر من إسرائيل ، أما والدى فقال لى : إنك فعلت خطأ فادحاً وستتحمله طوال حياتك ونصيحتى لكل شاب مصرى ألا يفعل ما فعلته فإنه لن يجد أفضل من " الست المصرية على الإطلاق " .

** وفى 2012/12/4 نشرت صحيفة " الشعب " وعلى صفحة كاملة تقريراً مطولاً عن فريد الديب – المحامى المعروف والذى يؤيد التطبيع مع إسرائيل – فهو الذى دافع عن عزام الجاسوس الإسرائيلى على مصر وعقدت الصحيفة مقارنة بينه وبين إبراهيم الهلباوى المحامى المصرى الذى دافع عن المحتل البريطانى أثناء حادث دنشواى والذى اعترف بخطئه وطلب الغفران من الشعب المصرى.

***

رابعاً : الاختراق العلمى لخدمة التطبيع : قضية سعد الدين إبراهيم مثالاً :

تعد قضية مركز ابن خلدون ورئيسه سعد الدين إبراهيم خلال فترة البحث (وخاصة الفترة التالية لعام 2000) وما أثارته من زوابع سياسية حادة نموذجاً للقضايا المتصلة بالاختراق العلمى الأجنبى وبخاصة الإسرائيلى للمجتمع

والعقل المصرى ، ولقد فتحت ملف التمويل للجمعيات والمراكز البحثية وجمعيات حقوق الإنسان التى انتشرت بصورة لافتة فى السنوات الماضية . وهل هذه الجمعيات والمراكز تمثل اختراقاً شديد الخطورة للأمن القومى . هذا ما ثبت بالفعل خاصة بعد ثبوت العلاقة الوطيدة بين سعد الدين إبراهيم والسفير الإسرائيلى والقنصل الإسرائيلى وزيارات موظفى السفارة الإسرائيلية المنتظمة لمركز ابن خلدون ولقاءاتهم مع سعد الدين إبراهيم .

ولقد ثبت أيضاً أن الموضوعات المقترحة من المركز تدخلاً فى ملف الوحدة الوطنية فى مصر والطائفية خاصة قضايا مثل النوبة وبدو سيناء وبدو مطروح وغيرهم .

كذلك ثبت حصول المركز على مئات الآلاف من اليورو من الاتحاد الأوروبى لتمويل مشاريع خاصة بالإسلاميين الذين تخلوا عن العنف وتأهيل السيدات للانتخابات وقروض للأسر الفقيرة.

وبعد الحكم على سعد الدين إبراهيم ومن معه التى كانت تعمل معه ، خرجت علينا زوجته "باربرا أوليناى" تحشد قوى غربية وأمريكية للضغط على مصر للإفراج عنه.

ثم توالت الاعتراضات من ريتشارد باوتشر المتحدث باسم الخارجية الأمريكية ثم توماس فريدمان والمنظمات الأمريكية والأوروبية ، بل ومن شارون نفسه .

المهم أن سعد الدين إبراهيم عندما ألقى القبض عليه وجه الاتهامات إلى أقرب مساعديه مثل خالد فياض وغيره .

وقد ذكرت جريدة " الأسبوع " أن من الاتهامات الموجهة لسعد الدين إبراهيم المسكوت عنها كان منها عمله واشتراكه مع منظمات بحثية مشبوهة بغرض تشويه مصر وافتعال أزمات طائفية ومحاولة تفتيت نسيج الوطن بعنصرية المسلم والمسيحى .

وكانت قضية " الأشرطة المفبركة " والتى زعم فيها سعد الدين إبراهيم تعذيب الأسرى اليهود على يد الجنود المصريين وغيرها من الأنشطة التى تؤثر على صورة مصر الخارجية وأمنها القومى .

*** علـى مـدار 3 حلقـات نشـرتها صـحيفة " العربـى " مـن 11/26 حتـى 2000/12/10** سلَّط الصحفى عثمان أمين الضوء على قضية سعد الدين إبراهيم – رئيس مجلس أمناء مركز ابن خلدون – واعترافاته أمام نيابة أمن الدولة برئاسة المستشار هشام بدوى وقد جاء فى القضية التى تضم 28 متهماً و100 من الشهود ، وأبرز ما جاء فى محضر التحقيق ما يلى :

– المؤتمر الذى دعيت له فى معهد الدراسات الاستراتيجية بوزارة الدفاع الأمريكية شاركنى فيه أساتذة ولواءات بعضهم من المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط التابع للمخابرات العامة المصرية وقد تسلمت دعوة مشتركة من الجانبين المصرى والأمريكى لحضور هذا المؤتمر .

وذكر إبراهيم أن البعثة لهذا المؤتمر ضمت على الدين هلال وأسامة الغزالى حرب وعبدالمنعم سعيد واللواءين أحمد فخر وأحمد عبد الحليم وتحسين بشير ود. هناء خير الله . وقد سألونى عن ظاهرة التطرف الدينى وقلت للأمريكيين : إن الجماعات الإسلامية تتلقى دعماً معنوياً من إيران ومادياً من السودان وسألوا أسامة الغزالى حرب عن النخبة الحاكمة والمؤسسة العسكرية والقوة الأكثر تأثيراً عليها والطرق التى يمكن لأمريكا أن تؤثر بها على المجموعة الحاكمة لمصر ، وسألوا عبد المنعم سعيد عن الإنتاج الحربى وهل هو فى نمو أو تراجع وإمكانية تأثير العوامل الاقتصادية على نظام التجنيد والتدريب ، أما د. هناء خير الله فقد أعدت ورقة للمؤتمر من الإصلاح الاقتصادى وإمكانية استمراره وقدرته على تحقيق الاستقرار .

ورداً على اتهامه بالتخابر لصالح دول وجهات أجنبية بقصد الإضرار بمركز مصر الحربى والسياسى والاقتصادى مقابل مبالغ مالية ، رد سعد الدين إبراهيم

بأنه كبش فداء لفشل معاهدة كامب ديفيد الثانية وقد اعترف بأن الشركات الاقتصادية الكبرى ومراكز الأبحاث ما هى إلا واجهات لأجهزة استخبارات عالمية .

وقد وجهت النيابة لسعد الدين إبراهيم بوجود اتفاق سرى بين مؤسسة " فردنيه " الأمريكية مع مركز ابن خلدون يقوم بموجبه المركز بدور اختراق للمجتمع مع تشديد مؤسسة فردنيه على العاملين بالمركز توخى السرية التامة أثناء جمعهم للمعلومات عن مصانع النسيج فى المحلة الكبرى والعاشر من رمضان والسادس من أكتوبر .

كما اعترف سعد الدين إبراهيم بأنه قدم لمركز البحوث للتنمية الدولية بكندا دراسات وأبحاثاً عن تغيير أنظمة الحكم العربية لتقدم أعمار الحكام العرب وما يمكن أن يصاحب ذلك من توتر وقلاقل وحصلت مقابل ذلك على 4 آلاف دولار ، كما اعترف بأنه أستاذ زائر ومحاضر بالجامعة العبرية فى إسرائيل ويشارك فى المؤتمرات العلمية بها ويتقاضى منها نفقات السفر والإقامة .

كما اعترف بتقديمه لدراسة عن الفقر والبطالة والتفكك الاجتماعى لمؤتمر كوبنهاجن وذكر فيها أن البطالة فى مصر 15% والفقر يتعدى 39% ، كما أن موظفى مركز ابن خلدون اعترفوا بأن سعد الدين إبراهيم كلفهم بإعداد دراسات وأبحاث عن مواقف الأحزاب من التطبيع لصالح جامعة حيفا وطلب منهم أن يذكروا لمحاوريهم أنها لصالح جامعة أمريكية وليست لجامعة إسرائيلية ، كما قام المركز بإعداد دراسات وأبحاث عن النوبيين والأقباط والمشكلات التى يعانون منها والاضطهاد الدينى والعرقى المزعوم فى حقهم.

* أما جريدة " الأسبوع " ففى 2002/8/5 فقدأعدت تقريراً مهماً يحمل عنوان " **<u>اعتبروا أن حماية رجلهم واجب مقدس .. سجن سعد الدين صفعة على وجه الأمريكان</u>** " جاء فيه نصاً : على مدار عامين كاملين لم تهدأ الدوائر السياسية الغربية والأمريكية سواء الرسمية أو الأهلية وشنت هجمة تلو الأخرى ضد

مصر بسبب محاكمة سعد الدين إبراهيم مدير مركز ابن خلدون الذى حكم عليه القضاء المصرى بالسجن لمدة 7 سنوات بعد اتهامه ببث أخبار كاذبة وإشاعات بالخارج تضر بسمعة البلاد والتزوير والنصب ، وتعد قضية سعد الدين هى الوحيدة التى حظيت باهتمام غربى غير عادى ، وصل إلى حد المطالبة رسمياً بالإفراج عنه وهو الأمر الذى رفضته القيادة السياسية والتى أعلنت أن القضاء هو صاحب الكلمة الوحيدة فيه وأنه لا تدخل فى شئون القضاء فمنذ بداية يوليو 2000 وهو تاريخ القبض على سعد الدين من قبل مباحث أمن الدولة انبرت منظمات حقوق الإنسان الغربية والاتحاد الأوروبى وممثلو السفارة الأمريكية بالقاهرة ووزارة الخارجية الأمريكية للدفاع عن مدير مركز ابن خلدون وكانوا حريصين على حضور جميع جلسات المحاكمة بدون استثناء .

بينما كان الكاتب الأمريكى العنصرى والمعروف بعدائه للعرب والمسلمين توماس فريدمان أول من انتقد محاكمة سعد الدين عندما كتب مقالاً فى " النيويورك تايمز " عقب القبض عليه فى يوليو 2000 دافع فيه عنه .

وبعد انتهاء تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا وحبس سعد 45 يوماً على ذمة التحقيق زاد سخط الغرب ضد مصر وشنت وسائل الإعلام الغربية والأمريكية حملة منظمة ضد مصر ثم أفرجت النيابة عن سعد الدين بالضمان المالى وإحالته إلى المحاكمة .. واعتقد أنصار الدكتور أن حملتهم قد أتت ثمارها ومع بداية أولى جلسات المحاكمة فى نوفمبر 2000 أمام محكمة أمن الدولة العليا كانت علامات الثقة هى السمة المميزة لوجه سعد إبراهيم فقد كان حريصاً بأن يوحى للجميع ، خاصة وسائل الإعلام أنه غير مكترث بما يجرى وكأنه واثق من البراءة ليس لامتلاكه أدلة وأسانيد عليها ، وإنما لأنه مسنود من الغرب وأمريكا صاحبة اليد الطولى . وجاءت جلسات المحاكمة بدءاً من سماع شهود الإثبات والنفى ومرافعة النيابة فى غير صالح سعد الدين ، أما دفاعه فكان همه الأكبر شن الهجوم على الصحافة المصرية والصحفيين معتبراً أن القضية

سياسية بل إن أحد محاميه طالب بحل القضية سياسياً بعيداً عن القضاء ، أما النيابة فقد جاءت مرافعتها لتؤكد كافة الأدلة والأسانيد التى تدين سعد الدين وأشار كل من سامح سيف وأشرف هلال رئيسى نيابة أمن الدولة إلى أن تحقيقات النيابة وشهادة الشهود والأوراق المضبوطة بمركز ابن خلدون ومنزل سعد تؤكد ثبوت تلقيه أموالاً من دول أجنبية والاتحاد الأوروبى بلغت قيمتها 261 ألف يورو مقابل نشر أخبار وتقارير كاذبة تتعلق باضطهاد الأقباط فى مصر وبعض القضايا السياسية الداخلية للبلد وغيرها من المسائل التى تعد مساساً بالغاً بسمعة مصر . ولم يكن غريباً أن تدافع أمريكا والغرب عن سعد الدين.

فمثلاً حضرت إحدى جلسات المحاكمة لجنة تابعة لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان ضمت سيدتين إحداهما تدعى هنية المفتى وهى عربية وأخرى ألمانية تدعى آن يوبيك أكدت كل منهما أنها جاءت للتضامن مع سعد وجمع معلومات وبيانات حول القضية استعداداً لإصدار بيان يساند موقف سعد .

وكان أشرف هلال رئيس النيابة قال فى مرافعته : إن سعد الدين سعى إلى تقويض الفضيلة لأمته كما سعى لإشباع رغباته بعد أن استولت على مجامع نفسه الأطماع وخلب عقله حب المال وتحقيق مآربه .. بينما دفاعه ردد أن ما حصل عليه سعد من الاتحاد الأوروبى كان بموجب اتفاق بين سعد والاتحاد ليس هذا فقط بل قال الدفاع : إن الاتحاد الأوروبى لم يشك لأحد بأن سعد استولى على أمواله وردت النيابة بأن جريمة الرشوة والنصب لا تحتاج إلى الإبلاغ ، وكانت المفاجأة فى جلسة 18 مايو 2001 ، مفاجأة بالنسبة لسعد وأنصاره عندما أصدرت محكمة أمن الدولة حكماً بسجن سعد 7 سنوات مع الشغل وأحكاماً أخرى متفاوتة لـ 27 متهماً آخرين .

* ولكن ظلت القضية الأهم فى ملف سعد الدين إبراهيم ومركزه (مركز ابن خلدون) هى علاقاته بالإسرائيليين طيلة الفترة من 1979 – 2011) بل وحتى

اليوم 2014 ، وهى القضية التى لم يأت لها ذكر فى أثناء محاكمته ، لقد حكم على سعد الدين إبراهيم بالسجن عام 2002 بتهم تتصل باستطلاعات للرأى العام ولكننا نرى أن للقضية وجهاً آخر لم يدرس جيداً وهو وجه علاقات مركز ابن خلدون بالإسرائيليين ، وهو الوجه الأهم والأخطر؛ لأنه خدم التطبيع وسانده ، بكافة الوسائل والطرق ، وهذا الجانب كان مسكوتاً عنه فى قضايا سعد الدين إبراهيم ، وهو يحتاج اليوم إلى كشف وإيضاح . وربما إلى اعتذار من د. سعد الدين إبراهيم ومن صار على نهجه فى ممارسة التطبيع الأكاديمى والثقافى مع الإسرائيليين فهذا أجدى وأبقى للمثقف الوطنى ، أياً كان انتماؤه !! .

من مصادر هذا الفصل :

1 – رئيس الاستخبارات الحربية الإسرائيلية السابق يعترف باختراق مصر في أكثر من موقع، جريدة المصري اليوم، القاهرة، 2010/11/2م.

2 – أحمد رمضان، العميل 67 .. عناكب التجسس في مصر، تحقيق منشور على الرابط الالكتروني :

http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=27798&SecID=271

3 – زبير سلطان قدوري، السلام في المشروع الصهيوني (مصر نموذجاً) ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2002م. وانظر : محمد الضبع ، هدية السلام الإسرائيلي .. جاسوس كل عام، جريدة الأهالي، القاهرة، 2009/3/25م. ، وانظر : د.سمير محمود قديح ، شبكة جاسوسية للموساد في القاهرة تستغل الجنس وتنشر المخدرات، مقال على الموقع الالكتروني: http://webcache.googleusercontent.com/search ، وانظر :جريدة الشرق الأوسط ، لندن، 2002/6/11م.

4 – جريدة المصري اليوم ، القاهرة ، عدد 2010/5/17م

الباب السادس

التطبيع الدينى

(2011-1979)

الفصل الأول :

التطبيع الديني : التعريف والمقدمات

ظل السادات ومن بعده حسنى مبارك فى مجال تعاملهما مع إسرائيل والولايات المتحدة (طيلة الـ32 عاماً – فترة دراستنا هذه – 1979/2011)، يستخدمان (الدين) كغطاء لإضفاء "الشرعية" على سياستهما وقراراتهما بشأن التطبيع ، لما مثله هذا " التطبيع " من خيانة للدين ، وخرقاً لمفاهيمه عن العدل والحق ، من وجهة نظر العلماء الثقاة ، والفهم الصحيح للدين ، ومواقفه من الصلح مع من اعتدى أو اغتصب حقوقاً وأرضاً من المسلمين ، ولقد استخدم الحاكم ، الدعاة والفتاوى لصالحه لإعطاء سياسته التطبيعية غطاءً شرعياً ، وبالمقابل كان هناك من يرفض أو يقاوم من العلماء والشيوخ والمفكرين والمؤسسات ، تلك السياسات الخاطئة التى تقحم (الدين) – الإسلامى أو المسيحى – فيما لا يصح إقحامه فيه ، بل فيما يرفضه .

* وفى هذا الفصل نبحث عن (التطبيع الدينى) ، تعريفه ، حقائقه ، صوره ، أخطاره ، نماذجه . فماذا عنه ؟ .

* فى البداية ، من المهم قبل الشروع في تناول صور التطبيع الديني ، ونماذجه ، وأخطاره ، أن نقدم تعريفاً إجرائياً لمصطلح " التطبيع الديني " ، يوضح مفهومه ، ويبين حدوده وأبعاده في الذهن ، ليسهل التعامل مع الظاهرة التي نحن بصددها .

ولعل الإشكالية هنا ستتعلق بوصف التطبيع بـ" الديني" ، فـ" التطبيع" كمصطلح أخذ نصيبا كبيرا من التعريف والدراسة في الأدبيات السياسية ، وما يحتاج لتحديد دقيق حقا ، هو ما نقصده بالتطبيع حين يصبح دينيا ، ويأخذ أبعاداً دينية : إسلامية أو مسيحية .

على أية حال ، إن التطبيع الديني هو : التطبيع الذي يقع من أحد أو بعض علماء الدين الإسلامي ، أو رجال الدين المسيحي ، بصفتهم الدينية ، أو هو التطبيع الذي يُستخدم فيه الدين كمبرر ومسوغ ، للاعتراف بالكيان الصهيوني ، وإقامة العلاقات معه .

فالمعيار هنا أن يأتي التطبيع ممن يتحدثون أو يتصرفون بصفتهم الدينية ، ما يجعل ذلك التطبيع محسوبا على الدين ومؤسساته ، أو أن يأتي التطبيع مستندا لخطاب ديني ، ونصوص الدين الواجب اتباعها في الإسلام أو المسيحية ، هنا يوصف التطبيع بالديني ، لأنه انتسب للدين ، واعتمد رجل الدين القائم به على السلطة والمكانة التي منحه الدين إياها في نفوس الناس.

وحول هذا المفهوم يدور هذا الفصل :

أولاً : نماذج من التطبيع الديني الإسلامي :

عبر اثنين وثلاثين سنة من الصلح والعلاقات الرسمية المصرية – الإسرائيلية يمكن رصد عدة صور ومظاهر لاستخدام الإسلام في خدمة قضية التطبيع على النحو التالي :

1- توظيف القرآن والسنة في خدمة التطبيع:

كما قلنا ، كان النظام المصري سَبَّاقا في توظيف الخطاب الإسلامي لإضفاء الشرعية الدينية على التصالح مع العدو الصهيوني ، فوجد السادات من العلماء الرسميين ومشايخ السلطان من يقرونه على ذلك التصالح ، مستدلين بآيات من القرآن في غير مواضعها ، مثل قوله (تعالى): " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) " (الأنفال : 61) ، وقوله (تعالى) : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً "(البقرة :209) وأكبر مثال عن هذا الموقف هو فتوى الشيخ جاد الحق على جاد الحق الذى كان فى موقع مفتى الجمهورية إبان توقيع اتفاقية كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (عام 1979) . وخرج أيضاً من العلماء من شبه صلح السادات مع الإسرائيليين بصلح الحديبية الذي أبرمه النبي (صلى الله عليه وسلم) مع قومه ، واجتهد " فقهاء النظام" في إيجاد سند شرعي للتصالح مع العدو الصهيوني ، وفق منطق مغلوط يقوم على التدليس ، وتنزيل الأحكام الشرعية على غير موضعها ، ومن أقوى ما استدلوا به في ذلك :

أ- سلطة الحاكم المسلم في إبرام معاهدات الصلح مع العدو منفردا بقراره ، لأمور يراها في صالح الأمة ، ولو قابل المحكومون ذلك بالرفض والاستنكار ، وعلى المحكومين في تلك الحال السمع والطاعة لولي الأمر ، ولا قيمة هنا لـ"الشورى" ، فهي ليست ملزمة للحاكم ، له أن يأخذ بها وله أن يهدرها ، وفق ما يرى للأمة ، واستدلوا على ذلك بموقف النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم صلح الحديبية ، حين وافق على الصلح مع قريش على غير رغبة أصحابه ومشورتهم ، وتم ما أراده (صلى الله عليه وسلم) .

وغاب عن هؤلاء ان المثل الذي استدلوا به لا يصلح ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية لم يفتئت على الشورى ولم يهدرها ، وما كان له (صلى الله عليه وسلم) أن يفعل ذلك ، وإلا أهدر المشورة يوم غزوة أحد ومكث بالمدينة كما كان رأيه ، وانتظر المشركين فيها ، ولكنه نزل على رأي الأغلبية ، كعهده دوما ، أما يوم الحديبية فقد كان هناك أمر إلهي بقبول الصلح ، بمثابة نص تشريعي سماوي لا يمكن مخالفته ، هنا أعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) القاعدة المقررة : لا شورى مع النص ، فالشورى في الأمور التي لا يوجد فيها نص صحيح قاطع الدلالة والأبعاد ، فإذا وجد النص فلا مكان للشورى ولا معنى ، وهو ما فعله أبو بكر في حرب المرتدين ومانعي الزكاة ، حين رفض كل الآراء التي تدعوه للمهادنة معهم ، وعمل بالآيات والحديث الصحيح الذي يأمر بقتال المرتدين ومانعي الزكاة .

أما الشورى فهي مبدأ إسلامي أصيل ، ملزم للحاكم ، ولكل راع في الأمة ، وكل مسئول في موقعه ، ولا يمكن للحاكم أو لغيره إهداره ، والزعم بأنه يرى الحق ، ويمتلك الصواب وحده ، وإذا كانت الأمة صاحبة الحق في اختيار الحاكم ، فهي صاحبة الحق في ألا يستبد بقرار دونها ، أو أن ينفرد بتحديد قراراتها المصيرية .

ب- نفر آخر قال : إن من حق الحاكم المسلم أن يعقد "هدنة " مع العدو :

إن رأى أن ظروف الأمة وإمكانياتها لا تسمح بمواصلة القتال ، ومن ثم فصلح السادات مع الإسرائيليين جائز شرعا ، وهو أدرى الناس بإمكانيات الدولة وقدرتها العسكرية والسياسية .

وهو كلام ظاهره الصحة ، ولكن حقيقته غير ذلك ، فالمفترض في الدولة الحديثة أنها دولة مؤسسات ، وليس بقدرة الرئيس وحده ، دون باقي مؤسسات الدولة تقدير الظروف والإمكانيات التي تسمح بالقتال من عدمه ، وحتى إن كان تقديره صائبا ، فإن السادات حين رأى أن الدولة غير قادرة على مواصلة الحرب مع الكيان الصهيوني ، لم يكن مجبراً على التصالح معهم وزيارتهم ، والتطبيع معهم ، وتحويل العدو إلى صديق ، والأخطر أنه لم يعقد هدنة كما قال هؤلاء القوم ، بل عقد صلحا دائما ، سماه سلاما ، وأعلن أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب ، وجاء سلفه حسنى مبارك -"الرئيس الذى ثار عليه الشعب فى 25 يناير 2011" - فأكد أن السلام خيار استراتيجي ، فأين "الهدنة" هنا ؟ ولماذا لم يشاور السادات رجال الدولة قبل ان يورطهم بزيارته لإسرائيل،ويقسمهم إلى فريقين :مؤيدين، ومعارضين ؟!!

ج- فريق ثالث : اعتبر أن السادات وجد جنوحا لدى الإسرائيليين للسلم والصلح ، فقابله بجنوح مثله ، ومد يده للقوم بالسلام ، وذهب لهم في عقر دارهم ليحرجهم ويحقن دماء الطرفين ، عملاً بالآيات القرآنية التي ذكروها .

وهنا يبلغ التدليس مبلغه ، فلا الإسرائيليون ، أصحاب المشروع الاستيطاني العدوانى ، وُجد لديهم يوما رغبة أو جنوح للسلم ، فحتى اللحظة يسال الدم الفلسطيني والعربي على أيديهم ، ولم تنجح ثلاثة عقود ونيف من التصالح معهم (فترة البحث 1979-2011) في كسر وحشيتهم وجرائمهم ، ولم يتوقفوا عن طمعهم في الأرض والمصالح العربية والإسلامية يوماً ولم يلتزموا بعهود واتفاقات معهم ودائماً ينقضونها .

أما عن الآيات التي استدلوا بها ، مثل قوله تعالى " " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) " (الأنفال : 61) ، فهي لا تصلح للاستدلال بها في مسألة الصلح مع الكيان الصهيوني ، فالآية قد جاءت في العدو التقليدي ، الأقوام والأمم الطبيعية التي تناصب الأمة الإسلامية العداء ، وتعتدي عليها ، فيقاومها المسلمون ، ويحققون الانتصارات عليها ، فيبادرون إلى طلب الصلح والمسالمة حقنا للدماء ، ويكفوا عدوانهم على المسلمين ، هنا تأمر الآية بقبول المبادرة ، طالما كان المسلمون في مركز قوة ، وطالما انتهت دواعي الحرب ، وكف العدو أذاه. .أما في الحالة الصهيونية ، فإن الفقه والشرع يجمعان على أن قيام دولة إسرائيل غير جائز من البداية ؛ لأنها قامت بالغصب والاحتلال على أنقاض أمة مسلمة ، وشعب فلسطيني مسلم عربي ، ومن ثم لا يجوز الاعتراف بتلك الدولة ، ويجب على المسلمين جميعهم ، بلا إعفاء لأحد ، أن يبذلوا جهدهم للقضاء على تلك الدولة ، ولا يجوز لأحد منهم أن يصالح ، أو يعترف بذلك الكيان الغاصب ، وعلى هذا فإسرائيل من ثم هى دولة غير طبيعية لا تدخل في حكم الآية .

ثانيا ، إن افترضنا أن ما يسمى بـ(الأمة الإسرائيلية) أمة طبيعية غير مفتعلة، فهي لم تؤثر المسالمة ، ولم تكف عن عدوانها ، فلا محل لإعمال الآية هنا عليها أيضاً ، فلا القوم جنحوا للسلم ، ولسنا في مركز القوة الذي يجعل الصلح مغنما للأمة ، بل كان الصلح وبالاً ، وباباً للضعف والاستسلام والفتن ، وتخريب الحياة في المجتمع المصري ، تحت المظلة الأمريكية – الإسرائيلية .. والحقائق والوثائق عن الاقتصاد والأمن والسياسة فى مصر خلال فترة البحث تؤكد (انظر : ذلك فى باب التطبيع الاقتصادى كمثال) .

ثانياً : نماذج من استخدام الفتوى فى تبرير التطبيع والدفاع عنه :

بجانب فتاوى جواز الصلح مع الكيان الصهيوني ، خرجت على مدار العقود الثلاثة (فترة البحث) مجموعة من الفتاوى ، التي تصب في صالح إسرائيل ، وتخدم نهج الاعتراف بها وتطبيع العلاقات معها ، وجاء أغلب تلك الفتاوى من د.محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر فى الفترة الأخيرة من سنوات التطبيع ، ومن نماذج فتاويه التى أثارت جدلاً ورفضاً :

أ- فتوى تحريم العمليات الاستشهادية :

فى نوفمبر 2003، ولم تكن انتفاضة الأقصى قد خمدت بعد ، قرر د. محمد سيد طنطاوى أن يقول رأيه فى العمليات الاستشهادية ، واختار المكان المناسب لذلك من وجهة نظره ، وهو التليفزيون الإسرائيلى ، وفى اللقاء أكد الشيخ بهدوء يحسد عليه أن العمليات الاستشهادية التى يقوم بها المقاومون فى فلسطين ، هى فى حقيقتها عمليات انتحارية تعارض أحكام الإسلام ، وأن من يقوم بها يُعامَل فى الآخرة معاملة المنتحر ، أى : يكون من أهل النار ، وندد الشيخ كذلك بمن يدعون لتلك العمليات ، لأنهم فى رأيه يهددون الاستقرار ويشعلون الصراعات فى المنطقة العربية.

وكالعادة لم يبال الشيخ بالبيان الذى أصدره 28 عالما أزهريا، على رأسهم مفتى الجمهورية وقتذاك ، يتبرؤون فيه من تصريحاته، ويؤكدون فيه على مشروعية العمليات الاستشهادية، وأن الجهاد فرض على المسلمين ضد أعدائهم، كما لم يبال بحزن الأمهات الفلسطينيات على أبنائهن الشهداء، الذين وصفهم الشيخ بـ"المنتحرين"، وجعلهم فى النار، ولم تقلقه فرحة الإسرائيليين بالفتوى، وتمنيهم أن ترحمهم من رعب العمليات الاستشهادية .

ب- فتوى جواز التطبيع :

فى سبتمبر 2005، قال الشيخ طنطاوي : " لا يوجد فى الدين الإسلامى ما يحرم التطبيع مع الدول الأخرى ، خاصة إسرائيل ، طالما كان التطبيع فى غير

الدين ، وفى المجالات التى تخدم شئون الحياة واحتياجاتها !! "، وبهذه الفتوى ذات الكلمات المعدودة ، دخل الرجل التاريخ باعتباره أول شيخ للأزهر فى تاريخ الصراع ، يدعو للاعتراف بـ "إسرائيل"، ومعاملة الصهاينة "سارقى فلسطين" كباقى شعوب الأرض، التى لم تحتل أرضنا ، ولم تُرق دماءنا ، أو تدنس مقدساتنا!!

دخل التاريخ، ولكنه اختار أن يدخله من باب التطبيع، وموالاة أعداء الأمة،ومصافحتهم بحرارة ومودتهم (مصافحته الشهيرة مع شيمون بيريز عام 2008)،والاعتراف بكيانهم الغاصب!!.

ويبدو أن الرجل اعتاد أن يتلقى الناس غالب فتاواه بالاستهجان والتنديد ، وأن يقابل ذلك باللامبالاة والاطمئنان ، ما دام من عينوه فى منصبه راضين عنه وعن فتاواه ، فألقى فتواه هذه المرة صريحة لا لبس فيها ، ولم نجده كالعادة يحاول تصليح خطئه ، فيصدر فتوى مضادة، أو بيانا يلطف فيه من وقع كلماته هذه ، رغم الاعتراضات الشديدة التى واجهها من علماء الأزهر ، ومن رابطة علماء فلسطين، التى أصدرت بيانا اعتبرت فيه الفتوى "موالاة للكافر الغاصب ، وموالاة الكافر لا تجوز فى الإسلام ..."، وقالت إنها . أى الرابطة . كانت تنتظر من الشيخ فتوى أخرى "يدعو فيها إلى تجنيد الجيوش لطرد اليهود من باقى أرض فلسطين الحبيبة ..."!

والعجيب فى فتوى الشيخ أنه أصدرها متبرعا ، دون أن تُطلب منه أو يُكره عليها ، ودون أن تضطره مناسبة لذلك ، فيومها كان الرجل يشارك فى احتفال محافظة الشرقية بعيدها القومى ، وكان من الممكن ألا يفعلها .. ولكنه فعلها!

ج- فتوى التنصل من غزة والقضية الفلسطينية :

حين ضُبط سيد طنطاوى متلبسا بمصافحة رئيس إسرائيل شيمون بيريز فى نيويورك فى نوفمبر 2008 ، وانقلب عليه الرأى العام في مصر وخارجها ، فى وقت كانت فيه غزة تحت الحصار ، حاول "الشيخ" التنصل من الأمر كله فى

البداية ، وإنكار المصافحة ، وحين اتصل به هاتفيا الإعلامي المصري عمرو الليثى فى برنامجه التليفزيوني "اختراق" ، كان الرجل عنيفا وثائرا ، وحين سأله عمرو عن موقفه من حصار غزة ، قال الرجل كلمات اضطرت الرقابة لحذفها ، من قبيل : "حصار إيه وقرف إيه ؟ وإحنا مالنا " .. " لا أعلم أن هناك حصاراً على غزة " !! ، ورغم أن ذلك النهج والتصرف لا يليق بمقام العلماء ، خاصة بمن يرأس مؤسسة الأزهر ، فإن جهل الرجل بحصار غزة ، حقيقة أو ادعاءً ، كان أشد وأنكى على الأمة العربية والإسلامية، وقوله : " إحنا مالنا " كان تأكيدا للنهج الأمريكى الإسرائيلى فى فصل مصر عن واجباتها العربية والإسلامية، وجعل القضية الفلسطينية شأناً داخليا للفلسطينيين وحدهم ، بغياب البعد العربى والإسلامى عنها ، وهذا ما تريده إسرائيل وتسعى إليه !!

د- تصريحات الإشادة بالرئيس السادات :

وهي تصريحات صدرت من الشيخ الشعراوي ، ومن شيخ الأزهر الأسبق د. محمد سيد طنطاوي ، ومن غيرهما من بعض العلماء الإسلاميين ، تشيد بالسادات وبسياساته إجمالا ، ومن ضمنها بالطبع سياساته نحو إسرائيل . وربما يمكن تفهم موقف الشعراوي من السادات ، باعتبار أن الرجل كان يحظى بتقدير ورعاية من السادات ، وتولى وزارة الأوقاف في عهده ، وكان مرشحا لمشيخة الأزهر ، وباعتبار الموقف المعادي الذي اتخذه الشيخ من الرئيس جمال عبد الناصر وعهده **- بل إن الشيخ أصدر لاحقاً فتاوى تدعو إلى جهاد الاسرائيليين - انظر : الفصل الثالث فى هذا الباب -** أما بخصوص د. سيد طنطاوي فإن السؤال المشروع هو : ترى ما هو سر دفاع سيد طنطاوى عن الرئيس السادات بهذه الحرارة والتفانى ؟

حين أثيرت في مصر منذ فترة قضية فيلم "إعدام فرعون" . الفيلم الإيرانى الذى يتحدث عن قتل السادات . سارع الشيخ لوصف السادات بـ"الشهيد" ، وقال : إن حرب أكتوبر تكفى لتكفر عنه كل ذنوبه .ولم تكن المرة الأولى التى يدافع فيها

الشيخ طنطاوي عن السادات ، ولم تكن الأخيرة (لاحظ أنه لم يذكر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بأى دفاع أو مدح ، طوال توليه منصبه الأزهري ، بل يمدح السادات وحسب) ، ففى مؤتمر حوار الأديان فى كازاخستان ، حرص الشيخ على توجيه كلمة للوفد الإيرانى وصف فيها السادات بـ :"فلتة القرن العشرين" ، داعيا لرفع اسم قاتل السادات (خالد الإسلامبولي) من أكبر شوارع طهران ، وإلى احترام الصحابة وعدم سبهم ، أى : إنه ساوى بين موقف إيران من الرئيس السابق وموقفها من صحابة رسول الله .كما سبق للشيخ أن جعل رفع اسم الإسلامبولى ، وحرق فيلم إعدام فرعون ، شرطين أساسيين ليقوم بزيارة إيران ، وافتتاح فرع للأزهر بها!! .

ولقد تعددت مواقف د. سيد طنطاوى المؤيدة للتطبيع فى زمن السادات ومبارك ، وجميعها تؤكد قناعة الشيخ بالتطبيع فقهاً وممارسة ! .

ثالثاً – اللقاء بالاسرائيليين واستقبالهم :

كان لقاء شيخ الأزهر الأسبق محمد سيد طنطاوى بالإسرائيليين سابقاً على مصافحته لشيمون بيريز فى نوفمبر 2008، ففي منتصف التسعينيات استقبل في مكتبه كبير حاخامات إسرائيل (كما سيرد تفصيلاً فى الفصل الثانى) ، وبرر الزيارة وقتها بأنها من باب مواجهة العدو ، وأنه أغلظ للحاخام في القول !! وبعدها استقبل الشيخ طنطاوي السفير الاسرائيلي في مصر ، وأدلى بأحاديث للتليفزيون الإسرائيلي تهاجم العمليات الاستشهادية !!

ويبدو أن الشيخ بعد لقائه مع بيريز والضجة التى ثارت، رأى أنه لا جدوى من الإنكار، وقرر أن يتمادى فى التطبيع دون مراعاة لمشاعر العرب والمسلمين ، فقال : إن مكتبه مفتوح أمام أى يهودى يرغب فى زيارته ، وإنه لا يمانع فى استقبال الرئيس الإسرائيلى أو رئيس وزرائه فى الأزهر (وكان إيهود أولمرت هو رئيس وزراء إسرائيل ، وكانت سياسته القمعية ومجازره ضد الفلسطينيين

واللبنانيين عديدة وقاسية كما هو معلوم ، وأكد الشيخ يومها أنه مستعد لزيارة القدس كما فعل السادات !! .

رابعاً – استخدام راية "حوار الأديان" لتمرير (التطبيع) :

استخدمت (فكرة حوار الأديان) خاصة من قبل بعض شيوخ الأزهر كأداة تطبيعية ، بمشاركة الحاخامات الإسرائيليين فيها ، ومشاركة ساسة الكيان الصهيوني أيضا ، رغم أنهم ليسوا من رجال الدين بأي حال !! وعلى سبيل المثال فإن المؤتمر الذي شهد مصافحة شيخ الأزهر لشيمون بيريز (والذي عقد في نيويورك في 12 نوفمبر 2008) حضرته وزيرة الخارجية الإسرائيلية (تسيبي ليفني) أيضا ، كما حضره العاهل السعودي ، ما يؤكد البعد السياسي التطبيعي الكامن وراء تلك المؤتمرات ، التي ترفع من الحوار الديني شعارا وهدفا معلنا .

خامساً – التطبيع من خلال تغيير المناهج الدينية والأزهرية :

وهذه صورة أخرى من صور التطبيع مع الكيان الصهيوني ، فعقب عقد السادات اتفاقية الصلح مع الإسرائيليين ، كان لا بد من تربية الأجيال المصرية الجديدة على مفاهيم المرحلة الجديدة : مرحلة الاعتراف بإسرائيل ، وجعل "السلام" خيارا استراتيجيا في التعامل معها !! ولما كانت تلك المفاهيم تتناقض مع المفاهيم الثقافية والتعليمية التي أرساها العهد الناصري ، الذي عرف بمقاومته وعدائه لإسرائيل ، فقد كان على النظام الساداتي أن يعيد النظر في المناهج التعليمية والتثقيفية ، وأن يغير فيها قدر استطاعته ، لتخدم التوجهات الجديدة ، وكانت المناهج الدينية في التعليم العام والأزهري ، على رأس المناهج المستهدفة ، ويُروى في هذا الصدد قصة ذات دلالة ، ملخصها أن رئيس وزراء إسرائيل (مناحم بيجين) زار مصر في أعقاب توقيع اتفاقية الصلح ، وتحديدا في أغسطس 1981 ، وتناول في محادثاته مع الرئيس السادات خطوات تفعيل التطبيع ، فطمأنه السادات على رغبته وحماسه لذلك، فانتهز بيجن الفرصة ،

وشكا للسادات من احتواء المناهج التعليمية المصرية على الآيات القرآنية التي تذم اليهود ، مثل قوله تعالى : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) " (المائدة :78) ، وما تلاها من آيات ، وكان رد السادات هو استدعاء وزير التعليم المصري ، آنذاك ، وأمره أن يحذف تلك الآيات !!

وبعدها فى عهد مبارك اختفت ألفاظ " صهيوني" ، و" صهيونية " ، وغيرهما من ألفاظ تشير للصراع العربي . الصهيوني ، من الكتب الدراسية ، بعد أن كانت مستخدمة في عهد عبد الناصر ، وعهد السادات قبل عام 1979 !! .

امتد التغيير والحذف والتقليص إلى مناهج اللغة العربية والتاريخ ، وإلى التربية الإسلامية بالطبع ، بحيث تتجنب أي ذكر للآيات القرآنية والأحاديث التي تؤذي مشاعر الإسرائيليين في تل أبيب ، وأصبح " السلام " ، وأهميته ، وضرورته ، أحد موضوعات التعبير الثابتة في امتحانات اللغة العربية في كافة المراحل التعليمية !! ولم تنج المناهج الأزهرية من التغيير والتعديل ، خاصة بعد 11 سبتمبر ، والدعوة لتغيير الخطاب الديني ، بما يرضي الغرب،ويحذف من أذهان المسلمين وثقافتهم كل ما يتعلق بالجهاد والمقاومة .

وقد أدت الضغوط الأمريكية في السنوات الاثنتين والثلاثين (1979-2011) إلى إحداث مجموعة من التعديلات في التعليم الأزهري ، تصب في النهاية في خانة الولايات المتحدة وإسرائيل ، وتزيل العقبات أمام تسرب التطبيع إلى نفوس الأجيال الصغيرة ، ومن تلك التعديلات :

- إلغاء أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية .

فكيف يستقيم أن يتعلم الطلبة أن " جهاد الدفع " ، الذي هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، يجعل من الواجب على كل المسلمين التصدي للعدو الصهيوني في فلسطين المحتلة ، والعدو الأمريكي في العراق وأفغانستان ، وسائر بلاد الإسلام (إبان الفترة موضوع البحث 1979-2011)، في الوقت

الذي يُراد لهم فيه أن ينشؤوا على : "السماحة" ، و"الاعتدال" ، و" السلام " ، و" قبول الآخر " ، و" نبذ التعصب " ، و " محاربة التطرف " ، وغيرها من مفردات تمليها العلاقات الدافئة مع الولايات المتحدة وإسرائيل .

– تقليص المواد الشرعية ، وإلغاء السنة الرابعة من الثانوية الأزهرية ، وحذف أجزاء من القرآن الكريم ، واختزال مواد كاملة ، والتوسع في المناهج غير الشرعية ، خاصة في المراحل الأولى ، التي يفترض أن يتم بناء الطلبة فيها ، علميا !! فدعاة التطبيع فى مصر وإسرائيل يرون في الأزهر عقبة تاريخية ، وقفت في وجه الاحتلال منذ الحملة الفرنسية 1798 وحتى اليوم ومن المهم من وجهة نظرهم القضاء على روحه المقاومة بكافة السبل!!.

سادساً – حظر تناول التطبيع فى الخطب المنبرية :

صدرت تعليمات إبان فترتى السادات ومبارك من قبل وزارة الأوقاف بحظر تناول العلاقة مع إسرائيل بالنقد ، وتوازى معها الاختبار والاختيار الدقيق لأئمة وزارة الأوقاف ودعاتها ، حيث كان يتم اختيارهم من البداية ، من ذوي الملفات الأمنية والسياسية النظيفة ، ومن غير المتهمين لدى الأمن بالاهتمام بالقضية الفلسطينية ، والصراع العربي . الصهيوني ، وإذا حدث من الجرائم الإسرائيلية ما عبأ الشعور العام ، ودعا الأئمة للتجاوب مع ذلك الشعور ، بادرت الوزارة في اجتماعاتها بهم إلى إصدار التعليمات المشددة ، بعدم التطرق للحدث الجاري ، أو تناوله في الخطب والدروس ، وإذا حدث وتجاهل أحد الأئمة التعليمات ، فجزاءات الوزارة ، وذراع الأمن قادرة على رده لصوابه !!

سابعاً : موقف وزير الأوقاف المؤيد للتطبيع وزيارة القدس :

في إبريل (2009 م) دعا وزير الأوقاف المصري الأسبق ، محمود حمدي زقزوق ، جموع المسلمين للسفر إلي القدس ، حتي إن تطلب الأمر الحصول علي تأشيرة إسرائيلية ، وذلك بدعوى حماية المدينة المقدسة من التهويد والعدوان الصهيوني ، وثار الجدل ، وانقسم الناس ، كالعادة ، بين مؤيد ورافض

: المؤيدون يكررون حجة الوزير ، ويقولون : إن في السفر سبع فوائد ، على رأسها أن تعلم إسرائيل أن العرب والمسلمين لن يسمحوا لها باستكمال مخططاتها بشأن القدس . والمعارضون يؤكدون أن مجرد الحصول على التأشيرة الإسرائيلية يعد اعترافا ضمنيا بإسرائيل ، وشرعية هيمنتها على المقدسات في فلسطين المحتلة ، وأن ذلك من شأنه إزالة الحاجز النفسي بين عموم المسلمين الرافضين لإسرائيل وكيانها ، وبين الإسرائيليين . (بعدها بعدة سنوات – عام 2012 – زار المفتى د. على جمعة القدس عبر الأردن وأثيرت وقتها ضجة كبرى!!) ترفض الزيارة وتعتبرها تطبيعاً دينياً .

ومع احتدام الجدل بين المؤيدين والرافضين ، قدمت وسائل الإعلام الإسرائيلية ، ما يحسم ذلك الجدل ، حين رحبت بدعوة زقزوق وبينت الكامن خلفها .

فقد ابتهج التليفزيون الاسرائيلي بالدعوة ، وقال : إنها تحقق التطبيع الشعبي بين المصريين ودولة الاحتلال ، فهي تشجع الفئات المصرية البسيطة التي تكره إسرائيل بفطرتها ، على زيارة القدس ، تحت مظلة إسرائيل ، وتتيح لهم الفرصة لرؤية الكيان الصهيوني من الداخل ، والتعامل مع سكانه .

* ومن شأن ذلك أن يشجع كثيرا من المصريين الراغبين في السفر لإسرائيل، والإقامة بها ، ويمنعهم ترددهم وخوفهم من اللوم الاجتماعي ، فقد أوجدت دعوة ذلك الوزير الذريعة وهي زيارة المقدسات ، ولن يخجل مصري بعد ذلك من الختم الاسرائيلي في جواز سفره ، بل سيدل ذلك على تدينه وزيارته للمسجد الأقصى !!

كذلك اهتمت إذاعة "صوت إسرائيل " بتلك الدعوة ، خاصة أنها تصدر من أحد القائمين على المؤسسات الدينية المصرية ، ورأت أن زقزوق يمثل موقفا براجماتيا تبناه بعض رجال الدين المصريين ، وهو موقف لا يمانع في زيارة القدس بتأشيرات إسرائيلية ، كما لا يمانع في استقبال الاسرائيليين في الأزهر ، وفي مؤتمرات حوار الأديان !!

ركزت الصحف الاسرائيلية كذلك على نقطة شديدة الأهمية ، وهي إمكانية أن يقوم السائح المسلم أو المسيحي العربي القادم لزيارة المقدسات في القدس، بزيارة أماكن أخرى في إسرائيل ، وبذلك تستقبل إسرائيل أعداداً كبيرة من السياح والزائرين العرب والمسلمين ، خاصة من الفئات الشعبية ، التي يهم الإسرائيليون ووكلاؤهم اختراقها ، واجتذابها لخندق الاعتراف بإسرائيل!! .

وبهذا فإن وزير الأوقاف فى عهد مبارك ، الذي جلس مع شيخ الأزهر " الشيخ طنطاوي" والرئيس الاسرائيلي شيمون بيريز إلى طاولة واحدة في حوار الأديان في كازاخستان (يوليو 2009) ، قدم خدمة جيدة للتطبيع الدينى، احتاجت إلى جهد وثورة داخل مصر وداخل الأزهر بعد 25 يناير 2011 لتصحيحها .

ثامناً – إنشاء رؤية وخطاب دينى يكرس بقاء إسرائيل :

من بين وسائل التطبيع الدينى سيادة الخطاب الإسلامي ، يحمل صبغة صهيونية وتطبيعية خفية ، تسير في اتجاه تكريس وجود إسرائيل ، حتى يأتي آخر الزمان ويظهر (المهدي المنتظر) الذي يحررها ، أو تقع معركة (الحجر والشجر) التي يبيد فيها المسلمون اليهود ، ويخلصون العالم من شرهم !!

يقوم ذلك الخطاب الإسلامي بشأن فلسطين على عدة ركائز خطيرة ، تصب في صالح إسرائيل في النهاية دون أن يدري أصحاب ذلك الخطاب ، فأفكار مثل : فكرة تحرير فلسطين في معركة الحجر والشجر ، التي ستدور في آخر الزمان بين المسلمين واليهود ، وفق نصوص أحاديث رويت في هذا الشأن ، وفكرة اعتبار كل يهودي صهيوني ، وكل صهيوني يهودي ، وفكرة أن الشعب اليهودي شعب واحد نقي عرقيا ، ويعود بجذوره لبني إسرائيل ، وفكرة اختزال صراعنا مع الصهاينة في الصراع على القدس والمسجد الأقصى ، هي الأفكار السائدة لدى قطاع كبير من الإسلاميين ، وجماهيرهم، وهي أفكار أضرت بالقضية الفلسطينية وكرست التطبيع مع إسرائيل زمن مبارك ، وفى تفصيل ذلك يستبين الآتى :

أ- الإيمان بالشعب اليهودي الواحد :

الواقع يقول : إن يهود العالم وجدوا في أغلب المجتمعات الإنسانية في العالم القديم ، وإنهم انقسموا إلى جماعات عرقية ولغوية وثقافية ومذهبية متعددة بما يصل لدرجة التناقض ، وإن فكرة الشعب اليهودي الواحد ، إن افترضنا تحققها في التاريخ ، فهي لم تدم إلا لحظات في عمر الزمان . وحين ظهرت الصهيونية اليهودية ، وأرادت تجاوز هذه الحقيقة ، فقد زعمت . زورا . وجود الشعب اليهودي الواحد ، ذي التاريخ الواحد ، والمقومات الثقافية المتناغمة ، ودعت لقومية يهودية ، تجمع الشعب اليهودي الواحد المزعوم في وطن واحد ، وزعمت أن لهذا الشعب المزعوم حقاً في فلسطين .

والملفت للباحثين في فترة التطبيع (موضوع دراستنا 1979-2011) أن الخطاب الإسلامي الأعلى صوتا يعامل اليهود على هذا الأساس ، معتبراً الجماعات اليهودية العالمية ، شعبا واحدا ، يتمتع بالتاريخ الواحد ، والمقومات القومية الواحدة ، ويؤمن جميعه بالتلمود والتوراة ، دون خلافات ولا تعددات ثقافية ومذهبية !! بل إن النظرة الإسلامية التقليدية ليهود العالم ، تفترض أنهم كلهم ملتزمون بدينهم ، وبتعاليم التلمود ، ولا تفترض أن فيهم الملحد ، والعلماني ، ولعل أغلب المسلمين لا يخطر ببالهم أن تيودور هرتزل نبي الصهيونية ، وزعيمها الأشهر ، كان رافضا للدين اليهودي والتقاليد اليهودية ، وكانت حياته أقرب للنسق والعادات المسيحية ، وأن معظم أبنائه تنصروا بعد وفاته ، وأن بعض مساعديه كانوا مجاهرين بإلحادهم !

وهذه النظرة الاختزالية لليهود ، والنظر إليهم باعتبارهم نسيجا واحداً ، تحول دون الدراسة العلمية الدقيقة للصهيونية ، فضلا عن أنها تتبنى المقولات والمزاعم الصهيونية اليهودية ، التي بنى عليها الصهاينة دعوتهم لإنشاء وطني قومي لليهود في فلسطين ، وهو ما يسهل في النهاية من الاعتراف بالكيان الصهيوني والتطبيع معه ، ما دام يهود اليوم هم امتداداً قومياً وعرقياً ليهود بني

إسرائيل ، ودولة اليوم هي استئنافاً لدولة الأمس في عهد داود وسليمان ، وما دام يوم الحسم معهم تأجل ليوم الحجر والشجر .

***

* من ناحية أخرى اشترك خلال فترة حكم مبارك الخطاب الإسلامي لفرق من الإسلاميين مع الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية في النظرة لليهود باعتبارهم جنسا بشريا فريدا في صفاته وطباعه الموروثة ، على اختلاف في الحكم على ذلك الجنس ، فبينما نجد اليهود يؤمنون بأنهم شعب الله المختار ، المفضل على سائر الأمم والشعوب ، بما يمنحه المزايا والمعاملة الخاصة من قبل السماء ، فإن النظرة التقليدية لدى المسيحيين والمسلمين ، على الإجمال ، تختلف : فاليهود هم رمز الشر والفساد في الأرض ، هم قتلة المسيح والمرابون الفاسدون لدى المسيحيين ، وهم : أحفاد القردة والخنازير ، ناقضو العهود ، قتلة الرسل ، لدى المسلمين ، وفي الخطابات الدينية الثلاثة فإن الوضع المتميز لليهود يستلزم وجودهم في فلسطين : فإن كانوا شعب الله المختار ، فقد اختار لهم الله أرض فلسطين ووعدهم بها ، وإن كانوا قتلة الرب كما يقول النصارى ، فلابد من تجمعهم في فلسطين ليأتي المسيح ويُنصِّرهم ، أما النظرية الإسلامية الشائعة ، فترى في عودة اليهود الشعب المغضوب عليه لفلسطين ، ضرورة للقضاء على ذلك الجنس الذي ورث " الخسة والحقارة " ، وتجري أبشع الصفات الإنسانية في دمه ، وذلك من خلال معركة الحجر والشجر الواردة في السنة النبوية ، والمعدودة من علامات الساعة .

ومن وجهة نظر الباحثين الإسلاميين المدققين(*) أن هذه النظرات الثلاث لليهود ، هي نظرات عنصرية ، وأن الإسلام يرفضها جميعا ، وأن الإنصاف الإسلامي يرفض أن يجعل اليهود سواء ، فمنهم من " إن تأمنه بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ

---

* انظر في تفصيل ذلك : محمود عبده ، كي لا تكون صهيونية إسلامية – مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة – 2010.

إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا " (آل عمران : 76) ، وقد قرر الإسلام أن الأصل في الإنسان أن يولد على الفطرة ، وأن أهله من يغيرون تلك الفطرة لغير الإسلام ، ومن ثم فلا مجال لجعل اليهود عرقا مختصا بالخسة واللؤم والجشع ، دون سائر الناس ، فهي صفات موجودة في الناس جميعا ، وإن كنا لا ننفي أنها صفات تكثر في مجتمعات اليهود ، بحكم عقيدة الاستحلال التي فشت بينهم " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ " (آل عمران : 76) ، ولكن القرآن يتحدث عن الأغلبية ، بدليل أنه قال في الآية نفسها : إن فيهم أمناء ، يؤتمنون على القناطير من الأموال . ويؤكد هؤلاء الباحثون أن معركتنا ليست مع اليهود ولا اليهودية كديانة ، بل هي مع الصهاينة ، يهودا كانوا أم مسيحيين أم مسلمين أم بوذيين ، فاليهودية ديانة ذات أصل سماوي ، والصهيونية عقيدة سياسية ، وليس كل يهودي صهيونيا بالضرورة ، كما أنه ليس كل صهيوني يهوديا بالضرورة ، فهناك يهود ضد الصهيونية وضد إسرائيل ، وهناك مسلمون ومسيحيون ينافسون الصهاينة اليهود في صهيونيتهم ، ويخدمون إسرائيل أجل وأعظم الخدمات وعلى ذات المنوال تسير عقيدة انتظار " المسيح " المخلص والمهدى المنتظر ومعركة الحجر والشجر وكلها تأويلات راجت لدى الإسلاميين وبعض المؤسسات العربية فى مصر إبان فترة الـ32 عاماً (موضوع بحثنا) فكرست التطبيع وأعطته شرعية غير مستحقة !.

ولقد تنبه الإسرائيليون لهذه الأفكار الخاطئة ، وحاولوا استثمارها كما روى الشيخ الشهيد أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس ، رحمه الله) في أحد حواراته التليفزيونية ، فقد حكى الشيخ كيف استدعاه أحد مسئولي الأمن الإسرائيليين أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، وطلب منه إصدار الأمر بإيقاف الانتفاضة ، وحين أنكر الشيخ ياسين أي صلة له بالانتفاضة (من باب خداع العدو) ، قال له المسئول الأمني : أوقفها اليوم يا شيخ ياسين ، ويوم الحجر

والشجر افعلوا ما بدا لكم !!.. طبعا لم يقع الشيخ ياسين في الفخ ، ولكن غيره قد يقع بالفعل ، ولو بالسلبية والقعود عن المشاركة في المقاومة ومناصرتها .
هذه نماذج من الخطاب الإسلامي الذي ساهم بشكل غير مباشر في تكريس بقاء إسرائيل والتطبيع معها ، وهو خطاب يرى كثير من العلماء والباحثين أنه يحتاج اليوم بعد ثورة 25 يناير 2011 إلى مراجعة ، ونقد ، ونقض ، نظراً لخطورته .

ب- اختزال القضية الفلسطينية في القدس والمسجد الأقصى :

وهذا خطأ شائع آخر لدى فرق من الإسلاميين فقد تحولت قضية فلسطين وتحرير الأرض المغتصبة ، وإعادة الشعب المشرد ، إلى قضية تحرير المسجد الأقصى والقدس ، وكأن الإسلام لا يوجب تحرير كل فلسطين ويهمه فقط تحرير المسجد ، وتجاهل كثير من الدعاة والخطباء أن الإسرائيليين اعتدوا ودمروا أكثر من 1300 مسجد في أنحاء فلسطين،منذ العام 1948م ، وحولوا كثيرا منها لحانات ومواخير ، كما يتناسون أن حرمة دم المؤمن الفلسطيني أشد حرمة عند الله من بيته الحرام ، وأن تحرير فلسطين صار منذ إعلان الدولة الصهيونية (بل منذ البدء في إنشائها) فرض عين على كل مسلم ، وأن تحرير الأقصى وحده ليس كافيا بأي حال ، بل إن تحرير كل فلسطين عدا الأقصى ، خير من تحرير القدس وبقاء باقي فلسطين محتل ، نقول هذا من باب الفرض ، وليس غضا من قيمة الأقصى والقدس المقدسة ، ولكننا نخشى من اختزال القضية في مدينة أو مسجد ، ونطالب بتحرير فلسطين كاملة ، دون أن ينقص منها شبر ، والخطير هنا أن دعاة الصلح والتفاوض قد انتبهوا لهذا الاختزال وسعوا خلال فترة البحث (1979-2011) في ترسيخه في الرأى العام المصرى والعربى ، لذا تراهم يتمسكون بالقدس الشرقية عاصمة موحدة للدولة الفلسطينية التي يطالبون بها ، فهم يعلمون أن القدس صارت لب القضية وجوهرها ،

ويسعون لإرضاء الجماهير بعودة القدس ، وإن ضاع معظم فلسطين ببقاء الدولة الصهيونية وتطبيع العلاقات معها .

اختزال القضية الفلسطينية في القدس والأقصى ، كان من الأفكار الممهدة للتطبيع ،لا شك ، فعودة القدس لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية سيرضى ضمائر كثير من المتدينين ، ويجعلهم يغضون الطرف عن باقي فلسطين ، التي توجب شرائع السماء ، وأخلاق أهل الوطنية والعروبة أن تُسترد مهما كان الثمن المدفوع .

تاسعاً : موقف الكنائس المصرية من التطبيع :

الموقف المعلن للكنيسة القبطية الأرثوذكسية (كبرى الكنائس المصرية) هو رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني ، وهو موقف بدأ منذ نهاية السبعينيات وقيام السادات بالصلح مع إسرائيل ، يومها رفض البابا شنودة أن يدعو شعب الكنيسة إلى زيارة الكيان الصهيوني والتطبيع معه ، وهو الرفض الذي استمر طيلة الـ32 عاماً فترة البحث (2011–1979) ، ورغم أن هذا الموقف كان أفضل كثيرا من مواقف المشايخ والأزهريين الذين وافقوا السادات ، وبحثوا له عن مسوغ شرعي لفعلته ، فإن ثمة ملاحظات لابد من تسجيلها في هذا الصدد :

أ– ربط البابا موقفه المعادي للتطبيع ، والسماح لرعايا الكنيسة بزيارة المقدسات المسيحية في القدس ، بموقف عامة الشعب المصري من التطبيع ، وقال : إن المسيحيين المصريين لن يدخلوا القدس إلا مع إخوانهم المسلمين المصريين ، وكانت حركة مقاومة التطبيع تفضل أن يكون الرفض مبدئيا ، وأن تتمسك الكنيسة بموقفها من التطبيع حتى لو وافقت عليه أغلبية الشعب المصري ، وألا يكون الأمر رهنا بالمزاج الشعبي العام .

ب – رغم الموقف المعلن للبابا شنودة من السفر للقدس ، وزيارة المقدسات ، فالواقع يقول : إن زيارات قبطية للقدس كانت تقع كل عام طيلة الفترة (1979–

2011) ، بشكل غير رسمي ، صحيح أن أغلبية الزائرين من الأفراد العاديين من غير رجال الكنيسة ، ولكن الواضح ان الكنيسة تتجاهل هذه الزيارات ، ولا تأخذ منها موقفا حازما.

ج- أما عن باقي الكنائس (الكاثوليك والانجيليين) ، والطوائف الأرثوذكسية الأخرى ، فموقفها الإجمالي من التطبيع لا يختلف عن موقف الكنيسة الأرثوذكسية القبطية .

* إن الموقف العام من المؤسسات الدينية المصرية الرئيسية (الأزهر – الكنيسة) كان رفض التطبيع ورغم الهنات السياسية لشيخ الأزهر الأسبق الراحل د. محمد سيد طنطاوى ، إلا أن مجمل مواقف الأزهر والقوى والمؤسسات الإسلامية والمسيحية كانت ضد التطبيع رغم المحاولات الحثيثة لاختراق هذا الموقف ،وهى محاولات سنشير إلى بعضها فى الفصل الثانى .

الفصل الثانى

محاولات التطبيع الدينى

نماذج ووقائع

* نتناول فى هذا الفصل نماذج من محاولات الاختراق والتطبيع الدينى خلال الفترة (1979-2011) موزعين تلك الفترة عن المحاور التالية :

أولاً : حقبتا الثمانينات والتسعينات .

ثانياً : حقبة الألفية (2000-2011) .

ثالثاً : محاولات التطبيع الدينى الإسرائيلى بالإكراه (قضية مولد أبو حصيرة نموذجاً) .

وفى تفصيل ذلك يستبين الآتى :

أولاً : حقبــة الثمانينــات والتســعينات : صـدرت فـى الثمانينـات والتسـعينات عشرات المواقف والفتاوى التى ترفض التطبيع (انظر : الفصل الثالث من هذا الباب وبه نماذج من هذه الفتاوى) وكنموذج لهذة المواقف :

*** فى العام 1989** وفى السابقة الأولى من نوعها بالجامعات المصرية ، قرر أساتذة أقسام اللغات الشرقية بجامعة الأزهر رفع دعوى قضائية ضد رئيس الجامعة بسبب القرار الذى اتخذه مجلس الجامعة فى عام 1989 بكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه بلغة التخصص العبرية والفارسية والأردية وهو ما يعتبر مخالفة صريحة للوائح وقوانين الجامعات المصرية.

جاء فى الدعوى التى أقامها (30) أستاذاً بأقسام اللغات الشرقية بالجامعة أن القرار يعتبر بمثابة خدمة جليلة لأهداف إسرائيل فى مصر ، وإحياء التراث الإسرائيلى بكتابة الأبحاث والرسائل باللغة العبرية ، وحجب الدراسات المتخصصة فى هذا المجال عن القاريء العربى ، والطامة الكبرى أن يتم هذا فى جامعة الأزهر مما يفقدها سمعتها ودورها القيادى فى العالم الإسلامى والعربى .

وقال الأساتذة فى دعواهم : إن القرار يعد ضربة قاصمة للثقافة الإسلامية المكتوبة بغير اللغة العربية التى من المفترض أن تكون جامعة الأزهر

المحافظة الأولى عنها ضد محاولات الصهيونية العالمية لطمس وتشويه الثقافة الإسلامية .

أضاف الأساتذة أن القرار يتعارض مع اللائحة التنفيذية للقانون (103) لسنة 1961 المنظم لشئون الأزهر والتى تنص المادة (227) منه على أن توضع الرسائل التى يقدمها الطلاب لنيل درجة التخصص " الماجستير " و" العالمية " و" الدكتوراه باللغة العربية .

هذا وقد أكد د. السباعى محمد السباعى مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة فى الجامعات المصرية – أن الهدف من إنشاء أقسام اللغات الشرقية فى الجامعات العربية هو خدمة الأدب العربى والحضارة الإسلامية وأن كتابة الأبحاث والرسائل فى هذه الأقسام بلغة أخرى غير اللغة العربية لا يحقق الأهداف التى أنشئت من أجلها هذه الأقسام منذ أنشأها فى مصر والعالم الدكتور عبد الوهاب عزام ولذلك فالكتابة باللغة العربية هو ما يجب الالتزام به.

* **فى عام 1991 نشرت الصحف تقارير مهمة** عن قرية " دميتوه " مركز دمنهور بمحافظة البحيرة ، والمعاناة التى يعانيها أهلها بسبب مولد أبو حصيرة – الذى يزعم اليهود أنه حاخام يهودى – ومظاهر الفساد والفوضى التى يسببها وجود اليهود مع وجود قبضة أمنية تفرض على الأهالى حظر التجول طوال أيام مولد أبو حصيرة .

ويقول بعض الأهالى : إن سكان قرية دميتوه يشترون مواد غذائية قبل المولد تكفيهم لمدة أسبوع على الأقل بسبب التضييق الأمنى عليهم ، بل ويصل لحد منعهم من الخروج من بيوتهم . والغريب أنه فى الأعوام السابقة كما نشرت "الشعب" أيضاً تم إقامة المولد قبل موعده بثمانية أيام ، وأكد الأهالى أن أبو حصيرة هذا ما هو إلا وهم كبير وكذبة كبرى ؛ لأنه لم يسمع أحد من آبائهم ولا أجدادهم بوجود حاخام يهودى مدفون فى قريتهم ولم يظهر هذا إلا بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد ثم ظهرت هذه الأسطورة التى لا يعرفون من أين استقاها

الصهاينة وكأنهم أرادوا من أبو حصيرة ؛ ليكون بمثابة مسمار جحا اليهودى فى قرية دميتوه المصرية .

وفى سياق متصل وبعد هذه الاحتفالات بعشرة أعوام – وكما سنرى لاحقاً – قضت محكمة القضاء الإدارى فى 2001 بالإسكندرية بوقف تنفيذ قرار وزير الآثار المصرى باعتبار ضريح أبو حصيرة من الآثار وبالتالى وقف الاحتفال السنوى بمولد هذا الحاخام اليهودى المزعوم مما أشاع ارتياحاً بالغاً بين أهالى القرية والمحافظة كلها. ولكنه لم يطبق إلا بعد ثورة يناير 2011 .

***

**** فى سياق متصل برفض التطبيع الدينى قدمت بعض الصحف عرضاً لما احتوته رسالة الدكتوراه للدكتور محمد سيد طنطاوى الذى كان مفتياً لمصر فى التسعينات ، وكان موضوعها عن اليهود ووصف القرآن لهم ، (الغريب أن مواقف طنطاوى) كما سبق وأشرنا سرعان ما تحولت إلى النقيض وصار مؤيداً للتطبيع واليهود ، ولنسمع لأبرز محتويات كتابه :**

– إن إفساد اليهود فى الأرض أمر اتسع نطاقه وعم بلاؤه وتعددت أساليبه وتنوعت وسائله وهذه بعض ألوانه :

– القتل والاغتيال : قتل الأنبياء – زكريا ويحيى – عليهما السلام – ومحاولة قتل النبى (صلى الله عليه وسلم) .

– التجسس : التجسس على الدول أهم وسائلهم ، وقد كانوا يظهرون الإيمان ويعتمرون الكفر فى عهد رسول الله لنقل المعلومات لأهاليهم .

– التستر على الأديان : اليهود يدخلون فى الإسلام والمسيحية ليتجسسوا على أهلها لخدمة عقيدتهم ومصالحهم الشخصية ونشر الشرور فى الأمم التى ليست على ملتهم ، مثل اعتناق بعض اليهود البوذية أو العكس ، ومثل " دزرائيلى " الذى اعتنق المسيحية ليخدم يهوديته باستيلائه على حصة مصر فى قناة

السويس وهو الذى رسخ للوجود البريطانى لتكون حارسة لليهود فى هذه المنطقة .

– كتبهم ومقرراتهم : جميع كتبهم المحرفة تعطيهم الحق فى أى أرض اغتصبوها بزعم أنهم شعب الله المختار وأن الرب حرم عليهم استعمال الشفقة والرحمة مع الأغيار .

– واستعرض مفتى مصر الدكتور سيد طنطاوى بروتوكولات صهيون والجمعيات السرية وإشاعتهم الفواحش والرذائل فى كل بقعة يصلون لها؛ ليسهل لهم انقياد هذه الشعوب لهم وأن اليهود رفضوا كل مفكرى وفلاسفة العالم الذين سخروا من الأخلاق الفاضلة ونادوا بشيوع الحرية بكامل معناها.

– أعاد ذلك إلى ضعف الوازع الدينى بين الشعوب الإسلامية والعربية ، ثم تفرق القيادة فى نفس البلاد وافتقادنا لقادة يقودون المعركة بحزم وحسم .

بالإضافة لتوقيع الهدنة بين العرب وإسرائيل نتيجة ضغوط أمريكا وبريطانيا بعد أن كانت الجيوش العربية مع قلة عتادها وأعدادها تحرز انتصارات كبيرة على الأرض .

– كان الدافع الأقوى لمن ذهب للدفاع عن فلسطين الوازع السياسى والنعرة القومية ولم يكن للدافع الدينى أى تأثير إلا القليل بينما كان اليهود يعتبرون الحرب فى فلسطين دينية محضة . وشدد طنطاوى فى نهاية كتابه أن الحرب لا محالة واقعة بين المسلمين واليهود وأن الغلبة ستكون للمسلمين كوعد إلهى بشرط رجوع المسلمين إلى المعين الصافى للقرآن والسُنة أو بالأحرى رجوع المسلمين إلى الله – سبحانه وتعالى .

**** فى السياق ذاته وفى 1991/9/24 نشرت جريدة " الشعب "** مقالاً مهماً يبين موقف الإخوان فى تلك الفترة من التطبيع (وهو الموقف الذى سرعان أن تغير بعد ثورة يناير 2011 وأضحى يتسم بالتهدئة والهدنة وأحياناً الموافقة على التطبيع) ، كان المقال لمصطفى مشهور المرشد العام الأسبق للإخوان

المسلمين عن الرفض التام للتطبيع مع العدو الصهيونى وبيّن مشهور أن الخسة والنذالة والفساد والإفساد هى علامات ملازمة للصهاينة أينما وجدوا فى أى مكان وأى زمان ويلجؤون دائماً لأخس الوسائل لتحقيق أغراضهم ، وأشار إلى الغزل المستمر بين الحزب الوطنى والأحزاب الصهيونية وتبادل الزيارات بين الجانبين على عكس إرادة الشعب المصرى الذى يرفض التطبيع جملة وتفصيلا وقال : " الحكومة المصرية قامت بتصدير 60 ألف متر مكعب من الطوب الرملى الممتاز لاستخدامها فى بناء المستوطنات الصهيونية " بالإضافة لإقامة فريق إسرائيلى معسكراً تدريبياً فى فندق " إيتابا " بالإسماعيلية .

وينبه الكاتب لخطورة المخططات الصهيونية للنيل من الزراعة المصرية وهو ما بدأ يظهر فى العلن من فسادٍ وإفسادٍ للمحاصيل الزراعية وتراجع الانتاجية الزراعية لبعض المحاصيل الهامة فى مصر فضلاً عن سعى الشركات المتعددة الجنسيات التى تقف إسرائيل دائماً وراءها بالسعى لشراء الشركات المصرية مستغلين فى ذلك الظروف الاقتصادية الصعبة التى تمر بها مصر .

كذلك يشير الكاتب إلى خطورة إعطاء السلطات المصرية تسهيلات لليهود عند دخولهم لمصر فى الوقت الذى يُحرم من هذه التسهيلات معظم المواطنين العرب .

كما حذر الكاتب من قيام العدو الصهيونى مع هذه التسهيلات المقدمة من السلطات المصرية بنشر أمراض خطيرة كالإيدز وغيرها من الأوبئة التى ستؤثر بالضرورة على صحة الشعب المصرى .

وأشار الكاتب كذلك إلى غطرسة رئيس الوزراء الصهيونى إسحاق شامير من أن إسرائيل لن تتنازل عن شبر واحد من الأرض التى احتلتها على مدار الحروب التى خاضتها مع العرب وأنه مستمر فى بناء المستوطنات وجلب المهاجرين شذاذ الآفاق من كل مكان لأرض إسرائيل المزعومة .

ونبه الكاتب إلى أن الشعوب العربية وخاصة الشعب المصرى يتوقون للخلاص من التبعية ، وهى أى : الشعوب العربية تبغى الحرية والعدالة الاجتماعية وتطالب بدستور قوامه شرع الله تعالى يتم فيه التخلص من كل الرواسب الاشتراكية البالية التى لم تورثنا إلا التخلف والدمار والخراب .

** فى العام 1995 نشرت بعض الصحف منها جريدة (العربى) و(الشرق الأوسط) أن المفتى (محمد سيد طنطاوى) أبدى رغبته فى زيارة إسرائيل ولقاء قادتها إذا كان يفيد الأمة على حسب زعمه.

وقال فى حوار له مع صحيفة الشرق الأوسط : إنه على استعداد لمقابلة كبار المسئولين الإسرائيليين إذا كان فى ذلك ما يفيد الأمة – حسب قوله.

وفى محاولة لتخفيف صدى هذا الاتجاه الخطير الذى برر له المفتى خلال الفترة الأخيرة قال :

إنه لم تأتنى دعوة من إسرائيل .. ولكن إذا دعانى الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات فأنا أرحب بذلك , وإذا دعانى لزيارة القدس فأنا أرحب بذلك أيضاً " ويغالط المفتى فى ذلك الحقيقة إذ يدرك قبل غيره أن عرفات ليس له أية سلطات على القدس أو غيرها من الأراضى الفلسطينية.

ولا يكتفى المفتى بذلك بل يطرح سؤالاً يثير الدهشة حين يقول فى حواره :" وماذا يضيرنا إذا نحن قلنا رأينا بشجاعة فى الإسرائيليين وفى عقر دارهم ؟ " مبدياً استعداده لمقابلة الرئيس الإسرائيلى عيزرا فايتسمان .

فى الوقت الذى يعلن فيه طنطاوى أكثر من مرة رغبته فى زيارة إسرائيل يقف الإمام شيخ الأكبر شيخ الأزهر موقفاً رائعاً بإعلان رفضه زيارة إسرائيل واصفاً إياها بأنها جار سوء لا يوثق به .كما يرفض البابا شنودة الثالث بطريك الأقباط زيارة إسرائيل .

** **وفى السياق ذاته اجتمع شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى (1997/10/12)** مع السفير الإسرائيلى فى مصر تسيفى مازئيل ، تلبية لطلب

من الأخير لتسليم رسالة من الحاخام اليهودى ياكش دورون يبدى فيها رغبته فى فتح حوار بين الأديان خدمة لعملية السلام فى الشرق الأوسط .

وتم اللقاء الذى يعد الأول بين شيخ الأزهر ومسئول إسرائيلي وسط تكتم شديد ، ونفى مكتب شيخ الأزهر علمه باللقاء ، لكن الناطق باسم السفارة الإسرائيلية فى القاهرة ليؤر بن دور أكده وأشار إلى أن الحاخام أدورون يرفض الإساءة إلى الإسلام ، وجدد ميزئيل الدعوة إلى طنطاوى لزيارة إسرائيل .

** **وفى 1997/9/15 نشرت جريدة** " **العربى** " تقريراً عن مؤتمرات الأزهر وكيف أن جميع هذه المؤتمرات رفضت بشكل قاطع السلام والتطبيع مع إسرائيل ابتداءً من مؤتمر 1964 وحتى اليوم مع التأكيد على وحدة مدينة القدس عاصمة للدولة الفلسطينية المقرر إنشاؤها فى المستقبل القريب وبعد تحرير مقدسات المسلمين من دنس اليهود .

وفى سياق متصل تساءلت صحيفة " الميدان " عن جدوى طلب بعض أساتذة الأزهر الشريف السفر لإسرائيل ومنهم أساتذة فى كلية الطب بالأزهر وقد رفضت إدارة الأزهر السماح بسفرهم لإسرائيل على عكس ما يدعيه.

** وفى العام ذاته 1997 التقى الحاخام اليهودى إلياهو دورون ، السفير محمد بسيونى وطلب منه إبلاغ شيخ الأزهر ضرورة إلغاء فتواه المؤيدة للعمليات الاستشهادية فى الأراضى المحتلة . (وبالفعل استجاب طنطاوى لطلبه لاحقاً) .

** من ناحية أخرى ذكرت الحياة اللندنية فى 98/1/9 أن بوادر مواجهات قضائية وسياسية تلوح فى الأفق المصرى بعد استقبال شيخ الأزهر لوفد الحاخامات اليهود فى الأزهر الشريف. فقد وجه المحامى نبيه الوحش إنذاراً على يد محضر لشيخ الأزهر يطالبه فيها بالاستقالة خلال 15 يوماً .

وكان سبق لشيخ الأزهر استقبال السفير الإسرائيلى تسيفى ميزئيل – كما أشرنا – بطلب من الأخير لتسليم طنطاوى رسالة من حاخام يهودى يدعى ياكسن دورى .

يذكر أن معارضى ومؤيدى الاتصال بإسرائيل تبادلوا تقديم مذكرات قانونية فى المحاكم المصرية بعد إحالة لطفى الخولى وعبد المنعم سعيد للتحقيق بسبب سفرهما لإسرائيل . كما سبق وأشرنا فى الباب الثقافى .

وفى 1997/12/30 حصلت جريدة " الشعب " على نص الأسئلة التى وجهها د. محمد سليم العوا إلى أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بمناسبة الضجة الثائرة حول استقبال شيخ الأزهر لحاخام تل أبيب.

وهذه الأسئلة هى التى صدر بيان المجمع جواباً عليها ، وفيما يلى الأسئلة وإجابة المجمع عليها .

جاء فى رسالة د. العوا إلى أعضاء المجمع :

أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الموقرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد أثار استقبال فضيلة سيدى الإمام الأكبر شيخ الأزهر – رئيس المجمع – لحاخام تل أبيب عاصفة من التساؤلات الحادة فى الوطن العربى والعالم الإسلامى ، وبين المسلمين فى كل مكان ، ونشرت الصحف ردود فضيلة سيدى الإمام الأكبر على الذين رأوا أن هذه المقابلة كان يجب ألا تتم حفاظاً على قيم كثيرة ذكروها فى بيانهم لآرائهم .

ولأن بعض ما نشر يحتاج إلى بيان صريح من المجمع ، فقد رأيت أن أتوجه إليكم بأهم ما يدور من أسئلة حول هذا الأمر موقناً أن حملكم الأمانة التى ورثها الله العلماء عن الأنبياء سيجعل من أولى الأعمال باهتمامكم فى اجتماعكم صباح الغد 25 من شعبان 1418هـ، المصادف 1997/12/25، بيان وجه الرأى فى هذه الأسئلة :

أولاً : ما قول المجمع الموقر فى مدى جواز استقبال فضيلة سيدى الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجمع للصهاينة الذين يأتون إلى مصر من رجال سياستهم ورجال دينهم ، ولاسيما استقبال فضيلته – وهو صاحب وقار المشيخة وجلالها – لسفير العدو الصهيونى ثم لحاخام تل أبيب ؟ والمرجو بيان وجه الرأى الشرعى – أو وجوهه إن تعددت – فى ضوء الواقع المعلوم للكافة إعمالاً للقاعدة المسلمة – عند الأصوليين الإثبات والفقهاء الثقات – من عدم جواز انفصال الفتوى عن الواقع الذى تصدر فى ظله .

ثانياً : هل فى فعل النبى صلى الله عليه وسلم بصفته رئيساً للدولة الإسلامية (إماماً) حجة لغير الحكام (الأئمة) ؟ أم أن الأسوة والقدوة والحجة فى فعله – صلى الله عليه وسلم – تكون لكل إنسان بحسب وضعه ومكانه ؟ وذلك فى ضوء ما لا خلاف فيه بين المسلمين من كون النبى – صلى الله عليه وسلم – كان (إماماً) و(قاضياً) و(فقيهاً) و(قائداً عسكرياً) ، وكان – فوق ذلك كله وقبله – رسولاً نبياً ، وكل مسلم يجب عليه أن يقتدى به عليه الصلاة والسلام فيما تجوز له القدوة فيه فلا يجوز لآحاد الناس من العامة والأميين غير المتخصصين – ولو كانوا متعلمين – أن يمارسوا (الفتوى) تأسياً به – بأبى هو وأمى – ولا يجوز للقضاة أن يمارسوا أعمال السيادة فى الدولة اقتداء به – صلى الله عليه وسلم – فى تصرفاته بمقتضى (الإمامة) ولا يجوز للعلماء الذين هم ورثته فى أداء واجب البيان والتبليغ أن يعقدوا المعاهدات مع الأعداء أو الأصدقاء احتجاجاً بفعله – صلى الله عليه وسلم – ذلك ، ولا يجوز لأحد أن يسمح لأحاد الجنود والضباط بأخذ الغنائم التى يجدونها مع قتلى الأعداء فى الحروب اعتماداً على قول النبى – صلى الله عليه وسلم – لجنوده فى بعض غزواته " من قتل قتيلاً فله سلبه " .

ثالثاً : هل حديث القرآن الكريم عن قوم أو خلق دليل على صحة إقامة علاقات مع هؤلاء القوم أو الخلق ؟ وهل يصح أن تقام هذه العلاقات على

خلاف مقتضى الأوصاف التى أوردها القرآن الكريم عن هؤلاء ؟ وهل يجوز – فى صحيح الفقه وحسن الدعوة إلى الله – قياس الاختلاف فى الرأى على ذكر القرآن الكريم لكفر أقوام وشركهم ، قياساً يشعر بأن المخالفين فى الرأى نظراء أو مشابهون للمشركين الكافرين ، أو بأنهم فرع يقاس على ذلك الأصل ؟! .

رابعاً : هل محاربة المسلمين – علمائهم ومفكريهم وحكامهم وحكمائهم – للإرهاب (وهو عندنا قتل الأبرياء أو إيذاؤهم بغير حق) ، مساوية ونظيرة ومكافئة لإدعاء الصهاينة – حكامهم ومحكوميهم متدينيهم وفساقهم – محاربتهم للإرهاب الذى يعنون به – بغير خلاف ولاشك – الحق المشروع للمقاومة الإسلامية الباسلة فى دفع عدوان الاحتلال الصهيونى ؟ وهل يجوز القياس من أى وجه كان بين الفعلين ؟ وهل تقبل – إسلامياً – تسمية المقاومة الإسلامية المشروعة " إرهاباً " ولو كانت هذه التسمية مما جرى به لسان قاتل صهيونى ؟ .

خامساً : هل يجوز – ديناً وخلقاً وسمتاً أزهرياً وسلوكاً يتفق مع قدر العلماء المسلمين – أن يوصف المخالفون فى الرأى ، مهما يكن سندهم العلمى والفقهى والواقعى ، بأنهم " جبناء أذلاء عاجزون " و" ضعفاء " وبأن سيدى الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجمع يحتقر أفكارهم ؟ وأن المعارضين لموقف ما يرددون الكلام العاجز الذى يمثل الجبن بعينه ، وفضيلة سيدى الإمام الأكبر شيخ الأزهر يحتقر منهج المعارضين لموقف ما ؟ (يرجى الإطلاع على مجلة المصور – العدد 3820 الصادر فى 26 من شعبان 1418 هـ المصادف 1997/12/26 ص36–38) ، وهل يتفق إطلاق تلك الأوصاف التى يجرم رمى الناس بها قانون العقوبات مع نص المادة (30) فقرة (ب) من قانون إعادة تنظيم الأزهر وهيئاته الصادرة بالقانون رقم (103) لسنة 1961 أو يتفق مع نص المادة (17) فقرة (6) من اللائحة التنفيذية لذلك القانون ؟

إن ملايين المسلمين يتطلعون إلى بيان موقف المجمع الموقر من هذه القضايا, والأمل معقود على المجمع الموقر أن يفعل مستذكراً القاعدة الفقهية " تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز" والقاعدة المكملة لها " السكوت فى موضع الحاجة إلى البيان بيان" فإذا تعلق بالمطلوب بيانه حق لله وحقوق للعباد كانت المبادرة إلى التبيين أولى وأوجب .,

والله – تعالى جده – من وراء القصد, وتفضلوا – حفظكم الله – بقبول وافر التقدير

دكتور محمد سليم العوا

وجاء رد المجمع فى البيان الآتى :

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

ورد إلى المجمع استفسارات عن الحكم الشرعى فى مقابلة فضيلة الإمام الأكبر لأحد حاخامات إسرائيل .

وبعد دراسة وقائع الموضوع , رأى المجمع فى جلسته المنعقدة فى يوم الخميس 25 من شعبان سنة 1418 الموافق 1997/12/25 أن مقابلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للحاخام وغيره من الزعماء الدينيين – على اختلاف أديانهم– جائزة شرعاً ، بل إن الظروف التى تحيط بالعرب والمسلمين الآن تجعل مثل هذه المقابلات أحياناً أمر أقرب إلى الوجوب الشرعى لما تحققه من نفع للإسلام والمسلمين , إذ فيها مواجهة للمخالفين فى الدين إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل ولبيان سماحة الإسلام.

وقد عرض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على المجمع ما دار بينه وبين الحاخام الإسرائيلى من حديث.

ويؤيد مجمع البحوث الإسلامية كل ما قاله فضيلة الإمام الأكبر فى هذه المقابلة التى يرى المجمع فيها كل خير .

والأمر الجدير بالذكر أن هذه المقابلة كانت فرصة مناسبة ليقول أكبر مسئول دينى فى مصر رأى الإسلام فى موقف إسرائيل المتعنت من القضية الفلسطينية , ومن قضية السلام , ومن اغتصاب اليهود للأراضى العربية ومن القدس بصفة خاصة .

ولقد ثبت فى القرآن الكريم , وفى السنة النبوية الصحيحة ما يدل على جواز هذه المقابلة شرعاً ؛ لأنها تفصح عن الحق الذى يتعين الإفصاح عنه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقابل أحبار اليهود ويحاورهم وكان يذهب إليهم , كما حدث مع يهود بنى قينقاع وبنى النضير , وكانوا يأتون إليه ليجادلوه كما حدث فى حوارهم معه بشأن جبريل – عليه السلام – وقد فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم– ذلك معهم ليظهر لهم أحقية الإسلام وعدله وسماحته .

والله تعالى يقول: [لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] والله ولى التوفيق

<u>الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية</u>

<u>سامى محمد متولى الشعراوى</u>

وقد سألت "الشعب" الدكتور العوا عن تعليقه على البيان فقال :

لقد بَرِئَتْ ذمتى فى هذا الأمر بما كتبته إلى الشيخ الجليل وإلى أعضاء المجمع الموقرين , وهم أدرى بما تبرأ به ذممهم أمام الله تعالى , وأمام الأمة التى تعتقد أنهم أهل حفظ الأمانة الدينية , وأهل أدائها , والناس مسئولون عما فعلوا وعما قالوا , والعلماء أثقل حملاً وأصعب سؤالاً .

<u> وما لم يقله د. العوا ، هو أن هذا البيان عن الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية هو بيان (موظفين) لدى الشيخ طنطاوى وليسوا علماء بالمعنى الشرعى للكلمة ، ولو كانوا علماء حقاً لعلموا أن يهود بنى قينقاع وبنى النضير الذين قاسوا على لقاء الرسول بهم ، ما قام به (طنطاوى) كانوا من</u>**

سكان المدينة ، ولم يكونوا غزاة مغتصبين للأرض كما هو حال (يهود فلسطين من الإسرائيليين) اليوم،، وعندما اعتدوا على الرسول قاتلهم هو والمسلمون وأخرجوهم من الديار . إن القياس إذن خاطئ ، والاستدلالات خاطئة، لذلك مقابلة الحاخام تعد موقفاً سياسياً خاطئاً ،وموقفا دينيا محرماً شرعاً ومصلحة من شيخ الأزهر الذى سيستمر لاحقاً فى مثل هذه المواقف ويلتقى بيريز بنفسه فى مؤتمر لحوار الأديان عام 2008 !!

** **وفى العام 1998 تنشر الصحف** أن عبد الحليم رمضان المحامى أقام دعوى ضد شيخ الأزهر ومفتى الجمهورية والشيخ الشعراوى بسبب استقبال شيخ الأزهر لحاخام اليهود فى صحن الأزهر الشريف لمعرفة رأى الأطراف الأخرى فى هذه الزيارة والموقف الشرعى منها.

من جانبهم أعرب طلاب جامعة الأزهر عن رفضهم التام لهذه الزيارة وقال رئيس الاتحاد عبد الناصر زيدان : إننا ضد هذه الزيارة شكلاً وموضوعاً . هذا وقد أشار عبد الحليم رمضان فى دعواه إلى حرمة دعوة الحاخام إلى بيت الله الحرام فى مكة ، فإذا كانت لا تجوز فإنها لا تجوز أيضاً فى الأزهر الشريف باعتباره من بيوت الله ، ويستند عبد الحليم رمضان إلى نصوص دينية قاطعة تحرم هذا الاستقبال فى بيوت الله ، فإذا وافقوا عليه فقد أبطلوا نصوصاً قرآنية قطعية وقد خالفوا نصاً دستورياً يقول إن مصر دولة إسلامية ، وإذا كان ردهم بعدم جواز هذا الاستقبال فإنه يطالب بتعويض قدره 5 مليارات دولار يرسلها فوراً لإعمار المسجد الأقصى ووفقاً لعريضة الدعوى فإن عبد الحليم رمضان سيقاضى شيخ الأزهر لأنه شبه نفسه بالنبى عندما برر استقباله للحاخام بأن الرسول كان يقابل اليهود ولأنه سب المنتقدين له سباً مخجلاً رغم أنهم أناس محترمون لم يحنثوا عهد الله ، وليس منهم من تربى فى صحن الجامع ليقتاتوا من فتات تبرع المسلمين ، هذا وقد تم إدخال كل من المفتى والشيخ الشعراوى ضمنياً فى الدعوى ؛ لأن الأول قد أيد الاستقبال والثانى سكت عنه .

ويذكر أن عبد الحليم رمضان كان قد رفع دعوى أخرى ضد المشايخ الثلاثة أمام محكمة جنوب القاهرة برقم 9437 لسنة 95 لتحديد رأيهم الشرعى فى التطبيع مع اليهود .

وفى 1999/2/5 نشرت جريدة الشعب : أن د. نصر واصل مفتى الديار المصرية قال : إن إقامة أية علاقات تجارية واقتصادية مع الدولة العبرية (غير جائز شرعاً) ، واتهم المفتى الدكتور نصر فريد واصل إسرائيل بقتل وتصفية المدنيين الأبرياء من الفلسطينيين بصورة مستمرة ، وإشاعة جو من الإرهاب فى نفوس الآمنين وهدم المنازل وتشريد الأهالى والاستيلاء على الممتلكات فى القدس المحتلة وباقى فلسطين المحتلة .. وأكد المفتى رداً على سؤال وجه له أنه (لا يجوز شرعاً إقامة العلاقات التجارية أو الصناعية أو الثقافية مع إسرائيل أو التصدير لها أو الاستيراد منها) .

وعزا ذلك إلى أن (كل هذه المعاملات حرام شرعاً فى هذه الآونة بصفة خاصة) ، ودعا الدول العربية إلى فرض الحصار الاقتصادى على الدولة العبرية ، مشيراً إلى أن محاصرة إسرائيل سياسياً واقتصادياً وتجارياً كما كان الوضع قبل مؤتمر مدريد عام 1991 كفيل بأن يرد الإسرائيليين إلى صوابهم وبتأديبهم وإعادة الحقوق العربية المسلوبة من الشعب الفلسطينى وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس ، مشدداً على أن المسلمين لن يتنازلوا عن حقوقهم مهما كانت الظروف والأسباب.

****

ثانياً : حقبة الألفية (2000-2011) : وقائع وحقائق عن التطبيع الدينى بين الاختراق والرفض:

** **نشرت صحيفة " صوت الأمة " فى 2000** أن مشاورات واتصالات مكثفة تجرى بين سيد طنطاوى شيخ الأزهر وشنودة بطريرك الإسكندرية لوضع تصور شامل لفضح الانتهاكات الإسرائيلية وقيامها بهدم عدد من المساجد الإسلامية والأديرة المسيحية بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية .

** فى 2000/6/12 أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية أن كل من يتعامل مع إسرائيل ويروج لها من العرب والمسلمين خائن لدينه ووطنه، ودعا المفتى جموع الأمة إلى الجهاد بالنفس والمال لتحرير جميع الأراضى العربية المحتل ومساندة الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين على استعادة أراضيهم وتنميتها .

وقال المفتى : إن مقاطعة الكيان الإسرائيلى اقتصادياً وثقافياً وعلى جميع المستويات أمر واجب على كل عربى ، حتى تتأكد غربة هذا الكيان عن المنطقة العربية ويمتثل للقرارات الدولية .

وأضاف الدكتور واصل أن كل من يروج للسلع والبضائع ذات المنشأ الإسرائيلى هو خائن لدينه وأمته ، مؤكداً أن تفكك الأمة وعدم ثباتها على موقف موحد فى مواجهة الكيان الصهيونى هو السبب الأول لتنامى الغطرسة الإسرائيلية .وشدد المفتى على ضرورة توحيد جميع الجهود فى البلدان العربية والإسلامية لمواجهة الصلف الإسرائيلى واستعادة الحقوق العربية السليبة .

** **وفى ذات السياق نشرت صحيفة " العربى " فى 2000/6/20 حواراً مع الدكتور نصر فريد واصل** مفتى الديار المصرية وقد تطرق الحوار إلى الفتوى التى أصدرها المفتى ، وكذلك لجنة الفتوى بالأزهر عن التطبيع مع إسرائيل حيث أكد المفتى أن التطبيع مع العدو الصهيونى هو من أعمال الخيانة لله والوطن .

وأكد أن العلاقات التجارية وتبادل السلع مع إسرائيل حرام شرعاً ورأس المال أو الشركات التى تتعاون مع هذا الكيان الغاصب تعتبر خائنة ، كما أنه دعا لتفعيل سلاح المقاطعة لمنتجات العدو ومقاطعة منتجات من يتعاطف معه سواء كانت دولاً أو شركات أو هيئات دولية أو محلية.

كما أكد حرمة لقاء علماء الدين الإسلامى لأى شخصيات أو وفود إسرائيلية كما اعتبر الزواج من إسرائيليات بمثابة " الزنا " ؛ لأن هذا الزواج قد يكون مقدمة للوقوع فى بئر الخيانة والجاسوسية بل اعتبر مجرد قيام علاقات اجتماعية بمثابة تهديد مباشر للأمن القومى .

وشدد المفتى على أن الحكومات العربية أو الإسلامية التى تقيم علاقات أو تتعاون مع الصهاينة هى حكومات خائنة .

وطالب المفتى بتعديل وتطوير المناهج التعليمية بما يرسخ هويتنا الإسلامية والعربية وطالب بالأخذ بالأساس العلمى والتكنولوجى لبناء أوطان قوية ناهضة .

**** وفى تقرير مهم نشر فى جريدة الأسبوع (2001/9/3) وتحت عنوان " استكمالاً لمسلسل لقاء شيخ الأزهر بالحاخامات .. بروتوكول تعاون بين جامعة الأزهر وجامعة هولندية مرتبطة بالصهاينة " جاء فيه :**

لم يكن تدنيس حاخامات الصهاينة للأزهر الشريف بموافقة الدكتور سيد طنطاوى هو نهاية المطاف ، فالمحاولات مستمرة لاختراق الأزهر ، إن لم يكن من مؤسسات رسمية صهيونية فتحت ستار التعاون العلمى ، ففي يوم الجمعة 2 أغسطس 2001 نشرت إحدى الصحف اليومية الكبرى خبر توقيع بروتوكول تعاون بين جامعة الأزهر وجامعة روتردام الإسلامية بهولندا ، وقع عن الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة وعن روتردام المشرف على الجامعة هناك .. أضاف الخبر أن مجلس جامعة الأزهر وافق على توقيع البروتوكول بالأحرف الأولى وأن التوقيع النهائى على نصه سيتم فى حفل كبير يعقد بمقر

جامعة روتردام ويحضره عن جامعة الأزهر رئيسها (الذى يشغل منصب عضو مجلس أمناء جامعة روتردام) ونائبه لشئون الدراسات العليا الدكتور ممدوح الصدفى ونائب رئيس جامعة الأزهر لفرع أسيوط .

وأكدت " الأسبوع " أن تلك الجامعة لها علاقات بالصهاينة وذلك على أنها فى أول مارس 2000 استضافت مؤتمراً دراسياً حول لقاء الأديان السماوية وبتعاون مع مؤسسة البيت المفتوح ومقرها مدينة الرملة وهى مؤسسة تطبيعية تهدف إلى التقريب ما بين اليهودية والمسيحية والإسلام (لتحقيق أهداف صهيونية طبعاً أولها محو حالة العداء التى يحس بها الفلسطينيون تجاه من نهبوا وطنهم) .

وكان الموضوع الجوهرى للمؤتمر الدراسى هو كيف نتعلم من حكمة أبينا إبراهيم لحل مشاكلنا بالعدالة والحب مكان الصراع وكان على رأس الحضور بيهيز كلانداو مدرس العلوم الدينية اليهودية وحمزة زيت الكيلانى وهو من أصل فلسطينى ويقيم فى الضفة والقسيسة فان هايت لايفنج المكلفة بالعمل من مجلس الكنائس الهولندية .

يذكر أن عضوة فى من مجلس أمناء جامعة روتردام تنتمى أصلاً إلى عائلة كلانداو المؤسسة للبيت المفتوح التطبيعية وهى داليا لانداو .وكغيره من مؤتمرات التطبيع ناقش المؤتمر الدراسى غسل دماغ أطفال العرب وعائلاتهم للدخول فى تجارب حياتية يومية تؤكد أن التعايش بين الدول بنفس الطريقة التى تمارسها مؤسسة بذور السلام التى ترعاها أمريكا .

ويؤكد تقرير الصحيفة أن علماء الأزهر الذين كانوا فى مجلس أمنائها صدموا بهذه المعلومات واستقالوا ومنهم د. جعفر عبد السلام ود.محمد حرب وقالوا نصاً : إن سليمان ضمرا ليس صاحب فكر إسلامى ، وأعلنوا صدمتهم فى مؤسس الجامعة وبتعاونه الوثيق مع إسرائيل ، هذا التعاون الذى عبر عن نفسه فى المؤتمر المشترك بين الجامعة ومنظمة البيت المفتوح الإسرائيلية .

** **وفـى أكتـوبر 2002** طالبت دراسـة صـادرة عن مركـز الاقتصـاد الإسـلامى بجامعـة الأزهـر بضـرورة الالتـزام بالضـوابط الشـرعية مـن خـلال التعامـل مـع المنتجـات الوطنيـة الخاصـة بالأمـة الإسـلامية وعـدم التعامـل مـع أعـداء الـدين والـوطن حتـى لا نسـاندهم فـى تنميـة اقتصـادهم وتقويـة شـوكتهم فـى حـربهم ضـد الإسـلام ودعـت الدراسـة إلـى مقاطعـة المنتجـات الصـهيونية والأمريكيـة باعتبارهـا جهـاداً وفريضـة شـرعية وضـرورة وطنيـة وأن مخالفـة ذلـك يعـد إثمـاً كبيـراً ؛ لأن هذه الأموال تتحول إلى أسلحة تقتل المسلمين .

وأوضـحت أن الإسـلام فـى إطـار اهتمامـه بحـل المشـكلات الاقتصـادية وضـع عـدداً مـن الضـوابط الشـرعية التـى تحكـم سـلوكيات المسـتهلك مـن أهمهـا تجنـب الإسـراف فـى الإنفـاق فـى تقليـد غيـر المسـلمين فـى عـاداتهم التـى تخـالف أحكـام ومبادىء الشريعة الإسلامية .

وطالبت بضرورة قيام الحكومات العربية والإسلامية بمراقبة أجهزة الإعلام التى تدفع الشباب إلى مجاراة الغرب فى تقاليده التى تتسبب فى إرهاق ميزانية الأسر .

وأشـارت الدراسـات إلـى أن الإسـلام رتـب أولويـات الإنفـاق بشـكل يعمـل علـى إنعـاش الاقتصـاد الإسـلامى ويحمـى الدولـة الإسـلامية مـن الاقتـراض والـديون وتـأتى فـى مقدمـة الأولويـات الإنفـاق علـى العلـم والمسـكن ثـم الاحتياجـات التـى تخفـف مـن المشـاق والمتاعـب ثـم الإنفـاق علـى التحسـينات التـى تجعـل الحيـاة أحسـن حـالاً كمـا أن الإسـلام دعـا إلـى تجنـب البخـل والتقتيـر الـذى يـؤدى إلـى الكساد الاقتصادى .

* **إلا أنـه وفـى سـياق مضـاد وفـى 2002/6/2** ، وعلـى النقيض مـن مواقف أغلب مشايخ وعلماء مصر ، دعا الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر إلى عدم مقاطعة الشركات الأجنبية والمنتجات الأجنبية التى تنتجها شركات تعمل علـى أرض مصـر فـى إطـار مقاطعـة المنتجـات الأمريكيـة والإسـرائيلية لمسـاندة

الانتفاضة الفلسطينية ، مشيراً إلى أن هذه الشركات تستوعب عدداً كبيراً من العمالة المصرية وتحقق دخلاً كبيراً – ممثلاً فى الضرائب – لخزانة الدولة . وقال فى ندوة عقدتها جمعية هدى شعراوى بالقاهرة : إن هذه المقاطعة ستلحق ضرراً بالغاً بالاقتصاد المصرى ولن تفيد كفاح الشعب الفلسطينى ، مؤكداً ضرورة ألا تتحول المقاطعة إلى وسيلة لخلق العداء بين فئات الشعب المصرى ، وأشار إلى أن الشعب المصرى قدم كل ما فى وسعه من مساعدات مادية ومعنوية لمساندة القضية الفلسطينية .

** **بالمقابل وفى العام 2002** اندلعت أزمة جديدة بين السفير الأمريكى بالقاهرة ديفيد وولش والدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية – آنذاك – بسبب فتواه المؤيدة للعمليات الاستشهادية ، حيث قام وولش بزيارة لدار الإفتاء مشيراً إلى أنها مجرد زيارة بروتوكولية إلا أن الطيب أعلن عن فحوى الزيارة التى تضمنت طلب السفير الأمريكى له بضرورة تحريم العمليات الاستشهادية ، وهو ما رفضه المفتى بكل قوة مؤكداً له أنه لا يحق له أو لغيره أن يتدخل فى أمور الدين الإسلامى ، وأكد الطيب أن العمليات الاستشهادية تنتج من صحيح عقيدتنا ، مشيراً إلى عدم إمكانية تحريم مثل هذه العمليات .

** **وفى مارس 2002 عقد** المؤتمر الشعبى بالأزهر الشريف للتضامن مع انتفاضة الأقصى وذلك بحضور علماء أزهر وجمع غفير من القوى السياسية والشعبية وقدم للمؤتمر مجدى قرار الأمين العام المساعد لحزب العمل ، وقد تحدث مجدى أحمد حسين ومحفوظ عزام وصلاح عبد المتعال وطالب الجميع بضرورة فتح باب الجهاد لتحرير الأقصى من الاحتلال والدنس الصهيونى. وقد طالبت الجماهير التى حضرت المؤتمر بأن يرضخ السياسيون لمطالب الجماهير بضرورة نصرة الأخوة الفلسطينيين ومساعدتهم بكل السبل المتاحة ودعا الجميع لفتح باب الجهاد ضد العدو الأمريكى والإسرائيلى لأنه السبيل الوحيد لتحقيق العزة ولتحرير بيت الأقصى المبارك.

** وفى السياق ذاته وفى عام 2002 أصدر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشيخ على أبوالحسن فتوى مهمة عن الحكم الشرعى للتجنس بالجنسية الأمريكية حيث أفتى بأن من يسعى أو يتجنس بالجنسية الأمريكية أو الإسرائيلية فيعد مرتداً ، لأنه ارتكب فعلاً محرماً قد حرمه الشرع الكريم ، لأنها تدفع صاحبها إلى العمالة والوقوف ضد أمته ، لأنه من المعروف شرعاً عدم موالاة المتربصين بالأمة الإسلامية ، كما تساءل كيف يمكن السعى والتجنس بجنسية أمريكية أو إسرائيلية فى الوقت الذى يرفعون فيه شعاراً : ادفع دولاراً واقتل عربياً ، ولهذا فإن الشريعة الإسلامية قد نهت عن موالاة الأعداء كما ذكر فى القرآن الكريم بقوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ".

هكذا أوضح القرآن الكريم أن التجنس بتلك الجنسيات حرام شرعاً بنص القرآن وما إن انتهت فتوى الشيخ على أبو الحسن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر حتى قام بعض علماء الأزهر بتأييد فتواه .

** **وفى العام نفسه نشرت الوفد** تفاصيل ندوة عقدت بجمعية الشبان المسلمين للرد على تصريحات إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل التى تهجم فيها على شخص الرسول – محمد صلى الله عليه وسلم – وزعم فيها أن النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – نقض العهد مع يهود المدينة ، ودعا يهود اليوم لعدم تكرار الخديعة من مسلمى اليوم .

وقد استشهد د. أحمد شلبى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بكلام المؤرخ اليهودي " تشارلز كنت " الذى يصف اليهود بأنهم قوم يميلون إلى العزلة والخوف الدائم من الآخرين وهم منذ دخلوا فلسطين يبادلون من حولهم العداء والعدوان .

وأضاف أن الفلسطينيين القدماء كانوا لا يمانعون أن تمر أو تقيم أى جماعة إلا اليهود نظراً لما يتسمون به من الغدر والخيانة ، ولهذا حكى القرآن على

لسانهم لسيدنا موسى : " إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فإنا داخلون " .

وأضاف : إن تاريخ اليهود سواء فى الجزيرة العربية أو أرض الشام أو فلسطين أو حتى فى أوروبا والأندلس إنما يدل على تجذر الخيانة والغدر فيهم فأصبحت من صفاتهم الملازمة لهم على طول الأيام والأزمان .

وفى نفس السياق نشرت آفاق عربية فى 2003/1/23 أن مجلة " أوقات النقب " الإسرائيلية قد خصصت أحد ملحقاتها للحط من قدر النبى صلى الله عليه وسلم ووصفه بأبشع الصفات مما ينم عن حقد دفين تجاه الإسلام ورسوله .

** **وفى بداية عام 2003** أعلن البابا شنودة فى لقاء بالإسكندرية وفى حديث لبرنامج صباح الخير يا مصر : نجدد رفضنا التطبيع مع إسرائيل .. وجاء فى تفاصيل الخبر الذى نشرته صحيفة الأهرام : أكد البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية المصرية مجدداً رفضه التطبيع مع إسرائيل أو زيارة القدس إلا بعد تحريرها .. وقال البابا : لن ندخل الأماكن المقدسة إلا مع العرب والمسلمين .. البابا مع شيخ الأزهر ، والمسيحيون مع المسلمين . وأضاف أن غير ذلك مرفوض لأن فيه خيانة لإخواننا المسلمين .

وقال : إنه سيواصل حظر السفر بالنسبة للمسيحيين لزيارة الأماكن المقدسة مادامت تحت الاحتلال ، ولأن فى ذلك أيضاً رواجاً اقتصادياً وسياحياً لإسرائيل لا يرضى به المسيحيون .

وأعلن البابا شنودة أن الأقباط فى مصر لا يمكن أن يقبلوا أن يتم هدم المسجد الأقصى لأن هذا اعتداء على مقدسات المسلمين وأن ادعاءات اليهود بوجود هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى هى ادعاءات باطلة .

وطالب البابا العرب أن يكونوا لأنفسهم " لوبى عربى " يواجه اللوبى الصهيونى القوى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأكد أنه لن يذهب إلى القدس إلا مع شيخ الأزهر ولن يشترك الأقباط فى صناعة السياحة الإسرائيلية .

** **وفى العام 2005** التقى السفير الإسرائيلى شالوم كوهين وكارمن واينشتاين (رئيسة الجالية اليهودية فى مصر) واتفق معها على إعادة افتتاح معبد " مئير عينيم " الكائن بحى المعادى بالقاهرة وإقامة الصلاة فيه بشكل دائم .

وكان هذا المعبد مهما طيلة العقود الماضية ، لا تقام فيه أى صلوات كما جرى الاتفاق على أن يتم أداء الصلاة يوم الجمعة القادمة بحضور العاملين اليهود بالسفارة الإسرائيلية إلى جانب عدد من يهود مصر .

ومعبد " مئير عينيم " هو كنيس يهودى تم بناؤه عام 1934 وكان أول معبد يتم تشييده فى المعادى .

وعلى الرغم من أن المعابد اليهودية بمصر تديرها الطائفة حتى يمر على المبنى مائة عام فيتحول إلى أثر وتشارك وزارة الآثار فى الإشراف عليه إلا أن السفارة الإسرائيلية انتهكت القانون المصرى بحسب ما نشر فى صحيفة هاآرتس (11 يوليو 2005) ، حيث قال السفير شالوم كوهين : إن السفارة الإسرائيلية ستساعد فى صيانة المعابد اليهودية وإعادة استخدامها مرة أخرى وقال كوهين : لدينا عدد من الإسرائيليين سيشاركون فى الصلاة بالمعبد وأنا واحد منهم .

وأشار مراسل صحيفة هاآرتس يواف شتيرن إلى أن عدد أفراد البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية أكبر من عدد اليهود فى مصر ، وقال : إن بعضاً منهم يشارك فى أداء الصلوات بالمعابد.

ويؤكد يورام ميتال خبير الشئون المصرية فى جامعة بن جوريون أن الهدف من إعادة افتتاح المعبد اليهودى فى حى المعادى هو عودة النشاط اليهودى فى القاهرة وأن هذه الخطوة قد تكون تكئة لتتمكن إسرائيل من خلال سفارتها من السيطرة على الآثار اليهودية فى القاهرة وعلى أملاك الطائفة اليهودية فى مصر ، ثم المطالبة بتعويضات عن أملاك اليهود الذين بدأوا فى مغادرة القاهرة اعتباراً من 1956 .

**** وفى العام 2006 أثيرت ضجة إعلامية بسبب منح** منظمة " بذور السلام " الأمريكية جائزة صانع السلام جون بى والش ، لزوجة الرئيس مبارك ، وتعاملت الصحف المصرية الرسمية مع الخبر على طريقة نصف الحقيقة ، متجاهلة أن " بذور السلام " منظمة صهيونية أنشئت عام 1993 بهدف تطبيع العلاقات بين العرب والإسرائيليين من خلال معسكرات سنوية تجمع عدداً من المراهقين من دول المنطقة وتقام بولاية مين ، حيث يقوم أمريكيون من أصول يهودية بمحاضرتهم وغرس ما يحلو لهم من أفكار فى رءوس هؤلاء الصبية .. ومنها ما حدث عام 2006 ، حيث قام تيم ويلسون، مدير المخيم ، بإلقاء محاضرة على الشباب ، وصف فيها أحداث 11 سبتمبر بأنها أقبح وجوه الإرهاب ، وعندما تطرق للحديث عن الانتفاضة الفلسطينية وصفها بأنها نوع آخر من الإرهاب ، أطلق عليه " الإرهاب العلنى " ، وقال: " إن الجماعات الفلسطينية التى تمارس الإرهاب ضد مدنيين إسرائيليين هى جماعات خارجة عن الشرعية ، وهذا المخيم يضم 400 شاب جاءوا من إسرائيل ومصر والأردن والمغرب وتونس وقطر واليمن ، وكانت دورات المخيم تمول من تبرعات منظمات صهيونية ثم خصصت له الحكومة الأمريكية منحة كبيرة ، لم تعلن قيمتها ومنحة من الكونجرس ، وأخرى من الخارجية الأمريكية خصصت لتغطية تكاليف 20 منحة دراسية للشباب العربى، لاستكمال دراستهم فى أمريكا وغسيل أدمغتهم .

المنظمة يترأسها آلان ميلر ، وهو مسئول سابق فى وزارة الخارجية الأمريكية وعمل مستشاراً فى المفاوضات العربية – الإسرائيلية وتركز نشاطاتها على تقبل إسرائيل كدولة . وقررت مؤخراً إنشاء عدد من المراكز الإقليمية بالعواصم العربية لغرس سمومها .

وجاء فى حيثيات منح المنظمة جائزتها لسوزان مبارك : " إنها من القيادات النسائية البارزة على مستوى العالم ، التى تدعو إلى نشر ثقافة السلام ونبذ

العنف وقبول الآخر وتؤمن بأن الشباب هم قادة السلام فى المستقبل وتشجع إقامة معسكرات سلام للشباب ! .

** **وفى بدايات عام 2006** قدرت مصادر أمنية عدد المتطرفين الإسرائيليين الذين شاركوا فى الاحتفال بمولد " أبو حصيرة " بنحو ألف زائر، مشيرة إلى أن الاحتفالات مرت بسلام من دون أن يعكر صفوها شيء .

واستقبلت قرية " دميتوه " التابعة لمحافظة البحيرة والكائن فيها قبر الإسكافى المغربى "أبو حصيرة" الذى يعتبره اليهود أحد أوليائهم الصالحين ، زوارها من المتطرفين اليهود الذين توافدوا على مصر فى رحلات طيران مكثفة قبل أيام ، ودخلوا القرية وسط إجراءات مشددة ، حيث فرضت أجهزة الأمن المصرية حصاراً شديداً عليها ، ومنعت الدخول إليها قبل موعد إقامة المولد بأيام .

ويدعى اليهود – كما أشرنا سلفاً – وكما سنوضح فى البند (ثالثاً) فى هذا الفصل والمخصص عن أبو حصيرة – منذ عام 1907 أن منطقة المقابر فى تلك القرية المصرية تضم رفات 88 من اليهود ، من بينهم مقبرة لحاخام يهودى من أولياء الله الصالحين ، من أصل مغربى يدعى أبو حصيرة وأن له " كرامات " مشهودة ، لكن أهالى القرية يقولون : إن أبو حصيرة لم يكن يهودياً وإنما كان إسكافياً مسلماً فقيراً جاء من المغرب إلى مصر ، وأنه مات فقيراً معدماً ، فقرر أهالى القرية دفنه فى مقابرهم .

ويتوافد على تلك القرية التى تبعد عن القاهرة نحو مائة كيلو متر ، فى الفترة من أواخر ديسمبر وحتى أوائل يناير من كل عام مئات من اليهود الإسرائيليين للتبرك بهذا القبر ، وسط استياء بالغ من أهالى القرية والقرى المحيطة بها ، بل إنهم بدأوا منذ العام 1978 فى مطالبة السلطات المصرية رسمياً تنظيم رحلات دينية إلى هذه القرية للاحتفال بالمولد الذى يستمر قرابة 15 يوماً .

ويحتفل المتطرفون الإسرائيليون بمولد أبو حصيرة وفق طقوس خاصة تبدأ بالجلوس عند مقبرته وتلاوة بعض الأدعية والتوسلات ثم الانخراط فى البكاء

الشديد ، ويقول بعض أهالى القرية : " أحياناً ما يقومون بذبح أضحيات غالباً ما تكون خرافاً أو خنازير ، وهم يشربون الخمور ويسكبون بعضها فوق المقبرة ثم لعقها قبل الرقص على بعض الأنغام اليهودية بشكل هستيرى بعد أن يشقوا ملابسهم " .

وأولى المتطرفون من رواد قبر أبو حصيرة اهتماماً كبيراً بمقبرته خلال السنوات الماضية رغم صدور حكم قضائى فى وقت سابق بمنع الاحتفالات بالمولد ، فأجروا عليها بعض التوسع وقاموا بكسوة الضريح بالرخام والرسوم اليهودية بل وقاموا ببناء سور من حولها .

** **وفى سياق آخر وتعليقاً على إحدى سقطات شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوى** وذلك بعد استقباله لحاخامات اليهود فى صحن الأزهر وفتاويه التى طالت المجاهدين فى فلسطين وفى كل مكان. ثم أتت سقطته الأهم بمصافحة شيمون بيريز فى نيويورك وتبادل الحديث الودى معه تعليقاً على هذا السقوط المتكرر لشيخ الأزهر ، كتب المستشار محمود الخضيرى فى صحيفة "الدستور" بتاريخ 2008/12/5 بعنوان " لطفاً إمامنا الأكبر فلن أصافحك بعد اليوم إلا !" وكان فيه تقريع شديد لمواقف الإمام الأكبر التى لا تُظهر إلا تخاذلاً وتواطؤاً مع أعداء الأمة " وفقاً للمقال .

وتساءل الخضيرى : هل لو أتى السيد الجليل حسن نصر الله أو المجاهد الفاضل خالد مشعل أو رئيس الوزراء المنتخب إسماعيل هنية ، فهل كان شيخ الأزهر سيقابلهم ويبتسم فى وجوههم ويربط على أيديهم داعياً لهم بالتوفيق والسداد ؛ لأنهم مجاهدون بحق أم أنه يفعل ما يُملى عليه من أجهزة الدولة ولا يتصرف باعتباره إماماً أكبر وشيخاً للأزهر بل يتصرف على أنه مجرد موظف فى الدولة يأخذ مرتبه منها فيفعل ما يؤمر ويوجه به.

ثم سأل الخضيرى شيخ الأزهر : ماذا ستقول لله غداً عندما تقف بين يديه وعندما يسألك عن هذا التصرف وقد شهدت عليك يدك قائلة : يا رب إن هذا الشيخ أمرنى بذلك .

** **فى السياق ذاته أبدى نواب** ونشطاء مصريون استياءهم الشديد بسبب مصافحة شيخ الأزهر سيد طنطاوى للرئيس الإسرائيلى شيمون بيريز خلال مؤتمر الأمم المتحدة لحوار الأديان ، وقد طالب العديد من نواب الشعب والنشطاء السياسيين ضرورة عزل شيخ الأزهر .

وقد أوضح سيد عسكر الأمين العام المساعد السابق لمجمع البحوث الإسلامية أن موقف طنطاوى ليس مستغرباً ولا جديداً ؛ لأنه يستند لمبرر باطل وهو أن النظام المصرى فى حالة سلام مع اليهود وهو يعتبر نفسه موظفاً حكومياً ليس إلا ، مستشهداً بمواقف طنطاوى السابقة واستقباله لحاخامات يهود فى الأزهر .

وأكد آخرون أن الجرم الأكبر الذى وقع فيه شيخ الأزهر والرؤساء العرب هو حضورهم لهذا المؤتمر السياسى الذى قدم تطبيعاً مجانياً مع إسرائيل تحت مظلة دينية تسمى " حوار الأديان " ، واعتبروا أن مجمل فتاوى علماء الأزهر تجرم التطبيع مع إسرائيل ، بل إن رسالة الدكتوراه للشيخ طنطاوى تتضمن جزءاً يقر بجرم التطبيع مع الصهاينة .

** **وفى العام 2009 أطلق حمدى زقزوق وزير الأوقاف المصرية دعوة – أثارت جدلاً – للمسلمين فى أنحاء العالم** لزيارة المسجد الأقصى المبارك فى القدس المحتلة بحجة أن هذه رسالة لكل العالم أن المسلمين لن يفرطوا فى الأقصى أو القدس وقد جوبهت دعوة زقزوق بالرفض التام من قطاعات كثيرة كان أهمها علماء المسلمين مثل د. نصر فريد واصل الذى أكد أن زيارة القدس تكريس للاحتلال الصهيونى فيما أكد الداعية محمد هداية أن التأشيرة الإسرائيلية تطبيع واعتراف بملكية الصهاينة للقدس .

فيما أكد الشيخ عكرمة صبرى – مفتى القدس – أن إسرائيل هى الرابح الوحيد من دعوة وزير الأوقاف المصرى وأن إسرائيل تخطط وتسعى لتدمير المسجد الأقصى وذلك بتكثيف الحفريات أسفل المسجد الأقصى ؛ لتؤثر على أساساته وما افتتاح الكنيس اليهودى أسفل المسجد الأقصى إلا محاولة من خطة طويلة المدى تهدف فى النهاية لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودى المزعوم.

**** وفى سياق مختلف نشرت صحيفة " صوت الأمة " فى 2009/6/6** مقالاً لعادل نجيب رزق حول إنشاء كنيسة ماكس ميتشل فى المقطم حيث أعرب الكاتب أنه يشم رائحة اليهود فى إنشاء هذه الكنيسة نظراً لما جاء فى بروتوكولات صهيون وعملهم الدائب على تشويه كل الأديان والعمل على تمزيقها من الداخل .

وأشار الكاتب إلى أن الكنيسة والمسيحية مستهدفة بشدة فى بروتوكولات صهيون منذ الكلمة التى ألقاها " ريس أهرون " مؤسس تلك البروتوكولات على قبر كبير حاخاماتهم شمعون بن يهوذا فى براغ عام 1896 والتى استهدفت المسيحية استهدافاً خاصاً .

والمتأمل للأمور بروية يجد تطابقاً كبيراً بين هذه البروتوكولات وبين ما ينادى به ماكس ميتشل ، فكلاهما يعمل بسياسة خادعة لهدم المسيحية من الداخل فضلاً عن مهاجمة ميتشل لقرار البابا شنودة لمنع زيارة الأقباط للقدس مادامت تحت الاحتلال الصهيونى .

**** وفى سياق آخر كتب السفير الإسرائيلى الأسبق بالقاهرة** تسيفى مازئيل وهو خبير الشئون العربية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى إسرائيل بحثاً عن " أزمة جماعة الإخوان المسلمين فى مصر " تناول فيه مستقبل الدور السياسى للإخوان فى مصر حسب رؤيته ، فأشار إلى وجود علاقات بين الولايات المتحدة والإخوان عام 2009 وكذلك وجود اتصالات بين الطرفين عام 2002 ، 2004 ، 2008 .

وزعم الخبير الإسرائيلى فى تقريره أن الجماعة استعداداً للانتخابات البرلمانية المقرر إجراؤها فى سبتمبر 2011 وأنها أنشأت خمسة أحزاب سياسية منها : الحرية والعدالة والوسط والتيار المصرى والريادة والتغيير والتنمية ، وأكد الخبير الإسرائيلى أن فرص الإخوان فى الانتخابات البرلمانية كبيرة جداً .
وأشار إلى موقف أمريكا المضطرب بسبب رغبتها فى إنشاء علاقات جيدة مع التيار الإسلامى تحسباً لفوزه فى الانتخابات مما سيضعها فى مواجهة مؤكدة مع الأحزاب العلمانية المعادية للإخوان للتيار الإسلامى برمته .ولم يخف تسيفى ميزائيل مشاعر الخوف التى تسيطر على الإسرائيليين بسبب الغموض الذى يكتنف العملية السياسية وما ستسفر عنه الانتخابات المقبلة .
**** وفى تلك الفترة ، وفى السياق ذاته قامت السلطات المصرية باعتقال** مجموعة تضم 85 شخصاً متهمين بجمع أموال للمقاومة الإسلامية فى فلسطين وهذه المجموعة يقودها إمام مسجد يدعى نشأت أحمد وشهرته نشأت المصرى وبعض أعضائها من مستويات راقية وهذا التنظيم أكد كثير من المصريين أنهم يتعاطفون مع أفراده ؛ لأن غايتهم سامية ونبيلة وهى تقديم العون والمساعدة لأفراد المقاومة المسلحة فى الأراضى العربية المحتلة .

***

<u>ثالثاً : التطبيع الدينى بالإكراه (مولد أبو حصيرة نموذجاً) :</u>

كان الاحتفال السنوى بمولد المدعو (أبو حصيرة) فى دمنهور ، مناسبة يستغلها الإسرائيليون للاختراق والتطبيع الدينى ، ورغم صدور أحكام قضائية برفض المولد إلا أن الإسرائيليين ، واستناداً إلى دعم النظام الحاكم للسياحة والتطبيع الواسع معهم ، أصروا على الحضور سنوياً وابتذال كل القيم المصرية فى هذه المناسبة واعتبروها شكلاً للاختراق الدينى المنظم ، لتحويل (أبو حصيرة) لما يشبه حائط مبكى جديداً فى مصر ، حول هذه القضية ننشر عدداً من

المتابعات والتقارير الإخبارية السنوية المتفاوتة لإبراز حجم الجريمة التى تمت ولاتزال مستمرة باسم الاحتفال بمولد أبو حصيرة .

1 – التقرير الأول : جريدة الأهالى فى 1991/1/2 وكان تحت عنوان "بسبب مقبرة أبو حصيرة..قرية " ديميتوه " تعيش تحت الحصار" جاء فيه : يلعن أبناء قرية **دميتوه** مركز دمنهور الحظ العاثر الذى جعل قريتهم هى مكان دفن الحاخام اليهودى أبو حصيرة وعدد آخر من الموتى اليهود فمنذ نهاية السبعينيات وحتى الآن تهدد قريتهم قوات الأمن التى جاءت لحماية اليهود الإسرائيليين – الذين جاءوا لزيارة الحاخام – ويفرضون حظر التجول على القرية مع وصول أى وفد إسرائيلى ويغلقون المنافذ المؤدية إلى مركز دمنهور وتتوقف مظاهر الحياة فى القرية حتى يغادرها الإسرائيليون فينهض أبناء القرية بسرعة لقضاء متطلباتهم قبل وصول مجموعة أخرى .

مع اقتراب موعد المولد الذى يحين فى الأسبوع القادم التقت " الأهالى " مع بعض أبناء القرية الذين قالوا : إن المقبرة اليهودية قد غيرت الحياة فالجميع يخافون من الخروج أو العودة فى الليل خوفاً من المساءلة أو الاحتجاز فى مقر المباحث وهو ما يحدث كثيراً .

أهالى القرية قدموا التماسات بتخفيض مدة المولد التى كانت تصل إلى أسبوع كامل والتى تتحول فيها القرية إلى سجن جماعى حتى ينعم الإسرائيليون بالأمن والأمان .

2 – التقرير الثانى : نشرته صحيفة " الشعب " فى 1998/1/2 وكان تحت عنوان " **اليهود يتحدون مشاعر المسلمين فى رمضان ويحتفلون بذكرى أبو حصيرة فى دمنهور !! " وجاء فيه :** دون احترام لمشاعر المسلمين وقدسية شهر رمضان الكريم احتفل الصهاينة يوم السبت الماضى بذكرى ميلاد اليهود أبو حصيرة للمرة السادسة عشرة على التوالى بقرية دميتوه التابعة لمركز دمنهور بمحافظة البحيرة **!!** .

وذكر مصدر وثيق الصلة بقضية أبو حصيرة لـ " الشعب " أنه كان متوقعاً إلغاء الاحتفال فى هذا العام بتلك المناسبة سيئة الذكر لأسباب منها وقوع موعد الاحتفال به فى بداية شهر رمضان وهو نهاية ديسمبر وأول يناير الحالى ، وبناء على اقتراح تقدم به مسئول تأجل الموعد إلى أجل غير مسمى، وأحدث إذاعة الخبر بمدينة دمنهور ارتياحاً بين الأهالى الذين اعتبروه بداية الخلاص من الوجود الصهيونى بالمحافظة ، ولكن إسرائيل استخدمت نفوذها للضغط على الحكومة لتحديد موعد لعقد الاحتفال حتى لا يفسر موقف الحكومة المصرية على أنه سير فى خط معاد للتطبيع مع إسرائيل ، واستند الصهاينة فيما سبق لسببين هما : ارتباط اليهود القادمين إلى دمنهور بمواعيد حجز على الطائرات التى أقلتهم من بلادهم إلى القاهرة، والثانى والمتعلق بشهر رمضان ومشاعر الصائمين رفع الحرج عنه شيخ الأزهر بلقائه مع حاخام إسرائيل الأكبر ، الأمر الذى اعتبرته إسرائيل من وجهة نظرها تطبيعاً دينياً ، إلى ذلك استنكر الصهاينة تأجيل الاحتفال عن الموعد الرسمى السابق الذى يتناسب مع أعياد الميلاد ورأس السنة !! .

وبعد انتصار اللوبى الصهيونى المدعم من الجمعية اليهودية بالإسكندرية صاحبة الدور الكبير فى تنظيم الاحتفال منذ سنوات ، صدرت التعليمات إلى القيادات الأمنية المعنية بالاستعداد لإقامة الاحتفال قبل موعده بثمانية أيام لوضع خطة صارمة لحماية اليهود القادمين إلى دمنهور لكل الأسباب السابق ذكرها وتحسباً لأى موقف طارىء .. وعقد مدير الأمن عدة اجتماعات حضرها مديرو القطاعات الأمنية المعنية ، وفى مقدمتهم رئيس مباحث أمن الدولة ومساعدوه الذين انتابهم حالة من الضيق والقرف لاضطرارهم إلى عدم الإفطار فى أماكنهم المعتادة وحراساتهم للصهاينة طوال ليلة قارسة البرد !! .

وفيما بعد جرت اتصالات بين مديريات الأمن فى محافظات البحيرة والإسكندرية والغربية والقليوبية تحت إشراف وزارة الداخلية لوضع خطة أمنية

مشتركة تمثلت فى حماية وفود الصهاينة القادمين بواسطة الطريق الزراعى السريع مصر – الإسكندرية بدوريات راكبة بسيارات الشرطة المجهزة بالأسلحة والجنود وأجهزة الاتصال المطلوبة حتى زمام محافظة البحيرة الذى يبدأ من ناحية الغربية عند كوبرى كفر الزيات ، ومن اتجاه الإسكندرية عند كوبرى أبيس ومن النقطتين السابقتين وداخل زمام البحيرة الممتد على الطريق حوالى 120 كم ارتفعت درجة الحراسة ، وذلك بوقوف جندى على الطريق الذى مر فيه موكب الصهاينة وآخر على بعد 200 متر منه بامتداده وحتى مدخل مدينة دمنهور ، وقامت دوريات الشرطة الراكبة بالمرور على الجنود حسب زمام عملهم ، وتلخصت مهامهم التى تم تنفيذها فى منع وجود أى سيارات على جانبى الطريق لأى سبب وسحب المعطل منها إلى مكان بعيد عن مجرى الطريق بعد تفتيشه بدقة كما جرى منع توقف المواطنين فرادى أو جماعات فى الأماكن السابقة ، وصدرت تعليمات شرطة المرافق ومجالس المدن لأصحاب محال الأطعمة والقهاوى وغيرها بإغلاقها طوال يومى الاحتفال وحتى صدور تعليمات برفع الحظر ، وحررت محاضر لبعض المخالفين لتلك التعليمات بمركز إيتاى البارود وكوم حمادة من ناحية التوفيقية ، إلى ذلك امتدت الإجراءات إلى داخل مدينة دمنهور نفسها ، حيث تمركزت منذ صباح السبت عند مدخلها الرئيسى الذى يبدأ بشارع عبد السلام عارف قوة كبيرة من رجال الشرطة وعربات وموتوسيكلات إدارة المرور لتوصيل الأتوبيسات التى حملت اليهود إلى أبو حصيرة مخترقة شوارع وسط المدينة التى أغلقت جميع المحال بها ، ووقف الجنود على مسافات متقاربة بامتداد الطريق !! .

إلى ذلك أصدر مجلس مدينة دمنهور تعليماته يوم الخميس الماضى بمنع وجود الباعة الجائلين فى الشوارع طوال فترة الاحتفال .

وأصدر أحمد جادو – وكيل وزارة التربية والتعليم – قراراً بتعطيل مدرسة دميتوه الابتدائية لمدة ثلاثة أيام ، وذهب المدرسون إلى القهاوى والتلاميذ إلى الشوارع وتحولت المدرسة إلى مقر لرجال الشرطة والفناء لموقف سيارات الحراسة !! .

وقبل غروب الشمس قام بعض رجال الشرطة بالتمركز فوق أسطح المنازل المحيطة بالمنطقة ، وهم يحملون الأسلحة الأتوماتيكية وأجهزة الرؤية الليلية كما صدرت أيضاً التعليمات إلى أهالى عزبة سعد وقرية دميتوه الواقعة شرق المقبرة مباشرة بعدم استخدام الطريق المواصل بينهما ويمر بجوار أبو حصيرة ، حيث تم إغلاقه من الناحيتين بقطع من قماش السرادقات لحماية اليهود من البرد ومنعهم من الاتصال بالجمهور الذى وقف العشرات منهم خلف زجاج شبابيك منازلهم وفوق أسطحها يتابعون مراسم الاحتفال التى بدأت قرب العشاء بقبلات ورقصات ماجنة وأجساد عارية ودموع ذرفها الصهاينة خاصة من المرضى الذين قدموا من خارج إسرائيل للطلب من أبو حصيرة شفاءهم من علتهم حسب ما صورت لهم أجهزة الدعاية الصهيونية .

****

<u>3 – التقرير الثالث :</u> جريدة الأسبوع 1999/1/11 وكان تحت عنوان " أيام سوداء عاشها المصريون بقرية دميتوه .. إغلاق المدارس والمتاجر والشوارع فى البحيرة لاستقبال صهاينة " أبو حصيرة " جاء فيه : سادت مشاعر الحزن والأسى مواطنى البحيرة وتنفسوا رغماً عنهم هواء فاسداً بعد أن طالعتهم وجوه القردة والخنازير من الصهاينة الذين دنسوا أرض المحافظة للاحتفال بذكرى الحاخام اليهودى أبو حصيرة بقرية دميتوه بمركز دمنهور .

زاد من سخط أبناء البحيرة وغضبهم أن هذا الاحتفال الممقوت جاء فى أيام مباركة للمسلمين والمسيحيين على السواء بعد أن ظنوا أنه لن يقام هذا الاحتفال مرة أخرى ، حيث تم إلغاؤه فى العام الماضى إلا أن المحكمة الإدارية العليا

حكمت بإقامته ورفضت الدعوى التى رفعها مصطفى رسلان المحامى لإلغاء هذا الاحتفال .

وكانت الحكومة الإسرائيلية والجمعية اليهودية بالاسكندرية قد مارستا ضغوطاً على الحكومة المصرية لإقامة الاحتفال فى موعده وهو الأمر الذى أدى إلى ارتباك الحياة فى محافظة البحيرة حيث حاصرت مدنها وقراها قوات الشرطة التى جاءت لحماية الصهاينة المشاركين فى الاحتفالات وتم إعداد خطة أمنية شارك فى إعدادها قيادات وزارة الداخلية ومديرو الأمن فى محافظتى البحيرة والإسكندرية .

تمثلت الخطة الأمنية فى حماية وفود الصهاينة القادمين من طريق مصر – الإسكندرية الزراعى حيث تابعتهم سيارات الشرطة واصطف جنود الأمن المركزى على مداخل محافظة البحيرة وتم إخلاء شوارعها من المارة والسيارات وأصدر مجلس المدينة تعليمات بإغلاق المحلات التجارية والورش والمقاهى طوال أيام الاحتفال وأصدرت مديرية التربية والتعليم قراراً بتعطيل الدراسة بمدرسة دميتوه الابتدائية لمدة ثلاثة أيام وفرض حظر تجوال على سكانها الذين اضطروا لملازمة منازلهم وتمركز جنود الشرطة فوق أسطح منازل القرية لحماية الكلاب !! .

ووصف المصور الصهيونى كاهانا الإجراءات الأمنية المصرية للاحتفال بأنها كانت مشددة وزاد عدد أفراد قوات الشرطة إلى عدة آلاف لحماية الاحتفال بمولد أبو حصيرة الذى شارك فيه أكثر من ألف إسرائيلى .

***

<u>4 – التقرير الرابع : الوفد 2004/1/15 وكان تحت عنوان " جاء من المغرب ليموت فى مصر .. والمحكمة تقول: " لا قيمة لهّ" .. نهاية أسطورة الحاخام " أبو حصيرة" " وجاء فيه:</u>لا أحد يعلم على وجه التحديد لماذا تصر وزارة الثقافة على أن المقبرة الموجودة فى قرية "دميتوه" مركز دمنهور بالبحيرة تضم

رفات شخصية يهودية تدعى " أبو حصيرة" ؟! ما هى الشواهد التاريخية التى اعتمدت عليها الوزارة لتأكيد هذا ؟! وهل هذه الشواهد التاريخية كافية لإصرار الوزارة على ضم المقبرة إلى هيئة الآثار واعتبارها أثراً يهوديا ؟!.

بعد إتفاقية كامب ديفيد سعى الإسرائيليون خاصة اليهود العرب منهم إلى إثارة موضوع مقام أبو حصيرة وبالتنسيق مع حكومة اللوبى الصهيونى نجحوا فى الوصول إلى المقام والاحتفال به سنوياً على اعتبار أنه من الصديقين اليهود ، فى أوائل شهر يناير من كل عام يأتى إلى قرية "دميتوه" مئات اليهود من إسرائيل وفرنسا وأمريكا محملين بأطعمتهم وأشربتهم للاحتفال بهذا الصِديق وأمام هذا الحشد السنوى الذى يشكل عبئاً على رجال الأمن اهتمت وزارة الثقافة بالمقام وتعاونت– على ما أظن– مع الجالية اليهودية بالإسكندرية على ترميم وتطوير المقبرة وتحويلها إلى مقام كبير له باحة واسعة تصلح لإقامة الإحتفال. بسبب المشاكل الأمنية التى تقام لتأمين المحتفين اليهود اشتكى سكان القرية والقرى المجاورة من إغلاق الطرق وصعوبة التحرك خلال الاحتفال خاصة وأنه يستمر لمدة سبعة أيام وقامت مجموعة من المحامين بالقرية باللجوء إلى المحكمة لإيقاف هذا الاحتفال لتضررهم الشديد.

تحركت وزارة الثقافة واعتبرت نفسها خصماً ودخلت ساحة المحكمة مصرة على إقامة الاحتفال السنوى وضم المقام إلى هيئة الآثار ، والأسبوع الماضى فقط صدر حكم المحكمة الإدارية العليا برفض زعم وزارة الثقافة وإلغاء الاحتفال والذى وصلنا من منطوق الحكم ونشر بالصحف أن المحكمة لم يتوفر لها ما يثبت أن المقام لشخصية يهودية أو مسيحية أو إسلامية وهو ما يعنى نفى الزعم بأن المقام يضم رفات أبو حصيرة اليهودى, وهو ما يترتب عليه منطقياًَ إيقاف الاحتفال السنوى به لأن صاحب المقام شخصية وهمية . والذى يحاول أن يقتفى أثر هذا المقام أو هذه الشخصية المزعومة تواجه مشكلة فى غاية الأهمية وهى عدم توافر المصدر التاريخية التى تشير لها اللهم سوى بعض

الإعلانات التى نشرتها الجالية اليهودية المصرية فى الصحف اليهودية بموعد الاحتفال بمولد الحاخام اليهودى وكذلك بعض أوراق "الجنيزا" التى تشير للاحتفال وللجنة المشرفة على المقام وإضافة إلى كتاب حاييم الزعفرانى – يهودى مغربى – "ألف سنة من حياة اليهود فى المغرب" ترجمة أحمد شحلان وعبد الغنى أبو العزم , وأيضاً تسجيلات مركز الفنون الشعبية بالقاهرة عن احتفالات أبو حصيرة (شريط رقم "14" محافظة البحيرة) وإذا تأملنا هذه المصادر تكتشف بسهولة أنها– عدا تسجيلات مركز الفنون الشعبية – يهودية وتمثل وجهة نظر اليهود فوثائق الجينزا وهى الأوراق التى يدفنها اليهود فى المقابر أو المعابد بدلاً من إحراقها التى أشارت للضريح أقدمها يعود إلى سنة 1945 وكذلك الإعلانات التى تم نشرها فى الصحف ومنها ما يعود إلى عام 1961 ونصوصها تشير إلى الاحتفالية وليس إلى تاريخ الشخصية .

من هذه الأوراق رسالة من لجنة تم تشكيلها للإشراف على تشييد ضريح لأبو حصيرة تم توجيهه إلى الحاخام الأكبر لليهود المصريين والى مدير مديرية البحيرة عام 1945 جاء فيه:

لجنة تشييد ضريح الطيب الذكر الراب يعقوب أبو حصيرة بدمنهور حضرة الأخ المحترم:

يسرنا أن نحيطكم علماً أننا تلبية لأمنية طالما رددها لفيف كبير من الحجاج المواظبين على زيارة ضريح الطيب الذكر الراب يعقوب أبو حصيرة بدمنهور وهى أمنية ترمى إلى إقامة ضريح يليق بمقام روح الفقيد الطاهرة ، قد تألفت لجنة من الأمناء موضحة أسماؤهم فى الكشف المرفق ، مهمتها تحقيق أمانى كثير من أبناء طائفتنا وتكريم ذكرى الفقيد الجليل على أكمل الوجوه وقد حصلت اللجنة المذكورة على تصريح من سعادة مدير البحيرة تحت ظل رعاية صاحب الجلالة الفاروق المحبوب وقد ابتاعت الطائفة الإسرائيلية بدمنهور الأراضى المحيطة بقبر الفقيد الجليل وتزودت اللجنة بمهندسين متخصصين فى

هذا النوع من الأعمال وتبرع الخواجة أصلان فيدون وحرمه المصون بضريح من المرمر وتعهد حضرة المهندس موشيه فرينكوف سير الأشغال بالمجان ويسر اللجنة أن تبدى لسالفى الذكر خالص امتنانهم لغيرتهم المشكورة وأريحيتهم المحمودة ولا تشك اللجنة فى أن جميع الأعضاء البارزين والمحسنين المعروفين فى طوائفنا الإسرائيلية سيقتفون أثر المذكورين, ولا ريب أنهم يشعرون بارتياح عظيم لتلك الخطوة المباركة التى اختطوها بناء على طلب الجميع لكى يشيدوا للطبيب الذكر الراب يعقوب أبو حصيرة مقاماً لائقاً بمكانته الرفيعة وسيجد المحسنون الكرام فى الكشف بياناً عن كيفية الاكتتاب لهذا المشروع ولنا وطيد الأمل فى أن تجد دعوتنا هذه أذاناً صاغية من حضرتكم.

كشف الأسماء:

* دمنهور:

- الخواجة جيمس كوهين رئيس الطائفة الإسرائيلية بدمنهور.
- الخواجة يوسف موسى مدير مصنع الحليج لفرغلى باشا.
- الخواجة داوود مالح وكيل فورد فوردسون.
- الخواجة مسعود أزوبلوس شريك شركة داوود المالح.

* الإسكندرية:

- الخواجة رفائيل وعيش – صندوق بريد رقم "117" .
- الخواجة جاك شربيط – 129 شارع كويج.
- الخواجة جاك بويلى مدير محل داوود روفيه وأولاده 126 شارع كويج.
- الخواجة ألبير طبول – 11 شارع سعيد الأول.

* القاهرة:

- الخواجة سلامون يعقوب بنزاكين – 2 شارع بين النهرين.
- الخواجة إبرامينو كارو– 9 شارع حارة الشيشينى.

كيفية الاكتتاب:

يمكن أى متبرع بمبلغ ما أن يرسل أو يسلم ما تجود به نفسه من نقدية أو تحويل بموجب إيصال إلى أحد الخواجات عاليه.

سينقش اسم كل متبرع بمبلغ 50 أو 100 جنيه مصرى أو أكثر بأحرف مذهبة على اللوحة التى ستوضع على مدخل الضريح.

سينقش اسم كل متبرع بمبلغ 25 جنيهاً مصرياً أو أكثر على قطعة من الحجارة المكونة من حائط السور.

وفى 26 أبريل سنة 1945 رد الحاخام الأكبر :

" حاخامخانة مصر .. مكتب الحاخام الأكبر"

حضرة المحترم رئيس الطائفة الإسرائيلية بدمنهور ., بعد التحية – رداً على خطابكم المؤرخ فى 11-3-1945 يسرنا أن نقدم لكم عظيم تقديرنا على المجهود المشكور الذى بذلتموه نحو تشييد ضريح العلامة الراب يعقوب أبو حصيرة ونحيط حضرتكم علماً بأننا أرسلنا إعلانات فى هذا الشأن إلى جميع المعابد لحث الجمهور المتبرع لهذا العمل الإنسانى الذى تحت رعاية صاحب العزة محمد كمال الطرابلسى بك مدير البحيرة، واقبلوا وافر دعواتى وتحياتى.

القاهرة فى 26 أبريل 1945 – الحاخام الأكبر حايم ناحوم.

وفى 11 مارس أى فى نفس اليوم صدور خطاب اللجنة رد مدير البحيرة على اللجنة : " جناب المحترم رئيس الطائفة الإسرائيلية بدمنهور ، تلقيت اليوم كتابكم وعلمت مغتبطاً عزمكم على تجديد ضريح المرحوم السيد يعقوب أبو حصيرة وتشييد بناء يتناسب مع ما للفقيد من مكانة وإجلال فى قلوب الطائفة الإسرائيلية , ويسرنى أن أحييكم على هذا الكتاب بقبولى عرض مشروعكم الذى سينال منى بمشيئة الله كل تشجيع وتعضيد داعياً لكم بالتوفيق لما فيه خير الطائفة.

مدير البحيرة

محمد كمال الطرابلسى.

ويتضح من هذه الوثائق التى نشرتها الدكتورة سوزان السعيد يوسف فى كتابها " المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية .. دراسة عن مولد أبى حصيرة بمحافظة البحيرة " أن الطائفة اليهودية كانت تحتفل بالمولد قبل سنة 1945 وأنه تم تشكيل لجنة تحويل المقبرة إلى ضريح وقد قام أثرياء اليهود بالتبرع لإقامة الضريح ، وتشير أيضاً أنه بموافقة وتأييد مديرية البحيرة تم شراء بعض الأراضى المجاورة للمقبرة وتشييد سور حوله.

وإذا كانت الوثائق تؤكد احتفال الطائفة اليهودية المصرية بصاحب المقام فهى ليست دليلاً كافياً على أن "المقبور" فى المقام هو يعقوب أبو حصيرة , كما أن الوثائق المتوفرة لا تشير إلى جنسيته ولا إلى حياته وكيفية دفنه ولا حتى إلى هذه المقبرة كانت له.

الدكتورة سوزان السعيد يوسف عند دراستها لطقوس مولد أبو حصيرة من الزاوية الفلكلورية خصصت فصلاً فى كتابها للحديث عن حياة أبو حصيرة وعائلته وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على كتاب اليهودى حاييم الزعفرانى " ألف سنة من حياة اليهود فى المغرب" الصادر عن الدار البيضاء سنة 1986 والمادة التى أثبتتها عنه وتناولت نسب أبو حصيرة تشير فقط إلى أنه من يهود المغرب وأنه يعد الصديق الثانى من حيث المكانة بين الصديقين فى إسرائيل بعد شمعون بن يوحاى (واضع كتاب الزهور) وأن مولده كان فى 1807 ووفاته فى 1880 ميلادية وأن يعقوب أبو حصيرة هو مؤسس هذه العائلة وأن عائلة أبو حصيرة – الأحفاد– تعيش الآن فى جنوب إسرائيل فى بئر سبع باعتبارها عائلة مقدسة وقد اعتمدت د. سوزان على بعض المراجع العبرية التى تشير إلى حياته وأفعاله حيث أكدت أنه قام بتأسيس مدرسة فى منزله فى مدينة ريسانى بمحافظة تأديليت وهى مدرسة صوفية وأنه – يعقوب أبو حصيرة– كان يعمل على عودة اليهود إلى فلسطين وينتقل بذلك إلى القدس ويمر فى طريقه بمصر . وعن مصدر عبرى أشارت الدكتورة إلى أنه توفى فى قرية دميتوه عام 1880 وأن

اليهود يرجعون إلى الضريح إلى عام وفاته وقد كان البناء على شكل قبو ويحاط بسور بسيط وكان من الطوب اللبن وحسب المصدر العبرى كتب على القبر :

" مكان دفن إنسان عزيز

ويالهف قلبى لم يدفن فى أرضه

السيد العظيم الذى قدم من المغرب

الرابى العظيم أبو الشرائع المتصوف

المقدس العارف بالخفايا فى السر والعلن"

يعقوب أبو حصيرة أنفعنا الله ببركته قد دفن فى يوم 20 من شهر طبت– السنة اليهودية – سنة 1880 ".

وأشارت إلى أن الضريح يخضع الآن من الناحية الإدارية للجمعية الإسرائيلية فى الإسكندرية التى تتولى الإشراف على على الشئون الدينية اليهودية الربانيين بالإسكندرية والبحيرة ويحيط بالضريح مقابر اليهود من جوانب ثلاثة وعددها 89 مقبرة ويدفن فى كل مقبر جثة واحدة حيث إن المقابر لا تفتح بعد إغلاقها حسب الشريعة اليهودية .

ورصدت الدكتورة سوزان فى كتابها للمعتقدات الشعبية فى القرية عن صاحب المقام وبين مما أثبتته أن المصريين لا يعلمون هوية صاحب المقام ، لكن أهل القرية يعتقدون بأن سره باتع وأنه يشفى المرضى خاصة الأمراض الجلدية .

ومع أن دراسة الدكتورة سوزان هى الوحيدة فى هذا الموضوع ، ومع أنها تناولت حياته إلا أنها فى النهاية دراسة فولكلورية فى الأساس وليست تاريخية, كما أنها اعتمدت على مراجع يهودية ، ولم توضح لنا كيفية وصوله إلى مصر ، فقط أشارت – حسب المراجع التى اعتمدت عليها إلى أنه كان ذاهباً إلى القدس ماراً بمصر ومات فى القرية وأغلب الظن أن ما أثبتته المصادر اليهودية يعتمد على الرواية الشفاهية وهى فى الأعم نسجت تفاصيلها من الخيال الشعبى ، ولا

يستطيع الباحث أخذها موضع الجد والاعتماد عليها كمصدر لكتابة حياة يعقوب أبو حصيرة هذا بالإضافة إلى أن الموسوعات اليهودية لم تتناول شخصية هذا الصِديق الصوفى ، ومن هنا نستطيع أن نطمئن للقول بأننا لا نمتلك بالفعل المصادر العلمية حول حياة ووفاة أبو حصيرة.

وهو ما يثير الدهشة عندما نعلم إصرار وزارة الثقافة على التأكيد أن صاحب المقام هو يعقوب أبو حصيرة وأنه دفن بالفعل فى هذه المقبرة وأن الوزارة كانت تنوى ضم مقامه إلى الآثار وهذه المحاولة الأخيرة لو كانت تمت لأثبتت الوزارة للإسرائيليين وهماً من خيالهم كما سبق وفعل الرحالة والمؤرخون المسلمون مع قبور الأنبياء اليهود فى فلسطين حيث اعتمدوا على الأحلام فى تحديد مقابر سيدنا يوسف ويعقوب وإبراهيم وإسحاق وداوود وسليمان.

والغريب فى الأمر أن تسعى وزارة الثقافة إلى خطوة مثل هذه , قبل أن تتأكد من الوثائق والمراجع هذا مع وجود لجان للتاريخ القديم والوسيط والحديث فى دار الكتب وأخرى فى المجلس الأعلى للثقافة وأيضاً ضمن هيئات الوزارة قبل اتخاذ قرار بضم مقام أبو حصيرة للآثار قبل التأكد من تاريخ الشخصية من المصادر والوثائق العربية؟!.

****

<u>5 – التقرير الخامس :</u> الأهرام 2001/9/6 وكان تحت عنوان " **فى حكم مهم لمحكمة القضاء الإدارى بالإسكندرية : إلغاء احتفالية الحاخام اليهودى (أبو حصيرة) لطقوسها المخالفة للآداب العامة والتقاليد الإسلامية ووقف قرار وزير الثقافة باعتبار الضريح أثراً مصرياً لانطوائه على مغالطة تاريخية ومخالفته القانون** " **وجاء فيه :** قضت محكمة القضاء الإدارى بالإسكندرية (دائرة البحيرة) بوقف تنفيذ قرار وزير الثقافة فيما تضمنه من اعتبار ضريح الحاخام اليهودى (أبو حصيرة) والمقابر اليهودية التى حوله بقرية (دميتوه) فى دمنهور من الآثار الإسلامية والقبطية وما يترتب على ذلك القرار من آثار

أخصها وقف الاحتفالية السنوية لمولد (أبو حصيرة) والتى تقام فى 26 ديسمبر من كل عام وحتى 2 يناير التالى , كما رفضت المحكمة طلب المدعى بنقل رفات أبو حصيرة خارج مصر لعدم وجود ضرورة ملحة لذلك وألزمت الجهة الإدارية بالمصروفات, صدر الحكم برئاسة المستشار مهند كامل عباس نائب رئيس مجلس الدولة وعضوية المستشارين على إسماعيل عبد الحافظ والمستشار الدكتور محمد عبد الوهاب خفاجى .

قالت المحكمة : إن الدستور المصرى قد كفل حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية مادامت لا تخل بالنظام العام ولا تتنافى مع الآداب العامة وهذا مرجعه سماحة الإسلام والتفاهم الواعى لحرية العقيدة التى حرصت مصر على إعلانها فى كل مناسبة ، وبالتالى فإن التمتع بحرية ممارسة الشعائر الدينية وطهارتها وألا تكون سبباً فى الاحتكاك بين الطوائف الدينية المختلفة وإثارة الفتن بينهما ، ولما كان الاحتفال السنوى بمولد الحاخام (أبو حصيرة) وما يصاحبه من ممارسات أبرزها المدعى فى صحيفة الدعوى دون أن تدحضها الإدارة تتمثل فى قيام اليهود الزائرين للضريح باحتساء الخمور والتبرج وارتكاب الموبقات والمحرمات والظهور بمظهر يتعارض مع التقاليد الإسلامية والآداب العامة ، الأمر الذى يشكل مساساً بالأمن العام والسكينة العامة وينطوى على إيذاء الشعور الإنسانى للمسلمين والأقباط فى مصر خاصة وهم يرون مقدساتهم الإسلامية والمسيحية تنتهك فى القدس دون مراعاة لما احتوته الأديان السماوية من قيم واحترام تمثل فى اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلى ساحة المسجد الأقصى وما سبق من قيام المتطرفين اليهود " جماعة أمناء جبل الهيكل " بوضع حجر أساس بشكل رمزى لبناء الهيكل اليهودى الثالث المزعوم بالقرب من باب المغاربة بحكم من المحكمة الإسرائيلية العليا رغم أن القدس أرض محتلة وغير معترف وفقاً للقانون الدولى بشرعية أى تصرف إسرائيل فيها وهذا ما يثير مشاعر المسلمين بالمساس بأقدس المقدسات الإسلامية بالحرم

القدسى الشريف ، فضلاً عن المجزرة التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية فى أكتوبر 90 بإطلاقها النار على المصلين ومحاولة إحراق المسجد الأقصى عام 69 كما أن ما يحدث فى القدس يثير مشاعر المسيحيين كذلك فى بيت لحم وبيت جالا وبيت حجود وما يمثله هذا الاعتداء الوحشى الذى لم يسبق له مثيل من قتل المدنيين والأطفال بقذائف الدبابات والصواريخ وطائرات الأباتشى و " إف 16 وإف 15 " وهدم المنازل فوق رءوس أهلها رغم ما تبذله مصر كداعية أمن وسلام لا حرب ودمار ، الأمر الذى يكون معه إقامة تلك الاحتفالية فى تلك الظروف والملابسات مما يمس الأمن العام والسكينة العامة مما يتعين معه الحكم بوقف إقامة تلك الاحتفالية .

أما عن طلب المدعى نقل رفات (أبو حصيرة) خارج مصر قالت المحكمة : إن الإسلام يتخذ موقفاً متسامحاً تجاه الأديان الأخرى ليرسخ مبادىء العدل والمساواة بين الناس ، ولما كانت الطوائف غير الإسلامية من أهل الكتاب تتمتع فى مصر بحرية واحترام وكان الإسلام يحترم موتاهم وينبذ نبش قبورهم بما يحمله ذلك من سماحة وسلام ، فإن المطالبة بنقل رفات أبو حصيرة يتعارض مع سماحة الإسلام ونظرته الكريمة لأهل الكتاب واحترام قبور موتاهم بحسبانها مأوى المرء أياً كانت ديانته بعد مماته ، وإذا خلا ظاهر الأوراق من ثمة ضرورة ملحة تقتضى نقل هذا الرفات ومن ثم يغدو هذا الطلب غير مستند لأساس سليم ويتعين رفضه.

<u>* وقف قرار وزير الثقافة</u>

وأضافت المحكمة أن قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح أبو حصيرة من الآثار الإسلامية والقبطية يعد مخالفاً للقانون مخالفة جسيمة تصل به لحد العدم لانطوائه على مغالطة تاريخية تمس كيان تراث الشعب المصرى الذى هو ملك لأجيال الأمة وليس ملكاً لأشخاص ، كما ينطوى على إهدار فادح لما انتهجه المشرع المصرى من عدم اعترافه بأى تأثير يذكر من اليهود إبان إقامتهم

القصيرة فى مصر على أى شأن مما أنتجته الحضارات المختلفة التى قامت على أرضها ، وأضافت المحكمة أن وزير الثقافة أصدر قراره المطعون فيه باعتبار ضريح (أبو حصيرة) من الآثار الإسلامية والقبطية بعد أيام معدودات من إقامة الدعوى ، أى أنه لم يصدر القرار السالف إلا بمناسبة رفع الدعوى بقصد إضفاء الشرعية على الاحتفالية السنوية للحاخام اليهودى التى تؤذى مشاعر المسلمين والأقباط فى مصر بسبب الممارسات اللاأخلاقية التى تتم فيها هذه الممارسات وبالتالى يكون قرار الوزير قد تنكب وجه المصلحة العامة التى يجب أن يتغياها القرار حيث أصدره بباعث لا يمت إلى تلك المصلحة ، إذ إن هذا الضريح موجود منذ زمن ولم يشرع وزير الثقافة فى إصدار قراره بإضفاء صفة الأثر عليه إلا بمناسبة رفع الدعوى إذ جاء لاحقاً على إقامتها مما يعد ضرباً من ضروب تعمد مخالفة القانون مع التظاهر باحترامه مما يشوبه بعيب الانحراف بالسلطة ، وأضافت المحكمة أنه لا يمكن عقلاً ومنطقاً اعتبار ضريح الحاخام اليهودى والمقابر اليهودية التى حوله من قبيل الآثار الإسلامية والقبطية إذ إنه لا يدين لا للإسلام أو المسيحية ومن ثم فإن إسباغ وصف الأثر الإسلامى أو القبطى على مقابر يهودية يمكن أن يثير فتنة بين من ينتمون إلى هذه الديانات إذ كيف يكون الأثر إسلامياً أو قبطياً حال كون ديانة صاحبه يهودية ؟! الأمر الذى يبين معه أن وزير الثقافة لم يستطع أن يعتبر تلك المقابر أثراً يهودياً لعدم اعتراف المشرع المصرى بأى تأثير يذكر على أى من وجوه الحضارة المصرية فأراد أن يضفى على تلك المقابر صفة الإسلامى والقبطى بالمخالفة للقانون والتاريخ قاصداً إضفاء الصفة الشرعية على الاحتفالية مما يمثل خروجاً سافراً عن أهداف القانون ، وبالتالى يكون قرار الوزير قد ولد ميتاً إلى حد الانعدام مما يتعين وقف تنفيذه وأضافت المحكمة أن التاريخ لم يثبت أن اليهود خلال إقامتهم فى مصر كانوا قوم حضارة ، بل كانوا متنقلين يعيشون فى الخيام ولم يتركوا فى مصر ثمة أثر ، يذكر فى العصر

الفرعونى ، ذلك أن إسرائيل كدولة اعترف بها فريق من الدول تعد خلفاً حديثاً كان ميلاده فى الشهر الخامس من عام 48 ، ومن ثم فإن كل ما له صلة أو رابطة باليهود لا يمكن بأى حال اعتباره من الآثار المصرية وإلا عد ذلك تزييفاً للتاريخ الفرعونى وإهداراً للحضارة المصرية القديمة وإنكاراً للتراث الإنسانى وقد أورد المشرع قيدين على وصف الآثار أولها موضوعى يتمثل فى أن يكون الأثر مما أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والعلوم والأديان من عصر ما قبل التاريخ والعصور التاريخية المتعاقبة ، والقيد الثانى زمنى بأن يكون الأثر من التاريخ القديم حتى ما قبل مائة عام بشرط أن يكن له قيمة أو أهمية تاريخية فى حين أن ضريح أبو حصيرة مجرد مقبرة لشخص عادى لا يمثل ضريحه أو المقابر المحيطة به أية قيمة حضارية أو ثقافية للشعب المصرى .

****

6 – **التقرير السادس : الأسبوع 2001/2/8 وتحت عنوان " بعد أن أنقذ القضاء مصر من مستوطنة " أبو حصيرة "وزارة الثقافة تطعن فى الحكم .. والطعن الإسرائيلى فى الطريق ! " وجاء فيه :** فى تطور خطير لقضية " أبو حصيرة " الحاخام اليهودى المزعوم يستعد "آفى شاى بارهوشر" أحد منظمى رحلات " الحج " الإسرائيلى إلى ضريح أبو حصيرة للطعن فى حكم محكمة القضاء الإدارى بالاسكندرية – دائرة البحيرة – والذى يقضى بوقف الاحتفال بمولد أبو حصيرة السنوى لتعارضه مع التقاليد والقيم المصرية .وكان شهر ديسمبر 2000 قد شهدت ضغوطاً إسرائيلية كبيرة بواسطة الرئيس الإسرائيلى السابق عيزرا وايزمان ومسئولين بالخارجية الإسرائيلية للتأثير على السلطات المصرية لتغيير قرار منع "الحج!!" إلى أبو حصيرة بعد حكم المحكمة .

وفى تعقيبه على القضية للإذاعة الإسرائيلية قال إيهاب الشريف القائم بأعمال السفارة المصرية فى تل أبيب : إن منع زيارات اليهود مسألة قانونية حيث

استخدم أهالى دمنهور حقهم القانونى فى رفع قضية لمنع زيارات اليهود إلى قريتهم حيث كانت تصاحب زياراتهم بعض الطقوس التى تخالف التقاليد الريفية المصرية وقد حكمت المحكمة لصالحهم .

وأشار الشريف إلى أن اليهود يمكنهم التقدم باستئناف إلى محكمة الاستئناف المصرى لكى تتخذ قراراً بهذا الأمر !! .

المثير أن وزارة الثقافة المصرية[1] قد تقدمت بطعن فى حكم محكمة القضاء الإدارى أمام المحكمة الإدارية العليا لإلغاء قرار استبعاد ضريح أبو حصيرة من دائرة الآثار الإسلامية والقبطية ووقف إقامة احتفالية أبو حصيرة السنوية!! .

تضمنت مذكرة الطعن التى تقدمت بها هيئة قضايا الدولة نيابة عن وزير الثقافة أن وزارة الثقافة عن طريق أجهزتها الفنية هى التى تختص بإضفاء الصفة الأثرية على الآثار ولا اختصاص للقضاء الإدارى بذلك وأن هذه السلطة هى سلطة مطلقة لوزارة الثقافة !! .وإذا كنا نعلم الأسباب التى تدفع منظم رحلات " الحج " الإسرائيلى للطعن فى حكم محكمة القضاء الإدارى، فإننا حتى الآن لا نعرف ما هى الأسباب التى دفعت وزارة الثقافة المصرية للطعن فى الحكم والتى تتحدى بها المشاعر المصرية والوطنية وقبلها الأعراف والقوانين الأثرية .

وقبل أن نعرض قضية أبو حصيرة وهل الضريح أثر أم لا ، نود أن نشير إلى أن حكم محكمة القضاء الإدارى أنقذ أهالى البحيرة وبشكل خاص قرية " دميتوه " التى يقع بها الضريح من احتفالات الصهاينة الماجنة والمثيرة بالحاخام المزعوم والتى كانت تبدأ فى 26 من ديسمبر من كل عام وتنتهى فى الثانى من يناير فى العام التالى وتتضمن شرب الخمور والرقص والعربدة حتى الصباح بما يتنافى مع طبيعة وتقاليد الشعب المصرى كما جاء فى حيثيات حكم المحكمة : أنقذ الحكم أيضاً أهالى البحيرة من الاحتياطيات الأمنية

[1] كان يرأس وزارة الثقافة آنئذ (فاروق حسنى) الذى روج لنفسه كما روج أتباعه من بعض المثقفين أنه ضد "التطبيع" ، وتأتى هذه القضية وموقفه منها ، لتؤكد أنه لم يكن معادياً للتطبيع ، ويزيد الأمر وضوحاً موقفه من إسرائيل أثناء ترشحه لليونسكو (انظر : الباب الثقافى)

المشددة التى تحول القرية قبل الاحتفال إلى ثكنة عسكرية يتم فيها تفتيش الأهالى وحظر التجوال واحتلال قوات الشرطة لأسطح المنازل ومحاصرتها لحماية الصهاينة !! .

الحكم التاريخى للقضاء المصرى تصدى لمحاولات الصهاينة اختراق الجبهة الشعبية المناهضة للتطبيع والسماح للإسرائيليين بالوجود على الأرض المصرية والتجول فى القرى بين الفلاحين .. بقى القول أن حكم القضاء فتح الباب أمامنا لتقييم أداء المجلس الأعلى للآثار فيما يتعلق بما يطلقون عليه الآثار اليهودية وكيف أن المجلس دائم الاستجابة لضغوط الصهاينة التى تريد أن تخلق لليهود دوراً مؤثراً فى الحضارة والتاريخ المصرى واضح أن المجلس ينوى التعامل مع اليهود باعتبارهم أصحاب حضارة فالآثار هى كل ما تنتجه الحضارات المختلفة واليهود لم يكن لهم حضارة على الإطلاق بل عاشوا طوال تاريخهم على هامش الشعوب .

نعود إلى أبو حصيرة حيث تقول روايات أهالى البحيرة من كبار السن أنه جاء لمصر فى عشرينيات القرن الماضى وأن اسمه محمد يوسف بن يعقوب وهو مغربى مسلم وأثناء رحلته إلى بلاد الحجاز توقف بمصر لأسباب لا يعرفونها وكان يجلس على حصيرة ويقوم بتصليح الأحذية لذلك أطلق عليه الأهالى يعقوب أبو حصيرة وه تسمية مصرية خالصة .

وفى إحدى المرات – كما تقول روايات الأهالى – مر عليه ثرى يهودى وسأله ضاحكاً متى ستموت يا أبو حصيرة ؟! فرد الشيخ أبو حصيرة سأموت يوم الأحد القادم وبالفعل وجده الأهالى متوفى فى اليوم الذى حدده ، ولأنه غريب تطوع الثرى اليهود ودفنه فى مقابر اليهود.

وعرف الرجل منذ وفاته باعتباره من أولياء الله الصالحين وبدأت تنسج حوله الروايات والأساطير – لأنه عرف يوم وفاته – فكان المسلمون يزورونه للتبرك

ويلجئون إليه لفك السحر وعلاج العجز الجنسى والعقم ، وهو ما يحدث طوال التاريخ المصرى فى إطار الثقافة الشعبية والمعتقد الدينى .

ومع نشاط اليهود فى الأربعينيات بدأ يتحول من شيخ مسلم إلى حاخام يهودى – دعم ذلك وجوده فى مقابر اليهود – وقالت الأساطير الصهيونية إنه جاء من المغرب لزيارة القدس ولما غرقت سفينته تحولت الحصيرة التى كان يجلس عليها إلى سفينة وصل بها إلى مصر ، ومع تكثيف اليهود لنشاطهم فى بداية الثمانينيات بعد معاهدة كامب ديفيد بدأ " أبو حصيرة " يطل علينا من جديد وتحول ضريحه إلى مزار يهودى يفد إليه الآلاف كل عام .

والمتابع لما يجرى يعرف تماماً أن الصهاينة يشنون حملة شرسة ومنظمة تقوم بها مسئولة الجالية اليهودية فى مصر " كارمن وينشتين " وصلت الحملة مداها فى نهاية التسعينيات وبالتحديد سنة 1999 ، التى شهدت بداية إجراءات تسجيل أبو حصيرة كأثر يهودى وتزامن ذلك أيضاً مع القرار الذى أصدره د. جاب الله على جاب الله أمين المجلس الأعلى للآثار رقم (2311) ويقضى بحصر وتوصيف المقتنيات والمنقولات اليهودية تمهيداً لإقامة متحف يهودى.. من جانب آخر شهدت منطقة مصر القديمة وخاصة المنطقة التى يقع فيها معبد بن عزرا ، حفلات مشبوهة نظمتها أيضاً الجالية اليهودية ولولا يقظة علماء آثار مصر لكان من السهل تمرير بعض القرارات التى تضر بآثارنا ، وتاريخنا ، الغريب أن مبررات المسئولين لتسجيل ضريح أبو حصيرة كأثر قالت : إن السبب هو حماية المكان من تدخلات الصهاينة !! وإذا كانت وزارة الثقافة تهدف لحماية قرية دميتوه والضريح من حفلات الصهاينة لماذا طعنت فى حكم القضاء الذى يقضى بوقف مثل هذه الحفلات؟! .

من جهة أخرى آثار الطعن الذى أقامته وزارة الثقافة ضد حكم محكمة القضاء الإدارى بالاسكندرية حالة من الاستياء فى الأوساط الثقافية والأثرية.

د. أحمد الصاوى أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة يقول : المحكمة توخت الدقة والتزمت بمواد القانون (117) لسنة 1983 الذى يحدد مرور 100 سنة على أى عقار ليصبح أثراً مع ضرورة أن يتمتع هذا العقار بقيمة فنية ومعمارية ولا يكون قد تعرض على مدى عمره لتعديلات جوهرية أفقدته قيمته الأثرية والتاريخية وكل هذه الشروط لم تتوافر فى ضريح أبو حصيرة ، ولا أعرف لماذا أقدم الوزير على طعن الحكم ؟! .

ويضيف د. الصاوى : الكتب التاريخية والمراجع خلت تماماً من ذكر الضريح وصاحبه لكن هيئة الآثار اعتادت ألا تلجأ للعلماء المتخصصين عندما تشرع فى اتخاذ قرار ما ، فالمشكلة الأساسية أن المجلس لا يطرح القضايا الآثرية على بساط البحث ونتمنى أن يقتنع رجال المجلس بحكم القضاء التاريخى .

يؤيد د. محمد عبد الهادى أستاذ الترميمات الأثرية بجامعة القاهرة كلام د.الصاوى قائلاً : يحاول اليهود طرح أنفسهم على الساحة المصرية وأبو حصيرة ما هو إلا مسمار جحا جديد يستند عليه اليهود للتدخل فى شئون مصر ، كما يحدث مع جباناتهم فى البساتين التى يرفضون إجراء أى ترميمات بها إلا فى وجودهم وتحت إشرافهم .

ويشير د. عبد الهادى إلى أن الضريح لا يمكن أن يعتبر أثراً حتى وإن كان ذا قيمة – وهذا طبعاً غير صحيح – فقد أدخلت الجالية اليهودية عليه تعديلات جوهرية فى الأربعينيات تحت اسم الترميم كما جرى تجديده فى الثمانينات على أيدى الطائفة اليهودية أيضاً وهذا يلغى أى قيمة له إن وجدت من الأصل .ويصف د. أحمد الزيات أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة طنطا قرار تسجيل أبو حصيرة أثراً بأنه غير مسئول وغير واع ويتحدى القوانين المنظمة للأثار ويقول : ما صرح به د.جاب الله حول الضريح وأثريته لا يصح أن يصدر من رجل مسئول كما أن طعن وزارة الثقافة فى الحكم أمر مخجل !! لكن يبدو أن هناك ضغوطاً تدفع المسئولين لما يقومون به .

***

واستمرت رغم كل هذه الحملات والدعاوى القضائية ،الاحتفالية الإسرائيلية بمولد أبو حصيرة سنوياً بمثابة حائط مبكى جديد للاختراق والتطبيع الدينى والسياسى فى مصر ، إلى أن جاءت ثورة 25 يناير 2011 فأنهت القضية ، ورفضت إقامة الاحتفال،وتوقفت أعماله مؤقتاً ، ونتمنى أن يستمر التوقف نهائياً .

الفصل الثالث

دور الفتوى فى مقاومة التطبيع

لعبت الفتوى الدينية الإسلامية دوراً مهماً فى رفض التطبيع داخل مصر قبل توقيع كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (1979) ، وبعدهما وصولاً إلى اليوم (2014) ، وكان تأثيرها على الطبقات الشعبية المتدينة أقوى وأبلغ من تأثيرها على شرائح المثقفين أو المتعلمين ، وذلك لأنها أقامت العلاقة مع إسرائيل على معيار (الحلال والحرام) فأوجزت فى أدق لفظ وأبلغ معنى .

وسوف نقدم فى هذا الفصل نماذج من أبرز الفتاوى التى راجت خلال فترة التطبيع التى ندرسها (1979–2011) وكانت ذات تأثير بالغ فى رفض التطبيع وتأييد حق المقاومة ضد العدوان الصهيونى على الأمة ، ورغم أن بعضها صدر فى سنوات سابقة على بدء التطبيع إلا أن تداولها وتأثيرها ، كان واسعاً خلال فترة التطبيع إبان حكم (السادات) ومبارك ..وإلى الفتاوى :

أولاً : نداء علماء الأزهر سنة 1947 إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى :

بعد قرار تقسيم فلسطين الذي وافقت عليه الجمعية العمومية للأمم المتحدة في 29 نوفمبر سنة 1947 والذي يقضي بإقامة دولة يهودية وأخرى فلسطينية على أرض فلسطين، قام علماء الأزهر الشريف بتوجيه ندائهم إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى وفيما يلي نص النداء:

«إلى أبناء العروبة والإسلام من علماء الجامع الأزهر الشريف (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) .. بسم الله الرحمن الرحيم :

يا معشر المسلمين... قضى الأمر وتألبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

قضى الأمر، وتبين لكن أن الباطل ما زال فى غلوائه، وأن الهوى ما فتئ على العقول مسيطراً، وان الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلاّ

تنظيم للظلم والإجحاف، ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التي يريدون أن يرهقونها بها في بلادنا ويجثموا بها على صدورها، وان يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قراراً من هيئة لا تملكه، وهو بعد قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، ففلسطين ملك العرب والمسلمين، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقى إن شاء الله رغم تحالف المبطلين ملك العرب والمسلمين، وليس لأحد كائنا من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

فإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغي على أعقابه مقلم الأظفار محطم الأسنة، فان في السويداء اليوم رجالاً وفي الشرى أسادا، وأن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى، وسيعلم الذين ظلموا آي منقلب ينقلبون.

<u>يا أبناء العروبة والإسلام:</u>

لقد أعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا حتى تبين للناس وجه الحق سافرا، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان، والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون فى هيئة الأمم وحدكم، ومدعو نصر العدالة يتسللون عنكم لواذا، بين مستهين بكم، وممالئ لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد، فإذا كنتم قد استنفذتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فان وراء هذا الجهاد لإنقاذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة، وكلمته مسموعة تدفعون به كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا في الله حق جهاده.

(فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً).

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً).

يا أبناء العروبة والإسلام:

خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الاماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، وقبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وان هذا اليوم الفصل وما هو الهزل، فليبذل كل عربي وكل مسلم في أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وما له ما يرد عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد،وقوموا بفرض الله عليكم واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله،وأن من يتخلف عن هذا الواجب لقد باء بغضب من الله وإثم عظيم.(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقا في التوراة، والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم).

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل والتسليم، وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة،وذودكم عن الحق ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم إن الله لا يحب المعتدين وتتجاوب بعد الأصداء في كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين: الجهاد، الجهاد، الجهاد، والله معكم(1).

التواقيع

1 الأزهر الشريف : فتاوى خطيرة لشيخ الأزهر وكبار العلماء فى وجوب الجهاد الدينى ، ص ص 3-6

الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمد حسنين مخلوف[1] مفتي الديار المصرية، الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل شيخ الجامع الأزهر،الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية السابق، الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية، الشيخ عبد الجليل عيسى[2] شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، الشيخ الحسينى سلطان شيخ كلية أصول الدين، الشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة، الشيخ محمد الجهنى شيخ معهد القاهرة، الشيخ عبد الرحمن تاج[3] شيخ القسم العام، الشيخ محمود الغمراوي المفتش بالأزهر، الشيخ إبراهيم حمروش[4]، الشيخ محمود شلتوت[5]، الشيخ إبراهيم الجبالي[6]، الشيخ محمد الشربيني، الشيخ محمد العتريس، الشيخ

---

[1] ولد الشيخ محمد حسنين مخلوف فى منفلوط سنة 1860 ، نال العالمية سنة 1887 وأذن له بالتدريس فى الأزهر دون تحديد بعلم أو كتاب وكان ذلك نظام التدريس للنابهين ، عين مفتشاً بالأزهر ثم عضواً بمجلس إدارته ثم شيخاً للجامع الأحمدى ثم مديراً للأزهر ، ثم عين عضواً بجماعة كبار العلماء ، ثم عضواً بمجلس الأزهر الأعلى ، تخرج عليه علماء أجلاء (مجلة الأزهر الجزء الرابع ، السنة السبعون ، ص ص 596-599) .

[2] ولد الشيخ عبد الجليل عيسى بكفر الشيخ سنة 1888 ، نال العالمية سنة 1914 عين مدرساً بمعهد طنطا ، ثم نقل بالقسم الثانوى ، ثم القسم العالى ثم فى قسم التخصص ثم مفتشاً بالأزهر ، ثم عين شيخاً لبعض المعاهد ، ثم عميداً لكلية أصول الدين سنة 1946 وعضواً بلجنة الفتوى ، ثم عميداً لكلية اللغة العربية سنة 1947 ، ثم عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة 1971 (مجلة الأزهر: الجزء الأول ، السنة السابعة والستون ، ص ص 50-51) .

[3] ولد الشيخ عبد الرحمن تاج بأسيوط سنة 1896 حصل على العالمية سنة 1922 نال شهادة التخصص فى القضاء الشرعى سنة 1926 عين مدرساً بكلية الشريعة ، ثم عضواً يمثل المذهب الحنفى بلجنة الفتوى حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان من جامعة السوربون بباريس سنة 1942 ، ثم عمل مفتشاً بالأزهر ثم مديراً لكلية الشريعة ، ثم عضواً فى جماعة كبار العلماء سنة 1951 ثم شيخاً للأزهر سنة 1954 ، ثم عضواً بمجمع اللغة العربية سنة 1963 ، ثم عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة 1963 (المجمعيون: ص ص 155 ، 156) .

[4] ولد الشيخ إبراهيم حمروش بمحافظة البحيرة سنة 1880 حصل على العالمية سنة 1906 عمل مدرساً بمدرسة القضاء الشرعى ثم شيخاً لكلية اللغة العربية ، ثم عضواً بجماعة كبار العلماء ، ثم شيخاً للأزهر فى سنة 1952 ، وكان عضواً مؤسساً بمجمع اللغة العربية (المجمعيون : ص7) ..

[5] ولد الشيخ محمود شلتوت بمحافظة البحيرة سنة 1893 ، نال العالمية سنة 1918 عين مدرساً بالمعاهد ثم بالقسم العالى ثم مدرساً بأقسام التخصص ، ثم وكيلاً لكلية الشريعة ، ثم عضواً فى جماعة كبار العلماء ، ثم شيخاً للأزهر سنة 1958 وكان عضواً بمجمع اللغة العربية سنة 1946 وكان أول حامل للقب الإمام الأكبر (المجتمعيون ، ص ص 340-341) .

[6] ولد الشيخ إبراهيم الجبالى بمحافظة البحيرة ، نال العالمية سنة 1904 ثم عمل مدرساً بالمعهد الاسكندرى ثم مفتشاً بالأزهر ، ثم مدرساً بالقسم العالى ، ثم شيخاً لبعض المعاهد الدينية ، ثم مدرساً بقسم التخصص ، ثم شيخاً لكلية اللغة العربية ، قد كان من ألمح أعضاء هيئة كبار العلماء وعضواً بارزاً فى مجلس الشيوخ المصرى (مجلة الأزهر: الجزء العاشر ، السنة السادسة والستون ، ص ص 1543-1547) .

محمد غرابة، الشيخ حامد محيسن، الشيخ عبد الفتاح العناني، الشيخ محمد عرفة، الشيخ فرغلي الريدي، الشيخ احمد حميده، الشيخ محمد أبو شوشه، الشيخ على المعداوى، الشيخ عبد الرحمن عليش أعضاء جماعة كبار العلماء، وكثير غير هؤلاء من العلماء والمدرسين فى الكليات والمعاهد الأزهرية فى القاهرة والأقاليم المصرية.

في سنة 1948
فتوى لفضيلة مفتى الديار المصرية
التطوع لفلسطين والاستشهاد في سبيلها

وفى هذه الفتوى يجيب فضيلة المفتى على سؤال عن حكم الإسلام فى التطوع للجهاد بالنفس والمال في فلسطين؟ وهل إذا قتل يعتبر شهيداً؟

وقد كانت الإجابة بان التطوع لفلسطين واجب شرعاً من تركه كان آثما.

وهذا نص الفتوى: " فتوى لفضيلة مفتى الديار المصرية حول التطوع لفلسطين والاستشهاد في سبيلها" .

أرسل الشيخ أحمد محمد على الشرافى من بلدة حوض نجيح ، شرقية الخطاب التالى لفضيلة مفتى الديار المصرية، ننشره ومعه رد فضيلة المفتى:

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الكبير مفتى الديار المصرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد – فقد لبى كثير من أهالى بلدة حوض نجيح مركز ههيا ، شرقية نداء هيئة كبار العلماء لإنقاذ فلسطين، وتطوعوا للجهاد في سبيل الله تأدية لفرض العين الذي وجب عليهم حسب نص النداء الذى نشر فى الجرائد فى ذلك الوقت، فأفتى أحد الأشخاص من أهل الرأي فى هذا البلد بعكس ذلك فعوق إفتاؤه بعض المتطوعين، إلاّ أن الحركة سارت سيراً حسناً حتى سافرت الدفعة الأولى فى أواخر فبراير الماضى ثمّ استعدت الدفعة الثانية للسفر، وعندما تم تجهيزها وجاء يوم الخروج أصدر ذلك الشخص فتوى بأن سفرهم حرام ويجب منعهم بالقوة، وقد أحدثت هذه الفتوى من هذا الشخص خلافاً فى الرأي بين أهالي البلدة، وصارت موضوع حديثهم وخلافاتهم التى كثيراً ما تؤدي إلى اشتباك فيما بينهم، وأخيراً استقر الرأى على سؤال دار الإفتاء فى هذا الموضوع، فنرجوا التكرم بإفتائنا مشكورين.

وما حكم الإسلام فى التطوع بالنفس والمال للجهاد فى سبيل فلسطين العربية، وهل يعتبر المتطوع بنفسه مجاهداً، فإذا قتل في المعارك التي تدور هناك يعتبر شهيداً شرعاً أم لا؟ وما حكم من يحول عن ذلك أو يفتى بحرمة هذا العمل بحجة أن العرب باعوا أرضهم لليهود ولا يستحقون المساعدة؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفتوى:

الحمد لله والصلاة على من لا نبى بعده.

والجواب أن الجهاد بالنفس أو المال لإنقاذ فلسطين واجب شرعاً على القادرين من أهلها أهل الدول الإسلامية التى تحاول الصهيونية اليهودية بقوة السلاح إقامة دولة يهودية بقطرٍ من أعز أقطارها الإسلامية العربية وهو فلسطين، لا لتملكها فحسب بل للسيطرة على دول الإسلام كافة والقضاء على عروبتها وحضارتها الإسلامية، ومن نكص عن القيام بهذا الواجب مع الاستطاعة أو خذل عنه كان آثما. غير أنه يجب الآن في الجهاد بالنفس وقد تنوعت أساليب الحرب أن يخضع المجاهد للنظم التي تضعها دول الجامعة العربية للجهاد حتى يحقق النصر المأمول والله المستعان.

مفتي الديار المصرية

(إمضاء)

حسنين محمد مخلوف

جماد الآخر سنة 1367

إبريل سنة 1948

في سنة 1948
فتوى ونداء شيخ الجامع الأزهر للمجاهدين والمحاربين والعرب

هذا النداء حثَّ فيه شيخ الأزهر المسلمين على الجهاد والنفر في سبيل الله والاستشهاد والدفاع عن الديار وبين لهم أن الجهاد فريضة على كل مسلم، ثمّ دعا لهم بالنصر والعزة والصبر وهذا نص الفتوى:

«نداء

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر للمجاهدين والمحاربين والعرب. أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر النداء التالى إلى المجاهدين: بسم الله الرحمن الرحيم

أبنائى المجاهدين: السلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد: فقد آذنت ساعة الجهاد، وحقت كلمة الله على الذين يريدون أن يخرجوكم من دياركم، ويستبدوا بأموالكم، ويأكلوها بينهم بالباطل، ولم يبق إلاّ أن تشمروا عن السواعد، وأن تهبوا للحرب والكفاح فى سبيل الله، معتزين بعدل قضيتكم، وقوة إيمانكم، ومضاء عزيمتكم، واتحاد كلمتكم، ووفرة عدتكم وشدة صبركم (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون).

هذا يوم الفصل بين حقكم وباطل خصومكم، وهذه هى الساعة التي وعد الله المجاهدين فيها الجنة وحسن الثواب فهبوا لقتال أعدائكم وردهم عن دياركم (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

ولا يأخذنكم رفق ولا هوادة، بل أغلظوا لمن أغلظ لكم، واشتدوا على من سفك دماء آبائكم بأبنائكم، واعلموا أن الله مع المتقين.

أيها المجاهدون

هذه حرب لا هوادة فيها، واستشهاد فى سبيل الله، ودفع عن دياركم أن تقع فى أيدى أعدائكم، وحماية لحرمكم وبيوتكم، وذود عن معاقلكم ومعاقل آبائكم أن يتخطفها المارقون، إنكم تدفعون شنآن قوم لا يرعون إلاً ولا ذمة، وتردون عدوان طامعين فى بلادكم، ومعتدين على أموالكم.

إنكم إن لا تقاتلوهم يخرجوكم، (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء، والله عليم حكيم).

أيها العرب!

هذا يومكم، وتلك دياركم، فنافحوا عنها بما استطعتم من قوة، واعلموا أن العالم كله ينظر إليكم، فإما أن تثبتوا حقكم وتجاهدوا عدوكم وتستشهدوا فى سبيل الله دفعا عن دياركم وأموالكم، وإما أن تكتبوا على أنفسكم الذل والهوان وهو ما لا ترضون (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

أيها المجاهدون!

إن الجهاد فى سبيل الله هو الإيمان حقا، فقد جعل الله للمجاهدين أجراً عظيماً، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبدا، إن الله عنده أجر عظيم).

أيها المجاهدون!

سيروا على بركة الله، واعلموا أن غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأنها أعدت للصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، والله ولى الصابرين.(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً

عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم).

إن أردتم النصر فامتثلوا نداء خاتم النبيين وسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، نداءه فى الناس يوم جهاد بدر: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلاّ أدخله الله الجنة» فاسعوا إلى الجنة مسرعين، وأقبلوا على نصرة إخوانكم بنفوس راضية، واعلموا أن الله معكم (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ).

أيها المحاربون!

إن أفضل الناس عند الله من يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، والجهاد والدفاع عن الأوطان والذود عن الحياض فريضة على كل وطني مخلص لوطنه، فاقبلوا وتقدموا الصفوف، ولا تخشوا في سبيل الحق لومة لائم، واعلموا أن من قتل فى سبيل الله حى خالد عند ربه (ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وفَضْلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ).

اللهم إنى أسألك للمجاهدين عزة ومنعة،اللهم إنى أتسألك لهم نصراً مؤزراً،اللهم أيدهم بقوة منك، وأظهرهم على أعدائهم. اللهم اكتب لهم التوفيق والسداد،واشرح صدورهم للجهاد، وارزقهم نصرك الذى وعدت من يجاهد فى سبيلك،وامنحهم الصبر والنصر وثبت أقدامهم!....

والسلام عليكم أيها المجاهدون ورحمة الله وبركاته، وإنى استودعكم الله»[1].

---

[1] السابق : ص ص 9-13 .

في سنة 1948
فتوى وقرار علماء الجامع الأزهر الشريف في شأن قضية فلسطين

وقد أجمع العلماء فى هذا القرار على أن إنقاذ فلسطين واجب دينى على المسلمين عامة فى كافة نواحى الأرض وقد طالب العلماء الحكومات الإسلامية والعربية بتهيئة المأوى والنفقة للعرب المشردين من فلسطين.

وهذا نص القرار: «قرار علماء الجامع الأزهر الشريف فى شأن قضية فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير من جاهد في سبيل الله سيدنا محمد بن عبد الله، وآله وصحبه أجمعين.

فى الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ، من جمادى الآخرة سنة 1367 الموافق 26 إبريل سنة 1948 – عقد فى القاعة الكبرى بالأزهر الشريف اجتماع برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ضم جمعاً كبيراً من علماء الأزهر يتقدمهم حضرات أصحاب الفضية مفتى الديار المصرية ووكيل الجامع الأزهر ومديره وسكرتيره العام، وأعضاء جماعة كبار العلماء وشيوخ الكليات والمعاهد الأزهرية والمفتشون، واستعرضوا مسألة فلسطين على ضوء الحوادث التى نزلت بها أخيراً، فهامت لها قلوب المسلمين والعرب، وتوجسوا من ورائها الخطر الداهم على عزة الإسلام والعروبة فى بلاد الإسلام والعروبة.

وبعد تداول الآراء وبحث المسألة من كافة نواحيها وعرضها على حكم الله في مثل هذه النوازل، رأوا أن الأمر اخطر من أن يقال فيه كلام، أو يوجه فيه بيان، وأن الواجب الحتم يقضى بالعمل الحاسم دون تباطؤ ولا إمهال، وبذلك استقر رأيهم بالإجماع على ما يأتى:

أولاً: إن إنقاذ فلسطين قلب العروبة والإسلام واجب دينى على المسلمين عامة فى كافة نواحى الأرض، يستوى فيه الملوك والأمراء والرؤساء والحكومات والشعوب، وأن السبيل إلى ذلك هو أن تتكاتف الحكومات الإسلامية والعربية على أن تتخذ فوراً كل ما تستطيع من الوسائل الفعالة الحاسمة، عسكرية أو غير عسكرية، لإنقاذ فلسطين، وأن يبذل كل مسلم وكل عربى ما يستطيع من مال ونفس لمعاونة الحكومات والوقوف معها فى صفوف النجدة والإنقاذ.

ثانيـاً : مطالبة الحكومات الإسلامية والعربية بتهيئة المأوى والنفقة – على النظام الذى تراه كل حكومة – للعرب المشردين من فلسطين من أطفال ونساء وشيوخ وعجزة، وعلى الشعوب العربية والإسلامية السمع والطاعة للحكومات فى كل ما تقرره فى هذا الشأن، فذلك واجب دينى فى عنق كل مسلم وعربى.

ثالثاً : إبلاغ هذا القرار إلى جميع الحكومات الإسلامية والجامعة العربية ونشره فى كافة الشعوب الإسلامية، تبليغاً لحكم الله، وتنفيذاً لكلمة الله.

(فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل فى سبيل الله أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً).

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفاً).

(يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلاّ قليل إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير) [1].

---

[1] السابق : ص ص 14-16 .

فى سنة 1948

فتوى للجنة الفتوى بالأزهر الشريف

تحريم بيع أرض فلسطين لليهود ووجوب مقاطعتهم

كانت هذه الفتوى بناء على استفتاء جاء إليها وبيان الحكم الشرعى فى كل شخص يبيع أرضه لليهود أو يعمل سمساراً لترويج ذلك البيع أو يعينهم على الوصول إلى مآربهم من امتلاك البلاد .. إلخ .وقد جاءت الإجابة تفيد بأن ذلك من أعظم الجرائم .. وهذا نص الفتوى :

الفتوى الخطيرة التى أصدرتها لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف برئاسة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية بتحريم بيع أراضى فلسطين لليهود ووجوب مقاطعتهم وعدم التعامل معهم وأن كل من يستبيح بيع الأراضى بفلسطين لليهود أو التعامل معهم بالشراء من متاجرهم أو ترويج بضاعاتهم ومنتوجاتهم يكون مرتداً عن الدين خارجاً عن زمرة المسلمين .

ومن يستبح شيئاً من هذا – أى من يبع أرضاً بفلسطين اليهود ، أو يتعامل معهم بشراء منتوجاتهم – بعد أن استبان له حكم الله فيه ، يكون مرتداً عن دين الإسلام ، فيفرق بينه وبين زوجه ويحرم عليها الاتصال به ، ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

الفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم : جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى:
لقد شاع واستفاض بين الناس عامتِهم وخاصتِهم خبر غزو اليهود الصهيونيين للبلاد المقدسة فلسطين، التى تضم أولى القبلتين وثالث الحرمين وغير ذلك من المقدسات الأخرى، وعزمهم المصمم على تحويلها إلى مملكة يهودية، والاستيلاء على أراضيها ومقدساتها وإخراج أهلها العرب منها.وأعظم وسيلة يتذرع بها اليهود لبلوغ مآربهم شراء الأرض من العرب وإخراجها من حيازتهم،

وجعلها مِلكًا للأمة اليهودية، والاستيلاء على اقتصادياتها بقصد إفقار أهلها المؤدي إلى نزوحهم عنها.

والمرجو بيان الحكم الشرعي في كل شخص يبيع أرضه لليهود، أو يعمل سمساراً لترويج ذلك البيع، أو يعينهم على الوصول إلى مآربهم من امتلاك البلاد وجعلها يهودية بأى نوع من أنواع الإعانة والتعاون، فهل يرتد بذلك عن دينه، ويعامل معاملة المرتدين، من الحكم بطلاق زوجته، واحتقاره ونبذه، وعدم الصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين؟ مع العلم بأن بيع الأرض لليهود، ومساعدتهم تجاريًّا واقتصاديًّا وشراء بضائعهم ومنتوجاتهم، كل ذلك قد أصبح معلومًا لدى أهل فلسطين خاصة، والمسلمين عامة بأنه أهم الوسائل المؤدية إلى وصول اليهود لمطامعهم المذكورة.

مسلم

الجواب

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فتفيد اللجنة بأن مِن أعظم الجرائم إثماً وأشد المنكرات مقتًا عند الله أن يتخذ المسلم له أولياء من أعداء دينه المناوئين له المعتدين على أهله، أو يمكن لهم بفعله من إيذاء المسلمين فى دينهم، والاحتيال على سلب أموالهم، وتجريدهم من أرضهم وديارهم، واتخاذ ذلك وسيلة إلى إضعاف أمرهم، وكسر شوكتهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة غير إسلامية تتسلط عليهم بالحيلة أو العهد، وتنشر سلطانها عليهم بالأمر والنهى.

وقد شدد الله النكير على من يتولون أعداء الدين أو يتخذون لهم بطانة من غير المؤمنين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ

بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *} [الممتحنة: 1-3].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تعقلون} [آل عمران: 118].

ولم يكتف القرآن بالنهى عن موالاة المعتدين من غير المؤمنين، وتحريم موادتهم، بل جعل ذلك منافيًا للإيمان ونفي صاحبه من سجل أهل الإسلام، اقرأ قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22]. وقوله عز وجل: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران: 28].

ولا شك أن من يعملون على إيذاء المسلمين في دينهم، ويتخذون مختلف الوسائل للتسلط عليهم بالقوة أو الحيلة بإغراء الضعفاء بالمال وغيره من عرض الدنيا، وتجريدهم من أرضهم ودورهم توصلاً إلى إذلالهم وإخضاعهم لسلطان غير سلطان دينهم هم من شر من يحادون الله ورسوله؛ كما لا شك أن بذل المعونة لهؤلاء، وتيسير الوسائل التي تساعدهم على تحقيق غايتهم التي فيها إذلال المسلمين، وتبديد شملهم ومحو دولتهم، أعظم إثمًا وأكبر ضررًا من مجرد موالاتهم وموادتهم التي حكم الله بمنافاتها لخالص الإيمان.

فالرجل الذي يحسب نفسه من جماعة المسلمين إذا أعان أعداءهم في شيء من هذه الآثام المنكرة وساعد عليها –مباشرة أو بواسطة– لا يُعد من أهل الإيمان، ولا ينتظم في سلكهم؛ بل هو –بصنيعه– حرب عليهم، منخلع من دينهم، وهو –بفعله الآثم– أشد عداوة من المتظاهرين بالعداوة للإسلام والمسلمين.

فعلى المسلمين أن يتبينوا أمرهم، ويأخذوا حذرهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فيصلحوا من شأنهم، ويتبعوا هدى القرآن في حفظ كيانهم، وتقوية دولتهم، وأن تكون شئون دينهم وأوطانهم أحب إليهم من كل شيء، حتى لا يدخلوا في أهل الوعيد الشديد الذي جاء في قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكمْ وَ عَشِيرَتُكمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتجَارَةٌ تخْشَوْنَ كَسادَهَا وَمَساكِنُ تَرْضوْنَهَا أَحَب إِلَيْكم مِّنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ وَجِهَاد فى سبِيلِهِ فَترَبَّصوا حَتى يَأْتىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

عليهم أن يقتفوا فى ذلك سيرة نبيهم، ويسيروا على ما رسم لهم من خطط صالحة، فيوالوا المؤمنين، ويبروا المسالمين من غير المسلمين، ويعادوا من عادى الله أو مكر بأهل دينه وسعى فى إيذائهم والتضييق عليهم فى أوطانهم، وعمل على تفريق وحدتهم وتمزيق جماعتهم.

وعلى المسلمين أن يعادوا هؤلاء وينبذوهم ويقاطعوهم فى متاجرهم ومصانعهم ومساكنهم ومجتمعاتهم، وأن يصنعوا هذا الصنيع مع كل من يوالى هؤلاء الأعداء أو يعينهم على مآربهم ويمهد لهم السبيل التى يصلون منها إلى أغراضهم.

وقد قاطع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون نفرًا من الصحابة تخلفوا عن غزوة تبوك ونبذوهم، فكانوا لا يخالطونهم في اجتماع ولا يشاركونهم فى شأن، تجنبوا مؤاكلتهم، ومجالسهم، والسير معهم، والسلام عليهم.

إن هؤلاء المتخلفين لم يعينوا على المسلمين عدوًّا، ولم يمهدوا لأعداء الدين طريق الكيد والمكر لأهل الدين، ولم يبيعوهم ما يتقوون به عليهم ويشتد به

سلطانهم، ولم يأتوا بأي عمل إيجابي يعد معاونة للأعداء، ثمّ إنهم كانوا قلة ضئيلة لم يستوجب تخلفهم خذلان جيش المسلمين أو انتقاض أمره، وكل ما كان منهم أن تخلفوا عن الغزو مع قدرتهم عليه، ومع ذلك نبذهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقاطعوهم مقاطعة مكثوا خمسين يومًا يتحرقون بآلامها وتتلظى قلوبهم بالندم والحسرة من أجلها، حتى {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 118].

هذا شأن الله فيمن لم يكن منه إلا مجرد التخلف عن جهاد لم يغر الأعداء فيه بالفعل على بلاد المسلمين فما بالنا بمن يتصدى لمعاونة الأعداء، ويمكنهم من تثبيت أقدامهم فى بلاد الإسلام والمسلمين؟! .

لا يشك مسلم فى أن من عاون هؤلاء الأعداء بأي ضرب من ضروب المعاونة ببيع شىء من أرضه، أو التوسط في هذا البيع أو بمعاملتهم تجاريًّا واقتصاديًّا، أو بخروجه عن جماعة المدافعين عن بلادهم، يكون أعظم جرمًا، وأكبر إثمًا ممن ترك الجهاد وهو قادر عليه، ولا يشك مسلم أيضًا أن من يفعل شيئًا من ذلك فليس من الله ولا رسوله ولا المسلمين فى شىء، والإسلام والمسلمون براء منه، وهو بفعله قد دلّ على أن قلبه لم يمسه من الإيمان، ولا محبة الأوطان، والذي يستبيح شيئًا من هذا بعد أن استبان له حكم الله فيه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام فيفرق بينه وبين زوجه، ويحرم عليه الاتصال بها، ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

وعلى المسلمين أن يقاطعوه؛ فلا يسلموا عليه، ولا يعودوه إذا مرض ولا يشيعوا جنازته إذا مات، حتى يفىء إلى أمر الله ويتوب توبة يظهر أثرها في نفسه وأحواله وأقواله وأفعاله.

هذا وإذا كان من بين المسلمين أو إخوانهم المواطنين لهم من هو يحتاج إلى بيع شيء من أرضه وجب على جماعة المسلمين أن يدفعوا حاجته بشراء ذلك منه، أو بمساعدته بما يغنيه عن البيع، كما يجب عليهم أن يبذلوا جهودهم، ويتعاونوا بكل قواهم، على دفع خطر هؤلاء الأعداء الظالمين، والله أعلم»[1].

رئيس لجنة الفتوى

عبد المجيد سليم

14 شعبان سنة 1366

---

[1] السابق : ص ص 7-25 .

في سنة 1952

نداء الشيخ / محمد عبد التواب

الجهاد خير كله

وقد بين فضيلته أن عزة الأئمة تكون بالجهاد في صفوف موحدة وجمع شامل، وقد ضرب أمثلة رائعة للإقدام على العدو والظفر به، وقد أهاب الله بالمؤمنين أن ينتصروا لدينهم ولا يضعفوا.

وهذا نص النداء: «قال الله تعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين: (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعَاً . وإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً . ولَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً . فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ومَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً).

(انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) إن العزة الغالبة والمجد العتيد، هدفان تهفوا إليهما كل أمة تحرص على وجودها، وتستمسك بكرامتها، وتوثق من عراها:

تحرص على وجودها في حيوية مشبوبة، وفتوة مرهوبة، ومعنوية مدعمة البنيان، صادقة الوجدان.وتستمسك بكرامتها في لغة السيف والقلم، حاملة علم الحق، ومدوية بدعوة الحق.

وتوثق من عراها برأب الصدع، وجمع الشمل، والتكتل في ميدان الجهاد موحدة الصفوف، قوية الجبهة، ناصعة الغرض.

والله جلّ جلاله، الذي يريد المؤمنين أعزة في صولة الحق، أقوياء في ظفر الجهاد، يناديهم ليتخذوا الأهبة، ويكونوا على حذر، وليتبصروا أسباب الظفر، فيكون نفيرهم للجهاد حسب ما تقتضيه عوامل النصر والغلب، فان رأوا أن يكون الغزو فى جماعات، وهو المعروف فى لغة الحروب، بحرب العصابات،

كان نفيرهم كتائب موزعة بين الأمكنة والأزمنة، فى ساعات من ليل أو نهار، فان فى ذلك إقلاقاً للعدو، وتوزيعاً لجبهته، وتوهيناً لقوته.
وان رأوا أن يكون الغزو في جمع حاشد، وجند كثير، وعدة قاهرة، فلينفروا كذلك يشتد الأزر، ويقوى الساعد، ويرهب العدو، ذلكم نداؤه عزّ شأنه: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتاً) يعنى : جماعات متفرقة سريت بعد سرية (أو انفروا جميعاً) يعنى : مجتمعين حشداً واحداً، وبنياناً مرصوصاً، فالقرآن يهتف بالمؤمنين: أن يلبسوا لكل حالة لبوسها، وأن يعدوا لكل ظرف ما يناسبه.
ولقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يخرجون لملاقاة العدو فى كتائب، كما كانوا يخرجون فى جيوش عامة زاخرة، ومن أمثلة خروج الكتائب ما حدثنا به التاريخ الإسلامي عن خروج عبد الله ابن عتيك وأصحابه لقتل أبي رافع اليهودي، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه، وهو الذي حَزَّبَ الأحزاب يوم الخندق وكان ممن أعان غطفان وغيرهم من بطون العرب بالمال الكثير على رسول الله.
روى البراء من عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمر عليه عبد الله بن عتيك، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا من الحصن، وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم – يعنى رجعوا بمواشيهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق إلى الحصن، ومتلطف للبواب، لعلى أن أدخل، فاقبل حتى دنا من الباب، ثمّ تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب، وقد ظن البواب أنه من أهل الحصن، قال عبد الله: فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثمّ علق الأغاليق – المفاتيح – على وتد، قال: فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالي، يعني كان الناس يجلسون معه في المساء للحديث والمسامرة، وكان فى غرفة من داخل

غرف الحصن فى أعلاه، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل قلت: إن القوم نذروا بي – علموا بي – لم يخلصوا إلى حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو بيت مظلم لا أدري أين مكانه، فقلت: أنادي... فإذا أجاب النداء، عرفت موضع الصوت فأضرب بسيفي، فناديت يا أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهويت بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً.. وصاح، فخرجت فمكثت غير بعيد.. ثمّ دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع، فقال : لأمك الويل إن رجلاً بالبيت ضربنى قبل بالسيف، فقال : فأضربه ضربة أثخنته، ولم اقتله، ثمّ وضعت ظبية السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلى، وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة ثمّ انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك، قام الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابى، فقلت : النجاة فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لى : أبسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط.

أفرأيتم أيها المسلمون هذا المثل الرائع فى الإقدام الحازم، وفى براعة الحيلة، وفى الظفر بالعدو لمرضاة الله ورسوله.

ولقد يكون بين المقاتلين جند يتثاقلون ويتباطؤون ويتخلفون عن الصفوف رهبة وخوفاً أن تراق دماؤهم وتزهق أرواحهم، فان أصاب المسلمين هزيمة أو قتل فرحوا إن لم يكونوا معهم، وان فتح الله على المقاتلين بالنصر والغلب، أفاء عليهم من فضله بالأسلاب والغنائم تمنوا أن لو كانوا فى صفوفهم ظافرين غانمين، فذلكم قول الله تعالى: (وان منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً. ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن

لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).وهؤلاء ليسوا من صدق الجهاد، ولا من قوة العقيدة، ولا من سلامة الإيمان فى شيء.ولعل آية التحذير السابقة فى قوله تعالى (خذوا حذركم) توقظ فى المؤمنين قوة الانتباه لهؤلاء ليحذروهم كما يحذرون الأعداء.

(فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) ليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة. ولا يكن منهم تردد ولا بطء ولا استرخاء، فإذا تردد المذبذبون ، أم تباطأ المضطربون مرضى القلوب، وضعاف النفوس، أو استرخى فى الكفاح حفنة من الناس مدخولة ضمائرهم، زائغة عقائدهم، زائفة إرادتهم، فليقبل الثابتون، وليقدم المخلصون، وليظفر بنصر الله الأعزة الغالبون، ففى سبيل الله ما يبذلون من نفس ودماء وفى سبيل الله ما يلاقون من تضحية وابتلاء، وفى سبيل الوطن ما يقدمون وما يفتدون. وما يجادلون ويجاهدون (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً).

هذا وعد الله الصادق الذي لا يتخلف للمجاهدين المخلصين فإنهم إن قتلوا فلهم الشهادة، وما يتبعها من حياة عند الله، فيها عزة وفيها رضوان، وفيها رزق طيب كريم.

(ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ) وان عادوا ظافرين، فلهم عزة الغلب، ونصرة الوطن، وإعلاء كلمة الله.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مثل المجاهد فى سبيل الله – والله اعلم بمن يجاهد فى سبيله – كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة» وروى البخاري ومسلم عن أبى هريرة

رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم فى سبيله–(يعنى : يجرح) إلاّ جاء يوم القيامة واللون لون دم، والريح ريح المسك» وعن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه قال:«لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها».

أما بعد فإن هذا التوجيه الحكيم من العزيز الحكيم، ومن المجاهد الأول سيدنا رسول الله، ليهيب بالمؤمنين ألا يضعفوا ولا يستكينوا، وأن ينتصروا لدينهم ولوطنهم بالبذل والتضحية، فذلك أسمى كرامة وأهدى سبيلا.

والله الموفق.. والمستعان»[1].

[1] مجلة الأزهر : المجلد الثالث والعشرون ، سنة 1952 ، ص ص 793-796 .

فى سنة 1955
بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر
منع الأسلحة عن مصر تعطيل لواجب دينى

وفى هذه البيان أعلن فضيلته أن أى تدخل من البلاد لمنع تسليح جيش مصر هو تعطيل لواجب دينى لا يسكت عنه مؤمن . وهذا نص النداء :

أعلن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن أى تدخل لمنع تسليح جيش مصر وحبس الأسلحة عنه إنما هو تعطيل لواجب دينى لا يسكت عنه مؤمن ولا يرتضيه شعب متحضر ، وقد أبلغ ذلك إلى سفراء روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا بالبرقية الآتية التى بعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، واللواء عبدالحكيم عامر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة : بسم الله الرحمن الرحيم : حياة الأمم وسلامة أوطانها رهن بما لها من سلاح وعدة ، وهذا ما يرشد إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم) .

ونحن فى هذا السبيل نؤيد حكومة الثورة ، ونهيب بالشعب المصرى أن يهب لتأييدها فى الكفاح لتقوية جيشنا وتسليحه بأقوى وأكمل عدة ، وننكر أشد الإنكار على من يحاولون إضعافنا وإنهاض عدونا ، ونعتبر ذلك أشد أنواع الظلم والعدوان ، ثم هو تدخل صارخ فى أخص شئون البلاد ، وتعطيل لواجب دينى لا يسكت عنه مؤمن ، ولا يرتضيه شعب متحضر [1].

---

[1] مجلة الأزهر : المجلد السابع والعشرون ، سنة 1955 ، ص ص 327-328 .

في سنة 1956
فتوى لجنة الفتوى بالأزهر
الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً
والتعاون مع الدول المؤازرة لها لا يجوز شرعاً

وقد بينت هذه الفتوى أن إبرام الصلح مع إسرائيل المغتصبة لا يجوز شرعاً:

ويجب على المسلمين أن يتعاونوا لرد البلاد المغتصبة إلى أهلها ورد المسجد الأقصى إلى المسلمين.

وقد بينت الفتوى أيضاً أن التعاون مع الدول التى تشد أزر هؤلاء اليهود غير جائز شرعاً، وأنه يحرم على المسلم مظاهرة الأعداء.

وهذا نص الفتوى:«اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر فى يوم الأحد 18 جمادي الأولى سنة 1375 الموافق (أول يناير سنة 1956) برئاسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقاً وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقاً (الشافعى المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) والشيخ محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكى المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلى المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى.

ونظرت فى الاستفتاء الآتى وأصدرت فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد – فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها، وأخرجتهم من ديارهم، وشردتهم نساء وأطفالاً وشيباً وشباباً فى آفاق الأرض، واستلبت أموالهم، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم، وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام، وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار، والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها، وحيال المشروعات التى تحاول إسرائيل ومن ورائها دول الاستعمار أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفى ذلك تركيز لكيانها، وتقوية لسلطانها، مما يضيق الخناق على جيرانها، ويزيد فى تهديدها لهم، ويهيئ القضاء عليهم.

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل – كما يريده الداعون إليه – لا يجوز شرعاً، لما له من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه، والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه. وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه. ففى الحديث الشريف: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد» وفى حديث آخر: «على اليد ما أخذت حتى ترد». فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم: على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى

بارك الله حوله، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية، من أيدى هؤلاء الغاصبين، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين، قال تعالى: (وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ). ومن قصر فى ذلك، أو فرط فيه، أو خذل المسلمين عنه، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربى الإسلامى، فهو – فى حكم الإسلام – مفارق جماعة المسلمين، ومقترف لأعظم الآثام. كيف ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام أهله ودياره اشد الكيد، منذ عهد الرسالة إلى الآن؟! وأنهم يعتزمون ألاّ يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات. وإذا كان المسلمون جميعاً – فى الوضع الإسلامى – وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، فإن الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وقال تعالى: (إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ والإنجِيلِ والْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَذِي بَايَعْتُم بِهِ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) وقال تعالى: (الَذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً).

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار، فهو غير جائز شرعاً، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها في موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره. قال

تعالى: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ومَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

وقال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ويُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ).

وقد جمع الله – سبحانه – فى آية واحدة جميع ما يتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء، وحذر المؤمنين من التأثر بشئ من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم فقال تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ).

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة، وبالسلاح والقوة: سراً وعلانية، مباشرة وغير مباشرة. وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات.

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف – التي تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية، ابتغاء الفتنة، وتفريق الكلمة، والتمكين لها فى البلاد الإسلامية، والمضى في تنفيذ سياستها حيال شعوبها – لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها، لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية، وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية فى الإسلام وأهله وسعياً لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكئة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم، وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعاً والتي قال الله تعالى فيها: (ومن يتولهم منكم فإنه

منهم). وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى: (فَتَرَى الَذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ).

وكذلك يحرم شرعاً على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل – ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء – من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلاّ ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الأرض، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام فى أعز دياره، وتفسد فى البلاد اشد الفساد، وتكيد للمسلمين فى أقطارهم، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها، ويقفوا صفاً واحداً فى الدفاع عن حوزة الإسلام، وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة. ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفاً سلبياً منها، فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقتدوا به – وهو القدوة الحسنة – فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه – رضوان الله عليه – من ديارهم، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدى المعتدين، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون، حتى نشب بينه وبينهم الحروب، واستمرت رحى القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال، وحتى أتم الله عليه النعمة، وفتح على يديه مكة، وقد كانت معقل المشركين، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان، وقلم أظافر الشرك والطغيان.

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء، مع فارق لابد من رعايته، وهو أن مكة كان بلداً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين، ووطنا لهم أجمعين، بخلاف أرض فلسطين، فإنها ملك للمسلمين، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلاّ أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلى المؤمنين، ويقمع الشرك فيها والمشركين، فأمر سبحانه وتعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – بقتال المعتدين. فقال تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم). والله سبحانه وتعالى نبيه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم).

ومن مبادئ الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد، وإذا كانت إزالته واجبة فى كل حال، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب وألزم، فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد، بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى: احترام المساجد وأماكن العبادة.

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم).

أما بعد – فهذا هو حكم الإسلام في قضية فلسطين، وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها وفى واجب المسلمين حيال ذلك، تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة وأن يقدروا عواقب الوهن أو الاستكانة أمام اعتداء الباغين، وتدبير الكائدين، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة فى ذلك، إعزازاً لدين القويم.

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به، وعلى نصرة دينه، وعلى العمل بما يرضيه. والله أعلم[1].

[1] مجلة الأزهر : المجلد السابع والعشرون ، سنة 1955 ، 1956 ، ص ص 682-686 .

في سنة 1964

قرارات وتوصيات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية

وقد نبه المؤتمر الأول إلى خطر قيام دولة إسرائيل ودعا إلى مؤازرة شعب فلسطين والوقوف بجانبه حتى يتم تحريره.

كانت من توصيات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية «تعريف المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بخطر قيام إسرائيل على الإسلام والمسلمين، ودعوتهم إلى مؤازرة شعب فلسطين وحقه فى العودة إلى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجباً دينياً مقدساً»[1].

وقد قرر المؤتمر :«إن الاستعمار وأعوانه – سواء فى البلاد التى لم تزل ترزح تحت نيره أو في البلاد التى جلا عنها آثاره – هو الخطر الأول الذى يجب على المسلمين – أفراداً وجماعات ودولاً – أن يجاهدوا بالمقاومة الجادة المستمرة، حتى يتم تحرير المسلم قلباً وضميراً ووطناً ومعرفة، وأن كل تقصير فى مقاومة ذلك العدو هو عصيان لله تعالى وإثم كبير، لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالملايين من المسلمين، فهو جهاد متعلق بحق الله وحق الملايين لا بذات الآثم.

وأن الصهيونية التى يحاول الاستعمار – بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة – أن يغلب بها أهدافه تحت ستار جديد هى دار استعماري خبيث، يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره في حياة المسلمين وتستمر سيطرته عليهم، ومن ثم كانت مجاهدتها فرضاً كذلك على كل مسلم حيثما كان، وكل تخلف عن ذلك عصيان له تعالى وإثم كبير»[2].

[1] مجمع البحوث الإسلامية: قرارات وتوصيات المؤتمرات السابقة من الأول الى التاسع، ص 7..

[2] السابق: ص ص 15 - 16..

في سنة 1965
قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية

في هذا المؤتمر بيان بأن قضية فلسطين ليست قضيتهم وحدهم وإنما هى قضية المسلمين جميعاً ودعا المؤتمر للدفاع عنها والعمل على تحريرها وتجديد الذكرى حتى يعود الحق إلى أهله.

وهذا نص القرار :«يرى المؤتمر أن قضية فلسطين هى قضية المسلمين جميعاً لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم، وأنه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الأرض المقدسة إلى أهلها، وأن فى وجود إسرائيل فى فلسطين خطراً يهدد المسجد الأقصى وطريق الحرمين الشريفين والسبيل إلى قبر الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – مما يجعل تحرير فلسطين وأمنها لازماً لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية لجميع المسلمين فى المشارق والمغارب.

لذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضاً على كل مسلم، وكان القعود عنه إثماً كبيراً، ومن ثمّ يوصى المؤتمر فى شأن هذه القضية بما يلى:

1 – أن يولى المسلمون جميعاً قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربى الإسلامى المغتصب تحريراً كاملاً.

2 – أن تسحب الدول الإسلامية التى اعترفت بحكومة إسرائيل هذا الاعتراف، وأن توقف الدول والشعوب الإسلامية التى تتعامل مع إسرائيل هذا التعاون.

3 – أن تتولى الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى كل بلد إسلامى متابعة القضية الفلسطينية، وتنوير الرأى العام بشأنها، وإنشاء مراكز إسلامية فى القدس.

4 – أن تنفذ الحكومات العربية جميعاً قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصاً وروحاً، وأن تساندها الدول الإسلامية فى ذلك مساندة كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج على هذه القرارات، لأنه لا يوجد حل لمشكلة فلسطين غير عودة الحقوق إلى أهلها وإزالة إسرائيل.

5 – مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية لكى تؤدى واجبها فى الدفاع عن الوطن السليب فى مختلف المجالات.

6 – والى أن يعود الحق إلى أهله يوصي المؤتمر أن يجعل المسلمون يوم 15 مـايو يـوم ذكرى وتجديد العهد علـى إنقاذ فلسطين مـن الشرذمـة الباغيـة التـى تعيث فى الأرض فساداً»[1].

[1] السابق: ص ص 23 - 25..

فى سنة 1966

قرارات وتوصيات المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

وقد نبه هذا المؤتمر إلى أن إنقاذ فلسطين فرض على كل مسلم وأن التعاون مع الصهيونيين مروق من الإسلام.

وهذا نص التوصيات

أوصى المؤتمر بما يلى:

«تنبيه المسلمين فى جميع أقطار الأرض إلى أن العمل الجدي الدائم على إنقاذ فلسطين من أيدي الصهيونيين الباغين الغاصبين هو فرض فى عنق كل مسلم ومسلمة، وتحذيرهم من فتنة المروق من الإسلام بالتعاون مع الصهيونيين الغاصبين الذين أخرجوا العرب والمسلمين من ديارهم والتعاون مع الذين ظاهروا على إخراجهم، وتوكيد ما تقرر فى المؤتمر الثانى من دعوة الدول الإسلامية التى اعترفت بإسرائيل إلى سحب اعترافها.» [1].

---

[1] السابق: ص 42..

فى سنة 1968
قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية

أعلن المؤتمر وجوب القتال والجهاد حيث توفرت أسبابه فى العدوان الإسرائيلى ، كما دعا إلى إمداد الفلسطينيين بكل أسباب القوة ودعا المؤتمر أيضاً إلى إنشاء صندوق لتمويل الشعب الفلسطينى كما دعا إلى تهيئة القوى الروحية فى المدارس والجامعات ووسائل الإعلام لمواجهة احتمالات الموقف.كما دعا المؤتمر الحكومات الإسلامية أن تقطع علاقاتها مع إسرائيل.وهذا نص قرارات المؤتمر وتوصياته:

أعلن المؤتمر فى فترته الأولى بما يلى:

أولاً:

(أ) إن أسباب وجوب القتال والجهاد التى حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة فى العدوان الإسرائيلى، بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربى الإسلامى، وانتهاك لحرمات الدين فى أقدس شعائرها وأماكنها، وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم، وبما كان من قسوة ووحشية في تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال.

لهذا كله صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضاً عينياً في عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار.

(ب) يحيي المؤتمر طلائع الفدائيين والمرابطين على خطوط القتال ويقدر نضالهم، وصمودهم، وإصرارهم على النصر.

(ج) يدعو المؤتمر إلى دعم الكفاح الذي يخوضه أبناء الشعب الفلسطينى وإمداده بكل أسباب القوة التي تضمن له الصمود والتصعيد، وتحقق له هدفه وغايته.

(د) كما يدعو إلى تقوية الجبهات العسكرية العربية وبخاصة الجبهة الأردنية.

(هـ) يبارك المؤتمر الوحدة العسكرية العربية ويدعو إلى وضعها موضع التنفيذ، ويهيب بالدول العربية إلى تقوية القيادة العربية الموحدة، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة مادياً ومعنوياً.

(و) يوصي المؤتمر بحشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة العربية والإسلامية، وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح على استعماله.

(ز) يدعو المؤتمر إلى إنشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني ورعاية اسر المجاهدين والشهداء، والعمل على أن تكون للصندوق فروع في كل بلد إسلامي، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله، فإن الإنفاق في سبيل الله من البر الذي أمر الله به، ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التي نص القرآن الكريم عليها.

(ح) يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الروحية وعميق القيم الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة، وفى كل وسائل النشر والإعلام، ويحثهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى فى جميع المرافق والمصانع والمزارع استعداداً لمواجهة احتمالات الموقف.

ثانياً:

(أ) إن المؤتمر إذ يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة فى سبيل الهدف المشترك، يوصى بالمزيد من هذه الجهود والتنسيق بينها، ليقف المسلمون صفاً واحدة في مواجهة الموقف الحاسم.

(ب) يدعو المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخى والتعاون الفعال بين البلاد الإسلامية تمهيداً لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة.

(ج) يوصي المؤتمر بالتعاون الاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الإسلامية والعربية.

ثالثاً:

يدعو المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية أن تقطع كل علاقة لها مع إسرائيل أيا كانت هذه العلاقة، ويقرر أن التعامل مع العدو فى أية صورة من صور التعامل طعنة موجهة للمسلمين جميعاً ومخالفة لتعاليم الإسلام، قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم).

رابعاً:

(أ) يهيب المؤتمر بالمسلمين في كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الديني في تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة والحفاظ على قداسته وعروبته، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعراجه، ومثوى الشهداء من صحابته.

(ب) يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم في الضفة الغربية بالأردن بتاريخ 17 من جمادى الأولى سنة 1387 هجرى الموافق 32 أغسطس سنة 1967م، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة، والساحات المحيطة بهما، والسور وفيه الأبواب.

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته، وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته وقدسيته.

خامساً:

(أ) إن أمانة الدعوة إلى الحق، وواجب الإخلاص فى النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، لتوجب على المؤتمر أن يدعو الشعوب والحكومات

الإسلامية إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ بتعاليمه، فذلك طريق النصر، وسبيل العزة والكرامة: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).
(ب) يهيب المؤتمر بالمسلمين – شعوباً وحكومات – أن يأخذوا بأسباب العلم والقوة ليحققوا لمجتمعاتهم وأوطانهم النصر والأمن ويوفروا لهم الطمأنينة والرخاء: (وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ).
سادساً:
(أ) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل، وتأييدها لعدوانها، ويعتبر تلك المساندة وذلك التأييد تحدياً وعداءً للأمة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين.
(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين فى مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام الأطماع الصهيونية العنصرية فى العالم العربي والإسلامى ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم واسترداد أرضهم السليبة.
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل[1] .. صدر بالقاهرة بتاريخ 13 من رجب 1388 هجرى. الموافق 6 من أكتوبر 1968م.

[1] السابق: ص ص 56 - 61..

في سنة 1966

فتوى للدكتور / محمد سيد طنطاوي[1]

كيف نعيد فلسطين إسلامية عربية

كانت هذه الفتوى خاتمة الرسالة التي تقدم بها الشيخ / محمد سيد طنطاوي للحصول على درجة الدكتوراه فى التفسير والحديث والتى كانت بعنوان «بنو إسرائيل فى القرآن والسنة».

وقد كانت التوصيات الأخيرة في هذه الرسالة تجيب على سؤال:«كيف نعيد فلسطين عربية».

فبينت الفتوى أن إنقاذ فلسطين من السرطان الصهيونى يحتاج إلى جيش موحد القيادة، وأنه يجب أن تبذل الأمة قصارى جهدها فى التذكير بقضية فلسطين، وأن تعمل الأمة على تقوية الفدائيين الفلسطينيين من كل النواحى، وأن تعود الأمة الإسلامية إلى تعاليم الإسلام وتطبقها على نفسها، حتى يكون النصر.

وهذا نص الفتوى : للإجابة عن سؤال «كيف نعيد فلسطين إسلامية عربية» يقول:

(1) يجب علينا أن نعلم أن حرباً فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود وأن النصر فيها سيكون للمسلمين، ماداموا معتصمين بدينهم، ومنفذين لتعاليم قرآنهم وعاملين بسنة نبيهم، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله هذا يهودى ورائي فاقتله».

وفي حديث آخر للشيخين، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم

---

[1] ولد الدكتور / محمد سيد طنطاوى بمحافظة سوهاج سنة 1928 ، تخرج فى كلية أصول الدين سنة 1958 ، ثم حصل على العالمية درجة تخصص التدريس سنة 1959 ، ثم على الدكتوراه فى التفسير والحديث سنة 1966 ، عين مدرساً بكلية أصول الدين سنة 1968 ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط سنة 1976 ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية سنة 1985 ، ثم مفتياً للجمهورية سنة 1986 ، ثم شيخاً للأزهر سنة 1996 (مجلة الأزهر الجزء الثانى عشر ، السنة الثامنة والستون ، ص1751) .

المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد (شجر معروف ينبت فى بلاد الشام) فإنه من شجر اليهود».

فهذان الحديثان الصحيحان فيهما إخبار للمسلمين بأن قتالاً عظيماً سيقع بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة وأن النصر سيكون للمسلمين، متى استجابوا للأوامر التى أمرهم الله بها وأن الله تعالى سيكرمهم بأن يخبر الحجر أو الشجر المسلم بأن يهودياً وراءهما فعليه أن يقتله.

(2) يجب علينا أن نوقن بأن الأيام دول وأن ما أصابنا بفلسطين من الممكن تداركه، متى تحلينا بالإيمان الصادر وبالعزم القوى وبالتصميم على استعادة أرضنا المقدسة، وبإتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك.

لقد سقطت بلادنا المقدسة في أيدي المعتدين أكثر من مرة ثمّ استطعنا بفضل الله ومعونته أن نستردها منهم، بل إن عشرات الأمم كانت رازحة تحت سلطان الاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الأخيرة ثمّ استطاعت بعد ذلك أن تنال حريتها وكرامتها.

إن نكبة فلسطين قد نبهت المسلمين إلى الأخطار المحيطة بهم،وعلمتهم دروساً كانوا غافلين عنها وأطلعتهم على أما أضمرته لهم الصهيونية العالمية ودول الكفر من أحقاد وشرور ،ودفعتهم إلى العمل المثمر من أجل المحافظة على كيانهم وكراماتهم بعد أن ظلوا سنين طويلة يعيشون عيشة الذل والهوان.

(3) يجب على الأمة الإسلامية والعربية، أن توحد قيادة المعركة وأن تسلمها لأيد أمينة مخلصة، وأن تحوطها بالتأييد إذا أحسنت واستقامت وبالتوجيه والإصلاح والتقويم إذا أخطأت وضلت،وأن تنأى بها عن الخلافات والمنازعات التى قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء.

أريد أن أقول: إن إنقاذ فلسطين من السرطان الصهيونى، يحتاج إلى جيش موحد القيادة محدد الهدف معداً إعداداً كاملاً قوياً من جميع النواحى، مؤمناً بقدسيته المعركة التى يخوضها، بعيداً عن التأثر بخلافات السياسيين الذين

بيدهم مقاليد الحكم في البلاد العربية..وإن لنا فيما حدث في معركة اليرموك وغيرها من المعارك الإسلامية لعبراً وعظات ففي هذه المعركة وجد خالد بن الوليد – رضي الله عنه – قوادها يقاتلون الروم متساندين كل أمير على جيش، فجمع خالد هؤلاء القواد وقال لهم: «إن هذا اليوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى فاخلصوا لله جهادكم، وتوجهوا إلى الله تعالى بعملكم، فان هذا يوم له ما بعده فلا تقاتلوا قوماً على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى.

قالوا فما الرأى؟ قال: إن الذي أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم وأنفع للمشركين من أموالهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فهلموا فلنتعاود الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد، حتي يتآمر كلكم ودعونى اليوم عليكم فقالوا: نعم فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم – أى : كغزواتهم الأولى – فكان الفتح على يد خالد يومئذ».

(4) يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها فى التذكير بقضية فلسطين وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة فى كل دولة بالدعاية الواسعة لها، وأن يدرس تاريخها فى المدارس والمعاهد والجامعات وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة فى كل مكان، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية فى القلوب والمشاعر.

إن هذا الجيل الذى عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض وستأتى بعده أجيال أخرى إذا لم نذكرها بهذه المأساة وتربطها بقلوبهم دينياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً فإنها ستصبح نسياً منسياً، ولن يمر وقت طويل حتى تختفى مأساة فلسطين من قلوبهم كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام وتعاقب السنين.

إن فلسطين هى من بلاد المسلمين المقدسة ففيها المسجد الأقصى الذي كان الإسراء إليه، والذى هو أولى القبلتين، والذى هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلاّ إليها، ففى الحديث الشريف«لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد

: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».وفى فلسطين كثير من المعابد والمقدسات،ففيها قبور بعض الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود–عليهم الصلاة والسلام–وفيها قبور عدد كبير من الصحابة كأبى عبيدة بن الجراح وعبادة بن الصامت،والفضل بن العباس،وشداد بن أوس وغيرهم من الصحابة والتابعين ولاشك أن بقعة من أرض المسلمين فيها كل هذه المقدسات جديرة بأن تكرر مأساتها على الأسماع فى كل زمان ومكان.

(5) يجب أن تقف الأمة العربية والإسلامية من الدول التى ناصرت الصهيونية موقفاً قوياً حاسماً، وأن تستعمل أسلحتها المتنوعة فى صرف هذه الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود، ومن أقوى هذه الأسلحة سلاح البترول الذي يوجد في بلادنا بكميات هائلة والذي لو أحسنا استغلاله واستعماله، لكفت دول الكفر عن تأييدها للصهيونية الباغية، ولن يأتي هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوة منه إلاّ إذا وحد العرب كلمتهم ووقفوا صفاً واحداً أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية.

(6) يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية (الفدائيين الفلسطينيين من كل النواحى، وان تختارهم من العناصر المأمونة والمؤمنة بربها وبدينها وبوطنها.. وأن تعطيهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات) ؛ لأن هذه الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها.وتكون هذه الحرب كمقدمة للمعركة الفاصلة التي يجب على الأمة الإسلامية أن تخوضها ضد إسرائيل حتى تطهر الأرض المقدسة من اليهود.ولقد اتبعت عدة دول طريقة (حرب العصابات) ضد المستعمرين فانتصرت عليهم فى النهاية، واستطاعت أن تنال حريتها رغم أنوفهم وخير مثال لذلك (الجزائر) دولة المليون شهيد فإنها قامت بهذه الحرب ضد فرنسا حتى أجبرتها على الرحيل عن بلادها.

(7) يجب أن نخوض معركة فلسطين المقبلة على أساس الجهاد الدينى، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامي مقدس كما قلنا سابقاً، وهي ملك لجميع المسلمين، وواجب الذود عنها فرض على كل مسلم على وجه الأرض.واليهود قد استغلوا الناحية الدينية على أوسع نطاق لتثبيت باطلهم فى فلسطين بحيث أفهموا دول الغرب – وخصوصاً إنجلترا – أن فلسطين هى أرض ميعادهم، وأن أرضها لهم وحدهم بنص التوراة... بينما العرب المسلمون اسقطوا هذا الجانب الديني الهام من حسابهم.. فخاضوا معركة فلسطين باسم النعرات الوطنية والقومية، وسخر بعض كتابهم بالنواحى الدينية. فكان مصيرهم الفشل.ونحن لا ننكر أثر القومية المادية فى النجاح، ولكن الذى ننكره أشد الإنكار هو الاعتماد عليها وحدها دون أن يقام للجانب الروحى أو الخلقى أى حساب.

إن الذين لا يهتمون بالناحية الدينية والخلقية، لن تكون العاقبة لهم ولو ملكوا أقوى قوة فى الأرض، وقد اعترف (الميثاق) بأهمية الطاقات الروحية والدينية ومما جاء فيه بهذا الشأن:«على أنه يتعين علينا دائماً أن نذكر أن الطاقات الروحية التي تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية ومن تراثها الحضارى، قادرة على صنع المعجزات.إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوة الدافعة.كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات، وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة، فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا،وأشرف الغايات والمقاصد».

(8) يجب على الأمة العربية والإسلامية (قبل ذلك وبعد ذلك) إذا أرادت أن تعيد فلسطين، أن تعود هى إلى تعاليم الإسلام فتطبقها على نفسها تطبيقاً كاملاً وأن تحارب الرذائل فيها، وأن تقيم حياتها وسلوكها ونظمها ومعاملتها على وفق تعاليم

الدين الحنيف وأن تعد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها، إذا فعلت ذلك فان النصر سيكون حليفها، والآيات الكريمة التي تشهد بذلك أكثر من أن تحصى منها قوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ومنها قوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) ومنها قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد).ومن وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته فى شخص ابن عباس رضى الله عنهما – قوله: «احفظ الله يحفظك الله تجده تجاهك...»، وقد وصى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سعد بن أبي وقاص فقال له:«أما بعد: فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوفينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة.واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون،فاستحيوا منهم ولا تعموا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله،ولا تقولوا:إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما علموا بمساخط الله كفرة المجوس(فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا)واسألوا لله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم»وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

[1] محمد سيد طنطاوى : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ، الجزء الثانى ، ص ص 470-476.

في سنة 1970

قرارات وتوصيات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

وقد أوصى المؤتمر الخامس ودعا إلى التصدي لغطرسة العدو الإسرائيلي ومواجهة التحديات، وبين أن قضية فلسطين والأراضى المحتلة ليست قضية قومية أو سياسة فحسب وإنما هى قضية إسلامية.كما استنكر المجمع إحراق المسجد الأقصى وأن ذلك يمثل ذروة الجرائم.وبيّن المؤتمر أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضاً عينياً لإنقاذ الأقصى، فدعا إلى إرسال المتطوعين وإنشاء صندوق للجهاد فى كل بلد إسلامى وتعبئة القوى الدينية فى المدارس والجامعات وأيد المؤتمر قيام الثورة الفلسطينية وأوصى بالدعوة إليها ودعمها فى مشارق الأرض.كما قرر المؤتمر أن العمل الفدائى ضرب من ضروب الجهاد. أعلن المؤتمر سخطه وإدانته لجميع القوى التى تقف وراء إسرائيل.كما قدم المؤتمر تحية إلى الجيوش المرابطة للعدو .وهذا نص القرارات والتوصيات: بسم الله الرحمن الرحيم :

«قرارات وتوصيات الفترة الأولى» : فى مرحلة من أدق المراحل التى تجتازها الأمة العربية والإسلامية، وتواجه فيها خطراً جسيماً يتهدد مصيرها على مستوى العالم الإسلامى كله، وتحتشد فيها عزائمها الصادقة لرد العدوان الذي نزل بها، انعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية فى شهر ذى الحجة سنة 1389 هجرى (مارس – آذار سنة 1970م) بالقاهرة فى فترته الأولى التي بدأت من يوم السبت 22 من ذى الحجة سنة 1389 هجرى الموافق 28 من فبراير – شباط سنة 1970م وانتهت بإعلان هذه التوصيات في يوم الأربعاء 26 من ذى الحجة سنة 1389 هجرى الموافق 4 من مارس – آذار سنة 1970م وذلك بدعوة من الأزهر الشريف.وقد التقى فيه وفود علماء المسلمين من البلاد المختلفة فى القارات الثلاث: آسيا، أفريقيا، أوربا، بإخوانهم أعضاء المجمع، لينظروا فى حاضر الأمة الذى تعلوه سحب الاعتداء والظلم والطغيان،

ويخططوا لمستقبلها الذى لابد أن تشرق عليه شمس الحق والعدل، والإنصاف والسلام.وقد خصصت الفترة الأولى من دورة المؤتمر الحالية لمعالجة جوانب العدوان الإسرائيلي على العرب في بقعة من أكرم بقاع الإسلام، وللتصدى لتحديه المتغطرس لجميع القيم والمبادئ الدولية والإنسانية، بمساندة سافرة من الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الاستعمارية، حتى استشرى هذا الطغيان الإسرائيلي فامتدت يده الأثيمة فأحرقت المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف.ودرس المؤتمر ما قدم إليه من بحوث وناقش كل فكرة تتعلق بقضية المصير، وقد التقت الآراء فى إجماع حاسم على تحديد أبعاد القضية، وعلى التصميم على مواجهة التحديات الصارخة التى وجهت ومازال توجه إلى الإسلام، عقيدة وحضارة، ومقدسات وأرضاً وأهلاً، فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه.

وانطلاقاً من هذا الموقف، والتزاماً بالمسئولية التى يتحملها المؤتمر أمام الله تعالى، وأمام التاريخ، وأمام الأجيال القادمة التى ستذكر الجيل ما قام به فى سبيل الحفاظ لها على وطنها وبمقدساتها وتراثها وحضارتها، يرى أن قضية فلسطين والأرض المحتلة من الدول العربية الثلاث، الأردن وسورية والجمهورية العربية المتحدة، ليست قضية قومية أو سياسية فحسب بل هى بالمكان الأول قضية إسلامية، يعيش المسلمون جميعاً واقعها الحاضر المرير، ويتحملون مسئولياتها ونتائجها، لأن شعوبهم جميعاً – مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم واصطنعت بينهم الحدود –أمة واحدة يتداعى سائرها بالأمل إذا أصاب جزءاً منها أى مكروه.

وقد أرادها الله كذلك في وحدة أهدافها، وجمع كلمتها وحشد عزيمتها واستقطابها حول مسئوليتها فقال سبحانه وتعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون) فالعدوان على أي جزء منها عدوان عليها وامتهان لسيادتها وكرامتها.ومن ثمّ فان الجريمة المنكرة التى ارتكبتها الصهيونية بإحراق المسجد

الأقصى تشكل فى حقيقتها قمة من قمم الصراع بين الأمة الإسلامية،وقوى البغى والعدوان،أعدائها وأعداء الإنسانية.

وليست هذه هى الكارثة العظمى آخر مطمع من مطامع إسرائيل، بل هى مرحلة من مراحل عدوانها المخطط الذى يستهدف أقطاراً إسلامية أخرى فى تخطيط يعد للانقضاض فى مراحل متتالية على باقى المقدسات الإسلامية والمسيحية معاً ليتحقق للصهيونية حلمها الذى يؤجج شرها، ويذكى نيران أطماعها، وهو إسرائيل الكبرى.

ودرءاً لهذا الخطر الزاحف، وصوناً لمقدسات المسلمين والمسيحيين في فلسطين، واستجابة لأوامر الله تعالى بالدفاع عن دينه، وعلى هدى من تعاليم الإسلام، وتوضيحاً للرؤية بالكشف عن الدسائس الصهيونية، والاستعمار لجميع المسلمين أفراداً وجماعات، شعوباً وحكومات، وتجاوباً مع مشاعر المسلمين، وتحقيقاً لإرادتهم فى واجب الدفاع عن كل ما هو مقدس يفتدونه بأنفسهم وأموالهم، من عقيدة، ووطن وعرض، وتراث وحضارة، ويعلن المؤتمر:

<u>أولاً: توصيات عامة:</u>

1 – يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضاً عينياً (النفير العام) على كل قادر من المسلمين، ومن يتخلف عن تحمل أعبائه فقد سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين.

وبما أن إسرائيل تحشد كل طاقاتها المادية والمعنوية للحرب مدعومة من الصهيونية العالمية ودول الاستعمار، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم يتحتم على المسلمين فى كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال.

ولكى يتم للبلاد الإسلامية تدريب المجاهدين وتسليحهم وتنظيمهم وقيادتهم، يوصى المؤتمر بتأليف منظمات للقيادات الثلاث: العسكرية والمالية والروحية فى كل بلد إسلامى.

2 – يدعو المؤتمر البلاد الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والفنيين إلى جبهات القتال، لمعاونة إخوانهم المرابطين في خطوط المواجهة الأمامية.

3 – يوصى المؤتمر حكومات الدول العربية، وجامعة الدول العربية أن يبادروا إلى اختيار قيادة عسكرية عامة للمجاهدين، وقيادة مالية وقيادة روحية، لتنسيق الجهاد ووضعه فى حيز التنفيذ.

4 – يحث المؤتمر الدول العربية على حشد كل طاقاتها المادية والمعنوية دعماً للجبهتين الشرقية والغربية، ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية العربية موضع التنفيذ، ويهيب بالدول العربية أن تعمل على تقوية القيادة العربية الموحدة، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة والقيادة مادياً ومعنوياً.

5 – يدعو المؤتمر الأمة الإسلامية إلى إنشاء صندوق للجهاد في كل بلد إسلامي – أسوة بالجمهورية العربية الليبية – لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني والإنفاق على المجاهدين واسر الشهداء وأن تخصص الحكومات قسماً من ميزانيتها لهذا الصندوق، وأن تساهم فيه الشعوب من دخل كل فرد منها بقدر استطاعته وغيرته وإيمانه.

6 – يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الدينية وتعميق القيم الإسلامية في المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمنتديات والقوات المسلحة وفى كل وسائل النشر والإعلام، ويحثهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى في جميع المرافق والمصانع والمزارع استعداداً لمواجهة احتمالات الموقف العسكري على أن يكون ذلك في صورة جدية دائمة، وتمكيناً للقيام بذلك يوصي المؤتمر باتخاذ الإجراءات لإنشاء وكالة أنباء إسلامية.

ثانياً : بخصوص فلسطين :

بما أن الشعب الفلسطينى قد مارس حقه المشروع أعلن قيام الثورة الفلسطينية والعمل الفدائى، ليحرر وطنه من المغتصبين والمعتدين الصهاينة، فإن هذا المؤتمر يعترف بهذه الثورة ويبارك خطواتها ويعتبرها طريقاً مشروعاً للدفاع عن الحق واسترداد الديار المقدسة.

2 – يوصي المؤتمر الشعوب والمجتمعات الإسلامية بالدعوة للثورة الفلسطينية فى كل المؤتمرات والتجمعات والمناسبات.

3 – يقرر المؤتمر أن على جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها دعم الثورة الفلسطينية دعماً كاملاً على المستوى المادى والمعنوى، وتقديم المساعدات والتسهيلات التى تكفل لها نجاحها، وفى سبيل تحقيق هذا الدعم يوصى المؤتمر بتشكيل لجان من علماء المسلمين وأصحاب الغيرة الإسلامية فى كل بلد أو مجتمع إسلامى لتنظيم الوسائل التى تؤدى إلى هذا الدعم الفعلى.

4 – يقرر المؤتمر أن دعم الثورة الفلسطينية لا يعفي الشعوب والمجتمعات الإسلامية من المساهمة الفعلية في جهادها بالنفس والمال لإنقاذ الأرض المقدسة وتحريرها، ويهيب المؤتمر بالمسلمين أفراداً وجماعات شعوباً وحكومات ألاّ يقتصر تأييدهم للقضية الفلسطينية على القرارات والبيانات بل لابد من اتخاذ خطوات إيجابية بالمشاركة بالنفس والمال.

5 – يعلن المؤتمر رضاه ومباركته لتشكيل القيادة الموضحة للعمل الفدائي الفلسطيني ويرجو من حكمة القائمين على هذه الوحدة القيادية أن يعملوا على استمرارها وتقويتها بما يجعلها مقدمة لوحدة العمل الفدائي قيادة وتنظيماً لتكوين قوة ضاربة قادرة على النهوض بواجباتها الموحدة في الجهاد داخل الأراضي المحتلة ضد العدو الذي لا يفرق بين عناصرها في بغيه وعدوانه.

6 – يوصي المؤتمر جميع المسئولين في البلاد العربية والإسلامية أن ييسروا للعمل الفدائي للقيام بمهمته الشريفة على الوجه الأكمل حتى يكون تأييد المسلمين مناسباً لتضحية الفدائيين.

7 – يقرر المؤتمر أن العمل الفدائي ضرب من أهم ضروب الجهاد المشروعة، بل المفروضة، ولذلك فان تجهيز الفدائيين بالسلاح والمال وكل ما يحتاجون إليه هو من الواجبات الشرعية، وان دفع الزكاة في هذا السبيل هو من مصارف الزكاة الشرعية تبرأ ذمة المزكى أمام الله سبحانه وتعالى.

8 – يقرر المؤتمر أن إقدام إسرائيل على حرق المسجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى، وقمة الاعتداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا، وانه لا سبيل لحماية المقدسات واطمئنان المسلمين فيها إلاّ بإجلاء العدو الصهيونى عن القدس وسائر الأراضى المحتلة إجلاء تاماً. وأن أى تفكير فى حل القضية الفلسطينية لا يعيد القدس فى سيادتها وإداراتها إلى الحالة التى كانت عليها قبل العدوان، مرفوض رفضاً قاطعاً، لأنه تفريط في حقوق المسلمين، وان أي حديث عن تدويل القدس مرفوض كرفض تهويدها تماماً.

9 – يؤكد المؤتمر قراره في العام الماضي بتأييد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاتهم فى الضفة الغربية للأردن بتاريخ 17 من جمادى الأولى سنة 1387 هجري (22 من أغسطس سنة 1967م) التى تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتحديده الإسلامى يشمل المسجد الأقصى المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما، وما عليه السور وفيه الأبواب، وأن العدوان على أى جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على أى جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته.

10 – يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم الحفاظ على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على مقدسات المسيحيين

فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملاً بحكم العهدة العمرية وتعاليم الشريعة الإسلامية.

11 – يعلن المؤتمر سخطه وإدانته لجميع القوى الاستعمارية التى تقف وراء العدو الصهيونى، تشجعه على العدوان، وتدعمه بالسلاح والمال، وعلى رأس هذه القوى الاستعمارية الولايات المتحدة الأمريكية التي كشفت عن تواطئها وانحيازها بما يخالف العرف الدولى، والوضع الإنسانى، والتزامها فى الأمم المتحدة.

12 – يوجه المؤتمر تحية تقدير وإكبار إلى إخواننا فى مختلف المناطق المحتلة لثباتهم وصمودهم لمواقفهم البطولية الرائعة فى مقاومة المعتدين.

13 – يوجه المؤتمر تحية الإجلال وإعزاز إلى الجيوش العربية الباسلة وسائر القوات المسلحة المرابطة على خطوط النار والمواجهة للعدو بشجاعة واستبسال، فهى حصن الأمة المنيع، ودرعها الواقية، وسهمها الصائب بإذن الله تعالى.

كما يوجه هذه التحية إلى الفدائيين الأبطال الذين تحوطهم الأمة بإعزازها وإعجابها وإجلالها.

14 – يقرر المؤتمر أن المعركة القائمة اليوم معركة مصيرية، معركة بقاء أو فناء للشعوب العربية والأمة الإسلامية فالعروبة هي وعاء الإسلام، وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام».

وأنه بناء على ذلك يجب على جميع العرب والمسلمين أن يشتركوا فيها اشتراكاً فعلياً.

وان المؤتمر يدعو بهذا إلى واجب شرعي وواجب وطنى ومصلحة مشتركة، درءاً لخطر زاحف لن يكتفى بما امتد إليه عدوانه.

15 – يؤكد المؤتمر الدعوة إلى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تنسيق بما يحقق التكامل الاقتصادي بينها.

16 – يوجه المؤتمر عميق شكره وتقديره لجميع الدول والشعوب والمنظمات والهيئات والأفراد التى وقفت إلى جانب قضيتنا، وأمدتنا بعونها المادى والمعنوى.

17 – يوصي المؤتمر بتأليف وفود تمثله لزيارة البلاد الإسلامية لنشر مقررات المؤتمر على المستوى الرسمى والشعبى [1].

وفي الفترة الثانية أوصى المؤتمر:«بطبع المخطط الصهيونى التوسعى فى خريطة مع صفحتين أو ثلاث لتفسيره، وترجمته، وإرسال نماذج منه لكل دولة إسلامية ومجتمع إسلامى ليطبع منه ما يدرج في برامج التعليم، وما يعلن على الناس من منابر المساجد، وبجميع الوسائل حتى يكون جميع المسلمين على بينة مما يدبره الأعداء ضد الإسلام والمسلمين[2].

[1] مجمع البحوث الإسلامية : قرارات وتوصيات المؤتمرات السابقة ، مرجع سابق ، ص ص 71-81..

[2] السابق: ص 85..

فى سنة 1971
قرارات وتوصيات المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية فى فترته الأولى

طالب المؤتمر السادس الدول والشعوب الإسلامية بأن تدعم الشعب الفلسطيني، وبين المؤتمر أن المسجد الأقصى ملك للمسلمين جميعاً، كما أكد انه لا حل إلاّ بإعادة الأراضى المحتلة والقدس، واستنكر كذلك موقف الولايات المتحدة الأمريكية فى دعم إسرائيل سياسياً وعسكرياً، وقد حث المؤتمر الدول العربية على حشد طاقاتها وإرسال المتطوعين لإنقاذ فلسطين، وهذا نص القرارات والتوصيات:

قرارات وتوصيات

الفترة الأولى

من 27 مارس إلى أول إبريل سنة 1971

«انطلاقاً من إيمان عميق بوحدة الكلمة الإسلامية التى دعا إليها القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام.وتلبية لدعوة الإسلام إلى التعاون على البر والتواصى بالحق وحشداً للعزائم الصادقة لمواجهة أدق مرحلة يجتازها الوطن العربي والأمة الإسلامية فى مجابهة العدوان الصهيونى الذى نزل بأجزاء عزيزة ومقدسة من الأراضى الإسلامية والعربية.

اجتمع علماء المسلمين الممثلون لإخوانهم فى خمس وثلاثين دولة: من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية تلبية لدعوة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لعقد مؤتمره السادس فى ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقد ألقيت فيه البحوث ودارت المناقشات فى أسبوع أظله الوفاق واجتماع الكلمة على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وقد بدأ المؤتمر فى يوم الجمعة 29 من المحرم سنة 1391 هجرى الموافق 26 من مارس (آذار) سنة 1971م بلقاء الأعضاء فى الجامع الأزهر لتأدية صلاة الجمعة.

ثمّ استمرت جلساته صباحاً ومساء حتى يوم الخميس 5 من صفر سنة 1391 هجرى الموافق أول إبريل (نيسان) سنة 1971م.

وقد خصص المؤتمر الجزء الأكبر من نشاطه للبحث فى العدوان الإسرائيلى الصهيونى على أرض فلسطين السلبية وعلى الدول العربية المجاورة لها، ولكن اهتمام المؤتمر بهذه المحنة الأليمة وتركيزه عليها لم يصرفه عن بحث عدد من المشكلات التي تواجه الإسلام والمسلمين في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

وتحت لواء الإسلام وتعاليمه وعلى هدى من حقائق التاريخ واستناداً إلى المبادئ الإنسانية وما توافق عليه العرف الدولى، وتعبيراً عن إجماع علماء المسلمين يقرر المؤتمر ما يأتى:

1 – مطالبة الدول والشعوب الإسلامية بدعم وتأييد الشعب العربى الفلسطينى وسائر الشعوب العربية والمقاومة العربية بالعمل الجدى الدءوب لتحرير الديار وسائر المقدسات إلى أن تعود إلى أربابها.

يؤكد المؤتمر قراراته السابقة بأن الجهاد بالنفس والمال أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولذلك يدعو المؤتمر المسلمين جميعاً أينما كانوا إلى النفير العام.

2 – المسجد الأقصى المبارك وسائر المقدسات الإسلامية ملك للمسلمين جميعاً لا يملك أحد التصرف فيها أو الانتقاص من قدسيتها كما أن المقدسات المسيحية من واجب المسلمين حمايتها وتأمين زيارتها لكل المسيحيين فى العالم عملاً بالعهدة العمرية وأحكام الشريعة الإسلامية.

3 – كل حل لا يعيد جميع الأراضى المحتلة إلى العرب وفى مقدمتها مدينة القدس بكاملها – سيادة وإدارة – هو حل مرفوض جملة وتفصيلاً، كما أن فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور مرفوضة كرفض تهويدها.

4 – يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ 17 من جمادى الأولى سنة 1387 هجري الموافق 22 من أغسطس سنة 1967م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب.

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك اعتداء على قدسيته، وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته وقدسيته.

5 – ويستنكر المؤتمر استمرار إسرائيل فى تغيير معالم القدس والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية، ويطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها المتعلقة بذلك وردع إسرائيل عن المضى فى جرائمها.

6 – يستنكر المؤتمر موقف الولايات المتحدة الأمريكية في دعم إسرائيل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على الرغم من تماديها فى طغيانها وعنادها وصلفها، ويعد ذلك عداء سافراً للعالم الإسلامى والعربى.

7 – يدين المؤتمر موقف إسرائيل المتمادى فى إهدارها لحقوق الإنسان فى المناطق المحتلة بوسائل التعذيب الوحشية وهدم المنازل وطرد المواطنين واغتصاب الأراضى والمبانى وإقامة المستوطنات لإسكان اليهود الغرباء بإحلالهم محل الأهالى العرب الأصليين. ويعلن أن هذا أفظع صورة من صور التمييز العنصرى.

8 – يصر المؤتمر على أن من واجب الدول الإسلامية قطع علاقاتها السياحية والاقتصادية بإسرائيل.

9 – كما يناشد المؤتمر سائر الدول المحبة للسلام قطع علاقاتها مع إسرائيل.

10 – يحث المؤتمر الدول العربية على حشد جميع طاقاتها المادية والمعنوية دعماً للجبهتين الشرقية والغربية ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية موضع التنفيذ.

11 – يدعو المؤتمر الدول الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والفنيين إلى جبهة القتال كما يدعو الشعوب الإسلامية للمساهمة بأنفسهم وأموالهم لمعاونة إخوانهم فى خطوط المواجهة الأمامية.

12 – يهيب المؤتمر بالدول الإسلامية والمؤسسات والمجتمعات الإسلامية بإنشاء صندوق للجهاد فى كل منها لتمويل الجهاد والإنفاق على المجاهدين واسر الشهداء وأن تخصص الحكومات الإسلامية قسطاً من ميزانيتها لهذا الصندوق، وأن تساهم فى هذا الصندوق الشعوب أفراداً وجماعات.

13 – كما يطالب المؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بمواصلة الإجراءات لتنفيذ إنشاء صندوق للجهاد العام فى القاهرة وتنسيق العمل بين هذا الصندوق العام وصناديق الجهاد فى البلاد الإسلامية الأخرى.

14 – يقرر المؤتمر أن المقاومة الفلسطينية تمثل القيام بواجب شرعى فى الجهاد لتحرير أرضها ومقدساتها.

ولهذا يوصى المؤتمر جميع الدول المجاورة للوطن المحتل أن ييسروا للعمل الفدائي القيام بمهمته الشاقة الشريفة على الوجه الأكمل، ولا يجوز لأحد ضرب المقاومة أو أن يضع العراقيل فى سبيل ذلك.

15 – ويطالب تلك الدول والمقاومة بالعمل على تنفيذ جميع الاتفاقات المعقودة لتنظيم العلاقات بينهما وأن توجه جميع الجهود والأسلحة العربية لصدر العدو الغاصب والحرص علي دماء رجال الجيش والفدائيين.

16 – كما يوصى المؤتمر رجال المقاومة بالعمل على توحيد صفوفهم والقيام بمهمتهم في مقاومة الأعداء.

17 – يحيى المؤتمر القوات المسلحة الرابضة على خطوط النار جيوشاً وفدائيين ويقدر فيهم مواقف التضحية والبطولة المنبعثة عن إيمان صادق بدينهم واستمساكهم بحقوقهم الوطنية والقومية وحرصهم على مقدساتهم وحضارتهم ومصادر أمجادهم[1].

---

[1] السابق: ص ص 93 - 98..

في سنة 1972
قرارات وتوصيات المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية في فترته الأولى

وقد طالب المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية المحيطة بأرض فلسطين أن تضاعف مجهوداتها لمقاومة العدوان.

كما قرر أن أى تسوية لا تعيد القدس إلى المسلمين لا تقبل بأى حال ، كما وجه المؤتمر نداءه إلى الملوك والرؤساء الدول العربية والإسلامية أن يتخذوا موقفاً حازماً تجاه الاعتداء الإسرائيلى.وهذا نص القرارات والتوصيات:

أولاً: إعلان عام:

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه في دوراته السابقة من أن الجهاد بالأنفس والأموال أصبح فرضاً عينياً على كل قادر من المسلمين، لا يجوز أن يتخلف عنه من ينتسب إلى هذا الدين القويم.وأن هذا الواجب لا ينتهى إلاّ بعد تحرير الأرض والقدس الشريف، والمسجد الأقصى، وجميع الأراضى الإسلامية العربية التى احتلتها إسرائيل.

ثانياً: بخصوص فلسطين:

يقرر المؤتمر أن العدوان الصهيونى على فلسطين والبلاد العربية الأخرى لايزال الموضوع الرئيس الذي يشغل مؤتمر علماء المسلمين فى مجمع البحوث الإسلامية حتى يزول العدوان ويعود الحق في نصابه، وتصان المقدسات الإسلامية والمسيحية عند المسلمين والمسيحيين على السواء، ويطمئن المسلمون وباقي المواطنين فى ديارهم.

وبما أن إسرائيل ممعنة فى عدوانها وغطرستها، واستهانتها بكل القيم الإنسانية، والقرارات الدولية، دائبة فى مظالمها بقصد القضاء على آثار الحضارة الإسلامية والعربية، وتشويه معالمها.

فإن المؤتمر يوصي:

1 – جميع الحكومات المحيطة بأرض فلسطين المحتلة بأن تضاعف أعدادها لمقاومة العدوان، ومجابهة الغطرسة والطغيان وتهيئ جيوشها وأبناءها جميعاً شباباً وشيوخاً، رجالاً ونساء للقيام بدورهم فى المعركة حيثما كانت، جهاداً مقدساً فى سبيل الله والوطن.

2 – كما يوصى جميع الحكومات الأخرى والشعوب، والمؤسسات والهيئات العربية والإسلامية، أن تقدم المعونة الفعالة على جميع المستويات التي تتطلبها ضراوة المعركة.

كما يوصى الحكومات الإسلامية بمد يد العون المادي والمعنوي للعمل الفدائى.

3 – كذلك يقرر المؤتمر أنه لا يصح ولا يقبل بحال من الأحوال أى حل أو تسوية لا تعيد القدس إلى سيادتها الإسلامية والعربية، ولا يعيد كذلك الأراضى العربية المحتلة، ولا يعيد سائر الحقوق العربية الإسلامية إلى أصحابها.

4 – وفى سبيل ذلك يوجه المؤتمر النداء الآتى إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية والعربية.

«يوجه علماء المسلمين الممثلون لنحو أربعين قطراً ومجتمعاً فى مؤتمرهم المنعقد فى القاهرة، تحت راية الإسلام، وفى رحاب الأزهر فى الدورة السابقة للمؤتمر العام لمجمع البحوث الإسلامية».

يوجهون نداءهم هذا إلى الملوك والرؤساء للدول الإسلامية والعربية، أن يتخذوا موقفاً حازماً إزاء الاعتداءات الصارخة من إسرائيل، على الأقطار الإسلامية والعربية فى صور من الوحشية والهمجية، لم تجرؤ إسرائيل على اقترافها إلاّ بسند من دول تمدها بالمال والسلاح والتأييد وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التى أيدت عدوان إسرائيل واستعملت (الفيتو) ضد قرار يمنع تكرار العدوان.

وآخر هذه الاعتداءات البشعة، هو العدوان على سورية ولبنان، مما حرك مشاعر البشرية فى جميع أنحاء العالم.

ونحن فى مؤتمرنا هذا نتوجه إلى أصحاب السلطة الشرعية فى البلاد الإسلامية والعربية – بحق ما لهم من ولاية، وبحق مالنا من نصيحة يأمرنا بها الإسلام – أن يوحدوا كلمتهم، ويعدوا عدتهم، ويجمعوا قواهم ومواردهم، لمجابهة العدو، وان يستعملوا حقوقهم ضد مصالح المؤيدين لإسرائيل فى بلادنا.

وأن يستخدموا ما منح الله بلادهم من أسباب القوة الرادعة للدول المؤيدة لإسرائيل استخداماً يؤكد أملنا فيهم، ويحقق مصلحة أوطاننا المهددة ويبرهن للمعتدى ومناصريه أن دماء المسلمين والعرب لن تذهب هدراً. (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [1].

---

[1] السابق: ص ص 112 - 115..

في سنة 1972
قرارات وتوصيات المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية فى فترته الثانية

وقد أوصى المؤتمر بجميع المخطوطات التى تؤرخ لبيت المقدس بأن يتم نشرها علمياً حتى يطلع عليها العالم الإسلامى وغيره. وهذا نص القرارات والتوصيات:

قرارات وتوصيات الفترة الثانية : «فى ظل العناية الإلهية، وتحت لواء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفى رحاب الأزهر الشريف، وتحقيقاً لأهداف مجمع البحوث الإسلامية.

انعقد المؤتمر السابع للمجمع فى فترته الثانية، برياسة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر، وبحضور أعضاء المجمع من جمهورية مصر العربية ومن البلاد الإسلامية الشقيقة، ودامت جلسات اجتماعه من يوم الاثنين العاشر من شعبان سنة 1392 هجرى – الثامن عشر من سبتمبر (أيلول) سنة 1972م، إلى يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان سنة 1393 هجرى – الرابع من أكتوبر (تشرين الأول) سنة 1972م.وكان المؤتمر قد اهتم فى فترته الأولى بدراسة موقف المسلمين من محنة فلسطين وعدوان إسرائيل على أراضى البلاد الإسلامية العربية، وبدراسة الدعوة الإسلامية وتوحيد كلمة العالم الإسلامى فى أهدافه، وبمناقشة أوضاع المسلمين في البلاد التى يمثلون فيها أقليات، وبدراسة بعض النظم الاقتصادية الحديثة لتحديد رأى الإسلام فيها.

وفى الفترة الثانية خصص المؤتمر جلساته لمجموعة أخرى من الدراسات الإسلامية، تابع فيها بعض ما عرض فى الفترة الأولى وأضاف إليه بحوثاً أخرى.

فألقيت فيه، ونوقشت، البحوث الآتية:واجب المسلمين نحو بيت المقدس، وإسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين، وملامح المجتمع المثالي فى الإسلام

وكيف يتكون المسلم في ظل مناهج الإسلام، والتربية الدينية التى يحتاج إليها العالم الإسلامى المعاصر، وجمع القرآن الكريم وثبوته بالقطع واليقين، وشركات التأمين من وجهة نظر الشريعة الإسلامى، وعرض ما تم بشأن الدراسات السابقة في مؤتمرات المجمع عن موضوع التأمينات وحكم الربا في الشريعة الإسلامية، وبعض الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها المصارف المصرية، والولاية المقيدة للسلطة العامة فى الإسلام.

ويبدأ المؤتمر توصياته بتأكيد ما قرره فى فترته الأولى من الدعاء إلى الله تعالى أن يبارك الخطوات الموفقة التي سارت بتحقيق اتحاد الجمهوريات العربية، وبإعلان الوحدة الاندماجية بين جمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية الليبية.

أولاً: بخصوص فلسطين:

1 – يوصى المؤتمر أن تجمع المخطوطات التي تؤرخ لبيت المقدس حيثما توجد لتنشر نشراً علمياً يطلع عليه العالم الإسلامى، وسائر من يهم المسلمين إطلاعهم على تراثنا المقدس.

2 – يوصى المؤتمر بطبع بحث «إسرائيل كركيزة للاستعمار بين المسلمين» في كتاب مستقل مع ترجمته إلى اللغتين: الإنجليزية والفرنسية.

3–يرحب المؤتمر بترجمة كتاب «يقظة الأمة العربية» للسيد نجيب عازوري إلى العربية،ويوصي المؤتمر بأن يعمل مجمع البحوث الإسلامية على إعادة نشره باللغة الفرنسية وترجمته منها إلى الإنجليزية،وأن يضاف إلى هذه الطبعات تعليقات كافية بما يحتاجه منها إلى الإنجليزية، وان يضاف إلى هذه الطبعات تعليقات كافية بما يحتاجه والتطور الزمنى للقضية العربية[1].

فى سنة 1977
قرارات وتوصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية

[1] السابق: ص ص 123 - 125..

ويؤكد المؤتمر دعوته للجهاد من اجل تحرير فلسطين ويعلن حزنه وأسفه لأحداث لبنان. وهذا نص القرارات والتوصيات :

بسم الله الرحمن الرحيم:«فى رحاب الأزهر الشريف، وعلى أرض القاهرة العريقة اجتمع المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية، بعون الله وتوفيقه مستجيباً لدعوة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر، ورئيس المؤتمر، ووفد إليه علماء المسلمين من أربع وخمسين دولة من جميع أنحاء العالم ليسهموا فى عرض مشكلات العمل الإسلامى وليتدارسوا حلها، على ضوء ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعلى مدى الأيام الستة لفترة المؤتمر الأولى، التى بدأت في صباح يوم السبت، الثانى من ذى القعدة عام 1397 هجري الموافق الخامس عشر من أكتوبر عام 1977، أكد المؤتمر عزمه الراسخ على تقوية وعي المسلمين بما يجب عليهم من صيانة المقدسات الإسلام، وعمل على درء الأذى عن أتباعه، وكشف للمخططات التي تستهدف تضليل المسلمين عن حقائق دينهم.

وأنه فى ختام الفترة الأولى لهذا المؤتمر الذى تم فيه التلاقى بين علماء المسلمين متواصين بالحق، داعين إلى الوحدة، متعاونين على البر والتقوى.

يسجل المؤتمر عظيم شكره وتقديره للسيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية لرعايته للمؤتمر في جميع مراحله: تفكيراً فى الدعوة إليه، وتحقيقاً لاجتماعه، وحدباً على نجاحه، وتفضلاً بانتداب السيد محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ليفتتح المؤتمر باسمه ثمّ تفضله باستقبال أعضاء المؤتمر واحتفائه بهم..

ويعلن المؤتمر ابتهاجه بأن يواكب انعقاده احتفالات مصر والأمة العربية بعيد النصر لحرب العاشر من رمضان واقتحام الجيش المصري الباسل حصن الصهيونية الذى كان رمز الاعتداء، ويرى فى هذا النصر إنجازاً مباركاً فى سبيل نشر الإسلام القائم على الحق والعدل، يستحق أن نقدم من أجله التهنئة

للسيد الرئيس محمد أنور السادات، وللذين عاونوه وآزروه وللأمة المصرية، والعربية، والإسلامية.

كما يقدر المؤتمر للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر جهوده الموفقة فى نجاح هذا المؤتمر، واضطلاعه بحمل رسالة الأزهر، فى خدمة الإسلام والمسلمين، وإعلاء كلمة الدين فى نشر العدل والخير، والرحمة والتسامح، والعلم والإيمان، في كل قطر وكل بيئة.

وقد أسفرت الدراسات والبحوث التي قام بها المؤتمر فى فترته الأولى عن التوصيات الآتية:

فلسطين والاحتلال الإسرائيلى

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه من توصيات وقرارات في دوراته السابقة بخصوص تحرير الأرض العربية التى اغتصبتها إسرائيل في فلسطين، وسوريا، والأردن، ولبنان، ومصر، ويؤكد دعوته للجهاد من أجل تحريرها، ويقرر ضرورة عودة الفلسطينيين إلى ديارهم وإقامة دولتهم بإرادتهم الحرة المستقلة.

ويعلن المؤتمر أن لأهل فلسطين الذين أخرجوا منه الحق كل الحق فى أن يعودوا إليها، وأن يقيموا مع سائر الفلسطينيين دولتهم المستقلة التي يريدونها، على أرض وطنهم فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي تعبر عن إرادتهم الحرة.

كما يعلن المؤتمر أن إعادة القدس إلى السيادة العربية الإسلامية كما كانت قبل العدوان شرط أساسى فى أى بحث يتناول هذه القضية.

لبنان

يعلن المؤتمر عميق حزنه وأسفه للأحداث المؤلمة التي نزلت بلبنان، ويدعو جميع المعنيين إلى العمل على انتشاله من محنته واحترام وحدته، والالتزام بما يبقي عليه بمساندتهم ومد يد المساعدة لهم.

المسلمون فى أنحاء العالم

ويوصى المؤتمر أن يؤلف المجمع لجنة دائمة تعنى بشئون المسلمين الذين يعانون صعوبات تجاه دينهم فى دولهم، وأن يمنح هذه اللجنة الإمكانات التى تيسر عملها، وتحقق أهدافها، ويعلن المؤتمر اهتمامه بأحوال المسلمين وسلامهم فى كل من قبرص وإريتريا وتايلاند وغيرها من البلاد التى يعانى فيها المسلمون اضطهاداً، كما يوصى بمساندتهم ومد يد المساعدة لهم[1].

[1] السابق: ص ص 133 - 136..

فى سنة 1983

قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

يناشد المؤتمر شعوب العامل الإسلامى الاتحاد من أجل دفع العدوان ومن أجل استرداد الحق المغتصب بكل الوسائل المشروعة.

وهذا نص القرارات والتوصيات:«يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية التضامن والاتحاد للعمل فى دفع العدوان الواقع من القوى الخارجية على بلاد العرب والمسلمين فى أفغانستان ولبنان صيانة لهذه الأرض وتطهيراً لها من المغتصبين.

وفى هذا المقام يناشد المؤتمر المجاهدين فى أفغانستان ولبنان أن يوحدوا كلمتهم وأن يرتفعوا فوق الخلافات الشخصية والمذهبية وأن يجمعوا أمرهم على إجلاء عدوهم عن أرضهم، ولن يتم ذلك إلاّ بوحدتهم واجتماع كلمتهم.

يناشد المؤتمر شعوب الأمة العربية والإسلامية خاصة وشعوب العالم والمنظمات الدولية عامة مساندة حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه وإقامة دولته على أرضه كما يناشد الزعماء الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم على استرداد الحق المغتصب بكافة الوسائل المشروعة.

يوصى المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها بالعمل بكافة الطرق على استعادة القدس موحدة كما كانت إلى السيادة العربية الإسلامية»[1].

---

[1] السابق: ص ص 164 - 165..

فى سنة 1986

فتوى للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

هل الدفاع عن المسجد الأقصى وتطهيره من العدوان وحفظه خاص بقوم دون قوم أو فرض على كل مؤمن بالله وقرآنه ورسوله؟

وقد أجاب فضيلته بان ذلك الجهاد واجب مقدس وعلى كل مسلم أن يستعد لذلك الواجب.

وهذا نص الفتوى: هل الدفاع عن المسجد الأقصى وتطهيره من العدوان وحفظه خاص بقوم دون قوم أو فرض على كل مؤمن بالله وقرآنه ورسوله؟.

قال الله تعالى: (قَاتِلُوا الَذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ورَسُولُهُ ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وهُمْ صَاغِرُونَ).

فنشر كلمة التوحيد عامة والدفاع عن الإسلام كذلك، وإجلاء الكافرين عن كل بقعة احتلوها من أرض المسلمين عامة، وإجلاء اليهود عن المسجد الأقصى وعن كل ما احتلوه من بلاد المسلمين واجب مقدس وفريضة مفروضة على كل مسلم.

وعلى كل مسلم أن يستعد لأداء هذا الواجب، وألا ينتظر دفاع غيره ممن لا يدينون بدينه عنه، لأن الكفر ملة واحدة ولن تمد دولة ما لا تدين بدين الإسلام يدها للمسلمين مدافعة معهم عن أوطانهم إلاّ إذا كان لها فى ذلك العمل مصلحة تعود عليها.

لهذا نرى أن الدفاع عن المسجد الأقصى واجب المسلمين وحدهم، ليستردوا أرضهم ويطهروا المسجد الأقصى وغيره من رجس عدوهم. والله أعلم[1].

---

1 فتاوى الإمام عبد الحليم محمود : الجزء الثانى ، ص111..

فى سنة 1986

فتوى للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

هل الحرب القائمة بين العرب والإسرائيليين حرب جهاد أو هى دفاع عن النفس؟ وقد أجاب فضيلته بأن تلك الحرب جهاد ودفاع عن المقدسات في ذات الوقت .

وهذا نص الفتوى:هل الحرب القائمة بين العرب والإسرائيليين حرب جهاد أو هى دفاع عن النفس؟ .

إن الحرب بين العرب والإسرائيليين هى جهاد، وهى فى الوقت نفسه دفاع عن النفس، ومن مات فيها فهو شهيد، ولا نجد فى التاريخ جهاداً يشبه تماماً الجهاد الإسلامى الأول أكثر من هذه الحرب القائمة، وإذا تدبرنا الأسباب الأولى التى أذنت بالجهاد الإسلامى فى أول الأمر نجد أن الأسباب التي ذكرتها الآيات الشريفة هي نفس الأسباب التي أدت إلى هذه الحرب يقول الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ).

وعرب فلسطين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وشتتوا وشردوا، ومن بقى فيها الآن من العرب ينكل بهم ويعذبون فى صورة لا إنسانية ولا رحمة ويهانون بكل أنواع المهانة، والواجب على جميع الدول الإسلامية الآن أن تهب لنجدتهم وللعمل على أن تعود فلسطين عربية، وعلى أن تتحرر من هذه الشر ذمة الأفاقة، وإذا تخلفت دولة عربية عن هذا الجهاد المقدس فإنها تكون آثمة يمقتها الله ورسوله.

فالحرب الحالية هي جهاد، وهى دفاع عن المقدسات، وهى حرب في سبيل الله وفى سبيل العدالة، وفي سبيل استرجاع الحق المغتصب، وهي دفاع عن النفس وعن المال وعن العرض، وهى محاربة فى سبيل الله وفى سبيل الحق، ومن يتخلف عنها فهو غير مؤمن.

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد فلسطين عربية إسلامية كما كانت، وأن ينكل بهؤلاء الذين اغتصبوا الحقوق وقتلوا الأبرياء وأسالوا دم الشرفاء، ومن الله يستمد العون والنصر [1].

[1] السابق: ص ص 13..

في سنة 1990
بيان من الأزهر الشريف
عقب الأحداث الأليمة التي وقعت في المسجد الأقصى

أكد البيان أن الحكومة الإسرائيلية خرقت المواثيق، وعلى الشعوب والحكومات الإسلامية أن تتخذ موقفاً موحد إزاء هذا العدوان. كما أهاب البيان بالفلسطينيين أن يثبتوا في مواقعهم.

«فى أعقاب الأحداث التي وقعت في المسجد الأقصى فى أكتوبر سنة 1990 صدر بيان من الأزهر الشريف أكد فيه شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق أن تلك الحوادث تدل على أن الإسرائيليين على مختلف مستوياهم قد تخلوا عن الإنسانية وأن الحكومة الإسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الإنسان واحترام دور العبادة وحمايتها، وهي بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الأقصى ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الأرض.

وأهاب فضيلة شيخ الأزهر بكافة المنظمات الدولية أن تضطلع بمسئوليتها تجاه العدوان الأثيم، كما ناشد الشعوب الإسلامية والحكومات أن يتخذوا موقفاً موحداً إزاء هذا العدوان على المسجد الأقصى الذى قتل وشرد الأنفس البريئة التي تدافع عن المقدسات والحرمات، وحث فضيلته الحكومات على أن تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والأرض المحتلة، وأهاب بالفلسطينيين أن يثبتوا في مواقعهم ولا يتخلوا عن أرضهم، ولا عن مقدساتهم، ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدأ فى صفوف الأمة العربية والإسلامية، فلعل ما حدث فى القدس يكون دافعاً لجمع كلمة العرب والمسلمين، ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم»[1].

في سنة 1995

1 محمد على حله : جهود الأزهر ، مرجع سابق ، ص ص 46-47..

فتوى للشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واجب على الأمة الإسلامية أن تقلم أظفار الصهيونية بجميع الأسلحة الروحية والمادية.

بين فضيلته في هذه الفتوى أن بنى إسرائيل جبلت على المكر والخديعة وأكل أموال الناس بالباطل وقتل الأنبياء وأكل السحت.

وأن المعركة بين اليهود والمسلمين قديمة وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يتنبأ بمقتلة عظيمة بين اليهود والمسلمين ، يكون النصر فيها للمسلمين. وإنهم بعد أن احتلوا فلسطين يريدون السيطرة على الأرض كلها.كما بين أن مما يقنت الأكباد ويدمي قلب كل مسلم أن تقع القدس تحت أيديهم .

وهذا نص الفتوى:«عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقاتلون اليهود حتى يختبئ وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله».

جُبل بنو إسرائيل على المكر والخديعة، وطبعوا على الغدر والخيانة، ومردوا على الظلم والبغي، وكثيراً ما كانوا يقتلون النبيين بغير حق، ويأكلون أموال الناس بالباطل، وكان يدفعهم حرصهم على الحياة، وحبهم للمال إلى أكل السحت والربا، كما كانوا في نزاع دائم، وعدوان مستمر، بدافع البغي المتأصل في أعماق نفوسهم، والرغبة الملحة في سبيل الحصول على المال من أي طريق، إرضاء لشهوتهم الجامحة إلى الشر، وإشباعاً لنهمهم الجانح إلى العز، وهم أينما كانوا، وفي أي زمان وجدوا: طابعهم الخسة والنذالة، والعداوة المتغلغلة في صدورهم للمؤمنين، قال الله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَذِينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ورُهْبَاناً وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ).

ولهذا وقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم مواقف غير إنسانية، وحاولوا الغدر به أكثر من مرة، والنيل من المسلمين في الخفاء، ولكن محاولاتهم الدنيئة

كانت تذهب سدى، وتتكشف نواياهم الخبيثة العدوانية للنبي صلى الله عليه وسلم مما وغر صدور المسلمين عليهم.

إن المعركة بين اليهود والمسلمين قديمة، إنها معركة ذات جذور عميقة، فهي صراع بين العدل والظلم، بين الحق والباطل، معركة بدأها المجاهد الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد حارب اليهود، وكان له معهم غزوات، حارب يهود خيبر، وحارب بني النضير، وحارب قينقاع، وحارب بني قريظة،حارب أولئك القوم لا لمجرد الحرب، ولكن لما لمسه فيهم عن كثب، من غدر وبغى، وظلم وخيانة، ودس ووقيعة، ونقض للعهود، وتحالف مع المشركين، رغبة في إلحاق الضرر بالمسلمين.

إن اليهود على ما عرفه المسلمون عنهم في حروبهم عبر التاريخ، يكرهون اللقاء في الميادين المكشوفة، ولا يعتمدون على تسيير جيوشهم في العراء، اللهم إلاّ إذا كانت معهم قوة استعمارية تؤيدهم وتشد أزرهم وتساندهم، لقد ورثوا عن أجدادهم الجبن والحذر، وضعف العزيمة، كما ورثوا عنهم – أيضاً – القتال، من وراء الجدر والحصون، وفيهم يقول الله تعالى: (لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ . لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن ورَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ).

عن أبن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهود ورائي فاقتله» فهذا الحديث يتنبأ بمقتلة عظيمة تجري بين اليهود والمسلمين، ويتنبأ بكراهية معظم شعوب العالم لليهود، كما يتنبأ بان النصر سيكون للمسلمين، والخذلان لليهود أعداء الدين، ولا عجب. فالله تعالى يقول: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً واللَّهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ).

ويقول جل شأنه: (وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

إن اليهود قوم ينبئ تاريخهم الأسود الملطخ بدماء الأنبياء والأبرياء عن أصالتهم في الشدة وعراقتهم في السوء، وانه لا أ؟مل في استقامتهم، ما لم تكسر قناتهم، وتقلم أضفارهم، ويحطم كبرياؤهم، ويقضى على صلفهم وغرورهم!!

إن اليهود: هم خلفاء إبليس في الأرض، وهم أداته التي يستخدمها لإغواء بني آدم، وهم الطغمة الفاسدة التي يتخذ منها حزبه وأعوانه، يحادون أهل الخير ودعاته، وإنهم في كل بلد دخلاء فيه، لا ينتمون إليه، بل لهم رباط يربطهم، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين!!

وقد اشتمل التلمود – وهو أفضل عندهم من التوراة – على أوامر في منتهى الخطورة على الأديان السماوية كلها، بل على البشرية جمعاء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر. إن أي شريعة غير الشريعة اليهودية فاسدة، إن كل شعب غير الشعب اليهودي يكون قابضاً على السلطة لهو شعب غاصب، ولا عجب فهم لا يعرفون إلى الشفقة والرحمة طريقاً، لتجردهم منها، وإن الكتب الدينية التي وضعها الأحبار والحاخامات، واعتنقها اليهود دون التوراة تقول لهم ما نصه: «اهدم كل شيء قائم، لوث كل طاهر، احرق كل أخضر، كى تنفع يهودياً بفلس».

«اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم بحد السيف..» العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات فى اليوم» ويقول التلمود: « إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لا يمكن حلها فى السماء».

ويقول: «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها، ولا تغييرها، ولو بأمر الله» تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولقد كان نبى الله موسى عليه السلام يصف بنى إسرائيل بالشعب الغليظ الرقبة المتمرد على الله ورسله، الكافر بأنعمه وفضله.. وكان عيسى عليه السلام يقول : لهم «يا أولاد الأفاعي».. وكان نبينا محمد يقول لهم: «يا أخوة القردة والخنازير» وسجل عليهم اللعنة الأبدية فيما قرأه عليهم من كلام الله المجيد حيث يقول: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون).

إن اليهود هم الشعب الوحيد الذي بعث الله إليه رسلاً كثيراً، لأن الخديعة والمكر والضلال مرموز في طباعهم، وكان كل رسول لا يأتي إليهم بما تشتهيه أنفسهم يقتلونه.

(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون).

هذا القتل، وهذا المكر، وهذا الضلال شأنهم منذ الأزل، وسبيلهم مند القدم وهو لا يقنعون، ولا يريدون أن يقنعوا، بل يريدون أن يطبقوا على الأرض شريعة الغاب.

إنهم بعد أن احتلوا فلسطين، الأرض المقدسة، التي خطا على ثراها جبريل عليه السلام برسالات ربه إلى أنبياء الله ورسله، يريدون السيطرة على الأرض بما فيها ومن عليها!! وإنما يؤدبها ويردعها شيء واحد هو القوة، التي لا تعرف إسرائيل لغة غيرها، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة!!.

وإذا كانت بعض الدول الإستعمارية قد شدت من أزر إسرائيل، وأمدتها بالأسلحة والمال والرجال فان العاقبة ستكون لنا معشر الأمة الإسلامية، متى تآلفنا واتحدنا واستقمنا وتضامنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقاتلكم يهود، فتنصرون عليه حتى يقول الحجر والمدر والشجر: يا عبد الله، يا عبد الرحمن، يا مسلم، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلاّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس، وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة».

إن مما يدمي قلب كل مسلم، أن يحتل اليهود فلسطين، وأن تقع مدينة القدس، وفيها المسجد الأقصى، وغيره من المقدسات الإسلامية في أيدي شذاد الآفاق، وقتلة الأنبياء، وتجار الحروب، وموقدي نار العداوة بين الشعوب!!

وإن مما يفتت الأكباد، ويمزق أنياط القلوب أن تقع هذه الأرض المقدسة، فلسطين الحبيبة، في أيدي العصابات الصهيونية التي أوجدها الاستعمار في قلب الوطن العربي، وأمدها بجميع الإمكانات لتظل رأس رمح، يمزق وحدة العرب، ونقطة ارتكاز له، يبث منها إلى كل بلد عربي حر أبي لتحقيق أغراضه وأطماعه.

لقد وقع المسجد الأقصى بين اليهود الذين استباحوا حرمته ومشوا في رحابه بالرجس والفجور، كما سبق أن امتدت أيديهم الآثمة إلى محاولة إحراق، والى إجراء حفريات تحت جدرانه، وبالقرب منها!! إنهم يزعمون، أن بيت المقدس لهم بمثابة الروح من الجسد، وأن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة أقيما فوق هيكل سليمان بن داوود عليهما السلام.. وقد عبر عن ذلك بعض ساستهم بقوله: «لا إسرائيل بغير القدس ولا قدس بغير الهيكل» وكأنهم نسوا أو تناسوا أن المسجد الأقصى، يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التي عنى الإسلام بتعظيمها، وحث على تكريمها، ونوه القرآن الكريم بسمو منزلته، وعلو مكانته في قوله جل شأنه: (سُبْحَانَ الَذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).

وأشادت السنة النبوية الصحيحة بعظيم فضله، اعتبرته أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقاتلون اليهود» الخطاب وان كان موجهاً للمسلمين

المعاصرين لرسول الله ولكن المراد غيرهم من أمته، وهم الذين سيكونون وقت وقوع الحادث، لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد خلق بعد، بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي إليه عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله».

وهذا على حد قول الله تعالى: (وإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ).

فالخطاب للموجودين وقت نزول الوحي وان كانت النجاة لمن قبلهم من أجدادهم..

فواجب على الأمة الإسلامية أن تقلم أظفار الاستعمار والصهيونية بجميع الأسلحة الروحية والمادية، وأن تكون على يقظة تامة من مكرهم وألاعيبهم وخداعهم، حتى ينصر الله جنده، ويعلي كلمته، ويعز بيته، ويعود الإسلام الحقيقي إلى مدينة السلام[1].

---

[1] مجلة الأزهر : الجزء الثانى عشر ، السنة السابعة والستون ، ذو الحجة 1415هـ ، مايو 1995، ص ص 1617-1620.

في سنة 1995

بيان من الأزهر الشريف بشأن اتجاه إسرائيل لضم القدس

في هذا البيان يستنكر الأزهر إجراءات تفريغ مدينة القدس من سكانها الفلسطينيين.ويدعو كافة الشعوب والحكومات الإسلامية والعربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة أن تعمل على وقف هذا العدوان.

في سنة 1995 صدر بيان من الأزهر الشريف وقع عليه فضيلة الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر.

ونصه:«تواترت الأنباء عن الإجراءات الإسرائيلية الخطيرة ضد «مدينة القدس» والى تفريغها من سكانها الفلسطينيين توطئة لإحلال آخرين دخلاء على أرضها.ولا شك في أن هذه الإجراءات تشكل انتهاكاً خطيراً لاتفاق إعلان المبادئ الفلسطينية الإسرائيلي، ويناقض العملية السلمية الجارية تنفيذاً لذلك الاتفاق، فضلاً عن انه يتنافى مع الشرعية والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة.والأزهر الشريف – بجميع هيئاته – يستنكر هذه الإجراءات ويناشد المجتمع الدولي الوقوف بحزم ضد أي مساس بوضع مدينة القدس العربية والمقدسات على أرضها وصيانة حقوق أهلها العرب.

ويدعو الأزهر الشريف كافة الشعوب والحكومات الإسلامية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة بكافة أجهزتها على أن تعمل على وقف هذا العدوان على مدينة القدس ومقدساتها بإجراءات حازمة حاسمة تهيئ الجو لمواصلة إرساء السلام على هذه الأرض المقدسة ومنعاً لهذا العبث الذي يعوق الاستقرار في المنطقة العربية.

ولتظل مدينة القدس كما كانت خالصة لأهلها حتى تتحقق الآمال في وطن مستقر آمن عاصمته القدس[1].

في سنة 1995

[1] مجلة الأزهر : الجزء الأول ، السنة الثامنة والستون ، محرم 1416هـ ، يونيو 1995 ، ص17..

بيان من الأزهر الشريف في شأن القدس

صدر هذا البيان في نوفمبر سنة 1995 عقب قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وهذا تأييد لإسرائيل على تأكيد احتلالها للقدس.

وقد دعا البيان الأمة الإسلامية أن تجتمع وتصطف وأن تكون على قدر المسئولية ولا يرهبها قوة، ودعا منظمة المؤتمر الإسلامي بهيئته وجامعة الدول العربية بهيئاتها أن يخرجوا عن هذا الصمت حتى لا يفسر ذلك بالرضا، وان يدافعوا عن قضاياهم.

كما دعا البيان الملوك والرؤساء والحكومات أن تتشاور وتتآزر وتخرج عن الصمت وتطلع شعوبها على المخاطر التي تتعرض لها.

وهذا نص البيان:

بيان من الأزهر الشريف – في شأن القدس

إن القدس تلك المدينة التي باركها الله وما حولها، حيث كانت موئل الكثير من أنبياء الله ثمّ أخيراً كانت غاية إسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة في الحجاز من شبه الجزيرة العربية. حيث كان مولده ومقر بعثته ورسالته إلى الناس جميعاً، وكانت القدس موطئ قدمه في معراجه صلى الله عليه وسلم بدعوة من ربه ليريه من آيات ربه الكبرى.

وفيها المسجد الأقصى الذي صلى فيه ليلة إسرائه ومعراجه إماماً بالأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وهو بهذا من المساجد الثلاثة التي تشد إليه الرحال للصلاة، حيث ضاعف الله اجر الصلاة فيها، فهو ثالث الحرمين بعد مكة والمدينة.

ولهذا فللقدس، والمقدسات فيها، منزلة عظمى لدى المسلمين جميعاً، تهفو نفوسهم إلى تحريرها ممن تسلطوا عليها غدراً وغيلة، فقتلوا الأنفس واستلبوا الأموال والأرض والعرض، وبغوا، وأكثروا فيها الفساد ودنسوا حرمها المبارك

الشريف بآثامهم وآثارهم واخترقوا أرض المسجد وحرمه وهم مصرون على تخريبه وإزالته.

وقد تعاقب عدوان الإسرائيليين على القدس منذ ان كانت لهم شوكة، وامتشقوا السلاح دعماً لوجودهم على أرض فلسطين، وظاهرهم على هذا تدخل الجيوش التي احتلت أرض العرب جميعاً بعد الحرب العالمية الأولى في هذه القرن العشرين، وما يزالون مصرين على عدوانهم وعداوتهم للعرب والمسلمين مجاهرين بها، بالرغم من مساعي السلام التي تجري منذ كانت حرب رمضان 1393 هجري أكتوبر 1973م.

وبالرغم من قرارات منظمة الأمم المتحدة التي آزرت – نظرياً – حق العرب والمسلمين في أرضهم فلسطين وفي القدس بوجه خاص وبحدودها ومقدساتهم قبل العدوان عليها.

ما تزال مساعي السلام تترنح وتصطدم بعراقيل تقيمها إسرائيل، وما يزال الوسطاء يأملون أن يتم هذا السلام بين إسرائيل وجيرانها حتى تصبح جاراً يعرف حقوق الجوار ويعيش الجميع في سلام نافع للإنسانية بوجه عام.

وفي فترة الترقب والمتابعة لإنجاح عملية السلام يتدخل فجأة الكونجرس الأمريكي بقراره بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

يحدث هذا مع أن أمريكا تزعم أنها صديقة كل العرب، وهي أصدق في صداقتها بإسرائيل وبمبادرة منها تؤيدها وتدفعها لمزيد من العدوان على العرب وحقوقهم وتناصرها بهذا في وضع العراقيل نحم إتمام عملية السلام التي تتظاهر بدعمها، لكنه دعم غير عادل، انه دعم للمعتدي الظالم واستهانة وهدم لقرارات منظمة الأمم المتحدة التي ضمنت استمرار الوضع في القدس على ما كان عليه قبل عدوان 1967م.

فهل تخلت أمريكا بهذا عن دعم عملية السلام؟ وهل أقبلت أمريكا بقوتها وقدرتها في العالم على الاستهانة بقرارات المنظمة الدولية التي تقيم على أرضها؟

ألا ترى أمريكا والكونجرس خاصة أن قرارها هذا يوهن من هيبة أمريكا في العالم كله؟

أليس هذا القرار دعوة مباشرة إلى دول أخرى إلى الإقتداء بها في نقل سفاراتها إلى القدس وبذلك يكون اعترافاً ظالماً متعسفاً تحمل وزره أمريكا؟

إننا – نحن المسلمين – نؤمن بقول الله سبحانه في القرآن الكريم: (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

إن العرب والمسلمين قد تواصلت صداقتهم بأمريكا وبالغرب عموماً نحو ثلاثة أرباع هذا القرن العشرين، وهم – أي العرب والمسلمون – على مستوى مسئوليتها في هذه القيادة تعدل ولا تظلم ولا تحيد عن الحق.

إن القدس وحقوق الفلسطينيين ليست بضاعة مزجاة وقضية تحتمل الكسب والخسارة.

إنها قضية الأمة التي يبلغ تعدادها خمس سكان العالم والتي تملك تحت يدها ثروات تهم الإنسانية في علومها ومعايشها واحتياجاتها، فهي قوة مؤثرة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً.

هذه الأمة لا تتوانى عن أن تجمع كلمتها وتصف أقدامها في كل هذه الميادين، كما تصطف في صلواتها خمس مرات في اليوم، لتدافع عن نفسها، وهي في وقفتها ضد قرار وسياسة أمريكا نحو القدس ونحو فلسطين لا تطلب حق أحد، ولا تعتدي على غيرها.

وها هي هذه الأمة – بقدراتها – هذه – تدعو الكونجرس الأمريكي أن يكون مع الشعب الأمريكي الذي تحمل مسئولية دفع العدوان في حربين عالميتين في هذا القرن، وما فعل ذلك ليكون معتدياً ولا ظالماً.

ألم يكن الأولى أن يستفتي الشعب الأمريكي قبل أن يصدق الكونجرس قراره بتأييد إسرائيل في تأكيد احتلالها للقدس واغتصاب الأرض والعرض من أهلها، وإحاطتها بالمستوطنات والمعسكرات التي هددت أمنهم ومقدساتهم.

إن الأزهر الشريف وقد فوجئ بهذا القرار الظالم الذي لم يكن منتظراً من – الصديقة – أمريكا التي تسعى وربما تشقى في عملية السلام.

هذا القرار الذي استظهر أن دعاة السلام صاروا دعاة للغدر والاغتيال للأرض والعرض وللمقدسات لا يرعون حقاً للغير، ولا يدعون إلى خير وإنما يسعون في الأرض فساداً، بعداوتهم، وبما أتيح لهم من أموال وتقنيات، والله من ورائهم محيط – وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثمّ انتم يا أصحاب القضية – قضية القدس.

هل أذهلتكم مفاجأة الكونجرس، وأسكتت الألسنة التي لا تترك قولاً أو فعلاً فيما بينها إلاّ عقبت وأطلقت الألسنة الحداد بالزور والبهتان، تثير الفتن ولا تنير طريقاً ولا تدفع غيبة، ولا تترافع في ملمة بالأمة.

لعلكم قد صمتم – تفكيراً وتقديراً – أن كان ذلك فأين منظمة المؤتمر الإسلامي بقمتها ووزرائها وأمينها العام، وأين جامعة الدول العربية بقمتيها وهيئاتها المتعددة.

ألم يقل الله – جلّ جلاله – في القرآن الكريم: (وأمرهم شورى بينهم) أليس من أمور الإسلام وقواعده الاهتمام بأمور المسلمين.

هل غاب عنكم قول الله سبحانه: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).

وقول الله سبحانه (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).

إذا كان قد غاب عنا – نحن أمة المسلمين – بكافة شعوبها وألوانها ولغاتها ومواقعها على ارض الله فها هو كتاب الله بأيدينا يتلو الأزهر عليكم منه هذا الهدى، فكونوا على قدر المسئولية، واخرجوا عن هذا الصمت الذي قد يفسر بالرضا عما يحدث من قول أو فعل موجه إليكم يمس أرضكم وعرضكم ومقدساتكم.

فليقل مؤذنوكم في كل مساجد الله – حي على صلاة – ولتقبلوا للتشاور في هذه القضية التي قد تكون هي القاضية على وجود القدس في يد الأمة إلى ائتمنها الله عليها صلة بين الأرض والسماء كما كانت، يذكر فيها اسم الله ويتلى قرآنه ويظل النداء: الله أكبر – عالياً صادراً من مسجدها الأقصى مجاوباً لحرم الله في مكة وحرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المدينة.

أيها المسلمون يا هل هذا الشرق من أقصاه في مطلع الشمس إلى أقصى المغرب كونوا على قدر المسئولية في هذه القضية، ولا ترهبكم قوة، فما دعاكم الأزهر في هذا الوقت إلى امتشاق سلاح وإنما يدعوكم إلى أن تدفعوا عن قضاياكم المصيرية بكلمة واحدة تقولونها وتسمعونها للآخرين في مواقعهم، ليعلموا أن لكم وجوداً حاضراً وأنكم لا ترهبون المواجهة دفعاً ونصرة لأجيالكم التي يغتال مستقبلها وأنتم تبصرون.

اجمعوا مؤسساتكم في أوطانكم واصطفوا من يدرس ويحاجج عن قضاياكم في كل الأماكن والمواقع التي هيأتها المنظمات المحلية والدولية، ولن تفقدوا من يظاهركم في الدفاع عن حقكم ووقف العدوان على أرضكم وقدسكم وعرضكم.

إن الأزهر الشريف – وقد تداول مجلس مجمع البحوث الإسلامية فيه – في هذه القضية، قضية القرار الصادر من الكونجرس الأمريكي لاغتصاب القدس وتأكيد احتلالها من إسرائيل بينما مساعي الصلح تشغل حيزاً كبيراً في هذا الوقت وتجري الوفود هنا وهناك ويشارك الرؤساء ومنظمات دولية أخرى لإنجاح هذه المساعي، يأتي هذا القرار من الكونجرس، نقمة على السلم العام في

المنطقة وتحريكاً لما استكن واستتر في النفوس من كره للظلم وللظالمين ومن نقمة توشك أن تفسد كل تلك المساعي.

إن الصداقة الأمريكية واجبها أن تحمل المسئولية نحو هذا القرار الذي سينهدم به كل سلام قام أو سيقوم، وان الرياسة الأمريكية، عليها أن تواجه هذا بما في يدها من سلطان إذا كانت حقاً تسعى لإقرار السلم والسلام، في هذه المنطقة الهامة من العالم، التي تتواكب فيها المصالح الأمريكية مع المصالح المحلية للأمة الإسلامية بكافة شعوبها.

وإن الأزهر الشريف بهذا البيان يدعو كافة المنظمات الدولية أن تأخذ دورها في إقرار السلم العام في العالم وأن تقف في وجه هذه المعوقات، ومنها هذا القرار الذي صدر في وقت يتطلع فيه إلى السلام.

إن الأزهر الشريف يثق في أن شعوب الأرض كافة تؤمن بالسلام وبضرورة توفر الأمن لكل الناس وان عليها أن تحث الرؤساء والحكام والبرلمانات لتأخذ دورها نحو الوقوف ضد قرار نقل السفارات إلى القدس.

وبكل التقدير والاحترام يدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات في العالم الإسلامي لتقف وقفة شجاعة تتناسب مع قدر هذه القضية وخطورتها على مستقبل الأمة الإسلامية وأجيالها.

ويدعو الأزهر الشريف أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء والحكومات أن تتشاور وتتآزر وتخرج عن الصمت وتطلع شعوبها على المخاطر التي تتعرض لها في هذا العصر.

ويدعو الأزهر الشريف إلى نبذ الخلافات فالقضية الماثلة أخطر من أي خلاف قائم.

وسيسجل التاريخ وقفتكم هذه الناضجة المدافعة التي تذود عن الأمة الشرور وتكافح الغرور من الذين قد بدت البغضاء من أفواههم، وتلبست بها أعمالهم.

أعيدوا للأمة وصفها في الإسلام أنها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وهي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (وأتمروا بينكم بمعروف)، فقد حذرنا الله في القرآن من النزاع والشقاق، وأمرنا بالاعتصام بحب الله وهيأ لنا وحدة الكلمة والصف والتعاون على البر والتقوى.

فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومناصريكم من صداقاتكم في العالم ولا يكن أمركم عليكم غمة ثمّ أفضوا إلى حججكم فأقيموها وأعلنوها وواقعها بعزم وحزم عن قدسكم فهي عرضكم وثقوا بوعد الله في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [1]

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق علي جاد الحق

---

[1] مجلة الأزهر : الجزء السادس ، السنة الثامنة والستون ، جمادى الآخرة 1416هـ ، نوفمبر 1995 ، ص ص 779-802..

في سنة 1995
نداء الشيخ / سيد قبيصي
رئيس رابطة علماء المساجد من فوق المنبر

يا أمة الإسلام القدس أمانة في أيديكم خلصوها من يد العدو وفكوا أسرها باتحادكم.

في هذا النداء وجه الشيخ سيد القبيصي من فوق المنبر يوم الجمعة ودعا فيها الأمة إلى أن تخلص القدس من اليهود أعداء الدين وذلك لا يكون إلاّ باتحاد أمة الإسلام وتوحيد صفوفها ونصر دين الله.

وهذا نص النداء«الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلاّ على الظالمين، واشهد أن لا اله إلاّ الله وحده لا شريك له، قاهر الظالمين، ونصير المظلومين، ومفرج كرب المكروبين، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد:فكلما أهلَّ هلال رجب عكف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يتدارسون الذكرى العطرة، ذكرى الإسراء بنبيهم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، ثمّ العروج به من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، إلى حيث شاء الله جلّ جلاله. والمسجد الأقصى الذي أحاط المولى عزّ وجلّ جنباته بالخيرات والبركات الدينية والدنيوية، فمن البركات الدينية أن جعل الله أرضه ومن حولها مقراً لكثير من الأنبياء كإبراهيم، وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، ثمّ ختم بركة هذه الأرض وبخاتمهم محمد – ومن بركاته الدنيوية كثرة الأنهار والأشجار والثمار والزروع حوله..ولذلك يقول بعض العلماء في شأن المسجد الأقصى وخصائصه: إنه متعبد الأنبياء السابقين ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السماوات العلا.. وأولى القبلتين،

وثاني المسجدين وثالث الحرمين «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى».

أيها المسلمون:لقد تجلت عناية الله عزّ وجلّ بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة من الدعوة، حيث تخلت عنه قريش فقاطعوه وأهله وماتت الزوجة الوفية والعم المدافع مما جعله يذهب إلى الطائف عله يجد آذنا مصغية، وقلباً يعي، ولكنه قوبل بالصد والضرب بالحجارة، ولم يكن له معين ولا أنيس سوى أبواب السماء، يرفع يديه إليها قائلاً:«إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي» ففتحت السماء أبوابها، وكأن الله عزّ وجلّ يناجيه ويقول له: يا محمد إذا كان أهل الأرض قد ضاقوا ذرعاً بك، فها هي السماء تفتح أبوابها ورب السماء يرحب بك، نزلت آيات الله تترى من علياء سمائه:(سُبْحَانَ الَذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).

أيها المسلمون:في هذه الليلة: شاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن يظهر مكانة هذا النبي الذي اختار الفطرة ممثلة في اللبن على الشر ممثلاً في الخمر، وأن يظهر مكانته بين الأنبياء والرسل، ولذلك يقول في شأن أمته: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

بل لقد تجلت مكانة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الصحيح انه صلى بالأنبياء والرسل ركعتين في بيت المقدس، رغم أن جميع الأنبياء والرسل حدثتهم أنفسهم بان يكون كل منهم الإمام لهذه الصلاة بدلاً من غيره، فآدم يقول: أنا أبو البشر، ونوح يقول، أنا الأب الثاني للبشر، وإبراهيم يقول: أنا أبو الأنبياء، وموسى يقول: وأنا كليم الله، وعيسى يقول: وأنا روح الله، والمستضاف – صلى الله عليه وسلم – ساكت لم تحدثه نفسه بشيء من ذلك، ولكن الأمين جبريل قطع هذه الأماني وقال: تقدم يا محمد فأنت الإمام.

أيها المسلمون:إني أجد سؤالاً يطرح نفسه: لماذا كانت هذه الرحلة إلى بيت المقدس ولم تكن مباشرة إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله جلّ جلاله!!

والإجابة عن هذا السؤال: أن الله عزّ وجلّ يريد أن يسلمه أمانة ورعاية وعناية هذا المكان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن اليهود أهدروا كرامة هذا المكان وقتلوا الأنبياء وتعدوا بالقذف على خالقهم وبارئهم، فقالوا: (إن الله فقير ونحن أغنياء) وقالوا: (يد الله مغلولة).

فرد المولى عزّ وجلّ عليهم: بقوله (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان).

وصدق الله العظيم حيث يقول:(غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء).

بذلك انتقلت الرسالة والقيادة الروحية من بلد إلى بلد، ومن أمة إلى أمة، ومن ذرية إلى ذرية وصدق الله العظيم حيث يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته).

أيها المسلمون:لقد تجلت حفاوة الأنبياء والرسل بهذا النبي الكريم في هذه الليلة المباركة فهناك التحيات المتبادلة في كل شئ، بها نبي أو أكثر إلاّ ويسلم على محمد بقوله: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح كي نتأكد بأن الخلاف بين الأنبياء والرسل إنما هو وهم من صنع البشر وأعداء الإسلام، ولذلك يقول عليه السلام: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه فأخذ الناس يقولون بعد أن طافوا وتعجبوا: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

أيها المسلمون:إن التاريخ لم يسجل لليهود وأشياعهم إلاّ الخبث وإخلاف الوعد والمكر والمفاجأة بالعدوان واستعمال أساليب الدس والوقيعة، إنهم يريدون أن تعود القيادة إليهم مدعين أن القدس حرم لهم، ويريدون هدم المسجد الأقصى، بل يريدون أن تكون القدس عاصمة لهم، يعاونهم في ذلك يهود العالم بل

تعاونهم في ذلك الصهيونية العالمية التي تتمركز في أكبر دولة وهي الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الكونجرس الذي اعتمد القدس عاصمة لإسرائيل، وقرر نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وكأن القدس أصبحت ملكاً لهم ضاربين بذلك كل المواثيق والأعراف الدولية عرض الحائط.

فيا أمة الإسلام يا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله: القدس أمانة في أيديكم خلصوها من يد العدو وفكوا أسرها، وذلك باتحادكم مصداقاً لقول ربكم: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

ماذا تقولون للأجيال القادمة إذا فرطتم واختلفتم، وماذا تقولون لأنفسكم وانتم تعلمون علم اليقين بأن القدس عربية، ونبيها عربي، ودينها الإسلام، والإسلام الذي يعيش تحت مظلته اليهودي والنصراني في أمن وأمان وحب وسلام، ألا فانهضوا من نومكم، ووحدوا صفوفكم، وانصروا دين الله في أنفسكم وحرروا قدسكم.. وصدق الله العظيم حيث يقول : (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم[1].

---

[1] مجلة منبر الإسلام : السنة الرابعة والخمسون ، العدد السابع ، رجب 1416هـ ، نوفمبر/ديسمبر 1995 ، ص ص 82-84..

في سنة 1996

فتوى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر[1]

حماية الأقصى مسئولية كل المسلمين اليوم

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر في هذه الفتوى المسلمين على حماية المسجد الأقصى وحملهم المسئولية كما نادى قادة الأمة وولاة الأمر فيها أن يكثفوا جهودهم للوقوف صفاً واحداً أماما العدوان اليهودي.كما طالب فضيلة الإمام المسلمين أن يستمعوا إلى نداء الله للجهاد في كتابه العظيم.

وهذا نص الفتوى : «القدس مدينة عربية شيدها العرب لكن أول من اختطها كما تقول بعض الروايات هو سام بن نوح عليه السلام، وأول من أقام بها واتخذها وطناً بطن من بطون العرب الأوائل التي عاشت في فجر التاريخ في الجزيرة العربية وذلك منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد كما يقول ثقات المؤرخين.

ثمّ كان تيه العبرانيين في الصحراء ثمّ كان دخولهم – أو على الدقة اغتصابهم – هذه البقعة التي فيها القدس حوالي عام 1049 قبل الميلاد أي بعد وجودها وتشييدها على يد العرب بأكثر من ألفى عام ودخولهم إليها كان على يد داود وسليمان عليهما السلام وظلوا على اغتصابهم إياها حتى طردوا منها وأرسلوا إلى بابل عام 559 قبل الميلاد.

ومن ثمّ فان التاريخ شاهد صادق على أن وجود اليهود بمدينة القدس لم يكن إلاّ بعد وجودها بنحو العشرين من القرون، وبعد أن عايشها أصحابها ذو الأصل العربي الذي وفدوا إليها من صميم الجزيرة العربية.

---

[1] تلقى الشيخ جاد الحق على جاد الحق دراسته فى كلية الشريعة بالأزهر ، حصل على الشهادة العالمية سنة 1943 ، ثم على الشهادة العالمية مع إجازة القضاء الشرعى سنة 1945 ، ثم عين قاضياً ، وكان له أسلوب علمى متميز فى القضاء والإفتاء وله مسلك دقيق من حيث النظر إلى الفتوى وكان يرجع إلى أكثر من مصدر ومرجع ويضيف الكثير من المعلومات (مجلة الأزهر : الجزء الحادى عشر ، السنة الثامنة والستون ، ص1584) .

ويدل على ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين أن زعماء الصهيونية في العصر الحديث عندما بدأوا يفكرون في بناء وطن قومي لهم ساغ لبعضهم أن يتجهوا إلى بلاد أخرى غير فلسطين وكانت أوغندا من بين الدول التي عرضت لتكون وطناً لهم لولا أن المصالح الإستعمارية بادرت إلى الارتباط بالمطاعم الصهيونية وكانت المأساة التي تعانيها فلسطين وقدسها الأطهر الأسير.

إن المسلمين جميعاً في شتى أنحاء الأرض يعلمون ويؤمنون بأن الذي عرب القدس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء حين احتشد به الأنبياء والملائكة التفوا تحت لوائه حيث أَمَّهم في صلاة جامعة في تلك الليلة المباركة، وهذه الإمامة كانت حجر الأساس في الوجود الإسلامي في تلك البقعة التي اختارها الله لهذا الجمع الإنساني الملائكي، ثمّ كانت غزوة تبوك التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثمّ كان فتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، فتح سلام حيث رغب أهلها إلى قائد جيش المسلمين أبي عبيدة بن الجراح أن يعطيهم أمير المؤمنين بنفسه العهد والأمان، وكان أن انتقل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب نفسه رضي الله عنه حقنا للدماء وتسلم المدينة وأعطاهم العهد وكان من عهده ألا يسكنها أحد من اليهود، وأن يخرج منها الروم، ولعل هذا من عمر كان استبعاداً لليهود وللروم لما كان منهما وبينهما من ارتباط لاستبعاد هذا البدل وأهله، وما يجري في القدس الآن هو على يد اليهود والروم (أهل الغرب) بعد أن اختلف المسلمون، وقعدوا عن حماية أرضهم وعرضهم وانغمسوا في خلافاتهم تارة وشتاتهم وفرقتهم تارات.

ولن ينسى المسلمون ما تعرضت له القدس على أيدي أولئك الذين سموا بالصليبيين الذين احتلوا البلاد ثمّ سلموها إلى اليهود.

أما مسجدها المسجد الأقصى فقد تم بناؤه قدم المدينة نفسها فقد روى المحدثون عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال:

«قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت ثمّ أي؟ قال: المسجد الأقصى. قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة».
وهذا يدل على أن المسجد كان موجوداً قبل داود عليه السلام وهذا ما ينفي الفرية القائلة بأن الأقصى بنى على أنقاض الهيكل (هيكل سليمان) لأن هذه المنطقة كانت معمورة، وقد عمرها ناس يعبدون الله حقاً منهم أنبياء لله. فهل كان هؤلاء على حالهم هذه دون مسجد؟

إن هذا المسجد الذي قد اجتمعت فيه رسل الله وملائكته وصلوا فيه، والذي جعله الله قبلة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمين معه كل ذلك دليل على أهمية المسجد والمدينة التي تحويه (القدس) وعلى مكانتها المقدسة لدى المسلمين.

ثمّ هل لنا أن نتابع تاريخ عناية المسلمين بالقدس ومسجدها منذ أن كانت لهم، إن ذلك مسطور في كتب التاريخ، فهذا عبد الملك بن مروان بنى مسجد قبة الصخرة ثمّ بنى المسجد الأقصى ثمّ كان أن منع عمر بن عبد العزيز اليهود من خدمة هذا المسجد ثمّ أعيد بناء المسجد في عهد «المهدي» ثمّ كان «صلاح الدين» وطرده للفرنجة وتجديده المسجد واستمرت عناية المسلمين حكاماً ومحكومين بالقدس ومسجدها.

وقد جاء ذكر المسجد الأقصى في القرآن صريحاً في أول سورة الإسراء وجاءت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشرة بافتتاحها وحث المسلمين على حمايتها والقيام على شئونها.

ولقد دخلها جمع من كبار أصحاب رسول الله كان على رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وشيوخ من فقهاء وأئمة المسلمين عاشوا في رحابه وجنباته.

أليست كل هذه دلائل على أصالة وعراقة هذه المدينة وعروبتها وإسلاميتها ومن ثمّ نذكر المسلمين بمسئوليتهم حيث بات من الواجب أن يشعروا أن الأخطار قد

حاقت بالقدس ومسجدها الأقصى وأنها أرض كل المسلمين ومسجدها فيا أيها المسلمون أجمعوا أمركم وارجعوا إلى عقيدتكم – الإسلام – فإنه لا نجاة لكم مما يراد بكم إلاّ بالارتكاز على هذه العقيدة.

نداء إلى قادة الأمة:إن على قادة الأمة الإسلامية وولاة الأمر فيها أن يكثفوا جهودهم للوقوف صفاً واحدة، وان يرتفعوا فوق الخلاف والاختلاف، وأن يثقوا أن ما يحصلون عليه من وحدتهم يفوق أية مكاسب أخرى.

إن العالم الذي يحارب العنصرية يجب أن يعلم أن المسلمين وهو جزء كبير وخطير في كيانه يتعرضون اليوم لنوع من الاضطهاد العنصري والعقائدي تسانده بعض القوى الطاغية والباغية، وإذا كانوا حقاً يبتغون تساوي الشعوب فليعلموا أن القدس ومسجدها وأهلها العرب يتعرضون لاضطهاد لا يقل شناعة وقبحاً عما تعرض له اليهود في أوربا على يد النازية بل إنه أشنع من كل اضطهاد سابق.

أيها العرب، أيها المسلمون:إن أحداً غيركم لن يسترد لكم المسجد الأقصى ويفك أسره، فتساندوا، وتحابوا وتقاربوا هل نسيتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبهكم بالجسد الواحد.يا قوم أجيبوا داعي الله وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ويشف صدور قوم مؤمنين.والله يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

أيها المسلمون قولوا لأجيالكم حسناً ووضحوا لهم معالم الطريق حتى يتابعوا للحصول على حقوقهم واسترداد مسجدهم الأقصى وقدسهم المبارك، بل وسائر بلاد المسلمين التي ما تزال تناضل لصون ذاتها والخلاص من أعدائها (ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز).

أيها المسلمون:إنكم أهل نجدة وشهامة وآهل عزة وكرامة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فاستعينوا بالله واجمعوا أمركم ورأيكم ولا تختلفوا. فقد جرت الخلافات على الأمة الإسلامية في ماضيها المآسي التي ضاعت بسببها الأوطان..

وتمزق الكيان، ونجح الأعداء في تفريق الصفوف وإذكاء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أيها المسلمون:استمعوا لنداء الله في كتابه:(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) [1].

[1] مجلة منبر الإسلام : السنة الخامسة والخمسون ، العدد السابع ، رجب 1417هـ ، نوفمبر/ديسمبر 1996 ، ص ص 30-33..

في سنة 1996

فتوى الدكتور / يوسف القرضاوي

السفر والسياحة إلى دولة العدو الصهيوني حرام شرعاً

وقد أوضح فضيلته في هذه الفتوى أن الإسلام فرض الجهاد لاسترداد الأرض ، والمسجد الأقصى أولى الأراضي لتحريره.

كما فرض الإسلام مقاطعة العدو المغتصب اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

كما وضحت الفتوى أن السفر للسياحة إلى فلسطين في ظل حراسة اليهود حرام شرعاً

وهذا نص الفتوى:«يفرض الإسلام على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، لاسترداد أرضهم المغتصبة، ولا يقبل منهم أن يفرطوا في أي شبر أرض من دار الإسلام، يسلبها منهم كافر معتد أثيم، وهذا أمر معلوم من الإسلام للخاصة والعامة، وهو مجمع عليه إجماعاً قطعياً من جميع علماء الأمة ومذاهبها كافة،لا يختلف في ذلك اثنان،ولا ينتطح فيها عنزان،كما يقال.

وهذا الحكم في أي جزء من دار الإسلام، أيا كان موقعه، من بلاد العرب أو العجم، فكيف إذا كان هذا الجزء هو ارض الإسراء والمعراج، ومربط البراق، ودار المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله أولى القبلتين في الإسلام، وثالث المساجد العظيمة التي لا يشد الرحال إلاّ إليها؟!

إن هذا يؤكد وجوب الجهاد والقتال في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وإذا قصر المسلمون في الجهاد للذود عن أوطانهم، والدفع عن حماهم واسترداد ما اغتصب من ديارهم، أو عجزوا عن ذلك لسبب أو آخر، فان دينهم يفرض عليهم مقاطعة عدوهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية وثقافية لعدة أسباب:

أولها: أن هذا هو السلاح المتاح لنا، والقدر الممكن من الجهاد، وقد قال الله تعالى: (وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وعَدُوَّكُمْ) فلم يأمرنا الله إلاّ بإعداد المستطاع، ولم يكلفنا مالا طاقة لنا به فإذا سقط عنا نوع من الجهاد لا نقدر عليه، لم يسقط عنا أبداً ما نقدر عليه. وفي الحديث الصحيح: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه.

وثانيها، أن تعاملنا مع الأعداء – شراء منهم وبيعاً لهم، وسفراً إلى ديارهم – يشد من أزرهم، ويقوي دعائم اقتصادهم، ويمنحهم قدرة على استمرار العدوان علينا، بما يربحون من ورائنا، وما يجنونه من مكاسب مادية، وأخرى معنوية لا تقدر بمال. فهذا لون التعاون معهم، وهو تعاون محرم يقيناً؛ لأنه تعاون على الإثم والعدوان. قال تعالى: (وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ).

وثالثها: أن التعامل مع الأعداء المغتصبين استقبالاً لهم في ديارنا، وسفراً إليهم في ديارهم، يكسر الحاجز النفسي بيننا وبينهم ويعمل – بمضي الزمن – على ردم الفجوة التي حفرها الاغتصاب والعدوان، والتي من شأنها أن تبقى جذوة الجهاد مشتعلة في نفوس الأمة، وحتى تظل الأمة توالي من والاها، وتعادي من عاداها، ولا تتولى عدو الله وعدوها المحارب لها، المعتدي عليها، وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)، وهذا ما يعبرون عنه ب (التطبيع) أي : جعل العلاقات بيننا وبينهم (طبيعية) سمنا على عسل، كأن لم يقع منهم اغتصاب ولا عدوان، وهم لا يكتفون اليوم بالتطبيع الاقتصادي، إنهم يسعون إلى التطبيع الاجتماعي والثقافي وهو اشد خطراً.

ورابعها: أن اختلاط هؤلاء الناس بنا واختلاطنا بهم، بغير قيد ولا شرط يحمل معه أضراراً خطيرة لنا وتهديداً لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، بنشر الفساد والرذيلة والإباحة التي ربوا عليها، أتقنوا صناعتها، وإدارة فنونها، وما وراءها من أمراض قاتلة فتاكة، مثل الإيدز وغيره.. وهم قوم يخططون لهذه الأمور

تخطيطاً ماكراً، ويحددون أهدافهم، ويرسمون خططهم لتحقيقها بخبث وذكاء، ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

لها كان سد ذرائع هذا الفساد المتوقع فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

في ضوء هذه الاعتبارات نرى أن السفر أو السياحة إلى دولة العدو الصهيوني – لغير أبناء فلسطين – حرام شرعاً، ولو كان ذلك بقصد ما يسمونه السياحة الدينية أو زيارة المسجد الأقصى، فما كلف الله المسلم أو يزور هذا المسجد، وهو أسير تحت نير دولة يهود، وفي حراسة حراب بني صهيون، بل الذي كُلف المسلمون به هو تحريره وإنقاذه من أيديهم، وإعادته وما حوله إلى الحظيرة الإسلامية وخصوصاً أنه يتعرض لحفريات مستمرة من حوله ومن تحته لا ندري عواقبها، إنما يدري بها اليهود الذين ينوون إقامة هيكلهم على أنقاضه. (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

إننا جميعاً نَحنُّ إلى المسجد الأقصى، ونشتاق إلى شد الرحال إلى رحابه المباركة، فان الصلاة فيه بخمسمائة في المساجد العادية.

ولكنا نبقي شعلة الشوق متقدة حتى نصلي فيه إن شاء الله بعد تحريره وما حوله وإعادته إلى أهله الطبيعيين وهم أمة العرب والإسلام.

ويستطيع المسلم الذي يريد أن يكسب اجر مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى: أن يشد رحاله إلى المسجد النبوي الشريف، فان الصلاة فيه بألف صلاة في المساجد العادية، أي أن أجرها ضعف أجر الصلاة في المسجد الأقصى فإن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد إلاّ المسجد الأقصى. ومعنى هذا أن الصلاة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعدل مائتي صلاة في المسجد الأقصى، فمن اشتاق إلى المسجد الأقصى اليوم فيطفئ حرارة شوقه بالسفر إلى المسجد النبوي بالمدينة، أو المسجد الحرام

بمكة، حتى يمكن الله الأمة من إعادة الحق إلى نصابه، ورد الأمانات إلى أهلها (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).

وأما دعوى أن السلام قد حل محل الصراع بيننا وبين بني صهيون فهي دعوى لا تقوم على ساقين، والقدس لم ترد إلينا بل لا يزال قادة الكيان الصهيوني يعلنون أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولتهم، لا يزالون يزرعون المستوطنات من حولها ويغيرون من معالمها، ولا يزال المسجد الأقصى تحت رحمتهم، وقسوتهم، ولا يزال اللاجئون الفلسطينيون مشردين في الأرض.. ولا يزال السلام المزعوم كله في مهب الريح، ولا يزال.. ولا يزال..

هذا ما أقوله للأمة في هذه الآونة الخطيرة التي يراد أن يغيب عنها وعيها بقضاياها، وان تحقن بمخدرات من الأفكار تفقدها القدرة على الحركة، بل على التمييز بين الصواب والخطأ، لكن الأخطر من هذا كله أن تجر بعض من ينتسبون إلى الدين – ممن فقدوا العلم الواسع أو التقى الرادع – ليفرخوا فتاوى تجيز للأمة أن تضع أيديها مختارة في أيد قاتليها ومغتصبي ديارها الأساسية الكلية الدائمة والقطعية. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا ابتاعه، وأرنا الباطل باطلا! وارزقنا اجتنابه، الله آمين[1].

---

1 نشرة المقاومة ، ص ص 13-15..

في سنة 1996
نداء من شيخ الأزهر الدكتور / محمد سيد طنطاوي
الدفاع عن المسجد الأقصى واجب مقدس

من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف ، وكان هذا النداء يوم الجمعة الموافق 14 جمادي الأولى 1417 هجري، 27 من سبتمبر 1996 في خطبة الجمعة أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي أن الدفاع عن المسجد الأقصى واجب مقدس باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأن أعمال الحفر وإعادة فتح النفق تحت المسجد الأقصى يعد انتهاكاً لحرمة المسجد وقدسيته، وأكد فضيلته أن الذين قتلوا في الأراضي الفلسطينية دفاعاً عن مقدساتهم هم شهداء، وقد أدى فضيلة الإمام الأكبر بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب هو وجميع المصلين على أرواح الذين استشهدوا دفاعاً عن المسجد الأقصى[1].

[1] الأهرام : العدد الثامن والعشرون ، سبتمبر1996..
ومحمد على حله : جهود الأزهر ، ص55.

في سنة 1996

فتوى الدكتور / احمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر

وقد طالب فضيلته في هذه الفتوى باسترداد القدس الشريف وتطهير كل بقعة في الوطن الإسلامي، وإعادة الحق إلى أصحابه.

ونادى الأمة بان توحد جهودها ولا تتفرق، وبين أن الجهاد فرض عين في الدفاع عن القدس وعن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامي على ظهر الأرض.

وهذ نص الفتوى«سجل القرآن الكريم مكانة القدس حين وضح أن الله – سبحانه وتعالى – أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث قال جل شأنه: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير).

وسمى بالمسجد الأقصى، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة.

والمراد بالبركة المذكورة في الآية الكريمة في قوله تعالى: (الذي باركنا حوله) البركة الحسية والمعنوية، فأما الحسية فهي ما أنعم الله – تعالى – به على تلك البقاع من الثمار والزروع والأنهار، وأما المعنوية فهي ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية، حيث كانت مهبط الصالحين، والأنبياء والمرسلين، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين.والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال،عن أبي هريرة–رضي الله عنه–عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

ومعنى هذا الحديث: أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلاّ لهذه المساجد الثلاثة، لأنه لا يسافر أصلاً إلاّ لها، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، كما جاء في الحديث الصحيح: عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال المسجد الحرام، قلت، ثمّ أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كلم بينهما؟ قال أربعون سنة، وأينما أدركت الصلاة فصل، فهو مسجد.

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة في الإسلام، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

روى الطبري في تاريخه، عن قتادة قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً.

ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته، أنه أرض المحشر والمنشر، وعن ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال:«أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيها، فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره».

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس».

وفي مدينة القدس دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين، منهم: الصحابي الجليل عباده بن الصامت وشداد بن أوس، فهي مهد النبوات والشرائع والرسل الذين وجدوا هناك في هذه العصر، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم، وهذا كله يمثل البركة الدينية التي أحاطت به، وأما البركة الدنيوية، فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض، وهذا ما يراد بقوله تعالى: **(الذي باركنا حوله)**.

وروى أن الذي أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحاق – صلى الله عليهما وسلم – بعد بناء إبراهيم الكعبة، وقد قام سليمان – عليه السلام –

بتجديده، وقد أشكل ذلك، لأن باني البيت الحرام إبراهيم – عليه السلام – وباني المسجد الأقصى داود وابنه سليمان بعده وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين التي ذكرت في الحديث المروي في الصحيحين عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثمّ أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً ثمّ الأرض لك مسجد، فحيثما أدكت الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه».

وأجاب عن هذه الإشكال أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار: بأن الوضع غير البناء، والسؤال في الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لا عن مدة ما بين بنائهما، فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داود وسليمان، ثمّ بنياه بعد ذلك.

وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين، فهو مقر للعبادة، ومهبط للوحي ومنتهى رحلة الإسراء، وبداية رحلة المعراج.

وقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام، وهي طور سيناء فصلى بهما ركعتين.

ومر بالبقعة المباركة التي ولد فيها عيسى عليه السلام، وهي: «بيت لحم» فصلى بها ركعتين، ثمّ وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعاً، ثمّ عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى.

وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الرحلة المباركة، وأخبر قومه، فكان منهم من صدق، ومنهم من كذب.

وذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وأخبروه، فما كان جوابه إلاّ أن قال لهم: والله لئن كان قاله فقد صدق، قالوا: تصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء، وقد تمادى القوم في لجاجهم وحوارهم، يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم في تعنت عن بيت المقدس، ومنه من كان قد رآه، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول صلى الله عليه وسلم في حرج، ولكنه – وهو المؤيد من قبل ربه – وصف لهم بيت المقدس وصفاً كاملاً في غاية الدقة، وأخبرهم عن آياته.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس علي بعض الشيء فجلى الله لي بيت المقدس ثمّ جعلت أنظر إليه دون دار عقيل، وأنعته لهم» فقالوا: أما النعت فقد أصاب، وكان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – كلما وصف لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاً – يقول: صدقت أشهد أنك رسول الله ثمّ أخبرهم عن عيرهم، وعن أحمالها، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف، وقال لهم: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم في عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور).

وفي رحلة الإسراء والمعراج فرض الله – سبحانه وتعالى – الصلاة، وهي الصلة القوية بين العبد وربه وكانت القبلة آنذاك هي صخرة بيت المقدس حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهما، عندئذ أمره الله – تعالى – أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً.

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام، فخطب الناس وأعلمهم بذلك، وكانت أول صلاة: صلاة العصر، وفي هذا يقول الله تعالى:
(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون).
وعن البراء – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته – قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهو راكعون فقال:
أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان قد مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله:
(وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم).
ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله صلى الله عليه وسلم إليه، إن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه، وفي رواية أنس – رضي الله عنه–: ... ثمّ دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثمّ خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن «فقال جبريل: «أخذت الفطرة» وقال الإمام النووي رحمه الله: المراد بالفطرة هنا: الإسلام والاستقامة.
وفي رواية ابن مسعود:... ثمّ دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد، ثمّ أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم.

وفي رواية أبي أمامة – عند الطبراني – ثمّ أقيمت الصلاة، فدافعوا حتى قدموا محمداً صلى الله عليه وسلم، فصلى إماماً بالأنبياء جميعاً في المسجد الأقصى، وقد أطلع الله – سبحانه وتعالى – رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين، وعقاب العاصين، ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين في سبيل الله: « مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل – عليه السلام –: ما هذا؟
قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف.
(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه هو خير الرازقين).
وفي هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين، وفي هذا النموذج المحسوس لمثوبة الجهاد، تجيش في نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده، وتطهير كل بقعة في الوطن الإسلام، ونجاهد من اجل إعادة الحق إلى أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله
وكما قال سبحانه وتعالى: (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم).
وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، وصلاً للحاضر بالماضي، وتقديراً لمنزلة هذه البقعة المباركة، التي عاشت عمراً كبيراً تنتشر على ظهرها الهداية، وتستقبل في رحابها النبوات، وظل بيت المقدس مهبط الوحي الإلهي سنين عديدة.
فلما عصا اليهود أمر ربهم، وتنكروا لوحي السماء تحولت النبوة عنهم، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل، وتحولت بالتالي القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه البقعة المباركة تقديراً لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين، وإعلاناً عن إكباره لهم وللدين الذي انتشر نوره وسناه في هذه البقاع المباركة، لان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال سبحانه : (آمَنَ الرَّسُولُ

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ).

ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين فاستقبلوه، وصلى بهم إماماً ومضى في ليلة الإسراء والمعراج وفي رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذي أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويمهد بعضهم لبعض، وأن يؤمنوا بمن سيرسله وأن ينصروه، كما قال سبحانه وتعالى: (وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ).

وهكذا كانت إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم للأنبياء والمرسلين في هذا المكان المقدس إعلاناً لختم رسالات السماء وأن رسالته خاتمة الرسالات، ودستوره السماوي وهو القرآن كلمة السماء الأخيرة، وأنه صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل، لأن الذي أسرى هو الله الخالق القادر على كل شيء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ليصلي بالأنبياء، وهو القادر على تغيير قانون برزخية الأنبياء السابقين ليصلي بهم.. فما أراده الله تعالى حدث، وبالكيفية التي أرادها رب العزة – سبحانه وتعالى-.

وفي هذا إعلان لعالمية الإسلام، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذي ختم الله به الأنبياء والمرسلين.

وان حادث الإسراء والمعراج ليضع في أعناق المسلمين في كل الأرض أمانة القدس الشريف، وأن التفريط فيه تفريط في دين الله وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا في حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها.

فعلينا أن نوحد جهودنا، وإلاّ نتفرق، لنكون بوحدتنا، قوة إسلامية لا يستهان بها، ولا تضعف في المطالبة بحقوقنا، فطريق الوحدة ومناشدة القوة هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التي هي جزء من عقيدتنا وديننا.

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء، وبوابة الأرض إلى السماء، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين، ولكن تعرض إلى العدوان والتخريب، فلماذا؟ وهو الموطن الإسلامي، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعاني كل هذه المعاناة. (وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله).

ألكونها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوماً بعد يوم؟!

ولكون شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك؟! هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمي؟!فنرى أمثال هذه المعاناة في البوسنة والهرسك والشيشان!!

أقول: إن الجهاد فرض علين في الدفاع عن القدس، كما أنه فرض عين في الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامي على ظهر الأرض.

وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكني هذه الأوطان المسلوبة أو المنهوبة فحسب، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين في كل الأرض، ومن هنا فان كل معونة جهاد والحكم الشرعي الذي قرره الفقه الإسلامي أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلداً يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولا يجوز لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب، قال الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار).

وعن ابن عباس – (رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا».

فإذا نادى الواجب المسلمين، لتحرير أوطانهم ودفع العدوان عنها، واسترداد الحق، فانه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وإلا يتثاقلوا، قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ).

وفي سبيل إقرار الحياة الآمنة المستقرة، ونشر الإسلام في ربوع الأمة يجب علينا ألا نتفرق ولا نختلف، بل نتوحد فلا نتنازع.(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وأن نتجمع ولا نتفرق (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

<u>التوصيات:</u>

لقد تكررت المآسي في القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين، وحيث تعددت المجازر البشرية، والاستمرار في زيادة المستوطنات اليهودية، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال، واستهانت إسرائيل بالشرائع السماوية، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية، وكان لهم ممارسات إرهابية في المنطقة، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعربدة!!

ولما كانت القدس لها منزلتها الأثيرة في قلوب المسلمين والمسيحيين والعرب جميعاً فهي مسرى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام.

ولما كان السلام الشامل والدائم في المنطقة رهنا بالتسوية العادلة والكاملة، واسترداد الحق لأهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذي عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطيني أكبر من تحمل في سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياع أوصت ندوة القدس بالتوصيات التالية:

1 – تأكيد الدعوة إلى استمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين، دفاعاً عن الحق والشرعية ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم استرداداً لحقه، وانتصاراً للشرعية والحق.

2 – الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواقفة بجانب العدل والحق، فلا يضيع الحق إلاّ بضعف أهله، ولا قوة لنا إلاّ في وحدنا، استجابة لقول الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

3 – تحريك الرأي العام الدولي بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنساني في كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم.

4 – مطالبة النظام العالمي بإيقاف الهجرة اليهودية وإيقاف المستوطنات وإعادة الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل.

5 – تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين حتى تتم وحدة الصف والهدف، وتقوى الأمة في مواجهة التحديات.

6 – مطالبة النظام العالمي ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بتحقيق القرارات التي سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطيني.

7 – دعوة الأمة أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً إلى توثيق الصلة مع الله، وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التي فيها انتصار لدين الله مما يترتب عليه انتصارنا مصادقاً لقوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

وقوله: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

8 – تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولة الذين يمكنهم متابعة توصيات هذه الندوة، حتى تأخذ طريقها إلى العمل الجاد، ولا تبقى كغيرها من التوصيات حبراً على ورق.

وبالله التوفيق... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آمين[1].

---

[1] مجلة الأزهر : الجزء الخامس ، السنة التاسعة والستون ، جمادى الأولى 1417هـ ، سبتمبر/أكتوبر 1996 ، ص ص 678-685..

في سنة 1996
فتوى ونداء الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر
توحيد صفوف الأمة من اجل تحرير القدس الشريف

دعا فضيلته في هذه الفتوى إلى توحيد صفوف الأمة الإسلامية من أجل تحرير القدس الشريف وتضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب حتى نستطيع أن نواجه التحديات كما دعا الأمة لتوثيق العلاقة مع الله تعالى حتى يتحقق النصر.

وهذا نص الفتوى : أكد الأستاذ الدكتور احمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر على منزلة القدس في الأديان قال: إن لها مكانتها في قلوب جميع المؤمنين وحسبنا بياناً لمنزلة القدس ومكانة المسجد الأقصى ما ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع.

وقد أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على هذه المكانة حين قال «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» فهو مسرى الرسول وأولي القبلتين وثالث الحرمين.

إن المسجد الأقصى اجتمع فيه الأنبياء والمرسلون السابقون واقتدوا بخاتم الأنبياء والمرسلين وذلك لتطبيق العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم جميعاً بأنه إذا جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وأن ينصروه، وكان تطبيق هذا الميثاق عملياً في ليلة الإسراء والمعراج حيث حشد الله سبحانه وتعالى لرسوله جميع الأنبياء والمرسلين السابقين في المسجد الأقصى ليقتدوا به وليصلوا خلف خاتم الأنبياء والمرسلين وفي ذلك إعلان لعالمية الإسلام ووحدة الشرائع في الدعوة إلى الحق.

ولهذه المنزلة الكريمة للقدس في الدين والقلوب أرى أنه علينا أن نوحد صفوفنا من أجل تحرير القدس الشريف.

إن الممارسات الإسرائيلية في القدس تحتل أوضح صور التحدي للمجتمع الدولي، حيث تدير ظهرها بكل قرارات المنظمات الدولية وتسعى إلى طمس الهوية العربية الواضحة وضوح الشمس في رائعة النهار.

إن استمرار هذه الممارسات الهمجية يضع العالم على حافة الهاوية وستفجر حروباً لا تنتهي إلاّ بانتهاء هذه المشكلة، وستغرق مسيرة السلام الشامل والعادل والكامل.

إن الدعوة إلى السلام دون عودة القدس ودون رجوع الحق إلى أهله هي دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ولن تقبلها أجيالنا والأجيال التي تلينا، لأن القدس هي مدينة السلام، والمسجد الأقصى جزء لا يتجزأ من عقيدتنا وشعائرنا فلا تفريط فيه بحال من الأحوال.

وقد دعا الدكتور / احمد عمر هاشم إلى ضرورة تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب المسلمين حتى تتم وحدة الصف والهدف وتقوى الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات، كما طالب القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام بالوقوف بجانب العدل والحق فلا يضيع الحق إلاّ بضعف أهله.

كما أكد على ضرورة دعوة الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً بتوثيق الصلة مع الله وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التي فيها انتصار لدين الله مما يترتب عليه انتصارنا مصداقاً لقوله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [1].

---

[1] مجلة الوعى الإسلامى : العدد372 ، شعبان 1417هـ ، ديسمبر 1996/ يناير 1997 ، ص ص 42-43..

في سنة 1997

نداء الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

من فوق المنبر «حي على الجهاد»

وقد كان هذا النداء عقب صلاة الجمعة الموافق 12 من ذي القعدة 1417 هجري.21 مارس 1997م :«عقب صلاة الجمعة الموافق 12 من ذي القعدة 1417 هجري 21 من مارس 1997م وفي مؤتمر شعبي كبير في الجامع الأزهر تجمعت القوى الوطنية المصرية من مختلف الاتجاهات والانتماءات تتنادى داعية لإنقاذ القدس من الآسر الصهيوني، ووقف الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر داعياً: حي على الجهاد مؤكداً بذلك أن مصر رئيساً وحكومة وشعباً تقف صفاً واحداً مع الشعب الفلسطيني ضد الظلم والقمع عليهم، ودفاعاً عن القدس الشريف، ووصف الإمام الأكبر بناء المستوطنات في القدس بأنه يستهدف تهويد المدينة المقدسة، وتغيير معالمها، وأضاف قائلاً: إن من واجبنا تقديم المعونة للأخوة الفلسطينيين، وإننا على استعداد للتضحية بأنفسنا وبكل ما نملك إذا اقتضى الأمر، لأننا لن نرضى بهذا القهر والإذلال والظلم[1].

[1] الأهرام : عدد 22 مارس 1997 .

ومحمد علي حله: جهود الأزهر الشريف، ص 57.

في سنة 1997
فتوى وبيان جبهة علماء الأزهر
لا يجوز للمسلمين صلح مغتصبي فلسطين

أوضح هذا البيان ما للأزهر من دور في الدفاع عن الدين الحق وانه هو أول من نفر واستنفر لحرب اليهود، وعرض البيان المراحل التي دعا فيها الأزهر للجهاد خلال السنوات السابقة منذ احتلال إسرائيل لفلسطين والمسجد الأقصى وحتى الآن.

كما أوضح البيان وقوف الأزهر وراء تأجيج العواطف ضد المجرمين الغاصبين وأنه تخرج منه أئمة المجاهدين الذين حفظ الله بهم قضية فلسطين والقدس حية في مشاعرهم.

كما كان الأزهر من وراء العلماء المجاهدين من أبناء الشام ومصر وفلسطين ثمّ قرر البيان انه لا يجوز للمسلمين أن يصالحوا اليهود.وتبرأت جبهة علماء الأزهر من أي قول أو عمل يأتي مخالفاً لما استقر عليه إجماع الأئمة الأعلام السابقين.

وهذا نص البيان:«(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).لقد كان الأزهر بحمد الله وسيظل إن شاء الله صاحب قيادة المسلمين إلى كل مكرمة واليه المفزع عند كل نازلة، بقوله تتبدد الشبهات وبعزيمته تتوارى الشهوات، فهو القائم بالحق بالدفاع عن الدين الحق والدعوة إليه، وهو خير من يفي له، لذلك كان الأزهر أول من نفر واستنفر لمنازلة اليهود بأرض فلسطين وكشف للدنيا كلها خطورة أمرهم وخبث طويتهم وسوء العاقبة في السكوت عليهم.

ففي عام هبة البراق (17 من ربيع الأول 1348 – 14 أغسطس 1929) حين فوجئ المسلمون من أهل فلسطين باليهود وقد تجمعوا ببقعة البراق الشريفة يوم الجمعة كتب شيخ الأزهر وقتها الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى السلطات البريطانية يقول لها: إنه ليس هناك مسلم يقبل أي سلطان على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كراهية اليهود للمسلمين مذكورة في القرآن الكريم.ولما عرض مفتي فلسطين بعدها (الحاج أمين الحسيني) على الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري عام (1350 هجري 1931م) الموافقة على إنشاء كلية دينية بالقدس تكون عوضاً عن المؤتمر الإسلامى بالقدس لنصرة عرب فلسطين بعدما أفسد أمره سوء أوضاع العرب والمسلمين أجابه الشيخ الإمام: إني أرحب بمثل هذه الكلية، ولكنني أمقت كل عمل يقلل من قيمة الأزهر العالمية، وحينما تكشفت الخديعة البريطانية الثانية على فلسطين عام (1936) بتيسيرها أمر انتقال الأراضي من أيدي المسلمين إلى الصهيونيين ، اجتمع الطلاب الأزهريون بالجامع الأزهر الشريف وألفوا اللجان لتيسير جمع الأموال ومناصرة الفلسطينيين، ثمّ نظموا المسيرات والمظاهرات للتنديد بالمؤامرة، وقد تزعم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز – وكان وكيل معهد القاهرة آنئذ بعض هذه المظاهرات التي انتهت باجتماع حاشد بدار الشبان المسلمين، وفيها هتف برحمة الله باسم الأزهر قائلاً: إن الأزهريين يشاركون بقلوبهم وبكل قوتهم أهل فلسطين فيما يقومون به دفاعاً عن حقوق العرب والمسلمين في فلسطين.

وفي الثامن من أغسطس عام 1938 عقدت هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف اجتماعاً برئاسة فضيلة شيخه الإمام المراغي وجهت منه الدعوة إلى زعماء الإسلام لسلوك الطرق المفيدة للمحافظة على عروبة فلسطين وآثارها المقدسة من الأخطار الموجهة إليها. وفي السادس عشر من المحرم 1358 – 5 مارس 1939 أرسل الأزهر الشريف بجميع هيئاته احتجاجه على وضع قوة من

البوليس البريطاني في المسجد الأقصى الشريف وطالب بضرورة إخراجها رعاية لشعور المسلمين.

لقد كان الأزهر الشريف ولا يزال وراء تأجيج العواطف الثائرة ضد المجرمين الغاصبين، وكان وسيظل الساعد الأيمن والراية الخفاقة للمجاهدين، فمن حلقاته وأروقته تخرج أئمة المجاهدين الذين بهم حفظ الله قضية فلسطين القدس حية في مشاعر وأفئدة المؤمنين نذكر منهم الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطيني تلميذ محمد عبده ورشيد رضا وابن القدس الأسير والشيخ عز الدين القسام زميل المفتي ومقدم الشاميين مؤسس ما سمي بعد بالثورة الفلسطينية الذي لقى ربه شهيداً في إحدى معاركه مع القوات البريطانية عام خمسة وثلاثين والشيخ عبد القادر المظفر الذي حكم عليه بالإعدام فنال الشهادة على يد البريطانيين ؛ لأنه كان قائد الأمة والجماهير الغاضبة، فالشيخ الشهيد عبد الحليم الجيلاني قائد المجاهدين في قضاء الخليل الذي أسهم من قبل في ثورة 1919 وكان بعدها إمام وخطيب الحرم الإبراهيمي، ثمّ الشيخ عبد الرحيم الحاج محمد القائد العام لجميع المجاهدين في شمال فلسطين، والذي أعيا البريطانيين أمره فتربصوا به في مجموع أئمة من جنودهم المجرمين وأمطروه عام ثمانية وثلاثين بوابل من النيران والشيخ أمين العورى الذي ولى شرف تدريس علم التفسير بمسجد الصخرة وكان المشرف على تنظيم المجاهدين بالقدس الشريف والخليل ونابلس حتى نال شرف الشهادة إبان قيامه بعملية فدائية في الحادي والعشرين من نوفمبر عام ست وثلاثين، والشيخ فوزي الإمام قائد فرق الحرس الوطني التي قامت بواجب حماية الأحياء العربية من اعتداءات الصهيونية حتي نال شرف الشهادة في أوائل شهر فبراير عام 1948، والشيخ حسن البطة أحد أبناء كلية الشريعة المتميزين الذي بدأ جهاده من الأزهر بإعداد إخوانه الفلسطينيين الأزهريين له وكان ذلك برواق الشوام، ثمّ قادهم منه إلى فلسطين عام ثمانية وأربعين وظل على عهده مع ربه وفيا حتى وقع في أسر القردة

الملاعين أثناء دفاعه عن مصر عام ستة وخمسين وقتلوه قتلهم الله شر قتلة ومثلوا بجسده الكريم.

ولقد كان وراء هذه القلة المباركة من علماء الأزهر المجاهدين من أبناء الشام ومصر وفلسطين وغيرها أسود ضياغم من أعلام الأزهر وأئمة المسلمين نذكر منهم غير من سبق فضيلة الإمام الكبر الراحل الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الأزهر وفضيلة الشيخين محمد حسنين مخلوف وعبد المجيد سليم مفتيي الديار المصرية والشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية والشيخ الحسيني سلطان شيخ كلية أصول الدين والشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة ابن فلسطين وهؤلاء وأمثالهم الذين كان إليهم إعلان بيان الأزهر الرسمي للجهاد عام سبعة وأربعين بعد إعداده منم ومن الذين وقعوا عليهم معهم أصحاب الفضيلة والشيخ محمود شلتوت المدرسين آنئذ، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمود شلتوت المدرسين آنئذ بالكليات الأزهرية،وجميعهم شرف بهم منصب مشيخة الأزهر بعد، ثمّ الشيخ محمد الشربيني أول رئيس لجبهة علماء الأزهر الشريف الذي جاء فيها:«يا معشر المسلمين قضى الأمر وتألبت عوامل البغي والطغيان على فلسطين وتبين لكم أن الباطل ما زال في غلوائه، وأن الهوى ما فتئ على العقول مسيطراً، وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلاّ تنظيم للظلم والإجحاف،ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا، وأن يجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها في الدين واللغة والشعور. يا أبناء العروبة والإسلام خذوا حذركم فانفروا ثبات أو أنفروا جميعاً، إياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين أو قبلوا الذل صاغرين.

سدوا عليه السبل واقعدوا لهم كل مرصد وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم واعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله وان من يتخلف عن

هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم. أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة وذودكم عن الحق، ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم–يقصد المقيمين بمصر آنئذ من اليهود – إن الله لا يحب المعتدين،ولتتجاوب الأصداء في كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين الجهاد الجهاد الجهاد والله معكم.

وقد كان هذا البيان فيما نرى ثمّ ما صدر عن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في الثامن عشر من جمادي الأولى 1375 – 1 يناير 1956 هو قطب الرحى الذي عليه دارت وتدور المجامع العلمية الإسلامية وأعمال الجهاد الشرعية، فقد أصدرت لجنة الفتوى في هذا التاريخ فتواها التاريخية عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل والتعاون مع دول الإستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم وعن حكم الأحلاف التي تدعوا إليها دول الإستعمار التي من مراميها تمكين إسرائيل أن توسع رقعتها وتركز لكيانها قائلة: إن الصلح مع إسرائيل، كما يريده الداعون إليه – لا يجوز شرعاً لما فيها من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه.فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا ارض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالها على أي وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في ارض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها من أيدي هؤلاء الغاصبين، وان يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى إلى الجهاد في هذا السبيل، ومن فرط في ذلك أو قصر أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربي الإسلامي لهو في حكم الإسلام مفارق

جماعة المسلمين ومفترق أعظم الآثام قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم).ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة وبالسلاح والقوة، سراً وعلانية مباشرة وغير مباشرة، وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات.وكان الموقعون عليها أصحاب الفضيلة حسنين مخلوف رئيس لجنة الفتوى وعضو جماعة كبار العلماء ومفتي الديار، ومحمود شلتوت عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار العلماء الحنفى المذهب، وعيسى منون عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة الشافعي المذهب ومحمد الطنيخي عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد المالكي المذهب، ومحمد عبد اللطيف السبكي عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار العلماء، ومدير التفتيش بالأزهر الحنبلي المذهب والشيخ زكريا البري أمين الفتوى.وأن جبهة علماء الأزهر إذ تبرأ إلى الله تعالى من أي قول أو عمل يأتي مخالفاً لما استقر عليه العمل بعد إجماع الأئمة الأعلام فإنها تذكر بحق الأزهر القائد الشريف على الأمة، فلا ينبغي أن تحملها بعض المواقف التي تصدر عن التقدير الشخصي على نسيان حقه الواجب له أو الشك في وفائه أو الريبة في ثباته فإن في ذلك سرور عدونا وسعادته بانشغالنا ببعضنا عن انشغالنا به، وصدق الله ربنا (لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر).

صدر عن جبهة علماء الأزهر في 23 من شعبان سنة 1418 هجري[1]

---

[1] جريدة العربى : العدد 246 السنة الخامسة ، الاثنين 29 شعبان 1418هـ - 29 ديسمبر 1997م.

في سنة 1997

فتوى للشيخ/ محمد متولي الشعراوي[1]

البداية من المسجد الحرام والنهاية إلى المسجد الأقصى

يبين فضيلة الشيخ في هذه الفتوى أن بيت المقدس في مقدساتنا نحن المسلمين، وقد كانت هذه الفتوى إجابة عن سؤاله لماذا كان الإسراء من المسجد الحرام ولم يكن من المسجد الأقصى؟

وهذا نص الفتوى:

«شيخنا الجليل قال الله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فلماذا كان الإسراء من المسجد الحرام ولم يكن من المسجد الأقصى بداية ولكن كان انتهاء؟

أجاب فضيلته:«لأن الكعبة كانت قد انطمرت كبيت من بيوت الله، لم يعد لها هذا المظهر، وسميت بيت العرب، وشحنت بالأصنام هذا شيء، وبيت المقدس له قدسيته مع موسى، وعيسى، وأنبياء بني إسرائيل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث لقومه فقط، أي لم يخص العرب فقط كما يريدون هم أن يقولوا.. لا.. إنما جاء عالمياً، فإسراؤه من مكة إلى بيت المقدس كأنه أدخل بيت المقدس في مقدسات دينه الجديد، وهذه العملية توضح بأن دينه مهيمن على كل البقاع، وكل مقدسات البقع، وكذلك أيضاً اتجهنا إليه أولاً، فلا يأتي نفر ويقول: أنتم لكم دينكم، ونحن لنا ديننا، لا، صحيح أن ديننا جاء في مكة، لكنه

---

[1] ولد الشيخ محمد متولى الشعراوى فى سنة 1911 فى قرية دقادوس فى محافظة الدقهلية ، كان له ضلع كبير فى الحركات الثورية لطلاب الأزهر ، التحق بكلية اللغة العربية فى سنة 1937 وحصل على العالمية فى سنة 1941 ثم حصل على إجازة التدريس فى سنة 1943 ، ثم عمل مدرساً بمعهد طنطا وفى سنة 1950 عمل أستاذاً بكلية الشريعة بالسعودية وفى سنة 1960 عين وكيلاً لمعهد طنطا ، ثم مديراً للدعوة الإسلامية والأزهر ثم مديراً لمكتب شيخ الأزهر (الشيخ / حسن مأمون) فى سنة 1964 ثم أستاذاً زائراً بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة سنة 1970 ثم رئيساً لقسم الدراسات العليا بالجامعة سنة 1972 ثم وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر سنة 1976 ونال وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ، ثم عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة 1980 ، وعضواً بمجمع اللغة العربية العربية سنة 1998 ، وعضواً بمجلس الشورى ولكنه اعتذر عنه ولم يحضره ، ونال وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى فى سنة 1983 (مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الثالث والستون ، ص ص 212 – 217) .

مهيمن على سائر الكتب، ورسولنا مهيمن على كل مقدساتنا، من ثمّ اصبح بيت المقدس في مقدساتنا، لأنه صار منتهى مسرى النبي، وبداية معراجه صلى الله عليه وسلم[1].

[1] محمد متولى الشعراوى : الجامع للفتاوى ، ص231

في سنة 1998
فتوى للشيخ/ محمد متولي الشعراوي
يتنبأ فيها باقتراب القتال بين المسلمين واليهود

يوضح الشيخ الشعراوي في هذه الفتوى أن القرآن الكريم يشير إلى أن المسجد الأقصى سيضيع من المسلمين ويصبح تحت حكم اليهود فيأتي المسلمون ويحاربونهم ويدخلون المسجد.

كما يوضح الشيخ في هذه الفتوى أن الله كتب على اليهود أن يتفرقوا في الأرض فلا تكون لهم دولة ثمّ يجمعهم في مكان واحد ثمّ يسلط عليهم عباده المؤمنين، وقضى الله أن يحدث قتال بين المسلمين واليهود يستعيد فيه المسلمون المسجد الأقصى.

وهذا نص الفتوى: «قال تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون. واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون).

هذه الآيات السبع كلها تذكر بني إسرائيل برسالة رسول الله صلى الله عليه سلم والذي جاء وصف صفاته وزمنه في التوراة ولتذكيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نعمة إليهم وإلى الناس جميعاً، وإذا كان الله قد فضل بني إسرائيل بأن أرسل إليهم رسلاً فليس معنى ذلك أن ينكروا نعمة الله عليهم بالرسول الخاتم وبما أن أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرت في التوراة وطلب منهم أن يؤمنوا به وينصروه فان عدم إيمانهم به هو كفر بالتوراة،

كما أن الإنجيل بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وطلب منهم أن يؤمنوا به فعدم إيمانهم به هو كفر بالإنجيل.

وقوله تعالى : (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى : أذكروا أننى جعلت فى كتابكم ما يثبت صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى نبوته والمعنى اذكروا نعمتى بأنى فضلتكم على العالمين ممن عاصروكم وقت نزول رسالة موسى وجعلت منكم الأنبياء .

ومادام الحق سبحانه وتعالى قد فضلهم على العالمين فكيف يمن عليهم ؟ نقول المن هنا لشدة الكناية بهم فالله سبحانه وتعالى لشدة معصيتهم وكفرهم جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، واقرأ قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) .

وقوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل) .

فالله سبحانه وتعالى يبين لنا كفر بنى إسرائيل بأنبيائهم وقتلهم رغم أن الله تعالى أعطاها خيراً كثيراً لكنهم نكثوا العهد فاستحقوا العذاب فهم يجعلون نعمة الله عليهم سبباً فى إخلاصهم ، والإيمان به سبحانه وتصديق منهجه وتصديق الرسول الخاتم الذى ذكر عندهم فى التوراة كان يجب أن يؤمنوا بالله وأن يذكروا نعمه الكثيرة التى تفضل بها عليهم .

والحق يريد أن يلفتنا إلى أنه مادام قد أنعم عليهم فلا يظنون أنهم غير مطالبين بالإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام إنما كان لابد أن يفهموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليصحح لهم كتابهم ويوضح لهم الطريق الصحيح ، فكان يجب عليهم أن ينصروه والنعمة لا يمكن أن تستمر مع الكفر بها وحتى لا نظن أن الله سبحانه وتعالى قد قسا عليهم بأن جعلهم أمماً متفرقة فى

الأرض كلها ثم بعد ذلك يجمعون فى وطن واحد ليقتلوا واقرأ قوله تعالى (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) .

أى أرض تلك التى طلب الله سبحانه وتعالى من بنى إسرائيل أن يسكنوها ؟ مادام الحق سبحانه وتعالى قال (اسكنوا الأرض) فهى الأرض كل الأرض ، كلها وطن لليهود طبعاً لا ولكن الحق سبحانه كتب عليهم أن يتفرقوا فى الأرض فلا تكون لهم دولة إلا عندما يشاء الله أن يجمعهم فى مكان واحد ، ثم يسلط عليهم عباده المؤمنين والحق سبحانه وتعالى يقول (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) .

هذه هى المرة الأولى التى انتصر فيها المسلمون على اليهود يقول الحق سبحانه وتعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) ومادام الحق سبحانه وتعالى قال عليهم فهى على المسلمين لأنهم هم الذين انتصروا على اليهود وقوله تعالى (أمددناكم بأموال وبنين) ومعناها أنهم ينتصرون على المسلمين وهو ما حدث الآن وما شهدناه وما نشاهده فى الفترة الأخيرة أى أن المدد والقوة تأتيهم من الخارج وليس من ذاتهم .

ونحن نرى أن إسرائيل قائمة على جلب المهاجرين اليهود من الدول الأخرى وجلب الأموال والمساعدات من الدول الأخرى أيضاً أى أن كل هذا يأتيهم بمدد من الخارج وإسرائيل لا تستطيع أن تعيش إلا بالمهاجرين عليها ، وبالمعونات التى تأتيها فالمدد لابد أن يأتى من الخارج ، إذا كانت هناك معركة وطلب قائد المدد فمعناه أنه يريد رجالاً يأتونه من خارج أرض المعركة ليصبحوا مدداً وقوة لهذا الجيش وقوله تعالى : (وجعلناكم أكثر نفيرا) النفير هو الصوت العالى الذى يجذب الانتباه ونحن نرى الآن أن إسرائيل تسيطر على وسائل الإعلام

والدعاية فى العالم وأن صوتها عال ومسموع ويقول الحق سبحانه وتعالى : (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) ومعنى هذا أن المسجد الأقصى سيضيع من المسلمين ويصبح تحت حكم اليهود فيأتى المسلمون ويحاربونهم ويدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويقول الله تعالى : (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) واللفيف هو الجمع غير المتجانس الذى يتنافر مع نفسه ومع من حوله ، وبما أن الله سبحانه وتعالى قد قضى أن يحدث قتال بين المسلمين وبين اليهود يستعيد فيه المسلمون المسجد الأقصى فكان لابد أن يجمعهم فى مكان واحد ، لأنهم لو بقوا كجاليات متفرقة فى كل دول العالم ومعزولة عن المجتمعات التى يعيشون فيها لاقتضى ذلك أن يحارب المسلمون العالم كله ، ولكن الله سبحانه وتعالى سيأتى بهم من كل دولة إلى المكان الذى فيه بيت المقدس حتى يمكن أن يحاربهم المسلمون وأن يدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة[1].

---

[1] محمد متولى الشعراوى : اليهود ، ص ص 93-95.

ملحق الفصل الثالث

استطلاع رأى

التطبيع والتوطين حرام شرعاً

مائة من علماء الأزهر يفتون بحرمة توطين الفلسطينيين فى البلاد العربية وحرمة التطبيع مع العدو الصهيونى

فى لحظات الاضمحلال القومي والاسلامى، عندما يستقيل الحكام من دورهم ورسالتهم تتجه الأمة إلى علمائها، وإلى نخبتها الصادقة تبحث عندها عن الإجابة لتساؤلات اللحظة التاريخية، ولعلامات الاستفهام المقلقة، وتتطلع ناحيتها بحثاً عن قيادة روحية تفتقدها، بعد أن فقدت قطاعات من النخبة – هي الأخرى – دورها واستقالت من وظيفتها. هذا تحديداً هو عين، ما نعيشه اليوم. تجاه القضية المحور. القضية المركزية للأمة، قضية فلسطين، فلقد استقال غالب حكامنا وسياسينا وكتابنا من دورهم ورسالتهم تجاهها .

وفى سبيل ذلك إيضاح أكثر للرأى " الشرعى " من التطبيع الدينى ومن تحديد الرؤى الإسلامية ، تجاه القضية المركزية للأمة (قضية فلسطين) ومحاولات توطين أهلها خارج فلسطين بإيعاز من تل أبيب وواشنطن من أجل إنهاء القضية ، قام فريق من الباحثين المساعدين لنا فى هذه الموسوعة فى فترات زمنية متعددة وبعضها قبل رحيل أصحابها بأيام ، باستطلاع رأى ميداني موسع لعينة كبيرة من علماء الأزهر الشريف (حوالى مائة عالم)، وسألوهم وفق استمارات ومناهج بحث علمية عن (موقف الإسلام) من قضيتي التطبيع والتوطين ، ترى ما هو رأى علماء الإسلام في هاتين الجريمتين اللتان تتمان تحت غطاء شديد الزيف أسمه (السلام) والواقعية السياسية ، سنأخذ نماذج لآراء وفتاوى علماء الأزهر والإسلام ، للتدليل على حرمة هذا التطبيع والتوطين .. من واقع استطلاع الرأى الموسع .. فماذا قالوا ؟ .

د. محمد المسير: الإسلام حرم بيع الأرض الفلسطينية.. فكيف نبيع صاحب الأرض نفسه.

– **الشيخ جمال قطب:** إسرائيل بسياساتها الحالية ليست أهلاً للتطبيع ومن يسعى لذلك معادٍ لأمته.

د. منيع عبد الحليم محمود: فرض التطبيع الجماعي على العرب معناه تفريطهم في كل ما لديهم.

د. عبد الصبور شاهين: ما يحدث الآن استكمال للمؤامرة الأولى التي أنشأت إسرائيل على أرض فلسطين.

د. عبد المعطى بيومى: الفلسطينيون هم الذين يقررون الحل المناسب لقضيتهم ولا يجب فرض أي حل عليهم.

د. طه حبيشى: هذا الطرح مخالف لكل النصوص الشرعية فالإسلام لا يفرض على أصحاب الحق التنازل عنه للمستعمر الغاصب.

د. مصطفى الشكعة: المطالبة بعدم عودة اللاجئين تسليم ببيع فلسطين.

د. عبد اللطيف عامر: يجب العمل على عودتهم إلى ديارهم وليس توطينهم.

د. محمود أبو ليلة: توطين اللاجئين جريمة من أكبر الجرائم التى يرتكبها الحكام العرب.

د. أبو سريع عبد الهادي: توطين اللاجئين لا يجوز شرعاً.

د. محمد حماسة عبد اللطيف: يجب أن يعمل العرب بشتى الطرق والوسائل على عودة اللاجئين إلى ديارهم.

الشيخ/ على نور الدين عودة اللاجئين حق شرعي حتى لا تضيع الأرض ويغتصب العرض.

د. عبد الباسط هاشم: توطين اللاجئين خطيئة كبرى لا يقرها عقل أو دين.

د. عبد المنعم البرى: حق العودة حق إسلامي وهو غير قابل للتفاوض والحل هو عودتهم إلى ديارهم التي طردوا منها عام 1948.

د. عبد الرحمن العدوى: حق العودة ضمنته الشريعة الإسلامية وهولا يسقط بالتقادم.

د. أحمد الشاعر: هناك ضغوط دينية تمارس على الحكومة الأمريكية لتصفية القضية الفلسطينية والتوطين جريمة ضد الإسلام.

د. حسن شقير: الإسلام لا يجيز أن يفرط المسلم في أرضه ووطنه ويجب على إخواننا اللاجئين عدم الرضوخ لمثل هذه المؤامرات ؛ لأنها مخالفة للشريعة الإسلامية وحق العودة حق مقدس.

الشيخ جواد رياض: التطبيع مع إسرائيل في كافة الجوانب والنواحي أمر رفضه الإسلام.

الشيخ منصور مندور: التطبيع مع إسرائيل حرام شرعاً طالما بقيت على سياستها الحالية(*). **وإلى تفصيل بعض الرؤى والفتاوى :**

* * *

د. محمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر: لقد صدرت فتاوى شرعية بحرمة بيع الأراضى الفلسطينية لليهود.. فكيف نبيع الإنسان الفلسطينى؟!إنها جريمة كبرى قد ارتكبت فى حق الشعب الفلسطينى، الذى تآمرت عليه قوى الشر الصليبية والصهيونية، وإنه لمن العجب العجاب أن نعمل على تهجير الفلسطينيين من أرضهم لنأتى بشذاذ الآفاق وشراذمهم كى يسكنوا الأرض الإسلامية المقدسة من بعدهم. إنها شريعة الغاب، والذين يتعاملون بهذا المنطق ويتصورون أنهم يحققون السلام.. إنهم هم وخائنون، وسيكونون أول الضحايا بعد ذلك، فالخطر الصهيونى لن يتوقف على حدود فلسطين فقط، ولن يرضى اليهود الصهاينة بالأرض من النيل إلى الفرات فحسب، ولكنهم يسعون لإقامة مملكة إسرائيل الكبرى التى تحكم العالم وتخضع البشر جميعا لسطوتها، بحيث تكون شعوب العالم عبيدا لبنى إسرائيل.

إن اليهود والصليبيين لا يعترفون بقوانين ولا أعراف دولية، ومن الخطأ الفادح محاولة إقناعهم بالحق والعدل، فهم لا يفهمون إلا لغة القوة، وليس أمام

* سنقدم فى هذا الملحق نماذج فقط من آراء وفتاوى بعض علماء الأزهر ممن استطلعنا رأيهم فى قضية التطبيع وما يترتب عليها من آثار سلبية منها (توطين الفلسطينيين خارج بلادهم خدمة لإسرائيل)

المسلمين إلا أن يفهموا سنة الله تعالى فى المدافعة، وأن يكونوا أهلا لتحمل أمانة الدفاع عن الحق ويستجيبوا لدعوة الله عز وجل فى قوله سبحانه "ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم" سورة التوبة الآيات 13- 15.

الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر الشريف: بداية منطق الحكم تحت اصطلاح يجوز أو جواز، هو منطق لا يقوم عليه حل عادل وشامل، إنما هو منطق للفتوى، أى الرضا بالقليل المتاح حينما يتعذر على الشخص أن يفعل غيره- كما يقول الفقهاء: يجوز للمريض العاجز عن القيام أن يصلى جالسا أو قاعدا.

لكن مشكلة الفلسطينيين أو مشكلة المسلمين فى أرض فلسطين ليست مما يحكم فيه بالجواز وعدمه، إنما هى أمر لا يحكم فيه إلا بالحق أو الباطل، فلكل إنسان فى هذه الدنيا وطنه الذى لا يجوز أن يُبعد عنه، فلا مكان لمثل هذا الاقتراح.

أما مسألة تعويض هؤلاء، فأمر مثل ذلك إذا قبله صاحب الحق، فإنما يقبله من المعتدين وليس من المتبرعين، فإذا كان ثمة أمر تعويض ويقبله الفلسطينيون، فلابد أن يكون من خزانة الغرب الذى اقتطع الوطن من مواطنيه وأهداه لهؤلاء المعتدين.

أما فكرة التطبيع، فإنها بدعة إسرائيلية صهيونية، إذ لا يمكن أن تفرض على إنسان أن يتناسى حقوقه وآلامه وواقعه المر وشتات إخوته أصحاب الأرض، ثم يستطيع بعد ذلك أن يفكر فى التطبيع، منفردا أو جماعيا، فإسرائيل بسياساتها هذه ليست أهل للتطبيع على أى مستوى.

وكل من يحاول ذلك، فإنما يجافى المنطق والحق، ويقف فى جانب المعتدى الظالم، معاديا لنفسه ولأمته ولإخوته.

د. منيع عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر الأسبق:

الأرض الإسلامية لا بديل عنها على الاطلاق، ويجب على أهلها الدفاع عنها والإقامة فيها، ومنع العدو من الوصول إليها، وبناء على هذا فإن الفلسطينيين المهجرين فى البلاد العربية والأوروبية يجب عليهم وجوبا شرعيا أن يحصلوا على أموالهم وأراضيهم وكل ما يتعلق بهم، والوصول إلى ما يملكون من أرضهم المحتلة، ولا بديل عن هذا الأمر، فإذا كان الإسلام قد وصل به الأمر فى الدفاع عن بلاد الإسلام أنه أعطى للمرأة الحق فى أن تخرج بدون إذن زوجها للدفاع عن أرض بلادها.. فكيف بنا أن نوافق على توطين هؤلاء فى أرض غير أرضهم مقابل بعض الأموال تشابه التسول، بل يجب أن تسعى الدول العربية كلها وبكل الوسائل لإعادة هؤلاء إلى أوطانهم، خصوصا أن هؤلاء الفلسطينيين يعاملون فى البلاد المهجرين إليها كصنف من الدرجة الثالثة فى معسكرات لا تليق بآدمية الإنسان، ولا يقبل أهل هذه البلاد أن يعيش الفلسطينيون وسطهم ويتميزون بنفس امتيازاتهم، بل سيظلون يعيشون فى درجة أدنى بكثير من البشر العاديين، خصوصا أن المطلوب أن الدول العربية الغنية هى التى تعوض إخواننا فى الإسلام عن أراضيهم وعن ديارهم، وكان الأولى بذلك هو إقامة مجتمع إسلامى يقوم على كافة مقومات الحضارة الحديثة فى بلادهم الأصلية وليس فى بلاد أخرى.

أما فرض التطبيع الجماعى على العرب، فإن العرب بذلك يفرطون بكل ما لديهم من أوراق ولديهم الكثير فى مقابل أن يصلوا مع الإسرائيليين إلى هذا الأمر، فلابد أولا من تحصيل كافة حقوق إخوانهم فى الإسلام من الفلسطينيين، ثم إقامة هذه الملكية، وخصوصا ملكية السلام وملكية الأمن، بدلا من منحها فى أمور وهمية ستصل فى النهاية إلى أن يبدأ التطبيع قبل أن تنجز إسرائيل

أى بند فى الاتفاق، فإن هذا أمر لا يقبله الإسلام، فالمؤمن كيس فطن، والحكام العرب هم الرعاة وكل واحد منهم مسئول عن رعيته، فليطبق حدود الله فى هذا الأمر ولا ينجر وراء أوهام وأحلام كالأطفال وضعتها لهم إسرائيل، وليكونوا كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز "كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

المفكر الإسلامى د. عبد الصبور شاهين (هذه الرؤية قدمها د. عبد الصبور شاهين قبل رحيله بأيام – رحمة الله عليه) : إن فكرتى (التطبيع والتوطين) تعدان نوعاً من المؤامرة، وتعدان استكمالا للمؤامرة الأولى التى أنشأت إسرائيل على أرض هؤلاء المهجرين وحرمانهم من حقوقهم الطبيعية، وإذا كان الفلسطينيون قد بلغوا فى المهجر حد اليأس مع استمرار الغربة، وطبعا هم يشتاقون إلى العودة إلى وطنهم ومن حقهم أن يشتاقوا إلى هذه العودة.

فإن إسرائيل يشغلها دائما أمر هؤلاء المهجرين المطرودين من أرضهم، وتتوقع منهم دورا خطيرا فى نهايتها إن شاء الله.

وفى تقديرى أن هذه الحلول التى تطرح الآن كلها حلول استعمارية، ولا شك أنهم يضعون أيديهم على الجرح الدامى الذى يشغل هؤلاء الأغنياء، فلا شك أن أصحاب الثروات قلقون على مستقبل أيامهم مع وجود واستمرار موجات المهجرين، ولعلهم لا يستطيعون أن يقولوا لا لمثل هذا الاقتراح.

هذا هو الحل الذى يوصل إلى النهاية بسهولة، لأن التطبيع مع العدو هو فى الحقيقة استسلام له وخضوع لمشيئته، ولذلك تأتى مثل هذه الاقتراحات عبر القنوات الإسرائيلية من ناحية، وعبر مقترحات المهادنين من ناحية أخرى، وهى فى الواقع آراء تمهد للتسليم النهائى لهؤلاء الغرباء، والتنازل عن الأرض والعرض والكرامة.

وموقف الإسلام من ذلك يتمثل فى القاعدة الشرعية المبنية على الركنين الأساسيين: الإيمان والجهاد، الإيمان بالإسلام الحنيف، والجهاد فى سبيل الله

والتضحية بالنفس وبالدنيا كلها، هذا هو موقف الإسلام الصحيح والصريح فى هذه القضية؛ فالإسلام لا يعرف الاستسلام أبدا، ولذلك فكل ما يشغل العدو هو أن يزرع اليأس فى نفوس أصحاب الحق الأصليين، ولا شك أن فى صفوف الفلسطينيين فى الأرض المحتلة من يفضل الحياة الذليلة الخانعة على الجهاد والتضحية، مع أن الشعب الفلسطينى بذل فى سبيل أرضه ما لم يبذله شعب سواه، ومع ذلك فإن موجات اليأس والتخذيل تمارس دورها الآن لتقتل روح الشعب الفلسطينى، استمرارا لقتل أبطاله ومجاهديه.. ونحن نسأل الله عز وجل أن ينفخ فى روح هذا الشعب ويقيه شر اليأس، فالقضية لن تنتهى بين عشية وضحاها، والعدو يعد نفسه لصراع يدوم لأجيال طويلة، وربما استمر الصراع فى حسابات العدو قرنا أو قرنين، وهو يراهن على أن اليأس هو الذى سينتصر فى النهاية، حين تنسى الأجيال القادمة من كثرة الصراع على أرض فلسطين، وبذلك تسلم أرض فلسطين للمغتصبين، وأقول هيهات أن يبذل الصهاينة ما يؤملون فى استسلام الأمة، فنحن ندرك أبعاد مخططهم، ونعلم أنهم لن يكفوا عن فتح الجبهات فى حروب لن تنتهى لإذلال الأمة العربية والإسلامية.

الإسلام يقوم على إقامة العدل وتحقيق المصلحة، ومصلحة الفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم، ولابد أن يتكاتف الجميع لتحقيق هذا المطلب الشرعى، لا أن يساعدوا فى اغتصاب هذا الحق الشرعى للفلسطينيين.

د. طه حبيشى رئيس قسم العقيد والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر:

الحكم الشرعى قضية التطبيع والتوطين يمثل حكم إعطاء حق الغير للغير، وأقول فى هذا السياق: إننا نعيش فى هذه الأيام فى بحر متلاطم من الفتن، كلها يترك الحليم حيرانا.

ومن أهم هذه الفتن أن يأتى شعب من الشعوب وقد توزعته أقطار وتقاسمته دول، و أخذت كل أمة منه بنصيبها عبر التاريخ إلى مكان من الأرض مزدحم

بالسكان، ثم يحاول طرد ساكنيها وإقصائهم عن أرضهم ليستعمرها هو، ويجلب إليها من أبناء جنسه ليحدث خللا فى النظام السكانى.

وهذا النوع من السلوك إن حدث والناس ينظرون كان سلوكاً مدهشا أشد الدهشة وأقواها.

وأكثر من هذا إثارة للدهشة أن أقرباء السكان الأصليين يقومون بإقناع ذويهم لمغادرة مساكنهم، وتمكين العدو من بيتهم وأراضيهم وممتلكاتهم.

الذى جرى فى فلسطين منذ سنة 1948 من القرن الماضى، هو تآمر العالم لتمكين اليهود من أرض فلسطين، فذبحوا بعض ساكنيها ووضعوهم فى حفر جماعية، وأجبروا البعض على الفرار، ففروا وسكنوا بعض البلاد العربية ضيوفا عليها. ومن يومئذ وهم يطالبون بحق العودة إلى بلادهم فى المحافل الدولية. وهو حق لهم ومن حقهم رفض التطبيع لأنه حرام شرعاً .

د. مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس لجنة التعريف بالإسلام (هذا الرأى قدمه لنا قبل وفاته بأيام) : فلسطين أرض إسلامية عربية وهى أرض مقدسة إسلامياً ومسيحياً وهى أولى القبلتين وثالث الحرمين وهى بالتعبير الحديث أم الأوطان وإسلامياً هي أرض إسلامية ؛ لأنها ثالث الحرمين وأهلها طردوا منها واستبيحوا في البلاد التي يقطنونها والعمل الآن يجب أن يكون ليس على توطينهم، بل على عودتهم إلى وطنهم فلسطين ولو أننا وطناهم لضاعت فلسطين إلى الأبد، إنما الآن يجب أن يكون لدينا حكام أقوياء غير عملاء ؛ لنستطيع أن ننهى مسألة عودتهم إلى فلسطين. وبالتالي لابد من معاملتهم معاملة كريمة حيث إنهم الآن مستضعفون في البلاد العربية ثم هم هاجروا إلى بعض البلدان الأوربية ثم أمريكا ونحن نعرف أسراً فلسطينية عندما كنا بأمريكا وكانوا على علاقة متينة بنا وهؤلاء أولادهم كبروا ومن الصعوبة عودتهم لكن الموجودين في أوروبا والبلاد العربية والإسلامية وهم الكثرة من اللاجئين ويرحب بهم كضيوف لكن لابد من عودتهم إلى وطنهم الأصلي

الوطن المقدس الذي هو فلسطين والذي فيه مسرى الرسول والذي فيه أولى الحرمين وثالث القبلتين وهذا ما يجب فعله والعمل على تنفيذه.. عودتهم وليس توطينهم!

د. عبد اللطيف عامر رئيس قسم الفقه بجامعة الزقازيق: حب الوطن كما يقول الناس من الإيمان ولقد نشأ المسلمون في ظل الإسلام يحبون أوطانهم حتى إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يهاجر من مكة إلى المدينة ينادى مكة بقوله: والله إنكِ لأحب بلاد الله إلى الله وإلىَّ ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت) ومعنى ذلك أن عوامل الإيمان وعوامل الوفاء مزروعة في قلب كل مسلم ونحن دائماً نتكلم عن مسقط الرأس والحنين إلى الوطن ويأتي الإسلام فيذكى ذلك ويؤيده ويجعل لكل إنسان حق فى أن يعيش في وطنه أو أن يعود إلى وطنه ومشكلة اللاجئين هي مشكلة هذا القرن، تتحدى الإنسانية وتتحدى عوامل الوفاء في الإنسان فهؤلاء الذين أخرجوا من أوطانهم من حقهم أن يعودوا إلى أوطانهم وإذا دعونا إلى أن يعيشوا في البلاد العربية وأن يستوطنوا فيها نكون حققنا مطالب إسرائيل التي أخرجت هؤلاء من ديارهم وشردتهم، فإذا سكنوا واستوطنوا في بلاد أخرى غير فلسطين حللنا لهم مشكلة فلسطين التي لا ترغب ولا تحب عودة هؤلاء إلى وطنهم لكننا في الواقع نحب، أن تكون هذه المشكلة مشكلة العرب والمسلمين جميعاً .. تؤرقنا وتدفعنا إلى العودة إلى الوضع الأصلي بعودة هؤلاء اللاجئين إلى أوطانهم صحيح أننا من منطلق واجب الضيافة والأخوة يجب أن نتعامل مع هؤلاء برفق وأن نرحب بهم وأن نتعايش معهم، لكننا يجب أن يؤرقنا مطلب العودة إلى فلسطين، فإذا كان الوضع الآن وضعاً مؤقتاً لا نستطيع أن نفعل فيه أكثر من هذا فلا يعد مبدأً ثابتاً نحل به مشكلة هؤلاء وننزوي، لكن لابد أن نعترف بأن هذا الوضع مؤقت وإن طال ويجب أن نعمل على عودتهم لكن إذا حللنا مشكلتهم بهذه الطريقة فهي بمثابة (تخدير) لمشاعر العرب والمسلمين.

ونتصور أن المشكلة قد حُلت بتوطينهم كلما عرفوا أنهم لاجئون سيظل هذا يؤرقهم فسيعملون على عودتهم إلى وطنهم ويجب على العرب والمسلمين جميعاً مساعدتهم فى العودة إلى ديارهم وليس توطينهم.

د. محمد محمود أبو ليلة أستاذ الدراسات الإسلامية ورئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الأزهر: إن قضية التطبيع والتوطين مصيبة المصائب وكارثة الكوارث وتسعى الصهيونية منذ زمن لهذا لتجريد ومحو فلسطين من على الخريطة وتثبيت إسرائيل. هذا أولاً ، وثانياً: قضية توطين الفلسطينيين فى البلاد العربية تؤدى إلى خلق مشكلات داخلية داخل المجتمعات الإسلامية وخلق نوع من التكدس السكاني والاقتصادي مما يضعف هذه الدول لحساب إسرائيل إن التطبيع والتوطين جريمة من أكبر الجرائم التي يرتكبها الحكام العرب.

د. أبو سريع عبد الهادي أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة: إن التطبيع حرام شرعاً والتوطين – المترتب عليه – للفلسطينيين خارج فلسطين محرم شرعاً؛ لأنه يمثل خطورة باعتباره يدفع هذا أصحاب البلد الأصليين بأن يتركوا بلادهم لكي يستولى عليها اليهود وهم لا يريدون أكثر من ذلك فلماذا نعطيهم هذه الفرصة والحق معنا وهو إلى يوم القيامة باقٍ وسينتصر الفلسطينيون في النهاية ويعودون إلى وطنهم فلسطين إن شاء الله.

د. محمد حماسة عبد اللطيف وكيل كلية دار العلوم والعالم الأزهري المعروف: أولاً: يجب أن يعمل العرب بشتى الطرق وكل الوسائل على عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ولا يجب بأي حال من الأحوال أن نطالب بتوطينهم وأنا لست مع الذين يطالبون بذلك لأن ذلك يخدم إسرائيل بالأساس ومن يروج أو يقول ذلك من العرب أو المسلمين يكون قد ارتكب إثماً وجرماً كبيراً فهذه أرضنا ويجب العودة إليها لأنه حق شرعي أقره الدين الإسلامي والمسيحي واليهودي وكل المِلل وستبقى فلسطين إسلامية عربية ووجود إسرائيل مسألة

وقت لأنها إلى زوال إن شاء الله، ولكن علينا بالعمل والكفاح والجهاد وليس بتوطين اللاجئين فلماذا لا نساعدهم على العودة ونحن نملك من أوراق الضغط الكثير والكثير، وبالتالي لا نوافق على هذا الأمر لأنه يعني تسليم فلسطين لليهود على طبق من ذهب وعندها سيلعننا التاريخ والناس وكيف نقابل رباً كريماً يوم القيامة عندما يسألنا عن ذلك ولماذا ضيعتم أولى القبلتين وثالث الحرمين؟! لماذا ضيعت مسرى نبيكم محمد (صلى الله عليه وسلم) وتركتوها لليهود ؟!

الشيخ علي نور الدين من علماء الأزهر الشريف: المطالبون بتوطين الفلسطينيين في الأرض التي يقيمون فيها في الدول العربية يعطون ما لا يملكون لمن لا يريدون، هذا من ناحية وإذا أعطوا ما يقترحوه فإنهم لا يملكون وإذا أعطت الدول العربية هذا المطلب المجاني لإسرائيل فإنهم يضيعون أرض فلسطين فهذا الكلام فيه إكرام وتحقيق وتأمين لإسرائيل وتطبيع للفلسطينيين وللعرب جميعاً وهذا القول غير مقبول شكلاً أو موضوعاً، ودعنا نقول إذا كان هناك حكام يرون أن بلادهم بحاجة إلى مواطنين فلينظروا ويفتحوا أبوابهم أمام شعوب أخرى ضاقت بهم أراضيهم أم الفلسطينيين فلابد من عودتهم إلى فلسطين فقط حتى لا تضيع الأرض ولا ينتهك العرض.

د. عبد الباسط هاشم أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر: إن التوطين والتطبيع خطأ ما بعده خطأ وخطيئة ما بعدها خطيئة ؛ لأن المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه والمؤمن عندما يكون مضطهداً يجب أن يقف المسلمون معه فإن صلح حاله رجع إلى وطنه أما ن افتح له بلدي وأقول له : اترك وطنك فهذه خطيئة كبرى وأمر لا يقره الإسلام، فتوطين هؤلاء يعني مساعدتنا لإسرائيل في اغتصاب ما تبقى من أرض فلسطين ثم إن الجهاد الآن عند الأمة العربية أصبح معدوماً وما دام الجهاد معدوماً فأنهم للأسف يفعلون ما يشاءون ونحن اليوم نرى نساء ترمل في فلسطين وبنات تهتك أعراضهن ونحن نقف متفرجين

عليهم فهل هذا يرضى الله ثم نأتي بعد ذلك ونبحث عن السلام، أي سلام أن هذا استسلام لإسرائيل وأمريكا وللأسف بأيدي عربية وإذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها هواناً بها كنت على الناس أهون.. أنت هانت عليك نفسك فكيف تطلب من الآخرين احترامك واحترام حقوقك.

وحق العودة للاجئين مشروع دينياً وقانونياً وأقرته كل الأعراف والمواثيق الدولية سواء الأمم المتحدة أو القانون الدولي فلماذا (نضيع) هذا الحق بأيدينا نحن العرب ؟! ولصالح من يكون ذلك ؟! وما هو العائد علينا من هذا ؟! يجب – يجب أن يكون لدينا روح الجهاد – روح المقاومة والإيمان بالله بأن فلسطين ستعود لنا إن شاء الله.

د. محمد عبد المنعم البرى رئيس جبهة علماء الأزهر الأسبق: إن مجرد الحديث فقط في موضوع التطبيع والتوطين يعد خطأ شنيعاً وخيانة الأمانة وهذا الحديث لا نسمعه إلا في أذل العصور التي عاشتها أمتنا الإسلامية.. ولابد من تبرئة الأمة الإسلامية من هذا العمل الشنيع – خاصة وأن الأقصى ما زال أسيراً – بالجهاد الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة، فلا يصح أن يستبدل الجهاد بالتخاذل والرضى بالأمر الواقع.

عودة الإنسان إلى وطنه – بغض النظر عن جنسيته أو دينه – حق ثابت لا يصح أن يخرج من داره ليوطن في مكان آخر، وهذا أمر لا يقر به عاقل.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" فإذا كان هذا على المسلم حرام فما بالك بالخصوم.

والعجيب إن يتم تجويع الفلسطينيين الآن من قِبل اليهود دون أن يحاول العرب فك الحصار بل هم يسايرون المعتدين في هذا الحصار.

نسأل الله أن يبرئ ذمتنا من هلاك الأطفال والعجزة الفلسطينيين في صورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم.

إن الاستسلام للمخططات الصهيو أمريكية يمثل الخطر الأكبر على قضية اللاجئين لأن حق العودة هو الشيء الوحيد الذي لا تملك أي جهة التنازل عنه لأنه حق مؤبد وليس مجرد رخصة تفقد مفعولها بمرور الزمن.

كما أن ما يشاع حول إمكانية توطين بعض اللاجئين في الدول العربية يؤكد حجم المؤامرات الدولية الرامية لتجاهل حق العودة والتحايل عليه.. هذا الحق المقدس والمشروع والذي كفلته الشرعية الدولية، لذا يجب أن يكون حق العودة غير قابل للتفاوض والحل الوحيد هو عودتهم إلى ديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها عام 1948م.

د. أحمد الشاعر عميد كلية أصول الدين بالأزهر الشريف الأسبق: إنه لا يجوز إطلاقاً أن يُكره المسلم على ترك وطنه فهذا حق كفله القانون المدني والشرعي الوطني العالمي، وأعطاه الحق في أن يعيش بحرية في أرضه ولا يجوز أن يتركه لكن إذا أُجبر قصراً على ترك وطنه، فله أن يعيش في وطن آخر خوفاً من الهلاك لفترة محدودة حتى يعود لأرضه، وقبل أن يهاجر رسولنا الكريم إلى يثرب وقف أمام مكة وقال " والله إنكِ لأحب بلاد الله إلى الله وإليّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت".

فقد عاش الرسول في المدينة ثماني سنوات، أسس خلالها الدولة الإسلامية، ثم قرر العودة إلى مكة وعاد إليها... ولنا في رسولنا القدوة الحسنة.

إن واجب تحرير فلسطين لا يقع في عنق أهل فلسطين وحدهم بل هو في عنق المسلمين كافة... وإلى أن يتحقق ذلك، فإن على الدول العربية التي يتواجد فيها لاجئين فلسطينيون أن ييسروا عليهم في معيشتهم.

والضغوط الدينية التي تمارس من قِبل اللوبي الصهيوني بجناحيه اليهودي والإنجيلي على السياسة الأمريكية حيث تنظم مؤسسة "التحالف المسيحي" في واشنطن مؤتمراً سنوياً عنوانه "إسرائيل والعرب"، يشارك فيه شخصيات إسرائيلية وأمريكية رسمية... ويتزعم هذا التحالف القس بات روبرتسون ممثل اليمين

الديني الأصولي الأكثر تطرفاً في الولايات المتحدة الأمريكية... وقد ناقشت المؤسسة منذ عدة سنوات عملية الترانسفير – أي : توطين الفلسطينيين خارج إسرائيل واتخذت له شعاراً ورد في الجزء 33 من التوراة حيث ينسب الله قوله لموسى أنه "أعطى بنى إسرائيل حق وراثة أرض كنعان".

وهذه المؤسسة تطالب بتحقيق الإرادة الإلهية بإقامة إسرائيل من النهر إلى البحر على أن تكون دولة يهودية صافية.

د. حسن شقير عميد الدعوة الإسلامية بالأزهر: الإسلام لا يجيز أن يفرط المسلم في أرضه ووطنه مهما كانت الإغراءات التي تقدم له، فرسولنا الكريم النموذج لكل مسلم ومسلمة هاجر من مكة لفترة معينة ثم أقام خلالها في المدينة ثم عاد فاتحاً لوطنه.

وحق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين هاجروا من أرضهم قسراً على يد الاحتلال الإسرائيلي قبل أكثر من ستين عاماً هو حق مقدس لا يجوز التنازل عنه مقابل حفنة من الدولارات.

لذا أطالب إخواننا في فلسطين حكاماً ومحكومين أن يرفضوا التوطين والتعويض بديلاً عن حق العودة إلى أرض فلسطين المقدسة، التي لها خصوصية عند الشعوب العربية والإسلامية.

والعجيب بل والغريب أن الدولة العنصرية (إسرائيل) قامت على أنقاض دولة موجودة (فلسطين) وسلبت ممتلكاتها واحتلت أراضيها وطردت شعبها، هذه الدولة المعتدية تريد وبمساعدة من بعض الدول العربية – للأسف – تصفية القضية نهائياً عبر الضغوط الدولية لتغيير مفهوم حق العودة للاجئين الفلسطينيين بموجب القرار رقم 194 على نحو يحرف القرار ليستجيب للأطماع الإسرائيلية.

وليس بوسعنا سوى أن نطالب إخواننا اللاجئين ألا يرضخوا لمثل هذه المؤامرات والتنازلات ؛ لأنها مخالفة لروح الشريعة الإسلامية وأن يظلوا متشبثين بالمواثيق والقرارات الدولية وهذا أضعف الإيمان.

الشيخ جواد رياض من علماء الأزهر الشريف: التطبيع مع إسرائيل فى كافة الجوانب والنواحي أمر رفضه عوام الناس قبل علمائهم.

فالسجية والطبيعة تقتضى ذلك، فليس منطقيا أن تتودد علاقاتنا مع قوم قتلوا أطفالنا وشردوا أهلنا وخربوا بيوتنا وهدموا مساجدنا.

وقد رفض ديننا الحنيف ذلك، بل جعل الدين من أعظم الأمور المنكرة أن يتخذ المسلم أولياء من أعدائه وأعداء دينه، أن يتخذ أولياء من المعتدين على إخوانه بالقتل والتشريد، فإن ذلك يعد مساعدة لهم على الاستمرار في عدوانهم.

يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق.....) الآية.

ويقول تعالى أيضا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر...) الآية.

ويقول الله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...) الآية.

وفى هذه الآية نلاحظ ان القرآن ينفى الإيمان عمن والى المعتدين من غير المؤمنين.

وقال الله تعالى أيضا: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء.....) الآية.

وإذا نظرت إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت أنه قاطع نفرا من الصحابة بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، وكذلك قاطعهم المؤمنون ونبذوهم ولم يخالطوهم فى شأن من شئونهم، بل تجنبوا مجالسهم وتجنبوا مؤاكلتهم،

والاختلاط بهم. مع أن هؤلاء لم يعينوا العدو على المسلمين، ولم يبيعوا العدو ما يتقوى به علينا، ولم يعينوا الأعداء بأي عمل. ومع ذلك قاطعهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مقاطعة ظلت خمسين يوما تقريبا حتى ضاقت عليهم الأرض، ثم تاب الله عليهم بعد أن ندموا وتابوا.

فمن عاون الأعداء بمعاملة تساعدهم وتقوى من أزرهم، فهذا جرم عظيم وإثم كبير، وليس هذا من الإسلام.

الشرائع السماوية كلها تحرم الغصب وتوجب رد المغصوب إلى أهله.

وقد طالبنا الله عز وجل في قرآنه أن ندافع عن أراضينا ومقدساتنا، ولا يوجد في الناس من يرضى بأن تغتصب داره وأرضه. وكان تشريع الجهاد لهذا الغرض والسبب، فقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه الناس من مكة أرضه ووطنه، ثم أذن الله له في الجهاد دفاعا عن الأراضي والأوطان والديار، فقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.....) الآية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد " ولذلك كان الدفاع عن الأرض والمقدسات هو من الفروض التي فرضها الله على المسلمين، حتى إن العلماء قرروا فى كتبهم أن العدو إذا دخل ارض المسلمين مغتصبا لها وجب على المسلمين أن يجاهدوا ويقاتلوا دفاعا عن أرضهم ووطنهم بكل ما أوتوا من قوة، وهذا الوجوب على كل مسلم صغير أو كبير رجل أو امرأة عبد أو حر، كل بحسب ما يستطيع حتى يخرج العدو من الأرض، بل قالوا: يجب على المسلمين المحيطين بهذه البلدة المغتصبة أن يعاونوا إخوانهم في هذه الحرب لدفع العدوان، فإن لم يستطيعوا وجب ذلك الجهاد على المسلمين في الدول الأبعد وهكذا حتى يجب الجهاد على المسلمين في الأرض كلها شرقها وغربها.

وقد قال الله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم......) الآية .

وقال تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم....)

وقال تعالى في شأن المقدسات: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين. لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) الآية.

فالدفاع عن الأراضي والمقدسات هو الفرض والواجب الشرعي، وقد اتفقت كلمة العلماء على ذلك قديما وحديثا، فكل حل لا يعيد إلى المسلمين أرضهم وديارهم فهو حل مرفوض مرفوض مرفوض.

الشيخ منصور مندور من علماء الأزهر الشريف: إن موقف الإسلام من التطبيع مع العدو الصهيوني يبدأ من تعريفنا لمعنى كلمة التطبيع،المقصود بالتطبيع هو إقامة علاقات طبيعية في الجوانب الحياتية المختلفة مع طرف آخر؛ فهناك تطبيع سياسيّ، وتطبيع اقتصادي، وتطبيع دبلوماسي، وتطبيع زراعي وغير ذلك...والشريعة الإسلامية لا تمنع من إقامة أي علاقات ودية كريمة مع أي طرف آخر؛ قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }. على أن تكون هذه العلاقة قائمة على الحق والعدل لا على الجور والظلم.

وهذه مسألة واضحة جلية، فالتطبيع مع الظالم ظُلْمٌ، لأنه إقرار له على ظلمه، وهذا منصوص عليه في مواضعَ كثيرةٍ من الكتاب والسُّنة؛ من ذلك ما نصت عليه سورة الممتحنة وما بينته من حِكَمٍ وأحكام تمنع المسلم من موالاة الظالم المعتدي أو التعامل معه.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء/ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ/ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي /تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ/ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ } .

وقال أيضاً على لسان موسى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ {17}

وقال صلى الله عليه وسلم: (من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه، وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام) وقال صلى الله عليه وسلم: (من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع) وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالم أن تقول له أنت ظالم، فقد تُوُدِّع منهم) .

وهكذا فإن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية متوافرة متضافرة، تدل بمجموعها على عدم جواز إقرار الظالم على ظلمه، وهذا في الحقيقة موقف العقل والنقل، يعرفه التشريع الدولي ويقره، وهذا ما نصت عليه شريعة الإسلام.

ومن خلال هذه المعايير الإسلامية فإنه لا يشك عاقل في أن التطبيع مع إسرائيل، يكون حراما طالما بقيت تُصِرُّ على الظلم، وتصرُّ على تشريد الشعب الفلسطيني، واغتصاب الأرض العربية، والاعتداء على المقدسات الدينية بصورة مفرطة؛ ممتهنين في ذلك كل القواعد والشرائع السماوية .

وهكذا فإنه استناداً إلى النصوص الشرعية السالفة الذكر، وإلى الواقع المرير الذي يتحرك فيه العدو الإسرائيلي؛ فإن التطبيع مع إسرائيل يكون حراما طالما بقيت على سياستها الحالية من الظلم والبغي والعدوان واحتلال الأرض وتشريد الفلسطينيين.

وعلى المسلمين جمعا أن يعوا هذه القضية وأن يستوعبوا هذه الأحداث لأن تطبيقهم لهذه الفتوى نصرة لإخوانهم في فلسطين وغيرها؛ قال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ

عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {المائدة/2} .

* **الداعية الإسلامي المعروف الشيخ محمد حسان** أجاب عندما سُأل عن موقف الإسلام من توطين الفلسطينيين بأموال عربية خارج فلسطين ، وقيام بعض الأنظمة العربية بأوامر أمريكية لإسقاط حق العودة إلي بلادهم ، وكذلك رأي الإسلام في التطبيع الجماعي مع العدد الصهيوني بدون عودة الحقوق العربية والإسلامية والقدس فأجاب قائلاً : يحرم على كل فرد مسلم أو مسلمة أو حاكم مسلم أو دولة تدين بدين الإسلام أن يساعد وينصر أعداء الله بلسانه أو بعمله على إيذاء مسلم على وجه الأرض سواء كان قتله أو إخراجه من أرضه ووطنه وداره بالقوة وطرده منها إلي أرض غير أرضه ووطن غير وطنه ودار غير داره ، فإن النفس المؤمنة عند الله عز وجل غالية " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، غضب الله عليه وأعد له جهنم وأعد له عذاباً أليماً " وأحب أن أوكد هنا أن تهجير المسلمين في فلسطين أو في العراق أو في أفغانستان أو في أي مكان على وجه الأرض هو بمثابة قتل وقتال ضد المسلمين ، فلا يجب أبداً أو يصح للدول أو الحكام أن يقفوا بجوار العدو الصهيوني وهو العدو الأوحد للأمة ضد حقوق الشعب الفلسطيني فلا بديل أبداً عن حق العودة للمشرين من أبناء الشعب الفلسطيني الي أوطانهم وإلي ديارهم ، وهذا يخالف قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى " وقال: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " فيحرم على أي مسلم أن ينصر أعداء الله وأن يعينهم على قتل المسلمين في أي بلد سواء كان هذا العون بلسانه أو بقلمه أو بقلبه أو بيده أو بماله أو بأي لون من ألوان المساعدة إذا كيف نمد يد العون لهذا العدو لتنفيذ مخلطاته ضد الأمة في احتلالها وتشريد وتهجير أبنائها وأن نوافقه في فرص قراراته بعدم عودتهم إلي

ديـارهم ، ولـيعلم هـؤلاء الحكـام أن أخواننـا فـي فلسـطين يمشـون علـى الشـوك ويمشون على النار ، فالأصل إذا استطاع أحدهم ان يرد هذا العدو الذي احتل الأرض ودنس العرض وشرد الملايين من أبنائها وأن يجاهده بأي شكل لا أن يمد لـه يد العون والمساعدة ، والجهاد نوعان جهاد دفع وجهاد طلب ، فأما جهاد الدفع معناه – وهذا سترى عليه إجماعاً من أهل العلم – إذا داهم العدو أرضاً من أرض المسلمين وجب على كل رجل وامرأة في هذه الأرض أن يدفع هذا العدو أما جهاد الطلب فهذا موضوع آخر في وقت عزة الأمة وفي وقت قوتهـا وهـو رد العـدو دون أن يعـرض نفسـه للقتـل ، وأنـا أقـول لإخواننـا فـي فلسطين سواء الذين هم في الداخل أو الذين هم في الشتات ، الذين يعيشون غرباء على ارض الدول العربية وغير العربية أقول: اصبروا أيها الأبطال .

الدكتور عبد الرحمن البر أستاذ الحديث كليـة أصول الدين جامعة الأزهر الشريف قائلاً : للأسف أنه ما زال هناك طابور خامس من بني جلدتنا يدعو ليل نهار وبحماس منقطع النظير إلي ضرورة التطبيع الكامل والشامل لكل الدول العربية مع الكيان الصهيوني رغم عدائه الصارخ للأمة وإعلانه الحرب عليها دولة تلو الأخرى ، فهو يعيث فساداً في فلسطين ، يدمر ويقتل ويذبح ويعتقل ويـزج بالشـباب والأطفـال والنسـاء داخـل السـجون الإسـرائيلية ، ويهـدم المنازل على أصحابها ويقتلع الأشجار ويحرق الزروع ويهجر الناس من قراهم ومدنهم ، ولا يكف هذا الطابور عن الدعوة إلي تفهم محاسن النوايا الصـهيونية التـي تتسـلح بالقنابـل العنقوديـة واليورانيـوم المنضـب ورؤوس الصـواريخ النوويـة والـدبابات التـي تـذيب الحديـد ، ومنـذ فتـرة قليلـة راح يـدمر لبنـان بطائراتـه وصواريخه وقنابله الذكية والعنقودية ، وكان الدم العربي المسلم يجري في أنهار الجنـوب دون أن يجـرؤ حـاكم عربـي أن يقـول لهـذا الكيـان : لا ، والكـل آثـر الصمت والاختباء ، وقد نسي هذا الطابور الخامس أو تناسي عصر الحروب الصليبية الأولي التي انهزم فيها المسلمون وسقطت معظم بلاد الشام والقدس

في أيدي الصليبين الهمج الغزاة الذين اشتدت شوكتهم وازدهر طغيانهم وازداد عسفهم ونهبهم وجبروتهم ، ومما دفع بعض حكام الممالك المجاورة للشام وبعض الطوائف الأخري الي الاستسلام للغزاة الهمج ، بل والاستعانة بهم ضد أشقائهم حكام الممالك المنافسة والطوائف الأخرى وكانت النتيجة دماراً ووبالاً على جميع المسلمين الذين ظلوا رهينة الاحتلال والاستعباد لعشرات السنين حتى أعد الله للأمة قائداً من أبنائها وهو الناصر صلاح الدين الذي جمعها على الإيمان ووحدها وقادها الي النصر العظيم وطرد الغزاة المجرمين من بلاد الإسلام وفتح القدس وأعاد المسجد الاقصى في يد المسلمين ، فمن إذا يعيد إلينا المسجد الاقصي ويعيد القدس إلى الأمة ويوحد صفوفها ضد هذا الكيان الغاصب المحتل ، فلا تطبيع إذا دون استرداد مقدسات الإسلامية ودون تحرير القدس السليبة ، ولا تطبيع ، فلأصل تحرير ، تحرير الأمة من الاحتلال واسترداد الأرض العربية كلها وعودة أبنائها المشردين في الشتات والمهجرين منذ دخول هذا الكيان في هذه البقعة المباركة ، والدين يحرم علينا أن نتخذ هؤلاء اليهود أصدقاء لنا أو نضع أيدينا في أيديهم ، فهم لا عهد لهم ولا ميثاق لقول الله تعالي : " يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذي اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين " .

الشيخ عبد المجيد صبح من كبار علماء الأزهر الشريف : إن في سيرة السلف الصالح من مدرسة النبوة ما يعطي النموذج والقدوة والأمثولة التي يمكن على هديها تجاوز العقبات السلبيات والهزائم وتحويلها الي انتصارات وايجابيات ومنطلقات وهذا واجب علماء الدين الإسلام الذين يقدمون الدين الإسلامي للأمة ، وينبغي عليهم أن يركنوا الي ركن الإسلام القويم ، الذي يضئ لهم الطريق وسط الظلمات الراهنة ويبث العزيمة في النفوس ويشجع الإدارة في القلوب ، فلا يستسلم المسلمون للضعف أو التخاذل أو الهوان ، بل يستعلون على الواقع المرير لردع الطامعين والمعتدين على الأرض العربية في فلسطين

واغتصاب مقدساتنا هناك ووضع المسجد الأقصى تحت أيديهم يتصرفون فيه كيفما يشاءون من حفر أنفاق وتدمير له بهدف طمس معالمه الإسلامية وإخفاء المعالم اليهودية عليه .

إن ما يقوم به حكام العرب من تثبيط للهمم وخذلان للعزائم وترويح للاستسلام والسلبية وهرولة للتطبيع مع الكيان الصهيوني المحتل للأرض هو مساعدة مباشرة لأعداء الأمة وخصومها ومساندة لهم لمزيد من الاحتلال والقتل والتدمير والتهجير للشعب الفلسطيني وهذا ما يحرمه الله ورسوله ويرفضه الدين الإسلامي رفضاً تاماً ، ويقول الله تعالي " إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون " ومن هنا فالإسلام ولا تطبيع مع الذين أخرجونا من ديارنا ، فهذا الكيان اغتصب الأرض العربية في فلسطين وأخرج أهلها من ديارهم وهجرهم إلي دول أخرى ، والقرآن صريح وواضح وهو ان لا نجعلهم أولياء لنا أو أصدقاء وإذا خالفنا القرآن فيكون العقاب شديداً من الذل والهوان والانكسار والمزيد من احتلال الأرض وإبادة المسلمين وهم فوق ذلك كله من تطبيع واستسلام وتخاذل وبيع بعضنا بعضاً بأبخس الإثمان "لا يرقبون في مؤمن الا ذمة وأولئك هم المعتدون" ومعني ذلك أنهم يصرون على العدوان والأذى ولا يحترمون عهداً ولا ميثاقاً،وإنهم يحترمون شيئاً واحداً فحسب هو القوة التي تعيدهم إلي دائرة الصواب والالتزام .

<u>الدكتور يسري محمد هاني أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر</u> : إن فلسطين وقف إسلامي فتحه المسلمون وليس من حق أحد مهما كان شأنه أن يتنازل عنها لأحد مهما كان شأنه هو الآخر ، وعليه الاتفاق حول إسلامية فلسطين وعدم شرعية الاحتلال الصهيوني بمشاريع سياسية تحقق في النهاية أمل الصهاينة المحتلين في تفريغ فلسطين من أهلها وإسقاط حقهم في العودة إليها بعد أن أكرهوا على الخروج منها بعمليات العنف والقتل والإرهاب الذي سجله تاريخ الصهاينة في فلسطين ، ولذلك ينبغي على كل مسلم غيور أن يرفض هذه

المشاريع التي يفرح بها الصهاينة المحتلون حيث تحقق لهم ما يريدون من وطن خال من الفلسطينيين تماماً دون أن يتكلفوا دولاراً واحداً فيما يسمي بالتعويض ، والعجيب من أمر هؤلاء الذين يعرضون في سخاء دفع المال العربي لتفريغ فلسطين من أهلها ومصادرة حق عودتهم العجيب من أمرهم أن أيديهم مغلولة عن مساعدة الفلسطينيين في الضفة وغزة بجزء من هذه الأموال وكسر الحصار المفروض عليهم . والعجيب أيضاً أن هؤلاء الحكام الذين يرضخون للأوامر الأمريكية والصهيونية وينفذونها على أكمل وجه يعرفون جيداً أن هؤلاء اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق ولا يوفون بوعد يقطعونه على أنفسهم ، وهم أصحاب مكر وخداع وكذب ولن يمكنوا العرب من تحقيق آمالهم الضئيلة كمثل العودة الي حدود ما قبل 67 أو الإفراج عن الأسرى في سجونهم . إن على حكام الأمة أن يفيقوا ولو لبضع ساعات فقط حتي يفهموا الأشياء على حقيقتها ويعلموا علم اليقين أنهم على خطأ فادح حينما هرولوا الي التطبيع والاستسلام والتنازلات إثر التنازلات ، وآخرها إسقاط حق العودة وتوطين الفلسطينيين خارج بلادهم وبأموال النفط العربي والتنازل عن القدس والمسجد الاقصي .

فصل ختامي

التطبيع بعد الثورة

* تمهيد ..

* كانت ثورة 25 يناير 2011 ، رغم كل ما يقال وما يكتب عنها ، ثورة شعب ضد نظام حكم فاسد ، وتابع ، وفاقد للاستقلال الوطنى ، نظام حكم رهن بلاده لعلاقات تبعية مع واشنطن، وتل أبيب ، عبر اتفاقات ، وديون وسياسات أفقدته الاستقلال ، والإرادة الحرة . لقد كانت ثورة يناير رغم قفز بعض (الحركات الإسلامية) والانتهازيين من بقايا النظام السابق ، عليها ، ومحاولة سرقتها، أو أمركتها ، نقطة تحول استراتيجية فى مسار العلاقات المصرية – الإسرائيلية ، فالكنز الاستراتيجى للدولة العبرية (حسنى مبارك)، كما أسمته إسرائيل ، سقط ، لقد كان هو بذاته ، ثم بنظامه ، ضمانة مهمة لاستمرارية التطبيع فى كافة مجالاته ، لذلك شعرت إسرائيل وخاصة القيادات المتنفذة فيها ، بالألم وبخيبة أمل شديدة، نتيجة سقوطه بعد ثورة شعبية واسعة ، إلا أن الحقائق التالية لسقوط مبارك بعد 2011/2/11 ، تؤكد أن التخلص النهائى من العلاقات المكبلة التى خلفتها كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام (1979) ، لم يكن سهلاً ، فالقوى المستفيدة من التطبيع داخلياً وخارجياً ، حالت دون ذلك ، إلا أن الواقع أيضاً أثبت تعرض العلاقات بين القاهرة وتل أبيب إلى هزة عميقة ، ولم يغن معها محاولات التهدئة أو التقرب التى مارسها المجلس العسكرى بقيادة المشير حسين طنطاوى أو اثناء فترة الحكم الإخوانى فى عهد (محمد مرسى) منهم ، ولم تغن رسالته الشهيرة إلى (شيمون بيريز) ونعته بـ(الصديق)–**انظر : صورة أصلية من رسالة محمد مرسى إلى بيريز فى قسم الوثائق المصورة فى نهاية الموسوعة**– فلقد تغيرت مصر ، واقتحم شبابها سفارة إسرائيل مرتين فى أقل من عام واحد (2011) ثم أحرقوها بعد ذلك .

إن التطبيع تأثر بلا شك ، لكنه لم ينته ، وكامب ديفيد وقيودها لاتزال حاضرة خاصة فى (سيناء) التى تحاول احتلالها الان تنظيمات القاعدة والقوى المتشددة والمخترقة إسرائيلياً ، لكن المستقبل بتطوراته المتلاحقة فى مصر يحمل بلاشك

احتمالات تغيير – إن لم يكن إلغاء – هذه الاتفاقية ومعها معاهدة السلام . هكذا نتوقع ونتمنى ! .

***

إن من الأمور اليقينية لدينا أن ما جرى فى المنطقة من ثورات ليس به ثورة حقيقية سوى ثورتى تونس ومصر والباقى مجرد ثورات لحلف الناتو ، لتحقيق هدفين رئيسين لا ثالث لهما : النفط ، وحماية إسرائيل ، ولنطبق هذه الحقيقة على ما جرى ، سنجد أنها صحيحة ، ولأن ثورة مصر هى الثورة الأم والأهم ، فهى لذلك مثلت خطراً على العدو الإسرائيلى وعلى علاقات التطبيع معه.

* تحدثنا وثائق ، ما بعد الثورة أن محاولات الاختراق تجلت في أكثر من موقف ومشهد، فقد نشرت يديعوت أحرونوت يوم 13 فبراير 2011م عن اتصال إيهود باراك، مع رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية، محمد حسين طنطاوي، هاتفياً، وغرض هذه المحادثة كان هو الاطمئنان على موقف القيادة الجديدة من المعاهدة، ومن الكيان الصهيوني ككل، ومحاولة استشفاف ما يمكن من سياسات المجلس العسكري خارجياً وداخلياً ، وتم طمأنته وإصدار بيان عسكرى فى هذا الصدد عشية انتصار الثورة .

كذلك حرص الإسرائيليون على إعادة فتح سفارتهم في القاهرة عقب خلع حسني مبارك، بعد أن ظلت مغلقة طوال أيام الاعتصام في ميدان التحرير، لتكون منطلقاً للتحركات الدبلوماسية الإسرائيلية في القاهرة.

وفي اليوم الذي أعلنت فيه صحيفة (يديعوت أحرونوت) عن إعادة فتح مكتب السفارة بالقاهرة من جديد وإعادة جميع الدبلوماسيين إلى العمل بشكل اعتيادي (عدد 24 فبراير 2011م)، كشفت الصحيفة عن مفاجأة وهي أن أفرايم هليفى، رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتانياهو، لفتح حوار مطول مع الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين!! وهو الأمر الذى لم يتم مباشرة وإن تم بوسائل أخرى

ليس هنا مجال ذكرها ، ولقد نجحت أيضاً محاولة الحوار مع الناشط المصري وائل غنيم، المعدود ضمن المشاركين في صنع أحداث الثورة المصرية، فقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت (بتاريخ 18 فبراير 2011م) حواراً صحفياً قامت به محررتها سيمدار بيري مع وائل غنيم عبر الهاتف، ورغم أن الصحفية لم توضح ما إن كانت قد عرفته بشخصيتها أم لا، ورغم أن وائل لم يصدر منه أي تعليق على هذا الحوار، رغم الضجة التي أثارها حين نشرته مترجماً مجلة "مختارات إسرائيلية" في عدد إبريل 2011م ، فقد نجح الحوار، حين انتشر خبره في الصحف المصرية ومواقع الانترنت، أن يُسقط بعض شباب الثورة في الفخ، حين دافعوا عن قبول بطلهم أن يدلي بحوار لصحيفة إسرائيلية، بأنه تصرف لا يقع في نطاق التطبيع والاعتراف بالعدو الصهيوني!!

ويوم الأربعاء 9 مارس 2011م نشرت صحيفة معاريف، الإسرائيلية، على موقعها الإلكتروني أن رئيس الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع الإسرائيلية الجنرال "عاموس جلعاد" سيزور القاهرة ذلك اليوم، وأنه من المتوقع أن يلتقي برئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة المشير محمد حسين طنطاوي، لافتة إلى أنها ستكون المرة الأولى التي يزور فيها مسئول إسرائيلي كبير، القاهرة منذ رحيل الرئيس المصري السابق حسنى مبارك.

وأوضحت معاريف، أنه من المتوقع أن يناقش جلعاد مع جهات مصرية أخرى مواضيع مختلفة مرتبطة بالحفاظ على الاتفاقيات الموقعة بين الكيان الصهيوني ومصر، وكذلك الطلب من الجهات المصرية السماح لوزير الدفاع إيهود باراك بزيارة رسمية لمصر. (وهو ما جرى بالفعل فى مصر !!) .

وأشارت معاريف إلى أن إيهود باراك، وزير الدفاع الإسرائيلي كان قد أعرب في اليوم السابق خلال لقائه مع إحدى الصحف الأمريكية، عن مخاوف تل أبيب من أن يؤدى الضغط الجماهيري إلى تعكير اتفاق السلام بين إسرائيل ومصر، وأن ينعكس ذلك على التعاون الأمني بين البلدين.

وفي عدد السبت 26 مارس 2011م ذكرت صحيفة معاريف، الإسرائيلية، أن وفداً إسرائيلياً زار ميدان التحرير مؤخراً خلال تواجده في القاهرة، لإجراء مفاوضات بشأن تعديل بنود صفقة الغاز الطبيعي، المصدر من مصر للكيان الصهيوني!!

وفي محاولة للتقرب من ثوار مصر نشرت صحيفة معاريف في عدد الجمعة، 27 مايو 2011م، أن الجنرال الإسرائيلي "جابى إشكنازى" رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلي السابق طالب الحكومة الإسرائيلية بالقيام ببرنامج مساعدات اقتصادية دولي لدعم الثورة المصري، فيما يشبه مشروع مارشال الذي تبنته الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية، لإعادة إعمار أوربا.

ونقلت الصحيفة عن إشكنازى قوله: "لا يمكن لأحد أن يعرف كيف ستنتهي الثورة المصرية، فهذه الثورة يمكن أن تختطف من قبل عناصر ليس لها علاقة بها، والسلام مع مصر لا يزال باردا، لكن هذا هو الخيار الأقل سوءا ونحن مضطرون إلى الحفاظ على هذا السلام".

كذلك جاء القبض على الجاسوس الإسرائيلي إيلان جرابيل في يونيو 2011م، واتهامه بالتجسس لحساب الاستخبارات الإسرائيلية، كنموذج خطير وحقير للمحاولات الإسرائيلية لاختراق الثورة المصرية، ثم توالت الاختراقات والإهانات الإسرائيلية من قتل للجنود والضباط الستة إلى رفع العلم واقتحام السفارة فى 2011/9/9 وصولاً إلى إعادة فتح السفارة بعد نقلها من مقرها الحالى ، وتعيين (يعقوب أميتاى) سفيراً جديداً لإسرائيل فى مصر خلفاً لـ(اسحق ليفانون) ، وكليهما عملا فى الاستخبارات الإسرائيلية ردحاً من الزمن .

***

* ومن الوثائق المهمة الحديثة جداً عن علالة الموساد الإسرائيلى بالفتن والصراعات الموجودة اليوم فى المنطقة والتى يسرق بعضها اسم (الثورة) ليصف نفسه بها زوراً وبهتاناً ، وثيقة (عاموس يادلين) رئيس الاستخبارات

العسكرية الصهيونية السابق الصادرة أوائل عام (2011) والتى أعلن فيها وهو يسلم قيادة المخابرات العسكرية لخلفه ، أن المخابرات الإسرائيلية زرعت عشرات الألغام السياسية والطائفية فى مصر وسوريا وليبيا وإيران ولبنان، لكى تنفجر هذا العام والأعوام التالية ، حتى تسهل السيطرة على – إن لم يكن احتلال – هذه البلاد .

*هذا وتؤكد الحقائق المنشورة عن التطبيع الأمنى بعد الثورة نجد أنه للأسف زاد بعد الثورة ، فلقد زادت العلاقات مع الكيان الصهيوني في المجال الأمني، وتركز التعاون على جهود حماية السفارة الإسرائيلية بالقاهرة بعد اقتحامها شعبياً يوم 2011/9/9 ، وعلى نشاطات غامضة أجراها الجيشان المصري والصهيوني في منطقة الحدود بين مصر وفلسطين.

فمن أجل تأمين السفارة من المظاهرات الغاضبة المتكررة لشباب الثورة، نسقت جهات الأمن المصري مع الجهات الأمنية الصهيونية لمنع اقتحام السفارة، وفي الليلة التي نجح فيها الثوار في اقتحام العقار الذي تقع به السفارة (2011/9/9) ، نجح رجال الأمن الصهاينة في إنقاذ طاقم العاملين بالسفارة ونقلهم خارجها بالتنسيق مع رجال الأمن المصري!!

وفي 18 سبتمبر 2011م كشفت صحيفة "معاريف" عن وصول وفد أمنى إسرائيلي سرا إلى القاهرة في الأسبوع السابق، من أجل البحث عن موقع جديد لمقر السفارة الإسرائيلية، وقالت الصحيفة العبرية : إن الوفد تركز بحثه في ضواحي القاهرة.

وفي منتصف أغسطس 2011م وفي المنطقة الحدودية بسيناء، جرت عمليات أمنية مشتركة مع العدو من أجل ما قيل إنه تعقب لعناصر إرهابية تابعة لتنظيم القاعدة، وقد أدت إحدى تلك العمليات لمقتل وإصابة عدد من أفراد الأمن المصريين في الثامن عشر من الشهر نفسه، وهو ما كان السبب في محاصرة الشباب المصري للسفارة الإسرائيلية بالقاهرة وإنزالهم العلم الصهيوني من فوقها.

وفي سياق التعاون الأمني المشار إليه ذكرت الإذاعة العامة الإسرائيلية أن وفداً عسكرياً إسرائيلياً كبيراً وصل إلى القاهرة يوم 12 سبتمبر 2011م، على متن طائرة خاصة في زيارة قصيرة لمصر التقي خلالها عددا من المسئولين المصريين لإطلاع الجانب المصري على تطورات التحقيق الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية في ملابسات مقتل الجنود المصريين على الحدود بين البلدين.

وأوضحت الإذاعة أن لقاء الوفد العسكري الإسرائيلي شمل أيضا مناقشة الخطوات التي يمكن اتخاذها لتحقيق الأمن في مناطق سيناء المتاخمة للحدود المصرية الفلسطينية.

كذلك أذاعت القناة السابعة الإسرائيلية يوم الأحد 9 أكتوبر 2011م أن محافظ البحيرة أصدر قراراً بإلغاء الاحتفال اليهودي السنوي بضريح أبي حصيرة الواقع في إحدى قرى المحافظة المصرية (قرية دميتوه) ، وهو الاحتفال الذي كان يحضر من أجله مئات اليهود من الكيان الصهيوني، ويستمر أسبوعاً يمارسون فيه شعائرهم الدينية ويحيلون فيه حياة أهل القرية لجحيم، بسبب التشديد الأمني الذي تضربه قوات الأمن المصرية على القرية، وما يتردد عما يفعله الصهاينة من ممارسات غير أخلاقية في أثناء الاحتفال.

يتضح مما سبق أن التطبيع الشعبي والفردي نزل لأقل مستوياته منذ الخامس والعشرين من يناير وحتى اليوم (2014) ، فلا نجد حالات تطبيع – مباشرة – مرصودة في مجالات الثقافة أو الفن أو الرياضة، والسبب هو ارتفاع الحس الوطني لدى عموم المصريين، الذي أدى لاختباء رموز التطبيع ومرتكبيه .

ورسمياً، حرص المجلس العسكري والحكومات التابعة له على عدم استفزاز الشعب المصري الثائر، وعلى الحفاظ على علاقات مستقرة مع الصهاينة والأمريكيين في الوقت نفسه، فخفف من حدة التطبيع الظاهر، وأبقى على التطبيع المستقر الرتيب، مثل أنشطة الكويز، التي تدخل في نطاق التطبيع

الرسمي ؛ لأنها تمت باتفاقية بين وزارة التجارة والصناعة المصرية، وسعى المجلس لتعديل سعر الغاز المصدر للكيان الصهيوني، لتبدو الصفقة عادلة متجاهلاً كونها تُصدر لعدو مصر، واتخذ قرارات توحي للناس بتغير سياساته نحو الكيان الصهيوني، مثل فتح معبر رفح، والسماح للسفن الحربية الإيرانية بعبور قناة السويس، رغم أن تلك القرارات في حقيقتها لا تعني تراجعاً عن العلاقات مع الكيان الصهيوني، فمعاهدة السلام لا تفرض على مصر إغلاق المعبر مع قطاع غزة، ولا تلزمها بمنع السفن الإيرانية من عبور قناة السويس، فهي أمور ترجع لصانع القرار المصري، ولكن كون النظام السابق كان يمنع حدوثها خدمة للكيان الصهيوني، هو ما جعل الناس تفترض أنها قرارات تعني تغيراً في الإستراتيجية المصرية نحو الكيان الصهيوني. وهذا غير صحيح .

* على أية حال التطبيع مع إسرائيل على المستوى الشعبى تأثر سلبياً ومن الواجب الوطنى أن ينتقل إلى المستوى الرسمى.

***

إن التطبيع المصرى الإسرائيلى بلاشك هو ثمرة فاسدة لشجرة خبيثة تمت زراعتها خلسة فى لحظة تاريخية حزينة ، شهدت إهدارا لمكتسبات نصر تاريخى وملحمة توحد عربى نادر.

فقد كان التطبيع ثمرة لمعاهدة السلام وتسليم 99% من أوراق اللعبة لأمريكا واهدار مكتسبات نصر اكتوبر وتفسيخ العلاقات العربية بعد أن شهدت أعلى مستوى من الوحدة والتنسيق فى تاريخها الحديث.

إلا أن التطبيع ظل منبوذا ولم يتغلغل الى المستوى الشعبى وصارت تهم الخيانة والعمالة تلاحق المطبعين, واقتصر على مستويات سياسية عليا تورط فيها الفاسدون وبعض ضعاف النفوس واليائسين فى حالات قليلة.

وقد قامت ثورة يناير لتغيير مشهد تاريخى امتد منذ كامب ديفيد وربما قبلها قليلا أثناء مفاوضات فض الاشتباك والاتصالات السرية مع الكيان الصهيونى وأمريكا.

وهذا المشهد الذى قامت عليه الثورة هو مشهد شامل لأشخاص وطبقات ومنظومة اقتصادية فاسدة ومحتكرة وكذلك منظومة سياسية تابعة ولايكفى تغيير أشخاصها دون تغيير هذه المنظومات القابلة لاستنساخ أشخاص جدد على نفس الشاكلة والممارسات.

ونظرا لتعثر الثورة وعدم التركيز على تغيير المنظومة والاكتفاء بمحاسبة الاشخاص وعدم الالتفات إلى جوهر الكارثة الوطنية المتمثل فى السلام المزعوم مع العدو الصهيونى ، والذى يشكل الصراع العربى معه صراع وجود لا حدود, والتبعية لأمريكا, فقد استمرت حوادث تطبيعية بعد الثورة فى غياب شعارات ثورية تشكل تياراً ثورياً رافضاً لجوهر الأزمة ورافعاً لراية جوهر التغيير الجذرى الحقيقى بإنهاء ونسف منظومة التبعية للمشروع الأمريكى الصهيونى فى المنطقة وسوف نمحور رؤيتنا لملامح التطبيع بعد ثورة يناير 2011 فى المحاور التالية :

<u>أولاً :</u> حقائق ووقائع للتطبيع بعد الثورة .

<u>ثانياً :</u> ركائز استراتيجية التطبيع ومحاولات مقاومتها.

<u>ثالثاً :</u> مستقبل اتفاقية السلام بعد الثورة والعلاقات مع مصر من وجهة النظر الإسرائيلية .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

***

<u>أولاً : حقائق ووقائع للتطبيع بعد الثورة :</u>

بعد الثورة حاولت دولة الكيان الصهيونى احتواء الثورة وتعويض فقدانها لكنزها الاستراتيجى المتمثل فى الرئيس المخلوع شعبيا(حسنى مبارك).

وربما لم ترتفع شعارات واضحة برفض التطبيع كجزء من أهداف الثورة أو أولوية من أولوياتها إلا أن هذا الرفض الشعبى للتطبيع من الأمور المفروغ منها, ولكن لم يلتفت اليها الثوار كجزء يجب فرضه فرضا لمنع الاختراق وإعادة الحالة التى يجب خلعها بالتوازى مع خلع اشخاصها.

وقد افادت التقارير بعد الثورة أن هناك متغيرات ربما صدمت كثيراً من غير المتابعين أو الباحثين فى الحركات الاسلامية الوهابية كجماعة الإخوان والسلفيين , الا انها لم تكن خافية عن الباحثين فى نشأتهم وتحالفاتهم والستار الدينى والقيمى الذى يستخدمونه لإخفاء حقيقتهم المتمثلة فى أنهم امتداد لذات المدرسة البرجماتية ، والتابعة بدرجة أو بأخرى للغرب .

(1) **من مجمل التقارير نجد أن حزب النور السلفي في مصر**، الذي صعد نجمه في فضاء الانتخابات المصرية البرلمانية عام 2012 ، وحل في المرتبة الثانية بعد حزب الحرية والعدالة – الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين – قد وجه لطمة قوية لرافضي التطبيع عندما أجرى الناطق باسمه حديثا لإذاعة جيش الاحتلال الإسرائيلي.

ففي هذه المقابلة قال الناطق باسم حزب النور السلفي يسري حماد إن: «حزبه حريص على الحفاظ على الاتفاقيات الدولية مع إسرائيل وكذلك ترحيبه بالسياح الإسرائيليين بالمجيء إلى مصر».

وأشار الى أن الإعلام يحاول تشويه صورة الإسلام وصورة حزبه، مؤكدًا أن اجراء أي تغييرات في اتفاقية السلام بين اسرائيل ومصر يجب ان تتم عبر التفاوض، مؤكداً أن حزب النور لم ينتخب من أجل الحرب، لأن مصر بحاجة إلى إعادة البناء والسلام على حد قوله.

وتابع: «إننا نرحب بكل السياح حتى الإسرائيليين، فهم مرحب بهم دائما ولا مانع لدينا من قدومهم الى بلادنا».

واثارت هذه التصريحات ضجة كبيرة، خصوصا أنها المرة الأولى التي يدلي فيها مسؤول حزبي مصري بتصريحات للإذاعة الاسرائيلية، الأمر الذي يعد انتهاكاً لفكرة رفض التطبيع مع الكيان الصهيونيى، والتي يبدو انها الفكرة الوحيدة التي يتجمع حولها الأغلبية الكاسحة من المصريين، سواء أكانوا من اليسار أم اليمين أم الوسط.فالجميع يرفض فتح المجال للاسرائيليين من أجل عدم نسيان حقوق الشعب الفلسطيني.

ومن بين أبرز الأصوات التي هاجمت حماد، الاخوان المسلمون إذ اعتبر القيادي بالجماعة، زعيم الكتلة البرلمانية السابق حمدي حسن، ان «التصريحات التي أدلى بها الناطق الإعلامي لحزب النور السلفي للإذاعة الإسرائيلية، تعد تطبيعاً رسمياً مع الكيان الصهيوني في وقت غير ملائم على الإطلاق»، واصفاً تعامل حزب النور مع إسرائيل بأنه «جريمة سياسية لا تغتفر»، ارتكبها السلفيون ليس فى حق الشعب الفلسطيني فقط، ولكن في حق الشعب المصري كله.

لكن يبدو ان الأدبيات والتراث شيء والممارسة السياسية شيء آخر، إذ إن حزب النور الذي وجد نفسه فجأة في صدارة المشهد الانتخابي، مع احتمال اقترابه بشكل او آخر من الحكم، أصبح مطالباً بتقديم رؤى تناسب الواقع السياسي الدولي والإقليمي، وإرسال «رسائل اطمئنان» من انه لن يحاول تغيير قواعد اللعبة في المنطقة.

ربما تكون واقعية سياسية، لكنها كانت صادمة الى درجة كبيرة نظراً إلى عدم وجود مقدمات أو حتى مبررات طبيعية لها، فالانتخابات كانت لاتزال قائمة، وخريطة التحالفات البرلمانية لم تتضح معالمها بعد، لكن «النور» أراد بذلك عدم اثارة الفزع خارجياً، لكنه خسر بشكل كبير على المستوى الداخلي.

فى حين أكد القيادي بحزب التحالف الاشتراكي أبوالعز الحريري أن حزب النور «السلفي» وقع في محظور خيانة القضية الوطنية المصرية وآمال الشعب

المصرى عند أول اختبار، معتبراً أن تصريحات حماد لإذاعة الجيش الإسرائيلي فضحت التيار السلفي وكشفت أنه تيار كان يتاجر بالدين وبالمبادئ، لكنه لهث وراء التطبيع مع العدو الصهيوني دون مقابل.

واتهم الحريري حزب النور بالتطبيع مع أعداء الأمة العربية وكذلك العدو الوحيد للشعب المصري وهو الحركة الصهيونية والمتمثلة في ما يعرف بدولة إسرائيل، وقال:«الإدلاء بتصريحات لوسائل إعلام إسرائيلية تعني الاعتراف بإسرائيل والموافقة على اتفاقية كامب ديفيد التي كان يعتبرها التيار الإسلامي خيانة ، لكننا فوجئنا بالتيار السلفي يتعامل مع هذه الخيانة باعتبارها أمراً طبيعياً».

في المقابل رفض الناطق الإعلامي باسم حزب النور د. محمد سعيد التعليق على الاتهامات الموجهة للحزب ورد قائلا: «لا تعليق»

(2) التطبيع الاخوانى:

أكدت الحقائق بعد ثورة 25 يناير أن الإخوان وافقوا على استمرار التطبيع والعلاقات الخاصة مع واشنطن وتل أبيب، خاصة بعد زيارة مساعد وزير الخارجية الأمريكية ووليم بيرينز إلى مصر ولقائه قادة الإخوان، ثم لقاء العديد من القيادات السياسية الأمريكية بهم بعد الثورة من أمثال (جون كيرى – جون ماكين – هيلارى كلينتون وغيرهم) مما يعني أن الحلف الإخواني الأمريكي قد أضحى واقعًا فعليًّا، واجتاز مرحلة البدايات والتأسيس، ليبقى السؤال: على ماذا تم الاتفاق؟

من المعروف أن أكثر ما تريده واشنطن من مصر هو استمرارها بنفس الدور الذي كانت تؤديه خارجيًّا، لجهة ضمان مصالح واشنطن في المنطقة، وضمان مصالح إسرائيل، المتمثلة بالإبقاء على معاهدة السلام كما هي، إضافة إلى استمرار تأمين إسرائيل بالطاقة، والضغط على الفلسطينيين، للدفع باتجاه سلام يوائم إسرائيل وواشنطن على حساب فلسطين التاريخية.

وهو ما يبدو أنه تم الإعداد له مع دخول حركة حماس المعترك السياسي من أوسع أبوابه بعد أن أصبح النظام الرسمي في المنطقة كله بيد المرجعية الأيديولوجية لها "الإخوان"..وهنا يبدو أن الإخوان سلموا واشنطن كل ما تريد فعليًّا ، حيث أعلن الإخوان مواربة حينًا وصراحة حينًا أخرى، أنهم لن يلغوا معاهدة كامب ديفيد، مع ترويج فكرة أنهم قد يعيدون النظر بها أو يعرضونها على استفتاء شعبي، وهذا ربما لإسكات الشارع المطالب بإلغاء الاتفاقية، ويتم هذا الكلام مع ما صرح به نائب وزير الخارجية الإسرائيلي داني أيالون من أن "السلام بين بلاده ومصر مستمر حيث تلقت بلاده تأكيدات حول نوايا جماعة الإخوان المسلمين بالاعتراف باتفاقية كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل... العلاقات بين البلدين لن تتغير كثيرًا في المستقبل بسبب .التغيير السياسي في مصر".

وفى العام 2011 وبعد الثورة أعلن أحد مرشحي الجماعة في سيناء الدكتور عبد الرحمن الشوربجي يعلن فيه أنه موافق علي تصدير الغاز الي اسرائيل طالما ان ذلك تم بالاسعار العالمية.

* وفى تلك الفترة قامت قناة فضائية تابعة للإخوان المسلمين في مصر بفصل مذيعة رفضت إجراء حوار مع شخصية سياسية إسرائيلية.وقال المنتقدون فى وسائل الإعلام : إن قناة «مصر 25» ،أثارت دهشتهم لهذا الموقف، ولم تفسره ما أعطى انطباعاً سلبياً عن توجهات القائمين عليها.

قال إسماعيل بدر: ابنتي الصحفية والمذيعة الجميلة والثائرة المعجونة بالقومية العربية ياسمين الجيوشي فصلتها قناة «مصر 25» من عملها كمذيعة لرفضها إجراء حوار مع شخصية سياسية صهيونية وتمسكها بقوميتها وبعدم اعترافها بالكيان الصهيوني.وأضاف قائلاً: لتسقط قناة 25 وليسقط المطبّعون من الصهاينة العرب ولنتضامن جميعا معها.

وقال محمد أويس: هذه هي ضريبة حب الوطن في بلد سكانها الأصليون شارفوا على الانقراض.

وقال أحمد كامل: لا تصالح، ولو وقفت ضد كل السيوف. واستغرب مدونون هذا الموقف من قناة تابعة للإخوان، وقالوا: نكاد لا نصدق ذلك. وتساءلوا: هل ينوي الإخوان التطبيع من الآن مع إسرائيل؟ وأكد إسماعيل بدر لن نصالح وسنفضح المطبعين الجدد وياسمين مثل كل أبنائي بصلابة الفولاذ ولن تنكسر.

(3) حوادث تطبيعية بعد الثورة:

الطماطم الإسرائيلية تغزو السوق.. والزراعة ترجح تهريبها

تناولت الصحف الحشد الهائل من المواطنين بالسوق والتجمع حول أحد البائعين ومعه أكثر من كرتونه من الطماطم وعندما سأل المواطن علي سعرها أجاب عليه أحد الأشخاص بأن كل كرتونه تحتوي علي 3 كيلو طماطم وسعرها 5 جنيهات فقط لا غير فقام بشراء واحدة وعندما عاد إلي منزله وجد أن شقيقه اشتري عدد 10 كرتونة من نفس نوع الطماطم التي اشتراها.

انتاب المواطن نوع من الدهشة من كرتونة تحتوي علي 3 كيلو من الطماطم الفاخرة عالية الجودة ولا يعدو سعرها الخمسة جنيهات في حين أنه توجه إلى إحدى المطابع الورقية، فوجد أن سعر الكرتونة الورقية بدون الطماطم لا تقل عن ثلاث جنيهات.

وواصل المواطن البحث عن سر الكرتونة ليتعرف علي الشركة التي قامت بتقديم هذه الخدمة للمواطنين ولكن وجد نوعا من محاولة اخفاء اسم الشركة المنتجة عن طريق استخدام اسبراي أسود فكشف علي كل كرتونة إلي أن وجد كرتونة واحدة هي التي يظهر عليه اسم الشركة فإذا بالمفاجأة وهي أن الطماطم الموجودة بالكرتونة تابعه لشركة اسرائيلية وهذا ما دفعه لتقديم البلاغ رقم 8308 إلي المستشار الدكتور عبد المجيد محمود وانتقل بعدها الي وزارة الداخلية.

من جانبه، علق الدكتور أيمن فريد أبو حديد– وزير الزراعة في مداخلة هاتفية مع برنامج "مانشيت" على قناة "أون تي في" الفضائية "أن هذه الطماطم من النوع المهجن وأي عالم أو باحث سيعرف هذا الأمر، وهذا النوع جاء من استخدام بعض الجينات التي تجعل الطماطم تحافظ على صلاحيتها لمدة قد تصل إلى شهر أو شهر ونصف، ولكنها قد تؤثر على قيمتها الغذائية ويتم استخدام هذا الأمر في العالم كله".

وأكد أبو حديد ان الوزارة "لم تقم باستيراد أي طماطم أو حتى بذور طماطم من إسرائيل، او أي منتجات من إسرائيل بصفة رسمية من أول يناير وحتى هذا الوقت، لذلك فإن الطماطم الإسرائيلية الموجودة حالياً في الأسواق قد تكون مهربة، وهذا لا يقع تحت نطاق مسؤولية وزارة الزراعة".

من جانبه كشف الدكتور سرحان أحمد عبد اللطيف الباحث بمركز البحوث الزراعية بوزارة الزراعة أن إسرائيل تورد تقاوى الطماطم إلى مصر عبر دولتي قبرص واليونان بأسماء وهمية تخفى المصدر الإسرائيلي ويتم زراعة هذه الطماطم حاليا في الأراضي الجديدة على طريق مصر اسكندرية الصحراوي.

(4) التطبيع الاقتصادى يطل برأسه مع أول زيارة لمسئول اقتصادى مصرى لأمريكا بعد الثورة:

تناولت الصحف تصريحات محمود عيسى وزير الصناعة والتجارة الخارجية – بعد الثورة – والتى أثارت جدلا كبيرا عشية سفره الى الولايات المتحدة لإجراء مباحثات مع الجانب الأمريكي حول التعاون الاقتصادي بين البلدين، والخاصة بأن إتفاقية الكويز هامة للاقتصاد المصري كما أن استمرار الكويز فى صالح مصر، وأنه سيطرح خلال المباحثات على الجانب الأمريكي خفض المكون الاسرائيلى من 11.2% إلى 8 % حتى وإن كان هذا الجانب يناقش مع إسرائيل، إلا أن واشنطن شريكًا فى الاتفاقية.

وأفاد أنه سيطلب من الحكومة الأمريكية خلال المباحثات تحديد موقفها بشكل واضح وصريح تجاه دعم مصر اقتصاديًا فى الوقت الراهن، وتحديد نوع المساعدات التي ترغب في تقديمها سواء كانت مالية مباشرة أو غير مباشرة.
الأمر الذى أدى بـ (عبد الغفار شكر) وكيل مؤسسى حزب التحالف الشعبى الاشتراكى بالقول: أنا لا أعلم سبب مثل هذه التصريحات بالأخص مع معرفه موقف المجتمع المصرى ضد التطبيع مع اسرائيل سواء كان تطبيع اقتصادى أو حتى سياسى.
واضاف: أعتقد أن الوزارة الحالية وزارة مؤقتة ولا تستطيع أن تتخذ إجراءات يمكنها ان تتحكم فى مستقبل مصر الاقتصادى ولاسيما بعد ثورة مجيده كالثورة المصرية وقال : أعتقد أن الدافع الرئيس لتلك التصريحات هو ضغوط رجال الاعمال المستفيدين من التطبيع الاقتصادى وحديثه عن مليار دولار حجم أرباح من الكويز حديث مفرغ من المضمون فهذه القيمة الإقتصادية تصب فى جيوب رجال الأعمال المحسوبين على النظام البائد.
وأضاف أن هذه التصريحات لتهدئة الادارة الامريكية من الجانب الاقتصادى وهذا خطأ فادح فإلى متى سنستمر فى سياسة التابع لأمريكا وأحبابها.
ومن وجهة نظر الخبراء الاقتصاديين فإن تصريحات وزير التجارة والصناعة حول الكويز علي النقيض تماما من الحقيقة لأن هذه الاتفاقية كبلت الاقتصاد المصري والمنتج المصري على مستوى العالم فبعد أن كان منتجا مصرياً خالصاً أصبح مرتبطاً بالمنتج الإسرائيلي حتى لو تم تقليل نسبة المكون الاسرائيلي للمنتج مشيراً إلى أن هذا المكون الصهيوني دخل الي مكونات 600 مصنع موجود بمصر بالاضافة الي الاعفاء الضريبي الذي حصلت عليها إسرائيل، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل وصل الي حرمان مصر من منطقة التجارة العربية الحرة بسبب إشكالية المنتج المصري .

(5) مسـار التطبيـع فـى مجـال الغـاز : بعد الثـورة كانـت أبـرز المخـاوف الصهيونية تتجه ناحية احتمالات وقف إمدادات الغاز الطبيعي المصري التي تقدر بنحو 1.5 مليار متر مكعب سنوياً، بعد توقفه حتى الآن ولأجل غير معلوم بعد تعرض خطوط أنابيب الغاز الدولية في سيناء لاكثر من تفجير أثناء أحداث الثورة المصرية.

ورغم المحاولات الصهيونية للتقليل من اعتماد سوق الطاقة الصهيوني على الغاز المصري، لكنه وبحسب تأكيدات خبراء الطاقة "الإسرائيليون" فى العام 2011 فإن وقف تصدير الغاز المصري سيؤثر على هذا القطاع سلبًا خصوصًا وأن 40 إلى 50% من إنتاج الكهرباء في "إسرائيل" يعتمد على الغاز، إضافة إلى أن الكثير من المصانع الصناعية كانت في طريقها للعمل بواسطة الغاز الطبيعي المستورد من مصر.

وتجدر الاشارة الى أن المستفيدين من اتفاقية الغاز تلك التي أضرت كثيراً بالاقتصاد المصرى، هم زمرة محدودة كانت مقربة من نظام مبارك على رأسهم حسين سالم، نائب مدير المخابرات المصرية السابق وأحد أبرز الأصدقاء المقربين من مبارك.

كما أن الخسائر الاقتصادية التى كان من المتوقع أن تتكبدها "إسرائيل" بعد رحيل نظام مبارك، نجد أبرزها في مجال صناعة المنسوجات؛ حيث يوجد عدد كبير من المصانع "الإسرائيلية" العاملة في هذا المجال في مصر، في إطار اتفاقية الكويز.

لكن وفى محاولة يائسة عام 2011 حاول رجال الأعمال "الإسرائيليون" بث أخبار كاذبة توحي بأن أعمالهم مستمرة في مصر كالمعتاد محاولين التغطية على الخسائر الضخمة التي سوف يتكبدونها، خاصة بعد نقل خطوط إنتاج مصانعهم من "إسرائيل" نفسها إلى مصر، سعياً لكسب المزيد من الأرباح في ظل رعاية نظام مبارك.

وربما أبرز ما تردد من تلك الأكاذيب ما قاله داني كتريفس رئيس شعبة التجارة الخارجية في اتحاد الصناعات "الإسرائيلي" تعقيباً على مستقبل الاستثمارات الصهيونية في مصر : "إن للمصالح الاقتصادية حياة خاصة بذاتها، وأن مواصلة عمل المصانع الإسرائيلية في مصر هي في الأساس مصلحة مصرية، فأنا لا أرى سبباً في إلغاء الاتفاقيات، لأن مصر بواسطتها تصدير منتجات قيمتها أكثر من مليار شيكل للولايات المتحدة، وليس هنا مبرر أن تقوم مصر الإضرار بنفسها". وقد كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية عن امتلاك الأجهزة الأمنية في "إسرائيل" (خطة بديلة) تم إعدادها في السنوات الأخيرة لليوم الذي يلي غياب حسني مبارك.

وذكرت الصحيفة أن الخطة التي جرى وضعها على خلفية الوضع الصحي للرئيس المخلوع تنص على تسريع بناء الجدار على الحدود بين سيناء ومصر، ومراقبة الحدود بين قطاع غزة وسيناء، وانتظار التطورات التالية، جنباً إلى جنب مع مواصلة بناء خطة عملية تأخذ بالاعتبار أسوأ الاحتمالات.

وعلى ضوء السيناريوهات سالفة الذكر لمستقبل العلاقات بين مصر والكيان الصهيوني عقب الثورة المصرية وسقوط نظام مبارك، يتضح بما يدع مجالاً للشك مدى الفجيعة التي شعرت بها إسرائيل بعد أن فقدت أكبر داعم لها في الوطن العربي، وهو ما دفعها للتحرك السريع خلال الفترة التالية لثورة يناير، لإيجاد بديل له سواء في داخل مصر أو في خارجها، بما يحفظ على الأقل اتفاق السلام بين البلدين. وهو ما جرى تماماً فى عهد المجلس العسكرى وحكم محمد مرسى وما بعدها !! .

<u>(6) من وقائع التطبيع بعد ثورة يناير:</u>

نرصد هنا نماذج مما تداولته وسائل الاعلام حول التطبيع بعد الثورة.

<u>التطبيع الثقافى:</u>

فى يوم 27 ديسمبر 2010 وتحت عنوان " صحفي إسرائيلي يراقب فرقة الطنبورة .. ويحضر حفلاً شعبياً في عابدين " كتبت صحيفة الدستور تقريراً مهماً جاء فيه : بعد أيام معدودة من سقوط إحدى شبكات التجسس الإسرائيلية نشرت صحيفة (هآرتس) تقريراً ميدانياً موسعاً عن ظواهر ثقافية في مصر من خلال جولة في أكثر من مكان شهير في القاهرة .. رصد فيها صحفي إسرائيلي يجيد العربية فعاليات وردود أفعال متباينة ربما تخضع للتحليل في إسرائيل على يد خبراء .

الغريب أن الصحفي الإسرائيلي قارن بين الأنشطة الثقافية الحالية في القاهرة والأنشطة الثقافية في كوبا عقب صعود فيدل كاسترو للسلطة.. فكتب في تقريره الذي أفرد له الملحق الثقافي ل(هآرتس) مساحة كبيرة عن فرقة الطنبورة :"منذ حوالي أكثر من 20 عاماًً تتجمع هذه الفرقة مرة كل أسبوع .. وتضم صياداً وفيلسوفاً ومطربين شعبيين وموسيقيين هواة .. وتعرض فنها بلا مقابل أمام سكان مدينتهم بورسعيد ، هذه المجموعة تحمل اسم "فرقة الطنبورة" وهم متخصصون في العزف على السمسمية ، ولا يرتدون على المسارح زياً محدداً ، أحياناً يرتدون طرابيش وأحياناً يرتدون بدلاً فاخرة ، يثيرون الضحك ويوزعون جرعة من السعادة على الفقراء ، دون أن يؤلف أحد عنهم فيلماً سينمائياً".

ويضيف الصحفي الإسرائيلي كاشفاً أهداف جولته الأخيرة في مصر :"سمعت لأول مرة عن الفرقة منذ عام عندما بعثتني هآرتس مع المصور نير كفري للكتابة عن مدن قناة السويس بمناسبة مرور أربعين عاماً على حرب الاستنزاف فالقناة بالنسبة للإسرائيليين جرح لا يندمل وأردنا أن نعرف كيف هي جراح الجانب الآخر؟ كيف حال المدن التي قصفتها إسرائيل مراراً وتكراراً ؟كيف حال السكان الذين هدمنا منازلهم ؟ وأشار إلى أحد الذين تم تهجيرهم في تلك الفترة وهو نفسه رئيس فرقة الطنبورة الذي بدأت رحلة تهجيره مع حرب 56 حين قصفت مدينته ثانية ضحية لآلة الحرب ، عندما علم أننا من إسرائيل تناوبته

مشاعر متضاربة ! لكنه عندما صعد على المسرح لم يتنازل عن غناء أغنية ألفها مع أفراد فرقته بمناسبة مرور 50 عاماً على حرب 56 (العدوان الثلاثي) .. الأغنية ثابتة في برنامج الفرقة وكأنها نشيد وطني خاص بها . وتتحدث معانيها عن الغناء على ضفة القناة التي لن يأخذها أحد منا ثانية ".

***وفى 27 ديسمبر 2010** قام وفد من القنصلية الإسرائيلية بزيارة ضريح أبو حصيرة .. فى الوقت الذى نظمت فيه القوى الوطنية وقفة احتجاجية ضد بقاء هذا الاحتفال والضريح فى مصر

وفى 28 ديسمبر 2010 طالب علماء آثار مصريون بسحب كتاب الطب في زمن الفراعنة " لاعتماده على الأكاذيب ضد الحضارة المصرية وهو من تأليف كاتب يهودي الأصل يزعم توثيق وجود العبرانيين في مصر ويدعي تفوقهم في الطب.

*** فى 25 يناير 2011** طالب 16 ألف مرشد سياحي أعضاء في نقابة المرشدين السياحيين وزارة السياحة بضرورة التحرك السريع لإنهاء ما سموه بمهزلة المرشدين الأجانب فى مصر".

وأكد المرشدون في بيان لهم أن العام الجاري شهد تزايداً ملحوظاً في عدد الأجانب من عاطلي شرق أوروبا وجنوب شرق آسيا الذين يعملون كمرشدين بتصريح ترجمة مستخرج من وزارة السياحة.

وحذر " المرشدون " من كارثة وجود عدد كبير من الإسرائليين يعملون كمرشدين ويأتون بصحبة بعض الأفواج بغرض زيارة مسار رحلة الخروج لسيدنا موسى وبعضهم يؤدي بعض الطقوس الغريبة فوق جبل موسى.

*** فى 2011/2/9** ذكرت صحيفة 'كلكليت الإسرائيلية" أن حكومة نظيف بشركة نايروس الإسرائيلية للبرمجيات والتي تتعاون مع الشركة المصرية للاتصالات منذ وقت طول وتزودها بتقنيات خاصة في تعطيل الإنترنت حيث

صممت شركة نايروس الإسرائيلية برنامجاً متطوراً للغاية لشل الانترنت في مصر.
وقالت الصحيفة : إن الحكومة المصرية بالتأكيد لا تحب أن تسمع هذا الخبر الآن عن الاستعانة بشركة اسرائيلية لوقف الانترنت عن المصريين في جمعة الغضب وعلى يد أوري كوهين وستاس حيمرن وأورن أرئيل المؤسسين للشركة الإسرائيلية للبرمجيات .
وأضافت الصحيفة أنها استطاعت من خلال مصدر مسئول بالشركة معرفة هذه الحقائق التي اعترف بصحتها الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز بشكل غير مباشر .
وذلك خلال كلمة ألقاها في مؤتمر هرتسليا للمناعة القومية وأشارات الصحيفة إلى أن الشركة الإسرائيلية التي تتعاون مع الشركة المصرية للاتصالات وشركة الاتصالات السعودية والباكستانية وتقوم بتقديم خدمات عالية سواء في القدرات على استعادة الرسائل المحذوفة في البريد الإلكتروني ورصد الاتصالات الصوتية عبر الإنترنت وتسجيل كل ما يدور في الانترنت وكذلك الكشف عن أي مواقع تم تصفحها وكذلك انتاجها أجهزة كمبيوتر عملاقة يتم استخدامها من قبل أجهزة الاستخبارات في كل أنحاء العالم في أغراض عديدة مثل التنصت على المكالمات الهاتفية.
وأكدت الصحيفة أن الحكومة المصرية استعانت بالشركة في تعطيل خدمات الإنترنت في مصر ونقلت عن مصدر كبير في الشركة قوله : إن الشركة يمكنها مساعدة أي دولة ترغب في حجب الانترنت إذا طلب منها ذلك .
الجدير بالذكر أن القناة السابعة الإسرائيلية أشارت منذ يومين إلى قيام نظيف بشراء أجهزة لتعقب المعارضين للنظام وملاحقتهم أمنياً عبر الجهاز الأمريكي المقدم من شركة free press”

والتي تم تأسيسها من قبل متخصصين إسرائليين في مجال التكنولوجيا بولاية كاليفورنيا الأمريكية.

* **فى 2011/5/24** نظم ائتلاف القوى السياسية والوطنية بالبحيرة الذي يضم أحزاب الغد والوفد والنجمع والناصري والجمعية الوطنية للتغيير بالبحيرة والإخوان المسلمين بمشاركة حركة "فوق أرضي لن تمروا" و"مدونون ضد أبو حصيرة " وعدد من طلاب جامعة دمنهور مسيرة احتجاجية سلمية انطلقت من مجمع كليات دمنهور الواحدة رفضاً لتعدي البلطجية على المتظاهرين قبل المظاهرة بأسبوع .

وقد رفع المتظاهرون علمي فلسطين ومصر ولافتة كبيرة باسم الائتلاف في حين رفضوا رفع لافتة خاصة بحملة دعم حمدين صباحي ضمن المظاهرة ، وردد المتظاهرون الهتافات المعادية للكيان الصهيوني والمطالبة بتحرير دمنهور من هذا التواجد الصهيوني السنوي بالمخالفة للقانون ، والتغاضي الأمني عن تعرض البلطجية لمتظاهريم سلميين وأحرقوا العلم الإسرائيلي .

* **فى 2011/8/19** حذر مجموعة من الخبراء الأمنيين العرب من قيام الشباب العربي بالتعامل مع صفحات جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد المنتشرة على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"تحت مسمى الموساد الإسرائيلي قسم تجنيد العملاء باللغة العربية عن طريق الدخول على هذه الصفحات وملء استمارات وإن كان على سبيل المزاح ، حيث أكدوا أن مجرد الدخول على الصفحة يعني اختراق الحاسوب .

جاء ذلك عقب 4 أشهر من إعلان صحيفة "الحقيقة الدولية" أن موقع "فيس بوك" يعد ساحة خلفية للمخابرات الإسرائيلية ، وأنها تستخدمه لتجنيد جواسيس. وتضمن ملف الصحيفة "الإسرائيلية" معلومات عن أحدث طرق الجاسوسية التي تقوم بها كل من المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية عن طريق أشخاص عاديين لا يعرفون أنهم يقومون بمثل هذه المهمة الخطيرة ، حيث

يعتقدون أنهم يقتلون الوقت أمام صفحات الدردشة الفورية واللغو في أمور قد تبدو غير مهمة ، وأحياناً تافهة ولا قيمة لها ، كان جهاز المخابرات الإسرائيلي قد أنشأ هذه الصفحة بهدف اجتذاب عملاء جدد يعملون معه لتنفيذ المهام الأمنية والاستخباراتية المفيدة لإسرائيل .

__فى 2011/9/6 نشرت وسائل الإعلام المصرية قضية أستاذة الفيزياء الإشعاعية (نهى حشاد) الهاربة لإسرائيل والتى تعمل مع أجهزتها الأمنية ، فأشارت إلى أن__**الشئون القانونية بجامعة بني سويف قررت إنهاء خدمتها وفصلها نهائياً من الجامعة طبقاً للوائح وقواعد المجلس الأعلى للجامعات الذي أكد معاقبة عضو هيئة التدريس الذي يخرج على القواعد الرافضة للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

وقد أكد أساتذة كلية العلوم بجامعة بني سويف أن "نهى حشاد" كانت غريبة الأدوار ، ولم تلتزم بالحضور وتشعر بالاضطهاد من زملائها ، وكانت تردد أن أي بلد آخر حتى لو كان إسرائيل كانت لتحلم أن تعيش به ، موضحين أن الجميع كان يتجنبها ؛ لأنها فشلت في الحصول على الدكتوراه طوال 11 عاماً لذلك لم تكن أستاذة متخصصة في الفيزياء الإشعاعية .

وقد أكد الدكتور أمين السيد لطفي –القائم بأعمال رئيس جامعة بني سويف– في تصريحات صحفية أن القانون كان واضحاً وصريحاً في التعامل مع نهى حشاد ، مبيناً أن الجامعة قامت بتحذيرها أكثر من مرة لعدم التزامها بالحضور للجامعة وكثرة غيابها ، إلى أن قررت إنهاء خدمتها ، أي : قبل ذهابها إلى إسرائيل ، مبيناً أن الجامعة غير ملتزمة بأي شخص لا ينتمي إليها سواء ذهب إلى إسرائيل أو إلى المريخ .

من جانب آخر أوضح رئيس هيئة الطاقة الذرية أن ما قامت به "نهى حشاد" يعد سابقة أولى لم تحدث من قبل هيئة الطاقة الذرية ، موضحاً أن اللوائح والقوانين داخل هيئة الطاقة الذرية تمنع من داخلها قبل أن تلجأ إلى الأمن

القومي ، من التطبيع مع الكيان الصهوني ، على اعتبارين ، الأول رفض التطبيع والثاني أن عمل الهيئة استراتيجي وحساس.
الغريب أن الدكتورة مرفت البارودي –رئيس قسم القانون النووي بالمركز القومي للأمن النووري والرقابة على الإشعاع– أوضحت أن النواحي القانونية لا يوجد بها نص قانوني يتيح محاسبة كل من يشارك في المؤتمرات العلمية التي تجري في إسرائيل على اعتبار أن مصر موقعة على معاهدة سلام مع اسرائيل مبينة أن الضمير الإنسانى فقط هو الذى يمنع علماء الطاقة الذرية من الحضور للمؤتمرات الاسرائيلية عندما يشاهدون دماء الأطفال والنساء والعزل من السلاح مطالبة الجهات المعنية بضرورة تحرى كل من يخرج من مصر من العلماء الى الخارج.
وتساءلت الدكتورة البارودى, كيف لباحثة تعمل فى المجال النووى والاشعاعى أن تشارك فى مجال أكاديمى سياسى , مطالبة بضرورة اتخاذ قرار سياسى حيالها .
* **فى 2011/10/12** قررت الدائرة الأولي بمحكمة القضاء الإداري برئاسة المستشار على فكري–رئيس محاكم القضاء الإداري إحالة الدعاوي القضائية المقامة من محمد عبد المقتدر –المحامي– ضد المجلس العسكري والتي طالب فيها بإغلاق السفارة الإسرائيلية بمصر بعد أحداث قتل الجنود المصريين على الحدود لهيئة مفوضي الدولة لإعداد الرأي القانوني وكتابة مذكرة وفقاً للمستندات والوقائع المقدمة في الدعوى .
في السياق ذاته قال مدونون ضد مولد أبو حصيرة في بيان أصدروه :"إن الكرامة المصرية التي سحقت ديكتاتوراً بحجم الرئيس السابق حسني مبارك وأعوانه بعدما ظن الكيان الصهيوني أنه سيبقى كنزاً استراتيجياً لمصالحهم للأبد .. قادرة على سحق أي تصور مزعوم عن الحلم بإمكانية العودة للاحتفال الباطل قانوناً والمرفوض شعبياً مرة أخرى بأبو حصيرة ، مؤكدين أنهم

سينظمون مسيرات شعبية ضخمة واعتصامات مفتوحة لمواجهة البجاحة الاسرائيلية والاحتفال بالمولد.
وفى السياق ذاته ذكر موقع "كيكارهبشات" العبري أن وزير الداخلية الإسرائيلي"إيلي يشاي" توجه بخطاب إلى السفير المصري في تل أبيب "ياسر رضا" من أجل مخاطبة الحكومة المصرية لإلغاء القرار.
وقال الموقع : إن الحجج المصرية والخاصة بمنع إقامة المولد بسبب الأوضاع الأمنية ليست بالجديدة حيث قامت القوات الأمنية المصرية العام الماضي (2010) في ظل نظام مبارك باستخدام نفس الحجة إلا أن اتصال بنيامين نتنياهو بالرئيس مبارك أدى إلى إلغاء القرار والسماح لليهود بإقامة مولد الحاخام يعقوب أبو حصيرة .
وقال الموقع : إنه لأول مرة منذ 20 عاما يتم منع إقامة الاحتفال بعد تغيير النظام وكأن الثورة المصرية جاءت بالسلب على اليهود لحرمانهم من ممارسة طقوسهم الدينية .
من جانب آخر، قرر حاخامات يهود تنظيم مظاهرة أمام السفارة المصرية في تل أبيب للتعبير عن رفضهم القرار المصري .
وقالت القناة السابعة الإسرائيلية : إن القرار أصاب العديد من الحاخامات في إسرائيل بالصدمة خاصة الذين اعتادوا زيارة الضريح سنوياً وإقامة الشعائر.
(ورغم هذه الحملة إلا أن قرار منع الاحتفال استمر وانتصرت الإرادة الشعبية المصرية لأول مرة ضد التطبيع الدينى!!) .
* فى 2011/11/5 وجهت إحدى الجماعات اليهودية دعوة تحت عنوان "هيا نحضن الهرم" دعوة وجهتها لتنظيم حفل داخل الهرم الأكبر "خوفو" لمواجهة نهاية العالم ، الجماعة التي اختارت موقع البعثة البولندية للترويج للفكرة.
المدهش أنهم أكدوا حصولهم على موافقة المجلس الأعلى للآثار لتنظيم مثل هذه الاحتفالية ، والغريب أنهم سيحضرون "كريستالة" من جبل الجريستال بالهند

كي تشع الضوء على أهرامات مصر بكامها وتسحب منها الطاقة لتوزيعها على البشرية لتجديد طاقة العالم على الحب كما يزعمون في دعوتهم .
من جانبه أكد الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار أنها فكرة روحانية "خايبة" ولن يسمح بتنظيم احتفالات بهذا الشكل داخل الهرم .
ومن المعروف أن البعثة البولندية التي روجت للفكرة كان قد أوقفها الدكتور زاهي حواس من قبل بعد إهمالها في حفائر "اللاهون" التي أشرفت عليها وتسبب في ضياع مئات المومياوات التي تركتها في الحفائر مهملة وبدون حماية ، مما عرضها للتلف الشديد واتخذت إجراءات شديدة من قبل المجلس الأعلى للآثار ضد كل المشرفين على الحفائر ، وكانت هذه البعثة أيضاً أحد أسباب استبعاد الدكتور علاء شاهين من منصبه كوزير آثار خلفاً لحواس لكونها بعثة يهودية .
<u>* فى 2011/12/31 وتحت عنوان " لأول مرة .. أبو حصيرة بدون إسرائيليين " نشرت صحيفة الدستور تقريراً مهماً جاء فيه :</u> تشهد منطقة أبو حصيرة بقرية "دميتوه" دمنهور في محافظة البحيرة هدوءاً كبيراً على غير العادة في هذا التوقيت كل عام الذي كان يشهد بدء الاستعدادات لاستقبال الوفود الإسرائيلية القادمة لزيارة قبر أبو حصيرة والتي تمتد حتى ليلة رأس السنة الميلادية .
تعليقاً على ذلك أكد "مدونون ضد أبو حصيرة" في بيان لهم بعنوان "احترام الإرادة الشعبية أولاً وأخيراً" أنهم يتابعون الهدوء الكبير الذي تشهده منطقة قبر أبو حصيرة بقرية دميتوه بمدينة دمنهور بمحافظة البحيرة .
وقال "مدونون ضد أبو حصيرة" : إنهم إذ يترقبون مرور هذا العام دون زيارات صهيونية فإنهم يحذرون من الانقلاب على شرعية الشارع المصري بزيارات مفاجئة أو سرية لوفود إسرائيلية حتى ولو للقنصل الصهيوني بالأسكندرية وحده ، قائلين :"لن يسمح بها شعبياً" ، معلنين بدء حملة توقيعات من القوى السياسية

والحزبية والشخصيات العامة بمدينة دمنهور ومحافظة البحيرة لرفعها للمجلس العسكري والحكومة المصرية وأعضاء البرلمان المصري والشخصيات العامة وصانعة الرأي العام لبدء حملة "انتهى" وتطهير القرية من هذه الزيارات الصهيونية للأبد عبر مسارات القانون والبرلمان .

وفى السياق الزمنى ذاته أكد خبراء اقتصاديون أن حجم التعاون التجارى بين الحكومة المصرية والإسرائيلية أكبر من الرقم 162 مليون دولار الذى أعلنته الحكومة مؤخراً .

يأتى هذا فيما كشف الدكتور سامي طه –عضو مجلس نقابة البيطريين – عن استمرار التعاون بين مصر وإسرائيل في مجال الطب البيطري ، مؤكداً أن لديه معلومات مؤكدة بأن هناك خبراء إسرائيليين يعملون في شركات الإنتاج الحيواني بمنطقة النوبارية في مصر بزعم نقل خبرات إسرائيلية في مجال الطب البيطري إلى الشركات المصرية العاملة في هذا المجال .

وأكد طه أن هناك قراراً صادراً عن مجلس نقابة الأطباء البيطريين بوقف أي أشكال للتطبيع مع إسرائيل وأوضح طه أن مجلس نقابة الأطباء البيطريين لا يستطيع محاسبة أي من الأطباء الذين سافروا إلى إسرائيل ، وقال : إن سفرهم إلى إسرائيل لا يتم من مصر بشكل مباشر ولكنه يتم عن طريق سفرهم إلى دولة ثالثة ومنها إلى إسرائيل .

***فى العام 2011 أعربت وسائل** الإعلام الاسرائيلية عن قلقها من تعيين عصام شرف رئيساً للوزراء في مصر ، مشيرة إلى أن شرف كان يعارض التطبيع مع تل أبيب.

وذكرت صحيفة "غلوبر" الإخبارية الإسرائيلية أن شرف معروف بعدائه للتطبيع بين القاهرة وتل أبيب ، ومشيرة إلى تصريحات نقلتها وسائل الإعلام المصرية آنذاك ، وأعلن فيها دعوته لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي قبل أي تطوير للعلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل.

وتحت عنوان "رئيس وزراء معاد لإسرائيل" قالت إذاعة الجيش الإسرائيلي : إن عصام شرف رئيس الحكومة المصرية الجديد يعارض سياسة التطبيع بين القاهرة وتل أبيب.

* **فى 2011/3/18** أعلن المهندس "عبد الله غراب"–وزير البترول– أنه سيتم إدخال آلية لمراجعة أسعار تصدير الغاز الطبيعي لإسرائيل وغيرها من الدول المستوردة للغاز المصري مشيراً إلى أن السعر الحالي "معدل" وأن هناك آلية تسمح بزيادة السعر في العقود بين الطرفين.

وأوضح "غراب" عقب استقبال الدكتور "عصام شرف" –رئيس مجلس الوزراء– له ولرئيس شركة "بريتش بتروليم" العالمية وللنفط والغاز أن ما يثار عن أسعار تصدير الغاز المصري لإسرائيل هي أرقام التعاقد الأصلي وتم تعديلها فيما بعد وتخضع للمراجعة الدورية ، مشيراً إلى أن هناك بعض الأمور الفنية يجرى التعامل معها لإعادة ضخ الغاز لإسرائيل.

هذا وتذكر المعلومات فى هذا المجال أنه وقبل شهر من قيام الثورة المصرية وقعت الشركة المصرية لغاز شرق المتوسط ثلاث اتفاقيات جديدة لتصدير الغاز مع ثلاث شركات إسرائيلية هي هخراليسرائيل ونيارا حدرا ونيشر بقيمة 10 مليارات دولار، أي مضاعفة إنتاج التصدير على أن يبدأ الضخ منذ الربع الأول من 2011 أي : شهر إبريل وأصبح الغاز المصري مصدر للطاقة والإنتاج في إسرائيل حيث تعتمد إسرائيل في إنتاجها واستخدام مواطنيها على الثلثين من الغاز المصري بحسب وزارة البنية التحتية الإسرائيلية .

وقال شاؤل تسيماح المدير العام بوزارة البنية التحتية الإسرائيلية : إن تل أبيب ستعاني نقصاً شديداً في الغاز عام 2013 في حالة وقف ضخ الغاز المصري وأن التوقف في أي لحظة سيؤدي إلى ارتفاع تكاليف إنتاج الكهرباء الإسرائيلية ثلاثة أضعاف السعر الأمر الذي سينعكس على الفرد في إسرائيل حيث سيتم إنتاج الكهرباء بواسطة المازوت أو السولار بدلاً من الغاز المصري.

ووفقاً لصحيفة كليكيلست فإن شركة "إي إم جي المصرية" هي من بادرت إلى التفاوض مع شركة الأسمنت نيشر وشركة الورق حدارة وهحفرا لوضع بند اختياري للشركات بتضعيف كميات جديدة من الغاز في أي فترة زمنية ، وأكدت دراسة لمركز عيدكون الاستراتيجي التابع لمعهد دراسات أبحاث الأمن القومي بجامعة تل أبيب تم إصدارها منذ ثلاثة أشهر والتي أعدها شموئيل إيفين حول مستقبل سوق الغاز الطبيعي في إسرائيل أن مصر تعد ثاني أكبر مورد للغاز وهو ما ينطوي على أهمية سياسية كبرى باعتباره أقوى صور التطبيع الاقتصادي بين مصر وإسرائيل حالياً إلى جانب أهميته في تحلية مياه البحر مما سيكون له نتائج إيجابية في تقليص خطر المواجهات في المنطقة غلى خلفية النزاعات المائية . وأتت هذه الاتفاقية فى الوقت الذى تعانى فيه مصر من نقص حاد فى الغاز ومن حاجة ضرورية له لتنمية قرى سيناء المحرومة من سبل الحياة الآدمية .

***فى 2011/5/9** تقدم المواطن "مختار على مهدي" ببلاغ إلى النائب العام المستشار عبد المجيد محمود ضد رئيسي الوزراء الأسبقين "أحمد نظيف" و"عاطف عبيد " ووزير المالية الأسبق "بطرس غالي" يتهمهم بتمكين عدد من رجال الأعمال الإسرائيليين من سرقة ثروات مصر المعدنية من الذهب والألماس عن طريق إصدار قوانين التراخيص والتفتيش.

وطالب"مهدي" في بلاغه بالتحقيق في وقائع لإصدار قوانين تمنح المسئولين الكبار في الدولة الحق في استغلال نفوذهم والتربح من وراء مناصبهم في تكوين شبكة من رجال الأعمال في الشركات متعددة الجنسيات والتي تهدف إلى احتكار الأنشطة الاقتصادية في مصر، مؤكداً ضلوع المتهمين في تهريب كميات كبيرة من سبائك الذهب والمقتنيات الثمينة أثناء سفرهم خارج البلاد.

وأكد البلاغ أن رئيس الوزراء الأسبق "عاطف عبيد" أصدر القرار رقم 222 لسنة 1994 بالمشاركة بين الحكومة المصرية وشركة استرالية تضم عدداً كبيراً

من رجال الأعمال الإسرائيليين بهدف سرقة مناجم الذهب والبراميه ومناجم السكري وأبو مروات الموجودة في الصحراء الشرقية والتي تحقق أرباحاً سنوية تتعدى الأربعة مليارات جنيه تعود بالنفع المباشر على الشركة الاسترالية الجنسية المملوكة لإسرائيليين .

* **فى 2011/6/7** قال رئيس الشركة القابضة للغازات المصرية : إن هناك جلسة مفاوضات جديدة سوف تبدأ خلال الأيام القليلة القادمة لمراجعة عقود تصدير الغاز لإسرائيل بحضور الشريك الأجنبي في الصفقة " يوسي ميمان". رئيس شركة "امبال الأمريكية" وسيتم خلال الجلسة عرض مطالب الطرفين للوصول إلي صيغة توافقية ترضي جميع الأطراف .

وفي سياق متصل كشفت الدراسات الصادرة عن الهيئة الدولية لبحوث السرطان عن أن معدلات الإصابة السنوية بمرض السرطان في مصر وصلت إلى ثلث متوسط الإصابة السنوية العالمية بالمرض كما أن مصر يوجد بها نحو نصف عدد المصابين بمرض السرطان في دول العالم النامي وذلك بمعدل إصابات 87 رجلاً من بين كل 10 آلاف في الرجال و86 أنثى من بين كل 10 آلاف أنثى.

<u>* **فى 2011/8/23**</u> تمت تقوية الاشارة الصادرة عن شركة موبينيل المصرية المختصة بالتليفون المحمول ، بمنطقة العوجه وتوجيه أغلب الهوائيات لإسرائيل لتمرير المكالمات الدولية والتنصت على مصر. وقد أكد مدير التخطيط بموبينيل للصحف أنهم قد أقاموا المحطة بعد توقيع اتفاقية " الكويز" بين مصر واسرائيل.

***فى 2011/9/29** قامت الشرطة المصرية بتدمير ثلاثة أنفاق علي الشريط الحدودي مع قطاع غزة وذلك في محاولة لضبط وتحديد هوية المنفذين لعملية تفجير محطة الغاز في العريش وذلك في منطقتي صلاح الدين والبراهمة.

وقال مصدر أمني – للصحف : إن عملية تدمير الأنفاق كانت بطريقتين مختلفتين حيث جرت الطريقة الأولي في نفق بمنطقة البراهمة بالتفجير لبعد النفق عن المنطقة السكانية وقد جرت عملية تدمير النفق في حي صلاح الدين السكني وذلك بطريقة الردم بالحجارة والرمال وبعملية التدبيش وذلك لوقوع النفقين في منطقة سكانية.

وأضاف المصدر أنه تم الاتصال مع الحكومة في غزة للتأكد من خلو الأنفاق من المهربين خشية على أرواحهم وذلك قبل عملية التدمير.

من جانب أخر أكد اللواء خالد فوده محافظ جنوب سيناء – أن منفذ طابا البري استقبل يوم 2011/9/28 نحو 2124 سائحاً إسرائيلياً ، عبروا إلي مدينة شرم الشيخ وطابا ونويبع.

وأكد فوده أن أجهزتنا وجنودنا البواسل علي الحدود في حالة يقظة تامة ونفي الادعاءات الاسرائيلية ودخول أي عناصر ارهابية لإسرائيل عن طريق الحدود الاسرائيلية .

وأكدت وسائل الإعلام أن الإسرائيليين يفضلون منتجعات سيناء ؛ لأنها الأرخص والاكثر أماناً لهم.

***

ثانياً : ركائز استراتيجية التطبيع ومحاولات مقاومتها بعد الثورة :

من خلال قراءة وقائع التطبيع بعد الثورة يمكننا الخروج بنتائج محددة تتصل بمحددات الموقف الإسرائيلى من التطبيع مع مصر بعد ثورة يناير والتى تتمحور فى المحددات الثلاثة التالية :

(ا) الخوف والترقب:

لم يكن الاسرائيليون في فلسطين المحتلة، أو خارجها يتوقعون – أو يتمنون– وقوع الثورة المصرية، فقد بات حسني مبارك (ونظامه) كنزاً استراتيجياً لهم

بحسب وصف وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي السابق بنيامين بن إليعازر في مايو 2010م، ووصل التقدير الصهيوني لحسنى مبارك ونظامه، أن أعلن الحاخام الإسرائيلي يوسف عوفيديا في يوليو 2010م أنه يصلي للرب من أجل شفاء حسني مبارك وتمتعه بالصحة.

رغم أن وسائل الإعلام الإسرائيلية قد تابعت باهتمام ما وقع في مصر يوم 25 يناير، اليوم الذي بدأت فيه التظاهرات ضد سياسات النظام، فإن سياسييها خرجوا بتطمينات للإسرائيليين بأن الأمور في مصر تحت سيطرة صديقهم مبارك، وأن نظامه قوي بما يكفي للتغلب على الاحتجاجات. تجلى ذلك في تصريحات بنيامين بن إليعازر لإذاعة الجيش الإسرائيلي "كول صاهيل" صباح الأربعاء 26 يناير 2011م، قائلاً:" لا خوف على استقرار النظام المصري، لأنه نظام قوى ويحكم سيطرته بقوة على البلاد". وهي التصريحات التي نقلتها عنه جريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية.

وأوضح الوزير الإسرائيلي السابق أن نظام الحكم في مصر هو نظام الرجل الواحد الذي يقف خلفه قوات الأمن والأجهزة الأمنية الرفيعة للغاية التي تحكم سيطرتها على الدولة بقوة.

وأصدرت الخارجية الإسرائيلية بيانا ، عقّب عليه أيالون خلال مداخلة إذاعية للإذاعة العامة الإسرائيلية في الليلة نفسها، مؤكدا أن "السلام مع مصر راسخ"، وأن إسرائيل لا تخشى أن يتم النيل من معاهدة السلام الإسرائيلية . المصرية في أعقاب هذه التطورات.

وهو الموقف الذي استمر حتى يوم الخميس 27 يناير 2011 وتجلى في تصريحات رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي سابقا "آمان" الجنرال احتياط، أهارون زائيفى فركش، للإذاعة العامة الإسرائيلية صباح الخميس، وقوله : إن قوات الأمن المصرية قادرة على لجم المظاهرات والسيطرة على الموقف الآن بسرعة لتقليص بؤر التوتر.

ورغـم هـذه التصـريحات المتفائلـة، فقـد حـذرت وزارة الخارجيـة الإسـرائيلية الإسرائيليين في بيان صادر صباح اليوم نفسه من السفر إلى مصر في الأيام الجاريـة، وأوصـت الإسـرائيليين المقيمـين فـى مصـر بضـرورة الانتبـاه وإطـلاع السفارة الإسرائيلية بالقاهرة بأوضاعهم أولاً بأول والاستماع للتوجيهات والابتعاد عن أماكن المظاهرات. ونصحت تل أبيب جميع الإسرائيليين بمغادرة مصر محملة كل من يبقى هناك المسئولية عن سلامته الشخصية.

في الأيام التالية بدأ ذلك التفاؤل الصهيوني في التضاؤل والتبدد، وبدأ التفكير فـي مستقبل معاهدة السـلام، فقد أعلـن الجـيش الإسـرائيلي حالـة الطـوارئ بـين صفوف قواته صباح الخميس، 3 فبراير 2011م، وهو اليوم التالي لما عُرف بموقعة الجمل، وأكد رئيس هيئة الأركان الإسرائيلية الجنرال، جابى أشكنازى، في تصريحات نقلتها صحيفة "هاأرتس" ، أن جيشه قوى بما فيه الكفاية للتعامل مع التحديات التي يواجهها، سواء بسبب توتر الأوضاع على الجبهة الشمالية مـع لبنـان وسـوء الأحوال بمصـر، مؤكداً أن الجيش الإسـرائيلي يواصـل تقيـيم الأوضاع على خلفية الأحداث في مصر.

وقال رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو : إن دولته تنتظر من أي حكومة مصرية أن تحتـرم معاهـدة السـلام الموقعـة بـين البلـدين، وأن يطـابق موقـف المجتمـع الدولي الموقف الإسرائيلي في هذا الشأن.

كان القلق على مستقبل معاهدة السلام يعكس القلق الإسرائيلي من احتمالات المستقبل في مصر، والخشية من انهيار نظام حسني مبارك بما يحتمل وصول تيارات سياسية، أو أشخاص معادين لإسرائيل ، للسلطة في مصر.

كـان الإسـرائيليون يـدركون أنهـم مـع حسـني مبـارك فـي أفضـل وضـع يمكـن الوصول إليه على مستوى العلاقات الرسمية مع مصر، وعلى مستوى التطبيع، خاصة أن الرجل في سنوات حكمه الثلاثين حافظ على علاقة نظامه بهم، رغم ما قاموا به من اعتداءات ومذابح في فلسطين ولبنان وعلى الحدود المصرية،

ونجح في جر الحكومات العربية جميعها، بلا استثناء، إلى خطيئة الاعتراف بالدولة الصهيونية والتنازل لها عما اغتصبته من أرض فلسطين، والاستعداد للتطبيع الشامل معها، وذلك في إطار ما يسمى "المبادرة العربية للسلام" التي وافق عليها العرب مجتمعين في قمة بيروت عام 2002م.

ويدركون كذلك أن الرجل (ونظامه) في سنواته الأخيرة دفع عجلة التطبيع لمدى أبعد، بإبرامه اتفاقية الكويز، وبيعه الغاز المصري لهم بأبخس ثمن، متحدياً الإرادية الشعبية في مصر ، وهو ما يعني أن غياب ذلك الرجل (ونظامه) في ثورة شعبية تطالب بالعدالة والحرية، سيقضي بالضرورة على ما قدمه الرجل للكيان الصهيوني من خدمات وتنازلات.

كانت نتائج الثورة الإيرانية حاضرة في أذهان ساسة الكيان الصهيوني، وكيف أدى نجاحها وهيمنة الإسلاميين عليها إلى قطع العلاقات بين إيران والكيان الصهيوني، وتحويل النظام الإيراني من حليف قوي إلى عدو قوي لإسرائيل، وهو ما خشي الإسرائيليون من تكراره في مصر، لذا نجد رئيس الدائرة السياسية الأمنية في وزارة الدفاع الإسرائيلية الجنرال احتياط "عاموس جلعاد" يحذر من أن صعود الإخوان المسلمين في مصر سيقلب موازين القوى في منطقة الشرق الأوسط، وأنه سيجر إلى المنطقة إلى دوامة من عدم الاستقرار، وذلك حسب تصريحات نقلتها صحيفة معاريف الإسرائيلية يوم الجمعة 4 فبراير 2011م.

وفي اليوم التالي كرر شيمون بيريز (رئيس إسرائيل) التحذير نفسه، خلال كلمة ألقاها أمام مؤتمر اللوبي المؤيد لإسرائيل في أوروبا، قائلاً : إنه يشكر مبارك على ما قدمه "من أجل السلام" مع الكيان الصهيوني، وإن الإخوان المسلمين "لن يجلبوا السلام حتى إذا تم انتخابهم بصورة ديمقراطية".

وفي اليوم نفسه(5 فبراير 2011م) كان التفجير الأول لخط الغاز المصري المتجه للأردن والكيان الصهيوني، إشارة أولى لما يمكن أن يؤدي إليه نجاح الثورة المصرية فيما يخص العلاقات مع ذلك الكيان.

وفي صورة عملية تجسد المخاوف الصهيونية مما يحدث في مصر، أمر رئيس الوزراء الإسرائيلى (بنيامين نتانياهو) بسرعة بناء الجدار الفولاذي على الحدود مع مصر. وذكرت صحيفة هاأرتس (عدد 6 فبراير 2011م) أن نتانياهو يسعى لتطوير حقل الغاز الفلسطيني بالقرب من شواطئ غزة، ليكون بديلاً في حال قطع الغاز المصري، كما يسعى لتمديد خط القطار بين إيلات وأشدود ليكون بديلاً في حال إغلاق قناة السويس أمام الإسرائيليين.

وفي العدد نفسه نقلت الصحيفة عن مسئول إسرائيلي وصفته بـ"الرفيع" تأكيده، أن الأزمة في مصر تعد الحدث المركزي الأكثر تأثيراً في الشرق الأوسط خلال عشرات الأعوام الأخيرة، وأن ما يهم الدولة الصهيونية في هذه المرحلة هو الحفاظ على السلام مع مصر.

ومع تصاعد أحداث الثورة واقترابها من تحقيق مطلبها الأول، وهو خلع الرئيس المصري، دعا رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، جابى أشكنازى، الجيش الإسرائيلي للاستعداد للحرب على أكثر من جبهة، وذلك على ضوء ما وصفه بأنه" ازدياد قوة المعسكر الراديكالي على حساب المعسكر المعتدل في القيادة العربية التقليدية"، وهي إشارة إلى احتمال فقدان نظام مبارك، الذي ما فتئ يؤمن للصهاينة الجبهة الجنوبية.

وأكد أشكينازي، الذي كان يتحدث في مؤتمر "هرتسيليا الأمن القومي، (في السابع من فبراير 2011م) أن "السلام مع مصر ذخر استراتيجي لإسرائيل، وآمل أن يسود الاستقرار مصر، ولكن من الصعب توقع المستجدات".

أما نائب وزير الخارجية الإسرائيلية، دانى أيالون، فقد رحب في اليوم نفسه بما اعتبره تغيراً من حكومة الولايات المتحدة نحو حسني مبارك، إذ بدأت تتعامل معه بقدر أكبر من الاحترام، وهي تصريحات تعكس رغبة إسرائيلية في أن تساند الولايات المتحدة نظام مبارك كي لا يسقط.

* ومع تطور أحداث الثورة، وتضاؤل الأمل في بقاء مبارك في الثلاثة أيام الأخيرة قبل تنحيه، منعت الحكومة الإسرائيلية مسئوليها من إطلاق تصريحات بخصوص التطورات في مصر، وأكد المصدر الحكومي الذي صرح بهذا للإذاعة الإسرائيلية (الخميس 10 فبراير) : إن هناك احتمالات جيدة بأن يظلّ السلام بين إسرائيل ومصر قائماً.

وكما كان شبح الثورة الإيرانية مصدراً لمخاوف الصهاينة وذعرهم من الثورة المصرية، فقد ظهرت أيضاً مخاوف أخرى ، فقد كشفت مصادر إسرائيلية وغربية رفيعة لصحيفة معاريف الإسرائيلية (عدد 10 فبراير) ، أن نتانياهو، يلح على الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد الصيغة المناسبة لكى يتم نقل السلطة بسرعة داخل النظام المصري، تحسباً من أن يأتي نظام آخر يمكن أن يكون إسلامياً قد يكون خطراً على الإسرائيليين .

وأوضحت معاريف، أن هذا ليس السيناريو الوحيد الأرجح على حد قول المصادر، حيث يمكن أن يأتي إلى الحكم إحدى الشخصيات المستقلة، التي تحظى بقبول شعبي واسع ولها صلات قديمة داخل المؤسسة العسكرية مما يعنى أن مصر، يمكن أن تتحول إلى تركيا أخرى، وهذا ما يزيد التخوف داخل الأوساط السياسية الإسرائيلية.

وتعليقاً على الخطاب الأخير لحسني مبارك ليلة تخليه عن السلطة (10 فبراير)، قالت وسائل الإعلام الإسرائيلية : إن الحكومة الإسرائيلية تتابع من كثب تطورات الأوضاع في مصر لحظة بلحظة، ونقلت عن نتانياهو أمله في أن تلتزم أي حكومة مصرية قادمة بمعاهدة السلام.

كما نقلت تعليقاً من وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك، نصه: "تل أبيب لن تتدخل فى شئون القاهرة.. والشعب المصري سيحكم نفسه.. وإجراء الانتخابات بعد فترة قصيرة قد يؤدى إلى انتصار الإخوان المسلمين " .

أما صحيفة معاريف (عدد 11 فبراير) فقد نقلت عن رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية السابق الجنرال احتياط، عاموس يدلين، قوله : إنه في حال تحقيق التوقعات السلبية لنتائج الثورة الشعبية في مصر ضد النظام الحاكم، فإن إسرائيل ستكون مضطرة لإعداد ميزانية دفاع جديدة، وبناء قوات إضافية، وإعداد خطط عسكرية مختلفة تماما.و"التوقعات السلبية" التي يقصدها هي إسقاط مبارك ونظامه..

وقال يدلين خلال حديثه أمام مؤتمر "هرتسليا" :" إن مصر إذا عادت إلى صفوف أعداء إسرائيل فإن نظام تشكيلات الألوية لإسرائيل يجب أن يكون مختلفاً تماما"، مضيفا "لكن هذا الشيء لن يحدث بسرعة ولدينا الوقت الكافي، لأن هذا الأمر لن يحدث في ليلة واحدة".

كذلك دعا يدلين للتفرقة بين مبارك كشخص، ونظام حكمه، قائلاً : إن تغيير مبارك كشخص قد يتم فوراً، أما تغيير نظام حكمه فسيأخذ وقتاً، وهذا في صالح إسرائيل " .

وحتى إن تولت السلطة في مصر جهة معادية لإسرائيل فإنها ستحتاج لوقت للانتقال من حال الصلح لحال الحرب مع الكيان، وهذا سيعطي مزيداً من الوقت لإسرائيل لتستعد للحرب!! "

وحين أُجبر مبارك على ترك منصبه مساء الجمعة 11 فبراير، خرجت صحف السبت الإسرائيلية تحمل تصريحات حكومية إسرائيلية تدور كلها حول الأمل في التزام القيادة المصرية القادمة بالمعاهدة، فخرجت صحيفة يديعوت أحرونوت بالبنط العريض تحت عنوان "انتصر الشعب المصري وسقط مبارك.. وتل أبيب تترقب".، وهو المعنى الذي أكدته الإذاعة الإسرائيلية، وصحيفة هاأرتس.

وفي صباح الثالث عشر من فبراير خرجت الصحف الإسرائيلية بنبأ ترحيب نتانياهو بإعلان الجيش المصري احترام معاهدة السلام، وبأنباء عن فتح مقر السفارة الإسرائيلية بالقاهرة في اليوم التالي.

وزعمت يديعوت أحرونوت أن إيهود باراك، أجرى اتصالا هاتفيا مع رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية، محمد حسين طنطاوي، دون الإشارة إلى تفاصيل الاتصال.

هذا عن الذعر الإسرائيلي من تطور الثورة المصرية ونجاحها في خلع رجلهم الأول في مصر، فماذا عن المساعدات التي قدموها لمبارك ونظامه؟

(2) محاولة دعم نظام مبارك:

حاول الإسرائيليون تقديم الدعم السياسي لحسني مبارك لدى الولايات المتحدة والغرب أثناء الأزمة، وفي هذا الصدد رأينا كيف أثنى بيريز على مبارك في كلمته أمام مؤتمر اللوبي المؤيد لإسرائيل في أوروبا، كما نشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية في عددها بتاريخ 31 يناير 2011م وقوله : " ان تل أبيب أوصلت في الأسبوع السابق رسالة سرية إلى الولايات المتحدة ودول أوروبية تطلب منها دعم استقرار نظام حسني مبارك، لأنه "من مصلحة الغرب وكل الشرق الأوسط الحفاظ على استقرار النظام في مصر" ، وأنه "يجب وقف الانتقادات العلنية للرئيس حسني مبارك".وقد كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت في صدر صفحتها الأولى يوم الاثنين (7 فبراير 2011م) عن المحاولات التي تجريها السفارة الإسرائيلية بواشنطن لتنسيق عدة لقاءات بين إيهود باراك، مع مسئولين في الإدارة الأمريكية لبحث الأوضاع في مصر ومستقبل الحكم بعد رحيل مبارك عن السلطة " .

وأشارت يديعوت أحرونوت إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتانياهو وباراك اتفقا على أن يتوجه الأخير إلى الولايات المتحدة، وأن الموضوع الرئيس الذي ستتناوله هذه الزيارة هو تخلي الإدارة الأمريكية صراحةً عن الرئيس حسني مبارك، وتسليمها بمحاولة الانقلاب الشعبي السائد في مصر ضد النظام، لا سيما وأنه منذ 30 عاما يُعتبر حليفا مخلصا لأمريكا والدول الغربية وإسرائيل.

ولفتت الصحيفة إلى أن إسرائيل تشعر بالقلق الكبير جراء تصرفات الإدارة الأمريكية فى تعاملها مع ما يحدث في مصر، مضيفة أن سفر باراك المحتمل إلى واشنطن جاء بناءً على طلب متكرر من الرئيس مبارك إلى المسئولين الإسرائيليين، الذين عمل معهم منذ عقود.

ولم يقتصر الأمر على الدعم السياسي، فقد تواترت الأنباء عن استخدام قوات الأمن المصرية يوم جمعة الغضب (28 فبراير 2011م) وما تلاها ، قنابل مسيلة للدموع وأسلحة قناصة إسرائيلية، وأصدرت الشبكة الدولية للحقوق والتنمية يوم الاثنين 31 يناير 2011م بياناً جاء فيه أنّ 3 طائرات إسرائيلية قد حطّت يوم السبت 29 فبراير بأرضية مطار ميناء القاهرة الدولي حاملة شحنة كبيرة من غاز محرم دولياً يستخدم في تفريق المتظاهرين، وأن ذلك يأتي في إطار دعم إسرائيلي لنظام حسني مبارك.

3 . محاولات اختراق الثورة:

بنجاح الثورة في خلع حسني مبارك، وتحولها لقدر لا مفر منه، تحول الإسرائيليون من مقاومة الثورة بشكل مباشر إلى محاولة اختراقها، واختراق النظام الجديد في مصر، والهدف هو الحفاظ على مصالح الكيان الصهيوني وبقائه، فهم يدركون أن الاعتراف المصري بكيانهم، وخروج مصر الرسمية من ساحة الصراع العربي الصهيوني يضمنان لذلك الكيان البقاء، ومع البقاء تتأكد مصالحه فى فلسطين والمنطقة العربية .

4 – بعض مسارات التطبيع بعد الثورة:

مع قيام ثورة يناير توقفت – مؤقتاً – أنشطة التطبيع مع إسرائيل، وذلك في إطار الشلل الذي أصاب مجالات عديدة في مصر،خلال الثمانية عشر يوماً التي قضاها المعتصمون في ميدان التحرير، بل إن السفارة الإسرائيلية أغلقت مقرها، خوفاً من الهجوم عليها في ظل غياب قوات الشرطة، ومع اتجاه

الأحداث لنجاح الثوار في خلع مبارك، انتقل الأمر لدى الإسرائيليين من أزمة توقف التطبيع إلى تهديد بقاء معاهدة الصلح نفسها في حال نجاح الثورة.
مع تولي المجلس العسكري للسلطة خلفاً لحسني مبارك، سعى الإسرائيليون لإعادة فتح سفارتهم في القاهرة، واتصلوا بالناشط وائل غنيم وأجروا معه حواراً – كما ذكرت العديد من وسائل الإعلام – كما عرضوا فكرة إجراء اتصالات وحوارات مع د.يوسف القرضاوي، وأرسلوا وفودهم ومسئوليهم إلى مصر للقاء رئيس المجلس العسكري ووزراء الحكومة، كما استعانوا بالأمريكيين وحلفائهم الغربيين للتيقن من نوايا المجلس العسكري نحو معاهدة السلام.
أما المجلس فقد أرسل فور توليه السلطة رسالة تطمين ضمنية للكيان الصهيوني بأنه سيحترم كافة المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية التي أبرمها النظام السابق (نظام أنور السادات/ حسني مبارك)، وهذا معناه أنه وحكومته ملتزمان بتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وفق نصوص معاهدة السلام مع إسرائيل، بما يعني نظرياً أن تستمر وتيرة التطبيع على ما كانت عليه في عهد حسني مبارك، بل أن تزيد تلك الوتيرة لأنها ظلت دون المنصوص عليه في المعاهدة طوال ذلك العهد، بسبب الرفض الشعبي للتطبيع، خاصة أن رجال الجيش الذين يمثلون المجلس العسكري، هم أنفسهم من عملوا مع حسني مبارك طوال ثلاثين عاماً ولم يؤثر عن أحدهم رفض أو اعتراض على العلاقات الرسمية مع إسرائيل أو مظاهر التطبيع معه، ولكن مع ثورة شعبية (2011/1/25) ظهر فيها العداء لإسرائيل بشكل لافت ، لم يكن ممكناً لخلفاء حسني مبارك أن يستفزوا مشاعر الجماهير بخطوات تطبيعية جديدة، أو حتى الحفاظ على مستويات التطبيع الأخيرة، بل كانت سياسة "إمساك العصا من المنتصف" ، هي الملاذ الذي لجأ إليه المجلس في تلك القضية، فحافظوا على الممكن من أنشطة التطبيع، ورفضوا استئناف الأنشطة

المستفزة، وأدخلوا بعض التعديلات على بعض الأنشطة الأخرى، ونتيجة لذلك تم ما يلى فى العام الأول من الثورة (2011) :

. في مجالات الثقافة والفن والرياضة:

اختفت – مؤقتاً – صور التطبيع في مجالات الفن والرياضة والثقافة، خلال أحداث الثورة وما تلاها خلال عام 2011 ، فلم تُرصد حالات محددة ، بل إن بعض الفنانين والمثقفين ممن اتهموا بالتطبيع إبان عصر حسنى مبارك ، ظهروا فى الميدان مشاركين فى المظاهرات ومنهم (خالد النبوى) – محمود قابيل وغيرهم وتم التخلص من النقباء المؤيدين لنظام مبارك عبر الانتخابات كما جرى فى نقابة الممثلين مع (أشرف ذكى) .

. في المجال الاقتصادي:

توقفت مصانع الكويز عن العمل في بداية فبراير 2011م، بسبب إغلاق الموانئ وإغلاق سيناء والاضطرابات فى شبكة الإنترنت، وتم استئنافها في بدايات مارس التالي، حسبما نشرت صحيفة معاريف في عدد 2011/3/6م.

وهذا يعني أن التطبيع الصناعي لم يتوقف بعد الثورة، إلا أسابيع قليلة ولأسباب متعلقة بالأوضاع الأمنية ، بشكل رئيس، وعاد لما كان عليه، دون أي تغيير.

أما التطبيع الزراعي فقد ذكر بعض قيادات وزارة الزراعة المصرية أنه متوقف منذ قيام الثورة، بينما يؤكد بعض العاملين بالوزارة أنه مستمر ولكن دون غطاء إعلامي، وعموماً لم يذكر جديد في هذا الملف من بعد قيام الثورة بخلاف الطماطم الإسرائيلية التي وجدت في الأسواق في الأشهر التالية على خلع حسني مبارك – كما أشرنا من قبل – وإن كان بادياً أن رجال التطبيع كانوا لا يزالون يسيطرون على المناصب القيادية في وزارة الزراعة طيلة عام 2011 ، ولأن التطبيع الزراعي هو من أقدم مجالات التطبيع مع العدو الصهيوني، وأكثرها نشاطاً وتشابكاً، فلا نعتقد أنه توقف بمجرد خلع حسني مبارك، أو تغيير وزير الزراعة لأكثر من مرة، فذلك القطاع مقيد باتفاقات ومشاريع بحثية

مشتركة لا يمكن وقفها وتفكيكها إلا بقرار سياسي واضح وحازم، وهذا ما لم يحدث فى المرحلة التالية لثورة يناير 2011 إلا أنه قد صدرت بعض القرارات للتخفيف من حدة التطبيع، أو للتعاطي مع الرأي العام الغاضب، كما حدث حين قرر وزير الزراعة المصري وقف تصدير سعف النخيل للكيان الصهيوني في أعقاب الاعتداءات الصهيونية على الحدود المصرية في أغسطس (2011م)، ولكن تبقى المزارع المشتركة والشركات التي تستورد البذور والمبيدات الإسرائيلية والخبراء الإسرائيليون دليلاً ملموساً على استمرار التطبيع الزراعي، حتى لو خفت درجته وفعالياته!!

على المستوى التجاري، ذكرت صحيفة معاريف في عدد 13 سبتمبر 2011م أن مركز الإحصاء المركزي الإسرائيلي في تقرير نشره مساء اليوم السابق أن نسبة الصادرات الإسرائيلية إلى مصر هبطت بصورة كبيرة للغاية بنسبة 33% خلال النصف الأول من 2011م، وهذا ما يعني تأثر التطبيع التجاري بالثورة وما تلاها من أحداث، وإن لم يتوقف ذلك التطبيع تماماً. ولا نملك أرقاماً رسمية عن الصادرات المصرية للكيان الصهيوني فى تلك الفترة.

في المجال السياحي تأثرت أعداد السائحين الإسرائيليين القادمين إلى مصر بالثورة وما تلاها من فعاليات، فقد حذرت إسرائيل رعاياها من السفر إلى مصر عقب 25 يناير، ونصحت للموجودين بمصر أن يغادروها لعدم استقرار الأوضاع الأمنية، وذلك في بيان أصدرته وزارة الخارجية الإسرائيلية صباح 27 يناير 2011 . ورغم ذلك فإن دخول الإسرائيليين لمصر لم يتوقف نهائياً، خاصة أن تواجدهم السياحي يتركز في محافظة جنوب سيناء البعيدة عن مراكز الثورة الساخنة في القاهرة والسويس والإسكندرية.ومن مؤشرات ذلك ما ذكرته الإذاعة الإسرائيلية يوم 6 مارس 2011م عن نفي السفارة المصرية في إسرائيل ما نشر في اليوم السابق عن وقف إصدار تأشيرات الدخول لمصر، وقد أكد مصدر دبلوماسي في السفارة أنها تواصل إصدار تأشيرات الدخول.

ويوم 21 إبريل 2011 نشرت صحيفة معاريف، أن آلاف الإسرائيليين تجاهلوا التحذيرات التى أطلقتها "هيئة مكافحة الإرهاب الإسرائيلية"، وجهاز الموساد الإسرائيلي من السفر إلى مصر والدول المجاورة، خوفاً من محاولات اختطافهم والمساومة عليهم، حيث وصلوا إلى سيناء عبر معبر طابا بهدف التنزه والسياحة والصيد ولقضاء إجازة عيد الفصح اليهودى.

تبقى القضية الأكثر استفزازاً للمصريين خلال السنوات السابقة لثورة يناير والشهور التالية لها – كما سبق وأشرنا – وهي قضية تصدير الغاز المصري لإسرائيل، فرغم ما تحتويه هذه القضية من إضرار بالمصالح المصرية، يتمثل في تصدير سلعة إستراتيجية مثل الغاز، يجب قصر الاستفادة منها على المصريين وحدهم، والأدهى أنها تُصدر لعدو مصر والعرب (بحسب المصادر الإسرائيلية ، فإن الغاز المصرى يلبى 43% من احتياجات إسرائيل من الغاز الطبيعى)، وليت ذلك بالثمن المتعارف عليه في الأسواق، بل بثمن بخس يوفر ملايين الدولارات للإسرائيليين يوميا!! رغم كل ذلك فإن المجلس العسكري لم يقم بإلغاء هذه الصفقة، وكل ما فعله هو التفاوض مع الصهاينة لرفع سعر التصدير إلى السعر العالمي، وكأن المشكلة كلها تكمن في الثمن البخس للتصدير، وليست في التصدير ذاته، وعقب كل مرة من المرات الـ14 لتفجير خط الغاز في عهد المجلس كان المجلس يعيد تشغيله، رغم أنه لا توجد اتفاقية رسمية أو دولية تلزم مصر بتصدير الغاز لإسرائيل ولكنها اتفاقات شركات خاصة – كما سبق وأشرنا – وكان حسين سالم هو صاحبها أو المشارك الأبرز فيها . لقد توقف تصدير الغاز لاحقاً (2013) ولفترة تحت دعوى أسباب لها علاقة بالأسعار وليس بالسياسات !! .

<u>. في مجالات التعاون الأمنى والمخابراتى :</u>

زادت العلاقات بين المجلس العسكري وبين الكيان الصهيوني في المجال الأمني، وتركز التعاون على جهود حماية السفارة الإسرائيلية بالقاهرة، وعلى نشاطات غامضة أجريت عسكرياً على الحدود مع غزة .

فمن أجل تأمين السفارة من المظاهرات الغاضبة المتكررة لشباب الثورة، نسقت جهات الأمن المصري مع الجهات الأمنية الصهيونية لمنع اقتحام السفارة، وفي الليلة التي نجح فيها الثوار في اقتحام العقار الذي تقع به السفارة، نجح رجال الأمن الإسرائيليين في إنقاذ طاقم العاملين بالسفارة ونقلهم خارجها بالتنسيق مع رجال الأمن المصري!!

وفي 18 سبتمبر 2011م كشفت صحيفة "معاريف" عن وصول وفد أمنى إسرائيلي سراً إلى القاهرة في الأسبوع السابق لهذا التاريخ ، من أجل البحث عن موقع جديد لمقر السفارة الإسرائيلية، وقالت الصحيفة : إن الوفد تركز بحثه في ضواحي القاهرة.

وفي منتصف أغسطس 2011م وفي المنطقة الحدودية بسيناء، جرت عمليات أمنية مشتركة مع الجيش الإسرائيلى من أجل ما قيل إنه تعقب لعناصر إرهابية تابعة لتنظيم القاعدة، وقد أدت إحدى تلك العمليات لمقتل وإصابة عدد من أفراد الأمن المصريين في الثامن عشر من الشهر نفسه، وهو ما كان السبب في محاصرة الشباب المصري للسفارة الإسرائيلية بالقاهرة وإنزالهم العلم الصهيوني من فوقها.

وفي سياق التعاون الأمني المشار إليه ذكرت الإذاعة العامة الإسرائيلية أن وفداً عسكرياً إسرائيلياً كبيراً وصل إلى القاهرة يوم 12 سبتمبر 2011م، على متن طائرة خاصة في زيارة قصيرة لمصر يلتقي خلالها عددا من المسئولين المصريين لإطلاع الجانب المصري على تطورات التحقيق الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية في ملابسات مقتل الجنود المصريين على الحدود بين البلدين.

وأوضحت الإذاعة أن لقاء الوفد العسكري الإسرائيلي سيناقش الخطوات التي يمكن اتخاذها لتحقيق الأمن في مناطق سيناء المتاخمة للحدود المصرية الفلسطينية.

كذلك أذاعت القناة السابعة الإسرائيلية يوم الأحد 9 أكتوبر 2011م أن محافظ البحيرة أصدر قراراً بإلغاء الاحتفال اليهودي السنوي بضريح أبي حصيرة (الموجودة بقرية دميتوه بدمنهور)، وهو الاحتفال الذي كان يحضر من أجله مئات اليهود من إسرائيل، ويستمر أسبوعاً يمارسون فيه شعائرهم الدينية ويحيلون فيه حياة أهل القرية لجحيم، بسبب التشديد الأمني الذي تضربه قوات الأمن المصرية على القرية، وما يتردد عما يفعله الصهاينة في أثناء الاحتفال من شرب للخمور وممارسات أخلاقية شاذة .وكانت عودة الاحتفال بالضريح – الذي توقف الاحتفال اليهودي به منذ عام 1945م – من نتائج معاهدة الصلح التي أجراها السادات مع الكيان الصهيوني، وقد كان نظام حسني مبارك حريصاً على خدمة المحتفلين الإسرائيليين وتوفير الأمن والراحة لهم، وحتى حين أصدرت محكمة مصرية حكماً بمنع ذلك الاحتفال سنة 2001م، فإن النظام لم يلتزم بالحكم وسمح للإسرائيليين – كما أشرنا – بإقامة احتفالهم السنوي.

وقد علل محافظ البحيرة قراره بإلغاء الاحتفال، بأنه يأتي من باب رفض الإساءة لمشاعر الشعب المصري، وقد يكون هذا صحيحاً مع حرص المجلس العسكري على التخفيف من المظاهر الفجة لتعاون النظام السابق مع الكيان الصهيوني، ولكن لا يخفى أن في الأمر جانباً أمنياً وهو خشية أن يتحول الاحتفال لمناسبة جديدة للتظاهر ومحاصرة الإسرائيليين في القرية، وتحول الأمر لمشكلة دبلوماسية جديدة تضع المجلس بين الشعب المصري الرافض للتطبيع، وبين الإسرائيليين والأمريكيين الراغبين في استمرار سياسات النظام السابق نحو إسرائيل . وهو تقريباً نفس الأمر الذى سعى إليه حكم الإخوان بعد تولى د.

محمد مرسى الحكم (2012/6/30) إلى (2013/6/30) إلى أن تمت إزاحته بانتفاضة شعبية واسعة .

***

ثالثاً : مستقبل اتفاقية السلام والعلاقات مع مصر من وجهة النظر الإسرائيلية :

وفقا لما اوردته وسائل اعلام اسرائيلية مختلفة, فان اسرائيل واصلت خلال عام 2011 والفترة التالية لثورة يناير تعزيز وجودها على الحدود مع كل من الاردن ومصر في ظل مخاوف من انهيار النظام الأردني واستبعاد عودة العلاقات مع النظام المصري إلى ما كان عليه الحال في عهد الرئيس حسني مبارك.

وتقول التقارير وفقا لما جاء بالاذاعة العسكرية الاسرائيلية : إنه في ظل المخاوف الاسرائيلية من التطورات الحاصلة في مصر وإمكانية إنتخاب قيادة مصرية تتبنى وجهة نظر الشعب المصري المعادي لاسرائيل تضاعف سلطات الاحتلال جهودها لتشييد جدار أمني كبير ، لا يمكن اختراقه على طول الحدود مع صحراء سيناء المصرية التي تشكل مصدراً لعمليات التسلل وتهريب الأسلحة.

وكان المحلل والخبير الإسرائيلي ليلاخ شوفال قد قال عام 2011 في صحيفة 'إسرائيل اليوم' الإسرائيلية : إن أجهزة الأمن الإسرائيلية أوضحت أن عدم اليقين في مصر كبير، لأنه ليس من الواضح أي حكومة ستنشأ بعد الانتخابات، وكم ستقوى مكانة الإخوان المسلمين.

مضيفا أنه ثار خوف شديد داخل تل أبيب من أن تغيير الوضع في مصر قد تكمن فيه أخطار أكبر على إسرائيل، تشمل زيادة محاولات القيام بعمليات من سيناء.

وكان وزير شؤون حماية الجبهة الداخلية الاسرائيلية متان فلنائي' قد قال أيضاً في سياق مقابلة إذاعية اسرائيلية : إن الجيش الإسرائيلي يتخذ تدابير وقائية

واسعة جدًا بما في ذلك إقامة العائق البري لمنع التسلل إلى اسرائيل. وقال : إنه من الصعوبة أن تبقى العلاقات مع مصر على ما كانت عليه في الماضي، مؤكداً على أن ما يجري حاليا في مصر هو شأن مصري داخلي، وأن أي تدخل خارجي فيه سيكون خطأ فادحاً.

تباين في الرؤى:

قال رئيس الدائرة السياسية الأمنية في وزارة الأمن، عاموس جلعاد قد قال عام (2011) ، في حديثه مع الإذاعة الإسرائيلية "ريشيت بيت" : إن لإسرائيل علاقات ممتازة مع السلطات المصرية، وأضاف أنه يجب عدم التوقف عن بذل الجهود لإقناع مصر بسد طرق تهريب الصواريخ والوسائل القتالية إلى قطاع غزة.

وشدد جلعاد على أن العلاقات ممتازة مع مصر، وأنه يوجد نتائج عملية لهذه العلاقات، يتمثل في تمسك السلطات في مصر بمعاهدة السلام، والهدوء لا يزال سائداً في الجنوب، والإفراج عن جلعاد شاليط قد تم ، كما تجدد ضخ الغاز المصري لإسرائيل.

بينما أعرب وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق بنيامين بن إليعازر عن خشيته من مستقبل العلاقات مع الجانب المصري، وذلك لمرحلة ما بعد نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، وقال بن إليعازر، في تصريحات أدلى بها للإذاعة الإسرائيلية : "إن مستقبل العلاقات الإسرائيلية المصرية يثير القلق، مشيراً إلى أنه "قد لا يبقى أمام إسرائيل مناص من الاستعداد لاحتمال تحول مصر إلى دولة مواجهة". معربًا عن قلقه من أن "مستقبل مصر موجود بيد الجماهير المصرية، التي تكن لنا العداء".

من جهة أخرى؛ أكد النائب في "الكنيست" الإسرائيلي أنه "يتعين على إسرائيل بذل كل جهد مستطاع من أجل الحفاظ على العلاقات مع القاهرة؛ لأن مصر شريك استراتيجي من الدرجة الأولى". وتوقع بن إليعازر أن تؤدي الانتخابات

التشريعية في مصر إلى "تغيير ملامح هذا البلد بين عشية وضحاها ؛ لأن ثلث الأعضاء على الأقل سيكونون من المحسوبين على حركة الإخوان المسلمين"، حسب قوله. وهو ما تم بالفعل فى مصر !! .

ويبدو للمتابعين للموقف الإسرائيلى فى العام الأول (2011) التالى لثورة يناير أنه الرغم من تباين مواقف الخبراء والمحللين "الإسرائيليين" حيال الأوضاع الداخلية في مصر، لكن اتفق الجميع على أن صورة العلاقات بين البلدين ستكون أكثر ضبابية على المدى البعيد، وأن الديموقراطية التي يسعى إليها المصريون في بلادهم لتحقيقها ستكون الوسيلة لقطع العلاقات التطبيعية بينهما ؛ لأنها كانت علاقات برعاية النظام السابق، وليست علاقات شعبية في المقام الأول.

ووفقا لمسار الأحداث وتطوراتها فإن ثمة عدداً من السيناريوهات كانت تخشاها إسرائيل حيال العلاقات المستقبلية مع مصر بعد الثورة في كافة المجالات، ويمكن رصدها من خلال عدة محاور يتبين منها مدى الرعب الذي يعيشه قادة اسرائيل بعد سقوط حسنى مبارك الذى كان نظامه بمثابة الراعى الأول للتطبيع معها .

المحور الأول: فى مجال العلاقات السياسية:

لعل أخطر السيناريوهات التي يضعها قادة اسرائيل في حسبانهم هو مصير معاهدة السلام بين البلدين، التي ظلت قائمة لسنوات طويلة بفضل دعم نظام الرئيس المصري السابق لها؛ حيث تخشى تل أبيب من قدوم نظام جديد يلغى معاهدة السلام بعد فترة انتهاء الحكم العسكري – الذي تعهد بتمسكه بتنفيذ الاتفاقيات الدولية والإقليمية لمصر، وأكد على ذلك القائد الأعلى للقوات المسلحة المشير محمد حسين طنطاوي في محادثة هاتفية استقصائية من جانب وزير الدفاع إيهود باراك.

وقد عبَّرت عدة عناصر "إسرائيلية" عن مخاوفها من إلغاء معاهدة السلام وتداعياتها العسكرية، وأن البعض حذر من أن ذلك سيعيد افتتاح الجبهة العسكرية الجنوبية "لإسرائيل" مرة أخرى، وهو ما تخشى حدوثه مستقبلاً.

ومما يعكس المخاوف الاسرائيلية حيال مستقبل معاهدة السلام بين البلدين هو ما قاله إيلي شاكيد، السفير الاسرائيلى الأسبق لدى القاهرة بأن الأوضاع الحالية في مصر لا تبدو جيدة بالنسبة لـ "إسرائيل"، معتبراً أنه من الآن فصاعداً التطورات لن تكون مطمئنة بالنسبة للسلام مع مصر وبالنسبة للاستقرار في المنطقة، مشيراً إلى أن السلام مع مصر على وشك دخول نفق الخطر وسوف يكون الثمن هو تدهور العلاقات بين البلدين.

وشدد على أن المصريين الملتزمين بمعاهدة السلام كانوا فقط من فريق الرئيس المخلوع مبارك، لذا ينبغي أن يكون الرئيس المقبل لمصر من هذا الفريق وإلا علينا أن نتوقع المزيد من المشاكل.

واعتبر السفير الاسرائيلى أنه حتى في حال فوز المعارض محمد البرادعي بالرئاسة، حينها لن تكون مصر هي نفسها، ولن يكون السلام هو نفسه في ظل عصر مبارك.

ومن وجهة النظر الإسرائيلية عام 2011 أن محور العلاقات السياسية بين البلدين يشمل كثيراً من القضايا، خلافاً لمستقبل اتفاق السلام، فهناك قضايا كثيرة عالقة كانت محور علاقات بين نظام مبارك واسرائيل، لعل أبرزها على الإطلاق القضية الفلسطينية ومسيرة السلام في الشرق الأوسط، ولعل "إسرائيل" في هذا المجال خسرت أكبر عنصر داعم لها في هذه القضية، سواء في محاربة حركة حماس من جهة تضييق الخناق والحصار على قطاع غزة، أو في ممارسة الضغوط على الفلسطينيين لتقديم أقصى حد من التنازلات لصالح اسرائيل.

فلم يعد هناك مبارك الذي كان يقصده كبار السياسيين "الإسرائيليين" سواء في القاهرة أو في شرم الشيخ.

ولم يعد هناك مبارك الذي فتح أبواب مصر على مصراعيها لأمثال آرييل شارون وشمعون بيريز وبنيامين نتنياهو وإيهود باراك، الذين أعلنوا عام 2011 وبوضوح خسارتهم لحليف قوى فى القاهرة هو حسنى مبارك !! وقد يفسر هذا القلق السياسى الإسرائيلى ما قاموا به مع الأمريكيين من محاولات ترويض مكثفة للقوى التى حكمت مصر بعد حسنى مبارك حتى لا تتخلى عن معاهدة السلام وتحديداً مع كل من المجلس العسكرى (2011–2012) ومع الإخوان المسلمين (2012–2013) ونجحوا – للأسف – فى ذلك!! .

<u>المحور الثاني: العلاقات العسكرية والأمنية:</u>

لا شك أن العلاقات العسكرية بين مصر و"إسرائيل" كانت قائمة في الأساس على قوة الردع المتبادل في ظل الالتزام ببنود معاهدة السلام الموقعة بين الجانبين، لكن في حال إلغاء تلك المعاهدة بواسطة وصول نظام جديد في مصر (وهو ما لم يتم حتى الآن2014) فإن ذلك سيعيد وبلا شك أجواء الحرب بين البلدين عما كانت عليه قبل عام 1979، وهو ما سيتبعه استنفار عسكري غير مسبوق على الحدود بينهما، الأمر الذي سيلزم "إسرائيل" بضرورة إعادة النظر في الإستراتيجية العسكرية وإعادة هيكلة قواتها، فهي ترى أن وصول نظام كهذا سيعني أن مصر سوف تدعم نظام حماس في غزة المجاورة، وبالتالي سوف تساعد الحركة على أن تستمر في العمل ضد "إسرائيل"، وهذا أسوأ سيناريو تخشى "إسرائيل" حدوثه بعد الثورة المصرية.

ولعل إعلان جافي إشكنازي رئيس هيئة أركان جيش الاحتلال المنتهية ولايته بوجود سيناريوهات وخطط جاهزة للتعامل عسكرياً مع مصر في حال إلغاء اتفاق السلام، يعكس مدى المخاوف الاسرائيلية من مستقبل الأوضاع في مصر التي قد تؤدي لاندلاع حرب جديدة بينهما.

ويعكس ذلك أيضاً التقارير التي نشرتها وسائل الإعلام العبرية عن قدرات الجيش المصري وإمكانياته التي يتمتع بها سواء العسكرية والاقتصادية، وقدرته على حماية مصر خارجياً وداخلياً، وتأكيدها على سيطرة الجيش المصري على نحو 15% من القطاع الاقتصادي في مصر وتلاحمه الشديد مع المدنيين.

أما على المستوى الأمني فالسيناريو الأكثر رعباً لـ"إسرائيل" بعد سقوط مبارك، هو تخلي مصر عن مكافحتها لعناصر تنظيم القاعدة والعناصر التابعة لحركة حماس العاملة في سيناء، وتهريب الأسلحة إلى قطاع غزة بعد تعاون أمني وثيق بين تل أبيب ونظام الرئيس المخلوع.

فربما الهاجس الأمني لدى "إسرائيل" بما يحدث في سيناء هو الأخطر حالياً لدى تل أبيب، لأنه تعتبره تهديداً فورياً، على عكس باقي التهديدات التي تأتيها من مصر عقب انتهاء نظام مبارك.

والحاصل أن إسرائيل نجحت وبعد ثلاث سنوات من ثورة يناير 2011 ، فى أن تجعل من (حركة حماس) عدواً لمصر ، وأن تدفع بقوى مصرية عديدة لمواجهات عنيفة مع جماعات العنف فى سيناء وأن تخلط بينها – عمداً – وبتآمر إسرائيلى واضح ، وبين جماعات المقاومة فى غزة ، وهو الأمر الذى ساعد إسرائيل كثيراً فى التقاط الأنفاس والتآمر على مصر عام 2014 تآمراً واسع النطاق للأسف لم تفهمه القيادة المصرية الحالية جيداً !! .

<u>المحور الثالث: المجالات الاقتصادية:</u>

لعل الجانب الأكثر تأثرا عام 2011 بغياب نظام الرئيس حسني مبارك هو العلاقات التطبيعية الاقتصادية : (زراعياً – تجارياً – سياحياً – صناعياً) بين اسرائيل والحكومة المصرية، خصوصاً وأن هناك شبه إجماع شعبي مصري على رفض تلك العلاقات التي كان يستفيد منها فقط المقربون من النظام الغابر.

فهناك على سبيل المثال مخاوف اسرائيلية متصاعدة من وقف إمدادات الغاز الطبيعي المصري التي تقدر بنحو 1.5 مليار متر مكعب سنوياً، بعد توقفه عدة مرات بعد تعرض خطوط أنابيب الغاز الدولية في سيناء لسلسلة من التفجيرات – كما سبق وأشرنا – .

ورغم المحاولات الاسرائيلية للتقليل من اعتماد سوق الطاقة الاسرائيلى على الغاز المصري، لكنه وبحسب تأكيدات خبراء الطاقة "الإسرائيليون" فإن وقف تصدير الغاز المصري سيؤثر على هذا القطاع سلبًا خصوصًا وأن 40 إلى 50% من إنتاج الكهرباء في "إسرائيل" يعتمد على الغاز، إضافة إلى أن الكثير من المصانع الصناعية في طريقها للعمل بواسطة الغاز الطبيعي المستورد من مصر.

وقد خرجت العديد من الصحف الإسرائيلية – كما سبق وأشرنا فى المحاور السابقة فى هذا الفصل الختامى – بتقارير إخبارية وتحليلات مستفيضة وتصريحات على لسان مسئولين "إسرائيليين" أبدوا تخوفهم من انتقال السلطة لأي جهة غير علمانية كالإخوان المسلمين.

معتبرين أن ذلك من شأنه إيقاف تصدير الغاز المصري لاسرائيل، الأمر الذي سيترتب عليه خسائر سياسية واقتصادية "إسرائيلية" باهظة، مما دفع بوزارة الطاقة "الإسرائيلية" لوصفه في حال تحققه بأنه "سيناريو مرعب", ولاسيما و أن المستفيدين من صفقة الغاز المشبوهة هذه التي أساءت كثيراً للمصريين، هم زمرة محدودة مقربة من نظام مبارك الفاسد على رأسهم حسين سالم، نائب مدير المخابرات المصرية السابق وأحد أبرز الأصدقاء المقربين من مبارك.

كما أن الخسائر الاقتصادية المتوقع أن تتكبدها "إسرائيل" بعد رحيل نظام مبارك، نجد أبرزها في مجال صناعة المنسوجات؛ حيث يوجد عدد كبير من المصانع "الإسرائيلية" العاملة في هذا المجال في مصر، في إطار اتفاقية الكويز.

لكن وفى محاولة يائسة يحاول رجال الأعمال "الإسرائيليون" بث أخباراً كاذبة توحي بأن أعمالهم مستمرة في مصر كالمعتاد محاولين التغطية على الخسائر الضخمة التي سوف يتكبدونها، خاصة بعد نقل خطوط إنتاج مصانعهم من "إسرائيل" نفسها إلى مصر، سعياً لكسب المزيد من الأرباح في ظل رعاية نظام مبارك.

وربما أبرز ما تردد من تلك الأكاذيب ما قاله داني كتريفس رئيس شعبة التجارة الخارجية في اتحاد الصناعات "الإسرائيلي" تعقيباً على مستقبل الاستثمارات الاسرائيلية في مصر : "إن للمصالح الاقتصادية حياة خاصة بذاتها، وأن مواصلة عمل المصانع الإسرائيلية في مصر هي في الأساس مصلحة مصرية، فأنا لا أرى سبباً في إلغاء الاتفاقيات، لأن مصر بواسطتها تصدير منتجات قيمتها أكثر من مليار شيكل للولايات المتحدة، وليس هنا مبرر أن تقوم مصر الإضرار بنفسها".

***

وهنا تجدر الاشارة إلى ما كشفت عنه صحيفة يديعوت أحرونوت عن امتلاك الأجهزة الأمنية في "إسرائيل" (خطة بديلة) تم إعدادها في السنوات الأخيرة لليوم الذي يلي غياب حسني مبارك.

وذكرت الصحيفة أن الخطة التي جرى وضعها على خلفية الوضع الصحي للرئيس المخلوع تنص على تسريع بناء الجدار على الحدود بين سيناء ومصر، ومراقبة الحدود بين قطاع غزة وسيناء، وانتظار التطورات التالية، جنباً إلى جنب مع مواصلة بناء خطة عملية تأخذ بالاعتبار أسوأ الاحتمالات.

وعلى ضوء السيناريوهات سالفة الذكر لمستقبل العلاقات بين مصر واسرائيل عقب الثورة المصرية وسقوط نظام مبارك، يتضح بما يدع مجالاً للشك مدى الفجيعة التي تشعر بها دولة الاحتلال بعد أن فقدت أكبر داعم لها في الوطن العربي، وهو ما سيدفعها للتحرك السريع خلال الفترة القادمة، لإيجاد بديل له

سواء في داخل مصر أو في خارجها، بما يحفظ على الأقل اتفاق السلام بين البلدين.

لذا فمن المتوقع – وفقاً لما نشر عام 2011 وثبت صحته عام 2014 – أن يركز الموساد أنشطته التجسسية على مصر، لرصد كافة التحركات التي ستسفر عن ظهور نظام جديد يصل إلى سدة الحكم في القاهرة، تأمل تل أبيب أن يسير على خطى النظام السابق.

* فى هذا السياق رأى المحلل للشؤون الأمنيّة في صحيفة 'يديعوت أحرونوت' ، أليكس فيشمان، أنّ اسرائيل وقعت في فخ، على جبهتها الجنوبية، "إذ في الوقت الذي تتصدى فيه للحركات الجديدة التي أطلق عليها " إرهابيّة "في صحراء سيناء، لا تملك رداً مناسباً باستثناء الرد الدفاعيّ، لكونها لا تستطيع العمل داخل سيناء خشية المس بعلاقاتها مع مصر، الأمر الذي يضع قيودًا على أيّ محاولة لفرض معادلة ردع من قبلها تجاه هذه الحركات التي تعمل في سيناء. واضاف "فيشمان" ان ذلك هو ما يدفعها إلى توجيه ضرباتها نحو قطاع غزة.

وزاد المحلل، المرتبط بالمؤسسة الأمنيّة الإسرائيلية، أنّ الفلسطينيين استخلصوا العبرة بأنّ محاولة أسر جنود إسرائيليين أو تنفيذ عملية في محيط قطاع غزة، أمر شديد التعقيد، وبالتالي فمن الأسهل عليهم العمل عبر محور (غزة. سيناء. إسرائيل).

وفي محاولة لتبرير استهداف الجيش الإسرائيلي –حسبما نقلت وكالة سما الفلسطينية– المقاومين في القطاع – كما حدث فى نوفمبر 2012 – رأى فيشمان أنّه عندما يدور الحديث عن عملية تنطلق من سيناء، ويشارك فيها مقاومون من قطاع غزة، يمكن إسرائيل عندها أن تنفذ عمليات عسكرية في القطاع، على حد قوله.

ولكن على الرغم من ذلك، أقرّت الصحيفة الإسرائيلية بأنّ إسرائيل في هذه المسألة كمن يمشي على البيض، إذ كشفت عن عدم صدق الرواية الإسرائيليّة الرسميّة التي حاولت في شهر (أغسطس) 2011، تبرير اغتيال قادة اللجان الشعبية، بتهمة علاقتهم بعملية إيلات في حينه، بالقول : إنّ الاستخبارات لم تتمكن حتى اليوم، من إيجاد صلة واضحة بينها، لا بل أكثر من ذلك، أقرّت محافل إسرائيليّة رسميّة في تل أبيب أنّ جميع منفذي عملية إيلات كانوا من مصر، ولكنّها استدركت قائلةً : إنّهم تلقوا التعليمات والتوجيهات من قطاع غزة. وتابع المحلل الإسرائيليّ قائلاً : إنّ اسرائيل لا يمكنها أن تسمح لنفسها بأن تجلس مشلولة طوال أسابيع على الحدود، مع قوات عسكريّة في حالة تأهب، وطريق مغلقة ومناطق مغلقة في وجه المواطنين، وخاصة أن المصريين، بحسب الصحيفة أيضا، لا يتجاوبون معها.

وكنموذج على ذلك، أورد المحلل فيشمان أنّ محافظ شمال سيناء، اللواء عبد الوهاب مبروك، نفى أن يكون هناك عناصر إرهابية مجهولة مختبئة في المكان، ويتجاهل المال الإيراني الذي يتدفق إلى شمال سيناء، ولا يتحدث عن مبعوثي حزب الله الذين يتجولون في تلك المنطقة لبناء الشبكات حسب كلامه.

أمّا قائد المنطقة الجنوبيّة سابقًا في جيش الاحتلال، الجنرال في الاحتياط يوآف غالانط، فقال لصحيفة " هاآرتس " الإسرائيلية : إنّه في حالة مواجهة واسعة مستقبلاً في غزة، سيتعين على إسرائيل أنْ تأخذ بعين الاعتبار وبالحسبان ضغطًا مصريًا فوريا لوقف حملة للجيش الإسرائيلي لدرجة التهديد بنقل فرقة مصرية إلى سيناء، وإنْ كان الأمر يعني خرقًا فظا لاتفاق السلام، كما قال غالانط : إن التآكل في اتفاق السلام يمكن أن يؤدي إلى دخول جيش مصريّ إلى سيناء، وذكر بأنّ حشد قوات مشابه كان سببا مركزيا لاندلاع عدوان حزيران (يونيو) من العام 1967، فماذا ستعمل إسرائيل في هذه الحالة، وكيف ستتصرف، تساءل الجنرال الإسرائيلي وطرح علامات استفهام كبيرة؟؟.

وبحسب غالانط، الذي طالما حذّر من الجبهة الجنوبية، وحاول إقناع صناع القرار من المستوى السياسيّ باحتلال قطاع غزة مرّة أخرى، فإنّه في السنوات الثلاثين الأخيرة كاد الجيش المصري يُشطب من قائمة التهديدات التي أخذها الجيش الإسرائيلي بالحسبان في تخطيط بناء قوته، وذكر أنّه في كل حرب عمل فيها الجيش المصري كانت هي الجبهة الأخطر على إسرائيل.

وزاد غالانط: اليوم أيضا يدور الحديث عن جيش من مليون رجل، نحو نصفهم في الخدمة الإلزاميّة، نحو 4 آلاف دبابة، ألفي فوهة مدفعية، مائتي طائرة اف 16، أكثر من 170 سفينة، وبالأساس مساعدة عسكرية ملاصقة من الولايات المتحدة. ولفت إلى أنّه في سنوات السلام أيضا أدار هذا الجيش مناورة كبرى كل سنة كانت موجهة ضد دولة مجهولة في الشرق، ليس ضد الجيران غير المستقرين في ليبيا وفي السودان، في تلميحٍ واضحٍ إلى أنّ المناورة كانت تُحاكي حربًا مع اسرائيل.

وفى تقرير آخر للمحلل الاسرائيلى عاموس هارئيل بعنوان" كيف تحولت «معاهدة السلام» مع مصر الى وقف إطلاق نار يشوبه إطلاق نار متقطع" , يقول الكاتب: في ضوء التغييرات المذكورة، تعمل اسرائيل على بناء الجدار الحدودي على طول سيناء وحتى في الجانب الجنوبي من الحدود مع الأردن وتعزز قواتها على الحدود المصرية.

قائد الاركان بيني غنتس، قال لضباطه في أكثر من مناسبة : ولوا وجوهكم باتجاه الجنوب. هذا ليس إعلان حرب، فإسرائيل موجودة في مأزق كونها يجب أن تستعد للسيناريو الاسوأ القادم من مصر وفي ذات الوقت أن لاتغضب القيادة المصرية الحالية وتساهم بالتالي في زيادة التوتر).

هذه التحليلات وردت كلها عام 2011 ، واليوم عام 2014 بدأت إرهاصاتها تظهر خاصة مع تراجع حكم (الإخوان) الذين كانت واشنطن وتل أبيب قد نجحوا فى ترويضهم ليقبلوا بكامب ديفيد ومعاهدة السلام بل ويكونوا وسطاء مع

(حماس) عام 2012 بعد العدوان على غزة ، إلا أن مصر مع قيادة المشير عبد الفتاح السيسى (2014) مفتوحة جبهتها السياسية والعسكرية مع إسرائيل على احتمالات عدة .

وإن كنا نرجح بقاء الأوضاع على ما هى عليه لفترة لن تقل عن ثلاثة أعوام، فى كافة جوانب التطبيع ، ليصبح ، تطبيعاً قائماً ولكنه ليس تطبيعاً دافئاً ، وقوياً كما كان فى الاثنين والثلاثين عاماً (فترة البحث) ؛ وستكون للأوضاع الأمنية القلقة فى سيناء ، وظهور متغير تنظيم القاعدة القادم من شرق ليبيا وفى جبل الحلال فى سيناء ، فضلا عن الأوضاع القبلية والعرقية المتفجرة فى أسوان والنوبة ،له تأثير مهم على مسارات التطبيع والعلاقات مع تل أبيب ، إلا أن العدوانية الإسرائيلية المستمرة على كافة الجبهات العربية بما فيها جبهة مصر وإن بوسائل تجسس ناعمة ، قد تدفع مصر – الشعبية ، إلى إنهاء معاهدة السلام وقيودها أو على الأقل إعادة تغيير وتفكيك تلك القيود بما يكفل استقلالاً أكثر للإرادة والقرار المصرى .

إن المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات ولكنه حتماً لن يعود إلى الوراء ثانية، ولن تستقر الأوضاع مع إسرائيل مثلما كانت فى العهود السابقة ، فلقد استيقظت روح المقاومة الوطنية والقومية المصرية مع ثورتى يناير 2011 و2013/6/30 ونحسبها لن تخمد ثانية بإذن الله؟! .

ملاحق الفصل الختامى

ملحق (1)

شهادة حية لمشارك فى اقتحام السفارة الإسرائيلية

((شهادة ضياء الصاوى)) (*)

طلب مني العديد من الأصدقاء أن أسجل هذه الساعات الأربع التي قضيتها أثناء مشاركتي مع العشرات من شباب مصر الشرفاء في اقتحام مقر سفارة "إسرائيل" ، ورغم أنه قد مر شهر بالتمام والكمال على هذا العمل "غزوة السفارة" إلا إني أؤمن بالمثل القائل : "أن تأتي متأخرا خيراً من ألا تأتي أبداً" ولهذا سأحاول في تلك السطور القادمة أن أسرد أسباب وتفاصيل عملية الاقتحام.

لا أعلم كيف أبدأ الحكاية ، هل أبدأها بالحديث عن نكبة عام 48 أم هزيمة عام 67 ، هل أبدأها بالحديث عن قصف الصهاينة لمدرسة بحر البقر أم بالحديث عن مذبحة كفر قاسم أم عن مذبحة صبرا وشاتيلا أم عن استشهاد بعض الجنود المصريين على الحدود برصاص الصهاينة في انتهاك واضح للأراضي المصرية.

فكل هذا وغيره هو ما جعل بيننا وبين الصهاينة ثأر ودم لا ينتهي إلا بفناء طرف دون الآخر ، فالصراع كما نقول : ليس صراع حدود فقط ولكنه صراع وجود وصراع عقائدي ؛ فالمعركة مع الصهاينة هي قضية دين في الأساس لكل هذا لا أعلم من أين أبدأ شهادتي.

لكن الشيء المؤكد الذي أعلمه هو أن يوم 2011/9/9 سيظل يوماً مجيداً في تاريخ الشعب المصري والأمة العربية والإسلامية فهو يوم لغسيل العار المصري كما أسماه بحق أستاذي المجاهد/ مجدي حسين في مقالة المنشور على موقعي الشعب والعمل على الإنترنت عقب الاقتحام.

بدء اليوم بمظاهرة "تصحيح المسار" في ميدان التحرير وكان من المقرر أن نتوجه في الساعة السابعة من مساء نفس اليوم إلي السفارة في مسيرة

---

* أمين اتحاد شباب حزب العمل الإسلامى المصرى .

"الشواكيش" لتحطيم الجدار العازل حول السفارة ، ولكنني فوجئت حين ذهابي أن هناك المئات كانوا قد سبقونا وبدأوا فعلاً في تحطيم الجدار قبل الموعد بكثير ، وبعد قليل من الوقت توافدت الآلاف ممن شاركوا في مظاهرة التحرير أو لم يشاركوا ، الكل جاء لهدف واحد تحطيم ذلك الجدار الذي يحمي السفارة وما هي إلا ساعات قليلة حتى استطاع الثوار هدم الجدار بأكمله وتسلق ثلاثة شباب مبنى السفارة لمحاولة إنزال العلم الصهيوني ورفع علم مصر على طريقة "أحمد الشحات". في هذه اللحظة كنت أنا ومئات من الشباب نحاول اقتحام باب عمارة السفارة في محاولة للصعود ولكننا فشلنا بسبب حماية قوات الجيش لها فتوجهنا إلي باب العمارة الملاصقة لها والتي كانت الحراسة عليها أقل بطبيعة الحال وقمنا باقتحام باب العمارة ولكن قوات الأمن التي فوجئت بما فعلنا بدأت تحاول منع من تمكنوا من دخول بهو العمارة من الصعود وبعد الكر والفر تمكنت ومعي العشرات من الصعود إلي السطح ، وهناك اكتشفنا أن البناية التي تقع بها السفارة والملاصقة تماماً للبناية التي نحن على سطحها ترتفع بأربع طوابق حيث إن السفارة تقع في أخر ثلاثة طوابق (الـ18 والـ19والـ20) وهو ما يعني أننا في حاجة إلي تسلق دورين آخرين للدخول إلي مقر السفارة ومما زاد الأمر تعقيداً هو ظهور بعض أفراد الأمن الصهاينة من نوافذ السفارة وقيامهم بإطلاق الرصاص في الهواء وبعض الغازات المنبعثة من طفايات الحريق في محاولة منهم لإعاقتنا عن مواصلة التسلق للوصول لنوافذ السفارة والتي كانت عليها أيضاً بعض القضبان الحديدية والتي كانت تصعب عملية الدخول من خلالها.

وفي هذه اللحظة والتي كان يغلب علينا فيها الغيظ لأننا نرى أمامنا جنوداً صهاينة لا نستطيع حتى المساس بهم ولا تصل لهم حجارتنا ؛ لأنهم خلف نوافذ ذات قضبان حديدية في هذه اللحظة فوجئنا بفتح نوافذ الدور السابع عشر وهو الدور الذي يعلونا مباشرة وظهور بعض أفراد من الجيش المصري (حوالي

8 أو 9) يحاولون الهبوط من النوافذ في محاولة منهم للقبض علينا والسيطرة على الموقف وبعد مواجهة استمرت حوالي ربع ساعة تمكنت أنا والشباب من السيطرة على الموقف ، بعد أن فشل افراد الجيش في القبض علينا أو السيطرة على الموقف ، حيث قام الشباب بالرد على بعض الأعيرة النارية التي أطلقها أفراد الجيش في الهواء بالحجارة ، وقد كان من الواضح أن كلينا لا يرغب في ايذاء الآخر ولكنة يرغب في السيطرة على الموقف بأقل ضرر ممكن ، وأعتقد أن هذا يرجع الي احترامنا نحن كشباب للزي العسكري وخوف العسكر في المقابل من استشهاد أحد من الشباب برصاص مصري وهو ما كان سيزيد الأمر اشتعالاً خصوصاً والآلاف من شباب مصر يحيطون بمبنى السفارة بالأسفل.

وبعد أن اضطر أفراد الجيش للانسحاب مرة أخرى إلي الشقة قمنا بتتبعهم ومطاردتهم (بدون أن نقوم بإيذاء أي أحد منهم) ، ودخلنا الشقة وقمنا بالسيطرة على الموقف مما دفعهم للانسحاب وإغلاق باب الشقة من الخارج ووجدنا أنفسنا داخل شقة خالية من الاثاث وغالباً كان يتم استخدامها من قبل الجيش لحماية السفارة وتكون بمثابة فاصل طبيعي بين السفارة وبقية شقق العمارة في الأسفل وبعد ذلك قمنا بتحطيم باب الشقة من الداخل ومنها خرجنا على سلم العمارة وبصعودنا بعض الدرجات وجدنا باباً حديدياً يفصل العمارة عن آخر ثلاثة طوابق وباستخدام الشواكيش وبعض المواسير الحديدية قمنا بفتح الباب ومنه مباشرة إلى السفارة المكونة من ثلاثة طوابق ، حيث اقتحمنا الدور الثامن عشر بالكامل وهو الدور الأول من السفارة وفتحنا جميع الغرف والتي كان بعضها مغلقاً إلكترونياً وتفتح عن طريق كروت ممغنطة ولكننا قمنا بتحطيم جميع أقفال الغرف وفتحها عن طريق تحطيمها بالشواكيش ، وقمت أنا والشباب بتحطيم كل أثاث السفارة من مكاتب وأجهزة كمبيوتر وكل شيء وجدناه أمامنا.

ولأننا كنا ننتظر في كل لحظة وأخرى تمكن الجيش من اقتحام مقر السفارة والسيطرة على الموقف وإلقاء القبض علينا ، اقترحت على الشباب أن نقوم بإلقاء كل ما نستطيع من مستندات وأوراق من نوافذ السفارة إلى الشارع حتى يحصل عليها الاف المتظاهرين في الأسفل وحتى يكون ذلك بمثابة اعلان لهم عن اقتحامنا للسفارة وهو ما حدث بالفعل ولكننا رغم ذلك احتفاظنا ببعض منها ، قمنا بنشر بعضها خلال الأيام الماضية وسنقوم بنشر بقيتها بمشيئة الله خلال الأيام القادمة في وسائل الإعلام المختلفة.

وكان من ضمن هذه المستندات والوثائق أسماء المصريين العاملين بالسفارة والمتعاونين معها في مختلف الهيئات ، كما كان بها بعض الرسائل الخاصة بين السفير والعديد من رؤساء الصحف القومية وبعض المراسلات بين السفارة وجهاز الأمن القومي وجهاز امن الدولة والخارجية ورئاسة الجمهورية ومختلف الوزارات والهيئات.

وبعد أن أمطرت السماء على الآف المتظاهرين اسفل السفارة مئات بل آلاف الأوراق والمستندات ، حاول الكثير من المتظاهرين تكرار ما قمنا به من محاولة لاقتحام بوابة عمارة السفارة والعمارة المجاورة لها للالتحاق بنا وهو ما دفع قوة من الجيش الي حسم الموقف خوفاً من تطوره بتدفق الآلاف الي أعلى والالتحاق بنا ومحاولة منهم لمنعنا من اقتحام بقية طوابق السفارة وانقاذ ما يمكن انقاذه واستغلوا انشغالنا جميعاً داخل السفارة حيث كانت مجموعة الشباب التي كانت تقف على السلم لتأمين ظهرنا أثناء الاقتحام قامت بالانسحاب من موقعها الي الداخل لمشاركتنا البحث عن المنفذ الذي يمكننا من خلاله الصعود لبقية أدوار السفارة في محاولة لاقتحام بقية الغرف وخاصة غرفة السفير ، وأيضاً لمحاولة الإمساك بأفراد الأمن الصهاينة والذين فروا الي أعلى عندما أدركوا أننا على وشك التمكن من اقتحام الدور الأول من السفارة (علمنا بعد ذلك أن الطائرة الهليكوبتر التي قامت بالهبوط على سطح العمارة أثناء عملية

الاقتحام كان بها فريق كومندوز مصري قام للأسف بانقاذ أفراد الأمن الصهاينة!). حيث فوجئنا بعد ذلك وفي غفلة منا ببعض أفراد الجيش تدخل خلفنا إلى السفارة في ذات الوقت الذي تمكنا فيه من اكتشاف الباب الذي يؤدي إلى السلالم التي تمكنا من الصعود لبقية طوابق السفارة ، وقاموا بالانتشار في داخل السفارة ومنعونا من مواصلة اقتحام بقية طوابق السفارة وقاموا بإخراجنا من داخل مقر السفارة وطالبونا بأن ننزل على سلم عمارة السفارة وهو ما رفضه أغلبنا ، حيث كنا نتوقع أنه كمين معد للقبض علينا ، وقررنا أن نعود كما أتينا وبالفعل تمكنا من الهبوط الي بهو العمارة المجاورة وأثناء خروجنا حاولت قوة من الشرطة العسكرية القبض علينا والتحفظ على ما كنا نحمله من مستندات ولكن الآف المتظاهرين الذين نجحوا في ذلك الوقت من اقتحام بوابة العمارة قاموا بحمايتنا وخرجنا وسط الآلاف التي كانت تهتف باسم مصر وفلسطين وتهتف في ذات الوقت بسقوط الصهاينة والمجلس العسكري.

في النهاية وبعد أن قمت بسرد قصة الاقتحام ، أود الاشارة إلى عدة نقاط في غاية الاهمية من وجهة نظري:

أولاً: لا علاقة من قريب أو بعيد للشباب الذي شاركوا في "موقعة اقتحام السفارة" بأي أحداث أخرى حدثت في ذلك اليوم من أحداث شغب عند مديرية الأمن أو وزارة الداخلية والتي كانت على الأغلب من تدبير الأجهزة الأمنية؛ لتمرير فكرة تطبيق قانون الطوارىء أو للتعتيم على حدث عظيم كاقتحام السفارة لما يمثله من رسالة الي الصهاينة وإلى المجلس العسكري في ذات الوقت.

ويجب أن يعرف كل من يردد هذا الكلام أن ثورة 25 يناير لم تكن فقط من أجل الحرية رغم أهميتها ، ولم تكن فقط من أجل العدالة الاجتماعية رغم ضروريتها ، ولكنها كانت من أجل الاستقلال الحقيقي لمصر وتخليصها من التبعية للحلف الأمريكي الصهيوني وعودتها مرة أخرى إلي هويتها العربية الإسلامية.

ثانياً: أي كلام تردد خلال الأيام الماضية عن التساهل الأمني في مواجهة اقتحام السفارة لا أساس له من الصحة ، بل على العكس الأمن المصري (شرطة وجيش) قاموا بجهد كبير "للأسف" في محاولة حماية السفارة وأبوابها من الاقتحام ولكن العدد الكبير للمتظاهرين حول السفارة هو ما ساعد على عملية الاقتحام ، وهو ما ساعد ايضاً على منع أي تعزيزات أمنية أن تدخل خلفنا العمارة لتحبط عملية الاقتحام ، وهو ما اضطر الأمن الي الاكتفاء بأفراد الأمن المتواجدين أصلاً داخل العمارة للسيطرة على الموقف ، مرة بالترغيب ومرات بالترهيب حيث قمت في إحدى هذه المرات بالتفاوض باسم المجموعة مع أحد الضباط والذي حاول إقناعنا بعدم الاقتحام باعتبار أن هذا العمل مخالف للقوانين الدولية ، وكان ردي عليه مباشراً وصريحاً حيث قلت له: إننا نحترم البدلة العسكرية ولكننا في بعض الأحيان قد لا نحترم بعض من يلبسونها وقلت له : عن أي قانون تتحدث لقد جئنا هنا لانتهاك القانون أصلاً. فاذا كان القانون يحمي سيادة اسرائيل على أرض مصر فان هدفنا العاجل هو انتهاك هذه السيادة المزعومة.

الخلاصة أنه كان من المستحيل بأي حال من الأحوال السيطرة علينا ومنع عملية الاقتحام إلا بسقوط عشرات الشهداء عن طريق اطلاق الرصاص الحي علينا سواء من أمن السفارة "الصهاينة" أو من أمن السفارة "المصريين" وهو ما كان سيزيد الأمر اشتعالاً في ظل حصار الآلاف للسفارة في الأسفل، واعتقد انهم كانوا يدركون هذا جيداً ولو كان هناك تساهل كما يدعي البعض لكان هناك الآلاف قد اقتحموا السفارة وليس العشرات فقط فمن يقول : إن هناك تساهل يريد أن يقول : إن الشعب ضعيف وغير قادر ولكننا مازلنا نؤمن انه لا أحد مهما كان يستطيع أن يقف أمام الشعب المصري.

ثالثاً:اقتحمنا مقر السفارة بالفعل وليس كما اشيع أننا دخلنا مستودعاً للأوراق!. نعم لم نستطع اقتحام جميع طوابق السفارة ولم نستطع اقتحام غرفة السفير ،

ولكننا في ذات الوقت نؤكد أن الطابق الذي اقتحمناه هو جزء لا يتجزأ من السفارة وهو مخصص للأعمال الإدارية الخاصة بالسفارة والأوراق التي قمنا بالحصول عليها هي أوراق رسمية تخص السفارة وإلقاؤها إلي الشارع كان بمثابة توجيه إهانة إلى "إسرائيل" كما اعترف بعض قادة الكيان الصهيوني أنفسهم.

رابعاً: لم استغرب من الهجمة الاعلامية التي أدانت "غزوة السفارة" ووصفتها بالعمل الإجرامي أو الهمجي كما قال العديد من الإعلاميين والصحفيين والسياسيين البارزين إعلاميا ! لم استغرب لأننا تأكدنا خلال السنوات الماضية أن الطابور الخامس من الأعداء قد استطاع أن يخترق كل وسائل الاعلام وكل أجهزة الدولة وأنهم إذا سمحوا رغماً عنهم بسقوط مبارك فإنهم سيحاولون بكل طاقتهم منع سقوط نظامه والذي يستمد شرعيتة الزائفه من رضاء الحلف الأمريكي الصهيوني عليه.

هذا الطابور الخامس لم يكن فقط داخل الحزب الوطني المنحل أو مؤسسات السلطة فقط ولكنه للأسف وصل أيضاً لصفوف المعارضة! لهذا أستطيع أن أقول بكل ثقة : إن كل من أدانوا عملية اقتحام سفارة العدو الصهيوني هم نوعان إما "عملاء" أو "جهلاء" ولا اقصد هنا بالجهلاء الجهل المطلق ولكنني أقصد عدم العلم والإدراك بالملابسات والمكاسب التي قد تترتب على هذه الواقعة بالذات فأنا مثلاً أرى أن ما حدث هو ضرورة وطنية وفريضة دينية وهو يدخل تحت باب الجهاد في سبيل الله والوطن.

والجهلاء هنا لهم عذرهم نتيجة التضليل الإعلامي والذي هول من الأضرار المزعومة من جراء هذا الفعل وضخَّم من أسطورة أن العدو لا يمكن هزيمته أبداً ، وهذا النوع من الناس يجب علينا أن نشرح لهم ونبين لماذا فعلنا ذلك ونستعرض أمامهم كل نتائج هذا العمل العظيم – من وجهة نظري– وكيف تحول نتنياهو والذي رفض الاعتذار عن استشهاد الجنود المصريين على

الحدود قبل عملية الاقتحام وكيف تحول الي نعجة بعد الاقتحام وتحدث عن ضرورة تدعيم السلام بين مصر وإسرائيل! ونحكي لهم كيف خرجت مانشيتات صحف العالم بعد عملية الاقتحام تدين الصهاينة بأنهم هم السبب وأن رد الفعل للشعب المصري كان طبيعياً وغيره من المكاسب التي للأسف لم تستثمرها الخارجية المصرية ولا المجلس العسكري.

الخلاصة أن علينا دوراً كبيراً في شرح ما فعلنا لهذا النوع من المعترضين ، أما النوع الأخر من المعترضين والذي يعترض على ما قمنا به حباً في السلام المزعوم مع الصهاينة أو إيماناً منه بضرورة استمرار التبعية للحلف الصهيوني الأمريكي هؤلاء هم العملاء والطابور الخامس الذي تحدثت عنه ، ولا يوجد أمامنا لمواجهة هؤلاء إلا فضحهم ووضعهم في خندق واحد مع أعداء الأمة من الأمريكان والصهاينة ومواجهتهم جميعاً فلا أعتقد أن هناك مصري أو عربي مسلم كان أو مسيحياً يمكن أن يقبل أن تنتهك سيادة أرضه من الصهاينة ويصمت وأعتقد أيضاً أن كل الشعب المصري يرفض أن تدنس أرضه بسفارة وعلم الكيان الصهيوني.

أخيراً: قلت في البداية أن هناك العديد من الأصدقاء الذي طالبوني بكتابة هذه المقال الشهادة ، ولكن كان هناك أيضاً بعض من طالبوني بعدم إدلاء أي تصريحات او حوارات أو كتابة أي شيء عن هذا الموضوع خوفاً منهم عليَّ من رد الفعل الأمني حيث إن هذا المقال يعتبر بمثابة اعتراف صريح مني بهذه "الجريمة" المشرفة ولكن مما زاد حماسي لكتابة هذا المقال هو ما وجدته من تبرؤ البعض مما حدث وكأنه تهمة مشينة!

لهذا قررت أن أكتب شهادتي أو اعترافي إذا كان اقتحام سفارة الأعداء تهمة، مع تأكيدي أنني سوف أسعى إلى تكرار نفس الفعلة إذا عادت مرة أخرى سفارة الكيان الصهيوني وعلمه إلي تدنيس أرض مصر.

أخيراً أقول: "إذا كان السجن أو الموت هو الطريق الوحيد لتحرير مصر وفلسطين من دنس الصهاينة فمرحباً بالسجن أو الشهادة في سبيل الله والوطن" وغداً ننتصر .. معاً ننتصر.

مـلـحق رقـم (2)

نـص مـذكرة الـدفاع عن بعض المتهمـين فـي قضـية الاعتـداء علـى السـفارة الإسـرائيلية والسـعودية ومديريـة أمن الجيـزة ، والتـي قدمت إلـى المحكمـة بعد إبداء المرافعة الشفوية بجلسة 2012/4/23

إعداد : صفاء زكي مراد

مكتب زكي مراد للمحاماة والاستشارات القانونية

محكمة جنايات أمن الدولة العليا طوارىء

دائرة محكمة استئناف القاهرة

الدائرة رقم 20

مذكرة

بدفاع كل من : 1- يوسف صابر أحمد يوسف (المتهم رقم 28)

2- عماد كمال أحمد بكري (المتهم رقم 29)

ضد نيابة أمن الدولة العليا ، سلطة الاتهام

في القضية رقم 13578 لسنة 2011 جنايات قسم الجيزة

المقيدة برقم 3184 لسنة 2011كلي جنوب الجيزة

المقيدة برقم 346 لسنة 2011 حصر أمن الدولة العليا

والمقيدة برقم 130 لسنة 2011 جنايات أمن الدولة العليا

والمحدد لنظرها جلسة 23 / 4 / 2012

مقدمة لازمة وخلفية عامة عن القضية

فى الثامن عشر من أغسطس 2011، ارتكبت إسرائيل جريمة جديدة في حق مصر جيشا وشعبا، حيث قامت بالمخالفة لبنود المعاهدة الموقعة معها بعملية عسكرية داخل الحدود المصرية أدت إلى مقتل ضابط وثلاثة ارتفعوا إلى خمسة جنود مصريين من قوات الأمن المركزى المتواجدة على الحدود المصرية الإسرائيلية وإصابة سبعة جنود آخرين توفى أحدهم لاحقا. ولم يكن جديدا هذا

الاعتداء بل سبقته على مدى العقود المنصرمة العشرات من جرائم إسرائيل بقتل المصريين على الحدود المصرية الإسرائيلية – جنودا ومدنيين– ولكن الجديد أن هذه الجريمة قد ارتكبت هذه المرة بعدما انتفض المصريون وثاروا ثورة استعادوا بها روحهم وإيمانهم بوطنهم.

توالت ردود الفعل المصرية الشعبية والرسمية التى تندد بقتل الجنود المصريين، واجتاحت موجة من الغضب الرأى العام المصري وسارعت معظم الأحزاب والقوى السياسية بلا استثناء لإدانة هذا الاعتداء الإسرائيلي والمطالبة بضرورة سحب السفير المصرى من إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلى من القاهرة.

لكن على مستوى رد الفعل الرسمى كان واضحا أن ثمة ارتباكا فى التعامل مع ذلك الحدث، نشأ عن خلاف فيما يبدو بين الحكومة والمجلس الأعلى للقوات المسلحة. إذ سارعت الحكومة وبثت بيانا أعربت فيه عن نيتها سحب السفير المصري، ولم تمض ساعات حتى تم سحب البيان، والتأكيد على سعى مصر للحصول على اعتذار رسمى من إسرائيل، وأن الموضوع لن يمر كما كان يحدث إبان النظام السابق. وهو الأمر الذى كان من شأنه إثارة مزيد من البلبلة وتزايد حدة الغضب الشعبي.

وقد تزايدت المطالبات بطرد السفير الإسرائيلى من القاهرة فى أعقاب قيام تركيا بطرد السفير الإسرائيلى لديها فى عقب صدور تقرير"بالمر" الخاص بالتحقيق فى الاعتداء الإسرائيلى على أسطول الحرية فى مايو 2010، والذى قتل فيه تسعة اتراك على أيدى القوات الإسرائيلية.

كما تزايدت المشاعر الملتهبة والغاضبة تجاه إسرائيل وسفارتها نتيجة الاستفزاز الناتج عن القيام ببناء سور أسمنتى أعلى كوبرى الجامعة للمساعدة فى حماية السفارة الإسرائيلية، وهو الأمر الذى ساعد على تأجيج المشاعر خاصة بالمقارنة بين بناء مصر سور لحماية السفارة الإسرائيلية من غضب الشعب

المصـري لقتـل جنـوده بعمليـة عسـكرية إسـرائيلية وبـين طـرد تركيـا للسـفير الإسـرائيلي رداً علـى تزييـف الحقـائق وقتـل تسـعة أتـراك علـى يـد القـوات الإسـرائيلية. وكـان التطـور الفريـد فـى تلـك الأحـداث هـو قيـام الشـاب أحمـد الشحات أثناء المظاهرات أمام السفارة فى 20 أغسطس بتسلق العمارة الموجود فيها مقر السفارة الإسرائيلية وإنزاله للعلم الإسرائيلى ورفع العلم المصرى بدلاً منـه، وهـى الخطـوة التـي قوبلـت بارتيـاح وترحـاب واضـح مـن قبـل الـرأى العـام والحكومـة المصـرية، وتـم الاحتفـال بهـذا الشـاب كبطـل قومـي. فاسـتقبله محـافظ الشرقية استقبال الأبطال ومنحه شقة ووظيفة، بل إن السيد رئيس الوزراء نفسه قد استقبله سراً للاحتفال به.

وفـى التاسـع مـن سـبتمبر 2011، فيمـا عـرف بـ«جمعـة تصـحيح مسـار الثـورة»، لنبـذ الخلافـات وشـق الصـف ومطالبـة المجلـس العسـكرى بتحديـد جـدول زمنـى لتسليم الحكم إلى سلطة مدنية منتخبة، ووقف إحالة المدنيين للقضاء العسكرى، وإلغاء قانون تقسيم الدوائر الانتخابية، وضمان استقلال القضـاء، وتطهير أجهزة الشرطة والإعلام، وإلغاء قانون تجريم الاعتصام، وهدم السور الذى أقيم أمام السـفارة الإسـرائيلية ؛ لأنـه يشـبه الجـدار العـازل الـذى يفصـل بـين الإسـرائيليين والفلسطينيين. وبالفعل عادت أجواء مظاهرات ٢٥ يناير إلى ميدان التحرير في هذا اليوم، واحتشد عشرات الآلاف فى الميدان إلا أن نهاية هذا اليوم شـهدت الكثير من المفاجآت، التي تعودنا – منذ تنحي الرئيس الذي زالت شرعيته – أن تحـدث كلمـا توحـدت قـوى الثـورة فـي مواجهـة القـوى المضـادة لهـا، وكلمـا تجمعـت علـى أهـداف كبـرى بغيـة إحـداث تغييـرات جذريـة حقيقيـة فـي واقـع المصريين.

كـان أول هـذه المفاجـآت هـو أن تـم تـدمير السـور الـذي بنـي لحمايـة السـفارة الإسـرائيلية تمامـا دونمـا تـدخل مـن أجهـزة الأمـن أو الاحتكـاك بينهـا وبـين المتظاهرين.

ثاني هذه المفاجآت هو نجاح بعض المتظاهرين أمام السفارة الإسرائيلية في دخول العمارة التى توجد بها هذه السفارة والصعود للدور الخامس عشر بها وهو دور ملحق بالسفارة للإداريين وللاحتفاظ بالملفات غير السرية أو غير المهمة للسفارة وحصلوا على بعض تلك الملفات وألقوا بها من شباك الشقة دونما تدخل من أجهزة الأمن أو الاحتكاك بينها وبين المتظاهرين، في مشهد فريد يدغدغ مشاعر كل مصري، كما حاولوا اقتحام الدور السادس عشر من العمارة حيث مقر السفارة نفسها – دونما تدخل من أجهزة الأمن أو الاحتكاك بينها وبين المتظاهرين– إلا أنهم لم يتمكنوا من فتح الباب المصفح الموضوع على باب السفارة، فاحتجزوا بداخلها 6 أفراد من طاقم حراسة السفارة ، كلهم إسرائيليون، تكفلت القوات المسلحة فيما بعد بعملية إجلائهم وتأمين سلامتهم. بينما هرع السفير الإسرائيلى ومعه 75 شخصا هم أفراد البعثة الدبلوماسية إلى مطار القاهرة ومنه إلى إسرائيل عبر طائرة حربية إسرائيلية في مشهد أسكن جراح الشعب المصري من جراء قتل إسرائيل لأبنائه جنودا ومدنيين دون رد يليق بمصر والمصريين بعد المعاهدة المكبلة التي قزمت مصر بأكثر مما أعطتها سيناء المنزوعة السلاح.

وثالث المفاجأت فقد كانت فى تمكن أحد الشباب من تكرار تجربة تسلق العمارة وصولا إلى السفارة – دونما تدخل من أجهزة الأمن أو الاحتكاك بينها وبين المتظاهرين– ونزع العلم الإسرائيلى وإحراقه مع المتظاهرين ورفع العلم المصري بدلا منه ثانية ، بيد أن هذا الشاب لم يلق نفس الحفاوة التى لقيها سلفه أحمد الشحات ولم يقابله أى من المحافظين أو رئيس الوزراء جهراً أو سراً !!

أما المفاجأة الرابعة فكانت اندساس عدد من الأشخاص – (المجهولين للناس والمعلومين بالضرورة لجهات الأمن – التي تترك حين تريد وتقبض حين تريد) بين المتظاهرين – وقيام هؤلاء المجهولين (المعلومون لجهات الأمن) بالإعتداء

على كل من السفارة السعودية ومديرية أمن الجيزة اللتين لا تبعدان كثيرا عن السفارة الإسرائيلية ؛ ليلصق الاتهام بهذا الإعتداء المشين لهذا الشباب الثائر لكرامة بلاده المهدرة ولدم أهله المسفوك والذي نجح في إجبار السفير الإسرائيلي وأفراد البعثة الإسرائيلية على الهروب من جحيم الغضب المصري إثر قيام دولته الغاصبة بقتل الجنود المصريين بصلف داخل الحدود المصرية، فتمكنوا بذلك من تسكين جراح شعبهم بعد مقتل جنوده على الحدود دون رد معتبر. هؤلاء الأبرياء الأنقياء الحالمون بمصر الحرة القوية بعدما أمَلتهم الثورة بالعزة وملأتهم بالحلم كان لابد من تشويههم وإظهارهم بمظهر المخربين الآثمين المعتدين بإجرام على المنشآت الحيوية للدولة سفارة دولة شقيقة هي السعودية ومديرية أمن الجيزة خاصة بعد استنفاد الغرض السياسي من فعلهم الثوري – الذيُ سهل لهم عمدا لحسابات سياسية عليا– حتى لايُنظر إليهم على أنهم أبطال أبرار نجحوا في رد بعض من اعتبار الأمة فيما فشل الحكام، بل مجرمون آثمون، فتنهار ثقتهم بنفسهم وبانتمائهم لأمتهم وتنطفئ فيهم زهوة الاعتزاز بذاتهم فيصبحوا خانعين مستسلمين لمشيئة من يحكمونهم ، ساكتين منقادين لايشاركون ولا يشتركون، فيستقر الحكم بالاستبداد وتتوارى مصر التي تجلت في 28 يناير 2011 ، لذلك بالضبط دبرت الإعتداءات على مبنى السفارة السعودية وعلى مديرية أمن الجيزة لإلصاق الاتهام بارتكاب هذه الاعتداءات بالشباب الحالم الآمل وتشويهه بذلك والإساءة إليه والنيل منه بعد استنفاد الغرض منه، ولذلك، صنعت صنعا هذه القضية السياسية بالأساسِ والمغزى.

في المبتدى وفي المنتهى هي فعل سياسي أريد له أن يتشح بلباس الإجرام، فقدم إلى المحاكمة هؤلاء المتهمون الأبرياء حسني النية والمقصد وحجب المجرمون المجهولون المعلومون لجهات الأمن مرتكبو الاعتداءات الحقيقيون ممن كانوا أداة تشويه هذا الشباب المفعم بحب وطنه.

ولأسباب سياسية أيضا من الألف إلى الياء تم تقطيع هذه القضية وفصل أوصالها وشطرها : إلى شطرين أحدهما وهو المتعلق بالسفارة الإسرائيلية أحيل إلى القضاء العسكري الذي أصدر فيه أحكاما عديدة بالبراءة وبإيقاف تنفيذ العقوبة، والآخر هو ما تنظره عدالة المحكمة الموقرة في الدعوى الماثلة.

وقد نتج عن كل تلك الأحداث التي جرت في يوم 2011/9/9 وفاة ثلاثة مصريين وإصابة أكثر من ألف شخص من المتظاهرين، ومن قاطني الأحياء المحيطة بمسرح الجريمة ومنهم المتهم رقم 28 يوسف صابر أحمد يوسف، ومن المارة ومنهم المتهم رقم 29 عماد كمال أحمد بكري والإثنان هما من أشرف بالدفاع عنهما.

الوقائـــع

بالنسبة للمتهم رقم 28 يوسف صابر أحمد يوسف

مما جاء بأقواله في تحقيقات النيابة صفحة 1469 ملف رقم 9 استجواب المتهمين، أنه في يوم 2011/9/9 كان جالسا يشاهد التليفزيون "فسمعتهم بيقولوا إنهم نزلوا العلم بتاع السفارة الإسرائيلية وولعوا فيه، أنا قلت أروح أتفرج على اللي بيحصل فأخذت موتوسيكل... وطلعت على هناك ولما وصلت ناحية السفارة ربطت الموتوسيكل بجنزير في سور جنينة الأورمان ووقفت اتفرج على اللي بيحصل من بعيد لقيت الناس بتجري ... جيت أفك الموتوسيكل عشان أخده وأجري لقيت قنبلة دخان نزلت جنبي وأنا أغمى عليَّ من الدخان وخدوني على مستشفي بولاق الدكرور فوقوني هناك وطلعت من المستشفى خدت الموتوسيكل وروحت على بيتنا." (مستند رقم 1 من حافظة مستنداتنا بجلسة اليوم)

بعد شهر من هذه الواقعة وفي 2011/10/9 قبض على المتهم وباشرت معه نيابة أمن الدولة العليا إجراءات التحقيق.

بالنسبة للمتهم رقم 29 عماد كمال أحمد بكري

مما جاء بأقواله في تحقيقات النيابة صفحة 1476و 1477 ملف رقم 9 استجواب المتهمين، أنه في يوم 2011/9/9 " .. كنت مروح من عند أختي في السيدة زينب وأنا راكب الأتوبيس على كوبري الجامعة لقيت الطريق واقف قوي عشان المظاهرات اللي قصاد السفارة الإسرائيلية فنزلت من الأتوبيس وقلت أتمشى بعد كوبري الجامعة وأخد ميكروباص من بعديه عشان يكون الطريق مشي، وأنا معدي على المظاهرات وقفت أتفرج في وسط الناس وكان ساعتها الناس كسروا جزءاً من السورالأسمنت اللي كان قدام السفارة وكان فيه واحد واقف فوق جزء سليم من السور وبيولع في علم إسرائيل بس وهو بيولع في العلم واحد كان واقف تحت معاه حاجة فيها بنزين.. رماها على العلم عشان يولع أكتر بس البنزين ولع جامد وأنا لقيت حتة قماش مولعة نزلت على وشي حاولت أطفيها راحت نازلة على إيديه الإثنين وظهري نزل عليه حتة ثانية مولعة برضه والناس اتلموا عليَّ وطفوه فيَّ وخدوني على الإسعاف والإسعاف نقلتني على مستشفى بولاق الدكرور وفضلت هناك لغاية الساعة عشرة بالليل وبعدين خرجوني عشان معندهمش قسم للحروق." (مستند رقم 1 من حافظة مستنداتنا بجلسة اليوم)

بعد شهر من هذه الواقعة وفي 2011/10/9 قبض على المتهم وباشرت معه نيابة أمن الدولة العليا إجراءات التحقيق.

وعليه فقد وجهت نيابة أمن الدولة العليا إلى المتهمين المذكورين وآخرين الإتهام بأنهما خلال الفترة من 2011/5/31 وحتى 2011/9/10 بدائرة قسم الجيزة – محافظة الجيزة قاما بالتجمهرمع باقي المتهمين من الأول وحتى الخامس والسبعين وآخرين مجهولين بغرض ارتكاب جرائم الاعتداء على رجال السلطة العامة ومقاومتهم بالقوة والعنف واتلاف وتخريب الممتلكات والمنشآت العامة والخاصة حال كونهم حاملين لأسلحة وأدوات من شأنها إحداث الموت وقد وقعت منهم تنفيذاً للغرض المقصود من التجمهر مع علمهم به الجرائم الأتية :!

1. إستعملا وآخرون مجهولون القوة والعنف مع موظفين عموميين وأشخاص مكلفين بخدمة عامة لحملهم بغير حق على الامتناع عن أداء عمل من أعمال وظيفتهم ، حال كونهم حاملين لأسلحة بيضاء وأدوات من شأنها إحداث الموت بأن تعدوا على ضباط وأفراد الشرطة المنوط بهم تأمين مقار مديرية أمن الجيزة والبعثات الدبلوماسية المتواجدة بالمنطقة المحيطة بها ولمنعهم من حماية تلك المنشآت مستخدمين أسلحة بيضاء وعبوات حارقة وحجارة ، مما أحدث إصابة بعضهم ولم يبلغوا مقصدهم على النحو المبين بالتحقيقات .

2. حاولا وآخرون مجهولون بالقوة احتلال مبنى مخصص لمصلحة حكومية بأن حاولوا عنوة اقتحام مبنى مديرية أمن الجيزة بقصد السيطرة عليه على النحو المبين بالتحقيقات .

3. خربا وآخرون مجهولون عمداً أملاكاً عامة ومباني مخصصة لمرافق عامة بأن إقتحموا مكتب أحد أقسام التأمين التابع لإدارة حرس المنشآت بوزارة الداخلية وأتلفوا كافة محتوياته وكان ذلك لغرض إرهابي على النحو المبين بالتحقيقات .

4. وضعا وآخرون مجهولون عمداً ناراً في مبان ليست مسكونة ولا معدة للسكنى بأن ألقوا عبوات حارقة تحوي مواد معجلة للاشتعال على مبنى قسم التأمين الخارجي لجامعة القاهرة وغرف خدمات إدارة المرور والحي بالمنطقة المحيطة بمقر مديرية أمن الجيزة فأضرموا النيران بها على النحو المبين بتقرير مصلحة تحقيق الأدلة الجنائية.

5. أتلفا وآخرون مجهولون أملاكاً ومنشآت معدة للنفع العام بأن قذفوا مقر مديرية أمن الجيزة ومبنى التأمين الصحي لأفراد الشرطة ومكتب أحد أقسام التأمين التابع لإدارة حرس المنشآت بوزارة الداخلية ومكتب قسم التأمين التابع لقطاع الأمن المركزي وأعمدة الإنارة بالطريق العام بالحجارة الصلبة مما أحدث

تلفيات بها وألقوا الحجارة وأضرموا النيران في عدد من المركبات المملوكة لوزارة الداخلية فأتلفوها وكان ذلك تنفيذاً لغرض إرهابي على النحو المبين بالتحقيقات.

6. أتلفا وآخرون مجهولون عمداً أموالاً خاصة ثابتة ومنقولة بأن قذفوا مقر البعثة الدبلوماسية للملكة العربية السعودية وبعض الممتلكات الخاصة بالحجارة والعبوات الحارقة مما نجم عنه ضرر مالي جسيم وكان ذلك تنفيذاً لغرض إرهابي على النحو المبين بالتحقيقات

7. حازا وأحرزا أسلحة بيضاء وأدوات مما تستعمل في الاعتداء على الأشخاص بغير ترخيص أو مسوغ قانوني أو مبرر من الضرورة المهنية أو الحرفية وذلك بقصد إستعمالها في نشاط يخل بالأمن العام.

وعليه أسندت النيابة إلى المتهمين المذكورين وآخرين ارتكاب الجنايات المؤثمة بالمواد 40 أولا، 41، 86، 90/1و2، 90 مكررا/1، 137 مكررا(أ)/1و2، 162، 361،253/1و2و4 من قانون العقوبات. والمواد 2و3 و3مكررا و4 من القانون رقم 10 لسنة 1914 بشأن التجمهر المعدل بقرار بقانون رقم 87 لسنة 1968 والمواد 1/1و2، 25 مكرر/1، 26/فقرة أخيرة،30 من القانون رقم 394 لسنة 1954 في شأن الأسلحة والذخائر المعدل بالقانونين 26 لسنة 1978 و165 لسنة 1981 والبندين رقمي 3و7 من الجدول الأول المعدل بقرار وزير الداخلية رقم 1756لسنة 2007 والمواد 2و95و111و112و122 من القانون 12 لسنة 1996 المعدل يالقانون رقم 126 لسنة 2008 بشأن الطفل.

<u>الدفاع</u>

أولا: بطلان المعاينة لأن أوراق التحقيقات خلت من حلف الخبير لليمين أمام سلطة التحقيق.

نصت المادة 86 من قانون الإجراءات الجنائية على أنه:

" يجب على الخبراء أن يحلفوا أمام قاضى التحقيق يمينا على ان يبدوا رأيهم بالذمة وعليهم ان يقدموا تقريرهم كتابة."

....البطلان هو الجزاء الذي فرضه قانون الإجراءات الجنائية على مخالفة القواعد الإجرائية والذي يرد على العمل الإجرائي فيهدد أثاره القانونية.
فتنص المادة 86 من قانون الإجراءات الجنائية على أداء اليمين قبل البدء في مباشرة أعمال الخبرة فاليمين تقدمة الإجراءات الجوهرية التي يترتب على مخالفتها البطلان.
فيجب التمسك به أمام محكمة الموضوع وإلا سقط الحق في إبدائه لأول مرة أمام محكمة النقض.
(البطلان الجنائي د/عبد الحميد الشواربى طبعة 2007 صـ159)
وذهب الدكتور /حامد الشريف إلى : يجب على الخبراء المنتدبين إذا كانوا من غير خبراء وزارة العدل أو خبراء الجدول أن يحلفوا أمام عضو النيابة المحقق يمينا على أن يبدوا بالذمة رأيهم وعليهم أن يقدموا تقريرهم كتابة.
(التعليق على قانون الإجراءات الجنائية د/حامد الشريف طبعة2008الجزء الأول ص664)
يوضح الدكتور رؤوف عبيد :
الخبير هو كل شخص له إلمام خاص بأي علم أو فن ويجب على الخبراء أن يحلفوا يمينا أمام المحقق على أن يبدوا آرائهم بذمة (86 قانون الإجراءات) وهذه هى يمين الخبرة ويترتب على إغفالها بطلان الحكم الذى يبنى على تقرير الخبير.
(مبادئ الإجراءات الجنائية في القانون المصري د/رؤوف عبيد طبعة 1983ص415).
وقد قضت محكمة النقض بأنه:
إذا دفع المتهم ببطلان تقرير الخبير ومحاضر أعماله لعدم حلفه اليمين عند ندبه من قبل النيابة للقيام بمأموريته, وأغفلت المحكمة الرد على هذا الدفع

واعتمدت في الوقت ذاته على هذا التقرير فى إثبات التهمة المسندة إلى المتهم فهذا يعيب الحكم عيبا جوهريا يستلزم نقضه.

(1937/3/1 مجموعة القواعد القانونية ج4 ق 53ص52)

كما تنص المادة 326 من قانون الإجراءات الجنائية على أنه:

" إذا تقرر بطلان أي إجراء فإنه يتناول جميع الآثار التي تترتب عليه مباشرة، ولزم إعادته متى أمكن ذلك."

.....إذا تقرر بطلان أى إجراء فإنه يتناول جميع الآثار التي تترتب عليه، فبطلان الخبرة يترتب عليها بطلان الحكم إذا اتخذت المحكمة تقرير الخبير أساسا لاقتناعها....

(البطلان الجنائي/عبد الحميد الشواربي طبعة 2007 صـ160,161).

وحيث إن النيابة تقوم مقام قاضي التحقيق الذي تشير إليه المادة 86 إ ج باعتبارها هي سلطة التحقيق في هذه القضية، وحيث خلت الأوراق مما يفيد حلف خبير المعمل الجنائي الذي أجرى المعاينة الفنية لليمين أمام النيابة سلطة تحقيق في الدعوى الماثلة وفقا لما يستلزمه النص القانوني المذكور، لذا فإننا ندفع ببطلان المعاينة وببطلان تقرير الخبير الفني لعدم حلفه اليمين عند ندبه من قبل النيابة.

ثانيا: انتفاء حالة التلبس وبطلان الإذن بالقبض وبالتفتيش.

تنص المادة 41 من دستور 1971 وتقابلها المادة 8 من الإعلان الدستوري الصادر في مارس 2011 على أن:

" الحرية الشخصية حق طبيعي وهي مصونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس لا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد أو منعه من التنقل إلا بأمر تستلزمه ضرورة التحقيق وصيانة أمن المجتمع، ويصدر هذا الأمر من القاضي المختص أو النيابة العامة، وذلك وفقا لأحكام القانون......."

وتنص المادة 44 من دستور 1971 وتقابلها المادة 10 من الإعلان الدستوري الصادر في مارس 2011 على أن:

" للمساكن حرمة فلايجوز دخولها ولا تفتيشها إلا بأمر قضائي مسبب وفقا لأحكام القانون."

وتنص الفقرة الثانية من المادة 35 من قانون الإجراءات الجنائية على أن:

"..... وفي غير الأحوال المبينة في المادة السابقة إذا وجدت دلائل كافية على اتهام شخص بارتكاب جناية أو جنحة سرقة أو نصب أو تعد شديد أو مقاومة لرجال السلطة العامة بالقوة والعنف، جاز لمأمور الضبط القضائي أن يتخذ الإجراءات التحفظية المناسبة ، وأن يطلب فورا من النيابة العامة أن تصدر أمرا بالقبض عليه......"

وقد قضت محكمة النقض:

" لما كان ذلك ، وكان من المقرر أن تقدير جدية التحريات وكفايتها لتسويغ إصدار الإذن بالتفتيش وإن كان موكولاً إلى سلطة التحقيق التى أصدرته تحت رقابة محكمة الموضوع ، إلا أنه اذا كان المتهم قد دفع ببطلان هذا الاجراء ، فإنه يتعين على المحكمة أن تعرض لهذا الدفع الجوهرى وتقول كلمتها فيه بأسباب سائغة ، ولما كان الحكم المطعون فيه. لم يعرض البتة لدفع الطاعن ببطلان إذن التفتيش لعدم جدية التحريات التى بنى عليها ، على الرغم من أنه أقام قضاءه بالإدانة على الدليل المستمد مما أسفر عنه تنفيذ هذا الإذن ، فإن الحكم يكون معيباً بالقصور . بما يوجب نقضه والاعادة ، بغير حاجة إلى بحث باقى أوجه الطعن" .

(نقض جنائي – الطعن رقم 1996/13937 والمقيد برقم 13937 لسنة 66 ق) .

كما قضت أيضا:

"حيث إن الحكم المطعون فيه عرض للدفع المبدى من الطاعن ببطلان إذن التفتيش لابتنائه على تحريات غير جدية وأطرحه فى قوله : "وحيث إنه عن الدفع المبدى ببطلان إذن النيابة العامة بمقوله ابتنائه على تحريات غير جدية فمردود عليه بما هو مقرر من أن تقدير جدية التحريات وكفايتها لإصدار الإذن بالضبط والتفتيش أمر موكول تقديره لسلطة التحقيق الا من تحت إشراف محكمة الموضوع، ولما كان الثابت من محضر التحريات وشهادة محرره أنه قام بإجراء التحريات بناء على ما نمى إليه من مصادره السرية والمراقبة الشخصية، فإنه لا تثريب على سلطة التحقيق وقد أذنت لضبط وتفتيش المتهم ومسكنه اطمئناناً منها إلى ما أُجري من تحريات جدية وهو الأمر الذى تقرها عليه المحكمة .." لما كان ذلك، وكان الأصل فى القانون أن الاذن بالتفتيش هو إجراء من إجراءات التحقيق لا يصح إصداره إلا لضبط جريمة "جناية أو جنحة" واقعة بالفعل وترجحت نسبتها إلى متهم معين وأن هناك من الدلائل ما يكفى للتعرض لحرمه مسكنه أو لحريته الشخصية، وأن تقدير جدية التحريات وكفايتها لتسويغ إصدار الإذن بالتفتيش وإن كان موكولاً إلى سلطة التحقيق التى أصدرته تحت رقابة محكمة الموضوع إلا أنه إذا كان المتهم قد دفع ببطلان هذا الاجراء فإنه يتعين على المحكمة أن تعرض لهذا الدفاع الجوهرى وأن ترد عليه بالقبول أو الرفض وذلك بأسباب سائغة ، وكان مارد به الحكم وعلى ما سلف بيانه لا يصلح رداً على هذا الدفع، لأن شرط صحة إصدار الإذن أن يكون مسبوقاً بتحريات جدية يرجح معها نسبة الجريمة إلى المأذون بتفتيشه مما يقتضى من المحكمة – حتى يستقيم ردها على الدفع – أن تبدى رأيها فى عناصر التحريات السابقة على الإذن وأن تقول كلمتها فى كفايتها أو عدم كفايتها لتسويغ إصدار الإذن من سلطة التحقيق ، أما ولم تفعل واكتفت بعبارات عامة معماة لا يتحدد منها شخص المأذون بتفتيشه وصلته بالمخدر

المطلوب ضبطه فإن حكمها يكون معيباً بالقصور والفساد فى الاستدلال ويتعين نقضه والإعادة. بغير حاجة إلى بحث باقى أوجه الطعن."

(نقض جنائي – الطعن رقم 1997/5143 والمقيد برقم 5143 لسنة67ق).

لما كان ما تقدم وكان المتهمان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون لم يقبض عليهما متلبسين حال قيام واقعة التجمهر المزعومة أو حولها وفقا لما يقرره القانون، بل قبض عليهما من بيتهما بعد الواقعة بشهر في2011/10/9 بإذن صادر من النيابة العامة بالقبض والتفتيش، وحيث إن هذا الإذن لم يكن صادراً بناء على تحريات جدية وكافية لإصداره لضبط جريمة ترجح نسبتها إلى المتهمين 28و29 ، بل صدر بناء على تحريات واهية ترنو إلى الانعدام بل ملفقة صنعها صنعا العميد جمعة توفيق رئيس مباحث قطاع غرب الجيزة سطرها بيمينه وأسماها تحريات، وحيث لم تكن هناك من الدلائل ما يكفي للتعرض لحرمة مسكنيهما أو لحريتهما الشخصية ليسوغ إصدار الإذن بالقبض أو التفتيش، بل لقد انعدمت أصلا الدلائل على ارتكابهما أي جريمة أو حتى مخالفة. فإننا ندفع ببطلان الإذن الصادر من النيابة بالقبض على المتهمين وبالتفتيش لعدم جدية التحريات وعدم كفاية الأدلة ضدهما لصدور مثل هذا الاذن.

ثالثا: انتفاء أركان جريمة التجمهر والجرائم المرتبطة به في حق المتهمين:

تنص المادة الثانية من قانون التجمهر رقم 10 لسنة 1914 على أن:

" إذا كان الغرض من التجمهر المؤلف من خمسة أشخاص على الأقل ارتكاب جريمة ما أو... فكل شخص من المتجمهرين اشترك في التجمهر وهو عالم بالغرض منه أو علم بهذا الغرض ولم يبتعد عنه يعاقب بالحبس.."

وتنص المادة الثالثة من ذات القانون على أن:

".. وإذا وقعت جريمة بقصد تنفيذ الغرض المقصود من التجمهر فجميع الأشخاص الذين يتألف منهم التجمهر وقت ارتكاب هذه الجريمة يتحملون مسؤوليتها جنائيا بصفتهم شركاء إذا ثبت علمهم بالغرض المذكور."

وقد قضت محكمة النقض فى ذلك بأن:" يشترط لقيام جريمة التجمهر المؤثم بالمادتين الثانية و الثالثة من القانون رقم 10 لسنة 1914 – اتجاه غرض المتجمهرين الذين يزيد عددهم على خمسة أشخاص إلى مقارفة الجرائم التي وقعت تنفيذا لهذا الغرض ، وأن تكون نية الاعتداء قد جمعتهم و ظلت تصاحبهم حتى نفذوا غرضهم المذكور ، و أن تكون الجرائم التي ارتكبت قد وقعت نتيجة نشاط إجرامي من طبيعة واحدة ، و لم تكن جرائم استقل بها أحد المتجمهرين لحسابه دون أن يؤدى إليها السير الطبيعي للأمور ، وقد وقعت جميعها حال التجمهر.

و لما كان الحكم المطعون فيه لم يدلل على توافر هذه العناصر الجوهرية فى حق الطاعنين ، و كان ما أورده فى مجموعه لا يكشف عن توافرها ، فإنه يكون مشوباً بالقصور، مما يعيبه و يوجب نقضه بالنسبة لهم ."

(نقض جنائي الطعن رقم 2835 لسنة 32 ق جلسة1963/6/10)

وقضت أيضا المحكمة الغراء:" إن الفقرة الثانية من المادة 3 من القانون رقم 10 لسنة 1914 بشأن التجمهر قد نصت على أنه "إذا وقعت جريمة بقصد تنفيذ الغرض المقصود من التجمهر فجميع الأشخاص الذين يتألف منهم التجمهر وقت ارتكاب هذه الجريمة يتحملون مسئوليتها جنائياً بصفتهم شركاء إذا ثبت علمهم بالغرض المذكور" فيجب لأخذ المشتركين فى التجمهر بهذه المادة ، فضلاً عن ثبوت علمهم بالغرض الممنوع ووقوع الجريمة أثناء اشتراكهم فى التجمهر ، أن يثبت أن وقوعها كان بقصد تنفيذ الغرض من التجمهر ، فإن كانت وقعت تنفيذاً لقصد آخر سواء أكان بيَّت مقارفها أم كان قد نبت عند أحد المتجمهرين فجأة فلا يسأل عنها باقي المشتركين فى التجمهر ، كما لا يسألون

عنها إذا ارتكبها مقارفها بقصد تنفيذ الغرض من التجمهر فى رأيه ، متى تبين أن الالتجاء إليها لتنفيذ ذلك الغرض كان بعيداً عن المألوف الذي يصح أن يفترض معه أن غيره من المشتركين فى التجمهر قد توقعوه بحيث تصح لذلك محاسبتهم عليه باعتباره من النتائج المحتملة من الاشتراك فى تجمهر محظور عن إرادة و علم بغرضه . فإذا كان الحكم قد أثبت أن الاحتشاد كان أول أمره مظاهرة سارت لمناسبة معينة "يوم الإضراب من أجل عرب فلسطين" فتصدى لها البوليس بالتفريق والمطاردة فتخلفت عنها شراذم أفلتت من المطاردة و سارت فى جهات مختلفة وقام أفراد من بعض الشراذم بإتلاف المحلات أو اختلاس ما فيها فلا تكون هذه الواقعة محلاً لتطبيق المادة 3 من قانون التجمهر ، إذ لا يمكن ربط هذه الشراذم المتفرقة بتلك المظاهرة و لا ربط ما وقع من حوادث الإتلاف والسرقة بالغرض الذي قامت من أجله قبل تفريقها أو تشتيتها . ولا يكفى لمحاسبة المتهم عن النهب أن يثبت أنه ارتكب إتلافاً فى أعقاب المظاهرة ما دام لم يثبت أنه كان ضمن شرذمة معينة من تلك الشراذم التي اتخذت الإجرام السافر غرضاً لها و أن ما حصل من الإتلاف و السرقة كان بقصد تنفيذ هذا الغرض الإجرامي .

(نقض جنائي الطعن رقم 1890 لسنة 16 ق، جلسة 1946/12/2)

وقررت المحكمة الدستورية العليا في شأن التجمهر المؤثم بالقانون رقم 10 لسنة 1914أن:

" مناط العقاب على التجمهر وشرط تضامن المتجمهرين فى المسئولية عن الجرائم التي تقع تنفيذاً للغرض منه هو ثبوت علمهم بهذا الغرض، وأن تكون نية الاعتداء قد جمعتهم وظلت تصاحبهم حتى نفذوا غرضهم المذكور وبذلك يكون المشرع قد جعل من توافر أركان جريمة التجمهر على الوجه المعرفة به قانوناً أمراً تتحقق به صورة المساهمة فى الجرائم التي يرتكبها أحد المتجمهرين

جاعلاً معيار المسئولية وتحمل العقوبة هو العلم بالغرض من التجمهر واتجاه الإرادة إلى تحقيق هذا الغرض......." .

(القضية المقيدة بجدول المحكمة الدستورية العليا برقم 1 لسنة 9 قضائية"دستورية") .

وقد قضت محكمة جنايات أمن الدولة العليا طوارئ فى قضية أحداث الكوم الأحمر :

.. ولم تقيم النيابة العامة الدليل على توافر الشروط بالنسبة لأي من الوقائع المنسوبة للمتهمين، وحيث إن النيابة العامة ارتكنت فى إثبات جريمة التجمهر فى حق المتهمين إلى ما ساقه شهود الإثبات وفى مقدمتهم المقدم عماد محفوظ طاهر رئيس مباحث مركز أوسيم الذي قرر بأن تحرياته السرية أفادت بأن المتهمين اتحدت إرادتهم على هذا التجمهر بقصد ارتكاب الجرائم المسندة إليهم مقارفتها وهو القول الذي سايره فيه النقيب احمد عواد الحبشي معاون مباحث مركز أوسيم ، وهو قول ترى المحكمة أنه جاء مرسلا عاريا من أي دليل يسانده ، ويكفى للتدليل على ذلك أن يقول صراحة فى التحقيقات: إنه لم يكن يعرف أشخاص المتهمين الا بعد الحادث وبعد أن أجرى تحرياته دون أن يقدم دليلا سوى هذه المقولة التي جاءت لا تتفق مع ماديات الدعوى ، فليس فى الأوراق ما يقطع بقيام اتفاق أو شبه اتفاق بين المتهمين على هذا التجمهر سواء فى بداية الأحداث أو أثنائها.

(قضية رقم 1584 لسنة 1988 أوسيم ورقم كلى 717 جنايات أمن دولة عليا طوارئ)

لما كان ما تقدم وكان الغرض من التجمع الحادث في محيط سفارة دولة العدو الإسرائيلي في يوم حدوث الواقعة محل الدعوى 2011/9/9 هو الاحتجاج على مقتل جنودنا على يد القوات الإسرائيلية وعلى بناء سور لحماية سفارة دولة

العدو الإسرائيلي من غضب المصريين بسبب الاعتداء علي أبنائهم وقتلهم، ولم يكن الغرض هو التجمهر المؤثم قانونا وفقا لما سلف بيانه.

وقد ثبت ذلك من واقع الأوراق ومن محضر تحريات العميد جمعة توفيق حين قسم المتظاهرين المتجمهرين إلى فئتين وجعل لكل فئة هدفاً وغرضاً مختلفاً، فلم نعد بصدد جريمة التجمهر المؤثم قانونا على الوجه آنف البيان.

ولما كان ذلك وكان المتهمان قد قررا في التحقيقات (ص 1465 – 1481) بعدم علمهما بالتجمهر ولا بالغرض منه وأكدا عدم اشتراكهما في الجريمة، وقد خلت الأوراق تماما من أي دليل أو قرينة على اشتراكهما في هذا التجمهر المجرم، لذا ولكل ما تقدم فإننا ندفع بانتفاء جريمة التجمهر كلية وبانتفاء جميع أركانها في حق المتهمين 28 و29.

رابعا: توافر أسباب الإباحة في حق المتهمين

تنص المادة 60 من قانون العقوبات على : " لا تسري أحكام قانون العقوبات على كل فعل ارتكب بنية سليمة عملا بمقتضى حق مقرر بمقتضى الشريعة."

وكما ورد بالتحقيقات فقد قرر المتهم الثامن والعشرون – بالحقيقة وبالواقع – أنه كان جالسا يشاهد التليفزيون فسمع وعرف منه أنهم أنزلوا علم إسرائيل من على السفارة الإسرائيلية وأحرقوه – ومدفوعا بشعور وطني دفين وتلقائي– قرر أن يذهب إلى هناك ليتفرج على ما يحدث خاصة وأنه من قاطني ميدان الجيزة القريب جدا من محيط الأحداث.

كما ورد أيضا بالتحقيقات أن المتهم التاسع والعشرين قرر – بالحقيقة وبالواقع – أنه حال مروره من على كوبري الجامعة راكبا أتوبيس يقله إلى حيث يسكن بساقية مكي بالجيزة، وعلى أثر توقف الطريق قرر أن ينزل ويمشي إلى ما بعد الكوبري فشاهد المظاهرات – وبذات الشعور الدفين التلقائي – وقف ليتفرج على ما يحدث.وحيث لا يوجد في كل أوراق القضية ما ينفي صدق هذا الذي

قرره المتهمان فإن ما أقدم عليه كل منهما هو فعل ارتكب بنية سليمة وتتوافر فيه أسباب الإباحة وفقا لما يقرره النص القانوني المذكور.

خامسا: خلو الأوراق مما يدل على ارتكاب المتهمين للجرائم المسندة لهما

قضت محكمة النقض:" قاعدة الشك يفسر لصالح المتهم تقتضى من القاضي تطبيقها كلما ثار لديه الشك فى الإدانة .....فإذا خالفها واعتبر الواقعة محل الشك ثابتة، وقضى بالإدانة كان حكمه باطلا . فالأحكام فى المواد الجنائية لا تبنى على الشك إنما على الجزم واليقين، لا على الظن والاحتمال. ذلك أن الشك لا يصلح لنفى أصل البراءة الذي يجب أن يبنى على دليل يقيني. فإذا كانت الأدلة التي ساقها القاضي فى حكمه قد انتهت إلى ترجيحه وقوع الجريمة من المتهم فإن الحكم يكون خاطئا ومخالفا للقانون. فأي شك يتطرق إلى عقيدة المحكمة فى ثبوت التهمة. يجب أن تقضى بالبراءة مهما كان احتمال الثبوت ودرجته متى أحاطت المحكمة بالدعوى عن بصر وبصيرة ".

(نقض 8 مايو سنة 1980 مجموعة أحكام محكمة النقض س 8 رقم 27 ص 352) .. (19 أبريل سنة 1984 س 35 رقم 98 ص 441) .

" أما إذا كانت المحكمة لم تنته من الأدلة التي ذكرتها إلى الجزم بوقوع الجريمة من المتهم ، بل رجحت وقوعها منه فحكمها بالإدانة يكون معيبا مما يستوجب نقضه " .

(نقض15أبريل سنة 1946 ج 7رقم 139ص 124)

وقد خلت أوراق الدعوى من أي دليل أو قرينة على ارتكاب المتهمين للجرائم المسندة لهما، فقد شيدت القضية كلها على مجرد محضر تحريات واهٍ وغير جدي سطرها العميد جمعة توفيق رئيس مباحث غرب الجيزة بتاريخ 2011/9/10 وقد جاء مهترئاً ومتناقضا حتى إنه استكمله بمحضر تحريات لاحق في 2011/10/8 لموافاة النيابة به، كما خلت الأوراق من أي اعترافات صادرة من المتهمين أو ضدهما، ولا توجد أي أحراز تخصهما أو تدلل على

ارتكابهما لجريمة التجمهر أو الجرائم المرتبطة به مما ورد بأمر الإحالة ، ولا يوجد شهود رؤية يؤكدون ارتكابهما للجرائم أو اشتراكهما فيها. وعليه نتمسك بقاعدة أن الأصل في المتهم البراءة وأن الشك يفسر لصالحه طالما انتفت الأدلة التي تجزم بوقوع الجريمة منه.

لذلك ولكل ما تقدم ولما تراه عدالة المحكمة من أسباب أفضل نلتمس براءة المتهمين مما نسب إليهما.

وكيلة المتهمين / صفاء زكي مراد المحامية

ملحق رقم (3)
فى الذكرى 35 للمعاهدة (*)
ثلاثون سببا للتحرر من كامب ديفيد
محمد سيف الدولة

1) تجريد ثلثى سيناء من القوات و السلاح، مما يجعلها عارية أمام أي عدوان اسرائيلى مستقبلى مماثل لعدوانى 1956 و1967.

2) الانحياز الى الأمن القومى الاسرائيلى على حساب الأمن القومى المصرى.

3) نشر قوات أمريكية وأوروبية فى سيناء لا تخضع للأمم المتحدة، تراقب القوات المصرية، ولا تملك مصر المطالبة بانسحابها.

4) انتشار التجسس والإرهاب والتهريب وكل أنواع الجرائم فى سيناء، بسبب غياب سيادة الدولة هناك.

5) زرع الخوف من أمريكا وإسرائيل، بحجة التهديد العسكرى الامريكى لمصر الوارد فى مذكرة التفاهم الأمريكية الإسرائيلية الموقعة فى 25مارس 1979،والذى يتخذ النظام منه ذريعة لعدم المطالبة بإلغاء أو تعديل المعاهدة.

6) سيطرة وتحكم أمريكى فى الجيش والسلاح المصرى، من خلال المعونة العسكرية الأمريكية، لضمان التفوق الدائم للجيش الاسرائيلى.

7) ضرب الاقتصاد المصرى وتصفية القطاع العام بسبب دعمه للمجهود الحربى قبل حرب 1973، وتأسيس اقتصاد بديل تابع.

8) قامت أموال المعونة الاقتصادية الأمريكية بتمويل صناعة طبقة رأسمالية تحكم مصر، موالية لأمريكا وللسلام مع إسرائيل.

9) أصبح الاعتراف بإسرائيل والالتزام بكامب ديفيد شرطاً أمريكياً أوروبياً إسرائيلياً لكل من يحكم مصر.

---

* نعيد هنا نشر المقال المتميز للمفكر القومى محمد عصمت سيف ا الدولة باعتباره يتفق ومجمل رؤيتنا التى اوردناها فى هذة الموسوعة عن التطبيع مع العدو الصهيونى

10) وتم طرد كل من يعادى إسرائيل أو يرفض المعاهدة، أو يناصر فلسطين من شرعية نظام كامب ديفيد.

11) كما ألزمت المعاهدة مصر بتقديم كل من يحرض ضد اسرائيل إلى المحاكمة .

12) تزييف الوعى الشعبى وتضليل الرأى العام، لتصبح إسرائيل هى الصديق وفلسطين هى العدو.

13) دخلت أمريكا بمعونتها وخبرائها واستخباراتها وأجندتها إلي أعماق المجتمع المصري ؛ تراقبه وترصده وتحلله وتوجهه وتستقطب منه وتفرخ فيه مؤسسات خادمة لتفعيل مشروعها في مصر.

14) أصبح للمعاهدة الأولوية على اتفاقيات الدفاع العربى المشترك الموقعة فى 1950، بموجب نص صريح فى المعاهدة.

15) وتم تقييد حق مصر فى توقيع أى اتفاقيات مستقبلية مع أى دولة، تخالف أحكام المعاهدة.

16) أدى الاعتراف بشرعية إسرائيل إلى التفريط فى أرض فلسطين التاريخية، فى أول سابقة عربية على مر التاريخ، وهو ما فتح الباب بعد ذلك لسيل من التنازلات العربية الرسمية.

17) أدى انسحاب مصر من الصراع إلى خلل كبير فى ميزان القوى، وإلى هيمنة عسكرية إسرائيلية، وإلى سلاسل من الاعتداءات الصهيونية المتتالية على لبنان والعراق وتونس والسودان وسوريا وفلسطين.

18) نصت المعاهدة على ضرورة قيام مصر بالترويج للسلام على الطريقة الإسرائيلية، والتحالف ضد كل من يرفضه، والمشاركة فى حصار المقاومة الفلسطينية .

19) إضعاف المقاطعة الدولية لإسرائيل، بعد أن قامت 80 دولة بالاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها بعد المعاهدة.

20) أدى ضرب قضية العرب المركزية (فلسطين)، إلى ضرب وحدة الصف العربى، وتفشى الانقسام والاقتتال الداخلى، وتحول منذئذٍ الصراع العربى الصهيونى إلى صراع عربى عربى.

21) أدى انسحاب مصر من مواجهة المشروع الامريكى فى المنطقة، إلى نجاح وتعميق الهيمنة الأمريكية على الوطن العربى واحتلال العراق وتقسيم السودان.

22) كما أن المعاهدة باطلة دستوريا بسبب مخالفتها للمادة الاولى من الدستور التى تنص على أن مصر جزء الامة العربية، تعمل على وحدتها.

23) وبسبب مخالفتها للمادة الخامسة من الدستور التى تنص على أن السيادة للشعب المصرى وحده، بعد أن فرطت فى سيادتنا العسكرية الكاملة فى سيناء.

24) وبسبب مخالفتها المادة الثانية من الدستور و أحكام الشريعة الاسلامية التى تحض على قتال كل من يعتدى على أوطاننا (ديارنا).

25) وبسبب تزوير الإرادة الشعبية فى الاستفتاء الذى تم على المعاهدة فى إبريل 1979.

26) والمعاهدة باطلة دوليا أيضا، وفقا لاتفاقية فيينا للمعاهدات، بسبب "إكراه" مصر على السلام مع إسرائيل، بعد أن تم احتلال أراضيها بالقوة بالمخالفة لميثاق الأمم المتحدة، وعدم تدخل مجلس الأمن لإخراج القوات المعتدية، وما تلى ذلك من انضمام أمريكا إلى اسرائيل فى حرب 1973 .

27) اعتراف مصر بدولة عدوانية عنصرية وطائفية كإسرائيل، فتح الباب أمام الطائفيات الأخرى، لتأسيس دويلاتها المماثلة للنموذج الصهيوني، ومثَّل دعماً كبيراً لمشروعات التفتيت العربى .

28) ضربت المعاهدة روح الانتماء الوطني لدى الشعب المصري، بعد أن تم ضرب كل ثوابته الوطنية والتاريخية والعقائدية.

29) تسببت فى الانشقاق الوطنى وضربت الوحدة الوطنية بين الشعب والسلطة الحاكمة، بعد أن تصالحت مع عدو الأمة، ففقدت شرعيتها الوطنية، وحكمت البلاد منذئذٍ بالقمع والردع.

30) إجهاض الثورة المصرية واحتواؤها وإعادة إنتاج نظام مبارك، بعد أن ربطت أمريكا ومجتمعها الدولى اعترافها بالثورة المصرية، بضرورة الالتزام بكامب ديفيد ونظامها .

قسم الوثائق

1999

2000

أولاً : قسم الوثائق المكتوبة

2001

2002

الوثيقة الأولى : مقدمات كامب ديفيد :

محضر لاجتماع كسينجر وجولدا مائير خلال مفاوضات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية 1974 (مترجمة)

2003

2004

محضر لاجتماع بين كيسنجر وجولدا مائير خلال مفاوضات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية عام 1974

جولدا مائير: السادات سيحتل ليبيا

مذكرة لمحضر اجتماع (1)

المشاركون: السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل، سيمحا دينيتز السفير الإسرائيلى فى الولايات المتحدة، الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى، بيتر دبليو رودمان عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى

الوقت والتاريخ: الجمعة 1 مارس 1974 عند الساعة الـ12:00 ظهرا

المكان: بيت الضيافة، هرتزيليا (2)

كيسنجر: هل رأيتِ آخر إذلال للروس على يد المصريين؟ لقد نجحنا فى تأسيس علاقات دبلوماسية كاملة مع مصر، وأصر السادات على رفع العلم الأمريكى على مقر السفارة

مائير: (تضحك) على شرف وصول غروميكو؟!!

كيسنجر: نعم، لقد صنعوا من استئناف العلاقات حدثاً مهماً. كانت وزارة الخارجية (المصرية) بأكملها هناك. أدلى فهمى بخطاب حماسى، وسيعرض على التليفزيون المصرى بعد عرض وصول غروميكو!! (يتهكم)

مائير: أدلى السادات بتصريح بأنه من المفيد (للسلام) أن تزورَ الشرق الأوسط، وأشار إلى أربع مراحل لفك الاشتباك على الجبهة المصرية، وقال: إنه ينبغى أن يحدث نفس الشىء فى سوريا.

وكانت الإشارة الوحيدة لحضور شخص آخر هى أن (وزير الخارجية السوفييتى) غروميكو قادم، ولكنه قال : إن المستشار الألمانى فيلى برانت والرئيس (نيكسون) سيزوران مصر عام 1974.

كيسنجر: لمعلوماتك، إنه (نيكسون) يفكر فى أن تكون الزيارة فى مايو

مائير: ليوافق عيد ميلادى

كيسنجر: متى عيد ميلادك؟

مائير: 3 مايو

كيسنجر: عيدى فى 27 مايو

مائير: (تضحك) ولكن أنا فى القرن التاسع عشر

كيسنجر: إنه القرن الذى أحمل شغفا خاصا به. وبالمناسبة، لقد قال (نيكسون): إنه لن يأتى إلى الشرق الأوسط دون زيارة إسرائيل

مائير: (تضحك) لم أتصور مطلقا أننى سأواصل العمل حتى هذا العمر. أنا مستعدة للتنازل عن منصبى لأى شخص يريده.

السفير دينيتز: (يقرأ خبراً من برقية) هذا هو البيان الذى أدلى به السادات للصحافة بعد أن غادر الدكتور كيسنجر القاهرة. لقد قال: «أشكر الدكتور كيسنجر على جهوده، وأعتقد أن الولايات المتحدة لديها موقف جديد يعبر عن النيات الحسنة وتسهيل استئناف العلاقات، وهو موقف يدل على نية الولايات المتحدة لتحقيق حل. ثم تحدث السادات عن فك الاشتباك على الجبهة السورية، وقال: إنه هدف رئيس لسوريا فى هذا الصدد، ونشارك فيه، لأننا جبهة واحدة وقمنا بحملة واحدة.

كيسنجر: هذا مفيد لكِ.

دينيتز: (يواصل القراءة) «وشاركنا كطرف مساعد». إنه يعتقد أن فك الاشتباك يمكن تحقيقه فى سوريا كما جرى فى مصر إذا مر عبر أربع مراحل تحضيرية، مثل (اتفاقية) النقاط الست، ومحادثات الكيلومتر 101 (4)، وجنيف ومحادثات أسوان. (يواصل القراءة) «فك الاشتباك على الجبهة السورية، سيستفيد من تجربتنا التى تحققت فى الموعد المحدد وكما هو مخطط له ؛ لأننا قمنا بالاستعدادات لذلك. استئناف مؤتمر جنيف مشروط بتحقيق فك الاشتباك فى سوريا». وأشار أيضا إلى أنه دون تحقيق العدالة للفلسطينيين لا يمكن أن يكون هناك سلام فى جنيف... وقال أخيراً : إن نيكسون وبرانت سيزوران القاهرة فى

1974، ولا أفترض بأنهما سيكونان معا! (يتهكم) وسوف يتواصل مع الأسد فى الساعات القليلة المقبلة. وتحدث عن التعاون الأمريكى – المصرى فى تنظيف القناة وحول الأجهزة التقنية الأخرى التى تملكها الولايات المتحدة. (يقدم نص مقابلة السادات لكيسنجر

مائير: آمل أن يجد غروميكو من يحتضنه ويُقَبِلَهُ عند وصوله إلى مصر

كيسنجر: كلا، لن يجد

دينيتز: حضنوه فى سوريا – وزير خارجيتهم حضنه وقَبَّلَهُ فى المطار

كيسنجر: (بتهكم) نحن لم نصل إلى هذه النقطة (التقبيل) مع الروس...طلب السادات منى أن أتوقف فى مصر، وأنا فى طريقى للخروج من المنطقة، أى فور مغادرة غروميكو للقاهرة، لكى يوضح (للعالم) الفرق فى المعاملة المصرية (بين كيسنجر وغروميكو).

مائير: أووه مسكين غروميكو. لقد قال خروتشوف ذات مرة للصحافة : «تسألون عن كفاءة وزير خارجيتنا غروميكو؟! حسنا، سأخبركم: لو طلبت منه أن يخفض سرواله ويجلس على قطعة من الجليد، فسوف يفعل ذلك فورا ودون تردد.

كيسنجر: كما أنهم يستخدمون غروميكو فى روسيا كمثال للرجل المستقيم (straight، أى : غير الشاذ.

مائير: دعوت يوم أمس لاجتماع لمجلس الوزراء لمجرد أن أقول لهم عن وصول قائمة الأسرى. ولكن لدى السلطة للموافقة دون استشارة الحكومة. وقد طلبوا منى شكرك وتقديرك على إعطائنا قائمة الأسرى. هناك واحد فقط أحمق – ليس أحمق ولكن غوغائى – تامير الذى قال : إن حقيقة أن القائمة جاء بها الدكتور كيسنجر ليجعلها لا تتماشى مع اتفاقية جنيف. ولكن الجميع سعداء.

كيسنجر: وبخصوص الأسرى مزراحى وليفى، فقد أعطى السادات أوامر أمامى للإفراج عنهما ، يمكنكِ إطلاق سراح الـ73، ولكن يمكنك الاحتفاظ بالروسى.

دينيتز: اتفقنا على الـ73.

كيسنجر: بصراحة، أعتقد أن السادات كان على استعداد للقيام بذلك دون هذه المقايضة، ولكن أنا عرضت الـ73، ولكن ليس ذلك الروسى.

مائير: ربما يمكننا استخدامه للحصول على بعض المنفيين فى سيبيريا.

كيسنجر: نعم، لذلك قلت إنكم تريدون أن يبقى الروسى. وقال: لا بأس.

قالوا: إن مزراحى من أصل مصرى.

يقولون: يمكنكم الإعلان اليوم أنه تمت إعادتهم.

مائير: متى سيأتى؟.

كيسنجر: مسألة وقت، روتين.

مائير: نفضل أن نعلن عن وصوله، عندما يكون هنا بالفعل.

كيسنجر: لا بأس. أعتقد خلال الـ48 ساعة القادمة.

يقول السادات: إن مخابراتكم اتصلت بالمخابرات المصرية فى المغرب للاجتماع والتنسيق معا.

مائير: لا أعرف.

كيسنجر: أكد لى أنه حدث. وقال: إنكم عرضتم اقتراحا للتنسيق من خلال الحسن. وقد أجاب بأنه لا يمانع شريطة أن يُفعل ذلك أيضا مع الفلسطينيين. لكن ذلك كان فقط، لأنه لا يريد أن يفعل ذلك فى المغرب. وقال: إنه يريدنى أن أقول لكم: إنه مهتم بالتواصل والتنسيق شريطة أن يتم ذلك من خلالى وطلب منى أن أقول لكِ هذا.

مائير: لا أعرف عن هذا، لأننى لم أر سفيكا رئيس مخابراتنا هذا الأسبوع.

كيسنجر: وقال أيضا: إن أى اتصالات تريدين – سياسية أو اقتصادية أو استخباراتية – فهو موافق شريطة أن تفعلى ذلك من خلالى.

مائير: جيد.

كيسنجر: وقال لى : إنه سَرَّحَ حتى الآن 200،000 جندى، (أى أنهى تعبئتهم) وكل وسائل النقل المساندة لهم. قلتِ لى: إنكِ ستسرحين نصف الاحتياطى الخاص بك.

دينيتز: قلت لدادو (5) (إليعازر)، إننا سنحدد رقما أكثر دقة.

كيسنجر: إذا كُنتَ تستطيع أن تفعل ذلك الآن، فيمكننى أن أرسله إليه كما لو كان منكِ.

دينيتز: جيد.

مائير: كيف يرى السادات إمكانية الاتصالات السياسية المباشرة بيننا؟.

كيسنجر: سأكون هنا مرة أخرى فى غضون 4-6 أسابيع، يمكننا مناقشة الأمر عندها.

دينيتز: ربما يمكن ترتيب لقاء بين رئيسة الوزراء والسادات، فى وجودكم.

كيسنجر: من وجهة نظرنا، سوف نرحب باللقاء.

مائير: سمعنا أن السادات يريد مساعدتى ضد ديان .

دينيتز: لقد بقيت أتحدث معه أمس، حتى 01:30 (صباحا).

مائير: إنه مجروح حقا.

دينيتز: قال: إنه لا يريد أن يضركِ.

مائير: إنه شخص معقد جدا. كنت أعارض وجوده فى عام 1967، ولكننا عملنا معا بشكل جيد.

كيسنجر: لقد كان إيجابيا فى مأدبة العشاء تلك الليلة.

دينيتز: لقد كان مع فك الاشتباك فقط كفترة راحة واستجمام.

كيسنجر: هذا هو السبب الوحيد الذى يهمنى أيضا (7). أنتم تحتاجون إلى بعض الوقت، وتموضع جديد للقوات. هناك بالكاد فرصة 30% فقط للحصول على أى تنازل من مصر.

مائير: لقد قال (ديان) : إنه يعتقد أن السادات يريد السلام.

كيسنجر: وأنا أعتقد ذلك أيضا. كان يمكنه أن يحرجنى بممارسة خطابية السياسة العربية حول فك الاشتباك فى سوريا. السادات ليس أحمق، بل يعلم تماما ما هى استراتيجيتنا الحقيقية . تذكرى مقال مجلة «نيوزويك» عن كونى سبب تأخير محادثات الكيلومتر 101 من أجل استكمال فك الاشتباك خلال رحلتى. لقد قرأها، وقال: «بالطبع! هذا هو السبب الوحيد». أمس، لم يُثر حتى المرحلة المقبلة. أخذته على جانب فقط، لأقول : إننى لست ضد مناقشتها. لم يذكر أبدا حدود 1967. وعلى شاشة التليفزيون، كان يرتدى ملابس مدنية، وقال: نعم، إن للملابس أهمية رمزية، وإنها أول مرة يستقبل فيها ضيفا أجنبيا بالملابس المدنية منذ الحرب. وسُئل إذا كانت تعنى نهاية الحرب، أجاب: كلا، ولكنها تعلن عن عصر جديد.

يقول: إن رئيس الوزراء الليبى فى موسكو لشراء دبابات (-62T) .

وطائرات فوكسباتس (ميج–25). إذا كان ذلك صحيحا، فهذا يعنى أن القوات السوفيتية ستدخل ليبيا، لأن السادات يعتقد أنه لم ولن يوجد طيار ليبى يستطيع قيادة الفوكسباتس على مدى السنوات الـ50 المقبلة. وإذا حدث هذا التطور – يقول السادات – فسوف يتحرك ضد ليبيا، إما عن طريق صنع تمرد فى ليبيا وإما أن يحتلها بالقوات المصرية. ويريد تأكيدا وضمانا بأنك سوف تبقين هادئة.

قلت: لا أستطيع أن أتكلم نيابة عنكِ!.

مائير: بالتأكيد! يمكنك طمأنته.

كيسنجر: (بتهكم) بالطبع، لا أعتقد أنك ستكسرين فك الاشتباك لإنقاذ القذافى!. وبخصوص الاستطلاع، لقد تخلص من الفوكسباتس السوفييتية، ويحتاج الآن إلى صور طائراتنا الاستطلاعية كما اتفقنا. وقال : إنه يفضل طائرات التجسس «لوكهيد يو–2 (-2U) بدلا من الأرخص «إس آر–71 (-71SR)، وسوف نقوم بتجربة تجسس عليكما بواسطة «لوكهيد يو–2» ليرى مزاياها ويمكننا أن نقول للحكومات الأخرى : إننا نفعل ذلك بإذنه وإذنكِ أنتِ. سوف نطير فى 5

مارس. وسوف نحاول أن نحصل على «لوكهيد يو-2» فى قبرص، ونعطيكما معا المسار الذى ستسلكه. أقصد عبر (...) كما تعلمون. (يسلم خريطة لمائير ويتدارسونها.

مائير: هل يمكن أن نحتفظ بالخريطة؟.

كيسنجر: نعم، أرادوا (المصريون) إخطاراً برحلتنا. قلت: إننا لا نستطيع؛ لأنهم سوف يخفون المعدات. قال: لا بأس ، لقد وافق على التمديد لقوات الأمم المتحدة. ستنتهى مهمتهم فى 25 أبريل. ووافق أن نطلب معا تمديدا لمدة عام. ولكن عادة ما يكون التمديد ستة أشهر. ووافق على ذلك. أنا متأكد من أنكِ تريدين ذلك.

مائير: طبعا.

كيسنجر: وهذا يعنى أنها مضمونة.

مائير: ماذا سيكون الموقف الروسى؟.

كيسنجر: هم من طلبها لأول مرة، وإذا كانت مصر وإسرائيل معا تطلبان التمديد لسنة واحدة، فعلى أى أساس يمكن للروس رفض ذلك؟ وبخصوص فك الاشتباك، اسمحى لى أن أقدم لكِ الخلاصة . قلت لكِ : إنه حريص أن يكون عنده ملحق عسكرى أمريكى فى مصر، ليتمكن أن يعرض له بعض المعدات الروسية. وهذا هو السبب فى اختلافى مع تحليل رابين - الأمر يتجاوز سياسة المسار المزدوج. إنه لم يطرح مسألة المرحلة الثانية على الإطلاق. وقد أثرتها فى النهاية، وذلك فقط ليظهر فى المحضر أننى كنت مستعدا لمناقشة الأمر.

وبخصوص سوريا، شرحت بالضبط ما حدث فى دمشق. لقد غضب جدا على السوريين. وقال: إنه يجب أن يكون هناك اتفاق لفك الاشتباك، وإلا فإن الأمر سيكون كارثة فى جميع أنحاء العالم العربى. وقال: إنه كان يتمنى تحقيق ذلك خلال أسبوع واحد، رغم أنه سيبدو سيئا، لأنه استغرق وقتا أطول، ولكن بعد الطريقة التى تصرفوا فيها، قال: «خذ وقتك». لقد عرضت موقفكم بأسوأ مما

كان عليه، قلت إنكِ مستعدة للتخلى عن نصف الأراضى الجديدة، وبصورة خاصة معى، وبجهد كبير منى قد أعيدك إلى حدود 6 أكتوبر. قال : إن هناك مشكلتين: الأولى، ما يمكنه دعمه دبلوماسيا، وثانيا، ما يجب أن يفعله، حيث لا يلجأ إلى الحرب فى ما لو لجأ السوريون إلى الحرب مرة أخرى.

سيدتى رئيسة الوزراء، يجب أن أقول لكِ: إن تشكيل ائتلاف حكومى فى إسرائيل يبدو خيارا مناسبا. تبدين أفضل راحة من ذى قبل.

قال (سفيرنا فى إسرائيل) كيتنغ: إن عضوا فى حزب دينى إسرائيلى جاء إليه، وقال: «هناك قضية واحدة نصر فيها على دعم الولايات المتحدة الأمريكية، وهى أن التحول إلى اليهودية لا يجب أن يتم إلا من قبل الحاخامات اليهود الأرثوذكس». سألنى كيتنغ عن موقف الولايات المتحدة. قلت : «ابتعد عنى بحق الجحيم!» (يضحك).

مائير: هناك بدوى فى قائمة الائتلاف. قال: إنهم سيبقون معنا – إلا إذا كنا سنشكل حكومة (ائتلافية) مع الليكود.

كيسنجر: (وصول الليكود إلى الحكم) سيكون كارثة بالنسبة إلى إسرائيل، وسيقلل من احتمال نجاة وبقاء إسرائيل كما قلت لكِ.

مائير: هناك مشاعر تدعو للعمل معا فى البلاد. ولكننا لم نستطع. بيجين وتامير عقائديان. وجهة نظرهما هى أن الولايات المتحدة تعتمد علينا!.

كيسنجر: كيف؟.

مائير: (تضحك) لموقعنا الاستراتيجى إلخ. يريدون أن يعرفوا لماذا نأخذ أوامر من الولايات المتحدة (ضحك)؟.

كيسنجر: سأكون سعيدا للشهادة فى هذا الأمر!.

هناك شىء واحد أختلف فيه مع سفيركم. لا يمكنكم الاستنتاج من عدد الناس المستعدين للتصويت لصالحكم، كم سيكون عدد المستعدين للمخاطرة لأجلكم!

الدعم المحلى فى الولايات المتحدة لكم بالمعنى الاستراتيجى (مشكوك فيه) بصورة كبيرة.

مائير: نعم.

كيسنجر: اسمحى لى أن أكمل ما دار مع السادات. لقد قال: إنه قادر على عرض الانسحاب إلى خط 6 أكتوبر، باعتباره إنجازا، وإنه يمكنه فعل ذلك، ولكن إذا رفض السوريون ذلك، وبدؤوا بحرب، فإنه سيكون من الصعب عليه أن يبقى متفرجا (10) فى هذه الأثناء سيرسل مروان إلى السعودية والكويت لمواجهة مناورات سوريا، لأن الأسد يرسل رسائل إلى القادة العرب.

وقال: إذا كنت تستطيع الحصول على خط أبعد من ذلك، فإنه سيمكنه أن يقول لى: إنه يمكن أن يبقى خارج الحرب، وسيتخذ موقفا علنيا فى دعم هذا العرض، وقال لى: إنه يمكننى أن أؤكد لكم ذلك. ثم أحضر إسماعيل والجمسى، وكرر ذلك. قلت: أنا متأكد من شىء واحد: لا يمكن (لإسرائيل) التنازل عن مستوطنة واحدة، من وجهة نظرى. وثانيا، أعرف أن القوات السورية لا يمكنها التحرك لما بعد الخط الذى هم عليه. وقال: إنه يفهم ذلك.

دينيتز: خط أكتوبر.

كيسنجر: نعم، وقال: إنه يفهم هذا، ولا يطلب أى مقدار خاص بالعرض width، ولكن إذا كان من الممكن عرض بضعة كيلومترات (عليه)، فإنه سيؤيد شخصيا هذا العرض، ولن يذهب إلى الحرب.

مائير: ولكن موقفه مختلف، لقد عبر القناة، والسوريون لم يحققوا أى شىء. وفى سوريا يعتبرون أن الانسحاب هو من جانب واحد فقط.

كيسنجر: ولكن بصريا (ظاهريا) سيبدو ذلك للعرب أنكم انسحبتم من أراضٍ كان يمكنكم الاحتفاظ بها.

دينيتز: صحيح.

مائير: ولكن كان لديه موطئ قدم على الضفة الشرقية.

كيسنجر: بعث الأسد رسائل للجميع بأنه فعل كل ما طُلب منه، وأننى أحضرت لا شيء – وهو نفس فهمنا، حتى بدأت زيارات الصليب الأحمر.

مائير: هل سمعت شيئا عنهم؟.

كيسنجر: نعم، لقد بُلغنا رسميا. ألم تُبَلغى؟.

مائير: قال يوم أمس مقر الصليب الأحمر فى جنيف، إنهم لا يعرفون شيئا عن ذلك.

كيسنجر: قال لى إيبان فى السيارة: إنكِ سمعتِ. خذى (يعرض كيسنجر برقية بأن الزيارات قد بدأت.

مائير: هذا أمر جيد. ولكن عن المفقودين الذين ليسوا فى القائمة، والذين نعتقد أنهم على قيد الحياة، هل تحدثت عن هذا الأمر؟.

كيسنجر: فعلت. وقال الجمسى: إنه سينظر فى ذلك. سأثيره الليلة...إذا نجوت من دمشق الليلة، فأنا أفضل ترك المنطقة.

دينيتز: إلا إذا كنت تريد أن تعود لتحضر رفع العلم على السفارة التى ستفتحون فى القدس؟!.

إذا كان هناك حكومة جديدة مع بيجين، فسوف تحتاج إلى سفير جديد. وربما ترغبون فى ذلك على أى حال.

كيسنجر: كلا، هل شكلتم الحكومة؟.

مائير:كلا، سيكون لدينا 58 صوتا ولكنهم (تكتل ليكود اليمينى) لا يستطيعون التصويت بعدم الثقة.. أقصى ما يمكن أن يحصلوا عليه هو 56 صوتا. نحن متقاربان 58-56.

كيسنجر: وماذا عن الستة الآخرين؟.

مائير: إنهم شيوعيون، إلخ.

دينيتز: غالبا سيمتنعون عن التصويت.

مائير: وهناك أربعة آخرون سيصوتون على الأرجح لنا وهذا هو السبب أننا نفكر أن بعض وزرائنا قد يستقيلون من الكنيست. وإلا فإنهم لا يمكن أبدا أن يغادروا البلاد أو المبنى.

دينيتز: فى ما يتعلق بالرسالة التى أرسلتها إليهم عن السجناء المفقودين، هل يمكن أن تحصل على تأكيد أننا سوف نحصل على إذن للبحث عن جثث المفقودين؟.

كيسنجر: لقد أثرت ذلك مع فهمى.

مائير: لدينا اتفاق مع جنرالهم.

كيسنجر: قال لا بأس من الدخول لمسافة 3–4 كيلومترات داخل حدودهم، ولكن إذا كنتم تريدون أن تذهبوا مسافة أكبر، فإنهم يريدون أن تقوم بذلك قوات الأمم المتحدة، لا القوات الإسرائيلية.

مائير: لدينا خرائط عن مواقع المعارك.

كيسنجر: قال إنهم حولوا 700 جثة لكم. أعطوكم 90 فى الأسبوع الماضى لوحده.

دينيتز: قصدى، أننا توصلنا إلى اتفاق معهم، ونريد إعادة تأكيد الاتفاق.

كيسنجر: أنا فقط أقول لك ما قال. لقد قال: إنه سيسمح للأمم المتحدة الذهاب إلى أى مكان تطلبونه للبحث عن الجثث.

مائير: (تخاطب دينيتز) لماذا لا تسأل ليور؟.

كيسنجر: نعود إلى فك الاشتباك، أنا لست متأكدا بأن السوريين سيقبلون أى شىء يمكن أن تقبليه، حتى فى أكثر حالات خيالك تطرفا، لأنه إذا كانوا يصرون على خطهم الذى أحضرت لك كحد أدنى. إذا رفضوا خطا مقبولا من الناحية النظرية، ويقول المصريون، إنهم لن يقاتلوا من أجل ذلك، فإن هذه ليست نتيجة سيئة. بخصوص خطوط 6 أكتوبر، قلت لك ما قاله السادات. لا أريد جوابك اليوم، حتى لو كان سلبيا، لأننى أريد أن نواصل مسيرتنا.

مائير: لا ينبغى أن تقول لهم أن يأملوا بأننا سنفعل ذلك (11).

كيسنجر: لم أفعل. قلت: لم نناقش ذلك.

مائير: ماذا سيقول الجمسى؟.

كيسنجر: سوف يقول للسوريين : ارفضوا أى شىء يحضرونه، لأنه يجب أن يمر عبر عملية طويلة، ثانيا، إذا كان بإمكانهم الحصول على خط 6 أكتوبر فلن يكون إنجازا ثانويا. أنا لن أناقش خط 6 أكتوبر، لأنه سبق أن قال لى: إنه يرفض ذلك. سوف نناقش المفاهيم، لا الخطوط . أعتقد أنه من الخطأ أن ندع هذا الأمر ينفجر بينما أنا هنا، قبل أن أقابل فيصل (12) ، هذه الليلة سوف نناقش المفاهيم، تخفيف القوات، إلخ.

مائير: لقد شجعنى بيان السادات الذى حدد المراحل.

كيسنجر: هذا صحيح. أيضا، سوف يقول الجمسى لهم : إن اللجنة العسكرية المصرية مفتوحة لهم ابتداء من اليوم – ولذلك هم فى وضع يمكنهم من رفض كل شىء. ويقدم لهم... واشنطن كمكان. لن يقبلوا أبدا بجنيف. لذلك، لا تقلقى.

مائير: ينبغى أن يُبدأ بشىء ما، مثل عودة المدنيين.

كيسنجر: إنه سيثيره.

مائير: ابدأ بذلك، أى بتبادل للسجناء.

كيسنجر: هذا أمر مستحيل. دعيه مفتوحا. على مراحل كما هو الحال فى مصر، لا تصدرى بيانا بما لن تقبليه...أنا الآن أعتقد أن كل ما يمكن أن تحصلى عليه بخصوص سوريا هو فك الاشتباك. ما ينبغى الحرص عليه هو إخراج المصريين من الحرب. أيا كان الأمر – اثنان أو أربعة كيلومترات لن تحدث فرقا فى المرحلة الثانية.

مائير: إن فكرة عبور تلك الحدود خطيرة فى إسرائيل اليوم. خطيرة تماما!.

دينيتز: ألا تريد بيانا علنيا؟.

كيسنجر: لست بحاجة إلى بيان علنى بأنكم سوف تنظرون فيه.

رودمان: ليس هناك خطر من ذلك.

كيسنجر: ولكن يرجى عدم عمل تصريحات بما لا يمكن قبوله . أريد أن أقول للسادات: إن الأمر مفتوح ...إذا كان يمكننا القول إنه بعد تشكيل الحكومة أنكِ سوف ترسلين مسؤولا إلى واشنطن، فيمكننى أن أطلب منه (الأسد) أن يفعل ذلك أيضا. إذا تمكنت أن أقول للأسد: إننى أناقش حقا أفكار رئيس أركانكم بصورة عامة، دون أن أخبر عن مكان الخط...حتى لو كنت ستقولين لى الآن بأنك ستفعلين ما أعتقد أنه ضرورى، فأنا رغم هذا سوف أعرض ثلث الأراضى المحتلة الجديدة فقط...قال السادات: إن مشكلته ستحل إذا عرضتِ تقديم القنيطرة... ولكنه (فى الحقيقة) لا يريدك أن تعرضيها....المشكلة التكتيكية العاجلة هى أن لا يحدث تصعيد وأزمة قبل اجتماع وزراء النفط – الذى من المقرر الآن عقده فى 10 مارس بعد عودة بومدين من الصين. قال السادات: إنه وعد صديقه كيسنجر بالتجول فى المنطقة...أريد أن أقول للأسد، أنكِ ستوافقين على إرسال مسؤول كبير إلى واشنطن، ومن ثم عليه أن يفعل ذلك. سنربح القليل من الوقت. لا يمكن كسب شىء من مواجهة الآن.

مائير: كلا، كل ما نريده هو أن لا يطلق النار، وأنه ملتزم بوقف الحرب الحالى.

كيسنجر: ليس من المستغرب أن الأسد سيعلن بعد رؤيتى أنه لا يوجد أى أساس للتفاوض، وهذا هو السبب الذى جعل السادات يرسل مبعوثيه فى المنطقة. ينبغى تجنب التأزيم. نستطيع أن نقول: يجب حقا أن نتبع المراحل الساداتية الأربع، وأنه يجب عليكما إرسال شخص إلى واشنطن.

مائير: (بتهكم) ليس معا.

كيسنجر: ليس فى البداية. دعينا نر كيف تجرى الأمور. إنه أمر محتمل ومعقول. ثم نكون فعلنا كل ما قلت للسادات وفيصل بأننى سأفعله. سيمكننى عندها فعل أشياء كثيرة : أستطيع أن أنسحب من المفاوضات على أرض الواقع

على أساس عدم رفع الحظر النفطى ، أو يمكن للسادات أن يُصرح عن قبوله لخط 6 أكتوبر.

مائير: إنهم ملتزمون بوقف إطلاق النار، أليس كذلك؟.

كيسنجر: سبب تفضيلى للمحادثات غير المباشرة هو أن تحصلى على فكرة عما يواجهك. المصريون صعبين، ولكنهم يعملون فى إطار متحضر. السوريون لا يشكلون مشكلة عسكرية، ولكنهم يشكلون خطراً من حيث نشر (الخطابية) الراديكالية فى العالم العربى كله. الفائدة من تحقيق اتفاق هى أنها تجعلنا نأمن جانب السادات ونطرد الروس تماما. يمكن للسادات أن يحافظ على جنيف إذا أراد، كمنتدى للبروباجاند.. نحن لن نعترض...الميزة هى سياسية لا عسكرية. ولكن من الضرورى سياسيا كسب الوقت فى هذا الشهر...ماذا أقول لزملائك؟ مَن سيكون هناك؟.

مائير: نفس المجموعة. باستثناء أيضا النائب سابير (المتخصص فى المالية فى الكنيست ووزير التجارة والصناعة السابق) الذى يريد أن يتحدث معك لوحده عن التمويل.

كيسنجر لمائير: سوريا ليست مصر على الإطلاق.

دينيتز: يقولون: إننا نغش فى طلباتنا للمساعدة المالية.

كيسنجر: إنه يعرف النظام وما يتعين عليه القيام به. كم يجب أن أقول لزملائك؟.

مائير: (تفكر) إنهم.. دايان، آلون، إيبان.

دينيتز: ولكن أيضا غازيت، إيفرون.

مائير: ليس بالتفصيل، ولكن مجرد أنه بعد كلامك فى مصر، يريد السادات أن يكون مفيدا، وأنه بعث أناسا هناك، وأنك لم تقدم صورة وردية لما سنفعله.

كيسنجر: بالعكس، أنا أفهم قصدك.

مائير: ولن يكون هناك مناقشة فى دمشق للخطوط التى تريدها منا. وإرسال شخص إلى هناك (واشنطن)، وسوف يكون هناك شخص سورى أيضا، وأن لا يضغط السادات بخصوص المرحلة الثانية.

دينيتز: لا يجب الخوض بما سيفعل أو لن يفعل السادات، اعتمادا على الخطوط.

كيسنجر: أنا فقط أتساءل عن بلدى. ربما سوف أذكر ذلك فقط، دون مجادلة. سأقول: إننى فقط أبلغكم وعلينا أن نتفق على ما سأقول فى دمشق – وسوف يكون أقل من خط 6 أكتوبر.

مائير: يجب أن أقدم حكومتى الجديدة إلى الكنيست يوم الثلاثاء، ودون شك سيسأل شخص عن مرتفعات الجولان. وسوف أقول فقط: إن الحكومة لم تغير موقفها.

كيسنجر: بالضبط.

دينيتز: قد تكون مفيدة.

كيسنجر: إذا كنتِ لا ترغبين بأى قدر من التفصيل...أنا قلق حقا عن اجتماعى الليلة فى دمشق. من وجهة نظر الأسد، هناك خطورة. ولكن بمجرد أن نشركه معنا فى الاجتماعات ويلتزم بالمفاوضات، سيتحول الأمر إلى مساومات حول التفاصيل، ولكن قبل ذلك يمكن أن يجادل على المبدأ. هذا هو السبب فى أن ما يقوم به السادات مفيد للغاية، أى إخبار الجميع بأن كل شىء يسير على ما يرام ، أنا لا أستبعد أن الأسد سيقول : إنه لن يتحدث إلا إذا ضمنت خطاً فى مرتفعات الجولان. وهذا ما لن أفعله حتى لو عرضتِه أنتِ . كما أن السادات لا يريد منى أن أفعل ذلك. وبالتالى، فإنه يمكن أن يؤزم الأمر. وليس مستبعدا أن يكون لدينا مشكلة غدا – ولكن ليس بتأثير موقف تتخذونه.

مائير: هل سمعت شائعات عن اضطرابات فى دمشق؟.

كيسنجر: كلا، اليوم؟!.

مائير: كلا، فى ليلة سابقة. تلقيت مكالمة هاتفية فى الساعة 3:00 صباحا، بأنهم أعلنوا حظر التجول. ولكننى لم أسمع شيئا أمس، لذا ربما لم يكن هناك أى شىء.

كيسنجر: المشهد غريب فى دمشق. الناس متجهمة. إنها ليست مثل مصر مطلقا. لا أحد يسلم أو يبتسم. لدينا تقرير مخابراتى أن هناك وحدة كوماندوز فلسطينية فى دمشق لقتلي. لقد قدمنا سيارات مصفحة إلى السوريين – حتى تكون هناك سيارة مصفحة على جانبى سيارتى، لذا فإنها بيئة ليست مريحة للغاية...حتى لو عرضتِ أنتِ ما هو مقبول من الناحية النظرية، ولكن ليس من الناحية السياسية، فليس هناك مؤشر بأنه سيقبل ذلك. لم أسمع الأسد أبداً يقول شيئا عن القنيطرة...أرسلى وزيرا إذا أمكن ذلك، أيا كان. ثم سيأتى موفد سورى. وهذا سيضيع الوقت...هل يمكنك إعطاء ديان مهمة خاصة؟ (السيدة مائير تهز كتفيها بما يعنى إجابة سلبية). أنا لا أريد أن أقول لك كيف تديرين حكومتكِ، رغم أن سفيركم دينيتز يخبرنا كيف ندير حكومتنا (يضحك)

دينيتز: أنت تابع لإسرائيل، وفقا لتامير!

مائير: هل السادات يعمل على (تنظيف) القناة؟

كيسنجر: نعم، ونحن لدينا فريق هناك. ليبيا تريد 600 دبابة (s62T-)

فى نحو الساعة 13:00، وصل وزير الخارجية إيبان، وانتقلت المجموعة إلى غرفة اجتماع أكبر لاجتماع موسع

انتهى المحضر.

2021

الوثيقة الثانية :

نماذج من وثائق المخابرات الأمريكية

عن عملية السلام عام 1977

(مترجمة ومختصرة)

2022

2023

نماذج مترجمة من وثائق المخابرات الأمريكية عن عملية السلام

عام 1977

كشفت وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكية عن الوثائق السريّة لاتفاقيّة كامب ديفيد، التي بقيت في أدراج المخابرات ما يزيد على ثلاثة عقود، ونلاحظ أنّ الكثير من الأسماء مشطوبة في بعض الوثائق، رغبة من ال"سي آي إيه" في عدم الكشف عن جوانب وشخصيات لاتزال تعمل لديها، أو أنّ هذا الكشف يتعارض مع مصالحها، وفي إحدى الوثائق بتاريخ 11 فبراير/ شباط 1977 في الجزء "أ" تتحدّث عن الشرق الأوسط، تبدأ بمصر، وبشكل مقتطع عن تركيا، ثم تكملها الوثيقة "ب" (اندفاعة السلام العربيّ) التي تتحدّث عن التحضيرات لمؤتمر جنيف، والدور السوري والمصري في الدفع الحثيث بعملية السلام، ودور السعودية المفصليّ في عملية السلام، كما تشير الوثائق إلى القضية الفلسطينيّة، وكيفية التمثيل الفلسطينيّ في جنيف، وعن تفاصيل أخرى متعلّقة بعرفات ومنظمة التحرير الفلسطينيّة.

اندفاعة السلام العربيّ

في وثيقة بعنوان "اندفاعة السلام العربيّ– ب" بتاريخ 11 فبراير/شباط 1977 أشارت إلى أنّ مصر وسوريا بعد أن أصلحتا الخلافات الأخيرة بينهما، بذلتا جهداً مشتركاً لإعادة فتح محادثات السلام في الشرق الأوسط في جنيف . لم تتوقع أي دولة هذا التقدّم، لكنهما مع المملكة العربية السعودية سوف يتطلعون إلى الولايات المتّحدة لاستخدام نفوذها ؛ لإنهاء جمود المفاوضات هذه السنة .

وتقول الوثيقة: "الدول العربيّة الرئيسة التي تجاوزت الانقسامات المعطّلة الناتجة عن الخلاف السوريّ–المصريّ حول نتائج اتفاقيّة سيناء الثانية مع "إسرائيل" في عام 1975 والتدخّل السوريّ في لبنان السنة الماضية، هي الآن في موقع

لتفرض ضغطاً دبلوماسيّاً قويّاً لإعادة تجديد مبكر لمؤتمر جنيف المعلّق طويلاً على تسوية السلام في الشرق الأوسط" .

وتضيف: "إنّ المصريين يدعمون التوقّعات العالية بالتحرّك الدبلوماسيّ في 1977، ويحاولون أن ينظّموا قدر ما يمكن من الدعم الدوليّ والعربيّ للضغط على الولايات المتّحدة لاستئناف مفاوضات السلام الشاملة والجدّيّة".

"هناك قيود أساسيّة على مرونة العرب، لكنّ استراتيجيّتهم في الأشهر القادمة سوف تتمحور حول إظهار صورة الحكمة تجاه قضايا أساسيّة مثل مستقبل دولة فلسطينيّة، ووضع نهاية لحالة الحرب، وأسعار النفط" .

وتمضي الوثيقة: "على الرغم من الشبهة المتبادلة المزمنة، إلا أنّ الرئيسين المصري السادات والسوري حافظ الأسد من المحتمل أن يكونا قادرين على الإبقاء على وحدة كافية لمقاومة أية ضغوط لاستئناف عملية المفاوضات خطوة خطوة بدلاً من العودة إلى جنيف . ربمّا يستطيعان أيضاً تمرير مواقف كانت غير مستساغة في السابق لزملائهم العرب، على الأقل فيما يتعلّق بمسائل الإجراء والتطبيق" .

تعلّم الأسد من مواجهات السنة الماضية بأنّ مصالح سوريا تلبّى بشكل جيّد عندما يعمل في انسجام مع مصر والسعودية . بفوز الأسد بدعمهما لدور سوريا البارز في لبنان في قمتي الرياض والقاهرة، أنهى العزلة الدبلوماسيّة لسوريا، وخفّف العبء الماليّ لحملته اللبنانيّة .

إنّ المصالحة مع مصر أدّت أيضاً إلى تخفيف التوتّر الداخليّ، وسهلت الطريقة بالنسبة لما تعتقده سوريا من أنّه سوف يحصل على مساعدة ماليّة أساسيّة أكثر من دول النفط المتحفّظة .

في المقابل، أدرك السادات أنّه لايمكن له أن يتحدّى الأسد طالما أنّ الأسد مدعوم من السعوديّة، وأنه لايمكن أن يؤدّي إلى تشكيل استراتيجيّة عربيّة من دون دعم كلّ من سوريا والسعودية .

وإذا ما وصلت المفاوضات إلى مأزق، بسبب الموقفين "الإسرائيليّ" والأمريكيّ، من المحتمل ألا يكون هناك أية عرقلة من التنسيق المصريّ –السوريّ . بدلاً من ذلك، الفشل في تحقيق ما يعتبره الجانب العربيّ تقدماً دبلوماسيّاً أساسيّاً في نهاية 1977 سيقود في حكم المؤكّد إلى احتكاك بين الولايات المتّحدة وكلّ من مصر وسوريا، وإلى الدعم السعودي بخصوص ارتفاعات أكثر في أسعار النفط، وكذلك لتحضيرات عربيّة متجدّدة لأجل حرب محدودة على الأقل لتحقيق أهدافهم السياسيّة .

التحضير لجنيف

وتشير الوثيقة نفسها تحت عنوان "التحضير لجنيف": "دعت كلّ من مصر وسوريا إلى استئناف مؤتمر جنيف بحلول شهر مارس/ آذار، وليست هناك نية في أنّ هذا التاريخ يستحسن أن يؤخذ بشكل حرفيّ، لكن هناك رغبة في إبراز سرعة اندفاعة السلام العربيّ. إنّ السوريّن تقريباً أكثر شكاً من المصريّين في أنّ التحرّك السريع ممكن، والأسد أقل تفاؤلاً من السادات حول مدى المرونة "الإسرائيليّة"، والدرجة التي تكون فيها الولايات المتّحدة قادرة على التأثير على" إسرائيل" . سوف يتوقّع القادة العرب الأساسيّون مع ذلك تحرّكاً مباشراً للدعوة إلى عقد اجتماع جنيف بسرعة بعد الانتخابات "الإسرائيليّة" في 17 مايو/ أيار، بغضّ النظر عن نتيجة الانتخابات".

وتشير الوثيقة أيضاً: "ربّما تأتي نقطة اتّصال مهمّة بشكل خاصّ في الاجتماع الوزاريّ التالي لمنظّمة الدول المصدّرة للنفط، المخطط لها في يوليو/ تموز . إذا ما كان السعوديون بحلول ذلك الوقت مصابين بخيبة أمل من الاستجابة الأمريكيّة لمفاوضات السلام، من المحتمل أن يمضوا في زيادة أسعار النفط المطلوب من قبل أغلب أعضاء منظمة "أوبك" الآخرين .

التزام مصر وسوريا بدفع السلام لا يعني أنّهما سيكونان أكثر مرونة بشأن الأمور الجوهريّة إذا ما استؤنفت المفاوضات في جنيف . من المحتمل أنّ كلا الدولتين لديهما الآن تقدير موضوعيّ حول أنّ أيّ مفاوضات شاملة سوف تكون محميّة . لا الأسد، ولا السادات على استعداد للوصول إلى تسوية سلام ، كما يعرّفها "الإسرائيليون"، تلك التي تتضمّن الاعتراف الدبلوماسيّ، والاتّصال التجاريّ و"الحدود التي يمكن الدفاع عنها" . لاتزال أهداف التفاوض للعرب عموماً هي انسحاب "إسرائيل" من الأراضي المحتلّة في عام 1967 واستعادة الحقوق الفلسطينيّة . ومن الواضح أنّ الأسد يشاطر رغبة السادات في نقاش نهاية حالة الحرب مع "إسرائيل".

ويأتي في الوثيقة أيضاً: "يختلف القادة الاثنان في تفسير "الحقوق الوطنيّة "الفلسطينيّة وفي رغبتهما في تقديم تضحيات للقضية الفلسطينيّة، لكن يظهر كلاهما موافقة على الهدف النهائيّ لإقامة دولة فلسطينيّة صغيرة، تتألّف من الضفة الغربيّة وقطّاع غزّة، وعلى الحاجة إلى إيجاد صيغة لوجود الفلسطينيين في عملية التفاوض. ربّما يكون السادات والأسد جاهزين للعودة إلى جنيف بشكل مبدئيّ من دون منظّمة التحرير الفلسطينيّة، لكن سيكون على الأرجح بالضغط على الولايات المتّحدة و"إسرائيل" وجود التمثيل الفلسطينيّ عندما تبدأ المفاوضات . ومن دون حلّ قضية التمثيل، من غير المضمون أن تكون أيّ من دول المواجهة العربيّة متحمّسة لعقد اتفاقيّات إقليميّة جديدة".

"تقترح مصر رسمياً أنّ الفلسطينيين يجب أن يكون لديهم وفد منفصل في جنيف. وهناك القليل من الشكّ، على أيّة حال، من أنّ مصر سوف تدعم التفضيل المعلن مؤخّراً من قبل سوريا لأجل وفد عربيّ مشترك ووحيد . رئيس منظّمة التحرير الفلسطينيّة ياسر عرفات، الذي كان بشكل خاصّ يرغب بالذهاب إلى جنيف لو دُعي بناء على شروط مقبولة، سوف يجد من الصعوبة رفض صيغة مقبولة لسوريا ومصر".

"من الواضح أنّ البلدين سيكونان موافقين على وفد مشترك من الأردن ومنظّمة التحرير الفلسطينيّة، وقد حثا الملك حسين وعرفات على الوصول إلى تسوية سياسيّة محدّدة للبدء هذا الأسبوع في عمان". كما ورد في الوثيقة.

في جنيف

وتتحدّث الوثيقة بعنوان "في جنيف": "حتّى لو أنّ مؤتمر جنيف أعيد عقده مجدّداً، من غير المحتمل أن يكون التقدّم السريع في هذه السنة . ليست هناك إشارات من أنّ أياً من الأطراف الأساسيّة على استعداد للقيام بتنازلات جديدة، وخصومة إجرائيّة وتموضع عامّ سوف يؤخّر التقدمّ تقريباً.

"على الجانب الآخر، من الواضح أنّه لا العرب ولا "الإسرائيليون" يعتقد أنّه سيكون في مصلحتهم أن يجبرا –أو أن يكونا مسؤولين عن إجبار– انهيار المفاوضات طالما أنّ المحادثات على القضايا الجوهريّة تتقدّم" .

من المحتمل أنّ النهج الواعد على نحو أكثر في جنيف أن يتضمّن جلسات كاملة لمصلحة المجموعات العاملة الصغيرة . ربّما تسمح هذه بالمحادثات الثنائيّة بين ممثّلي "إسرائيل" والدول العربيّة، أو نقاشات من قبل مجموعات منفصلة سوف تركّز على جوانب مختلفة لمشكلة الاستيطان العامّ، مثل الانسحابات الإقليميّة، إعادة العسكرة، الضمانات، المقاطعة، الآلة الدعائيّة، ودور الأمم المتّحدة والولايات المتّحدة.

القضية الفلسطينية

السوريون والمصريون يتفقون على الضغط على الفلسطينيين للمشاركة في عملية السلام ودمشق تبحث عن بديل لعرفات

تلقى نائب الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي زبغنيو برجنسكي رسالة من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية يوم الثامن من فبراير/ شباط العام 1977 مفادها أن عرفات أعرب عن اهتمامه بإجراء مفاوضات معكم لمناقشة وسائل البناء لإجراء حوار مع الحكومة الأمريكية . وقالت الرسالة: "أشار عرفات إلى

أن فكرة الحوار اقترحها في الأصل الرئيس أنور السادات" . . وتم نقل فحوى هذه الرسالة إلى وزير الخارجية الأمريكي سايروس فانس ولم توزع أية نسخة أخرى من هذه الرسالة" . وتابعت الرسالة أن رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات يبحث عن سبل من أجل التفاوض مع مسؤولين في الحكومة الأمريكية، ولكن لا تزال الأمور غامضة فيما يخص تحقيق ذلك . وفي يناير/ كانون ثاني 1977 ناقش عرفات هذه المعضلة في بيروت.

التمثيل الفلسطيني في المفاوضات

بقيت قضية التمثيل الفلسطيني في أية مفاوضات سلام عملية شائكة تضغط الدول العربية بقوة من أجل ترسيخها ومن دون ذلك لن تكون هناك مفاوضات تخص الضفة الغربية والمواضيع الفلسطينية الأخرى الشائكة التي من بينها موضوع مستقبل القدس. وعارض "الإسرائيليون" بعناد التخلي عن أي جزء من القدس أو إقامة دولة فلسطينية مستقلة . بل فضلوا تأجيل المفاوضات حول موضوع الضفة الغربية المحتلة، حتى بحضور الأردنيين، في وقت لاحق.

أما بالنسبة للسوريين والمصريين فإن المشكلة الكبرى كانت تخص قدرتهم على إجبار الفلسطينيين على القبول بدولة هزيلة تضم الضفة الغربية وقطاع غزة والتعايش السلمي مع "الإسرائيليين". وقلص رأب الصدع في العلاقات المصرية – السورية من سقف تحرك عرفات وأضعف بصورة عميقة قدرته على إحباط أية استراتيجية مفاوضات يتم التوصل إليها مع دول عربية كبرى وفاعلة.

وستؤدي العلاقات المعقدة بين السوريين والمصريين والفلسطينيين إلى الحد من الضغوط على منظمة التحرير الفلسطينية وتفجر خصومات بين السوريين والمصريين حول درجة الضغوط التي يمكن أن يمارسها أي من الطرفين لإحكام السيطرة على التحرك الفلسطيني.

ليس عرفات حتى الآن في وضع يؤهله لوضع التحرك الفلسطيني برمته وفقاً للإرادة المصرية والسورية. ولكن الفشل الذريع أطل برأسه من خلال

الفلسطينيين في لبنان حيث توصل عرفات إلى نتيجة مفادها ضرورة أن تتبنى منظمة التحرير مواقف سياسية معتدلة كوسيلة للتخلص من الضغوط المصرية وإحباط جهود الأسد للإطاحة بعرفات لوضع بديل له يحظى برعاية الرئيس السوري.

وبَيَّن عرفات من وراء الكواليس أنه يوافق على إقامة دولة فلسطينية في الضفة وغزة، وردد صدى تصريحاته على نحو علني ناطقون باسم المنظمة.

وتجلى هدف عرفات في الأشهر التالية في تحقيق وحدة الموقف بين الفصائل الفلسطينية المختلفة لعرض هذا الموقف الموحد على الأطراف المختلفة تمهيداً لحضور مؤتمر جنيف للسلام. وكشفت المباحثات التالية عن نية تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة في المنفى وهو التحرك الذي شجع عليه المصريون، ومؤشر على الدور المصري القوي، ومن نتائج دعوة المجلس الوطني الفلسطيني للانعقاد في دورة خاصة.

وسيواصل عرفات مواجهة مقاومة عنيفة من قبل الفصائل الفدائية المختلفة الرافضة لأية مفاوضات، ولكن من المتوقع أن يتمخض عن الخلافات الفلسطينية ظهور موقف فلسطيني موحد.

ولكن تم اشتراط التوصل إلى إجماع فلسطيني كشرط مبدئي للمشاركة في عملية السلام . ولا يزال عرفات يتحدث باسم الأغلبية الفلسطينية، ومن المرجح أن يتجه كل من الأسد والسادات إلى دعم القيادة الفلسطينية المتمثلة بعرفات.

ويفضل الأسد استبدال عرفات بقائد له مواقف ودية متماهية مع النفوذ السوري. ولكن لم يتوفر أي قائد آخر يمكن أن يمارس سلطة منافسة له.

وفي غضون ذلك، ستعمل سوريا على تقويض جهود الرافضين في صفوف الفدائيين. والجدير بالذكر أن القتال الحاصل في لبنان ناجم عن جهود القوات السورية أو المجموعات السورية في منظمة التحرير إضعاف قدرات المجموعات العسكرية الرافضة واعتقال لا بل اغتيال بعض تلك القيادات الفدائية.

إن تنسيق استراتيجية المفاوضات ما بين منظمة التحرير الفلسطينية ومصر وسوريا بالكاد بدأت ولكنها ستتسم بالتعقيد والخلاف. ولكن من المرجح أن تتأثر نتائج تلك المباحثات بدرسين مهمين تعلمهما الفلسطينيون المعتدلون من الحرب الأهلية اللبنانية وهما:

لن تضحي أي من الدول العربية الفاعلة بمصالحها من خلال دعم الأمنيات الفلسطينية الكبرى أو دعم أنشطة الحركات الفدائية الراديكالية.

أدى قيام السوريين بحظر الأنشطة الفدائية الفلسطينية عبر الحدود انطلاقاً من الأراضي اللبنانية إلى عدول الفدائيين عن تكتيكاتهم في حرب العصابات ضد "إسرائيل" مقابل التفاوض من أجل عودة جزء من الأراضي الفلسطينية.

ولكن ذلك لا يعني أن بعض الفئات الفلسطينية لن تواصل معارضة مفاوضات السلام من خلال شن أعمال عدائية في "إسرائيل" أو داخل البلدان العربية المحافظة . ولا يعني ذلك أنه تم لجم المطالبين بعودة كل الأراضي الفلسطينية، كما سيحاول حتى عرفات وقادة فلسطينيون آخرون معتدلون تبرير إبرام اتفاق يسفر عن إنشاء دويلة ويدافعون عن مواقفهم بالقول : إن النمو السكاني في "إسرائيل" سيكون في صالح الفلسطينيين.

<u>الموقف السعوديّ</u>

إلى جانب مصر وسوريا، سوف تلعب السعودية الدور الأكثر أهمّيّة على الجانب العربيّ إذا ما كان هناك تحرّك نحو محادثات السلام. إنّ رغبة السعوديين بالمخاطرة تضعف الهدف السياسيّ السعوديّ طويل الأمد في وحدة دول منظمّة "أوبك" الذي يكون بشكل جزئيّ نتيجة الدفع بالسلام من قبل مصر وسوريا.

عمل السعوديون من خلف الكواليس لتخفيف الاختلافات السوريّة – المصريّة، وللمساعدة على جلب سلام غامض في لبنان . ويعتقدون أنّ مبادرة السلام السوريّة – المصريّة لديها فرصة حقيقيّة، بشرط أن تتعاون الولايات المتّحدة .

ويعتقدون كذلك أنّ تحرّكهم للاحتفاظ بالأسعار قد خلق التزاماً من جانب الولايات المتّحدة لفهم الجهود العربيّة والتعاون معها .

لم يكن التحرّك السعوديّ بشكل منفرد مدفوعاً برغبتهم في دعم وتشجيع الاندفاعة في السلام، كما تأمّلوا منع استجابة أمريكيّة غير مناسبة في جوانب أخرى تؤثّر في المصالح السعوديّة، بشكل خاصّ فيما يتعلّق بمبيعات الأسلحة الأمريكيّة والمقاطعة العربيّة ضدّ الشركات التي لها مشاريع تجاريّة مع "إسرائيل".

يمكن لمصر وسوريا أن تتوقّعا الدعم السعودي لهما من خلال ارتفاع أكثر في أسعار النفط لو أنّ السعوديين يتوصّلون إلى أنّ هذا ضروري لدفع عملية التفاوض.

سيتّخذ السعوديون خطوة بحكم المؤكّد، على الرغم من أنّهم من المحتمل ألا يتّخذوا تحرّكاً مباشراً – مثل فرض مقاطعة ضدّ الولايات المتّحدة – في عام 1977.

علاوة على ذلك، سوف يستمر السعوديون بإظهار بعض من ضبط النفس حول ازدياد أسعار "أوبك" المستقبليّة، بشكل أساس؛ لأنّهم يخافون من تأثيرات ارتفاع سعر النفط بشكل كبير جدّاً على الاستقرار الاقتصاديّ والسياسيّ الغربيّ.

<u>الأردن</u>

دور الأردن في الاندفاعة في عملية السلام سوف يكون محدوداً بشكل كبير في دعم مصر وسوريا، كما كانت في الماضي، كقناة لنقل آراء السوريين إلى صنّاع السياسة الأمريكيّين . يمكن للملك حسين ألا يتخّذ مبادرات تفاوضيّة إقليميّة من جانبه، ومن غير المحتمل أن يرفض التمسّك السوريّ والمصريّ بالقرار الذي تبنّاه اجتماع القمّة العربيّة في عام 1974، الذي منح منظمة التحرير الفلسطينيّة سلطة التفاوض لعودة الضفة الغربيّة .

سوف يصبح دورالأردن مهمّاً فقط عندما تكون المفاوضات جارية بشأن تشكيل دولة فلسطينيّة . الارتباط الفلسطينيّ بالأردن هو سبب أساس لأهميّتها الدبلوماسيّة، ويشكّل تقريباً مليون فلسطينيّ في الأردن أكبر مجموعة من الفلسطنيين اللاجئين في المنطقة . والملك حسين، بدوره، لحماية مصالحه الأمنيّة، من المحتمل أن يسعى إلى نوع من الاتّحاد أو الارتباط السياسيّ مع دولة فلسطينيّة جديدة . إنّ اقتراح الرئيس السادات الأخير في أنّ أيّ دولة تكون مرتبطة مع الأردن من الممكن أن تشير إلى نيّة عربيّة للضغط على مثل هذا الترتيب، عندما تبدأ المفاوضات، وذلك لكي تتجنّب الاعتراضات "الإسرائيليّة" للتعامل مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة .

وقد عبّر الأسد عن دعمه المؤقّت لهذه الفكرة، لكنّه هو والسادات ربّما فقط يختبران الرغبة "الإسرائيليّة" الأمريكيّة ليطوّرا حلولاً بشأن مساومة مُرضية على القضية الفلسطينيّة . (شطب للسطر الأخير من الوثيقة).

***

<u>من وثائق كامب ديفيد : سي آى إيه تجسست على السادات وبيجين خلال المفاوضات</u>

تضمنت الوثائق الأمريكية التى كشفت عنها «سى آى إيه» تقارير تحتوى معلومات شخصية وسياسية عن الرئيس الراحل أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق مناحم بيجين، دون أن تبين الوثيقة طريقة الحصول على تلك المعلومات.

وورد فى إحدى الوثائق أن مناحم بيجين كان مهتما بتفاصيل التفاصيل الدقيقة فى كل موضوع يجرى تداوله خلال المفاوضات، وأن الاستخبارات المركزية الأمريكية رصدت تناقضات كبيرة فى شخصيته. وتقول إحدى الوثائق : إن بيجين لديه ميل طبيعى للإدلاء بتصريحات استفزازية عند إجابته على أسئلة الصحفيين.

أما الوثائق المتعلقة بالرئيس السادات فتؤكد خلالها الاستخبارات الأمريكية أنه كان راغبا بشدة فى أن يرتبط اسمه بكونه ساعيا إلى السلام، حتى إن إحدى الوثائق حملت عنوان «عقدة جائزة نوبل للسلام فى شخصية السادات». وفى تقييم سابق أعدته الاستخبارات الأمريكية عن السادات فى عام 1977، قالت فيه : إن السادات كان مهتما بشدة بمكانته التاريخية وشغل نفسه كثيراً بما وصفته الوثيقة «الصورة الكبيرة».

وتشير الوثائق إلى أن كارتر أعد مأدبة غداء فى كامب ديفيد بعد بدء المفاوضات بين مصر وإسرائيل، دعا إليها الرئيس السادات وقرينته جيهان السادات، ووزير الخارجية الأمريكى الأسبق هنرى كسينجر، والدبلوماسى الأمريكى هيرمان فريدريك إيلتس، الذى كان سفيراً للولايات المتحدة لدى مصر. وكشف إيلتس تفاصيل من مأدبة الغداء ، أن كسينجر قال للسادات: «لولا نظرة سيادتك الواسعة للتاريخ ورفضك الوقوف عند التفاصيل الصغيرة، ما كنا قد وصلنا إلى هذا اليوم». ورد السادات قائلاً: «لا يا هنرى، إن الفضل يرجع لقدرتك على التفاوض التى أتت بنا إلى هذا اليوم». ولكن كسينجر تابع قائلا: «لا، سيادتك، لقد كان ذلك نتاج قدرتك على التفكير بمفاهيم استراتيجية أن..». عندئذ تدخلت جيهان السادات وقالت بصوت عال للسفير إيلتس: «لا لا، هل ستعيدون الأمر من جديد هنا؟».

ووفقا لوثيقة أعدها جيرولد فاوست من الاستخبارات الأمريكية، أكد الرئيس الأمريكى أنه يريد على نحو خاص أن يتغلغل داخل شخصيتى السادات وبيجين.

وتشير إحدى الوثائق إلى أن الاستخبارات الأمريكية تجسست وتعقبت السادات وبيجين بالفعل، وأنها حصلت على المعلومات الشخصية الخاصة بالسادات وبيجين من شخصيات وهيئات حكومية وخاصة لها علاقات «شخصية وطيدة ومهمة» مع الاثنين.

وتشير وثيقة أخرى إلى أن الاستخبارات الأمريكية تجسست إلكترونيا على المحادثات السرية التى كان يجريها السادات مع فريقه التفاوضى، وبيجين مع فريقه، داخل الغرف المغلقة. وورد فى السياق أن المطلوب تحقيق جاد ومتابعة مستمرة ودقيقة للسادات وبيجين. وتقول إحدى الوثائق عن شخصية «بيجن» : إنه «كان منشغلاً دائما بالتفاصيل»، بينما أشارت التقارير عن شخصية «السادات» إلى أنه «كان يريد بشدة أن يظهر كصانع سلام»، وكان «له شغف كبير للظهور والشهرة»، ووضعته وثائق الاستخبارات تحت عنوان «السادات صاحب جائزة نوبل».

من جانبهم، نفى مسؤولو المخابرات الأمريكية بشكل قاطع التنصت على القادة المصريين والإسرائيليين، وأوضحوا أن الوثائق اعتمدت على توضيح البيانات الشخصية وميول القادة التى جرى تجميعها من مسؤولين حكوميين ومن مسؤولين فى القطاع الخاص وشخصيات كانت على اتصال شخصى كبير، إضافة إلى التقارير السرية.

وتتعلق وثيقة أخرى باجتماع الرئيس الأمريكى كارتر مع مجلس الأمن القومى الأمريكى فى 1 سبتمبر 1978، قبل أيام من بدء مفاوضات كامب ديفيد، حيث قام خبراء الاستخبارات الأمريكية بتحليل شخصيتى السادات وبيجين. وخلال الاجتماع قال السفير الأمريكى لدى إسرائيل آنذاك، ساموبل لويس: إن موشيه ديان «له تأثير خاص» على مسار محادثات السلام. وأضاف أن ديان ووزير الدفاع الإسرائيلى عيزر وايزمان يريان أن مفاوضات كامب ديفيد نقطة تحول أكثر مما يعتقد بيجين. وورد فى الوثيقة أيضا أن السادات يثق فى وايزمان أكثر من ثقته فى ديان.

وتبين وثيقة أخرى كيف قام لويس بتحليل طبيعة العلاقات القائمة بين بيجين ووزرائه. فكتب يقول: «وايزمان له علاقات طيبة مع بيجين أفضل مما كانت عليه فى الشهور السابقة، لكن العلاقات بينهما ليست أفضل من العلاقات

القائمة بين بيجين وديان. وأوضح لويس أن أكثر ما يزعج ديان هو الجانب الأمنى، فيما يبدو ديان أقل انزعاجاً من بيجين فيما يتعلق بالكلمات الواردة فى الاتفاقية. ووصف ديان بأنه متفائل أيضا بإمكانية تحقيق السلام مع الأردن. ووصف وايزمان بأنه أكثر تلقائية وأقل أيديولوجيا، وأنه براجماتى بشكل أساس، ويصر بشدة على عدم تفويت الفرصة لتحقيق السلام. وكان مقتنعا بشدة أكثر من بقية الوفد الإسرائيلى بصدق رغبة السادات فى السلام.

الوثيقة الثالثة

البيان التأسيسى للحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل

البيان التأسيسى للحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل

البيان التأسيسى

بعد أن حققت قوى البغى والطغيان مرحلتها الأولى بالسيطرة على مقدراتنا بعدوانها العسكرى المتواصل ، فإنها تسعى الآن إلى هزيمة كل فرد منا من داخله والسيطرة على روحه وثقافته والسيطرة على موارده ومصادر رزقه ، ليصبح مستقبلنا ومصائر أوطاننا تحت براثن الهيمنة الصهيونية والأمريكية .

لذا يستشعر الموقعون على هذا النداء الخطر الداهم الذى يتهدد مستقبل أمتنا العربية فى هذه اللحظة فى تاريخنا وقد بدأت تتحقق عناصر مشروع الهيمنة الصهيونية الإمبريالية على الأمة العربية ، فالمشروع الإسرائيلى المسمى بالسلام يهدف إلى مبادلة جزء من الأرض العربية بالسيطرة على عقل الأمة وروحها ومقدراتها الاقتصادية . إن المحاولات المتصاعدة لما يسمونه بالتطبيع وانتقال هذه المحاولات من المستوى الرسمى إلى دوائر رجال الأعمال والمثقفين ورجل الشارع ، ومن بلد عربى واحد ليصبح على امتداد الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه .إن هذه الموجة الجديدة والمحمومة "للتطبيع" تهدف إلى محاصرة المستقبل العربى والتغلغل فى كافة مناحى حياتنا السياسية والثقافية والاقتصادية فى إطار المشروع الشرق أوسطى الذى تم تدشينه مؤخراً فى مؤتمر الدار البيضاء والذى يهدف إلى مزيد من الإفقار والمهانة للشعب العربى .

وإذ يدرك الموقعون على هذا النداء جملة الأسباب التى أدت إلى الأوضاع الحالية بما يكتنفها من أزمات وتراجعات أمام المشروع الصهيونى الذى يهدد أمتنا العربية .

إن مهمة استكمال مشروع تحررنا الوطنى بكل أبعاده وآفاقه تتطلب استنهاض وحشد كافة فعاليات الأمة من جماهير شعبية وقوى سياسية واتجاهات فكرية ورموز وطنية من أجل مقاومة هذا الخطر الداهم .

إن قوى أمتنا على اختلاف توجهاتها – من مستقلين وإسلاميين وقوميين واشتراكيين وليبراليين – فى كافة المواقع الحزبية والنقابية والمهنية والطلابية والعمالية والفلاحية مدعوة إلى توحيد جهودها فى إطار عمل مشترك من أجل :

1 – الدفاع عن هوية أمتنا ومصالحها التاريخية فى سيادتها على أرضها ومواردها واستقلال قرارها السياسى .

2 – دعوة أمتنا لممارسة واجبها وحقها الشرعى فى استخدام كافة الوسائل التى تمكنها من المواجهة ، والسعى إلى إنجاز مشروعها فى الاستقلال والنهضة والوحدة .

3 – السعى إلى إحكام الحصار الشعبى على الكيان الصهيونى بكافة الأساليب ومن بينها المقاطعة الشعبية الشاملة للبضائع والأفراد والمشروعات والأفكار الصهيونية .

وفى هذا الإطار فإن الموقعين على هذا النداء يعلنون تشكيل لجنة تحضيرية مفتوحة تعد لعقد مؤتمر دائم يتولى مسئولية مناقشة وإقرار برنامج عمل تفصيلى ، لمواجهة كافة أشكال السيطرة الصهيونية وخصوصاً نظام ومشروع السوق الشرق أوسطية وعمليات "التطبيع" وإبداع الأدوات والأساليب الكفيلة بتحقيق هذه المهمة المصيرية .

****

القائمة الأولى

الموقعون

د. إبراهيم البيومى غانم " أستاذ جامعى " – إبراهيم البدراوى " محام " – إبراهيم الحسينى "كاتب" – إبراهيم دسوقى أباظة " أستاذ جامعى " – إبراهيم الدسوقى شتا " أستاذ جامعى " – إبراهيم شكرى " رئيس حزب العمل " – أبوالحسن قطب عبد العزيز " أستاذ جامعى " – أبو سريع عبد الرازق " نقابى " – أبو العز الحريرى " عضو الأمانة المركزية لحزب التجمع – أبوالعلا ماضى أبو العلا " أمين عام نقابة المهندسين " – أحمد بهاء الدين شعبان " مهندس" – أحمد عبد السلام " نقابى " – د. أحمد حسن " أستاذ فى معهد التخطيط الزراعى " – السفير أحمد عطية المصرى – د. أحمد عامر " أستاذ جامعى " – أحمد الغزاوى " نقابى " – أحمد شرف " باحث " – د.أحمد زايد " أستاذ جامعى " – أحمد سيف الإسلام حسن البنا – أحمد نبيل الهلالى " محام " – د. السيد عبد الرسول " أستاذ جامعى " – د. السيد محمد كيلانى " أستاذ جامعى " – أسامة أنور عكاشة " كاتب ومؤلف تليفزيونى " – د.أشرف بيومى " أستاذ جامعى " – أشرف حسين " باحث " – أمين اسكندر " عضو المكتب السياسى للحزب الناصرى – د. أمينة رشيد " أستاذة جامعية " – المستشار أمين عز الدين " مؤرخ " – أمل محمود أمين المرأة بالحزب الناصرى – السفير أمين يسرى – إنعام محمد على "مخرجة تليفزيونية " – بشرى عصفور " وكيل نقابة المحامين " – بهاء عبد الرحمن " عضو مجلس نقابة المحامين " – حسام رضا " عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى " – حلمى شعراوى مدير مركز الدراسات العربية " – حمدين صباحى " عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى " – حسين عبد الرازق رئيس تحرير مجلة اليسار – حسنى عبد الرحيم " باحث " – د. حسام عيسى " أستاذ جامعى " وعضو المكتب السياسى بالحزب الناصرى – د. حامد عمار " أستاذ جامعى " – حامد محمود عضو المكتب السياسى

للحزب الناسرى – د. حسن نافعة " أستاذ جامعى " – د. جلال أمين " أستاذ جامعى " – الفنان جميل راتب – جلال عارف " كاتب وعضو مجلس نقابة الصحفيين " – خالد بدوى عضو مجلس نقابة – خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع – خالد يوسف مدير عام جريدة الشعب – د. زينب منتصر " أستاذة جامعية " – رجب هلال حميدة أمين عام حزب الأحرار – د. رضوى عاشور استاذة جامعية – د.رفعت السعيد أمين عام حزب التجمع – د. رفعت سيد أحمد " باحث مدير تحرير مجلة الشرق " – رمضان عبد العليم " شاعر " – د. رمزى زكى " معهد التخطيط " – سامح عاشور عضو مجلس نقابة المحامين – سعد الدين وهبة رئيس اتحاد الفنانين العرب – سعيد فارس – د.سعيد إسماعيل على " أستاذ جامعى " – فريق سعد الدين الشاذلى – سعاد زهير " كاتبة صحفية " .

د. سهير مرسى " أستاذة جامعية " – د. سهام هاشم – الفنانة سميحة أيوب – الفنانة سميرة عبد العزيز – شاهندة مقلد " قيادية فى حزب التجمع " – شمس الدين موسى " كاتب روائى" – صافى ناز كاظم " كاتبة صحفية وناقدة " – صابر بركات " نقابى " – د. صفاء صادق بشاى " أستاذ جامعى " – صلاح عبد المقصود " نقابى " – د. صلاح فضل " أستاذ جامعى " – لواء صلاح سعدة " من الضباط الأحرار " – ضياء الدين داود أمين عام الحزب الناصرى – ضياء رشوان " باحث " – طاهر عبد الحليم " مهندس " – طارق عنبراوى " مهندس " – لواء طلعت مسلم " عضو المكتب التنفيذى بحزب العمل " – عادل الضو أمين شباب حزب التجمع – عادل حسين أمين عام حزب العمل – عادل عيد " محام " – عبد الرحمن خير "نقابى" – عبدالله الطوخى – عبد الرحمن الأبنودى – عبد العزيز محمد – عبد المنعم وهدان – عبد الغفار شكر " أمين تثقيف حزب التجمع " – د. عبد المنعم تليمة " أستاذ جامعى " – د.عبد الوهاب المسيرى " أستاذ جامعى " – عبد الله السناوى " كاتب صحفى بصوت

العرب " – عبدالعال الباقورى رئيس تحرير الأهالى – د. عبد الجواد عمارة " أستاذ جامعى " – د. عفاف المنوفى " أستاذة جامعية " – عزازى على عزازى عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى – عصام معوض " حزب التجمع " – د. عصام العريان " عضو مجلس نقابة الأطباء " – عمرو كمال حمودة " باحث " – د. عمرو محمد سويلم " أستاذ جامعى " – د. عمر السباخى " أستاذ جامعى " – طبيب عبد المنعم أبو الفتوح " أمين عام نقابة الأطباء " – عادل شريف " باحث" – د.عزة عبد العزيز سليمان – عصام الإسلامبولى " محام وعضو الأمانة العامة للحزب الناصرى " – الفنانة عطيات الأبنودى – غالى شكرى " رئيس تحرير مجلة القاهرة " – مؤمن إسماعيل " نقابى " – د. ماهر عسل مسئول الإعلام بحزب التجمع – مجدى أحمد حسين رئيس تحرير الشعب – مجدى مهنا " صحفى " – مجدى المعصراوى " رجل أعمال " – مجدى زعبل " أستاذ جامعى " – حسن معوض – محسن هاشم " عضو مجلس نقابة الزراعيين " – الفنانة محسنة توفيق – محمد بسيونى " صحفى " – محمد بيومى " عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى " – محمد خليل أمين اللجنة المركزية لحزب التجمع – د.محمد رضا محرم " أستاذ جامعى " – د. محمد حلمى مراد نائب رئيس حزب العمل – محمد حماد " سكرتير تحرير جريدة العربى " – محمد عبد السلام قطرى – عميد أ.ح سابق محمد فهمى محسب – محمد عودة " كاتب صحفى " – د. محمد عنانى " أستاذ جامعى " – د.محمد عصفور " محام " – محمد عروق " عضو المكتب السياسى بالحزب الناصرى – محمد سامى " مهندس " – الفنان محمد سعيد شيمى – محمد عادل غريب – صيدلى محمد عباس – محمد عبد القدوس " صحفى " – الفنان محمد منير – د. محمد عامر " أستاذ جامعى " – محفوظ عبد الرحمن " كاتب " – د. محمد محمود الإمام " وزير سابق " – الفريق أول محمد فوزى – مدحت الزاهر " صحفى " – محمود المراغى رئيس تحرير جريدة العربى – د.محمود عبد

الفشل " أستاذ جامعى " – المخرج مراد منير – مختار نوح أمين صندوق نقابة المحامين – مصطفى صبحى أحمد – الشيخ مصطفى عاصى " حزب التجمع " – مصطفى بكرى رئيس تحرير الأحرار – موسى جندى " صحفى " – فايز غالى " سيناريست " – فتحى محمود عضو المكتب السياسى للحزب الناصرى – فتحية العسال " كاتبة " – فريد عبد الكريم " محام " – فريدة النقاش " رئيس تحرير مجلة أدب ونقد – د.فوزى الأضاوى نقيب الصحفيين الأسبق – الفنان كرم مطاوع – كمال أبو عيطة " عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى " – د. لطيفة الزيات " كاتبة وأستاذة جامعية " – د.ليلى يوسف " أستاذة جامعية " – ناجى الشهابى – الفنانة نادية لطفى – د. نادية جمال الدين " أستاذة جامعية " – الفنان نبيل الحلفاوى – نبيه نصار – الفنان نجيب فرح – د. نصر حامد أبو زيد – د.هدى شاكر جندى– السفير وفاء حجازى – د. يونان لبيب رزق .

القائمة الثانية

د. أبو العلا السلامونى " كاتب مسرحى " – إبراهيم أصلان " روائى " – أحلام الجريتلى "فنانة" – إدوارد الخراط " روائى ناقد " – د. أحمد الصاوى عضو مكتب سياسى بالحزب الناصرى و" أستاذ جامعى " – إبراهيم السيد عبد الرازق " مدرس " – البسطاويسى إبراهيم جمال – أحمد إسماعيل " شاعر " وصحفى – أمانى الطويل "صحفية " – انتصار بدر "باحثة اجتماعية" – د. أحمد ثابت " مدرس فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية " – إبراهيم داود "شاعر" – أمنة زكى قنديل " محاسبة " – أمل سرور " صحفية " – إيهاب شاكر " فنان تشكيلى" – أحمد طه النقر " صحفى " – إدريس على محمد " قاص " – إبراهيم عبد الفتاح "شاعر" – أحمد عبد الغفار " عضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى " – سوهاج – د. إبراهيم حماد " أستاذ جامعى " – أمل جمال " شاعرة ، مدرسة " – د. إلهامى فرج رزق الله " طبيب بيطرى " – السيد عبد العال مصطفى " محاسب " – أحمد عبد المعطى حجازى " شاعر" – د.أنور

عبد الملك " مفكر " – البدرى فرغلى عضو مجلس الشعب – إبراهيم عبد القادر "منتج تأمين" – أمين هويدى " مفكر استراتيجى " – إبراهيم منصور " كاتب " – إيمان مرسال شاعرة – أنور نصير " طبيب " – أحمد يمانى " شاعر " – السفير بهى الدين الرشيدى – تهانى الجبالى عضو مجلس نقابة المحامين – عضو أمانة عامة فى الحزب الناصرى – جمال الغيطانى " روائى " – جمال الجمل " ناقد " – جورج البهجورى " فنان تشكيلى " – جمال أسعد عبد الملاك عضو مجلس شعب سابق – جمال إسماعيل حقى " صيدلى " – جودة عبدالخالق " أستاذ اقتصاد – أمين اللجنة الاقتصادية بحزب التجمع " – جمال فهمى "صحفى"– جلال نصير وكيل وزارة – حلمى الحديدى " وزير الصحة الأسبق " – حسن الجريتلى مخرج مسرحى – حسن حنفى أستاذ فلسفة بالجامعة – حمدى سرور " الرقيب السابق على المصنفات الفنية " – حسن عامر " صحفى " – حسين عبد القادر " أستاذ جامعى " – حسنين محمد الرفاعى " طالب " – حسنين كروم " صحفى " – حسين معلوم " باحث " – حسن محمود هيكل " محاسب قانونى " – خالد الزعفرانى عضو اللجنة التنفيذية بحزب العمل – خالد جويلى كاتب مسرحى – خالد يوسف " مخرج " – خليل رشاد " صحفى بوكالة أنباء الشرق الأوسط " – خليل النعيمى " شاعر " – خليل عبد الكريم " مفكر " – د. خالد جمال حسن " طبيب " – رمضان خليل – عضو الأمانة العامة للحزب الناصرى – رشاد الجبالى " نقابى " – لواء أ.ح متقاعد رضا أحمد محيى الدين – رضوان الكاشف " مخرج سينمائى " – لواء د. مهندس رجاء حافظ حلمى – مهندس زكريا وهبة عضو لجنة مركزية بالحزب الناصرى – سعد أردش " مخرج سينمائى " – سمير العصفورى " مخرج سينمائى " – سعيد الكفراوى " قاص" – سيد الطوخى " محام " – سليمان فياض " روائى " – سلوى سالم " ناقدة " – سعيد عارف " محامى " – سمير عبد الباقى " شاعر " – سيد عشماوى " أستاذ جامعى " – سعد عبد الواحد

حماد " محام " – سيد عبد الغنى " عضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى – سيد عبد العال محاسب – سينوت حنا " عضو لجنة مركزية بحزب التجمع – سيد رجب ممثل مسرحى – سيد زينة " محام " – سميح منسى " مخرج " – سهام نجم " محاسبة " – سماح حافظ حلمى "مهندس" – شفيع شلبى " مذيع " – د. صلاح الدسوقى عضو المكتب السياسى بالحزب الناصرى – صنع الله إبراهيم " روائى " – طاهر البدرى " محام " – طه الفرنوانى "سفير" – طارق أبو الفتوح " مهندس " – لواء أ.ح متقاعد طلعت سليمان جلبى – طارق سعيد "مخرج مسرحى " – عبد الفتاح الجبالى " باحث بمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام " – عادل الجوجرى " صحفى " – عصام السيد " مخرج مسرحى " – على الراعى " ناقد " – على أبو شادى " ناقد " – علية إحسان " مذيعة " – عبد الرحمن إسماعيل "صحفى" – عاطف بسيونى "محام" – عبد الحميد بركات " أمين تنظيم حزب العمل " – عاشور عبد الله روضان "محام" – عماد جاد " باحث بمركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية " – عادل البيجرمى " قاضى " – عبده جبير " روائى " – عادل خليل "فنان تشكيلى " – لواء أ.ح متقاعد عصام حافظ حلمى – د. عصمت زين الدين أستاذ هندسة نووية – عادل شعبان " رسام كاريكاتير " – عمرو سليم "باحث" – على عبد الحميد بدر " شاعر " – على عبد الحميد عضو مكتب سياسى بالحزب الناصرى – د. عواطف عبد الرحمن " أستاذة جامعية " – عبد العزيز مخيون " ممثل " – عبد العليم محمد " خبير بمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام – عمر نجم " شاعر " – فؤاد التهامى " مخرج تسجيلى " – فاروق الحدينى " أمين حزب التجمع بالبحيرة " – فايز الكريتة "عضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى – قيادة عمالية فاروق خورشيد " مخرج تسجيلى " – فاطمة خفاجى " طبيبة " – فاروق عبد القادر " ناقد " – فؤاد عزيز " عضو أمانة عامة بالحزب الناصرى " – لواء أ.ح متقاعد فوزى طايل – فهمى هويدى " كاتب صحفى " – فورد وغريس جورجى أستاذ

رياضيات جامعة القاهرة – قاسم عبده قاسم " أستاذ جامعى " – كمال رمزى ، ناقد سينمائى " كريمة حافظ أحمد " باحثة بوزارة الاقتصاد " – ليلى الجبالى "كاتبة صحفية" – لطفى واكد عضو مجلس شعب رئيس تحرير الأهالى – محمد الروبى "ناقد سينمائى" – منى أنيس مساعد رئيس تحرير الأهرام ويكلى – محمد السخاوى "حزب العمل" – منتصر الزيات " محام " – محمد القدوسى " شاعر – صحفى " – محمود أمين العالم " مفكر " – مجدى الشافعى عضو لجنة مركزية بالحزب الناصرى – محمد البساطى " قاص " – محمد بدر الدين " كاتب صحفى " – مصطفى بهجت بدوى كاتب صحفى – محمد جاد الرب "كاتب" محسن حلمى " مخرج مسرحى " – مجدى حسنين " صحفى " – الشيخ مصطفى حماد عضو اللجنة التنفيذية لحزب العمل – محسن خضر " أستاذ جامعى " – ماجدة رفاعة "ناشرة" – محمد سليمة " فنان تشكيلى " – محمود سعيد وكيل وزارة الثقافة الأسبق – مهندس محمد سيف عصمت سيف الدولة – محمد سعيد " محام " – محمد شومان " أستاذ جامعى " – مصطفى طيبة كاتب صحفى – محمد عبد الشفيع عيسى " أستاذ جامعى " – محمد عفيفى مطر "شاعر" – مديحة عمارة " ناقدة " – محمد عمارة " مفكر " – محمد عبلة " فنان تشكيلى" محمد عبد السلام نجم " أستاذ بمركز البحوث الزراعية " – محمد على فهمى فخرى محمد عبد المحين الرفاعى " صاحب مطبعة " – مصطفى عبد العال محمد عواد شفيق عضو أمانة عامة بالحزب الناصرى – مبارك عبده فضل " قطب شيوعى " – محمد عبد العزيز شعبان عضو مجلس شعب – محمود قاسم " أديب " – محمد فائق " وزير إعلام أسبق عضو مكتب سياسى بالحزب الناصرى – مصطفى كامل السيد " أستاذ جامعى " – ممدوح كامل "مهندس زراعى " – محمد فرج " عضو أمانة بحزب التجمع – مجدى صبحى " باحث بمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام " – ماجد يوسف " شاعر " – محمد فريد حسنين " رجل أعمال " – مجدى قرقر " الأمين العام

المساعد لحزب العمل " – نجيب جويلى " كاتب مسرحى" – نادية رفعت " باحثة " – نبيل منير حبيب عضو لجنة تنفيذية لحزب العمل – نادية محمد وصفى " صيدلانية – ناصر هاشم محامى – هالة حسنى صالح " محاسبة " – السيدة هيام حافظ حلمى – هانى شكر الله مدير تحرير الأهرام ويكلى – هالة شكر الله باحثة – هشام صادق " أستاذ جامعى " – هنداوى خليل عضو أمانة الحزب الناصرى – هانى عياد صحفى – هشام قشطة " شاعر صحفى " – وفاء المصرى محامية – وفيق الفرماوى " قاص " – يوسف القعيد " روائى ، صحفى " – يسرى الجندى كاتب مسرحى وتليفزيونى – يوسف شاهين المخرج السينمائى – يوسف أبو رية " روائى " – وليد منير " روائى " – شاعر ياسر عبد الجواد المحامى عضو لجنة مركزية بالحزب الناصرى .

القائمة الثالثة

السيد الغضبان " إذاعى وناشر " – أحمد السيوفى " صحفى " – إيمان الصيرفى "مخرج مسرحى" – أحمد إسماعيل " مغنى " – أحمد أبو المعاطى " صحفى " – أبو بكر أحمد فضل "مدرس ثانوى " – أحمد أبو خنيجر " قصاص " – أبو المجد أبو الوفا " عامل " – إسماعيل إبراهيم داود " فندقى " – الشافعى بشير " أستاذ جامعى " – أسامة تهامى بشير "أعمال حرة" – أحمد حسن أحمد " موظف " – أحمد حسن " محام أمين حزب العمل فى الإسماعيلية " – أحمد عبيد " مدير النشر والإعلام فى اتحاد المحامين العرب – إيمان سراج " باحثة نفسية " – أحمد عرابى عضو مجلس إدارة وعضو اللجنة النقابية فى الأهلية بأبو زعبل – أشرف عبد الله محمد "صحفى" – إبراهيم عبد الفضيل موظف بالسياحة – أشرف على خطاب " موظف بالسياحة" – الشربينى عبد الحاكم طاهر " موظف " – أشرف عيسى محمد " طالب " أحمد فهمى عبد الحكيم " رجل أعمال " – الإمام محمود الإمام " رجل أعمال " – إبراهيم محمد إبراهيم " وكيل نقابة المحامين بالإسماعيلية " – ياسر

إبراهيم مصطفى محمد " محاسب " – إبراهيم محمد محمود " مدرس ثانوى " – أشرف محمد عيد " موظف " – أصولى مرعى على "مشرف فنى " – أحمد وجيه " عضو لجنة مركزية بالحزب الناصرى " – أحمد يوسف سعد "باحث تربوى " بدر عبد العظيم " كاتب قصة " – بهى الدين حسن " الأمين العام السابق للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان – جمال الشامى " مهندس " – جمال الدين نور "فندقى" – جلال معوض " إذاعى " – حكمت أبو زيد " وزير الشئون الاجتماعية الأسبق " – حاتم جمال الدين " صحفى " – حسين عبد ربه " أمين تنظيم حزب التجمع " – حسين عبد الغفار "مهندس" – حسن عبد المطلب سليم " مشرف كهرباء بخزان أسوان " – حسن فهمى حسن " قائد قاطرات أسوان " – حنان كمال " صحفية " – حسن محمد حسن " محام " – حمدى يوسف كيكى " محام أمين حزب العمل بأسوان – حنا جريس " طبيب بشرى " – خالد سطوحى "محام وأمانة عامة بالحزب الناصرى " – خالد سرجانى " باحث سياسى فى الأهرام " – خالد عبد الفضيل أحمد " محام " – خالد محمد رشاد " مدرس " – رمضان السمان " أمين العمل الجماهيرى بالحزب الناصرى فى الإسماعيلية " – رضا حماد " صحفى " – رأفت سيف "أمين التجمع بالدقهلية – رفعت عبد الغنى إبراهيم " موظف كهرباء السد العالى " – ربيع نادى رجب " عضو اللجنة القليوبية بالناصرى " – زينب مغاورى " أمينة المرأة فى الحزب الناصرى بالشرقية – سميرة الكيلانى مدير عام دار المستقبل العربى – سيف الدين إبراهيم يوسف " مهندس كهرباء السد العالى " – سيد عبد المحسن " أمين نادى الفكر الناصرى بالزقازيق " – سيد الشيمى " طبيب بيطرى ، أمين تثقيف محافظة القليوبية بالناصرى " – سيد الطحان " رجل أعمال " – سمير أبو السعود " أمين تنظيم التجمع فى الإسماعيلية " – سامى حسن أبازيد – سامى حسن إبراهيم – سعيد حسين فارس " حزب العمل " – سعيد جمعة "عضو مجلس الشعب سابقاً – رئيس نقابة اتحاد الصناعات الهندسية السابق – سيد

على سيد أمين محافظة أسوان بالناصرى وعضو الأمانة العامة – سعيد عيد زريعة "رئيس عمال" – سامى عبد الوهاب مدرس عضو لجنة مركزية فى الحزب الناصرى – سليمان زكى عبد الملك مدير عام – سعاد عبد الحميد مديرة حسابات فى الإذاعة – سعيد على عثمان محاسب – سيد فتحى عضو اللجنة المركزية بالحزب الناصرى بالإسماعيلية – سعاد منسى "صحفية" – سمير مرقس " مدير المركز القبطى للدراسات الاجتماعية " – سلمى نصر سليمان " قيادة فلاحية " – شمس الدين عمر محمد " موظف " – شريف عبد البديع مدرس لغة عربية – صلاح بديوى " صحفى " – صالح جاد الرب عبد الرحيم " مراجع مالى " – صفوت زكى مرقس " محام " – لواء صابر عثمان " أمين الحزب الناصرى بالشرقية وعضو المكتب السياسى – صفوت فاروق لطفى " طالب " – صبرى محمد يوسف " موظف " – صلاح محمد صالح " موظف " – طلعت رميح " عضو اللجنة التنفيذية بحزب العمل – صحفى – طارق محمد محمود " موظف بكهرباء السد العالى " – على السيد عبد الهادى ساطون " نقيب المعلمين بشربين " – على أحمد سالم عضو اللجنة المركزية بالحزب الناصرى – عبد الله الكيلانى أمين حزب الأحرار بالإسماعيلية – عبد الرحمن أبو زهرة ممثل – عبد السلام الألفى عضو اللجنة المركزية بالحزب الناصرى – على أبو كرم عضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى – عبد الفتاح الشاذلى " عامل " – على أبو المجد على " محام وعضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى – عبد الله أحمد عبد اللطيف " مشرف فنى كهرباء بخزان أسوان " – عادل بكرى " نقابى وعضو اللجنة المركزية بالحزب الناصرى – علوى بدر الدين " طبيب " – عاطف حسن عبد الصالحين " مدرس إعدادى " – عبد القادر حسن خليفة " أستاذ جامعى " – عصام راسم فهمى "قاص وكاتب سيناريو" ، عزة سلطان " جامعة المنوفية " – عبد الله سيد محمد على " فلاح " – عبد المجيد راشد – محام عباس صابر الشريف " طبيب " – عبد الفتاح

صديق جودة " تاجر " – عبد المنعم عواد " شاعر " – عبد الغفار عودة " مخرج " – عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل "كاتب وأديب " – عبد القادر عشماوى " مدير مدرسة " – على عبد الله أحمد " مدرس أزهرى " – عبود على أحمد " محام " – عبد الفتاح طلعت مدير تحرير الأحرار – عمرو عبد الهادى ناصف "كاتب " – عواد عواد سلام " مهندس زراعى " – علاء فتحى البقلى " محام " – عبد الحليم قنديل "كاتب صحفى " – عبد الله محمد شرقاوى "مدير عام ديوان محافظة أسوان " – على مرسى على أحمد " أعمال حرة " – على مصطفى مكى " محام " – عبد السلام مسعود " مستشار صحفى بـ أ.ش.أ " – عادل محمود الإمام "سياحة وفنادق" – عبد الغفار محمد " محام " – عماد هندى " محاسب " – فنجرى التايه "محام قطاع عمال" – فتحى المغربى عضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى وأمين الدقهلية ، فوزى حماد الرئيس السابق لهيئة الطاقة الذرية – فيفيان فؤاد " صيدلانية " – فتحى محيى الدين "عضو التجمع بأسوان " – فتحى مقلدى " عميد كلية الطب – جامعة قناة السويس " – فريد محمد عبد النبى " موظف " – فادية مغيث " شاعرة " – غنيم عيد " كاتب صحفى " – كمال مغيث " مركز البحوث التربوية " – لطيف عباس عبد الرحيم " صيدلى " – محمد الصياد "مستشار" – محمد إسماعيل " نقيب أطباء الإسماعيلية – محمد أبو لواية " رئيس تحرير صحيفة المغرب العربى – مصطفى أمين على السباخى " مدرس إنجليزى " – محسن أبو سعدة عضو اللجنة التنفيذية بحزب العمل – مجدى السيد الخطبىء " موظف بالسياحة " – محمد أحمد كمال الدين العمدة " موظف التربية والتعليم بأسوان " – محمد بهجت على "موظف بأسوان" – محمد أحمد حسن موظف بأسوان – محمد جمعة حسين " عامل " – محمود حلمى صحفى – مصطفى خميس أحمد محمد " مدرس " محمد سنوسى عباس " رئيس فنيين بكهرباء السد العالى " – مصطفى سعيد حسن " محاسب " – محمد سعد محمد " طالب " – مجدى

سعفان رئيس اللجنة النقابية بالشركة الأهلية بأبى زعبل – محمد صالح محمد حسن "مهندس" – مصطفى كامل حسن " موظف " – محمد عبد النبى عبيد " موجه تربوى بأسوان " – محمد عباس عبد الوارث " محام " – محمود عبد الرازق محمد عمر "وزير مفوض سابق " – محمد على بدر البصيلى " محام " – مجدى محمود محيى الدين " أمين مكتبة السد العالى " – محمد محمد شاهين " أعمال حرة " – مجدى شندى " صحفى " – مصطفى محمد الطيب " طالب " – مرتضى محمد الخولى " مهندس " – مصطفى محمد على " موظف " – ماهر مخلوف "رجل أعمال " – محمد منيب جنيدى " محام وعضو الأمانة العامة بالحزب الناصرى – محمد عبد الرحمن محمد " طالب جامعى " – محمد على برعى " موظف " – محمد عبد العليم "أمين نادى الفكر الناصرى " – محمد غطاس أمين تنظيم الحزب الناصرى بالقليوبية – محمد عثمان فهيد " محام " – محمد فؤاد شبل " مخرج سينمائى " – محمد فراج أبو النور " باحث وكاتب صحفى " – مسعد نوار " صحفى " – منى ياسين " صحفية " – ممدوح الشيخ " باحث " – ناصر النادى " طبيب عظام " – نجاد البرعى " أمين المنظمة المصرية لحقوق الإنسان " – نصر أبو الحسن " مهندس وعضو ولجنة مركزية بالناصرى " – نادى حلمى سليم " مدرس ثانوى " – نهلة محمد سنوسى " شاعرة" – نبيل على نجم " ناقد " – نبيل مرقس "باحث اجتماعى" – نورى ندى " أستاذ جامعى " – هلال الدندراوى " موظف بتموين أسوان وعضو التجمع " – هدى زكريا " أستاذ جامعى " – هشام محمد الخولى " محام " – هشام محمد عبد الله " صيدلى وعضو التجمع " – هيثم عبد الفتاح " عضو اللجنة المركزية بالناصرى – هبة الله يوسف " صحفية " – وائل عبد القوى العشرى " محام " – وليد مصطفى إسماعيل "محام وعضو الوفد" – يحيى قلاش " صحفى " – يحيى محمد يونس "سائق" – ياسين نادى راشد "موظف بالكهرباء وعضو بالوفد " .

القائمة الرابعة

إبراهيم الهادى " رجل أعمال " – أحمد الصياد " أمين عام اللجنة النقابة بناروبين " – أحمد زايد " نقيب الأطباء " – أحمد عبد الحميد الشيخ " إخوان مسلمون " – أحمد عصام فريد "أمين الحزب الناصرى بطوخ " – أحمد عبد الحليم " شاعر " – أحمد فهيم " أمين لجنة الوفد بالقليوبية " – أحمد مراد " صحفى " – أحمد نيازى " فنان مسرحى " – أسامة كمال " محاسب" – أشرف جابر " صحفى " – أمين قنديل " عضو النقابة العامة للصناعات الهندسية – الطوخى أحمد الطوخى " إدارى بجريدة العربى " – أيمن إمام أمين نادى الفكر بالناصرى – أيمن بركات " محامى " – توحيد البنهاوى أمين تثقيف حزب التجمع – جمال الجمل "مدير مركز إعلام الوطن العربى " – جمال الفرماوى " مهندس زراعى " – حاتم رزق " طبيب " – حامد إبراهيم " من أبطال ثورة مصر " – حامد يس " مدرس " – حجازى الجمال "عضو مجلس إدارة شركة وولتكس " – حسن جعفر " محاسب " – حمدان زكريا " صحفى " – حمدى هيكل " صحفى " – خليل الجد " مهندس زراعى " – رامى شفيق " طالب جامعى " – ربيع نادى رجب " أمين الفلاحين بالحزب الناصرى " – رضا عبد العزيز " محامى " – سامى سرحان " أمين شباب حزب الوفد " – سامى عبد الوهاب " أمين العمل الجماهيرى بالحزب الناصرى " – سعيد الشحات " أمين إعلام الحزب الناصرى " – سعيد الشماع "موظف" – سعيد جمعة " عضو مجلس شعب سابق " – سيد الشيمى " أمين تثقيف الحزب الناصرى " – سيد الشيمى " أمين تثقيف الحزب الناصرى " – سيد الطوخى " محام بحقوق الإنسان " – سيد عبد الموجود " رجل أعمال " – سيد عيد " شاعر " – صابر بركات "عضو اللجنة النقابية للدلتا للصلب " – صلاح الكردلسى " أمين الناصرى بقرية طحانوب " – طه خليفة " سكرتير تحرير جريدة الأحرار " – عاطف حميد " محاسب " – عبد الحميد البنهاوى "شاعر" – عبد العزيز عبد المغيث " إمام مسجد " – عبد الفتاح طلعت " مدير تحرير جريدة الأحرار " – عبد القادر خليفة " أستاذ جامعى " – عبد الله جعفر " محامى " عبد الهادى بدر "رجل أعمال" – عثمان أنور " صحفى " – عصام عامر " صحفى " – عطية سليمان "محامى" على الهادى " رجل أعمال " – على قطب " أخصائى آثار " – على عطية " محامى "

– على شهوان " محامى " – كامل السيد " أمين تثقيف حزب التجمع " – كامل طاحون "رجل أعمال" – ماجدة عدلى " طبيبة " – مجدى حسنين" صحفى"– مجدى سعفان " عضو نقابة أهلية أبو زعبل " – مجدى محمد الشهبة " أعمال حرة" – محسن هاشم " عضو اللجنة التنفيذية العليا لحزب العمل – محيى خطاب " محاسب " – مختار سرى الدين "أعمال حرة" –مصطفى الفرماوى " عضو مجلس إدارة شركة السكر" – مصطفى على " سكرتير تحرير جريدة الأحرار " – محمد الغطاس " أمين تنظيم الحزب الناصرى " – محمد الشبلى " محامى " – محمد بحيرى " مخرج مسرحى " – محمد بركات " محامى " – محمد بيومى " أمين الحزب الناصرى بالقليوبية – محمد حسن عوف " عضو مجلس إدارة المصرية للنشا والجلوكوز " – محمد عامر " أمين تنظيم حزب التجمع " – محمد كمال الدين عبد الحميد " أمين مساعد حزب العمل " – محمد سنجر " نقابى عمالى" – محمد هاشم " طبيب " – محمود عمر " أمين مساعد حزب العمل السابق " – محمود رافع " صحفى " – نادية البدرى " أمينة المرأة بالحزب الناصرى " – ناصر محمد هاشم " صحفى " – ناهد صلاح " صحفية " – نبيل منصور " أمين حزب التجمع " – نور عبد العزيز " أمين مساعد لجنة اسكو " – نيازى عبد العزيز " رئيس نقابة الصناعات الهندسية " .

الوثيقة الرابعة
نماذج من بيانات وأنشطة اللجنة العربية لمساندة المقاومة فى لبنان وفلسطين
(وهى لجنة مصرية مستقلة اهتمت بمقاومة التطبيع ودعم المقاومة فى لبنان وفلسطين منذ إنشائها عام 1996 وحتى 2008)

في ندوة اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية

ضرورة توحيد الجهود العربية لمواجهة التطبيع مع الكيان الإسرائيلى

1996/12/6

عقدت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان ندوتها المناهضة للكيان الصهيونى بمركز يافا للدراسات والأبحاث يوم الاثنين الماضى برئاسة الدكتور رفعت سيد أحمد – مقرر اللجنة – وحضرها ممثلو الأحزاب السياسية والقوى الوطنية والمفكرون والكتاب ؛ لتدارس قضايا مواجهة التطبيع مع الكيان الصهيونى والخروج بميثاق شرف قومى يمثل الحد الأدنى من الفهم للقضية وأساليب مواجهتها ثقافياً وسياسياً واقتصادياً ودارت خلال الندوة حوارات ومناقشات عديدة على مدى أربع ساعات لوضع آليات العمل المشترك ، لمواجهة قضية الاستسلام والتطبيع مع الكيان الصهيونى ، حيث تم الاتفاق على وضع نقاط أساسية لحركة المقاومة ، تمثلت فى بيان أصدرته اللجنة إلى الأمة .

أكد المجتمعون أن الصراع مع الكيان الصهيونى صراع مصيرى ولا تستقيم فيه الحلول الوسط وهو صراع يستلزم لمواجهته حشد كل الجهود والطاقات على الصعيد الوطنى والقومى والإسلامى ، وقال المشاركون فى الندوة : إن الفن والثقافة والدين والاقتصاد والشعر والنضال السياسى وصولاً إلى النضال المسلح تمثل أدوات جادة لمواجهة عمليات الاستسلام والتطبيع فى كافة أنحاء الوطن العربى ، وطالبت الندوة بضرورة تشكيل آلية قُطرية جامعة داخل كل قطر عربى تقوم بالتنسيق بين لجان مقاومة التطبيع بأسلوب ديمقراطى مع التأكيد فى الوقت ذاته على ضرورة انتشار وتعدد اللجان ليمثل انتشارها سلاحاً أوسع للمواجهة لا يوفره الشكل الواحد الجامد كما يحدث حالياً داخل بعض الأقطار العربية .

وأكد المجتمعون على ضرورة التنسيق العربى – العربى بين أفراد ولجان مؤسسات وأحزاب مقاومة التطبيع ومحاولة خلق آلية عربية مستوعبة لهذه الطاقات على أساس ديمقراطى يسمح بالاختلاف الصحى وبالحوار والاستيعاب بين كافة الأعضاء ويسمح بحرية الحركة وحرية إبداع الأساليب المحلية للمواجهة لكل قطر ولكل لجنة على حدة مع ضرورة الكشف المستمر عن العناصر الدخيلة على عمليات المقاومة والمزروعة قبل أجهزة مشبوهة.

وأكد المشاركون مساندتهم للدور الذى تقوم به حركات الجهاد الإسلامى فى فلسطين وحركة حماس وحزب الله فى لبنان وكافة التنظيمات القومية والوطنية الفلسطينية لاضطلاعهم بالجهاد المسلح ضد العدو الصهيونى وهو أعلى مراتب مقاومة التطبيع ومن هنا وجب الدعم المادى والإعلامى والسياسى الصريح لهذه الحركات المجاهدة .

واتفق المجتمعون على ضرورة إشراف النقابات المهنية العربية التى توحدت فى جبهة قومية مؤخراً بمبادرة شجاعة من اتحاد الصيادلة العرب فى كافة أساليب مقاومة التطبيع فى الساحات العربية وذلك لقدرتها المتميزة على التواصل مع تنظيمات وأفراد المجتمع المدنى العربى وقدرتها على إبداع أشكال جديدة للمقاومة داخل نقاباتها ومجتمعاتها .

واتفق المجتمعون على توحيد كافة جهود مقاومة التطبيع مصرياً وعربياً وعدم الاكتفاء بالمؤتمرات والندوات والجلوس فى مقار الأحزاب الرسمية رغم أهمية ذلك نسبياً ويرى المجتمعون أن الاتفاق على قائمة سلع إسرائيلية لمقاطعتها وقائمة مثقفين متعاونين مع الصهاينة لمقاطعتهم ، وتبنى الحاضرون فى الندوة قائمة السلع وقائمة المثقفين التى حددتها اللجنة .

(الأحرار 1996/12/6)

***

<u>إدانة للدعوات المشبوهة للتطبيع مع الصهاينة</u>

أصدرت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان بياناً أدانت فيه الدعوات المشبوهة التى يطرحها البعض لفتح حوار مع ما يسمى بقوى اليسار والسلام الإسرائيلى ، وصف البيان هذه الدعوات بأنها دعوات مشبوهة تصدر عن نفر ضئيل ممن ينسبون أنفسهم إلى المثقفين المصريين الذين ظلوا يصدعون رؤوسنا بأحاديث النضال عبر العقود التالية لهزيمة 1948 وكانوا هم أول من خان ودعا إلى السلام المزيف .

قال البيان : " إننا ومن موقع الوعى التاريخى الصحيح بأصول الصراع وطبيعته ، ندين مثل هذه الدعوات المشبوهة ونعلن أنها تأتى فى توقيت يخدم بالأساس العدو الصهيونى – الذى يزداد تصلباً ووقاحة – ونعلن أن أى إنسان عربى حباه الله بضمير يشعر بالكرامة والغيرة على مقدساته وأرضه ومصالحه، يدرك وببساطة أن صراعنا مع الصهاينة صراع على كامل الأرض وبعمق التاريخ وكل المستقبل وأن اليهودى–غير الصهيونى إن وجد –وإن كان جاداً فى طلبه للحوار معنا فعليه أولاً أن يرحل عن فلسطين ويذهب إلى حيث أتى ؛ لأنه ببساطة مغتصب لأرض ليست أرضه،وسارق لتاريخ ليس تاريخه ،وقاتل لأطفال ومستقبل هنا فقط يستقيم الحوار ويصبح ذى معنى .

وليحذر الكتاب والمثقفون من المشاركة ولو بالمقال – والكلمة هنا موقف – فى مثل هذه الدعوات لأن هذا هو الذى يقصده ويتمناه الصهاينة اليوم بعد أن سقط زيف السلام الوهمى الذى روج له الحكام وجوقتهم منذ كامب ديفيد 1979 بقدوم نتنياهو ، إن الصهاينة وتابعيهم هنا وتابعى التابعين بغير إحسان يعلمون أن الشعور الوطنى توحد خلف المقاومة والجهاد من أجل تحرير فلسطين والجولان والجنوب اللبنانى ، فيريدون أن يفتتوا هذه الوحدة .. فاحذروا واثبتوا وصابروا وسننتصر بإذن الله .

(الشعب 1996/12/20)

<u>بيان إلى الشعب العربى</u>

لا لقمة شرم الشيخ
لا لتشريع الإرهاب الصهيونى
1996/3/13

تعلن اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان – وهى لجنة مصرية عربية مستقلة – إدانتها ورفضها الكامل لكل المقررات الظالمة التى صدرت عن قمة شرم الشيخ بتاريخ 1996/3/13، والتى حضرها ممثلو 30 دولة عربية وغربية ، وممثل للكيان الصهيونى الدخيل ، والتى أكدت تأييدها للإرهاب الصهيونى وتشريعها له وإدانتها للجهاد الشرعى الذى تقوم به حركات (الجهاد الإسلامى – حماس – حزب الله) بتفويض كامل من الأمة العربية والإسلامية .

* لقد أفرزت هذه القمة الظالمة والمستكبرة تشكيل آلية أمنية ومخابراتية من الدول المشاركة برئاسة الكيان الصهيونى والولايات المتحدة الأمريكية تجتمع وتقدم تقريرها المخابراتى خلال 30 يوماً من أجل خدمة الكيان الصهيونى وإدماجه داخل الشبكة الأمنية العربية بما فيها السعودية ودول الخليج ، وهو تطور نوعى خطير يستهدف القوى الإسلامية والقومية المجاهدة بالأساس ، ونحن نعلن رغم كل هذه الاتفاقات المعلنة والسرية أن (سلاح الاستشهاد) قادر وحده على إفشال كل هذه المخططات ، ووأدها ؛ وأن كل الترسانة المسلحة ، والأجهزة الفنية والبشرية المخابراتية للغرب وعملائه بالمنطقة ، لن تفيد شيئاً مع من يريد (الموت فى سبيل الله) ؛ فعند هذا (الموت) تتضاءل كل القوى المستكبرة وتصغر ، ولعل فى هذا التجمع الدولى الظالم والسريع لنجدة الكيان الصهيونى بعد (خمس عمليات استشهادية) فقط ما يؤكد ذلك ، فماذا لو وصلت هذه العمليات إلى (مائة) أو (مائتين) ؛ مما لاشك فيه أن الانهيار الصهيونى والغربى ساعتها سيكون وشيكاً ومدوياً . إننا باسم (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية بلبنان) نعلن الإدانة الكاملة لهذه المقررات، وندعو إلى الجهاد المستمر وإلى الدعم الأدبى والمادى بكل الصور للمجاهدين بلبنان

وفلسطين ونثق فى وعد الله بأنه على نصرنا لقدير، ونعلن أننا مع الجهاد حتى تحرير كل فلسطين ، وكل لبنان ، وأن فلسطين كلها ساحة جهاد ، لا فرق بين صهيونى مدنى أو صهيونى مسلح فكلهم مغتصبون لأرضنا ولمقدساتنا ، وهذه ليست أرضهم ، ولا مقدساتهم . [الَذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ] . صدق الله العظيم .

***

لا لمشاركة العدو الصهيونى فى معرض القاهرة للكتاب
بتاريخ 1996/2/24

* تثار هذه الأيام فى مصر قضية مشاركة العدو الصهيونى فى معرض القاهرة الدولى للكتاب الثامن والعشرون ، والذى انطلقت فاعلياته يوم 1996/2/24 ونظراً لإصرار العدو على المشاركة ، وتردد وزارة الثقافة المصرية فى الموافقة على هذه المشاركة ، فإننا فى (اللجنة الإسلامية لمواجهة الغزو الثقافى)، نعلن رفضنا القاطع لوجود العدو الصهيونى ليس فقط فى معرض القاهرة الدولى للكتاب بل فى كل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية المصرية ، ونعلن الإدانة الكاملة والكراهية الشديدة لهذا الوجود ، ونعلن أيضاً ما يلى : يريد العدو الصهيونى بهذه المشاركة فى معرض القاهرة أن يضفى شرعية ثقافية على وجوده المرفوض شرعاً ومصلحة من شعبنا العربى والإسلامى ، فالعدو يعلم أن معرض القاهرة الدولى سيشارك فيه 76 دولة عربية وإسلامية وعربية وحوالى 2400 ناشر عربى وأجنبى يعرضون أكثر من 3.5 مليون كتاب والمعرض بهذا يمثل مناسبة جيدة لهذا الكيان الدخيل العدوانى لأن يتغلغل وينتشر كالسرطان وسط تجمعاتنا الثقافية المصرية العربية ويحاول أن يجذب القطاعات فاقدة الانتماء والدين وضعاف النفوس والإرادة من المثقفين والسياسيين ومن الجماهير البسيطة ، وهو هنا يمثل خطراً متعدد الأوجه على الهوية ، والمصلحة ، والمستقبل العربى وعلى فلسطين ، قبلة المجاهدين وأرض المسلمين المغتصبة ، لذلك لابد من الإدانة والرفض الكامل ، والمقاطعة لهذا العدو ، سواء داخل المعرض ، أو خارجه ، داخل مصر أو خارجها فالتطبيع أو التعامل بأى شكل مع هذا العدو ، حرام شرعاً ، وحرام مصلحة وهو جُرم فى حق الوطن والأمة يعاقب عليه الله ، ولن يغفره التاريخ ، وليعلن المثقفون الشرفاء من كل الاتجاهات رفضهم لوجود هذا العدو فى معارضنا الثقافية ، وفى اقتصادنا وعلى أرضنا المقدسة ، ولنصبر ولنجاهد ، والنصر لنا بإذن الله .

لا للتطبيع الدينى

احتفالات وعربدة صهيونية فى مقبرة (أبو حصيرة)

انقلوا هذه المقبرة الملوثة خارج أرضنا الطاهرة

بتاريخ 1996/2/5

* لأكثر من أسبوعين مع نهاية يناير وأوائل فبراير 1996 ، فوجيء أهالى قرية (دميتوه) بمدينة دمنهور المصرية؛ بأكثر من 3000 صهيونى يحضرون إلى القرية ويحتفلون بما يسمى مولد (أبو حصيرة) ذلك اليهودى الذى يقال – خطأ – أنه مدفون فى مقبرة خارج القرية منذ منتصف القرن الماضى على عهد الخديوى إسماعيل ، والذى حول اليهود يوم وفاته إلى (عيد) ومولد سنوى ، يمارسون فيه أقذر السلوكيات اليهودية السياسية والأخلاقية ، فمن ذبح لعشرات الذبائح إلى شرب للخمور بنهم مع رقص مختلط للرجال والنساء حتى الصباح ، إلى صياح دائم بلا معنى ، إلى ترديد ثابت لكلمة (عائدون عائدون باللغة العربية ولا ندرى عائدون إلى أين) ، إلى حاخامات يقمن بضرب رؤوسهم فى حائط المقبرة ويبكون بحرقة وعصبية شديدة وهم يتلون بالعبرية مقتطفات من العهد القديم تبين حجم الحقد والكراهية التى يكنها اليهود للمصريين ولمصر ، مع زغاريد للنساء وأناشيد يهودية لا معنى لها !! .

* كل هذا فى حراسة قرابة الـ 10 آلاف جندى من قوات الأمن المركزى الذين حولوا القرية إلى ثكنة عسكرية معزولة عن العالم لأكثر من أسبوعين خوفاً على حياة (الصهاينة !!) .

* إننا باسم (اللجنة الإسلامية لمواجهة الغزو الثقافى – وهى لجنة مصرية عربية مستقلة) نعلن إدانتنا الكاملة لهذه الجريمة التى ترتكب سنوياً فى الريف المصرى منذ 1980 حتى اليوم وباطراد خبيث ؛ ونطالب السلطات المصرية بإيقاف هذه المهزلة التى تسيء إلى ثقافتنا وتاريخنا وحياة أهلنا بقرية دميتوه المصرية المغلوبة على أمرها ؛ وعلى الرغم من تأكيد علماء الأنثربيولوجيا الثقاة والمهتمين بتاريخ هذه المنطقة المصرية ، من أن المدفون فى هذه المقبرة ليس

هو المدعو (أبو حصيرة) ؛ وأن هناك شكاً علمياً فى ديانة المدفون فيها ؛ وهل هو مسلم أم مسيحى أم يهودى ؛ على الرغم من ذلك ، وحتى لا يتحول هذا (القبر) إلى حائط مبكى يهودى خبيث فى قلب مصر العربى الإسلامى ، نناشدكم التدخل وإيقاف هذا الزحف الخبيث بكافة السبل السياسية والعلمية بدءاً بالتحقيق من هوية صاحب هذا القبر ، وصولاً إلى نقل رفات صاحبه خارج مصر ، فتحركوا أيها السادة قبل فوات الأوان ، ولتتحرك قوى وتنظيمات مقاومة التطبيع لمواجهة هذه الجريمة ، على أرضنا الطاهرة.

***

بيان عاجل

إلى أهل الحكم فى مصر والوطن العربى

المقاومة الإسلامية هى سلاحكم الوحيد لإيقاف إرهاب نتنياهو ومن خلفه ؟

القاهرة 1996/7/6

بسمه تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) صدق الله العظيم

كل يوم ونتنياهو يثبت أركان حكمه فى تل أبيب تتضح أكثر أمام الرأى العام العربى (والمصرى بخاصة) زيف السلام مع الكيان الصهيونى والحقيقة العدوانية التوسعية له . إن (نتنياهو) لا يريد أن يعيد شبراً واحداً من الأرض العربية تماماً مثلما كان سلفه (بيريز ومن قبل رابين) ، فقط الأسلوب هو الذى اختلف أما المضمون (العدوانى) فثابت ولم يتغير ، واليوم نتنياهو يعلن أنه لن يعيد الجولان ، ولن يترك الجنوب اللبنانى المحتل (850 ميلاً) ، ولن يسمح بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ، وتعددت اللاءات الرافضة لأى تفاهم أو سلام من نتنياهو وساندته فى ذلك الولايات المتحدة ، بل وفجروا مع مصر قضية حصولها على صواريخ (سكود) بحجة أنها (أى هذه الصواريخ) تهدد أمن إسرائيل ، الأمر الذى دفع الرئيس مبارك لعدم عقد مؤتمر مشترك مع وزير الخارجية الأمريكى (كريستوفر) رداً على هذه الإهانة الأمريكية التى لا ترى إلا

بـالعين الصـهيونية ، وهـى عـين لا تـرى مـا لـدى إسـرائيل مـن أسـلحة نوويـة وجرثومية وصواريخ بعيدة المدى (تعد صواريخ سكود بالنسبة إليها مجرد لعبة صغيرة).

وسط هذه الأجواء المحمومة ، تعلن (اللجنة العربية) لأهل الحكم فى مصر ، ومن منطلق النصيحة الخالصة ، وأيضاً لأهل الحكم فى عالمنا العربى أن الرد الوحيد والفعـال علـى سـلوك نتنيـاهو العـدوانى وحليفتـه أمريكـا ، لـن يكـون إلا بـالإعلان الرسمى والعلنـى عن الدعم السياسـى والمعنوى والتسليحى (للمقاومة الإسلامية فى لبنان) وهى المقاومة الوحيدة القادرة الآن على تأديب رجال الحكم فى إسرائيل ، فلماذا لا يستثمر الحكام العرب هذا السلاح الفعال وبأقصى طاقة ممكنة ؟ .

* إننـا نعلـن وبكـل صـراحة ، أن الوقـوف الفعلـى ضـد أطمـاع نتنيـاهو وضـد تهديده حتى لحياة الحكام العرب لن يكون إلا بالدعم الواضـح للمجاهدين فـى لبنـان وفلسطين .. هنـا أصـل القضـية وجوهرهـا فتحركوا قبـل فوات الأوان {ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. صدق الله العظيم .

***

بيان إلى الشعب

نرفض تدنيس نتنياهو أرض مصر الطاهرة

{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا} صدق الله العظيم.

باسـم (اللجنـة العربيـة لمسـاندة المقاومـة الإسـلامية فـى لبنـان) نعلـن رفضـنا واسـتنكارنا الكامـل لزيـارة الإرهـابى الصـهيونى بنيـامين نتنيـاهو لمصـر والتـى ستأتى فـى يوم 1996/7/18 ، وهـى الزيـارة التـى تـأتى فـى الوقت الذى تتوالى فيـه الاعتداءات الصـهيونية علـى الشـعب العربـى فـى لبنـان وفلسطين مـن قبـل نتنياهو وتكتل الليكود وتصعيدهم للغة الحرب والعدوان وعدم الاعتراف بالحقوق العربية الثابتة .

إن هذه الزيارة تعطى هذا الإرهابى للأسف فرصة لالتقاط الأنفاس بعد سلسلة الموقف المصرية الرسمية الإيجابية على صعيد توحيد الموقف العربى بعد القمة العربية الأخيرة . إننا نطالب أهل الحكم فى مصر بألا ينخدعوا بما يقوله هذا الإرهابى ، وأن يستمروا فى نهج التوحيد العربى وتجميع الصفوف العربية ، ومساندة المقاومة اللبنانية والفلسطينية ؛ لأنها السند الوحيد لهم فى الأيام القادمة من الصراع ، وهذا الإرهابى نتنياهو لن يتنازل عن العدوان على الجميع بما فيه الشعب المصرى ، فهبوا جميعاً وارفضوا زيارته وارفضوا التعاون معه وارفضوا تدنيسه لأرض مصر الطاهرة .

***

بيان الجماهير المصرية والعربية

بعد العدوان على لبنان :

* نرفض الوجود الاقتصادى الصهيونى فى مصر

* 13 شركة إسرائيلية فى أول معرض من نوعه بالقاهرة .. احتلال اقتصادى يتطلب المواجهة

تعلن (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان) رفضها الدائم والمبدئي لأى وجود صهيونى ثقافى أو سياسى فى مصر ، حيث مساندة إخوتنا فى الجنوب اللبنانى المجاهد ، لا يستقيم إلا بمواجهة واضحة وقوية للوجود الصهيونى بالقاهرة وعلى كل الأصعدة . من هنا نعلن الإدانة والرفض والمواجهة لهذا المعرض الصناعى الذى أقيم مؤخراً فى مصر وشاركت فيه 13 شركة إسرائيلية فى مجال الالكترونيات وجاء توقيته بعد العدوان الصهيونى النازى على لبنان .

وفى هذا التحليل الشامل الذى نقدمه لهذا المعرض ، نعلن لأمتنا العربية أن عليها أن تعلن وفوراً أنها ضد هذه المعارض التى يتواجد فيها الصهاينة ، وأنها ضد وجودهم فى بلادنا أساساً وفى أى مجال .

***

تحليل شامل للوجود الصهيونى فى معرض الالكترونيات

وسط إجراءات أمنية مشددة وداخل أفخم فنادق القاهرة على النيل رفعت أعلام العدو الصهيونى وسط زمرة من الأعلام الأوروبية وعدد قليل من العربية .. والحدث هو مشاركة العدو الصهيونى بـ 13 شركة متخصصة فى مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات والاتصالات فى أعمال مؤتمر المشاركة " الشرق أوسطى " فى مجال الالكترونيات والذى بدأ أعماله الثلاثاء 5/13 واختتمها يوم الخميس 1996/5/16 ونظمته الغرفة التجارية الألمانية العربية بالتعاون مع الجمعية المصرية الأوروبية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومركز معلومات مجلس الوزراء المصرى .

يأتى هذا المؤتمر تتويجاً لما اقترحته حكومة العدو الصهيونى خلال قمة عمان فى نوفمبر الماضى والتى طرحت خلالها فكرة توزيع الأدوار بين بلدان المنطقة بحيث تهيمن إسرائيل على الصناعات الالكترونية الحديثة " الهاى تك " بينما يتولى العرب إمدادها بالأيدى العاملة الرخيصة ورؤوس الأموال اللازمة وبذلك تتحول المنطقة العربية إلى سوق هائلة تستوعب المنتجات الإسرائيلية .

وهذا المؤتمر الثانى من نوعه الذى يرعاه الاتحاد الأوروبى والغرفة الألمانية بعد المؤتمر الأول الذى عقد بالقاهرة أيضاً عام 1994 وتمخض عن قيام أكثر من 500 علاقة ثنائية ومشتركة بين رجال الأعمال بالمنطقة ومنها إسرائيل فى مختلف المجالات الصناعية ، حيث يرعى الاتحاد الأوروبى الترويج لفكرة ما تطلق عليه إسرائيل " السوق الشرق أوسطية " تحت مزاعم استقرار المنطقة العربية .

وهذا ما يؤكده الدكتور بيتر جوبفرش مدير الغرفة العربية الألمانية بالقاهرة فى حديثه لصحيفة "العربى" المصرية أن الاتحاد الأوروبى خصص هذا العام (100 ألف وحدة) " إيكو " لدعم الاتفاقات الناتجة عن المؤتمر " مبدا لانتر

بيرايز " وأضاف بأن الاتحاد الأوروبى سيخصص مؤتمر العام القادم لمنطقة " الشرق أوسطى " فى مجال صناعة السيارات والصناعات المغذية لها .

وكشف الدكتور بيتر عن أهداف المؤتمر بأن يشجع القيام بالأعمال وعقد الصفقات بين الشركات المختلفة وتقنية المعلومات وإتاحة الفرصة للمتخصصين من خلال المؤتمر والمعرض المصاحب له للإطلاع على أحدث البرامج والنظم فى هذا المجال من خلال تبادل الخبرات وإتاحة الفرص وعقد اتفاقيات عمل وتعاون طويلة المدى .

وقد شارك الجانب الإسرائيلى بـ13 شركة متخصصة فى مجال الالكترونيات والاتصالات والمعلومات غير أن أخطر ما كشفت عنه الأوراق الإسرائيلية هو ظهور اسم "ديقورا جنانى" بطلة فضيحة محلات "عمر أفندى" حيث عادت ديقورا من خلال شركة "WWV" المتخصصة فى مجال الالكترونيات وتوضح الوثيقة أن شركة ديقورا يوجد لها مكتب بوسط القاهرة وأقامت علاقات تجارية مع الشركات المصرية بالقطاع الخاص خلال السنوات الستة الماضية.

وقد حددت الشركة هدفها من المشاركة فى هذا المؤتمر برغبتها فى عقد لقاءات واتصالات مع الشركات المصرية المماثلة والمشاركة فى أعمال المؤتمر تمهيداً لعقد صفقات معها . وداخل الجناح الإسرائيلى الذى اكتظ بالشركات الإسرائيلية ورجال الأعمال العرب والأجانب ، فقد أكدت لنا ممثلة الحكومة الإسرائيلية داخل الغرفة الألمانية أنه روعى عند اختيار الشركات الإسرائيلية الـ 13 فى هذا المجال أن يكون لها سابقة أعمال مع بلدان المنطقة العربية خلال السنوات الست الماضية ، حيث يوجد لهذه الشركات علاقات تجارية مع مصر وتركيا والعراق والمغرب وأن يكون لها تمثيل أو فرع أو مكاتب ببلدان المنطقة .وعلى العكس من الحركة والنشاط الملحوظ داخل الجناح الإسرائيلى ، فقد شهدت أغلب الأجنحة الأخرى وخاصة المصرية والعربية حالة من السكون حيث لم يشارك من الدول العربية سوى الإمارات العربية وسوريا ، الأردن وفلسطين التى

لم تشارك إلا بشركتين فقط فى هذا المجال ، حيث أوضح محمد عرفات ممثل الحكم الذاتى الفلسطينى فى المؤتمر أن السبب وراء ذلك يعود إلى رفض الحكومتين الإسرائيلية والمصرية منح تأشيرات خروج ودخول لعدد 8 شركات فلسطينية رغبت فى المشاركة فى المؤتمر وسمح فقط لشركتين .

وأضاف ممثل السلطة الفلسطينية المشارك فى المؤتمر بأن إحدى الشركتين فى المؤتمر نجحت فى تعريب قاعدة المعلومات والبيانات داخل سلطة الحكم الذاتى بغزة والضفة الغربية بعد أن كانت مقصورة على اللغة العبرية .وفى نفس الإطار ينتقد عبد الفتاح الكايد من مؤسسة تنمية الصادرات الأردنية عدم قدرة العرب على تنظيم مؤتمر مماثل تلتقى فيه شركات القطاع الخاص العاملة فى هذا المجال. وحول تقييمه للصناعة الإسرائيلية فى مجال الالكترونيات يقول الكايد : لاشك أنها صناعة متطورة غير أنها ليست الوحيدة فى العام حيث توجد دول أخرى كثيرة تتفوق على الصناعة الإسرائيلية .ويوضح أن الصناعات العربية شهدت تفوقاً وتم الاهتمام بها ، فأصبحت هناك شركات عربية تعد برامج خاصة بها ، ومستعدة أن تقوم بتكييف البرامج العالمية الدولية وفقاً لطبيعة البيئة العربية ، وبالتالى فإن هناك منافسة شديدة من الشركات الإسرائيلية للشركات العربية .

ويرى عبد الفتاح الكايد أنه لكى تتفوق الشركات العربية على الشركات الإسرائيلية هناك طريقتان : الأولى تحقيق أكبر مستوى من التكامل بين الدول العربية وأن يتم التعاون بين الشركات والمصانع مباشرة دون دخول وسطاء .فمثلاً توجد شركات فى مصر تصنع شاشات وشركات أخرى فى الأردن تصنع برامج وبالتالى يمكن تحقيق التكامل بين هذه الشركات .

أما الطريقة الثانية – كما يراها الكايد – فتعتمد على توحيد جهودنا التسويقية فى العالم الخارجى حتى نستطيع فتح أسواق جديدة ، وكل دولة تفتح سوقاً جديدة تكون ذلك السوق فى خدمة باقى الدول العربية .

أما قضية التفوق الإسرائيلى،فى رأى عبد الفتاح الكايد فهى لا تعد عقدة نفسية لدينا كعرب أكثر منها تعبيراً عن واقع فعلى لتفوق الصناعات الالكترونية فى إسرائيل .ويوضح الكايد أن لدينا فى الوطن العربى صناعات كثيرة متفوقة ، كما أن لدينا أيدى عاملة رخيصة ومدربة وبالتالى فيجب أن تكون هناك ثقة فى المنتج العربى وفى قدرته على منافسة السلع الأجنبية .

وفى السياق ذاته حذر الخبراء الوطنيون من تكرار إقامة مثل هذه المؤتمرات بالقاهرة بصفة سنوية يؤدى إلى تكريس وتدعيم فكرة إقامة السوق الشرق أوسطية التى يسعى لتحقيقها العدو الصهيونى فضلاً عن انتهازه للفرصة وقيامه بالترويج لمنتجاته داخل السوق المصرية تحت ستار هذه المؤتمرات واستحواذه على نصيب الأسد كالعادة من الصفقات التى تعقد خلالها كما حدث خلال مؤتمر عام 1994 الذى عقد بالقاهرة أيضاً تحت نفس الاسم والشعار المشاركة "الشرق أوسطية"، المعروف أن مؤتمر عام 1994 شهد تمثيلاً مكثفاً على المستوى الوزارى لحكومة العدو الصهيونى فى مختلف التخصصات والمجالات الاقتصادية بهدف غزو الأسواق العربية عبر نافذة القاهرة.

***

بيان للأمة

سفك الدماء في لبنان خلفه مؤامرة داخلية ودولية

الدور العربي المطلوب لا بد وأن ينحاز للحق وليس للأكثرية التابعة لواشنطن

القاهرة 2008/1/28

* باسم أعضاء وقيادات اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان – لجنة مصرية مستقلة – نعلن للأمة أن ما يجري في لبنان من سفك لدماء الأبرياء في لبنان بالأمس، يقف خلفه بوضوح قناصة تابعون لما يسمى بقوى الأكثرية التي يقودها عملاء لواشنطن، يتفاخرون كل صباح بعلاقتهم الخاصة بالرئيس بوش الذي تتلطخ يداه بدماء المسلمين والعرب منذ (2003 وحتى اليوم

2008)، إن الهدف من قتل ثمانية وإصابة قرابة الأربعين من المواطنين الذين خرجوا للاحتجاج على مطالب حياتية (قطع الكهرباء – غلاء الأسعار – إلخ) تستهدف زرع الفتنة بين الجيش وقوى المعارضة، ليتحول الأمر إلى فتنة وطنية يتم جر المقاومة بقيادة حزب الله إليها حتى يسهل أمريكياً وإسرائيلياً الثأر من هزيمتها في صيف العام 2006، وأيضاً لتتحطم نهائياً العقبة الكأداء التي تقف حائلاً دون تحويل لبنان إلى (ماخور) أمريكي/ غربي يخدم وبطاعة عمياء المخططات العداونية للهيمنة والاحتلال الأمريكي الصهيوني في بلادنا. وهو ما لن يكون بإذن الله.

* إننا باسم أعضاء وقيادات (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان) نحذر القادة العرب وبخاصة أولئك الذين اجتمعوا عبر وزراء خارجيتهم بالقاهرة وأصدروا بياناً هزيلاً مثل جامعتهم العربية وأمينها العام الذي يرقص منذ سنوات على كل الحبال (العربية والأمريكية والإسرائيلية) نحذرهم من خطورة ما جرى في لبنان وما قد يجري والذي ستمتد آثاره لتصل إلى كراسيهم وعروشهم التي ستهتز وقد تسقط، ونطالب الشرفاء منهم بضرورة الانحياز للحق والعدل في لبنان وليس للأكثرية المحسوبة على واشنطن والمنفذة لمخططاتها.حمى الله لبنان وحفظ مقاومته من خفافيش الظلام زرَّاع الفتن ومصاصي الدماء الطاهرة.

خبر صحفي

دفاعاً عن المقاومة في لبنان وفلسطين ورفضاً لزيارة بوش

(اللجنة العربية) تقيم احتفالية في نقابة الصحفيين

حزب الله يمثل رمزاً للصمود والوعي وهو أكبر تحدٍ ضد العدو الصهيوني الأمريكي في المنطقة

أكد الإعلاميون والسياسيون المصريون على أن (حزب الله) و(المقاومة الفلسطينية) يمثلان اليوم رغم كل الصعوبات التي يواجهونها أكبر تحدي ضد مشروع الهيمنة الأمريكية/ الإسرائيلية على المنطقة، ومن الواجب القومي

والإسلامي مساعدتهما بكافة الوسائل السياسية والإعلامية، وأكدوا على رفضهم وشجبهم لزيارة مجرم الحرب جورج بوش للمنطقة والتي تأتي على حساب دماء الشعوب العربية التي يذبحها الاحتلال الأمريكي في العراق ولبنان وفلسطين وجددوا مطالبهم بأهمية تصعيد المقاومة العربية ضد العدوان الأمريكي المستمر على المنطقة لتوجيه ناحية الدول الصامدة والمعاندة لمشروعه في المنطقة وفي مقدمتها سوريا وإيران وضد قوى المقاومة وفي مقدمتها حزب الله.

جاء ذلك في الاحتفالية الثقافية السياسية التي عقدتها (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان) . لجنة مصرية مستقلة . وحملت عنوان (في حب فلسطين) في نقابة الصحفيين مساء يوم الثلاثاء (2008/1/8) وتم على هامشها تكريم فريق التأليف والإعداد لفيلم (عابرون من بني إسرائيل) الحائز على الجائزة الذهبية في مهرجان الإعلام العربي والذي أعدته قناة النيل للأخبار المصرية، والذي يكشف بوضوح العنصرية الصهيونية.

شارك في الاحتفالية كل من : [تامر حنفي معد الفيلم وكبير الإعلاميين بقناة النيل للأخبار . الإعلامي محمود حسين . المؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين . د/ حسني السيد المفكر السياسي . د/ مجدي قرقر الأمين العام المساعد لحزب العمل . أحمد شرف المتحدث باسم الشيوعيين المصريين . هناء عمر أمينة المرأة بالحزب الناصري . وممثلين عن نقابات الأطباء . المهندسين . المحامين . وجماعة الإخوان المسلمين] والشاعرين: سمير فراج وياسر أنور والمطرب: إيهاب شوقي، الذين قدموا شعراً وأغاني عن المقاومة في لبنان وفلسطين... أشرف على الاحتفالية وقدم لها د/ رفعت سيد أحمد المنسق العام للجنة.

***

<u>بيان إلى الأمة</u>

<u>ننعى إلى الأمة الشهيد عماد مغنية</u>

<u>ونؤكد للعدو أن بحزب الله ألف مغنية آخر يتوق للشهادة!</u>

فلتكن دماء الشهيد منطلقاً للوحدة اللبنانية في وجه العدو الصهيوني المشترك

القاهرة 2008/2/13

باسم أعضاء وقيادات (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان – لجنة مصرية مستقلة) ننعى إلى الأمة القائد الشهيد الكبير/ عماد مغنية الذي طالته يد الغدر الصهيونية في دمشق بالأمس (الثلاثاء 2008/2/12) ونبارك للأمة في ذات الوقت استشهاده، والذي تمناه طويلاً، منذ أسس مع رفاقه الكبار حزب الله في العام 1982.

إننا أمام هذا الحدث الجليل نؤكد للأمة أن دم الشهيد لن يذهب هباء بإذن الله، وسيثأر المقاومون لدمه داخل وخارج فلسطين من هذا العدو الجبان الذي يعلم جيداً أن قتل القادة في صفوف المجاهدين، يخلق ويولد قادة جدداً، هكذا كان استشهاد (الشيخ راغب حرب) والسيد (عباس الموسوي) وغيرهما. ولكننا نتمنى على كافة الفرقاء في لبنان وخاصة أولئك الذين تطاولوا وأهانوا قادة ورموز المقاومة وبدوافع أمريكية/ إسرائيلية في الغالب، أن يتوقفوا فوراً وأن يعيدوا حساباتهم الخاسرة، وأن يتحدوا في مواجهة العدو الحقيقي لبلدهم ولأمنهم، العدو الذي قتل من قبل رفيق الحريري وعشرات من أبناء هذا الشعب الأبي، العدو الصهيوني.

* ولتكن دماء (عماد مغنية) نبراساً هادياً ومنطلقاً للوحدة الوطنية اللبنانية في وجه العدو الصهيوني المشترك وعملائه في لبنان والمنطقة. إن (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان) تطالب الأمة بكافة تياراتها وفصائلها وطوائفها أن توحد صفوفها وتردم الفوارق فيما بينها، وأن توجه طلقتها إلى صدر العدو الحقيقي: العدو الصهيوني والأمريكي.

** رحم الله القائد عماد مغنية وتقبله في رضوانه **

{ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون} صدق الله العظيم.

***

فى مؤتمر التضامن مع انتفاضة الأقصى : مشعل وشلح : نخطط لعمليات استشهادية جديدة

دعا مشاركون فى مؤتمر استضافته نقابة الصحفيين إلى فتح باب التطوع أمام الشباب العربى حالة تعرض أى دولة عربية أو إسلامية للقصف الأمريكى ، رافضين انضمام مصر أو أى دولة عربية للتحالف المشبوه .

وطالب هؤلاء بإحياء اتفاقيات الدفاع العربى المشترك بوصفها الحل الوحيد فى مواجهة البلطجة الإسرائيلية المتصاعدة ضد الشعب الفلسطينى الأعزل فى معركته من أجل الاستقلال. ووجه خالد مشعل المتحدث الرسمى لحركة حماس بالأرض المحتلة تحية شكر للمشاركين فى المؤتمر وللشعب المصرى وفى مكالمة هاتفية مع د. رمضان شلح الأمين العام لجبهة الجهاد الفلسطينية أكد على نفس المعنى مشدداً على استمرار الانتفاضة وتصعيدها بالمزيد من العمليات الاستشهادية ، وذكر الحاضرون بأن مصر ستظل هى محور المواجهة مع الصهاينة وبدونها لن يُدمر المشروع ، فيما فشلت محاولات للاتصال هاتفياً بالشيخ حسن نصر الله زعيم حزب الله لاعتبارات أمنية .شارك فى المؤتمر عدة مئات من السياسيين والنقابيين من المواطنين البسطاء خاصة الشباب وتعهد منظمو المؤتمر " فرش " العلمين الصهيونى والأمريكى فى مدخل القاعة الكبيرة ليطأهما المشاركون .

ومن أبرز المتحدثين فى المؤتمر الكاتب الكبير محمد عودة وإبراهيم شكرى رئيس حزب العمل ود. محمد عبد المنعم البرى رئيس جبهة علماء الأزهر ود. عبد المنعم تليمة ومن فلسطين المحتلة ، عبد القادر ياسين والإعلامى يونس الكنزى القادم من غزة مباشرة .. والبطل أيمن حسن الذى أشعل المؤتمر عند

حديثه عن قتله 13 جندياً صهيونياً أثناء خدمته بالجيش. وانتهى المؤتمر بأمسية أدبية وشعرية .. د. رفعت سيد أحمد الذى أدار فعاليات المؤتمر وقال : إن المشاركين اتفقوا على تشكيل لجنة متابعة وتنسيق من اللجان السبع المنظمة للمؤتمر كهيئة عليا تجتمع أسبوعياً لمتابعة حركة مقاومة التطبيع ومقاطعة البضائع الأمريكية والصهيونية.

(نقلاً عن العربى 2001/9/30)

***

في ندوة سياسية بحزب الأحرار

اللجنة العربية لمساندة لبنان تطالب بوقف التطبيع العمالى مع إسرائيل

مصطفى كامل مراد : إسرائيل قزم سيتم القضاء عليه !

عقدت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان ندوتها السياسية تحت عنوان "التطبيع فى القطاع العمالى المصرى وأساليب المقاومة" .. يوم الأحد الماضى بمقر حزب الأحرار تحت رعاية رئيس حزب الأحرار مصطفى كامل مراد ، شارك فى الندوة حلمى سالم نائب رئيس الحزب ، عادل مكين مقرر العمال باللجنة والأمين المساعد للحزب ود. رفعت سيد أحمد أمين اللجنة وأبو العلا ماضى وكيل مؤسسي حزب الوسط تحت التأسيس ود.محمد مورو الكاتب الإسلامى وحسين معلوم ود. حلمى فهمى أمين لجنة الطاقة بالحزب .

وفى البداية تحدث مصطفى كامل مراد – رئيس حزب الأحرار – فأعرب عن سعادته باستضافة اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وحضور كافة الأحزاب والتيارات السياسية لأن حزب الأحرار يركز دائماً على حرية الفكر والرأى والعقيدة كما أن جريدة الأحرار مفتوحة دائماً لكافة الآراء سواء اتفقت مع مباديء حزب الأحرار أو اختلفت معها ، خاصة ونحن لدينا 18 جريدة ما بين أسبوعية وشهرية تعمل فى هذا الإطار بالإضافة إلى 39 مقراً فى جميع المحافظات أى أننا الحزب الوحيد الذى يوجد لديه أكبر عدد من المقرات بعد الحزب الوطنى بالإضافة إلى 250 ألف عضو يمثلون كافة طبقات المجتمع المصرى وبالتالى فالنشاط السياسى يحتاج إلى مثل هذه الندوات لزيادة الوعى للمواطن ، خاصة أن الأحزاب تمثل 2 مليون من نسبة 30 مليوناً ممن تخطوا سن 18 عاماً أى بنسبة 1 إلى 15 وهذا يرجع إلى حالة الطواريء المعمول بها والمحاكم العسكرية والتعتيم الإعلامى الذى تتعرض له أحزاب المعارضة من جانب وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، كل هذه المعوقات تجعل الشعب المصرى لا يشعر بالأحزاب ودورها المهم والمؤثر فى العمل

السياسى خاصة وأن هدف المواطن هو حل مشكلاته اليومية من مأكل ومشرب وملبس وتعليم وصحة ومسكن ، فالاختلال واضح فى توزيع الدخل القومى وتدنى الأجور قياساً بارتفاع الأسعار بل إن هناك 850 ألف معلم يعيشون تحت خط الفقر ، هذا البعد الاجتماعى فى حزب الأحرار يعتبر له طبيعة هامة جداً .

وقال مراد : إن إسرائيل دولة دخيلة ولن تستمر وهذا ما يؤكده التاريخ ، فالأوروبيون جاءوا تحت ستار الصليب وظلوا مائتى عام وهزموا فى حين أن إسرائيل عمرها 50 عاماً فقط وإرادة الشعب قادرة على هزيمتهم باعتبارهم " دولة قزم " عددها 4 ملايين نسمة فى حين أننا نزيد سنوياً 5 ملايين مواطن إلى جانب أننا نمتلك جميع المقومات التى تؤهلنا لامتلاك التكنولوجيا المتقدمة سواء الصناعية أو النووية .

وأشار رئيس حزب الأحرار إلى أن إسرائيل نجحت فى الفترة الأخيرة فى استقطاب 25 ألف عامل مستخدمة وسائل الجذب والإغراء المختلفة ، منها الأجر المرتفع لدرجة أن العامل يحصل على ما يعادل 17 جنيهاً فى الساعة الواحدة وتعرض عليه الجنسية أو التجنيد فى الجيش فى حين أن العامل المصرى تساء معاملته فى الدول العربية وبالتالى لابد أن نعرف الواقع حتى يمكن معالجته فى ظل الجذب الصهيونى للعمالة المصرية وهو ما يشكل خطورة على الأمن القومى المصرى والعربى .

وأكد رئيس حزب الأحرار أن العلاج السليم لهذه القضية يقتضى ضرورة جذب الأموال المصرية والعربية للاستثمار فى الداخل وهذا لن يتحقق فى ظل الأحكام العربية التى تجعل رأس المال يهرب ، ومن هنا فإن تهيئة المناخ أصبحت شيئاً ضرورياً إذا ما علمنا أن أموال المصريين بالخارج تبلغ 80 مليار دولار حسب إحصائيات البنك الدولى وفوائدها 5 مليارات دولار كفيلة وحدها

بحل مشاكل مصر كما أنه من الضرورى تغيير المناخ السياسى والاقتناع بمبدأ تداول السلطة ؛ لأن هذه الأشياء تؤثر على الناحية السياسية فى مصر .

وتحدث الدكتور رفعت سيد أحمد الأمين العام للجنة ، فأشار إلى أن سياسة المقاومة هى جعل شعار عام 1997 عام المقاومة بدءاً بالقطاع العمالى المصرى وأساليب المقاومة مشيراً إلى اكتشاف العديد من شبكات التجسس فى الأوساط العمالية مثل الجاسوس عزام .

وهذا ما يعطى مؤشراً بأن قطاعنا العمالى ليس ببعيد عن الهدف الصهيونى خاصة أن هناك بعض التقارير التى أكدت زيادة عدد العمالة المصرية فى إسرائيل عن 18 ألف عامل ، والمثير للغرابة أن بعض هؤلاء الشباب بدأوا يعملون فى وظائف مدنية فى الجيش الصهيونى وبعضهم فى الجنوب اللبنانى ليكونوا دروعاً بشرية للصهاينة فإذا ما حدثت حرب كانت حرباً عربية – عربية هذا المخطط الصهيونى الذى يجب اتخاذ الحذر والحيطة منه .

وأكد حسين معلوم عضو اللجنة أن التطبيع فى القطاع العمالى سواء فى قطاع الصناعة بصفة عامة والعمال بصفة خاصة هو أحد الأهداف الصهيونية فالتقارير تؤكد وجود 18 ألف عامل مصرى بالإضافة إلى بعض المصريين الذين بدأوا فى الزواج من يهوديات ووصل عددهم إلى 1325 زيجة وهنا لابد أن تركز على تساؤل هام وهو لماذا القطاع العمالى ولماذا القطاعات الخاصة بالعمالة سواء كانوا زراعيين أو صناعيين ؛ لأن التركيز الصهيونى ينصب على التغيير الهيكلى فى حين أن الجانب العربى يركز على الجانب الإعلامى فقط ومن هنا فإسرائيل تسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف هى : انفتاح اقتصادى تعقبه مظاهرات لاختلال التوازن كما حدث فى 1977 فى مصر وانتفاضة الخبز فى الأردن .

وأكد عادل مكين مقرر لجنة العمال باللجنة العربية والأمين المساعد لحزب الأحرار على أن فى هذه الأيام ذكرى مجيدة وهى العاشر من رمضان التى

نجحنا خلالها فى تحطيم أكذوبة الجيش الذى لا يقهر واليوم نجتمع للبحث عن آلية جديدة لمواجهة غزو جديد يستتر تحت دعاوى السلام المغتصب للأرض وهو " التطبيع " مع شعب غاصب للأرض ويرى أن دولته من النيل إلى الفرات وهى عقيدة دينية ثابتة لديه ، وبالتالى هذا التعنت الصهيونى فى عملية السلام مع سوريا وفى الجنوب مع لبنان والمماطلة مع الشعب الفلسطينى وحقه فى إقامة دولته المستقلة تؤكد أن إسرائيل لا يمكن أن تسعى للسلام أو التعايش السلمى ، مشيراً إلى أن إسرائيل تتخذ السلام غطاء لمناورة أكبر يحاولون عن طريقها التغلغل داخل المجتمع العربى والمصرى تحديداً بهدف تغيير ثقافته وعاداته ، وهذا يجعلنا نؤمن بأننا أمام معركة جادة وحاسمة .

وأكد حلمى سالم نائب رئيس حزب الأحرار أن مصر استطاعت أن تحول الهزيمة إلى نصر واليأس لاستقرار والنضال والأمل والطموح لأن هذا هو هدفنا جميعاً .

وأهم أوجه الانطلاق هو الانطلاق الفكرى وبالتالى علينا أن نتحرر من أى شىء يحد من عطائنا الوطنى ، وقد سبق أن طلبنا بحشد قوانا لمواجهة التطبيع مع الكيان الصهيونى مشيراً إلى أن الرئيس مبارك قال : إن السلام خيار استراتيجى ولا يمكن أن نفرض التطبيع على أحد باعتباره إرادة الشعوب .

وأضاف إلى أن هناك آليات وقواعد لمقاومة التطبيع علينا أن نعمل على تهيئة المناخ لمقاومة التطبيع مع الكيان الصهيونى ؛ مشيراً إلى أن البعض يدعى بأننا حققنا طفرة فى الزراعة مع الكيان الصهيونى فى حين أن العمالة الفلسطينية اكتسبت الخبرة على مدى سنوات مع هذا الكيان وبالتالى علينا الاستفادة من العمالة الفلسطينية لحدوث امتزاج معهم ، وعلينا النهوض بمستوى العامل المصرى ذاته لتوفير الامكانيات التى تجعله صاحب إمكانيات عالية .

وقال الكاتب محمود سلطان : إن العمالة المهاجرة لإسرائيل ليست من الحرفيين فقط وإنما من خريجى الجامعات نتيجة أوضاع البطالة فى مصر وهناك ورقة

تقدمت بها وزارة القوى العاملة فى أوائل هذا العام تقول : إن نسبة البطالة بين الخريجين فى المناطق الحضرية 50% والريفية 49.7% وكل هذا يدفع للهجرة لإسرائيل علاوة على آخر تقارير اليونيسيف وجود 34% من الشعب المصرى يعيش تحت خط الفقر ، وبالتالى لابد من إيجاد حل سواء بتوفير الحماية لرأس المال الأجنبى فى مصر أو عملية تنظيم العمالة وبالتالى لابد من التفكير فى تطوير سوق العمالة .

(الأحرار 1997)

***

فى حلقة نقاشية هامة : لجان مقاومة التطبيع فى مصر تؤكد :

الإرهاب صناعة أمريكية والمقاومة مشروع استنهاض للأمة

القاهرة 2001/10/16

بدعوة من (اللجنة العامة لمتابعة حركة مقاومة التطبيع ومواجهة المشروع الأمريكى / الصهيونى فى مصر) التقى ممثلو (8) لجان لمقاومة التطبيع ولمدة يوم كامل (يوم 2001/10/16) حلقة نقاشية على جلستين وذلك تحت عنوان [الإرهاب والمقاومة نحو تحديد علمى للمفاهيم] ، تحدث فيها 15 خبيراً سياسياً بالإضافة إلى ممثلى اللجان والأحزاب المصرية ودارت المناقشات حول ورقة عمل رئيسة ترصد المتغيرات العالمية الجديدة بعد أحداث 2001/9/11 فى واشنطن ونيويورك وبعد ضرب أفغانستان يوم 2001/10/7 وأعدها (د. رفعت سيد أحمد الذى أدار الحوار) ، عقدت الندوة فى مصر (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين) وقد خلص المتحاورون إلى جملة من التوصيات والآراء الهامة أبرزها :

1 – الإرهاب تعريفاً هو كل فعل يتوسل العنف لتحقيق أهدافاً سياسية ، عبر استخدام أساليب غير كريمة وبلا منطق ومن خلال ترويع المدنيين وخير

نموذج على المستوى السياسى الدولى للإرهاب هنا هو الولايات المتحدة والكيان الصهيونى .

2 – المقاومة هى مشروع استنهاض للأمة للرد على حقوق اغتصبت أو أرض احتلت أو مقدسات أهينت ، والمقاومة فى لبنان (حزب الله) وفى فلسطين (الانتفاضة ونضال حركات حماس والجهاد الإسلامى وفتح والجبهات الأخرى) هم خير معبر عن هذا المشروع .

3 – ما حدث فى الولايات المتحدة يوم 2001/9/11 هو نتيجة منطقية لسياسات أمريكية حمقاء وغير عادلة تجاه العالم وتجاه الإنسان (بما فى ذلك الإنسان الأمريكى العادى) ومن المتوقع أن يتكرر هذا المشهد كثيراً خلال السنوات القادمة ؛ لأن أسبابه لازالت موجودة ولم تتعظ الولايات المتحدة ولم تحاول أن تتعلم وتصلح من أخطائها وخاصة تجاه قضية فلسطين بكل مآسيها، التى هى السبب الرئيس فيها بدعمها وانحيازها الكامل لإسرائيل .

4 – إن إرهاب الدولة الذى يمارسه الكيان الصهيونى فى فلسطين ، هو قمة الإرهاب فى منطقتنا وهو المنبع لأى مقاومة كانت وستكون ضد المصالح الأمريكية والغربية فى المنطقة وما لم يتوقف فإن دائرة الانتقام والمقاومة ستستمر .

5 – عدَّد المحاورون جرائم أمريكا تجاه العالم منذ إبادة الهنود الحمر وحتى الهجوم الهمجى على أفغانستان ، مروراً بضرب اليابان بقنابل نووية وبحرب فيتنام ،وقدموا عدة وثائق دالة على ذلك وأكدوا على أن نهاية العصر الأمريكى قد بدأت عندما ضربت واشنطن ونيويورك وعلينا عربياً أن نستعد بمشروع كامل للمقاومة وللنهضة لمواجهة تداعيات هذا الانهيار الأمريكى .

6 – أعلن المشاركون فى الحلقة النقاشية عن مشاركتهم فى الدعوى القضائية التى رفعتها (اللجنة المصرية لتوحيد الأمة العربية والتى شاركت فى الندوة من خلال منسقها العام المحامى وحيد الأقصرى) بشأن جريمة قتل الأسرى

المصـريين فـى سـجون العـدو الصـهيونى (56 ألـف أسـير) والتـى سـتنظرها المحـاكم المصـرية قريبـاً والمشـاركة تعـد شـكلاً مـن أشـكال المواجهـة العمليـة للإرهاب الصهيونى ضد الشعب المصرى والعربى ، وأكدوا أيضاً تضامنهم مع الانتفاضـة ومـع حـزب الله فـى لبنـان ومـع الشـعب العراقـى المحاصـر وثمنـوا عمليات مقاومة التطبيع الشعبية التلقائية فى مصر وأكدوا على أهمية تصعيدها لمواجهة الإرهاب الصهيونى. هذا وقد شارك فى النقاش أيضاً خبراء عسكريون مصريون (لواء هانى سعفان – لواء محمود أبو البشير وآخرون) بالإضافة إلى رجال الإعلام وممثلى اللجان والهيئات والنقابات .

اللجان المشاركة فى الحلقة النقاشية

1 – اللجنـة العربيـة لمسـاندة المقاومـة الإسـلامية فـى لبنـان وفلسطين د. رفعت سيد أحمد

2 – الجبهـة الوطنيـة لمقاومـة ومقاطعـة المشـروع الأمريكـى الصـهيونى (اللجنـة التحضيرية بالقاهرة تحت التأسيس) عنها م/أحمد عبد الرحمن.

3 – اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع الزراعى – المهندس محسن هاشم.

4 – اللجنة المصرية لتوحيد الأمة العربية – وحيد الأقصرى المحامى.

5 – اللجنة الشعبية المصرية لكسر الحصار عن العراق – فاروق العشرى.

6 – اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة (شمال القاهرة) أحمد طه–عبدالصمد الشرقاوى

7 – حركة مناهضة الصهيونية حمدى الرفاعى.

8 – اللجنة الشعبية المصرية للتضامن مع العراق – ناصر هاشم المحامى.

نداء القاهرة

من أجل فلسطين

اجتمع ممثلو لجان التطبيع ومواجهة المشروع الأمريكى الصهيونى فى مصر فى المقر المؤقت (للجنـة العامـة لمتابعـة حركـة مقاومـة التطبيـع المشكلة من 9 لجان وعدد من الشخصيات العامة)، واتفقوا على إصدار (نداء القاهرة) ، موجه

إلى الفصائل الفلسطينية المناضلة داخل فلسطين وإلى اللجان الشعبية العربية من أجل تفعيل أكثر لعملية المواجهة مع العدو الصهيونى خلال المرحلة المقبلة وفيما يلى نص النداء ، المطلوب جمع عدد أكبر من توقيعات المهتمين والمثقفين المصريين عليه :

مع دخول " انتفاضة الأقصى والاستقلال " المباركة عامها الثانى، ورغم شراسة الهجمة الصهيونية، المعززة بالدعم الأمريكى الشامل، ورغم بروز الاتجاه المهاود لعدو الأمة، بغرض اغتيال الانتفاضة، وإهدار دماء شهدائها، برغم هذا كله فإن ما تحقق فى ميدان الوحدة الوطنية لايزال متواضعاً ، لم يرق إلى مستوى التحديات ، حيث لم تتأسس جبهة موحدة للفصائل الفلسطينية الثلاثة عشر ، منذ اندلعت الانتفاضة وحتى الآن .

لقد كان طبيعياً أن تعجز تلك التوقيعات على بيانات لجنتى المتابعة فى الضفة والقطاع، عن التأسيس لجبهة موحدة ، تفضى إلى قيادة جماعية للعمل الوطنى الفلسطينى ، تنقذه من استئثار رجل واحد بالقرار السياسى الفلسطينى، وتحصنه ضد التفريط ، ومهاودة الأعداء ، وتجترح استراتيجية للمقاومة طويلة النفس، وتضع الأنظمة العربية أمام مسئوليتها، بضرورة الانتقال من الدعم المتدنى إلى المشاركة الفاعلة.

إن جبهة موحدة للمقاومة من شأنها أن تعظم ما عداها من شروط انتصار الانتفاضة ، وتقطع الطريق على كل من يريد شراً بالشعب الفلسطينى ، وقضيته الوطنية .

باسم كل القوى الوطنية المصرية نناشدكم توحيد الصفوف وبناء الجبهة الوطنية الموحدة الحقيقية لمواجهة التطورات الجديدة الحاصلة فى فلسطين ، وباسم كل القوى ندعو شعبنا العربى والإسلامى دعم الانتفاضة فى فلسطين والمقاومة فى لبنان بكافة الإمكانات والسبل المشروعة ، والله يرعاهم والنصر للمقاومة .

من اللجان والأحزاب الموقعة على البيان: اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين – الجبهة الوطنية لمقاومة ومقاطعة المشروع الأمريكى الصهيونى (اللجنة التحضيرية بالقاهرة تحت التأسيس) – اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع الزراعى – اللجنة المصرية لتوحيد الأمة العربية – اللجنة الشعبية المصرية لكسر الحصار عن العراق – اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة (شمال القاهرة) – حركة مناهضة الصهيونية – اللجنة الشعبية المصرية للتضامن مع العراق – حزب العمل – حزب الأحرار .

الوثيقة الخامسة
القائمة الكاملة لمجازر العدو الصهيونى
من 1936 - 2012

المجازر الإسرائيلية ضد الأمة (1936 – 2013)
(رصد وتوثيق كامل)

1 – مجزرة القدس : أواخر كانون الأول / 1937 (منظمة الاتسل الصهيونية تقتل بقنبلة عشرات الفلسطينيين فى منطقة سوق الخضار بجوار بوابة نابلس).

2 – مجزرة حيفا : 1938/3/6(قنبلة على سوق حيفا تقتل 18 وتصيب 378) .

3 – مجزرة حيفا : 1938/7/9 (تفجير سيارتين ملغومتين فى سوق حيفا استشهد اثرها 21 فلسطينياً وجرح 52) .

4 – مجزرة القدس : 1938/7/13(انفجار فى سوق الخضار العربى بالقدس القديمة يقتل 10 ويصيب 31) .

5 – مجزرة القدس : 1938/7/15(قنبلة تنفجر أمام أحد مساجد القدس تقتل 10 وتصيب 30) .

6 – مجزرة حيفا : 1938/7/25(مقتل 35 واصابة 70 بجراح فى السوق العربية بالمدينة) .

7 – مجزرة حيفا : 1937/7/26(مقتل 47 إثر قنبلة انفجرت فى أحد أسواق حيفا) .

8 – مجزرة القدس : 1938/8/26(مقتل 34 وجرح 35) .

9 – مجزرة حيفا : 1939/3/27(مقتل 27 وجرح 39) .

10 – مجزرة بلد الشيخ : 1939/6/12(عصابة الهاجاناه تخطف 5 من سكان القرية وتقتلهم) .

11 – مجزرة حيفا : 1939/6/19(مقتل 9 وجرح 4) .

12 – مجزرة حيفا 1947/6/20(مقتل 78 وجرح 24) .

13 – مجزرة العباسية : 1947/6/13 (مقتل 7 وجرح العشرات) .

14 – مجزرة عرب الخصاص : 1947/12/18(مقتل 12 واصابة العشرات) .

15 – مجزرة القدس : 1947/12/29(عصابة الأرجون تلقى برميلاً مملوءاً بالمتفجرات فتقتل 14 وتجرح 27) .

16 – مجزرة القدس : 1947/12/30(مقتل 11 عربياً فلسطينياً) .

17 – مجزرة بلد الشيخ : 1947/12/31 – 1948/1/1(مقتل 60 وجرح المئات) .

18 – مجزرة الشيخ بريك : 1947مقتل 40 وجرح العشرات) .

19 – مجزرة يافا : 1948/1/4(مقتل 15 وإصابة 98 بجراح) .

20 – مجزرة السرايا القديمة فى يافا : 1948/1/4(مقتل 30 وجرح العشرات) .

21 – مجزرة سميراميس : 1948/1/5(قامت عصابة الهاجاناه بنسف الفندق فقتلت 19 وجرحت 20 وبعدها بدأ سكان حى القطمون بالنزوح؛لأنه كان قريباً من الاحياء اليهودية)

22 – مجزرة القدس : 1948/1/7(مقتل 18 وجرح 41) .
23 – مجزرة السرايا العربية : 1948/1/8 (والسرايا العربية بناية شامخة تقع فى مقابل ساعة يافا المعروفة وكانت بها مقر اللجنة القومية العربية وتم تفجير سيارة ملغومة بها فقتل 70 فلسطينياً وجرح العشرات) .
24 – مجزرة الرملة : 1948/1/15 (ونفذتها جماعة البالماخ بقيادة [ايجال آلون – اسحق رابين – بن جوريون – وجميعهم كانوا قادة فى عصابة الأرجون وقتل فى المجزرة العشرات]) .
25 – مجزرة يافا : 1948/1/16(مقتل 31 وجرح العشرات) .
26 – مجزرة يازور : 1948/1/22(مقتل 15 وجرح العشرات ونفذها اسحق رابين وعصابة الهاجاناة .
27 – مجزرة حيفا : 1948/1/28(مقتل 20 وجرح 50) .
28 – مجزرة طيرة طولكرم : 1948/2/10(مقتل 7 واصابة 5 بجراح) .
29 – مجزرة سعسع : 1948/2/14(مقتل 60 وجرح العشرات وكان أغلبهم من الأطفال) .
30 – مجزرة القدس : 1948/2/20(مقتل 14 وجرح 26 آخرين) .
31 – مجزرة حيفا : 1948/2/20(مقتل 6 وجرح 30) .
32 – مجزرة الحسينية (وهى قرية فى قضاء صفد) : 1948/3/13 (مقتل 30 وجرح العشرات) .
33 – مجزرة أبو كبير (وهو حى فى يافا) : 1948/3/31(مصرع العشرات على أيدى الهاجاناة) .
34 – مجزرة قطار حيفا – يافا : 1948/3/31(مقتل 40 وجرح العشرات) .
35 – مجزرة قطار حيفا – يافا : 1948/3/31(مصرع 40 وجرح 60 وكانت عصابة شتيرن هى المنفذة) .
36 – مجزرة الرملة : مارس 1948(مصرع 25 وجرح العشرات) .
37 – مجزرة دير ياسين : 9 – 1948/4/10 (مصرع 254 رجلاً وامرأة وطفلاً منهم 25 امرأة حاملاً و52 طفل دون سن العاشرة وجرح المئات) .
38 – مجزرة قالونيا (بالقدس) : 1948/4/12(مقتل 14 واصابة العشرات) .
39 – مجزرة اللجون (قضاء جنين) : 1948/4/13(مصرع 13 واصابة العشرات) .
40 – مجزرة ناصر الدين : 13 – 1948/4/14(مقتل 12 واصابة العشرات) .
41 – مجزرة طبرية : 1948/4/19(مقتل 14) .
42 – مجزرة حيفا : 1948/4/22 (مقتل 100 وجرح 200) .
43 – مجزرة عين الزيتون : أوائل مايو 1948(مقتل 70 وكانوا أسرى مقيدين) .

44 – مجزرة صفد : 1948/5/13(مقتل 70 واصابة العشرات) .
45 – مجزرة أبو شوشة : 1948/5/14(مقتل 60 واصابة العشرات وتم القتل وهم مدفونون أحياء فى مقابر) .
46 – مجزرة بيت داراس : 1948/5/21(مقتل العشرات بنفس أسلوب القتل فى دير ياسين) .
47 – مجزرة الطنطورة : 22 – 1948/5/23(مقتل 50 واصابة العشرات) .
48 – مجزرة الرملة : يونيو / 1948(قتل فيها المئات ونتج عنها أنه لم يتبق فى الرملة سوى 25 عائلة بعدها) .
49 – مجزرة جمزو : 1948/7/9(قتل 10 وأصيب أكثر من مائة) .
50 – مجزرتا اللد : 11 – 1948/7/12(قتل 250 شهيداً و700 جريح) .
51 – مجزرة المجدل : 1948/10/17 (قتل العشرات بعد غارات بالطيران) .
52 – مجزرة الدوايمة : 1948/10/29(قتل ما بين 80 – 100 فلسطينى وأصيب المئات بجروح) .
53 – مجزرة عيلبون (فى فضاء طبريا) : 1948/10/30(قتل 14 واصابة العشرات) .
54 – مجزرة الحولة : 1948/10/30(قتل 70واصابة العشرات) .
55 – مجزرة الدير والبعنة (وهما قريتان تقعان فى الطريق بين عكا وصفد): 1948/10/31(قتل 4 شباب واصابة العشرات) .
56 – مجزرة عرب المواسى (وهى قبيلة عربية فلسطينية) : 1948/11/2(قتل 14 واصابة العشرات) .
57 – مجزرة مجد الكروم : 1948/11/5(قتل فيها 7 شباب وامرأتان) .
58 – مجزرة أبو زريق : 1948(تم قتل وجرح العشرات) .
59 – مجزرة أم الشوف : 1948(قتل 7 شباب اختيروا بشكل عشوائى لإعدامهم) .
60 – مجزرة الصفصاف : 1948(قتل 52 رجلاً بعد ربطهم بالحبال واغتصبت ثلاث فتيات وقتلت أربع آخريات) .
61 – مجزرة جيز : 1948(قتل 11 رجلاً وامرأة وطفل) .
62 – مجزرة وادى شوباش : 1948(قتل فيها العشرات وكانت القوة الاسرائيلية بقيادة رحبعام زئيفى الوزير المقتول فى الانتفاضة الثانية المباركة) .
63 – مجزرة عرب العزازمة (فى بئر سبع) : 1950/9/3(قتل 13 رجلاً وامرأة) .
64 – مجزرة شرفات : 1951/2/7(عشرة شهداء والجرحى ثمانية) .
65 – مجزرة بيت لحم : 1952/1/6 (قتل رجل وزوجته وطفليه وجرح طفلين آخرين وكان ذلك ليلة الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام عند المسيحيين الشرقيين) .

66 – مجزرة بيت جالا : 1952/1/11(قتل 7 وأصيب العشرات من الفلسطينيين المدنيين) .

67 – مجزرة القدس : 1953/4/22 (قتل عشرة من الفلسطينيين المدنيين) .

68 – مجزرة مخيم البريج : 1953/8/28(نسف البيوت وقتل عشرين وكان يقود المذبحة المجرم ارئيل شارون) .

69 – مجزرة قبية : 14 – 1953/10/15(قتل 67 وجرح المئات وكان يقود هذه المذبحة أيضاً شارون) .

70 – مجزرة نحالين : 1954/3/28(قتل 9 وجرح 19 وكان شارون أيضاً يقود المذبحة) .

71 – مجزرة دير أيوب : 1954/11/2(ذبح طفلان) .

72 – مجزرة غزة : 1955/2/28(29 شهيداً مصرياً وفلسطينياً و33 جريحاً) .

73 – مجزرة عرب العزازمة (إحدى القبائل العربية): آذار / 1955(ذبح العشرات وقتل المئات) .

74 – مجزرة غزة : 1956/4/5 (60 شهيداً منهم 27 امرأة و29 رجلاً و4 أطفال و93 جريحاً) .

75 – مجزرة غزة : 1956/4/15(13 طفلاً شهيداً و18 امرأة و31 رجلاً وأصيب العشرات) .

76 – مجزرة قلقيلية : 1956/10/10(قتل 70 شهيداً وعشرات الجرحى) .

77 – مجزرة كفر قاسم : 1956/10/29(49 شهيداً وعشرات الجرحى) .

78 – مجزرة مخيم خان يونس : 3 – 1956/11/5 (500 شهيد ومئات الجرحى) .

79 – مجزرة مخيم خان يونس : 1956/11/3(استشهد 250 من المدنيين) .

80 – مجزرة خان يونس : 1956/11/12(استشهد 100 وجرح المئات) .

81 – مجزرة السموع : 1966/11/13(قتل 18 وجرح 134 وهدمت عشرات البيوت والمدارس والعيادات طبية) .

82 – مجزرة القدس : 5 – 1967/6/7 (قتل 300) .

83 – مجزرة مخيم رفح : حزيران / 1967 (قتل 23) .

84 – مجزرة الكرامة : 1967/7/20 (قتل 14 وأصيب العشرات) .

85 – مجزرة الكرامة : 1968/2/9(قتل 14 وجرح 50 فلسطينياً) .

86 – مجزرة مخيمات لبنان: 14 – 1974/5/16 (قتل 50 وجرح 200 من المدنيين) .

87 – مجزرة صبرا وشاتيلا : 16 – 1982/9/18(استمرت ثلاثة أيام ويقدر عدد الضحايا بحوالى 3500 شهيد فضلاً عن جرحى بالمئات) .

88 – مجزرة عين الحلوة : 1983/5/16(تفجير 14 منزلاً على أصحابها ومتجرين واعتقال 150 واصابة وقتل 15) .

89 – مجزرة حرم الجامعة الاسلامية فى الخليل : 1983/7/26(قتل 3 طلاب وجرح 22) .

المجازر الصهيونية خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987 – وما بعدها) :

1987/12/8 : فى هذا اليوم قام جنود الاحتلال الصهيونى بقتل أربعة شهداء .

1987/12/9 : فى هذا اليوم قام جنود الاحتلال الصهيونى بقتل ثلاثة أطفال.

1987/12/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء أحدهم طفل.

1987/12/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة أطفال .

1987/12/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً .

1987/12/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.

1987/12/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثمانية شهداء من بينهم أربعة أطفال .

1987/12/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان.

1987/12/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.

1987/12/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء .

1987/12/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء من بينهم طفلان

1987/12/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً .

1988/1/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سيدة فى عامها الـ 75 .

1988/1/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل فى الثالثة من عمره .

1988/1/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة عمرها عام واحد.

1988/1/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 19 عاماً.

1988/1/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

1988/1/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/1/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 20 عاماً.

1988/1/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

1988/1/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء أحدهم طفل.

1988/1/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

1988/1/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء من بينهم ثلاثة أطفال.

1988/1/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

1988/1/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

1988/1/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء من بينهم ثلاثة أطفال.

1988/1/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 47 عاماً.

1988/1/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 55 عاماً .

1988/1/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدتين .

1988/1/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 13 عاماً .

1988/1/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/1/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 27 عاماً.

1988/1/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 17 عاماً.

1988/1/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 17 عاماً.

1988/2/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل .

1988/2/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحمدهما طفل.

1988/2/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة عمرها 17 عاماً .

1988/2/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلان.

1988/2/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

1988/2/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 16 عاماً.

1988/2/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

1988/2/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.

1988/2/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين.

1988/2/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 62 عاماً.

1988/2/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

1988/2/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/2/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

1988/2/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم ثلاثة أطفال .

1988/2/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً .

1988/2/25 فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

1988/2/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثمانية شهداء بينهم طفل.

1988/2/27 فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

1988/2/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
1988/2/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/3/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 14 عاماً.
1988/3/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 65 عاماً.
1988/3/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان.
1988/3/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.
1988/3/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.
1988/3/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بين طفلان رضيعان .
1988/3/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل رضيع عمره 7 أيام.
1988/3/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم ثلاثة أطفال اثنان منهم رضيعان .
1988/3/10 : فى هذا اليوم شنق جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 11 عاماً.
1988/3/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان رضيعان .
1988/3/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء أحدهم طفل.
1988/3/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.
1988/3/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
1988/3/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/3/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلة رضيعة .
1988/3/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/3/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
1988/3/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/3/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 60 عاماً.
1988/3/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
1988/3/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/3/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
1988/3/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.
1988/3/30: فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أحد عشر شهيداً بينهم طفلان.

1988/4/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/4/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء .

1988/4/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل .

1988/4/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء.

1988/4/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 60 عاماً.

1988/4/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/4/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 15 عاماً.

1988/4/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.

1988/4/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 75 عاماً.

1988/4/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .

1988/4/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

1988/4/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء.

1988/4/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثمانية عشر شهيداً بينهم ستة أطفال .

1988/4/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفل.

1988/4/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل رضيع عمره 7 أيام.

1988/4/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً .

1988/4/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

1988/4/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

1988/4/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 20 عاماً.

1988/4/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

1988/4/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً .

1988/4/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

1988/4/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.

1988/5/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

1988/5/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء.

1988/5/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل .

1988/5/5 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين الصهاينة شهيداً من رام الله.

1988/5/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 34 عاماً .

1988/5/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 21 عاماً.

1988/5/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 33 عاماً من جنين.

1988/5/15 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين شهيدين .

1988/5/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين.

1988/5/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلا عمره 16 عاماً.

1988/5/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 15 عاماً.

1988/5/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدتين .

1988/5/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/5/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 35 عاماً.

1988/5/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 57 عاماً.

1988/5/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 18 عاماً.

1988/5/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين عمرها 3، 14 عاماً.

1988/5/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 35 عاماً .

1988/6/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 12 عاماً.

1988/6/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 20 عاماً.

1988/6/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.

1988/6/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 41 عاماً.

1988/6/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

1988/6/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل رضيع عمره يومان .

1988/6/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين .

1988/6/12 فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدا عمره 21 عاماً.

1988/6/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفلة رضيعة عمرها 40 يوماً .

1988/6/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 21 عاماً.

1988/6/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً رضيعاً .

1988/6/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 24 عاماً.

1988/6/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من خان يونس.

1988/6/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 21 عاماً من نابلس.

1988/6/20:فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 25 عاماً من أريحا.

1988/6/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 23 عاماً .
1988/6/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
1988/6/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
1988/6/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
1988/7/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة من رام الله.
1988/7/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من جنين .
1988/7/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 13 عاماً.
1988/7/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من طوباس.
1988/7/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة .
1988/7/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من نابلس.
1988/7/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين من نابلس وطولكرم.
1988/7/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلان من نابلس ورام الله.
1988/7/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 21 عاماً.
1988/7/15 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين الصهاينة شهيداً عمره 54عاماً.
1988/7/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة ونابلس.
1988/7/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
1988/7/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.
1988/7/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
1988/7/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 65 عاماً.
1988/7/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان أحدهما رضيع.
1988/7/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من طولكرم.
1988/7/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة عمرها 13 عاماً
1988/7/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 37 عاماً.
1988/7/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمر 24 عاماً.
1988/7/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 55 عاماً.
1988/8/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً رضيعاً عمره 7 أشهر.
1988/8/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 18 عاماً.
1988/8/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
1988/8/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من طولكرم.
1988/8/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من قلقيلية.

1988/8/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من طوباس.
1988/8/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/8/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
1988/8/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء أحدهم طفل.
1988/8/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من مخيم المغازى.
1988/8/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
1988/8/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة عمرها 9 سنوات.
1988/8/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 22 عاماً.
1988/8/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
1988/8/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من نابلس.
1988/8/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
1988/8/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل .
1988/8/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان .
1988/9/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من رفح عمره 22 عاماً
1988/9/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
1988/9/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من جنين عمره 36 عاماً.
1988/9/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من الخليل وغزة.
1988/9/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من غزة عمره 11 عاماً.
1988/9/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من جنين ونابلس.
1988/9/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
1988/9/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة ورام الله.
1988/9/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 12 عاماً من رام الله.
1988/9/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء أحدهم طفل عمره 12 عاماً.
1988/9/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلان .
1988/9/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
1988/10/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من نابلس عمره 44 عاماً.
1988/10/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس وخانيونس
1988/10/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل .

1988/10/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من جنين ونابلس.
1988/10/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
1988/10/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من بيت لحم.
1988/10/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من جنين .
1988/10/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رام الله.
1988/10/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
1988/10/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من طولكرم .
1988/10/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
1988/10/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء من الخليل.
1988/10/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
1988/10/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من مخيم الفارعة.
1988/10/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة من مخيم الشاطىء.
1988/10/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة أطفال.
1988/10/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى من نابلس.
1988/10/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من القدس.
1988/11/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من قلقيلية.
1988/11/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس والخليل.
1988/11/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين من نابلس.
1988/11/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من غزة عمره 4 سنوات.
1988/11/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من رفح.
1988/11/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من جنين.
1988/11/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من خانيونس.
1988/11/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من رفح.
1988/11/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس.
1988/11/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس وجنين.
1988/11/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 40 عاماً.
1988/11/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 16 عاماً .
1988/12/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من طولكرم.
1988/12/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس وغزة .
1988/12/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من جنين.
1988/12/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من مخيم الشاطيء.

مجزرة نحالين : 1989/4/13(قتل 3 وصابة العشرات) .
مجزرة عيون قارة : 1990/5/20(قتل 7 واصابة العشرات) .
مجزرة المسجد الأقصى : 1990/10/8(قتل 21 وأصيب 800 واعتقل 250) .
مجزرة الحرم الابراهيمى : 1994/2/25(قتل 24 وجرح المئات ونفذها المجرم جولد شتاين) .

أيار / 1990 : فى هذا اليوم قام الارهابى عامى بوبر بقتل سبعة شهداء وجرح 15 آخرين.
آب / 1990 : قام الإرهابى نحشون فولز بطلاق النار على الخليل واستشهدت امرأة فلسطينية وجرح آخران.
صباح 24 أيلول / 1996 : استيقظ سكان القدس على قيام سلطات العدو الصهيونى بفتح نفق السور الغربى للمسجد الأقصى المبارك وسقط أربعة وستين شهيد .
حزيران / 1997 : قامت شرطة ما يسمى بـ حرس الحدود الصهيونية بقتل اثنين من القدس .
ومنذ مطلع عام 1997 وحتى بدايات شهر آيار من نفس العام قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة عشر شهيداً بينهم طفلان .
1997/7/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.
1998/3/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء من الخليل.
1998/5/13 : أغارت طائرات صهيونية على موقع طبى وادارى فاستشهد عشرة وجرح ما يزيد على 25 آخرين.
1998/5/14 : فى هذا اليوم (الذكرى الخمسين لوقوع نكبة 1948) قتل جنود الاحتلال الصهيونى تسعة شهداء وجرحوا 220 آخرين .
1998/6/17 : فى هذا اليوم قام ثلاثة من عصابات المستوطنين الصهاينة بقتل الشهيد عبد المجيد أبو تريكة على سبيل التسلية.
أيلول / 1998 : قتلت الاستخبارات الصهيونية شهيدين من البيرة وأصيب 100 آخرين.
1998/10/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من الخليل.
1998/10/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين وأصيب 100 آخرين.
1999/1/7 : فى هذا اليوم قام جندى صهيونى بقتل شهيد من الخليل.
1999/2/28 : فى هذا اليوم قام أحد أفراد عصابات المستوطنين الصهاينة بقتل طفل من الخليل .
آب / 2000 : خلال هذا الشهر قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

29 أيلول / 2000م : أى فى اليوم الثانى من الانتفاضة أطلق جنود الاحتلال الصهيونى النار واستشهد تسعة شهداء منهم طفلان .

30 / أيلول 2000م : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أحد عشر شهيداً بينهم ثلاثة أطفال .

1 / تشرين الثانى / 2000 م : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى اثنى عشر شهيداً بينهم أربعة أطفال منهم طفلة رضيعة .

2 / تشرين الأول / 2000م : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة عشر شهيداً بينهم ثلاثة أطفال .

3 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثمانية شهداء بينهم ثلاثة أطفال.

4 تشرين الأول2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أحد عشر مواطناً بينهم أحد الأطفال .

5 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

6 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى عشرة شهداء بينهم طفلان.

7 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء.

8 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفل.

9 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رام الله

11 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء بينهم طفلان .

13 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

15 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أحدهما طفلة.

16 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

17 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

18 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من الخليل وغزة.

19 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين الصهاينة شهيداً من نابلس.

20 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى عشرة شهداء بينهم ثلاثة أطفال .

21 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهدا من بينهم ثلاثة أطفال .

22 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان .

23 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان .

24 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان .

26 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

27 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل.

28 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم استشهد فى الأردن الصحفى عزيز وسف التنج من بيت لحم متأثراً بجراحه التى أصيب بها فى وقت سابق عند انفجار عبوة فى مقر الأمن الفلسطينى.

29 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى عشرة شهداء بينهم طفلان .

31 تشرين الأول 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.

1 تشرين الثانى 2000م : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء بينهم ثلاثة أطفال .

2 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين بينهم طفل

3 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان.

4 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة عمرها 23 يوماً.

5 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهم طفل

7 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان.

8 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء بينهم ثلاثة أطفال .

9 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .

10 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان .

11 تشرين الثانى 2000 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى تسعة شهداء بينهم طفلان .

2000/11/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.

2000/11/13: فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل.

2000/11/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفل.

2000/11/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أحد عشر شهيداً بينهم ستة أطفال .

2000/11/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء كما قتلوا طبيباً ألمانياً .

2000/11/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلان .

2000/11/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل .

2000/11/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء أحدهم طفل.

2000/11/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفل.

2000/11/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء أحدهم طفل.

2000/11/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

2000/11/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء بينهم طفل.

2000/11/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان.

2000/11/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.

2000/11/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء بينهم ثلاثة أطفال.

2000/11/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

2000/11/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء أحدهم طفل.

2000/11/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان.

2000/12/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلان.

2000/12/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

2000/12/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.

2000/12/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
2000/12/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من رفح.
2000/12/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل .
2000/12/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثمانية شهداء بينهم طفلان.
2000/12/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من رفح.
2000/12/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين.
2000/12/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
2000/12/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من بيت لحم.
2000/12/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء .
2000/12/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من رفح .
2000/12/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلان .
2000/12/16:فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من جنين ورام الله.
2000/12/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
2000/12/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رفح وطولكرم.
2000/12/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
2000/12/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى وعصابات المستوطنين أربعة شهداء .
2000/12/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى وقطعان مستوطنيه ثلاثة شهداء أحدهم طفل.
2000/12/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 17 عاماً.
2000/12/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رفح وغزة.
2000/12/25 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين الصهاينة شهيداً عمره 31 عاماً.
2000/12/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.
2000/12/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من دير غسانة.
2000/12/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً عمره 49 عاماً.
2001/1/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.
2001/1/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من غزة.
2001/1/6 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين الصهاينة شهيداً من حيفا.
2000/1/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس وغزة.
2001/1/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.

2001/1/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من جنين.
2000/1/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من الخليل.
2000/1/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
2000/1/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة .
2000/1/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 15 عاماً
2001/1/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة من رام الله.
2001/1/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء أحدهم طفل.
2001/1/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من رام الله.
2001/1/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من خانيونس.
2001/1/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيداً من نابلس.
2001/1/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة.
2001/2/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة.
2001/2/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من غزة.
2000/2/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدة عمرها 65 عاماً.
2001/2/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلين .
2001/2/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلة من البيرة عمرها 22 شهراً.
2001/2/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رام الله وبيت لحم.
2001/2/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة.
2001/2/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من طولكرم.
2001/2/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى سبعة شهداء .
2001/2/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من جنين.
2001/2/18 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من الخليل.
2001/2/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من نابلس.
2001/2/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من بيت جالا.
2001/2/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رفح وبيت لحم .
2001/2/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من طولكرم.
2001/2/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء أحدهم طفل.
2001/2/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
2001/3/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.
2001/3/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .

2001/3/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

2001/3/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من جنين.

2001/3/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من غزة.

2001/3/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رام الله.

2001/3/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء أحدهم طفل.

2001/3/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من غزة.

2001/3/17 : فى هذا اليوم قتل قطعان من المستوطنين طفلاً عمره 10 أعوام .

2001/3/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً عمره 4 أعوام.

2001/3/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة .

2001/3/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .

2001/3/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من مخيم العروب.

2001/3/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهم طفل.

2001/3/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من الخليل.

2001/3/28 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً فى التاسعة من عمره من رفح.

2001/3/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء أحدهم طفل.

2001/3/30 : فى هذا اليوم (يوم الأرض) قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلان.

2001/3/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رام الله والخليل.

2001/4/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من رام الله.

2001/4/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رفح.

2001/4/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

2001/4/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من الخليل.

2001/4/8 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من خانيونس.

2001/4/9 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رام الله.

2001/4/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة وجنين.

2001/4/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من غزة .

2001/4/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.

2001/4/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من بيت جالا.

2001/4/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من غزة.

2001/4/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان.

2001/4/22 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من خانيونس.
2001/4/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلاً من خانيونس.
2001/4/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
2001/4/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
2001/4/26 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفل.
2001/4/27 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من بيت لحم.
2001/4/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفلتان.
2001/5/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى نقيباً فى الشرطة الفلسطينية عمره 57 عاماً.
2001/5/2 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رفح .
2001/5/4 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من غزة.
2001/5/5 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من القدس.
2001/5/6 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من بيت لحم.
2001/5/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء بينهم طفلة رضيعة.
2001/5/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رفح.
2001/5/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
2001/5/12 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
2001/5/14 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء.
2001/5/15 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء .
2001/5/16 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفل عمره 14 عاماً.
2001/5/18 : فى هذا اليوم قامت طائرات العدو الصهيونى من نوع إف / 16 الأمريكية المتطورة بقصف طولكرم ورام الله فاستشهد ثلاثة عشر شهيداً .
2001/5/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء.
2001/5/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من نابلس.
2001/5/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من مخيم البريج.
2001/5/24 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من رفح.
2001/5/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين من نابلس.
2001/5/29 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء.
2001/5/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم طفلان .
2001/6/3 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
2001/6/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.

2001/6/10 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى خمسة شهداء بينهم طفلان .
2001/6/13 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من الخليل.
2001/6/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدمن خانيونس.
2001/6/20 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من رام الله.
2001/7/1 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء بينهم طفل.
2001/7/4 : فى هذا اليوم استشهد المواطن المصرى مراد جميل المصرى فى أحد المشافى الأدرنية بعد اصابتة فى خان يونس.
2001/7/7 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى طفلا عمره 11 عاماً.
2001/7/11 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء بينهم رضيع
2001/7/17 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى أربعة شهداء .
2001/7/19 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ثلاثة شهداء .
2001/7/21 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين .
2001/7/23 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيدين أحدهما طفل.
2001/7/25 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد من نابلس.
2001/7/30 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى ستة شهداء .
2001/7/31 : فى هذا اليوم قتل جنود الاحتلال الصهيونى شهيد فى نابلس.

– مجزرة بيت ريما 2001/10/24 : طاولت 16 شهيداً وعشرات الجرحى .

– مجزرة خان يونس 2001/11/22 : جريمة قتل جديدة فى خان يونس قامت بها قوات الاحتلال ، حيث حولت قذيفة دبابة إسرائيلية خمسة تلاميذ إلى أشلاء وجرح مزارع كان يعمل فى أرضه.

– مجزرة رفح 2002/2/21 : ارتكبت قوات الاحتلال فجر الخميس 2002/2/21 مجزرة جديدة بحق الفلسطينيين فى مدينة رفح ، راح ضحيتها 10 شهداء على الأقل .

– بلاطة وجنين .. صابرا وشاتيلا جديدة 2/28 – 2002/3/2 : " قتل فيها 31 شهيداً و300 مصاب .

– استشهد 12 فلسطينياً وأصيب 30 آخرين خلال عملية التوغل فى قرية خزاعة بالقرب من خان يونس فجر الجمعة 2002/3/8 .

– جنين .. من الملحمة إلى المجزرة 4/2 – 2002/4/14

– مجزرة حى الدرج 2002/7/22 : استشهد 174 فلسطينياً ، بينهم 11 طفلاً وثلاث نساء ، بالإضافة إلى صلاح شحادة قائد كتائب عز الدين القسام الجناح العسكرى لحركة " حماس " فيما أصيب 140 شخصاً ، بينهم 115 فى حالة بالغة الخطورة فى مجزرة إسرائيلية وحشية.

- مجزرة عجلين : شهدت منطقة " الشيخ عجلين " جنوب مدينة غزة مجزرة جديدة راح ضحيتها أربعة شهداء وخمسة مصابين من عائلة واحدة عندما قصفت دبابات الاحتلال منزلهم مساء الأربعاء 2002/8/28 .

- مجزرة طوباس : استشهد 5 فلسطينيين بينهم طفلان ، وأصيب 10 آخرون السبت 2002/8/31 فى مجزرة إسرائيلية جديدة ، عندما أطلقت مروحيتان إسرائيليتان من طراز أباتشى 4 صواريخ على سيارتين فلسطينيتين فى بلدة طوباس شمال الضفة الغربية.

- مجزرة الخليل : قبل مرور أقل من 24 ساعة على مجزرة " طوباس " شمال الضفة الغربية ، ارتكبت قوات الاحتلال مجزرة جديدة ، بالقرب من مدينة الخليل بالضفة الغربية فجر الأحد 2002/9/1، حينما أطلق جنود الاحتلال النار على 4 عمال فلسطينيين عزل أثناء عودتهم من عملهم فى أحد المحاجر بالقرب من تجمع استيطانى إسرائيلى .

- مجزرة خان يونس 2002/10/7 : استشهد 14 فلسطينياً وجرح 147 فى توغل قامت به قوات الاحتلال فجر الاثنين 2002/10/7 فى مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة .

- مجزرة مخيم البريج 2002/12/6 : ارتكبت قوات الاحتلال الإسرائيلى فجر ثانى أيام عيد الفطر المبارك 2002/12/6 مجزرة جديدة فى مخيم البريج جنوب مدينة غزة أسفرت عن استشهاد عشرة مواطنين فلسطينيين من بينهم اثنان من موظفى وكالة " الأونروا " الدولية كما جرح عشرون مواطناً آخرين .

- مجزرة حى الزيتون 2003/1/26 : فى عدوان برى وبحرى وجوى غير مسبوق على غزة أسفر عن استشهاد 13 مواطناً وجرح 65 آخرين ، قامت قوات احتلال بالتوغل صباح الأحد 2003/1/26 ، شرق غزة ووصلت إلى حى الشجاعية وبلدة عبسان حيث احتلت مركزين للشرطة ودمرت أربعة جسور تربط بلدة بيت حانون بقطاع غزة بعد مواجهات قوية مع رجال المقاومة .

- مجزرة مخيم جباليا 2003/3/6 : مجزرة جديدة فى بلدة ومخيم جباليا بقطاع غزة أسفرت عن استشهاد 11 فلسطينياً وجرح 140 آخرين.

- مجزرة حى الشجاعية 2003/5/1 : شهدت الأراضى الفلسطينية يوم الخميس 2003/5/1 يوماً دامياً استشهد خلاله 16 فلسطينياً بينهم رضيع ، وأصيب أكثر من 35 آخرين بجراح ، فى تصعيد عدوانى لقوات الاحتلال الاسرائيلى بصورة خاصة فى حى الشجاعية شرق مدينة غزة .

- مجزرة شريان القطاع 2003/6/11

- مجزرة مخيم عسكر 2003/8/8 .

– مجزرة حى الشجاعية 2004/2/11 : قامت إسرائيل بمجزرة جديدة فى حى الشجاعية شرق مدينة غزة أودت بحياة 15 مواطناً وإصابة 44 من بينهم 20 طفلاً وفتى دون سن الثامنة عشرة .
– مجزرة اليضرات والبريج 2004/3/7 : نفذت قوات الاحتلال الإسرائيلى فجر الأحد 2004/3/7 مجزرة فى قطاع غزة راح ضحيتها 15 شهيد بينهم ثلاثة أطفال وجرح أكثر من 180 .. وذلك خلال عملية توغل فى وسط قطاع غزة .
– مجزرة حى الصبرة 2004/3/22 : تجاوزت إسرائيل – كعادتها – الخطوط الحمراء بإقدامها على ارتكاب جريمة شنعاء فجر يوم 2004/3/22 ، حين استهدفت الشيخ أحمد ياسين وهو خارج من أحد مساجد قطاع غزة .
– مجزرة حى الشيخ رضوان 2004/4/17 : اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسى.
– مجازر رفح 18 – 2004/5/20 : ارتكبت قوات الاحتلال الإسرائيلى مجزرة جديدة فى رفح راح ضحيتها 56 شهيداً و150 جريحاً.
– مجزرة نابلس 2004/6/26 : شهدت نابلس مجزرة جديدة يوم 2004/6/26 ، راح ضحيتها 9 شهداء واصابة واعتقال العشرات .
– مجزرة جباليا 9/30 – 2004/10/1.
– مجزرة السعف 2004/9/6 : استشهد 15 فلسطينياً من كتائب عز الدين القسام الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية " حماس " وجرح نحو خمسين آخرين فى غارة جوية إسرائيلية .
– مجزرة بيت لاهيا 2005/1/4 : 8 شهداء وإصابة 14 آخرين .
– مجزرة شفا عمرو 2005/8/4 : استشهد 4 من فلسطينى 1948.
– مذبحة (جنين): 29 مارس وحتى 9 أبريل 2002 / وقتل فيها أكثر من 200 فلسطيني حسب الروايات الاسرائيلية.
– 15 فبراير 2004 /انهيار في محيط المسجد الأقصى بسبب أعمال الحفر الصهيونية.
– 22 مارس 2004 / استشهاد الشيخ "أحمد ياسين" مؤسس حركة حماس .
– 17 أبريل 2004 / استشهاد د. "عبد العزيز الرنتيسي" زعيم حركة حماس بعد الشيخ "أحمد ياسين" .
– 12 يولية 2006 / اجتياح جنوب لبنان ، ومواجهة إسرائيل وحزب الله فى 34 يوم دمرت فيها معظم المدن اللبنانية الكبرى وقتل ما يزيد على 1200 ورغم ذلك انتصر حزب الله بقوة الإيمان والإرادة والصمود .
– 27 ديسمبر 2008 / القصف الإسرائيلي على غزة ، والذي أسفر عن أكثر من 350 قتيل ، وأكثر من 1500 جريح فى أربع أيام فقط .

- 4 ينـاير 2009 / الاجتيـاح البـري لغـزة ، وارتفـاع عـدد القتلـى لأكثـر مـن 1300 شـهيد والجرحى إلى أكثر من 5000 وما زال القتل مستمراً.

- العدوان الإسرائيلى على غزة 2012 .

الوثيقة السادسة
أبرز لجان مقاومة التطبيع فى مصر (*)
من (لجنة الدفاع عن الثقافة القومية) إلى (الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية)

* هذه الوثيقة السادسة تعد الإضافة الجديدة الرئيسية فى الطبعة الثانية للموسوعة ، والتى قدمنا فيها عرضاً موجزاً بأبرز الهيئات واللجان المقاومة للتطبيع ضد العدو الصهيونى تقديراً منا لجهودهم الرائدة فى هذا المجال. ولقد ورد ذكر هذه اللجان والنقابات وغيرها فى سياق فصول الموسوعة ونظراً لأهميتها رأينا إفراد وثيقة لها . (معد الموسوعة)

أولاً : لجنة الدفاع عن الثقافة القومية :

هى اللجنة الأولى التى تشكلت فى مصر لمناهضة التطبيع كرد فعل طبيعى تجاه اتفاقيتى كامب ديفيد وتعتبر اللجنة النبع الرئيسى الذى استقت منه بقية اللجان اللاحقة أهدافها وأضافت إليه 0

كان من أكثر أهداف اللجنة إلحاحاً – وفقاً للكتاب المهم الصادر عن مركز البحوث العربية والأفريقية والمعنون بـ(لجنة الدفاع عن الثقافة القومية : من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة دراسات ووثائق 1979 – 1994) وأيضاً وفقاً للدراسة المهمة للباحثة عبير عطية والمعنونة بـ(المواجهة الشعبية) من كتاب (الصهاينة فى مصر – تحرير عبد القادر ياسين – مركز يافا – القاهرة – 2006) – مواجهة ذلك السيل الإعلامى المزيف لحقائق التاريخ ، الذى تعرضت له مصر ، وما ارتبط به من مناخ يختلق ، اختلاقاً ، لتمرير " التطبيع " العلاقات بين مصر وإسرائيل ، على الأصعدة الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ؛ وفى بيانها التأسيسى " نداء دفاعاً عن الثقافة القومية " أكدت اللجنة بأنه منذ الثورة العرابية ، والى اليوم ، قامت كل الثقافة المصرية الحديثة على منطلقات فكرية ووطنية وتحررية ، معادية للاستعمار الأجنبى ، والتبعية الاقتصادية ، كما أشار البيان إلى " التناقض بين منطقات الثقافة الوطنية فى مصر والثقافة الاستعمارية الصهيونية " ونبذ للمخاطر العديدة ، التى تتعرض لها البلاد ، من جراء اتفاقيات كامب ديفيد ، ومنها القطيعة المفتعلة بين الشعب المصرى وباقى الشعوب العربية (وقتها) ، وطمس تاريخ مصر ، وتزييف الحقائق ، إلى حد محاولة تغيير بعض المناهج التعليمية بما يتفق والسياسات الجديدة " ، وحذرت اللجنة فى ندائها من كافة " أشكال التبادل العلمى والثقافى والفنى ، وما يصاحبه من الترويج لفكرة (التفوق الإسرائيلى) " وفى ختام البيان طرحت اللجنة على المثقفين فى مصر المهام التالية :

1 – حماية التراث الكفاحى لشعب مصر ، دفاعاً عن ثقافته الوطنية ، بالعمل على كشف المخططات الاستعمارية والصهيونية ، والتصدى لها واحباطها 0

2 – رفض كافة أشكال التبعية العلمية ، والتقنية ، وتمكين رجال الدين من القيام بدورهم النضالى التاريخى ، ومواجهة محاولات تشويه تاريخ مصر الحديث 0

3 – تأكيد الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة 0

4 – المقاطعة الشاملة لكل أشكال التبادل الثقافى ، والعلمى ، والتربوى مع العدو الصهيونى ، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات ، والمكبلة للفكر والحرية، وبالدعوة لتشكيل هيئات للدفاع عن الثقافة الوطنية 0

فى السنوات اللاحقة اجتهدت اللجنة ، بما طرحته من مهام ، لبلورة بعض المفاهيم النظرية حول الثقافة الوطنية ، والتبعية الثقافية وتناولت سؤال مواجهة المد الاستعمارى الصهيونى ، انطلاقاً من الوعى بأن جزءاً أساسياً من المعركة التى تدور من أجل إخضاع المنطقة ، إنما تدور على جبهة الوعى ، مستخدمة أسلحة ثقافية ، وإعلامية ، وتربوية 0

ولقد كان لهذه اللجنة قصب السبق ، كأول لجنة لمقاومة " التطبيع " والتى توقفت عملياً عام 1994 وبعد أن أدت دورها الوطنى الكبير ثم تلتها لجان أخرى مهمة .

هذا وقد أصدرت اللجنة عشرات الأعمال المتميزة ومنها كتاب (المواجهة) ومن أهم قياداتها : رئيسة اللجنة : لطيفة الزيات – د. رضوى عاشور – عز الدين نجيب – أ.حلمى شعراوى – د. أشرف بيومى – د. أمينة رشيد – فريدة النقاش – إنجى أفلاطون – سيد البحراوى – صلاح عيسى – د. عبد العظيم أنيس – د. عفاف مراد – د.عواطف عبد الرحمن ود. عزازى على عزازى – د. أحمد الأهوانى – د. عبد الوهاب المسيرى – سهام بيومى – سلوى بكر – د. جلال أمين – د. حامد عمار – حسين عبد الرازق – د.سهير مرسى – د. شريف حتاتة – صلاح سليمان – د. عاصم الدسوقى – د.عبدالباسط عبدالمعطى – عبد العظيم مناف – عبلة الروينى – عرب لطفى – مدحت الزاهد – وائل عبد الفتاح وآخرين من الرموز الوطنية المحترمة. هذا وقد كان للبيان الشهير للجنة ضد وجود إسرائيل فى معرض الكتاب دوى هائل أسس لعمليات المقاومة الثقافية للتطبيع وقام بتجميع التوقيعات عليه وتوزيعه فى معرض الكتاب فى عام 1981 كل من حلمى شعراوى وصلاح عيسى ولأهمية البيان الذى حمل عنوان " **لا .. للكتاب الصهيونى فى معرض الكتاب** " نذكر نصه : (الهيئات السياسية والثقافية والمهنية والشخصيات العامة الموقعة على هذا البيان تناشد جماهير المواطنين المصريين ، من الناشرين والموزعين ، والكتاب والأدباء والمدرسين والطلاب ، والعمال والمهنيين، أن يقاطعوا الكتاب الإسرائيليين فى معرض الكتاب الدولى الثالث عشر مقاطعة تامة تشمل:

1 – عدم دخول جناح إدكو انترناشيونال الوكيل الوحيد فى مصر للناشرين الإسرائيليين أو شراء أى كتب منه أو تلقى أى مطبوعات مجانية أو هدايا ، ومقاطعة أى جناح آخر يعرض المطبوعات الإسرائيلية .

2 – مقاطعة كافة الحفلات واللقاءات التى يدعو إليها أو يحضرها الناشرون الصهاينة وألا يعقدوا معهم أو مع وكيلهم أى اتفاقات للتوزيع أو النشر المشترك أو الترجمة .
3 – أن ترفع دور النشر المصرية والعربية العلم الفلسطينى على أجنحتها رمزاً لاحتجاجها على مشاركة الناشرين الإسرائيليين فى المعرض .
4 – أن تقوم كافة الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية واتحادات الطلاب ونوادى هيئات التدريس والنقابات المهنية والعمالية بدعوة أعضائها وأصدقائها والمواطنين جميعاً بمقاطعة الجناح .

إن مشاركة الناشرين الصهاينة فى هذا المعرض خطوة فى مخطط شامل يسعى لتطويع العقل المصرى لأهداف المشروع الصهيونى الاستعمارى ، بحيث يقبل بالتخلى عن هويته القومية وانتمائه لأمته العربية وحماسه لقضية الشعب الفلسطينى المضطهد والأرض الفلسطينية المغتصبة وصولاً إلى اندماج حضارى شامل تسيطر من خلاله " العبقرية الصهيونية " المزعومة على المنطقة .

إن دعوتنا لمقاطعة الكتاب الصهيونى فى معرض الكتاب ليست دعوة للتعصب الفكرى ، ولكنها احتجاج على أفكار استعمارية توسعية وسمتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأنها وجه آخر للعنصرية ، كما أنها رفض لاتجاهات تعتبر الشعب العربى الفلسطينى المطالب بأرضه مجموعة من الإرهابيين بينما تقلب حقائق التاريخ لتعطى للإرهابيين الصهاينة حقوقاً تاريخية على أرض غيرهم ، وهى أفكار تعادى القيم الروحية والوطنية وتقف موقف العداء – الفكرى والعملى – من مقدساتنا الإسلامية والمسيحية .

وإن اشتراك الناشرين الإسرائيليين فى هذا المعرض بالشكل الذى أعلن عنه يجئ نتيجة لضغط إسرائيلى مكثف لدفع عملية " التطبيع الثقافى " إلى الأمام باعتبارها جبهة الحرب الأساسية الآن ضد العرب ، برغم أن إسرائيل مازالت تحتل قسماً من سيناء ويهدد قادتها بأن استكمال الانسحاب رهين بتطبيع العلاقات تطبيعاً كاملاً ، هذا وبرغم أنها مازالت تحتل الأراضى العربية الأخرى فى الضفة الغربية وغزة والجولان وجنوب لبنان ، وتنسف جثث الفلسطينيين من طلاب الجامعات فى الأراضى المحتلة الذين يدافعون عن حق وطنهم .

إن إصرار إسرائيل على المشاركة فى معرض الكتاب هو محاولة للإيحاء بأن المثقفين المصريين يقبلون بها برغم مواقفهم العلنية المعادية للحقوق العربية وهو خطر بالغ ينبغى أن يتنبه له رواد المعرض ومن ثم فعليهم رفض كافة الإغراءات لدخول الجناح الصهيونى تحت دعاوى حياد الثقافة أو رخص الكتب أو مجرد الفضول .

إن السماح بعرض الكتب الصهيونية فى المعرض من خلال موزع ومستورد يحمل الجنسية المصرية ، هو مناورة تضع الناشرين والموزعين المصريين فى مأزق يعرضهم للوقوع تحت طائلة المقاطعة العربية لمشاركتهم مع إسرائيل فى نفس المعرض ، وهو أمر يحرم الكاتب المصرى من التواجد بين يدى قارئه الطبيعى فى أقطار الأمة العربية الأخرى ، وهذا كله يشكل ضربة للتواصل الحضارى بين مصر وأمتها العربية وهو ما يسعى إليه المشروع الصهيونى .

إن مناورة هذا العام ، وضعت الناشرين المصريين فى مأزق مفاجئ ، ينبغى أن يدفعهم لمشاركتنا فى الاحتجاج الرسمى على السماح بالكتاب الصهيونى بالمعرض ، والأهم من ذلك أن يدفعهم لتفكير جدى فى إقامة معرض مستقبل لما ينشرونه أو يوزعونه بعيداً عن المعرض الرسمى الذى لا يلتزم حتى بقانونه ، معرض مستقل لا مكان فيه لفكر عنصرى يزدرى قيمنا الوطنية والدينية وحقوق أمتنا .

وليكن شعارنا هذا العام : لا .. للجناح الإسرائيلى فى معرض الكتاب .. لا للغزو الصهيونى للثقافة العربية فى مصر (*) .

التوقيعات :

[فؤاد نصحى أمين الإعلام والثقافة فى حزب العمل الاشتراكى – لطفى واكد أمين اللجنة المركزية لحزب التجمع الوطنى التقدمى والوحدوى – كامل زهيرى نقيب الصحفيين – أحمد نبيل الهلالى عضو مجلس نقابة المحامين – محمد الجندى دار الثقافة الجديدة للنشر – عبد العظيم مناف دار الموقف العربى للصحافة والنشر والتوزيع – محمود بقشيش سكرتير جمعية أتيليه القاهرة للفنانين والكتاب – لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (لجنة قومية تضم مختلف التيارات الفكرية وتعمل فى إطار حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى) – سمير فريد رئيس لجنة مقاطعة السينما الصهيونية] .

– ليكن الكتاب الصهيونى فى المعرض كتاباً محرماً على كل المثقفين الشرفاء .

– اشتراك الناشرين الصهاينة فى المعرض اغتصاب لموافقة المثقفين المصريين على وجودهم فى مصر .

* تلى هذا البيان بيانات أخرى ومواقف نقابية وسياسية عديدة فى السنوات التالية لعام 1981 حتى عام 1985 حين أجبرت إسرائيل على عدم المشاركة فى المعرض الدولى للكتاب تحت ضغط الغضب الشعبى والمظاهرات الوطنية (معد الموسوعة) .

– لا تستدرج بدافع الفضول إلى جناح إدكو انترناشيونال فى المعرض ، الوكيل الوحيد للناشرين الإسرائيليين فى مصر .

قائمة الشرف :

الهيئات والنقابات التى أعلنت مقاطعتها لأية علاقات مع إسرائيل فى مصر حتى الآن : نقابة الصحفيين – نقابة المحامين – نقابة الأطباء – نقابة الصيادلة – الاتحاد العام لعمال مصر – شعبة الهندسة الكيميائية والنووية بنقابة المهندسين – نقابة المهن السينمائية – نقابة المهن التمثيلية – نقابة المهن الموسيقية – جمعية المؤلفين والملحنين – حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .

***

* هذا وقد قامت لجنة الدفاع عن الثقافة القومية بالعديد من المعارك والمواجهات السياسية والفكرية ونذكر على المستوى الفكرى ما يلى :

1 – خاضت اللجنة منذ تأسيسها لعديد من المعارك الفكرية ، دار بعضها حول المؤسسات الأيديولوجية التى تهدد الوعى القومى والهوية العربية ، التعليم ، الإعلام ، المؤسسات الثقافية الأجنبية – وقام بعضها الآخر دفاعاً عن حرية الفكر ورفضاً للاغتيال السياسى ومصادرة الرأى .

أدركت اللجنة منذ تأسيسها فى أعقاب توقيع المعاهدة المصرية الإسرائيلية الأمريكية فى كامب ديفيد – 26 مارس 1979 – التى نصت على قيام التعاون والتبادل الثقافى عبر توقيع اتفاقية ثقافية بين مصر وإسرائيل ، أن هناك مخاطر تهدد الثقافة المصرية – العربية التى تركزت منذ الثورة العرابية فى 1882 حول أهداف تحريرية ورفض السطوة الاستعمارية على مصادرنا الاقتصادية وكياننا الاجتماعى وتطور فكرنا المستقل وهويتنا الثقافية .

فقد تصدت اللجنة منذ البداية للمنطلقات الأيديولوجية الهادفة لربطنا بالمصالح الأوروبية الأمريكية تحت دعوة ثنائية التقدم = الحضارة الأوروبية فى مقابل التخلف = الوحدة العربية ، فى ردها على الكاتب المصرى المعروف توفيق الحكيم ، ووضعت لعملها الفكرى الثقافى أهدافاً وطنية ثابتة أشرنا لبعضها آنفاً .

2 – تخصص الكثير من مقالات كتاب ومجلة (المواجهة) فى تحليل ودراسة خطورة الغزو الثقافى الإمبريالى من تزييف للوعى وتشويه للحقيقة وخلق الصور التغريبية والمزيفة والصيغ الجديدة لثنائية الحضارة – التوحش ، مستعينة فى ذلك بجهود مصرية وعربية وأجنبية كاشفة لعمل الأجهزة الأمريكية والاستعمارية بصفة عامة لغزو العقول فى الغرب الصناعى وفى

العالم الثالث ، وخاصة ما يتم فى مصر وفى العالم العربى والإفريقى من استلاب عبر الأيديولوجيات التغريبية والمؤسسات الثقافية الأجنبية فى البلاد التى تبث مع أنماطها فى العمل وإغراءاتها المادية مفاهيمها المرتبطة بالعلم والتكنولوجيا والتقدم مغلفة بأيديولوجيا ما ، كما عملت اللجنة لتحديد منظورها للثقافة الوطنية القائمة على مبادئ التحرر من الاستعمار ومن التبعية عبر ثقافة عقلانية تحترم العلم والتاريخ .

3 – أقامت اللجنة بعض الندوات الفكرية التى كانت تستهدف تحديد مفهوم معاصر للثقافة الوطنية ، وكانت أهمها ندوتى : " الوافد والموروث " و" التبعية الثقافية " ، اللتين جمعتا مثقفين مصريين وطنيين على اختلاف مفاهيمهم الفكرية ومنطلقاتهم الأيديولوجية .

وكان موقف اللجنة فى الندوة الأولى رفض الثنائية التثبيتية للوافد – الموروث باعتبارها إعادة إنتاج حديثة للثنائية القديمة الأصالة – المعاصرة ، وقدمت مفهومها الخاص بثقافة حية منطلقة من تراثنا الوطنى الشعبى ومستفيدة من الإنجازات العالمية للعلم وللفكر العقلانى التقدمى ، أما ندوة " التبعية الثقافية " فتناولت الأوجه المختلفة للتبعية فى الجذور الثقافية الأيديولوجية للفكر العربى الليبرالى منذ النهضة الأولى ، وأشكال التبعية العلمية والتكنولوجية ، وأنماط التبعية فى السلوك والعادات وتوجهات الشارع والإعلان ودور الإعلام والتعليم – وخاصة مناهج وإطار تدريس اللغات الأجنبية – والثقافة الدارجة والسوقية منها – فى تكريس التبعية .

4 – أما بالنسبة لسلسلة ندواتها المكرسة للدفاع عن الفكر الحر ، أى عن حرية الرأى والعقيدة والكتابة ، فتناولت اللجنة ذكرى بعض ضحايا الفكر والفن فى العالم العربى من ناحية ، ودراسة بعض أشكال الرقابة والمصادرة التى تطارد التعبير الحر فى مصر من ناحية أخرى ، واختارت اللجنة أن تكون ذكرى الضحايا ليست بالمفهوم التقليدى للذكرى بل إحياء وتحية لنضال وإنتاج فكرى وفنى واستمراراً لتناول ومناقشة القضايا المطروحة على الساحة العربية .

فأقامت اللجنة لذكرى المفكر المناضل حسين مروة فى شهرى مايو ويونية 1987 ندوة قدمت فيها عدة دراسات حول " المشكلة الطائفية فى مصر"، تناولت من زوايا مختلفة هذه المشكلة بين الذين يرونها متأثرة بعوامل خارجية والذين تعمقوا فى محاولة دراسة البذور المحلية للمشكلة ، واتفق جميع المشاركين على ضرورة رفض الأطروحات السطحية المقرة بالأخوة الأبدية بين الأقباط والمسلمين فى مصر نظراً إلى جذورها العميقة فى التاريخ والمجتمع، مع التفحص فى الأسباب الراهنة لإثارة المشكلة فى العقدين الأخيرين .

أما ندوة " ناجى العلى " فجمعت أفضل فنانى الكاريكاتور فى مصر حول معرض لأعمال الفنان ، وبعض المحاضرات والشهادات عن فنه وحياته ، ودور الكاريكاتور فى الفن والنقد والرأى الآخر ، مركزة على الدور الجماهيرى المهم لهذا الفن المجذر فى تراثنا التصويرى الحديث .ولذكرى مهدى عامل أقامت اللجنة بالمشاركة مع " مركز البحوث العربية " ندوة فكرية تناولت قضية " النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل"، وانطلاقاً من مواقع فكر ونضال مهدى عامل قدمت البحوث فى مواضيع : العلاقة بين الفكر والممارسة ، دور الاستشراق والتعليم ، نقد الفكر " المتكون " ، علاقة الفلسفة بالعلم وبالأيديولوجيا ، دور الاستشراق والتعليم والفكر السائد فى تعتيم الحقيقة وتزييف الوعى ، " النمط الكولونيالى للإنتاج " ، انتشار الفكر التابع مع البنية التابعة (..) إلخ ، لم تجب الندوة عن كثير من الأسئلة المطروحة على الفكر العربى المعاصر وعلى نضال شعوبنا الثورى ، لكنها كشفت أيضاً عن الكثير من مواقع التضليل الطبقى الكامن من وراء " الحقيقة " الموضوعية والكثير من رواسب الماضى فى فكرنا المتجدد الذى يعوق الطريق وبردنا إلى مناطق التخلف والتكريس للثبات والعجز عن التقدم .

أما عن حرية الرأى ومصادرة الفكر فى مصر ، فقد عقدت اللجنة حلقة نقاش مع الكتاب والنقاد ودور النشر المختلفة لمناقشة قوانين الرقابة ومنع صدور المجلات غير الدورية التى أثرت الحياة الثقافية فى مصر لعقدى السبعينات والثمانينات بتقديمها لإنجازات الفكر الآخر والإبداع المتميز فى محاولة تجاوز الأنماط السائدة للفكر وللكتابة .

وخلال " حرب الخليج " دافعت اللجنة عن واشتركت فى الحملات التى نظمت مع معارضى الحكومة المصرية ضد موقفها من الحرب ودخولها فى جبهة " الحلفاء " ضد العراق وقصفهم الوحشى لمبانى ومصالح ومدن وقرى العراق مدمرة للبشر وللبنية الإنتاجية للبلاد ، فدافعت اللجنة عن المثقفين الذين قبض عليهم فى هذه المعارضة مثل الشاعر عفيفى مطر والمهندس عادل المشد .

ثانياً : اللجان الشعبية الأخرى المقاومة للتطبيع والداعمة للشعب الفلسطينى(*)

لعل من أبرز لجان مقاومة " التطبيع " فى مصر ، والتى تلت " لجنة الدفاع عن الثقافة القومية " **كانت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين** " التى تأسست يوم 1995/12/1 ، بغرض تقديم الدعم المعنوى والإعلامى للمقاومة فى لبنان

* المصدر الرئيسى لهذا الجزء من الوثيقة هو دراسة (المواجهة الشعبية) للباحثة عبير عطية – ضمن كتاب الصهاينة فى مصر – مصدر سابق ص128-154.

وفلسطين ، والتى كان يصدر عنها نشرة شهرية منتظمة باسم " المقاومة " ، تتولى النشر الدورى لأنشطة حركة المقاومة اللبنانية ، وتطورات الصراع على الساحة الفلسطينية ، كما أصدرت قرابة المائة كتاب ودراسة إعلامية عن ثقافة المقاومة ومواجهة التطبيع فى مصر ، ونشرت عشرات الوثائق المهمة عن المطبعين فى مصر بالإضافة لعقد أكثر من 120 ندوة ومؤتمر وحلقة نقاشية خلال الفترة (1995 –2008) وهو عمر اللجنة التى كانت تنسق أنشطتها مع مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة ، وكان المنسق العام للجنة د. رفعت سيد أحمد (ولقد سبق وقدمنا فى ملحق الوثائق نماذج من انشطتها وبياناتها).

<u>* فيما أعلن عن إنشاء " الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل "</u> ، فى مؤتمر حاشد بنقابة الصحفيين المصريين ، يوم 1996/11/2 ، وأصدرت بيانها التأسيسى ، واعتبرت حركة شعبية ، تسعى للديمقراطية ، والوعى الشعبى ، تعمل من منطلق الرفض القاطع لكل عمليات التسوية السياسية الراهنة ، الخاضعة للهيمنة الأمريكية – الصهيونية .

أصدرت اللجنة نشرة غير دورية ، باسم " الصراع " ، كما أصدرت بالاشتراك مع مركز يافا للدراسات والأبحاث (وهو المركز الذى كان _ولايزال _ يعد راعياً رئيسياً لأغلب لجان مقاومة التطبيع فى مصر خلال فترة الدراسة 1979–2011) عدداً من الكتب والابداعات الأدبية والبيانات الدورية الداعمة للقضية الفلسطينية.

وأهم نشطائها : امين اسكندر منسقها ، سعد الدين وهبة تولى رئاستها منذ تكوينها وإلى وفاته ، وأهم أعضائها " المهندس أبو العلا ماضى ، د0 سهير مرسى ، د0 أشرف البيومى ، د0 رفعت سيد أحمد ، أحمد بهاء الدين شعبان ، د0 فوزى منصور ، الذى قام بكتابة البيان التأسيسى للجنة(وهو مرفق سابقا ضمن قسم الوثائق بالموسوعة)

<u>* وفى السياق نفسه ، تكونت " اللجنة المصرية لمواجهة الصهيونية ومقاومة التطبيع "</u> ، التى أنشئت لتعمل تحت مظلة أحزاب المعارضة (الرسمية) ، وتعتبر اللجنة جسر التقاء بين كل من النشاط الحزبى واللجان الشعبية والاتحادات المهنية ، ويصدر عنها نشرة باسم " التصدى " ، التى ترصد أنشطة " التطبيع " فى مصر ، وجهود مقاومتها ، كما تنظم اللجنة العديد من الندوات ، والمؤتمرات لخدمة أغراض اللجنة 0

أهم نشطائها : حامد محمود رئيس مجلس إدارة اللجنة ، وأحمد شرف ، ابراهيم بدراوى ، فاروق العشرى ، حمد حجاوى ، كذلك ممثلون للأحزاب السياسية أعضاء مؤسسون للجنة.

* وتطور أسلوب المقاومة ، فاقتحمت المقاومة مجالات جديدة من أجل وقف محاولات الاختراق الصهيونى المستمرة والمتنوعة للمطبعين ، **<u>ولذلك تأسست " اللجنة العربية لمقاومة</u>**

التطبيع فى المجال الزراعى والمائى " فى ديسمبر / كانون الأول 1996 ، واستهدفت – وفق مشروع ميثاقها – التحرك من أجل عدة أهداف أهمها، مقاومة التطبيع مع العدو الصهيونى فى مجالى الزراعة والمياه ، ودعت الى التكامل العربى فى المجالين نفسهما ، وعملت هذه اللجنة فى اطار شعبى وقد توسعت فى عضويتها فضمت أعضاء من مختلف الدول العربية ولم تقتصر على مصر فحسب .

وكان أهم نشطائها : المهندس / حسام رضا ، الخبير الزراعى ، وعريان نصيف ، كما تكون أيضاً ، الاتحاد العام للفلاحين ، والتعاونيين الزراعيين العرب ، وعضوية هذا الاتحاد مفتوحة لكل القوى ، والشخصيات العربية مصرية وغير مصرية ، ويهدف الاتحاد لرصد ، وكشف عمليات " التطبيع " الزراعى بين البلدان العربية والكيان الصهيونى ، ويقوم التشكيل المصرى بدور " الأمانة العامة الدائمة للاتحاد " بحسب اتفاق مؤسسيه ، وأصدر الاتحاد نشرة دورية باسم " الفلاح المصرى " ، غير أن اللجنة اعتمدت أسلوباً تقليدياً لتحقيق أهدافها 0 فقامت بنشر الكتب ، والمقالات ، والدراسات المتخصصة فكان كتاب "مخاطر التخريب الصهيونى فى المياه الزراعية " باكورة انتاجها ، كما أقامت اللجنة العديد من ندوات التوعية للمزارعين والفلاحين فى شتى الأقطار العربية وتم الإعداد لتشكيل لجنة مصرية مستقلة ، تنتظر الإشهار ، تحت اسم " اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع الزراعى " 0 وأهم نشطائها : الخبير الزراعى عريان نصيف 0

*** اللجنة الوطنية لأعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية لمواجهة الصهيونية :**

يعود نشاط هذه اللجنة بين أعضاء هيئة التدريس إلى ثمانينيات القرن العشرين ، حين شارك أعضاء هيئات التدريس فى جامعات مصر ، مشاركة فعالة ، فى أنشطة دعم المقاومة الفلسطينية ، ومناصرة الشعبين ، الفلسطينى واللبنانى ، بداية الاجتياح الإسرائيلى للبنان ، صيف 1982 ، وانعقدت فى هذا الصدد مؤتمرات عديدة ، واشترك أساتذة الجامعات المصرية فى عديد من أنشطة التضامن مع شعب فلسطين ومن أبرز نشطائها د.أشرف البيومى – د. سعيد النشائى – د. أحمد الأهوانى وآخرين .

أصدر مؤسسو اللجنة ، آنذاك ، نشرة للتعبير عن صوتهم ، وقد نبه رئيس قسم اللغة العبرية بآداب عين شمس سابقاً د0 رشاد الشامى للمحاولات العديدة ، والمستمرة التى تقوم بها الهيئة الأكاديمية الإسرائيلية ، فى سبيل " التطبيع " ، مع هيئة التدريس الأكاديمية المصرية ، من خلال الدعوة إلى مؤتمرات علمية ، وندوات ثقافية مشتركة ، أو استحداث أى نشاط آخر مشترك ، وقد رفضت الجامعة المصرية كافة هذه المحاولات.

أعيد تنشيط القطاع الأكاديمى ، مرة أخرى ، عبر إعادة تأسيس رسمى ، موثق ، فى شهر أكتوبر تشرين الأول 2000 ، من أجل تطوير مشاركة أعضاء هيئة التدريس الأكاديمى فى دعم الانتفاضة.

وقد وضعت اللجنة برنامجاً نشطاً للتوعية بالقضية ومساندة الشعب الفلسطينى ، وأصدرت نشرة شهرية للطلبة ، باسم " دُرة " ، تمتاز بتضمنها ترجمات لأعمال أكاديمية وفكرية لأكاديميين اسرائيليين ، تفضح الممارسات العنصرية الصهيونية ، وتكشف من الداخل زيف شعارات إسرائيل ، وكان أهم الأعضاء باللجنة أحمد الأهوانى ، محمد هشام ، أمينة رشيد وآخرين 0

* ثم تأتى " انتفاضة الأقصى والاستقلال " ، فى 28 سبتمبر / أيلول 2000 ، لتصبح محطة رئيسية فى تاريخ العمل الوطنى ، ومقاومة " التطبيع " ، لدى الشعب المصرى ، ولتحول لجان مناهضة "التطبيع" من ندوات ، ومؤتمرات فكرية ، وأنشطة خاصة بالمثقفين المصريين ، إلى حركة مقاومة شعبية يشعر بها رجل الشارع المصرى ، تتولد عنها ، كل يوم لجنة شعبية جديدة ، داخل النقابات المهنية أو الأحزاب ، أو النوادى والجمعيات الأهلية ، لعل ابرز تلك اللجان ، أو الأحزاب أو النوادى والجمعيات الأهلية ولازالت الجهود مستمرة ومتنوعة حتى اليوم (2015)

<u>* اللجنة الشعبية المصرية للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى :</u>

تكونت بالقاهرة ، وقد وقع على البيان التأسيسى لها نحو ثلاثمائة من كبار المثقفين والسياسيين والفنانين المصريين واحتوى (البيان) على الأهداف الرئيسية للجنة التضامن مع الشعب الفلسطينى ، ودعمه ، مادياً ومعنوياً ، وتكوين لجان شعبية مماثلة فى كل محافظة من محافظات مصر ، والتنسيق فيما بينها 0

خرجت اللجنة بنشاطها من أساليب عمل اللجان الثقافية الى أنشطة اللجان الجماهيرية ، واستطاعت تكوين أول قافلة معونات غذائية ودوائية شعبية ، أرسلت إلى أبناء الشعب الفلسطينى لمقاومة الحصار المفروض عليهم ، وذلك فى الخامس والعشرين من نوفمبر / تشرين الثانى 2000 ، حيث حملت القافلة نحو مائة طن من المواد الغذائية والدوائية ، رافقتها 150 من أعضاء اللجنة ، ثم نظمت اللجنة أهم وأكبر قوافلها فى يوم 2001/6/29 ، حيث احتوت على نحو ستمائة وخمسين طناً ، تم نقلها فى 60 سيارة نقل، رافقها نحو سبعمائة مصرى ، وقد حملت اللجنة على عاتقها انتشار نشاطها فى أحياء مصر الشعبية ، ومحافظاتها ، ويشهد أعضاؤها بأن تلك التبرعات قد جاءت من فقراء مصر ، لدعم القضية

الفلسطينية كذلك ساعدت حملة (المليون توقيع) ، التى نظمتها اللجنة فى الشارع المصرى على قيام حركة توعية كبرى بين أبناء الشعب المصرى ، وكانت حملة التوقيعات قد توجهت بعريضتين الأولى إلى رئيس الجمهورية ، من أجل وقف العلاقات مع العدو الصهيونى ، والثانية إلى كوفى أنان ، الأمين العام للأمم المتحدة ، من أجل تشكيل لجنة تحقيق دولية ، لبحث ما يتعرض له الشعب الفلسطينى من مجازر يومية ، على أيدى الإسرائيليين ، جنود ومسنوطنون 0

ومن أهم نشطائها : شاهنده مقلد ، المهندس عادل المشد ، عبد الغفار شكر ، الفنانة محسنة توفيق ، د0 جمال عبد الفتاح ، مهندس عادل وسيلى ، مجدى عبد الحميد ، وبشير صقر ، د. رفعت سيد أحمد ، أمين اسكندر ، أحمد بهاء شعبان وآخرين .

<u>* اللجنة المصرية العامة لمقاطعة السلع والشركات الصهيونية والأمريكية :</u>

تشكلت فى 2000/11/29 ، وأعلن عن بدء ممارستها لنشاطها بمؤتمر فى نقابة الصحفيين ، حضره رموز فى الشارع المصرى وممثلو كافة التيارات السياسية ، ونشطاء العمل العام 0 حسب البيان التأسيسى ، فقد تأسست اللجنة من أجل توحيد الجهود الشعبية المصرية لدعم انتفاضة الأقصى والاستقلال ، ولعل أهمية هذه اللجنة تكمن فى أنها أول من أعاد تفعيل سلاح مقاطعة السلع الأمريكية والغربية الداعمة للكيان الصهيونى ، وإن كان أسلوب المقاطعة ليس جديداً على أساليب الكفاح العربى 0 وعقب اندلاع الانتفاضة انطلقت الدعوة لمقاطعة البضائع والشركات الإسرائيلية والأمريكية ، بمبادرة شعبية خالصة ، حيث مارس الأطفال والشباب وسيدات البيوت دوراً فعالاً فى مقاطعة السلع ، والمطاعم الأمريكية 0 كما استهدفت " اللجنة العامة للمقاطعة "* ترشيد حركة المقاطعة ، وبلورتها ، من خلال نشر " القوائم " المدروسة التى تضم الشركات الصهيونية ، والأمريكية والغربية ، التى تدعم الكيان الصهيونى ، دون الإضرار بالاقتصاد 0 وصدرت عن اللجنة نشرة باسم " المقاطعة " تولت متابعة نشاط الحركة ، وتفنيد حجج معارضى حركة المقاطعة ، وشاركت اللجنة فى حملات لتوعية ولتوسيع مجال نشاطها فى المحافظات والأحياء الشعبية ، وأهم نشطاء اللجنة : عبد العزيز الحسينى ، أحمد بهاء الدين شعبان (مقرراً للجنة العربية للمقاطعة) التى انبثقت عن هذه اللجنة أيضاً بجانب عضوية اللجنة العامة للمقاطعة السلع والشركات الصهيونية والأمريكية المصرية ، ورئيسها الشرفى هو / نادر الفرجانى 0

لم يمنع المد الجماهيرى ، الذى شهدته الساحة المصرية لمقاومة " التطبيع " ودعم الانتفاضة ، من ظهور لجان مشاركة للنخبة ، تعمل بأساليب العمل التقليدية 0

*** الملتقى العربى لمواجهة الصهيونية** تأسس فى بداية عام 2001 ، وشهد خطاب التأسيس بأنه " تجمع مصرى / عربى لكافة القيادات السياسية ، معاد للكيان الصهيونى ، هدفه الأوحد توحيد الصف ، لتدارس قضية الصراع العربى – الإسرائيلى ، فى اللحظة الراهنة " وقد تزامن تأسيس الملتقى مع الانتصار الذى أنجزته " المقاومة " على الجبهة اللبنانية ، مما أعاد الخطاب الثورى للشارع العربى وأصدر الملتقى العربى لمواجهة الصهيونية نشرة باسم " الملتقى " 0

وكانت تعقد لقائت فى احزاب المعارضة وبالاخص فى حزب مصر الفتاة وكان من أهم نشطائه : د. عبد الكريم العلوجى ، على كليدار (العراق) ، عبد القادر ياسين وحمد حجاوى (فلسطين) ، محمد بركات ، أحمد شرف ، فاروق العشرى ، د. رفعت سيد أحمد ، أحمد سنبل (مصر) 0

*** اللجنة الشبابية للتضامن مع الشعب الفلسطينى :**

تجمع شبابى ، بدأ فى أحضان الجامعة ، وضم نسبة غير قليلة من طلابها ، وعقد مؤتمره يوم 2001/6/7 وأصدر نشرة دورية ، باسم " أناديكم " ، صدر عددها الأول فى شهر يونيو / حزيران 2001 ، احتوى البيان التأسيسى للجنة الشبابية على هدفها الرئيسى ، وهو تعميق الوعى التاريخى للصراع العربى /الإسرائيلى لدى الأجيال القادمة.

*** الجبهة الوطنية لمقاطعة ومقاومة المشروع الأمريكى الصهيونى:** أصدرت وأعلنت بيانها التأسيسى فى 3 سبتمبر 2001 ، أ.د عبد المنعم تليمة – عبد القادر ياسين – اللواء طلعت مسلم – عبد الرحيم الكريمى .

* اللجنة الشعبية لمقاومة المشروع الصهيونى (يونيو 2002) : المقرر عبد المنعم أبو الفتوح – د. عبد الستار المليجى – فاروق العشرى – صلاح سليمان – إبراهيم بدراوى– نقابة الأطباء بدار الحكمة .

*** اللجنة الشعبية لمقاومة العدوان الأمريكى على إثر الاعتداء على العراق .**

*** اللجنة الشعبية المصرية لكسر الحصار عن العراق (عام 1998) :** المقرر : فاروق العشرى ، فى إطار الحزب العربى الديمقراطى الناصرى . وكانت من اهتمامها أيضاً مقاومة التطبيع .

*** لجنة التعبئة الشعبية فى الوطن العربى (مايو 2008)**

*** لجنة مقاومة التطبيع فى اتحاد المحامين العرب :** المقرر عبد العظيم المغربى – فاروق العشرى عضو أمانة اللجنة عن المنظمات الجماهيرية وممثلى النقابات العامة النوعية على مستوى الوطن العربى ، وكانت تهتم أيضاً بمقاومة التطبيع .

*** الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية :**

بعد حسم " حماس " للأمر فى قطاع غزة ، صيف العام 2007 ، ارتفعت أصوات هنا وهناك ، تهاجم بفكرة المقاومة ، فى تناغم مع أعداء قضايا العرب ، فألتقى ثلاثة نشطاء ، مطلع نوفمبر/تشرين الثانى من العام نفسه داخل مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة ، وهم : عبد الكريم العلوجى (عروبى عراقى) ود. رفعت سيد أحمد (عروبى إسلامى مصرى) ، وعبد القادر ياسين (يسارى فلسطينى) انطلاقاً من " فلسطين قضية عربية " واتفق الثلاثة على الدعوة إلى اجتماع تداولى موسع لممثلين عن الأحزاب والنقابات المصرية ، انعقد فعلاً فى مقر " حزب مصر الفتاة " بوسط القاهرة ، حيث تم الاقتناع بمدى عقم " الجبهة " الحزبية ، وتم الاتفاق بين الحضور على دعوة حزبيين وغير حزبيين ، على أساس شخصى ، لمن عُرف عنهم تأييد القضية الفلسطينية ، والتأم الاجتماع فى نقابة الصحفيين فى يناير/كانون الثانى 2008 ، وانتخب أمانة عامة ضمت ممثلين لشتى التجمعات السياسية والجغرافية وترأسها المناضل العروبى التقدمى المرموق عبد الغفار شكر ، وخلفته د. فادية مغيث ، ثم د. كريمة الحفناوى ، فعبدالعال الباقورى وقد تصدت الجبهة فى سياق نضالها للتطبيع والمطبعين عبر الندوات والمحاضرات والبيانات .

القسم الثانى من الوثائق
الوثائق المصورة

الوثيقة الأولى
(نص تاريخي لمجلة المقتطف المصرية يعود لعام 1898 يتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين ولكن دون إدراك كامل لمخاطر هذه العودة)

الوثيقة الثانية

صورة ضوئية لترحيب واحتضان وكيل شيخ الأزهر فوزى الزفزاف لحاخام إسرائيل الأكبر / مائير لاو فى مؤتمر لحوار الأديان عقد فى براغ عاصمة تشكيا عام 1998 وأثارت الصورة جدلاً واسعاً عقب نشرها تماماً مثل صور شيخ الأزهر الراحل طنطاوى مع الرئيس الإسرائيلى بيريز عام 2009

الوثيقة الثالثة

صورة ضوئية من البيان التأسيسى لجمعية القاهرة للسلام وأسماء مؤسسيها

الوثيقة الرابعة

صورة ضوئية لأحد مؤتمرات شباب الحزب الوطنى الحاكم إبان عصر مبارك مع الإسرائيليين وأشرف عليه أحد أقرباء يوسف والى - وزير الزراعة الأسبق ورجل إسرائيل فى مصر - خلال الفترة التالية لعام 1979 وحتى 2011

الوثيقة الخامسة

نموذج من نشاط الجامعة الأمريكية في مصر اليوم ، وهو كشف تفصيلي بمحاضرات في الإدارة ، وجدير بالذكر أن هذه النوعية من المحاضرات كانت تلقى تباعاً على 90 قيادة عسكرية مصرية (من الجيش والشرطة برتبة عميد ولواء) في قسم الإدارة العليا ، وبشكل سرى ودورى منتظم منذ عام 1979 تحديداً ، وكان الهدف المعلن منها إعطاء دورات ، في الإدارة العسكرية لهذه القيادات ، أما الحقيقة فهي " أمركة العقل العسكرى المصرى " تدريجياً لكي يتم احتلاله من داخله أولاً ، وتكون بالتالي تبعية القرار السياسى والعسكرى مجرد تحصيل حاصل !! .

الوثيقة السادسة
صورة ضوئية لنماذج من أنشطة اللجنة الحزبية المصرية لمقاومة التطبيع

الوثيقة السابعة

صورة ضوئية من قرارات الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين بعدم التطبيع مع الكيان الصهيونى

الوثيقة الثامنة
صورة ضوئية من الرسالة الشهيرة المرسلةيوم 2012/7/29
من د. محمد مرسى (الرئيس الإخوانى السابق)
إلى شيمون بيريز رئيس دولة إسرائيل وختمها بتوقيعه يسبقه كلمتى (صديقك الوفى)

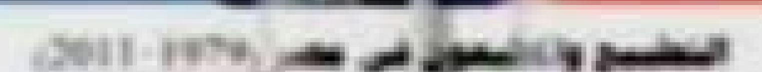
الوثيقة التاسعة

صورة ضوئية من أنشطة لجان دعم الانتفاضة الفلسطينية

الوثيقة العاشرة

صور من الوثائق الأصلية لأنشطة ورسائل مسئولى المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة والتى تؤكد الدور السياسى التطبيعى المخالف لبروتوكول إنشاء المركز فى 1982/2/25

الوثيقة الحادى عشر
صورة ضوئية من الصفحات الأولى من نشرة المركز الأكاديمى الإسرائيلى الداخلية والتى تتضمن تلخيصاً لأنشطة الندوات والأبحاث والفاعليات المختلفة



التطبيع والتحول في مصر (1979-2011)